

المروية

مجلة الأسبوعية للفقه والنسخ

تصدر موقفاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937

Volume 1

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'ACRPP qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

© 1998 ACRPP.

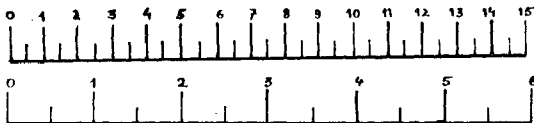
PROVENANCE DE LA COLLECTION

INSTITUT DU MONDE
ARABE

Cote: 833 (051) RIW



ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P

091	0000 0000	100	0000 0000	091	0000 0000	140	0000 0000	091	0000 0000	140	0000 0000	091	0000 0000	140	0000 0000
092	0000 0000	101	0000 0000	092	0000 0000	141	0000 0000	092	0000 0000	141	0000 0000	092	0000 0000	141	0000 0000
093	0000 0000	102	0000 0000	093	0000 0000	142	0000 0000	093	0000 0000	142	0000 0000	093	0000 0000	142	0000 0000
094	0000 0000	103	0000 0000	094	0000 0000	143	0000 0000	094	0000 0000	143	0000 0000	094	0000 0000	143	0000 0000
095	0000 0000	104	0000 0000	095	0000 0000	144	0000 0000	095	0000 0000	144	0000 0000	095	0000 0000	144	0000 0000
096	0000 0000	105	0000 0000	096	0000 0000	145	0000 0000	096	0000 0000	145	0000 0000	096	0000 0000	145	0000 0000
097	0000 0000	106	0000 0000	097	0000 0000	146	0000 0000	097	0000 0000	146	0000 0000	097	0000 0000	146	0000 0000
098	0000 0000	107	0000 0000	098	0000 0000	147	0000 0000	098	0000 0000	147	0000 0000	098	0000 0000	147	0000 0000
099	0000 0000	108	0000 0000	099	0000 0000	148	0000 0000	099	0000 0000	148	0000 0000	099	0000 0000	148	0000 0000
100	0000 0000	109	0000 0000	100	0000 0000	149	0000 0000	100	0000 0000	149	0000 0000	100	0000 0000	149	0000 0000

graphicom 300 57 70

MIRE ISO N° 1
NF Z 43-007

AFNOR

Cedex 7 - 92090 PARIS-14-DEFENSE

2017-11-14 14:11:14

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والدراسات

تصدر مرتين في أول كل شهر ونصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستقل
أحمد حسن الزيات

مدى الاشتراك عن طريق
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
المنية المحفزة - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد الأول ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ - أول فبراير سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

الرواية.

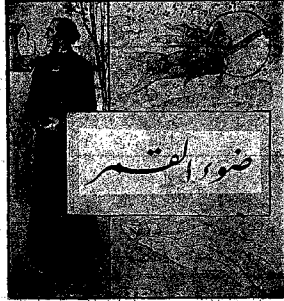
إلى الذين ملكهم الجلال ولم يملكو الأمانة عن آثاره ؛
إلى الذين تيمهم الحب ولم يحسنوا العزف على قيثاره ؛
إلى الذين شاقهم الأدب ولم يستطيخوا النفوذ إلى أسرارهِ ؛
إلى الذين اعتقلهم الهم ولم يجدوا الفكاهة من إيساره ؛
إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه المجلة . وما هي إلا نفضة
من الشعور الانساني الزهيف ، ولعة من البيان
الروحي الشرق ، ستلتاق عندها الأذواق السليمة ،
وتتآلف عليها المشاعر الكريمة ، وتتآلف بها
عبقرة الشرق وعبقرة الغرب

والله وحده هو العليم بما نكاد في سبيلها وفي
سبيل أختها من العناء والأثار والجهد . وفي سبيل
الأدب كل أدنى يحتفل ؛ وفي حب العربية كل
بذل يموض ؛ وفي خدمة الوطن كل سبب يهول
أحمد حسن الزيات



فهرس العدد

صفحة	الرواية
١	أحمد حسن الزيات
٢	ضوء القمر لمويسان
...	أحمد حسن الزيات
٦	الذي يضعك أخيراً ، يضعك كثيراً
...	الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المساري
١٣	لونان من الحب لئلا سكوناً يائز
...	الأستاذ عبد الرحمن صدقي
١٩	خضسام الأستاذ محمود تيمور
٢٧	إليانور لادجار آلن يو
...	الأستاذ محمود الحفيف
٣٢	مقتل رضوان كنعان
...	الأستاذ محمد فريد أبو حديد
٣٩	مجهود مائع لرجريت كندى
...	الأدب أحمد فتحي مرسى
٤٦	جوليا أو هيلون الجديدة لجان جاك روسو
...	أحمد حسن الزيات
٥٠	رومات نائب في الأرياف
...	الأستاذ توفيق الحكيم
٥٩	اعتقالات في مصر لألفرد دي موسيه
...	الأستاذ فليكس فارس
٦٣	الأوديسة هوميروس
...	الأستاذ دروي خفة
٦٨	مقالة جيل لفرست



لنفسه مكان الله حتى يجد، وغالباً ما كان يجد .
فليس هو الذي يثمن في سورة من التقي الخاشع .
هذه الجلة : « مولاي القديس جلت مقاصدك عن
عقول الناس ! » وإنما يقول : « أنا خادم الله فيجب
أن أعرف علل تديره وحكمه نصرته ، إن لم
يكن على وجه اليقين ، فلي وجه الحسد والتخمين » .
ففي رأيه أن كل شيء في الطبيعة إنما خلق على
مقتضى نظام عجيب ومنطق مسلّم ، (لذا) (ولأن)
يتعادلان دائماً في ميزان عقله . فالعجيز يزغ ليستيقظ
الناس في مسرته وبهجته ؛ والنهار يفضح أيسينع
النمر وينضج الحصيد ؛ والظلم يهيم لتجبا الأرض
وتزوى الزروع ؛ والنساء يقبلن لأبوى الناس إلى
المضاجع ؛ والليل يحللك ليلقوا بأنفسهم في
أحضان الشكرى ؛ والفصول الأربعة إنما تنطق
كل الانطباع على حاجات الزراعة . وهيها
أن تداخل القديس شدة في أن الطبيعة لا غرض
لها ، وأن كل شيء فيها إنما يخضع لضرورات
الوقت والأفهم والمادة . ولكنه كان يكره المرأة ؛
يكرهها من وراء غيبه ، ويحقرها من حضن غيبتها .
وكان كثيراً ما يردد قول اليسع : « أيها المرأة ،

للأطباق الفرنسية جي ومولسان

بقلم أحمد حسن الزيات

كان الأب مارتينان يحمل اسمه الحربي ^(١) عن
جداره . والأب مارتينان قسيس كبير ^(٢) منتمضب
ضاهي الجسم ناز النفس ، إلا أنه مستقيم خبير .
نابت العقيدة لا بتدبير ، صادق الإيمان
لا بتيك ، وهو يعتقد خلاصاً أنه يعرف الله ويستطيع
أبداً حكته وأغراض مشيئته . كان إذا سار
أحياناً بخطاه الواسعة في معنى مسكنه الرقيق الصغير
ونظر في الشيء بعيد الشيء ، قام في ذهنه هذا
السؤال : « لماذا خلق الله هذا ؟ » ثم يبحث
عن الجواب ويالج في البحث ، متخفياً بفكره

١٧٧٠ كانوا في الزمن القاس ، يلقون الجدي عيون دلتهم
في اللحية بليق . وعاد يلب لب هذا القس أيام مجتة إيطالية
تقع في الجنوب الشرقي من ميلانو . وقد انتصر فيها الفرنسيون
على كلويسترة سنة ١٧٩٦ وعلى النمسا سنة ١٨٠٦ .
(٢) (Theod.) لب كان يعطى للأوليين اللذان
في طبقهم من المليون والكهنة والسادة الخ .

تبايش أملا في منزل صغير مجاوره، فكان يخرج من كل الحرص على أن يجعل منها ذاهبة، ولكنها كانت على طرفها رعاء ساهرة . كانت تضع منه إذا وعظ ؛ فإذا غضب عليها قبلته بقوة، ثم ضمته إلى صدرها بشدة، فيحاول هو مضطرا أن يتخلص من هذا العناق الذي يمت فيه مع ذلك نشوة السرور المذب بأيقاظه شهور الأبوة الزاقد في قزارة كل نفس

كان يحدتها عن الله ويسارها جنباً إلى جنب في مسالك الحقول فتجمل حديثه دُرَ أذنها، ثم ترسل نظرها في السماء والمشب والزهري وقد ترامت في عينها سعادة الحياة وزهرة البش؛ فإذا رأته فراشة تطير عدت وراءها تقنصتها ثم صاحت : « انظروا بما ما أجهلها ! إن نفسى تنازعنى إلى تقبيلها ! »

هذه الحاجة إلى (التقبيل) البادية في لئها هوام الطير وحب الشجر، أزعجت القميس وهاجت بلابل صدره، لأنه رأى هنا كما رأى هناك هذا الخنو التناصل الثابت الذي يثبت دائماً في قلب المرأة. وفي ذات يوم أقبلت امرأة سادن الكنيسة، وهي مدبرة منزل القميس، تخبر الأب ماريان في حيلة شديدة أن ابنة أخيه عاشقة ! كانت القس يخلق لحبته فقضته روع الخبر فبهت ووجع، وترك الصابون على وجهه وأقام ساعة لا يتحرك ولا يطرّف . فلما ذهب عنه الدهش وثاب إليه الرشد صاح في وجه المرأة قائلاً : « هذا غير صحيح ! إنك تكذبن يا ميلاني ! »

ولكن المرأة القروية وضمت يدها على قلبها وقالت : « لعنى الله بامولاي القس إذا قلت في ابنة أخيك الكذب . أقول لك إن لها عاشقاً تخرج إلى لقاءه كل مساء بعد أن تنام عين أختك ؛ ولئها

هل بينك وبينى شركة ؟ » ثم بعقب على هذا بقوله : « كأن الخالق نفسه ساحت على هذا المخلوق ! »
... هي في رأيه الطفلة التي غشها الدين اثنتي عشرة سنة كما زعم الشاعر ؛ وهي التي أغوت الإنسان الأول ولا تزال تواصل عملها المهلك في بنيه ؛ وهي الكائن الضعيف الخطر الذي يكدر صفو العالم في علن وخفية . ولقد كان يفيض روحها الجذاب أكثر مما يفيض جسدها المهلك ؛ وكان كثيراً ما يتسليم عليه حنان المرأة فينبغي من عاطفة الحب التي تمتلج دائماً في نفسها، وإن كان هو في حصن منيع من تأثيرها . وهو يرى أن الله لم يخلق المرأة إلا فتنة للرم ومحنة . فهو جدير بأن يتقنها كما يتقن الشرك، فلا يدنو منها إلا على حذر . ولئها أشبه ما تكون بالفخ حين تبسط ذراعها وتفتح شفقتها للرجل . كان لا يتبع صدره إلا للرغبات، لأنهن نذرن أنفسهن لله فاعتصمن برعايته . ومع ذلك كان يقسو عليهن لأنه لا يتفك بحس في صميم قلوبهن المغلوة الضاربة ذلك الحنان الأبدى الذي يدرك وهو قسيس — أثره في نفسه . كان يحس ذلك الحنان في نظراتهن وهي أشد من نظرات الرهبان اخضالا بالدمع وابتهالا بالورع، وبحسه في مجلبن الروحي وقد اختلطت به عواطف جنسهن، وبحسده في ثمرات حبهن إلى المسيح ؛ وذلك الحب يوغر صدره بالحنن لأنه يرى فيه حب المرأة وهوى الجسد . يحس ذلك الخنو الملعون في وداعتهن أنفسها، وفي رعاة أسواتهن لدى الحديث، وفي أطرافهن التضيضة عند النظر، وفي دفوعهن المستكنة حين يؤثهن بقسوة على خطأ . كان إذا ما خرج من ديرهن نقض نسوحه وانقطع الهول كما نعتهم يقر من خطر . وكان له بنت أخ

صفوفها المنظمة ترسم بالظلال على المشى افنانها
الريقة الخضراء ، على حين كانت شجرة زهر
السل المتسلقة على جدار منزله تسطع بالنفحات
اللذيذة الحلوة ، فتطيف في المساء الفاتر الزاهر نوعاً
من الأرواح المطربة

أخذ القسيس يتنفس مله رثنيه ، ويسب
النسيم كما يسب السكر الخمر ؛ ثم مشى وثيد الخطو ،
مأخوذ اللب ، مشترك الحاطر ، لا يكاد يجرى على
باله ذكر ابنة أخيه . فلما صار بين الحقول
وقف يتأمل السهل كله وقد غمره سحر الليل البهي
وأغرقه ضياء القمر الملائف

وكانت الضفادع في كل لحظة ترسل في الفضاء
أنشيدتها القصيرة الأيقاع المدنية الصوت ،
والبلابل البعيدة تضيف إلى ضوء القمر أغانيها
المتقطعة التي تهيج الأحلام وتمحض على القبل . ثم عاد
الأب عيسى وقد أحس فجأة بقلبه ينسرق وبقوته
تخور دون أن يعلم لماذا ، وود لو يجلس حيث كان
فيتأمل جلال الله ويتملي جمال سمعه !

وهناك على ضفة النهر قام صيف عظيم من شجر
الحور متمرج مع الساحل ينبعث من خلاله
غمام رقيقة من الأصوات المختلفة ، وفوق الشاطئ
الوعر ومن حوله انعقد بخار أبيض قد اخترقته أشعة
البدر فلع وتفضض ، ثم غطى بجرى الماء بما يشبه
القطن الرقيق الشف

وقف القسيس مرة أخرى وقد تخلت قلبه
رقة نامية لا تقاوم ، ثم تخالجه شك مرعب ،
واستولى عليه قلق منهم ، ثم نشأ في خاطره سؤال
من نوع ما كان يلقيه أحياناً على نفسه : « لماذا خلق
الله هذا ؟ إذا كان الله قد جعل الليل لباساً ونمسا
فلا هو للشعور ولا للعمل ولا للذكر ، فلماذا جعله

ليلتين على ضفة النهر ؟ وتستطيع أن تراهما
بمينيك إذا ما ذهبت هناك بين الساعة العاشرة
ومتصيف الليل »

أمسك الرجل عن حلق ذقنه ، وأخذ عيشي
ويُفتف في مشيه كدأبه في ساعات التأمل الخطير .

يوماً استأنف حلق لحيته جرح نفسه ثلاث مرات
فما بين أنفه وأذنه ؛ وظل طول يومه صامتاً متلداً
وقد انتفخت أوداجه من النفيظ ، وانتسف لونه
من الغضب . اجتمع فيه فزع القسيس أمام الحب
القاهر ، إلى حلق الوالد ذي الخلق ، والوصى ذي
الضمير تذكره طفلة فتخذه وتسرقه . أضف إلى
هذين وجع الأنانية الذي يمتري الأهل حيناً تعلمهم
الفتاة أنها اختارت زوجها دون رأيهم وعلى رغمهم
فرغ من عشاها ثم حاول أن يتلهم قليلاً بالقراءة
فلم يستطع ، وأحس بالنفيظ تزداد فورته في صدره .

فلما دقت الساعة عشراً تناول عصاه ، وهي
مراوة ثقيلة من شجر البوط يستخدمها دائماً في
جولاته الليلية كما خرج إلى عيادة مريض .
نظر وهو يتيسم إلى المصا الضخمة ، ثم أدارها في
كفه القوية القوية دورات رحوة مهددة ؛ ثم
رفعها فجأة ، وهو يبحر الأرم ، وأهوى بها على
كرسي فخطمت مسنده . ثم فتح الباب وأراد
الخروج ، ولكنه وقف على عتبة مشدوهاً من
انطلاق ضوء القمر ، وهو ضوء لم يشهد مثله قبله
أحد . وكان الله قد وهب الأب ماريان فكراً
وثاباً لا يهيه إلا الآباء الكنيستة ولأمراء القريص ،
فوقب زاهلاً متأثراً بجلال الليل الساجي وجمال
القمر الشاحب !

كان كل شيء في حديثه الصغيرة غريباً في
الضوء اللطيف ، وكانت أشجارها المثمرة في

المختصر، وتحت قبة الشجر الخاضع في الضباب اللامع، شخصين عثمانيين جنباً إلى جنب. كان شخص الفتى أطول من شخص الفتاة، وكان الحبيب قد طوق بيده جيد الحبيبة، وهو من حين إلى حين يقلعها فوق الجبين. فبعث محضر الماشقين الحياة فجأة في هذا النظر الهامد، فكانه لاشتماله عليهما وتملقه بهما إطار صاغته يد الله خاصة لهذه الصورة كان الماشقان كأنهما كان واحد؟ وهذا الكائن الواحد هو الذي خلق الله له هذا القلب الساكن الساكن، وقد أقبلنا نحو القسيس كأنهما الجواب الحلي أرسله الله إليه عن سؤاله كان القسيس لا يرح وأفقاً وقد اشتد وجيب قلبه، وزاد اضطراب شعوره، ولم يبق لديه شك في أنه يشهد حدثاً من أحداث التوراة كغرام (روت) و (بوز)، وأن ما يراه إنما هو قضاء لمشيئة الله أراد أن ينفذه في هذا الزخرف الفخم الذي تحدث عنه الكتب المقدسة. ثم أخذت تدوى في رأسه آيات (نشيد الأنشيد) بما فيها من صراخ الرغبة ونداء الجسد وحرقة الغزل. فلم يمالك أن قال لنفسه: «لعل الله قد خلق هذه الليالي ليجهلها الغرام الناس غلالة من الجبال الأعلى» ثم تكص على عقيقه أمام هذين الماشقين المتعاقبين وكانا لا يزالان عثمانيين!

تلك كانت ابنة أخيه وذلك كان حبيبها. ولكنه الآن قد سأل نفسه: ألم يكن على وشك أن يعصى الله؟ أليس الله قد سمح بالحب ما دام قد أحاطه بمثل هذا السنا الباهر؟ ثم ولى مدبراً وهو ولهم خزيان كأنما دخل معبد لا يحق له أن يدخله!

أحمد حسن الزيات

أجنى من النهار، وألطف من المساء، وأهذب من الفجر؟ ولماذا يشف هذا الكوكب البعلى الغرار حجب الظلمات فيكون أقرب إلى الشعر والسحر من الشمس؟ وكأنه خلق رصيناً كتوماً ليفضى للناس أشياء هي أدق على النهار وأخفى؟ لماذا كان أبرع الطيور المفردة لا تسكن في الليل كما تسكن الطيور الأخرى، وإنما تسجع بأغاريدها وسط الظلام المضطرب؟ لماذا ضرب هذا النقب الشفاف على وجه العالم؟ لماذا يأخذ القلب هذا الارتجاف، ويملك النفس هذا الانفعال، ويترى الجسم هذا الممود؟ لماذا تظهر هذه اللقائن الغريبة ما دام الناس ضاحجين في أسرهم لا يرونها؟ لمن هذا الشهيد السحري الجليل وهذا الفيض الشمري الجليل الذي ينسكب من السماء على الأرض؟



وحاول القسيس أن يجد لهذه الأسئلة أجوبة فلم يوفق؛ ولكنه أبصر هنالك على جواشئ الرج

الزينة والخير، بضعة وكثير

للاستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني

فكانت ببساطة :

« أوه ... أظنه ملئنا ... »

سافر ليبحث مع شريكه

أمر هذه الشركة الجديدة التي

ريد أن يؤلفها .. إنك تعرفه ..

لا يمتزج بعيد ، ولا يطبق أن

يقعد بلا عمل »

فسرني أنها تكذب لتستر

حقيقته ، وكنت أعرف أن هذه

كذبة لأنه أخبرني بما تتم فالأمر

مفروغ منه ، ولا حاجة به إلى

سفر جديد ، ولكنها لم تكن

تدري أي أعرف هذا ، ولا



للجأت إلى كذبة أخرى

وقضيتا النهار على خير ما نستطيع ، وإذا بنا

بعد العصر نتناقى هذه البرقية :

« اصطدمت السيارة وتخطمت وإصابتي خفيفة ،

فهل تستطيعين أن تحضري ؟ سيكرن سيد بانتظارك

بسيدي جابر »

« خليل »

فدعنا جميعاً فقد كان من الواضح أن الحادثة

أكبر مما زعم . ولم تستطع أختي أن تعيق نفسها

فبكت ؛ وحثت أي أن ترحلها عن البكاء ، فقلت

لها : دعها فاحلق الدمع للناس عينا . فقامت

ترتب لها أشياءها في الحقيبة ، وتضع معها ما قد

يحتاج إليه زوجها مخافة أن تكون حقيبتها قد

فقدت في الحادثة ، أو تركت مع السيارة المخطئة

وقلت لأي : « إذهبي معها وسأحلق بكأغداً

فاني مضطر إلى البقاء الليلة ، وأبرقوا إلى في الصباح

بعد أن تزود ليطنين قلبي »

لما جاني رسول

أختي برقة منها يدعونا

فيها - أي وأنا - إلى

قضاء العيد معها لأن زوجها

سافر إلى الإسكندرية ، أدركت

أن في الأمر شيئاً وأن خلافاً

لا بد أن يكون قد شجر بينهما ؛

ولكن دقة إحساسها بالواجب

جعلتها على البقاء في بيتها بدلاً

من أن يجيئ هي إلينا . ولم نفت

أي دلالة هذه الدعوة فقد سألتني :

« أظن أن شيئاً حدث ؟ »

فقلت : « لا بد » ؛ فقلت : « أتري

أن نسلها ؟ » فبرزت رأسي ؛ فليس أكفل بفساد

الأمر بين زوجين - في رأي - من الدخول بينهما

وكان وجه أختي وحده كافياً للارتفاع بالنظن

إلى مرتبة اليقين . نعم كانت تبتسم ، ولكن

اقتباسها كان متكاملاً ، وكلامها أكثر مما ألفنا منها ،

وحرارتها أسرع ؛ وكان لونها بمنقما حتى أقصد

احتاجت إلى الأمر لخديها وشفتيها . وكان الجو

بارداً فاحتجنا إلى ما ندفع به فجاءتنا بموقد صار إليهم

فيه جراً ، لأنها تكثر مدافاة الكهرواء أو البترول

لشدة تجفيف الكهرواء للجو ، والبترول له

رائحة لا تعطيها

وسألناها وأنا أنبسم : « وأن الذين زوجك ؟ »

وكان لا بد أن أسأله عنه والإلا كان اجتناب

ذكرة ولشياً بالظن إلى ما عسى أن يكون قد وقع

بينهم . وما دامت هي لم تقول شيئاً فقد تركتها أن

تعلل أننا نعلم

نصنع الآن ؟ ... ففكر ... فكر ... فقد ضاع
عقلي ... فريدة ! من يدري في أيدي من الأشرار
ستقع الآن ؟

فقلت : « وأى أيضاً معها ... وهيتان
لا واحدة بإصاحي » .

فقال : « وهيتان ... هل تعني أنك تعتقد ... »
قلت : « بالطبع ... أى معنى لهذه البرقية غير
ذلك ؟ ! إنها شرك ... وليس المهم الآن حل القز
بل السفر وراءها لانتزاعها ... لتعتهما من الوقوع
في أيدي هؤلاء الأشرار كائنين من كانوا »

فقال : « صدقت ... قم بنا »

قلت : « سيارتك لاتصلح لهذا ... ألا تستطيع
أن تجد لنا سيارة قوية ... تستعيرها من أى صديق ؟
وفي هذه اللحظة أقبل أخى فتشهدت
واستبشرت ، فقد كانت له سيارة جديدة من طراز
هدسون تستطيع أن تطير بنا ، فدفعت إلى الباب
وسبقته إلى السلم وأنا ناديه وأدعوه أن يسرع ورائى
وكان أخى يكره السرعة فتوليت أنا القيادة
وجلس هو وكرهه معه وراءنا ، وجلس خليل معى ،
وكان لا بد من التمهّل حتى نخرج من المدينة
وإلا عطشنا الشرطى ، وكنت كالجالس على الجزر
ولكن ما حيلنى ؟ ... »

واجترأنا شرباً بمد أن ضاع ربع ساعة ثم
فسألت أخى : « هل الأنوار قوية ؟ » ولم تكن في
حاجة إلى السؤال ، فأتى أنا السائق وأما مفتاح القور
وفى وسى أن أجرب ، ولكن السؤال جاء دليلاً على
مبلغ اضطرابى ... ودليل آخر على هذا الاضطراب
هو أننا لم نحفر أى ما الحكاية فزاع بكلمة
ويقول له :

وودعتهما في المحطة ووعدت إلى البيت - بيت
أختى - حزناً كاسف البال موجع القلب ؛
وجلس في البيت أفكر في هذا الحظ السيئ ،
وأستخط على خليل ، وأقول لنفسي : هل كان لا بد
أن يصنع هذا الأحمق ما صنع ، وأن يعان إلى زوجته
الجفوة ليلة العيد ؟ وروح بكسر عظامه أيضاً ويرج
زوجته هذه الرجة الشنيعة ؟ . ولكنه اتى فوق
جزائه ... مسكين ! ومن يدري ماذا جرى له ؟
ولله الآن مشف على الملاك ، وإنها لقسوة أن
ألومه . ثم أنه كان مثال الزوج الصالح ، ولم تسكن
سيرته معها قط إلا سيرة الحب الذى لا يمنيه من
الدنيا سوى زوجته ، فإذا يأتى جرى حتى كانت
هذه الجفوة المشؤمة ... ؟

وإلى جالس أدخل سيجارة أتأخرى وبنى
ما يعلم الله من الحزن ، وإذا بخليل داخل كالقنبلة
فانتفضت واقفاً ، وحدثت في وجهه مذهولاً وفى
مفتوح كالأبله . فلما رأتى كذلك وقف هو أيضاً
وسألت أول ما سأل : « أين فريدة ؟ »

فأحسست أنى سأسقط على الأرض فأنحططت
على أقرب كرسي ، ورفبت يدي إلى رأسى . فأقبل
على يهزى بمنف ويقول بصوت عال جداً : « أين
فريدة ؟ ... قل ... انطق ... ماذا جرى ؟ »

فحاولت أن أتكلّم ، ولكن لسانى وقف في
حلقى فأشرت إلى البرقية المشؤمة وكانت مطوية
على المنقذة ، فتناولها مستغرباً ، ولم يكذبقرأها
حتى صرخ : « إيه ؟ »

فأفوجيت لسانى وقلت : « ماذا تظن ؟ ... من
أرسل هذه البرقية ؟ »

قال : « لا أدري ... ولكنها مشيئة ... ماذا

السيارة كبيرة ومتينة وثابتة لا تقبلت بنا وقتلتنا . ولكن أخى خبير بالسيارات والذي لا يعرفه عنها لا يستحق أن يعرفه أحد . والحق أنها كانت سيارة أصيلة بل هي سيارة وكفى ، ولكن بالى لم يكن فى ذلك الوقت إلى شيء من هذا ، بل إلى ما بقى من الوقت حتى يصل القطار إلى طنطا أو دمهور ، وإلى مبلغ الأمل فى إدراكه قبل أن يبلغ سيدى جابر وتأتى إلى صوت أخى يقول : « هل تعلم ياروكسى أن اسماعيل مهمل (يعني) ... أموافق أنت ؟ هذا ما كنت أنتظر .. ولكنه ينقصك أن تعلم لماذا .. أتريد أن أسر إليك ياروكسى بالسبب .. اسمع إذن ولكن لا تجبره .. لقد أردت أن أستمير حقيقته الصغيرة .. أقول لك الحق ياروكسى .. بينى وبينك ياروكسى .. استمرها فعلاً .. ولكني وجدت أنه أهمل أن يضع فيها المفتاح ولهذا جئت إلى بيت الأخت لمل أجده فأخذ المفتاح .. أعرف ما تريد أن تقول فأنتك ذكى .. بالطبع لم يكن ينتظر أن يعطيني المفتاح .. ولكني كنت سأأخذه على كل حال .. أوه ! بطريقة من الطرق .. من غير أن يشعر بالطبع .. »

وقد هممت مرات أن أسبح به ولكني كبحته نفسي فليس هذا وقت الاختلاف على الحقائق ، ولكنه غافلي مع ذلك أنه أخذها وهو يعلم أن فيها أشياء ، فقد كنت أعددتها لرحلة قصيرة فلما جاء رسول أختي عدلت وكان ما كان .. ونويت أن أغتم أول فرصة تسمح لاستردادها .. بطريقة من الطرق .. كما يقول .. والبادئ أظلم ولم أكن أطمع أن أدرك القطار فى طنطا فلم أستغرب أن أعرف أنه تركها قبل وصولنا بعشر

« روكسى ... إنه يسأل عن الأنوار هل هي قوية ؟ كأنه لا يعلم ... لا بأس ... هل تظن أن من حقها أن ينتظر جواباً ؟ ... نعم ... الجواب بمحصل حاصل ... بالطبع ... الحق معك ... ثم إنه أرسل النور أمامه وهو يضيء إلى مسافة أميال ... أليس كذلك ؟ ولكن إلى أين بنا ياروكسى ؟ ... نعم ؟ ... أقول إن هذه هي الطريقة الأمريكية فى الاستيلاء على السيارات واغتصابها من أصحابها الشرعيين ؟ ... إنها كذلك على التحقيق ... وإلى أراك مصيباً دائماً فى ملاحظتك ياروكسى .. أوه !! ... تسمون ؟ ... روكسى ... إنه يخطب بنا الأرض ... فهل تظن أنها ارتكبا جريمة ؟ .. وهكذا وهكذا ... »

ولم أكن أستطيع أن أقول له شيئاً لأن عيني على الطريق . وكان خليل يساعدهنى فينظر إلى عداد السرعة ويخبرنى بالرقم الذى ترتقى إليه ، وينظر فى الماعة كلما فيطمئننى أو يزعمنى ، وأخى ماض فى هذه حتى بلطنا بها . ولم أدخلها بل آثرت أن آخذ طريق سيارات النقل لأنه أقصر وإن كان غير مريح ، واحتياجاً للبطء الذى تضطر إليه فى شوارع المدينة . وبعد أن اجتازنا (الكبرى) الجديد ثم جسر السكة الحديدية - أو الزالقان كما يسمونه - أطلقت للسيارة المنان ، فخل خليل ينظر ويقول : « مائة ... مائة وخمسة ... عشرة ... وعشرون ... وخمسة وعشرون ... إمض إمض ... لا شيء .. هذه دجاجة .. »

فقال أخى : « أظنها ذهبت إلى جنيتها - جنة الدجاج - قبل الأنوار .. أتراه سباقاً ياروكسى ؟ » وبلغت السرعة مائة وثلاثين كيلو ، فلولا أن

ولم تكذب فعل حتى دخل، فركبت - بلاذكرة -
وماذا بهم ؟ وخلييل ورأى ؟ ومشينا خلال
الركبات حتى وجدنا أوى وأخى فاحتطبت بجانبهما
بلا كلام

ولو كان فى رأسى ورأس خليل عقل لتركنا
بهما من القطار وعدنا بالسيارة على مهل، ولكننا
لم نفكر فى شىء حتى كان القطار فى طريقه إلى
سيدى جابر، فأدركنا أننا تعرضنا لغرامة فادحة
لم يكن لها داع، وكان فى الوسع اتقاؤها لو عنيينا
بأن نخبر المفتش أو أحدًا من رجال القطار أننا
راكبون من هنا فقط وسندفع الأجر فى القطار .
على أن الثقة بأننا أنجبنا الفريستين هونت علينا
الحسارة

وقلت لأخى : « هذا زوجك ... البرقية
منيفة فما رأى الآن ؟ »

ولكنها لم تكن فى حال تسمح لها بإبداء رأى .
وأى رأى هناك يمكن أن يشير به أحد ؟ لقد
ضاعت الفرصة الذهبية فى دمنهور ، ولو كنا أخبرنا
أخى على الأقل لاستطاع أن يبرى إلى بوليس سيدى
جابر بالموضوع ، ولكننا لاستمرار السفر فى هذه
الحالة معنى ، أما الآن ...

على أننا قلنا إن الفرصة لم تضيع وإن من الممكن
إذا تركنا الاثنين تسيران بأماننا وحدهما وبعيوننا
عليهما أن نرى الذى سيتقدم لهما نائبًا عن خليل ،
وقد نستطيع فى ذلك الوقت أن نجعل البوليس
يقبض عليه ... على كل حال لم يبق إلا هذا ...

ولكننا لم نجد فى سيدى جابر غير الحالين .
ووقفنا بعيدًا ونوقفت الاثنين تنتظران أن يتقدم
إليهما أحد - رجل أو امرأة - حتى (البوفيه)
لم يكن فيه أحد . فقلنا لعله ينتظر فى الشارع ،

دقائق ! واحتجنا إلى البزير فضيمنا دقائق أخرى ثم
استأنفنا السير بأقصى سرعة لنموض - سلفًا -
التأخير الذى لا بد منه فى كفر الزيات . وابتدأت
ما يشبه الحمى فلم أعد أبلى كيف أقطع الطريق .
وكنت ربما صادفت مركبة ، أو رجلاً على حمار
أوجل ، فأمرق ولا أعنى نفسى باليمين واليسار . ولم
يكن الطريق بمد كافر الزيات على خير ما يمكن أن
يكون ، ولكنى لم أحفل فلك ولم أترقب بالسيارة ؟
وكان أخى يرى هذه السرعة الجنونية - فقد بلغنا
أربعين بعد المائة وأصررنا عليها - فيقول لسكبه :
« أنظر يا روكسى . . إن الخبيث ينتقم منى
- أعنى منا فانك شريكى فى كل شىء - لأنى
استمرت حقيقته . . من أجلها يريد أن يفجئنى فى
السيارة . . أوى والله يا روكسى . . فتعال نبك على
ما كلفتنا من مال يضيع الآن فى هذه السكة
المنحوسة . . ثلثائة وخمسون جنبًا خرجت عنها
من حر مالى . . وماذا يعنيه هو ؟ . بأخذها
بلا استئذان ، وينجيني عن مجلسى فيها ، ويردنى
إلى الوراء . . هل هذا يليق يا روكسى ؟ »

ولولا أن خليلًا صاح فى هذه اللحظة :
« القطار ! القطار ! سنسبقه يا اسماعيل !
سنسبقه بالتأكيد ! الحمد لله ! » لمضى أخى فى
هرائه . وكنا قد قاربنا دمنهور ، فلما بلغنا مدخلها
عاد أخى إلى الترتبة ، ولكنى لم أسمع شيئًا لأن أذنى
كانت تطن . ودوننا من المحطة فوقفت وفتحت
الباب وقلت لخليل : « إزل . . بسرعة » فشرع
يفتح الباب من ناحية وأخى يقول : « ألم أقل لك
يا روكسى إنه سباق . . بين السيارة والقطار ؟ »
ولم أسمع بعد ذلك شيئًا لأنى ذهبت أعدو إلى
الرصيف الذى يقف عنده القطار

وصفتها لكل من في الحطة فظن واحد أنها هاربان من سجن ، واعتقد ثمان أنها مجنونان خطران ، واقتنعت أنها بآن لا فائدة من البحث ، وأن أبي - رحمه الله - أخطأ حين رمى بهذا الخلوقة وزعمه أخا ، وأن أبي أخطأت أيضاً في ربطنا بهذا الخلوقة الثاني الذي أخفوا أمره عني حتى خطف أختي فصار واجبي الآن بعد أن عرفته أن أخفيه أنا عن الناس . ما علينا ... فلندع هذا التاريخ القديم ... أظنكم ستضحكون حين أقول إنى احتجت أن آكل وأن أطعم روكسى ... وقد يسركم أن تعلموا أنى أحب أن أنسى فترة هذا الأكل ، وأن أمحوها من تاريخ حياتى الحافل بالضحكات في سبيل من لا يستحقون شيئاً ... ولكنى هكذا دائماً ... كريمة ، فاضال وجزائى من النليس بل ممن يرحون في إيراد نعمتى الجحود والكفران ... ما علينا أيضاً ...

وقلت لروكسى : « تعال يا صاحبي فان هذا بلد لا يستحق أن يتشرف بوجودنا فيه ، فانرجع إلى بيتنا في مصر » وقد كنت أسلمت السيارة إليه وهى سليمة لا شئ بها ويشهد شريكه فى المؤامرة أنها أنقذتكم ، ولكنى حين أردت أن أدير محركها أبى أن يتحرك ... ولا أطيل . قضيت نصف ساعة فى هذا البرد حتى استطلعت أن أنقذهما بالحركة والمودة إلى دفة البيت

وكانت السيارة كأنها ركبتها قبل ألف عفرية ، ولكنى صبرت وقلت : عوضى على الله ! وهذا جزء من يكون له أخ كهذا ونصيب كهذا ... وأظن أن الفجر بدأ يطلع حيناً بلقنا شبرا فقتشهدت ونهملت فى السير ، وإذا بشرطى يستوقفنى فوقفت ، فدار حتى صار إلى جانبى وقال وهو ينقر على الزجاج :

فأومأنا إليهما أن يخرجاً أماننا ، فلم يكن حظنا خارج الحطة أحسن من داخلها . ولم تبق فائدة من التفريق فركبنا وهما بالضى إلى الفندق ، ولكن خاطراً خطرتلى فجأة فنزلت وذهبت إلى مكتب التأفرا فوبعثت بريقة منه

وفى اليوم التالى كنا فى مصر ولكن هذا لم يكن كل شئ . وهنا يحسن أن أدع أخى بشكم :

« لعله ينيبكم - يريد أختى وأبى - أن تعرفا كيف كانت عودتى البارحة بعد أن تركنى هذان الخلوقة . لا فائدة من قولى انتظرت ، فان هذا القول لا يدل على شئ ، فقد تركنى فجأة وذهب بعدو كأتى أجرب ، حتى محرك السيارة لم يمن بأن يقفه . ستقولون جميعاً إنه كان معذوراً ... فليكن فان الحدال عبث ، وستسمعون بأشياء أخرى أرجو أن يكون عذره فيها أوضح ... وكان موى روكسى كالاحتاج أن أقول ، ولا أدري ماذا كنت أسنع لو لم يكن هذا الرقيق م؟ ... لعلى كنت أجن أو يحدثل شئ من هذا القبيل ... ما علينا . هل أقول إن الأمر طال على وأنا قاعد فى السيارة ؟ كلا ... وهل أقول إنى كنت ميتاً من الجوع ؟ ... كلا أيضاً ... وأختصر حكاية مملة فأقول : إنى نزلت من السيارة وسرت فى الأنحاء التى رأيتها بقصدان اليه ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء ، فقد كان كلامهما دأراً كله على القطار ووجب سبقه ، وإن كان فيها عدا ذلك لا معنى له عندى . ولم أجدهما فى المحطة كما تعلمون لأنهما شادا أن يركبا القطار من غير أن يمشا إلى بكلمة ؟ وقد سمتهما يقولان إنهما أدبا أجزا لركوب مضاعفاً ، وهذا حسن وإن كان قليلاً ... ولكنه يبرد بعض القصة . وقد

« تفضل معي إلى السكركول »

فقلت : « السكركول ... ؟ »

قال : « نعم ، تفضل انزل »

فقلت : « ولكن لماذا ؟ . ماذا صنعت ؟ .

إني لم أكن مسرعاً ، بل كنت أسير بسرعة خمسة أمتار في اليوم واللبلة »

فقال بلهجة جافية : « انزل ولا تجوجي أن أجرك بالقوة »

فقلت لنفسى إن السكابة والجدال عبث ؛ ولا شك أنى سأجد رجلاً يفهم في مراكز الدوايس وذهبتم معه ، فقال : « اقمده هنا » فقدمت حيث أشار وهم يتركى فتعلقت به وقلت : « ألا تسمع من فضلك بأن تخبرنى لماذا جئت في إلى هنا ؟ » فنهزنى بمنف فهويت إلى السكرسى وروكسى بين يدي ...

ولم أر أحداً مستمجالاً سوى ... وأخيراً جاء شرطى آخر وجلس إلى مكتب وأخرج أوراقاً وبدأ يستمد للكتابة ، وسألنى عن اسمى وعنوانى وموئلى ، وعن السيارة ورقمها ؛ ثم سألنى بنجش : « ماذا معك فيها ؟ »

فابتسمت وقد خيل إلى أنه ظننى من مهربي المخدرات وقلت ببساطة : « ليس معى سوى روكسى » فقال : « إيه ؟ » قلت : « يعنى السكب اسمه روكسى » فقال منتهكاً : « يا حبيبى يا حوى ... كان عامل لى قع ومماك كلب ! . تعملوها وتخيلوا والله » فلم أدر ماذا أقول له . وأعفاقاً هو من الكلام فسألنى : « هل معك مفتاح السيارة ؟ »

فناولته المفتاح فنادى شرطياً وطلب منه أن يفتحها لى ، وأن يحبى بها يحبده فيها فلم يجد إلا الحقيقة ... انحكوا ... انحكوا ... لا بأس ...

ستجىء ساعة أثار فيها لنفسى ...

فلما جادوه بالحقيقة ابتسم ابتسامة عريضة جداً وتهد مرتاحاً وقال لى : « لا شىء . ؟ . هه . ؟ . طيب »

فابتسمت أنا أيضاً وقد صبح عندى أنه يحسبى من المهرين وأيقنت بقرب الفرج

وشرع يسألنى عن الحقيقة فقلت له : إنها لأخى ، وذكرت اسم الأخ المحترم فأدهشنى بأن سألنى هل أنا أعترف بأن الحقيقة لأسماعيل أفندى زفت وقطران ؟ . فقلت بالطبع أنا أعترف . . إنه أخى فقال : « أخوك ؟ . أوأنى أنت أنه أخوك ؟ » فضحككت وقلت : « بالطبع واثق . . ولكن ما هى الحكاية ؟ »

فقال : « أين المفتاح ؟ »

قلت : « معى . . لم أخذه منه » وعممت بأن أقص عليه القصة ، ولكنى رأيت أنها عمالاً يصدق ، فأقصرت . فقال : هل تستطيع أن تثبت شخصيتك ؟ فقلت : « بالطبع . . ماذا تظن . ؟ » ودفعت يدي فى جيبى لأخرج له أوراق السيارة ورخصة القيادة وغير ذلك مما عسى أن يكون فى جيبى ، فسا راعى إلا أن الحبيب خال ليس فيه قصاصة واحدة . وأظن وجهى فضحنى على الرغم من محاولتى أن أتماسك وأتجمل ، فقد سألنى بعد ذلك مباشرة عن السيارة ولن هى ، فأيقنت أنى وقعت وقلت له : « إسمع . . إنك تطيل بلا داع . . لا بد أن يكون قد حدث خطأ ، ومن سوء الحظ أنى نسيت الأوراق كلها فى البيت ، فإذا سمحت فأرسل معى شاورشاً أو عشرة إذا شئت إلى البيت لأجيتك بكل ما يزيل الشك ويريح ضميرك »

فلم يبال بهذا الاقتراح المقول وقال : « هل

أنت مصر على دعواك أنك أخو إسماعيل ؟ »
 قلت : « الحقيقة أني مستعد للتبرؤ منه ،
 ولكن إلى أن أقبل لا يسمنى أن أنكر أنه أخى »
 فقال : « إذا كنت أخاه فلماذا يبعث ببرقية
 كهذه ؟ »

وناولنها فقرأت فيها الحكم على :
 وللرجل العذر لأنه إذا كان إسماعيل هذا أخى
 فلماذا يطلب من البوليس أن يحجز السيارة رقم
 كذا وفيها حقيبة صفحتها كيت وكيت ؟ ؟ .
 لا تمترض من فضلك .. لقد كانت عبارة البرقية
 يفهم منها أنك تريد حجز السيارة أيضاً . ولا أكنتم
 أنى لم أجد جواباً لهذا السؤال وأنى استحييت أن
 أقول إنه مزاح بارد ..

وحررت ماذا أصنع ولم يفتح الله على بحيلة
 تخرجنى من هذا المأزق الثقيل ، وكان النهار قد
 طلع ، ولكننا ما زلنا فى البكور ولا يلىق أن أزعج
 الناس فى مثل هذا الوقت ، فعدت إلى اقتراحى أن
 يبعث موى من يشاء إلى البيت فرفض ؟ فسألته عن
 الأمور من هو عسى أن يكون من معارفى ، فانتهرنى
 بنفظة ، فتساهلت وسألته عن اللعان أو غيره فلم يزد
 على أن قال : « بلاش دوشة » فناشدته أن ينظر إلى
 ثيابه وأن يفكر هل هذه ثياب مجرم أولص ؟ فقال
 وهو يضحك : « إن بين اللصوص من هم أشد
 أناقة منك » فوضعت أصبعى فى الشق وأسلمت
 أمرى إلى الله

وختم الحضر على هذا — أى على أنى لص
 ولا شك ، وأن البوليس حاذق فطن ولا شك ..
 ولست ألوم البوليس فقد كانت كل القرائن ضدى .
 وأشهد له أنه كان رقيقاً فقد سمع لى بأنى أشتري
 — أعنى أن يبعث من يشتري لى — شيئاً لطعائى

وطعام روكسى ؟ ولا أنكر أنى شربت قهوة أيضاً
 وإن كانت أشبه بمخلى الفول السوداني ، أو بلاء
 الوحل السفخن .. ولكن هذا لم يكن ذنب البوليس
 وأخيراً فى الساعة الثامنة دخل ضابط علينا
 فنظرت إليه بيلادة فقد قفرت وبشت ، ولم أعد
 أبالى ما يجرى لى ، ولكنى لم أكدارى وجهه حتى
 انتفضت واقفاً وصحت به : « حمدى .. الحمد لله ..
 أين الحق ؟ »

فاستقرب وسألنى عن الحكاية فقصصتها عليه
 فضحك ملاء شديقه ... مددهش أن يضحك الناس
 من هذه الفصول الباردة ... والباقي لا يحتاج إلى
 كلام ... جئت إلى هنا ونمت ساعة أو اثنتين على
 هذا الكروسي يثايبى ... ولكنه ينقصك يا حضرة
 الأخ أن تفسر للبوليس مزاحك ... فقد صار الأمر
 مزاحاً مع البوليس لأمى ...

فلما استطعنا أن نتكلم وغالب الضحك قلت :
 « هون عليك ... فانى أعرف ماذا أقول ... ولكنى
 أرجو أن يكون ما حدث درساً لك »
 فقال وفى عينيه نظرة خبيثة : « وأنا أرجو أن
 يكون ما حدث لكم درساً كذلك »

فقال خليل : « ماذا تمنى ؟ »
 فقال أخى : « أعنى أنكم لو لم تكونوا عميلاً
 لمرقم أن البرقية ليست لكم ... للجار ... رقم
 ٢٢٣ وقد تشابه الرقمان على الساعى — الاثنان
 والثلاثة — واتفق أن اسم الجار خليل أيضاً ،
 واتفق أنكم لمي لا تبصرون ، ولولا ذلك لقرأتم
 الرقم واسم الذى أرسلت إليها البرقية ... هذا
 ما أعنى ... فقوموا كفتروا عن سيئاتكم يا جهلة
 ودعوى أنكم قد أخذ الله لى بشأى سلفاً »

إبراهيم عبد القادر المازنى

فيها لا يحصى عديده في
مباريات السيف وصيد
الحمام ، كأس الشرف
في سباق السيارات
الأعظم بين باريس
ونابولي ، حتى لتظهر
غرفة مكتبه يوماً بعد
يوم بمظهر حجرة الأكل
لكثرة ما يشاهد الانسان
فيها من أكواب الشرف
مصقوفة على الناضد
ويلحق بهم هذه
الانتصارات في فن
الأماب والرياضة تنصيب
من جاء رجل العلم ، لأنه
في الآونة الحاضرة مهم
بالطيران ، فهو يحاق كل
أسبوع أو ما يقرب من
ذلك ؟ وهو يقطب
حاجبيه وعلى وجهه سمات
الساج في الأفكار
وغوامض الأسرار إذا
ما تكلم متكلم في جلسته
عن مسائل الآلات

لِقَاءُ جَمِيلٍ الْحَبِيبِ

للكاتب إسماعيل بن سكرابانيز

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

هذه القصة آية من آيات الكتاب الاسباني
لإينيز ، وهو واحد من أنفذ الكتاب القلائد الذين
يفسر بهم العصر الحاضر ، لترفعه عن التبدل الابسي
اتحاداً لأذواق السامع ، ولتمنح إحساسه بالحياة ،
وسدق تحليله لألوان العواطف الانسانية فيها دقت
فروقها وخفيت مسارها ، مع وضوح نظره
للأشياء ، ودقة الملاحظة ، والاحاطة بالموضوع من
غير فضول ؟ وهذا كله مفرغ في قالب أبقى العرض
في الأوصاف

وقراء الصحف لا شك ذاكرون أن إينيز كان
إلى جانب عبقرية القصصية كاتباً سياسياً ملتزم
الحية شديد التبعيض . وقد كابد النفي والأشغال
الثقافة والسجن مرات عدة في سبيل أفكاره ؟
ومع هذا فإن بلدته وسقط رأسه « بنسبة » ظلت
على عهده وانتخبته للبرلمان ثمان مرات . وقد طاف
العالم ثم استقر أخيراً في باريس حيث القبط الذي
يشتغل حوله كارهو الملكية ودعاة الجمهورية الاسبان
وقضى لإينيز في مناه عام ١٩٢٨ أي قبيل
إعلان الجمهورية الأسبانية . فلما أن قامت الجمهورية
أعادوا رفاقه على بارجة حربية إلى أرض الوطن ،
واحتفلوا بقدومهم احتفالاً وطنياً رائعاً

- ١ -

ظل أهمل باريس
كلهم ، ممن يتأدون
مشارب الشاي الرافعة ،
أو المشارب غير الرافعة ،
حيث يقنع المجتمعون فيها
باغتيال الناس والخوض
في شؤونهم ، كل هؤلاء
ظلموا يسعمرون أسبوعاً
كاسلاً ويميدون ويميدون
في موضوع زواج موديس
دلفور ، وريث مصانع
دلفور وشركائه (ويبلغ
رأس مالها من الملايين
مائتين وخمسين) بالحناء
أوديت مرساك ابنة أختي
علم من أعلام النواب .
ولئن خفت اليوم اسمه
فانه كان قبل هذا مرشحاً
مرتين لرياسة الجمهورية
وليس بالحديث النادر
في الحياة الباريسية زواج
ملك من ملوك الصناعة
بأميرة من أميرات

وما يتفق بها

الجمهورية ، بل قلنا يكون في هذا مؤنة حديث لدى
نصف ساعة ؛ إلا أن هذين العروسين مكانة ممتازة !
أما هو فيترأى كثيراً في أحلام النساء مثلاً
فيه كل أشكال الأنافة وكل المعارف البشرية : كأس
الشرف في أبهى مسابقات الخيل ، وكأس الشرف

وأما هي ، فهي عند صواحبها « أوديت » ، أوديت
فريدة زمانها ؛ وهي عند سائر الناس الأنسة مارساك ،
إسم شهير بارز في كل ما ترويه الأخبار عن الأنافة ،
في كل المنتديات الساحرة ، وفي كل صحف الأزياء

وفي أوئل عام ١٩١٤ انبثقت لعبة جديدة وقات قيامتها بين العلية النظاريين من أهل باريس والعواصم الأوربية والأمريكية التي تأتم بباريس كأنها منها بمنها ضواحيها وأعمالها ، فكان أهل الانافة مهزون أردافهم ليرقصوا « التانجو » وفي طليعة هذه الخلائق الممنعة في رقص التانجو يرقص موريس وأوديت

أما هو فقد اتصل سرا بأستاذ من أهالي الأرجنتين ، وألى على نفسه ألا ترى عيناه النجلاوان أنوار المدينة إلا يوم يحذف هذا العلم الجديد مثلما حذف غيره من العلوم . وفي ذات ليلة من الليالي الزاهية قدم موريس ليحني لإعجاب القوم ، وهو نحت المصاييح الكهربائية في فندق من فنادق الشانزليزييه يحرك قدميه في حداثتها الداع العالي الكعب ، ويهز قوامه المهضوم المسبوك المحبوك في سترته الحسكة ، وينفض رأسه الجليل ، وشعره الجمد مرسل إلى الوراء كتلة وشيئة كظلاء اللك لامة

وأما هي فقد أثار هذا الإعجاب نفسه في بقعة أخرى من المرقص ؛ وكما يحس الكوكبان قرب كل من الآخر فيتأثران ويتجاذبان ، كذلك يهفو موريس وأوديت كل منهما نحو الآخر ، ويتهافت عليه ، يحدها باحث لا يقاوم من اثتلاف طبائهما وتمازج نفسيهما فلاس يفرق بينهما مفرق وما من ذلك الحين يرقصان أحدهما للآخر .

وقد أصبحا لا يلتقيان الانسجام المشود بين ذراعي الغير . وكانا لا يخرجان بكلمة على الصمت الحافل بالأسرار أثناء الرقص للقدس ، بل قوة روحهما جماء منصرفة في رصانة وتفكير إلى حركة أقدامهما وإلى تلقى أعطافهما في اهتزازات موزونة متوافقة .

وكان مشاهير الخياطين من ذوى الفكر والابداع في شارع « دي لايه » يعتمدون على الآتية مرساك في مستهل الخلات السكبرى في الحياة الباريسية في رفع شأن ما تلبسه من مبتدعات قرائهم الناشطة المتوقدة ، قالت قوامها الذي لا يضارعه قوام ليدع النوائ كاسفات من الغيرة متحسرات . هيقاء ، لا يزيد وزنها على الخمسين كيلو إلا قليلا ؛ لها بحر بلغ غايه الحسن المشود ترتقم في إهابه الرفاق عظمتا التروقة الدقيقة تان وكانهما قاعدة أنيقة لعمود رقبتهما المردة التحيلة ، ولوحنا ككتفهما مفصلتان اللبان كأنهما جناحان ناهجان ، وساقاهما طويلتان مستويتان لا تكاد تبين لها ربلة ، وهي تعرضهما في طائفة ومن دون أن تخشى الثوابة والفتنة . تحت حافة ثوبها الحررى القصير . وخلاصة القول في قوامها أن كساءه من اللحم روعى في توزيعه التقدير ، بحيث لا يربو مقدار اللحم درهما عما يكفي لتلبس المروق وتلطيف الحاد من حنايا الأضالع والأوصال . فهو جسم يمكن نمته بأنه « هوأى » ، أو بعبارة أخرى هو حجة للماء الفراغ في داخل الثياب اجتذابا لشها وحدها . وفي أعلى هذا الكيان الحى وجه جميل أطالته ذقن مديية ، تقتر فيه حلقة صغيرة قرمزية هي فيها الدقيق البديع ؛ وتلح لوزتان كبيرتان هما عيناهما المدحجوان ، وتهدل لثتان على الأذنين كأنهما سالتا محارب من محاربة الثيران الأسبان وقد صففت غداثها بجتممة في شكل البرج القائم تشبك فيه الخصل المصطنعة المارية بحصل الثايبية . هي ربة الجمال المصرى كما قد يتصورها ويبدها واضع زسوم الأزياء في أحلامه البقرية وخياله البدع

تطفئ عليه نزوات الخيال والفارقات في طراز من
الأثاث خليط من البيزنطية والفارسية وهو بعد
رييب ميونيخ الألمانية

وكانت الأم دلفور منسجحة دائماً بالسواد ،
رصينة مفكرة كمن عرف قيمة هذى الحياة ، وهي
تشهد — من غير أن تبدو عليها بادية — ما تأتية
هذه الفتاة الوافدة في الزمن الأخير من ضروب
الأهواء والبدوات المتكثرة : مهرجانات شرقية
تقلب الدار الواحدة رأساً على عقب ؛ حفلات شاي
راقصة ، والفتاة في غلاثل من السكتان الرقيق
شفافة ، منطبقة عليها من الضيق كالنمد ، موشاة
بأزهار كبيرة الحجم بارزة الطرز ، تأسر بحاسر
جسمها وهزلها

ولما كان الابن مشغوقاً بأوديت يعبدها ، فقد
اجتهدت الأم أن تتلمس النذر لكل أهواء كنتها
الصغيرة وطفرة مزاجها . هي فتاة مسكينة !
لقد نشأت من غير أم فعاثت طليقة كالغلام

— ٢ —

وقامت الحرب . وكان من نوادر آثارها أن
بدت أمارات العرب في عيني الغائبة سيدة قصر
دلفور الجديدة ، فعي متسعة الحدقتين مرعاة النظرة .
أيمكن مثل هذا البلاء ! وفي الساعة التي يكون فيها
المرء أشد ما يكون لهواً وانسياطاً

أما الحبيبة فقد لاح عليها أنها كبرت ، وأنها
خرجت من انقباض حياتها وإعراضها عن العالم ،
فاستقرت نظرتها — رصينة بطيئة على الأشخاص
وعلى الأشياء ، كأنما هي تتعرفون من جديد .
وهي في زمانها قد رأته الشيء الكثير ، وبادت
أول ما بادلت من كلمات الحب رجل الصناعة دلفور

ولقد علما علم اليقين ان حرمة رقصهما أبدا الدهر
رهينة بأن يبقيا مدى الحياة شريكين

وهكذا نما الحب بينهما ؛ وهكذا تم قرانهما .
واستيقظت باريس بأسرها في ذات صباح قبل موعد
بقلتها اليهود بساعتين لتشهد حفلة القران . وكان
يزين الحفلة تشريف عواهل الصناعة أجمعين ، وعدد
لا يحصر له من رجال السياسة أصـدقاء عم
العروس . ولم تخامر أحداً أدنى ريبة فيما يجمع شمل
العروسين من وشائج صباية وغرام ، كأطيب وأوثق
ماروبه الأساطير بين الأنام

وقد سلك موديس مسلك العاشق الحق . فودع
الوداع الذي ليس وزاده عودة ترجى سائر عشيقاته
على اختلافهن ، وكلهن من كاهنات الفنون الرقيقة :
التجميل والغناء والرقص . لقد انتهى عهد الجمالات
وحسبه منذ اليوم امرأته الصبية ودراساته الدلمية الجدية
أما هي ، فما برحت تحب المازلة كذى قبل ،
جريا مع المادة ليس إلا ، ومن غير أن تسمح لأحد
بالاجتراء المفتوح . وما ذلك إلا ليزيد حافظ الاحساس
بالخطر استمتاع زوجها بها

وقد جعلوا مقر هنائهم في قصر دلفور ، وهو
باء غم شبيه أول مول من أحباب الملايين في الأسرة
على مقربة من حدائق مونسو ، في وسط مساكن
أقرانه الأغنياء المولين . وتطل واجهة القصر الخلفية
على هذه الحدائق . وقد اعتكفت الأرملة دلفور في
الطابق الأعلى بما بقي لها من أثاث البذخ القديم ،
وتحتل عن بقية الدار لابنتها وزوجة ابنها ليتنى
للعروس أن تشبع بلا عائق أهواءها في زينة البيت
وزخرفته . فإذا هذا المنزل العامر بالأثاث الأرجواني
المذهب والقاعد الفخمة من طراز نابليون الثالث ،

كل صوب تنفقد حولهن ممن لا يرتدين هذا الزي .
وفي هذه الأثناء يتسلين بحمك ملابس مسرودة من
أشغال الأبرة للجنود ، وهن مزهوات بما يبدو
عليهن من قلة حذق هذه الأشغال ، شأهن في ذلك
شأن عليّة القميلات شرعت خادمتهن في تلقينهن
شيئا من أشغال المنزل
وتتردد بينهن الأحاديث كلها من هذا القبيل :
— إن زوجي يحارب في الأتراس . والمسيو
دلفور في أي الميادين هو ؟

وكان مقر المسيو دلفور في إحدى الجهات في
ناحية البلجيك ؟ وكانت امرأته تقص مغامراته
وهي تدير حولها لحظ الخيلاء : لقد نوه به مرتين
في النشرة العسكرية ! لقد أنعم عليه بوسام ! لقد
منح شارة !
ولكن كان عدد الأبطال كوايل المطر . فيجوز
في نفس أوديت شيء من الامتناع والنضاضة ،
وهي تسمع النساء الأخريات يذكرن عن أزواجهن
مثل ما تذكر
آه ! ألا يسمعه التفوق ؟

وفي ذات يوم ربح قصر دلفور في حدائق
مونسو بنوبات قطيعة من الانفصالات المصيبة
والنحيب واسطفاق الأبواب وأبرز السيارات
ووفود الأطباء . لقد جرح اللازم دلفور جروحا
خطيرة من انفجار قنبلة ؛ وأرادت أوديت أن تسافر
على الفور لتسهر إلى جانب سرير زوجها ، لكن
هذا مستحيل ! فأسودت الدنيا في ناظرها وودت
لوتحت ، ذلك على حين بقيت الأم نائمة القامة
شاحبة ، ناضبة العينين ، تطرف بأجفانها وتغص
شفتها .

في عام ١٨٧٠ ، أثناء حصار باريس ، ثم شهدت
وهي عروس صبية مأساة الحكم الثوري المأثر في
فترة عمره القصير
ودعي نجلها للسفر إلى الميادين في حين بدأت
امرأته تعجب فيه بالرجل الجديد في حلة الضابط
الرسمية المنسجمة عليه أجمل انسجام . والتي ضاعفت
رشفاته السكاملة الرجولة . ولقد أحب أن يلتحق
بالطيران ، إلا أن الطيران كان في طور الطفولة في
أول نشوب الحرب ، فبقى في الدفعية بـتـكـيـر آفي
القيام بالخدمة

ورغبت أوديت أيضاً في أن تؤدي منقمة
لبلادها . وكانت صواحبها غايات وأحبات في
المستشفيات . فصحت عزمها بحافز من حوافز
الأرمنية على التطوع مرمزة ، لأنها كانت شديدة
الانجذاب بالحلة البيضاء ، والبرنس الأزرق ، وعصابة
الرأس الناعمة . فهذا الرداء البسيط الجديد يلائم
جمالها كل اللامعة . وكانت لفرط هيامها بالظهور
في هذا الزي الأخير من الثياب تغادر المرضي أحيانا
كثيرة للطواف في سيارتها متنزهة في غاب بولونيا ،
رافلة في الثلاثة البيضاء المزدانة بالصليب الأحمر على
الأردان وعلى الصدر

أما الازمة دلفور فكانت تقضي أيامها ولياليها
في المستشفى من غير أن تخلع ثوبها الأسود السرمدي
وليست تخلو الحرب أيضاً من متعها ومباهجها :
فتمة حفلات الشاي المقصورة عليهن ومشتر النساء
دون غيرهن ، بمزل من الرجال وعضرم المضايق ،
إذ يرهقون بالجماليات الفارغة . وهن جميعهن في
هذه الحفلات متشجحات بالثياب البيض كأنهن
الخدمات في إدارات الحمامات ، ونظرات الحسد من

— ووردت الخطابات بالخطابات ، وكأنها مكتوبة
بغير خطه ، إلا أنها إلاوة ، فقلقت الأم واستفهمت
من أصدقاء المائلة الأقدمين ، وهم قوم من ذوي
الرسالة فلا رب يكتبون عنها بعض الخير :
— إن جروحه بليغة ، ولكن لا خطر عليه .
تشجى ! اللهم هو أن يمش .

وفي ذات صباح هبت أوديت من فراشها ،
وقد أيقظتها بقعة حركة اضطراب غير عادية في
القصر ، فأزاحت ستار إحدى النوافذ ، فوقع
بصرها في خارج الباب الحديدى على سيارة مقفلة
عليها شارات الصليب الأحمر ، ثم تبينت بصعوبة من
خلال طنف الزجاج المدود فوق الدرج الخارجى
رهبطاً من الناس صاعدين يجهلون بين أيديهم شيئاً
ملفوقاً يحتاطون له بأف احتياط ، وكأنه قطعة من
الأثاث يخشى عليها التآكل ، فقفز قلبها في صدرها :
موريس !!

وأفرغت عليها بعض الثياب ، وانطلقت من
غير أن تستكمل هندامها راكضة تنجدر في السلم ،
إلى بهو في الطابق الأدنى ، وجاؤل الخدم مذعورين
راجفين منها .

اقتحمت القاعة ، وفي الحال عرفت الرأس
الموجع المسود إلى وسائد الديوان
هذا هو ، مشوهاً أقطع تشويه ، بخذد الوجنتين
بأخاديد متراكبة متشابهة من الندوب الزرقاء
الكابية ... ولكنه هو

لم تبق له غير عين واحدة . أنا العين الأخرى
فإن موضعها تواريه عصاة سوداء يحجم بحجرها
الأجوف ، ثم مرحت أوديت طرفها في صدره ،
صدرة المستور تحت قميص سترته الزرقاء ، سترة

ولما عادت أوديت إلى الظهور في المجتمعات
الخاصة داخلها شيء من الرضى ، فلم يعد اليوم بين
صواحبها من يجرأ على الانتقاس بها . لقد جرح
موريس ، وجرحه خطير ، والكل مشفقون على
ما صار إليه هذا الزوج الفتان الذى ابتلته الحرب
هذا البلاء الشديد .

وهو من الإعجاب العام على أوديت جزعها
فلمت تألف شيئاً فشيئاً فكرة هذه الجروح
الغامضة . أية جروح هى يا ترى ؟ تحيت زوجها
أعرج يطلع ، في إحدى يديه عصا ويده الأخرى
تنوكأ على ذراعها . ما أملحهما زوجين ! إن المستقبل
ما يتي . يدخر لهما ساعات هناك طويلة . ولنسوف نراه
وتحبه السعادة بمحان الأم الرووم ومناعة الحبيبة .

وفي أوائل ذات يوم في شارع رويال ، وقع
بصرها على ملازم من الرتبة الثانية ، وهو جديف
يكاد يكون غلاماً ، يسير إلى جنب خطيبته ،
وأحد كى سترته مهتل خاو . موريس هو الآخر
فقد ذراع ، فى موقعة بذلك ، وهذا هو السبب
في أن خطاباته المكتوبة على عجل ، الناطقة بسرور
موجع ، هى دائماً املاء وليست بخط يده ، ولكن
ماذا يهم ؟ ستكون هى سند زوجها ، وستنوب
ذراعها عن ذراع المفقودة ، فما يشوقها مثل رؤية
طلعت ، والتطلع إلى خيالها في صفاء عينيها ، والجل
بنظرة الحلو الداعية الساخرة في لطف . آه !
ما أشد حبها إياه .

وكان صواحبها يتلقينها دائماً بمرردات نفس
السؤال : « كيف حال الجرح ؟ » ، وهى تجيب
راسخة اليقين : « في تحسن مطرد ، وهو قادم قريباً
إلى باريس . »

الصابط القديمة . ولكن هنا نزلت المرأة وتخلخل
جلدها كمن صدمته مفاجأة عظيمة — وما أشدها
سندمة وأعنفها — فإذا بهما قد صرخت ، أن جسده
الجريح ينتهي هنا ، بغير ذراعين وبغير ساقين .
ما هو إلا جذع أبيض ، بقي بفضل معجزات الجراحة
خرقة ممزقة في نهايتها رأس حي
وتغمم الغم — الأسود من حريق اللحم — في
ضراعة وذلة :

— أوديت ، أوديت !
كأنما يلتصق الصفح عما هو رازح تحته
من بلاء

ولكن كانت أوديت قد ولت مجفلة تدفع
من طريقها الخدم التجمعين أمام الباب ، وانطلقت
على وجهها تركض في أطلاب السزل العليا لاني
ما تمل ، مولولة كأشد ما ولولت لمرأة في مأساة
إغريقية ، تصطدم بالآثام والحيطان ، وتمزق
شعرها المحلول ، وقد جن جنوبها من دهشة وفزع
واشمزاز

وتصاعدت أنة :

— أماء !

— ولدي ولدي !

سمنة : حين الرحمن صرقي

آلام فرتز

للشاعر الفيلسوف جوته الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسمو الزينات

وهي قصة عالية تمد بحن من آثار الفن الخالد

وتعنها ١٥ قرشاً

وهذا الخلق المشوه المسوخ الخلقة زوجها !
وواجب عليها البقاء إلى جانبه طول حياتها !
ولم يزل يئن في الطابق الأدنى ذلك الصوت
الضارب الوجع مسترسلاً : أوديت ، أوديت !
واغبرود وقت بالدموع عينه الوحيدة . السكل
يهربون ، حتى الخدم يتأملونه من بعيد ويحاول كل
منهم الاختباء وراء زميله وهو متاهف على الحرب ،
ومع ذلك يشرب بمتعة وعلى وجهه سماء مبهمة
من تظلم الفضول وانتباض التنفود
وكان القوم يتجنبون لسه ، كأنهم منه بأزاء
كثلة غريبة تملأها الأنفس ، بأزاء أخطبوط من

وبجيزة . تعالى يا حبيتي
جلست « سلام »
صامئة بجوار أمها ، وروح
الثورة ما زالت متأججة
في صدرها . فاحتضنتها
أمها وقبلتها . ثم قالت لها

خِصَمَاءُ

للأسنانذ محمد تيمور

— أنتِ استدعيتي
يا أمه ؟
— نعم يا « سلام » ؟
استدعيتك فهلا حضرت
لماذا ؟
فابتسمت « سلام »

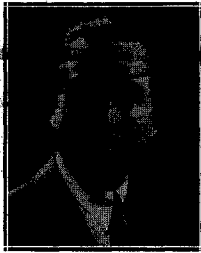
وهي تحاول الانقسام :
— أريد أن تفاهم يا حبيتي .
هل التفاهم حرام ؟ أتشكين في
حي لك يا « سلام » ورغبتني
في إسمادك ؟
— مطلقاً

— فلماذا كنت قد اخترت
« شوق » زوجاً لك فلأنني
وجده أفضل شاب يليق بك .
إن شاب غني ، ذكي ، حائر لأرفع
الشهادات . ألا تعلمين أن فتيات كثيرات يتقاتلن
عليه ، وينتظرن عودته بفارغ صبر ليتصبن له شبا كهن ؟
— فلياً كلنه ... !

— لماذا تتركه لمن ؟ لماذا ؟ وهل نجد
أحسن منه ؟

— ومن قال لك إنني أبحث عن زوج ؟
فنظرت إليها أمها نظرة جزع وألم ، وأخذت
يدها وشدت عليها في تأثر ، وقالت في صوت
مخنوق :

— لم هذا النناد يا « سلام » ؟ وإلى متى
تحيين هذه الحياة المملة ؟ بعيدة عن المجتمعات ،
بعيدة عن وسائل الهجة والبسرة . أريدن نخطيم
قلب أمك التي لم يبق لها في الدنيا سواك ؟ أليس



ابستهمة استخفاف وقالت :
— مطلقاً
— ولكنني أؤكد لك أنك
تمرتين ، وبسوفني منك هبذا
التجاهل المصحوب بالازدراء .
لو كنت مكانك لما سمعتني هذه
الدنيا بأكلها ، ولكنك الآن
علي أحسن زينة وأزهي ملابس
أستعد لمقابلة خطيبي الجميل
— خطيبي ؟

— لا تشيري غضبي يا « سلام » . اذهبي
واخلي ملابس الركوب . إنها ملابس زرية لالتيق
مثل هذه الظروف . اذهبي ورتبي شمرك وزيني
نفسك

— ولكنني ذاهبة كما تعلمين لأقوم بترهني
اليومية على ظهر فرسي « مبروك »
— ألا يمكنك أن تتركي ترهنتك يوماً واحداً ؟
يوم عودة خطيبك من أوروبا بعد غيبة ستة أعوام !
فلمعت عينا « سلام » ببريق الغضب . وقالت
وهي تضرب قدمها ببعضها الصغيرة :
— لقد كررت على مسممك يا أمي لأعرف
لي خطيبي

— تعالى . تعالى اجلسي بجانبني برهة . برهة

قضاها في ربوع أوروبا يتعلم في معاهدها ويستمتع في مغانيها . عاد إلى دار الأسرة القديمة حيث قضى ريعان طفولته وشبابه . عاد إليها ليحيا حياة الاستقرار والعمل المنتج

نزل من السيارة ، ووقف أمام الباب يحدق فيه ، ذلك الباب الضخم المهرم ذو النقوش الأثرية . لن ينسى مطلقاً يوم خرج منه منذ ستة أعوام يطلب المجد وكأنه منتش بخمرة لذبة تلهب دمه . . . لم يحدث تغيير يذكر . كل شيء على حاله . فالبواب كما هو مشرق بإتسامته بحبيته في نفقة المتأدة ، والبستاني يهرع إليه وقبيل يده ، ويقدم له زهر النتر ، والحديقة على حالها مهمة بأشجارها الكثيفة وطرقاتها غير المستوية . . . وأخيراً حجرته ، أجل حجرته كما كانت ، لم يتغير شيء فيها . كأنه تركها بالأمس . إن «تسفير» المعجوز لم تهمل إعداد القلة النظيفة البخرية ، والمنشفة المزهرة ، و . . . وطنت عليه ذكريات الماضي الجميل فنظر حوله في غبطة وقال :

— كل شيء على حاله يا «تسفير» ؛ فما أسعدني بك ! وأخذ يتحدث منهما : يسألها عن المنزل وأهله وما جرى فيه أثناء غيابه . سألها عن أشخاص كثيرين وأموز شتى . ولكنه نسى شخصاً لم يجر لسانه بذكره . فنظرت إليه «تسفير» فطرة استغراب وقالت :

— ولكنك لم تنسائي عنها ... ؟

— من تقصدين ؟

— هي ياسيدي . هي صديقتك الصغيرة

— ؟

— «سلام» ياسيدي

أملئ الوخيد في الحياة أن أراك مع زوجك وأطفالك سعيدة هائلة البال ؟ ... لماذا تريد أن تحرميني هذه الأمنية يا ابنتي ؟

ورفت يد ابنتها إلى فمها وقبيلتها قبله حنو ورجاء ، وأستأنفت قولها :

— لقد تقدم لك أناس كثيرون من أشرف رجال البلد وأرفعهم ، فرفضهم جميعاً ؛ رفضهم بلا سبب ، فلم ذلك ؟ وأخيراً يمود «شوق» . قريبك ، وهو من لحك ومن دمك ، وقد نشأ وترى معك في بيت واحد ، يمود بمد غيبة طويلة فيجد منك الرفض والاهمال !

وتأثرت «سلام» بنظر أمها ، فاحتضنتها وقبيلتها ، وقالت لها في رفق :

— ولكنك يا أمي تكلمين عن أشياء سابقة لأوانها . فهل خطبني «شوق» رسمياً ؟ — رسمياً . . . كلا . ولكن الجميع يعلمون أنه خطيبك . وكلنا نتحدث بذلك منذ كان بيننا — قبل أن يسافر إلى أوروبا

فتجههم وجه «سلام» بفتة ولم تجب . وخشيت أمها أن تسى إليها من حيث لا تدري . فلامطقتها وقالت :

— لا يسؤوك كلامي يا حبيبتي

وقالت «سلام» تريد الخروج ، فقالت لها أمها : — لا تطيل زهتك يا حبيبتي . لا تنسى أنه سيحضر قبل السداء . . . عليك أن تساعدني في ترتيب المائدة . أما أنا فذاهبة إلى المطبخ لعمل الشوكية

وعاد «شوق» إلى الدار بمد غيبة طويلة

— هالو «سلام» كيف حالك؟

فأجابته في لهجة غادبة بلا جماسة:

— الحمد لله. وأنت؟

ودُهِس «شوق» من لهجتها، ولكن راعته نبرات صوتها. وأخذ يتأملها طويلاً، فإذا هي في قوام ممشوق ومحركات رشيقة وشمائل حلوة، فيها طراوة ونجاذية على الرغم مما يبدو عليها من إهمال.

وتأملت «سلام» اللجام للناس وأصدرت له أوامرهما، ثم سارت متجهة ناحية السلام و«شوق» سائر بجانبها صامتاً، وقد أحسن على الفور بشيء يحير ويصعب فهمها. وأخيراً تكلمت فقال:

— يتحيل لي أن كل شيء على حاله في هذا

المزل لم يتغير، سوى أمر واحد هو...

وظهرت الست «امثال» والدة «سلام»

وكانت على أحسن هيئة، مرادية فستاناً مقفوشاً منمشى كأنه الورق المقوى. وشعرها يلعب من تأخير الكوادة الحامية. تقدمت نحو «شوق» في نهال، وبسطت ذراعيها، وقالت في صوت متهدج:

— أهلاً وسهلاً بابننا العزيز. أهلاً وسهلاً بابننا

الحبيب. إن يوم عودتك ليوم عيد لنا عظيم! وطوقته بذراعيها وقبلت رأسه. وسمتته يقول:

— إن سروري برويتكم لا يقدر

ومسحت الست «امثال» عينها الدماعتين

وقالت:

— لقد كنت أسأل عنك دائماً ولا يهدأ لي

بال حتى أطمئن عليك

وتأملت طويلاً وقالت:

— ماشاء الله! ماشاء الله! ربنا يحسن لك

شبابك يا ابني

— أوه «سلام» كيف هي؟ ألا تزال نحياة صنيعة كالسمكة المقددة!

— السمكة المقددة! ... إنها ملء العين والخطاطير. سمن على عسل ياسيدي!

— أنت تبالغين. ولكن خبريني: أما زالت ترتدى ميدعها الزرقاء المبرقشة يقع الجبر؟

— ما هذا الكلام ياسيدي؟ إنك تتحدث عن الصغيرة «سلام» التي لم تكن تبلغ الرابعة عشرة بعد. أما الآن فهي غيرها بالأمرس. إنها ترتدى الفساتين على آخر زى، وترين نقعها كمزوس ليلة وحدها...

— وأين هي؟

— خرجت راكبة فرسها لتتزهز زهتها اليومية

— راكبة فرسها؟! أمر مدهش للغاية!

— هههه! ياسيدي! ليس هذا كل شيء. إنها تعزف على البيانو كأمر المازقات، وتتكلم الفرنسية كاللبيب، وتقرأ الجرائد، وتفهم في كل شيء!

وسمع في تلك الآونة ضهيل فرس ووقع حوافرها على أرض الحديقة الصلبة. فهرعت «تسفير» إلى النافذة ثم صاحت مهللة:

— إنها هي!

وأطل «شوق» من النافذة، وما كادت عيناه تقعان على «سلام» حتى صناع مدهوشاً:

— أهذا ممكن!

ونزل «شوق» ليستقبلها، فراحا تترجل بالقرب من الباب، فتقدم نحوها ومد يده وهو يقول:

ووقع بصرها على «سلام» فاكفهر وجهها ،
وقالت لها في لهجة نائرة مكتومة :
— أهذه الهيئة تقابلين زوارك ؟
ثم التفتت سريعا إلى «شوق» وقالت :
— لم تقصد «سلام» أن تظهر أمامك هكذا .
لقد جئت بها الفرس وضللها فتأخرت في العودة
على غير رغبة منها ، فلم تستطع أن تغير ملابسها ...
فقال «سلام» في هدوء وهي تداعب
عصاها :

— كلا يا أمي . لم أجمع في الفرس ولم تضلني .
ف نظرت إليها أمها نظرة ملتبة ولم تتكلم . وقال
«شوق» وهو يبتسم :

— إن ركوب الجياد رياضة جميلة . وإن أهواها

اختفت «سلام» بعد هذه المقابلة ، ولم تظهر
إلا وقت الغداء . وكانت ترتدي فستانا عاديا غاية
في السذاجة . ولم تعن بزينة . فثارت نائرة أمها ،
ولكنها لم تستطع أن تتكلم . والتفت «شوق»
نحو «سلام» وقال في لهجة غلصة :

— لقد أحسنت اختيار هذا الفستان
يا «سلام» . إن لونه وقصفيه يشهدان بدوق سليم
فأجابته في لهجة مؤدبة عليها مسحة الجفاء :

— أشكرك
وقالت «تفسير» المعجوز :

— إنه من تفصيلها ياسيدي . ألا تعلم أن
«سلام» خياطة ماهرة ؟
فقال :

— لقد كانت وهي صغيرة تجيد تفصيل
البلاطى لقطعها ، وطالما خاطت لي أزرا ساقطة

ورنقت فتوقا في ملابسى
ونظر إليها ، فابتسمت ابتسامة رسمية . وقالت
تفسير :

— إنها كانت تفصيل وتخييط جميع (مرايلها)
فقال شوق :

— هذا صحيح . وعلى ذكر المرايل أذكر
كيف أتيت مرة الحبر على واحدة فأنزلتها
تماما ...

ألا تذكرين ذلك يا «سلام» ؟
فقال في لهجة الرسمية :

— لا أذكر
— كان ذلك قبل سفرى ببضعة أيام ، عندما
جئت تطبلين مساعدتي في حل بعض المسائل
الحسابية ! فلم تجب . ثم حولت رأسها ناحية الباب
وقالت للخادمة :

— متى تحضرين الأكل يا سيدة ؟

بدأ الأكل وانتهى ، و «سلام» لم تفتح فمها
إلا لتجيب بنعم أو لا ، أو غير ذلك من الكلمات
الرسمية ، وكان كل ذلك مصحوبا بابتسامة مقتضبة
أو إشارة مقتضبة : وكانت أمها تنقل كالرجل ،
وطالما رمقتها بنظرة تأنيب حادة أو عتاب مر .
أما «تفسير» . فقد بدأت بفشل مروّع في
محاولتها إخمك «سلام» أو تحريضها على الكلام .
وقد أنقذ «شوق» الموقف بحديثه اللسلى عن سفره
وحياته في أوروبا وما اعتمد أن يفعله الآن

وترك الجميع حجرة المائدة . وذهب «شوق»
إلى الشرفة ليدخن سيجارة ، وانتهى ناحية في
ركن بعيد ، وأخذ يفكر فيها مرة عليه الساعة من

وعجب « شوق » من أمر نفسه . إن اهتمامه بهذه الفتاة يزداد يوماً بعد يوم . لقد عرّف مواعيدها فهو يراقبها ويستمتع بمراقبتها ويجتهد في القصير البتور كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وهو بجوار الباب كلما خرجت للركوب وكلما عادت . وهو تحت نافذة حجرتها يصنى في شوق وحزن لأنعام البيان التي تمرّ بها . وهو في الحديقة وقت زولها إليها عصرًا لتجميع الزهور . يسير جيئةً وذهاباً في الممشى الكبير وفي يده كتاب مطبق . ويبدأها التحية من بعيد أو من قريب . وكان أحب الأوقات إليه أن يذهب إلى محباً يطيل على شرفة حجرتها حيث كانت تتمدد على مقعدها الطويل بعد خروجها من الحمام تجفف في الشمس شعرها الأسود الطويل ، وقدمهاها العاربتان للشربتان بحمرة فائضة تلمعان في الضوء القوي . فكان يعجبه هذا النظر الرائع ويشتهي أن يشبع عينيه منه طيلة النعم

وكانت « سلام » تعيش في مملكة خاصة بها هي نفسها . لا أقارب ولا أصدقاء تزورهم أو يزورونها . أحب الأشياء إليها زهرة على ظهر فرسها في الأماكن الطلقة الفسيحة غيطاناً كانت أو رمالاً ، أو كتاب تقضى الساعات تستمع إليه صامتة ، أو أمام « البيان » تقضى إليه ويفضى إليها بشكائيات طوال ...

هذا العالم الذي تعيش فيه « سلام » والذي يترأى للناس ضيقاً ملمولاً أخذ يتكشف لشوق عن دنيا واسعة ترخّز بالكنوز ؛ ولكنها ظلت دنيا بعيدة النال عنه

وكره « شوق » هذا النموض الغريب القائم بينه وبين « سلام » . فاستولت عليه فكرة خريشة اعترم تنفيذها مهما يكلفه الأمر

زل يوماً إلى الحديقة وكن للفتاة . وبعد قليل

مشاهد ، وهو حائر لا يستطيع لها تفسيراً . وبينما كان على هذه الحال رأى « سلام » تدخل الشرفة . وما كانت عينها تلمعان عليه حتى (توقفت عن المسير وتأهبت للعودة وهي تقول :

— لا مؤاخذه !

وسار إليها « شوق » وقادها إلى الطنف وقال لها في عتاب :

— أزعجك مرأى إلى هذا الحد ؟

— أنت بلا شك متعب وتطلب الخلوة لتستريح !

— الحمد لله . هذه أول جملة طويلة أسمعها منك منذ حضوري

— ماذا تعنى ؟

— أتذكرين كيف كانت « سلام » الصغيرة تملأ المنزل كله بكلامها وضجيجها ؟ فابتسمت في إهمال وقالت :

— إن « سلام » الصغيرة قد ماتت !

— ولكنها تعود إلينا أبهى وأعظم مما كانت . وأمسك يدها بداعها فمسحبتها منه وخرجت . و « شوق » ينظر إليها في حيرة

ومضى أسبوعان « سلام » لم تغير مسلكها نحو « شوق » كما أنها لم تبدل شيئاً من حياتها التي اعتادت أن يحيها . فلم تكن تطيل وقوفها معه . بل تقتصر على السلام وتبادل الكلمات القليلة . وكان يحس بأنها تتجنب مرآة بقدر المستطاع ، مع محافظتها على المظاهر في أدب ولياقة . ولم تستطع أنها بعباتها تارة وتوبيخها تارة أخرى أن تحملها على تغيير مسلكها . فتركها وشأنها خشية أن تسوء العاقبة .

— ألم تدرك شيئاً من أمرى يا «سلام»؟

— ألم تكتشف شيئاً مما يضطرب في قلبي بحولك؟ فلم
تجيب. وكانت تنظر أمامها ولا تتحرك.

فقال:

— لماذا لا تخمينين؟

وأراد أن ينال يدها، فأبعدتها عنه وهي تقول

في إصرار:

— دعني وأخرج. قلت لك دعني وأخرج!

فصمت برهة وهو متعجب متحير، ثم قال:

— ألى هذا الحد تكرهينى يا سلام؟

— أجل. أكرهك. أكرهك

— ولماذا تكرهينى؟

— لأنك أناني، بطال، قلبك من حجر...

ألم تذكر ليلة سفرك؟

— اذكرها كل بريد

— أما أنا، فأذكر حوادثها كأنها حدثت

أمس. إن مشاهدتها محفورة في ذاكرتي

وصممت برهة تستعيد ذكريات الماضي، ثم

قالت في لهجة أقل حدة من ذي قبل:

— ... كنت مشغولاً بترتيب أشيائك

زوج وبجني، وأنت تهفر مغضباً، وكنت أتبعك

صامتة وأبظر إليك في حيرة. فالتفت بحوي بفتة

وقلت في جدّة: «أجلسي هنا ولا تتبعيني»

فجلست وأنا لا أفهم سبب حديثك، وأجسبت

نفسي فيما يكون قد بدر منها فكان سينك في

غفنيك... كانت عيناى لا تفارقانك وأنت تزوج

وتهمي مشغولاً دائماً بأشئائك وبحقائقك، أنت

صغيرك ذا الرأي الواجد وأنا صامتة. وطالت

جلسي، وأوشكت أن تغفل الحجاب، فسمعت

حارت وأخذت تعطيط الزهور. وكان السكان خاليين

بطريق الصمت. وخرج «شوق» من مخبئه،

وانسل إليها من الخلف فأسك رأسها وأداره ناحيته

بسرعة، وطبع على فيها قبلة عميقة حارة. ثم

تركها...

فوقفت الفتاة برهة أمامه مصمومة لا تتحرك

ولا تتكلم. ثم أجز بفتة وجهها واحتقنت عيناها

وقالت وهي ترتجف:

— أجزؤ على ذلك؟

وتهدج صوتها وأنحس. ثم رآها ترفع يدها

في وجهه. ولكنها أنزلتها، واستندت بسرعة

وحزت صوب النزل. ووقف «شوق» راقبها

حتى اختفت. لقد رأى عيناها تلحان بوميص

غريب لم يره من قبل. وجرى خلفها حتى وصل

إلى حجرتها، فوقف بجوار الباب يتسمع.

فوجدتها قد ألقت بنفسها على السرير واندمغت تبكي

في شدة وحرارة؟ فصر عليها حتى انتهت من

البكاء، ثم دخل الحجرة في خطوات بطيئة، فرآها

جالسة على السرير تحففت بقايا دموعها. وما إن

وقع بصرها عليه حتى أشارت له إلى اللباب وقالت

في جدّة:

— أخرج!

فتقدم نحوها وقال في هدوء:

— ألا أستطيع أن أعلم سبب هذا الخيام؟

فصاحت:

— خيام؟! أي خيام؟...

— خيام أو خيام... جدّة كانتا

وجلس على مقعد القريب من السرير، وقال

في جبر وإحسان وهو يحدق فيها بحديقاً حقيقاً

أوابسامة، تحمل المعنى الذى أطعم فيه .. ولكن لم يلفظ لسانك بتلك الكلمة، ولم تبد منك هذه الإشارة ... وفى يوم رحيلك ذهبت إلى البهو مبكرة واختبأت خلف إحدى الستائر. وانتظرت هناك طويلاً، وأنا أرتجف وقلبي يرق بشدة ... ورأيتك أخيراً وحولك أهل المنزل تودعهم ويودعونك. وتذكر اسمهم اسماً اسماً، ولم أسمعك تسأل عنى أو على الأقل تبحث إلى بحثيتك. وخرجت وأنت مهمل الوجه، تصغر بذلك اللحن ذى الروى الواحد؛ وخرج الجميع يتبعونك إلى الحديقة، وأقبلوا الباب، فلم يعد فى البهو سوى. فتركت غيئى وهرولت إلى حجرة الفرش، وحسبت نفسى فيها طول اليوم، أذرف الدمع صامتة ... من ذلك اليوم كرهتك وكرهت « الرجل » فى شخصك. لقد كنت وقتئذ صغيرة جاهلة غبية، يحق لك أن تقول ذلك. ولكن كان لى قلب، وكانت لى أحلام، فبستت ذلك القلب، وحطمت هذه الأحلام. أما أنت فقد تجمع فيك كل شيء: ذكاء، وعقل، وعزيمة. ولكن كان يمزك شيء واحد وهو نظرى كل شيء ... فتمتم شوق:

— ... ولكن كان ذلك فيما مضى،

أما اليوم ...

— لقد فات الأوان، إن الهواة التى بيننا

سحيفة جداً، ولا يمكن أن نتخطاها

وصمتت، و« شوق » ينظر إليها ولا يتكلم، وطال صمتها. وأخيراً قام « شوق » وتناول بها فى سكون، وطبع عليها قبة عميقة، ثم خرج بلا كلام !!

بنته بدافع قوى يدفعنى نحوك. فقفزت وتملت بك، وقلت لك فى سذاجة بريئة: « لماذا لا تأخذنى معك؟ »

ففظرت لى فى سخرية وغيظ، ثم دفعتنى بيدك، وخرجت من الحجرة كالزوبعة. فى تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن غشاوة كانت تنشى عيني وأنها أخذت تنقشع. فخرجت أحرى إلى حجرة الفرش وجلست القرفصاء فى ركن من أركانها، ولم يخفى الظلام؛ بل أنست به، لأنى كنت فى حاجة إلى الوحدة والتفكير. وأخذت أعرض حياتى معك على ضوء جديد، فوجدتها غريبة جداً ... أجل كانت غريبة جداً، كنت أعتقد أننى لا أستطيع أن أعيش بدونك. كنت أنزل إلى الحديقة وانتظر عودتك من المدرسة. أعد الدقائق واللمحظات، فما أكا أضحك حتى أهرع إليك مهلة باشة فتستقبلنى فى جفاء، وتلقى على بحثيتك كما يلقى السيد تبحته على خادمه. ثم تمطينى بحفظتك المكتظة بالكتب فأحملها لك راضية إلى حجرتك ... وكنت أحب أن أحادثك لأسليك فتصدى وتشرعنى بأن حديتى سخييف لا يليق أن يسمه شخص مثلك. وإذا حدثتني فحدثني دائماً عن شخصك وعن مشروعاتك وعن النجاح الذى ينتظرك ... دائماً عن نفسك، دائماً ... وكنت أصنى إليك فى اهتمام وشغف، ولا أمل حديثك. وأنصورك وقد غدوت عظما من العطاء، كقائد منتصر أو كملك كبير، ينظر الناس إليك نظرة الخشوع والاكبار، وأنظر إليك أنا نظرة العبادة. وكنت أنتظر منك — فى ذلك الوقت — بالرغم من ذلك، شيئاً، شيئاً واحداً. كلمة، أو إشارة،

ومضت الأيام ولاحظ الناس على « شوق »
تغيراً كبيراً ! لقد قلّ كلامه ، وغاضت ابتسامته ،
وكثر تفكيره ، وآثر الوحدة في حجرته أو في
ركن ناء مخنف في الحديقة ، يقضى وقته يفكر في
كتابة . وكان يتجنب جهد إمكانه مقابلة « سلام » ،
فاذا اضطر إلى لقائها سلم عليها في أدب ، ولم يطل
وقفته . أما هي فقد عجبت وازدادت انطواء على
نفسها . وكانت عينها الواسعتان السوداوان
قد أخذتا في الذبول وانضبطت عليهما آثار البكاء ،
تنطقان بحيرة وقلق وبأس دفين !
وفي ذات يوم من الأيام كان « شوق » في
حجرته يرتب أشياءه في حقايبه ، تساعده « تسفير »
البحجوز . وكان يعمل صامتاً ، ولا يجيب على أسئلة
« تسفير » إلا في اقتضاب ، والمرأة حائرة حزينة ،
وسمعا شوق تقول :
— وإلى أين تسافر ياسيدي ؟
— خارج القطر
...
وفي الصباح المبكر تأهب المنزل لوداع
« شوق » ، وخرج الفتى إلى البهو وهو يحمل
معطفه على يده . كان يسير متمهلاً ، ويسلم على من
حوله في وداعة عليها مسحة الكآبة . وقبل أن
يتخطى الباب وقف والتفت حوله يؤمل أن يرى
شخصاً معيناً بين الحاضرين ، فلم يجده ، ووقع
بصره فجأة على إحدى الستائر وكانت تهتز ، فأخذ
يحدق فيها وقلبه يخفق أهو الهواء يحرّكها أم هوشى .
آخر ... ؟ وطالت وقفته كما طال تحديقه في
الستارة ، وقد تتابع خفقان قلبه ... ولكن
الستارة سكنت ولم تعد تتحرك ... فحوّل وجهه
نحو الباب وهو يوسع الخطى نا
محمود نيمور

الشيخ عفا الله وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمود نيمور

يطلب من جميع المكاتب الشهيرة وبالأخص من مكاتب القاهرة الآتية : النهضة بشارع
المداين رقم ١٥ . الانجلو بشارع قصر النيل رقم ٣٣ . الوفد بشارع الفلكي رقم ٥٣ . دار النشر
بشارع عابدين بجوار سينما رويال . وعن النسخة خمسة قروش
كذلك الملبى :

نشوء القصة وتطورها

من النسخة قرش صاغ واحد

الينورا

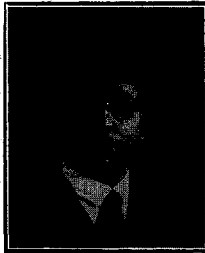
للكاتب الأمريكي إدجار آلان بر

بفكر الأستاذ محمود الخفيف

لقد أهدرت من قوم أخص صفاتهم الخيال الشبوب والماطفة الملتبة، ولقد دعاني الناس بالجنون! ولكن الناس لم يصلوا بعد إلى رأى في الجنون. نعم إنهم لم يستطيعوا أن

يقرروا ما إذا كان الجنون هو الذكاء في نسقه الأعلى أم إنه ليس من الذكاء في شيء. لم يستطيعوا أن يقطعوا برأى في القضية الآتية:

أليست كثرة أفكارنا المتميزة بالسمو، بل وجميع ما يتصف منها بالنضوج والعمق، إنما هي صادرة عن مرض فكري أو حال غريبة من حالات



العهد الثاني من وجودي. وعلى ذلك فإذا حدثتكم عن شيء من عهدي الأول فصدقه؛ أما عن العهد الثاني فأنت خير بين أن تقابل ما أحدثتكم به عنه بما يستحق من الثقة، أو أن ترفضه رفضاً تاماً!

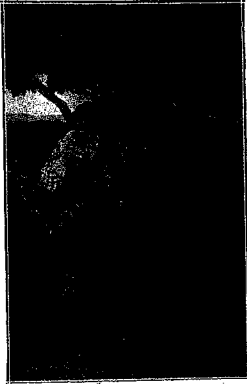
كانت تلك التي أحببتها في صدر شبابي والتي أتلو عليك من ذكريات غراي بها ما أتلو في هدوء ووضوح، الابنة الوحيدة لخالتي الوحيدة التي ودعت هذا العالم من زمن بعيد. وكانت ابنة خالتي هذه تدعى الينورا؛ ولقد عشنا متلازمين في واد كثرت ألوان

زرعه، سميناه « وادي الألوان »، وما كانت تستطيع قدم غريبة أن تهتدي إلى مسالك هذا الوادي؛ ذلك لأنه كان يقع على ربوة عالية تحيط بها شجيرات شاهقة كثيراً ما تحجب الشمس عن عدد من بقاعه. وفضلاً عن ذلك لم يكن ممراً لأحد حتى تشق الأقدام طريقه؛ وكثيراً ما كنا نضطر ونحن عائدان إلى منزلنا أن نفسح طريقنا بأيدينا بين الأغصان المشتبكة في كثير من الشقوق، كما كنا نطأ بأقدامنا آلاف الزهورات فنفضي على الكثير من معام الجمال في هذا الوادي... هكذا عشنا وحيدين سيدين لا نعرف شيئاً عن الحياة وراء وادينا الجميل، وأنا وخالتي والينورا

العقل تسمو وتمظ على حساب غيرها من ملكات التفكير؛ وإن هؤلاء الذين يحلمون في النهار غليقون أن يصلوا إلى أشياء تغيب عنهم لا يحلمون إلا في الليل؛ ففي رؤاهم الشاحبة تترامى لهم سمع من الجلود، حتى إذا ما استيقظوا سرت في أجسامهم النشوة أن كانوا على حافة السر الأكبر!

وعلى هذا أقول إني جنون! أو على الأقل أسلم أن هناك ناحيتين في وجودي الفكري تتميز إحداهما من الأخرى؛ فأولاهما ناحية البصيرة التي لا تقبل الجدل، وتتصل بذكريات العهد الأول من حياتي، وأخرها ناحية الشك والغموض، وتتصل بالحاضر كما تتصل من الذكريات بما يكون

الحال خمسة عشر ربيعاً قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلبينا ، إلى أن كنا ذات مساء جالسين تحت هاتيك الأشجار ، وهناك تماقنا ونظرنا إلى خيالينا



في « نهر السكون » . ولم تنفج شفتانا عن كلمة أثناء هذا العناق ، وظلنا صامتين بقية النهار إلا عبارات مضطربة حائرة عما كنا ننوي أن نفعله في الغد . وكأننا أخرجنا من النهر قوة خفية أشعلت في روحينا جذوة آياتنا الأولين ؛ فلقد أحسنا أن حدة العاطفة التي امتاز بها جنسنا على مر القرون مشفوعة بما عرفوا به أيضاً من قوة الخيال قد دب ديبها في نفسنا ؛ وسرعان ما بث ذلك في « وادي الألوان » روحاً جديدة .

رأينا يد التنوير تمتد إلى كل شيء هناك . فقد انتثقت زهرات بيضاء ناصعة في شكل النجوم على أغصان لم يكن يزينا زهر من قبل . وازدادت نضرة البسط الخضراء في أعيننا ، وكانت إذا

في هذا الوادي الحبيب يجري نهر ضيق عميق قد انحدر إليه من منبته فوق هاتيك الجبال ؛ وكان لهذا النهر الجليل بريق غريب أشد لماعاً من كل شيء إلا عيني أليئورا ؛ وكان كثير المنعطقات ، إلا أنه كان يجري ساكناً وادعاً ، يشعر المرء على صفتيه بميل قوى إلى السكينة والهدوء ؛ ومن أجل ذلك سمينا « نهر السكون » . وكانت تمتد على صفى هذا النهر ، وعلى ضفاف الغدران التي تنساب إليه بسط وثيرة من المشب النصير ، سالت في نواحيها الألوان التي تملأ الجو بمبيرها الفياح ، فن زهرات صفراء فاققة وسطاعة ، إلى زهرات بيضاء يستوقف البصر بياضها ، إلى قرنفلات حمراء ملتهبة ، إلى ورود قرمزية رقيقة ، إلى محاجر بنفسجية باسمة ، إلى غير هذه وتلك من مؤلف الزهر وشئتيه ، مما يزدان به الوادي ويبلغ به حداً بعيداً من الجمال المبقرى ، ذلك الجمال الذي كان يتحدث إلى قلبينا في صوت جهورى عن الحب وعن عظمة الله الخالق البارئ المصور .

وكانت تنتثر في أنحاء وادينا أشجار باسقات يجدها المرء هنا وهناك في بقاع من العشب الأخضر شبيهة بما يراه النائم من الجنات ، وكانت تجمع جذوعها بين سواد الأبنوس وبياض الفضة ، وكانت ناعمة ، ناعمة تفوق كل شيء في نوميها إلا خدى أليئورا . ولولا ما كانت تراه العين في ذراها من الأوراق لأوحى إلى المرء خياله بأنها مجموعة من ثماين سوريا الهائلة ، تؤدي في تمايلها واجب الخضوع إلى القوة المسيطرة عليها وهي الشمس !

في هذا الوادي الساحر كنت أبحول كل يوم أنا وأليئورا ، وبهما في يدي ، وقضينا على هذه

لقد أحسنت أن أصبغ النون بمس قلبها ، وأنها كيمض الزهرات الفضة في الوادي ما خلقت تامة الجمال إلا لتموت ! ولكن الرعب الذي يبعثه القبر كان يتراءى لها في فكرة كشفت لي عنها ذات مساء وقت الطلّفل على ضفة «نهر السكون» . كان يزعمها أن تفكر أنني جينا وأرى جثتها في « وادي الألوان » لابد أن أنصرف عن هذا المكان الجميل ، ومن ثم فلا بد أن ينصرف حيي الذي أمتنحها إياه الآن في هيام وشدة إلى فتاة غيرها ممن يعيش خارج الوادي ، إلى فتاة عادية ممن يصادفهن المرء كل يوم في هذه الدنيا .

هنالك ألفت نفسي في لفحة وسرعة على قدمي أليينورا وفهمت أمانها بقسم أشهدت الله عليه أنني لن أتزوج بعدها أية فتاة من بنات الأرض ، وأبني لن أظهر ما عشت ما يشعر بتغافل عن ذكرها العزبة ، أو ذكرى حبها الصادق القوي الذي غمرت قلبي به وجعلني أعرف في ظله نعيم الحياة ؛ ثم أتجهت ببصري ثانية إلى السماء وأشهدت على قلبي الله المسيطر على ملكوت السموات والأرض . وإن اللعنة التي رضيت أن ينزلها علي إن أنا حثت في عيني ، وصورة المذاب التي قبلت أن يحل بي ، ليبيتان في الأفق من الرعب والفرع ما لا أسمع معهما بتفصيل في هذا المقام . ثم نظرت إلى عيني أليينورا اللامعتين ، فرأيت برقة يشتمع كلاني ، ثم رأيتها تنفّس الصعداء كما لو أنها ألفت عن صدرها عبثاً كاد يزهرها . ولم تلبث بعد ذلك أن أخذتها برعدة شديدة وتساءلت دمعها السخين . ولكنها قبلت عيني وصدقت دعواي . وليت شعري ماهي ؟ ألم تكن طفلة غريبة ؟ يا لها من فتاة بريئة ! لقد

انطفأت الزهرات البيض لا تلبث أن تحمل ملهن عشرات من الزهرات الجرم المشتملة ؛ وفضلاً عن ذلك فقد دبت الحياة في مسالك الوادي ، فلقد رأينا الطاووس في موشيته البقرية يختال في حاشية من الطيور الجميلة ما كانت تقع عليها الأعين من قبل . ورأينا ماء النهر يزخر بالسماك الفضي اللون ، وقد انبعث منه خرير حلو ما تزال تملو نغماته حتى تنتهي إلى هدهدة جميلة ، أكثر قداسة من أنغام قيثارة « أولوس » ، وأحلى غناء من كل صوت إلا صوت أليينورا . وإذا رفعنا أبصارنا إلى السماء رأينا قوس النعام الذي كنا نراه من قبل عظيم البعد ، قد اقترب منا حتى ارتكز من طرفه على قمم الشعاب المحيطة بنا فظللنا ألوانه الجميلة وحولت ما كان يكتنف الجبال من كآبة قابضة إلى رواء بارع ، وصرنا حياله نشعر كالوكان يحجزنا إلى الأبد في بقعة من الجمال والمظلمة كان جمال أليينورا جلالاً ملائكياً ؛ ولكنها كانت فتاة ساذجة بريئة ، فلم يتخذ ذلك الحب الذي أيقظ قلبها من الخديعة حجاً يخفى قوته ويسترقده . تبينت ذلك في خلال حديثنا بين الأزهار في « وادي الألوان » ، حينما كانت تشير إلى ما طرأ على الوادي من تغيير .

وأخيراً ، حدث أن أفضى بنا الحديث ذات يوم إلى الخاتمة المحزنة التي لا بد أن يصير إليها أهل الفناء . وكنا نجس دموعنا أثناء ذلك الحديث ؛ ومنذ ذلك اليوم رأيتها تعاود الكلام في هذا الموضوع ، وصارت تبذله في جميع أحاديثنا ، على نحو ما تراه في أعالي شاعر شيراز من تكرار الصور في شكل عبارة يكسبها شكلاً أخاذاً من الايضاح والبيان .

الندى ، واختفت الحياة من مسالك الوادى ، فلم نعد نرى الطاووس فى زهى ألوانه ، اللهم إلا فى أويقات كانت تأخذه العين فيها كاسفاً حزينا راحلا عن الوادى إلى قمم التلال تبسبه جماعات الطير اللواتى أتبن مسه قبل ذلك . واختفت من مجرى نهرا تلك السمكات الذهبية الفضية التى كانت تربته من قبل ، وأخذ يخفت ذلك الخربير الحلوى الذى كانت تفوق غمامته وهدهده أغانيه من قبل قيثارة « أولوس » سحرا ، والذى كان صوته أكرر قداسة من كل صوت إلا صوت ألينورا ؛ أخذ يخفت ذلك الخربير حتى احتبس وعاد النهر إلى سالف سكونه ، وذاب قوس الغمام ، وتلاشت فى السموات ألوانه البهيجة التى طالما ظللتنا فى هذا الوادى

ولكن ألينورا سددت وعدها ؛ فلطالما سمعتُ حفيف رهط الملائكة ؛ ولطالما استنشقت العبير القدس فى أرجاء الوادى . وفى ساعات تأملاتى حينما كانت تتوانى نبضات قلبي ، كنت أتبين فى هسيس الرياح التى تمس جيبينى نهديتها التى وعدتني ؛ كما كنت أتبين فى كثير من الأحيان غممة تتناوح بها ربح المساء . وحدث ذات مرة ... آه ولكنها مرة واحدة ؛ حدث أن أقفت من نومة عميقة كأنها الموت ، على ضغط شفتين علويتين كانتا تلاصقان شفتي .

ولكن الفراغ الذى أحسسته فى قلبي أبى أن يتلى حتى على هذه الصورة ؛ وتأقت نفسى إلى الحب الذى أقفم من قبل ذلك القلب حتى طفق به . وأخيرا أصبح الوادى يبعث ألم لفؤادى لما يشبه من ذكريات ألينورا ، فتركته إلى غير رجعة ، واتخذت طريقى إلى مضطرب من هذه الدنيا حيث

جعلتها عباراتى تنظر حتى إلى الموت نظرة هدوء ويسر . ولقد أفضت إلى بعد ذلك بأيام ، وهى تخطو إلى الموت خطوات هادئة ، أمها جزاء وفاقا لما فعات ولما أخذت على نفسى العهد الذى أتلج خاطرها وطمان روحها ، سئمتنى بى فى الساء حينما تسلم الروح ، وإذا سمع لها فستظهر لى فى جلاء بين أطيايف الليل . وإذا كان هذا فوق مقدور الأرواح فى جناتها فسوف تشرى بوجودها مختلف الاشارات فأسمع نهديتها فى رياح المساء ، أو أشعر بالهواء محملا رائحة عير الملائكة ونفحات الفردوس . . . وفى مثل هاتيك الأحداث الحلوة تنفرج عنها شفتاها الجليتان أسلمت روحها البريئة إلى بارئ الحياة

كان قوام حديثى حتى نهاية هذه المرحلة من تاريخ حياتى الاخلاص والصدق ، ولكنى حينما أجتاز ذلك السياج القائم فى طريق ، ذلك السياج الذى كونه موت جيبينى ؛ وحينما أخطو أول خطوة فى المرحلة الثانية أحس كأن ضبابا يتمقد أمام بصري فيتراكى فى حيرة . لا أدري إن كان ما أتله بعد من حديث سيحمل على التمثل أم سيحمل على الجنون ؛ ولكن دعني أت بالحديث على سرده . تعاقبت السنون وثيدة الخطى طويلة المهل ، وما زلت مقبلا فى « وادى الألوان » ، ولكن يد التغيير قد تناولت للمرة الثانية كل شيء هنالك ؛ فلقد تناثرت تلك الزهرات الشبيهة بالنجوم ولم تعد تراها العين بعد ، ورغبت تلك البسط الخضراء عن لونها الساطع ، وانطفأت الزهرات المحر واحدة بعد واحدة وجلت مكانها زهرات شبيهة بالميون السود ، كانت تدوى فى بطنه ، ولم يكن يعلق بها

تزرخ الحبيبة بالفرور والتاعب والنور !!

ألفيت نفسي في مدينة غريبة ، كان كل شيء فيها جديراً . بأن ينق من الذاكرة أحلامي الجميلة الى ورثتها من « وادي الأنوان » ؛ فلقد أذهلني وحير عقلي ما وقعت عليه عيناي من مظاهر العظمة والأبهة في ردهات البلاط ، وملأت نفسي بقبضة السلاح ، واستوقف بصري جبال النسوة ومفانئهن ، ولكن روحي على الرغم من ذلك ظلت أمتينة للمهد الذي قطعته والقسم الذي أدبته ؛ وزيادة على ذلك كان شبح أليورا وكل ما يشعرني بحضورها يملأ المكان حولي في سكون الليل ! ولكن ... على حين فجأة تلاشت كل هاتيك الرؤى وأظلمت الدنيا في عيني ، ووقفت شديدها أمام الفكرة اللذاعة التي ملكنتني . أمام العزم المربع الذي ملك قيادي ! ذلك أنه وفدت على الحاشية الملكية المرحه حيث كنت أعمل ، فتاة من بلاد نائية لم أعرفها ، فتاة استأثرت بلبي ، وأخذ سحرها بمجامع قلبي ، منذ اللحظة التي وقع فيها على شخصها بصري ؛ فتاة لم أتردد ، ولم أحس بمشقة عند ما أحنيت رأسي لها في أشد ما يكون عليه الماشق من حماس ، بل وفي أحط ما يتطلبه الحب من عبودية ! وأين ما شمرت به من عواطف نحو فتاة الوادي الصغيرة من هذا الهوى المشبوب وهذا الهيام الجامع ، وهذا التحش الذي ينبض به قلبي حيناً أريق روحي عبرات سيالة ، وأنا ملقي على قدمي « ارمنجارد » ؟ ومن هي « ارمنجارد » ؟ أليست ذلك المخلوق السماوي الذي يرق حتى عند الأثير ؟ آه ... يا حسنها ! يا حمن ذلك الملك الرفاف « ارمنجاد » . ما أظهرك

وما أعظم قداسك أيها الملك ! إنها غلاً جوانب نفسي فلا أفكر في سواها . وحيناً ألقى نظرة على عينها النجلاوين ، وأرى مدى ما في معناها من عمق ، لا أفكر إلا فيهما . وفيها لقد تزوجت غير خائف مما استنزله على نفسي من اللعنات ، ولم أشعر يوماً بشيء يزعمني لحنني في عيني . وحدث مرة — ولكن مرة واحدة في سكون الليل ، أن تسربت إلى حجرقي خلال الستائر تلك التهيدات الناعمة التي هجرتني ، وحولت نفسيها إلى صوت جميل مألوف قائله :

« نعم في سلام ! فان روح الحب تحكم وتسيطر ؛ وإذا كنت تحمل في قلبك اليوم تلك التي تدعى ارمنجارد ، فلقد غفر لك ما كان منك تجاه قسمك أمام أليورا ، وأصبحت ربكاً من الأثم لأسباب سوف يكشف لك عنها حيناً ترقى إلى السماء !

محمود الخفيف

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

ترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

في أرضنا هذه إذا كان
في العالم أرواح ؟ »

والحق أن محاولة
إقناع أمثال هؤلاء من
أعسر الأمور ، فإن كل
إنسان يستطيع أن يسأل

أسئلة معجزة من هذا النوع
فلا يجد أحد جواباً عنها

ومن المستحسن بمس ذلك
أن أوجه حديثي منذ الآن إلى
من يصدقونه ، فاني رجل
لا أطيق أن أكذب فيما شهدته
بميتي ، ولا أحتمل أن يسخر
أحد من القول الصادق

اعتدت أن أذهب إلى

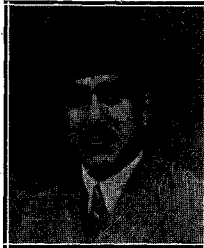
صديقي (عل) في منزل قديم من المنازل الأثرية
الموقوفة قد استأجره لي يجعله مخرباً يذهب إليه بين
حين وحين لكي يخلو إلى التصوير ، لأنه كان
مصوراً ماهراً لما نظر الطبيعة . وكان ذلك المنزل على
ما قال لي ذلك الصديق سكناً في وقت من الأوقات
للأمير رضوان بك الكبير أمير مصر وصاحب
المبارات الأثرية ، وقطب دائرة الأدب والفن في
أواسط القرن الثامن عشر

وكان رضوان في حياته الخاصة من أشد الامراء
ميلاً إلى الترف والهو ؛ وكانت له قصور عدة جعل
واحداً منها مجالس لهو وطرب ، يجلس في أهبائه
الفخمة مع طائفة غتارة من الأدباء وأهل الفنون
والموسيقين ، فيقضي فيه ليالي كانت مضرب

قصة قصيرة

مقتبسات من كتاب

للأستاذ محمد خير الدين بوحديد



يمل أهل هذه الأيام
ولا سبيل الشبان منهم إلى
التكذيب ؛ فهم إذا سمعوا
شيئاً ووجدوه غريباً عن
تصورهم أسرعوا إلى
الاجابة قائلين : « هذا

كذب » والتكذيب لا يكلف
الانسان شيئاً أكثر من أن
يهز رأسه ويقول في تروادة وقار :
« هذا غير معقول » وقد يقرن
قوله هذا بابتسامه هادئة دليلاً
على التسامح ، كأن العقل الانساني
قد عرف كل شيء ، فإذا كان
شيء غير معقول ، كان غير
مقبول . والحقيقة أن العقل
الانساني لم يدرك إلا أبسط ما في

الكون ، ولم يفهم إلا أقل ما في الخليفة . فأمراد
الكون لا تزال بعيدة المنال عنه مستعصية عليه ؛ وما
أحرأه أن يصدق وأن يتنازل قليلاً عن كبريائه وعناده ؛
فإذا قال قائل مثلاً إن العالم مملوء بالجان لوى أهل هذا
الزمان أعناقهم ونظروا إلى القائل شزراً . وقلوا
متهاقين : « جان ! يقول صاحبنا هذا إن العالم مملوء
بالجان ، كأنه قد رأى الجان بميتيه ! »

ولو تأمل هؤلاء قليلاً لعلموا أنهم مخطئون ، فإن
الدين لا تبصر إلا بعض الموجودات ، فإذا هي لم
تبصر شيئاً فليس عدم إصراها دليلاً على عدم وجوده .
وكذلك إذا قال أحد : « إن العالم مملوء بالأرواح »
فإن من يسمعه من أهل هذا الزمان حري بأن يبينه
في سخرية وضافت قائلاً : « أرواح ! ولم تبق الأرواح

والاعتبار . ولعل هذا الشعور كان ناشئاً من جو المحترف ؛ فقد كان مكانه قديماً يشمر الداخل فيه أنه قد ولج بعض القرون الماضية . فلذا صعدت إلى سطحه وأبت حبال الجبل الشرق المشرف على القاهرة وعليه القلعة المتينة قلعة صلاح الدين تطلع كأنها تحدث عما شهدته من جليل الحوادث وعجيبها . فلذا نظرت حولي رأيت مآذن المساجد تشرف على الحى كما كانت تشرف من قرون ، ورأيت البيوت القديمة التهدمة ، وكأنها تقول : « رب يوم كفا فيه نمج بالحياة ونضطرب بالمبول والمواطف ؛ فلذا نحن قد دكنا الزمان ، وفي غلبتنا البلى ، وأصبحت معالمنا أطلالاً وأكواما ! » .

كان كل شيء حولي يحدث عن الماضي ، ولا يحيا فيه إلا ذكر الماضي . فكنت وأنا هناك أنسلخ من عصرى ومن الحياة الصاخبة حولي لأعيش حينئذ مع أجيال الأجداد أجاسهم وأحاديثهم وأناجهم ، وكنت كلما التفتت إلى الجدران ورأيت إحدى المجتمعتين الملتصقتين عليها خيل إلى أنها قد اكتست فصارت على عهدنا ، إذ كانت أدمية حية ؛ وتصورت حينئذ أنها تبسم إلى وتناجيني بما كان من ملذاتها ومسرراتها ، وحينئذ أنها تقطب بحوى وتساورنى بما كان من آلامها وشقاوتها .

وكنت إذا ذهبت إلى ذلك المكان لا أبقى فيه إلا ما دام النهار ؛ فلذا ما أقبل الليل أسرعته بالخروج منه قبل أن يخيم الظلام عليه ؛ فقد كنت فى الحى أخشى أن يظلمني فيه الليل إذ كنت فى قرارة نفسى أفزع من جوه كما يفزع الانسان من الليل فى جوار القبور .

وذهبت مرة فى يوم من أيام الشتاء على دعوة

الأمثال فى الروعة والأبهة ؛ ولكن مؤامرات منافسيه وحساده اتخذت فى قصوره سبيلاً خفية انتهت بإفساد بعض ممالكه عليه ، غفاه واحد منهم فى قصره وضربه بطلق نارى أصاب ساقه ، وكان سبباً فى موته بعد قليل . ويقال إنه قد ضرب تلك الضربة فى ذلك البيت الذى اتخذته صديقى لمحترفه ولوثت دماؤه أرضه فى أثناء هربه من المؤتمرين به . وكان صديقى يحيط ذلك المحترف بغريب الأثاث ، ولأحسا ما كان منه على نسق أثاث العصور الماضية ؛ فكانت فيه أنواع مختلفة الأشكال والأعمار ؛ قطع قديمة من الخشب المحروط (المشيك) ، وقطع من النحاس المكث ، وقطع من الأبنوس المطعم بالصدف والعاج ، كما كانت فيه كراسى قديمة من القش وأخرى من الخيزران ؛ وقد علق على الجدران قطعاً من تماثيل بعضها يمثل وجوها ، وبعضها بصور أجساماً ، وبعضها يمثل بعض الآثار الفنية من مخلفات اليونان والرومان ، ونصب بينها بعض لوحات من لوحاته تمثل الريف المصرى وحيوانه ، أو تمثل حدائق مضر ومناظر غيطانها ، وأدلى من السقف مصابيح من أنماط كانت مستعملة فى الأزمان الغابرة فى مختلف المصور . وكان أعجب ما علق على تلك الجدران بعض عظام للحيوان والإنسان بينها ججمتان مسفراوان تنظران إلى الجالسين كأنهما تقولان لهم : « لقد كنا كاتكونون » .

وكنت أجد فى اختلافى إلى ذلك المحترف شيئاً كثيراً من السرور : سرور من نوع خاص ، ليس كالسرور المعتاد الذى يهز النفس ويضعها إلى المرح والضحك ، بل سرور يملأ النفس بشعور قوى من الارتياح يشوبه كثير من البلى إلى الجد

لم يكن لي معها مجال للتفكير ، وأنجملت الضجة عن اثنين يتحادثان ، وقد أتقلا من وراء ستار من الديباج الأخضر رأيتُهُ إلى يساري ورأيت أحدهما شاباً صغير السن في نحو العشرين ، جميل الصورة ، أبيض الوجه ، أصفر الشعر ، يلبس عمامة مطرزة بوشى مذهب ، وعليه لباس غريب لا عهد لنا به اليوم ، فهو سراويل فضفاضة من الحرير الأحمر فوقها حزام أصفر عسجدي ؛ وقد ليس فوق ذلك كساء من الحرير الأبيض ضيق الأكمام عليه طراز من وشى مزركش بخيوط ذهبية . فكان في مجموع هيئته صورة لما تنقله الينا أخبار التاريخ من صور ممالك الأسماء عصر فيا مضى . وأما رفيقه فقد كان شيخاً يلبس ثوباً من الحرير المخطط الذي يلبسه اليوم أصحاب المهام ، وقد شد على وسطه حزاماً من الحرير الملون المنقوش ، وجعل على رأسه عمامة ساذجة بيضاء ؛ وكان يحمل في يده حقيبة صغيرة وطستاً من النحاس الأصفر مما كان مثله لا يزال مستعملاً عند الحلاقين منذ جيل . ولما اقترب الشخصان سمعت نبحاً

قال الشاب هامساً : سيحضر الأمير بمسدد قليل فاستمد

قال الشيخ : لقد دعاني الأمير على غير عادته قال الشاب : هو مجلس حافل . فسأل الشيخ هامساً : بقصر الأزيكية ؟ فهز الشاب رأسه علامة الإيجاب وقال : سيحضر إليه هناك نداءه جبريل والليقي وقاسم والادكاوي

فتمز الشيخ بعينه ، وتبسم قائلاً : ليلة أنس من لياليه !

من صديقي ، وقضينا اليوم هناك حتى غروب الشمس . وكنت أشتغل في أثناء ذلك بكتابة قصة من التاريخ ، وكان صديقي منهمكاً في رسم نور مصري قاعد إلى جنب مزود ، فلما أقبيل الظلام تنهت إلى نفسي ونهت صديقي قائلاً له : « لقد آن أن نذهب » غير أنه تردد وقام إلى مصباح فأشعله وقال : « إنني أحب أن أبقى هنا إلى أن أنتهي من هذا النور فقد طلبه مني أحد الأعيان ووعدت أن أرسله إليه في الغد ، ولا أملك أن أنطلق من موعدي ، فإذا قضيت مع جزءاً من الليل حتى أتمته كنت شاكرًا » . فلما أشأ أن أراجع صديقي في رجائه ، وكنت كذلك أحس من نفسي ميلاً إلى الكتابة ، فرأيت في البقاء هناك فرصة لانجام ما بدأت كتابته ، فرضيت أن أبقى ، وأقبلت على ما كنت فيه ، وأقبل صديقي على إنعام صورة ثوبه بحماسة وسرور . ثم تميت من الكتابة بعد حين ؛ فاستلقت في مكاني ، فإذا بي وقد استولى الناس على فئمت ؛ ولم أدر كم بقيت على حال تلك إلى أن تنهت على خبة هائلة حولي فقممت مذعوراً ونظرت حولي فرأيت نوراً عجيباً ساطعاً من المصباح ورأيت المكان حولي على غير ما كنت أعهده ، فلقد كان مكسوراً بأنواع الفراش والأثاث ، وعليه أنواع شتى من الستور والطنافس ، وصفت حوله الوسائد والمبانيذ والزرابي ، وسمعت في المكان لغطاً كثيراً ، كأن أشخاصاً يتخاصمون فيه ، وكنت من ذهني لا أستطيع أن أذكر أين كنت ، ولا من أنا ، ونحيت ذكر صديقي ، ولم أملك نفسي مما دخلها من الروع . جلست القرفصاء في الركن الذي كنت فيه وتعلكتني خشوع ، وعلتني رهبة

بيضاء مسحوقة سكبها من الورقة ؛ ثم أقبل الحق وبعد عنه وهو ينفى أغنية قصيرة ، وجعل يساعد الشيخ على إعداد الماء وترتيب الزجاجات والماء وقد عراني وأنا أنظر إلى هذا شيء عظيم من الفزع ، ولكني لم أجرو على التحرك من مكاني بل ضغطت نفسي في ركني ، وجعلت ألتصق بالوسائد التي بجواري ، وأنكش بينها خوف أن يقع نظر أحدهما على

وقد عجبت إذ لاحظت أنهما وإن اتجها نحوى أحياناً يتجاهلان وجودي ، فداخاني من ذلك شيء من الاطمئنان وأفرخ روعي

وسمعت بعد حين حركة من تجاه الباب وصلصلة سلاح ، وأصواتاً مختلطة ، وصاح صائح في الخارج يقول : « الأمير رضوان كنتخدا دام غزه ! » ثم فتح الباب وأقبل منه شخص بدين في ثياب زاهية تبرقعاً فيها من الذهب ، وما يتخللها من الوشي ؛ وقد انعدت على رأسه عمامة هي أشبه بالتاج بما عليها من الجوهر والوشي . ومنذ أقبل الرجل انحنى الشاب المحنة عظيمة كما ركع الناس في الصلاة ، وحيا الشيخ تحية بالغة ؛ فعلمت أن ذلك هو الأمير الكبير الذي كان الرجلان يذكرا في حديثهما . ولم يلتفت ذلك الرجل إلى أحد ، بل ذهب إلى

كرسي عال من الأبنوس الطعم بالصدف والماج وجلس عليه ، فامتأ الكرسي به ، وترجع من ثقله ؛ ثم جعل الشيخ يحلق له رأسه ، ويسوى له من لحيته وشاربه ويضمخهما بالمطور والأدهان ؛ ولما فرغ من ذلك التفت إليه الأمير وقال له هامساً : « هل أحضرت الدواء ؟ »

فتبسم الشيخ وهز رأسه علامة الإيجاب وقال : « مولاي ! ها هوذا »

فتبسم الشاب وقال : ليلالي رضوان كنتخدا المشهورة !

ثم اقترب منه وقال بحذر : والدواء ؟ هل أحضرته ؟

فسأل الشيخ باهتمام : هل يريده الليلة ؟

فهمس الشاب : ليلة أنس وفرح ؛ هل أحضرته معك ؟ الدواء ... ؟

فضحك الشيخ وأخرج من جيبه حقاً من الفضة ورفع نحوى قائلاً : « ها هوذا »

فتقدم الشاب نحوى وقد اتسعت عيناه وقال بشيء من اللفة : « أرني »

ثم مد يده إليه فأخذته بشيء يسير من القهر ثم فتحه وجعل يشمه

فاقترب الشيخ منه ، ومد إليه يده لاسترجاع الحقن قائلاً : « حاذر ! »

قال الشاب : « لماذا أحاذر ؟ » ثم مد يده إليه برمي كأنه يريد أن يذوق منه

فقال الشيخ : « لا تذقه ، لا أسمح لك ، هذا ليس لك ؛ هات الحقن »

فتبسم الشاب وقال : « لماذا تخاف علي منه ؟ أهو سم ؟ »

فأجاب الشيخ مقطباً : « قبحك الله ! وهل أحمل السم ؟ »

فأعاده الشاب إليه وقال : « لا بأس ؛ استعد الآن ، سيأتي الأمير بعد قليل »

فأخذ الشيخ الحقن وذهب به نحو منضدة فوضه فوقها ، ثم اتجه نحو منضدة أخرى وجعل يرص عليها آلاته . وفيما هو مشغول في ذلك اقترب الشاب خلسة من الحقن ، وأخرج من منطقتة ورقة مطوية ، ثم فتح الحقن بحفظة هجيبة ، ورمى فيه مادة

فزاد اضطراب الفتى وقال وهو يلهث لا بكاد
يبين كذابه :

« لا . لا أذوقه . ليذوقه هو . أظنه مسموماً .
لماذا لا يذوقه هو ؟ إنه مسموم . »

فصاح الشيخ حانقاً : « مسموم ! يا لك من
لثيم وقح ! »

فقال الفتى : « إذن ذقه » والتفت نحو الأمير
قائلاً : « لقد علمت أنه مسموم . قد دسه عدو
الأمير عبد الرحمن كتحداً — واتفق مع هذا الوغد
على قتلك »

فقام الأمير ثاراً عند ما سمع هذا وقال للرجل :
« ذقه . أو ذق هذا » وجرد سيفه الذى كان
مدلى إلى جانبه

فتقدم الشيخ جريئاً إلى الحق ، وتناولوه وهو
ينظر إلى الفتى المضطرب وقال له بنقى :

« مسموم ؟ أنت لثيم كاذب منافق . هل أسم
سبدي ؟ » ثم أخذ منه بإصبعه قطعة فابتلعها ، ثم
أخرى ، ثم ثالثة . وقال :

« لم أكن أخاف إلا فعل هذا الدواء فى وأنا
رجل مسن . مسموم ؟ يا لك من منافق ! »

غير أن الدواء ما كاد يستقر فى جوف الرجل
حتى وضع يده على بطنه ونظر إلى الأمير وقال :

« يا للعجب ! كفى ابتلعت كل أموانى ،
كأن أحشائى تنقطع »

ثم زاد به الألم فجعل يمصر بطنه ويلوى وجهه
وارتجى وهو يتوجع ويصرخ ويستجير

فنظر الأمير إليه دهشاً وبقي صامئاً وهو ناظر
إليه لحظة طويلة ، ثم انفجرت شفتاه عن ابتسامة
مرة وقال :

وأتمجه نحو اللصدة التى كان عليها الحق فأحضره
وقدمه إلى الأمير

فقال الأمير : « متى يؤخذ ؟ »

قال الشيخ : « قبل النوم بقليل ، بلحظات
قصيرة ، فهو مؤكد وقوى »

فسأل الأمير : « أهو مجرب ؟ »

فقال الرجل : « مولاي ! عبدك ماهر فى
صناعته »

فنظر إليه الأمير وقال : « أحب أن تذوقه
أولاً »

فقال الشيخ فى صيحة مكتومة : « أذوقه ؟ »

قال الأمير : « نعم » ، ورفع حاجبيه متمججاً
وهو ينظر إلى الشيخ اللزدد . وقد رأيت الفتى

عند ذلك يضطرب فى مكانه ثم تمالك نفسه وتكاف
الهدوء ، والأمير مشغول عنه بالنظر إلى الشيخ

فقال الشيخ فى شئ من الارتباك : « ولكفى... »
فقاطعه الأمير فى شئ من الغضب قائلاً :

« هل تخاف أن تذوقه ؟ »

فأسرع الشيخ معتذراً يقول : « مولاي ،
لا أخاف شيئاً ولكنى رجل شيخ »

فقال الأمير مستمراً فى غضبه : « وما ذا ؟ »
قال الشيخ : « ليس هذا لثي ! فليذوقه هذا

الشاب وأنا ضامن سلامته بحياتى .
فتردد الأمير لحظة ، ثم نظر نحو الفتى وناداه

قائلاً :

« تعال يا حسن . ذق من هذا »

فاضطرب الفتى وتردد لحظة ، ثم انفجر قائلاً :

« مولاي ! »

فقال الأمير متمججاً : « ما ذا ؟ »

دخان غطى السكان حيناً ، ثم سمعت خبطة قوية على الأرض فنظرت وإذا بالأمير صريع إلى جنب الشيخ السكين ، وقد قبض بيده اليمنى على ساقه وهو يئن ، وسمعت أصواتاً مختلطة في الخارج تتباعد كأنها تهرب وهي تكتم الصيحات ، ثم رأيت الأمير يتحرك ثقيلًا وهو قابض على ساقه ، وقام وهو يمرج فأخذ سيفه في يمينه وانكأ عليه كأنه عصا ، ثم سار في ببطء شديد والدم ينزف من ساقه غزيراً ويلوث الأرض ، وخرج من باب صغير في خاف الحجرة وهو يئن ويتوجع ويقول في سيرة : « لأقطعنك أرباً ... آه أيها الخائن ! آه إذا نجوت ... وهبأت لي النجاة ! »

ومضت مدة قصيرة بعد ذلك ، ثم سمعت أقداماً من وراء الباب الكبير تسير كأنها في حذر وخوف ، ثم فجع الباب وظهر منه رأس الشاب ، وسمعت من خلفه صوتاً يسأله « هل مات ؟ »

فنظر الشاب حول الثرفة حيناً ثم صرخ فزعاً : « أين هو ؟ إني لا أراه ، ويلنا ! لقد نجنا ! هلموا لنندركه قبل أن يفوتنا فيهلكنا » ، فاشتد اللغط وزادت الضجة واختلطت الأصوات ، ثم تباعدت الجلبة شيئاً فشيئاً حتى عاد السكون وخيم على السكان . وعرفاني في أثناء ذلك خوف لا أستطيع أن أصفه ، ولم أدر ماذا صنعت . ثم غبت عن الوعي فلم أبق إلا على صوت داو شديد يهز القضاء ، فقممت ونظرت فيما حولي فראيت نافذة الحجرة مفتوحة قد اقتحمها الهواء الشديد ، وسمعت للطر ينهمر كأنه أفواه اليازيب ، وكان البرق يلعب متعاقباً ، والرعد يقصف كأنما هو دوى المدافع في ميدان القتال

ورأيت سديقي داخلًا إلى الحجرة عقب ذلك

« كم أخذت أيها الخائن ثمنًا لحياتك ؟ أكنت تطمع أن تكون من الأشرار إذا أنت قتلتني ؟ أكنت تأمل أن تمتد بك العمر مائة عام بعد هذه الشيخوخة لتنتقم بنار خيانتك ؟ ذق إذن طعم السم الذي كنت قد أعددت له »

ثم اقترب منه وركله بركله وكلة عنيفة قلبته على الأرض فبدا وجهه المحترق المتقاص من الألم ، وكان منظرًا بشعًا فظيماً

وحاول الشيخ الكلام فلم يستطع إلا حروفًا مقطعة يذفها بين الألفات والآنات ، فلم أستطع أن أجمع منها إلا قوله :

« إني الآن على شفا القبر فلا أكذب ... خذ مني كلمة صدق أمام الله الذي سألتناه بمد قليل ... لم أدس لك السم بل قد دسه لك هذا للملوك الخائن الوافق وراءك ، فانه لم يقرب أحد من علية الدواء إلا هو ، ولقد لمحتة يقترّب منه وأنا أجهز عدتي ، ولكن القضاء غلب على فلم أظنن إلى قصده ... فاحذر هذا الفادر والله على قولي شهيد »

وما أتم الرجل كلامه حتى انقلب على بطنه ثم فارقه الحياة

ونظر الأمير نحو الملوك فلم يبعده ، إذ كان قد اختفى مسرعاً كالأرنب عند ما سمع كلام الشيخ فالتفت نحو الباب وصفق صائحاً وهو غاضب ، غير أن الصدى وحده هو الذي أجاب تصفيقه وصياحه ، وتبع ذلك صمت مثل صمت الصجر في الليلة الهادئة . ورأيت وجه الأمير قد اربد واتسعت جفنتاه وبدا عليه اضطراب عظيم ثم تمتم قائلاً :

« عجيب ! إني أحس حولي بنذر الشر »
ثم خطا نحو الباب محترساً ولم يكذب بيلانه حتى فتح فجاء ودوى في الحجرة انفجار عظيم ، وعلا

وهو فمصرع لهفان ينادى : « ماذا بك يا أخى ؟
لقد سمعتك تصيح صيحة منكورة ، أبك شر ؟
وكأننى كنت عند ذلك قد نسيت ذلك
الصديق ، فأكدت أراه حتى قتت أنقض من
الظوف ، ولم أطمئن حتى اقتربت منه - ولما
استطعت السلام سألته : « ما معنى هذا ؟
فقال : « لقد انتهيت من صورتي متأخرا »
فقلت : « آية صورة ؟ »
فقال : « لا بأس عليك . تعال اجلس . لقد
رأيتك ناعما فلم أحب أن أزعجك فذهبت للنوم فى
الحجرة المجاورة ، وكان المطر لا يسمح لنا بالخروج
على كل حال . ولكن لم أدرك فى مثل هذا
الاضطراب والازعاج ؟ »

فنفطرت إليه نظرة عتاب وقالت له :
لقد كانت ليلة لا أظن أننى سوف أرى مثلهما
فى سائر حياتى ، ثم جعلت أقص عليه ما رأيت
وأنا ألث من الاضطراب .
ولكن ذلك الصديق كان من أولئك
الشكاكين الجفأة الذين لا يرضون أن يصدقوا
شيئا ، فلما أتممت له قصتى تضاحك وقال :
« ليتك أخذتنى معك فى حلك المعجيب
لأشاركك فى هذه التسلية البديمة »
وأما أنا فلم أجيد ميلا إلى محاورته ، ولكنى
كنت فيما بعد لا أزوره فى محترفه إلا فى ضحوة
النهار الواضح
محمد فريد أبو حديد

كل من يريد الحج يجد

فى كل خطوة سلامة

من البيت إلى السويس طريق مرصوف وسكة حديد مريحة ، وفى السويس لوكاندة
مصر المشهورة بكل أسباب الراحة ، وفى البحر زمزم وكوثر وفيهما أبعد مافى
البواخر الضخمة من متاع . وفى أرض الحجاز الأمان الموفور والطرق الممهدة
والسيارات ، وفيها أيضاً لوكاندة مصر فى جده وفى مكة ، وفيها كذلك شئ جديد
لم يجده الحاج فى المواسم الماضية وهو تنظيم العملة المحلية حيث يجدون كل
عشرين ريالاً سعودياً بجنينه واحد ذهب سعراً ثابتاً

اعتزموا الحج واغتسموا مرة واحدة

واستزيدوا من فوائده للصحة والدين

من كل قلبه ، وبقدسها
من أحماق نفسه ؛
ولقد كان موتها هو
الصدمة الوحيدة التي
تلقها (نك) في حياته .
ثم قال أخيراً :

— إن زوجتي
يجب أن تكون ملة

بكل شيء ، عالة واجباتها جدها الم ، يجب أن تكون
مهذبة عاقلة ؛ يجب أن تكون سليمة الذوق حسنة
الاختيار تخضع لأمرى ، وتضاع رغبتى ، ولا تدلى
إلى رأيها إلا إذا سألتها ذلك . فقال صديقه (آلان)
وكان جالساً بالقرب منه في لمحظة التمكنية :

— الأفضل أن تكون صبيحة خرسلة ... ثم
استطرد (نك) كأن لم يسمع تهكم صديقه :

— يجب أن تكون جميلة الوجه باسمة الشفر ،
تبذل ما في وسعها لأسماعى ؛ وبالطبع يجب أن
تكون أيضاً متدبنة متواضعة ... فصاح آلان :

— مسكينة هذه الفتاة ! مسكينة هذه الفتاة !

— لقد أفرطت في الخمر أيها المجوز . لن
تكون مسكينة قط ، بل ستكون أسعد فتاة على
وجه البسيطة ... فقال كامبيرون :

— ليس هناك فتاة تجمع كل هذه الصفات
يا (نك) ؛ وأؤكد لك أنك لن تجد بفتيت بين فتيات
العالم ... اللهم إلا إذا أتيت بطفلة وريبتها كالحب ...

— أصبت يا صديقي ... هذا ما سأفعله !

— ماذا ! قالها كامبيرون في دهشة
— لقد فكرت في ذلك ملياً ، وأخيراً قر
عزى على أن أبحت عن طفلة يتيمه أنوسم فيها
الذكاء ، أرسلها إلى قصر سانت مارى لتنشأ في

المجهول رضائي

للطالبة الإنجليزية مريم كزى
بقلم الأديب أحمد فتحي حمدي

أيقن (نك كاتبور)
في ربيعته الثالث
والعشرين أنه لن يوفق
في اختيار زوجة سالحة
بعد أن رأى أصدقاءه
يلقون بأنفسهم في حوة
لا سبيل إلى النهوض
منها

قال مرة لصديقه كبيرون في ثورة من ثوراته
على الزواج :

— إن ذلك الزواج المصري لا يخرج عن
كونه موطاً محققاً — إن الرجل العاقل لا يمكنه
أن يقف مكتوف اليدين إزاء امرأة تعل عليه
إرادتها . إن هؤلاء النساء المصريات منسدمات
طاشات ... ولا أعلم لماذا يتهاقت الرجال ويرتمون
على أقدامهن أهلاً ضعفاء ؟ . فغمغم صديقه قائلاً :

— سيأتي دورك يا صديقي ، وسنرى أنك
أول من يتهاقت عليهن

— لن ترى ذلك في حياتك يا كبيرون
— هذا صحيح ولكن لا تنس يا صديقي
أنك رجل وهم رجال ؟ !

وأعقب ذلك برهة صامتة أطرق فيها (نك)
برأسه مفكراً . إنه لا يتقدم أنه مثل هؤلاء الرجال ...
إن كل أعماله وتصرفاته تدل على أنه مختلف عنهم
جد الاختلاف . لقد كان ممتازاً في جميع مراحل
عيشته وأدوار حياته . لقد كان أرزن منهم في
مدرسته ، وأذكى منهم في جامته ، وأعقل منهم
في ميدان حياته ، وأرعد منهم في عيشته المنزلية .
لقد كان ملكاً قصراً في سانت مارى بضاحية
شوشير يعيش فيه مع أمه الشقيقة التي كان يبدوها

في أفكاره إلى أن استرعى نظره فجأة طفلة تبكي بالقرب منه

لقد كانت تبكي لأنها — كما قالت — فقدت شريطها الأزرق في الحديقة . وقبل أن تنتهي من وصف الشريط والمكان الذي سقط فيه ... قال لك لنفسه :

— لقد وجدتہا ... لقد طفرت بها أخيراً كانت جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، لم يشوه رداء الملجأ الأصفر من جمالها الرائع . ولقد أصاب كاثور في شعرها الأصفر ، وفي عينيها الزرقاوين غابة مناه ... ما اسمها يا ترى ؟ ... « سالي كريجان » إنه اسم ظريف ، ولكم عمرها ؟ : ثلاث عشرة سنة . حسن ثم حسن ، أمامها الوقت السكافي لتتعلم ... وهل هي ذكية ؟ أراد أن يتأكد من ذلك فقال :

— أتعلمين هنا ؟

— نعم ؟ « قالتها في تهد عميق »

— وما الذي درست اليوم ؟

— لقد نسيت

وهنا أطرق كاثور في حزن ، ولكنه لم يكثف بهذا القدر من الأسئلة فقال :

— أتخفظين قواعد الرحمة السبع ؟

— نعم أحفظها ... ثم أخذت في عدها على أصابعها في توترة وتثبت مما أدخل في روعه أنها على جانب غير قليل من الذكاء ... ولكن ماذا عن الموسيقى والغناء ؟ أترأها تحبب الغناء ؟

أخذت تفتي أمامه أغنية الصيف ، فبدأ صوتها عذبا جميلا ، وغناها موقعا ملجئا كأنه غناء الببليل في هدأة السحر

— هذا جميل !

وجلس كاثور معه على مقعد خشبي في الحديقة ثم أخذ يحدها عن الطبيعة ، ثم عن قصره في

كنف عمتي (أليس) وتحت رعايتي النشأة التي أريدها . فقال آلان ضاحكا :

— إنني لم أسمع في حياتي بمثل هذه الفكرة . أنتمي أنك ستسجنها في قصرك في سانت ماري ؟ — كلا ... كلا ليس هذا ما أعني . لن تكون دائما في سانت ماري ؛ بل كثيرا ما سأرتاد وإياها مطالع الفن وودور الموسيقى حتى أذهب من طباعها وأدرك من ذوقها ، وأجمل منها تلك الفتاة التي تسعدني في حياتي . لن تتعلم شيئا لا أرغب فيه ، ولن تحظى بمعرفة شيء لا أريده لها . فقاطعه آلان هازئا

— كفى كفى يا صديقي ... أرجو أن تسمع لنا بالإصراف

مضى نك يبحث عن ضالته غير عابئ بهزم أصدقائه وسخرية الناس منه . ولكن أنى له أن يجد طفلة يتيمه ؟ لقد كانت الزريات ينظرون إليه نظرة شك وارتياب رغم تهاقنهن على من يتبنى هؤلاء الأطفال . ولقد نما مرة إلى سمه أن هناك امرأة في كدمنستر تأوي الأطفال اليتامى ، فأسرع إليها ظانا أنه سيعثر على ضالته اللشودة ، ولكن خاب ظنه فقد وجد أن أكبر الطفلات لا تتجاوز الخامسة من عمرها ، وهذا منناه أنه لن يتزوج حتى يبلغ الأربعين

واستأنف نك بحثه فلم يثبط الفشل المتواصل من عزمه ، ولم يكسر هزمه الأصدقاء من رغبته .. فقصده ذات يوم إلى ملجأ للأيتام في الضواحي بمد أن قدمه صديق له إلى مديرة الملجأ ، ودعته هيذه بدورها لزيارتها ؛ فلما وصل إلى الملجأ جلس ينتظرها في الحديقة ... وكان المكان جميلا ، والحديقة رائعة التنسيق على الرغم من بساطتها . جلس نك يسبح

صغيرة من الزجاج مثبتة في أعلى البناء ، فغمغم قائلاً :
— أظن أنه ليس هناك من يستطيع أن يتسلق
هذا السور وهذا الزجاج منشور عليه ، فملت وجهها
غمامة من الحزن ، وأخيراً قالت في سرعة :

— إذن دعنا نذهب الى سانت ماري ... إنني
لا أعتقد عقابهن !

— يجب أن نستأذن المديرية أولاً يا عزيزتي
— إنها ان تدعني أذهب معك قط قبل أن

تكتب الى والدي والدي والدي

— الى من ؟ قالها في دهشة

— الى والدي والدي ... وهناك أسابيع

طويلة قبل أن يصل الرد

— ماذا ؟ ماذا ؟ ألك والد والدة ؟ ... إذن

لست بتيعة !

— كلا ... أ كنت تعتقد ذلك ؟

— بالطبع كنت أعتقد ذلك ! ... وماذا

تفعلين في ذلك اللجأ ؟

— هذا غريب ! أَدعو للدرسة ملجأ ؟

— لست إذن بفقيرة ؟ فرفعت وجهها في

كبرياء ثم قالت :

— فقيرة ! إنني خامسة أغنياء العالم — إن

والدي تيدور كيريجان اللّزى الأسيرى المعروف ...

قالت ذلك في غضب مما جعله يغمغم معتذراً في طريقه

الى الباب ... حقاً لقد قرأ أن اللّزى الأسيرى

كيريجان أرسل وحيدته الى إحدى مدارس إنجلترا

خوفاً عليها من رجال المخابرات في أمريكا ... وهنا

أدرك كاثيور خطأه ، فقد دخل هذه المدرسة

ظاناً منه أنها اللجأ الذى يقصده

مضت بعد ذلك فترة من الزمن خلا فيها الى

نفسه وانقطع عن العالم ، وجنا أصدقاءه ولا أومئوه

سانت ماري ، وعن جبال موقعه ، وعن ذلك النهر
الذهبي الذى يجرى من خلفه ، وعن روعة ما يحيط
به من الحدائق وما يتخللها من زمر رائحة الأفواف
وما يكتنفها من مناظر الطبيعة التى تسحر الميول
وتبهر النفوس

وأخيراً بعد هذا التمهيد الطويل سألها في هدوء
عما إذا كانت ترغب في الذهاب لتقيم معه في
سانت ماري . ولقد رأى نفسه متسرعاً في
توجيه هذا السؤال قبل أن يقابل مديرة اللجأ
ولكنه كان مشوقاً الى معرفة رأى فتاته الصغيرة .
فسأته وقد بدت الدهشة في عينها :

— أقيم وحيدتين في ذلك القصر الكبير ؟

— هناك أيضاً عمتى أليس ، وستجيك كثيرأ

— إنني لا أحب العات . لقد كانت لي عمة

كثيرأ ما كانت تضربني على أذني . وفي تلك

اللحظة طرق سمعها رنين الناقوس ، فقفزت

الصغيرة في خوف قائلة :

— لقد انتهى الدرس وستخرج الربيات

فيجدنني هنا ويعاقبنني ... إنه ليس مسموحاً لنا

بدخول الحديقة .. وأسمرت الى الباب الصغير

الذى يصل الحديقة بملب الأطفال ، ولكنه كان

موصداً .. فصاحت في خوف :

— ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل الآن ؟ لقد كان هذا

الباب مفتوحاً منذ هنية ... لماذا استيقظتني

بجائتي ؟

— لا تخاف يا عزيزتي ... لن أدعك تماقنين .

سأقول لمن إني استيقظتك

— كلا كلا ... يجب أن تساعدني على أن

أنتسلي الحائط الى اللعب ... هيا أسرع ! أسرع !

وأشارت الى حجر كبير مثبت في جانب

الحائط فصعد طائفاً ، ولكنه أبصر فوق السور قطعاً

تلمل كامرون في جلسته ، وصرا آلان يديه على جبهته ، ثم وقفوا جميعا عندما بلغت نهاية الدرج وأخذ كايثور يدها وعلى نغره ابتسامة غر ونصر وقدسها الى صديقيه باسم « أسترا » ثم أخبرهما على المائدة أنها تنتمي إلى قبيلة نوريه وأن جداه وبه إياها منذ سبع سنوات ؛ ثم قال :

— وبالطبع كنت لا تعرف إذ ذاك كلمة الإنجليزية ، وقد كان هذا جيكا ، فقد أتاح لي فرصة تنقيفها بكل ما أحب ، وأظن أنها تتكلمها الآن كاحدى بنات إنجلترا

— بل أكثر من ذلك ... إنها تتكلم الآن أربع لغات أوربية ، فضلا عن أنها تعرف قليلا من اليونانية ، وشيثا من اللاتينية . ولقد أبحث لها فرصة الاطلاع على زبدة الأدب الأوربي ، وخلاصة الأدب الشرقى . وأعقب ذلك برهة من الصمت ثم قال :

— إن لها ذوقا حسنا في الاختيار ، وبالرغم من قرب مهدها بالموسيقى يجيد العزف على البيانو والقيثار . وسنسمعها سويا بعد الغداء

وانتقلوا بعد تناول الغداء إلى غرفة الموسيقى حيث أسمعهم قطعة على القيثارة ، ثم أخذت تنغى لهم أغنية نورية ، فبدت في نبراتها مسحة من الحشونة ، ولاح في صوتهائى من الجفاء ، وغلب على وجهها طابع الجلود الحسى ، ورائت على النرفة هدأة عميقة ، والكل يصغون كأنهم تحت حلم مزيج لا سبيل إلى الخلاص منه . والحقيقة أنها كانت جلسة عمل للصديقين

ولما أقبل الليل وآوت أسترا إلى مخدعها خلا كايثور إلى صديقيه يستطلع رأيهما ... أما كامرون فخاف أن يصدم صديقه وعظم بكلمات التهنته ، وأما آلان فقال :

من هزة ومسخرة ؛ إلا أنه بعد ستة أشهر من ذلك جرت على السنة أسدقائه لإشاعة مؤداه أن كايثور عثر على الفتاة التي يرجوها في مقاطعة بروفس ، وأحضرها معه إلى إنجلترا ... ثم تفرق أسدقاؤه بهد ذلك ، فسافركيرون إلى كينيا ورحل آلان إلى استراليا ، ثم انقضت سبع سنوات قبل أن يسمع أحدهما شيئا عن كايثور ؛ ولكن شاء القدر أن يجتمعا به بعد هذا العمر الطويل فعادا إلى إنجلترا سويا ، وما علم كايثور بذلك حتى كتب اليهما يسألها زيارته في سانت مارى بعد هذا الغياب الطويل ، ليجدوا عهد الشباب الزاهر ، وليستعيدوا ذكريات الماضى السعيد ؛ فليبا طلبة وبها أشد ما يكونان شوقا لزيئته ، وتشوقا لمعرفة ما صنمه طوال هذه الفترة تلقتهما حمته (أليس) على باب القصر في بشر وترحيب ، فلما دخلاه أخذوا يجولان بينهما في نواحيه ، وبرسلان بصرهما في أرجائه وأبهائه ليريا ما عساه قد جد ... ولكن كل شىء كان على ما هو عليه من قبل ، حتى الزهور الصناعية الموضوعة على المائدة كانت هي بينهما التى اعتادت والدته كايثور أن تضعها قبل موتها

ولما جلسوا إلى المائدة أثار دهشتها أنها معدة لخسة أشخاص ! إن هذا المقعد الخامس ياترى ؟ أهنالك ضيف ثالث . . . ولماذا يتلفت كايثور حوله كأنما يتوقع حضور أحد ؟

وأخيرا بعد برهة من الحيرة والتساؤل وقع نظرها عليها وهى تهبط الدرج ... لقد كانت طويلة كشجرة الجور ، سوداء كطلام الغابة ، ضيقة الدنين يشع منهما برق خفيف ، بارزة الخدين صغيرة الأسمتان من غير تناسق ولا توافق ... وبالجملة لم تكن الإنجليزية الخلقة — من أين أتى بها بارتى ؟ أمى أسبانية ؟ أم هى من الشرق ؟

ولم يطق كايثور أكثر من ذلك ، فقطع النقاش واستدار مولياً وجهه شطر الباب ... لقد كان على وشك أن يعين موعده زواجه قبل أن يزوره صديقه .

حقاً إنه لم يحدث استرا في هذا الشأن ، ولكنه يعلم جيداً العلم أنها تجاربه في رغبته . أما سمته (أليس) فقد رأى منها أنها لا تنظر إلى هذا الزواج بعين الرضا وإن لم تصارحه بذلك . وأما صدقائه فهم يمارضونه أشد المارضة . ماذا يفعل يا ترى ؟ جلس يفكر ويفكر عله يستقر على رأى ، أو يثبت على عزمه ، ولكن بدون جدوى ... ولجأه أفاق من تفكيره العميق فقد وقع نظره على فتاة في الحديقة أثارته دهشته ... أبصرها خلال نافذة المكتبة وكانت عارية الرأس ، شقراء الشعر ، ذات ثوب أزرق قصير ، ورأها تجمع ثمار التوت من الحديقة آمنة مطمئنة كأن ليس للحديقة من يملكها .

قام بهتباك وزل إلى الحديقة مسرعاً ثم صاح بها :
— ماذا تملين يا هذه ؟

ولكنها بدل أن تجفل منه كما كان يتوقع استدارت إليه في ثؤدة وقالت :

— أهذا أنت يا وخيل إليه أنه يعرف ذلك الوجه . وجعل يفكر أين رآه من قبل ... ولكنها قطعت عليه جيل تفكيره قائلة :

— إنك لم تحدثني عن هذا التوت اللذيذ ، لقد حدثتني فقط عن القصر والحديقة وعن النهر ، وأؤكد لك أنك لو حدثتني لأدعيت أنني يتيمة وصحبتيك إلى هنا

— أهذه ... أهذه أنت يا سالى ؟

— لا تنقل إنك لا تعرفني ، إن وجهك لم يتغير

— وأظن أن وجهك أيضاً لم يتغير كثيراً

— لقد كنت أفكر في زيارتك طوال هذه السنين ، أفسكنت تفكر في ؟

— والله ما أدري أى شيء فيها أثار إعجابك فجملك تملها اليونانية واللاتينية و... ثم أردف متمكناً كعادته :

— لعلها كانت جميلة عندما عثر عليها !
وبدا الغضب في وجه كايثور ولكن آلان لم يعبأ به ومضى متابعاً كلامه :

— هل ... هل ستزوجها ؟ ... وأعقب ذلك فترة من الصمت ثم أجاب كايثور في تردد

— بالطبع هذه رغبتي منذ أنيت بها
— وهل هي تعلم ذلك ... أعنى هل فاتحتها في هذا الشأن ؟

— لقد شئت وهي تعلم ذلك ولم يبق إلا أن نحدد الموعد

— بالتدخل ... وإذا كان كاميرون قد خشي أن بدلي برأيه في أول الأمر فإن صراحة آلان مع كايثور شجسته على ذلك فتدخل في الحديث ، وظل النقاش قائماً بينهم إلى وقت متأخر من الليل

وفي صباح اليوم التالي كان الحزن بادياً على وجه كايثور . كان يشعر بأن آماله تحطمت وأن جهوده ذهبت أدراج الرياح ، ولم يمض طويل من الوقت حتى اضطدم بالان للمرة الثانية ... فنار آلان قائلاً :

— إنها جافة الطابع ... وأظن أن الأفضل أن تتركها تحض لسبيلها . إن كل ما لفتته إياها لم يهذب من طابعها ... إنك تمتقد أنك تحبها ، ولكن لا أظنك تحبها إلا كما يحب الفنان ما أبدعت يده

— إنك تهذى أيها الرجل ولا تفهم ما تتكلم عنه !

— بل أفهمه كل الفهم ... إنك لا تعرف إلى الآن ما هي حقيقة الحب

- وأعقب ذلك فترة من الصمت ... والحقيقة أنها لم تخطر على باله ؛ ولكنه لم يشأ أن يقول لها ذلك . فقال :
- بالطبع يا سالي ... كنت أفكر أفيك ... ولكن ما الذي جعلك تذكرين زياتي الآن ؟
- إنني لم أكن في إنجلترا بعد أن تركت المدرسة .
- وأين كنت إذن ؟
- في الخارج ... وقد راق لنا أن تقوم برحلة هذا الصيف في ربوع إنجلترا ... فلما بلغنا (لادللو) مساء أمس وجدت قصر سانت ماري على الخريطة فقصدت توأ إلى هنا
- راق لنا ؟ ... راق لمن ؟
- توأ التي ووالذي ... إنني لست بتيمة بعد ... أين النهر الذي حدثتني عنه ؟
- فقال شيراز إلى ما وراء القصر ، في هذه الجهة ... أترغبين في رؤيته ؟
- أجل ... أعطني قبعتك فان الشمس شديدة الحرارة
- ففعل طائفاً ؛ وسارت معه في صمت ... ورغم أنه لم يرها إلا مرة واحدة من قبل فقد كان يشمر نحوها شموخاً خفياً مخالفاً جد المخالفة لذلك الذي يشمر به نحو أسترا ... ولم يساوره مثل هذا الشعور من قبل إلا عندما كان جالسا بجانب سالي في حديقة المدرسة ، قال :
- ولكن حدثتني كيف قضيت هذه السنين الطويلة ؟
- فأخذت تسرد عليه ما زارته من البلدان ، وما طافت به من الممالك ، إلى أن قالت أخيراً — وماذا عنك ؟ ... ألم تتزوج بعد ؟
- كلا ... نعم نعم إنني ... قاطعته
- يحيل إلى أنك غير متأكد من ذلك
- إن الأمر لم ينته بعد ... ولكنه في حكم المنتهي
- ألم تخاطبها في ذلك ؟
- كلا ... أهي نعم لقد ... ولكنها قاطعته وهي تشير بيدها جهة البين :
- ما هذه البوابة الجميلة ... دعنا نمر منها ولم يتكلم كايثور وهو يفتح لها البوابة ، ولكنها عادت تقول :
- يجب أن تحدثني عنها — أهي يتيمة ؟
- يلوح لي أنك شديد العطف على اليتامى
- وجمل كايثور يحدثها عن أسترا إلى أن قالت أخيراً :
- وهل هي موافقة على هذا الزواج ؟
- بالطبع إنها موافقة عليه
- إذن لماذا لم ينته الأمر بعد ؟
- إن أصدقائي يمارضون في ذلك
- إذن هذا هو السبب ... ثم قالت وهي تنظر في ساعتها :
- أظن أنه آن لي أن أعود ... ودارا على عقبهما وسارا تجاه الباب دون أن يلتفتا أحدهما باكمة واحدة ؛ وكانت سيارتها واقفة في جانب الطريق ، وكانت مظهرها يدل على أنها حقاً خامسة أغنياء العالم ، قالت :
- لماذا لا تأتي لزيارتنا في لادللو
- وقبل أن يقدر كايثور معنى ما نطق به قال :
- الأفضل ألا أقبل . ولكنها قالت في سررة :
- إننا في فندق « الثلاث ريشات »
- ثم انطلقت السيارة كالهم الماروق . وهنا فقط

أدرك كاشور أنه نسي قيمته

جلست السيدة كريجيات في فندق الثلاث ريشات تنتظر ابنتها في شيء من القلق ، فقد كانت تخشى عليها من قيادة السيارة بنفسها . وأخيراً هتفت في سرور :

— شكرًا لله ... فقد رأيت سالي وهي مقبلة عليها من أعلى الدرج
— من أى مكان في العالم أتيت بهذه القبعة يا سالي ؟

— إنها قيمته

— إذن لقد قابله

— نعم لقد قابله . وأخذت تقص على أمها كل شيء ، فقد كانت لا تخفى عنها خبراً ثم قالت أخيراً :

— إنني أشعر بميل غريب إليه . ولا أعلم لماذا يملك على مشاعري

— ولكن ما الفائدة ما دام سيترزوج من هذه الفتاة التي تدعى ... ما اسمها ؟

— استرا ... ولكن لا يمكن أن أصدق ذلك ... لقد رأيتهما في الحديقة قبل أن أقابله بمحادثة رجلاً ذا قيص أزرق وتمذه بالزواج وقد عرفتها بعد ذلك من وصف كاشور ، أما الرجل فلم أتبين وجهه وفي صباح اليوم التالي ظهر كاشور في فندق « الثلاث ريشات » ... لقد قال إنه جاء ليسترد قيمته .. وكان الحزن بادياً على وجهه . ولما سألتها سالي عن السبب لم يحاول أن يكتمه عنها ... والحقيقة أنه كان في حاجة إلى قلب يعطف عليه ... وقد وجدته في سالي . قال لها في حزن :

— لقد حطمت استرا اليوم كل ما بنيت من

الآمال ... على رغم كل ما بذلته في سبيل تنقيتها ، ورغم كل ما نحيت به في سبيل إسماعها ، تريد اليوم أن تتزوج من رجل آخر يدعى توبنج وبدأ في نبراته شيء من الألم الدهني ، ولاح في صوته ما يخالجه من الحزن واليأس ، وظهر في عينيه ما تكتنهما من الدموع ... إنه ليدبو اليأس حقاً أن يقضى حياته في تثقيب فتاة وتهذيبها وإعدادها لتكون زوجة لرجل آخر ... أخذت سالي تسرى عنه وتخف من وطأة حزنه ، ومن حدة ثورته ، ثم اقترحت أن يخرجوا في زهرة قصيرة ولكن إلى أين يأتى ؟ ... قال كاشور :

— أشاهدت قلعة لندلاو الأثرية ؟

— أنسى ذلك البناء القائم في خارج المدينة ؟

حسن ... انتظري حتى أحضر قيمتي ...

وخرجت سالي ولكنها لم تسرع بإحضار القبعة ؛ بل صمدت متباطئة وأخذت تلم أطرافها في تكاسل ، ثم أبدلت ثوبها ، وأكثت خطاباً لها ، وجلست صامتة ، وقد بدأ السرور في عينها ... وأخيراً أقبلت عليها أمها تقول :

— إن صديقك في انتظارك أكثر من ساعة يا سالي ... إنك قاسية في معاملته

— ولكنني سأتروجه

— أحقاً ما تقولين ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها فرأت الجواب في عينها ، فضمتها إلى صدرها وقبلتها قبله حارة طويلة ... حقاً إن كاشور غير جدير بزواج خامسة أغنياء العالم ، ولكن أسرة كريجيان كانت من الديموقراطية بحيث لم تكن تبحث عن الجاه والمال ، بل كانت تبحث عن سمادة بناتها

أحمد فني ميسى

مقدمة المؤلف :

لا بد للذات
الكبيرة من مساح،
وللشعوب الفاسدة من
قصص. ولقد شاهدت
أخلاق عصرى ثم
قدمت هذه الرسائل
إلى النشر؛ وليتني
عشت في مصر تحملى
آدابه على أن أقدمها
إلى النار!

مجلد اول

أو

هيلويزا الجديدة

لجان هياك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

أنت وصف الأمكنة
قد ناله التحريف البالغ
في مواضع كثيرة، إما
لأن الكاتب يريد أن
يخدع القارئ، وإما
لأن الواصف لا يعرف
أكثر من ذلك
ذلك كل ما أريد
أن أقوله؛ ولكل
امسى أن يفهم الأسر
على ما يشاء

لم يوضع هذا الكتاب ليسير في الناس لأنه
لا يرضى إلا القليل منهم؛ فالتأديون من أهل الذوق
سينفرون من أسلوبه؛ والمتزمتون من ذوى الوقار
سيفزعون من موضوعه؛ والذين لا يمتدحون بالفضيلة
سيرون ما فيه من العواطف خارجاً عن الطبيعة.
سيستخط التبر والفاجر والفيلسوف، وسيؤذى
شعور الفتاة اللعوب، ويسوء كرامة المرأة الصالحة؛
فليت شعري من يرضى إذن؟ لعله لا يرضى سوى؛
ولكن الحق أن السخط عليه لن يقف عند حدود الوسط
إذا أمضيت التبة على قراءة هذه الرسائل فادّرع
بالصبر على ما تجد فيها من أخطاء الله، وشقشة
الأسلوب، ووضع الفكرة للطروقة في العبارة المنمقة
قل لنفسك قبل أن تقرأ: إن الذين كتبوها لم يكونوا
فرنسيين ولا عبقريين ولا أكاديميين ولا فلاسفة؛
وإنهم بين ريفي وأجنبي وأليف غزلة وحديث سن.
وكلمهم أشبه بالأطفال الذين تصور لهم خيالاتهم الشاعرة
أن من الفلسفة ما يهذبون به من رياء الحديث
لم أخشى أن أجهر بما في نفسي؛ إن هذا

أنا - وإن كنت أهل هنا لقب الناشر - قد
عملت بيدي في هذا الكتاب فلا أضمر نفسي
فيه. فهل صنعته كله؟ وهل هذه الرسائل بأسرها
من نسج الخيال؟ ماذا يهمكم من هذا أيها الناس؟
إنها عندهم ولا ريب حديث مغترى
كل امسى حر الحلال يجب عليه أن يعترف
بما ينشر من الكتب؛ فأنما أضع اسمي على رأس
هذا الكتاب لا لأسجل ملكيته، ولكن لأتحمل
تبتمته. فإذا كان فيه شرفاً لم مرجحه وعلى إيمه، وإن
كان فيه خير فلا أبني من ورائه شرفاً ولا نباهة
إذا كان هذا الكتاب كتاب سوء فأنما يجبر
على استلحاقه والاعتراف به. ذلك لأنى لأحب
أن أظهر في عيون الناس خيراً مما أنا عليه في الواقع.
أما حقيقة الوقائع التي تدور عليها حوادث
القصة، فأصرح بأن ذهبت مراراً إلى بلد
الماشقين فلم يزد على سمي ذكرى للبارون ديتانج
ولا لابنته، ولا للسادة دى وارب، واللورد إدوار
بومستون، ودى ولار. كذلك أنبه القارئ إلى

الجزء الأول

الرسالة الأولى

الى جوبيا

أشعر كل الشعور أن لا مناص يا أنسى من
الحرب منك . ولقد كان من اللازم أن أنتظر أقل
مما انتظرت ، أو بالحزى كان ينبغي ألا أراك قط .
ولكن ما العمل اليوم وكيف الخلاص ؟ لقد
وعدتني الصداقة ؛ فانتظرت إلى اضطراري ، وفكرت
في حقيقة ما بي ، ثم أشيرى على

تعليم أنى لم أدخل بيتكم إلا عن دعوة من
السيدة والدتك . علمت أنى تقفست بعض مواهي

ثقافة محمودة ، فأت من المفيد في بلد يموره
المعلون أن تستخدم هذه المواهب في تربية ابنتها
التي تميدها . وأنا بدورى قد زعاني أن أزين هذا
الجمال الطبيعى البالغ ببعض الأزهار ، فخرت على
أن أتهد بهذه العناية المخطرة دون أن أنسل النظر
إلى ما فيها من الخطر ، أو على الأقل دون أن أقف
من خطرهما على حذر . لن أقول لك إنى بدأت أودى
نمن جرائى ؛ فانى أمل ألا أذهل عن واجبي فأقتل
عليك بمحدث لا يلبق بسمك ولا يلتئم مع طبيعتك ،
وأن أقصر عن الاحترام الذى يجب لخلقك وكلاك .
كتر مما يجب لمحدثك وجمالك . أنا إذا تأملت
فمزاني على الأقل أنى أتأمل وحدى . لا أريد سعادة
تشكلها سعادتك

على أنى مع ذلك أراك كل يوم ، وأشعر أنك
من غير قصد ولا فكر تضاعفين ألاماً لا تستطيعين
أن تشككيها ، ولا ينبغي لك أن تعلمها
من الحق أنى أعلم الرأى الذى تلمه الفطنة في
مثل هذه الحال لا الأمل ؛ ولو استطعت أن أوفى

الكتاب على لهجته النوطية أقرب إلى فجع النساء
من كتب الفلاسفة . بل لعله يفيد أولئك اللاتي
لا ذلن يحتفظن بأثارة من حب الصلاح والزراعة
ومن يمين حياتهن المضطربة للهووسة . أما أثره
في الفتيات فذلك أمر آخر ، إن الفتاة المغيفة
لم تقرأ قصة قط ؛ ولقد وضعت لهذه القصة عنواناً
بنبه القارىء وهو يفتحه إلى طبيعة الكتاب
الذى يريد أن يقرأه . فالفتاة التي تجرؤ على أن تقرأ
منه صفحة واحدة على الرغم من هذا العنوان هي
فتاة خاسرة . وليس لها أن تمزق خسارتها إلى هذا
الكتاب ، فإن الداء قد خاسرها من قبله . فن بدأت
منهن القراءة فلتنمها ؛ فليس بعد ذلك في نفسها
ما تحضره ، ولا في هذا الكتاب ما تحضره

إن الزاهد المتحدث إذا قرأ الجزء الأول من
هذا الكتاب فامتعض ثم رماه وانفجر بالحق
على فائره ، لا أعيب إسرانه ولا أشكو ظلمه ؛
ولو كنت مكانه لما فعلت غير ذلك . ولكنه إذا
قرأه كله ثم جرؤ بعد ذلك أن يعادلى على نشره ، فليقل
ذلك - إن شاء - لكل ذى سمع من الناس
ما عادى ؛ فانى لا أستطيع أن أجمل نفسى على احترام
مثل هذا الرجل

أذهبوا أيها الكرام الذين أحببت العيش فيهم
وحدت الخلاطهم أنتم أيها الذين واسوئى على سبائب
النمام وشتامم الفجرة ؛ أذهبوا بعيداً فاجثوا عن
أمثالكم . فروا من المدن قلن يحدوم فيها . أذهبوا
إلى الخلاوات البواضمة فأكسوا زوجين خلسين تتوق
بينهمما وينتكم الألفة ، ورجلاً ساذجا حساساً يجد
في طبعه الليل لما أنتم عليه ، ومنزلاً عن الناس مثيرما
بالعالم يلوسكم على أخطائكم وسخطاكم ثم يقول مع
ذلك في حنان وعطف : « هذه هي النفوس التي
لا بد منها لنفسى ! »

أنا أسلم بأن المرء يستطيع أن يتخيلك أدوع
جلاً من جلالك ، ولكن من الحال أن يتخيلك
أجدر بالحب وأخلق بالرجل الفاضل مما أنت عليه
أجرؤ أحياناً على أن أزعم وأزعم بأن الله
جمل بين حسينا وذوقينا وعمرنا مطابقة خفية .
فنحن ما نزال في زهرة الصبي ، فيقول الطبيعة فينا
لا تتغير ، وأهواؤنا لا يبعد أن تتفق

لقد رأينا قبل أن نكتسب الرى الوحيد العتيق
للعالم أن لنا طريقة واحدة في الحس والنظر ، فلم
لا أجرؤ على أن تخيل أن ذلك الانسجام الذى أراه
بين أحكامنا هو بين قلوبنا كذلك ؟ إن من نظراتنا
أحياناً ما يتلاق ، وإن من زفرائنا ما يصدف في وقت
واحد ، وإن من عبرتنا المواربة ...

آه يا جوليا ! لو أن هذا التوافق صادر عن
بعيد .. لو أن الله سخر لنا .. جميع القوة البشرية ..
آه عفواً ! لقد ضللت لحسبت رغائى آمالاً . إن
حرارة رغبائى أطارت موضوعها الأمكان الذى يعوزه
إلى أبصر في خيفة ورعب ما يتأهب له قلبى
من العذاب والألم . لا أحاول أن أعلق ألى ؛ ولو كان
في وسى أن أكرمه لكرهته . احكى على عواطفى
إن كانت نقية أو مشوبة بنوع العفو الذى طلبته
منك . أغضى إذا استطعت منبع الدم الذى يحمى
وعيتى ، فلا أبغى غير أن أحيأ أو أن أموت
أنا أضرع إلى قسوتك كما يضرع عاشق
إلى رجنك

أجل لقد وعدت . وأقسم لأبذل الجهد الجهد
في استرجاع ما عذب من عقلى ، وترسيب هذا الرق
الوليد في قرارة نفسى . ولكن رجاءى حولى
عن هذه المين الوديمة التى تشع على الموت .
واسترى عن عيني قسبانك وحركاتك وهيبتك
وذراعيك ويديك وشعرك الأشقر . اخدعى غباوة

في هذه الفرصة بين الفطنة وبين الاعتبار المناسب
لحلت نفسى على اتخاذها ؛ ولكن كيف أجدر الوجه
الوجيه لأن أترك بيتاً ربته هى نفسها التى فتحت
لى فناءه ، وأعدت على آلاءه ، ورأت فى بعض
القضاء لأعز شىء عليها فى العالم ؟ كيف أحرم
ذلك الأم الحنون سرورها بأنت فتجاً زوجها
ذات يوم بتقدمك فى الدروس ، وهى إنما أخفت
عنه خبره لهذه الغاية ؟ أبنين أن أفارقها على هذا
الوجه . الرذول دون أن أقول لها شيئاً ؟ أوجب
أن أصرح لها بموضوع اعتزالى ؟ أليس فى هذا
التصریح نفسه إهانة لها من رجل لا يميز له مقام
أسرته ولا طبيعة ثروته أن يعقد أسباب رجائه بك ؟
أمالأ أرى يا آنسى غير وسيلة واحدة للخروج

من المأزق الذى أنا فيه . تلك الوسيلة هى أن البد
الى القننى فيه تنتشلى منه . ليأتنى من قبلك
العذاب كما يأتنى الخطأ . فأشعري قلبك الرحمة لى
واحظرى على الوجود فى محضرك . أطللى أهلك على
كتابى . أغلق بابك من دونى . اطردىنى على الوجه
الذى يحبب ، فافى أحتمل كل شىء ولا أستطيع
من تلقاء نفسى الفرار منك

أنت ، تطردىنى أنا ، أهرب منك !
ولماذا ؟ أمن الاجرام أن يكون المرء حساساً
بالفضل ، وأن يحب ما يجب على كل امرئ أن
يحبه ؟ لا يا جوليا ! إن جاذبيتك بهرت عيني ،
وما كانت لتزبغ قلبى لولا الجاذبية الأقوى التى
تحببها وتدكها ؛ تلك الجاذبية هى اجتماع
الحساسة القوة بالمذوبة الصافية ؛ هى ذلك الزمأ
الحنون لآلام الناس ؛ هى ذلك الذهن المستقيم وذلك
البوق السلم اللذان يستمدان فناءهما من فناء
النفس ؛ هى على الجملة سحر العواطف ، وهو أقوى
من سحر الشخص ، وذلك ما أعبدته فيك

درس لولا فطنتك وحكمتك لما استطعت أن تتبنيه .
 كذلك هذا التفاوت الذي تسكفني في طبيعك
 ومظهرك يتقلب مضرة على "وعليك . إنك تؤذي
 بهذا القلب ، ثم لا أستطيع أن أتصور الباعث
 الذي يخرجك عما عهدت فيك من رصانة العقل .
 هل لي أن أسألك لماذا تكونين لموبا مرحلة في
 الجمع ، ووقورة عتشة في الخلوة ؟ لقد كنت أرى
 أن الأمر يجب أن يسير على النقيض ، وأنت لا بد
 تصورين قسما وجهك على نسبة عدد الحضور ؟
 ولكني أراك بدل أن تعلى ذلك تعامليني على حال
 مطردة من التردد والاضطراب ، فتصطنعين اللجة
 المتكلفة بيني وبينك ، واللهجة المنبسطة بيننا وبين
 الناس . ساوي بيني وبين غيري في حديثك
 ووجهك ، فلي بذلك أكون أخف أنا وأقل لومة
 إذا كانت الرحمة الطبيعية التي آثر الله بها
 النفوس النسيية الحرة تطف قلبك على شقاء
 هذا البائس الذي تظهرن له بعض النجلة ، فان بعض
 التغير في معاملتك إياه يخفف من ثقل مصابه ،
 ويمنه على احتمال صمته وعذابه . وإذا كانت
 حصانة صدره وحرج أمره لا يلفنان موضع الرأفة
 من نفسك فتريدن أن تتوسلي بالحق إلى إهلاكه ،
 فانك تستطعين أن تفعلين ولن يجده إلا ساربا
 لا يشكو ، وساكنا لا يئن ؛ انه يؤثر أن يهلك
 أمره ، على أن يهلكه فودة طائشة تجمله أنما في
 نظرك . وآخر القول إن لك أن تحكي في أمري
 وتصرفي في مصري ، ولي أن أقول إني واضح وجه
 المدبر في أن أرتب في نفسي هذا الأمل الجريء ؛
 وإذا قرأت هذه الرسالة فقد فلت كل ما أريد أن
 أطلبه منك ؛ على أنني لم أطلب شيئا يجوز عليه
 الرفض حتى أخشاه
 (يتبع) (الزيت)

نظرت في الرغبة . احبسي ذلك الصوت الأخاذ بالقلب
 فلا يسمعه سامع حتى يتأثر . كوني مخلوقة أخرى
 ليستطيع قلبي أن يبقني إلى نفسه
 أقولها لك من غير موارد ؟ إنك في الألباب
 التي يقتضيها فراغ الأمسية ، ترسلين نفسك أمام
 جميع الناس على ألفمة شديدة الأثر على النفس ،
 فلا تكونين ممي أشد احتشاما واحتياطاً منك مع
 غيري . أقرب الأيام أمس ؛ كنت على وشك أن
 تتمنني أن أبقاك عقاباً على مخالفة النظام في اللعب ،
 فقاومت مقاومة خفيفة ضميعة ، ولكنني لحسن
 الحظ تحاشيت أن أمر . ثم أدركت أن اضطرابي
 الذي كان يزيد ويزيد سيؤشفي في علي المسادة
 فأمسكت عن اللعب . آه لو كنت استطعت على
 الأقل أن أستمتع بهذه القبلة على هواي ! إذن
 لكانت آخر أنفاسي وأنت وأنا أسعد الناس !
 ناشدتك الله إلا ما تركت هذه الألباب ،
 فقد تكون لها عواقب وخيمة . كلا يا جوليا ، كل
 إنسان له خطره : من الخطر الذي لا حيلة فيه إلى
 الخطر الذي لا وزن له . إني اضطرب كلما است
 يدني في اللعب يدك . ولا أدري كيف يتفق أن
 ألقاها دائماً ؟ فلم تكذ تقع على يدى حتى تستقلني
 رعدة ويمرتني ذلول . إن اللعب يعني بالحي ،
 أو بالحرى يصيبني بالهذيان ؛ فأنا لا أبصر ولا أشعر ،
 وفي هذه اللحظة الخيولة لا أدري ماذا أقول
 ولا كيف أقول ولا أن أخفق !
 وفي ساعة القراءة أجد ضرراً آخر : إذا رأيتك
 لحظة من غير أمك أو ابنة عمك تكسرت معارف
 وجهك فجأة ؛ ثم اتخذت هيئة الجد وامطمنت
 لهجة الفتور حتى يسلبني احتراي إليك ، وخوفي
 من عدم رضاك ، حضور البديهة وقوة الحكم ،
 فأغمرني في اضطراب ومشقة يعمض الكلمات من



يَوْمِيَّ إِنَّا فِي الْإِرْيَافِ لِلْأَمْتَادِ تَوْفِيقَ الْحَكِيمِ

« لماذا أدون حياتي في يوميات ؟ لأنها حياة
هنية ؟ كلا ! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يموتها ،
إنما يحياها . إن أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة .
لأنها رفيق وزوجي أطالع وجهها في كل يوم ، ولا
أستطيع أن أسأدها على أفراد . هنا في هذه اليوميات
أملك الكلام عنها ، وعن نفسي ، وعن السمكيات
جيدا . أنها الصفحات التي لن تنقر ! ما أنت إلا
نافذة مفتوحة أطلق منها حريق في ساعات الضيق ! »

١١ أكتوبر سنة . .

أويت إلى فراشي البارحة مبكرا ؛ فلقد شعرت
بالتهاب الحلق ، وهو مرض يزورني الآن من حين
إلى حين . فقصبت على رقتي خرقة من الصوف ،
وعمرت بقطع من الجبن اللين المتيق مصائد الفيراث
الثلاث ، ونصبتها حول سريري كما تنصب الألقام
الواقعة حول سفينة من سفن الصليب الأحمر ،
وأطفأت مصباح النفط وأغمضت عيني وأنا أسأل
الله أن ينم الغرائز البشرية في هذا « المركز » بضيق
ساعات ، فلا تحدث جناية تستوجب قيامي ليللا
وأنا على هذه الحال . فلم أكد أضع رأسي على المخدة
حتى كنت حجرا ملقى ، إلى أن حركني صوت
الجفير بضرب الباب ضربا شديدا ، وينادي خادمي
صانحا : « اصحب يادسوق ! » فعلمت أن جناية وقعت ،

وأن الغرائز لم تنم لأنني أردت أنا أن أنام . فنهضت
لوقتي وأشعلت المصباح ، ودخل على خادمي يفرح
عينيه بيد ويقدم لي بالأخرى (إشارة تلفونية) ،
فأدنت الورقة من الضوء وقرأت : « الليلة : الساعة
٨ مساء » بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشيا على
الجسر بالقرب من « ديار » الناحية أطلق عليه عيار
ناري من زراعة قصب ، والفاعل مجهول ، ويسؤال
المصاب لم يعط منطلقا وحالته سيئة ، ثم الاخطار
« العمدة »

فقلت في نفسي : لا بأس ، تلك حادثة بسيطة
تستغرق مني على الأكثر ساعتين ؛ فالضارب
مجهول ، والمضروب لا يتكلم ولا يثرثر ، والشهود
ولاريب : الجفير النظامي الذي سمع صوت العيار
فذهب إليه خائفا متباطئا فلم يجد بالطبع أحدا في
انتظاره غير الجثة الطريجة ، والعمدة الذي سيذهب
في حالفا بالطلاق أن الجاني ليس من أهل الناحية ،
ثم أهل الجبني عليه الذين سيكتمون عن كل شيء

« حياة رأس سعادة البك كان لا يسه ... ». ولم أروزة للتحقيق في هذه المسألة ، فالأمر لا يخرج عن اثنين : إما أن الخفير لا يعرف القميص من اللباس وهو شيء غير مستغرب ، وإما أن سعيد افندى قد عاد نخل قميصه ونام من جديد ، وهو شيء أيضاً غير مستغرب . وما دمت أنا وحيدى المسئول رسمياً عن التأخير ، فلا نفع إذن من صياحى مع سعيد افندى غير تصديق رأسى ، وأنا أحوج الناس إلى الراحة الليلية ، وإلى توفير الجهد والكلام للقضية الحقيقية التى من أجلها نتجشم ما نتجشم . ولم يلبث الفتور أن دب فى أعضائى ، فأستندت رأسى إلى ركن السيارة وقلت لمن مئى : « محل الحادث على بعد ثلاثين كيلومترا ، فلا بأس من أن أنسى مسافة الطريق » وأنغمضت عيني ، وتحركت سيارتنا وخلفها « البوكس فورد » وبه الكاتب والمعاون والباشجاوئيش والمساكر . وما كدنا نخرج إلى الطريق الزراعية حتى سمعنا صوت غناء فى جوف الليل ، فأخرج المأمور رأسه من النافذة فى الحال وصاح : يا حضرة الماوان ! نسينا الشيخ عصفور . ووقفت القافلة ؛ وإذا الصوت يخرج وانحما من دغل « بوص » على حافة غيط !

... ورمش عين الحبيبة يفرش على فدان ...
فأسرع الماوان منادياً : « اطلع يا شيخ عصفور . حادثة ! » فظهر ذلك الرجل العجيب الذى يهيم على وجهه الليل والنهار ، لا يعرف النوم ، يعنى عين الأغنية ، ويلفظ كلمات ، ويلقى بتنبؤات ، يصنى إليها الناس ؛ ذلك الرجل الذى لا يفرحه شيء مثل خروجه إلى الحوادث مع النيابة والبوليس ؛ فهو يسمع عن بعد بوق « البوكس فورد » ويتبعه

ليثأروا لأنفسهم بأيديهم . فسألت خادى عن الساعة وكتبت فى ذيل الورقة : « وردت الساعة العاشرة ، وقامون لضبط الواقعة » وقت من فوئى إلى ثيابى فارتديتها على عجل كما يصنع رجال اللطافى ، وأرسلت فى طلب كاتب التحقيق وسيارة النيابة ، وأوفدت من يوقظ مساعدى الجديد وهو شاب رقيق الحاشية حديث عهد بالعمل ، كان قد أوصانى أن أستصحبه فى الواقع ليكتسب الخبرة المران . ولم ألبث أن سمعت بياى بوق سيارة المركز « البوكس فورد » بها المأمور ومعاون الإدارة وبعض الجنود . فنزلت إليهم فوجدت كل شيء قد أعد ولا ينقصنا الا كاتب التحقيق ، فلم أعجب . لأننى ما أبطأت يوماً فى القيام إلى واقعة إلا كان السبب كاتب التحقيق ، فى أى بلد كان ، وفى أى مركز . والتفت إلى الخفير وقلت : « أنت متأكد أنك ناديت سعيد افندى ؟ » فسمعت فى الظلام صوت الحذاء الضخم يضرب الأرض ، ولحت يداً ترتفع بالتحية العسكرية فوق (اللبدة) الطويلة ذات الرقعة النحاسية ، وفما يتحرك تحت شارب أسود كبير كأنه ذنب القط : « لبس القميص قدامى يا سعادة البك ! » . ورأينا أن ننطلق بسيارتنا فنمر بمنزل الكاتب فنستصحبه . فركبت أنا ومساعدى والمأمور سيارة النيابة حتى بلغنا منزلاً قديماً فى طرف البلدة . فصاح الخفير وكان قد تعلق بسلم السيارة ليدلنا على الطريق : « إنزل يا سعيد افندى . » فأطل الكاتب من نافذة قصية وهو فى جلباب النوم : « حادثة ؟ » فصاح الخفير : « حادثة ضرب نار . » وما أشمر عندئذ إلا بيد المأمور قد خرجت من نافذة السيارة ونزلت على قفا الخفير : « يا خفير يا ابن ... لبس القميص قدامك يا ابن ال ... » .

وانتهت على وقوف السيارة بعد زمن ليس بالقصير ،
 ففتحت عيني فإذا نحن أمام ترعة وإذا
 « المدينة » في انتظارنا لتنفلتنا إلى الضفة الأخرى . فترلنا
 جميعاً وامتدأ بنا القارب كأننا غرقى في زورق النجاة ،
 أو « أزيار » من الفخار في مركب بالصعيد .
 وسارت بنا « المدينة » حتى بلغت الشاطئ الآخر
 ونحن لا نسمع في سكون الليل العميق غير سلاسلها
 تضرب الماء ، ولا نرى من حلك الظلام شيئاً . ولم
 تكد تطلأ أقدامنا البر حتى سمعنا صهيل خيل ؛ وإذا
 أمامنا « الركائب » من خيول « نقطة البوليس »
 وحمر العمدة ، مهابةً لحلنا إلى مكان الحادث . وآه
 من الخيول ! لقد تقدم إلى أحد الجنود بجواد
 مطهم إحلالاً لقدري . ورأيت هذا الحصان
 يتبختر ويفحص الأرض بجوافره ، ولا يصبر على
 الهدوء حتى أعتلى ظهره ، فملت أنى لا محالة واقع
 على الأرض . ولطالما كنت أفع من فوق تلك
 الظهور اللابة التي لا يحكمها غير فارس بارع ،
 لا راكب نائم . ولطالما فضلت عليها الحير الهادئة ؛
 غير أنى نظرت خلفي فإذا أكار القافلة قد امتطوا
 الخيول ولم تبق الحير إلا للأوباش ؛ فخرجت أن
 أنزل عن جوادى وأن أحاذى في المرتبة الشيخ
 عصفور ، وقد اعتلى حملاً أنهب وخزه بصولجانه
 الأخضر فانطلق به في ذيل الجياد . أسلمت أمرى
 لله ، وسرت في المقدمة قائداً مترهماً من الخوف
 والتمب ، إلى أن ظفر النوم بجفوني فلم أشعر بشيء .
 ولجأة وجدت جسمي قد طار من فوق الجواد
 ووقع على عنقه ! فقد قفز الحصان في قناة ماء قفرة
 شديدة خلعتني من فوق ظهره خلعاً . فقلت :
 « ما حسبتاه لفتنا ! » وصحمت بالخفير المحق ركابي :
 « الحصان يا خفير ! الحصان ! » . فوقف الركب واختل

أيها ذهب كالكلب الذى يتبع سيده إلى الصيد .
 لماذا كل هذا ؟ طالما سألت نفسى : ألا يكون لهذا
 الرجل سر ؟ . ودنا الرجل من « البوكس » قائلاً
 في شبه احتجاج :

— كنتم طالعين من غيرى ... ؟

فأجابه الباشجاويش باسمًا :

— أبداً ! لو كنا نعرف عنوانك لبلغناك
 الإشارة .

فقال الرجل :

— طيب . هات سيجارة

فغمزه الباشجاويش سريعاً وقال له في صوت
 خافض :

— إسكت ، يسمعك البك المأمور

فقال الشيخ عصفور :

— هات سيجارة يا حضرة الباشجاويش ،
 لأنى أنا الليلة « باشخمران »

وصعد الرجل إلى « البوكس » فورد « كأنه
 يصعد إلى « روتر رويس » بعد أن انتزع من
 الدغل عوداً أخضر حمله في يده كالصولجان .
 وانطلقت السيارات بين المزارع وقد نامت الطبيعة
 وسكنت الأصوات ، إلا من تقيق الضفادع ، وهفيف
 الحشرات ، وتغريد الشيخ عصفور المتصاعد من
 جوف « البوكس » . وقد أغفيت أنا أيضاً إغفاءً فى
 التي اعتبتها كلاً ركبت إلى واقعة ، إغفاءة متقطعة
 لا تمنعنى أحياناً من سماع ما يدور حولي من الكلام .
 وكان مساعدى إلى يسارى متيقظاً يبدو عليه العجب
 ويريد أن يسأل عن كل شيء فيمنعه الخوف من
 إزعاجى . فالتفت إلى المأمور بجواره ؛ وسرعان
 ما اشتبكنا في حديث طويل لم أع منه شيئاً كثيراً ،
 فهو وحده الذى أنامى النوم العميق طول الطريق ،

النظام ، وأوسع الأمور رجاله شتاً وصيفاً وأمرأً ونهباً . وأعادوني إلى ظهر جوادى وأنا أقول لأدارى خجلى : يظهر أن الحصان نام وهو ماش ، أو خاف من ثعلب فارتفع جمع . على كل حال أمسك اللجام يا خفير . فأمسك خفيران اللجام ومشيا فى رويداً رويداً مشية هادئة متزنة أعادت إلى نفسى هجوعها ، فلم أصبح إلا فى مكان الواقعة . وأبصرت ضوء المصاييح والشاعل فى أيدي الأهالى المجتمعين حول المصاب . . . فطار الثعب من رأسى كما تطير اليوم من وكرها على الضوء القريب . وأسرعت فى النزول من فوق صهوة الجواد وشققت طريقاً بين الناس الذين هتفوا فى صوت خافت : « النياية حضرت » . ودوت من ذلك الجسم الممدد على الأرض ، وحدثت فى ذلك الوجه المغرب بالتراب والدم ، فعلمت أنه حقيقة لن يتكلم . وقد وجدت ملاحظ « النقطة » غارقاً لأذنيه فى بحر « محضره » الذى سأضرب به عرض الحائط ؛ فالنياية متى حضرت بحثت كل شيء من جديد . وإشرنا التحقيق مفتحين بحضر العائنة ، فأمسك الكاتب ورقة وقلنا ودنا منى فأملت عليه الديباجة المعروفة : « نحن فلان وكيل النياية ومعنا فلان كاتب التحقيق . الليلة الساعة كذا وردت إلينا الإشارة التليفونية رقم كذا ونصها كذا . وعليه قمنا بسيارة إلى ناحية كذا ، فبلغناها ساعة افتتاح هذا المحضر الخ . » ذلك أنى أحب دائماً أن أعنى بتحرير « محضرى » وأن أجعله مرتباً ترتيباً منطقياً . والمحضر هو كل شيء فى نظر أولى الأمر . وهو وحده الشهادة الناطقة للنائب بالدقة والبراعة . أما ضبط الجانى فأمر لا يسأل عنه أحد . ويلي « الديباجة » وصف الأصابة والملابس والموضع الذى وجد فيه الجنى عليه

فما قصرنا . وأملت على الكاتب أوصاف ذلك الجرح النارى الذى رأينا ثقبه المتسع فى كتف المصاب . وقد حدث فى أرى من « حشار » بندقية أطلقت على بعد غير كبير فهتكت اللحم وأزفت الدم . وقد وصفنا الوجه خير وصف . وهو لرجل قارب الأربعين وسيم قسيم : تلك الوسامة الريفية بما فيها من رجولة وحمية وقوة . ولم يفتنا ذكر وشم المصفور الرسوم فى أعلى صدغه ، ولا لون شارب الضارب إلى الصفرة ، والنياب أحصيناها من « الدقية » والجلباب الغزلى وكيس النقود الذى لم يس ، إلى السروال « البتة » الأبيض ذى النكة الحمراء . نعم ، لم ننس نكة اللباس ونوع نسيجها ، فإن ذكر التفاصيل دليل على الدقة والعناية . هكذا تعلمنا التحقيق كابراً عن كابر . وأذكر أنى تركت ذات مرة جريحاً يعالج سكرات الموت ، وجملت أصف سرواله وتكنه و « بلفته » و « لبدته » ، فلما فرغت انحيت على المصاب أسأله عن المعتدى عليه ، فإذا بالمصاب قد توفى . ولم ننس وصف المكان ، وهو طريق ضيق بين ضرائع قصب على الجانبين . ولا يجب ، فإن لكل نوع من الزرع محصوله من الجرائم : فمع ارتفاع الذرة والقصب يبدأ موسم « القتل بالمبار » ، ومع اصفرار القمح والشعير يظهر الحريق « بالجاز والقوالج » ، ومع اخضرار القطن يكثر « القلقع والأتلاف » . وأنتهينا من الجرح المحتضر ، ولم يعد بهما أمره بعد أن ملأنا « محضراً » بأوصافه ؛ فتذكرناه فى دمه تحت رعاية ضابط « النقطة » حتى يأتى لماله إلى المستشفى رجال الأساف . وذهبنا إلى « دوار » العمدة حيث كانت فى انتظارنا القهوة . وآء من قهوة « العمدة » إلى أسمبها دائماً « السكودورقم » ؛ فما من مرة

— عيارين بإسعادة البك
— متأكد؟

— عيارين بإسعادة البك

هنا ثقل التحقيق وسماجة المهنة . أفهم أنت
يكذب المتهم ، فهو حقه الطيبين ؛ وما أطلع قط
أن يصدقني متهم . ولكن الشاهد ، ماذا يحمله
على أن يلق على وجه الحقيقة كلفاً من التشكيك
والتناقض ، لوجه الله تعالى ... ؟

ومضى التحقيق في شباب مظلة لا أمل معها
في الوصول إلى شيء . فما من أحد يعرف الجاني ؟
وما من أحد يتهم أحداً ؛ وما من أهل للمضروب
في هذا البلد غير أم عجوز مريضة كسيحة ضئيلة
البصر لا تستطيع الكلام ، وغير زوجة ماتت منذ
عامين وتركت طفلاً صغيراً لا يصلح للوقوف أمامنا
في موقف السؤال . وما من أحد بدلي بتعليل معقول
أو غير معقول لهذا الحادث . وما من أحد يعرف
أن بين المصاب وبين إنسان على وجه البسيطة عداوة
أدت إلى ارتكاب الجريمة . أهبط إذن شيطان من
الجحيم فأطلق على الرجل التيار ؟ لا أحد يدري . لقد
وجدت ما حسبت . إلى منذ قرأت « الإشارة »
أدركت أن القضية ميتة . وهل أستطيع أنا
« بتحقيق » أن أبث الحياة فيها لا حياة فيه ؟ إن
لم يقبل على الشهود بالصدق ، وتعاوني الأهالي بالغبية
والاخلاص ، فأني « محضر » في الوجود بوصلي إلى
التشرف مرة بمعرفة جان من الجناة ؟ وجاءت نوبة
المعدة في الشهادة ، وحلف البين وبدأنا ناتي تلك
الأسئلة التي لا تقدم ولا تؤخر ... وإذا بنطيط
يعلم من ركن الحجره وينطلي على التحقيق . فالتفت
فاذا المأمور قد « كوع » على « الكنبه » ؛ ورأى
المعدة هذه الالتفاتة مني ، فاستأذني واتجه إلى

إلا أحدثت عندي عكس المقصود من شربها
ولست أدري العلة ؛ غير أنني سمعت ذات ليلة عمدة
من هؤلاء العمدة يصيح في تابعه أمامنا : « هات
يا ولد قهوة بن » ، ولم أفهم وقتذاك معنى لأضافة
لفظ « البن » إلى « القهوة » ؛ أترى النص على
البن « صراحة » جاء من قبيل التأكيد ، أم على
سبيل التشريف والتكريم ؟ لست أعلم . إنما الذي
علمته يومئذ واستوثقت منه أن هذا « اللفظ »
الأخير وإن دخل في تركيب الجملة ، لم يدخل
في تركيب القهوة . وجلسنا في « المنظره » على
فرش من قטיפه ذهب وبرها ولونها ؛ ووضع
الكتاب أوراقه على خوان أعرج ، تعلوه رخامة
مكسورة ، ونشر المحضر « تحت » مصباح كبير له
دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل ؛ وصحت :
أطلب الشهود . فصاح المأمور لصياحي : « اجمع
الشهود يا حضرة الماوان » . وارتدى على مقعد
رحب في ركن الحجره ارتخاء أدركت معها أن
ليس بعدها غير نعاس وغطيط . وجلس مساعدني
على مقربة مني يرمق ما يجري بيمون قاترة تنم عن
كسل بدأ بداعها مداعبة النسيم للأوراق . وجاءوني
بالخفير النضلي الذي سمع صوت العيار وهرع إلى
مكان الجريمة أول من هرع . فلم يخيب ظني في شيء
إلا في قوله إنه سمع عيارين ، مع أن الوارد في
« الإشارة » عيار واحد ، والأصابع ثمن عيار واحد ،
وأقوال الحاضرين متفقة على أنه لم يدنو في القرية
سوى عيار واحد . لاحظ هذا الرجل من الكذب ؟
لست أدري . وتركنا جوهر القضية وانصرفنا إلى
مسألة العيار والعيارين . فساننا الجميع من جديد
فاجابوا مجمين : عيار واحد بإسعادة البك
— سمعت يا خفير ...

الأمور وأيقظه في لطف :

— يا شيخ عصفور :

فبرز رأس الرجل العجيب من خلف كرسي من القش بركن مظلم من أركان القاعة ونهض بصولجانه الأخضر كأنه يقول : « لييك »

— رأيك يا شيخ عصفور ؟

فلم أطق صبرا . ما كان ينقصنا حقاً إلا أن نستشير المعتوهين في قضايا الجنايات ! فنظرت إلى الأمور نظرة ذات معنى ، فاقتربت منى وقال :

— الشيخ عصفور كله بركة . مرة دلنا على بندقية منهم مدفونة في قاع التربة !

— يا حضرة الأمور بدلا من سؤال الشيخ عصفور والشيخ طرطور كلف خاطرك وانتقل مع الماؤون والمساكر وقتشوا دور المشتبه فيهم من الأهالي

فصاح الأمور :

— يا حضرة الماؤون !

فأقبل الماؤون من خارج الحجرة وقد سمع قولي ، وقدم إلى رئيسه « محضر تفتيش من قسيمة واحدة » :

— أجرينا التفتيش يا فندم !

فلم ينظر فيه الأمور وناولني إياه ، فجريت ببصري على الكلام الطويل العريض وانتهيت إلى المبرة المألوفة : « ... ولم نمر على شيء من الأسلحة أو الممنوعات ... »

فأشرت في ذيل الزفة : « برق بالمحضر » ، ووضعت رأسي في كفي أفكر فيما ينبغي عمله في هذه القضية ، وفيمن ينبغي سؤالهم حتى نكمل محضرنا عشرين صفحة على الأقل . ذلك أني ما زلت أذكر كلمة رئيس النيابة يوماً لي وقد تناول محضراً في عشر صفحات :

— تفضل يا بك على السرير في القاعة

وقاده في أدب ولطف إلى حجرة أخرى داخلية . ثم عاد أمامي بدلي بما عنده من أقوال رسمية « تجارية » قد دمغت بطابع الوظيفة ؛ ألفاظها وعباراتها تكاد لا تتغير بين عمدة وآخر . وهي على كل حال لا تنفع ولا تضر ، وتلقى على نار الحادث برداً وسلاماً . ولم يكد حضرة العمدة بوقع بمضائه الذي يضاهي بنش السجاج تحت أقواله ، ويتنحى عن موقف الشهادة ، حتى فتح باب الحجرة الداخلية وظهر الأمور وهو يحك جسمه بأظافره ويلتقط بأصابعه أشياء على ملابسه ينفضها عنه ، وهو يرغى وزبد :

— سرير ! أعوذ بالله ! انت عمدة أنت ... ؟

فعلت ما حدث بالتمام . وضحكت في نفسي . وتظاهرت بالإنهماك في عملي فلم أرفع وجهي عن الأوراق . وجلس للأمور في مقدمه جلسة من قد ذهب النوم من عينيه ذهاباً لا رجعة له تلك الليلة . ولم يلبث أن صاح في العمدة :

— هات قهوة والسلام . اعملها موزونة وحياة

عينيك

ثم وجه إلى الكلام كأنه يريد أن يسلي سهره :

— القضية على الجبل ؟

وهو يرى بهذا الاصطلاح إلى استطلاع حال القضية ، ومدى نجاحها النجاح الذي يؤهلها للذهاب برأس التهم إلى المشقة . فأجيبته في صوت غير مرتفع دون أن أنظر إليه وكأني أخاطب نفسي :

— القضية على السرير !

ولجأة نهض الأمور عن مكانه كأنما قد تذكر مفتاح السر وصاح :

فأجاب في راءة الطفل وسذاجة الأبله :

— الولد في حضن البنت !

— أى بنت ؟

— البنت ، أخت الرحومة امرأة

— بنت كبيرة ؟

— « عيّلة »

فنظرت إلى الماوان وأمرته أن يحضر هذه البنت في الحال . ولم يمض قليل حتى بدت عادة في السادسة عشرة من عمرها ، لم ترعيني منذ وجودي في الريف أجل منها وجهاً ولا أرشق قداً ؛ وقفت بعتبة الباب في لباسها الأسود الطويل كأنها دمية من الأبتوس طعمت في موضع الوجه بالماج . وقال لها العمدة مشجعاً :

— ادخلي يا « عروسة »

فتقدمت في حياء ، واضطربت خطواتها ، إذ لم تعرف بين يدي كمن من الجالسين يجب عليها الوقوف . فوجهها العمدة إلى فوقفت في وجهي ورفعت إلى رمشين ... ولأول مرة يرتج على في « التحقيق » فلم أدر كيف أسأله ... ولم رها الكاتب ، فقد كان موقفها خلف ظهره . فلما لحظ سمعت ظن في تمباً ، فممس القلم في الدواة ورفع رأسه إليها وهو يسأله :

— اسمك يا بنت ... ؟

فما إن وقع بصره عليها حتى خلق فيها ولم يمد إلى الورق . ونظرت حولي فوجدت مساعدتي الناعس قد أفاق ونشط وأخذ يرمق الصبية بعينه الواسعتين ؛ وقلقت بصرى إلى المأمور فاذا به الساعة في غير حاجة إلى القهوة ولا إلى بن ، وزحف الشيخ عصفور حتى بلغ موطى قديمي فاقى كالكلب ينظر إلى الفلاحة الحسنة فاغرا فاه . حقاً إن للرجال

« مخالفة ؟ جنحة ؟ » فلما أخبرته أنها قضية

قتل صاح دهشاً : « قضية قتل تحقق في عشر صفحات فقط ؟ قتل ! قتل رجل ! قتل نفس آدمية في عشر صفحات ؟ ! » فلما قلت له : « وإذا ضبطنا الجاني بهذه الصفحات القليلة » لم يعبأ بقولي ومضى زين المحضر في ميزان كفه الدقيق : « من يصدق أن هذا محضر قتل رجل ؟ ! » فقلت له على الفور : « إن شاء الله في المرة القادمة نراعي الوزن ! »

مر بمطاري كل هذا وأنا مطرق صامت ... وإذا صوت الشيخ المتوه يرتفع في القاعة منشداً :

« قتش عن النسوان ،

تعرف سبب الاحزان ،

ورمش عين الحبيبة ،

يفرش على فدان ... »

لم أغضب على الشيخ الذي أمتهن حرمة التحقيق بهذا الغناء ، ولم أطرده خارج القاعة ، ولكنني تفكرت قليلاً في مغزى كلامه لو أن له مغزى ينفعني كل ما يجوز الالتفات إليه كلمة « النسوان » ، والتفتيش لا عن المشبوهين بل عن النسوان . أى نسوان ؟ إلى لم أرقضية خلت من

النسوان مثل قضيتنا هذه . فالضروب يعيش وحيداً بعد أن ماتت زوجته ، ولا أحد معه غير أم عجوز كسحاء لا ينبغي أن تحسب في النساء . لا ريب أن هذا المصفر لا يعقل ما يقول . هذا الشيخ الأخضر من فصيلة البنياء لا شك ، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعي بها شيئاً من الأشياء . لكن مهلاً ! إن المعنى عليه طفلاً . فهل تلك الأم القمعة المريضة هي التي تعني بشأنه ؟ « تعال يا عمدة ... » وألقيت على العمدة هذا السؤال :

لهيبة ... ورأيت أن أملك سرباً ناصية نفسى قبل أن ينكشف الأمر ، فقلت لـصاحبة الجلال وأنا أكبح عيني حتى لا أنظر إليها :
— اسمك ؟
— ريم
لفظته فى صوت ... هز نفسى كما تهز الور

أنامل رفيقة ، فاشككت فى أن صوتى سيتهدج إن أقيت عليها سؤالاً آخر ، فترثت ؛ وبدت لى دقة الموقف وأقيت ببطء التحقيق إذا قدر لى أن أفق كالذئب بين السؤال والسؤال . فاستجملت ما بقى عندى من شتات القوة والعزم وهجمت بأسئلة لا أنتظر الجواب عنها إلا جملة ، وقلت لها تكلمى فى كل هذا ... ولبتت أنظر ، فعلمت منها العجب العجائب ! إنها حتى الآن لا تعلم ما جرى للجنى عليه ؛ فقد أيقظوها من النوم الساعة وجاءوا بها أمامى دون أن يذكروا لها شيئاً ؛ ولم أشأ أن أخبرها إلا بما وقع وقد أنست منها أشياء لا يدركها إلا مجرد الأحساس ...

سألها : ألم يحفظها خاطب ؟ فكان الجواب : بلى ؛ آخر من تقدم إليها فى جميل لم ترفضه ، ولكن زوج أختها وهو فى مقام ولها تردد فى القبول كما تردد دائماً فى قبول الأبدى الكثيرة التى ارتفعت تدعوها كما ترتفع أبدى المؤمنين بالثناء ! ... « أو تحقدين عليه من أجل هذا ؟ » . فكان الجواب كذلك ؛ لا ، قالتها فى نبرة حارة ؛ حرارة خاصة أدركتها كذلك باحساسى . « وهل كان بينك وبين الفتى الخاطب اتصال ؟ » . نعم لقد اجتمعنا أمام الدار مرتين فى لقاء برى . وقد علم أنها لم تكبره زوجاً ، ولكنها تكبره مخالفة ولها . وذلك الولى ما غيبته من رد الخاطبين

— من زمان !
فأدرت الصبية كل شئ ، فانطلقت من فمها صيحة كتمتها فى الحال خجلاً منا ؛ غير أنى ما شككت فى أن لها دويماً وانفجاراً داخل نفسها . وأردت أن أمضى فى عملى لما وجدت أمامى غير فتاة تجيبنى بكلام أبتز لا شبع فيه ولا غنى . ورأيت أن أرحمى التحقيق . فقلت :

— استرحمى ياريم ...
ونظرت إلى المأمور :

— الأحسن أن نكمل التحقيق الصبح
فأشار إلى النافذة ، فاذا النهار يدخل منها متلصصاً ، وقد خدعنى عنه الصباح المضى .

ثم سمعت الأمور ينتهر المتوه قائلًا له : « افطن لنفسك . صاحبك عرقت في الريح من سنتين ... » ولم يكن في عقلي وقتئذ غير صورة الفتاة في إطارها الأسود وسرها الذي لم أنفذ إليه بعد . إن سرها هو سر القضية . وإلى اتدفعني إلى استجلاء الأمر رغبة لا شأن لها بالعمل . إني أيضاً أريد أن أعلم . وسارت القافلة حتى بلغت مصرفاً متسعاً عميقاً زاخراً بلّاء ، ركبت عليه خشبة من جذوع النخل في عرض الدراع . وأراد الخفير أن يدفع في عجز حصاني ليجتاز في المصرف على هذه الخشبة التي في ضيق الصراط فانتبهت وصحت :

— أنت مجنون يا خفير ... أمر من هنا أنا والحصان ؟

فبتت على وجه الرجل دهشة :

— سبق لك يا سعادة (البك) المرور من هنا بالليل أنت والحصان

فنظرت إلى الخشبة في شبه رعب :

— أنا ؟ عدت بالليل المصرف من هنا على هذه الخشبة ؟ وكنت وقها فوق الحصان ؟ مستحيل !

— الطريق واسع يا بك والحصان عاقل ...

ولم أرد أن أصنى إلى كلام الخفير أكثر من ذلك . فإذا كانت هذه الخشبة طريقاً متسعاً في نظر هذا الرجل فهو من غير شك سيجتاز الصراط في الآخرة راكباً جلا . أما عقل الحصان فإن ضمنه هو ، وهو ليس راكبه ، فما يحملني أنا الراكب على هذه الضامة الخطرة ؟ وأسرعت فزلت إلى الأرض واجتزت المصرف ماشياً على قسي فوق الخشبة ، معتمداً على عصاي ...

(ينهع)
نوريس الحكيم

فاستويت على قسي إذ ذكرت للفور أن جلسة الجنيح اليوم ، وقد قاني أن أدبر الأمر من الليل حتى يخلفني فيها نائب من الزملاء ؟ فلا مفر لي إذن من العودة العاجلة حتى أحضر الجلسة في الميعاد .

— يا حضرة الماؤون ! هات البنت في « البوكس » ! ...

وأقلنا المحضر على أن نستأنف التحقيق بعد الجلسة في دار النيابة . وقنا إلى « الركائب » فامتطيناها عائدین .. والشيخ عصفور خلفنا يصيح ويلوح بعوده الأخضر في حركات التأثر المحتاج :

— هي بعينها !
والماؤز يجيبه :

— اعقل ... !

— هي بعينها ، برمشها .. عرقها ، برمشها .

— اعقل يا شيخ عصفور ، وافطن لنفسك ، تقع من فوق الجحش !

ودب التعب في أعصابي فأنحنيت على ظهر الحصان ، ولكن نسيم الصباح الرطب كان يضرب وجهي ضربات خفيفة كأنها لطأت مروحة في يد ماحجة ظريفة ، فلم أقفد نشاطي وطفقت أفكر ، وإذا غناء العصفور يرتفع بفتة شديداً كأنه شيء قد انجلى مع قلبه :

— ورمش عينها يفرش ..

ولم أسمع البقية ، بل سمعت شيئاً سقط على الأرض فالتفتنا فالتفتنا الشيخ عصفور بأطواره على الأرض قد فرش ... فوقنا . وأسرع إليه الخفراء فجعلوه إلى حمارة ، فاستوى عليه وهو ينفذ عن جسمه التراب صائحاً مستأنفاً :

— ... على فدان ..

وسمعت الماؤز ومساعدى يضحكان تضحكاً صافياً .



منيت في شرح الصبا بلمة نفسية تروعت لها
ثلاثة أعوام ، وهأنذا أسرد ما تحملته منها
ولو أنني كنت للصاب وحدي بهذه العلة
لاخترت كتابها ، ولكن الكثيرين يشكون اللداء
الذي أشكو . فالي هؤلاء أوجه رسالتي ، وسواء
استوقفهم بياني أو مروا به غافلين ، فإن هذا البيان
سينشأ ما أطبقت النوايب عليه مني كما ينشأ
الثعلب رجله ليركها للفتح وينجو بنفسه

الفصل الثاني

في إبان الحروب الامبراطورية ، بينما كان الآباء
والاخوة في بلاد الألمان ، قذفت الأمهات المضطربات
هذا الوجود بسلاية شاحبة عتيقة مستمرة الأحشاء ،
تلك سلاية تمخضت الحياة بها بين معركتين ،
وربيت في المدارس على دوى الطبول ، فكان إذ
ذاك ألوف من الأولاد يمدح بعضهم البعض الآخر

من أعماق النفوس



اعتراف في العصر

لألفريد دى موسيه
بقلم الأستاذ فليكس فارس

موسيه

في مثل هذه السنة منذ قرن كامل كتب ألفريد
دى موسيه الأدب الخالد كتابه (اعتراف في
العصر) ليصف الأدواء التي استحكمت بأبناء جيله
بعد أن اجتاحت أوروبا بأسرها أعاصير الحروب ،
ووقفت على أطلال عالم منسدر شبيهة بتمتد آثارها
وتزعزع أركانها

ولقد رغب الى الأستاذ الكبير أحد حسن الزيات
صاحب الرسالة التي تنير أفاق المشرق العربي بالحكمة ،
وصاحب الرواية التي يختار لها من الأدب العالي أسفاه
مورداً لتثقيف المواطنات الخائرة في النشء الجديد ، أن
أترجم هذه النسخة الأدبية الخالدة ؟ فنزلت عند رغبة
لأنه صادف هوى في نفسي ، إذ أنني أرى ما يراه الأستاذ
الكبير من أن اعتراف في العصر هو خير ما يهدي
للشبيبة العربية الوافقة على أطلال حضارتها القديمة
متطلعة المستقبل مجهول ، حائرة بين تذكاراتها وآمالها .

عن الاسكندرية فليكس فارس

الجانب الآخر

الفصل الأول

لا يدون تاريخ حياته من لم يبذل الحياة ،
فأأكتبه ليس تاريخاً لحياتي

وكان أبناء ذلك العصر ينشقون الحياة تحت تلك السماء الصافية الأديم حيث لمت الأجساد وتوجت الأنوار منمكسة على الفولاذ ، وماجيات تلك الشبية أنها ممددة للمجازر ، ولكنها كانت تعتقد أن (مورات) أرفع من أن يناله الموت ، وكانت رأيت أن الامبراطور يمر بين كرات الدافع ويقطع أحد المابر هازماً بنفثات البنادق فداخلها الشك في انسانيته وحسبته من أبناء الخلود

وما كان ملك الموت لياقي الذعر في روع هذه الشبية وهو متشح براء البهاء والجلال تصاعد منه أبحر النجيع كأنه بشير الأمل لا نذير الفناء وكأنه ، وقد حصد بمنجله حقولاً من السنابل الخضراء ، استمد منها الفتوة فلاح غص الأهاب ناضر الشباب

لقد أصبحت الشيخوخة وها من الأوهام ، واستحالت المهود كما استحالت النعوش أيضاً دروعا غفلت فرنسا ممن يدب على أرضها من الماجرين فلم يبق على تلك الأرض إلا أنصاف آلهة أو أشلاء أموات

وقف يوما هذا الامبراطور الذي حسبته الناس خالداً على أكمة أشرف منها على سبعة شعوب تتناحر ، وما كان يدرى أينعت حكمه إلى آخر العالم أم يقف عند نصف العالم ، قر به عزرائيل ولبسة من طرف جناحه دفع به إلى عباب الأوقيانوس الفسيح

وبلغ قوى سقوطه آذان الدول المنطرحه على أسرة الاحتضار فجلست تقاوم أوجاعها ومدد الملوك راحتهم المنقلبة فاقسموا أوروبا ، وأخذوا من وشاح القيصر مرصعات يسترون بها

شزراً وهم يترنون على القوة عضلاتهم الضعيفة . وكان الآباء للطلخون بالدماء بلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرفعونهم لحظة إلى صدورهم الحلاة بالذهب ثم يتركونهم إلى الأرض ، ويمودون إلى صهوات الجياد

ولم يكن في فرنسا غير رجل واحد يتمتع بالحياة ، أما الباقيون فكانوا يجهدون أن يملأوا صدورهم من الهواء الذي كان ينشق ذلك الرجل ثم يفر به إلى الناس ؛ وكانت البلاد تقدم له كل سنة ثلثة ألف من شبانها جزيه فرضت للقيصر ليتمكن وهو يجرها كالساعة وراده من بلوغ الأجداد التي يطمع إليها ، بل ذلك هو الركب الذي كان يحتاج إليه ليجتاز الدنيا متجهاً إلى الوادي الحقيق حيث تراه على جزيرة قفراء تحت أغصان الصنصاف البياكي

وما مرت في التاريخ ليال ساهدة كالليالي التي مرت في عهد هذا الرجل ، وما شهد في أي زمن من الأزمان مثل هذا العدد الغير من الأسمات ينتجين متفجعات باقيات على الأسوار والحصون ؛ وما أصنى الناس برهة إلى من يتحدثون عن الموت إسفاهم في تلك الأزمان ، ومع ذلك لم يشهد التاريخ مثل ما نجي في ذلك العهد من سرور ومن قوة حياة ، وما أودت موسيقى الحروب من حاس في كل القلوب ؛ وما لمت في فرنسا شمس كذلك الشمس التي جففت على الأرض أنهاراً من الدماء ؛ وكان الناس يصفونها بشموس أوسترلر ويمتقدون أن الله انما يشرقها بخدمة ذلك الرجل ؛ غير أنه هو كان يطلقها من أفواه مدافنه المرعدة فلا تنفقد من نيرانها النجوم إلا في اليوم التالي لمعاركه .

الحروب للحروب ، وراودت أحلامهم طوال خمس عشرة سنة تلوج موسكو ونمس الأهرام . وما كانوا خرجوا من مدائنهم ، ولكن قيل لهم إن أبواب كل من هذه الدائن تقود الى عاصمة من عواصم أوروبا . لقد كان المالم بأسرة مائلاً في خيال تلك الشبيبة ، ولكنها كانت تحمّل أبعصارها على الأرض والسما والطرق فتراها كلها مقفرة خالية ، ولا تسمع إلا رنين أجراس الكنائس تقرع الهواء من بعيد

واجتازت الحقول أشباح ناحلة تتخطر على مهل ساحبة أردانها السود

وطرقت الأشباح أبواباً أخرى لتبرز للسكان أوراهاً أخلقها الزمان ، وتأمرهم بإخلاء منازلهم .

وانفجرت الحدود القفلة عن رھط المهاجرين الذين هرعوا الى فرنسا ولم تزل على وجوههم آثار ما نزل بهم من الخوف منذ عشرين سنة . وساد الصخب وعلا الضجيج ، فدهش العالم لمينة واحدة تستجلب مثل هذا العدد الغفير من الغربان

وجلس ملك فرنسا على عرشه وهو يقاسب

نظره في رياش قصره خشية أن يكون قد تبقى عليها أثر من شارات الأجداد البائدة ، فتألب حوله رھط المائتين بمدّ بعضهم يد الاستجداء فينفجهم بالمال ويقدم البعض الآخر له صليباً فينجي مقبلاً هذا الصليب

ونجاه البعض بالمديح والاطراء فأشار الى مثل هؤلاء بالذهاب الى القاعة الكبرى حيث تتسكف الأسياد بأذاعة مجد الملك العظيم ... وزحف آخرون عند أقدام العرش عارضين ما أخلق الزمان من أردنيهم وقد زعوا عنها شارات العهد البائد ،

يواسل المسافر السير بالسرى ويقتحم الحر والقر ووجهته مقر عياله دون أن يشعر بشغل السهد أو يبالي بما يحدث به من أخطار إلى أن يستقر بين أهله ويجلس أمام الرود ؛ حينئذ يحلّ عليه التيب فلا يجد في عضلاته من القوة ما يستعين به على الزحف إلى مرقدته ؛ وما كانت فرنسا حينذاك إلا مثل هذا المسافر حين مات قيصرها فترملت ، شمعت لجأة بما أنقضا من جراح ، فسقطت لاثني واستغرقت في نومها حتى حسبها ملوكها الشيوخ ميتة فطرحوا عليها الأكفان البيضاء

ورجع الجيش القديم فلولا أرهقها المياه وعلا الشيب مفارقها ، فعدت الأنوار تنع حزينة في باحات القصور المقفرة

حينئذ أقبل رجال الامبراطورية الذين جاؤوا الأنظار وملأوها دماً على نساءهم الشاحيات ، وقبلوهن متحدثين عن الغرام القديم ، وتحولوا إلى مياه الندران ينظرون فيها الى وجوههم وقد خدّوها الحرم فتذكروا أبناءهم وهم يقتربون الى الحين الذي يذكر الانسان فيه من يغمض له أحفانه

وخرج الأبناء من المدارس ، وإذ لم يجدوا لا سيوفاً ولا دروماً ولا فرساناً ، أجالوا الطرف مفتشين عن آباءهم ، فقبل لهم إن الحرب قد انقضى عهدا ، لأن القيصر قد مات ، وأن صورتي ولنتكن وبلوخر معلقان على جدران السفارات ، وقد كتب تحت كل منهما : (تخلص العالم)

في ذلك الحين ربضت على أطلال العالم القديم شبيبة تتنازعها الموم

وكان كل هؤلاء الشبان نقطاً من الدماء المحرقة التي غمرت وجه الأرض . ولدوا في أحضان

السحرية ، ولكنهم شاهدوا وهم عائدون إلى مساكنهم ثلاث جثث لثلاثة شبان تجرأوا على التلطف بكلمة الحرية ؛ فرت على الشفاه ابتسامة ملؤها الأمل

وارتقى النابر بعد ذلك خطباء آخرون فتكلموا عن مساوى الحروب وأخطار الانتفاض ، وأقاضوا بذكر الطامع وتكاليها قائلين إن الحروب مذايح والمعارك مجازر . وتكلموا تكراراً وتكلموا طويلاً حتى تمرّت النفوس من أمانها كما تمرى أشجار الخريف من أوراقها ، فكان السامعون يمدّون أيديهم إلى جباههم يلمسسونها كما يلمس المحموم موضع شعوره وهو يفين من غيبوبته

وقال البعض لقد سقط الامبراطور لأنه أرهق الشعب ، وقال آخرون — إن الشعب أراد الملكية بل الحرية ، بل سيادة العقل ، بل سيادة الدين ، بل الدستور الانكليزي ، بل الحكم المطلق . فارتفع بين هؤلاء المفترضين صوت قائلاً — لا ، لم يرد الشعب شيئاً ، إن ما أراده الشعب هو أن يرتاح (يتبع) فيكس فارس

فكان الملك يأمر هؤلاء الخونة بالخلع السنية ... وكانت الشبيبة تشهد هذه المهازل متوقمة ظهور خيال القيصر على شواطئه (كان) ليرسل عاصفته الكاسحة على هذه الحشرات

تعثرت الآمال وطال السكون ، فلم تلج في الآفاق غير الزنابق الصفراء شارة الملكية المتحكمة وسأل الفتيان عن الأجداد فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت

وسألوا عن الأمانى فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت وسألوا عن الحب والقوة والحياة فقيل لهم : صيروا كهنة

واعلى المنبر في ذلك الزمن رجل يحمل عقد اتفاق بين الملك والشعب ، فقال : جملة هي العظمة والطامع والحروب ؛ ولكن هنالك ما هو أجل منها جميعاً : هنالك الحرية

فرفع الفتيان رؤوسهم وتذكروا أجدادهم الذين تكلموا هم أيضاً عن الحرية ، وعادت إلى مخيلتهم تلك الدى الرخامية التي كانوا يرونها في زوايا بيوت آبائهم ، وقد ندلت شعورها ونقشت على قواعدها تواريخ رومانية

وتذكروا أيضاً أنهم شاهدوا أجدادهم في ليلة سمرسون دوسهم ويذكرون معارك تفجرت فيها الدماء بما يفيض عن النهر الذي أسأله الامبراطور . لذلك دوت كلمة الحرية في أذان هؤلاء الفتيان بصوت نبضت له قلوبهم كأنهم يصعدون في آن واحد إلى صوتين : أحدهما صوت الذكرى البعيدة المروعة ، والثاني صوت الأمل المنشود يتراجع من مستقبل أبعد من الماضي

هزّت كلمة الحرية هؤلاء الفتيان بنشوتها

قصص اجتماعية

ترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الفائق الثمانية من أعمال الأدب الفرنسي م : بورجيه ، كويه . أناتول فرانس . موباسان . تيريه . مارسيل برينو . دى بانفيل . جان لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق . في ثلاثة صنفحة طبع دار الكتب

تحت ١٠ قروش ويبلغ مؤقناً ٦٠ قروش بخم ٤٠ عدا البريد وهو قرشان لبازل القطر وأربعة خارجه ويطلب من إدارة الرسالة ، ولجنة التأليف والترجمة وجميع المكاتب



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة:

هذه هي القصيدة الثانية الحالية، والملحمة المعجزة الكبرى، للشاعر اليوناني الأعمى هوميروس، تقدمها لقراء الرواية، كما قدمنا أختها (الألياذة) لقراء الرسالة من قبل. وستكون ترجمتنا للأوديسية كترجمتنا للألياذة أي ترجمة تلخيص؛ فقد وردت في تنأيا القصيدة تنف أسطورية لامر للجمرة القراء على الألامها. ومن أجل ذلك آثرنا إظهار الصور الموميرية الرائعة التي اشتملت عليها الملحمة دون الحواشي المركبة التي تتلف روعة هذه الصور

هنا، والأوديسية مرتبطة بالألياذة ارتباطاً هيناً بحيث لا يحول بين من أقرأ الألياذة وبين هذه الترجمة، وستجهد في صرح النقط (الفيلة) التي تقضي السود إلى الألياذة

نفسر

لم تكن حرب طروادة معركة بين طائفتين من الناس غسب، بل كانت كذلك حرباً عواناً بين طائفتين من الآلهة: أحدهما — وفي مقدمتها

ميرفا (بالأثينا) — تؤيد اليونانيين؛ والأخرى — وفي مقدمتها أبولو ونبتيون (بوسيدون) — تؤيد الطرواديين. وقد تناولت الألياذة ذاك الصراع الطويل المائل الذي نشب بين الطائفتين تحت أسوار طروادة، والذي انتهى بالبحار الطرواديين، وغلبة اليونانيين، وحرق طروادة وتخريبها. أما الأوديسية فتقتصر على عُنُقِي واحدة من عقبات تلك الحرب، ألا وهي عودة البطل العظيم (أوديسيوس) ^(١) إلى مملكته إيثاكا بعد مجازفات حمة وعقبات كثيرة اقتحمها جميعاً بعد طول الجلد والصبر الجليل، واحتمال أذى (نبتيون) رب البحار وألد أعداء أوديسيوس. واقتضت ملحمتنا هوميروس (الألياذة والأوديسية) المعين الذي لا ينضب لجميع شعراء اليونان؛ فكاهم اتخذوا منها موضوعات دراماتهم، وكلامهم كانوا ينظرون إليها كمثلهم الأعلى الذي لا مثل لهم فوقه.

(١) Odysseus أو أوليسيز Ulysses كاسينياد في الألياذة

والآثم، محرقين في دار الغربة كل ممزق، يتجشمون
الصائب والأهوال، ويتخطلون بين موج كالجبال،
ويخلصون من بحر إلى بحر، ومن رَوْح إلى رَوْح.
فاذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا، أفرغهم
فيها غير الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة، وودوا لو أدركوا
برحمتهم أوديسوس ... إلا نبتيون الجبار، رب
البحار، الذي يضرع للبطل في أحماقه كل كرامة
وكل بقضاء، وآلى أن يصب على رأسه كل تلك
الأرزاء ...

وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيوبيين
فانهزها الآلهة فرصة سانحة، وعقدوا مجلس الأولب
في ذروة جبل إيدا، وتفضل الآلهة الأكبر،
زيوس^(١)، فافتتح الجلسة بكلمة مختصة توجع فيها
لما يلقاه بنو الإنسان من صروف الحداث، واستطرد
فذكر مأساة أجاممنون للسكين وما لقيه على يدي
زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس^(٢) من غدر وغيلة،
ثم أحمى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين
يقولون إن كل ما يصيهم من خير وضر هو من
عند الآلهة، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولكن
لا يفهمون !

ثم نهضت ميزفادبة الحكمة، ذات المينين
الزرجيتين، فأبدت ما قال أبوها سيد الآلهة،
وأثنت عليه، ثم ذكرت أوديسوس ... « ذلك
التمس السكين الذي تحببته وصحبه البحر،
وقضى عليه - دون أقرانه جميعا - أن يشق هذا
الشقاء الطويل، عند عروس الماء الغائنة كاليسو

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter

(٢) عرضنا بكل ذلك في الرسالة في المجلد الثاني من
السنة الرابعة

ولقد نخلصنا لقراء الرسالة درامات إسخيلوس
وإحدى درامات سوفوكليس، ورأينا كيف كان
هوميروس رائدهما جميعاً كما كان زائد أقرانهم من
قبل ومن بعد : بندار وهسيود وبوريبيدز ...

— ١ —

أنشد يا هوميروس !
وظل في فم الأبد قيثارتة المُرْتنة، ونأينه
الطرب، وعوده الآن، ونغمته الحلوة الحنون :
أنشد يا شاعر المسحر الخالي

وحل في الإسماع موسيقى مدوية، وفي الديون
دموعاً جارية، وفي القلوب رحمة وعجبة ؛ وانفج
عرائس الشمر من لذلك سلطاناً، وحكمة وبياناً،
وسرراً وصولجاناً
نفسن يا شاعر أولب ! !

ولترسل من جنتك نغمة تنظم الأفلاك،
ورنة تجلجل في الأفق، وآهة تزلزل قلوب الجبارين !

سقطت اليوم^(١) ونزع النير بخيله ورجله .
فتمأى يا عرائس الفنون فانقضى أوديسوس في
ذلك البحر اللحي يذرعه ؛ موجة تلبسه وموجة
تخله ، لا يعرف لمملكته ساحلا فيرسو عليه ،
ولا شاطئاً يقصد إليه ... يحبط في السيم على غير
هدى ، ويرسل عينيه في السماء والسماء على غير
بصيرة ... ذرقة متصلة في المسؤل والسفل، وتيه
لانها في يحبط في أحشائه أسطول السادة المنتصرين ...
والأفئاد وحدها تعلم لم ضل أوديسوس
بجنوده في ذلك الباب، وقد عاد كل أقرانه إلى
هيلاس بسد طول النأي وشحط الفار، إلا هو

(١) Ilium هي طروادة

إلى مولاهما أن ينفذ ولده هرمل إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر بهيوس الجبار كاليبسو أن تدركه عظيم الأوديسيوس ورفاقه ليعودوا عليه إلى أوطانهم ؛ ثم ذكرت أنها استمضى من فورها إلى إيثاكا حيث العشاق المأتين محاصرون قصر نلوب ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تلياك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يجرى ساكنا لصغر سنه ... « إلى سألجب إحسانه ، وأقنع عينيه على ما ينبغي ... سأجمله بفرح من هذه العزلة الملية ليبحث عن والده ، فانه لم يعد طفلا بعد ... »

وانطلقت مينرفا فربطت نعلها السحريتين على قدميها الجليتين ، وحلت رعبها العظيم الذي تنظر للناس من سنان ، ووضعت تاجها المزيج على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فغطت من البناء إلى الأرض ؛ وفي لحظة انقلبت فأخذت شكل الآدميين ، ونحابت في جبان الأمير منتس^(١) وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع العشاق المجانين من من أجل ولية ، وتلفتت بمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر السام الحزين تلياك ، وقد تقعدت فوق جبينه موم ... وموم ، وتفضت مله أسأريه الآلام ... والآلام

وما هو إلا أن لها تلياك حتى أخذه من هيبته شيء عظيم ... فهب للقائها مسرعا ، ثم مد لها يده مصافحا وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروي أن منتس كان مجارا غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة من غير أنشر ، وذلك كافا هوميروس ظل اسمه يذكره هكذا في الأوديسيه .

في جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أوزيد . ما ذنبه ؟ ما جريرة ؟ لماذا ينفذ هذا العبد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أذكركم ضحى الأنصيات ياملك ، وقدم القرايين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شانتيك ! لقد نعي إلى أن كاليبسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا ... بالفول ! كيف يا أبناء ! وهذه الزوجة الناعسة نلوب ؟ نلوب المحرومة الرزاة ! نلوب التي صبرت وصارت طوال هذه السنين على ما كرثها الدهر به من بعد زوجها ؟ نلوب التي لحافظت على طهرها وإخلاصها ؟ أنظروا هكذا سجنية في قصرها المليف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصرا بمشاقها المجانين من أسراء الأقاليم ؟ أبي ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليزود هذه الكلاب التي ولت في حوضه وكادت تخوض في عرضه ؟ تداركه يا أبي ؛ تداركه بمطفة واحدة منك ، وإنك على إيقاظه لقوى مكين »

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها رب البحار نيتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من ترات وفارات ، « سبها هذه الفعلة الجنونية التي فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلوبس^(١) ، أبناء نيتيون إذ أقطع عينه الواحدة التي كان ينعم بوساطتها بزينة الحياة ... إطمئني يا بُنية وقرى عينا ... إننا نحن الأهلون ، وسيري نيتيون أنه لن يغاب الآلهة مجتمعة أبدا ... »

وشاعت النبطة في أعطاف مينرفا ، وتضرعت (١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب الماخر من الأوديسيه

« مرحباً مرحباً بالغريب المكرم ! هلم فشارك في ذلك القري ، ولنتحدث بعدها فيما أفدكم إلينا . مرحباً مرحباً وأهلاً ومهلاً ... » وإذلف نحو الصالة المزخرفة وتبعتة ميترفا ، وفي مئناها رجعها الجبار الذي يقدر من سنانة النمر ؟ حتى إذا بلغنا العمود الأكبر الذي أسندت إليه مئات الرماح ، والذي كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة

حربه ، تناول تلياك الرمح وأسندته بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح المشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكته وثيرة منزعلة ، وسأل متيرفا فاستوت عليها ، وكانامة بآمن من أن يستمع إليهما أحد ... وأقبلت جارية فينانة رائثة تحمل طستاً وإبريقاً من الذهب ، فصببت الساء على يدي الضيف ويدي تلياك ؛ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورد والرياحين ، ونشط النادل^(١) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والخلاوى ، فباتى بها نملأى وعضى بها فارغة ... والتدمان^(٢) فيما بين ذلك يجذب الرق^(٣) إليه ويسق ... ثم يسقى ... وشرع المشاق المجرمون بدورهم بلتهمون ما لذلهم وطاب من آكال وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فيميوس نايه وانطلق يغنى

وانتهز تلياك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فسأل الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أ رأيت إلى أولئك النفساق ، لو أن رب البيت هنا آكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسقمهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الحرب ، منهم إلى ذاك الطرب ؛

وقالت ميترفا ذات العينين الزرجديتين :
« ليهذا بالك يا بني ، فاني مجيئك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (جزيرة الطافين) البحارين ، وسليل انخيالوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المسدن الثمين ، وسفائننا ملقبة مراسها بالقرب من غابات (نيوس) . ولقد كنا وما تزال من أحب ضيفان أليك وأودم إلى قواد ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وبيته من لأواء إستوحيينا آلهتنا نفبرتنا أنه لابد عائد إلى وطنه سالمًا غانمًا ، وأنه لابد منتقم من هؤلاء النجار الأشرار ... ولكن خبرني بأربابك ، أفي الحق أنك لآنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاعك تشبه ملاعك ، وإنك تقرب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذي يشع من عينيك هو نفسه الذي كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا لآلهة ! كم سمعت إلى أليك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يقدر لي أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إنني من من وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ما أشوقني إليه ! ما أشوقني إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل في نفس تلياك فقال :
« ويحك أيها الصديق ! إنني أنا ابن أوديسيوس ما في

(١) النادل خادم المائدة

(٢) التدمان ساقى العراب

(٣) الرق قرعة الخمر

الوفية ... الأم السكومة ... يملأها ... يملأها ...
البابية المحزونة الصعدة ! كنز أوديسيوس الذي
لا يفي ! يطلبون يدها ولا يرحمون وقادها وبكائها
ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردم لعجزها ، ولا
تستطيع أن تبهيهم وهي لا تدرى من أمر زوجها ...
وهم طوال هذه السنين يربون نماء أبي ، فكيف في
أشريات وآكال ، حتى أفقر الزرع وجف الفرس ،
وما أحسبهم مبقيين على شيء ... حتى على !!
درسي فضيحة (يتبع)

ذلك ريب ، والعالم كله شهيد بذلك »
ثم اختلطت الزرقه بالخضره في معنى ربة الحكمة
وقالت : « على رسلك يا تليخوس ! إذن فما هذه
الولائم وتلك السسط ؟ وهذا الزحام من أين أقبل ؟
إني لأقلب ناظري في القوم فلا أرى شريكاً فاحسب
يستأهل أن يُحتنى به أو يقام له وزن ! »

ويتسكك تليخ ويحجب : « أيها العزيز ... لقد
هاجرت الفضيلة من هنا في أثر المهاجر العظيم ،
وكأنها آلت ألا تمود إلا معه ! وكان هو ، تداركته
السماء ! يلقنها هؤلاء بنظرة واحدة تكفي لتزول
منها الجبال ... وأبناءه ! لقد أطمع الماديات فينا
بطول نأبه . فبنا لنزوى ! إننا لا ندرى اليوم أين مقرة
ولا أيا ن مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار اليوم
لاجتمع الاغريق من كل حذب هنا ... هنا ...
في حاضرة إيثاكا لينصرفوا دموعهم من أجله ،
وليقيموا له نصباً عالياً رفيع القدرى شاهق الأوراق ،
وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف سدورهم بعداد
أبدى من التيجيل ... ولكن ! ... وأسفاه ! ...
لقد ابتصر اختصار الأبطال ، ثم مضى على وجهه
وراء البحار وفي إغاج التيج ، وغدوما لا يحلم
العين بنظرة مفردة منه ، ولا الأذن بلقطة عذبة من
لسانه البين ! ... تباركت يا آلهة الأولمب ! ماذا
عندك من الأنصية الخبوة لي ؟ الذئاب ! إني يا آلهة
هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل
فجج ... من الجزائر المتناثرة في البحر ، ومن المداين
للترامية في البر ... من ساموس وداشيوم
وزاكتشوس ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم
يرابطون حول هذا القصر ولا يستحيون ...
الفساق ! الأوشاب العرايد ! يطلبون يد الزوجة

ظهر مررتنا كتابا :

الموجبات ف المحادثات

(١) فرنسي وانجليزي وعربي

(٢) فرنسي وعربي مع قصر النطق

تأليف الأستاذ محمود محمد سالم خريج التجارة العليا بليون
ورئيس القسم الأوروبي بدار المحفوظات الموسومة بالقاهرة
كلهما دروس عملية لا تحتاج إلى مرشد ، الأول
يأخذ يدك عن طريق القارة ، والثاني يفلج بك على
عقبات النطق ، بكل منهما ٥٨ موضوعاً وأبنا :
مفردات ، محادثات ، رسائل ، صنوان يذلان لك جميع
الصعاب ، ليس في غي عنها أو أحدهما طالع أوراغب ،
والكتابان مطبوعان بمطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعة متفقا على ورق جيد

يباعان بجميع المكتبات وثمان كل منهما ٦ فروش مجلداً
ويطباعان بالجلد من مكتبة مصر بشارع القبالة ، بمصر

سلفت قد استطاع أن يصل منه إلى بقعة هي في مستوى عيني ، وليس بين تلك البقعة وبين القمة إلا مقدار ما بين عيني وقمة رأسى . أما ارتفاع الجبل الحقيقي فيبلغ تسعة وعشرين ألف قدم ، وما بقي منه يتحدى مغاليه يبلغ الألف فحسب ، بل إنه في الواقع دون الألف بقليل

وسياتى عاجلاً أو آجلاً اليوم الذى يرى فيه الانسان قمة ذلك الهرم الساخر من قدرته . وليس ما يتساءل عنه الآن هو إمكان صعوده ، وإنما سؤاله هو : « متى يكون ذلك الصعود ؟ »

ويرجع تسمية أعلى جبال العالم باسمه هذا ، إلى « سير جورج إفرست » ، الرجل الذى حدد موضعه وقاس ارتفاعه ، وهو على يده منه ، وما كان يمكن قبل أن يدنو منه أحد ، فلقد ظل الكثيرون من بواصل التسلفين زماناً يرجون الوصول الى قاعدته ليروا ماذا يستطيعون فعله حيال هذا الجبل الشاهق . ولن يتيسر الوصول الى تلك القاعدة الا عن طريقين ، أحدهما يخترق قرية « نيبال » والآخر يخترق قرية « تبت » ؛ ولكن حكام كلا القريتين كانوا يأبون أن يسمحوا لأحد بالوصول الى الجبل . ذلك أنه عندئذ بمثابة « أوليوس » عند الأفريق ، أعنى أنه مقر آلهتهم ، ومن أجل هذا ظلوا زمناً مصممين على منع الدنو منه

ولقد قام « سير جورج إفرست » بتحديد ارتفاعه عام ١٨٤١ . وبعد ذلك بنى سنوات سوياً برهنت حكومة تبت على مقدار ما تمكنه . من شعور المؤرخ نحو بريطانيا ، بأن سمحت بما كانت تأباه من قبل



إذا قدر للانسان أن يصل إلى قمة إفرست ، فإنه بذلك يضيف نصراً عظيماً إلى سالف انتصاراته على الطبيعة . ولبت شعري ما عسى أن يجيء به الأيام في أمر تلك المحاولة الهائلة ؟ على أن الانسان الآن من تلك القمعة الشاهقة على قلب قوسين أجل ليس ثمة الآن من مسافة بين البقعة التى وصل إليها الانسان أخيراً وبين تلك القمة التى تعتبر أعلى مكان في كوكبنا هذا ، إلا بقدر ما تسميه جولة يسيرة . ومن هاتيك البقعة تبدأ المحاولة الكبرى أو يبدأ الامتحان العظيم ، فإن تلك الجولة اليسيرة طالما قهرت الانسان وردنه ، وظلت قمة إفرست على قذها من الانسان قريباً يتحدها ويضايقه ، لم تظأها إلى اليوم قدم بشرية !

ومن الصعب أن نتبين مدى قرب الانسان من النجاح في تلك المحاولة ، ولكن فلأحاول أن أجور الموضوع لدهنك بمض التصوير

هأنذا رجل يبلغ طول ستة أقدام ، فهل في وسعك أن تتخيل نموذجاً صغيراً لهذا الجبل في نفس الطول ؟ إذا استطعت أن تمثل في خاطرك هذا الجبل الصغير فاعلم أن الانسان في عدة محاولات

ولكن مع أن التسلق لا يبدأ فعلاً إلا في أول مايو ، فأن ما يسبق ذلك من أهبة يبدأ قبل عدة شهور . فلا بد أن يبحث عن قائد ، ثم لابد أن يتخير ذلك القائد من الرجال من يصحبه ؛ وهو في ذلك لا يبحث عن مهرة التسلقين لحسب ، بل تراه يبحث عن تقارب قوى احتمالهم حتى يواصلوا السير جماعة ، فان الصمود الى مثل ما ينتوون ارتقاءه من المرتفعات يفقد المرء أثره ، ويشيع الهياج والاضطراب في أعصابه

ولن يقتصر الأمر على ذلك ، بل لابد من اعداد أطنان من المؤن وشقي الأدوات وإرسالها جميعاً الى الهند ، ثم يلتقي الرجال ومعهم متاعهم عند « دراچيلنج » ؛ وهناك يستأجروا الخائون من الوطنيين وما تطلبه الحملة من حيوانات ؛ ومن ثم تسير القافلة الطويلة قاصدة الجبل مخترقة السهول الرملية تارة ، ومتسلقة الشامب المترسة تارة أخرى ! وعند ما تبلغ القافلة الى قاعدة أفريست تجد نفسها على بعد هائل من مستوى سطح البحر ،



ينشأ المسكر الأول - أو مسكر القاعدة كما

على أن أولى الحملات التي أرسلت على هذا الجبل لم تقع إلا عام ١٩٢١ ، وكانت وجهتها في الحقيقة معرفة ما إذا كان من الممكن تسلقه أو من البديهي أنهم لو وجدوا ذلك يسيراً فما كان هناك من الأوامر ما يحول بينهم وبين السير إلى القمة ، ولكن الفرض الأساسي للحملة كان معرفة مدى ما يمكن الوصول إليه

ويقع جبل أفريست على بعد ثمانين ميلاً من « دراچيلنج » أقرب مكان إليه في الهند . ولقد أظهرت المناظير المقرية أن من الممكن تسلقه . على أنه حتى ذلك اليوم لم يتعد أي رجل من البيض في قربه من الجبل أكثر من أربعين ميلاً . ومن المسلم أن ما يقف عليه المرء من المعلومات عند سفحه أضاف ما يستطيع الوصول إليه على ذلك البعد ؛ ولكن البعثة على الرغم من ذلك وصلت إلى نتيجتين كلتاها على جانب عظيم من الأهمية : أولاها أنه إذا كان من الممكن تسلق الجبل فلن يكون ذلك إلا من جهة واحدة ؛ والثانية أن كل محاولة لابد أن يقرر نجاحها في الفترة ما بين أول مايو ومنتصف يونيو . وعلّة ذلك أنه لا يستطيع أي إنسان الصمود على جوانب ذلك الجبل في معظم شهور السنة نظراً للأحوال المناخية القاسية ؛ حتى إذا كان مايو تحسنت تلك الأحوال بعض الشيء ، ولكن ذلك التحسن لا يدوم طويلاً ، ففي منتصف يونيو يبدأ تهطل الأمطار الموسمية على الهند ، وان يقف أمر تلك الأمطار عند ما يصحبها من رداءة الجو ، بل إن الثلج في ذلك الوقت يأخذ في الزحف من مكانه وذلك هو الموت

في عروقها متجنبا ؛ وإذا زلت قدمك قيد شبر
فهناك الموت ينتظرك في قرار سحيق ؛ ومع كل
هاتيك الأهوال كثيرا ما يتضارب الحاملون من
أجل ذلك الامتياز : امتياز حمل الأتقال بين
المسكرات . ولا غرابة بمس ذلك أن يسميهم
المتسلقون من البيض « بالتمور »

ولكل قائد حلة خطته في تمثيلها والسير بها .
وهناذا أعرض عليك فكرة عامة مما يلقب
حدوته في تلك الخطط . يتقدم رجلان من البيض
ومعهم ما يطلبون من الحمالين حتى يصير الجميع على
ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، وهناك يبنون
المسكر الخامس ويحطون عنده راحلهم ، ليرحوا
أجسامهم المكدودة فترة مما نالها من نصب . وفي
اليوم التالي يستأنفون تسعيتهم حتى يلقوا علو
سبعة وعشرين ألف قدم أو نحو ذلك ، وهناك
يبنون المسكر السادس ، فيأوى إليه الأيضان
ويرسلان الحمالين ثانية إلى المسكر الرابع ، وبذلك
يبقى الخامس خاليا ، فيسير إليه اثنان آخران من
البيض ويستقران فيه حيث يجدان الكثير من
المؤونة ووسائل الراحة .

وفي صباح اليوم الثالث يخرج الرجلان الأولان
من المسكر السادس ميممين القمة ، فإذا لحقهم
الفشل عادوا إلى المسكر الخامس ، وبذلك يبقى
السادس خاليا فيسير إليه صاحب المسكر الخامس ،
ويبيتان فيه ليلتهما . حتى إذا نفث الصباح ، إن
كان ثمة من أصباح ، بما شطر القمة في دورهما وفي
أثناء ذلك يكون الاثنان الأولان في طريقهما إلى
المسكرات السفلى ليرسلا غيرهما من البيض كي

يسمونه - على مدى خمسمائة وستة عشر ألف قدم
من سطح البحر

ومن تلك القاعدة الأساسية تأخذ القافلة في
الضمود ، وترأها تقيم المسكرات على مسافات تكما
قطعت مرحلة في طريقها الرهيب ، ويكون السير
بطيئا متدرجا في الخفة حتى يتمود الرجال مقابلة تلك
الرياح العنيفة . وفي آخر مايو ينشأ المسكر الرابع
عند ما يسمى بالمقدمة الشمالية وهي إحدى الشعاب
التي تربط أفرتست بجزءه من سلاسل الجبال ؛ ويكون
ذلك المسكر على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم
وإذا تم بناء المسكرات وضع فيها من المؤن
ما يرجع إليه عند الحاجة ، كما أنه يترك فيها بعض
الرجال ، حتى يكون هناك من الحمالين من يقوم على
طول المسافة منتقلين أحيانا من مسكر إلى آخر ،
ومعنى ذلك أن يكون هناك طريق معبد آمن يربط
تلك المسكرات بعضها ببعض ؛ ويقوم البيض
بتشبيد هذا الطريق وشق ممرات ومسالك في الثلج
عند المنحدرات الوعرة ، والاستئمانه بالجبال
عند الحاجة .

- ويكون كلا المسكرين الخامس والسادس
مركزا للهجوم . وإقامة هذين المسكرين من أصعب
وأشق الأعمال ، فإن جانب الجبل في تلك المنطقة
أشبه بسقف للزل ، ولذلك يشدر أن تجد مكانا
لأقامة خيمة واحدة . ناهيك عما يكتنف المكان
من ريح عاصف عاتية تلذع الأجسام لذا ألما ،
فضلا عن ذلك الزهربر الذي يصل درجة من
الشدة بحيث لو أجلت يدك برهة في عمل من
الأعمال وهي عارية من القفاز لا بد أن يقف الدم

وفي عام ١٩٢٤ وصلت حملة أخرى إلى قاعدة ذلك الجبل ، ولكن التلج مالبث أن رى رجالها بقذائفه واستمر يحطر وأبلاً عنيفاً من لده ، فبدل أن يصلوا إلى المسكر الثالث في يومين أو ثلاثة ، وصلوا إليه في أسبوعين ! وكانت درجة الجو يومئذ ثلاثاً وخمسين تحت درجة التجمد ! ومن أجل ذلك اضطر الحارون وهم على مام عليه من بسالة أن يستقروا في أماكنهم متلاصقين لا يكادون يستطيون حراكاً ، حتى تحسن الجو نوعاً فوصل الجميع إلى المقعدة الشمالية ؛ ولكن التلج لج في عناده ورامم بأكثر مما رامم به من قبل ، وراح عدد من الحارلين ضخمة بطشه وجبروته ، وقال البيض كثير من النصب والأعياء من جراء محاولاتهم إقتاذ هؤلاء البائسين ، ولذلك اضطروا إلى أن رجسوا من حيث أنوا ليستفيدوا قوتهم ويجددوا عدتهم عند سحج الجبل !

وأخيراً بعد عدة محاولات استطاعت تلك الحملة أن تقيم خيمة لمسكرها على ارتفاع ثمانمائة وستة وعشرين ألف قدم ، وهو أعلى مسكر أقيم حتى ذلك اليوم . ونام في ذلك المسكر رجالان من البيض هما « نورون » و « سمرقيل » ، وفي صبيحة اليوم الرابع من يونيو توجهوا نحو القمة فوصلا إلى علو ثمانية وعشرين ألف قدم ، ولكن « سمرقيل » توقف وتقطعت به الأسباب إذ كان يشكو مرضاً في حلقه ؛ وعول زميله الباسل على الزحف وحده فوصل إلى علو ثمانية وعشرين ألفاً ومائة وستة وعشرين قدماً ، ولكنه ما لبث أن أرغم على الرجوع . وفي تلك الليلة أفقده التلج بصره !

يستقرا مكانهما في المسكر الخامس على استعداد للزحف

بـ هذه الطريقة يتوفر المتسلقون الجدد على التوالى . وإذا كان لاثنيين الأولين شرف البدء في تلك المحاولة العظيمة ، فكثيراً ما يصيب من يليهما حظاً أوفر من النجاح ، وذلك لزيادة اعتيادهم تلك الظروف الجوية الرعبة

وصلت أولى الحملات التي أعدت للهجوم على القمة إلى قاعدة أفريت في أول مايو عام ١٩٢٢ وهي السنة التالية للسنة التي وصلت فيها بمئة الكشف والدراسة . ولكن التلج قصم أعوادهم وأوهن عزيمتهم وقضى على مجهوداتهم بالقشل . سار هؤلاء الأبطال أول الأمر حتى استطاعوا أن يبنوا للمسكر الخامس على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، ومن تلك البقعة استطاع بعضهم أن يرقوا إلى سبعة وعشرين ألفاً ، ولكن المواصف الثلجية المروعة كانت لا تفتأ تهدد الخيام بل لم يقتصر خطر التلج على خيامهم فوصل إليهم في جوالق نومهم ! إلا أنهم على الرغم من ذلك عقدوا النية على مواصلة الزحف ، وتغلب عزيمتهم المصمم فترة على أهوال التلج ، وما زالوا يكافحون منتصرين حتى اليوم السابع من شهر يونيو ، وهنا أتابتهم كارثة جملت مواصلة الزحف في عداد المستحيل ، فلقد جرف هيار تلجي سبعة من الحارلين وهوى بهم إلى الموت ممجولين ! وربما كان البيض يرغبون أن يضجوا بحميتهم بعد ذلك ، ولكنهم لم يجيدوا لأنفسهم الحق في أن يسألوا يقية البواسل من الحارلين أن يتبعوهم ؛ وهؤلاء لن يكون لهم نصيب من الفخر إذا قدر للحملة النجاح

عاصفة شديدة على الاحتواء بجميعهم حتى اليوم
المشرين من ذلك الشهر ، وفي تلك للدة فقد جميع
ماكان بالمعسكر من مؤن ، وعلى ذلك فبدلا من أن
تواتهم القدرة على الصعود عقب هدوء العاصفة ،
نرى أول عمل يقومون به هو تخون المعسكر من
جديد ، وزادهم تكديدا ما علموه على لسان من
أرسلوا الى المعسكرات السفلى من مرض أحد
المهرة المتسلقين

ولسنا في حاجة بمقد ذلك أن نأني على كل
ماحدث من المحاولات للوصول الى القمة ،
وحسبك أن تعلم أن « جوجاز » أصيب بتجمد
عينيه ، كما تراكم الثلج على أهداب الرجال فجدها ؛
على أنهم استطاعوا رغم الصعوبات الهائلة أن
يقيموا المعسكرين : الخامس والسادس ، ولكن
لم يتسن لأحد أن يصل الى أبعاد مما وصل اليه
« نورتون » عام ١٩٢٤ ؛ وما لبثت الأمطار الوسيمة
أن أرسلت سيولها ، وأخذ الثلج ينهار كتلا
هائلة ، فاضطرت حملة عام ١٩٣٣ أن ترجع مهزومة
كسابقاتها

والآن بعد ثلاثة أعوام تصرح « تيت » ،
بالزحف من جديد ، وهنالك في المعسكرات السفلى
يقوم مستر « رتلج » ورجاله يستمعون الى ما يسمعه
اليهم جهاز الاسلاك من المهندس من أبناء الجو
وحالائه ويتطلعون الى القمة في لهفة مقدرين
ومؤملين ..

فأبليت شعري ماذا تحبوه لهم الآلهة هذه
المررة ؟

عن الانجليزية « عائر »

(طبعت مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)

وفي تلك الأثناء كان « مالوري » أحد المتسلقين
في طريقة على جانب الجبل يريد القمة ، وكان
فالوري ، هذا أحد أعضاء البعثة التي قامت بأعمال
الكشف عام ١٩٢١ ، ولقد اشترك أيضا في محاولة
الوصول الى القمة عام ١٩٢٢ ، فكانت إذا تلك
المحاولة التي نحن بصددتها ثالث محاولاته . ولقد
زاده اليأس قوة ومضاء ، فمول على السير فأما الى
قمة الجبل وإما الى هاوية الموت ؛ ولقد وصل وصديقه
« ارفين » الى المعسكر السادس وأقاما هناك ليلة ؛
وفي الصباح التالي سارا نحو القمة ويعلم الله وحده
ماذا كان أمرهما إذ لم تقع عليهما عين بعد ؛ وكانت
تلك الأساة الخفية خاتمة الحملة الثانية ، وبمدها
انقطعت المحاولات تسع سنين

ولا بد أن تكون حكومة « تيت » قد رأت
من تلك المأساة أن الآلهة في تلك القمة المستعصية
إنما كانوا يتنزلون القصاص العادل بن كانوا يحاولون
الدخول من عرشهم ، وعلى ذلك رفضت تلك الحكومة
السباح مدة بمحاولة جديدة ، حتى عادت في النهاية
فسمحت بها في خريف عام ١٩٣٢ . وسرعان
ما بُدئت أعمال التعبئة والاستعداد ، وفي السابيع
عشر من إبريل عام ١٩٣٣ ، أقيم معسكر القاعدة
من جديد

وفي هذه المرة لم تواجه الحملة الثلج فحسب بل
واجهت المرض أيضا ، فتلقد قل المرض من عزائم
القائمين بها ، وكان المدد الأقل من هؤلاء الرجال
من يصلح حقاً لذلك العمل الهائل . وأول نتيجة
لذلك أنهم لم ينهضوا المعسكر الرابع الا بعد شهر ،
أي في اليوم الخامس عشر من مايو ، ثم أرغمهم



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشفول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٠٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

بجدة أسبوعية للثقافة والفكر

نصدر مؤنتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٤ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ — ١٥ فبراير سنة ١٩٣٧

العدد الثاني

والأناسة الفرزية ،
والذهن المتصرف المرن ،
فهي التي تجعل من
سواسية بنات الشعب
سيدات وعقائل
كان الألم يبلع عليها
عنيفاً كما شمرت بأنها
خلقت للنعم والترفع ،
وهي إنما تعيش في هذا
المسكن الحقير بين هذه

الحلمية
La parure
للطبيب الفرنسي جي ربي مرياسات
بقلم احمد حسن الزيات

كانت من أولئك
الفتيات الأنيفات
الرشقات اللاتي يحسن
ولادتهن في أسرة من
أسر الموظفين خطأ من
أخطاء القدر . لم يكن
لديها صداق يحقق
الزواج السعيد ، ولا
رجاء يضمن العيش
الوغيث ، ولا وسيلة

المجدران الماطلة ، والمقاعد الحائلة ، والقاش الزرّي .
كانت هذه الأشياء التي لا تفطن إليها امرأت
أخرى في طبقها ترمض نفسها بالألم ، وتوقد
صدرها بالغضب . وكان منظر الخادمة الصغيرة
البريتونية التي تقوم على تدبير بيتها المتواضع ، توقظ
في قلبها الحشرات اللاذعة والأحلام الماثرة . كانت
تحلم بالأواوين الصامتة تدبجها الطنائس الفرجية ،
وتعطيها المصاييح البرزية ، وبالخدمين الفاوهين في
السراويل القصيرة ، يرقد كلاًهما في المقعد الواسع .

تكشفها للناس فتعرف وتُفهم وتُحسب ، وتزوج
من رجل غني سرى أمثل ؛ فتركت قيادها للحظ
فزوجها موظف صغير من موظفي وزارة الماوار
العمومية
كانت بسيطة الهندام لأنها لم تجد زينتها ،
وكانت معذبة النفس لأنها لم تمايش طبقها ؛
والنساء ليس هن طبقة ولا جنس ، وإنما يقوم هن
الجمال والظرف والفتنة مقام الأصل والأسرة ، فلا
ترى فيهن من تفاوت ولا تمايز إلا بالرفة الفطرية ،

وتدهش كما كان يرجو زوجها رمت الدعوة على السائدة في غضب وسخط وهي تقول :

— ماذا تريد أن أصنع بهذه ؟

— ولكفى ظننت يا عزيزي أنك تسرين بهذا .
إنك لا تخرجين أبداً ؛ وهذه فرصة جميلة ،
حقاً جميلة ! ولقد احتملت في سبيل الحصول على
هذه البطاقة مالا تتصورين من الجهد والشقة . كل
الناس يرغبون فيها كل الرغبة ، ويسمون لها كل
السمي . وهم لا يملكون الموظفين منها إلا بفكر
سعين هناك العالم الرسمي كله

فقطرت اليه نظرة الغضب ثم انفجرت قائلة :
ماذا تريد أن أصنع على جسمي في هذه الحفلة ؟
لم يكن الزوج قد فكر في هذا ، ولكنه أجاب في
خفوت وغفمة :

عندك الثوب الذي تذهين به إلى السرخ .
إنه على ما أرى ملائم كل الملاممة ...

ثم أخذ الدهش والتوى عليه الكلام حين
رأى زوجه تكي ، وأبصر دمعين غليظين تنحدران
من زاويتي عينيها إلى زاويتي فمها ؛ وقال في غفمة :
ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

فتعاملت على نفسها بالجهد العنيف وأجابته
بصوت هادئ وهي تمسح الدمع على خديها :

لا شيء ، غير أنني لا أملك ما أنزين به ، ولذلك
لا أستطيع الذهاب إلى هذه الحفلة ؛ فأعطت هذه
البطاقة زميلاً من زملائك تكون امرأته أتعن
منى جهازاً وأنم أمة . فابتأس الزوج وقال : لننظر
في الأمر يا ماتيلا . كم تكلفنا الزينة البسيطة الملائمة
التي تنفيك في مثل هذه المناسبة ؟ فسكرت بضع ثوان
تحرر الجساب وتحرر المبلغ الذي إذا طلبته لا يثير
دهش الموظف الصغير ، ولا يوجب رفض الزوج
القتصد ، ثم أجابت جواب التردد :
لا أعرف ذلك على وجه الدقة ، وأظن أربعمائة

وكانت تحمل بالهو الفخم بقشيه الديباج القديم ،
وبالأثاث الدقيق يجمله الرياش الكريم ، وبالصالون
الأنيق المطر يحمل لأحاديث المصراع أخص الأصدقاء
وأبناء الكبراء والأدباء ، ممن يشتهي النساء استقبالهم
ولما جلست إلى المشاء على المائدة المستديرة
والخوان المرود أمام زوجها ، وقد رفع غطاء الحساء
وقال في وجه منبسط ولهجة راضية : « الله !
ما أطيب هذا اللحم ! إنني لم أر أشهى منه ولا ألد ،
كانت هي تفكر في الأعيشة الناعمة الجامعة ، وفي
الأدوات الفضية اللامعة ، وفي نسائج الوشي ترين الجدر
بصور الأعلام البارزة في التاريخ ، والأطياف الزرية
في غابة من غاب عبقرا . كانت تفكر في الألوان
النهية تقدم في الصحاف العجيبة ، وفي الملائقات
الغزلة الهامسة تسمع في بسمه كرسمة أبي الهول ،
وهي تأكل لحم السمك المرود ، أو الدراج السمن
لم تكن تلك زينة ولا حلوة ولا شيئاً مما تبرج
به المرأة ، وهي لا تحب إلا ذلك ، ولا تظن نفسها
خالقة لغير ذلك . وطالما ودت أن تكون موضع
الاحباب والنبطة ، ومنتجع الميول والأفئدة . وقد
كان لها صديقة غنية من رفيقات الدراسة فكانت
تكره أن تزورها ، لأن الألم الممض كان يرافقها
وهي عائدة . وربما ظلت الأيام الطوال تسفح الدموع
النزار إجابة لدواعي الأسف والياس والحزن

في ذات مساء عاد زوجها وعلى وجهه سمة
الجلال ، وفي يده غلاف عريض ، فقال :
بخنى هاك شيئاً لك . ثم فض الغلاف بقوة
وأخرج منه بطاقة مطبوعة كتب فيها :

« وزير المعارف العمومية وعقيلته يرجوان
السيد (لوانيل) وعقيلته أن يشرفاهما بحضور الحفلة
الساهرة إلى ستقام في ديوان الوزارة يوم الاثنين
١٨ يناير » . ولكنها بدل أن تنبسط وتفتبط

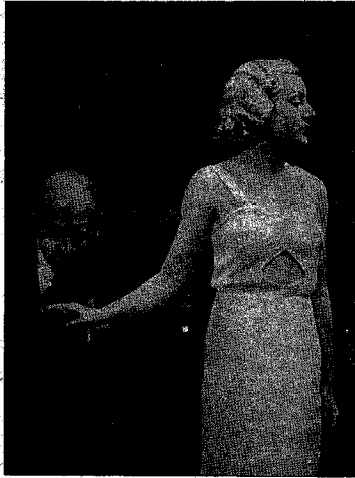
الأشياء هواناً وضراعة أن تظهر في محضر الأغنياء ،
مظهر الفقراء . ولكن زوجها صاح بها قائلاً :
ما أشد غيائك ! اذهبي إلى صديقتك السيدة فورستيه
فاستميري منها بمض الحلى ، فإن يسكن من قديم
الصداقة ووثيق الملاقة ما يتسع لنثل ذلك
فصاحت صيحة الفرح وقالت : هذا صحيح !

ومن العجب أنه
لم يجر على بالي
وفي صبيحة
الغد ذهبت إلى
صديقته فقصت
عليها ما هما
وغمها ، فلم تكذب
تسمع شكواها
حتى أسرع
إلى خزانها
فأخرجت منها
سندوقاً عريضاً
وفتحته ، ثم
قدمته إلى السيدة
لوازيل وهي
تقول : اختاري
يا عزيزتي
فوقع بصرها

أول ما وقع على الأساور ، ثم على عقد من اللؤلؤ ،
ثم على صليب بندق من الذهب قدر صمته بالحجارة
يد مستناع . فغربت على نفسها الحلى في المرأة ، ثم
أخذتها حيرة فلم تقطع المزمع على ما تأخذ وما تدع ،
فقال لصديقته : ألم يبد لديك شيء آخر ؟
فأجابته : بلى ! اجلسي . فاني لأعرف ماذا يصحبك
وعلى حين بنته وجدت في علبة من الديباچ

فرنك تبليجني إلى هذه الثأبة :

اصفر وجهه قليلاً ، لأنه كان قد أذخر هذا المبلغ
بتمامه لبشترته بـ بندقية يصطاد بها في الصيف مع
بعض الأصدقاء في سهل (ننتير) ، ومع ذلك قال لامرأته :
ليكن ! سأعطيك أربع مائة فرنك ؟ فاجتهدي
أن يكون لك منها ثوب جميل



دما يوم الحفل
وزينة السيدة
لوازيل قد
هبطت ! ولكنها
لا تزال كما يظهر
حزينة مهمومة
قائمة . فقال لها
زوجها ذات ليلة :
ماذا تجدين ؟
إنك منذ ثلاثة
أيام في حال
غريبة . . .
فأجابته : إلى
ليحزنني ألا
تكون لي حلية .
فلا أملك مما
يتحلى به النساء

شيئاً من معدن أو حجر ؟ وسأكون أحقر من في
الحفل زياً وهيئة ، وأرى من الخير ألا أذهب إلى
هذه الأمسية . فعقب على قولها بقوله :

تتجلين بالزهور الطبيعية . ذلك أجل شيء
وأطرفه في هذا الفصل . وبمشرة فرنكات تبتاعين
ورديتين أو ثلاثاً من أندر أنواع الورد . فلم يند هذا
الكلام على كبدها القريحة وقالت : كلا ، فإن أشد

فقد بصيبك البرد . وسأطلب عربية . ولكنها
تصانّت عن كلامه وانحدرت مسرعة على السلم .
فلما سارا في الشارع لم يجدا مركبة فشيا ، وكلا
أبصرا على البعد حوزيا صاحبها فلا يقف

أخذنا سبيلهما إلى (السين) هابطين قاطعين
بقرقفان من البرد ، فوجدا بعد لأى على رصيفه
مركبة عتيقة من تلك المراكب التي تسير وهي
قائمة ، ثم لا تُرى في باريس إلا تحت الليل كأنما تخزى

أن تظهر منها نهارا في وضع النهار . وركباها إلى دارها
في شارع (الشهداء) ودخلا حزينين : أما هي فلأنها
تتجسر على انقضاء ما كانت فيه ؛ وأما هو فلأنه يتذكر
أن من واجبه أن يكون في الوزارة الساعة العاشرة

نفت عن كبتها ، أمام المرأة ، الثياب التي
تدثرت بها حتى تنظر إلى نفسها وهي في مجدها
مرة أخيرة . ولم تذكر جميل اللحظ في جديدها حتى

صاحت صيحة منكرة : إنها لم تجد على محرّها تلك
القلادة ! ! فأقبل عليها زوجها في نصف ثيابه
يسألها ماذا أصابها ، فالتفت إليه هالمة تقول :
أنا . . . أنا . . . لا أجد قلادة السيدة فورستيه !

فانفض قائما بصيح وقد هفا قلبه من الجزع

— ماذا ؟ كيف ؟ لا يمكن أن يكون هذا !

وطفقا يبحثان في ثيابا الثوب ، وفي طوايا
المعطف ، وفي جيوب هذا وذاك ، وفي كل مكان هنا

وهناك ، فلم يجداهما . فقال الزوج للزوجة : أأنت
على يقين من أن القلادة كانت في عنقك ساعة تركت

الرقص ؟ فأجابته : نعم ، ولقد لستها بيدي وأنا
في دهليز الوزارة . فقال لها : ولكنك لو كنت

فقدتها ونحن في الشارع لكننا سمعنا وقعها حين
سقطت ؟ فلا بد أن تكون في المركبة . فقالت له :

نعم . هذا جائز . فهل تذكر رقم المركبة ؟ فأجابها :

كلا وأنت ؟ ألم تلحظها ؟ فقالت : كلا .

فرنا إليها ورنث إليه وكلاهما لا يملك فؤاده من

الأسود قلادة فاخرة من اللباس ، تحلق قلبها
خفوق الرغبة الملحة ؛ ثم تناولتها بيد مضطربة
وتقلتها على ثوبها المجهز فأذا هي على ما صورت في
الخيال ، وما قدّرت في الأمل . فسألت صديقتها في
رود وقلبي : أنتستطيعين أن تميريني هذه القلادة ؟
لا شيء إلا هذه القلادة ! فأجابتها صديقتها : نعم
ولاشك . فأهوت على نحرها تقبله في حية وطرب
ثم ولت مسرعة بهذا الكنز

أقيمت الحفلة الساحرة ونجحت السيدة لوازيل
فكانت أروع من حضرها من النساء رشاقة ولباقة
وهيجة . تدقت في السرور متأنقة متألفة فاسترعت
الأنظار ونصبت القلوب ، فتسابق الرجال وبخاصة
موظفو مجلس الوزراء إلى السؤال عنها والتعرف إليها
والرقص معها . حتى الوزير نفسه قد أتى إليها باله
كانت ترقص في نشوة من النبضة وفورة من
اللذة ، وقد اغنى من ذهنها كل شيء فلم تعد تفكر
إلا في انتصار جمالها ، وفي مجد انتصارها ، وفي
ظل رقيق من ظلال السعادة بسطته عليها التحنّات
التي قدمت إليها ، والاعجاب الذي اثنال عليها ،
والرغبات التي تيقظت فيها ، والفوز الكامل الذي
يهيج بسحره فؤاد المرأة

تركت الحفل زهاء الساعة الرابعة من الصباح ،
وكان زوجها منذ تنصف الليل قد غلبه النوم فأخذ
معهده في جو صغير خلا من الناس هو وثلاثة من
المدعوين كان نساقهم لا يزالن يقصفن في نشاط ومرح .
فلما همت هي وهو بالانصراف أتى على كفتيها الثياب
التي أحضرها للخروج ، وهي ثياب متواضعة مبتذلة
تتنافر بمقارنتها مع أثانة ثيابها من زينة الرقص .
وقد شعرت هي بذلك فأرادت أن تنسلل حتى
لا يلمحها النساء الآخر هن يرتدين معاطف الفراء
الفاتر . غير أن زوجها اعتاقها قائلاً : انتظري ؛

يمود هو فيشترتها منها بأربعة وثلاثين ألف فرنك إذاها وجدا القلادة الأولى قبل آخر فبراير كان لوازيل يملك ثمانية عشر ألف فرنك تركها له أبوه ، فلانما من أن يقتضى الباقي ، يقتضى ألفاً من هذا وخمسة مائة من ذلك ، وخمس ليرات من هنا وثلاثاً من هناك ، كُتب على نفسه الصكوك الحرجة ، وأخذ على ذمته المهود المخربة ، وتردد على كل مراب ، واختلف إلى كل مقرض

عروض آخره حمرة للخطر ، وغامرة بضائه وهو لا يضمن الوفاء بما أذم ؛ وفي حال رجف لها القلب فرقا بما يتجرعه من هموم المستقبل ، وما يتوقه من بؤس الميش ، وما يحشاه من حرمان الجسم ولوعة القلب ، ذهب يشتري القلادة الجديدة ويضع على منضدة الجوهرى ستة وثلاثين ألف فرنك !

ولما أخذت السيدة فورستيه الحلية من السيدة لوازيل قالت لها في هيئة غاضبة وهجة غالبة : لقد كان ينبغي أن تردى قبل ذلك ، فقد كنت في حاجة إليها ثم رفعت الحلية من دون أن تغفها ، فكففت بذلك صديقتها ما كانت تحشاه . فلقد كانت تقول لنفسها : ماذا عسى أن تظن السيدة فورستيه إذا لحظت أن القلادة غير القلادة ؟ ألا تحسبني لصة ؟

ذاقت السيدة لوازيل عيش الموزين المرير الحشن ، وحملت نصيبها من ذلك وقمة واحدة في بسالة وقوة كان لابد من قضاء هذا الدين القادح وسنتضيه . استغنت عن الخادم ، وانتقلت من المنزل ، واستأجرت غرفة على أحد السطوح ، وزاولت الأعمال اللطيفة في البيت ، وياشرت الأمور البقيضة في المطبخ ، ففسلت الأطباق ، وأتلفت أطاقرها الزوردة في صدا القمودور ودم الأواني ، (وسبغت) القدر من الأبيضة والأقصة والخرق ونشرتها على الحبل ؛ ثم هبطت الشاوخ في كل صباح لتصعد بلقاء وتقف

الجزع . وأخيراً مضى لوازيل فلبس ثيابه وقال : سأرجع في الطريق إلى قطنها على الأقدام فلمى أجدها . ثم خرج وترك أسرائه في ثياب السهرة ، وقد تطرحت من الخور على أحد القاعد ، لانتشع النوم ، ولا تطلب الدفء ، ولا تملك الفكر . ثم عاد في الساعة السابعة من غير أن يجد شيئاً . وما لبث أن ارتد إلى دائرة الشرطة يسجل المفقود ، ثم إلى إدارات الصحف يملن المكافأة ، ثم إلى شركة العربات الصغيرة ينشد للركبة ، ثم إلى كل مكان يهديه إليه يبعص من الأمل

وكانت هي تنتظر طول النهار على حالها الأليمة من الدهول والوله . وفي المساء عاد لوازيل ساهم الوجه كاسف البال لأنه لم يكتشف شيئاً . ولما أعياء الأمر قال لزوجته : لا بد أن تكتبي إلى صديقتك تخبرني أن مشبك القلادة انكسر وأنتك بسبيل أن تصاحبه . ذلك بطلينا الهلة لتتخذ تدبير آخر . فككت ما أملاء عليها

وفي آخر الأسبوع وقفت آملها على شفا اليباس ، فأعلن لوازيل أن لا بد من وسيلة لنشترى قلادة بدل القلادة

وفي صباح الذد أخذها حلية الحلية وذهبها إلى الجوهرى الذى كتب اسمه عليها فساله عنها . فقال بعد أن رجع إلى سجلانه : لست أنا يا سيدتى الذى صنع القلادة ، وإنما صنعت هذه الحلية فقط . فذهب يضطربان في سوق الجواهر ينتقلان من صائغ إلى صائغ فيسالان ويبحثان حتى وجدا آخر الأمر في دكان من دكاكين (الباليه رويال) قلادة من اللاس تشبه في نظرها القلادة المفقودة كل التشبه . كان ثمنها أربعين ألف فرنك ولكن الجوهرى رضى أن يزل عنها بستة وثلاثين ألفاً . فرجوانته ألبيتها من أحد قبل ثلاثة أيام ، وشرطاً عليه أن

دنت السيدة لوازيل من صديقتها القديمة
وقالت لها : عى صياحا يا جان !
ولكن صديقتها أنكرتها ، وأدهشها أن تسمع
إسراة من عرض الطريق جميعها بهذه الألفة ، وتناديها
من غير كلفة ، فقالت منمنمة :

ولكن... سيدتى... لا بد أن يكون هذا الأمر
قد اشتبه عليك . فقالت لها : كلا ! أنا ما تلد لوازيل
فصاحت السيدة صيحة الدهش وقالت : أوه !

صديقتى المسكينة ما تلد ! لشد ما تغيرت بعدى !
فقالت : نعم ! لقد كابيت برحاء الموم ، وعانيت
بأساء العيش منذ غبت عنك ، وذلك كله بسببك

— بسببى ؟ وكيف ذلك ؟

— إنك تذكرين ولا شك تلك القلادة

الماضية التى أعترفتى بإياها يوم حفلة الوزارة

— نعم ، وبعد ؟

— إننى أضعتها

— وكيف أضعتها وقد رددتها إلى ؟

— لقد رددت إليك قلادة أخرى تشبهها كل
الشبه . وهامى تلك عشرة أعوام قضيناها فى أداء
ثمنها . وليس ذلك باليسير علينا كما تعلمين ، فاليد
خالية والمورد ناضب والجهد قليل . وقد اتقى

الأمر والجلد لله ، وأصبحت على هذه الشدة راضية
منقطعة . فقالت السيدة فورستيه فى تودرة وبطء :
— أتقولين إنك اشتريت قلادة من الماس

بدل قلادتي ؟

— نعم ، ألم تلاحظي ذلك ؟ أه ؟ إنها لا تختلف عنها
فى شئ . وكانت شغافا قد افترنا عن إبسامة تم على
الكبر والسذاجة . ولكن السيدة فورستيه أخذت
يدها فى يديها وقالت لها فى لهجة الاشفاق والمحب :

— مسكينة يا صديقتى ما تلبس ! إن قلادتي

كانت كاذبة ! وما كان ثمنها يزيد على خمسين ألف فرنك !

الزنايات

عند كل طبقة تنففس الصمءاء من التعب ، وليست
لباس السوق واختلفت إلى الفا كمانى والبدال
والقصاب وعلى زراعها السلة فتساوم وتقاوم وتدفع
الغب من كل بارة من تقودها القليلة . فاذا تصرم الشهر
وجب عليها أن توفى صكا ، وتجدد صكا ، وتطلب مهلة
وكان الزوج يشتغل فى المساء ببيض الحساب
للاجر ، وفى الليل ينسخ صوراً من بعض الأصول
كل صفحة ربيع فرنك

ودأب الزوجان على هذه الحال عشرينين ، وفى
نهاية هذه المدة كان قد أدب الدين كله بسمرة الفاحش
وربحه الركب

وكانت السيدة لوازيل قد أخلفت جيداً لها
وبدت فى رأسها رواحى اللتيب . وكان من طول
قيامها بشئون المنزل الفقير أن أصبحت قوية غليظة
جافية . تكاد لا تراه إلا لاشتهاء الشعر ، حمراء اليد ،
مقلوبة الثوب ، ترفع صوتها فى الكلام ، وتفسل
أرض الفرق بلقاء الغمر ، ولكنك تراه فى بعض
أوقاتها تجلس إلى النافذة حين يجلس زوجها إلى
المكتب ، فتفكر فى تلك الأمسية الداهية ، فى تلك
الحفلة الساحرة التى كانت هى فيها موى القلوب ومراد
الأعين . ما الذى كان يحدث لو أن هذه الحفلة لم تفقد ؟
من يدرى ؟ من يدرى ؟ إن الحياة غريبة الأطوار
سريعة القلب ! وإن موتك أو حياتك قد يكونان
رهنك بأحققر الأشياء !

وفى ذات أحد من الآحاد بينما كانت ما تلبس ترفه
عن نفسها عناء الأسبوع فى رياض الشاتلزيه وقع
بصرها فجأة على السيدة فورستيه ومعهما طفل تزهره
وتروشه . وكانت لا تزال رافقة البشرة راقصة
الحسن فتاة اللامح ، فاعتراها لدى مراها اضطراب
وقلق . أتذهب إليهما اقتكهما ؟ نعم ! ولم لا ؟ لقد أدت
الآن كل ما عليا ، فلم لا تنفض بكل شئ إليهما ؟

لَيْتَنِي مَا وَلَدْتُهُ

للكاتبه ليليان لويجي بيرناردو
بقتلم الذكوة رخصاً صادقاً

فرقين ، وتولى من الجانبين
على أذنيها المزعزعين من
أسفل ، نتيجة تحلي قوط
ثقيل في أيام شبابها
وكانت جاراتها
يولسن دائماً على الأبواب
ولا يبرهن اهتماماً ،

هل (شفاروزا)
هنا ؟
- نعم . اطرق
الباب بقوة
طرقت (ماراجازيا)
الباب فلم يجيبها أحد ،
فجلست القرفصاء على

الدرجات المؤدية إلى عتبة الباب

ويقضين الوقت كله في أماكنهن يرتفن اللباس
أو يهين البقول للطبخ أو يطرزن ، ولا يكففن
عن الكلام وهن مهمكات في أعمالهن أمام بيوتهن
المنخفضة التي لا ينفذ إليها النور ولا الهواء إلا من
خلال الأبواب . وكانت هذه البيوت الوبيثة
تستخدم أيضاً حظائر للحيوان ، وأرضها مصنوعة
من الأحجار النائثة كأرض الطريق . وإذا ولج
إنسان داراً من هذه الدور ، رأى في أحد الأركان
حاراً أو بنلاً يتوجع من جرح أو مرض ، وفي
ركن آخر فراشاً حقيقياً تتراكم من حوله أنواع
مختلفة من الحشرات وغلة الحفول ، كل نوع على شكل
ناووس يستخدم مقعداً للزائرين ، ثم كرسيت
أو ثلاثة من القش ، ثم آلات الزراعة مبعثرة على
الأرض ، وعلى الجدران التي اسودت من كثرة الدخان
الذي يتصاعد إليها بعض صور زهيدة الفئ لا تمت
إلى الفن بأية صلة . ويرى السائر في طرقات القرية
التي يختلط فيها الدخان الكثيف بالرائحة البشيمة
التصاعدة من حظائر الحيوان ، أطفالاً يلعبون قد
سفعت جلودهم أشعة الشمس ، بعضهم عارى الجسد
كما ولدته أمه ، والبعض الآخر متستر ببعض واحد
كثير الفتوق

كانت هذه المرأة الرزاة تقضي أكثر وقتها في
ذلك المكان ، ناعمة تارة ، وبأكية في السكون الشامل
تارة أخرى . وكان السابلة يمرون بها من حين إلى
آخر ، فيلقون في حجرها قطعة زهيدة من المال
أو كسرة من الخبز ، فيقطعون عليها نومها الهادي
أو يكادها الألم . وفي تلك الحال تقبل المال أو الخبز
وترسم على صدرها إشارة الصليب ثم تعود ثانية إلى
النوم أو إلى البكاء والأنين

عليها أشمال بالية تهتك من كل جانب ،
أفسدها المرق وأقذار الطرق وذهب بلونها الزمن .
وكانت تندو في هذه الثياب المتداعية وتروح ،
لانعرف الخلاص منها بوجه ولا حيلة . وكان وجهها
الشاحب المرقوق قد انتشرت على صفحته التجاعيد
حتى أصبح لا يرى منه غيرا ، وجفونها الحمر
قد شرفت من طول البكاء ، ولكن عينها احتفظتا
بالصفاء المستهيم الذي يمثل الطفولة العارية من
الناكرة ولا يتلام مع هذه التجاعيد وتلك الحفون
الحمر . وكان الذباب الذي يهيم في الفضاء من حولها
يستطيط عينها فلا تشمر به ولا تطارده ، لأنها
تمسبة غارقة في همومها طيلة الوقت ، ولم يبق في رأسها
إلا القليل من الشعر المشعث قد انفرد من الوسط

وأتممة ، حتى يبلغوا محطة المدينة المجاورة ، يشيعهم
الأبناء والأمهات والأخوة والأخوات بالمويل
والنسيج . وكانت المرأة المسكينة تحرق بعصرها في
عيون الشبان من المهاجرين ، وكل منهم يصنع
البشر والابتهاج ليخفي انفعاله الشديد ويشجع
أقرباءه الذين يصحبونه

وفي كثير من الأحيان كان يدور بين ماراجرازا
والشبان المهاجرين حوار قصير :

— أيتها المعجوز المجنونة ، لماذا تحرقين في
مكنا ؟ أتردين أن تقتلي عبي ؟

— كلا يا بني ، إلى أحسبك عليهما لأنهما
سريان ولدى النائيين : وأستحلك بالله أن تصف
لها حال الألفية ، وأن تقول لها إذا تأخرا أكثر
من ذلك فأنهما ابن يجمدي على قيد الحياة !

بينما كان النساء يتحدثن في شأن الذين يرحلون
إلى أمريكا في اليوم التالي ، تكلم فجأة رجل شيخ
كث اللحية أغبر الشعر أشعث ، كان إلى تلك
اللحظة يصني إلى الحديث ولا ينطق بكلمة ، وكان
مستلقيا على ظهره معرضا صدره لأشعة الشمس
مبتهجا بتدخين غليونه ، قال هذا الشيخ وقد رفع
رأسه للسند إلى حجر وبصق :

— لو كنت ملكا لحظرت على أي خطاب
يُرد من أمريكا دخول قرية (قارنيا)

فصرخت إحدى النساء وقالت : ما هذا
يا جاكو سينا ؟ وكيف تعيش الأمهات والزوجات
البائسات إذا انقطع عنهن المال والأبناء ؟

فقال الشيخ مغمما وقد بصق فائنة : « آه !
نعم ! أمن أجل المال الذي يرسلونه ؟ إن الأمهات
مرغمات على العمل في البيوت خادمت ، والزوجات

في ذلك اليوم الذي طرقت المرأة المسكينة فيه
باب ننفاروزا كان الناس يتكلمون عن فئة جديدة
من المهاجرين الذين يتنوّون الرحيل إلى أمريكا في
اليوم التالي :

— سترحل (ساروسكوما) ويترك من خلفه
إمرأة وثلاثة أطفال

— وسيصعبه (فيتوسكورديا) ويهجر أولاده
الجمعة الصغار وإمرأته وهي حامل

— يقال إن (كارمن رونسا) سيأخذ ممة
ولده ، وهو في الثانية عشرة من عمره وقد بدأ

يكسب قوته من عرق جبينه ... أيتها المذراء
المقدسة ! أليس من المفروض عليه أن يترك هذا
الولد للإمرأة ؟ كيف تصنع هذه التهمة الآن ؟ !

— لم أسمع ليلسة أمسن غير البكاء والمويل في
بيت (مينوزيا) ، وابنه الذي عاد من المسكر منذ
قليل يرغب في السفر أيضا !

سمعت ماراجرازا المعجوز تلك الأقوال صامتة ،
وأدخلت طرف شالها في فها لتحبس في صدرها
الزفرات . ولكن حزنها استبد بدخياتها فسال
من عينها دمعا سخينة

مضى أربعة عشر عاما على سفر ولدتها إلى
أمريكا . ولقد وعداها العودة إليها بعد أربعة أعوام
أو خمسة ، ولكنهما أصابا هناك الفقر والثروة وعلى
الأخص أكبرها سنا ، وتسايا أهما المعجوز

وفي كل مرة ترحل فيها فئة من أهل (قارنيا)
إلى أمريكا ، كانت تقصد ماراجرازا إلى ننفاروزا
وتستكتبها خطابا ثم تسلمه إلى أحد المهاجرين
وتفرض إليه أن يحمله إلى أحد ولديها

وفي كل مرة ، أثناء عهد طويل ، كانت تتبع
هؤلاء المهاجرين في الطريق ، وهم يحملون غبرادات

في القرية بلارجال، وستتدرب النساء على العمل في الحقول فاطمنن بالأ»

فأجاب الشيخ بصوته الخشن : « النساء لا يحسنن إلا شيئاً واحداً فقط ! » ثم بصق فسالته بصوت مرتفع : « أى شيء يا جاكو »
— يحسن البكاء وشيئاً آخر

— إذن يحسن شيئين ! ولكن لنظر إلى أنا .
إني لا أبكي

— إبه ! أعرف ذلك جيداً ! إنك لم تبكي حتى عند موت زوجك الأول !

— إذا فرضنا وكنت أنا التي سبقته إلى العالم الآخر ، أكان يحجم عن الزواج ثانية ؟ إذن ...
أنظر إلى هذه المرأة التي تبكي نيابة عن الناس جميعاً ! إنها ماراجرازيا

— لدى هذه المعجوز ماء كثير وهي تصبه من عينيها !

ضحك السامعون من سخرية جاكو ثم قالت ماراجرازيا وهي تهز رأسها : « لقد فقدت ولدين جيلين فكيف لا أبتكهما ؟ »

فقالت ننفاروزا : نعم فقدت ولدين جيلين يستحقان البكاء ... إني أوافقك على ذلك . ولكنكما في نعيم هناك وبتركانك هنا تموتين بكاء وجوعاً

— أنا الأم وليس في استطاعتهما أن يدركا مبلغ ألمي !

— إذن نذرفين كل هذه الدموع وتحملين على نفسك هذا الألم الشديد ؟ يقول الناس إنهما فزعا إلى الرحيل فرارا من قسوتك وسوء معاملتك

فصرخت ماراجرازيا وضربت صدرها بيدها وقالت : « أنا ؟ من الذي قال ذلك ؟ »

على الذهاب يمرضهن إلى بورسة الشتاء ! ولكن لماذا لا يروون في رسالتهم شيئاً عن الشر الذي يجذبه هناك ؟ لماذا لا يكتبون إلا من وجه الأشياء الحسن فيجب صغار الأحلام على ذلك بالرحيل ؟ لم يعد في القرية أيد قوية لفلح الأرض وزرعها ! أقفرت القرية إلا من الشيوخ والنساء والأطفال الصغار . والرجال برغم هذه الحالة يواصلون الهجرة ويقبلون عليها إقبالاً مروعا !

وفي هذه اللحظة تحت ننفاروزا باهما ، وكانت سماء اللون كحيلة الطرف ساحرة لاحظ أرجوانية الشفتين بضء الجسم رشيقة القوام ، يبدو على هيئة الفرح والمزة ، وكان على صدرها الجبل شال من القطن أحمر اللون به نقوش على شكل أبقار صفراء ، وفي أذنيها قرط من الذهب كبير الحجم ، وقد جمعت شعرها في مؤخرة الرأس وجعلته على شكل كرة كبيرة ، وحفظته من التشعث بدبوس من الفضة .

آمت هذه المرأة بعد عامين من الزواج ثم تزوجت من رجل آخر هجرها منذ خمسة أعوام وسافر إلى أمريكا ، وكان زورها أحد أغنياء البلد من حين إلى آخر خلصة في ظلام الليل ، ويدخل بيتها من الباب الصغير حتى لا يشعر به أحد ، وكان جارأتها الشرقيات اللاتي يخشين الله يرمقنها بعين الحقد ويمسكهن في قلوبهن ؟ وسبب حقدهن عليها يرجع إلى اعتقادهن أنها كتبت إلى بعض المهاجرين في أمريكا رسائل بغیر إرضاء لتقصد عندهم سمعة نساءهم انتقاماً لنفسها من مهاجرة زوجها الثاني

دنت ننفاروزا من الشيخ وقالت : « من هذا الخلق الذي يهذي ؟ أه هذا أنت يا جاكو ؟
صدقي إذا قلت لك إن أحب الأشياء إلينا أن نظل

- بمض الناس
— يا للخرى ! أنا ؟ أبنائي ؟ أما التي ...
فقاطعتها إحدى النساء بقولها : « ما هذا الانفعال ؟ دعها تقول ! ألا ترين أنها تمزح ؟ »
وتحكت ننفاروزا طويلاً ثم أرادت أن تكفر عن مزاحها الأليم فقالت لارا جرازيا بصوت رقيق :
« تكلمي يا جدة واطلبي مني كل ما تريدن »
مدت مارا جرازيا يدها المرتمشة إلى وسطها وأخرجت من حزامها ورقة وغلافاً وقدمتهما إلى ننفاروزا في ضراوة وقالت :
— أنتفضلين على بالكتابة مرة أخرى ؟
— نأى خطاب أكتبه !
— نعم إذا شئت وتكرمت
عبست ننفاروزا وضاحت بهذا الطلب ، ولكنها أدركت أنها لن تجد السبيل إلى الخلاص من إلحاح المجوز ، فدعها إلى بيتها ، ولم يكن هذا البيت عائل البيوت الفقيرة التي تجاوزه ؛ وكانت غرفته كبيرة مظلمة قليلاً حين يكون الباب مغلقاً ، ولا ينفذ إليها النور إلا خلال كوة ذات قضبان حديدية في أعلى الباب ، وأرضها مصنوعة من الآجر وفيها سرير من خديد وسوان للملابس ومنضدة صغيرة سطحها من الرخام الأبيض . وهذا كل ما استطاعت ننفاروزا الحصول عليه من ربحها كاشكة في الريف
تناولت القلم ووضعت الورقة على الرخام واستعدت للكتابة وهي واقفة وقالت :
— تكلمي وأسرعي
— أكتبي : ولدى العزيزين ، لم تمدعيناى تقويان على البكا ... كتبت ننفاروزا ما أملت عليها وهي تنهد تهدة الثعب واللؤلؤ ، وواصلت المجوز الاملاء :
— لأنهما تمترقان شوقاً إلى رؤيتكما مرة أخرى على الأقل ... فتمجبتها ننفاروزا وهي تقول :
« استمرى ، استمرى ... أنك كتبت لها هذه الكلمات ثلاثين مرة على الأقل ! »
— أكتبي على كل حال . إنها الحقيقة يا عزيزتى ، وأنت ترين جيداً مبلغ ألى ... أكتبي : ولدى العزيزين ...
— أمن جديد ؟
— كلا ... ساملى شيئاً آخر ... لقد فكرت في ذلك الليل كله . إسمى : ولدى العزيزين ، أمكا المسكنة تمداكاً وتقسم لكما ... أكتبي ما أملى ... تمداكاً وتقسم لكما أمام الله أنكما إذا رجعتا إلى (فانيا) فأنها تهب لكما بيتها وهي على قيد الحياة وهنا انفجرت ننفاروزا ضاحكة وقالت :
« بيتك الحالي ؟ وماذا يصنعان به وما الآن في خفض من العيش ؟ ماذا يصنعان بمجرده الأربعة المصنوعة من القش والطين ؟ »
— أكتبي على كل حال : أربعة أحجار في الوطن خير من مملكة في ناحية أخرى ... أكتبي
— كتبت ما أمليت . هل تريدن إضافة شيء آخر إلى الخطاب ؟
— نعم ! أمكا المسكنة أدركها الشقاء وهي تقضض من قسوة البرد ، وبروم شراء ثوب ولا تستطيع ، فجودا عليها بخمس ليرات على الأقل ...
فقالت ننفاروزا : وهي تحفف البداد وتضع الورقة في الغلاف : « قول جميل . لقد كتبت كل شيء »
— هل وضعت جيداً هذه الجملة : جودا عليها بخمس ليرات ؟
— وضعت كل شيء

« أيها الأبناء ، كيف تطاوكم قلوبكم على الرحيل ؟
إنكم تمدون بالرجوع ولا تبرون بوعدمكم ... آه !
أيها الأمهات البائسات إيا كن والثقة بوعودهم !
إن أولادكن كولدى ، لن يمودوا أبداً »

وإنها كذلك إذ سمعت فجأة وقع قدمين برن
في الزقاق ، فوقفت تحت أحد المصابيح وتساءلت
من عساه يكون هذا الشخص ؟ ولماذا منها عرفت
أنه طبيب القرية الجديد الذى يقال إنه سينقل
قريباً ، لا لأنه يهمل في أداء واجبه ، ولكن لأن
أغنياء البلد ينفذونه على النقيض من الفقراء .
وكان هذا الطبيب في زهرة شبابه ، ولكنه كان
شيخاً بتجربته وعلمه ؛ وحين كان يتكلم في جمع
من الناس كانوا يصفون إليه مشدودين مأخوذون
ببلاغته وتدققه ، ولم يكن له أم تحزن عليه إذا رحل
إلى أمريكا كما كان يشاع عنه

وقبل أن يبلغ مكان ماراجرازيا يضع خطوات
قالت ضارعة : « سيدي الطبيب ! أسمع بأن
تؤدى إلى معروفاً كبيراً ؟ » فارتجع الطبيب من
الصوت المباغت ، ثم وقف تحت المصباح وقال
بصوت مرتفع : « من المشكلم ؟ آه ! هذا أنت ... »
وذكر في الحال أنه رأى هذه الخرق البالية عدة
مرات على أبواب البيوت ؛ ولما هذا ما ألم به من
الفرع ، قالت له :

— أنتفضل على بقراءة هذا الخطاب الذى
سأرسله إلى ولدى ؟
— سأحاول ذلك إذا استطعت في هذا الضوء
الضعيف

ثم لبس منظاره وأخرجت ماراجرازيا الخطاب
من حزامها وناولته إياه ، وانتظرت أن يعيد على
سممها الجمل التى أملها على تنفاروزا

— حقاً ؟

— أوه ! قلت نعم !

— يا ابنتى !ظهري قليلاً من الصبر مع عجوز
مسكرينة ! ماذا تنتظرين من بلهاء مثلى ؟ ! فليكانت
الله والعذراء !

تناولت الخطاب ووضمته في حزامها ، وأرادت
أن تأمن عليه ابن مينوزيا ليحمله إلى ولديها ،
فغادرت بيت تنفاروزا وأخذت سممها إلى بيته

أسدل الليل سدوله ودخلت النساء بيوتهن ،
وأغلقت جميع الأبواب إلا قليلاً ، وأقفلت الأزقة
الضيقة من السابلة ولم يبق فيها غير رجل واحد
يحمل سلماً على كتفه ، يسير خلال القرية يشمل
مصاييحها القليلة البمثرة ذات الضوء الضعيف
المهتر ، الذى يحمل سكون الأزقة الشامل حزبناً
رهيباً ثقيل على النفس

وكانت ماراجرازيا أثناء سيرها تضغط بأحدى
يديها على الخطاب الموضوع في حزامها ، كأنها هي
تريد أن تنقل إلى قطعة الورق جزءاً من حرارة
الأمومة ، وتحك يديها كتفها تارة ورأسها تارة
أخرى . وكانت كلما كتبت خطاباً غمرها الأمل
الكبير واعتقدت أن سيؤثر في ولديها ، ويأتى
بهما إليها

ولكنها في هذه المرة لم تكن راضية ولا مطمئنة
إلى الخطاب ، لأنها رأت تنفاروزا تكتبه في مجلة
شديدة ، واعتقدت أنها لم تكتب المجلة الخاصة
بالجنس قرأت التى تطلبها لشرائها ثوب يبقها لير الشتاء
وأثناء مرورها بالأبواب المغلقة ، بلغ سممها
صرخات الأمهات اللاتي يكن رحيل أولادهن
المقبل ، فقالت وهى تضغط على الخطاب بقوة :

لو كانا نسلما خطاباً واحداً من خطاباتها الكثيرة
لماذا إليها طائرین على أجنحة الشوق والحزن
ولكني طبيب الطبيب خاطرها وعدها بأن
يكتب بيده خطاباً معلولاً لولدها في صباح اليوم
التالي، ثم قال: «خلي عنك اليأس واذهبي الآن
إلى النوم والراحة، وغداً صباحاً أنتظرك في بيتي
لتحقيق رغبتك» ثم تركها وسار في طريقه
كيف تنام هذه الأم المذبة أو نحن إلى الراحة؟
عاد الطبيب بعد ساعتين من تلك الجهة نفسها فوجد
ماراجرازا في مكانها الذي تركها فيه جالسة القرقصاء
تحت ضوء الصباح وهي تبكي وتتململ. فأخذ عليها
عملها الجنوني وأرغمها على النهوض، وطلب إليها
أن تذهب إلى بيتها في الحال. ثم سألها:

— أين تقيمين؟

— آه يا سيدي الطبيب، عندى كوخ في
الجهة المنخفضة من القرية. لقد رجوت من هذه
المرأة المخادعة أن تكتب إلى ولدي أنى أنزل لها عنه
أثناء حياتي إذا قبلا العودة إلى وطنهما، فضحكت
ملء شديها وقالت: ماذا يصنعان بأربعة جدر
مصنوعة من القش والطين؟ ... ولكنى ...
— حسن، حسن. اذهبي ونامى، وفي الغد
لن نفعل الكلام عن الكوخ في الخطاب. تعال
سأصحبك

بارك الله فيك يا سيدي الطبيب. ولكن ماذا
تقول؟ ستصحبني؟ إذن سر أمانى لأنى عجوز ولا
أستطيع السير إلا ببطء شديد
فلم يسع الطبيب إلا أن يتنمى لها ليلاً سعيداً
وبكرها، فتبعته في خطى ضيقة متعاقلة. ولما
بلغت الباب الذي رآه يدخل منه، وقفت وغطت
رأسها وصدرها بشالها ثم جلست على السلم المؤدى

ولكن الطبيب لم يقرأ، إما لأنه لم ير جيداً
وإما لأنه عجز عن قراءة الخط. ثم شرع يذوق الورقة
من عينيته ثم يبعدها قليلاً ليستنمر جيداً نور
المصباح، وبعد وقت قصير طال على المرأة المسكينة
سألها: «ما هذا؟» فسألته ماراجرازا بدورها في
خجل وتواضع: «ألا تستطيع قراءته؟» فضحك
الطبيب وقال: «ليس في الورقة كلمة واحدة
مكتوبة، ولكن فيها أربع خطوط في تصاريح
صينية! انظري؟»

فصاحت المعجزة مبهوتة: «كيف؟»
— انظري وأسمي النظر. لم يكتب فيها كلمة
— أجاؤ هذا؟ وكيف وقع، مع أنى أمليتي
على تنفادوزا كلمة كلمة، ورأيتها تكتب!
فهر الطبيب كفتيفه وقال: «لقد تظاهرت
بأنها تكتب»

جدت ماراجرازا في مكانها ثم ضربت صدرها
بيدها وقالت في ألم شديد: «آه، الخائنة، لماذا
تخدعني وتسخر من عواطفى؟ الآن عرفت لماذا
لا يجيب ولداى على رسائلى! إنها لم تكتب قط
ما كنت أمليه عليها ... عرفت السبب! إذن
ولداى لا يعرفان شدة عذابى! لا يعرفان أنى أموت
من أجلهما! رب كيف يجروا إنسان على خيانة أم
محجوز مسكينة مثلى؟ يا للعار!»

نال ألم المرأة من نفس الطبيب مثلاً كبيراً،
واجتهد في أن يهدئ قليلاً من غضبها وبأسها،
وسألها عن تنفادوزا أين تقيم ليوجه إليها في اليوم
التالى ما تستحق من اللوم. ولكن المرأة كانت لاهية
عنه بالتفكير في التماس الماذر لولدها البعيدين عنها،
وشمرت في تلك اللحظة بوخر الضمير الآليم لأنها
اتهمت أعماماً ظولاً بغير حق، واعتقدت أنهما

الى عتبة الباب فى انتظار طلوع النهار

وعند بزوغ الفجر ، استيقظ الطبيب كمادته
للقيام بزيارة المرضى . ولما فتح الباب سقطت
ماراجازيا الى الخلف عند قدميه لأنها كانت
مستغرقة فى النوم وقد أسندت ظهرها الى الباب
عجب أشد العجب وقال : « أوه ! لقد أسأت
الى نفسك جد الاساءة » فأجابته وهى تحاول
النهوض : « سامحنى يا سيدى »

— هل قضيت الليل فى مكانك هذا ؟

— نعم يا سيدى . اطمئن بالآ فقد ألفت ذلك .
كيف أستطيع أن أومى نفسى وأندى خيانه هذه
المرأة الخبيثة ؟ سأقتلها يا سيدى . كان فى استطاعتها
أن ترفض الكتابة فى صراحة وأن تقول إن طلبى
يبحث فى نفسها الضيق واللئال فأذهب الى شخص
آخر ... أذهب الى رجل طيب القلب مثلك ...

— نعم . انتظرينى هنا قليلا . سأزور المرأة
التي خدمتك ثم أعود لكتابة الخطاب

وسار متوجها نحو الطريق الذى عينته له المجوز
فى المساء السابق ، وشامت له المصادفة أن يقابل
نفاروزا خارجة من بيتها فى تلك الساعة دون أن
يعرفها ، ويسألها عن عنوانها . فأجابت وهى
تضحك وقد احمر وجهها : « إني أنا نفارسوزا
يا سيدى الطبيب » ثم دعتة الى دخول البيت

لأنها رأت هذا الطبيب الشاب الجليل يجتاز
الزقاق الذى تقم فيه كثيرا من المرات ، ولكنها
لم تتعرف إليه لأنها كانت فى أكل حمة ولم تجرؤ
على إدعاء الرض ؛ فلما رآته يسأل عنها من تلقاء
نفسه ليتحدث إليها ، ظهر على وجهها أمارات
السرور الشوب بالدهشة الشديدة . ولما رآته
مضطربا عابسا وعرفت القرض من هذه الزيارة ،

أنحنت عليه قليلا فى خلاعة ساحرة دون أن تعلم
السبب الحقيقى للألم الذى عنده . ولما استقر به
المقام ، طفق يتحدث وهى تصنى إليه ، ثم قالت فى
لهجة الجزع ، وقد أغمضت عينها الكحيلتين
الخلايتين « عفوا يا سيدى الطبيب . أترعج نفسك
إلى هذا الحد من ، أجل هذه المجوز المجنونة ؟
الناس جميعا هنا يعرفونها ولا يلقوا أحدهم منهم نفسه
من جرائمها . سل من تشاء . سيقول لك جميع
الناس إنها مجنونة ، مجنونة حقا منذ أنت رحل
ولداها إلى أمريكا ، وقد مضى على ذلك أربعة عشر
عاما . إنها لا تريد أنت تصدق أنها نسيها كما
هو الواقع والحقيقة . وهى مصرة على الكتابة
إليها دائما ؟ تريد أن ترسل إليهما فى كل يوم
خطابا ، ولكى أدخل على نفسها الابتهاج ، كنت
أظاهر بكتابة ما تريد ، وكان المهاجرون إلى أمريكا
يظهرون لها أنهم سيحملون رسائلهم إلى ولديها ،
فتظل المرأة غارقة فى غرورها . وإذا كنا يجارها
ونحبها دائما إلى ما نطلب ، فإن حياتنا تصبح
تكدة صعبة الاحتمال . أنظر إلى يا عزيزى ، إني
أنا أيضا قد هجرنى زوجى . وهل تمرق الفجعة التي
كشفت بها عن خبث طوبته ؟ إنه أرسل إلى صورته
مع خلية أمريكية ، وأستطيع أن أظلمك عليها فترى
رأسه إلى جانب رأسها ، ويده فى يدها هكذا ...
أسمح ؟ هات يدك هكذا ، وهما يسمان
استخفافا بالذين يطاعون على صورتهما ، وأقسم لك
أنى ضحكت كثيرا حين تسلمت الصورة . آه !
يا سيدى الطبيب ، إن الانسان يبكي الذين يرحلون
ولا يرى لجمال الذين يقون ! لقد بكيت أيضا ؟
وهذا أمر طبيعى فى الأيام الأولى ، ولكنى ثبت من
بمدها إلى عقلى ... والآن أعيش فى أحسن حال .

تجدد على المين بعد مسير ربع فرسخ على الأكثر
(بيت العمود) كما يسميه الناس. إنه يقيم في هذا
البيت، وله مهنة جميلة تدبر عليه خيرا كثيرا.
إذهب اليه وسترى أفنى على حق فيما قلت لك
نهض الطبيب وهو أشد ما يكون شوقا إلى
رؤية هذا الابن، ثم قال: «إني ذاهب اليه»
فوضعت ننفاروزا يدها على شعرها، وورنت
إلى الطبيب بلحظها الساحر وقالت: «أتنى لك
استراحة طيبة، وأقدم اليك وافر احترامى»

سار الطبيب في طريق ضيقة كثيرة الأحجار
تقوم على جانبيها بعض الدور والأكواخ الحفيرة،
حتى خرج من القرية وأخذ طريقا آخر وسط
الحقول، وهو يلقى ابنته بآهة يسرة، ويرى
الأرض الجافة التي تنتظر المطر حتى تنمر، وراعه
أثناء مسيره روح الحزن الذي يحيم على الأرض
وقد رحل عنها أكثر سكان القرية ورجلها
آه! ها هو ذا بيت العمود. وقد أطلق عليه
هذا الاسم لأنه يجاور عمود معبد روماني قديم لم
يبق منه إلا ركن واحد. ولما دخل الطبيب من
البيت وقف أمام الدور وصاح «هو هو!» حتى
يأتيه من يجنبه خطر السكلاب. فأجابه صبي في
العاشرة من عمره عارى القدمين بضرب لون عينيه
إلى الخضرة، وعلى رأسه قبعة من القماش قد ذهبت
بلونها أشعة الشمس. سأله الطبيب:

— أهنالك بختى منه؟

— نعم. ولكنه هادئ لا يؤذى أحدا

— هل أنت ابن روكو؟

— نعم ياسيدى

وكلا وجدت فرصة للو. لهوت. يبنى أخذ الحياة
كما هي ...»

خفض الطبيب بصره اضطرابا من العطف
الذى أظهرته المرأة الجميلة نحوه ثم قال:

— ربما عليكن ما يقوم بحاجتك، ولكن
هذه المعجوز البائسة ...

— من؟ هي؟ عندها ما يجعلها تعيش كما مرة
عظيمة ولكنها لا تريد

فسألها الطبيب وهو يحدق فيها «كيف
ذلك؟» ولما رأت ننفاروزا منظر وجهه المشدود
عادت إلى الضحك بقوة كاشفة عن ثناياها الخلابية
ثم قالت:

— نعم إنها لا تريد يا سيدى. لها ابن آخر،
وهو أصغر أبنائها، يود لو تقيم معه

— ابن آخر؟ هي؟
— نعم ياسيدى اسمه روكو. ولكنها لا تريد

أن تعرف عنه شيئا
— ولماذا؟

— لأنها مجنونة كما قلت لك. إنها تبكي فراق
الاثنتين الآخرين ليلا ونهارا، ولا تقبل من ابنا
روكو أى شيء رغم توسلاته.

زوى الطبيب ما بين عينيته حتى لا تبدو عليه
أمارات الدهشة مرة أخرى، وحتى يخفى اضطرابه
الشديد ثم قال:

خبرنا لا يحسن هذا الابن معاملتها

— لا أعتقد ذلك. إنه قبيح الخلقة عروس الوجه

دائما، ولكنه كريم النفس سرى الخلق. وهو

مجد لا يعرف غير عمله وزوجه وأولاده. إذا أردت

أن تراه، فسر في هذا الطريق المستقيم أمامك،

— وأين والدك؟

— في الحقل

وكانت أم الصبي جالسة على مقعد حجري أمام البيت تمشط شعر ابنتها الكبرى وهي في الثانية عشرة من عمرها ، وكانت جالسة على مقعد حجري آخر وظهرها إلى أمها ، وفي حجرها طفل رضيع . وكان أمامها طفل آخر يلعب في الأرض وسط الدجاج والديكة . فقال الطبيب المرأة « أريد أن أحدث إلى روكو . إنى طبيب القرية الجديد »

لم تحر المرأة جواباً لأنها اضطربت ولم تفهم السبب الذي من أجله يريد الطبيب أن يتحدث إلى زوجها . ثم أسلحت قيصها الحشن ونهضت لتقدم إلى الطبيب مقعداً ؛ ولكنه رفض الجلوس وانحنى على الطفل الذي يلعب في الأرض ، مداعباً ، وجرى الصبي الكبير إلى الحقل لينادي أباه وبعد لحظات سمع وقع أقدام ثقيلة ، ولح من بين أشجار التين الكثيفة روكو يسير نحو البيت مقوس الظهر والساقين ، ويده في وسطه كمادة الفلاحين في تلك الجهة . وكان زري الهيئة دميم الخلق واسع الفم غليظ الشفتين مصفر الوجه مشوه الوجنتين ، وكانت عيناه غائرتين ينبعث منهما برق لا تطمئن إليه النفس

رفع هذا الرجل يده إلى رأسه ورفع قبعته إلى الخلف علامة التحية وقال للطبيب :

— أقبل يدك يا سيدي . ما الذي أستطيع

أداؤه ؟

— جئت لأخطبك في شأن أمك

فاضطرب روكو وسأله في لهفة :

— أليست في صحة تامة ؟

— اطمئن من هذه الناحية . ولكن

الشيخوخة أدركتها كاتلم وتفتقر إلى العناية ...

وكلا أسهب الطبيب في الكلام عازداً اضطراب روكو ثم قال :

— سيدي الطبيب ، إنى خاضع لك في كل ما تحكم به . ولكن إذا كنت قد حضرت خصيصاً لتخططين في شأن أمي ، فاني أستاذك في الانصراف إلى عملي

— انتظر ، إنى أعرف أنك رجل مجد ، وقيل لي إنك على النقيض من ...

— ادخل البيت يا سيدي الطبيب ؛ إنه بيت فقراء ولكنك طبيب ، وقد رأيت كثيراً من أمثاله . أريد أن أريك الفراش المداعماً لهذه العجوز الطيبة القلب ؛ إنها أمي ولا أستطيع أن أطلق عليها اسماً آخر ، هاهي ذى امرأتى وهام أولاد أولادي ، إنهم يقرون أنى كنت آثرهم دائماً بخدمتها واحترامها ، كما يخدمون ويحترمون المغدراء المقدسة . الأم مقدسة أيضاً يا سيدي الطبيب ؛ لم أعملها يا سيدي ولكنها تنعم بالمرضى أيام الناس وتجعلهم يظنون في ... من يدري ؟ ربيت يا سيدي عند أقرباء أبي ونشأت بينهم ، وما كان ينبغي لي أن أحترمها كأني لأنها كانت تعاملني بقسوة وخشونة ، ولكني مع ذلك أحترمها دائماً وأشفق عليها . ولما رحل ولداها إلى أمريكا ، رجوت منها أن تقيم معي وأن تكون سيدة البيت ، ولكنها رفضت رجائي وفضلت الاستجداء في الطارق وإغراق في العار ؛ وأقسم لك أنى إذا رأيت أحد ولديها قد عاد إلى قارنا فاني سأقتله انتقاماً لنفسى من هذا العار ومن الآلام التي تحملتها طيلة أربعة عشر عاماً ؛ سأقتله

ثم التفت إلى المرأة وأولادها وقال : « فلتكن
مشيئة الله ! »

عاد الطبيب إلى بيته وهو يفكر في تفسير هذه
الحال الغريبة التي آلت قلبه ؛ وكانت مارا جرازيا
جالسة على عتبة الباب ، فدعاها إلى الدخول وقال
لها بصوت فيه رنة الخشونة : « لقد تحدثت إلى
ابنك في بيت العمود . لماذا أخفيت عني أن لك
ولدا آخر ؟ »

ففظرت اليه المرأة دهشة ، وعبثت يدها المرتمشة
بشعرها قليلا ، ثم قالت :

— آه ! ياسيدي الطيب ! المرق البارد
يتسبب من جيبني كذا خاطبني أحد في شأن هذا
الابن . أشفق على ، ولا تذكره أمامي بمد ذلك !
— لماذا ؟ ما الذي تأخذينه عليه ؟ تكلمي
— في الحق ياسيدي أنه لم يسمي إلى ... كان
يجري خلق في احترام ... ولكن ... انظر كيف
أرتمد حين أنكلم عنه ؟ آه ! استمع ، ياسيدي
الطيب ، إنه ليس ابني

فلما سمع ذلك فقد كل صبر وصاح قائلا :
« كيف ؟ ماذا تقولين ؟ أنت بلهاء أو مجنونة !
أنت أنت التي حملته وولده ؟ »

نكست المجوز رأسها وقالت :
— نعم ياسيدي ، ولكني بريئة من البله
والجنون ... لن أتألم من بمد ذلك إن شاء الله ...
وقمت أشياء ياسيدي لآتفرها لأنك صغير السن ،
ولكن أنا غارقة في الألم من عهد بعيد إلى اليوم ...
وهذا رأيت في ذلك العهد أشياء لا تستطيع أن
تصورها

ياسيدي ، وإلى أجهرك بذلك أمام زوجي وأولادي .
وهنا مسح دوكوفه بذراعه وهو يرتعد وقد
صعد الدم إلى عينيه الغائرتين ، وكان الطبيب يصني
إليه ويحدق بصره فيه ، ثم قال له :

— ولكن لماذا ترفض أمك الإقامة معك ؟
لأنك تكره أخويك من غير شك
— أكرههما ؟ نعم أكرههما الآن فقط من
أجل الآلام التي تسببها لأمهما ولي أنا أيضا ،
ولكن لما كانا في القرية ، كنت أحبهما وأحترهما
كشقيقتين أكبر مني سنًا . أما ما فعل العكس من
ذلك كان يجري في عروقهما دم قاييل ! اسمع
ياسيدي . كانا لا يعملان شيئا ، وكنت أنا أعمل
للجميع ؛ وكانا يترددان على بيتي ويقولان إن الخبز
يعوزها وأن أمهما نامت طافية ، فأعطيها ما عندي
من الطعام ، وقد ارتطما في حجارة الدعارة فتزوجا من
امرأتين لها سيرة قذرة ، ولكني مع ذلك كنت
أعطيها ما يريدان . ولما سافرا إلى أمريكا
ودعتهما وتغيب لهما الخير كله . سل امرأتى تينيثك
ياسيدي

فقال الطبيب بصوت خافت حتى لكأنه
يخاطب نفسه :

— ولكن لماذا إذن ... ؟
— لماذا ؟ لأن أي تقول إنني لست ولدها
... كيف هذا ؟
— سيدى الطبيب ، سلها تشرح لك ، أما أنا
فليس عندي من الوقت ما يكفي ، والرجل في
انتظارى للعمل
قال هذا وابتمد مقوس الظهر والساقين ونده
في وسطه كما جاء ؛ وشبهه الطبيب بنظرة لحظة ،

وكان المسكين يخفي يديه اشتزازاً من كل ملامحهم على قلبه... آه! يا سيدي الطبيب، لقد جئني في عروقي حين رأيته على هذه الصورة. صرخت قائلة عند رؤيته رحمه الله « بننو، ما ذا فُعلت؟ » ولكنه هجّز عن الكلام وجلس أمام الوفد صامتاً وهو يخفي يديه تحت ثيابه وينظر إلى الأرض بعيني أبله أو مجنون. وبعد وقت طويل قال: « الموت أفضل! » ظل نخبثاً ثلاثة أيام، ثم خرج في اليوم الرابع. كنّا قراءاً يا سيدي ولا بد من العمل... خرج ليعمل، ولم يمد في المساء. انتظرت طويلاً ثم أدركت كل شيء، « قلت لنفسي مع ذلك لأدفع عني الخوف » من يدرى؟ لعلهم لم يقتلوه. ربما أخذوه فقط كأول حصة! « علمت بعد مضي ستة أيام أن كولا كاميزي يقيم مع عصبته في (موندولوا). ذهبت إلى تلك الناحية كالجنونة في يوم شديد الرياح إلى درجة بحجية. هل رأيته الهواء يا سيدي؟ في ذلك اليوم كان الانسان يستطيع أن يراه، فيجمله يعتقد أن أرواح الذين قتلوا تصرخ طالبة من الله والناس الانتقام! أسلمت نفسي إلى هذه الرياح، وكبدي قريحة. وقلبي ممزق ويمدب، فحملتني. استفرقت على الأكرساعة في الوصول إلى الكهف. كان به فناء كبير محاط بالسوار ينفذ إليه الانسان من باب صغير يصعب الشعور عليه. تناولت حجراً لأطرق به الباب... لم يفتح أحد فهاودت السكرة بشدة، ففتح الباب ورأيت... آه لاهول ما رأيته! توقفت ماراجرازا عن الكلام وقد استولى عليها الرعب الشديد، وتقلصت أصابعها وخذلها الصوت فمجزت عن متابعة الكلام. وبعد لحظات قالت:

— تكلمي، ماذا رأيته؟

— أشياء هائلة عجيبة، لم تكن أنت في ذلك المهد قد ولدت... رأيته هذه الأشياء بهاتين العينين اللتين لم تنيا عن البكاء طوال أعوام كثيرة. هل سمعت إلى أحد يتكلم عن رجل يدعى كانا باردو؟

— غاريالدي؟

— نعم، هذا هو الاسم الصحيح. وهو الرجل الذي قدم هذه البلاد وأثار المدن والريف على قوانين الانسان وقوانين الله! أسحمت إلى أحد يتكلم عنه!

— نعم. نعم تكلمي. ما شأن غاريالدي في هذا الموضوع؟

— أعلم أن هذا الرجل أصدر أوامره عند قدومه بفتح أبواب السجون جميعاً، ففرج منها أسوأ اللصوص وأفظع القتلة وأخطر المجرمين، وكان من بينهم رجل، هو أكثرهم فظاعة، يدعى (كولا كاميزي) كان رئيس عصابة تقتل الناس كأنهم ذباب. وتجد في سفك الدماء أكبر لذة. وكان هذا الرئيس يقتل ويقول: « إلى أجرب البندقية أو أجرب مرمى البندقية. أقام في الريف على مقربة منا وكان يقتل الرجال الذين يرفضون الانضمام إلى عصبته أو يأبون الخضوع لأمره... كنت متروجة في ذلك الوقت، وقد مضى على زواجي بضعة أعوام وكان عندي ولدان يقيان الآن في أمريكا. وكان زوجي المسكين يعمل في أرض (بوزيتو) فر به كولا كاميزي وأخذته قسراً؛ وبعد يومين عاد إلى زوجي شاحب الوجه كالوحي حتى كدت أنكره... لم يستطع الكلام وكانت عيناه ممتلئتين بكل ما شاهد،

— في اليد ... في اليد ... هؤلاء القتلة ...
توقفت ثانية وحركت يديها كمن يدفع عن
نفسه شيئاً . فقال الطبيب :

— حسن . وبعد ؟

— كانوا يلعبون في القناء بكرات ... هي رؤوس
رجال ... ملونة بالطين ... كانوا يحسكونها من
الشعر ... وكان رأس زوجي في يد كولا كاميزي
نفسه ... عرضها السفاح نظري فصرخت صرخة
حسبتها مزقت صدرى . صرخة جعلت السفاكين
يضطربون ويرتعدون ... ضفط كولا ميزي على
عني ليرغمي على الصمت ، ولكن أحد رجاله
انقض عليه فجأة ، ثم تشجع أربعة أو خمسة من
زملائه وألقوا بأنفسهم على رئيسهم ... لقد تنهبوا
من غفلتهم ووضعوا حداً لطغيان هذا الشيطان .
وكم كان فرح عظماء حين كنت أرى هذا الكلب
يختنق أمام عيني بأبدى رجاله .

سكنت المجوز وهي تاهت من شدة الهياج ،
وحقق فيها الطبيب وبدأت على وجهه أمارات
الشقيقة والزعج والسخط ، ثم قلب على ما في نفسه
وفكر طويلاً فلم يستطع أن يستخلص مما سمع أية
صلة بين قصة المرأة وابنها وروكو ، فسألها الوضع
فقالت :

— انتظر حتى أستريح قليلاً ... الرجل الأول
الذي انقض على رئيس المصيبة ودافع عني كان
يدي ماركو

فصاح الطبيب قائلاً : « آه ! أذن روكو ... »
— ولده ... فكر قليلاً يا سيدى الطبيب .
هل كنت أستطيع أن أكون امرأة هذا الرجل
بعد الذي رأيت ؟ ! راودني عن نفسي وأراد
اغتنابي ... احتجزني عنده ثلاثة أشهر مقيدة

مكعبة الفم لأنى كنت أصرخ وأعضه . وفي نهاية
الأشهر الثلاثة ، استطاعت المدالة أن تقبض عليه
وترسله إلى السجن ، فأت فيه ... ولكنى كنت
حاملًا ... آه ! يا سيدى ، أقسم لك أنى كنت أشهر
بأحشائى تتمزق ، وبأنى أحمل في بطني غولاً ...
واعتقدت أنى لن أستطيع رؤيته أو حمله بين ذراعى .
وكلما كنت أفكر فى أنى سأرضعه ، كنت أصرخ
كأمرأة أصابها الجنون . كان أحب إلى أن أموت أثناء
الوضع ، أرى رحم الله روحها ، ساعدتني وجنتيتي
رؤيته ، واستودعته عقب وضعه مباشرة ، أقرأه
أبيه ، فقاموا بتربيته . والآن ، أعرفت يا سيدى
لماذا أقول إنه ليس ابنى ؟ آه ! ليتنى ما ولدته !
ليتنى مت قبل أن أحمله !

ظل الطبيب لحظات غارقاً في خواطره ثم قال :

— ولكن ولدك نفسه لم يسيء إليك

— هذا حق يا سيدى ، وإنى لم أنطق بكلمة
واحدة تسيء إليه ، ولكن ماذا أصنع ؟ لا أستطيع
رؤيته ، حتى من بعيد ! إنه صورة أبيه تماماً ؛ وجهه
وهيئته وصوته . إنى حين ألحظه أرتعد وينمر العرق
البارد خبيئى ! إنه ليس منى ... كيف أصنع !

سكنت ومسحت عينيها بظهر يدها اليمنى ، ثم
خشيت أن يتأذى المهاجرون القربة دون أن يتسلموا .
منها خطاباً لولدها . فاستجمعت شجاعتهما وقالت
للطبيب الساجح في أفكاره :

— أحسن إلى يا سيدى كما وعدتني

فتنبه الطبيب وقال : « انى على أتم استعداد »

فدنت المجوز من المنضدة وشرعت تمل على
الطبيب بصوت منخفضة العبرات :

— ولدى المزيين ...

ترجمه حسن صادق

لوق كاشف النسل

TROP SAVOIR

لفرنسيس دوبر

بقلم الدكتور محمد الرافي

لحفيف أجسامها الصدفية
على الرمال في هذه الأوعية
كالضرب على أنصاف
دراكا لا ينقطع

وفي هذه الشرفة
قص على كرمهوت قصة
سام أبرص نادر عثر

كلان جان كرمهوت
المولندي مولماً بجميع
الأنواع النادرة من «سام»
أبرص^(١) «وكثيراً
ما كان يتحدث عن طباع
هذه الحشرات وعاداتها
حديث العالم المحيط غير

عليه هو وصديقه ريشارد مرل وسماه باحه

كان ريشارد هذا أنجليزيا فارغ القامة وثيق
التركيب أحمر الوجه عريض الجبهة بارد الطبع .
تزوج وهو في السادسة والأربعين امرأة تصغره
بثنتين وعشرين سنة ؛ فاضرة بضة كالزهرة ، لها
عينان زرقاوان تدلان على دلالة . . . وتنبعث منها
جاذبية قوية لا تدفع ، وكأنما تقول لمن ينظر إليها
من الرجال : « إن زمي غائب فبسة طويلة للصيد
وقد تركني وحدي في هذا الشباب وهذا الجمال ؛
أفريضيك أن أكون وحدي ؟ »

ولنعد إلى قصة الأبرص . قال محدثي : إن مرل
رأه فأهوى إليه وانزع من بين الحشائش ، وما كاد
يجمع يده عليه حتى صرخ : لقد لدغني في أصبعي
قال فتنظرت فإذا أصبعه دامية يفور فيها الجرح ،
غير أنه لم يكن خطراً لأن سم هذه الدووية لا يقتل
الإنسان . فضمدت له جرحه ثم جلسنا نتأمل
سيدنا . ولأول نظرة تبين لنا أن هذا الأبرص مما
لا يثر عليه إلا في الندرة

كان ذلك في الساعة الثانية بعد الظهر فلم
تبقى ساعة بعدها حتى أنكرت وجه مرل ، فقد

جاهل شيئاً عن الألف والسبعائة نوع للمروفة منها
وكنيت لا أعرف عن سام أبرص غير أنه
دووية يتصف ذنبها إذا أخذها الإنسان منه ؛
يئد أن كرمهوت قرر لي أن هذا الذنب إن هو
إلا وسيلة من وسائل الدفاع عن الحشرة ؛ فإذا
ما طارد الأبرص ثعبان أو عدو آخر يريد اتهامه
أمكنه من ذنبه ثم تركه يتلوى به وأفلح منه وأسرع
فاحتجر بين الشقوق لا يبادرها حتى ينشأ له ذيل
آخر يحمل منه سلاحه الطبيعى

زلت ضيفاً على جان كرمهوت في مثواه بمدينة
باسورون على ستين ميلاً من (سويسرا) بجيزة
جاوة . وكان السكان هادئاً جيلاً يبتس الخيال الشاعر
ويطل منه الناظر على القردة في أشجارها تتقاذف
وتتواهب ، وعلى غمام طائر من أسراب الفراش
كأنه سحابة ذهبية تحجب الشمس مرة وتنفرج
لها مرة

وكنيت أكثر الوقت في شرفة المنزل لا أتحول
عنها إلا لفرورة ، إذ كان كرمهوت قد جمع في داره
قراءة خمسمائة حشرة مكفوفة في أوعيتها ، فكان

(١) هو الذي يسميه العامة (البرص) وسام أبرص
كلمة واحدة مبلية على فتح الجزأين كلمة عفر ولكننا
انقصنا على أحد جزأها للتخفيف

الآن وتلك الحالة ؟ قال : كما هي
قلت : فيحسن بك أن تطالع أفكار هؤلاء
الجالين فقد رأيتهم يتناجون فيما بينهم وأحسب
لهم شأنًا . فحقق النظر في الجالين ثم شخص
بصره لا يطرف ، وقال بصوت برده له الدم في
عروق : إنهم يأتون بنا ليقتلونا
فتأهضت فزعًا فأمسك بي وقال : لا ينبغي
أن يعرفوا أننا اطلعنا على سرهم . قلت أوافق أنت
بما تقول ؟

قال : كوثوق من تفكيرك في تلك الحسنة

ثم استفاق مرل من تلك الغشية فتلون وجهه
ورجع النبض إلى حالته الطبيعية وزال ما اعتراه من
لدغة الأبرص فتهد تهدأ طويلاً ثم قال : عجيب
أن يفكر هؤلاء الشياطين في قتلنا . فأجبتة وأنا
أنكأ الضحك : عجيب حقاً ولكن ترى كيف
يفتالونا ؟

قال : لا أدري فقد أنجأت عني تلك الغشية ؟
ولقد كنت أرى كل شيء واضحاً بينا ، وكانت عيني
في طويتك فملأت علك حتى ما وسوست به من
أنك عند رجوعك إلى سنفافورة

قلت : حسبك فاعد كان ذلك ولكن الذي
بنا الآن هو أن نعرف ما ذا يريد بنا الجالون ؟

جلسنا أمام الأبرص وهو يرمقنا بعينه وأفضنا
في أمر تلك الحارقة العجيبة وتلميحها فأنهينا إلى أنها
كثيرها من مكمات العلم ، وهي ليست أعجب من
تلك المائدة التي جربها علماء أمريكا في الجرمين
فأخذتهم عن وعيهم حتى أقروا وهم لا يشعرون ،

انكفأ لونه وتغير وأصبح كالشمع ، فأنزمت
أجس نبضه فاذا هو يضرب ثلاثين ومائة كالذي
أوهته المرض ، بيد أن الذي أدهشني أنه لم يهن ولم
يضمض ولم يتغير بل زاد قوة ونشاطاً ، وأحس
نشوة كأنه شارب عمل . ثم رأته وقد انطلق لسانه
كالذي أخذت فيه الحمر مأخذها خبيثته يهذي .
وقال فيما قال :

أتمرف يا كرمهوت أنه قد كشف عن بصرى
الآن ، فأنا اطلع أنفكرك وأفكار هؤلاء الجالين
الثلاثة الذين معنا ؟

فقلت وقد أيقنت أن به من الحلي :

لأزيب في ذلك إن كانت مكرراً بما تمكر ،
أو من حراً بما تمزج

قال : ليس بي مكر ولا دُعاة ، ولكنه ما أقول
لك : فأخبرك بما في نفسك الآن ؟

فأبسمت سخرية به ، وقلت له : إن كان هذا
من لدغة الأبرص ، فقد وقمت لنا بحبيبة العجايب ،
ولكن ما الذي يكشف لك مني ؟

فأغمض عينيه كالذي يجمع فكره ثم قال :
إنك تفكر الساعة يا كرمهوت في تلك الخادم
التي رأيناها بالحنة في سنفافورة

فذهلت مما أسمع إذ لم يمسد ما في نفسي ، وخجبت
مما اطلع عليه من شأني . وكانت أشعة الشمس
الفضية وهي تتناثر من غصون الشجر قد نهت في
غياض أشعة مثلاًها من حسن تلك الحسنة . ولكني
على ذلك رأيت أن أثبت فقلت لمرل : أحسبك
مجنوناً فما فكرت فيما قط

ولكنه نظر إلى خجلى نظرة كانت رداً .
رفسأته بصد هتية وقد أغنى قليلاً : كيف أنت

ثلاثة الجالين هجروم رجل واحد ، فتأقنناهم بالراضين
فقتلنا منهم اثنين وفر الثالث .

وفي صبيحة تلك الليلة حملنا القليل من خضراننا
والضروري من المتاع والزاد وعمنا شعار النهر .
وقال مرل وهو يحمل ذلك الأرض المجيب : هل
تعتقد يا كرموت أن في الامكان قراءة أفكار أي
الناس ممن نعرف ومن لا نعرف ؟

قلت : كلا بل الذين تعرفهم دون غيرهم فسكت
ونكس بصره كالفكر ومشينا حتى إذا توقدت
الشمس في الظهيرة ولفح الهواء جلسنا لطعامنا
وتروحنا ساعة ، ثم حزمنا أمتعتنا ، وبينما كنت
أنتقدها سمعت مرل يصرخ وهو قابض على الأرض
بيده : فقلت وبحكم ماذا تصنع ؟ قال : ليست هذه
غلطى ولكن الحيوان قد نذ فأمسكته

ونظرت فرأيت أنه قد انكفأ لونه ثم اعتراه
ما اعتراه من قبل ثم شع في عينيه ذلك البريق
الغريب ، قلت : هل لديك مرة أخرى ؟ فأومأ أن
نعم ؛ فانتزعت الأرض وألقيتها في صندوقه .

ولم أكن فطنت لما أراد مرل من سؤاله
فارتدت من هول الحقيقة التي ظهرت لي ؛ فهو
قد استلغ الأرض هذه المرة ليطعم من يبيد على
أفكار شخص يعرفه حق المعرفة ، ولكنه لم يفكر
فيه بالأمن ... وكنا على عشوين ميلا من النهر
ولم نجد طهرا ولا إنسانا يحمل هنا فإذا هو صانع
إذا اطلع على ربية .. في تلك الأفكار الخبوء وراء
السينين الجليتين ... عيني زوجته التي تركها مبدولة
الحذر في سنفافوره ... ؟

ولم ألبث إلا يسيرا حتى رأيته قد وثب قائما
وهو يرجف ويضطرب ، وصر يمدو نحو النهر

وسكت ظاهر الرجل منهم وتكلم باطنه . إن هذه
السادة تبطل عمل الكتمان كالخمر

ولما كانت حواس الانسان تسجل الأشياء
عادة من تلقاء نفسها بأرادته وبغير إرادته ، في وعي
وبغير وعي ، فإن سم هذا الأرض يهيج ولا شك
قوة التسجيل هذه الى وقت محدود ، وينشط العقل
الباطن فيصفو المخ وينكشف له كل ما سجلته
الحواس . فلا جرم كانت حواس مرل قد سجلت
أشياء كثيرة فيما يختص بهؤلاء الجالين ، ولكن
طمس عليها انشغال عنه بأشياء أخرى

ثم قلت : أما أنا فأعتقد أن هذا السم يهيج
القوى الباطنة فيكشف للإنسان ما تسجله طبيعته
الحيوانية . فهو يحمل الروح الغريزية فوق العقل .
وعلى كل حال فلنسا الآن في السم والسام ولكن في
التنبه للجالين هذه الليلة

كانت الليلة مُلْتَحِجَةً بظلامها سواد على
سواد ؛ وكانت السماء ضريبة النجم ، والنابات
ساكنة كأنها تتوقع أمرا فهي تحبس أنفاسها ،
والحيوان كله صامت كأنما يتربص كل لكل .
فحملنا بنائوب الليل ، أحمرس وقتا ويحمرس مرل
وقتاً فلما كنت في نوبتي شعرت بدخول الجالين ..
لم أسمع لهم حسا فأن جريان الدم في أذني ربما عاقهما
عن أرهاق السمع . ولكن دلي عليهم اقشمار
بدني ونفور الشعيرات الدقيقة الحس ؛ فددت
بدني وأيقظت مرل

وكان أحد الجالين في زحفه على الأرض قد
مس رماد النار وهي كابية تحته ، فانبعثت منه آهة
لم يتمكن من ردائها . وفي هذه اللحظة هجم علينا

يقذف مرل نفسه فيه ليعبره سباحة إلى بنجاوون
وفي النهر التماسيح ... غير أنه ثبت على الشاطئ
فأدركته فاذا هو ممزق الثياب أشعث أغبر منتفخ
الوجه غدش الأديم كأنه وحش في إنسان .

فأعطيته ما يتبلغ به وسقيته جرعة من الكحول ،
وسأله أن ينام ، ولكن أنى له النوم وقد رأى
ما رأى من أمر زوجته ... وخشيت إن أنا نمت
أو غفلت أن يسلبني الأبرص وفيه روق وأحلامى
وشهرقى التي تملأ الدنيا . خططبت أعصابى في
مدافعة النوم وبث هالكاً نياماً وسهراً وخشية ،
وعلينا الظلام بهمومه ، وحوالنا الأفاعى بسموها .
وأطرق مرل لا يشكّل إذ كان في نفسه كلام آخر
ووردت على الأحلام بعد الأحلام ، فاذا أنا

قد نمت آخر الليل وصرعتى الحى
ولا سطع الفجر أبصرنا زورقاً فلوّح لهم مرل ،
فلبنا وما منا صرخ في التوتية أن يحملوه ، فراهبهم
منظاره الخريف وحسبوه قاتلاً قد جنى الجناية ويريد
الفرار فترددوا هنيئة ، ثم قبلوا بعد أن شرط لهم
حكمهم في الأجر

ومسح الصبح على وجهى بتسيمة البارد فرد
إلى عقلى فتتأسست أحلامى وجملت أتلأف عرل
وأديره عن خواطره ، وأوهته أن سم الأبرص قد
هاج فيه مثل الحمى بهذيها وليس له أن يقطع
باليقين في مثل هذه الحالة . ولكنه كان في أشد
اليقين كأنما رأى رأى العين

ولما بلغنا فُرصة النهر كانت الباخرة الهولندية
السافرة إلى سنغافورة قد تحركت ، فصرخ مرل
بصوت كالرعد بأمر رانها أن يقف كأن له عليه
حق الأمر ، فأدار الران ظهره ولم يعبأ به ، فلم تكن
إلا طرفة العين حتى قصا ما بقى عليه من الثياب ثم

فنادته : أمتعتك يا مرل ؟ فاستدار ينظر إلى يسقى
مجنون في وجه قاتل ، وصاح بى : ماذا تريد ؟
قلت : خذ عني أمتعتك أو أحمل على الألف
هذه الحشرات

قال : لياخذك الشيطان أنت وحشراتك . ثم
طار على وجهه في الغابة ، فأمرعت أحمل ما خف
ومى الأبرص ، وجملت أعدو خلفه وهو منطلق
يصيح ويلعن جميع النساء من ذوات البيون الزرق ...

الحر شديد كاللظى ، والأبجرة الخائقة تنتنفس
من جوف الغابة ، والنبات المتعلق يلتف بساق ،
فيجاذبني وأجاذبه ، ودود الملن يتراخف على
جسمى ويندس بين ثيابى ، والذباب يتناولنى بلسمه ،
والعرق يتحدّر من جبيني فيكاد يمشى على بصرى
وأنا في ذلك أعدو أشدّ العدو لألحق بالرجل . فبعد
لأمر أدركت أثره وسمعت حسيسه فجملت أصبح
به أن يقف أو يتمهل وهو لا يلتفت إلى ولا يسمع
إلا صوت دمه يريد أن يفسل شرفه بالدم ، فقد اظلم
على أفكار زوجته التي تركها وحدها ! واستمر
هذا منى ومنه إلى الليل فكذبت أجن مثله ...

أقبلت على الأمان والأحلام ، فتوهمت
أصبحت من أهل الثراء ، ثم من ذوى الملايين إذ
أصبح « لدغات الكشف » بالنن النالى لكل زوج
غبور ... ورأيتنى في قصرى الجليل أملك ما أملك
وأنفق ما أنفق وأنال ما أنال وسوف وسوف ...
حقاً لقد كنت مجنوناً مثل صاحبى فان الحرارة
والأبجرة ودود الملن والذباب قد ملأت رأسى
ضباباً ...

وأظلم الليل وبلغنا النهر ، وكنت أخشى أن

وطار الى ذلك المأوى ، وتملأ بفروع النبات المتساقطة على جدرانها حتى بلغ الى النافذة ، فأطل منها ، وكان قد استماز مسدسا من أحد أسدقائه في الطريق فصوله وأطلقه ثلاثا ثم هبط الى الأرض واختفى وجاء الشرطة فافتحموا المكان ، فاذا بزوجة مرل مفرجة بدمائها وفي كتفها رصاصتان ، وقد اختبأ تحت السرير شاب أسمر اللون صرخت الرصاصاة الثالثة على صدره فغدشته ولم تؤذ . فنقلوا المرأة الجريح الى المستشفى وأطلقوا صاحبها

وسكت محدثي مرة أخرى لينظر الى القرد الأذني ، وكان قد رجع من مطاردة غريمه وأخذ يهمهم لأنهاء بصوت يأمر وينهى ، وفي ذلك تطلعي رأسها مذعنة . . . فقطعت عليه وقالت له : وماذا فعلت بالأبرص بعد ذلك ؟ فطافت على شفقيه ابتسامة خفيفة وقال :

مكثت في بنجر مازان ثلاثة أشهر جمعت فيها أنواعا أخرى من الحشرات ، ثم أخذني الحنين الى وطني امستردام وإلى أطمعنها الشبهة والجمعة اللذيذة التي لمعرفتها . فجمعت أنمقي ووضعت الأبرص في صندوق انجذته له . وكنت قد كتبت

عنه وعن خواصه في المجلات العلمية الأوربية ، ونشرت له صورا عدة ، فاشتغل العلماء بالحديث عنه في برلين ولندن وفيينا وغيرها وباتوا يرتقبون أوبتي

ورسست الباخرة الى مرسليليا ، فتحاشيت طوال الرحلة الاختلاط بالسافرين ، إذ شئت معاشره الناس ؛ بيد أن رجلا من الظرفاء كان قد عاش طويلا في أنقرة مع امرأته الفرنسية جعل يتسبب لمعرفتي حتى اتصلت بالأسباب بيني وبينه ،

رمى بنفسه في الماء وجعل يسبح الى الباخرة والتمايح تتجه الىه ويدنو منه ، وقد ضج الناس وصاحوا وأجلبوا ، وكنت أتوقع بين الثانية والثانية أن يكون قد غاص به تمساح ، ولكن يظهر أن وجهه الوحشي وجسمه الضخم الخدش قد جعلاه منه حيوانا يخيف الأسبيح . . . فكانت تحوم حوله ولا تناله . ورق له الريان ، فأصر بالقاء الحيلال فاجتذبه البحارة ، فلما صار على الباخرة هتف في أن ادفع ما شرطنا لأحاب الزورق ولك وحدك هذه الحشرة الملونة . . .

وسكت محدثي ، فقد رأينا على بعض الأشجار القريبة من المنزل قردا أذني يضرب أثناء ومن حولها اسطفت جماعة القردة كالنظارة وقد خلوا بين الزوجين ، وكان القرد الهرم يضربها ضربا مبرحا على رأسها وهي تصرخ وتتلوى من الألم ؛ فلما طال ذلك وثب قرد فتى فدخل بينهما يريد حماية الأنثى فاقبض عليه الآخر وأقبل بطارده من شجرة إلى شجرة حتى غابا جميعا عن الأبصار ثم تابع كرمهوت حديثه فقال : لم أر مرل بعد ذلك اليوم غير أنني لقيت ريان الباخرة المولودة بعد أوبته فسألته عن خبره فقال :

أنك لأنت الذي بعث إلى بهذا المجنون القاتل ؟ فقلت : المجنون القاتل . . . قال : نعم لقد كان مجنونا وأوشك أن يصير قاتلا ، فانه ما وطئت قدماء الأرض حتى هزول في لباسه البحري القديم الذي أعمرناه إياه فاستقل عربة الى داره فلم يجد بها زوجته ، فاستدل الجيران فأنباء أحدهم أنه واجدها إذا شاء في منزل عيشه ، وهو من تلك المنازل التي تتخذ للفجور . فجئن جنوته

قلت : كلا . بل أعرف هذه السيدة
ثم قصصت عليه كل ما وقع . وكان الرجل
الذي قُتل في الباخرة هو ذاته ذلك الذي أقصد
زوجة مرل . وقد عرفنا بين أوراقه على رسائل منها
تدعوه فيها أن يلحق بها في انجلترا . فثقل الدور
نفسه في الباخرة مع زوجة صديق الآخر ... وكان
الأبرص هو الذي كسفته أيضا هذه المرة

ولما علموا علم هذا الحيوان العجيب نزلوا مي
الى مقصورتى . وحرك الطبيب شفتيه بكلمات لم
أفهمها ، ونجاة انتزع مروحة من سعف النخل
كانت على الحائط ومدّها نحو السرير فافتحص
الحيوان فيها وقذف به من السكوة الى البحر

وجرى كل ذلك في مثل طرفة العين ، فلم
أملك غير الصيحة وانفضت من الغضب ودميت
بنفسي على الطبيب أريد خنقه ، فخال بيني وبينه
الريان ، وجملت أزيد من النيط ، والريان يتلطف
بي ويهدئني ، وزعم أن الطبيب ما أهلك
الأبرص ولكن أهلك الشر

وانقطعت في مقصورتى ، وقد خابت جميع
آمالى ، فلا مال ولا شهرة ولا علم ولا كرامة ،
ولن أجد بعد اليوم حيوانا من هذا النوع النادر
كلا ، لن أجد ...

انكأ كرمهوت رأسه على كرسية ثم انغمض
عينيه بعد أن انتهى من القصة واسترسل في خياله
أما أنا فجملت أفكر فيها صنع الطبيب ... لقد
حرم العلماء شيئا من الزيادة في العلم ، ولكنها
بعينها زيادة في الشر ...

أما والله لو تكاشف الناس بالحقائق لقتلهم
الحقائق .

محمد الرافعي

فتجاذبنا الحديث وكان رجلاً واسع العلم فذاكرني
وذاكرته ، وقد أولع بأبحاثي وقرأ مقالتي الأخيرة
وكان يعرف شيئا كثيرا عن الثمانيين ، ودرس
المتنبوت دراسة خاصة

وأفضى بنا الحديث يوما الى ذلك الأبرص
وجواسه المجيبة ، فقصصت عليه قصة مرل فقال
لولا أنك ممن يُعتقد قوله لمددتها من الأكاذيب .
ثم جعل يعنى به أكثر منى ، فكان بعض الساعات
الطوال في الاشراف عليه وتأمله ومراقبة حركاته

وضرنا على مسافة يوم من مدينة عدن ، فاشتدت
في الليل وطأة الحر ، فتركت حجرى وصعدت
الى ظهر الباخرة واستلقيت تحت النجوم ونمت
ملء عيني ، فأتى لأغسط في نوى إذ نهى طلق
نارى أعقبه صياح ، وصرخ أحد البحارة : أن قد
وقع رجل في الماء . فانادت الباخرة وأنزلوا قاربا من
قوارب النجاة الى البحر ، ولكنهم لم يمتروا على جثة
صديقي ... نعم صديقي فقد انتحر غرقا بعد أن
قتل أحد المسافرين الذين ركبوا من سنغافورة ، إذ
راه خارجا من مقصورة زوجته فرماه بالرصاصة

لم يبط لي البقاء على ظهر الباخرة فالتحدرت
الى مقصورتى وماكدت أفتح بابها حتى رأيت
منظرا أجمدت له في موسى ، فقد كان صندوق
الأبرص مفتوحا ملقى على السرير ، ورأيت أنه وهو
يذب على الاحاف ... فأدركت حينئذ من الذي
أخرجته من صندوقه ... وأغلقت الباب وخففت
لقابلة الريان فأصبته في حجرة القتل ومعه الطبيب
يفحصان أوراقه . وماكدت أنظر حتى شُدهت ،
إذ لمحت بين الأوراق صورة جملة لزوجة مرل !
فالتفت نحو الريان وقال : هل تعرف هذا الرجل ؟

— ١ —

دخل «سميد البدائي»
على مدير دار الكتب
— حين أذن له — وهو
يجي وينشر الجريدة التي

الهارب

للامام ابراهيم عبد القادر المازني

الرشد من أعماله ، فالحقه
بمساعديه الكثيرين ،
وما لبث أن صار يقتصد
عليه في تقب الأخبار
وتقصي الحقائق

كانت مطوية تحت إبطه وقال وهو يقدمها له :
« هل قرأت هذا يا بك ؟ .. إن الحلة واضحة
التلفيق ، ولهذا جئت وفي صرجي أن أخلفر منك
بيان الرد عليها »

ورأى المدير أن سميداً ينظر إلى الكتاب
الذي بين يديه فسح جيبيه المريض بأنامله ثم قال :
« على فكرة ... هل عندك في « الأحوال »
ملفات خاصة بتراجم المشهورين ؟ »
ثم كأنما تذكر أمراً فقال : « متى أسست
جريدة الأحوال ؟ »

فتناولها لها المدير وألقاها على طرف المكتب
ولم يكتم سخره وهو يقول : « تفضل . تفضل . إن
كل ما يعني رواد الدار هو أن يجسدوا ما يطلبون
— كل ما يطلبون — فيها وأن يهتدوا اليه بسرعة
وسهولة وبغير عناء أو تضيق وقت ، ومتى كان
هذا حاصلًا فلست أبالي ما تكتب الصحف أو يقول
غيرها ؛ وهذا حسي وحسبك بياناً . فاذا قنعت
به فذاك ، وإلا فأمرى إلى الله فما أستطيع أن أضيق
وقتي في الكلام الفارغ »

فقال سميد « بعد الحرب العظمى ... سنة
١٩١٩ — أو ١٩٢٠ »

فقال المدير : « إذن لا فائدة ... »
فقال سميد « هل تسمح لي أن أسأل ما هي
الحكاية لئلي أستطيع أن أساعد ؟ »

فقال المدير : « الحقيقة أنها مسألة غريبة ...
كنت أمس أقرأ كتاباً لمبد القادر النيمى وهو
كاتب مصرى وشاعر أيضاً وإن كان شعوره قد
ضاع بإهماله أو على الأصح لأنه هو أبى أن ينشره
لأنه كان يستضعفه ولا يرى رأى الناس فيه ، وقد
كان مشهوراً منذ أربعين سنة ، ثم اخفى حقاة ،
ولا يدرى أحد أهو حى فىرى أم ميت فىبكي ...
وقد رجعت اليوم إلى الستدرك (وأشار بيده إلى
الكتاب الذى بين يديه) وهو كما تلم الجزء الرابع
من كتاب الأعلام للزركلى ، فوجدت فيه نبذة
عن الرجل فيها تاريخ ميلاده وأسماء كتبه إلى آخر
ذلك وليس فيها تاريخ لوفاته ؛ والمفهوم من هذا
بدهاة أنه كان حياً حينما صدر الجزء الرابع من

وكان أمامه وهو يقول هذا كتاب منكم
وضع بين صفحتين فيه قلماً أجمر غليظاً ، وكان
ينظر إلى إحدى الصفحتين ويشير بأصبعه إلى
سطور فيها كأنما يتل منها ما ينطق به ؛ بل لقد
خيل إلى سميد أن الأمر كذلك ، ولكنه هز رأسه
كأنما يريد أن يطرده هذا الخاطر ، فقد استأذن من
غير أن يبين الترض من المقابلة . وكان سميد من
أحدث خريجي كلية الآداب بالجامعة المصرية ومن
أنشطهم وأشداهم إقبالاً على التحصيل والاطلاع
ونزوعاً إلى الاستقلال والعمل الحر ، وخال فيه
صاحب جريدة «الأحوال» الخير من لمهاته ، وآنس

عن مصر وخلف أسرته بها وترك لها كل ما جمع من مال ، وكان ابنه قد كبر وصار ذا عمل يكسب منه رزقه ، ولم يرجع الأب بمد ذلك ولكن من الحق أنه لم يمت وإن كانت أخباره قد انقطعت ... نعم أذكر هذا ...

فقال المدير : « أوائت أنت من ذلك ؟ »
قال سميد : « كل الثقة ... ولكن أين هو ؟ لا يدري أحد »

قال المدير : ولكنه - إذا كان لا يزال حيا - لا بد أن يكون الآن قد جاوز الثمانين ... انتظر ... ولد ... ولد ... نعم ... سنة ١٨٥٠ فهو الآن في السادسة والثمانين من عمره ... هل تظن ؟ . ولكن ... السادسة والثمانين ؟ ... يا لله ... أنظن ؟ ... إني لا أكاد أصدق ... لقد كان معروفا عنه أنه مسرف في إنفاق حياته ... لا يبالى أعاش أم مات ... فكيف يمكن ؟ ... »

فقال سميد : « مثل هؤلاء الذين لا يبالون أعاشوا أم ماتوا هم الذين يعمرون »

فقال المدير وهو شارده : ربما ... ربما ... ولكن ٨٦ سنة ؟ ... هذا عمر ... هذا ... »

فنهض سميد ومد يده إلى المدير وقال : « سأعني بالبحث . وإذا وقتت إلى شيء فسأخبرك »
فناولته المدير يده وهو يقول كالحدث نفسه : « ٨٦ سنة ؟ أما لو كان حيا ؟ ولكن كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ »

— ٢ —

مضى شهران على هذا الحديث لم يسمع في خلالها كلمة من سميد ولم يكف هو أثناءهما عن البحث والتقصي - عبثا - فأفصر يائسا وصرف

أعلامه - أعنى المستدرك - ولعل صاحب الأعلام لم يقف على تاريخ لوفاة إذا كان قد مات ولكنه كان حينئذ خليقا أن يذكر تاريخا تقريبا لوفاة على عادته . لهذا أرجح أن الرجل كان حيا وقت صدور الكتاب . ولكن المسألة تبقى مع ذلك بلا حل ... فهل هو لا يزال حيا ؟ أم تراه مات ؟ وأين ؟ هذه هي المسألة ... ولست أعتقد أن في وسعك أن تساعدني ولكن أدر المسألة في خاطرك عسى أن تهتدي إلى شيء فتخبرني ... إذا سمحت ولك الشكر »

ونهض واقفا إذ انانها بانتهاء المقابلة . ولكن سميدا كان مطرقا وكان يفرك جبينه بأصابعه ، فلم ير المدير يقف فساد ذاك إلى مقدمه على مهل ، وقد جال بذهنه أن لعل هذا الشاب يعرف شيئا يستحق أن يصني إليه . وتنبه سميد ورفع رأسه وقال وعينه على السقف :

« عبد القادر التميمي ؟ أي نعم ! أذكر هذا الاسم ... وإن كنت لم أقرأ له شيئا ... قرأت عنه ولكن لم أقرأ له ... وسمعت من أستاذنا في الجامعة أن الناس في عصره كانوا في حيرة من أمره ، وكان أكثرهم لا يعرف له جدا من هزل ... وكان يهكم بكل شيء ... كل شيء حتى نفسه ... وكان أسلوبه جيدا في باب فأخذ الناس على غيرة وكثير مقلدوه ولكنهم أخفقوا فأقصروا ... »

وهنا تامل المدير فسا كانت به حاجة إلى من يصف له الرجل وإنما كانت حاجته إلى من يده عليه وعلى مكان قبره

ومضى سميد في كلامه غير عابئ بهضجر المدير فقال : « نعم ... وأذكر أن أستاذنا قال : إنه رجل

سيجارة ويضعها في الطبق وينساها ويروح يشمل غيرها حتى اجتمع في الطبق أربع سجاير بمضها أقصر من بقض وهو ذاهل عنها جميعاً . وإنه ليهم بأشمال الخامسة وإذا بالخادم — فقد كان في بيته — بنشته أن « سميد أفندي اليداني » قد حضر فيقول له بلهفة : « أدخله .. أدخله » ويسبقه هوال إلى الباب ويدخل سميد أفندي ويده في يد جميل بك وهو يقول : « نعم وجدته ... في غرقة في ريع قديم في أعتق أحياء هذه المدينة ... أو هو من أعتقها ... »

فيقول جميل بك : « وكيف وجدته ؟ » فيقول سميد أفندي : « أوه ... هذه حكاية طويلة ... وليس المهم كيف وجدته ، بل المهم أنى وجدته ... ويمكنني أن أقول لك إنى استمنت بابنه وقد كان اعتقاده أنه مات لاحتالة ولكن زعزعت له هذا الاعتقاد بعنف بل بقسوة ... هل تعلم أن ابنه أحيل على الماش منذ سنتين وأن له حفيدة تزوجت وولدت بنتاً ؟ »

فيقول جميل بك : « ليس عجيباً أن يمتدح ابنه أن أباه مات وشعب موتاً ... ولكن كيف وجدته ؟ »

فيقول سميد مرة أخرى : « لقد قلت لك إن هذه حكاية طويلة »

فيقول جميل بك : « إنما أعنى كيف حاله ؟ » فيقول سميد : « حاله ... وما ذا تنتظر أن يكون حال رجل قارب التسعين وأقدمته شيخوخته المالية عن العمل ؟ فقر وضعف وعمش ... حال لا يعلم بها إلا الله »

« ولكن كيف يفنى ... ؟ »

نفته أسفناً عن عبد القادر الجمي . وكان جميل بك — أو إذا شئت اسمه كاملاً جميل بك أحد القناوى — مخلصاً عطوفاً رقيق القلب وقد شق عليه جداً أن يحدث في القرن العشرين أن يحتق أدب مشهور وأن تنقطع أخباره نحواً من أربعين سنة فتتساءل الدنيا التي كان يسرها ويملاؤها حيوراً وجذلاً ولا تمود تعرف عنه حتى أبسط ما ينبغي أن يعرف ... أهو حي أم تراه مات ... وكان جميل بك يرى أن هذه فاجحة انسانية لأنه لم يكن يشك في أن اخفاء هذا الأديب وانقطاع أخباره سيهمها بأس عميق أخذ بالكيتين ... وهو مع ذلك الذي يرفه بكتابه عن الناس ويمش نفوسهم ويغذيها بفكاهته ويغيض على حياتهم البشر والنور كما تفعل الشمس . ولم يسمه إلا أن يجب لاختفاء رجل مشهور في عالم لا يكاد يحتق فيه شيء في هذا العصر ؛ ورجح عنده لهذا أن الرجل لا بد أن يكون قد اتى حتفه في أول مراحل هجرته — إذا صح أن تسمى هجرة — ولا يبعد أن يكون قد تنكر وانقأ ألا يحمل معه ما يدل على حقيقته ، وأخلاقه حينئذ أن يكون قد دفن حيثما اتفق بالامم الجديد الذي تنكر به .. وهن جميل بك كتفه ومط شفتيه ، ثم زفر زفرة طويلة وقال : « إيه ! لا حول ولا قوة إلا بالله »

وشرع يشمل سيجارة وإذا بالتلفون يدق إلى جانبه فتناول الساعة متثاقلاً وقال : « نعم » ولكنه ما علم أن اعتدل في جلسته وصاح : « إيه ؟ ماذا تقول ؟ »

ولكن الذي خاطبه اكنفى بما قال ، فوضع جميل بك الساعة وقام يتمشى بسرعة ويشمل

طريقك ، وقد نظنه يهذى ولكنه ليس هذياناً بل كره الذهن الى الوراء فجاء بنير انذار ... ولما قالت له إنك تبحث عنه ضحك وقال : هل يريد أن يغلفني ويضعني على رف ... وقال عن كتيبه لما عرض ذكرها أن خيرها ما لم يكتبه ... ولا تزال أسنانه باقية . وقد قال إن مئانها وسلامتها من الآفات مما السبب في بقائه حياً الى الآن ... ولما قلت له إن من واجبه أن يعلى مذكراته على بعضهم صاح بي : « أعوذ بالله يا شيخ ! حرام عليك .. اتق الله في يا بني »

فسأل جميل بك : « وما ذا كان يعمل كل هذه السنين الطويلة ؟ »

« أوه كل شيء ... قال لي إنه لم يمش لنفسه ساعة واحدة أيام كان يشتغل بالأدب . وأن كل ما كان يرى نفسه تشبهه كان يرى أنه محروم منه . وكان مما يشغل على نفسه جداً أنه لا يرى نفسه يفعل إلا ما يكره ، فهو لا يحب المجالس التي يكثر فيها الناس ولا يرتاح الى أحاديثها ولا يفتبط بالزوار ، ويحب أن يشمر أن يتيه حصن منيع لا يقتحم ، وبود ألا يجالس إلا الذين يصطفيه من الاخوان وبأنس بهم ويعطونهم الهم ، ولكنه كان يجد — لسبب خارج عن ارادته بل ضد ارادته — أنه يعيش كما يعيش الناس ، ويفعل ما يستقل ، ويحرم ما يحب ؛ وقد كبر في ظنه أنه سيظل حياته هكذا ؛ ولم يستطع أن يروض نفسه على السكون الى هذه الحياة أو أن يوطئها على احتمال هذا التقيد الذي لا يعرف ماذا يفرضه عليه ، وشق عليه أن يظل هكذا — يعرف أنه حر ولا ينعم مع ذلك بحرية ؛ فكره هذه الحرية الظاهرية ومل السخط على نفسه

« كان يستعين به طابمو الكتب القديمة لضبطها وهم يجهلون حقيقته لأنه يسمى نفسه عبد القادر ناجي ... أليس اسماً غريباً ؟ إن اختياره له يشي بنقته بالله ويحسن المال على كل حال ... لقد أدهشني منه أنه لا يزال يتسم للتدنيا ويؤمن بحسن حظه في الحياة على الرغم مما هو فيه من الفاقة الشديدة ... ولكن من يدري ؟ لعله قد خرف فهو لا يقدر سوء ما هو فيه »

فسأله جميل بك : « ألا يعرف أن ابنه موجود ؟ »

فقال سعيد : « يعرف ... ولكنه أبي أن يذهب إليه حين عاد من رحلانه لأنه استكبر أن يجعل نفسه حيلة عليه وخشى أن يألف ابنه من الانتساب إليه إذا وقف على حاله الزرية »

« وهل قابل ابنه ؟ »

« بالطبع ... وقال له حين رآه ... من يصدق أنك ابني ! إني أبدو أصغر منك على كل حال . يمكنك دائماً أن تنسى أني ما زلت على قيد الحياة ، فما أشك في أن عثورك على حيا صدمة لك بعد أن وظنت نفسك على موق . وأحسب أن بعثي الآن قد تخيب أملك في ... كذلك قال لابنه ... مدهش أن ذهنه لا يزال حافظاً لقوته ... قال لابنه في جملة ما قال لي لما كبرت كنت أقول لو عاش أبي لما عاشته لأنني أستشك أن أكون فرعاً وأحب أن أشعر أني أنا أصل مستقل بنفسه عما عداه وعما غداه ونما ... ولكن ذهنه يشرد أحياناً فيخاط فلا تفهم كلامه لأنه يكر راجعاً في كلامه الى ذكرياته الطويلة في حياة الحافلة من غير أن يشترك بالانتقال أو الرحمة فتجس أنك تهت وضللت

ابنه .. وقد أطلال. النظر إلى البذلة الأنيقة التي
لبسها ابنه ثم أتى نظرة على الجلباب البسيط الذي
يرتديه هو، وأشار بيده للمروقة إلى الثوبين وقال:
« لا لا لا لا .. دعني لشأني فإنه غير شأنك » ولم
يزد بعد ذلك على الابتسام كلما ألح عليه ابنه في
القيام معه ..

فقال جميل بك: « والآن ألا نستطيع أن نصنع
شيئاً لهذا الرجل الذي كشفنا عنه ؟ ... إن رجال
الأثار يملأون الدنيا ضوضاء كلما وقفوا على حجر
قديم أفلا ينبغي أن ننبه الناس إلى حقيقة هذا الرجل
الذي لا يزال حياً وإن كان محسوباً في أهل القرون
الخالية ؟ »

فقال سعيد: « بالطبع نستطيع .. يمكن مثلاً
أن نقيم احتفالاً كبيراً في أكبر الفنادق ندعو إليه
رجال الأدب والعلم والفنون والصحافة وطائفة من
كبار الرجال ونقدم إليهم صاحبنا ... غرابة
الموضوع نفسه كغفلة وحدها بانجاح الحفلة .. »
فمزج جميل بك رأسه وقال: « لاشك .. ولكن
صاحبنا لا يزال هذا .. ولا فائدة له منه على كل
حال .. وأما أخشى إذا دعونا إلى الاحتفال أن
لا نفوز بشيء يستحق الذكر فنكون قد أهنتنا
الرجل بلا داع .. ثم من يدري ؟ فقد بآى هذا
وذاك .. »

فقال سعيد وهو يهض: « أقول لك .. دع
هذا لي .. والله اللوفق »

- ٣ -

لم يكن الأستاذ عبد القادر اليمعي يرح بيته،
وكان يجلس طول النهار على سريره الضيق تحت
النافذة ويطل منها ولا يكاد يحول عينه عنها .. ولم

فود لو أنه مقيد حقيقة بارادة غيره ليتسنى له على
الأقل أن ينحى باللائمة على هذه الارادة الخارجية
ويجعله غرضاً لذمه وطمعه .. ولهذا فر من مصر
والتحق بشركة أجنبية للملاحة وركب على باخرها
البهار وأقام في المواني مسندوباً لها، ثم ترك ذلك
وعمل وكيلاً تجارياً محبوب المدن ويذرع الأرض
داعياً مسرعاً، ثم انقلب مدرساً للغة العربية في بلاد
الأفغان حتى أقصدته الشيخوخة ولم تقمده في
الحقيقة، ولكن الناس كانوا يرون أن سنه علت
فهم يزهدون فيه من أجل ذلك ويؤثرون من هم
أدنى منه سناً، وكان قد جمع مالا في رحلاته الكثيرة
فصار ينفق من رأس ماله حتى قارب النفاذ فعاد،
إلى مصر فدخلها ومعه نحو تسعين جنياً قال لي
وهو يضحك أنه حدث نفسه أنه ينبغي أن يموت
بعد أن تنفذ فاه ل رزق سواها، ولكنه كان يخرج
ويتردد على الكنايب التجارية فأفس به أصحابها
وأدر كوا أنه عالم وأن في وسعهم أن يستغلوه فكان
يضبط لهم الكتب القديمة التي يبيدون طبعها،
وساعده ذلك على إطالة عمره، فقد أغناه ذلك عن
الاتفاق من رأس ماله أو ما بقى منه، ومعنى ذلك
عنده أن عمره طال لأنه يحسب عمره بما لديه من
المال، فعلى حسب كثرة أو قلته يكون ما بقى له في
الدنيا من السنين .. فهل رأيت أعجب من هذا؟
فأطرق جميل بك شيئاً فشيئاً ثم رفع رأسه
وقال: « لاشك أن الأمر عجيب، ولكن ألم بأخذه
ابنه بعد أن اهتدى إليه ؟ ... »

فقال سعيد: « أوه .. إن الرجل شاذ كما تعرف،
وقد أتى كل الأنواء أن يذهب إلى بيت ابنه لأن هذا
خليق أن يحدث في رأيه اضطراباً لا داعي له في حياة

ورجال الدولة أيضاً ... فنفرغ من الأمر كله في ساعة »

قال : « ساعة ؟ .. يا حفيظ ... »

قال : « هذا أهون من أن تظل كل يوم وكل ساعة معرضاً لحضورهم إلى هنا وإزعاجك ... فكر ... »

قال : « صدقت ... ولكن ... حفلة ؟ ... حفلة ؟ ... إن هذا صعب ... »

قال : « لماذا ؟ .. أين الصعوبة ؟ .. ما عليك إلا أن تحضر وتجلس معهم ساعة أو بعض ساعة ثم تنصرف جميعاً وكفى الله المؤمنين القتال »
فأطرق الرجل قليلاً ثم قال : « ولكي لا أريد أن أختصر حياتي ... إلى أستطيع أن أعيش ... دعني أنظر ... »

فمالجه سميد حتى صرفه عن التفكير فيما تكلفه الحلقة من النفقات للثياب ، فقد كان هذا هو الذي يفكر فيه ويستثقله خوفاً على عمره

ولكن الشكل لم يجل مع ذلك فقد كان ابنه — على بك — فقد صار بيكا — عبد القادر التميمي — في حيرة شديدة من أمره من جراء عناد أبيه ، فانه — أي على بك — رجل ذو مركز ومقام في المجتمع ، وقد زوج ابنته منذ عهد قريب لرجل له مركز ومقام في المجتمع أيضاً ، وليس يليق أن يكون أبوه — أي أبو على بك — هذا الرجل البرث الهيئة الزري اللباس الرقيق الحال الساكن في غرفة حقيرة في ربيع عتيق — أو جديد إذا أمكن أن يكون هناك ربيع جديد — وقد استطاع أن يرجي لقاء بنيه ونسيبه لهذا الأب الذي جاء من حيث لم يكن يحتسب ، فقد زعم لهم أن الشور عليه

يكن برئ شيئاً في الحقيقة إلا أشكال الباني القريبة وذلك لضعت بصره ، ولكنه لم يكن ينظر ليري شيئاً ولا كان يعني بأن يرى أو أن تأخذ عينه المناظر وإنما كان يمدق كالذاهل ، وكانت أسارير وجهه المتجمد تنبسط أو تتمعق الأخاديد التي حفرها الزمن فيخيل إلى الناظر إليه أن هذا وقع ما يشاهده ، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك وتقيضه فما كان يبصر شيئاً وإنما كان يدبر عينه في قلبه أي في ماضيه فيبدو عليه السرور أو الألم أو غير ذلك كما يبدو على وجه من يشاهد قصة معروضة في دار من دور الصنما . وكانت سعيد يزوره كل يوم مرة — وأحياناً مرتين — في اليوم ويصني إليه أكثر الوقت وهو بهضب ويسح بذكرياته التي لا آخر لها . وقال له مرة :

« ما رأيك يا أستاذ ؟ .. إن خبر عودتك قد شاغ وذاع بين الأدباء ورجال الصحف وكلهم متلهف على رؤيتك »

فقال بإيجاز : « فليتلوها »

فقال سعيد : « ولكنهم لابد أن يصلوا إليك في النهاية .. كما وصلت أنا .. ولا سبيل إلى صدم »
فنهجم الرجل وقال : « ولكن يجب أن ينعوا ... إن السكان لا يلبق .. ما العمل ؟ .. أثر ... »

قال : « اسمع مني وأطمني ... خير ما يمكن أن نصنع هو أن يروك كلهم دفعة واحدة »
قال : « ولكن كيف يتسنى ذلك ؟ .. هذا مستحيل »

قال : « كلا ... الضرورة تفتح الحيلة ... وقد رأى المجنون بك أن خير ما يصنع هو أن يقيموا حفلة يدمون إليها الأدباء والمعلماء ورجال الصحف

يريدون أن يحتفوا بيته ، فانه يحسن بسعيد أن يحمل إليهم ما جاء به من الثياب على مشجب ويقول لهم إن هذا ما يطلبون وهو كل ما يستحقون أن يروا ولم يقل هذه الألفاظ بعينها ولا ما يقرب منها بل قال بما هو أعنف ، وكان صوته متهدجا ، وكلامه متقطعا ، وكانت لحيته الطويلة البكتنة تضطرب ، وأسنانه تصطك ، فلم يجد سعيد بدا من السكوت والكف عن الأحلام عليه بمد أن وضحت له قلة جدواه ، وسأل الله في سره الستر والسلامة في هذه الليلة

وخرج من الغرفة - سعيد في ثيابه الأفريقية التي يلبسها الأفندية من أمثاله ، والأساذ التبعي في جلاب فضفاض وجبة قديمة وحذاء أصفر صارت الرقع فيه أكثر من الأصل ، فكأنه « مراكوب أي القاسم » وطربوش مصرى سوى أنه طرى وعليه لفة كانت في الأصل مزركشة فأصبحت ألوانها حائلة باهتة

وكان سعيد قد جاء في مركبة وتركها تنتظر في الطريق أمام الباب ، فأحاط بها غلمان الحارة - هذا ينط على السلم ، وذلك يمشى بالنطاء ويطويه وينشره ويكرر ذلك عدة مرات ، والسائق يصيح بهم أن يكفوا ويلعن الساعة التي دخل فيها هذه الحارة ، ويفترق بصوته ليزجرهم ويخفيهم فيمنفضون متضاكين ثم يهودون إلى رأس أسمرهم ، حتى كاد عقل السائق يطير . فلما ركب الرجلان راح الغلمان يجرّون وراء المركبة ويتعلقون بها من خلفها ويصيحون ويصوتون ، والسائق يلوّح لهم بالسوط ويضرب به ظهر النطاء حتى خرج إلى الطريق العام

أو الاهتمام إليه أحدث له رجة عصبية يحسن معها انقاع أزعاجه إلى حيث ، ولكن الصحف بدأت تكتب وتفيض ولا سبيل إلى كبس الصحف أو صرفها عن الموضوع ، فما كل يوم يختفى أديب كانت له شهرة واسعة ثم يظهر بعد أربعين سنة . وقد حرص جميل بك وسعيد أفندي على إخفاء مسكن الرجل ولكن الصحف لا يسعها أن تصبر على ذلك ، ومن حقها أن تعرف أن يسكن أو يقيم وإلا كانت معذورة اذا هي استرابت في الأمر كله . أخف الى ذلك أن حفلة ستقام ويشهدها مئات من الخلق ؛ وقد كانت فكرة الحفلة هي التي أعانت جميل بك على انقاع الصحف بالصبر والانتظار وجعلت الموضوع شيقاً وخليقاً أن يجد القراء فيه مثل لذة الأساطير . ولكن هذا لا يمكن أن يدوم ولا مفر آخر الأمر من كشف الحقيقة كلها ، فما العمل ... ؟ لهذا لجأ الى سعيد وجميل بك ورجا منهما أن ينقذاه ويحمولا دون الفضيحة التي يجرع منها ولا يبرف له قدرة على احتلالها . فاتفق الثلاثة أن يحموا الرجل ظهر يوم الحفلة بمد أن يلبسوه بذلة إلى بيت ابنه ومن هناك يذهبون به إلى الحفلة في النساء - ٤ -

وجاء يوم الاحتفال فذهب إليه سعيد بمد الظهر ومعه ثياب أراد أن يلبسها إياها فأبى واستكبر وغضب أيضاً ، وقال إنه ليست به حاجة إلى ثياب ولا إلى أحد من الناس ، وإنه لا يريد أن يحضر هذه الحفلة أو يرى وجه إنسان ، وإنه ما عيب ثيابه على كل حال ؟ . أليس قد قابل بها الناس في مصر وفلسطين والشام والحجاز والأفغان والعراق وإيران ؟ فإذا كانت لا تكفي هؤلاء المعبين به والذين

ابنه وراهم ، ولكن الناس لم يسيروا الابن أدنى الثقات ، وإنما كانت عيونهم على هذا الرجل الهرم ذى الثياب المتيقة واللحية البيضاء والجبين القلطب والعين الثابتة الداعة وإن كانت لا ترى إلا قليلا . وكان قد ثقل عليه ما رأى من ابنه فكأن ليرجعن الى غرفته . وعرض جميل بك المدعون على الأستاذ بأسمائهم فصاغوه واحداً بعد واحد حتى كاد ينخلع ذراعاه ، وإن كانوا جميعا قد ترققوا به ، وحرسوا على الاكتفاء بلبس راحته . ولم يسد عليهم ما خشيه ابنه من الاشتزاز أو الاستخفاف حين تقع عيونهم على ما هو فيه من الهلاهيل وأدبرت ألوان الطعام فكان الأستاذ يسأل عما يمرض عليه ما اسمه وكيف يصنع ، ولا يتناول إلا بقدر . وكان المدعون في أول الأمر يحدسونه بعيونهم ويُبَيِّرُونُهُ النظر ، ولكنهم ما لبثوا أن انصرفوا الى الطعام والحديث . ولكل شئ آخر . — انتهى الأكل ، وبدأت الخطب والقصائد ، والأستاذ مطرق كأنه يصنى ، وكان يهز رأسه من حين الى حين كمن سره شئ — أو ما يسمع وانتهى هذا أيضا على طوله ، فهمس جميل بك في أذن الأستاذ : « ألا تحب أن تتفضل بكلمة ترد بها عليهم ؟ » فقال الأستاذ مستغربا : « أنا ؟ ... أقول كلمة ؟ » أرد على ماذا ؟ ... إني ... الحقيقة أنى لم أكن مصنفيا .. لم يكن بالى البهم » فذعر جميل بك — فإكان يتوقع هذا — ، وقال : « ولكن بأستاذ لابد من كلمة . لا نستطيع أن نقول لهم إنك لم تكن مصنفيا الى كلامهم ... أرجو بأستاذ ... كلمة شكر قصيرة ... القليل منك كثير »

ولا نطيل . ولا نحاول أن نصف لقاء الرجل بأخفاده ، فقد غاب أمل الأسرة كلها حين رآه أعضاؤها ، وأخذت عيونهم الفاحصة قدم الثياب ورثاتها . وكان ابنه أعظمهم خيبة أمل ، وأشدهم قلقا واضطرابا ، ولا سيما حين عرف إصرار أبيه على هذه الثياب الوضيعة المخجلة حتى لأشفق عليه سعيد أفندى أن يقلع فراح يحاور الأستاذ التميمي ويداوره مرة أخرى عسى أن يهديه الله ، ولكن الرجل كان جبلا لا يتزعزع ، ولما قال : « أنا كما أنا . فن كان يقبلنى على علائى فأهلا به وإلا فانى أرجع الى غرفتى ، فإطابت أن أجه . ولا أردت أن يعزف ابنى أو سواء أنى على قيد الحياة » « امسك سعيد أفندى وأقصر » وكانت الحلقة في فندق من أكبر فنادق المدينة وفي أوسع قاعاتها ، وقد دعى اليها — أو على الأصح اشترك فيها — نحو مائتين من رجال الأدب والعلم والصحافة والحكم والوجاهة . وكان أكثرهم قد بكر وجاء قبل الموعد . وجاء غير المدعون — أو المشتركين — كثيرون وقفوا بحيث يرون الباحثين ؛ واحتشد جمهور غفير على الرصيف ليرؤوا هذا الأديب الذى بحث بعد أربعين سنة ، والذى دأبت الصحف عدة أيام متوالية على الكتابة عنه . واستمد المصورون لاستقباله وتصويره في القاعة الكبرى بالانهم ومصايحهم القوية ثم أقبل أحد الشبان يعدو وقال : « جاء الأستاذ » فساد السكون وانقطع حتى الهمس ، وتبلقت الأنفاس ، واثراأت الأعناق ، واتجهت العيون الى الباب لرؤية هذا الذى كاتما قام من القبر . ودخل الأستاذ في الثياب التى أبى سواها ، وقد أخذ بذراعيه جميل بك وسعيد أفندى ، وأقبل

وجد بالتجربة الطويلة أن من العسير أن يهرب المرء في هذه الدنيا من الناس — ومن الأدب والآداب وعشاق الأدب على الخصوص — المخلصين والمتكفين والذين يظنون يوحون إلى نفوسهم أنهم يحبون الأدب حتى يؤمنوا بذلك ... كلا لا سبيل إلى الهرب ... وطالب الفرار لا بد له من الجري الطويل والذهاب إلى أبعد مما كانت الحاجة تدعو إليه قبل نصف قرن . وهو يتكلم عن خبرة فيجب أن يصدقوه ، بل إن وجوده الليلة بينهم دليل مادي على تعذر الهرب في هذا الزمان الذي امتد به العمر إليه ... وكيف يهرب الانسان ؟ إلى أى مكان يذهب وكل مكان فيه ناس ؟ . وقد صار الناس أكثر والاتصال بينهم أسرع وأسهل ... ومن أى مكان يهرب ؟ إن الحرب الصحيح مستحيل ... وقد يستطيع المرء أن يعيش في الصين ، ولكنه لا يستطيع أن ينكر أو ينسى أث القاهرة والاسكندرية ودمشق والقدس موجودة .. والهرب من الزمان أصعب ... نعم يتوهم المرء أنه يعيش لا في الحاضر بل في المستقبل والمستقبل ، وروح يعزى نفسه عما هو كأن عازم أنه سيكون ، ويذهب يعمل ليقاب الدنيا ويجعلها كما ينبغي أن تكون « إلى أو كد لكم أنى أعرف هذا ، فقد فعلته — أعنى توهمته — وعشت في سكرة طويلة ونشوة مستمرة وحلم دائم بما سيكون » وقال لهم : إن هذا كله عبث في عبث ، وأكدهم أنه لا مسوغ على الإطلاق لأن يفترض الانسان أن للجنس الانساني مستقبل — هذا أولاً — وثانياً أن مانسى له ونلغ في طلبه أو تخفيه قد يكون مستحيل التحقيق . وهب تحقيقه ميسوراً فقد يتبين أنه ليس

فهو الأستاذ كتفه وقال « إن هذا غريب ! لقد كنت أفكر في ... ليلة قضيتها في كهف ... فقال جميل بك مقاطعاً : « فما بعد ... بعد الحفلة نسمع ما كنت تفكر فيه ... لا بد أنه كان شيئاً غريباً ... ولكن الآن ... أرجو يا أستاذ » فالتفت إليه وقال : « ما ذا قلت أنهم كانوا يقولون ؟ إنى لم أكن مصنياً »

فقال جميل بك : « كانوا يتنون عليك ويعدونك ويدكرون كتبك المديدة ويصفون ما فيها ... كلام كثير يصعب أن ألخصه لك الآن . أنا أيضاً قلت كلمة ولكنك لم تسمع مع الأسف ... نهايته ... لا بد من الرد فاسمع معروفاً »

وكان سعيد — حلال المضلات — قد أدرك وهو في مكانه أن في الأمر شيئاً ، تخف إلى جميل فلما عرف المسألة انحنى على الأستاذ وهمس في أذنه : « إن هؤلاء الناس خليون أن يتوهموا أننا نضحكنا عليهم أو أننا نخدعونهم وأنتك لست الأستاذ العميمي وإنما أنت رجل غيره ينتحل اسمه فقم قل كلمة وإلا ... » ولم يتمها ، فقد نهض الأستاذ معبساً ورفع رأسه كأنها يحاول أن يقيم ما قوسه الزمن ، وكانت لحيته تضطرب وشفته تخرج وكفاه لا تبتنان على المائدة التي وقف معتمداً عليها ، وظل هكذا نحو دقيقة كان من الواضح في أثنائها أنه يعالج نفسه ليردها إلى السكون ويحاول أن يضبط أعصابه ، وبقي بها إلى الأثران ، ثم فتح فمه وقال بصوت خافت :

« أيها السادة » وسكت شيئاً وثبت حلقه ، فكانه تمثال منسب في مكانه ، ثم باسم فجأة وبدأ يتكلم بلا توقف ، ولم يشكرهم كما رجا منه جميل بك ، بل قال لهم في صراحة نمرت فريقيا وسادت آخرين إنه

كأنما أراد أن ينتقم لنفسه ، أو أن يفضها اليهم
ليتركوه بعد ذلك في سلام ... ولم يطق البص
المقام ، أو طوله ، فتسلل خارجا وبه غيره وغيره ،
حتى لم يبق إلا دون النصف .
ولكل شيء آخر ... عاد الأستاذ الى غرفته
لا إلى بيت ابنه واستلقى على فراشه بثيابه ، فقد
أضناه الكلام والوقوف أكثر من ساعة ونصف ساعة
وفي الصباح جمع ثيابه وأشياءه وانتقل الى
ربيع آخر

وجاء سميد بصحف الصباح وفيها وصف الحفلة
التي ظلت أياما تدعو لها وتروج وفي صدر أكثرها
خطبته التي عن سميد يتدوونها ؟ فلم يجد الأستاذ
وأعياء أن يعرف أين ذهب ، فأسرع الى ابنه على
بك يخبره ويسأله ما العمل ؟ فقال على بك وهو
يرسل الدخان في الهواء : « أظن أن الواجب أن
تحتزم إرادته ونمفيه من الأثقال عليه »
ابراهيم عبد القادر المازني

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الربيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

بما يسبقه أو يرتاح إليه أو يرضى به الجنس الانساني .
وسألهم هل هم يعتقدون أن الانسان ينشد السعادة ؟
ولو كانت السعادة الدائمة الخالدة التي لا تزول
ولا تتغير ممكنة ألا يستفعلها الانسان ويفرق من
تحقيقها ؟ على أن التفكير في المستقبل والسمي له
لايمان أن الحاضر موجود وأنه مؤثر بوجوده ...
وهناك مهرب آخر ، إذ يتعلق المرء بالمثل العليا
وصور الكمال ، ولكن اللجوء الى الخيال لا يفي
الحقائق المحيطة بالانسان ... وانتهى الى أن المهرب
الوحيد الصحيح لا يكون في الحياة ، وهذا لا يمد
مهرباً لأن المرء لا يشعر به ولا ينعم بأدراكه . إنه
استطاع المهرب ، ولو كان هذا مهرباً حقيقياً للعبا
إليه . وابتسم وقال إنه يرجو ألا يلجأوا الى هذا
الذي ليس مهرباً ...

واستطرد بطريقة ما إلى كتبه وما يلقى من
التكريم من أجهبا ، فقال : انه واثق أن أكثر
الموجودين لم يسمعوا باسمه ولم يكونوا يعلمون أن له
كتباً ، وأن الذين قرأوها فهموا منها غير ما أراد .
وقد يكون هذا عيبه هو كما قد يكون عيبهم هم ،
ولكنه الواقع على كل حال . والمجتمع لا ينتظم أمره
إلا بالجمالة ، وهي شيء حسن في ذاته ولكنها هو
فرغ من ذلك كله وأخرجه بسنه من المجتمع وأعفته
من ضروراته ؛ وهو ليس من هذا الزمن فيحسن أن
يرتد ويتراجع الى ما أخرجه منه ، لأنه ليس إلا قطة
متخلفة من زمن سابق ، ولا شك أنهم أدركوا
غلطهم حين خرجوا به الى زمانهم ...

وظل يهضب على هذا النحو الذي لم يكن
منتظراً ولا كان في حساب أحد ؛ وطال الأمر فل
الناس ، وأحسن هو الممس فلم يترقب بالذين ضجروا

قلب الحبيب

سنة الفصح الرباطي
بقلم الأستاذ محمد الحقيف

سمع جوجيلمو
رنين الجرس مؤذناً
بدخول شخص ، كما
سمع حديثاً في الهوى ،
ولكنه لم يتحرك .
ومن عسى أن يكون

الشفاء ؛ لقد بحثت
أمة فيا ذهبت إليه ،
ولقد قدم هو لـ جيل
عليه من الكسل عن
مقاومة أخيراً ، كما
خذلت عزيمته فلم

يستطيع أن يتولى بنفسه شؤون نفسه ، وكان قليل الثقة
بكفاياته أو بمقدرته على تنفيذ شيء ، وراحت الأم
تنصح له حيناً بأنه مقبلاً على مواجهة الحياة ؛ وكثيراً
ما ابتدته بقولها : اتخذ بابي من (إيرن) زوجاً لك .
إنها الزوجة التي خلقت لك ، بل إنها المرأة الوحيدة
التي تستطيع أن تجعلها شريكاً حياتك . نعم إنها
ليست فارهة الجمال ولكنها جادة مجدة كذلك
ليست بالثرية وإن لم تكن فقيرة ، وأظنك لا يمكن
أن ترمي في زواجك إلى المسال . إنها ستحفظ لك
بيتاً طيباً وتعنى بتربية أطفالك ؛ وما عسى أن تتطلب
فوق ذلك ؟ إن ما لا يحمد لك أن تشايخ خيالك
وأحلامك إلى ذلك الشيء الذي تسميه ... »

على أنه في الواقع لم يشايخ أحلاماً أو يساير
خيالاً قط . وقد تزوج من إيرن ليرضى بذلك أمة .
ثم أخذ يوطن نفسه على أن يألف هذا الضرب من
السعادة التي أشارت إليها

ولكنها كانت سعادة فاترة مصفارة كاذبة ؛ على
أن أمة كانت تعلم حق العلم ماذا تعنى بقولها حيناً
أشارت إلى الخيال والأحلام ، فكان حلم جوجيلمو
هو أبنه صمته آن ، وقد تزوجت تلك العمه من رجل
غنى من رجال الأعمال . وكان جوجيلمو يتردد
على منزل عمته وهو غلام ، ولكنه حيناً طم شارب
حالت بينه وبين ذهابه إلى حيث كانت تقيم آن

ذلك الشخص ؟ أهو صبي الصيدلي ؟ أهو الخياط ؟
أم هي الخادمة ... ؟ إنه يعرف تفاصيل حياته البسيطة
المملولة معرفة خبرة ووثوق وهو في حجرته العالية ،
حجرة دراسته يسمع من الأصوات كل يوم ما يستدل
به على ما يجري حوله من شؤون الحياة ؛ ولقد ألف
تلك الأصوات الرتيبة ألفاً تامة ، حتى إن ما حدث
في ذلك اليوم من أمور جديدة قد أخذ في ذهنه
صورة ما ألف من قبل كأنه رآه بالأبس ، ولذلك لم
يثر في نفسه اهتماماً خاصاً . فهناك الصيدلي مثلاً ،
وهو رجل حديث مقدمه والله الحد فلا بد من
الأمر شيئاً ، ولن يستطيع أن يحجز الأمور عن
وجهتها . وراح صاحبنا يحدث نفسه : « ستأتي
هنا بعد برهة السنيورا أ كاردى ثم يأتي الطبيب ؛
وبعد ذلك يتردد غمز الجرس فترة ، ثم في ساعة
أو ساعتين ينتهي كل شيء كأن لم يكن هناك شيء . »
ولكني بهذا كلهته ، فتح كتاباً وحول إليه
بصره ، منصرفاً عن النظر إلى حديثه الصغيرة
التي جدد الربيع خضرتها يومئذ ؛ وكانت حجرة
دراسته كنيته محدودة متواضعة ، ولقد أبحه فكره
وهو يقرأ إلى تلك الحياة

تزوج في الخامسة والعشرين وهو الآن في
الثلثين ... خمسة أعوام من الوجود الذي لا يمزه
شيء ، خمسة أعوام لاهى إلى السعادة ولاهى إلى

الوجود بأفنى جديدة هي التي زادت حيوية ونشاطا
أنت سريما على قدر ما استطعت ... ما حالها ؟
بخير ... هون عليك لا تضطرب ، لو كنت مكانك
لخرجت من المنزل برهة أو جلست هادئا في حجرتي .
سأعود إليك بعد ساعة أو ساعتين وأطملك على
جالية الأمر »

وابتسم الطبيب ثم دخل حجرة الربيعة ورجع
صاحبه الى حجرته . وقد فكر بعد برهة في الخروج
من المنزل ، ولكن دافعا خفيا لم يتيبته ، دافعا
مكونا من الخوف من جهة ، ومن توقع ما يسر من
جهة أخرى ، أفعده عن الخروج ؛ فلبث في مكانه
مفكرا ، ولكن أفكاره القديمة لم تلبث أن عاوده ؛
وكان عجبا أن تعاوده في الساعة التي يرى فيها وجوده
يتصل بالمستقبل في حياة وليده المنتظر ، فتغذف به
في أحماق الماضي خطوة بعد خطوة

وما كان الماضي غير أن ... أن دائما ... أن واسمها
وذاتها وكل ما عت بصلة اليها

لقد رآها مرات بعد زواجه ، ووجد أنها
لم تتزوج حتى ذلك الوقت احتفاظا بمحبتها ،
كما اعتاد أن يسميها تقول ذلك ضاحكة . وهي
الآن في السابعة والعشرين لا تزال كما عهدتها من
قبل مرحلة مرهقة . وكانت ترور بيته حين
وأخر حيث اتصلت أسباب المودة بينها وبين
إيرين ؛ على أنها لم تكن تكثر من الحديث معه وكان
قصارى ما تبديه نحوه من الملاحظة ابتسامة أو اثنين ،
ثم تمد بها اليه فتصافحه مصافحة الأصدقاء وتناقل
في سبيلها

وكان يعتقد جوجيلمو أن أنه أخطأت التقدير ،

وساوس عتمته ، وما كان بين التزلين من فرق كبير
في الثراء . نعم كان حلم جوجيلمو هو تلك الفتاة
الجميلة الطويلة المشوقة القصد التي ينبعث المطر
دائما من ثيابها ، ذلك الحلم الذي جاهدت أمه في
تبسيده ... « وماذا كانت تنتظر أن من رجل
مثله ؟ تزوج منه !! يا إله الناس إنها تنظر الى ماهو
أبعد من ذلك ... تحبه ؟ ألم يبين أنها كانت أبدا
تمتع نفسها دون أن تميره الفتاة أو تتجه لحظة
بفكرها إليه ؟ »

وكانت تلك الكلمات كغصية بالقضاء على حلمه
الجميل . وهكذا تزوج من إيرين ؛ والآن بعد سنتين
من السعادة المزعزعة الفاترة ترى إيرين موشكة أن
تنجب غلاما . ولم يقابل جوجيلمو ذلك أول الأمر
بكثير من الحساس إذ رأى الزمن يأتي له بشخص
آخر يحول بينه وبين الأحلام ، ولكنه أحس
بقليه يتنى بالغبطة كما تصرمت الشهور . ولد ؟
وما الولد ! أليس هو الشيء الوحيد الذي يعلى
وجودنا ؟ ثم إنه يرى فيه خير منحة بعد ما لاقاه
في ماضى أيامه من أشجان وآلام ، وأحسن عوض
عما فقد من الحب والسعادة

نهض من مكانه هذه المرة وترك حجرته وألقى
نفسه في المر ؛ وهناك سطعت في أفقه رائحة العقاقير
المنبذة من حجرة زوجته ؛ ولو أنه أنصت لسمع
أنيها ، ولكن صوتا قويا هادئا قطع عليه تيار
فكره فجأة ... « هانذا أنت ، هانذا » وكان
ذلك هو الطبيب رفيق صباه الذي كثيرا ما ترد على
منزله . كان يدينها مرحا مشيع الوجه من الحيرة .
ولعل وظيفته هذه التي كانت تنحصر في إمداد

«أأنت في حاجة الى شيء؟ هل أستطيع أن أجعل من وجودي فائدة لك؟»

وجاء دوره الآن ليحبيب ، فان دائرة سمعها قد اتسعت حتى تركتهما حائرين ؛ وخيل الى كليهما كأنه يستمع الى صوت الآخر ، وكأنما عادت اليهما ذكرى عبارات قيلت من قبل ولكنها نسيت الآن أو امتلأ بها الفكر ، ولكن لم يتحرك قط بها اللسان

وأخيراً قطع جوجيليو هذا السكون فجاء بسؤال غريب ، ظهر أكثر غرابة لصدوره من شخص خجول مثله ؛ ولقد كانت وقته على أن كقبلة لم يحسن أداءها !

«أنت جميلة كاملة يا آن ... لماذا لم تزوجي حتى الآن؟»

ولقد التهب خداهما من الخجل ، بل لقد ظهر وجههما كله والجزء المارئي من عنقهما تحت الفراء مشبوب الحرارة ، ولكنها حاولت أن تبتسم لتخفي تلك السحابة التي أظلمت في عينها

«فيم تفكر الآن يا جوجيليو ؟ لقد بقيت عذراء لأنه ... لأنني لم أجد أحداً يخطبني ...»

وتحكك جوجيليو بدوره تحكك من قلبه . لم يجدى أحداً ؟ يا عجباً ! إن وراءها من عشاق الشباب ما يفوق عددهم عدد من يتوددون الى جميع فتيات المدينة بمجمعات

«من أنبأك هذا ؟»

«أنبأني به أمي»

«إن أمك لم تدبر من أمر هذه المسألة شيئاً ... ولكن إذا قلقلك إلى أقدمت قسماً» وأخذت

اذ لم تكن أن كما اتضح له في شيء مما تصوره من الزهو والكبرياء . ولكنها في الحق لم تكن امرأة عاطفة

هل زاد عدد الناس في الزهرة ؟ لقد سمع جوجيليو صوت شخص يكلم الخادمة في خمس . ولقد جملة هذا الصوت ينتفض في مكانه ، ثم فتح باب حجراته وظهرت له رأس لطيف

«إنها أنا يا جوجيليو ، أأناذ لي بالدخول ؟ ونظر جوجيليو الى القمطر في اختلاجة غريبة لم يستطع اخفاءها ، وكأنما كان يجب أن ينبأ أفكاره في ذلك القمطر ، فلقد كانت اختلاجة عينه كاختلاجة من يرى متلبساً بجرعة ! ولكن آن تقدمت نحوه في هدوء وهون

«لقد جئت لأسأل ما حال ايرين الآن» وبدأ على جوجيليو أنه شارد اللب الى حد أنها نظرت اليه نظرة عطف قائلة :

«جوجيليو أيها المسكين ما أراك الا حائراً ...» ورد صاحبها مغمغماً : «لا . فالطبيب عندها» ولم تلبث أن التفت في رأسه فجاء أفكاره حول هذه الأنسة التي براها الآن تظهر اهتمامها بأمر عمت بصلة الى الحب والحياة ، فزادته تلك الأفكار ارتباطاً واختلاصاً نظرة الى جسم آن البض الجميل ، ذلك الجسم الذي رآه قدهي أحسن هيئة لحل الأجنة «إجلسي لدى برهة يا آن ... فاني أجد لك بحيثك الساعة ؟»

وسمعت لصوته نبرات غريبة ، وتغير تغيراً عجيباً كما تتغير الموسيقى بتغير اللحن . ونظرت اليه آن في دهش وظلت صامتة برهة ثم سأله :

اليه كأنه يرى الواقع شاخصاً أمامه يسأله : « ألا تفهم ؟ »

لا . إنه لم يفهم . لقد أسلم قياده بالأمس ورفض أن يقوده ضلال أمه . وهكذا أتى نفسه على شفا

منحدر لم يجد بداً من النزول الى قراره . والآن يرى الماضي في ضوءه الحقيقي . ويرى الآن أنه

حيناً كان يكثر من الذهاب ليرى أن كان وجهها يتهلل بشراً وفرحاً ، وأنه حيناً كان غيب عنها

كانت ترى مكثبة لذلك . وأعقب ذلك مرضها ؛ ثم توالى السنون التي أغفل فيها أمرها ، فلم تزد

من أن ترفض في عناد أن تتزوج من غيره ولكن لم ظلت ساكنة لا تجربه عن شيء ؟ أكان

في ذلك جرح لسكبرائها أم هل كانت تخشى المذلة لا . إنها لم تفكر في شيء من هذا ...

والآن ؟ هذا البوح الباعث ... وإحمرار وجهها من الخجل ... وبهذا المرتدة ... ألا إنها

لا تزال تحبه ... وحدثته نفسه قائلة « لا ليس هذا ممكناً » ولكن قلبه كان ينبض بين جنبيه بما

يؤكد الغريزة . كان ذلك كذلك ؛ كان ذلك كذلك ...

وبينا هو كذلك إذ دوت في أرجاء المنزل صرخة ألم قطعت عليه تيار أفكاره وأعادته ثانية الى حقائق

الحياة ، الى الواقع الذي لا يشوبه خيال ؛ ففي تلك اللحظة أوشك أن يولده غلام ، وهو قطعة منه تمتد بها

حياته في سجل الوجود وتصل بالمستقبل ، فمجب كيف يحزن على ما فات من سعادة الحب بينما هو

مقبل على رؤية ابن له . وأى سرور أعظم من أن يرى المرء قلدة من كبسه بين يديه ؟ ولكن كن ... أن

أن تصحك ثانية ولكنه كان ضحكا تخالطه الحيرة « قنبا ؟ ولكننا حينما كنا صغيرين نلذ بمما

كنت دائماً نرى أن الشخص الآخر ... » « ولكن المرء يقسم بعد ذلك »

« ومتى كان قسمك ؟ » « لا أذكر ذلك تماماً ... وإنما أظنه منذ

خسة أعوام أو ستة ... » « حينما تزوجت أنا ... أتمنين ذلك ؟ »

وهنا صمت الفتاة ، وبدت عليها أمارات الارتباك وعصت على شفتيها ، إذ تبينت أن ما فات به هو النباء بينه

آه . نعم . أذكر أنك كنت مريضة تلك السنة ... ولم يكن يعلم أحد ما حقيقة الأمر ...

أذكر ذلك — كنت وإيرين في سويسرا ... وصحت بذلك بعد حين ... « فهل » وتساءل باسم

« فهل كان عزمك وقسمك يمتد ؟ » « إلى اللقاء يا جوجيلمو ... إلى ذاهبة

وسأجده ثانية ... أرجو أن تدعوني بالتليفون » وتخبرني ما يكون من أمر إيرين

« نعم سأخبرك . ألا تصالحيني ؟ » « ها هي يدي إذا »

مدت اليه يدها فمزها مطيلاً ذلك على غير إرادته . ما ذاك ؟ لم كانت يدها هكذا ترتعد ؟

ولما شد عليها بعد ذلك أكثر خيل إليه وقد خالجه شعور مبالغ كما لو أنها أسلت نفسها اليه

مهزومة ... « أتني نفسه وحيداً ، ولكن العجب والرب

استوليا عليه مما جرؤ على قوله أو التفكير فيه ، وخيل

سعادة قلبه من الحب . سيتغير كل شيء . وسيتجدد كل شيء . نعم سيحل محل تلك السعادة المزعزعة الفاترة سعادة رائعة فاضرة ، سعادة تحقق كل ما تصبو نفسه إليه . إذا ماتت إيرين فسيتخذ آن زوجها له . ليس أمامه إلا أن يختار الآن . ومن ذا يلومه ؟ أليس يسير وفق قوانين الحياة ، وما تقتضيه غريزة النوع الانساني ؟

وصاح جوجيليو متأوها : « يا إله السماء ! » وحده قلبه ملجأ : « انك لا تحب زوجك . وإذا بقيت فسوف تخشى السنون وأنت تعيش مع امرأة لا ترى للحياة معنى إلى جانبها . ففكر مرة ثانية كيف فقدت المرأة الأخرى ... وكيف كان ذلك نتيجة جهلك وضغفك ... هيا ... هيا كلثان ... انظني ... أترى الأمر هكذا صعباً ؟ انظني أيها الأخمق النبي وقل : « نوح الوليد » ولكنه رفع رأسه ، وعلى وجهه صفرة مخيفة ووجه الخطاب إلى الطبيب قائلاً في ثبات : « نوح الأم »

الطبيب

الأم فترت

للشاعر الفيلسوف جوتة الأناسي

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حمزة الزيات

وهي قصة عالية تد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

الجملة الساحرة ؟ إن طيفها عملاً ناطقاً به ، وسحرها يشيع في نفسه . ياله من موقف ! إنه يرى نفسه بين سعادتين : سعادة أفلتت منه وصارت من تراث الماضي وذكرياته ، وسعادة توشك أن تحيط به ، فيمتلئ قلبه بهجة . ولكن ... ولكن ألا يمكن أن يكون منهما مزيج فتشكل احداً من الأخرى ؟ نادى الطبيب جوجيليو ووقف أمامه مصفراً

مضطرباً ، وفزع جوجيليو متسائلاً في لهفة : « ماذا حدث ؟ هل في الأمر شيء ! أجبني ! » « نعم ، يؤلني أن أجبك أن الخطر محقق بها فقد طرأت مضاعفات من حيث لا أدري ، ولكن لا يزال هناك أمل ، أمل يتأخص فيما تستطيع الجراحة أن تفعل . لقد رأيت الواجب يقضي على أن أخبرك ... »

تخير جوجيليو وفكر في زوجه ، تلك المرأة المسكينه التي تجود بحياتها في عذاب وألم ، وأردف الطبيب قائلاً :

« هل لك أنت تجيبني عما سألك عنه ؟ إن ضميرك هو الذي يريك الآن ماذا يجب أن تفعل إذا كان لا يمكن إلا إنقاذ أحدهما : الأم أو الوليد . فمن تختار ؟ »

« ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » هكذا راح جوجيليو يتساءل صارخاً وعلى وجهه صفرة كصفرة الموت فقال الطبيب : « تلك هي الحقيقة ، فلا يستطيع العلم أن ينجي الاثنين معاً ، فاما الأم وإما الوليد . ففكر برهة ثم أخبرني ... »

« نظر جوجيليو نظرة فرأى حياته الجديدة جليلة أمامه ، تلك الحياة التي ساقها إليه القدر : ولد هو أمه في الحياة وغابته من الوجود ، ثم أن وهي

قبلة اللقاء . فجعلت

نجوس الصفوف طرداً

وعكساً في كل ناحية ،

وتسائل العائدين ، فما

تقع أحد غلها بنياً عن

زوجها المحبوب ...

وهام أولاء قد

انصرفوا . فارتمت على

الأرض تمزق شعرها

وتتمزغ مشدوهة هاذية

فبادرت أمها إليها :

« لك الله ! ماذا دهاك

يا بنيق المسكينه ؟ » وضمتها

إلى صدرها

— آيا أماء ، يا أماء ،

لقصد مات ! مات ! عفاءً

على الدنيا وعلى كل شيء .

لارحمة عند الله . يا لويل !

ليثونورا

قصة مرعرة من أساطير القصص الشعرى

للكاتب الالماني برجر

بمعلم الاستاذ عبد الرحمن حمدى

هذا غرب من القصص الشعرى ، تدار موضوعاته على الأسطورة العجيبة أو الواقعة الرامسة ، ويجرى نظمه على نسق من التقطيع والتزديد ، فيزبدان المعاني والصور قوة على قوة من التعميق والتوكيد والشعراء الالمان في هذا المجال لا يسبقهم سابق ، ولا يلحق بهم لاحق . فلهم فيه وحدهم نصب السبق وفضل التبريز

وهذه القطعة من أروع الأمثلة في هذا الباب ، ولا يذانيها غير أمثالها في شعر جوة وشيلر ، ولها شهرة كبرى في الأدب العالمى ، وقد ترجمت إلى كل اللغات عدة مرات ، وأوحت إلى أعلام الرسامين بدائع اللوحات ، وللكبار الموسيقيين أقوى الألحان

، في مطلع الفجر

هبت « لينورا » آهبة

من أحلام مزججة ،

وحى تسائل نفسها :

« ولهم ، يا زوجي ا

أزرى صرعى الردى

ونفذ فيك سهم القضاء ،

أومال بك الهوى نقت

ميثاقى وأخفرت عهدى ؟

أزرى تطول غيبتك إلى

أبعد من هذا ! »

فانه في ليلة العرس

نفسها ارتحل الزوج في

ركاب الملك فردريك إلى

ميدان القتال عند مدينة

براغ ، ولم يبالعها بخبر

عن صحته من ذلك الحين

ولكن الحصعين الملك

والأميراطورة تولاهما الكلال من هذه الماراك

الدامية ، وسكنت تأثرهما رويداً ، وفي آخر الأمر

عقدوا الصلح . وارند كلا الجيشين عائدين إلى

الأوطان بين نفخ الأبواق ورنات الصنوج ،

متوجين بالأكاليل من أوراق الشجر الناضرة

وماجت الطرقات والجسور من كل حدب

بأفواج لا ينقطع فيضها من الشباب والشيب

يهزهن إلى لقيام ، وكم هتف أبناء وزوجات عند

رؤية عائلهم : أن الحمد لله . وترامت كل خطيبة بين

ذراعى خطيبتها نفعم : مرحباً بك ! « لينورا »

— وإسفاها ! فقد انتظرت طويلاً في غير طائل

يا ولبتاء !

— كان الله في عونك وعفا عنك ! يا بنيق ،

إضرعى إلى رب السموات . الخير فيما يفعله . ولن ينع

عنا غوه

— آء يا أماء ، يا أماء ! إنك واهمة . إن الله

تخلى عنى . وهل أعنى ما أسلفت من سلوات ! فاذا

هى مغنية اليوم عنى ؟

— اللهم رحماك ! من يعرف الله معرفة اليقين

يوقن أنه لا يتخلى عن عباده . وإن سر القربان

القدس ما سح عنك أوجاعك كلها باذنه

— آء يا أماء ! أنى لقربان أن يراد الحياة إلى الوتى .. ؟

— ماذا ! ولهم ! أهو أنت ؟ في هذه الساعة
التأخرة من الليل ! لقد كنت 'ساهرة' أبكى ...
وأأسفاه ! شد ما تأملت ... ومن أين أنت آت
راكبا جوادك ؟

— نحن لا نتمطى الجواد إلا في منتصف الليل .
وإني قادم من أقاصي بوهيميا . وهذا غلة وصولي
إليك متأخراً لأفضى بك مى
— ولكن ، يا ولهم ! ألا تدخل هنا أولاً ،
فأننى أسمع الريح تصفر في الغابة ...

— دعى الريح تصفر في الغابة يا صديقي الحسنة .
فاذا بمنينا من صغير الريح . إن جوادى يفحص
الأرض بحوافزه ، والمهمازين في شاكتيه ؛ وليس
في الأماكن بقاى هنا . هيا البسى نملك يا لينورا ،
وتعالى اركبي رديفتي على صهوة الجواد ، فإن أماننا
مائة فرسخ نقطعها قبل أن نبلغ إلى مقرنا
— وأأسفاه ! كيف تريد أن تقطع الليلة مائة
فرسخ نبلغ إلى مقرنا ؟ أسمع ، هذه دقات الناقوس
تؤذن أيضاً بانتصاف الليل

— واهأ ! واهأ ! القمر مشرق وضاح ...
وما أسرعنا في السرى نحن الأشباح . وإني أراهن
أن سأصل بك الليلة
— خبرني إذا أين مقرك ، وكيف فراش عرسك ؟
— بعيد . جد بعيد من هنا ... ساكن ، رطب ،
ضيق ، يتكون من ستة ألواح كبار واثنين أصغر حجماً
— وهل فيه متسع لى ؟

— لنا معاً ؟ فتعالى يا لينورا . إركبي رديفتي
على صهوة الجواد ؟ فانب
والدعوتون في انتظارنا
فلبست الصبية ثعلها ، وبادرت بالخروج ،
وقفزت على رداء الجواد ، ولفت ذراعين لها في
بياض السوسن حول الفارس الذى تحبه ؛ وانطلق

— مهلاً يا بنتي . فما يدريك ؟ لعله خان ودك
وعقد أواصر الألفة بفتاة غيرك فانسبه ، وأعرضي
عن ذكره . هلمى ! لن يحسن الله قبياه . وسيكون
مثنوا جهنم وبئس المصير

— آه ، يا أماء ، يا أماء ، من مات فقد مات .
ومن فقدناه فقد فقدناه أبداً الدهر . فلم يبق لى غير
الردى مورداً . ليعني لم أولد ولم أك شيئاً ! يا شملة
حياتى انظفئى ، انظفئى في ظلمات الدمم الزهية .
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أنسى !

— اللهم رحماك ! لا تحاسب ابنتى على ما فرط
منها . إنها لا تلى ما تقول . فلا تحصب عليها ذنوباً
وآثاماً . وأنت يا بنتي ، تنافى هموم الأرض واذكري
الله ونعيم السماء . فما يزال زوج في السموات

— آه يا أماء ، ما النعم ؟ يا أماء ، ما الحجيم ؟
النعم حينما كان ولهم ، والحجيم حيث لا يكون .
انظفئى يا شملة حياتى في ظلمات الدمم الزهية .
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أنسى !

وهكذا كانت سورة اليأس الجامع تمرق قلبها
وتقرى روحها . فهي قد سدح في المنابة الآلهية
وتنى عليها . وما زال هذا حالها ، تدق صدرها
تفجئاً وارتباعاً ، وتقلب كتبها توجعاً والرباعاً ،
إلى أن جنحت الشمس للغيب ، ودلفت النجوم
الزواهر في قبة الفلك

ولكن ... أى حس هذا في جنح الليل خارج
المنزل ؟ طلق ! طلق ! لكانه وقع سنابك
جواد ... ثم كأن فارساً يترجل عنه فتسمع صلصلة
سلاحه ... وهو ذا يصعد درج السلم ... صه ،
صه ... الجرس يرن رنيناً رفيقاً ... ثم صوت رفيق
يقول من خلل الباب :

— هيا ! هيا ! إفضى يا صديقي الحسنة ! أسأهه
أنت أم ناعة ؟ ومستمرة في فرحة أم شرقة بالدموع ؟

— أخائف أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ! كذا تكون سرعة الأشباح
أخافين أشباح الموتى ؟

— أواه ، مالك وللموتى ؟ دعمهم فى سلام
— أنظرى ! أنظرى ! أترين الى جانب هاتيك
المشائق أشباحاً تتحرك وحى فى رقة الهواء بضئها
نور القمر ويديها للعيان ؟ أنها ترقص حول مجلة
التعذيب . إيه أيها الأنجاس المناكيد ! تمالوا انتمونى
ولترقصوا فى حفلة عرسى ... إنا ذاهبون إلى وليمة
الدرس الزاهرة

فاندفع الزهط كله وراهم ، ولتدافعهم مثل
خشخشة الريح فى الورق الجاف ، وانطلق الجواد
ينهب الأرض نهبا ... والجواد والفارس تكاد
تنقطع أنفاسهما ، والحصى يقذف الشرر تحتهما
وأها ! ما أسرع تطاير كل شيء ، كل ما يجالوه
ضوء القمر من حولهم ! ... ما أسرع انسياب
السما والنجوم من فوق رؤسهم !

— أخائف أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ! كذا تكون سرعة الأشباح ...
— آه ياربى ! مالك وللموتى ، دعمهم فى سلام
— تجلجل يا جوادى الأسحم ! كائى بالدريك
يصيح مؤذنا بوشك ابتلاج النور ، وعما قليل
تكون الساعة الزلمية قد أفرغت مافها ... انى لأحس
نسبات الصباح ... الوحى الوحى يا جوادى ! ...
لقد أشرفنا ، لقد أشرفنا على غاية رحلتنا ...
سينكشف لك فراش عرسنا ... ما أسرع
الأشباح ... لقد وصلنا

واندفع — مطلقا النان لجواده — الى باب
حدبدي كبير ، وقعه بهذب سوطه قرعة خفيفة
فانفضت المزاليج وانفتح الباب على مصراعيه
بصر مريرا . وانطلق الجواد كالشهاب حاملا

الجواد ركضا ينهب الأرض نهبا . ودوى وقع
سنايكه . وكان الجواد والفارس تكاد تنقطع
أنفاسهما ، والحصى يقذف الشرر تحتهما
وأها ! ما أسرع تطاير الروج والأحراج
والزراع بمنة وبسرة أثناء كرها ، وما أشد قمعة
الجسور تحتهما !

— أخائف أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ، كذا تكون سرعة الأشباح
أخافين أشباح الموتى ؟

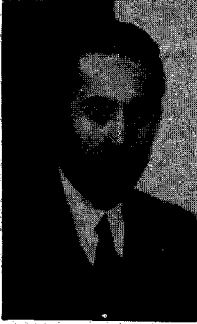
— لا ... ولكن مالك وللموتى ؟ دعمهم فى
سلام ... ترى ما هذه الضوضاء وهذه الأناشيد ؟
والى أين تتجه تلك الأمراب من الغربان ، صه ! ...
هاتيك دقات نافوس ، وهذه أناشيد جنازة
— إنه ميت عندنا يراد دفنه

واقتربت الجنازة وتمالت الأناشيد مرردة
الأصداء كالنقيق الأجش فى جنبات المنايب
والستنعات

— عليكم بعد منتصف الليل أن تدفنوا الجثة
مشيعة بالنواح والأناشيد المولة . أما أنا فذهاب
زوجتى ، وإنى أدعوكم جميعا إلى وليمة العرس .
تمال أيها المرتل ، أنت وفرقتك . تقدموا واصدحوا
بترنمة الرفاف . وأنت أيها الكاهن لتبارك زواجنا
عندئذ انقطع النواح والأناشيد ... واختفى

النش ، وسار مشيعو الجنازة وراء المروسين تلبية
للدعوة ... مرعى ! مرعى ! إنهم ليلاحقون الجواد
عن كئيب . وانطلق الجواد ركضا ينهب الأرض
نهبا ، ودوى وقع سنايكه ... والجواد والفارس تكاد
تنقطع أنفاسهما ، والحصى يقذف الشرر تحتهما

وأها ! ما أسرع تطاير الروج والأحراج
والزراع بمنة وبسرة أثناء كرها ، وما أسرع تطاير
القرى والساكر والمدن !



يَوْمِيَّ إِنِّي فِي الْإِرْيَافِ

للأستاذ توفيق الحكيم

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

١٢ أكتوبر ...

لما عدنا كان ميعاد الجلسة قد حان . ودنت سيارتنا من المحكمة فشاها لنا الأهالي يابها مكديسين كالذياب . وكان مساعدى قد خر إلى جوارى صريع الكرى ، ولم يهمنى أمره ، ولم يدربخلدى قط أن أدعوه وهو على هذه الحال من التعب الى مشاهدة الجلسة بجوارى كاشهد التحقيق . إنه لم يمتد بعد وصل الليل بالنهار . وحسبه هذه السهرة الممتعة ؛ فلأترققن به فى أول عهده بالخدمة . وما إن صرنا بالحكمة حتى أحرث السائق بالوقوف ،

وأوصيته أن عضى بالمساعد إلى منزله ، وحيث الأمور وزلت أشق طريقاً بين أكوام الرجال والنساء والأطفال . ودخلت حجرة الدواولة فوجدت القاضى فى الانتظار . وما كدت أرى وجه القاضى حتى وجعت ؛ ففى المحكمة قاضيان يتناوبان العمل ، أحدهما يقيم فى القاهرة ولا يأتى إلا يوم الجلسة فى أول قطار ، ويسرع فى نظار القضاء حتى يلحق قطار الحادية عشرة الذى يعود إلى القاهرة . ومهما زادت

صاحبه بين قبور متكثرة تنبدى تحت ضوء القمر فى كل ناحية

هنا ، ياللول ! وقمت فى التو واللحظة آية رعية : تساقطت عباة الفارس إرباً إرباً كالهمن المحروق . ولم تبق من هامته إلا حجمة مروقة ؛ وحال جسمه هيكلا عظيماً محتفياً ساعة رملية ومعتقلاً منجلا

وشب الجواد الأسحم حقناً ونفت شرراً . وعلى حين بقة ساخ وغاب فى أعماق الأرض ؛

وتصوّبت من أجزاء الفضاء صبيحات وصبيحات ؛ وتصعدت من الثبور تحت أطباق الثرى أمات وأمات تخفق قلب لينورا خفقة انتقلت بها من الحياة إلى الموت

فتحالت الأرواح تحت ضوء القمر خو لها ، ورقصوا وهم ينشدون : « الصبر ! الصبر ! مهما هاض الألم قلبك وصنع كيدك ، فلا تنسبى فى حق رب السموات أبداً . هأنت ذى قدأسلت جسمك عفا الله عن نفسك » عبد الرحمن صدقى

والتهمون بذلك فجعلوا كل همهم المحروب من صاحب السمر المرتفع والاتجاه إلى صاحب السمر للناسب . وطالما تبزم هذا القاضي وشكا من ازدياد عمله يوماً عن يوم دون أن يدري العملة . فكنت أقول في نفسي : « إرفع أسمارك تر ما يسرك » ، وبدأ المحضر ينادي أسماء التهمين من ورقة في يده . وقزمان افندى المحضر رجل مسن أبيض الشعر والشاربين ذو منظر وهيئة بليقان رئيس محكمة عليا ؛ وهو إذا نادى تعاطف في حركاته وإشاراته وصوته ، والتفت إلى الحاجب بالباب الثفانة الأمر النساخي ، فردد الحاجب الاسم خارج قاعة الجلسة كما تلقاه من المحضر ، ولكن في مد وغني ونعمة كنفمة الباعة المتجولين . وقد لاحظ ذلك أحد القضاة مرة فقال له : « أنت يا شعبان قاعد تنادي على قضايا جنح ومخالفات ، أو على بطاطة وبلع أمهات ؟ » فأجابه الحاجب : « جنح ومخالفات أو بلع أمهات ؛ كله أكل عيش »

« ومثل أول المخالفين أمام القاضي الفارق في الأوراق ؟ فرقع القاضي رأسه ووضع منظاره السميك على أنفه ، وقال للمائل بين يديه :

— أنت يا رجل خالفت لأثمة السليخات بأن

القضايا وبلغ عددها ثلاث هذا القطار لم يفت القاضي يوماً قط . أما القاضي الثاني فهو رجل ذو وسواس ، وهو بعد يقيم مع أسرته في دائرة المركز ، فهو يبطيء في نظار القضايا خشية العجلة والفاط ؛ ولعله أيضاً يريد شغل وقته وتسلية فجيده في هذا الزيف ؛ وليس أمامه قطار يحرص على ميماده ؛ فهو من الصباح يجلس إلى النصة وكأنه قطعة منها سمحت فيها فلا ينفصل عنها إلا قبيل العصر . ويستأنف الجلسة في أكثر الأحيان عند المساء . وكانت تذيبني جلسته برالمذاب ، فهي الجبس بعينه . وكأنا قضي على أن أربط إلى منصتي لا أبدي حراكاً طول النهار ، وقد وضع حول عنقي ونحت أبلي ذلك الوسام الأهر الأخضر كأنه النمل . أهو انتقام الله لمؤلاء الأرباء الذين دفعتهم إلى الجبس دون أن أقصد ؟ أترى أخطاء المهنة تقع تبعاً لها علينا فتدفع منها في الحياة دون أن نعرف ؟

وجمت لرؤية القاضي إذ أدركت أني وقعت في جلسة لا ترحم بعد ليلية كلها عمل . ولست أدري ما الذي طمس ذاكرتي فحسبت خطأ أن اليوم نوبة ذلك القاضي السريع

أجريت ذبح خروف خارج الساحة

— يا سيدى القاضي ، الخروف ... ذبحناه ، ولا مؤاخفة ، في ليلة حظ « عقبال عندك » بمناسبة ظهور الولد

— غرامة عشرين « قرش » . غيره ...

فنادى المحضر . ونادى ثم نادى ... مخالفات متتامة كلها من ذلك النوع الذى مضى المحكم فيه ... وقد تركت القاضي يحكم وجعلت أروح عن نفسي

دخلت الجلسة ؛ وكان أول ما فعلت أن نظرت في « الرول » فإذا أمامنا سيمون مخالفة وأرمون جنحة . عدد والحد لله كفيل أن يجلسنا بلا حراك مع هذا القاضي طول اليوم . على أن القضايا دائماً عند هذا القاضي أكثر منها عند القاضي الآخر ؛ والسبب بسيط : إن القاضي الموسوس لا يحكم في المخالفة بأكثر من غرامة عشرين قرشاً ، بينما الآخر يرفع سمر الغرامة إلى خمسين . وعلم المخالفون

القانون ١. فأشاح القاضي بوجهه عنى وأطرق قليلا .
وهز رأسه ثم قال فى مرة من زيج عن كاهله حملا :

— غرامة عشرين ١. غيره

فنادى المحضرم امرأة ، فخرت موهس رديفة
قد زججت حاجبها بمود نقاب ، وطلت وجنتها
بذلك الأحمر الفاقع الذى تظلى به مبتاديق الدخان ،
« السمسون » . وصورت بالوشم صورة قلب يتخترقه
سهم على ذراعها المارية ، ووضعت فى مصمصها
أساور و« غوايش » من المعدن ومن الزجاج الملون .
فنظر إليها القاضي وقال :

— أنت متهمة بأنك وقفت أمام باب منزلك

فوضعت يدها فى خصرها وصاحت :

— هو يا روى من وقف قدام باب بيتسه

كفر ؟

— وقوفك فيه اغراء للجههور

— بحسرة وندامة علينا . وحياة دقن القاضي

عمرنا ما وقعت عيننا على جههور ، ولا من من قدام

منزلنا « ادلدى » جههور

— غرامة عشرين ... غيره

فصاح قزمان أفندى باسم المخالف التالى فظهر رجل
كهل من المزارعين يبدو من زرقة « شال » عمامته
« الزهرة » ومن جلبابه الكشعير وعباءة الجوخ
الأمبريال وحذاءه « اللستيك » الفاتق فى صفرة ،
أنه على جانب من اليسار واستواء الحال . فسان
مثل حتى ابتدره القاضي :

— انت يا شيخ ، أنت متهم بأنك لم تسجل

كليك فى اليماد القانونى

فتنحج الرجل وهز رأسه وتمم كأنه يستغفر
ويسترجع :

بمشاهدة الإهال الحاضرين فى الجلسة ... وقد ملأوا
القاعد و« الذك » فاض فيضهم على الأرض
والمرات ... فجلسوا القرفصاء كأنهم للماشية يرفعون
عيونهم الخاشعة إلى القاضي وهو ينطق الحكم كأنه
راعى فى يده عصا . وضاق ذرع القاضي بذلك اللون
المتكرر من المخالفات فصاح :

— فهمونى الحكاية ! الجلسة كلها خرقان .

خارج السلخانة ١. وحلق فى الناس بعينين كالحصتين
خلف المنظار الرأصى على طرف أنفه ، ولم يقطن
أحد ولا هو نفسه لما فى هذه العبارة من تمريض .
ومضى المحضر يتنادى وقد تغير قليلا نوع المخالفة
ودخلنا فى نوع جديد ، فقد قال القاضي المخالف
الذى حضر :

— أنت يا رجل متهم بأنك غسلت ملابسك

فى التربة

— يا سمادة القاضي ربنا بلى صرايتك ! تحكم
على بفرامة لأنى غسلت ملابسى ؟

— لأنك غسلتها فى التربة

— وأغسلها « فبن » ؟

فتردد القاضي وتفكر ولم يستطع جوابا . ذلك
أنه يعرف أن هؤلاء المساكين لا يملكون فى تلك
القرى أحواضا يصب فيها الماء القطر الصافى من
الأنابيب ، فهم قد تركوا طول حياتهم يعيشون
كالساعة ، ومع ذلك يطلب إليهم أن يخضعوا إلى
قانون قد استورد من الخارج على أحدث طراز ،
والنفقت القاضي إلى وقال :

— النيابة ..

— النيابة ليس من شأنها أن تبحث أين ينسل
هذا الرجل ملابس ، ولكن ما بمنيتها هو تطبيق

أنا حلفت ووقع مني بين أن البنية ما يقل مهرها
عن العشرين بنتو ...

فرقع القاضي رأسه وثبت منظاره ونظار البهاصمًا:

— تمالي كليتي هنا ، أنا القاضي ، العضة

حصلت منك ؟ قولي نم أولًا ، كلمة واحدة

— عضة ؟ حد الله ! أنا صبيح قبيحة ، لكن

كله إلا العض

فصاح القاضي في المحضر : « هات الشاهد »

فخسر المجني عليه وقد لف بـشـصره في رباط صبي ،

فسأله القاضي عن اسمه وصناعته وحلفه الجمين أن

لا يقول غير الحق واستوضحه الأمر . فقال الرجل :

— أنا يا حضرة القاضي لا لي في الطور ولا

في الطحين . والقصة وما فيها إني كنت واسطة خير

وسكت . كأنه قد أبان وأفصح عن سر القضية .

فخلق فيه القاضي وهو يكظم غيظه ، ثم انهره

وأمره أن يقص ما حدث بالتفصيل ؛ فبسط الرجل

الأمر قائلاً : إن لهذه التهمة ابنة يدعى « ست أبوها »

خطبها فلاح يدعى « السيد حريشة » وعرض

مهرًا قدره خمسة عشر بنتو فلم تقبل أمها بغير

المشرين ، ووقف الأمر عند هذا الحد إلى أن جاء

ذات يوم شقيق الخطاطب وهو صبي صغير يطلق

عليه اسم « الزنجير » فذهب من تلقاء نفسه إلى

أهل العروس وأبلغهم كذبًا أن الخطاطب قد قبل

الشرط ؛ ثم رجع إلى أخيه وأخبره أن أهل البنت

قد رضوا بالنزول بالمهر كما عرض ، وكان من أثر

عبث هذا الصبي ومكره بالطرفين أن حديد يوم

لقراءة الفاتحة في بيت العروس ، وانتدب الخطاطب

الشيخ عمارة وهذا الشيخ فرج ليكونا شاهديه .

وتقابل الجميع وذبح والد البنت أوزة ، وما كاد

— عشنا وشفتنا الكلاب تتسجل « زى

الطيان » وتبقى لها حبيثة !

— غرامة عشرين ... غيره

ومضت الأحكام في جميع المخالفات على هذا

النحو ولم أرَ واحدًا من المخالفين قد بدا عليه أن

يؤمن بمحقيقة ما ارتكب . إنما هو غرم وقع عليهم

من السماء كما تقع المصائب ، وأتاوة يؤدونها ؛ لأن

القانون يقول إنهم يجب عليهم أن يؤدوها ؛ ولطالما

سألت نفسي عن معنى هذه الحماكة ، أنستطيع أن

نسمى هذا القضاء رادعًا والمذنب لا يدرك مطلقًا

أنه مذنب ؟ وفرغنا من المخالفات وصاح المحضر :

« قضايا الجنيح » ونظر في ورقة « الرول » ونادى

« أم السعد بنت إبراهيم الجرف . فظهرت فلاحه

محجوز تدب في القاعة حتى بلغت المنصة ووقفت بين

يدى قرمان أفندي المحضر . فوجهها إلى القاضي

فوقفت تنظر إليه يصير ضعيف ثم لم تلبث أن

تحولت عنه وعادت إلى الوقوف بين يدي المحضر

الحرم . وسألها القاضي وجهه في الورق :

— اسمك ؟

— محسوبتك أم السعد

قالها وكأنها توجه الخطاب إلى المحضر فقمزها

قرمان أفندي ووجهها إلى المنصة مرة أخرى وسألها

القاضي :

— صمنتك ؟

— صمنتي حرمة

— أنت متهمة أنك عضضت أصبع الشيخ

حسن عمارة

— فتركت المنصة ووجهت الكلام إلى المحضر

— وحياتك هيتك وشيتك إني ماعبت أبدًا .

وغرقت في مقعدى وقد عبث النوم بأجفاني ،
ومضى وقت لست أدري مقداره ، وإذا صوت
القاضي يصيح : « النيابة ! طلبات النيابة . »
فتفتحت عيني حراوين لا يبدو فيها غير طلب
النوم ، فأخبرني القاضي أنه أطلع الآن على تقرير
الطبيب الشرعى فإذا الإصابة قد تخلف عنها عاهة
مستدعة هى فقد « السلامة » الوسطى للبصر ؛
فاعتدت في مقعدى وطلبت في الحال الحكم بدم
الاختصاص . فالتفت القاضي الى المجوز قائلا :

— الواقعة أصبحت جناية من اختصاص
محكمة الجنائيات

فلم يبد على المرأة أنها فهمت الفارق ؛ فالعضة
في نظرها هى ما زالت العضة ، فالتبى حولها من
جناية الى جناية ؟ آه من هذا القانون الذى لا يمكن
أن يفهم كنهه هؤلاء الساكين

ونوديت القضية التالية فإذا هى شجار الجواريات
وقع بين والد « ست أبوها » وبين أهل الزوج
(السيد حريشة) فلقد تم الزواج بين الطرفين آخر
الأمس . وبث الزوج بعض أهله ومعهم جل لاستلام
المروس من بيت أبيها . فقابلهم الأب محتذاً صارخاً
في وجوههم : « جل ! ؟ بقى تخرج بنتى على جل !
أبدأ . لا بد من « الكومبيل »

ومجادل الطرفان فيمن يدفع ثمن هذه البدعة
التي رماها بهم تطور العصر . وأرى الجدل الى
رفع المصى وأسالة بعض قطرات من الدماء لامناص
مها في مثل هذه الظروف . وانتهى الأمر بأن
أخرج أحد الساعين في الخير رايلاً من جيبه
واستأجر سيارة من تلك السيارات التي تمر بالطرق
الزراعية : وحكم القاضي في هذه القضية ثم صاح :

— « انتهينا من الفرح » و « الدخلة »

الطعام مهياً ويقدم الى الضيوف حتى ذكر المهر .
وظهرت الأكاذوبة وإذا الوقت لم يمتد ؛ واحتدم
الجدال بين الطرفين . وصاحت أم البنت تولول في
مجن الدار : يا مصيبتنا الكبيرة ، يا شامة الأعادى !
والنبي ما أسلم بنتى بأقل من عشرين . وخرجت
المرأة في وسط الرجال كالجذوة تدافع عن حق ابنتها
وتخشى أن ينهى الرجال الأمر فيما بينهم بما لا ترضى ؛
وهزت الشيخ حسن الأريحية فلم يضع يده في
طعام وقام الى المرأة يداورها ويحاورها ويقنعها .
بينما ما زميله الشيخ فرج يده الى الأوزة وجعل
ينهش منها نهشاً دون أن يدخل في النزاع المحتم .
ويظهر أن التحمس من الجانبين قد جاوز حد الكلام
وإذا الشيخ حسن يرى يده لا في طبق الأوز
ولكن في فم المجوز ؛ فصرخ صرخة داوية :
واقبلت الدار شر منقلب ، واختلط الحابل بالنابل ،
وجذب الشيخ حسن رفيقه ، فانترمه من أمام
الطعام انزاعاً وخرج به وهو يحرق الأرم : فهذا
الرفيق لم يقل كلمة وحظي بالأكل ، وهو الذى
تحمس قد خرج من الوليمة بجوعه ، وقد أكلت
المجوز أمبمه ...

واسترسل المحفى عليه في الكلام . وجأفة
أخذت القاضي خلجة ، وتيقظ وسواسه فقاطع
المتكلم وقال كالمخاطب لنفسه : « ترى أنا حلفت
الشاهد اليمين ... » والتفت الى قائلا : « يا حضرة
وكيل النيابة . أنا حلفت الشاهد اليمين ؟ » فجعلت
أذكر ... ولم يستطع القاضي طرد انشك فصاح :
« احلف يا رجل : والله العظيم أقول الحق » تخلف
الرجل ، فصاح به القاضي : « اذكر أقوالك من
أولها »

فعلت أننا لن ننتهى ، وبلغ الضيق أنقى وتساءبت

تفارقني فهمت : « تحب أني أحافلك أنه حلف ؟ »
فاطمأن القاضي بعض الاطمئنان وأمنى الى بقية
الشهود في صمت واتباه . ولم يطق التهم صبرا
فنهض بفته كالستيفث :

— يا حضرة القاضي ! في الدنيا « حراي »
يسرق « وابور جاز » بناره ؟ !

فأسكته القاضي بأشارة من يده قائلا :
— تسألني أنا ؟ ! أنا عمري ما اشتغلت
« حراي » ! . ونظر الى منصة الدفاع ، فقام المحامي عن
المنهم يصيح قائلا : « يا حضرة الرئيس ! نحن لم
نصادف وابور ، ولا رأينا وابور ، ولا مرنا في طريق
به وابور .. والقضية ملفقة من ألفها الى يائها ... »
وأراد المحامي ان ينطلق في هذا الكلام وأن يصول
ويجول . ولكن القاضي قاطعه :

— حملك يا استاذ . التهم نفسه بمتعرف بأنه
صحيح لقي الوابور قدام باب الدكان ! فضرب الأستاذ
وجه النصبة بقبضته وقال :

— هذا سوء دفاع من موكلتي
فأجاب القاضي في هدوء :

— غرض حضرتك أني أصدق حسن دفاعك
وأكذب الحقيقة التي نطق بها موكلك أمامنا جميعا !
فاحتج المحامي ورفع عقيرته وقد بدال أن كل
همه أن يجلجل صوته في الجلسة ، وأن يتصيب عرقه
فيمسحه بمنديله وينظر إلى « زبونه » كاتما يريه
الجد الذي يتكبد من أجله والعناية التي يبذلها في
سبيله . وكان التنب والضيق والحبس بلا حراك أمام
منصتي قد صبرتي شخصاً لا يبى ولا يفهم ما يدور
حواله فأخفيت وجهي في ملف من ملفات القضايا
واستسلمت للنعاس

توفيق الحكيم

(يتبع)

على خير ! ... غيره !

فنادى المحضر بصوته الممتلئ « قضايا المحاميس »
وذكر اسماً من الأسماء ، فدوت صلصلة السلاسل
ونهض من بين لابسى الخيش رجل فك الحارس
قيده . ونهض من بين الحميين أفسدى ذو بطن
كانها القربة الملوثة وقال : « حاضر مع التهم »
« قفلت في نفسي » تلك قضية لها عمام لن يتركنا
قبل أن يفرغ في رؤوسنا ماشاء بحجة حرية الدفاع .
فلأغمض غيبي منذ الآن فرأسي أحوج ما يكون
الى الراحة بعد سهر الليل . وصمت القاضي يقول
المحبوس :

— أنت متهم بأنك سرقت « وابور غاز » ...
— أنا صحيح لقيت الوابور قدام باب الدكان .
لكن لا سرقت ولا نهبت ...

فالتفت القاضي الى المحضر قائلا : « هات
الشاهد » فحضر رجل على رأسه ابدعة بيضاء وعلى
منكبيه « دفيئة » ، خاف اليمين وقال انه أشعل
« وابور الغاز » ليهيئ الشاى لبعض « الوياثن » الجالسين
داخل الحانوت . فهو بدال دفيئ صغير يبيع السكر
والبن والشاى والتبغ ويجمع لديه أحيانا بعض
الناس كأشهم في شبه مقهى ولقد وضع الوابور
مشتعلا عند عتبة الباب في الطريق ودخل بحضر
الابريق وما إن عاد حتى رأى للمتهم قد حمل الوابور
بناره وجرى به . وجعل الشاهد يسهب ويستشهد
بمن حضر ومن جرى معه خلف السارق ، والقاضي
مطرق وقد علمت من هيئته أنه يفكر في شيء آخر .
ونجاة نظر الى « قال كالحاطب لنفسه : « أنا حلفت
الشاهد اليمين ؟ » فإتالمكت أن صحت في ضيق :
« سيحان الله ! ! أنا سمعت الشاهد حلف » فقال
لى القاضي : « أنت متأكد ؟ » فشمرت أن روى



مِنْ أَعْمَاقِ النُّفُوسِ



اعتراف في العصر

للفريدري موسى

بقلم الأستاذ فليكس فنارس

[تاج ما نعر في المدد للماضي]

بالليل ، وقد شهدوا هذا الملك مقتعداً كومة من
المظالم متلفعاً برداء أنانيته ، وأعضاؤه ترجف من
لفحات الصقيع

فشعروا بفصّة الموت عند ملاح لم هذا
الشبح نصفه مومياء ونصفه جنين ، فاقترنوا منه
والروح عللاً قلوبهم كما يقترب السائح من مومياء
ابنة أحد أشراف سارقانديان في ستراسبورغ حيث
تمرض محنطة بحلي خطبتها . وما يبالك من يشاهد
هيكل هذه الطفلة من الارتعاش وقد تحلت يدها
المتقنة بخاتم المرس وانتثر رماد رأسها على أزهار
الليمون البيضاء

وكان نابليون مجروره على العالم قد زعزع كل
ما فيه ، كالماسفة يحتاج الغابات قهراً باستقاة
أدواحها وتنادرها وأجة في صمت رهيب . وكان
الملك قد شعروا بتيجائهم تحميد قدوا إليها أيديهم
فلم تثر إلا على شعورهم وقد وقفها الذعر على
رؤوسهم

وكانت عوامل ثلاثة تتنازع عواطف الشبيبة
حينذاك : ماضٍ منقصر لم يزل يرتجف ظلّه على
الأطلال حيث توت قوات الأثرة وعصور العنف ،
ومستقبل منفرج الأفق بعيد الجلال لا يلوح منه
غير أوائل ذرّات النور ، ومدى بين هذين الحدين
أشبه بالحيط الفاصل بين العالم القديم والعالم الجديد :
مدى مضطرب كالبحر الزاخر تتلاعب به المواصف
فيهدد بالفرق كل ما يحمل ولا يلوح عليه إلا بعض
البواخر الجريئة تجتازها صاخبة من حين إلى حين
في مثل هذه الفاويز كان على أبناء العصر أن
يهتدوا ، وتلك هي المشاهد التي كانت تنتصب أمام
فتيان ملء إهابهم العزم والقوة ، وهم أبناء
الامبراطورية وأحفاد الثورة . أما الماضي فكانوا
ليبرتسوا به ، وما يتحكم الإنسان في عقيدته ،
ولكنهم عشقوا المستقبل عشقاً شديداً بشغف يكالون
عاهل صور القديعة بشبح فاتنة من عالم الجن ،
فكان المستقبل في بصيرتهم كدمية من رخام هاموا
بها قياتوا يتوقعون تورد عزيرتها بدم الحياة . وهكذا
لم يكن هؤلاء الفتيان إلا زمانهم تسوده روح
العصر ، ملاك غسق لا ينفصل عن النهار ولا يتصل

فعمل بهم ما فعله فولتير بالكاتب المقدسة
وسمعت الدنيا بمد ذلك ضجة هائلة ، هي صوت
صخرة القديسة هيلانة تسقط على العالم القديم .
ولاحث نجمة التفكير في السماء بأشمتها الباردة كوشاح
آلهة الليل فغمرت بها الدنيا كأنها الكفن المروع
وكانت أوربا قد رأت من قبل عدداً رفيراً آمن
يعتقون الأشراف ويهددون الكهنة ويتآمرون على
الملوك ، ولكنها ما عرفت ابتداء الاحتقار قبل
أن ص الامبراطور وتواري عن العيان ، فكان إذا
اخترق الجمع شريف أو كاهن أو عامل يهز الفلاحون
رؤوسهم متذكّرين ما شهدوا من ممارك ويقولون :
لقد نظرناهم في غير هذا الزمن وفي غير هذا المكان
وقد كانت وجوههم على غير ما نراه اليوم
وإذا ما ذكر أحد العروش والهيكل كانوا
يقولون : إنها عوارض من خشب سمرتها نحن
ثم اقتلعناها
وحينما كان الخطباء يقولون : لقد رحمت عن
غوايتك أيها الشعب ، فدعوت إليك ملوكك
وكهنتك ، كان الشعب يجيب قائلاً : « نحن لم
ندعهم ، وما دعاهم إلا هؤلاء المتشدقون »
وإذا قيل للشعب : (عد إلى الطاعة والسكون ،
افلح الأرض واخضع) كانت الشعب ينتفض
وتتصرك السيوف في أعماقها وقد علاها الصدا في
زوايا الأكوخ
ولكن الخطباء كانوا يضيقون إلى كل هذا
قولهم : (عد إلى السكون أيها الشعب فقد أشتاك
الجهاد بلا جدوى ، ولا تطلب الاعتناء وليس من
يمتدنى عليك)
فكان الشعب يرتضى بهذا القول ، أما الشيبية
فما كانت لترضى به
لأرب في أن الانسان تنزاعه قوتان مجهولتان

وكان بابا رومة قد قطع ثلاثمائة فرسخ ليبارك
الامبراطور ويضع التاج على مفرقه ، فلم يتورع
هذا الامبراطور من اختطاف التاج من يده
وهكذا كان كل شيء قد ارتمش في غابة أوربا
القديعة المروعة ، وعقب السكون هذه العاصفة
الموجاءة

يقال : إذا ما صادف السائر كلباً هائجاً فتابع
السير برابطة جأش وبخطوات متزنة دون تردد ،
لا يلبث السكيب أن ينبسج بهدير مختنق ثم ينصرف ؛
ولكن إذا بدرت من جابر الطريق بادرة ندل على
خوفه فأخل بانتظام خطواته مسرعاً بخطوة واحدة
فان السكيب يتأثر مستأسداً ، وإذا ما نشب فيه
أنيابها فانه لا يقص حتى يفترسه

لقد رأت أوربا أكثر من ملك ظهرت منه
بادرة الخوف في تاريخها أمام شعبه فذهب فريسة
لهذا الشعب ، ولكن مثل هذه السكارثة لم تكن
تقع على الملوك جملة في آن واحد ، لذلك سقط الملوك
على التتالي ولم تسقط الجلالة الملكية . ولكن أمام
نابوليون ارتمشت الجلالة الملكية نفسها ، فبدرت
منها البادرة التي تؤدي الى الهلاك . وما ارتمشت
جلالة الملك وحدها حينذاك بل ارتش معها الدين
والشرف وكل سلطة إلهية وبشرية

ولما مات نابوليون استمادت السلطات الآلهية
والبشرية روحها ، ولكنها لم تجد في الشعب من
يمتد بها بعد

إن في مفرقة ما يمكن أن يقع لخطر ، لأن الفكر
يتجاوز الأمكان بفتراضاته ، وليس القول بإمكان وقوع
أمر كقولك إنه وقع فعلا ، وما التأكيد إلا أول
عضة للسكيب المستأسد

لحم يكن نابوليون الماتى إلا آخر شرارة من نار
الاستبداد ، فقد أعبد الملوك لينسج على متوالمهم

بالأفكار الانسكابية فاكسح الحزن كل ما كان
من دلائل المرح القديم

ولعل العناية كانت تمهد بذلك طرقها الجديدة
فظهر الملاك البشر المجتمع بالنظر مقلما في قلوب
النساء بذور الحرية التي سستطالب المرأة بها في
آتي الزمان

وانشق الرجال عن النساء في المجتمعات
الباريسية : فلبست النساء اللباس كالمراسم ، وانشح
الرجال بالسواد كالأيتام ؛ وتبادل الفتيان لفتات
المداء . وما هذا الثوب الأسود الذي يلبسه رجال
عصرنا إلا دليل انقلاب مريع ، لأنهم ما لبسوه قبل
أن تساقطت شارات الشرف فتمزقت الأزياء القديمة
وتناثرت أزهار الأتواب الزركشة على الحضيض ؛
فكان الإنسان بمدان يحكم بعقله وهدهما كان يفتربه
من الآمال ، وقف متشككا بالسواد ليلتقي كانت التعزية
على المفقود . وسادت عادات طلاب العلم وأرباب
الهن تطورات نشأت من التطور العام ، بمدان
كانت تلك المصادات مجلى الحرية الحقيقية ،
ومسرات الشباب النقية . انفصل الرجال عن النساء
فاصلت بينهما الاحتقار نصلا لا شقاء لجرأحه . فقد
الرجل حب المرأة فاندفع إلى الكؤوس ليستعص
ما فقد ، ونظر الناس إلى الحب نظرم إلى الدين
والجد فقرأوا كل ذلك أوهاما تلاشت مع الزمان
القديم

وغصت للمواخير بالرجال ، فأصبحت الفتاة
مهملة بمدان كانت تغذى الشبيبة بمجها الطاهر
السامى ، وعند ما احتاجت إلى غذاء ورفاء باعت
نفسها . فيا للشقاء وبألمار . . . لقد أهمل الشاب
الفتاة ، وكان في وسعه أن يستنير بإيها بأشعة شمس
الله وأن يقاسمها لقمته مادومة بمرق جبينه ، ولكنه
تركها يسار إلى مزابيل الانسانية ليجد هنالك تلك

تصليان داخله حربا عوانا إلى آخر حياته ، فاحداها
تبحث وتسبر المستقبل بسكون متحسبة تستنبط
أحكامها من العبر ، والأخرى تتحفز للوثوب إلى
المستقبل منجدة إلى ما لا تعلم ؛ وعندما تسود
الإنسان عاطفته بتبعها العقل منذرا باكيا ؛ وإذا بقف
الإنسان مجيكا لدعوة العقل ، تهتف الأهواء قائلة :
(وأنا هل يجب أن أموت) ؟ .

وابتداء الأسمى يحتمر في القلوب الفتية ، إذ
حكم ملوك الأرض على الشباب الراحة والسكون
وفذفوم بأشد الأراض أوجعا ؛ البطالة والضجر ،
فأحسوا بالضجيج الموحل الأمواج التي كانوا أعدوا
لمصارعتها سواعدهم القوية . وسادت المسكنة على
هؤلاء المصارعين الذين كانوا مرخوا أعضائهم هيبكا
بالزبوت . فاندفع الأغنياء منهم إلى ميادين الفخشاء ،
والتوسطوا الحال وخضعوا للقضاء وتحولوا إلى
الكهنتوت والجندية ، أما الفقراء فلم يجدوا سوى
الحماس البارد فارغوا فيه بالأقوال الجوفاء كما يرتجى
المجاهدين بنفسه في البحر الذي لا ساحل له : بحر
الابتلاء بالجلد مبيدا عن العمل .

وبما أن الضعف البشرى يقود الناس إلى
الاجتماع والتعاون ، لم يلبث هؤلاء الشباب أن
اجتمعوا فوجت السياسة مرعاها الخصب بينهم .
وهكذا كانت الشبيبة تخرج من مصارعة حراس
المجلس التشريعي لتتجه إلى المسارح حيث تشاهد
(قال) لا بسا قمعة تشبه قيمة الأمبراطور ، أو تسير
إلى المدافن لتحتفل بآتم نائب من الأحرار ، لتمود
أخيرا إلى مساكنها كل مساء شاعرة بفراغ حياتها
وعبت عاوانها

وما كانت حياة المجتمع الداخلية بأقل يؤسا
من الحياة الخارجية ، فساد الناس الأسمى والجود ،
وتسلط الرياء على الماديات ، وأصبح الدين مشوبا

الواسعة ؟ ألم تلهمك الروح وأنت التصوف المعقد
بوحدة الوجود ما يمينك على سكب قليل من العسل
في تلك الكؤوس الرائعة التي نحتها للأجيال ،
وقد كانت ابتسامة واحدة منك كافية لاستمراء
النحل فتزول بجنيها على شفتيك

وأنت يا يبيرون ! ألم تكن عائشا تحت سماء
إيطاليا الجميلة ؟ ألم تكن تنأج أمواج الأدرياتيك
والى جنبك المرأة التي أحببت ؟

أنا الذي أوجه اليك هذه الكلمات الآن ،
وما أنا إلا فتى ضئيل يحمل من الحياة ما لم تتحمله
أنت من مصائبها وآلامها ، إنني أؤمن بالأمل
وأبارك الله

وما هبت زعازع الأفكار الانكليزية والألمانية
على رؤوسنا حتى سادنا الاستمزاز برهة ثم عقبه
الاختلاج المريع . لا شيء يحول أملاح المواطن
الى بارود منفجر كالتلاعب في مواطن الشك
بالمبادئ العامة . وكان جوده برأسه الجسار قد
اعتصر كل ما في النمرة المحرمة من خلاصة ، فغفل
للناس أن من لم يقرأ جوده لا يعرف من الحياة
أشياء . ويل لهؤلاء الناس ! لقد انفجرت أفكارهم
بعلامسة أفكار جوده ، فتناثرت ذرات تائهة في
مهاوى الشكوك

وساد المجهود تلك الأزمنة ، فأنكر الناس كل
ما على الأرض وكل ما في السماء . وما المجهود
إلا آمال عاترات تدور بها الأحزانت ، فكان
الانسانية كانت قد تراخت عزائمها فدخلت طور
الاحتضار ، فاحبى عليها المفكرسون بمسجون مواضع
انباضها ليتحققوا موتها

وكانت شبيبة فرنسا شبيهة بذلك الجندي الذي
أجاب من سأل : هم يؤمنون ؟ فقال إنني أؤمن بذاتي .
فنجيب من يورد هذا السؤال عليا : إنني لا أؤمن بشيء

الفئة نفسها مثقلة بالهموم شاحبة مضمضة يحول
على قها الجوع ويرى قلبها الابتدال

في ذلك الزمان ظهر شاعران هما أعظم عباقرة
العصر بعد نابليون شخصيا حياتهما لجمع ما تبدد في
الأرض من مبادئ الشقاء والآلام ، فكتب
جوته عميد الأدب الجديد (الآلام فتر) واصفاً الوله
الذي يقود الى الانتحار ؛ ثم عاود رسم في (فوست)
أعظم صورة تغسل الشر والشقاء . واجتاحت
كتاباته فرنسا كلها وهو جالس في بيته تحوطه
السعادة وتحمله الثروة ، فكان يرسل البنا رشاش
قله الأسود وعلى شفتيه ابتسامة الأب لبنيه . . .
وجاء يبيرون من جهته يرفع صوت الحروب
والفتائج ، كأنه لم يجد من حل لسر الوجود غير
كلمة العدم المروع

عنوا أيها الشعراء المظلمين ! أنبا الآن ذرات
رماد يفتقر القيور ، أنبا في عداد أنصاف الآلهة
أيها الشعراء ؛ وما أنا إلا فتى بضئيه المذاب ،
ولكنني وأنا أسطر هذه الكلمات لا أمتلك
نفسى من إرسال اللعنة عليكما

لماذا لم تنفيا ببطر الأزهار ، وأنشيد الطبيعة ،
وبالأمل والحب ، وبالكروم ، وشعاع الشمس ،
وبأنوار الشفق وروعة الجمال ؟ لقد عرفنا كنه
الحياة ، ورأينا الدنيا تتداعى فكينا على الأطلال ،
وأرسلنا أنبياء البائسين . لقد ذقنا خيانة الخيليات ،
وجفاء الأصدقاء ، واحتقار أبناء الوطن ، فدارت
بكأ أشباح الموت وشعرنا بمقاء القلب . لقد كان
كل متكنا جباراً من جبارة الأحزان . ولكن قل
أنت يا جوته : أبا سمعت أذنك صوتاً واحداً يؤامس
الحزين في هدير الأجرار المقدسة في بلادك ؟ أفا
تمكنت وأنت من يعرف أن الشعر صنو الفلسفة
من العثر على زهرة السلوان في هذه الطبيعة

في آفاق آسيا . وكان شاوريان قد قبض على
سولجان إمارة الشعر ، فلبّ اليأس برداء أسفاره
ورفقه كالصنم على هيكل تتعالى حوله غبقات الخوض
فانحنت شبيبة فرنسا على قروها السيوية بأسة
تكزع كأس الآلام حتى النملة ، وملأت الأقطار
نفثات الأقلام المذلة بأدب لالون له ، فكانه رشاش

من دم آسن يرسل لتفذية مسوخ الحياة

ومن له أن يصف ما كانت عليه المدارس في
ذلك الزمان ؟ لقد كان الشك يدور والجال ؟ أما الشبيبة
فقد كانت اجتازت مرحلة الشك واشتغرت على
المحجود . وكان الشراء يتفننون بالحيمة وعثرات
الآمال . وكان الشبان يتركون مقاعد المدارس
ويواجهون الحياة بحياة تطفح بالبشر وعلى لسانهم
لعنة الكفر . وكان الطبع الفرنسي المائل إلى الرح ينيل
الأدمنة مفاعاة تحتمل الأفكار الانكيزية والألمانية ؟
غير أن القلوب لم تكن منبئة لتحتمل النضال في
الأوجاع فذبلت وانحنت على ذاتها كأنها أزارهر
مقصوفة

وهكذا انجى مبدأ الموت إلى الاحشاء منسربا
إليها يهدوء من الأدمنة ، فأنكرنا الخير بعد أن كنا
نؤمن بالشكر ، وبلغ اليأس مرحلته الأخيرة فاستقر
على الشعور الميت . وجلس أبناء الخامسة عشرة
محب ظلال الأشجار الزهرية يتجاذبون من
الأحاديث ما يهز أشجار فرسايل الهرمة

طوبى لمن لم تدركهم هذه الأزمنة فنزلوا إلى
المساوية وهم يتطلعون إلى السماء ! إن من حالات
الحياة ما يصدع القلوب بالشقاء فلا تجد هذه القلوب
ما يفرج كربها إلا إرسال اللعنات والتجديف

وقف ملحد أمام السماء وقبض على ساعته متجدباً
صاعقة الموت ، وقد منح ربه ملة ربع ساعة ،
وبات ينتظر . إنها لفترة أشد غضب وأفطع

وانشطر المجتمع إلى فئتين : فئة النفوس
المضطربة التوجهة النافقة إلى التلّ العليا ، فكان
أبناءؤها يحنون الرأس ويكعون متلفعين بأحلامهم
المؤلة كأنهم مقصبة تمايل على مستنقع من الشقاء .
أما الفئة الثانية فكانت مؤلفة من رجال المادة
والشهووات يقفون بلا مبالاة على ركام اللذات
ولاهم لهم غير إحصاء الأموال التي حشدتها أطعاهم .
وما كان يتصاعد من هذا المجتمع المؤلف من الفريقين
سوى زفرة وضحكة : تلك ترسلها الروح ، وهذه
يقذفها الجسد . وكانت الروح تقول في زفرتها :

— إن الدين يتداعى ، وهذه سحب السماء أصبحت
غيوماً تتساقط أمطاراً . لقد فقدنا الأمل وحرماننا
حتى قطلة من الخشب الأسود رفها صليباً لحد
أيدى الضراعة نحوها . لقد تلعنت نجمة الصبح
بالنيوم الكثيفة على مطلع النجر ، فكان الشفق
يقبض عليها ليصدها عن الارتفاع ، وكأنها شمس
الشقاء ألقت الثورة عليها رافع الدماء

لقد فني الحب واضمحلت الأجداد ، فما أحلك
الظلام في هذا الليل الترابي بأطرافه على الأرض !
ولسوف ندرك الموت قبل أن يتداركنا نور الصباح
أما الأجساد فكانت تقول في ضحكتها : — لقد
وجد الإنسان للتمتع بحواسه ولذته من القطع
الصغراء والبضياء ما يقيس به حق نعمته بالتكريم .
وما الحياة إلا الطعام والشراب والقاد ؟ أما الملاقات
الاجتماعية ، فهي المادة القاعية على استقرار المال ؟
وقد تجد صديقاً تدفع العواطف به إلى هذه التضحية .
ومنها صلات القربى وهي نافعة للحصول على الإرث .
ومنها الحب ، وما الحب إلا رياضة بدنية . وليست
اللذة العقلية إلا نوعاً من التروير والكبرياء .
وهكذا كان اليأس يتمشى بخطواته الواسعة ذارعاً
أرض أوروبا كأنه الطاعون ينتشر من نهر الكاخج

أيام جهادهم وعنتهم كانت قد استعالت إلى ضربات قاضيات عندما صارت القوة إلى أيديهم قال مونتسكيو: « لا يسمي وأنا أفكر بحالة الشعب وهو رازح تحت استبداد الكهنوت اليوناني إلا أن يخطر ببال أولئك البسدان الذين أتى هرودوت على ذكرهم ، وهم من كانوا يخضون اللبن لاستخراج زبدته ، وكان أسياهم يقتلون أعينهم كيلا يتلوهوا بالشاهد عن متابعة العمل دون انقطاع . وهكذا كان الكهنة في روما يعمنون النور عن كل مبصر ، فلم يكن يقرر القيام بحرب أو عقد هدنة أو قرض أو الاتيان بأى عمل دون أن تنظر الرهينة فيه أولاً ، إن القلم ليسكن دون وصف الأضرار التي نتجت عن هذه الأعمال »

على أن مونتسكيو كان يوسمه أن يتم كلامه قائلاً : (إذا كانت المسيحية قد هدمت العروش ، فإنها أحيت الشعوب . إذا كانت قد فتحت للبربر أبواب القسطنطينية ، فإنها قد فتحت أيضاً أبواب الأكواخ باسم المسيح . وما كان بالأمر الضروري أن تحتفظ روما بمجدها المتدهي وهي المومياء المحنطة بمطر نيرون والمكفنة بوشاح نيباربوس وقد رعى أحشائها دود الفساد

إنما عمل المسيحية ، أنها السياسيون ، كان يتجه « إلى إدخال السلام على قلوب الفقراء البائسين ، وإلى إخراج الأمل من أحشاء المومياء الفاسدة قوة حية تمضد كل مظلوم ، وذلك ما قامت به المسيحية على اقتراض روما ، ولكن ماذا فعل خلفاء هادري روما بعد مرور الستين ؟ إنهم لبثوا ينظرون إلى الفقير يرهقه الفنى ، وإلى القوى يستبد بالضعيف ، ويسمونه يقول : (إن الأقوياء سيسحقوننى على الأرض ، غير أننى سأقف في جوههم عند ماسيحاولون دخول السماء فاشكروهم إلى الله)

لثة ، إنها لقحة . بدايتها تناهى اليأس تحتك بقوات السماء . وهل كان ذلك الرجل إلا مخلوقاً شقياً يتملح تحت الأرجل التي تركه ؟ وهل كان صوته إلا نداء هائلاً تدفع به المحن والآلام ؟ ممن يدري ؟ لعل هذا التحدى الموجه إلى السماء كان في عين من ينفذ إلى خفايا القلوب نوعاً من الصلاة ...

وما كانت الشبيبة إلا كهذا الجاسد تفتح لقواها المكبوتة منافذ الفرج باليأس . إن من لا يجد أمامه ما يشغل به قواه ليتخذ تسلياً له من التجديف فيتهم على الدين والمجد والحب وعلى كل ما في العالم ، تلك الوسيلة هي السبيل الذي يتبعه الإنسان ليخادع نفسه فيتهم عليها وهو يحدف على كل شيء .

يلذ اللذة أن يضع نفسه في مصاف الأشقياء حين يحكمه الضجر فيندفع إلى الفحشاء لأنها أول ما يخطر على بال الماطلين ، وهي الآلة التي تتلصصها الأعصاب الهائجة لتشد بها على نفسها تسكيناً لاختلاجها

وكان الأغنياء يقولون : لا حقيقة إلا بالثروة وأما ما سواها فأحلام . فلنتمتع بالثروة ولنمت

وكان متوسطو الحال يقولون : لا حقيقة إلا بالسلاوة ، وأما ما بقي فأحلام . فلنسل ولنمت . أما الفقراء فكانوا يقولون : لا حقيقة إلا في العذاب ، وأما ما سواها فأحلام ، فلنجدف ولنمت إنه لوصف مربع قد يحسبه البعض مبالغة ، وما أنا إذ أوردته متدفع بالعماء للانسانية ، فهو وصف للواقع ، وهذا هو البرهان

كل من طالع التاريخ وسبر غور الأسباب التي أدت إلى سقوط امبراطورية روما ، لا بد له أن يرى ما انبعث عن المسيحيين من قوات دمرتها تدميراً . فان المظلمة التي تجلت في هؤلاء المؤمنين

رسل البركة إليكم

لقد كانت النفي يقول للفقير فيما مضى : لى الأرض ، فيجيبه الفقير : أما أنا فلى السماء . فبأنه كلمة سيجيب الفقير النفي الآن ؟

ان علل هذا المعركها قد نشأت عن سببين ، فان الشعب الذى مر على ثورتي سنة ١٧٩٣ و ١٨١٤ قد خرج منهما يجرحين . كل ما كان قد زال ، وكل ما سيكون ليس كانا ببد . هذان هما السببان ، فمن البعث أن نفقش عن ثالث لها

ما حالنا الا حال رجل ندعى مسكنه الى الحضيض وقد بعثر أبقاضه ليقوم ببناء جديد . ثم الرجل عن ساعد الجد وبدأ العمل وهو منتظر ورود الحجارة البيضاء الجديدة لرفع البناء ، ولكن قيل له ان الحجارة البيضاء الجديدة بعيدة النال ، فعليه أن يصاح الحجارة السوداء القديمة . وسطا الدهول على هذا العامل الذى لا يريد أن يرفع بيته بواد أخاته ما الدهر وموهتها الأيام بالسواد ، ولكن ما العمل والحجر عميق ولا أدوات لديه لاستخراج الحجارة منه

وقف المتفرجون حوله وقالوا له : استخرج الحجارة من حين الى حين واشتغل على سهل وتكاثر النصابح تبذل لهذا الرجل وهو واقف تحت سماء الله . لقد تهدم بيته القديم ولا بيت جديد له ، فهو عرضة للحر والقر ، لا يعمل أين يعمل وأين يرتاح وأين يأكل وأين ينام وأين يحيا وأين يموت ، وهو متمب مضطرب ، وأطفاله سيكون فى أسرهم فى المرء

ومن أشبه بهذا الرجل منا ؟ أى بنى القرون القليلة ! إنكم ستنحون فى زمانكم على المحارث تمزق أعضاء الأرض فتبسم

هكذا صبر هؤلاء المؤمنون فيما مضى ، ولكن أعداء المسيح وقفوا وصاحوا بالفقير قائلين : إنك صابر تتوقع ظهور العدل ، والعدل لا وجود له . إنك تنتظر البعث لتخلص من الظلم فى الخلود وليس من خلود . أنت تدخر دموع أطفالك ونواح امرأتك لتحملها إلى أقدام عرش الله بعد موتك ، وما بعد الموت من حياة ، فان الله غير موجود

وعند ما سمع الفقير هذا جفف أجفانه وقال لاسر أنه أن تكف عن النواح ، ونادى بأولاده ليقف معهم على الحرق البالية كالشور الهائج ، وصرخ فى وجه النفي قائلا :

(ما أنت إلا رجل أبها الظالم .)

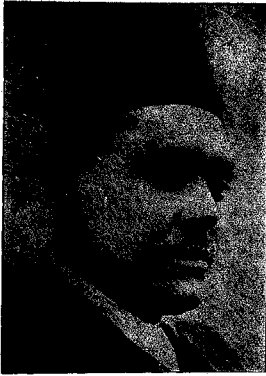
ثم انفت إلى الكاهن ، وقال له : « لقد كذبت أبها المرعى »

وهذا ما كان يقصده أعداء المسيح ، ولما هم حسبوا أنهم يسمدون الفقير بإرساله على سبيل المطالبة بالحرية

ولكن إذا فهم هذا البائس أن الأغنياء يسلبونه حقه وأن الكهنة يتاجرون بجهله ، إذا ما عرف أن للناس حقاً واحداً فى الحياة وأن الفقر هو الكفر بيمينه ، فان إيمانه لينحصر حينئذ بقوة ساعده فيمتف قائلاً : لأصلي الأغنياء حرباً عواناً . إن الالذات للجميع على السواء ، إن الأرض لى أنا أيضاً ما دامت السماء خاوية خالية

أبها المنكرون الذين تقودون الفقير الى هذا الموقف ، أية كلمة تدخرونها لشقائه إذا هو اقتحم المترك فسقط مغلوباً على أمره ؟

لقد يكون حكم للانسانية المذبذبة قد أهاب بكم الى المتأادة بهذه المبادئ ، ولقد ينجى بكم يوم يبارككم الناس فيه ، أما اليوم فلا يسمعا أنت



الأوليس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

[تابع ما نشر في العدد السابق]

لنهما مسومة مسومة سقاها أبي بعد إذ رفض
أن يُسمَّها إيلوس بن مرمريس^(١)... وهو
لو سورها إلى أولئك المغالينك لأبادهم... يا رحمتك له !
إن أحداً غير — الآلهة — لا يعلم إن كان ما يزال
حيّاً برزق أو هو قد ابتلمه اليمّ أو عاجلته للنون ...
تلياك ! يا ابن أعزّ الناس عليّ ! اصغ لي وع الذي
أقول : إنك لست طفلاً بعد ! فلم لا تشمر عن
(١) أورد هنا هوميروس أسطورة لاداعي ذكرها

وانثال الحنان في قم مبرقا ، إذ هي نجيب
الفتى المزون :

« وحي لك أيها الفتى ! رحمتك يا بني الصغير !
أواه ! لو أن أباك هنا اليوم ليدود أولئك المتأكيد !
وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلعب رجبته
أو يشاعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين ! إن له

الشكر لله، أيها الأحرار، لأنه أوجدكم في عصر الحصاد.
افتكروا فينا نحن الراحلين وتذكروا أن ماتتمتعون
به من عناء وسلام قد كفنا كثيراً من الشقاء
ترحموا علينا أكثر مما ترحمون على سائر
من تقدموكم في مراحل الأجيال، لأننا حملنا أوجاع
أجدادكم دون أن تتمتع بما كان لهم من عزاء ...
فليكس فارس

لكم عزوجها ونباتها أما بارة بالمالمين نفى لهم
وهي نجر برود الأنوار في الصباح . في تلك الأزمنة
سيكل المرق جبينكم بالفرح والخبور ، وإذا
تسرحون أنظاركم على الأفاق الواسعة ، فانكم لن
تجدوا في حقول الانسانية إلا السنابل تنواج
متساوية قد رصبتها الأزهار
في ذلك الحين ، عند ما ترفعون رؤوسكم لتؤدوا

وعلى الآلهة فلتنكل ! »

وحين انتهت ميرفا من هذا الحديث ، حدجها تلياك وقال : « أيها الصديق حيا ، وبأبر الأوفياء سمعا ! لقد أيقظت في ضميرك أنت أحييته . فألف شكران لك ... أبدا لن أنسى كلمتك : أنا ابن أوديسيوس ! فلأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لمجدته هدية سنية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولكن ميرفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئا « فاذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود وسوف أقبل أمة هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزرجيتين . ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوها مشدوها حين رأى هذا الأمير (منتس) يتفرض انتفاضة هائلة فيكون تسرا قسما بضرب الهواء بجناحيه ثم يمسو ويملو ... فيكون في السماء ويغيب عن ناظريه !!

ولم يحس الفتى يوما بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إلها يساعده ، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحيه وغاب في السماء

وانطلق تلياك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أغاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في الشرفة العليا تسمع هي الأخرى إلى تلك الأغاني بين قياتها من وراء ستار صفيق وتبكي ... ونسأل فيميوس أنت يتغنى غير هذا الفناء غناء لا يثير ذكريات شجوها وشجنها ... وتثور النخوة في قلب الفتى فيصيح بأمه : « علام المويل يا أماء ؟

ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها ألقى لهذا الشأن من كل رجل سواء مادام أوديسيوس لم يؤب ؟ لم يرضون هنا كسباغ الفلاة يوهون ثروتك وبأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تلياك ! نبي القوم فليجتمعوا لك ، ولتسمعهم كلمتك ، ولتصارح أمك إن هي أرادت منهم بعلًا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انفض أنت يا ابن أوديسيوس ! فأبحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفن وزاد ، وميرة وعتاد ، ولتبحر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولا إلى (پلوس) حيث الحكيم الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية متالايوس^(١) ... أقنع بفلسكك إلى هذين فساألتهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خبر ... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدم أوردت الذي قتل قاتلي أبيه^(٢) ، وفيهم أمه ... بوركت يا أوردت !! بوركت يا أوردت ! هلم يا تلياك فقد تعود بأبيك حيا فريد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؟ وقد تعود به ميتا فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتحمل في المالين أثره !! والآن ، فلأهض أنا إلى رجال وسفنى . لقد بعدت طويلا عنهم ... وكلى يقين يا بني أن تقدر نصيحتي

(١) زوج هيلين أخت بلوب والتي كانت سبب حرب طروادة

(٢) أباء عمنون

حين تخلمه على السماء ... غير أن أمره إليكم اليوم
إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ... فلا أريد
إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ...
فإن هذا من حق ! »

وأجاب بوريماخوس : « إن من حقك أن تقول
ما تشاء يا أخانا تلياخوس ... أما ملك إيتاكا فالسما
وحدها تؤتبه من تشاء . ولكن قل لنا برك من
هذا الضيف الذي كان معك الساعة ؟ هل من قبل
أيك أقبل ؟ أم إن له عليكم كدنا ؟ إن أحدا منا
لم يلقه ولم يره ، ولكننا لحناه من بعد ، عليه سباء
النجابة والجلال . من أين أقبل يا تلياخوس وفيه
قدم ؟ ... »

وأصلح تلياك من شأنه وقال : « أيها السيد
بوريماخوس ! إن يقبى أن أبى قد انتهى ... وإن
تتربى هذه الكايات المعسولة التي يتشدد بها
المنجمون ... أما هذا الضيف ... فهو من
أصدقاء أبى طبعاً ، وقد أقبل لمجرد الضيافة ، وهو
الأمير منتس أمير البحارين وسيد تافوس ، وابن
سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قالها تلياخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛
ثم انثنى كل إلى خيمه ، وانثنى تلياك إلى مخدعه
بالباطن العلوى . حيث كانت حرمته يوربوكيا
تنظره ، وتوقد له الشموع والشرج . يا لها من
أنثى طيبة تخلص لولائها وتحنو عليه ... لسرعان
ما خلع ملابسه فغطاها وحفظها ! ... ولسرعان
ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تلياك ليلة نابيةً ممتلئةً بالهواجر
والأفكار

وماوقوفك هذا الموقف تسترفين الفناء ؟ وما اعتراضك
على المعنى ؟ دعيه ينتفى ما يشاء ، فلقد غدونا سخرية
القضاء وهُزُوَ المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس
وفهبت معه كرامة هذا البيت ، وإلى لصاحبها
بمده ... فادخلى ولبدخل ملك قيانك ولتقمن جميعاً
بشؤون المنزل ، ولتسخرين إلى منزلك ومنسجك ،
ودعى كل ما عدا ذلك للرجال ... لى ... لى أنا
وحدى : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الابن في نفس أمه ، فاثنت مع
قيانها إلى مخدعها بالطابق العلوى ، حتى إذا خلت
إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء
لها حزنها أن تدرى . أما تلياك فقد انطلق وسط
القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عاشاق
أبى ! اخذوا في لهوكم ، وتعموا قليلاً أو كثيراً ،
فاذا كان الند فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فإن
لى كلاماً منكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم
من هنا ، أنتمعمون ! لقد طالما أنلغتم لنا زادا
وعتاداً ... ألا تلتئمسون الزاد والعتاد من عند
أنفسكم ؟ ولتقيموا أفراحكم ولولائكم في غير هذا
المكان ؟ فإن أيتهم فاني مستعين بالآلهة عليكم ،
ولتقتص منكم السماء بما جرحتم ... »

وما كاد يفرغ من قائلته حتى عضوا على أصابعهم
لمفاجأهم بهذا الكلام الحسن الذي لم يمتداه .
ونفض أتينوس من مجلسه وقال : « تلياخوس !
لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ...
يا لشؤم اليوم الذي تتوجك السماء ملكاً فيه على
إيتاكا ... عرش أبائك وأجدادك ! »

ويجب تلياك : « ليس أحب لى من الملك

تليماك يجادل العشاق

ويحرم بامتناهم أبيه

مقدمة ما تقدم



ميرفا

من شأنه ، وتقلد سيفه^(١) ، ثم انتقل غنائلاً ، كأحد آلهة الأواب من باب مخدعه ، وجعل يقرب عينيه في هذه الخيام المضروبة التي عملاً خديعة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار الاشرار عشاق بنلوب ؛ وتلبث قبلا وفي القلب لظي ، وفي النفس كلوم ؛ ثم صاح بالملأ فموا مسرعين ، وأخذوا ينسبون إلى الردهة الكبرى ، حتى إذا انظفم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجاً نحو عرش أبيه ، وفي عينه رمح ظامى إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في عروق الذئاب ، وعن جانبيه كتابا الضاريان يتهديان وفي عيني كل منهما جمرتان . وكانت ميرفا نفسها تضيق على الشاب سباء النبل ، وترقق فوق ناصيته أمواهاً من النظمة والمجد ، لتتدفق منه

(١) في الأصل (منفيته) وهي السيف العريض

الفيوفاون

« بعد سقوط طروادة عاد كل أبطال الأعريق إلى أوطانهم ما عدا البطل العظيم أوديسيوس الذي ضل طريقه في البحر ولبت ستين طويلة يحيط في الم على غير هدى وكانت زوجته بنلوب أخت هيلين من أجل العادات اليونانية قطع أمراء البلاد النساخة في التزوج منها ، ولكنها رفضتهم جميعاً ثم لجأت إلى الحيلة معهم حيناً لجأوا إلى الفطرسه وأقبلوا بعضهم وقضضهم ، فصكروا في حداثق قصر أوديسيوس ورداهه ليضطروها أن تختار منهم زوجاً لها . ذلكم أنها اصطفت لنفسها منسجاً وراحت تعمل عليه ووعدهم أنها حين تفرغ من نسجها فانها ستختار منهم بلالها . ولكن هذه الحال لم ترض ميرفا رة الحكمة ونصيرة أوديسيوس . فسأت أباه كبير الآلهة أن يساعد هذا البطل وأن يتأذن فيأمر ببودته إلى وطنه . وكان أوديسيوس في هذه الآونة عند عروس النساء كالبيسو التي أعزمت به وافلتت بقوة فأبقتة لأنها وراحت تراوده عن نفسه ؛ فأرسل كبير الآلهة ولده هرمن إلى هذه العروس بأمرها بأعداد سفينة يبحر البطل عليها إلى بلاده — أما ميرفا فانها ذهبت بنفسها إلى تليماك ابن أوديسيوس — في صورة أمير من أمراء البحر يدعى منتس ، وهناك أسلمت مع الفتى ثم حرصته على طرد العشاق الجحريين من قصر أبيه ، وبعد أن فرغت من حديثها معه حولت نفسها إلى نسر عظيم وضربت الهواء بجناحها وغابت في السماء ، فتأكد الفتى أن الذي كان يكلمه ليس أمير البحر منتس ، ولكنه إله عظيم أقبل ليد له يد المساعدة في البحث عن أبيه — وقد خاطب تليماك العشاق فطلب إليهم أن يجتمعوا في القدر إلى الردهة الكبرى ليطلب منهم أن يبادروا القصر وأن يهدموا إلى جده فيخطبوا إليه ابنه بنلوب إن أرادوا ، ثم ذهب ليسترخ في مخدعه إلى الصباح »

موت أوروا^(٢) ، ابنة الفجر الوردية مشرق

الآفاق ، فحب ابن أوديسيوس من مرقده ، وأصلح

(١) ربة الفجر في الليولوجية اليونانية وإحدى تابيات أبولو وهادية عربته — الشمس — عند ما تبرز من أبواب المشرق

بُشريات الجيش المفقود الذي لا يعلم مصائره !
 لاريوس ! لقد فقدت والدي ، ووالد الأيتاميين
 جميعا ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء
 المشاق^(١) الذين يطمعون في الزواج من أي ، غير
 متقين في عرضي إلا ، ولا راعيت لأبي ذمة ،
 يُدَبِّحُونَ النِّسَمَ^(٢) ، ويربنون^(٣) الزاد ، ويماقرون
 ابنة العنب ، ولا يبالون أن يهلك الزرع والغبرع ،
 ماداموا يبيتون ويطوبونهم ملاي ، وبيت غيرهم على
 الطوى ... ! لقد استباحوا هنا كل شيء ، مادام
 لا أوديسيوس هنا فيردعهم ، ولا حول لي فأغل
 يديهم ، ولا ضائر فيصيخوا إلى قولي ، وبرحوا
 ضعي ، وبذهبوا من فورهم إلى جدي فيخطبوا إليه
 ابنته إن أرادت أحدهم بعلا ، فهو بها أولى وبشأنها
 أحق ... إنكم مغفاه أيها الأيتام يكون الأوفياء ...
 ولو استطعتم لرددتهم عنى غائلهم ... فلقد طفح
 الكيل ، وحزب الشر ، وهم الأذى ... والآن ،
 أوجه إليهم قولي ... ، ولن أستحي أن أصارحكم
 مرة أخرى أيها المشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصبغ
 الفضيلة وجنائكم بحمرة الحياة ! أذكروا ما عسى
 أن يُسِيرَكم به جيرانكم ! واخشوا قارعة تحمل عليكم
 من أربابكم ... واتقوا يوم تلقونهم تودون لوتلففتكم
 الصواعق ... يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأواب !
 برة المدالة تيميس ، إلا ما تركتموني أفضي البقرة
 الباقية من أيامي في شقوتي وحدي ! هل أجزم أبي
 مرة مع أحد منكم فأتهم اليوم تأخذوني بحجرته ؟

(١) يلاحظ القارئ أن الاجتماع كان عاما ولم يكن
 فاصرا على المشاق فقط ، بل ضم جمهورا من أهل إيثاكا
 كذلك

(٢) الماشية

(٣) يذبحون

الرغب في قلوب أعدائه ، حتى لهرم أن روا في
 تلياك ذلك الضرغامه المحتال
 وما كاد الفتى يستوي على عرش أبائه الصيد ،
 وأجداده الصناديد ، حتى نهض شيخ يحمل فوق
 كاهله السنين الثقال ، وتشتمل في رأسه شبة
 التجاريب وجلائل الفعال . وكان هو إيجيتوس
 بيمينه . . . إيجيتوس المسكين الذي يمض بولده
 أنتيفوس في أسطول عظيم وجند لجب ، ليشارك
 في حرب اليوم مع أوديسيوس ، فنزل وناضل ،
 وكر وفر ، وجال وصال ، وصمد واتصر . . .
 ولكنه . . . وأأسفاه . . . لم يمد إلى أوطانه في
 العائدين ، بل صحب أوديسيوس في رحلته المشؤمة
 وراء البحار حيث أكله السيكلوب الوحش فيمن
 أكل^(١) . وقف إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ،
 أحدهم من عشاق بنتوب ، ثم قال :

« أيها الرفاق ! يا أبناء إيثاكا النبلاء ! إنها
 أول مرة منذ بارح أوديسيوس بقلذات أكبادنا
 ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فخذ الذي دعا
 إليه ، وماذا بيتني ؟ أفنجه من نفحات الشباب ،
 أم زفرة من زفريات الشيب ، أم خبر من جيشنا
 الهالك يشر بموت أحد ؟ لينهض باركته البهاء
 فيجدثنا عما دعانا إليه »

وتناول تلياك صولجانه من قواصه ، وتقدم حتى
 كان في وسط القوم ، وجهر فقال :

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة !
 أنا ... تلياخوس بن أوديسيوس ، صاحب هذه
 الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد دعوتكم
 لأشكبو إليكم بنى وحزنى ... لا لأزف إليكم

(١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب التاسع

وهي تنقض غزلها أنكانا في ضوء الشامل، في جنح الليل، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم! والآن! فترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها، وليختر لها من بيتنا بعلا، أو فلتختر هي لها بعلا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا، فلتبقى أن شيئاً منه لم يمد يجوز علينا، مهما ظنت أنها أحق من ترو، أو أكس من ألكينا، أو أبرع من ميسينية^(١) ... حسبنا ما خدعتنا! وإنا نقاسك باتلياك أننا لن نبرح عاكفين على ما شكوت، من ذبح لتمك، وإراغة لرادك، ومعاقرة لمحرك، حتى تختار لنفسها! أو ... فليتم فزع هذه الدار، ولينضب معين خيرها.»

وشاعت الكبرياء في كل جارية من جوارح تلياخوس فقال:

«أتينوس! ماذا أصابك؟! كيف تسألني أن أقهر أمي التي غدتني ونشأتني على غير ما ترصاه؟ كيف أطرد لها من قصر بعلا الذي لا يغير غير الله إن كان حياً أو ميتاً؟ لبس ما أجزها به، ولشد ما أغضب أبي وأثير غضب الآلهة على إن فعلته! إنها استدعو إيريس^(٢) كي تنتقم لهامي، وستنصب على لعنات الناس جميعاً؟! ويحك أيها الرجل! إن أقولها أبداً ... بل اذهبوا أنتم فسلوها ما شئتم! فاما أجابت طلبتكم، وإلا فانصرفوا غيبر ماجورين ... اذهبوا فأولوا ولأعكم في غير هذا القصر، وأرهبوا من زادكم، وأنفقوا مما تحبون!! أما إن رأيتم أنه أحلى لكم أن تأكلوا مال غيركم، فاني سأهتف أبداً بالآلهة أن تنقص لي منكم، فهي بحيلة بهم ...»

دريغيني خبير

(يبيع)

(١) من ربات القنوت

فهم إذن مقامكم هنا؟ وفيم إذن تذهبون يثروى أبديد؟ وفيم إذن تستنزفون آخر قطرة من خرى دون مقابل؟! اذهبوا! اذهبوا، ودعوا تلياخوس البائس يحز في نفسه أشجانه، وتبرى اصطباره بلواه!!»

ودق الأرض بصولجانه، وانفجر بيكي، وكأنا انهمرت دموعه في نفوس القوم، فوجوا وجوماً شديداً، ولم ينس أحدهم بيت شفة. حتى نهض أتينوس آخر الأمر فقال:

«لله يياك يا تلياخوس! لقد كنت مصقماً حقاً! ولكنك لم تصب كبد الحقيقة حين قصرت علينا كل اللوم، حين لا لعلوم إلا أمك! لقد خدعتنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تم أربعة، إذ رسائنا تترى علينا، تُجحي في نفوسنا الآمال، وتذك فينا الأمان! لقد كانت وعدوها تترادف كالبروق الخلب، وتترامى كالسراب المضل! لقد تخذلت لها منسجاً وطفقت تعمل عليه وهي تغربنا، ونقول: «أيها الاغريق: لقد قضى أوديسيوس ما في ذلك ريب، وكلسكم تطعمون أن تفوزوا بزوجه، ولكن أبا إيريس رجل شيخ، وهو يدب بخفي وثيدة إلى حافة القبر، أفليس أخلق في وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب، لتكون منه أكفانه، وحتى لا أكون مضفة في فم الاغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم دقاته». ولقد أجبنا سؤالها وتلبنا طويلاً، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن، بيد أنها كانت تنقض بالليل ما تنسجه بالنهار، وهكذا دواليك، ظلت نخادعنا تلك السنين الثلاث، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها، إذ حدثنا به، واستطعن أن نضبطها

ولانصيح ، فهي تنشأ وترعرع وعلى ثمرها ابتسامة
هادئة تقابل بها كل إنسان
والفتاة اليابانية في المدرسة تدرس الأخلاق
قبل أن تدرس العلم ؛ فإذا دخلت المدرسة تراها
تنحني لاستاذها حتى تسكاد تلمس الأرض بأنفها ،
— وهذه أقصى درجة للتبجيل والاكبار في
اليابان — فيرد الأستاذ التحية بأحسن منها ، ثم
يجلس الطفلات في مقاعدهن ، ويفتحن الكتب ،
ويبدأن الدرس

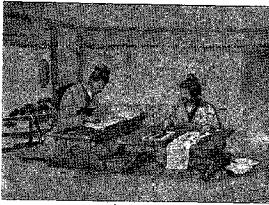


من أفق إلى أفق

مرحلة في السرد القصصى

فتاة اليابان

ترجمة الأديب أحمد كفي



درس في الكتبة

والكتب في اليابان غريبة في كل شيء ،
فإن تثير دهشتك في غرامة حروفها فحسب ، بل
إنك إذا أردت أن تتمر على أول صفحة في الكتاب
وحديثها الأخيرة فيه ؛ وإذا رغبت في قراءته
فانك تقرأ من آخره إلى أوله ، لا من أوله إلى
آخره ؛ وإذا حدثتك نفسك بتتبع كلمات سطر
من السطور ، فانك تراها تبدأ في أعلى الصفحة
وتنتهي في أسفلها ، أى أن الكتابة في اليابان لا تبدأ
من اليمين أو الشمال كما في سائر اللغات ، بل تبدأ
من أعلى إلى أسفل

وتدرس الطفلة اليابانية في المدرسة ما تدرسه
الطفلة الغربية من المواد المختلفة ، فضلاً عن أنها

إن كلمة « الطاعة » التي لها حظ كبير من حياة
الرجل الياباني ، هي كل حياة الفتاة اليابانية ؛ فالفتاة
اليابانية تتلقن واجباً في سن مبكرة من الطفولة .
وفي اليابان كتاب عتيق نستظهره اليابانيات ، ولا يخلو
منه منزل ما ، اسمه « الدراسة العالية للمرأة » ، ويشمل
مجموعة من التقاليد والواجبات ، والمثل العليا
للأخلاق . وقوام هذا الكتاب « الطاعة » ؛ فتراه
يقول إن على الفتاة اليابانية ثلاثة واجبات في الطاعة :
في مرحلتها الأولى وهي فتاة يجب أن تمتثل لأوامر
والدها ، وفي مرحلتها الثانية وهي متروجة يجب
أن تنصاع لرغبة زوجها ، وفي الثالثة وهي أرملة
يجب أن تخضع لأرادة ابنها الأكبر

تجتاز الفتاة اليابانية مرحلة الطفولة في سرود
ومرح ، بين رعاية والديها ، وعناية أهلها . وهي
دائماً هادئة الطبع ، رزينة النفس ، حتى في لعبها ؛
فإذا غضبت لاتمول ولا تبكي ، وإذا فرحت لاتنضج

أوقات فراغها ، فتهذب ذوقها ، وترى فيها زوج التنسيق ، وحسن الاختيار ، وحسب الترتيب مما لا تستغنى عنه المرأة في حياتها المنزلية ...

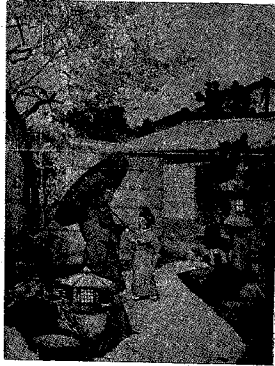
وقد جرت المادة في اليابان أن يقص شعر الطفلة بعد ولادتها بقليل ، حتى إذا بلغت الثالثة من عمرها نما الشعر في غزارة حتى تنفوس ذواته على أكفافها . وتردى الطفلة اليابانية في صغرها ملابس الطفولة ، وهي ملابس ضيقة مختلفة الألوان ، حتى إذا بلغت السابعة من عمرها عوملت بمعاملة المرأة الكاملة ، فلبس الملابس الحريرية الواسعة ، وتختار الألوان الزاهية ، وتردى الثياب الفضفاضة الموشاة بخيوط من الذهب ، أو رسوم من الزهر ، يجمع بين تناسق الألوان وإتقان النسيج

وليست هذه المرحلة من عمر الفتاة اليابانية هي مرحلة التبرج والترين غسب ، بل لها أيضاً أن تتراور وصديقاتها ، وتقضى معهن أوقات الصفو واللهم ، وتهذب بصحبتهن إلى الهياكل والمعابد ، حتى إذا تزوجت نبذت كل ذلك ظهرياً ، وهجرت هذه الحياة اللاهية المرحية

فواجبات الزوجة اليابانية ، وتقانيها في خدمة زوجها. وأطفالها تشغلها عما عداها من ضروب التسلية واللغو ؛ ولا تتحرر الزوجة من هذه القيود إلا عندما يشب ابنها ويتزوج ، حينئذ تلقى على زوجها تبعات المنزل ، وتطرح عن ظهرها ذلك الحب الذي حلت زمناً طويلاً ، وهذا هو الفجر الثاني في حياة المرأة اليابانية ، فتراها تعاود حياتها الأولى ، وتستعيد ذكريات الشباب المرح ، فتدور الهياكل ، وتظهر في الحفلات ، وترتد الملاهي والفتاة اليابانية تتزوج في سن مبكرة ، فلا تبلغ

تدريس التقاليد والأخلاق وحسن معاملة الغير دراسة دقيقة واسعة ، فأهل اليابان لا يرون أن الأخلاق والمعاملة والتقاليد تعتمد على الذوق والشعور ، بل يرون أنه لا بد للطفل من دروس طويلة في الأخلاق والتقاليد ، حتى لا يبعد عنها ، ولا يخرج عن أصولها

فكم مرة يجب أن ينحني ؟ ... وكيف يحني الغرباء ومواطنيه على اختلاف طبقاتهم سواء أكانوا من عليا القوم أم من الطبقات المتوسطة ، أو من الطبقات الدنيا ... فكل طبقة من هؤلاء لها طابعها الخاص ، ولها تحيتها الخاصة ، ولها تقاليدها الخاصة . ويقال إن من السهل معرفة الطبقة التي تنتمي إليها الفتاة اليابانية من الطريقة التي تقدم بها الشاي إلى الضيف



تقديم الشاي إلى الضيف

وفن تنسيق الزهور في اليابان من الدراسة المنزلية التي تتلقاها الفتاة عن أمها وتقضى فيها معظم

وثيابها الجميلة وتستقبل حياة شاقة جديدة لا عهد لهاها من قبل ... وإذا كان الزوج يعيش مع والديه فان من الشرف للعروس أن تأتي طلبتهما ، وتنصاع لرغبتهما ، وتنزل على ارادتهما ، وهما بدورهما يطفان عليها كل العطف ، فلسنا نلصق في اليابان أثرًا لذلك التنافر الذي يحدث عادة في سائر الممالك بين الأم وكنتها ، فان الأم اليابانية التي جبلت على الطاعة ، وانطلمت على الحنان وصفاء القلب لا ترى في زوجة ابنها سوى ابنة ثمانية لها قضى الله أن تستريح على يديها من عناء الأعمال ؛ فهي تنظر إليها دائماً نظرة الأم الشقيقة لابنتها البرة وقد بلغ من وقاء الزوجة اليابانية لزوجها أنها عادة تشوه وجهها ، وتسود أسنانها ، حتى لا تلفت نظر غيره . وعلى رغم أن هذه العادة انقرضت في اليابان ولا سيما بين الطبقات العليا التي تأثرت كثيراً بالجانب الغربي ، إلا أن المتجول في ربوع اليابان كثيراً ما يرى هؤلاء النساء ذوات الأسنان السوداء في كثير من جهاتها .

وإذا فقدت اليابانية زوجها فانها تظهر عليه حزنها العميق وأساسها البالغ ، فزاعها تحلق رأسها ، وترتدى الداكن من الثياب ، وتبدو في منظر كئيب حزين . والمثل الياباني يشبه لنا الأمومة اليابانية بالغراب ، والزوجة اليابانية بالحمامة ، والفتاة اليابانية بطير من طيور الجنة .

(عن الانجليزية) أحمد قنمى مرسى

اهتزاز

حال ضيق الوقت وعوادي الأشغال عن نشر شيء من هيلوز الجديدة) في هذا العدد ، فأرجو تأمالي العدد المقبل فترجو من قرائنا المعفرة

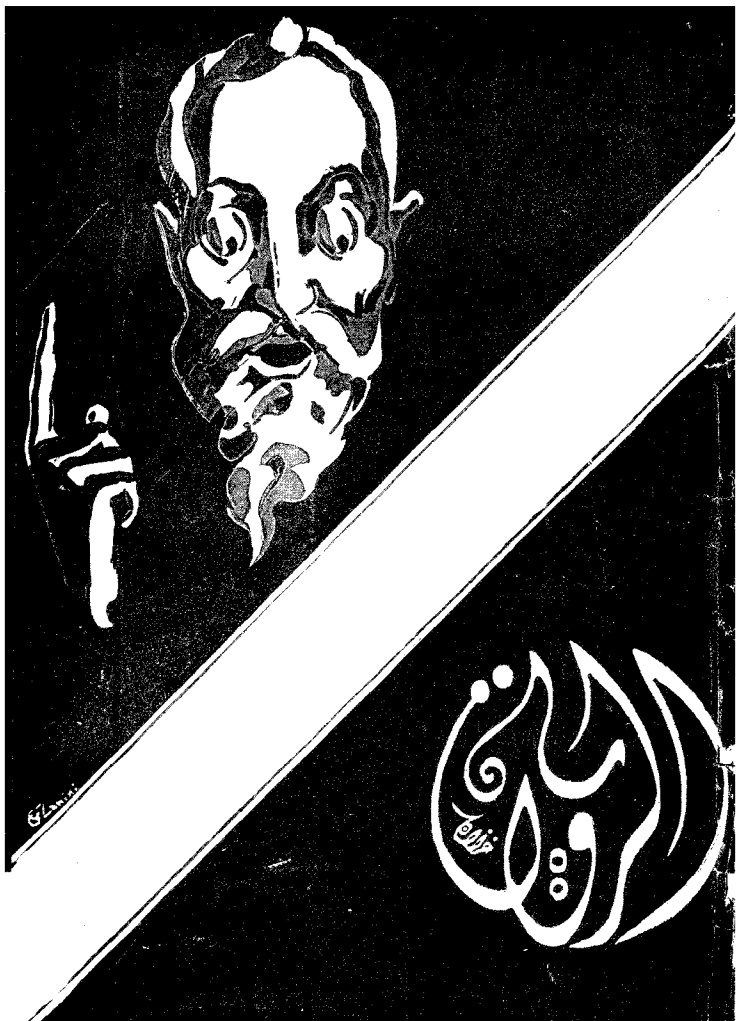
المشرين من عمرها - دون زواج - إلا الفتاة العائرة الحظ ، وعندئذ تنقطع عن كل شيء آخر إلى خدمة زوجها ، وتتجه بكليتها إلى حياة الجسد والنشاط ، فتنبذ الثياب الزاهية الملونة ، وتغاف الملابس الفضفاضة الزينة ، وترتدى ثوباً أبيض شفافاً تنجلي فيه كل معاني البساطة



البيت الياباني

ويتم الزواج في اليابان ، دون جلبة ولا ضجة ، كثيراً من الأم ، فليست هناك هذه الأفراح العامة ، ولا تلك التقاليد الدينية ، وكل ما هنالك أن الزوج وعروسه يشتركان في شرب ثلاث كؤوس من الشراب الوطني الياباني المصنوع من الرز (الساكي) Sake فينال كل منهما رشفة من كل كأس ، ويعتبر اشتراكهما في شرب هذه الكؤوس بمثابة بدء اقتسامهما حياتهما المقبلة وهنا يجب على العروس أن تودع أيامها السعيدة

طعت عطمة لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع السكندرية رقم ١٠٠٠ القاهرة





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المنشول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن ستر
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية لفن القصص والبرق

نصدر مؤقتاً في أبول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٨ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ - ١ مارس سنة ١٩٣٧

العدد الثالث

من أحسن القصص



فهرس العدد

صنعة

١٢٨ ولد	لجى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات
١٤٧ تفسدة	أنفوصة مصرية	بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ..
١٥٥ أرملة	أنفوصة فرنسية	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي
١٥٩ اليأس في الحب	لأوتوبه بلزاك	بقلم الأستاذ محمود الحفيف
١٦٤ عدو	أنفوصة إيطالية	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
١٦٨ جوليا أو هيلوز الجديدة	لجان جاك روسو	بقلم أحمد حسن الزيات
١٧١ المستر بكوك ووفاته	لشارلز ديكنز	بقلم «عائد»
١٧٦ الصبي	أنفوصة واقعية انجليزية	بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى
١٨٥ يومات نائب في الأرياف	صوراً مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
١٩١ اعترافات فتى مصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
١٩٦ الأوديسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دروي خشبة



موباسان

وقف عضو الشيوخ
ورشف رشفة من هذا
الغمام اللاتج الطافي ،
وأخذ بدمن النظر في
الشجرة الماشقة وهي

وَلَسْتُ

للكاتب القصصيّ جي دي موباسان

بقلم أحمد حسن الزيات

تتألق تألق الشمس وترسل بذورها في الجو ، ثم قال :
« حينما يفكر المرء في أن هذه الذرات التي يدركها
الشم ولا يدركها البصر ، ستخلق بعض الموجودات
على عشرات الفراسخ من هذا المكان ، وستعرش
ألياف الشجرات الأثني وتُدير ماءها فتنتج كائنات
ذات جذور تنشأ من بذرة كما نشأنا ، ويدركها
الفناء كما يدركنا ، ويخلفها على الأرض خلف منها
كما يخلفنا ... ثم جمد الشيخ أمام الشجرة المشرفة
وأرجها الشدئ الهبي يندث منها كلما اهتز النسيم ،
وعاد يقول : « آه يا صديقي ! لو طُلب إليك أن
تُحسب حساب أطفالك لا ارتبكت ! دونك مثلاً
هذه الشجرة : إنها تنسل بسهولة ، ثم تتخلى عن
نسلها من غير ندم ، ثم لا تشغل بالها به بعد ذلك »

فقال عضو الأكاديمية : « إنا نصنع نسلنا مثل
ما تصنع هذه الشجرة لنسلها يا صديقي » فقال عضو
الشيوخ : « نعم لأنكر أننا نتخلى عنه في بعض
الأحوال ولكننا نمرقه ، وفي ذلك سمو نوعنا
على غيره . فبهز الآخر رأسه وقال :

ليس هذا الذي عنيت يا صديقي . إنك لا تجد
في الناس رجالاً ليس له أولاد محبوبون عن يسموهم

كان الصديقان الجمان يتزهران في الروضة
الفينائية المزهرة والربيع البهيج الطالع يزخر في
جنباتها بالحياة . كان أحدهما عضواً في مجلس
الشيوخ ، وكان الآخر عضواً في الأكاديمية
الفرنسية ، وكان كلاهما وقور النفس رزين الطبع
يصدر عنهما الرأي أو الحكم مدعماً بالدليل
مؤيداً بالحجة ، ولكن في شيوخ وأبهة ، شأن
رجال الوجاهة والشهرة . محدثاً أولاً في السياسة ،
فتبادلوا القول في بعض الأسماء ، لا في بعض الآراء ؛
وعديث الشخصيات في موضوع السياسة يتقلب
دائماً على حديث العقل ؛ ثم أتارا بعض الذكريات
وصمت كل منهما ، وظلا يستيران جنباً إلى جنب
وقد استرخت مفاصلهما على فتور الهواء

وكان في الروضة المطار حوض من القرنفل
الأصفر ينتفح بالببر اللطيف الأرج ، وكومة من
الزهر النضير تقض على النسيم نوافج السك ، وشجرة
من شجر الأبنوس مكسوة بالمناقيد الصفر تذر
ذروورها في الهواء ، وهو أشبه شيء بدخان من
النضار أو بمساحيق المطار : تفوح منه رائحة
المسل ويحمل بذور الشجرة العطرة إلى أطباق الفناء

هؤلاء الأوباش الجرمين يلدون أيضاً
إن لي من هذا الأمر نصيباً عجيباً سأقصه عليك
في حادثة شنيعة لا تزال تجز في نفسي وتثقل على ضميري
إنها تبيكت لا يفتّر ، وندم لا ينقطع ، وارتباب
لا ينجلي

وقع في نفسي وأنا في الخامسة والعشرين من
عمرى أن أقطع المراحل مشياً الى « برتانيا » مع صديق
من أصدقائي هو مستشار الدولة اليوم . فبعد خمس
عشرة يوماً أو عشرين من السير العنيف قطعنا فيها
(الكوت دنور) وقصبا من (فينستير) بلغنا
(دورنيتز) ومن هناك وصلنا الى رأس (راز)
الموحش عن خليج (تريباسيه) وقضينا الليل في
قرية من قراها ينتهي اسمها على ما أذكر بأوف .
ولما تنفس الصبح وجدت صديق قد نحال به
السفر فزعم السرير . وأقول السرير يحكم المادة ،
أما الواقع فإن فراشنا لم يكن إلا حزمتين من القش
على أن إقامة المريض في هذا المكان مستحيلة ،
فأكرهت صديق على أن ينهض ، ثم استأقنا
المسير حتى دخلنا (أوديرن) في الساعة الرابعة
أو الخامسة من المساء . وفي الند ظهرت عليه دلائل
الصحة فسرنا ، حتى إذا ملكتنا الطريق اعتبراه
مرض ثقيل فلم نبلغ (بون لايبه) إلا بشق
الأنفس . وفي هذه البلدة وجدنا فندقاً على الأقل
فنام صديق ، وعاده الطبيب فقرر أن ما به حتى
شديدة ، ولكنه لم يتيقن طبيعتها بعد

هل تعرف (بون لايبه) ؟ كلا . إنها أعرق
البلاد أصلاً في برتانيا ، تجتمع فيها ما تجز به هذا
القطر من عادات وأخلاق وأساطير . ولا تزال
إلى اليوم كما هي لم تتطور ولم تتغير ؛ وأقول (إلى

أبناء المارضة ^(١)) ، ولدهم من غير حساب ، كما تنتج
هذه الشجرة من غير وعي
لو رُحنا نعد النساء اللاتي وصلنا الأسباب بهن
لشق على الحاسب أن يحصى الأبناء ، كما يشق على
هذه الشجرة أن تحصى الخلفة »

إذا نذكر المرء من خالط من النساء في
المقابلات العارضة والساعات الزاهية أمكنه أن يمد
منهن مائتين أو ثلاثمائة ، ولا تستطيع أن تزعم
يا صديق أن هذا العدد يحلو من واحدة على الأقل
قد اشتمت على ولد ، ولا تستطيع أن تنفي أن
لك على بلاط السكك أو في أحصاق السجون ابناً
شريداً يسرق ويقتل الأخيار من أمثالنا ، أو بنتاً
تزاول البغاء في أحد المواخير ، أو تمايل الطيخ في
أحد البيوت إذا كان الحظ قد أسعفها ففصلها
عن أمها

ولا يغرب عن بالك فضلاً عن ذلك أن كل
امرأة ممن نسميهم (عموميات) لها ولد أو ولدان
لا يعرف لها أب ، ينزعهما من حضنها من شاء
بعشرة فرنكات أو عشرين . كل مهنة يقدر فيها
أربابها الأرباح والخسائر ، وهؤلاء الأطفال هم
« خسائر » هذه المهنة

من هم الرالدون ؟ أنت - أنا - نحن جميعاً -
نحن معشر الذين يدعوهم المهدين . هؤلاء الأطفال
هم نتائج مادتنا الهيجة ، وأماسينا اللاهية ،
وساطتنا النافلة ، التي ينشئ فيها الجسد فيدفعنا إلى
المفارقة

إن لصوص النهار ورواد الليل وأخذان الجرعة
هم أطفالنا ، ومن الخير لنا أن نكون آباهم ، فإن

وكانت الخادمة لا تنفك تدخل علينا ومعهما الطعام أو الدواء ، فأعابها قليلاً فتأنس وتلهو ، ولكننا ما كنا نتحدث بالطبع مادمت لا أعرف لغتها ولا تعرف لغتي

وفي ذات ليلة تأخرت طويلاً عند المريض ، فلما انصرفت إلى غرفتي واجهت الفتاة وهي ذاهبة إلى غرفتها أمام بابي المفتوح ؛ فدفعتني عبث الدعاية من غير تدبير ولا تفكير أن لغفت قوامها بذراعي ، ثم جذبتها وهي في دهشة المفاجأة إلى غرفتي ثم أغلقتها ؛ فشخصت بصرها إلى فزعة مرئعة مستطارة ، ولم تجرؤ على أن تصيح خشية أن يفتضح الأمر فيطردنها سيدها ثم ينقها أبوها

فعلت ذلك أول الأمر مزاحاً ودعابة كما قلت ، ولكنني لم أكّد أراها في غرفتي حتى ملكتني رغبة قوية في استبقائها ؛ ثم كان بيني وبينها صراع



اليوم) لأني لا أرح وأأسفاه أزورها في كل سنة : حصن قديم نخوض أبراجه النيفة في غدير كثيب واسع يحوم عليه أسراب من الطيور المتوحشة ، ونهر صغير يخرج من هناك فتصعد الراكب الساحلية



فيه إلى المدينة ، وشوارع ضيقة ، ومنازل عتيقة ، ورجال يلبسون القبة الكبيرة والسفرة المطرزة وأربعة أصدرة بعضها فوق بعض . وبنات وفيات الجسم ، وسميات الوجه ، بضات البشرة ، يتدرعن بصدر من الجوخ ، ويتقنن بقنصاع غريب ينسج من خيوط الذهب أو الفضة

كانت خادمة الفندق الذي حللناه واحدة منهن لا يزيد عمرها على ثمانية عشر ربيعاً . لها عينان زرقاوان يخترق زرقتهما الشاحبة نقطتان صغيرتان سوداوان ، وأسنان قصيرة نضيدة مشدودة كأنما خلقت لطحن الحجر ؛ وكانت لا تعرف اللغة الفرنسية ، ولا تتكلم إلا اللهجة البريتونية ، وتلك حال السكثرة الغالبة في هذا الاقليم

لم يرفض الألم عن صديقي ، ولم تبد عليه أعراض مرض معين ، ومع ذلك منعه الطبيب أن يسافر وأمره بالراحة التامة . فقضيت النهار بجانبه ،

هذا الاقليم في الثامنة عشرة عليهما نضرة الجبال
وغضاضة الصبي ، وقد لبستا لبسة هذا الاقليم :
صدار ضيق من الجوخ على الصدر ، وقناع من
نسيج القضة على الرأس ، وصفحة عريضة مرصعة
على كل صدغ

كانت الساعة السادسة من المساء توشك أن
تحين ، جلست إلى المائدة أتمشى وصاحب الفندق
نفسه هو الذي تقدم إلى خدمتي ، فأجرى القدر
الحقومت على لساني هذا السؤال :

— أتعرف المالكين القدماء لهذا الفندق ؟ لقد
قضيت فيه اثني عشر يوماً منذ ثلاثين سنة ، فأنا
أحدثك عن شيء بعيد . فأجاب الرجل قائلاً :

— لقد كانوا أهلي ياسيدي

فقصصت عليه كيف عاقني مرض صدقي عن
السفر وعقاني هذه المدة ... فلم يدعني الرجل أتم
الحديث وقال :

— أوه ! إلى أذكر ذلك جيداً . لقد كنت
يومئذ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من
عمرى . لقد كنت تنام في الغرفة القصوى وصاحبك
ينام في الغرفة التي اتخذتها لنفسى على الشارع »
وفي هذه اللحظة لاقبها جرى على خاطري
ذكرى الخادمة الصغيرة فسألته :

أذكر تلك الخادمة الرشقة التي كانت يومئذ
عند أبيك ؟ وقد كان لها ، إذا لم تخنئ الذاكرة ،
عينان جميلتان وأسنان نضيدة عذبة ؟ فقال :

« نعم ياسيدي ، لقد ماتت بجمي النفس بعد
ذلك زمن » ثم أشار بيده نحو الغناء ، وكان فيه
رجل ضئيل أعرج يعمل في روث الاصطبل ، وقال :
(هذا ولدها)

طويل صامت ؛ صراع الجسم للجسم على نحو
ما يفعل المصارعون من أهل الرياضة ؛ فالأذرع
مبسوطة مقبوضة ملتوية ، والنفس مطرود مهوور
لاهث ، والجلد يحمر يتصبب منه العرق . أوه ! كانت
تدافع مستبسة ، وتقارع مستقتلة ، وكنا نصطدم
مرة بعد مرة بكرسي أو حاجز أو منضدة ، فنسكن
برهة ونحن مشتبهان بخافة أن توقظ هذه الجلبة بعض
الناس ، ثم نمود إلى الصراع هجومًا متى ودفعًا
منها . وأخيراً خذلناها قواها فسقطت منسرفة خائرة
لم تسكد نهض حتى فزعت إلى الباب فرقمت
رتاجه وولت مدبرة . لم ألقها في الأيام التالية إلا
فادراً ؛ فكانت نتحاشي أن أدنو منها . ثم تماثل
العليل وأبلّ فأخذنا نتأهب لاستئناف السفر . وفي
ليلة الرحيل رأيتها بعد موهن من الليل تدخل
غرفتي حافية في قبض النوم فألقت نفسها بين
ذراعي وحضنتني بقوة وشغف ، ثم باتت تقباني
وتلاطفني بأكية معولة حتى الصباح ، فلم تدع شيئاً
بما تنطوي عليه الماشقة البكاء من إشارات الحنان
ودلالات اليباس إلا بذلته

مرت ثمانية أيام على هذا الحادث المؤلف في مثل
هذه الحال فنسيتته ؛ وانقضت ثلاثون سنة لم يخطر
فيها ببالي ، ولم أمد في خلاها إلى « لون لابييه »
وفي سنة ١٨٧٦ رجعت إليها عرساً وانفاً ،
فقد كنت أجول في بريطانيا ذلك العام أجمع
الوثائق وأنصوّر الشاهد لكتاب أولافه

كل شيء في هذا البلد على ما عهدته ؛ فالحصن
لا يزال على الدخول غوصاً بمجدراته الغيرة في
الغدير ، والفندق باقٍ كما كان إلا أنه ترمم
واستحدث . فلما دخلته استقباني فتانان من أهل

فتلبنى الضحك وقلت :

« إنه دميم وليس فيه شبه من أمه ؛ فلابد أن يكون لأبيه » فقال الفندق : ذلك ممكن ، ولكن أحداً من أهل البلد لا يعرف من أبوه . وقد ماتت هي من دون أن تقول شيئاً عنه . ولقد كانت دهشة الناس شديدة حين علموا أنها حامل ، ولم يبقوا بصدق الخبر

عمرتي هزة كريمة ونال قلبي مس أليم كأن غمامة من الهم الثقيل تنكف وتقترب . ثم

رجعت بصرى

في الرجل وهو

بالفناء وقد حمل

إلى الخيول

دلون من ماء

النهر فكان يمشي

متحاملاً على

نفسه وقد بدت

عليه دلائل الجهد

من العرج . كان

خائق الثوب ،

فقدرا الجسم ، زرى الهيئة ، طويل الشعر أشعث ، قد نذلت على وجنتيه خصل مصفرة منه كأنها الحبال عاد الفندق إلى حديثه يقول : « إنه ياسيدي

قليل الفناء ضئيل القيمة ، وقد أوبناه إلى بيتنا شفقة ورحمة . ولعله كان يوجه الوجهة الحسنى

لو ربى كما يربى الناس . ولكن ماذا يصنع ياسيدي ؟ ليس له أب ولا أم ولا مال . لقد

أدركت والدي الرحمة على الطفل ، ولكنه ليس طفلهما ، وأنت تعلم ماذا أعنى »

لم أعقب على كلامه بشيء ، وقضيت الليلة في غرفتي القديمة ساهداً أفكر في خادم الأسطبل الفظيع ، وأرود في نفسي هذا السؤال : « أما لو كان هذا ابني ؟ .. أليس من الممكن أن أكون أنا الذي قتلت تلك الفتاة وولدت هذا المخلوق ؟ »

قررت في نفسي أن أكلّم هذا الرجل وأن أسأله عن تاريخ مولده بالذقة ؟ فإن فرق شهرين يخرجني من هذا الشك

وفي غدوة اليوم التالي بعثت في طلبه فوجدته

لا يعرف من

الفرنسية شيئاً ،

وقد بدا عليه مع

ذلك أنه لا يفقه

قولاً . فطلبت

إلى إحدى

الخادومات أن

تسأله عن سنه

فأحار جواباً ،

ووقف أمامي

وقفة الأبله يدير

قبعته بأصابعه الكريمة المقددة ، وهو يضحك تحكك القباء والبلاطة فيبدو على منازى شفتيه وعينيته شيء من تحك أمه

على أن صاحب الفندق علم ما أسأل عنه فذهب يبحث عن شهادة ميلاد للسكين فملت منها أنه

أبصر الدنيا لثمانية شهور وستة وعشرين يوماً من تاريخ مندرى بهذا البلد . فاني أذكر يقيناً أني بلغت

(لوريان) في ١٥ أغسطس ؛ وقد ذكر في شهادة الميلاد أن « الأب مجهول » والأم تسمى (جان كرادك)



رغبة ملحة في أن ألقى الرجل لأرى هل فيه ملامح مشتركة بينه وبينى

لحقبت به وهو ذهب إلى الكنيسة ، فقد كان ذلك يوم أحد ، ففحصته مائة صلبى وجملت أجسمه يمينى وأففرسه فى اضطراب وقلق ؛ فأخذ يضحك ضحكة قبيحة ، ثم ضاق ذرعاً من طول ما صوبت النظر فيه وصمته ، فانطلق مسرعاً بعد أن دعدم بكلمة لا يكاد يظهر لها جبرئيل عبر بها عن شكره ولا شك

قضيت النهار كما قضيت الليل فى م وقلق ؛ فلما اقترب المساء دعوت صاحب الفندق وقلت له فى حيلة ولباقة ولطف : إني أهم بهذا المخلوق البائس الذى أغفله كل إنسان ، وأعوزه كل شيء ، وأريد أن أفيدته فائدة . ولكن الرجل أجابنى بلهجة المترض الخائف قائلاً :

« أوه ! لا تفكر فى ذلك ياسيدى . إنه أقل من لا شيء ، ولا يصلح لشيء ؛ وإنك لا تبغى مما تصنعه معه إلا الامتناع والكراهة . أنا أستخدمة فى كنس الأصطبل وهذا كل ما يستطيع عمله ، وجزاؤه على ذلك أن أطعمه ، أما النوم فهو يتنام مع الخيول ، وليس يلزمه بعد ذلك شيء . فإذا كان لديك سروال قديم فاخلمه عليه ، وستجده بعد ثمانية أيام خرقاً وهلهيل » فلم ألح فيما اقترحت مبالغة فى الحيلة والحذر

عاد الصعلوك المسكين فى المساء يتخلىج فى مشيته من السكر ويمررد ، فقد شرب حتى طافح ؛ ثم كاد أن يشعل النار فى البيت ، وقتل حصاناً بضربة فأس ، وفى النهاية نام فى الوحل تحت

حينئذ أخذ قلبى يشتد وجيبه ويسرع نبضه ، وشمرت أن لسانى يتمقد ، وأن صوتى يمتنق ، وتفهرست فى هذا التلغيط الجافى وقد بدا شعوره الكثيف الأسفر أقدر شكلاً من الزيلة ؛ وضايقته نظراتى فكف عن الضحك وأدار وجهه ثم انصرف

كنت كل يوم أقل خطاى الوانية على طول النهر الصغير ، والفكر الممض فى هذا الموضوع لا يبرح خاطرى . ولكن ماذا يفنى التفكير ؟ ليس هناك ما يحلو الشك ويكشف الحقيقة . وكنت أقضى الساعات بعد الساعات أوازن فى موضوع أبوتى من الأسباب الموجبة والسالبة ، والوجوه الواثقة والمخالفة . ثم أستغرق فى فروض مشكلة ممضلة تمودى على استمرار إلى موقف الأول من الارتباب الشنيع ، ثم إلى ما هو أشنع من ذلك وهو الاعتقاد بأن هذا الرجل ابنى

لم أستطع الغداء ، فأويت إلى غرفتى وأخذت أراود النعاس طويلاً ، حتى أخذنى نوم مضطرب ترجمه الأحلام الغرزة والرؤى الخيفة . رأيت فيما يرى النائم أن هذا الوحش القذر كان يستخر منى فيدمونى : (بابا) ، ثم تحول إلى كلب عقور وهجم على ساقى بنابه فلم أنج منه إلا بجهد . فاتفق أترى ، وكان يتكلم ويسب بدل أن ينبج ؛ ثم مثل بين يديّ زملائى أعضاء الأكااديمية وهم مجتمعون ليفصلوا فى أسر أبوتى له ، وقد صاح أحدهم بهم : « هذا أسر لا شبهة فيه . أنظروا كيف يشبهه ! » ، وفى الحق أنى لاحظت فى هذا المسيح مشابه منى . ثم استيقظت وهذه الفكرة عالقة بذهنى ، فقامت بنفسى

لم أستطع أن أبقي طويلا مخافة أن ترجني
الظنون وتطير من حولي الشبهة ، فرحلت والقلب
مصدوع والفكر شاردا ، بمد أن تركت في يد صاحبه
الفندق بعض المال ينقله على خادمه البائس ليرفقه
عن نفسه ، ويخفف عنه عذاب مرضه وبؤسه
ومنذ ست سنين أعيش مع هذه الفكرة
معتذب النفس ، مفدوح الضمير ، لا أستقر على
شك ، ولا أطمئن إلى يقين
وفي كل سنة تقودني إلى (بون لايبه) قوة

قاهرة

وفي كل سنة أحكم على نفسي بهذا العقاب
الآليم فأرى هذا الشقي يرتطم في ردة الاصطبل ،
وأخجل أن فيه مشابهة مني ، وأحاول عبثا تغيير حاله
وإصلاح أمره

وفي كل سنة أرجع إلى هنا وأنا أشد مما كنت
ارتياحا وعذابا وحيرة !

حاولت أن أفقنه فكان مظالم البصيرة
لا يفقه ولا يدرك !

ثم حاولت أن أنفّس عنه بعض كُرب العيش
فيكون سخيلا العقل ينطق كل ما يُعطاه في الخمر ،
حتى إذا صفرت راحته باع في سبيلها ثوبه

ثم حاولت يبدل المال أن أرقق عليه قلب سيده
ليؤوبه إلى ظله ، ويرضخ له من فضله ، حتى
داخل الفندق العجيب فقال يحشني بالرأى المقول
والمنطق الفخيم : « كل ما تقدمه إليه ياسيدي
لا يعود عليه إلا بالأذى والخسر . يجب أن يعتقل
اعتقال الأسير ، لأنه متى ظفر ببعض الوقت أو

الطر الماثل بفضل إحساني وكرمي !

وفي الصباح جاء الفندق رجوا مني ألا أعطيه
تقودا بعد ، فإن الشراب يهيج فيه الشر ويذهب
به كل مذهب . ولو وجد في جيبه صليدين
لما أنفقهما إلا في الخمر . ثم قال الرجل : « إن
إعطائه النقود معناه القضاء عليه » ؛ ولم يحصل
في يديه شيء منها قط إلا بضعة سنتين يرميها
إليه بعض المسافرين فلا يعرف لها وجهة ولا غاية
إلا الحانة !



قضيت في غرفتي ساعات وفي يدي كتاب
مفتوح أنظاه بالقراءة فيه ، ولكنني كنت أديم
النظر في هذا الحشن الفليظ ابني ! ابني ! وأبذل
الجهود في أن أكتشف في ملامحه وجوارحه
بعض المشابهة مني ، فكان من طول البحث وكثرة
التفحص أن وجدت فيه وفي خطوطا متشابهة
على الجهة وفي أضل الأنف ؛ فافتنمت بأن هناك
متشابهة يخفيها اختلاف اللباس وذوائب الرجل

ولكن يدي لم تمنع هذه القذرة الكريهة قط

ثم سكّت رجل الأدب وعضو الأكاديمية ،
وتكلم رجل السياسة وعضو الشيوخ قال :
« نعم ! يجب علينا حقاً أن نمنى أكثر مما عطينا
بالأطفال الذين لا آباء لهم »

وهبت نفحة من الريح على شجرة الأبنوس
الوربية الصفراء فخرّكت عناقيدها ، ثم غلّشت
الكهلين الصديقين بنفاعة من ذرورها المطرى
الديق فاستنشقا ملء رئتهما أنفاساً طويلة
ثم ختم عضو الشيوخ المحترم الحديث بقوله :
« ما أجل أن يكون الإنسان في سن الخامسة
والعشرين وإن ولد أولاداً كهذا ! ! »

الزيت

بعض المال انقلب شرباً لا يقام لسبيله . وإذا
شدّت عمل الخير فلن تعدم الوسيلة إليه . اذهب
إلى ملجأ اللقطاء فاختر من بينهم طفلاً يساوى
تعبك ويكافئ إحسانك »

ماذا تقول في هذا ؟ إذا تركت هذا الرجل
يصل بظنونه إلى الشبهة التي تلوع قلبي وتكدر
حياتي انقلب خبيثاً ولا شك يستغنى بالتهديد ،
ويعرضني للخطر ، ويلقيني إلى الهلكة . سيصبح
بي : (بابا) في القطة ، كما صاح في الآخر : (بابا)
في الحلم

ثم قت في نفسي : لقد قتلت الأم وأضعت
هذا المخلوق الهزيل الضارع ؛ تلك الدودة التي
نشأت في الاصطبل ودرجت في الوحل ؛ ذلك
الرجل الذي لو ربي تربية غيره ، لكان اليوم
رجلاً مثل غيره

إنك لا تستطيع يا صديق أن تنصور الشعور
الغريب البهم الملح الذي يستولى على وأنا أمام هذا
الرجل أفكر في أنه نسل مني ، وأنه وإياي
مرتبطان بالوشائج الخاصة التي تربط الولد بأبيه ،
وأنه بفضل قانون الوراثة الغريب هو (أنا) بدمه
وبلحمه وبآل شيء آخر ، وأنه يشاركني في كل
خصيصة من خصائصي حتى في جرائم الأدواء
ومناشئ الأهواء ومنازع الخلق

أنا أظلم دائماً إلى رؤيته ، ورؤيته تحرق أحشائي
وتريدمني . فأنا أراءع بنظري من النافذة ساعات
وساعات وهو يعمل في أرواث البهائم فأردد في
نفسي هذا الهاتف : « هذا ولدي ! » ، ثم أشعر
في بعض الأحوال برغبة شديدة في أن أعاقه ،

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر ، وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقرية للأمة العربية
الرسالة تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي سنوياً قرشاً ، والخارجي ما يساوي منها مصرياً ،

وللمواد العربية خصم ٢٠ ٪

قصة مصريّة

نفسية

مؤسّس ابراهيم عبدالقادر المازني

بالأعباء كلها اقتصاداً في
النفقة ؛ فكانت هي تطبخ
الطعام ، وتكنس الأرض ،
وترتب الأثاث ، وتخيّط لنا
الثياب ، وتصنع كل شيء ، إلا
أن يخرج لتشتري الأشياء
التي نحتاج إليها لعلّمانا ؛

فقد كان رجل من أتباع أثارينا الذين يقيمون في
أجنحة أخرى من هذا البيت الكبير يقوم لنا
بذلك . وكانت عمّة أبي معنا ، ولكنها كانت
محجوراً ناهزت السائة ، وكانت تجلس وساقها
ممدودتان أمامها ، ورأسها مستند إلى وسادة ،
ولاسها لا عمل الدوران ؛ وكان كلامها هذياناً فكانت
أضحك منها أحياناً ؛ ثم أمل ذلك فأتركها لهدرها
الذي لا ينقطع

وكنت إذا شعرت بالشوق إلى مكّلة أحد
أتحدر إلى فناء البيت ؛ وكانت فيه غرفٌ كثيرة
يقوم فيها أتباع الشيخ قربينا ويحيون الليل بقراءة
الأوراد . وكانت هناك أيضاً مبخرة ومعلّى فكانت
إذا رأيت الشيخ مقبلاً أندس بين المصليين وأروح
أفئ وأركع وأسجد كما أراهم يفعلون . ولكن
هؤلاء كانوا يرونني صبيحاً صغيراً فينظرون إلى
ويبتسمون — لأن أوقافهم مشغولة بالعمّة —
ولكن لا يكلموني . غير أنه كان هناك في أكبر غرفة
في الفناء رجل ليس من الأتباع ، ولا هو يعني به
أمرهم أو يشاركهم فيما يصنعون . ولا أدري إلى
هذه الساعة كيف سكن هذه الغرفة ؛ فما كان يعلى
الشيخ شيئاً ، وكان الشيخ يسكنك أن يؤجر
بيته أو بعضه . وكان هذا الرجل يصنع أزرار

نشأت في بيت لم أكن أجد فيه من يكلمني
لا لقلة في أهله ، ولا ليكم بمقدّ أمتهم ، بل لأن
مشاغلهم كانت تصرفهم عني . فلهذا جدي
— لأبي — كانت لا تفارق السجادة — أو الفروّة
على الأسطح — وفي يدها السبيحة التي لا أذكر أن
الخيّط الذي ينظم حياتها انقطع ، وشفّتها لا تكفان
عن الحركة والتمتمة بما لا يعرف من الأدعية والصلوات
على النبي . وما أكثر — وأطول — ما كنت أقعد أمامها
محدقاً في هاتين الشفتين الدائبتين دؤوب الليل والنهار .

وكانت ربما التفتت إلى فتبتسم وتدبني منها وتمسح
لي رأسي ثم تبسط يدها بالدعاء إلى الله بصوت يريه
الضوء وتبجعه الحسرة ويودعه الألم والأسف لما صرنا
إليه بعد وفاة أبي . ثم تبت على كتفي وتقبل على وجهي
الصغير بفعها الأردود وتقبلني فتخرج شفّتها صوتاً
كهذا : « مق » . وتلك أي لا تزال مصروفة عنا بشئون
البيت من طبخ وغسل وكفن ونفض ، ومن حمام
تسقيه وتعلمه ودجاجات لانفك تجس حوصلاتها ،
أو تصبغها لترى فيها أم ليس فيها بيض ، أو تنتف
رديها . وكثيراً ما كنت أفئ أنظر إليها وهي
تتناول فراخ الحمام وترقرقها أي تنج في مناقيرها
الماء والحب . ولا آخر لعمل السيدة في البيت .
ولم يكن لنا في ذلك الوقت خادمة ؛ وكانت أي تنهض

الدرج وأركب الدرابزين لأن الترحاق عليه أسرع وكانت له بنت أخت تزوره من حين إلى حين . رأيتها أول مرة في ليلة شتوية كثيرة المطر شديدة البرد ، وكنت ألعب في الحارة ، فلما أخذ المطر ينهمر فجأة ذهبت أعدو إلى البيت . ولحيت وأنا أجري ضوءاً في غرفة صديق فاشتبهت أن أخبره أن السماء تمطر وأن الريح تمصف . ودخلت الغرفة ثم وقفت على العتبة فما رأيت المصباح المألوف وإنما رأيت ناراً موقدة ؛ وكانت ألسنة اللهب عالية . فرأيت أول ما رأيت كفافاً بدت في كأنها - ولسان النار من ورائها - مرجاج شفاف . وطالعتني بحيا فتاة صغيرة على هذا الضوء المضطرب فرأيت شعراً أسود يتوهج هنا وهما ، وصغيرتين في طرفيهما خيوط من الصوف نسج عليها الشجر استراحتا على جانبي الصدر ، وأقفا في عرينيه تنوء قليل وفي مارته لين وفي أرنبتها انثناء الى فوق ، وعينين ضيقتين طويلتين مائلتين بمض الجبل ؛ وكانت الحدقتان تلمعان كأنهما تطلان من شقين وفي نظرتهما من وراء الأهداب الوطفاء معاني الرضى التام والسكون العميق والاعتباط الذي لاسبيل إلى العبارة عنه . وكانت هذه المعاني على الفم أيضاً ، وكانت الشفتان رقيقتين وفي العليا منهما ثقل بيضاء وهنة دقيقة نابضة في وسطها ، وكانت عليهما ابتسامة أبهى في العبارة عن السرور من الضحك المجمل ، وكان خط الشفتين موازياً ليل العينين ؛ وقد خيل إلى وأنا أنظر إلى هذه الابتسامة المرتسمة على الشفتين المتلاصقتين كأنما هي معلقة على ما تفضن على جانبي الفم ؛ وكانت صحيفة الوجه عريضة عند الوجنتين ولكلها تنتهي بذقن دقيق . وفي الديباجة حسن وفي الحدين

الطرايش ؛ فكان يطيب لي أن أجلس إليه ألحظه وأحادثه ، أو أستمع إلى حديثه وقصصه ؛ وكان يحادثني كأني رجل كبير لا طفل صغير ، وكان يبرم خيوط الحرير المصبوغة ويقتلها ويعد أطرافها ويجمع كل بضعة خيوط مما ثم ينسجها ويربها ، ثم يدقها على قلب من القوالب التي تتخذ لكي الطرايش . وكانت لهذه الخيوط رائحة لا أزال أذكرها ، وإنى لأجدها الآن في أنفي وأنا أكتب ذلك . وقد علمني صناعته فكان يدع لي الخيوط فأفنتها وأرنتها وأعد أطرافها وأفل مثل ما أراه يفعل بالدق على القالب . ثم يعود إلى فينظر فيها صمتاً ويصلح لي أخطائي أو ينش على حذقي . وكان بكل لي ذلك كلما قام لأعداد طعامه أو خرج لشراؤه . وفي وسمي أن أقول بلا مبالغة أني فلما تمشيت إلا معه ؛ فكنت أسعد فأجى بطماي وأضيفه إلى ما عنده ، فناكل معاً . ولكني لم أكن أسنع هذا إلا إذا كان عندنا طعام يليق أن يقدم لي في غريب ؛ أما إذا كان قولاً أو وعداً أو ما هو من هذا القبيل فقد كنت أخرج فأشتري زيتونات وشيئاً من الجبن « والحلاوة الطحينية » وأعود بها إليه فيؤنني على فماتي وينهاني عن المود إلى ذلك ، فأصارحه بأن طعامنا اللبيلة قول أو عدس وأنى لأجبه ، فكان يحدث أن يقول لي إنه يحب هذا الطعام ويرجو مني أن أسعد وأجيبه بشيء منه فاستغرب ولكني أطيع . فلا محجب إذا كنت قد أحببته وألفته . ولم يكن أغرب من هذه الصداقة بين رجل جازز الأربعين وطفل في التاسعة من عمره . وقد ألفتني كما ألفتهم وتعلق في كما تعلق به ، فكان يناديني إذا أبطأت عليه فاستبطي النزول على

كانت طبعها هادئة وحالها بإدى الوفاة كما ينبغي أن تكون الحياة

وكننت أسألها أحيانا وأنا لا أجد كلاما أقوله لها غير ذلك: «هل تعلمين الجبل؟» .. ولا أسمعني الى جوابها بل أروح أفكر في جمالها وأعجب له. وأسأل نفسي مستغربا: «ما ذا وراء هذه الميت يا ترى؟ لماذا أراها ميدة دائما بلا سبب أعرفه؟» وأشتهي أن أسألها عن ذلك، ولكني آنس من نفسي حينما فأسكت

ومضت الأيام وتماقت السنون وكبرت وعرفت الأدب والقراءة، فصار كل ما أقرأه من الحب في شعر الشعراء وفي وصف الروائيين يدور حول ذكرى القليلة منها، وابتسامتها الساكنة ووجهها الجليل وبسماحتها الهادئة. وكان زملائي في المدارس يذكرون مغامراتهم ويتحدثون بها ويباهون، وكنت أما أسمع وأسكت وأندمى بأن هذا الذي يلهجون به ليس من الحب في قليل أو كثير، وأقول لنفسي إنى أعرف ما لا يعرفون - وأعرف ما أعرف بالتجربة. ومع ذلك لم يخل هذا الصدر من أبهى مما يسمونه بالمغامرات ولكنها لم تكن كثيرة أو باعثة على الرضى. قبل كانت على النقيض سببا في السخط على نفسي واحتقارها فكأليت لأنصرف عن هذا البعث. وأقيمت على الدرس والتحصيل، واشتغلت بالشؤون العامة فصرت أحضر جميعات الخطابة. بل ألفت مع إخوان لي جمعية للخطابة، وعينت بقراءة الصحف فكنت على صغرى أقرأ كل يوم ثلاث جرائد سياسية، وكنا جميعا من أنصار مصطفى كامل وعشاقه في ذلك الزمان

رى وأسالة وبضاضة، أما العنق فطويل مستدير، وأما الذراعان - وكانا معتمدين على الركبتين - فستدقان

وقفت أحدى في هذا الوجه الذي أضاعته لي النار المضطربة الخفاقة اللعنان؛ وخيل إلى وأنا أنظر أنى لم أر قط أجمل ولا أبرع من هذا الحسن. وراعى على الخصوص ما على الوجه من آليات السرور الباطن، فألفيتني أتساءل: ما ذا ترى يسرها وهي قاعدة وحدها تدفأ.. ومن أين جاءت يا ترى هذه السعادة التي تومض بها عيناها وتنبى بها هاتان الشفتان الصامتتان... وأحسست أن أنفاسي أسرع وأن الدموع تجول في عيني، فقد كانت الفتاة جميلة وكانت الروعة قد غمرت صدرى - بل ملأ قلبي الخوف كأنما أنا أشهد الحياة نفسها لا إنسانا قائما مثلي. وارتفع لسان النار فجأة وخفق ضوؤها على عجايبها البقس، فخيّل إلى أن الدم يجري كالجنون تحت جلدها الرقيق. وكانت هي ساكنة لا تتحرك ولا تزايلها ابتسامتها الهادئة المرتسمة على عينيها الضيقتين المائلتين وفهما الطبق الشفتين. نعم. كانت الحياة نفسها تنظر إلى من عينيها.. وبينما زابتها بسد ذلك مرة أو مرتين في نحو عام. وعدت من صديق - خالسا - أنها يتيمة وأنها تقيم مع عمها وتزور خالسا أحيانا - وأكثر ما تكون الزيارات في الصباح حيث أكون أنا في المدرسة، ولكنها لا تبقى معه إلا ساعة أو بعض ساعة. وقد حاولت أن أكلها ولكني كنت أستحي أن أطيل الوقت مما أو الجلوس إليها، وكانت هي تحب في وجهي ولا تنظر حين تكلمنى ولا أذكر. ماذا كانت تقول، وإنما أذكر كيف

— فجمد الدم في عروقي ، فقد تذكرت السدس فجأة ، ولم أستطع من فرط الجزع أن أدهو الله أن يتقضى ، وكان الاعداد عقوبة من يحمل سلاحا كهذا بلا ترخيص — أو هكذا أعلنوا — ولكن الله سلم فرد الرجل الدرج ، وكان زملاؤه قد عادوا خبا وانصرف وهو يبتسم ، ولعله كان يمتقد أن تكليفه تفتيش هذا البيت سخافة مطبقة

وما كادوا يذهبون حتى أسرعت الى السدس فقدفت به في بستان مجاور لبيتنا وتشهدت . ولم أطق البقاء في البيت بعد ذلك من فرط الاضطراب فخرجت أعشى على غير هدى ، وإذا بي في بعض الطريق — طريق حدائق القبة — ألتقي بفتاتى القديمة ... عرقها على الرغم من طول الزمن ... وعرفتني هي كذلك ولم تنكرني ، فصحت بها كالأبله « نفيدة ... أنت ... »

فابتسمت لي ابتسامتها القديمة المأدبة ولم ترد ، فقلت لها « من أين والى أين » قالت « الى البيت » فشيت معها اليه . وكانت شقة في عمارة عند « المحمدى » فدعنتي ، الى الدخول فلم أتردد ، فانا صديقان قديمان . ولم أرى في بيتها غير ما فلم استغرب . فانا بتيمة ، ولكني لم أعرف من أين جاءت بهذا الأثاث الحسن وإن كان قليلا وعلى قدر الحاجة . واتفقت معها على يوم نخرج فيه للتزور في القنطار أو حديقة الحيوانات فهزت رأسها أن نعم فتركها ولم أسألها عن حالها وكيف تمشي

والتقينا في الموعد الضروب . وكان النساء يتقمن في ذلك الوقت ولا يخرجن إلا في الندرة القليلة بوجوههن سافرة ، فركبتا عربية يجرها جوادان هزيلان ومضينا الى حديقة الحيوانات ،

ثم جاءت الحرب العظيم فشققتنا بأنبائها ، وبالاختلاف على نتائجها المحتملة وبالخوف على أنفسنا من الجواسيس والاعتقالات التي كنا لانا منها ، ولا نستطيع أن نعرف الطريق الى انقاذها ، ولكن يوما من أيام تلك الحرب أذكره ولا أنساه . وكان لي صديق داره قريبة من دارى ولم يكن معه أحد في بيته ، وكان السهر محرما بعد الساعة التاسعة ، فكنت أفضى عنده السهرة في الأغلب ولا سيما في الصيف فأراني يوما مسدسا ورسامات ، فجللنا نتدرب على اطلاقها ورمى بها باب الحمام ، ولم تكن نخشى أن يسمعا أحد لأن البيت كان بعيدا عن المار . ثم افترقنا . واتفق أن زارني بعد ذلك ونسى عندي مسدسه ولا أدري كيف كان يجترىء على محله معه . فوضعت السدس في درج المكتب ونسيته فيه وتكدست فوقه الأوراق على الأيام . فحدث يوما أن جاني صديق وثيق الصلة بالسلطة العسكرية ، وأخبرني أن يبقى سيفتش الليلة ، فشكرته ولم أعر الأمر أكثرنا لأنه ليس في بيتي ما أخشى على نفسي منه . فلما كان العشاء جاء ضابط انجليزى ومعه من المصريين ضباط وجنود ، فدخلوا المكتب أول ما دخلوا ، ورأى الانجليزى الكتب الكثيرة على رفوفها ، فأقبل عليها يتأملها ، فألفاها كلها كتب أدب ، فجعل يقلبها وينظر الى ، ثم سألني عن على فقلت « مدرس » فاطمان واعتقد مما رأى أنى رجل مأمون الجانب وأرسل المصريين يفتشون بقية البيت ووقف هو معى في غرفة المكتب ، ثم دنا من المكتب وجعل يقلب ما عليه من الأوراق المنتشرة بنيران احتفال ، ثم فزع درجا وألقى عليه نظرة ثم رده وشد الدرج الثانى — ولم تكن للأدراج مفاتيح

الأيام ما أقنعني أنها ليست الفتاة التي أحببتها في صفري وإنما لا أكثر ولا أقل من امرأة كثيرها من النساء . ولا أدري الآن وأنا أكتب هذه السطور أى شيء كنت أحسها قبل أن أتبين أنها ليست سوى امرأة ، ولكن الذي أدريه أنى ظلت أحسها على الرغم من ذلك وأنى جمعت أحاول أن أقنع نفسي بأنها كما كنت أنصورها — على الأقل في حقيقتها السكامنة ، ولكن حتى أقدم لها تنبيه فلم يبد فيه تعلق بخيال بل صار حباً لامرأة معينة . وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فإن الرجل يحب المرأة لأنها امرأة ، ولأن فيها من بواث الأغراء ما يكفي لأثارة الرغبة فيها والتعلق بها ، ولكن هذا شيء لم أكن قد تعلمته في تلك الأيام فرزقني الله في شخص « تقييدة » معلماً لا يفتد ولا يتردد ولا يترقب بالمثل العليا وصور السكالم وغير ذلك من الأفلاطونيات السخيفة . وكان أول ما تعلمته — أو من أول ذلك — أن من الممكن أن يحب الرجل حباً عميقاً طاعياً امرأة لا يحترمها ولا يرى لها حرية ولا ينطوى لها على إكبار أو مودة أو صداقة ، ولا يستطيع أن يتفاهم معها ويشاركها في نفسه وخواطره وآماله وخوافه وعواطفه .. امرأة لا يرى فيها إلا أنى منحلة .. بل امرأة يشعر بالشقاء وهو إلى جانبها وباللذات والنجس من قربها وحديثها .. نعم تعلمت ذلك .. وكان هذا لا تعلمته شيئاً فشيئاً يبدو لي مدهشاً وبخيل إلى أن الحال فيه مقلوب والآية مكسوة ، ولكني الآن أنفخ من نفسي وأسألتها : ولم لا يمشق الرجل بالله امرأة كهذه ؟ .. وأين تراني كنت أعيش يومئذ فلم أر أن كثيراً من الرجال يمشقون نساء ليست لهن أية حرية ..

وجلسنا على دكة منعزلة ، وقضينا أكثر الوقت صامتين ، ثم فتحت في حديثها عن الزمن الماضي وحنى الصبابة لها وكيف طال بحر الحب وامتد إلى الحاضر فلم ترد على أن تبسمت — كما دنتها — وقالت « لا أدري لماذا أرى الناس ينجنون بي » فأحسست أن لوحاً كبيراً من الثلج يوضع على قلبي .. الناس ينجنون بها .. الناس .. إذن هنالك ينجنون .. أو ينجنون بها غيري .. ودار رأسي وذهبت أسأله نفسي عنها كيف تعيش .. ولم يخاطر هذا من قبل ولكنه خطر الآن .. نعم كيف تعيش هذه التي يجن بها الناس .. وأين وكيف ترى هؤلاء المجانين كلهم .. لابد أنهم كثير .. فن أن ينجنون .. إلى أنا صديق صباها فلا عجب إذا كنت أعرفها ... ولكن غيري ... غيري ..

وقطع على هذه الخواطر المزجة سوداني في ثياب الردنجوت . وكان كهلاً ولكنه يمشي متمثل القامة كالرمح قدناً منها وحياها باسمها وسألها عن حالها وعينه تومض ، فرددت عليه برزاة وسكون ومن غير أن تفرقها ابتسامتها المطبوعة ؛ ولم يطل الوقوف ففشي عنا وقد عرفت منها أنه ضابط في الجيش وأنه الآن فيما يسمى الاستبداد وإن بيته في العباسية — قرب « المهدى » فلم أقل شيئاً ولكني قلت — أو على الأسخ زدت قلقاً وصرت أناجي نفسي بأن لعل هذه طريقة حياتها ...

وتعددت المقابلات بيننا والخروج إلى الحدائق العامة وكنت أعود بها إلى بيتها في الليل فتدعوني إلى مقام قليل فأبني ونذهب نتحدث كأنتا رجلان لا رجل وامرأة ؛ فأريت منها شيئاً فشيئاً وعلى

وأنها لا تصلح لى ولا أصلح لها لأنها لا تفهمنى ولا أنا أيضاً مع الأسف أستطيع أن أفهم هذه الطبيعة المسادية التى يكون فيها الجمال ستاراً لكل ما هو منقطع ...

وكانت تدعونى كل ليلة الى دخول بيتها حين تمرد اليه ، وكنت ألبى بمضى الأحيان فأقدم معها كالصنم من شدة الكسح فلا تلبث أن تتأهب فأقوم وأنصرف فلا تمنى بأن ترافقنى الى الباب فيسودنى ذلك ولكنى أراجع نفسى وأقول أنه ليس بيننا كلمة فأننا صديقان قديمان . فقالت لى ليلة وقد دوننا من البيت : « لا تنضب إذا لم أدعك الى الدخول » فسألها بوقاحة : « هل هذا غيرى ؟ » فلم يؤمها ذلك ولم يظهر عليها الامتناع منه ، وقالت بابتسامتها الهادئة : « يحيل الى أنك لا تحب الوجود مئى فى البيت ... شاعر ... تحب الرياض والبساتين والماء والسطح والنجوم ... أليس

كذلك ؟ » فضحكت وإن كنت لم يفتنى ما فى كلامها من التهكم والزراية وحدثت نفسى أن هذه دعوة مريحة لا يلبق أن أغضى عنها مخافة أن يودى الاعضاء الى القطيعة والحفوة .. وكانت هذه مغالطة مئى لنفسى فقد كنت أنا أريد ذلك ولكنى كنت أصرف عنه نفسى وأقطعها ببجهد فقلت : لها : « بل سأدخل الليلة — إذا سمحت بالطبع — وسترين أنى أحب بيتك كما أحبك .. وإنى أنس بك فيه أنسى بك فى الرياض وفى الزورق السامع على وجه الماء ... »

قالت : « صحيح ... »

وأحدثت من نبرة صوتها أنها ارتاحت الى كلامى وأنها استغفرته فى الوقت نفسه .

نساء هن فى الحقيقة كوم عظيم من صنوف الانحطاط ... ونساء يحبن رجلاً ساقطين منقطعين لا يساوى الواحد منهم ملة أذنه نخالة ... ولكنى كنت فى ذلك الوقت أعتقد أن الحب شئ سام جداً وأنه سماوى لا ينبغي أن يخاطله إلا الإعجاب والعبادة

وكانت كل لحظة أقضيها مع فتيدة تزيدنى إيقاناً بأنها عاجزة عن السمو بنفسها الى المرتبة التى وضعها فيها فى حدائى ، وكان زيجتى وينقص عيشى ويسود الدنيا فى عيني هذا التباين بين الواقع والصورة القدغية التى احتفظت لها بها فى نفسى ... وتغير حى لها كما قلت واشتبهتها وصوبت إليها ولكن هذا التحول لم يعنى من التنقيص والمذاب . وقد كنت أخجل مما صرت أحسه لها وأعنف نفسى على ذلك وأزجرها عنه . وكانت هى ترى ضبطى لنفسى ورياضتها لها على العفة وتعلقى بخيالاتى وسخافاتى وأوهامى فتتمتع وتظهر لى التأفف والتهرم ولا تكتمنى الضجر الذى يثيره حديثى ولها العذر فقد كنت أرتفع بالكلام عن طبقها وارتكها على الأرض واذهب أحلق فى أجواء لا تستطيع أن نذهب ورأى فيها . وكنت أنشدتها ما أقوله فيها من الشعر فيسرهما أنها وجدت شاعراً يحبها كل هذا الحب ويتغنى باسمها وأن يقرأ للناس ما يقوله فيها وما يصف به فوجدتها لها ، ولماها كانت ترى فى هذا إعلاناً ... ولكنها لم تكن تفهم ما أنظم أو تقدره ؛ وكثيراً ما كانت تمط شفتيها ساخرة . وباربما قالت لى : « ألا تستطيع أن تقول كلاماً حسناً ؟ » فأمر رأسى وأقول لنفسى لى وقت وقفة سوداء وأنه يجب أن أضدغنها

من زمن طويل قبل هذا أنها غير تلك التي كنت أحلم بها وأنها ليست إلا امرأة عادية جداً لا أكثر ولا أقل ... وهبني اطعاماً على ما كانت تحبني . فهل يزيدني هذا علماً بها ومعرفة لحقيقتها ؟ كلا .. ولم يكن هذا المنطق يقنعني أو يريحني ولكنه كان المنطق الذي اضطررت إليه وسكنت على رغبتي . على أن الأمر لم يطل فقد جاء يوم اعتذرت لي فيه بأنها مسافرة فاستغربت ، فما أعرف لها من تسافر إليه ، ولكنني سكنت ولم أقل شيئاً . ورأيتها بعد أيام فسألتها عن رحلتها ورجوت أن تكون كما أشتئى لها ، فقالت بضجر منكفئ لم يخف على : « أوه أبداً . كانت رحلة مملة ... إنك تعرف هؤلاء الفلاحين وكيف يعيشون . ليس في حياتهم أى تسلية »

ومضت أيام فمادت تمتد من التخلف عن لقائى لأنها مدعوة في بيتي صاحبة لها ، فلم أجدل وتركها . وتكررت بذلك الاعتذار وتوالى انقطاعها عني ، وكنت أحياناً أقسم أن أهماها وأبقى أياً ما لا أسأل عنها . لأعرف أعادت أم هي لا تزال مع هؤلاء الذين ظهروا فجأة في حياتها ولم أسمع بهم مرة واحدة قبل ذلك كل هذه الشهور . وأحياناً كنت أضمر فأذهب إلى بيتها فتفتحن لي ونفائى كأنها كانت معي قبل ساعة ولا تسألني لماذا غبت ولا لماذا كنت أضمر وكيف كنت أفضي الوقت . لا .. لا شيء من هذا على الإطلاق فأشعر بالنعمة ولكنني أكنم الألم ..

وقلت لها مرة وقد همت بالاعتذار من الاضطرار إلى إرجاء لقائى : « لماذا تكذبن عني ؟ » فلم أر أن حدى أو ألقائى الوقعة اغضبني ،

ودخلنا وأغلقت الباب وراءها كما دأبت فلم أمهلها بل طوقتها بذراعي في الدهليز وقبعتها .. على خدها فأدارت وجهها ومنحتني فمها .

وكنت أسخط على نفسي بعد كل ليلة وأرميها - نفسي - بالأخطاط ، ولكنني ألقت ذلك فصار الأمر عادة للذين وغيره مما يتأده المرء ويتأفف منه ويود لو كعب عنه مع ذلك ولا يكلف نفسه جهد المقاومة وعناها . وبقينا هكذا زمناً غير قصير وعرفت أن لها أصدقاء غير قليلين فقد كنا نغام في الطريق فيومثون إليها بالسلام فتبتسم لهم ولكنهم كانوا لا يدنون منها ولا يكلمونها كما فعل الضابط السوداني في حديقة الحيوان . ولم أكن أعاباً بذلك فقد كنت أرى أنني منفرد بها وإن كنت لا أعلم ماذا تصنع في غيابي ، فما كان يسعني أن أظل معها كل ساعة . وكنت أروض نفسي على الاطمئنان والنفقة لحاجتي إليهما لا لأني واجد ما يدهو إلى الثقة والاطمئنان . والمرء في تجربته للحياة يضطر إلى خداع نفسه ومناطتها في الخفائق - أو ما يعتقد أنه الحقيقة ليستريح قليلاً . ويتصور كيف تكون حياة من لا يزال فاتحاً عينه متربصاً مترصداً ليعيط بالعيوب والمخازي ، ومن لا ينفك يستمع إلى ما يهيم به في أذنه سوء الظن الطبيعي .. وكثيراً ما يكون المرء على حق في سوء ظنه . ولكن المرء يعرف بالتجربة أن وسواس الظنون تنقذ كل راحة وتحيل الحياة جحيماً . ويضنيه التنبؤ فيطلب الراحة ويعرف من تجربته للناس أن الناس سواسية فينتهي بأن يقول لنفسه إنه ليس موكلاً بإصلاح الكون وأن الأولى به أن يريح نفسه ويغفها من الغناء الباطل . وماذا كان ينتهي من أمرها في غيابي وأنا قد أيقنت

ثم ارجع فأقول : إن السألة ليست مسألة تعلم أو ثقافة وإن كان التعليم يهذب ، وأن هناك أميات كثيرات هن جميعاً أرفع منها وأنسى وأشرف وأعظم فطنة واحد ذكاً ، وأن العبرة بالطباع والمعول على الفطرة . .

وانتفضى النهار في هذه الهواجس أو الخواطر وأقبل الليل ومعه البرد فاحتجت أن أقوم وأن أعشى لأشعر بالدفء فرحت أتمشى في الحارة وديني على بيتها وأنا في حمية الظلام فسمعت بعد قليل صوت باب يفتح ويفلق فندوت على أطراف أصابعي فإذا هو بابها وإذا الخارج منه هو الضابط السوداني وكاد يخنق في الظلام ، ولكن الباب فتح مرة أخرى وخرج منه صوت كهذا « هسسسس » فوقف الرجل وتلفت ثم كر راجعاً ووقف أمام الباب ، وكنت على مسافة مترين منه فأدرت ظهري إليه ولويت عنق لا أكون أقدر على السماع فسمعتهما تقول له :

« الساعة الثالثة تماماً . فاني أخشى أن يجيء ذلك الثقيل للسؤال عني .. »

فشييت ولم أفأف لأسمع رده

إبراهيم عبد القادر المازني

آلام فرتز

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حمزة الزيات

وهي قصة عالية تدبّق من آثار الفن الخالد

ونحنها ١٥ قرشاً

وكأنني كنت أحبها وأثنى عليها فقالت : « إنك ظريف » ظريف ... أهدأ ما يجيب به حين اتهمها بالكذب وأرى باللفظ الجارح في وجهها ..

وكنا قد دخلنا في الشتاء وكنت أعرف أنها لا تحب أن تكون في غير بيتها بعد العشاء على الأكثر ، فذهبت إلى قهوة قريبة من مدخل الحارة وقعدت عليها من الظهر لأرى ما يكون . وانحدرت الشمس وأنا لا أرى شيئاً ؛ نعم رأيت ناساً كثيرين راكبين أو ماشين وباعة متجولين ومركبات الخ الخ ولكني لم أرها تدخل أو تخرج . وكانت نفسي لا تقفأ تنازعني أن أنهض منصرفاً وكنت أحدثها بأن من السخافة والحماقة أن أنسب نفسي بهذه الجلسة الضنية لأعرف ما أعرف . وهل في الأمر

سر أليست قد ملئتني وبنت لي وجفتني واعتاحت مني سوى كائناً ما كان هذا السوى .. وما حاجتي إلى علم ما أعلم ... ولماذا أحقر نفسي وأمرغ وجهي في التراب وأضعه عند قدمي امرأة سوء كهذه .. وأهم بالتهوض ولكني أحس كأنني

قد سررت إلى الكرسي أو لصقت به ، ويتجسد

وهي حتى لأثقلت كأنما أريد أن أرى النساير أو

الغراء أو غير ذلك مما ربطني بالكرسي وأزمنه

فأنا لا أقدر أن أنهض عنه ، وبضحكى أمرى

أحياناً ثم تغلبني الكآبة والحزن — على نفسي

وعليها — ثم أراني غضبت ورتت وهاجت تنمى

على هذه المستهتره التي لا تبالى ولا تدرك ثم أراجع

نفسى فأسألهما : « ماذا تريدن منها أن تبالي ؟ أمن

العدل أن أطلبها — أو أتوقع منها — أن تحفل

ملا تدرك ... » واستسخر من نفسي أن أروح

أنتظر من هذه العامية — على الرغم من أنها تملت

شيئاً — أن ترتفع بنفسها إلى حيث ارتفعت أنا ،

فأرادوا أن يسعروا
بالحكايات كما تروى في
الكتب ، ولكنهم لم
يفتح على واحد منهم
بابتداع حكاية مسلية .



عنه القسرية بقدم الاست وعبدالرحمن صديقي

كان ذلك في أوّل الصيف في قصر
باشيل ، والحريف مطير حزين ، والأوراق
المتناثرة ذابلة عمرة لا يسمع لها تقصف تحت الأقدام ،
بل تعطن في المكاء عذارج المجلات تحت شكايب
الديم الهطالة

ومضى الصيادون بقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم
بالبنادق وتقتياهم للأرانب ، وجملت الفسائيات
يكدون أذهانهم ويتقصين في ثناياها فلا يجدن
خيالاً يحياّل شهرزاد يسمعنهم بحكاية من أمثال

وكانت النابة وهي جرداء إلا قليلا تشبه
الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان

وكانت إحدى الفسائيات تبتث
خالية البال بيد عممتها المعجوز ،
وهي عانس لم تزوج ، فلاحظت
خائفاً صغيراً من شعرات شقراء
كثيراً ما وقع ناظرها عليه من
غير أن تفكر لحظة فيه



فسألها وهي تديره في
أسمعها بلطف : « ألا قلت لنا
يا عمى ما هذا الخاتم ؟ لكأنه
شعر غلام يانع . . . » . فاجاز

الدوح العالي يصفقه وابل المطر
شملتك رائحة مخمّة وهبوه ماء من
المشب المحضل والأرض الملتة
والصيادون حناة الظهور
يدبون تحت هذا الفريض الهتون ،
والسكلاب محزونة ذيلها مرسل ،
وشعرها ملتصق بأطالها ،
والفنائيات الصائدات في أبواب
الصوف المفصلة لاسقة مشربة
بالبلال ، وهم كل مساء يؤوبون من
الصيد أنضاء جسم وعقل أجمين

وجه العانس ثم اصفرّ ، وأجاب بصوت
منهدج : « إن الأمر محزن جداً ، محزن جداً ،
حتى لست أحب الكلام عنه . وكل ما في
حياتي من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت
في غرارة الشباب وقتئذ ، وما زالت تلرعى
الذكرى حتى ليغلبني البكاء كلما خطرت في نفسي

وفي البهو الكبير يسد العشاء يجتمعون إلى
لمبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة .
والريج في الخارج هبات مدوية تدفع في مضارب
الشبابيك المفلقة ، وتبتدر دوارات الهواء فوق
الأبراج فاذا هي من دوران كالخدروف المدوّم

القيمتان في القصر يجدان الأمر طبيعياً لطول ما قر الحب في تقاليد الأسرة . فالوضوح ما دام يحوره المشق قلبس فيه ما تكررته وتتمجبان منه . وإذا دار الحديث أمامها عن هوى قامت الموانع دون قضاء لياهاه ، أو عاشقين فسد ما بينهما أو وقائع الانتقام من الخيانة أو نقض العهد ، قالتا معاً في لهجة شجية : « له الله ! أو لها الله ! » لشد ما قد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبلغ » ثم لم تريدا على ذلك . وإلهما لثقان لما كسى الحب ، ولا تنقيان قلا على أحبابها ولو أجروا

إلا أنه في ذات خريف كان بين المدعوين للصيد شاب في عصفوان الشباب ، هو المسيو دي جراويل فاخطف الفتاة . وظل السيو سانتيز هادئاً كأن لم يحدث شيء . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقاً بمرقد السكالب وحى حوله

وقد مات ابنه مثل هذه الليلة في فندق بياريس في أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك بعده ولداً في الثانية عشرة وأرملة هي أخت أمي . وجاءت السيدة ومعهما الصغير للمقام عندنا بأرضنا في بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعاً —

ولا يسمعك أن تصوروها كيف كان هذا الصغير سانتيز مدحشاً بأكر النضوج قبل الأوان . وإله ليخيل إلى المرء أن جميع ملكات أسلانه من رقة عاطفة وسبجات نفس جائشة قد اجتمعت فيه وزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالاً يمشى وحيداً ساعات كاملة في ممشى رحيب بين أشجار الدردار تمتد من القصر إلى الغابة . وكنت أوقب من نافذتي هذا الصبي الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويدها خلف ظهره مطرقاً إلى الأرض ، وأحياناً يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان في سنه

فتلقهوا إلى سماع الخبر ، وأبت العمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت في آخر الأمر : « كثيراً ما سمعتموني أحدث عن أسرة سانتيز ، وقد انقرضت اليوم جميعاً ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الآخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان في الثلاثة عشرة من عمره حين انتحز من أحلى . لقد يبدو لكم الخبر غريباً ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا معشراً محبباً من المحابين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن محابين ظرفاء ، محابين غرام . فهم جميعاً — أباً عن جد — أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السبجات وإلى التفاني وفراط التحمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم مقام فرط التدين في بعض النفوس . وشستان في الطيبة والمزاج بين أهل العداة وبين رواد المجالس أوزار النساء . وكان يتردد في أوساطهم وبين ذوي رحمهم قولهم : « عاشق عشق بني سانتيز » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سيام . فسلكهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جفنة وعيناه واسعتان ينفذ شعاعهما في نفسك فيباليك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لذلك سبباً وكان جد التسلام — الذي رأيتم في أصبى تذكاره الوحيد — له مناصرات عدة ومبارزات وسبى واستباحة للحريم . وقد هام بمدى وهو في نحو الخامسة والستين بأبنة مؤاجر ضياعه . وإلى لأذكرها . وكانت شقراء شاحبة اللون ، حسنة السميت والشاردة ، تسلك منمتدة وفي صوتها لين وترطيب ، ونظرها جلوه غاية في الحلاوة كأنها نظرة العذراء في صور الرسامين . فأخذها السيد السكهل عنده ، وسرعان ما أصبح متبهاً بها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وأمرأة ابنه

وقطيعها ؛ وكان في بهض الأحيان يذق بيده مررداً :
« وأنا أيضاً ، وإني لأعلم بالحلب منهم جميعاً » . ثم
جمل يتجيب إلى متغزلاً في استحياء وحنان عميق
كانا متاراً للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان في كل
صباح يقطف لي جني الزهر ، وفي كل مساء قبل صعودي
إلى مقصورتي يلثم بدي هامساً : « أنا أهواك ! »
لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنب . وما زلت
على هذا نادمة باكية لا رفا لي دمع . وإني إني
التكفير عن هذا طيلة حياتي ، وقد بقيت بعده
غانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيبة المترملة ، أجل
أماله ، الأرملة . كنت أهو هذا الحب الصياني بل
كنت أحمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب
ذات الدل ، وكأني إلى جنب رجل الأعمى وأخاطبه .
لقد فقت هذا الغلام وولمته بجي . وكان الأمر
عندي لمباً ومعاينة ، وعند أبي وأمه تسلياً وترويحاً ..
لقد كانت سنة انتهي عشرة سنة ، فتأملوا من كان
ياخذ مأخذ الجد هذا الغرام القوي ! فكنت أقبله
ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل الدشق له وأقرئها
أبي وأمه قبله ؛ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ،
كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقداً
أن صلتنا الغرامية نرا مكتوماً ، وكيف لا وهو
يمتد نفسه رجلاً والأمر في عرفه الجد كل الجد .
وقد غالب عنا أنه من بني سائيز
ودامت الحال على هذا الدوال عاماً أو قرابة
عام . وفي ذات مساء ونحن في الروضة خرم جانباً
عند قديمي ولثم حاشية ثوبي في اندفاع الهتاج مررداً :
« أنا أهواك ، أهواك ، أنا مبيت في هواك . وإذا خنتني
في يوم من الأيام ، أساممة أنت — إذا هجرتني إلى
سواي فأني صانع مثلاً صنع أبي ... » وأردف في صوت
عميق يقشعر له البدن : « أنت عليم بما صنع ! »
ولما وجهت ولم أحر جواباً نهض وشب على
أطراف قدميه ليبلغ إلى أذني — وكنت أفرع منه



وكثيراً ما كان يدعوني للخروج بعد المشاء في
الليالي القمرية قائلاً : « هلمي يا ابنة الخالة نعمل .. »
فنمضي سواي إلى الروض . وكان يتوقف فجأة في
الفصوات بين تفاريج الشجر حيث تطفو تلك
الهبة البيضاء مثل نديف القطن يطن بها القمر
بجوات الغاب . ويقول لي وهو يشد على بدي :
« انظري إلى هذا ، انظري إلى هذا ؛ ولكنك
لا تفهميني ، إني لأحس ذلك . لو إنك تفهميني
لكنا سعداء . لا بد من الحب لمن شاء المعرفة » .
وكنت أنضح وأقبله ، أقبل هذا الصبي الذي يجبني
مستهلكاً في حبي . وكان أيضاً يسد المشاء كثيراً
ما يجلس على ركبتي أي قائلاً لها : « إبه يا خالة ،
قصي علينا شيئاً من قصص الحب » فتضح له أي على
سبيل الدعابة أساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لأبائه
من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منها الألوف
بعد الألوف من صحيفة ومفتراة . إن هؤلاء القوم
قد أضاعهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم
تغلكهم المرة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به
وكانت الصغير يهتر لهذه الحكايات لطيفها



نخيل إلى أنى رأيت ما رأيت كله في هذيان حلم
فقطيع . فغمغمت : « وهو ، هو ، جوتران ؟ » .
فلم يجبني أحد . إنها الحقيقة
ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة
طويلة من شعره الأشقر . وهذى ... هذى ...
ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القانط
المقطوع الزجاء وأخرجت مندليها ومخطات مرآت
ومسحت عينها اللامعتين واستأنفت تقول :
« ونقضت الخطوبة دون إبداء السبب ... وبقيت ...
بقيت طوال العمر ... أرملة ... أرملة هذا الصبي
ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها
وبكت طويلاً بدموع الذكرى

ولما انصرف الدعويون إلى حجراتهم للرقاد ،
مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه
إلى أذن جاره هامساً : « ألا ترى رقة الوجدان إلى
هذا الحد بلاء وشتر بلاء » . عبيد الرحمن صرقي

طولا -- ودعاني ياسي ، اسي الأول ، « جنشيف ! »
بنزعة حلوة جميلة رقيقة شملتني منها قشعريرة سرت
من فرحي إلى أخمص قدمي

— فغمغمت : « لنرجع ، لنرجع إلى الدار » . فلم ينس
بكلمة وسار في أثرى ، فلما همنا بصعود درج السلم
استوقفتني : « أنصرفين ، إذا هجرتني فأنى قاتل نفسي »
فملت هذه المرة أنني تعادبت حيث لا يجب
العمادى وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات
يوم يمتب على أجبته : « أنت اليوم أكبر من عبث
للزاح وأصغر من جد الحب . وإنى فى الانتظار » .
وحسبني بهذا قد أبرأت ذمتي

وفى الخريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية .
فلما عاد فى الصيف التالى كنت مخطوبة . فأدرك الأمر
فى الحال ، والترم مدى ثمانية أيام هيئة للفكر الفارق فى
التفكير . فأهمنى ذلك وساورنى منه قلق شديد
وفى صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نوى
فوقعت عيناي على رقة صغيرة مرسوسة من تحت
الباب . ففتناوتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد
هجرتنى ، وأنت تملين ما قلته لك . لقد قضيت
فى الموت . وإنى لأحب ألا يمر فى أحد غيرك ،
فتعالى إلى الروض فى نفس الموضع الذى قلت لك
فيه أنى أهواك ونطلى فى الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسريت بارتداء ثيابي
وهرولت على عمل أجرى وأجرى وأكاد أتساقط
إعياء إلى السكان الملعين . وإذا قبعته الصغيرة المدرسية
ملقاة على الأرض فى الوحل ، فقد كانت الليلة
مطيرة . ورففت طرقي فأبصرت شيئاً معلقاً يترجع
بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة
ولا أدري بعد ذلك ما صنعت . لقد صرخت
أول الأمر ولا زوب ، ولعاني سقطة بعدها منشكاً
على ، ثم عدت هائعة على وجهي إلى القصر .
وثبت إلى الرشد فى فراشي وأبى إلى جانبي

الملك في الحب

للكاتب الفرنسي بلزاك
بقلم الاستاذ محمود الخفيف

وكان أنجلو فقير الحال؛ ولقد ذاق هذا النحات الفذ آلام الفاقة، وخبر شقاء العيش، وأدرك مبلغ ما يرضه الفقر في طريق الحياة من صعاب وعوائق؛ عاش عيشة ضنكا، بقنع باليسير من الطعام، ويحتج من إعوازه وإملاقه، ولا يستغل مواهبه إلا في أشد حالات اليأس؛ وكما كان يود أن تتاح له الحياة الهادئة الساكنة التي يصبها أحسن حياة لهؤلاء الذين تمثل رؤوسهم.

أنى ذلك الايطالى الحبي ذات يوم إلى الحاشية في أحسن حاله؛ ولقد عقد حياء الشباب لسانه كما حال سوء طالعته دون أن يسأل الملك أجر عمله. ولما رأى الملك من هندامه ما رأى ظنه رائفها ناعما لا يميزه شئ. ولقد اعتاد رجال الحاشية كما اعتادت الأوانس أن يظهروا لإعجابهم بسحر بنانه، كما كانوا ينجبون بشخصه. ولكنه مع ذلك كان لا يصل إلى يده شئ من المال.

وكان الجميع، وعلى الأخص النساء، رونه غنيا بما وهبته الطبيعة من سمات الجمال. من أجل ذلك حسبوه بشباهه وشعره الطويل الفاحم وعينيه اللامعتين من ذوى التراء؛ ولم يحط لهم الكسب في بال، بينما هم يفكرون في تلك الأشياء وفيما وراءها. ولقد كانوا في زعمهم محقين، إذ طالما أُنحِت مثل هاتيك الصفات للكثيرين من سفلة الحاشية أن

عندما اعترم الملك هنرى الثامن تزيين قلعة «امبواز»، جاب إلى تلك القلعة عددا من مهرة الصناع، فن مشاهير النحاتين إلى أساطين النقش والزخرفة إلى غير هؤلاء وهؤلاء من أعظم الفنانين ورجال المارة؛ ولقد زين هؤلاء ردهات القلعة بآيات فنونهم، بيد أن الاهمال قد شوه ما أبدعت أيديهم من زمان بعيد.

وكان ذلك العمل يومئذ حديث الحاشية وشغلها إذ كان الملك كما هو معروف، يهتم بأن يرى بنفسه مبلغ ما محمود به قراع هؤلاء الرجال.

وكان بين هؤلاء الفنانين شاب إيطالى يدعى أنجلو كابارا؛ وهو رجل مشهور للقام، وثيق الكفاءة، حتى لقد كان على الرغم من حداثة سنه يبدؤأقرانه جميعا في النحت والحفر. ولقد دهش الناس يومئذ أن رأوا رجلا مثله في ربيع حياته الباكر، يصل إلى مثل ما وصل إليه من نبوغ. حقا كان ذلك عجبا، إذ لم يكن يبدو على محيا ذلك البائع إلا اليسير من تلك الشعرات التي تشير في الرجال إلى اكتمال رجولتهم واستوائهم.

ملك هذا الفتى الايطالى قلوب الأوانس وشغفهن حبا، إذ كن برننه جيلا ساحرا كالعلم كما كن يرمقنه حزنا كاسفا كالطائر الجليل ثوى في عشه يندب موت إلفه.

عمله هذا من الحقيقة بقدر ما في خيال السجين وهو يتمطى بحسده على العشب الأخضر الذي يترامى لعينه خلال قضبان سجنه ؛ وفي لحظة عنائه يطلب إليها الصفح والغفرة ، ثم يذهله عن نفسه حدة شعوره ، فيغم من عناق خليلته حتى ليوشك أن يقطع عليها أنفاسها ، وينقلب على الرغم من تحشمه ووفاره جريئاً لهجاً ، فيعض بأسنانه طرف فراشه في حدة وانفعال باحثاً عن فتاته الخيالية ؛ وهكذا يرى نفسه شجاعاً في عزائه ، بينما تراه يستولى عليه الخجل في غده إذا سر في طريقة باحدى الفتيات ؛ على أن تلك الأحلام الجيلة : أحلام الحب كثيرا ما كانت تحوزه إلى العمل فيقبل على منجته فيصور به وجوها جميلة ، وبرز صدوراً ناعمة ، عليها من فاكهة الحب ما يتحلب لمرآها رقيق الناظرين ، هذا فضاء سما كان يله خياله من فنون الجمال وصوره . وكان النسوة يبدلين بآرائهن عن تلك الآثار وهن مأخوذات بجمال مبدعها كابارا النقي . وكان كابارا يجدهن من أعلى إلى أسفل ، وهو يقسم جهد أمانه لئن مدت إحداهن إليه أصابعها مررة ليقبلها ، ليصلن منها إلى ما تشتهي نفسه وجاءه ذات يوم إحدى أولئك النسوة المذلات بسمو درجتهن ؛ جاءت بمفردها تسأل الشاب الايطالي ماذا يخطله ، وتستفهمه ألا تستطيع واحدة من نساء البلاط أن تجمل منه حديثاً تجالس ورجل « صالونات » ، ثم دعت في رقة وظرف إلى أن يزورها في بهوها تلك الليلة .

ورش أنجلو على جسده ما وسمه من العطور واشترى قبعة من القطيفة بطرزاها شريط مزودج من الحرير ، كما استعان من صديق له عباءة واسعة الردين ، وحلة تربتها الخويط ، وسروالاً من الحرير ، وأخذ سبيله إلى منزل مضيقته ؛ وصعد السلم بقدمين

ينموا بالصنيع الواسمة والمال والجاه . وكان أنجلو على الرغم من مظهره الذي أفاضه عليه شبابه ، لا يتجاوز العشرين من سنى حياته ، ولم يك على تلك حدائته غراً ؛ وكان كبير الدواء ، يعتلي رأسه بالشعر ، وفضلاً عن ذلك كان من ذوي الخيال البالغ سمو . ومع أنه كان قليل الثقة بنفسه شأنه في ذلك شأن غيره من مساكن الناس وتساكنهم ، كان يدهش لنجاح الأغفال الجهلاء . ولقد كان يتوهم أنه قد ركب في فطرته بعض الخطأ ، فهو تأنص إما في جسمه أو في عقله . على أنه أسر تلك الأفكار في نفسه ؛ كلا ! بل لقد كان يشكو حاله في ضوء النجوم إلى الأطلاف الحامئة وإلى يارى السموات ، وإلى الشيطان ، وإلى كل ما يحيط به !

كان في مثل تلك اللحظات مرض الألم نفسه أن حباه القدر مثل ذلك القلب التوقد الذي ما كان يشك أن النساء يتقينه كما يتقن قطعة الحديد الحماة ؛ ولكنه كان يقول في نفسه إن هذا القلب هو الذي يعرف الحب حقاً ، فإذا ما أحب غادة فأى حب ذلك الذي كان يفيضه قلبه ؛ وأى إعزاز ذلك الذي كان يحيطها به طول حياته ؛ وأى إخلاص ذلك الذي كان يربط شخصه بشخصه ؛ أجل ! لو أتيح له الحب ، فإنه يخدم حبيبة نفسه بكل ما علك من عاطفة ، ويكون أبداً رهن إشارتها ، يبتكر من دواحي السرور وأساليب التسلية ما يدفع به ما عساه أن يعمده المم حولها من سحب خفيفة ، أيام يفتش السماء سواد الغمام .

كان يعتل له خياله أحياناً فتاة يجعلها مهوى فؤاده ، فيروح يلقي في أنفيل نفسه على قدمها ، ثم يضمها إليه ويطلع على وجنتها من القبلات ماشاء له الهوى ويطوى بمساعدته خصرها ؛ وفي

خفية تبين بلع الأمل في مقبليه ، ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه ، وقد كان يشب في صدره ويخفق في عذف وسرعة ! كذلك كان يتساقط المرقع على ظهره كانت السيدة وافة الحظ من الجمال ، وكان كابارا لا ريب يقطن إلى ذلك ، فهو في فنه ملم بتكوين الذراعين ، خبير بما يجد الجسد ويبرز جماله ، علم بما يحيط بالأنثى من سر يذيع في جسدها السحر ، إلى غير ذلك من خفايا الجمال وخيئاته . ولقد رأى صاحبه ترضى بتكوينها أدق قواعد الفن ؛ وفصلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها ، كان لها صوت تضطرب له النفس من أحماقها ، صوت يضرم جذوة القلب ، والعقل وجميع الحواس . وجملة القول لقد كانت تلك الغادة تبتعث بجمالها في خيال المرء من أطباى الحب الساحرة مالا تفكر هي فيه ؛ وتلك هي خاصة أولئك النسوة اللامعيات !

وجدها النحات جالسة على مقعدها إلى جانب الموقد ، ومرعان ما بدأت الحديث في سر ، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جوابا غير لا أو نعم . خذلته حنجرته فلم تقو على لفظ ، وخانه عقله فلم يجد بفكرة ؛ وظل يجمع نفسه بإطالة النظر إلى تلك الحسناء والاسماء إلى صوتها ، تلك السعادة التي ما كان يحجم عن شرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد ! وكانت صاحبه تلعب أمام عينيه كالفراشة الجلية في ضوء الشمس . وعند منتصف الليل غادر البهجات الصغير المنزل تشبع بالسعادة نفسه ؛ ذلك أنه في أعجابه الصامت قد أتى نفسه وعشيقته يسلكان في هون طريق الحب الزاهر

ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه ، وقد كان يشب في صدره ويخفق في عذف وسرعة ! كذلك كان يتساقط المرقع على ظهره كانت السيدة وافة الحظ من الجمال ، وكان كابارا لا ريب يقطن إلى ذلك ، فهو في فنه ملم بتكوين الذراعين ، خبير بما يجد الجسد ويبرز جماله ، علم بما يحيط بالأنثى من سر يذيع في جسدها السحر ، إلى غير ذلك من خفايا الجمال وخيئاته . ولقد رأى صاحبه ترضى بتكوينها أدق قواعد الفن ؛ وفصلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها ، كان لها صوت تضطرب له النفس من أحماقها ، صوت يضرم جذوة القلب ، والعقل وجميع الحواس . وجملة القول لقد كانت تلك الغادة تبتعث بجمالها في خيال المرء من أطباى الحب الساحرة مالا تفكر هي فيه ؛ وتلك هي خاصة أولئك النسوة اللامعيات !

ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه ، وقد كان يشب في صدره ويخفق في عذف وسرعة ! كذلك كان يتساقط المرقع على ظهره كانت السيدة وافة الحظ من الجمال ، وكان كابارا لا ريب يقطن إلى ذلك ، فهو في فنه ملم بتكوين الذراعين ، خبير بما يجد الجسد ويبرز جماله ، علم بما يحيط بالأنثى من سر يذيع في جسدها السحر ، إلى غير ذلك من خفايا الجمال وخيئاته . ولقد رأى صاحبه ترضى بتكوينها أدق قواعد الفن ؛ وفصلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها ، كان لها صوت تضطرب له النفس من أحماقها ، صوت يضرم جذوة القلب ، والعقل وجميع الحواس . وجملة القول لقد كانت تلك الغادة تبتعث بجمالها في خيال المرء من أطباى الحب الساحرة مالا تفكر هي فيه ؛ وتلك هي خاصة أولئك النسوة اللامعيات !

ساعتئذ ذلك السيد من لمبة التنس؛ وخرج النحات
تشيعة غادته بنظرة حارة، إذ بوغنت ساعة نشوتها؛
وظل نصيب الفتى الإيطالى من عشيقته على
هذا النحو لا يتغير زهاء شهر؛ لا يكاد يصل إلى
حافة ما يريد حتى يحضر الزوج. وكان حضوره
أبداً في تلك اللحظة التى تقع بين المنع وبين الملاحظة
التي تعقبه، ويريد بها النساء أن يلفطن من وقع
إلهن، وهن بذلك إنما يجددن الحب ويزدنه قوة
على قوة؛
وأخيراً فقد صبر ذلك الفتى، فأراد ذات ليلة
أن يختصر الطريق إلى غايته، فتخطى إليها ضروب
اللزقة في جرأة وسرعة لئيم له الظفر قبل مباحثته،
ولسكن غادته وقد قرأت في عينيه ما انتوى
لتنكرت له بعض التنكر والتوت عليه بعض
اللائواء؛ أخذت أول الأمر تظلمه بالغيرة لئيم
السبيل للظمن في الحب وإعلان سخطها عليه؛ ثم
عادت فأطفأت قليلاً من غضب صاحبها بندى قبله؛
واستأنثرت بعد ذلك بالكلام، وراحت تؤنب
عشيقتها وتلمن إليه أنها تحب ممن تهواه أن يكون
خيراً وأن يظلم مطلقاً لمشيقتها، وإلا فلن تضع
بين يديه حياتها وروحها؛ كما راحت تقمه أن
رغبته في نيل وطره تدل على أنه ينظر إلى الحب
نظرة وضعية شأ أسرها قرباناً. ولذلك ترى
نفسها أكثر شجاعة منه، لأنها وقد أحبتة أكثر
مما يحبها قد نخت أكثر مما يضحي. وكانت
تجيب على اعتراضاته بقولها: «لزم الصمت أيها
السيد»؛ تلتقيها في لهجة اللسكة ومظهرها. وفي
بعض الأحيان كانت تقابل ترويع كابرار ولومه بنظرة
غاضبة، إلى أن صارحته قائلة: «إن لم ترع نفسك
على أن تكون كما أحب، فلن أبكي بيدي اليوم»
ورأى الإيطالى أن حبها لم يكن حياً نبيلاً؛
وإنما كان حباً لا يستمتع به الماشق، كالالبخيل

لا يستمتع به وإن فاضت به خرائثه؛ ورأى تلك
السيدة تلمو بأن ندعه حول السباح يثب ويقفز
هنا وهناك ويمتد نفسه مالاك كل شيء، إلا أن
يقرب من حديقة الحب
بلغ من حنق كابرار ما صار إليه أمره أن
أصبح وحشياً لا يحجم عن قتل أى إنسان؛ ولذلك
جمع بعض من يثق بهم من رفاقه، ووكّل إليهم
مهاجمة الزوج وهو في طريقه إلى منزله، بعد أن
يفرغ من لعب التنس مع الملك. وانطلق إلى غادته
في تلك الساعة التى يحلوقها لقاء الماشقين وتغليب
المنازلة والمداعبة. ولقد كان حظه من ذلك وافرأ
تلك الليلة، لم يدع وسيلة من وسائل الهو والزاح
إلا أداها في حماسة وأناة. أجل، لم يحرم سوى
تلك اللذة التى يتجاشى الكتاب عادة ذكرها،
لما يرونه من شناعة أسرها. واتجه المجلو إلى
خيلته على حين غفلة قائلاً لها:
«يا غادى الغائنة، أتحبيننى أكثر مما تحبين
أى شيء؟»
ولما كانت الكلمات لا تكفها شيئاً أجابت
قائلة: «نعم» فقال:
- «هذا حسن، إذن فلتكونى لى فعلاً كما
أنت لى قولاً» فقالت له:
- «ولسكن زوجى عائد بعد برهة» فقال:
- «أذلك هو السبب الوحيد؟» فقالت:
- «نعم» فقال لها:
- «قد وضعت في الطريق بعض أصدقائى،
وسيمترضونه ولا يطلقونه حتى أغادر المنزل وأرفع
شملة في هذه النافذة؛ فإذا رجع إلى الملك شكواهم
فسيدافعون عن ذنبهم بأنهم حسبوا أنفسهم
بمازحون صديقاً من طبقتهم»
- «آه يا عزيزى! دعنى أنا كد من أن
كل إنسان هنا نائم في مضجعه»

البلاط ، يا صاحبة القلب الشقي ... إنك إذن تحبين وجهك أكثر مما تحبين عشيقك »

عندئذ شاعت في وجهها الصفرة ، ورفعت ذلك الوجه ، وفطنت في تلك اللحظة إلى أن مكرها قد أفسد عليها حبا . أما أنجلو فقد خش خدها

بسيقه وفر هاربا من المدينة كلها . ودخل الزوج فأنقذ امرأته وقد نال خدها الأيسر ماله ، ولكنها لم تنبس بكلمة على الرغم مما كانت تنأى من ألم . لقد أحببت كابارا أكثر مما تحب الحياة نفسها ؛ ولكن الزوج أصر على أن يعرف من فعل هذا امرأته . وانجوه نظره إلى كابارا ، وقد حامت الشبهة حوله ، فرفع أمره إلى الملك ، وأمر الملك فجبا بذلك الايطالى وسبق إلى الاعدام في « بلوا »

وفي غداة اليوم الذى عين لتنفيذ الحكم تقدمت سيدة نبيلة ، وقد حفرت بها رغبة شديدة إلى محاولة انتقاذ ذلك الشجاع الذى رأت فيه عاشقا كأفضل وأكل ما يكون الماشق . توسلت تلك السيدة إلى الملك أن يهبه لها ، فقبل توسلتها في غير عناء . ولكن كابارا أعلن أنه لن يعرف امرأة ، ولن يدين لامرأة غير تلك السيدة التى تيمته . ولذلك رأى أن يلتحق بالكنيسة ، ومن ثم أصبح كاردينا لا وعالما من كبار العلماء . واعتاد أن يقول في شيخوخته إنه عاش ماعاش من سنى حياته على ذكرى تلك اللذات التى ذاقها فى ساعات نزوانه ، إذ كان باقى على يدى غادته أحسن ضروب اللامالة وأسوأها معا . على أن هناك من يقولون إنه لم يلتحق بالكنيسة وأنه نجح بعد ذلك فى تهئية حياة هادئة مرضية مع تلك التى ملكست قلبه . ولكنى لا أصدق هذا القول ، لأن كابارا كان رجل عاطفة يعرف حق المعرفة قوانين الحب المقدسة

الخفيف

ثم نهضت فأمرعت إلى النافذة ورفعت يدها الشملة ؛ ولكن كابارا لم يكدر زيارها فعمل ذلك حتى وثب فاطفاها ، واستل سيفه . وواجه تلك المرأة التى تبين فى عيناها روح الازدراء وخبت النية وقال :

« لست أريد قتلك أيها السيدة ، ولكنى أريد أن أشوه جمال هذا الوجه ، بحيث لا نستطيعين بعد ذلك أن نعلمي بأفئدة هؤلاء الفتيان الذين تضعين حياتهم . لقد عملت على خديمتي بأساليب مخجلة ، وتبين لي أنك امرأة لا تعرف معنى الاحترام . يجب أن تعلمي أن القبل لا تنقع غلة عاشق ، وأن الفم الذى ذاق طعم القبل لا ينفك يطلب ما بعدها . لقد كنت سيبكا فى شقائى ، وستظل حياتى أبدا بعد اليوم تمسمة مظلمة ، والأآن أريد أن أجهلك تنذركم إلى الأبد موتى ، ذلك الموت الذى هيات أنت أسبابه . سوف لا تقفين بعد ذلك أمام المرأة اللاترىن وجهي إلى جانب وجهك »

رفع بالسيف يده ليقطع به صفحة خدها النضر ، ذلك الحذ الذى مازال يحمل آثار قبلاته ، فصاحت المرأة قائلة : « تبالك من شقي ! » فقال لها : « كفى عن الكلام ... لقد أخبرتني أنك تحبيننى أكثر مما تحبين أى شيء ، والأآن تحبيننى بمحدث آخر ... ظلت ترقميننى كل ليلة درجة نحو السماء ، حتى رأيتك تلقيننى بضربة واحدة فى الجحيم ، وتظنين أن يبابك يحول بينك وبين نعمة عاشق غاضب ... كلا ! »

وأجابت العادة وقد استولى عليها الدهش لرأى ذلك الماشق الذى يلهب غضبا قائلة :

« آه ! أنجلو ! حبيب قلبي ! إني لك . » ولكنه تراجع إلى الوراء ثلاث خطوات ، وأجابها بقوله : « أيها المرأة ... أنت يا امرأة

من أدب لطيف

عشيرة...

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وقالت وهي تبسم في رقة وقد
 طرحت وراءها كل تمكاته :
 « أنصرف .. سالفتي ...
 سالفتي القانوني الشاب ؟
 إن أمه كانت هنا اليوم ؟
 أفهمت ما أعني ... ؟ »
 فقاطعه الزوج في جفاء
 وقال : « لا ، أنا لأعرفه »

« إنك تذكره تماما ! القانوني الشاب ! إنه
 يبدو أنيقا رقيقا ! »
 « أما لا أذكره »
 وفي الحق لقد كان يسبزو يعرف الشاب ،
 ولكن أي قوة على الأرض تستطيع أن تنزع من
 بين شفتي هذا العنيد اعترافا ؟

فقال الزوج في رقة : « لا بأس فانا متوقعة
 بأنك ستذكره حين تراه . لقد أنهت أمه في وصف
 ابتنا إيلينا بصفات الجلال والسكال والزفة والأنونة
 و... ثم راحت تطلبها زوجا لابنها الشاب في رجاء
 واستعطاف فوافقت ، وسبزو كزوجها بعد ... »
 « وافقت ؟ أحقا ما تقولين ؟ »

وصاحت المرأة : « بيتر ! أي زواج خير من
 هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ... »

وانتفض الرجل كمن منه طائف من الشيطان
 يردويزأر هائجا مضطربا « وكيف ؟ وكيف ؟
 استطاعت الفتاة أن تغرم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟
 أريد أن أعرف ... وأنت ... أنت التي لا تعرفين
 معنى الأمومة ، كيف تركت لها العنان لتندفع في
 طريقها طائشة ؟ هيه ! نعم ! لقد سمحت لابنتك
 أن تحب رجلا لا أعرفه ! لها ما ترسل أيضا ! وأملك
 كفت واسطة بينهما ! لقد تمت القصة وعلى عبي
 ستار كذيف أسود !

كان جالسا في حجرة اللطالة الى نضد بجوار
 النافذة شارد اللب ، مشتت الخاطر ، يحدق في
 الفضاء الترابي أمامه لا يثبت شيئا ولا يحققه ،
 وقد اضطربت في رأسه خواطر .. خواطر سوداء
 يريد أن يطردها عما ينفثه من دخان سجايره . كان
 كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب « بيتر
 بيتر ! أنت متطيع الدخول ؟ » ثم .. ثم دقت الباب
 في رفق وهي تقول : « أرجو أن تمرى بسمك
 قليلا ، سأقص عليك خبرا هاما » وتقدمت في
 هدوء وهي تلوح بمندبها تطرد به سحب الدخان
 المنكافئة هنا وهناك : لقد أفرطت في التدخين يا بيتر ،
 وهو يهد من كيانك . لماذا تجلس صامتا في الظلام ؟
 وكان نوبها الحريى الجليل يحف حفيفا خفيفا ،
 وقرطها الماسي يشع نورا ، وكانت هي تبدو أنيقة
 جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر الى زوجته
 وهو يسم في تسك ويقول : « لماذا ربت شمر كمثل
 ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفتاها
 وقالت : « إن شمري لا يلبث أن يشمت ، ولكن
 لا بد للمرء أن يبدو أنيقا حين ينتظر قدوم الزائر » ،
 وفي لهجة السخرية قال : « حقا . إن هذا اليوم عظيم .
 إن الدواقيس لا تنفك ترن رنينها الغذب ... »
 واقتربت الزوجة رويدا رويدا من زوجها

في أمر - وساد سميت رهيب حين علم الجمع أن أعصاب الأب تضطرب ، فأمسك فرنسكو عن العزف على البيان ، وتركت لوشيانا لعبتها ، وضعت يمينو الصغير عن استدكار دروسه ، حتى الخادم السكينة ، خفت من وطئها وهي تعد المائدة للترجيع سيندها ...

وعلى المائدة جلس الجميع في سكون ، وبدت إيلينا قلقة جزئة ، وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة في يدها فسقطت ، وفي سذاجة الطفل انتفطها يمينو وهو يديس ، ثم انفجر ضاحكا ، وضحكت لوشيانا ، ثم فرنسكو ، حتى

الأم الحزينة افتر ثمرها عن ابتسامة خفيفة . وعاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يخدم هذه الزوجة في خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيها بتطارشواظ بقصد وقال : « أعدى ملابسي ، سأسافر غداً إلى قربتنا ... قربتنا فالكو نيتو » ،

وذعرت الزوجة وتردد نظرها حائراً بين الزوج الحق وبين الفتاة وهي تتلقى الصدمة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فاطرقوا في جزن إلا يمينو الصغير ، فقد لمت عيناه بالفرح ... فرح التلميذ الصغير ينتظر الأجازة ... فأشار إليه الأب :

« أمسرور أنت لأنني ذاهب ... ؟ » فارتعد الطفل وقال : « لا ، لا ، لا أي ، حقاً لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له في صوت ضعيف : « أتعود قريباً ؟ لا بد أن تفكر في هذا الأمر » فقال : « أي أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا !

إن ذهابك معناه الرقص والتحدث معاً . إن سعادة ابنك فوق كل عمل في فالكو نيتو » ولكنه كان في ثورته يبدو عنيداً فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر في الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظيماً ! »

لم يكن العمل هو الذي دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التي

واضطربت المرأة ، وخارت قوتها ، وطار عنها ثيابها ، فغطت وجهها بيديها تحمي بعض خجلها ، ونسترد ضمتها النسوى للنسك من عينيها ، ثم راحت تنزع السكاك من بين شفتيها انتراعاً : « لا لا يا بيترو ، لقد ظننت أني أحمل إليك بشرى ، لماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا انترفنا ، وأي غرابة في ذلك ؟ شابان راق كل منهما في نظر صاحبه فتلقى أحدهما الآخر وأحبته ، وبأدله الآخر حباً بحب وغراماً بغرام ، أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم ... »

وكان الرجل ظالماً ، وبدا في جلسته مهموماً مضطرباً ، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبيل ، وكانت أفكاره تضطرب اضطراباً ، وأحس كأنما يعاني ألماً مضاعفاً ، وحين كبج جراح غضبه ارتد هذا في جسمه فتورراً واستتخذه ، واستيقظ ضميره يهزّه وخزات شديدة تؤله ، كما ألتته أعصابه المضطربة من قبل . نعم لقد أحب سليليا وهام بها ، فسي إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم ... ثم فاز بها بعد طويل عناء . إنها قصة غرام قديم ... قديم منذ نصف وعشرين سنة ؟ ولكن الحقيقة لاهم ، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليليا قد انقضى منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن جاوز السبعين ؛ أما قلبه فما برح شاباً يؤمن بالحب ، ويحبوه بما في رأسه ويده معاً ، لذلك ... لذلك كان الرجل ظالماً

وحين تراءى له في خياله كل ذلك تقارظته الموعوم فصاح : « سليليا ، أعصاني ... دعي هذا الأمر الآن ... » وكفكت المرأة عبرات الحمية في سمعت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كثيفة تمجدها الحديث كله ، وتقف في طريقها إلى أبيها التائر خشية أن يقع

شيء ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ماذا جنت زوجته وهي رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيبة ؟ وماذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو المحفوة المدينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ماذا فى هذه الأعصاب الغائية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام فى هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هي النهاية ... !

وطلت أيام الشباب فى خياله تذكره قصة الماضي .. فرأى أسرته جميعاً تنهد فرحاً من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك الأعصاب الظالملة التى وقفت سداً منيعاً فى سبيل زواج كبرى بناته ، والتى أرغمت الصغرى على أن تتخذ مخاراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكبر أبنائه من الدار لا يملك صديقاً يسد به الرق ، وبيترو .. وبيترو نفسه قاسى ويلات ما منته به هذه الأعصاب الظالملة . لقد كانوا يكرهون الأب ويعتقونه ، لسأرون فيه من الظلم والأنانية ، وكان بيترو نفسه يقول : « آه ، لو أنى لولدا فقصوت عليه مثل هذا خلقت نفسى يدي هاتين ... » أما الآن ... أما الآن فقد تركى له ما يضطرب فى خواطر أبنائه هو جميعاً ، وأحس بما يضررون له من اللفت والكراهية ...

ليتة يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعاً حادثاً رقيقاً وشغلته الفكرة وتصرمت أيام .

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرؤ على الجيء ، ولكن ... أنت مريض ... أنت مريض حقاً » ثم راحت تبكى فى صمت وكان هذا الصراخ النفسانى قد أنهك الرجل

فيه هي التى أرادت على أن يسىء الى أهله ... وصاحت الزوجة : « بيترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لا يلقى على شيء حتى إذا كان لدى الباب التفت الى ورائه فرأى ... رأى أبنائه فى إطرار حزين ، وصمت مؤلم ، وواهم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « رأيت ... رأيت أمرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أذلاء »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج فى طريقه الى القرية

جلس بيترو وحيداً لإزاء الدفأة فى بيت قدم له بالقرية ، وخياله عند الجماعة الذين خلفهم هناك فى المدينة ؛ وبدت نفسه رقيقاً له يحدته : « كأنى أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمفتبطة أنت يا إيلينا ؟ فتتطوى الابنة على عم ، ونفسها تضطرم أسى ولوعة . وكأنى بالأولاد من حولها يحرحون ويقولون : ما أجل المكان حين ترتفع عنه هو ... هذا الكابوس هذا الكابوس هو أنت ... أنت الذى لا يبك أحد ، ولا يسر لمراك طفلاً ... أنت الشبح الخفيف ... انهم يكرهونك ويعتقونك ... عجيب هذا ؟ كيف مررت الأيام وأنت تورث الفكرة فى أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولكنه كان هادئاً يستطيع أن يشعر نفسه الأخطاء التى ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بعيني عقله ثمار القسوة والغلظة وهى مرة كريمة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة فلسفية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان الى عهد قريب هادئ الطبع ، حل الشئائل ، رقيق الماطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لس هو الظلام فى كل

قال الرجل : « إن كل من في الحياة يحمل تسطه من التائب والأحزان ، وفي كل دار عدوها ؛ قافلة الرذيلة والسقوط كل أولئك أعداء ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو .. هو أنا .. هذا ما أعرفه وأوقن به ، وليس لي من العزم ما أستطيع أن أخرج عن طبيعته هذا ... عن قسوتي وغلظتي ، ولا أريد أن أبدى في أنساق غراس المداوة والبغضاء لي ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى داري ... لن أرجع ... لن أرجع حتى أبرأ »

وبدا لعيني المرأة مراد زوجها ، ووضح لها ما يريد ؛ فقالت في عطف وشفقة : « سأبعث إليك بفرنسكو أو سالفيتي فهو فصيح اللسان قوي الحجج ... »

وراحت نوعه في حرارة وشوق وقد أشرق في نفسها تاريخ السمادة الأولى حين شبها جبينين ، وهي تقول : وسأرسل فرنسكو يا بيترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شيء ؛ لأنك أبوه ؛ ثم صمدت إلى القطار

ورجع الزوج بشاقل كأعما يحمل على ظهره حملاً ثقيلًا ، وتراءى له ابنه الأكبر في الخيال يستطفه ويرجوه ويبحثو عند قدميه يسكن ويسكن ... فيصير هو ، فيلين ، فيليبي ... ثم يرجع ويرجع معه العدو الذي فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء . أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، في خطوة ... خطوة واحدة يتقدمها في ثبات وعزم ، فأغمض عينيه وسار ...

وخرج فرنسكو ليعود بأبيه فإعاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه النبأ المفزع ... موت أبيه لامل محمد هيب

فهو ذابل ذوا صاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال في لطف : « علام تبكين ؟ هل الأسرة بخير ؟ » قالت : « وأنت . أنت .. يجب أن تعود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود .. أعود إكراماً لأبيلينا ، يجب ... ولكنني أجِد الراحة واللذة هنا ، وعندى هنا ما يشغلني . يجب ... لأن إيلينا .. سأكتب إليها . »

وكتب :

ابنتي العزيزة ؛ أنا أوافق على زواجك من السنيور سالفيتي ، لك تمنياتي الطيبة وحبي الطاهر « أبوك »
وناول الزوجة الورقة وهو يقول : « أفي هذا ما يكفي ؟ .. »

قالت « كفي .. ولكن بيترو ، ماذا وراء الباقي ؟ . الجهاز . الناس . الزفاف .. لا يمكن أن ترفض ! »

وتفاوض الرجل عن حديثها حيناً ثم نظر إليها وهو يقول : « إن القطار يتحرك في الساعة الثالثة تماماً »

« وأنت ؟ .. »

« سأرافقك إلى المحطة »

وانطلقا جنباً إلى جنب وذراعاً في ذراع ، والزوجة تقول : « تعال معي يا بيترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غراس الشقاء بفراقك ! » فقال الرجل في هدوء : « سأظل هنا ما بقي لي من العمر لأتبعكم تشقون بي ، سأعيش هنا ... »
— « وحيداً ! »

— « نعم ، هنا ، انني أريدكم هاتين سمداً »

— « وكيف ... كيف نكون سمداً وأنت هنا ونحن هناك ؛ يتأى وأرمله ؟ »
ثم راحت تندب حظها الأسود المآثر .



محوليات

أو هيلويز الجديدة

لجان جاك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

الرسالة الثانية

الى جوليا

ليتك تلمين بما يشعرنى هذا الفتور من لوعة القلب ؛ إذن لعرفت أننى جوزيت شر الجزاء وعوقبت أشد العقوبة . آه ! لو أنى رجعة إلى الماضى فأحول بينك وبين تلك الرسالة المشنومة ! فأنى لو لم أكتب الأولى لما كتبت الثانية ؛ ولولم أضطر إلى كتابة هذه الرسالة لكنت بنجوة من مظنة الاساءة إليك مرة أخرى . إني أريد أن أصلح خطاى لأن أضاعفه . أيتبنى أن أقول إن نفسى أركبني الفرور وموّهت على الباطل حتى أمرى من غضبك ؟ أيتبنى أن أحتج لنفسي بأن ما أحل لك في قلبي هوشى غير الحب ؟ أنا ؟ أجتري هذه الجراءة ، وأفتري هذه الفرية ؟ وهل الكذب الفاجر خليف بالقلب الذى تملكينه وتمعمرينه ؟ لتكن عاقبة جرائى أن أكون بانسا إذا لم يكن من ذلك بد ، ذلك أولى من أن أكون بسببها كاذباً أو جباناً ، فإن الجناية التى اجتريتها قلبى لا يتبنى أن يحجبها قلبى أنا أشمر سلفاً بفداحة غضبك ، ولكنى

ما كان أشد حنى وزق في رسالتى الأولى يا أنسى ! لقد كنت أرجو أن أنفس بها عن صدري المكطوم وقلبي المهوم ، فإذا بي أعرض نفسى من جرائها لسخطك ؛ وأشق الأمور كلها على أن أفعل ما بغضبك أو مالا يجيبك . إن سكوتك وتثورك وانقباضك هى الدلائل النذرة بالصيبة ؛ وإذا كنت قد أجبت بعض رجائى ، فذلك لأنه أبلغ في عفاى وجزائى . فأنك « حين جعلك الحب واعية بقطة ، سترت شمرك الأشقر وحجبت فيك نظراتك العذبة »^(١)

لقد كففت أمام الناس عن تبسطك البرى الذى جملى الجنون على الشكوى منه ، ولكنك ازددت قسوة على فيما بينى وبينك ، فتصادت شدتك اللبقة في أقبالك وصدودك

(١) من شعر ميثايت

بؤساً أن أسألك إياه بنفسى . فإذا لم تكونى قاسية
القلب خلقتة فيرى هذه الهيئة الغائرة الثمرة التي
تدفعنى إلى القنوط . ان الذى يرسل مجرماً إلى الموت
لا يزوده بالنعيب

الرسالة الثالثة

الى جولييا

لا يصدق صدرك ولا يهن صدرك يا آنسى ، فهذه
الرسالة آخر ما يزججك منى

ما كان أبعدنى ، حين تولد حبك فى قلبى ، أن
أنتقص بالنظر كل الآلام التى تهيات لنفسى ! لم
أحس أول الأمر الا بالأم الحب اليائس الذى
يستطيع العقل أن يقهره مع طول الزمن ؛ ثم دقت
ألما آخر أعظم من ذلك جره على "أننى أغضبتك ؛
وهأنذا الآن أشتمرك ألك أشد على نفسى من كل
ألم لأننى أثرت عليك هومك الخاصة

آه يا جولييا ! انى أرى والأسمى بفت كيدى أن
شكواى تكدر صفوك . انك تلزمين الصمت القاهر
البالغ ، ولكن كل شئ يعلن إلى قلبى اليقظ
اضطرابك اللدخيل

أصبحت عيناك سامعيتين حالتين فاكستين يفر
منهما بعض النظرات الحائرة إلى ، وانكفاً لونك
البهى النضر فبدا على خديك شحوب غريب ،
وفارقك البهجة المرحمة وتضييقتك الهموم القاتلة ،
فلم يبق مما يحفظ على طبعك الطلاقة إلا عذوبة فى
نفسك لا تنضب

إنك كما أرى مهمومة لحساسة أو زراية أو رثاء
لآلامى . وإنى لأخاف أن أكون ساعدت القدر فى
آلامك ؛ وهذا الخوف يؤلى ألك لا يبدله ذلك
السرور الذى يبعثه فى نفسى ما يصاحب ذلك

انتظر أن يكون مآله إلى الرضى والمساخة اذا لم
يكن شئ آخر ؛ فان النار التى ترمض جوانهى
وتذوبنى خليقة بأن تعاقب لا أن تحتقر

حنانك يا آنسى ورحمك ! لا تسكينى الى
نفسى . تفضلى فصرفى قدرى ووجعنى أمرى على
الأقل . أعلى مشيئتكم وافضى قضاءك فلن تجدنى
مهما قسا الحكم واشتط غير طائع ولا صابر . أتفرضين
الصمت الأبدى على ؟ سأجمل نفسى على مكروهه
وأروضها على لزومه . أتقصينى عن حضرتك ؟
سأقسم بالله جهد اليمين لا أريك وجعنى بعد اليوم .
أتأمرينى أن أموت ؟ لم ذلك أيسر الأمور على .
ليس هناك ما يمينى الخضوع له والرضا به إلا شئ
واحد : هو ألا أحبك . على أننى لو استطعت أن
أنفذ مثل هذا الحكم لما أبيت

أراود نفسى فى النهار مائة مرة على أن أفر
على قدميك فأغسلهما بعبرائى ، وأطلب منهما مائى
أو حياى ، فيهرزم الخوف قلبى ، فترجف يداى
وتصطك ركبتاى ولا أجروء على أن أجثو ؛ ثم
يموت على شفتى الكلام ، ولا أجد فى نفسى
ما يؤمنها من خوفها أن تغضبك

هل تملين فيما خلق الله حالاً أهول من حالى
وأفزع ! إن قلبى ليشمر كل الشعور أنه آثم ؛ ولكنه
لا يدرى كيف يقلع عن غيه ويرعوى عن آثمه .
ان الجرمية والندم قد اصطالحا على أن يهزاه
هزات لا تشوز فيها ولا شدوذ . وإنى من غير علم
بعصرى لأضطرب فى حيرة قاتلة بين طمع الرحمة
وخوف العقوبة

ولكن لا ! انى لا أطعم فى شئ ، وليس من
حق أن أطعم فى شئ . ان اليد التى أرجوها منك
هى أن تعجل بمذابى . أرضينى بانتقام عادل ؛ وحسبى

الخوف من أمل ، لأنى إما أن أكون قد أخطأت ، وإما أن تكون سعادتك أغز على من سعادتي على أننى حين ثبتت إلى نفسى ، تبين لى أنى جرت فى الحسب على قلبى ، وعلمت بعد أن قفى الأمر أن الذى حسبته هذياناً يزول ، إنما هو كلمة القدر فى مصيرى وحياتى

البطافرة الأولى مع جوليا
لا ترجع الرأى الذى يجعل ابتعادك ضرورة ؛ إن القلب الورع يستطيع أن يكبح هواه أو يسكت ؛ ولمسه ينقلب غشياً سهياً . ولكن أنت ... أنت تستطيع أن تدق

الجواب
لقد سكت طويلاً حتى حثاني فتورك على السلام . إذا استطاع المرء كبح هواه ابتغاء الفضيلة ، فلن يستطيع مطلقاً أن يتحمل احتقار من يجب . لا بد من السفر

البطافرة الثانية مع جوليا
لا يا سيدى . إن رجلاً كالذى تظاهرت بأن تكونه فأحس ما أحسست ، وجرو على أن يقول لى ما قلت ، لا ينافر بعد ذلك . إنه سيعمل أكثر مما عمل

الجواب
أنا لم أظاهر إلا بهوى معتدل فى قلب يائس . فغداً ستكونين راضية ، ومهما نلت فى ذلك فلا أقل من أن أسافر

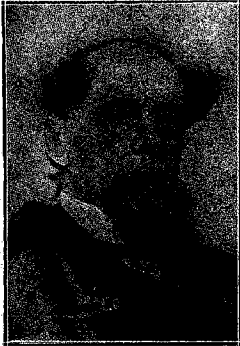
البطافرة الثالثة مع جوليا
يا للأبله ! إذا كانت حياتى عزيزة عليك ؛ فأخش أن تمتدى على حياتك . أنا الآن مأسورة محصورة فلا أستطيع أن أكلك ولا أن أكتب اليك حتى أفقد ؛ فانتظر (يتبع)

الربات

وداعاً يا جوليا . عودى الى هدوئك وغبطتك ، وادبلى ما تنفّس من جهنمك ، فلن ترى وجهى بعد اليوم . ولكن نقى الحب القوى النقى الذى يفرغ أنفاسى لا تتخمد وقده ما حيت ؛ وأن القلب الذى يفرغ مثل هذا الحب لن يذل ولن يهون ؛

المستتر بكوك ورفاقه

للقصص الانجليزية شارلز ديكنز



شارلز ديكنز

وحدث المستر (بكوك) نفسه قائلاً: «هكذا شأن تلك النظرات الشيقة، نظرات هؤلاء الفلاسفة الذين يقتصرون مما يعرض لهم من الأشياء على مظاهرها، ولا يبحثون عما يوجد وراء تلك المظاهر من حقائق الحياة. فهأنذا لا أقنع أبداً بالفطر إلى ذلك الشارع دون أن أبذل أي جهد في تقصى ما يحيط بمجوانه من بلدان»
وفرغ مستر بكوك من تأملاته الجليلة ليضع نفسه في ملابسه، وليضع ما خلفه من ملابسه في حقيبته. وإنك فلما تجد غطاء الرجال يظهر من كبر اهتمام أثناء ارتدائهم لملابسهم وتأهبهم

تصوير:

كانت هذه القصة الفكاهة الممتعة أقوى وأسرع خطى شارلز ديكنز إلى الشهرة والمجد، ويدها كثير من النقاد أحسن قصصه وأشدّها اتصالاً بفنه وعبقريته، ذلك لأن روحه الفكاهة ومقدرته الفائقة على الوصف، ونشاط ذهنه، تبرز كلها بأجلى وضوح فيها، وليست هذه قصة بالمعنى الحقيقي، وإنما هي تصوير بعض الشخصيات عن طريق الحكاية والحوار وما يحصل بتلك الشخصيات من معاني الحياة ومفاهيمها. خلق القصص العبرى أولاً شخصية مستر بكوك وجعله رئيساً للعبة تنسى إلى ناد، يحملها التجوال لجمع ما عساه أن يصادفهم من مملوكت، ومن ثم بدأت سلسلة أسفارهم وحادثاتهم. وهذه القصة من القصص المالية التي لا تهل روعة عن قصة (دون كيشوت) لسرفانتس (الترجم)

الفصل الأول

رعدة اليوم الأول ومحاطرة الليلة الأولى

وما كان من أمرها

لم تسكد تشرق الشمس وترسل أشعتها صبيح اليوم الثالث عشر من شهر مايو عام سبع وعشرين وثمانمائة وألف، حتى نهض مستر (بكوك) من أحلامه كأنه شمس أخرى، وفتح نافذة غرفته وأطل منها على الوجود من تحته، وكان يقع شارع (جيتيول) تحت عينه، وكان يمتد شارع (جيتيول) عن يمينه إلى نهاية ما يصل إليه البصر، وكان يمتد أيضاً عن يساره إلى مسافة بعيدة

ووجهه شديد التجهم ، وظلت ملامحه وهو يكتب على ما هي عليه من صرامة ، ولذلك أثبت في دفتره تلك الحقيقة غير منقوصة

وأردف مستر بكويك متسائلاً كي يصل إلى غيرها من الحقائق والمعلومات « وما مقدار الوقت الذي يقتضيه في العمل في كل مرة تأتون به إليه ؟ » فأجاب الرجل : « من أسبوعين إلى ثلاثة »

وصاح مستر بكويك في دهش : « أسابيع ! » وسرعان ما برز دفتره ثانية من صدره

واستطرد الرجل في فتور : « أنا نرسله الى منزل في حي بنتشول في غير فترة العمل ، ولكننا قلنا نرسله الى مكان راحته بسبب ضعفه

وصاح مستر بكويك وقد ذهبت الحيرة بمقله كل مذهب : « بسبب ضعفه ! »

واستمر الخوذي يقول : « انه دائماً يسقط على الأرض كلما حل من المرة ، ولكننا اذا شددناه الى العربية نحكم ربطه ونقصر الجبال والسيور فلا يستطيع بذلك أن يسقط ، واقد اتخذنا المجلات من حجم كبير ، ولذلك فهي تدفه اذا ما تحرك ولا ندع له مجالاً للتواني ، واذاً فلا بد له أن يتابع سيره ، اذلا حيلة له في ذلك »

وأثبت مستر بكويك عبارة الرجل بمخافتها في دفتره ، ليقدمها الى النادى شاهداً فذاً على القسوة في دنيا الخليل . وما كاد ينتهي من كتابة ملاحظته حتى وصات العربية الى « جولدن كرش » ، فوثب الخوذي الى الأرض ونزل مستر بكويك ، والتفت حول العربية كل من مستر توبمان ومستر سندجراس ومستر ونكل وأخذوا يحبون رئيسهم الأسمى وكانوا ينتظرون مقدمه في شوق

وخطب مستر بكويك الخوذي قائلاً : « هذا أجرك » ومد اليه يده بذلك « الشان » الذي أعده

للخروج ؟ ومن أجل ذلك فسرعان ما فرغ مستر بكويك من حلق ذقنه وارتداء ملبسه واحتساء قهونه ، وخرج بعد هنيهة وحقيته في يده ، ومنظاره (تلسكوب) في جيب ممطفه ، ودفتره في جيب صدره ، فكان على تمام الأبهة لأن يتلقى أى حادث يراه مستر بكويك جذراً بأن بدون ، وما هي إلا ساعة حتى كان مستر بكويك في ساحة سان مارتن وصاح مستر بكويك قائلاً : « عربية »

وتقدم اليه رجل مجيئاً إياه : « أنا أتيك بما طلبت أيها السيد » ، وكان هذا الرجل غريب الشكل حقاً ، كان صنفاً مجيئاً من أصناف الآدميين يرتدى ممطفاً من الخيش عليه ميدعة من هذا القماش ويحيط بمنقه شريط من النحاس يحمل رقمه ، كما لو كان قطعة من الآثار النادرة رقت لتوضع في متبها . وكان هذا الرجل سقاء الخليل في تلك الساحة فنادى قائلاً : « هينا ... المرة الأولى ... » وأتجه الى مستر بكويك مخاطباً إياه : لك ما طلبت أيها السيد . وما كادت تتقدم العربية الأولى من ذلك المكان حيث دخل مستر بكويك غلبونه الأول ، حتى قذف بنفسه وحقيته في جوفها ، وأمر الخوذي أن يذهب به الى « جولدن كرش » وأدار الخوذي رأسه الى صاحبه السقاء قائلاً في خجور خفي : « ان ذلك لا يساوي أكثر من شلن ياتوم » وسأل المستر بكويك الخوذي ماسحاً أنفه بتلك القطعة من النقود التي أعدها ليدفعها أجر ركوبه : « كم عمر هذا الحصان يا صاحبي ؟ »

وأجاب الخوذي وهو ينظر الى مستر بكويك نظرة الدهش والحيرة : « عمره اثنتان وأربعون سنة » وأسرع مستر بكويك الى دفتره متمتماً : « ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » وأنقص الرجل عدد السنين الذي فاه به أولاً ، ووجه مستر بكويك نظرته الى الرجل

واندفع الحوذى فلفظ المستر بكوك لكمة
أطارت نظاره عن عينيه ، وواصل الهجوم بلكمة
استقرت على أنف مستر بكوك ، وأردفها بأخرى
وقمت على صدره ، ثم بثالثة نزلت على عين مستر
سندجراس ، ورابعة من باب التوزيع خالت بطن
مستر توبان ، وانطلق الرجل يبدو راقصاً نحو
الشارع ، ثم عاد مسرعاً إلى الأفريز ، وانهى بأن
أوقع العرب في قلب مستر ونكل فقطع عليه
تنفسه وأفرغ جسمه مما نشقه من هواء ، كل
ذلك في ست ثوان غسب !

وصاح مستر سندجراس ... « أين رجل
الشرطة ؟ »

ورد بائع فطائر قائلاً : « ضوم تحت الضخعة »
ولفت مستر بكوك بقوله : « سوف تجازون
أشد الجزاء »

وتصاح الناس بقولهم ... « غيرون ...
غيرون »

واستأنف الحوذى تهديده صائحاً ... « هيا ...
هيا ... » ، ولم ينقطع لحظة منذ أن بدأ المعركة
من توعده وتوبه

والقد كان موقف الناس من تلك المشاجرة حتى
ذلك الوقت موقفاً سلبياً ، فلم يكونوا سوى
متفرجين ، ولكن ما كاد يذيع فيهم أن مستر بكوك
ورفاقه غيرون ، حتى أخذوا يجهذون في حماس
ونشاط تنفيد ذلك الاقتراح الذى تزايدت حرارته
حتى التهب ، ألا وهو اقتراح بائع الفطائر الساخنة ،
وأرأى في غيبة عن أن أين ما كان يرتكبه هؤلاء
القوم من تمد على أشخاص تلك الجماعة ، لولا أن
أوقف الشجار تدخل شخص جديد ، راح يتساءل :
« ما هذا ؟ لماذا يطربكم ؟ »

وكان القادم شاباً طويلاً القامة نحيف الجسم

ولشد ما تعجب هذا الرجل المثقف العالم ، إذ
رأى مثل ذلك الشخص الذى لا حساب له يلقى
بقطعة النقود على أفريز الشارع ، ويطلب إليه ، إلى
مستر بكوك ! أن « يسمح له بشرف منازلته »
وبادره مستر سندجراس بقوله : « إنك يا هذا
لجبنون »

وأردف مستر ونكل قائلاً : « أو سكران »
وأبداه مستر توبان بقوله : « أو الأمرين مما »
وراح الرجل يصيح : « هيا ... هيا ... أنا
لكم جميعاً ... سترون ... هيا »

ورأى ذلك جماعة من الحوذية فصاح أحدهم :
« هذا منظر متع » وتجمعوا حول الحوذى وخصوصاً
وتقدم أحد الناس فسأل : « فم هذه الضخعة ؟ »
وأجاب الحوذى بنخبة : « مشاجرة ... ما حاجته
إلى رقى ؟ »

وأجاب مستر بكوك وقد أخذته الحيرة : « لم أك
قط في حاجة إلى رقى ! »

وتساءل الحوذى : « إذن لماذا أخذته ؟ »
وأجاب مستر بكوك منضجاً : « لم أخذه ...
لم يحصل »

واستأنف الحوذى كلامه ، متجهاً إلى الجمهور
موجهاً إليه الخطاب « هل يصدق أحد ؟ هل يصدق
أحد ؟ ... غيبر يركب مى عربتى فلا يقتصر على
أخذ رقى غسب ، بل يثبت كل لفظ فمت به !
إذ ذلك لاح بصيص من النور لمستر بكوك ... أنه
دفعه الذى ... »

وسأل أحد الحوذية : « هل فعل ذلك ؟ »
وأجاب الحوذى قائلاً « نعم فعل ذلك ، وبعد
أن يستثيرنى لهماجته يأتى هنا بثلاثة من رجاله
يستشهدهم على ! ولكنى سأهاجمه مهما يكن من
الامر ... ولو كان من ورائها ستة أشهر . هيا »

وكان وجهه مبروقاً هزياً، ولكن حالاً غريبة لا توصف من الرضاء وعدم البالاة وسبب النفس كانت تذب على صفات ذلك الرجل

ذلك هو الشخص الذي راح يحمل في مستر بكوك خلال منظاره، وكان قد استعاده لحسن حظّه، ولما أن فرغ رفاقه من تحياتهم، أخذ هو بدوره يقدم إليه أحر شكره على ما كان من مساعدته؛ ورد ذلك الشخص في عبارات منقطعة: «دعك من هذا — كفى — لا تزد... إنه ولد شقي ذلك الحوذي... كان يحسن توجيه لكلمة... ولكني لو كنت... وقطع عليه عباراته سائئ العرب السافرة إلى «ورشستر» إذ أعلن اليهم أن عربته على أهبة الرحيل، ونهض ذلك الشخص واقفاً واستأذن الجماعة قائلاً: «تلك عربتي... احتجزت فيها مكاناً أنرك لكم دفع ثمن الشراب والماء... أراكي في حاجة إلى صرف... فضة رديشة...» ثم حياهم بهز رأسه تحية من يرفهم حق المعرفة. واتفق أن كان مستر بكوك ورفاقه قد اعترضوا أن يجعلوا «ورشستر» محط رحالهم الأول في سفرهم هذا، فأخبروا الرجل بذلك، ثم وافقوا على أن يتخذوا مقاعدهم في مؤخر العربّة حيث يستطيعون أن يجلسوا معاً جميعاً

وسادوا إلى العربّة وأخذ الرجل بيد مستر بكوك في غير مبالاة قائلاً: «هيا... هيا... أصعد» وقد أراد بذلك أن يقلل من أهمية هذا الرئيس، وينال من وقاره وتحشمه بطريقة ملهوسة. وسأل السائق الرجل: «هل من متاع أبها السيد؟»

— من؟ أنا؟ ليس سوى هذه الحزمة الملفوفة في الورق البني، فقد أرسلت بطريق اللاء متاعى الثقليل — صناديق كبيرة ثقيلة... كلنازل في حجمها... ثقيلة، ثقيلة جداً!

يرتدى حلة خضراء، ظهر لحاة في تلك الساحة ورد عليه الجميع قائلين: «هؤلاء مخبرون» وأرعد مستر بكوك قائلاً: «لسنا كما يدعون»، وكان لقوله هذا نغمة مؤثرة حتى لتتخذ سبيلها إلى أي قلب لا يلين لمناطفة

أما هذا القادم فقد شق بمرفقيه طريقاً له في هذا الجمع، وراح يتساءل موجهاً قوله إلى مستر بكوك: «لستم كما يقولون إذا؟» «لستم كما يقولون؟» وأوضح له ذلك الرجل المثقف حقيقة الأمر، فنقدم وجذب مستر بكوك في شبه قهر ليخرجه من زحمة الناس، وانتهر الحوذي وصرفه عنه، وسار إلى خان هناك يتبعه مستر بكوك ورفاقه، وجلسوا يشربون ويعطشون

وبينما كان رفاق مستر بكوك يقدمون لذلك الشخص شكرانهم، أخذ رئيسهم يلقى نظرات فاحصة على هندام الرجل ومظهره

كان طوله وسطولاً ولكن محول جسمه وطول ساقيه جملاء يبدو أطول مما كان؛ وكانت حلته الخضراء ملبساً أنيقاً شامخاً في أيام سالفة، بيد أنها كانت كما يظهر في جملاء ترين رجلاً أقصر قامته منه، فإن رديتها الحائلي اللون اللطخين لا يكادان يصلان إلى رصيفه، وقد أحسّت الأزرار سدّها حتى العنق مما جعلها توشك أن تنقد من خاف؛ ولم تك تبين العين حول عنقه قبصاً، إذ لم يك ثمة شيء سوى قطعة رنة من القماش تحلي جيبه، وكانت تتناثر هنا وهناك في مرواله الأسود الضيق رقع وانحة نهض دليلاً على قدم عهده. ولقد ربط هذا السروال ربطاً محكاً في نهاية ساقيه فوق حذاءه البالي ليخفي جورباً أبيض قدرًا، تراءى للأعين على الرغم من ذلك، وكان شعره الأسود ينساب في حوصل تكدل على جانبي قممته القديمة المنفضنة،

وتساءل مستر سند جراسى : — أشهدت ذلك المنظر الفخم أيها السيد ؟

— « نعم ... رأيته رأى العين ... أطلقت رصاصة ... ثم أطلقت فكرة ... اندفعت الى حانة خمر ... أثبتتها ... عدت ثانية ... أزيز ... عزيف ... فكرة أخرى ... حانة الخمر ثانية ... قلم وجو ... عدت ثانية ... طعن ... ضرب ... ساعة مشهورة ياسيدى » ثم اتجه الرجل بفتة الى مستردنكل سافلاك آياه : « أنت رجل صيد وطرود أيها السيد ؟ »

— « بعض هذا أيها السيد »

— « أن هذا الطرد أمر جليل ... هل لديك كلاب أيها السيد ؟ »

— « لا ... ليس لدى منها شيء بعد »

— « آه... ينبغي أن يكون لديك عدد من كلاب

الصيد ... حيوانات طرفية ... مخلوقات عاقلة ...

ذات يوم كلبى ... اسمه بونتو ... غريزة مدهشة .

خرجت للصيد يوماً ... خطوط لأحواز سياجاً .

أطلقت من فى صغيراً ... السكلب لا يتحرك ...

صغير ثانية ... بونتو لا يقدم ... واقف لا يتحرك

هتفت به بونتو ؟ بونتو ! لا يريد أن يتحرك .

واقف فى مكانه ينظر الى لوحة رفعت بصرى

فرأيت عبارة خطوطية « لدى حراس الصيد أوامر

أن يطلقوا النار على أى كلب يجتاز السياج » ،

لم يشأ أن يجتاز ... كلب مدهش كلب ثمين

حقاً كلبى هذا ... ، وتكلم مستر بكوك فالتاك :

« هذا شاهد عجيب ، هل تأذن لى أن أسجل هذا

مذكرة عنه ؟ »

— « أسمع ولا ريب ... لا ريب أيها السيد ..

مائة قصة عن هذا الحيوان إذا شئت »

(يتبع) (عائد)

وكان الرجل يدس تلك الحزمة فى جيبه وهو يجيب السائق ، وأكبر الظن أنها كانت تحتوى على قميص ومنديل

واستأنف الرجل عباراته حين اقتربت العربة من قوس أفيم على الطريق كان فى تلك الأيام بمثابة مدخل لساحة المراتب فالتاك : — « الرؤوس ، الرؤوس ، خذوا حذرکم هذا مكان خفيف ، عمل خطر ... ذات يوم ... خمسة أطفال ... أم ... سيدة طويلة الغامة تأكل قطعة من الخبز ... نسيت القوس ... احتكاك صدمة ... ينظر الأطفال وراءهم ... رأس الأم قد طارت ... قطعة الخبز فى يدها ... لم يمد هناك فم يلتقمها ... رأس أسرة طارت ... مؤلم مؤلم ... أترأى تنظر الى « هويت هول » أيها السيد ؟ إنه أيها السيد ؟ أترأى تنظر اليه ؟ إنه ! أترأى ... !

وأجاب مستر بكوك : « كلا إنما أفكر فى ذلك التقلب الذى يلازم أحوال الناس »

— « آه ... أفهم ما تريد ، أنت فيلسوف أيها السيد ؟ »

— « أنا رجل أدرس وألاحظ الطبيعة البشرية عن كثب ياسيدى »

— « وأنا مثلك ، وإنك ترى معظم الناس كذلك ، حين لا يكون لديهم عمل ، وحيث لا ينتظرون كبير مغفم . أنت شاعر أيها السيد ؟ »

— « لا وإنما تجد صديقى مستر سند جراسى قد امتاز بحاسة شاعرية »

— « وأنا مثله ... ملحمة طويلة ... عشرة آلاف سطر ... ثورة يوليو ... نظمت فى

المسكان نفسه ... مارس إله الحرب نهارا ... أبولو إله الفناء ليلا ... أعزف أنشودة الميدان وأغنى

على القيثارة »

الصِّدِّيقُ

قصة واقعية نالت الجائزة في مسابقة القصص
الواقعية في مجلّة (تروستوري) الانجليزية

بقلم أحمد فتحي مرسى

وقد قدمنى إلى صديق
لها يدرس في كلية الهندسة ،
يدعى جون بارت ، وقد
صادف هوى في نفسى
فتعلقته ، إلا أن هذه الصلة
لم تدم طويلا ، فقد قدمنى
بدوره إلى صديق آخر كان
له أهدأ الأثر في حياتى ، إذ
قلب نظاما رأسا على عقب ،

فطالما كان يحدثنى جون عن صديق له اسمه هارى لى ،
كثيراً ما كان يصفه بالكاه وينعته بالجد فيقول :
— أنفذ قريحة عرفها ياروز ... حتى ليخيل
إلى أنها تكبره بسنين عدة

وأصدقك القول أنى لم أحاول التعرف إلى ذلك
الصدى الجديد ، فقد كان في جون كل ما أمله من
حياتى ، وكل ما أتمناه من عيشى ... وأخيراً شاء
القدر أن يجمعنى بهارى ... وكان ذلك في الربيع
الباكر ، وكنت قد صحبت رث ليرى إلى قاعة
المحاضرات ، وكانت قد غصت بالدعوى ، فلم يبق
لنا مكان ما . فجأة أخذت عينيلى جون بارت ،
وهو ينحني لنا نصف المنحناء ويدعونا للجلوس في
المقعد اللذين أخلاهما هو وزميله قائلان :

— سأسند إلى الحائط مع هارى قليلا
ومضت برهة قبل أن أجول بعينى لأرى
هارى ، ولكن وقع نظرى عليه أخيراً ، وكانت
نظراته كلها مصوبة لى ، وقد سرت في جسدى
عدة خفيفة ، عندما سرحت الطرف في وجهه
قليلا فاذا به صينى الخلقه ...
وكان هارى أقصر قامه من جون ، ولكنه

كان والذى يبارضان أشد المارضة في إتمام
دراسى وإكمال ثقافتى في الجامعة ، فعند ما أعربت
لها عن رغبتى في الالتحاق بتلك الكلية القريبة
من المنزل ، وقفا أمامى حجر عثرة في سبيل تحقيق
هذه الأمنية !

ولقد كانت منظر الفتى والفتيات وهم في
طريقهم إلى الجامعة يبعث في نفسى الحسد ،
ويؤجج بين جوانحى نيران الغيرة . وطالما قالت
لى والذى وأنا جالسة إلى النافذة :

— إنى لا أحتمل أن أراك تذهبن إلى مثل
هذا المكان ياروز ، فكم هو حافل بالفرباء ، وكم
هو غاص بمن لا أخلاق لهم !

وكان والذى لا يقل عن والذى أصرارا ، على
الرغم من أنه كان يحرص على ألا يفضض وحيده ،
ولكن اللحاح كان من طباعى ، فلم أزل بهما حتى
جاءتهما يتزلان على رغبتى ، وينصاعان لأرادتى
التحققت بالجامعة ، وسرعات ما توثقت
عربى الصداقة بينى وبين زميلة مرحلة ، من الأراضى
الوسطى تدعى رث ليرى ، وكانت تدرس بكلية
العلوم بالجامعة

لا يخلو من سمات الجلال . فما كان أجل وجهه الهادئ وأروع ابتسامته الساحرة !

وتوثقت العسلة وكثر التلاق ؛ على أن ذلك لم يكن يشغله قط غن استيعاب دروسه ، وصراجه بحوثه ، فكثيرا ما كان يجدني عن آماله الواسعة وآرايه البعيدة ... كان يأمل أن يكون استاذًا في جامعة بكين في القريب العاجل

وكثر خروجنا الى الرياض الناضرة ، وارتدادنا المروج الزاهرة ، بين حديثه المذب وسمره الممتع ... ولقد حدثني مرة عن شجرة تفاح كثيرا ما اتخذ مجلسه تحت أفيائها المديدة ، وفي ظلها الظليلة ، فصرنا اليها والقمر يرسل أشعته القضيبة الى الدجل فتففض أرجاءه وتثيب نواصيه ... وإن أنس لا أنس تلك الجلسة الهادئة تحت أفنان شجرة التفاح وبين أغصانها المتهذلة ... جلس كل منا يتأمل الآخر في ضوء القمر المرسل ، وأخيرا افتر نفره عن ابتسامه هادئة ثم قال :

— إنك مثل زهرة التفاح ياروز ، جلالا وروعة وسحرا

ومضت الأيام تتبعب الأيام ، والشهور تقفو إثر الشهور ، وكل منا لا يزيد إلا تعلقا بالآخر ، وتشوقا للقياء ، إلى أن كانت ليلة مقمرة من ليالي الصيف ، خرجنا فيها معاً نتمشى في ذلك الطريق الضيق خلف بناء الجامعة ، وإذا بهاري يضع يديه على كتفي فجأة قائلاً :

— روز إن حياتنا الآن تبدو كما لو كنا في زورق ، وسط بحر رهو تهدهدنا أمواجه في لين ، وبين زبح رخاء تدفنا خفقانها في رفق ؛ أفترى يسير بنا الزورق إلى النهاية أم يتقلب الحال ،

كان مفتول المضل ، قوي الساعدين ، وكان مستنداً الى الحائط ، وهو ينظر الى كأنها يريد أن يلهمني بنظراته ، فمراني الخجل وأدرت وجهي الى الجهة الأخرى ، ولكنني وجدت في نفسي شعوراً غريباً يدعوني الى التحديق في وجهه ثانية ، وكان كلما يلتقي النظران أحس بشعور من الرهبة يسيطر على نفسي ويملك على مشاعري

وعندما انفرط عقد الحفل ، كنت أود أن أهرب من ذلك الاحساس المتسلط على قلبي ، ولكن جون ورقيقه كانا في انتظارنا فلم أتمكن من الافلات . وكانت رث قد عرفت هاري من قبل فلم يبد عليها أى اهتمام ، أما أنا فقد صحبتته الى المنزل وقد حدثني هاري في الطريق عن المحاضرة ، وكان طريف القول ، جذاب الحديث ، دامغ الحجة ، يجمع الى ذلك بساطة في التعبير ، وهدهوا في النفس ؛ وهنا فقط أدركت صحة قول جون بارت « ان قريحته تكبره بسنتين عدة »

ولما بلغنا المنزل دعاني الى نزهة خلوية بين الرياض ظهر اليوم التالي ترويحاً للنفس من عناء الأعمال ، واستجماء للفكر من النصب والملال ، فقبلت دعوته وانصرفت شاكرة

وعندما قابلني هاري ظهر اليوم التالي حل الى باقة من الزهر ، يفوح منها شذا المطر ، ويبدو عليها جمال التنسيق ؛ ثم قدما الى قاتلا :

— إنك زهرة ناضرة كهذه الزهور ياروز ومنذ تلك النزهة أصبحت أرى شخصية هاري تتسلط على نفسي كل التسلط ؛ وكنت أعزو ذلك في أول الأمر الى اختلاف جنسنا ، وتباين مشربتنا ، وتباعد وطنينا ، على الرغم من أنه كان

أطار صوابها ، فانتقل بها والدي إلى مقاطعة
ديفونشير وطننا الأول لتتساقب الحوادث ، وتنفي
عن ذكرياته المؤلمة

وقد ولد لنا طفلنا الأول في شهر ابريل ، وكان
السقام قد بلغ في مبلغا كنت أخال معه أني أثار رجح
بين الحياة والموت ، وكانت تعني بأمرى مع هارى
ممرضة تسهر على ، وترعى مضجى

وفي اليوم الرابع بدأت أستروح نلمات الحياة
وأردت أنفاس العافية ، فزال عني السقام وناب إلى
الرشد ، فرحت

أجول بيمصرى في
أرجاء القرية .
فاذا كل شيء على
حاله وإذا بهارى
واقف بجانب
السري ينظر إلى في
عطف ... وسمعت
صوت الطيب
يقول :

— لقد زال
عنها كل شيء الآن .

فبان السرور في هارى وصاح :

— لملك تشعرون الآن بيمض التحسن ياروز .
أترغبين في رؤية طفلنا المزر؟ إنه في خير صحة وأتم
عافية ... ثم ذهب وعاد بعد برهة يجعل الصغير في
لغافته ، ووضع بين ذراعى لحظة ، ثم رقه قليلا
لأثنين وجهه فجعد الدم في عروق ... ليس هذا
طفل قط ... ما هذه الخلقة القريبة ... وما هاتان
الميتان الضيقتان ... وما هذا الأنف الأثني ...

فيضطرب البحر الهادى وتثور الريح الساكنة ،
فتفتني الرحلة النهائية ؛ وتنقطع البقرة السعيدة ،
وأدركت في الحال ما يرى إليي فقلت :

— ستسير إلى النهاية يا هارى ... إنني لا أعبا
باللجة وإن أزدبت ، ولا أحفل بالريح وإن عصفت ،
ولا أخشى شيئا ما دمت في جوارك

— روزا ! إنني أحبك ... وسأحبك دائما وإن
فرقت بيننا يد الدهر ، وقصمت عظاما مشيئة
القدر ... إن هذا يعزأ على نفسي ولكنى يجب أن

أذهب . إن الحوائل
دون الزواج عديدة
ياروز ، ولكن حبي
لك لن يفي ما تناقب
الجديدان ...

ولكن ذهابه
كان فيه تحطيم قلبي ،
وعدم الزواج كان
فيه تحطيم أسالى ،
فأبيت عليه ذلك ،
وأخيرا قر عزمتنا
على الزواج .
كلفتنا المجازفة

ولم يحض شهر على ذلك حتى كنا زوجين هائنين
بعضنا منزل صغير على مقربة من الجامعة ، أفردنا
فيه أنفسنا عن العالم ، وأخذنا إلى عيشة الأمن
والسكينة

وربما كان زواجى صاعقة انقضت على والدى ،
فدارت بعقلهما ، خاصة وقد علما أنه شرقي المولد ،
صبي الأصل . وقد بلغت الصدمة من والدى مبلغا



— أريد أرى ... أريد أرى ... فأسمع جواب
هارى كأنه صادر من غور بعيد :

— سمعاً يا عزيزتى ، سأرسل فى طلبها اليوم
وبعد أيام حضر والداى من (ديفونشير) ،
ومضت أسابيع قبل أن أجد فى نفسى القدرة على
السفر ... وأخيراً ثابت لى بعض عافيتى فأخذنا
أهبتنا ، وأعددتنا عدتنا ، وجعلنا المنال وجهتنا
ونزلت بأرض الميلاد ، بجرى الصبا وملعبه ،
فجددت أيام الطفولة المرحه ، وليلتى الشباب السعيدة ،
وحرصت على ألا نعود إلى الذكريات إلى الخلف ،
أو بأخذنى الحنين إلى السالف

ومضى على ذلك عامان ، وأما سعيدة هائلة
الميش ، إلى أن كان يوم وقمت فى بدي مجلة
الجامعة ، ولا أعلم من أرسلها لى ، ولكنى أرتجح
أن تكون صدقتى « رث ليرى » ... فجلدت
أنتصفها إلى أن وقع نظرى فجأة على هذه المجلة التى
غيضت الدم من وجهى :

« نأسف الجامعة كل الأسف لوفاة الأستاذ
هارى لى ، الأستاذ بجامعة بكين بالصين ، وخريج
الجامعة بمد حياة قصيرة قضاه فى خدمة العلم »
فعلت وجهى غمامة من الحزن ، وتسانلت
الدموع على خدى ... وأسدقك القول أن موت
هارى لى لم يكن شيئاً بجانب شيء آخر ... ذلك هو
الطفل ... ماذا جدم من أمره ؟ ... وما مصيره اليوم ؟
الموت دون شك

وأقبل الربيع ، فصحبت والدى فى رحلة إلى
جزائر الماديرا ، وهناك التقيت بجيرالد كبلاو ،
وهو شاب إنجليزى يكبرنى ببضع سنوات ، ويشغل

وما هذا الشعر اللتوى ؟ كلا كلا ... إن فى الأمر
خطأ ما ... ليس هذا الدمع طفلى ... ثم سحبت فى رعب :
— خذنى عني بعيداً أيها الرجل ! هذا فظيع .
ليس هذا ولدى ... خذنى عني بعيداً ! فبان الألم فى
وجه هارى ورفع الطفل عني فى رفق
إننى لم أحلم يوماً أن يكون طفلنا كهذا الطفل
الدميم ... وثقل على الداء من أثر الصدمة ،
وعمرتى رجفة سريعة من أعلى رأسى إلى أخصى
قدمى ، فأسرعت إلى الممرضة ، وأخذت تسرى
عني وتخفف من لوعتى ... أما هارى فكان جامداً
كالتمثال ، وبين يديه الطفل ؛ وكان وجهه شاحباً ،
وعينه غائرتين حزبتين ... فى لحظة واحدة تغير
الحال وتبدل الأمر ، وأصبح ذلك الرجل وولده
بفوضى إلى كل البض ، حتى إننى لم أطق النظر
إليهما ، فصحنت :

— اذهب عني بعيداً أيها الرجل ... إننى
أمتعك من كل قلبى ... اذهب عني بعيداً إننى
لا أطيق أن أراك حيالاً ، لا أنت — ولا طفلك
الدميم ...
وأخذت ثورة من الغضب ، فأسرعت للممرضة
إليه قائلة :

— الأفضل أن تذهب الآن يا مستر لى ، إنها
لا تنى ما تقول الآن
ولكنى كنت أرى ما أقوله تماماً ، ولقد
رأيت هارى يتكسر على عقيقه تجاه الباب ، ثم
أخذنى الانغماء ، وعاودتى الغشية ... ومضى على
ذلك أيام وأما لا أكاد أرى ما يدور حولى ، وما
يجرى بجانبى . وكل ما أذكر الآن أننى كنت
أردد دائماً :

وبلغنا شتغهاى فقابلنا « ولارد كلين » وهو
صديق قديم لجيرالد ، وكانت معه زوجته وأخوها
السيد جورج بايلي ، فدعونا للإقامة معهم في منزلهم
الرفي في الضواحي ربنا يتجز جيرالد أعماله ويمود
إلينا في نهاية الأسبوع . فلبينا الدعوة وكان المنزل
صغيراً جميلاً ، تحيط به الحدائق من كل صوب ،
وتلتف به مروج السهول ، ويمر من تحتها نهر
رائق الماء عذب المورد

وعلى الرغم من كل ذلك فاني كنت أوتر
سكني المدينة ؟ فقها أناس نفسي ، ويسكن قلبي ،
وابتعد عن تلك المشاهد المؤثرة ... فاطالما كنت
أرغب الصينيين صاعدين إلى ذروة الثل ، أوها بطين
إلى قرارة السهل ، وقد أضناهم الجوع وانفوا بطونهم
من الطوى . وكان يقول لي خادمنا يوتج :
— إنهم جيع يأسيدتي ... يبحثون عما
يقبلون به ...

وخرجنا ذات يوم لزيارة ذلك الميسد العتيق
القائم على ضفة النهر فقال يوتج ... إنه خاص
بالكهوف والخافي ... التي سيلجأ إليها هؤلاء
الجيعا عند ما يقومون بثورتهم ليتحرزوا بها من
أعدائهم

وقد قابلنا أحدهؤلاء الجيعا عند ضفة النهر
فأنانا عما إذا كنا نجلز ، وأخذت أكن
تضحك منه وتحدث معه برهة ثم سألته عن اسمه
فقال : واه بو

وفي صباح اليوم التالي بينما كنت في حديقة
المنزل ، وقع نظري فجأة على واه بو وزميل له
يمحدثان في وجهي بفنول عجيب فلما رأني واه بو

في تجارة الآلات ، فراءه جالي ، وعلقته حياي ،
ورأيت منه ما رأي مني ، فأنست إليه ، وألفت
صحبته ... ولم يمض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى كنا
زوجين . وكان الذي قد أسر إليه بزواجي السابق
وأخبره أن الرجل قد مات ، ولكنه لم ينس أمامه
ينت شفة عن أصله ولا عن موطنه

ومضى علينا زمن رفت فيه علينا ظلال
الأمن ورفرت فوقنا أجنحة السعادة ، إلى أن
رزقنا الله طفلة أسميناها آن روز ، تجمع إلى رائع
قسماها ، وجبل ملاحها ، صهبة شمري ، وصفاء
عيني أبيها

وكان اتساع أعمال جيرالد يتطلب منه طول
التجوال ، ودوام الترحال ، ولم أتمكن من
استصحابه في أسفاره ، حالما كانت آن صغيرة ؟
فلما شبت وترعرت ، كنت أتركها تحت عين
الربية ، حتى نمود من سفراتنا

ولما بلغت أن السابعة من عمرها ، أدركت
والدي المفية ، ولم تلبث والدي أن لحقت به بمد
بضع سنوات

ومضت الأيام إثر الأيام ، والسنين تلو السنين
إلى أن كان يوم من أيام الصيف ، أخبرني فيه جيرالد
أن أعماله تضطره إلى السفر إلى شتغهاى لأنجاز
بعض مهام الشركة في الصين ، وزاد على ذلك أن مدير
الشركة رجا منه أن تامل كريمته ماري وحيدتنا آن
في رحلتها

وبعد أيام كنا في طريقنا . وكانت ماري تكبر
آن بـعدة سنين ، ولكنهما تألفا تألف الأخوات
وتعلقت كل منهما صاحبتها

أقسم وأشار إلى زميله قائلاً :

— صديق لي هانج ياسيدتي

وكانت عيناي هنج الضيقتان مصوبتين إلى
كأشهما قطعتان سوداوان من الزجاج ... وهنا
أحسست بالوحشة ... وبدأت تتمثل أمامي مخاوف
الصين ، وهمت بالنكوص على عقي إلى المنزل ، فقد
كانت عيناي هنج كأبرتين استقرنا في فؤادي .
مرعان ماحول هو وضديقه مضيا لسبيلهما قدمت
إلى المنزل أجر ساقى جراً

وقد رأيته مرة أخرى مع جورج بابلي فقال
لي باسم :

— يقال إن لي هانج هذا نصف إنجليزي

— نصف إنجليزي ؟

— أجل ... فقد كان والده أستاذاً في جامعة
بكين ... ومات وهو طفل ... فنشأ بأيساً طريداً ...
وأحسست في هذه اللحظة أن الأرض تدور من
حول ، وأن رأسي يتقل على رويداً رويداً ؛
فاستأذنت وقصدت غرفتي فلم أتم تلك الليلة ، ولم
يطرق الكرى جفتي ، فتنازعتني الهموم ، وتخالجتني
الوساوس ... ما أشقائي ... لقد جنيت عليه ...
يا إلهي أهذا جزاء ما قدمت بداي ؟ ... أرى
سقتني إلى هنا ليقثنى مبرح الألم ولأنال
صارم الجزاء ؟

وخرجت إلى ضفة النهر ، حين نفس الصباح
أنشد النسيان على ضفافه النضيرة . ولشد ما كانت
دهشتي عندما وجدت نفسي أمام لي هانج وجهها
لوجه ... ولقد أرعبني منظره ، وأخافني عيناه
فهتفت في صوت مخنوق :

— إذهب ... إذهب فني بعيداً ... فقال

في هدوء :

— إنني لست كاتباً ياسيدتي فأطرد كما تطرد.

الكلاب ...

فقلت وأنا أغالب الدمع :

— إذن ، إذن ما الذي تريد مني ؟ ...

فقال في سكوت :

— لا شيء ياسيدتي ... إلا أن أخبرك أنني

أحترق كل الانجليز ، ولوددت والله لو كانت رقابهم
طوع عيني ... إذن لما أبقيت عليهم

ثم استدار على عقبيه دون أن ينبس ببنت
شفة ، ومضى لسبيله على ضفة النهر وأنا جامدة في
مكاني أنا بهم بنظري وهو يبتعد عني رويداً .. رويداً

وإذا بنظري يقع فجأة على ستة رجال يمثلون

أمامه في هيئة وجلال لم أثبت معرفة أحداً منهم

سوى راه بو . وقد رأيت (لي) يتحدث معهم

لحظة ثم يرمي لهم بطرف البنان إلى آن وماري

وكانتا تتضاحكجان على ضفة النهر ، وقد جلس بوج

على كשב منهما ، وأسرع الرجال تلبية لأوامر

زعيمهم فأحاطوا بالفتاتين ... وانتبه بوج فأسرع

إليهما فاطمه أحد الرجال ... وصمت في هذه

اللحظة صوت لي هانج قائلاً :

— هيا ... هيا اسرعوا بهما

والجلم الخوف لسان ، وأسقط في بدى ،

وحاولت الصياح ، فلم أسمع صيحتي ، وأخيراً

أسرعت إلى هنج متوسلة :

— لي هانج ... لا تفعل ذلك ... رفقاً في ...

لا تفعل ذلك يا هانج . فتوقف عن السير لحظة ثم

نظر إلى وكانت عيناه كميون الموق شاخصة

لا تتحرك ، جامدة لا تطرف ... ثم قال :

— غداً سيمود زوجك من شبنهائي ...

خذني منه الفدية ... وسأرسل لك راء بو غداً

الأخت البارة ، فأخذت تسرى عني ، وتعلماني
على الفتاتين ، ثم قالت إن أخاها خرج للبحث عنهما
وفي ظهر اليوم التالي وصل جبرالد والسيد
كلين ... وكان يولج قد طلع عليهما بجملية الخبر ،
فتطير جبرالد وجزع كلين ، ورفضوا الانتظار
ريثما يصل رسول هانج ، فخرجنا جميعاً ووجهتنا .

ذلك المبد الذي
أخذ هؤلاء
الأشرار حصناً
يتحصنون به ،
وملجاً بشحزون
فيه من غارة
الغير وهجوم
العادي ... وبلغنا
المبد . وما إن
توغلنا في ممشيه
المظلمة وفي مسالكه
الداجية ، حتى أحاط
بنا فجأة ستة رجال ،
ولكني دفعتهم في
شدة وشققت طريق
الي لي هانج سائلة :



أين هما يا هانج ... أين الفتاتان ؟
وفي تلك اللحظة برز (واهو) بين صخور
المبد وهو يحجز بذراعيه الفتاتين فأسرع إليه
أحد الرجال ليعينه على إعادتهما إلى غبأهما ، فتملك
جبرالد الغضب وطار له ، وفقد صوابه ، فقبض
على مسدسه وسوبه إلى ذلك الرجل ، ثم أطلق
عليه النار ، فأرداه قتيلاً يتسرح بدماه

ووصلت السيدة كلين على صوت صراخ
الفتيات وعويلهن ... فأمرعت إليهما ، ولكن
الرجال وقفوا في سبيلها فصاحت فيهم :
— سيكون الموت جزءاً منكم على هذا أبها
المجرمون
وكانت آن تناديني وهي تصرخ بأكية بين حين

وآخر ... فطار
صوابي وألقيت
بنفسي على هانج
فدفعني بيده قائلاً :
— تنجني عني
أيتها المرأة ...
جهزي المال غداً
فعماد إليك الفتاتان
— هانج ... !
أصغ إلى ... لحظة
واحدة يا هانج ...
فدفعني ثانية ؛
ولكني تشبثت به
قائلة :

— هانج لا
يمكن أن تفعل

ذلك ... إنني أملك يا هانج ... إنها أختك هذه
التي بين يدي الرجال ... هانج ...
وأخذني الدهول ... ودارت بي الأرض
الفضاء . ثم سقطت ممشياً على

عند ما أنقذت من الاغواء كنت راقدة على
السرير وبجانبي السيدة كلين التي كانت لي نعم

تحت أقدامه بعد أن لقي حتفه في سبيل انقاذ حياته
على الرغم من أنه أساء اليه
ونسيت هذه اللحظة كل شيء في العالم، إلا
هاتين العيتين الواديتين اللتين تنظران إلى في حزن،
والا ذلك الوجه الشاحب الذي أذبله الموت وملاءه
الأسى، فركمت بجانبه ورفقت رأسه على ذراعي
فابتسم هامساً في كلمات منقطعة:

— عفواً يا سيدتي ... لقد ... كان عملاً
جنونياً ... إنني ... لم أسئ ... إليهما ... ولكن
حقاً ما كانت أفساني أن أفرق بين الأم وفلذة
كبدها ... عفواً يا سيدتي إنني لست ... جديراً ...
أن تحسني ... بيديك ... الكريمة ...

وشعرت في هذه اللحظة أن قلبي يكاد يقطعها
الأمي، ويفر به الحزن، فرفعت رأسي إلى جيرالد، فغنا
بجاني، وكان شاحب الوجه غائر العينين، فقالت له:
— جيرالد ... لقد أخذ هذا الفتى حياتك ...
أفلا تشيحه بكامة شكر تخفف عن نفسه ألم الخبز
ووطاة الموت ...

ثم اندفعت أقول في حزن:
— جيرالد ... إن أكنتمك شيئاً ... إنه ابني
يا جيرالد ... ابن (هاري لي)، فارتفع حاجبا جيرالد
من الدهشة، وانست حدقته ...

حقاً لقد كان من القسوة أن أجابه بهذه الحقيقة
المؤلمة في ذلك الظرف المصيب ... وقال في تردد:

— أكان ... أكان هاري لي صينياً؟
— أجل ... وكان رجلاً كريماً
وفي تلك اللحظة رأيت شفتي هائج القادبتين
تهمسان في ألم:

— كم أنت .. كريمة .. يا سيدتي .. إن والدي

ثم جي وطنيس المركة بين جيرالد وكاين وبين
الصينيين، وظل القتال سجلاً إلى أن تناب العدد
على القوة، فاستسلم جيرالد، ولطف من كبريائه،
وخفف من غلوائه، ووقف منبطحاً عتقاً ... وهو
ينظر إليهم شزراً ... والتفت عيناى ببيني هائج
وكانتا تشعان بريق الحزن والمطف ثم قلت:

— أنوسل اليك يا هائج لا تمسهما بسوء
وهنا لم يطق جيرالد أن يراى أنوسل الى ذلك
الرجل فقال:

— أنوسلين إلى ذلك المحرم ياروز؟ ثم اندفع
إلى هائج في غضب ولطمه لطمه قوية. فابتسم هائج
ولم يتململ في جلسته، ولم تنفجر شفتاه عن كلمة ما،
بل ظل جامداً هادئاً ... وشهد الرجال ما حل
بزعيمهم، فلامهم الغضب، وأخذتهم الحية، فصوب
أحدهم مسدسه الى جيرالد، وهم باطلاق النار،
ولكن هائج كان أسرع منه، فألقى بنفسه في طريق
الطلق، واهترسه بصدرة قبل أن يصل إلى جيرالد،
فنفثت الرصاصة في أضله، واستقرت في قلبه

وسقط لي هائج قائل حوله الرجال، ونظرت
اليه فاذا الألم يعلو عينيه وهو يحقد في وجهي في
صمت ... ثم غمغم إلى رجاله بيبضع كلمات لا تخلو
من لمحة الأسى، فانطلق منهم اثنان، ثم عادا بمد
برهة قصيرة ومعهما الفتاتان ... واندفعت الى آن
طوقتي بذراعيها ... ووقع بصري من فوق كنتها
لجأة على هائج وهو يحاول أن يدير رأسه في ألم
لينظر الى ... وكان الألم قد أذبل جفنيه، وأطفا
بريق عينيه، وغمر وجهه فبداً ساهماً حزيناً

وإلى هذه اللحظة لم يكن يعلم جيرالد شيئاً عن
حقيقة هذا الشاب الكريم الذي يلفظ أنفاسه

تملى أننى قتت بما ترغبين ... انه يرقد الآن
بجوار والده

— شكرًا لك يا جبرالد

وعدنا الى الوطن العزيز ، ومضت الأيام تتبع
الأيام ، والشهور تنرسم خطى الشهور ، الى أن كان
يوم أدهشنى فيه أن بقولها :

والدتى ... ان شبح لى هانج لا يزال مائلا فى
خاطرى لقد سمعت والدى يقول : (يجب أن
تنساه) . ولكن لماذا ننساه ؟ أليس هو الذى أقصد
حياته ؟ لقد كان نبىلا حقاً يا والدتى . فعدما أخذونا
اليه أكرم وفادتنا ، وكثيراً ما كان يجلس الى قائلا :
أختى الصغيرة ... كم أنت جميلة كزهرة التفاح !
ولما جن الليل تنحى لنا عن مرقده واقترش
هو الأرض .. كم أنا حزينة عليه والدتى ! .. وكم
أحاول نسيانه فلا يسعدنى القلب !

فقطرت اليها فى عطف ... ثم قلت لها وأنا
أغالب الدمع :

— حقاً يا آن ... لقد كان شاباً نبىلاً ؟
أحمد فمى مرسى

قصص اجتماعية

ترجمة بقلم الأستاذ محمد عبد الله عثمان

مجموعة من القصص الريفية الشائقة الثمانية من أعلام
الأدب الفرنسى م : بورجيه . كويه . أناتول فرانس .
موبسان . تيريه . مارسيل ريفو . دى بانيل . جان
لوران . مع تراجمه النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .
فى ثلاثة أجزاء طبعة دار الكتب
ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤقلاً بـ ٦ قروش بخمس ٤٠ ٪
عدا البريد وهو قرشان لى داخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المراسلات

يرقد فى بكين .. وأود أن .. أرفقنى بجواره ..
فقلت له :

— سيكون لك ذلك يا هانج

ونسى جبرالد كل شىء إلا أنه فى حضرة
شاب يلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديه ، بعد أن
نجاه من الهلاك ؛ فأنحى عليه فى رفق ، وأخذ
يمسح عنه العرق التصبب من جبهته

وخفضت بصرى فاذا عينا هانج الحزينتان
لا يحولان عن وجهى ، وكأنها سهام مسددة الى
صميم فؤادى ... يا لىسى لماذا أتيت من أقصى
العالم الى هنا ؟ ... ألتشهد الأم الجاحدة مصرع
ابنها الطريد ... أم ليلفظ الابن أنفاسه الأخيرة
بين ذراعى أمه ... هاتان الذراعان الجاحدتان اللتان
نبتاه طفلًا ، ومحنًا وليدًا

ومررت يدي على جبهته الباردة ... فابتسم
قائلاً فى صوت خافت :

— سيدتى الكريمة ...

ثم أطبق شفثيه القابلتين ، وأغمض عينيه
الصافيتين ، ومال برأسه الشاحب الى الخلف
وقام جبرالد وفرعه من بين ذواى ، فقلت له
وأنا أغالب الدمع :

— يجب أن يرقد ذلك الفتى بجانب أبيه
يا جبرالد

— سأعمل على ذلك يا روز

وعدنا الى المنزل ، وأنا ذاهلة تماماً عما حولى ،
لاأنى شيئاً ، ولأدرك قولاً ، وبعد أيام أعدنا عدتنا
وأخذنا أهبتنا ، وعدنا الى شفتهاى ، ثم قصدنا
لترالى الباخرة ، فلما وطأناها أقدامنا نظار الى
جبرالد قائلاً :

— روز ... قبل أن نتأخر الصين .. يجب أن



يَوْمَئِذٍ نَأْتِي فِي الْآرَائِفِ

لِلأُسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

۱۳۰۰ اکتوبر ...

في الطابق الثاني فأفريت ببابه الفتاة « ريم » منتظرة مع الحراس وعلى مقربة منها الشيخ عصفور بعبوده الأخضر ؛ ولست أدري ماذا ينتظر مع النظرين ؟ وأنشئ قليلاً مرأى الفتاة كما ينتمش الشعب القابل بقطرات الندى . ودخلت حجرتي فرأيت المأمور والمعاون وكاتب التحقيق جالسين في نشاط المستيقظ من نوم مريح ، فملت أنهم آتون الساعة من منازلهم ، وأنهم الآن على استعداد لقتل الوقت في هذه القضية ، فذلك خير من لعب « الطاولة » في النادي أو مص القصب أمام الأجواز الخائفة . أما أنا فأنسان لا يصلح الآن لشيء إلا للرقاذ سبع ساعات متواليات . فأعلت الحاضرين رغبتى في تأجيل التحقيق إلى الند ، فأذعنوا . ولكن بدا مشكلاً من يقطع إليه أحد : هذه الفتاة أين تبئت ليها ؟ إنما الآن على مسافة بعيدة من قريبها . وليس من رأى أن تعود لتأتى مع الصباح . فقد يتصل بها بعض من يهتمهم أمر القضية من الأهالي والشهود فيلقونها ما لا يستقيم مع الصدق والحق ،

انتهت الجلسة عند العصر ، وقد خرجت منها محطم الأعصاب . وما كنت أفتقر عن القاضى حتى وجدت فى وجعى أحد المساكين يحمل أكداً من « غداً » تنفيذ الأحكام ، يقدها إلى للتوقيع . فوضعت إمضائى دون وعى على هذه الأوراق التى ليس لها آخر . وإمضائى الآن لايت بصلة الشبه إلى اسمى . فقد أصبح مع السرعة وكثرة التوقيع خطأ أو خطيئتي أتيهما حينما أتناقش . وما إن فرغت من ذلك وقد تصيب منى الدرق حتى سمعت من يضرب الأسفلت بجذائه ورقم كفه بالسلم :

— التحقيق منظر فوق في قضية ضرب النار !
ولكن للقوة الأدبية حدوداً . ولم أبلغ
بلقمة ولم أطرح جسمي على فراش منذ . . منذ
أمس الأول . فما تمالكت أن قلت :

— ضرب نار في عينك ؟ لو كنا عسكريا في
الخطادق ، أو في حرب الدردنيل لأفوا بحالنا
وخابوا على صحتنا ...

لكن ما ذنب الخفير أوجه إليه هذا الكلام ؟
فتركته وسرت في طريق ، وصعدت إلى مكتبي

من رأسى النوم . وتمتيت لو يقع الآن حادث أقوم له ومى المأمور . ولكن الحوادث كالنقط على ناديتها رفضت الجيء وإذا طردها جاءت تتمسح بالأقدام . ولم أجند ما أصنع . وخابتنى ريب وشكوك . وطال الليل فى نظرى وسبح وتمتيت طلوع النهار . وأردت أن أشغل فكرى بتدوين يومياتى فجمسد القلم فى يدى . ووقع بصرى على أكرام من قضيا الجنب والخالفات والموارض من « إيراد » اليومين السابقين أرسلها إلى كاتب الجدول لقراءتها وتقييدها ووصف التهمة وتقديمها إلى الجلسات . فلم آتس عندى ميلا إلى العمل . فأنجحت إلى النافذة وفتحتها واستنشقت هواء الليل الرطب ، ونظرت إلى النجوم تنشر على هذا السكون الشامل فى هذا الريف النائم ، كأنها عيون ساهرة مطلة على خفايا الأشياء ...

فجأة خطرت أن أردنى ثيابى وأن أنزل إلى الطريق وأرود حول منزل المأمور . ما هذا الجنون؟ أنا أقفل ذلك؟ وإذا (سبطلى) خفير الدرك؟ لأنه قد يعرف شخصى فيعتذر . ولكنه سيخبر الناس ويشيع الخبر وتكون الفضيحة . لا مفر إذن من انتظار الصباح وما يأتى به ...

على أن الله لطف بى آخر الأمر فأرسل إلى إشارة تليفونية ، طالعها فى الحال فاذا هى واقعة نافعة مما لا تقوم لثلاثها بالليل :

« ... بمرور قطار البضاعة نمرة ٢٠٩ خط المئات الضيقة عند الكيلو ١٧ أثناء عمل مناورة وجد سمار حدادى على الشريط . والحادثة بفعل فاعل مجهول ... الخ الخ » . وقد أشر المأمور فى ذيل الإشارة بانتداب حضرة معاون الإدارة للانتقال وإخطار البك وكيل النيابة العلم . ومعنى ذلك أنه لن يقوم ولا يردلى أن أقوم . ولكن كيف أضيق

وحى لا نعرف أحدا فى هذا المركز ولا أهل لها به . هنا صاح المأمور كمن وجد الحل السعيد الموفق :

— المسألة بسيطة . البنث تنام فى بيتى للمصبح . فالتفتنا إليه جميعا فى شبه ذعر ؟ ثم تماالكنا أنفسنا ، ولست أدرى كيف دب فىنا نحن الحاضرين نفس الشمور فى نفس الوقت . حتى الشيخ عصفور ، وقد زحف خلفى ودلف إلى الحجرة ، ظهر فى عينية القلق . وكان الموقف دقيقا . إن أى اعتراض منا معناه الريبة فى سلوك حضرة المأمور ؟ ومن جهة أخرى إذا سلمناه هذا الحل الوديع فإن الله وحده هو المنجى . فهذا المأمور قد شاعت له شائمة أنه استملح ذات يوم فلاحه دخلت عليه بشكوى ، وأراد أن يختل بها ، فأمر عسكره وخفرائه أن يدخلوا سجن المركز ويحلقوا ذقون المساجين . فلما دخلوا أغلق عليهم الباب من الخارج وحبسهم ساعة انفرد خلالها بالرأى . تذكرت ذلك وقلت فى نفسى : إذا ساءت الأمور وتخرجت فأى عبء يوقر ضميرى أنا وكيل النيابة الذى دفع بيده هذه التفاحة البازنة إلى هذه الأنابيب التى يسيل منها اللعاب ؟ ! العجيب أن الحاضرين كلهم قد أطرقوا ووجوا كمن قد أبقن وقدر أنها أكلت ومضت وانتهى الأمر ! وأراد المأمور أن يدخل علينا الاطمئنان فقال :

أنا غرضى أنها تكون فى محل أمين بين زوجتى وأولادى

ولم أجند بدا من الاذعان . وترك المكان وانصرفت إلى منزلى . وتناولت شيئا من الطعام على عجل . ثم أويت إلى فراشى واستغرقت فى نوم لم أسج منه إلا عند منتصف الليل . قت عطشان فشربت جرعة من « القلعة » الفخار بالنافذة . وتذكرت الفتاة ونحيلها فى بيت صاحبنا فنفر

ولم أعقب على كلامه بحرف ، ولم أنبس طول الطريق بكلمة حتى بلغنا السكيلو ١٧ ، ووجدنا حمال الدريسة وقطار البضاعة وسائقه . وقدم إلينا نائب العمدة السمار ، وأشار إلى عربية محملة بأكياس من القطن كادت تخرج من القصب ، فتناولات السمار بين أصابعي وجملت أغصه ، والمأمور خافي يقول باسمك :
 — « كان الطلشجي نين ، لما الواور وقع انكسر ! » ، فملت أنه يهزل ، وأنه يشير إلى تلك الأغنية التي كانت شائعة منذ ثلاثين عاماً يوم كانت شقيقة البطيطة تجلس على عرش الطرب . وسمع السائق تلك العبارة وحمل الجدد فتقدم يقول :
 * — لا حصل كسر ولا وقوع يا فندم ! وأنا ساعة الحادثة كنت جنب الغرمله ، وربطت في الحال ...

ومضى يسرد آراءه قائلاً إن أهل هذه المنطقة بسطاء المقول ولهم من أسلاب تلك القرية التي « عزمت » القطار في أول ظهوره وقدمت إليه الطعام والشراب ، ولا يبعد أن يكون أحد هؤلاء الأهل قد دفعه المبط أو حب الاستطلاع أن يضع هذا السمار على الخط الحديدي ليرى ما يصنع القطار ، وكيف يتصرف ، وكيف يقع على جنبه أو على وجهه . وتقدم عامل دريسة فقال : إن المسألة ليست مسألة بساطة أو بلاهة . إنما هو انتقام من الشركة ، فالأهل في هذه الجهة يمشون على استخراج الحصى من الجبل ونقله على الحجر والجمل وبئمه للدقوالين ، فجاءت شركة سكة حديد الدلتا الانجليزية فدفدت هذا الخط حديثاً إلى الجبل وخصت نفسها بهذا الورد وانتزعت بذلك حتى هذا الحصى من أفواه هؤلاء الجبايع المساكين ، وسواء كان هذا هو السبب أو ذاك فإن الفاعل هنا أيضاً غير معروف ولا ينتظر معرفته . وقد انتهينا من الأمر بأن

هذه الفرصة التي هبطت من السماء ؟ ليس أحب إلى اليلة من أن ألقى راحتي وراحة حضرة الأمور . وارتدت في الحال ثيابي وأسرت بأحضر السيارة وصمرت بمنزل صاحبنا . وأطلقت عليه من يوسع به طرقا ويخبره بالتقالي . فأطل الرجل من نافذته صاحماً :
 — مسبار صغير تقوم له كلنا بالليل !

فأخرجت رأسي من نافذة السيارة :
 — لو كانت إبرة . ما دامت الحادثة بفعل فاعل أصبحت جنانية . لاحظ أنها جنانية تمطيل قطار ، أخطر جنانية في الدنيا . لا بد من حضورك يا حضرة الأمور — أنا ... أنا انتدبت مامون الادارة

— لا بد من حضورك شخصياً
 — اليلة .. مستحيل .. أنا اليلة .. تيمان ..
 — كلنا في التعب سواء ؛ لكن الواجب يحتم علينا ... !

فأطرق الأمور لحظة مفكر في ضيق وامتعاض ، ورأى عزيزي واستأثني ، وخشى أن يمارضني في أمر متعلق بالعمل ، فأذن وطلب إلى الانتظار هنيهة حتى يرتدى ثيابه ، ونزل وجلس إلى جاني في السيارة وهو ينفض من النعيط . وتنبهت إلى غيبة الشيخ عصفور . إذ على الرغم من صوت البوق لم يبد له أثر ؛ وكان فكر الأمور مشغولاً هذه المرة ، فلم يفتن لثياب الشيخ ، فلقد مضى في إطراره برهة ثم قال :

— أي نعم ! الواجب يحتم علينا . . لكن يعني .. مسبار ؟ فأنغمضت عيني حتى لا ينتظر مني جواباً ، فاستطرد :

— الله يحسه بالخبر وكيل النيابة سلفك . كان يسأل في قضية القتل شاهدين لا غير ويقفل محضره ويميل على : « هو القتل أبو ناوالاً أخونا ؟ قم نبيل ربقنا بكاس » !

— التحقيق انتهى ؟
 — من زمان !
 فنظر إلى المائدة التي لم يوضع عليها شيء بعد
 ثم نظر إلى :
 — جميع الشهود أعطوا أقوالهم ؟
 — جميعهم
 — ولا شاهد واحد فاضل . . ؟
 — ولا ربع شاهد
 فتركني وخرج سريعاً ثم عاد بعد قليل يجذب
 أحد الأهالي من « حرامه » ودفعه أمامي دفماً
 وأشار إليه وقال :
 — شاهد مهم قوى ، عنده أقوال
 فأبدت ارتباكاً في قيمة كلام هذا الرجل
 ورغبت في الاكتفاء بمن سألت من شهود . ولكن
 الأمور ألح في الرجاء أن أصحى إلى هذا الشاهد فإن
 لديه معلومات ذات أهمية عظمى . فنشرت ورقى
 من جديد وماكدت أبداً في إلقاء السؤال ، حتى
 برز العمدة وخلفه خدمه بضمون الطعام على المائدة .
 وارتفع صوت سيد الدار يدعونا إلى الفطور .
 فاعتذرت بضمف صحي وأمسأكني عن الأكل عادة
 في الصباح . فانطلق من فم العمدة قسم غليظ .
 وتواطأ في الحال مع الأمور على حمل من مكاني حملاً .
 وإذا بي أجد نفسي في صدر المائدة . فأذعنت ،
 وجعلت أنظر ساعة إلى هؤلاء الخلوقات وبينهم
 الأمور بأكلون وينهشون ويزردون وقد انشغلوا
 بأنفسهم فلم يفتنوا حتى إلى قلة أكلتي . وقت من
 بينهم متسللاً بعد قليل وجلست في مكاني الأول
 أنظر تارة وأنصع محضري تارة إلى أن فرغوا من
 أسباطهم وأنوا على مافوق الخوان وقاموا بمسحون
 أيديهم في غطاء المائدة الذي لم ير وجه الصابون
 منذ عامين ، وأقبل على الأمور بتجشأ ويقول :

وضمنا المسبار داخل « حرز » وختمنا عليه بالشمع
 الأحمر وأرقفناه بالأوراق ... إلى آخر هذا الكلام
 الرسمي الذي هو كل بضاعتنا ، وكان الندى قد
 تساقط على رؤوسنا فركأى المأمور فتح المحضر في
 « دوار » العمدة ، فسألت عن المسافة بيننا وبينه ،
 فرد نائبه قائلاً :

— « فرقة كعب » يا حضرة البك !

فصدقناه ، وسرنا على أقدامنا حتى كادت
 مفاصلنا تتخلع ، وما وصلنا حتى أذن الفجر في
 زاوية الناحية ، وتركنا الأمور « يسبح » لنائب
 العمدة على « فرقة » السكب ، وأنهمكت في فتح
 المحضر وسؤال الشهود حتى فرغت منهم جميعاً ،
 وأردت أن أختم محضري ، وإذا بي أرى حركة
 نصب مائدة واعداد طعام وحضرة المأمور قائماً
 قاعداً ينظر في الخوان ويدخل ويخرج دون أن أعلم
 ما يشغله من الأمر ، وأخيراً سمعته يقول للعمدة في
 ناحية :

— اسمع يا عمدة : البك الوكيل لا يحب الخرفان
 على الصباح ولا الدوك ولا حاجة أبداً ، ولكن لا بأس
 من كم زغولة مدفونة في الأرز ، والقراقيش إياها
 والقطير اللشلت ، وإن كان عليه كم كنتكوت محرمانى
 ضرر ، والبن الزاب طبعاً شيء مفيد للصحة . ولا
 بأس من كم بيضة مقالية في القشدة ، كفاية ، إياك
 يا عمدة تمل حاجة زيادة ، البك الوكيل أكلته
 ضميعة . إن كان عندك عسل نحل بشعمه فلا بأس .
 قرصين جنبه ضائق لا مانع ، طبق كملك وغريسية ..
 الغرض حاجات خفيفة لطيفة وأنت سيد المارقين !
 أطرقت لهذا الكلام واحز وجعني ولم أدر ما
 أستمع . ورأيت الخير في أن أسرع بالانصراف .
 فطلوبت أوراقى على مجل . ولكن عين المأمور
 لحظتى وأدرك غرضى . فجاءنى مسرعاً يسألنى :

حياة ، فوَقفت قليلاً وقد شرد خاطري ، وخامسني إحساس من يقف في المحطة بين القُطُر . نعم ، أو لست الساعة في تلك المحطة التي يكافئونها المريض إلى العالم الآخر ؟ وحانت من التفاته إلى باب المستشفى الكبير ورأيت المسكرى المكلف بالحراسة يطرد زرافات النساء المجتمععات في ثيابهن السودو « طرحهن » الزرق وأصواتهن التي يقطعها عويل القلق . فعلمت أنه سيبقى إليهن بجثة بعد قليل . فانهم في كل يوم يلقون خارج أسوار هذا المكان بجثة أو جثتين ليقرنهما الحزن الرابض بالباب ذو الناب الأزرق في لون « النيلة » والحلب المقر بالطين والثراب

وفتح باب قاعة العمليات وخرج ممرض يحمل دلواً فيه دم سائل ومتجمد وقطع من اللحم كأنها أحشاء خروف ، فنظرت في ذلك ، فقال لي الرجل إن هذا خرج من بطن امرأة هي الساعة فوق الشرحة تحت البنج ، لجمعت في موقفي ، وبادر الأمور وطلب باسمي مقابلة الحكيمباشي في الحال . فذهب الممرض وعاد يفتح لنا باب قاعة العمليات ، فتجلدت ودخلت وخلق من كان معي ، فقاباني الحكيمباشي بإبتسامة وهو مازال متجنباً في معطفه الأبيض على شيء فوق الشرحة وقد شمر عن ذراعيه وفي يده أداة كأنها « الكاشة » وحوله رهط من أصدقائه غير الأطباء عرفت منهم بعض الأعيان في ملابسهم العادية . فدنوت ونظرت إلى الذي بين يديه فإذا هو جسم فتاة قد شق بطنها شقاً طويلاً من الصدر حتى أسفل البطن ، وإذا « الكاشة » في يده تجمع الجلد الذي انشق ويحيطه بشيء كأنه المسامير الصغيرة ، والطبيب يفعل ذلك في سرعة غريبة وهو يثرثر مع ضيوفه مازحاً ضاحكاً كأنه « حاو » بفاخر بحفة يده ومهارة صنمته . ونظرت

— أظن نرجع ما دام التحقيق انتهى
فاثرت إلى الشاهد الذي كان جاءني به وقد نسيه فيما يظهر :

— لما نسأل الشاهد المهم :

فأجاب المأمور من فوره :

— لا مهم ولا حاجة

وتركني وانجحه إلى الفلاح وقال له :

— أنت يا ولد عندك معلومات ؟

فأجاب الفلاح :

— « لَسَ »

أي لا ، فالتفت إلى المأمور قائلاً :

— جعش الله في رسيه ! لا عنده معلومات ولا يحزنون . قم بنا يا سمادة البك نرجع بلدنا !

ونهبنا عائدتين ، وقد ارتفعت الشمس . ولم نكد نبليغ دار المركز حتى أقبل علينا « البلوكامين » يحمل إشارة من المستشفى الأميري أن المصاب « قر الدولة علوان » قد أفاق من غيبوبته الآن ويمكن استجوابه ، فأسرعنا إلى المستشفى لا نأوي على شيء ، خشية أن يعود المصاب إلى الأغراء أو سوء الحال فلا نستطيع أبداً أن نستخلص من بين شفثيه سر الحادث

ودخلنا المستشفى وسألنا عن « الحكيمباشي » فقيل لنا إنه في قاعة العمليات ، فسرنا في الردهة الوصلة إليها ، فقابلتنا تلك الأسرة الصغيرة والخفات التي تجرى على مجلات فوق الأسفلت كأنها عربات الحالين في المحطات الكبرى ، ورأينا تلك الباخر وأدوات التعميم تدفع على بكر ويتصاعد منها البخار ، والمعرضون في هرج ومرج وأرديتهم البيضاء يدفعون تلك المجلات التي تحمل أجساماً في طريق الغناء ، يدخلون بها تلك القاعة الرهيبة ويخرجون دون أن يبدو على وجوههم أثر اهتمام لوت أو

علينا تشخيصات طبية لم أحفل بها الساعة وقلت :
— الفرض ، يمكننا استجوابه حالا ؟

فأجاب الطبيب في صوت خافت :

— أظن مع الاختصار الكلي

نم دنا من المصاب وناداه في هدوء ففتح قليلاً
عينين ذهب ريقهما وكأشهما لا يران شيئاً ولا يشنان
على شيء بعينه . فاقتربت من الرجل وسألته :

— يا قر الدولة ! من ضربك ؟

فلم يجب . فاعدت عليه السؤال ففتح شفثيه
ولم يقل شيئاً . فألححت عليه فبذل جهداً طاهراً
وقال كلمة واحدة :

— ريم !

فدهشت قليلاً . وانتفت بمنة ويسره فوجدت
الأمور وسكرتير التحقيق شأنهما شأني في الايام
بالأمر والعجب له . فنظرت في وجه المصاب وقلت :

— وضح غرضك يا قر !

فلم يجب

— قصدك أن ريم هي نفسها ...

فلم يبد حراكاً ...

— يا قر ، يا علوان . تكلم . لا بد أن تتكلم .

كلمة واحدة . الضارب ؟ من الضارب ؟

ولكننا نطلب المستحيل . فقد أغض عينيه
وقد تفصده جبينه عرقاً . فجدبني الحكيمباشي من
يدى بعيدا وقال :

— كفاية !

فنظرت الى الأمور يائساً :

— كفاية ؟ !

وهل ظفرنا نحن بشيء ؟ لقد كان موقفنا
عند دخولنا أوضح منه الآن . إنها كلمة لفظها هذا
القم الجاني بعد جهد ، لئنه لم يلفظها ...

(يتبع)
نوفيس الحكيم

في وجه البنت الشاحب وهي كاليتة ، ثم إلى جلدة
بطنها وقد رشقت بالمساير في صف طويل كأشها
جلدة حسداء في بدالاسكاني ؟ فشمزت بدوار في
رأسي وخفت أن أسقط ، فاعتمدت على جانب
الشرحة . ولحظ الطبيب اصفرار وجهي فترك
الريضة وحدق في وجهي قائماً . فأسرعت وخرجت
من القاعة وأنا أقول له في صوت لم يخرج إلا نصفه
من حلق :

— منتظر يا دكتور بعد العملية

وسألني الأمور عما في فلم أستطع التعليل . إلى
قد شاهدت كثيرًا من عمليات التشرخ ، وطالما
رأيت جثثاً تقطع أسامي ويطوناً تبقّر فلم أتناثر .
ولكنها كانت أجساداً لا حياة فيها ؛ أتراني شديد
التأثر لمراى الأجسام الحية تامل معاملة الجادات ؟
أم انها فضلة من راحة البنج عبق بها جو قاعة
العمليات فبلغت خياشيمي إذ دنوت من جسم الفتاة ؟
وأعادني الهواء الطلق خارج القاعة الى نشاطي
وجلسنا ننظر في مكتب الحكيمباشي ، ونشرب
قهوة طلبها لنا « الباشتمرجي » . الى أن حضر
رئيس البار فقادنا مرحباً الى « عنبر » المصاب

وجلسنا معه خلال عمرات ازدحمت بالأسرة إذ
لم تكف « المنابر » لأيواء هذا القدو من التمساء .
ورأينا المرضى الناقهين من أصحاب « الزعابيب »
الزرقاء يتناولون في نهم حساءهم في أوان صفيرة
من « الألومنيوم » ، وينظرون اليينا ومعنا
الحكيمباشي كما ينظر القردة في حديقة الحيوانات
الى الحراس مع كبار الزائرين

ووصلنا الى سرير « قر الدولة » ، فوجدناه
ممدداً لا يتحرك . ونزع الحكيمباشي من رأس
السريزة الرقعة التي يدون فيها تطورات مرضه وقرأ



من أعماق النفوس



اعتراف في العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فيليكس فارس

(تابع)

الفصل الثالث

سأفصّل الحوادث التي أصبت فيها أولاً بدءاً
العصر :

بعد أن مررت الماسخر في ليلة راقصة ، جلست
إلى مائدة مع أصحابي ، وقد ارتدوا أنغر ملابسهم ،
والقاعة تنص بالشبيبة الفضة تشع مرحاً وجمالاً ،
وعلى جانبيها موائد عديدة تحمل أنغر الطعام
والشراب ، تنفهمها الأنوار وتكلمها الأزهار ،
والموسيقى عملاً القاعة بصخب الأنغام ؛ وكانت على
المقعد المقابل لقمدي الخليفة الرائعة الجمال التي أقفها
معبوداً قلبي

وكنّت وقتئذ في التاسع عشر من ربيع
الحياة ، وما كنّت عرفت شقاء ولا ابتليت
بدا ، وكنّت أنوماً لا أعرف المصانعة وفؤادي
طافح بالآمال

وفلمت الخمرة فعلها في عروقي ، فبدأ كل
ما حولي كأنه موسوم بطابع المرأة التي أحب .
ففي مثل هذه النشوة تلوح الدنيا للماشق جوهرية

تتألق بإسم المحبوب من كل جهاتها ، فيكاد النمل
يقبل كل من يتسم له ، إذ ينشر بأنه أخ لسلك مخلوق
في الوجود

وكانت خليلتي قد ضربت لي موعداً للاجتماع
بها بعد انقضاء السمر ، فكنت أرفع الكأس إلى
شفتي ولحاظي تنفور في أحداقها

وأدرت ظهرى المائدة لآتناول طبقاً فسقطت
الشوكة عنها ، وحين انحبت لأرفعها عن الأرض
من محاً النطاء للتدلي ، رأيت قدم خليلتي مشتبكة
بقدم الشاب القاعد بقربها ، وكانت الساق على
الساق نشد إحداها الأخرى

جلست بكل هدوء ، وطلبت شوكة غير التي
سقطت وعدت إلى تناول طعامي ، وكانت خليلتي
والشاب محتفظين بالسكون التام ، فلا ينظر أحدهما
إلى الآخر ولا يتحدّثان ؛ بل كان الشاب متكئاً
على المائدة ، وقد أدار وجهه إلى جارة له كانت تربه

عقدتها وأساورها ؛ وكانت خليتي جامدة ، وقد شخص بصرها وترأخت على مقدمها ، وما انقطعت لحظة عن مرافبتها إلى نهاية الطعام ، فلم تبدر منها بادرة ثم غن حالها

وعند ما قدم الخادم الحلوى ، زحلقنت للمنشفة وانحيت لأخذها عن الأرض فرأيت الساتين وهما لم يزالا يتشادان مترابطتين ، وكنت وعدت خليتي أن أرافقتها بمد الطعام إلى منزلها ، وما كان ما يحول دون ذلك ، وهي أرملة وليس لها إلا صهر طاعن في السن رافقها أحياناً إلى المجتمعات ؛ وبوصلنا إلى الدعابز أمام المخرج وقفت وقالت : (هيا بنا يا أوكتاف) ، ففهمت ضاحكا ، وخرجت دون أن أفوه بكلمة

اندفعت إلى الشارع ؛ وبعد أن مشيت خطوات جلست على قاعة الطريق واجأ كأني أصبت بالتمه من خيانة هذه المرأة التي لم تتر غيري يوما ولا نهت شكوكي ، وما كان الذي رأيت ليترك في أقل ريب ، فأصبحت لذلك كمن فوجئ بضربة فأس على أم رأسه . وصرت الساعات وأنا جالس على الحجر تمر بذهني أمور لم أكن لأذكر منها شيئا فيما بعد . غير أنني رأيت شهابا ينزل في السماء فرمست قبعتي مسلما عليه ، والشمراء يرون في كل شهاب هاو عالمك بندثر

ورجعت بكل سكون إلى منزلي ، وأنا لا أعي وبدأت أخلع أثوابي ، ثم انطرحت على سريري ، وما ألقيت رأسي على الوسادة حتى استوت على فكرة الانتقام ، فانتفضت وجلست ، وقد توترت عضلاتي فأصبحت كقطعة من خشب .. قفزت إلى الأرض ومددت ذراعي وبدأت أصرخ ،

وما كانت أصابع رجلى تلمس الأرض لشدة تشنج أعصابي . وصرت على ساعة وأنا على هذه الحالة من الهياج والجنون ، وكانت هذه أول نوبة غضب شمرت بها في حياتي

وكان الرجل الذي باغته مع خليتي من أخص الأصدقاء على ، فذهبت إليه في اليوم التالي وقد استصعبت شاباً بتمهن الحمامة اسمه (ديجنه) ؛ فأخذ خصمي لنفسه شاهداً آخر وتوجهنا جميعاً ومعنا الأسلحة النارية إلى غابة فسنين ؛ وكنت أثناء الطريق أتحاشي توجيه الخطاب إلى خصمي أو الاقتراب منه ، كيلا أندفع إلى شتمه أو ضربه إذ لم يكن من موجب لهذا الاعتداء ما دام القانون يميز لنا الاشتباك بمركبة منظمة ؛ ولكنني ما كنت أمتلك نظراتي من التوجه إليه ، وكان هذا الشاب من أصدقاء الصبي ، وقد تبادلنا الولاء طوال السنين ، وما كان يجهل علاقتي بخليتي ، وقد كان صرح لي مراراً بأنه شديد الاحترام لمثل هذه العلاقات ، وأنه لا يقدم على مزاحمة صديق له حتى ولو برح المشق به . وكانت ثقتي شديدة بهذا الصديق ، وقد لا أكون صاغت بداً بمثل الولاء الذي كنت أضمره له . وحدثت ملياً في الرجل الذي سمعته يتكلم عن الصداقة كأنه أحد الأبطال الأقدمين ، ثم رأيته بعد ذلك يتمتع بخليتي ؛ فإذا هو في عيني أول مسخ أصادفه في حياتي ؛ فسكنت أثبت النظر فيه لأرى كيف تكون المسوخ ، وكان يخيل لي أنني لم أر قط هذا الرجل الذي عرفته وهو في العاشرة من عمره ، فرت بنا الأيام من ذلك المهدي توثق روابط الولاء بيننا ، وإنني لأورد هنا تشبيها ينطبق على حالي :

وعند ما قدم الخادم الحلوى ، زحلقنت للمنشفة وانحيت لأخذها عن الأرض فرأيت الساتين وهما لم يزالا يتشادان مترابطتين ، وكنت وعدت خليتي أن أرافقتها بمد الطعام إلى منزلها ، وما كان ما يحول دون ذلك ، وهي أرملة وليس لها إلا صهر طاعن في السن رافقها أحياناً إلى المجتمعات ؛ وبوصلنا إلى الدعابز أمام المخرج وقفت وقالت : (هيا بنا يا أوكتاف) ، ففهمت ضاحكا ، وخرجت دون أن أفوه بكلمة

اندفعت إلى الشارع ؛ وبعد أن مشيت خطوات جلست على قاعة الطريق واجأ كأني أصبت بالتمه من خيانة هذه المرأة التي لم تتر غيري يوما ولا نهت شكوكي ، وما كان الذي رأيت ليترك في أقل ريب ، فأصبحت لذلك كمن فوجئ بضربة فأس على أم رأسه . وصرت الساعات وأنا جالس على الحجر تمر بذهني أمور لم أكن لأذكر منها شيئا فيما بعد . غير أنني رأيت شهابا ينزل في السماء فرمست قبعتي مسلما عليه ، والشمراء يرون في كل شهاب هاو عالمك بندثر

ورجعت بكل سكون إلى منزلي ، وأنا لا أعي وبدأت أخلع أثوابي ، ثم انطرحت على سريري ، وما ألقيت رأسي على الوسادة حتى استوت على فكرة الانتقام ، فانتفضت وجلست ، وقد توترت عضلاتي فأصبحت كقطعة من خشب .. قفزت إلى الأرض ومددت ذراعي وبدأت أصرخ ،

بمبدأ عن المظلم؛ غير أنني كنت أتعلم إلى درجة جعلت كل محاولة لتضميد الجروح مستحيلة. وعند ما تحركت العربية للمسير رأيت يد خصمي كاتبة على عارضة الباب وهي ترتجف؛ وكنت أشعر أنه مخلص في ندمه، ولكنني لم أكن بخالة تمكنني من التغلب على ثورة أعصابي لمنحه التفريط

ولما وصلت إلى مسكني كان قد زف من دى ما يكتفى لتهديته فوران الغضب، وكان أشد على من آلام جرحي. استلقيت على فراشي مرتاحاً وتناولت من الماء كأساً لم أشعر بلذته مثل لذته في أبة كأس شربها في حياتي

وبعد برهة شعرت بنار الحى فتساقطت دموعي وتسلط الأذى على، لالتجول خيلتي عنى بل لأقدامها على خداعي. وهل يسهل على أن أدرك السبب الذى يحفز امرأه لا يقيدتها واجب ولا غاية دابة إلى خادعة رجل وهي تحب سواء

وكنت أعلن استفراي هذا لديجته عشر مرات في اليوم فأقول له:

— لو أنني كنت زوجاً لهذه المرأة، أو لو كنت أبذل المال لها لكانت أفهم سبب خيانتها. فما الذى كان يصدها ياترى عن إعلان انتهاء حبها لي؟ وما الذى دعاها إلى خياني؟

وما كنت أتصور وقوع الكذب في القرام. كنت لم أزل في شرخ الشباب في ذلك الزمن؛ غير أنني أعترف بقصوري حتى الآن عن إدراك هذا السر. ولقد كنت كلما أحببت امرأة أعلن لها حبي، وكلما شعرت بزوال الحب أعلنه أيضاً، إذ كنت أعتقد أن مثل هذه الأمور لا سيطرة لأرادتنا عليها، وأن لا جريعة إلا في السكند

— إن في رواية إسبانية معروفة مشهد شخص من حجر رسله المدل الآسى ليتناول طعام المشاء مع رجل عاهر، فيتجلد هذا الرجل كيلاً يلمح جلسته اضطرابه، ولكن الجليس يتقدم لمصاحته، وعندما يقبض على يده يشعر الرجل بصقيع الموت ويرتمش حتى يفقد شعوره

ولقد كنت طول حياتي كلما تكشف لي صديق أو خلية عن غدر وخديعة أشعر بما لأجد له شيئاً سوى مصالحة اليأس، فكأنني كنت أبص حقيقة على يد من رخام تشعري بصقيع الحقيقة الروعة

تلك هي مصالحة اليد الباردة. ولكم طرقت بابي وأسفاه — ولكم زل الزجل الحجري في ضيافتي فتناولنا المشاء معاً

وتحت المعدادات فوقفت من خصمي موقفه منى وتقدم كل منا يبطء نحو الآخر؛ وأطلق هو النار أولاً فأصابني في ساعدي الأيمن، فتناولت السلاح بيدي اليسرى، ولكن خاتمتي القوي لجئت راكناً على ركبة واحدة. وعندئذ رأيت خصمي يتقدم إلى بسرعة وقد امتنع لونه وبدت عليه دلالات الاضطراب الشديد، وترا كض الشاهدان فأبعدها هو وقبض على يدي الجريحة وقد صرف بأسنانه واختنق صوته فرائت الألم يرسم على وجهه بأشد مما كنت أشعر به

فصحت به: إذهب عني، إذهب إليها وامسح يدك بقطاء فراشها. وبقينا كأننا على صدر كل منا حجراً

ونقلت إلى عربة حيث عابني طبيب فوجد أن الجرح غير خطار لأن الرصاصة كانت استقرت

نوبها وتهدل شعرها ، فرأيت فيها من الجمال ما لم أراه من قبل ، فارتعشت كرها واشتزازاً بينما كانت الشهوة تنور في دمي

خرجت من لثمها وقد تحطمت قواي وصممت على ألا أقابلها أبداً ، ولكنني رجعت إليها قبل مضي ربع ساعة وأنا مندفع بقوة خفي كنتها علي ، وقد تسلطت على شهوة المجتمع بهذه المرأة مرة أخيرة لأشرب على جسدها الرائع الجمال كل ما ذرفت من رير الدموع ولأنتحر بعد ذلك

كنت أكرهها وأعبيدها ؛ كنت أشعر أن غرامها يورثني الهلاك ، وأشعر أيضاً أنني لا أقوى على الحياة بدونها . صعدت إلى غرفتها بسرعة السهم للطلق دون أن التفت إلى الخدم في طريق ، ودفت باب غرفتها فجأة فرأتها جالسة إلى المرأة وقد تحملت بجميع جواهرها ، وكانت وصيفتها واقفة وراءها تمسح شعرها ، تغيل الي أنني أشهد حلماً ، إذ امتنع على أن أتصور أن المرأة التي أراها أمامي هي المرأة نفسها التي كانت منذ هنية ساقطة على الأرض تحت وقر آلامها

تبحرت كالتمثال مكاني ، وعند ما سمعت افتتاح الباب التفتت وقالت قبل أن تراه : أهذا أنت ؟ ؟

وكانت تنتظر خصمي ليذهب بها إلى مرقص . وإذ عرفني قطعت حاجبها وتبرمت . وتراجعت قاصداً الانسحاب ، ولكنني رأيت رقبته الناعمة وقد عقص عليها شعرها وربط عليه مشط من اللاس ، والتفت فوقه خصلتان ركزتا بسنبلتين من الفضة ، ولأج كنفهاها وعنقها بأصع بياض ؟ فكان شعرها المعقوس مرتعماً لبدة أسد تهزأ

أما ديجنه فما كان يجيب على كل هذا إلا بقوله : إنها لشقية . فعدني ألا تنظر إلى وجهها فيما بعد

وكنيت أقسم له باتباع نصيحته . وقد أشار على فضلاء عن عدم مقابلتها ألا أكتب إليها حتى ولو بقصد توبيخها ، وألا أجابها إذا هي كتبت إلي . وما ترددت في وعده بما أراود وأنا مندفع بل متالم لعزلة نفسي لاقتراضه إمكان مخالفتي لهذه الحيلة الرشيدة

ولكنني ما تمكنت من النهوض من فراشي ومبارحة غرفتي حتى هربت إلى منزل خليفتي فرأتها وحدها على مقعد في غرفتها وقد ظهر التعب على ملاعبها والالام في ترتيب أثوابها . فاندفعت أشبعها لوماً وتقريماً ، وقد بلغ مني اليأس أقصاه . فكنت أصرخ بجله مصوتي ودموعي تتساقط بفزارة ، وخنفتي الزفير فانطرحت على السرير وأنا أقول : لقد كنت تعلمين أن خيانتك تقضي على أيتها الخائنة الشقية ؟ فهل لذت لك هذه الجنابة ؟ وما هو ذنبني إليك ياترى ؟

أما هي فانطرحت على تمانقني قائلة : لقد اندفعت بالرغم مني لأن ذلك الشاب كان قد أسكرني على المائدة ؛ ولكنني لم أسلم إليه ، بل كل ما وقع هو أنني تراخيت في ساعة ضلال . ولقد أكون أخطأت ولكنني لم أرتكب جرماً . إنني أقدر الضرر الفاجح الذي أزلته بك ، ولكنني أطمع في عفوك ، فإذا أنت منعتني عنى قتلتي

وما ادخرت شيئاً من دموع التوبة الصادقة ولا من فصاحة الألم توسلاً لتبرئتي ، وارتعت على ركبتيها في وسط القاعة وقد امتنع لونها وتفتق

وقلت لها :

— ليكن ما تريدن ، ولكنني أقسم بالله الذي
أنا ، وبروح أبي أنني سأفعلك وأتخير بعدك —
وأخذت خنجرًا كان على رف اللوقد ودسسته
تحت الوسادة فابتسمت وقبلتني قائلة : — ما لك
ولهذه الحفاة يا أوكثاف ؟ تعال إلى أباك ترهن
نفسك وأنت محموم ، أعطني هذا الخنجر
ولا رأيت أنها تحاول أخذه قلت لها :

— إصني إلى ، إنني لا أعرف من أنت ولا أية
مهزلة تخيلين ؟ أما أنا فليس من المهازل ما أقول .
لقد بلغ حيي إياك أقصى حد يصل إليه حب إنسان
على الأرض فكان ذلك لشقائي وموتي ، فاعلمني أنني
لم أزل أنفاني في هواك . تقولين إنك تحبينني أيضًا
فأنا أطاردك في رغبتك ، وأقسم بأقدس ما في
الكون بأنني إذا ما اندجبت بك هذا المساء فلن
يامسك أحد سواي غداً . سأنتع بك أمام الله
إذا ما رضيت ، ولكنني سأفعلك قبل انفلاق الصباح
وارتجيت على الأرض من تمسكاً ، فرأيتهما تأتي
مطفئها على كتفيها بسرعة وتولي الأدبار
وعند ما أخبرت (ديجنه) بهذه الحادثة قال لي :
ولسانا رددتها ؟ إنها جميلة حقاً . فهل بلغ كرهك
لها إلى هذا الحد ؟

فأجبت : أما زح أنت ؟ وهل لهذه المرأة أن
تكون خليلتي بعد الآن ؟ وهل تمتقد أن يامكاني أن
أشترك فيها مع سواي ؟ أفلا تذكر أنها أقررت
بتمتع غيري بها ؟ فهل بمسد ذلك تريد أن أُنسى
وأستبقى حيي لها وأنتع بها أيضاً ؟

(يتبع) فيليكس فارس

بالمشهد الدليل الذي وقفت عنده منذ هنية .

وجت لحظة ثم تقدمت فجأة إلى هذه المرأة
وأترأت بقبضتي ضربة قاسية على رقبته فلم تصرخ
بل سقطت إلى الأمام مرتمية على يديها . وعندئذ
أسرعت بالانصراف

وما إن وصلت إلى منزلي حتى عاودتني الحلي بشدة ،
فلزمت الفراش وقد نكأ جرحي فآلمني كثيراً .
وجاء ديجنه لمبادئي فأطلمته على ما جرى ؛ وبعد أن
أصنني إلى بكل هدوء أخذ يتمشى في الغرفة كمن
عزم على أمر يتردد في تنفيذه . وأخيراً وقف أمامي
وأطلق ضحكة غالية وقال :

— أهذه المرأة أولى خليلتك ؟

فقلت : — لا بل هي الأخيرة

وعند منتصف الليل بينما كنت مستغرقاً في
نومي المضطرب خيل إلى أنني أسمع تهدياً عجمياً ، وإذا
فتحت عيني رأيت خليلتي واقفة قرب سريري وقد
شبكة يديها على صدرها كأنها شبح من العالم
الثاني ، فما ملكت روحي فصرخت حاسباً أن ما أراه
خيال جسمه دماغى المحموم ، فنهضت مذعوراً
وهربت إلى زاوية الغرفة ولكنها تبعتني وقالت :
أنا حي . وضمتني إليها فصاحت بها : — ماذا تظلين ؟
دعيني وشأني وإلا تقتلتك

فقلت : — لك أنت تقتلني فأنني خنتك
وكذبت عليك ، وما أنا إلا شقية حقيرة ، ولكنني
لا أطيق الحياة بدونك

ونظرت إليها فإذا هي مجسم الجلال ، وقد
ارتدت أعضاؤها واشتعلت عيناها بنيران الشهوة ؛
وكان عنقها عارياً وشفتاها محترقان ، فطوقتها بذراعي



هومروس



الأول زليخة

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

النبأ، وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه،
ويذيقهم ضعف ما صنعوا، ولن يجديهم أن يتوبوا
أو يتدنوا... ليأتينكم نبؤه بعد حين !
وسخر القوم واستهزأوا به، وقام يورعاك
برجه بهذه الكلمات :

« اتقلب إلى دارك أيها المعجوز الخرف ! لم
إلى أحفادك الكسالى فتنبلهم بما ينبغي أن يأخذوا
حذرهم منه ! لقد قصفت النون غصن أوديسيوس
الفينان . فليتة قصفت غصنك كذلك ! طير ؟ ! ها
إن الطير طالبا يستنسر في سماء إيثاكا ؟ إن أكبر
الظن أنك تطلع في منحة من ابن مولاك تلياك ..
ولكن اصغ إلى ! لتكن لك منحة منا إن تنبأت له
عما يكاد يذهب بك وبه من بعلشتنا إن لم يختار
نفسه ! أسمعتم ؟ لقد نصحنه أن يرسل أمه إلى
بيت أبيها ليختار لها الكف الذي ترضى ، فلم
ينتصح . وأنا أرسلها كلمة صريحة في غير ميثاقنا
نرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخبر (حتى

وما كاد يفرغ تلياك من مقالته حتى أرسل
سيد الأولب نسرين عظيمين طفقا بضربان الهواء
بخوافيهما ، ثم جملا يدومان فوق الملأ ، ويقدحان
الشرر من أعينهما ... نذري ردى ، وصيحة
منون . ثم انطلقا نحو المدينة وغلا في ظلام البعد
وشده القوم ، ورابت أفئدة المشاق ، وأخذوا
يتخافتون ... ثم نهض فيهم القديس هاليتير بن
نسطور المعروف بورعه وصدق نبوءته ، فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيثاكا ! اسمعوا وعوا !
ليجتر المشاق المعاميد ما يجي لهم الغيب من شر
أوشك أن يتخذ على رؤوسهم ! إن أوديسيوس حي
يزرق ، وإنه عائد يوما إلى وطنه ، بل إنه يجد السير إلى
هنا ! وإنه ليحمل اللوت الأجر إلى خصومه ، والخير
الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ، قد يسكم الذي
لا يكذب قد أنبأته قبل أن يجر إلى طروادة بذلك

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيت آلاء ملككم أوديسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويفدكم عليكم من فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاسمتهم دون هؤلاء الشاق الذين يذهبون بخير مولايكم وبأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قُلُّوا وأنتم كُثُرُ ، آمنين مطمئنين ، لا يرهبون أدبة مفاجئة من البطل الشرير ... ؟ »

وهاجت كلمة الرجل كوا من العشاق فذهب أخدم وهو ليوكريتوس ، يقول :

« زويدك يا منطور ! أيها الترامرة السجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل فتثير الشغب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أيجتلك كزنتهم يا منطور ؟ إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً أن يعود ؛ إنه إذا فعل فسيدوق وبال أمره ، وإن نال منا حافلاتك ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها لن تجيب بأوبة أوديسيوس ؛ ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تلياخوس فيذرع البحر باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... »

وتفرق القوم ، وأهرع العشاق إلى خيامهم ، وانقلب تلياك إلى سيف البحر ، حيث وقف فوق سخرة نائنة ينادي ميترفا :

« أيها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة ميترفا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصلي لك ، أما تلياخوس التمس ، وأبتهل أن تباركيني وتسددي خطواتي ، وتكوني رائدي الأمين في عباب هذا البحر ، وأن تشدي أزرى وتكوني مني إلى عاك هؤلاء الفساق المراسيد ،

تخضع بنلوب) فتمضي ماجورين . . وثق ، أيها الشيخ الهيب الخرف أن نبوءاتك لن تفزعنا ، بل هي تصانف سخطنا عليك ، وبفضاءنا لك ... ألا ما أطيب الاقامة هنا ؟ ! التردد بنلوب عناداً ، فاما لا تزاد إلا جلالاً ... »

ونهمس تلياك فقال :

« على رسلك يا بورماخوس ! وعلى رسلك أيها العشاق جميعاً ... لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها ! أبداً لن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة يدي ويديكم ، والأعريق أجمع أعلم بأمرى وأسرهم ؛ غير أن لي طلبه إليكم حينداً لو أنتموني لإها . . . فهل تسمحون لي بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فوري هذا إلى بيوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبي ، وأألق نبوءة من سيد الأوب التي ييده ملكوت كل شيء . . . إني إذا علمت أن أبي ما يزال حياً فقد أوقف في العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فاني عائد إلى إيثاكا فقيم له نصيباً يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحدكم يد أي فتكون زوجة الخالصة إلى الأبد ، بعد أن أتم لأبي كل الراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى دها في ظلال هيدز ^(١) »

وكان في المجتمين رجل تبدو عليه تخاليل النبل ، وتنفذ في رأسه جرات الشيب ، تهالك على نفسه حين وقف بنافح عن تلياك ، فإذا هو الشيخ منطور ، الذي كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما ... قال منطور :

(١) إسم الدار الآخرة في الميثولوجيا

وأفديك .. لكن لتمنّى الآن فلنمُدّ للرحلة ما هو
حَسَنُها من زاد وعَتاد ، ونَجْية أولى بأس من
رجالكَ الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسى أشدّهم مَراسِكاً
وأصدقهم عِزّة .. إمض على بركة الآلهة ...
إمض ... لا وقت لدينا فَنُصَيِّمُهُ ... هلم ...

وسكنت ميرفًا ... ولكن حرارة كلناهما
أشْرِقَتِ بالآمال في نفس تلياك ، فذهب وقلبه
يخفق بألم أمنيّة ... إلى القصر ... حيث رأى
المشاق يُذبحون ويمدون نار الشواء ، وحيث فُتِز
أنتينوس للقائه ساخرًا مستهزئًا :

تلياك ! نأشدّك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا
واطرحت نِفْضاًك نهية ! هلم ! تحسّ من هذه
الجر قرفقاً أيّها الصديق . لا يشغلك أمر الرحلة ..
فقد أمرنا أن يمدّ لك الآخيون سفينة عظيمة
وقدراً من الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى
قوة .. وستبحر قريباً فتذرع البحار وراء أهلك .
هلم ... هلم ...

ولكن تلياك عيس عبوسة قاعة وقال :
« أنتينوس ! إليك عني فسا أستطيع مشاركة
خصوى السفلة غداءهم ، ولأى قلب فأشرب
النخب من يدك : لا بورك لكم هذا الدبح الذى
لا يحلّ لكم ، والذى استبجتموه من غير حق ، إذ
أنا طفل أحبو .. أجل ! لأستعجلن لكم الخراب
ولأسعين في حنّكم ، ولأذهبن إلى بيلوس فاتصر
إذ عزنى النصر في إيشاكا ! أيّها الذئاب ! حتى
سفائى وعنادى تنكرونها على ! »

وكان اللثم قد أمسك يمين تلياك كالمصانع
المستهزى ، ولكن تلياك جذبها ساخطاً ، وترك
الكلاب تغمزه وتلهزه ، وتستهزئ بهذا العون

وأن تشرق في ظلمات رحلتى البعيدة ، وأن تحلى
أمنًا وسلامًا على ... يا ميرفًا ، يا ميرفًا ، آمين
ياربة المدالة ... »



واستجابت ميرفًا ، وأقبلت في صورة الأمين
منطور حتى كانت قبالة تلياك ، ثم شرعت تنكلمه
كلماتٍ هن أروح من أنفاس الفجر ، وأندى من
نبات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تلياخوس ! السلام عليك
حين تثبت أنك ابن أوديسيوس وفرع دوحته
الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حصوله
وطوله وقوة بأسه ، وحين تقلع على بركة السماء
وفي عناية الآلهة ورعاية سيد الأولب ؛ ؛ في رحلة
لن تكون عبثاً ... أنت ابن أهلك يا تلياك ... أتى
بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة
التي تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذى
هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذى يتلجج
في ذك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد
الذى هو قبس من ذهنه العظيم ... بشراك يا تلياك !
لا يحزنك خيال أعدائك فقد أوشك القضاء أن
ينفض على رؤوسهم فيحطّطهم ... أنا ... أنا
هذا الشيخ الملهّد ، صديق أهلك وأمينه منطور ،
سأكون معك ، وسأخدمك ، وأسهر عليك ،

اليوم رفات سحبق في رمس عميق في بلد لا نعرفه !
أنسافر يا تلياك ليأعز بك هؤلاء الذئاب ، وقد
يسلطون عليك من يفتالك ، ثم يستصفون كل مالك
بعد ذلك ؟ حاشاك يا بني ! لثبق معنا نحن الذين
أحبيناك واسطفيناك ! فيم تذر عباب هذا البحر
ولا رجاء لك في مطمح ، ولا ثقة لك في شيء ؟
وأجاب تلياك في رفق :

« رويدك أنت يا ربيبة ! إني لم أعزم شيئا من
تلقاء نفسي ... إنها السماء هي التي توحى إلى ا
ولكني أستطفك بكل أربابك ألا تقصى شيئا مما
اعزمته على أي إلا بعد احد عشر يوما أو اثني
عشر يوما ... فانها لو علمت بسفري لأظلمت في
عينها مباحج الحياة وذهبت نفسها على حشرات »
وأقسمت يوريكيا بكل أربابها ، وانتنت هي
دنان الحمر وأحال الدقيق

أما منيرفا ! أمارة العدالة والحسكة الخالدة ،
ذات العينين الزرجديتين ، فقد تمت شطرن البحر
وقصدت الى الرفأ ، حيث لقيت نوميون بن
فرونوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواربه
المنشئات ، فأعد لها واحدة من خياريها .
وما كادت ذلك تدخل في خدر الأمان ، وما كاد
الشفق يبكي فيصبغ بدموعه جبين السماء حتى كان
الملاحون قد هبوا القلوع ونشروا الشراع ،
وخبروا مجازيفهم وأحضروا عدهم ، وتزدوا
من السلاح ؛ وكانت مينرفا نفسها تستحجم ،
فسرعان أن نهادت السفينة في جوارها ، ورقصت
نشوى فوق هامات النبع

وذهبت مينرفا ، في صورة منظور في طيلسانة
فأشرفت على عصابة المشاق ؛ وتعمت بكلمات

الذي يرجوه من بيلوس ، وتلك الجعافل التي يأمل
أن يجردھا عليهم من أسيرطه ... « ومن يدري ؟
فقد يهتدى إلى إيقير الثمرة ، فيجسد في أعشابها
بقلة يدس لنا منها في كؤوسنا فترجحه منا ... »
« ... بل من يدري ؟ فلقد يبتلمه اليم كما ابتلع
أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا
إذن نقسم هذا المتاع وتلك الضياع ، ثم نهر أحدا
الذي تختاره بثلوب بملأ لها ، غادة هيلاس بهذا
القصر المنيف ! ... »

تركم تلياك ، ومضى قدما الى غرفة أبيه
بالطابق العلوى ، حيث كنوزه التي لا تقدر ، من
عدة للحرب وذهب مدخر ، وخز متعة وروح
أذفر ، وخز ودياج ودور وجوه ، ومغافر
أعدت لليوم المنتظر ... يوم يعود أوديسيوس
فيظفر ويقهر ، ويظهر بيته من ذاك النفر ...

ووجد عندها حارسها يوريكيا فصاح بها :
« ربيبة ! يوريكيا ! هيا ! صي من تخرك في
زقاق ! من مدامتك التي ادخرتها لأني ... لا ...
لا ... ليس من صفوتها يا ربيبة ، احتفظي بصفوتها
له ، املي اثني عشر درنا ، وهبي عشرين
جوارقا من دقيق ، هيا ... أعد بها كلها لحمل
إلى سفينتي بعد أن تمام الماسكة ... لا يعلن أحد
بأمر حلقى إلى بيلوس وأسيرطه ... حتى ولا أنا !
سأرحل حلة ... سأسمع أخبار أبي ... »

وصمت تلياك هنيئة ... واستمرت ربيبة
يوريكيا ، وأرسلت هذه الكلمات على أجنحة من
الحنان ، وفي شقائق من الرحمة :

« رويدك يا بني ! أي سفر وأى نوى ؟ لقد
انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شيء ! وهو

وتلك الأحوال الى السفينة : لا أحد يعلم أمر رحلتنا
حتى ولا أُمِّي ! فقط ربييتي »

وامتثل للملاحون أمر سيديهم ، ثم تقدمت
مينرثا فركبت السفينة ومن ورأسها ابن أوديسيوس
وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهاياوا
الركب ، وحدجت المغرب ربة العداله بمينها
البرجديتين فهبت النسيمات رُخاءً ، ورقصت
تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تليماك وافقاً
يبحث رجاله ؛ واضطرب الماء تحت حيزوم السفينة
واسطخب ، وصب القوم دنانا من الحجر تقسمة
للآلهة وقربانا ، ونحية لمينرثا لا تبيد !

واحولك الليل وتدجى غيبه ؛ ثم انجاب
ظلامه عن فجر مبين !

(يتبع)

دريتي خشير

فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النّعماس رُلّة
جفونهم ، وكانت الكؤوس ما تزال تغمقه في
أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض
من تحتهم شرابا !

وظفّقوا تحت طائف الكرى ، بنسألون
الى خيامهم . . .

وأدلفت مينرثا نحو القصر ، لتلقى تليماك :
« تليماك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك
في تلك المشجون ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا
نضيع وقتنا سدى »

ونفض تليماك ! وسارت مينرثا ، وسار هو في
أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرفا
على السفينة .

« مرحبا يارفاق ! هلموا فاحلوا هذه الدنان

بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجهه

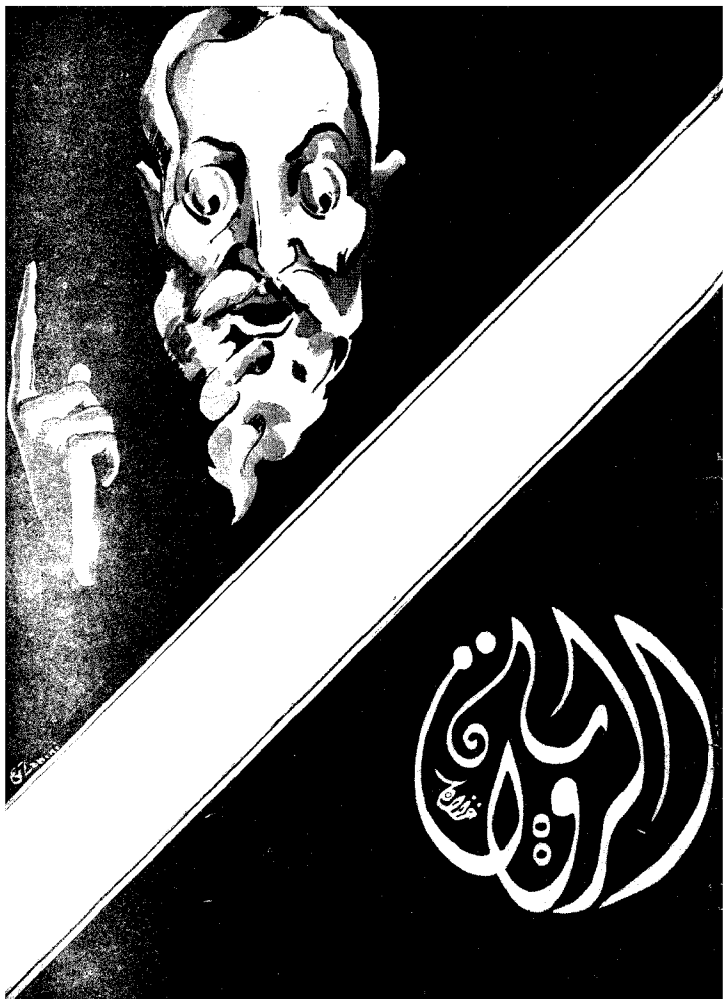
اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التوفير المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمرکز البنك الرئيسي

بالقاهرة ، وفروعه بالاقالم

ليس للبنك وكلاء متجولون





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للتقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢ محرم سنة ١٣٥٦ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٧

العدد الرابع

وكان الشتاء في عامنا

المصرم قارساً شديداً

الزمهرير ، وكانت الحاجة

إلى التعلق والانبطاق

في شهر مايو أشبه بالنشوة

التي تنسمر بالجيا التي

تفيض

في ذات صباح من

أصباح الربيع تيقظت فإذا

في ألمح من النافذة

بساط السماء الأزرق ممدوداً على سطوح المنازل

المجاورة ، وقد اشتعلت الشمس في سرته

وحواشيه ؛ وكانت العصافير الناشئة في الشبايك

تفرد وتسرف في التفريد ، والحداديات في جميع

طبقات البيت يغنيهن ويبالغن في التردد ،

ونخبة الجهور والمرح تصعد من الشارع إلى ،

تفرجت والفكر جذلان مشرق أهم في المدينة

في الربيع

للقصص الفرنسية دي موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

حيثما تقبل أوائل الأيام الجميلة فتستيقظ الأرض ،
وتحضر الحقول ، وينبعث النسيم الفاتر العاطر
فينفخ الجسوم ويملا الصدور حتى كأنما يتخلص إلى
الأفئدة ، تتألم أنفسنا رغبات غير واضحة لسعادة
غير محدودة ، فنتوق إلى الجريان ، ونصبو إلى
الجولان ، ونسي إلى القاهرة ، ونهفو إلى
ارتشاف الربيع

ثم انتهى في أسفل الجيد إلى زغب دقيق رقيق أصهب تكاد لا تراه ، ولكنتك تحس في نفسك رغبة ملحة في أن ترسل عليه غمراً من القبل التفتت الفتاة إلى إجابة لألحاح نظري ؛ ثم كسرت طرفها فجأة ، ولاح على وجهها قطوب خفيف أشبه بالابتسام البادئ ، أخفى زاوية فيها بعض الخفاء ، ولكنه أظهر ثمانية

ذلك الرغب الناعم
الشاحب الذي
ذهبت الشمس قليلاً
كان النهر
المهادي ينقرج
ما بين ضفتيه ،
والجو الضاحك
تنتشر فيه سكينه
الدفء ، والقضاء
الشرق ترخر به
غفمة الحياة .
فرقت جارق
بصرها ثمانية إلى ،
وفي هذه المرة كما
بدأ لي من مراقبتها
كانت بسمتها



لا أعرف لي وجهها ولا غاية ؛ وكانت بسات السرور تتألق في وجوه المارين ، ونسبات السعادة تهتر في أجواء الريح . وكأنا هبت على المدينة نفحة سارية من الحب ، فالفتيات اللاتي يمشين في زينة الصباح وفي عيونهن حنان مكثوم ، وفي مشيتهن رشاقة رخوة ، كن يبعثن في قلبي اضطراباً ومشغلة

بلغت ضفة
(السين) ولا
أعرف كيف ولا
أدري لماذا ؛ فلما
رأيت البواخر تجري
نحو (سبرينس)
فازعتني نفسي إلى
أن أجوس خلال
النساب فركبت
إحداها
وكان ظهر
الباحرة (موش)
مغطى بالسافرين
فما نجد موضعاً
لقدم ، لأن أشعة
الرياح الأولى
لاندع إنساناً قابلاً

صريحة قاطعة . وكانت في هذا الوضع رائمة فائنة حتى كشفت في نظرها الخناصت المارباب ألف شيء . كانت مجهولة : كشفت فيه أغواراً لم تدرك . فيها كل ما نرغب من الحنان ، وكل ما نطلب من الشعر ، وكل ما نبني من السعادة ؛ فتملكتني رغبة جنونية في أن أفتح ذراعي فأحملك إلى مكان آخر ثم أهمس في أذنها بشعر الهوى وموسيقى الغزل

في مسكنه ؛ وكان كل راكب عليها قد استخفه النشاط فهو يذهب ويحيى ويضطرم في نفسه ويتحدث إلى جاره . وكان جوارى لفتاة صغيرة لا شك أنها عاملة . هي باربسية الأنافة بارعة الطرف ، لها رأس لطيف التكوين أشقر اللون ، قد استوى شبره حلقاً على الصدغين ، ثم تتحد وتجد قصار كأنه ضوء متموج ؛ ثم انحدر إلى الأذن ، وسال على المنق ،

خاليه ؛ ومن واجبي أن أنبهك إليه كما ينبه
الروسيون للار إذا قرص أنه البرد فيس »

لنبت دهشاً مبهوتاً أمام هذا الرجل الغريب ،
ثم اتخذت هيئة الوار ، وتكافت لهجة الحمد ،
وقلت له : أراك تدخل ياسيدي فيما لا يمتنعك
فتحرك حركة عنيفة ثم قال : « آوه ياسيدي !
سيدي ! إذا رأيت إنساناً يشرف على الذرق فهل
يجوز أن أدعه يفرق ؟ إستمع قصتي فستعرف بعدها
لماذا جرؤت على أن أكلك على هذا الوجه :

« كان ذلك في مثل هذا الفصل من العام الماضي ،
ويجب أن تعلم ياسيدي أولاً أني موظف بوزارة
البحرية ، وورؤساؤنا المسكرون يتخذون من
نشاراتهم وشرائعهم حجة على أن يعاملونا معاملة
مهيئة : آه لو كان كل الرؤساء ملكيين ! ما علينا !
فلحمت من شباك مكتبي طوقاً أزرق صغيراً من
حاشية الأفق يطير فيه السنونو ، فقام بنفسى
أن أرقص في وسط دقاري وأضاييري . واشتدت
رغبتي في الحرية حتى ذهبت على الكره مني إلى
فردى أورئيسى ، وهو رجل ضئيل الجسم نرق
الطبع لا يتسار عن وجهه الغضب لحظة ، فقلت له :
إني مريض ، فصاح في وجهي وقال : أنا لا أصدق
ذلك ، إذهب عني . أنظن أن العمل يمشي على أمثالك
من الموظفين ؟ » لم أذهب إلى المكتب كما أراد ،
وإنما ذهبت إلى السجن كما أردت ؛ وكان جو ذلك
اليوم يكو هذا اليوم ، فركبت الباخرة (موش)
لأجول جولة في ضاحية (سان كاو) . آه ياسيدي
ما كان أحق رئيسي أن يحول بيني وبين الخروج !
لقد خيل إلى أن مشاعري وجسمي مدتها حرارة
الشمس ، فأنا أحب كل شيء : أحب الباخرة والنهر
والشجر والمنازل والجيران وكل ما في الطبيعة من
صامت وناطق . لقد كنت أتوق إلى أن أعانق أوى

ملت عليها وهمت أن أفتح في لأنسكلم وإذا
بيد تلمس كفتي ، فالتفت مبهوتاً فرأيت رجلاً عادى
الهيئة متوسط العمر ينظر إلى في حزن ويقول في
جد : « أريد أن أكلك في أسر » فبدت على وجهي
جهومة لم يخف عليه لأنه قال : « إن الأمر جد »
فنهضت من مجلسي ونبعته حتى انتبذني
مكاناً في الطرف الآخر من السفينة ثم أنشأ يقول :
« حيناً يدنو الشتاء ياسيدي بقره ومطره وتلججه
يقول لك طيبك كل يوم : « لا تهمل تدفئة
قدميك ، واحذر البرد والركام وذات الرئة وذات
الجنب » فتجسب ألف حساب وتتخذ ألف حيلة :
تكتسى القميص الصوف ، وترتدى اللطف
الثقيل ، وتنتعل الحذاء الغليظ ، ثم لا تمنك
ذلك من أن تقضى شهرين في السرير . ولكن
حيناً يعود الربيع بنضرة عوده ، وبهجة وروده ،
ونسيمه القار الذي يرخي الفاسل ، ونفسه
العاطر الذي يلبل الصدر ، لا تجد من يقول
لك : « حذار من الحب ياسيدي ! إنه يتمقبك
في كل مكان ، ويتصدك في كل كين . كل حيلة
منصوبة ، وكل أسلحته مشحودة ، وكل غدراة
مُهَيَّاة ! حذار من الحب ! حذار من الحب ! إنه
أشد خطراً من الزكام وذات الرئة وذات الجنب .
إنه لا يشفق ولا يرحم ، ومن طبعه أن يحمل نحايه
على أن يأتوا من السخف والحق ما لا علاج له
ولا حيلة فيه » أجل ياسيدي ! إن من رأى أن
تكتب الحكومة في كل عام بالخط الغليظ على
الجدران هذا الاعلان : « هار الربيع ، فاهمروا أربا
الفرنسيه من الحب » كما يكتبون على أبواب المنازل
المدهونة : « احذروا من الدهان ! » وما دامت
الحكومة لم تفعل فاني أقوم مقامها في ذلك وأقول
لك : « احذر من الحب ، فإنه يهيم أن ينشب فيك

والمرء يا سيدي يعود بهما خالصاً في بعض أحيائه .
ثم غنت وهي نائرة الشاعر مستطارة اللب ألف
أغنية : منها الرقيق ومنها الوضع ؛ وفي هذه اللحظة
كانت هذه الأغاني وتلك في مسمى سواء في راعة
الشعر وسمو اللحن . فانفعلت أشد الانفعال وكادت
أبكي من فرط التأثر

أدركها التعب بعد قليل فقامت على منحدر
ممشوب ، وقعدت أنا بجانبها وتناولت يديها
الصغيرتين ، فخرق شفقتي عليها ما وجدت
على أناملها من آثار وخز الآلة ، فقلت : هذه
هي العلامات المقدسة للعمل . فقلت : آه يا سيدي !
أندري ماذا تدل عليه العلامات المقدسة للعمل ؟
إنها تدل على الصنع الصالح بلغو الريلات ،
والسمع الموث بأغشئ الهمسات ، والذهن الدنس
بأفئد الحكايات ، والمغفقات الثلوم ، والمرض المكوم ،
وفصول الأحاديث السخيفة ، وغشاة الأفكار
الضعيفة ، وشقاوة الحياة اليومية ، وعلى كل
ما تتخلق به المرأة العامية الماملة من ضيق الفكر ،
وهجر الحديث ، ووقاحة التبدل

ثم حذق كل منا في عين صاحبه طويلاً .

آه ! ما أقوى عين المرأة ! ولشد ما تفنن وتمزج وتملك
وتسيطر ! ما أعقق هذه العين وأملأها بالوعود
والأحلام والأسرار ! لقد قالوا : إن العين مرآة
القلب . وما أهد هذا القول عن الصديق يا سيدي !
فإن المرء لو اطلع من العين على دخيلة النفس لأبصر
رشدته وأقلع عن هواه ، فلا تصدق !

نار تاري وجن جنوني ، فهمت أن أضنها
إلى صدرى فقالت : دع عنك هذا ولتسقط المخالب !
حينئذ جثوت على قدميها ، وفتحت قلبي بين يديها ،
ثم أخذت أربح على ركبتيها كل ما كان يكظمي من
الحنان وبكري من الحب .. فدهشت لاضطرابي

شيء كأننا ما كان . ذلك هو الحب الذي كان يدبر
حيله وينصب شركه

وفي (التروكادرو) على حين بفتة صعدت إلى
الباخرة فتاة في يدها صرة وجلست أمامي . لقد
كانت فتاة المحاسن يا سيدي ، ومن العجيب أن
النساء يظهرن في أيام الربيع أحسن وأجمل ،
لذا تبدو عليهن الجمهرة والفنسة وشيء خاص
لا أدريه كأنه شرب النبيذ بمد كل الجنين

نظرت إليها ونظرت إلى ؟ وكان ذلك حيناً
بعد حين كما فعلت صاحبتك . وأخيراً خيل إلى
من طول ما أدمننا النظر أننسا تمارقنا ، وأن ذلك
التعارف يميزني أن أناقها الحديث ، فكلمتها ،
فأجابت على كلامي ؛ وكانت لطيفة الروح ، طلبة
الحديث ، فأطربتي يا سيدي وأسكرتني

وفي (سان كوا) نزلت وزلت ، وكان الذي
معهما عملاً مطلوباً لبعض الناس فذهبت تسلمه . فلما
رجعت كانت الباخرة قد رجعت . فأخذت أمشي
بجانبا وعدوبة الهواء تنتزع مني ومنها زفرات
تنصعد ، فقلت لها : إن الجو في النابات يكون أدوع
وأمتع . فقالت . أى نعم ، فقلت لها : أتحبين
أن تجول هناك جولة ؟ فتقعدتي خلصة بنظرها
السريع كأنما كانت تقدر في رأيها كم أساوى ، ثم
نزلت على اقترابي بعد تردد قليل

ها نحن ذان نسير جنباً إلى جنب وسط
الأدواح والشجر ، ولا يزال تحت الأوراق بعض
الجليد ، والمشب الطويل الكثيف ذو الخضرة
اللامعة يفرق في ضوء الشمس ، ويشرق غلايين من
الحشرات تنحلب وتتماشق أيضاً . وكانت الطيور
تسبح في كل مكان ؛ فأخذت صاحبتني تركض وتنب
كشوى من صفاء الهواء ووضاعة الربيع ؛ وجعت
أنا كذلك أنبهما فأعدو كأنمدو ، وأطفر كأنظفر .

اسمع ما ذا حدث :

« وحدها لا تقتر طول النهار عن السباب والشتيم . ثم هي لا تفهم قولاً ولا تعرف علماً . ثثرة فيأضه تصم الآذان ، وغناء متصل يصعد الرئيس . تشاجر الفحام والحمام ، وتقص على البوابة دخائل البيت ، وتقش إلى خادمة الجيران أسرار الفراش ، وتفسد زوجها بالطالب الباطلة ، وتدفع في صدره بالحسكيات السخيفة ، والاعتقادات الباطلة ، والآراء الفاتلة ، والأحكام السريعة ، حتى أكاد أبكي ياسيدي من القنوط والخيبة كما تحدثت أيتها »

ثم غلب الرجل الانفعال والوجد فصمت ؛ وأدركني على هذا المسكين الساذج رقة ، فأردت أن أجيب عن كلامه بشيء ، ولكن الباخرة كانت قد وقفت على مرفأ في سان كلو

نهضت الفتاة التي غزت فؤادي ومرت بجاني وهي خارجة ، فألقت على نظرة عن عرض ، وبسمة عن دلال ، ثم نزلت ، فهممت أن أتبع وراءها ، ولكن جاري أمسك بكفي ، غاولت أن أخلص منه بمجرعة عنيفة فتشبث بطرف سترتي وجذبني إلى الوراء وهو يقول بصوت لفت إلينا الراكبين : لن تذهب ، لن تذهب ! فتضاحك من حولنا الناس ولبثت في مكاني جامداً محقق الصدر ، لا أجرؤ على شيء أمام الهزء والفضيحة ، حتى عادت الباخرة ؛ وبقيت الفتاة

على الرصيف تشيعني بالنظر الحزين الخاطب وصاحبي إلى جاني بفرك يديه ويهمس في أذني قائلاً :

« تالله ، لقد أسدبت إليك يداً لا ينقضي شكرها أبد الدهر » الزيات

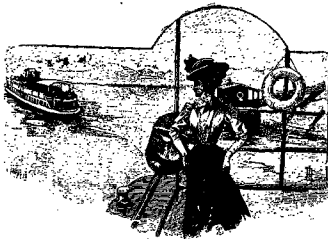
واقتراني ونظرت إلى عن معرض وكأنما تقول في نفسها : « آه ! هكذا ينبغي أن يكون الحب بك والهيمنة عليك يا صاحبي ، وسستري » والرجال في الحب ياسيدي صرعا سذج ، والنساء فيه ناجرات حواذق

لقد كنت وقتئذ أستطيع الاستيلاء عليها مافي ذلك شك . ولقد أدركت هذا الخطأ بعد . ولكنني ما كنت أريد الجسد ولا أنشد اللذة . إنما كنت ابني حنان المرأة المخلصة ، وجمال الكمل الأعلى

فلما فرغت من بث بحواي وإعلان هواي نهضنا فمدنا إلى سان كلو ولم أفارقها إلا في باريس . وكانت لدى عودتنا كاسفة البال ساهمة الوجه فسألتها عن سبب ذلك فقالت : هذا نهار من النهر التي لا تشرق في حياة المرء إلا قليلاً » تنفق قلبي حتى كاد ينشق صدري من شدة خوفه

لقيتها في الأحد التالي ، وفي الأحد الذي بعده ، وفي سائر أيام الآحاد . فذهبت بها إلى بوجيفال ، وسان جرمان ، وميزون لافاييت ، وبواسي . وغشيننا كل مكان من أمكنة العاصمة يرتاده الحب ويتردد فيه الغزل . وكانت المسكرة لا تألو جهداً في إذكاء هواي واضرام شوق ، حتى فقدت سواي فلم تمض ثلاثة أشهر حتى تزوجتها

وهل يفعل غير ذلك ياسيدي موظف يمش وحده من غير امرأة ولا مرشد ؟ لقد حدثته نفسه أن الحياة مع الزوجة ستكون سعيدة رغيدة . ولكن



العقد الضائع

أقصصة مصرية

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الحظ ألفينا الطريق غامساً
بالسيارات فتمجبتنا أولاً
ثم تذكرنا أن هذا يوم
الأحد فلا عجب إذا كان
الكثيرون قد أقبلوا
على السويس ليقضوا
اليوم فيه .

وقطعنا بضع عشرات
من الكيلومترات في
سلام وفي ضحك أيضاً ،

ثم بلغنا أول مرافق في طريقنا فأشرت على ابن عمي
بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني ففعل فوقفت
السيارة في منتصف الانحدار . وكنا لا نزال مكاننا
حين وقف المحرك للمرة العاشرة . فافترحت عليه أن
يكف عن العمل وأن يضطجع ويشمل سيجاره .
ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها
الفهقرى ثم أبدأ من جديد ؟ »
فقلت له : « كلا ... إلى أفضل لسخافتي أن
أواجه الموت » .

وقالت أختي : « هل نستطيع أنت ندفعها
بأيدينا حتى نبلغ ذروة هذا المرتفع ... » .

قلت : « كلا ... إن زنتها لا تقل عن طنين »
وقال ابن عمي : « لن أسألك عن السبب في
وقوفها كلما حاولت أن أحلها عن السير فاني أعرف
جوابك ، ولكني أؤكد لك أني أضع ناقل السرعة
في مكانه بأقصى مايسع إنساناً من الترفق والبطء ...
وإذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة
قد أصابها تلف » .

قلت : « سيصيدها التلف على التحقيق إذا
ظالت تحاول أن تدبر المحرك ثم توقفه ... فستنفد

رجعنا من السويس على عجل — أختي وزوجها
وأنا — وكنا نقضي فيها أياماً فتلقينا نبأ من خادمتنا
القديمة الأيمنة « فرحة » بأن ابن عمدة قريبنا قدم
وسيتزل علينا ضيفاً إجابة لدعوة قديمة نسيناها ،
فأسرعنا فأقبلنا على الحفائب نحشوها حشواً بلا
عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل .
ومضى ابن عمي — زوج أختي — فجاء بالسيارة .
وكنت قد هضت ساقى قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر
من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحسن ذلك
ولم يتلق فيه إلا بضعة دروس قليلة . وكان الأحجى
أن نستأجر رجلاً لهذا ولكننا كنا نحرص على
ألا يكون منا غريب يأخذ بوجوده الطريق على
حريقنا في السلام والضحك واللغو . وقد عزيت
نفسى بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة
فلا داعي للخوف . وفي وسعه أن يخطيء كما يشاء
فلن يضيره أو يضيرنا ذلك وإن كان يخشى أن يمتلنا
ويضيّع وقتنا .

وجلست الى جانبه وجلست أختي على التعمد
الخلفي وطعنا تها بأنى وأنا معه سا كرون السائق
الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما أمره . ولكننا لسوء

من المرتفعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطاً فشكروناه، ولكن أي شكر يمكن أن يفي بحسن صنيعه ومروءته .

وجاء الصيف، وكان مساءً، ثم كان صباح . ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس قد علت لما دخلت على «فرحة» توفظني قبل موعدي المألوف بساعتين وتجبرني أن أخشى تصبيح على وتدعوني إليها في غربتها . وقد عجبت حتى لي أن أعجب فما أعرف موجباً لأزواجي في مثل هذه الساعة المبكرة - السابعة من فضلك - ومع أختي زوجها فما حاجتها إلى ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة ولكن «فرحة» أثبت أن تخفى عني وتدعني أستأنف النوم فتمطيت وفركت عيني وتناثرت وقالت لها : « ما ذا هناك يا فرحة ... ؟ »

فقالت بلهجتها الهادئة اللطيفة وصوتها المترن الثبرات الذي لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطابعة صرة واحدة في عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة :

« أظن أن الأمر يستدعي وجودك » .

وفرحة عافلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ، وقد رباها أبي مع أختي وعني بتعليمها أيضاً وجعل لها حصّة في الوقف الذي وقفه قبيل وفاته ، وكانت هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحيينا فرحة حب الأخت وكانت هي - وما زالت - ربة البيت . وأستأنا نعامها معاملة الخدم وإنما نمدّها واحدة منا : لها علينا مثل الذي لنا عليها . وحسبك منها أنها ما أخذت في حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها بعد وفاة أينا لم نحاسبنا قط على ريع حصتنا وإن كنا نودعه البنك باسمها ، فإذا أرادت ثوباً أو خاتماً أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن نطلبه أختي مني أو من زوجها . فإذا كانت تقول الآن إن

الكهرباء وتحتاج كلها أردت إدارة المحرك أن تنزل وتدير المحرك بالنفيللا ... وقد ينفعك هذا فيغيريك بالتفكير قليلاً » .

فصاح بي : « تظن أني لم أفكر ... أنتوهم أني لا أفكر الآن ... إن رأسي يكاد ينفجر من فرط التفكير ... » .

فضحكت أختي فصاح بها : « نعم اخمكي ... أنظري إلى الجانب المضحك ... ولم لا ... قد يطير عقلي ، ولكن هل يجوز أن نمنحك هذا من الضحك ؟ »

وداس برجله الزريريد أن يدير المحرك ... ووقفت السيارة صرات أخرى لا أذكر عددها ، فاشطجع وأغضض عينيه وراح يقول : « لا فائدة ... قضى الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى هنا إلى الأبد ... ومن يدري ... ربما كان في الطريق مارد في يده سيف مسلول ... والسيارة تراه وإن كنا نحن لا نبصره ... من العبث أن يقاوم المرء القضاء والقدر ... كلا ... لا تتكلموا فاني أوتر أن أقضي نحبي في سلام وبغير ضجّة ... » وفي هذه اللحظة وقفت إلى جانبنا سيارة وزل منها رجل لم تكذب نبصره حتى أيقنا أنه الإنجليزي ، وحقق هو ظننا فقال لنا بلفته : « هل أستطيع أن أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبتنا فابتسم وهم بكلام ، ولكن ابن عمي قال له : « امض عنا ... اذهب ... وحده ... إن أماننا مارد وقد حذر السيارة من الغنى ، فهتمت عنه ... كان صريحاً جداً فيما قاله لنا ... إذهب وأرجوك السلامة » فابتسم الرجل ودعاه إلى النزول واتخذ مكانه وصعد بنا إلى رأس التل ، ولم يكلف بذلك بل ظل معنا - على مسافة منا ... وراءنا - حتى فرغنا

لى غرفة من أجل شخيرة .. شخيرة .. لبتك
ترين نفسك فى المرأة وأنت ناعمة .. إذن لأيت
كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا ويديك
هناك .. كالأطفال بلا أدنى فرق .. لقد تزوجت
طفلة حين تزوجتك .. تقول شخيرة .. مثل
هذا الطمن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق
يا فرحة ؟

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها
تقول وشخيرة زرع الجيران حتى لقد جلا السكان
عن هذا الحى وخربت بيوت أصحاب العائر فيه
وقرت شجة الضحك أخيراً — ولكن شئ
آخر — فقلت : « ماذا كان شريك هولز خليقاً
أن يصنع فى مثل هذه الحالة .. »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك ..
الأمر واضح .. البيت موصد من كل ناحية والمنافذ
كلها مسدودة فالتى أخذ المقعد لم يجرئ من الخارج
وإنما هو ولا شك واحد ممن فى البيت .. »
فصيحنا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة —
« برافو .. برافو .. »

فلم يعبأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو
ابن العمدة فهو السارق »
فلم نطق بهذا ونحن به جميعاً — حتى فرحة
وإن كانت مؤدبة —

فلم يهزم وقال وهو يعمد إلى الجلوس على الحشية :
« لا بأس .. ولا داعى للصباح .. المسألة بسيطة ..
إذا لم يكن هو اللص فمن عسى أن يكون غيره ... ؟ »
فقلت : « أنت مثلك .. لم لا .. »

فقهقه : فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد
أخذته لتضعه فى مكان أمين ثم نسيتته كما دانك ؟
إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك .. قم
انظر أين وضعت المقعد .. واذا ذكر الاسفنجية ..

الأمر يستدعى وجودى فقد صار القيام لابد منه .
ودخلت على أختى وورأتى فرحة ، فالفيتها
مستلقية على السرير فى منامة قمرية مزركشة ،
وممتدة بكوعها على وسادة وثيرة مرعبة محشوة
بريش النعام ، وخدها على راحتها ، ويسراها على
نخدها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فائتاً
فانها أجيلة ممشوقة ؛ وكانت هذه الرقعة تبرز خطوط
جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان
زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت
منها إليه وقالت : « لا عجب أن تدلها ... لست
بإنسان إذا لم تفعل ... »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى .
وقالت : « اجلس هنا ... الى جانبي على السرير ...
وأنت يا فرحة ... قصى عليهم الحكاية ... »
فأراحت فرحة أفلامها على شبك السرير ،
وأشارت بيدها الأخرى الى منضدة صغيرة قريبة
وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضعت يدي عقدها
(وأشارت الى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح
دخلت عليها فلم أجده . وسألها عنه فقالت إنه فى
مكانه ، فذهبت الى البك (تمنى زوجها فان فرحة
مؤدبة) وسألته فجعل يضحك ويتحسس عنقه ويقول
إنه ليس هنا .. هذه هى الحكاية »

فقلت متملها كلامها : « نجتم بشرلوك هولز
ليحل اللز ويتسدى إلى السروق ويضع يده على
الاص .. أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »

فكانت أختى وهى تضحك : « العفو .. الواقع
أن كل ما ذكره هو أنى قتت بالليل وغبت عن
الفرقة دقائق وصرحت فى عودتى بفرقة هذا الزوج
الصالح ، ولكن شخيرة كان عالياً قهرت »

فنهض ابن عمى محتجاً وقال وهو يمشى :
« شخيرة .. هل تريد أن تقولى إنك أفردت

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكتئين
مهمومين محزونين ؛ قالت للعقد قبعته الذاتية
والمعنوية ، وقد كنا نتكلف المرح ويندي صفحة
البشر وتلقى الأمر بما يشبه الاستخفاف ، لأننا
اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربنا أبوانا
على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان
بطبيعته هزلاً يركب الحياة بالدغابة والبشاشة
والبعث ، وقد أحبنا وأحببناه وأنس بنا وأنسنا به ،
فعلش معنا وآثر بيتنا على بيت أبيه وانتهى الأمر
بما كان لابد أن ينتهي به - أى أن يتزوج أختي -
ولست أعرف أسرة أخرى تميز هذه البشعة
السميدة الرغيدة ، وحسبك أن المال موفور وأن
الطبايع رضية والأمزجة مطابقة

ومن عادة أحد أن يفني وهو في الحمام . ولست
أعني أنه يفني الأصوات الشائنة ، وإنما أعني أنه
وهو في الحمام يصف كل ما يعمل ويرفع الصوت
بالغناء بهذا الوصف ، فإذا كنت على مقربة من الحمام
لم يسمعك إلا أن تسمعه يقول - أو يفني على
الأصح - « أين الاسفنجة ياسيدى ... لابد أن
تكون هذه الزوجة المهمة قد ضيعتها ... ومن يدري
يا حبيبي ... فلعلها خباها عمداً ... آه يا روحى ...
وأي الكبريت ... أظنني نسيت ... هذا خازوق
يا حبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يا عنة
الله اتزلى رأس الذى اخترع التدفئة بالغاز ... آه
يا عيني ... والله وحسة ... بمجد الكبريت فلا بمجد
القرش الذى نضمه في الثقب لينطلق الغاز ...
ويسخن الماء فلا بمجد الاسفنجة ... واجد كل
ذلك وأنام في الحوض ويبدأ الشعور بالراحة وإذا
بالغاز قد فرغ ... وأخذ الماء يبرد ... ويجب أن
أخرج من الحوض لأشع قرشاً آخر في الثقب ...

٢

قبل أن تمرض وتحتج ... قم من فضلك »
وقالت أختي وهي تمندل في مجلسها : « ياسليم ...
إني لم أخطيء حين أزعجتك ... كلا ... وأنا الآن
واتقة أن ابن العم قد نسي أين وضعه ... »
فصاح بها محتجاً : « ولكنى ياستى لم أدخل
غرفتك ... ودعتك - أعني قبلك ولا مؤاخذه
ياسى سليم فان هذه عادة الأزواج - ثم لم أعد ...
فكيف يمكن أن أكون قد أخذته ؟ »
فقالت وهي تقف : « تذكر ... حلول أن
تذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة
أن تكلف هذا الرأس عملاً ... لا تخف أنت
تتعب ... »

ففضى عنا إلى الباب وهو يقول : « إني ذاهب
إلى الحمام ... »

وهنا يفني أن أقول إن العقد الذى غاب ما
ورثناه عن أمى وهو من اللؤلؤ النفيس ، وكانت
حبائه نحو مائتين وأكثرها من الكبار في حجم
الدولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدين : واحد أصغراً
أعطيناه لفرحة ، وبقي الآخر لأختي ، فقد كانت
إذا لبسته تلقه صفوفاً على نحرها الجميل فأثرت
التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد
قالت فرحة إنها وضعت على المضدة وفرحة صادقة ،
ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تماهيا كما تماهت ابن
عمى - أحمد - ذاكرته . ولم يكن أسخف من
قوله - وإن كان مزح على عادته - إن ابن العمدة
- حسن - هو الوحيد الذى تتجه إليه الهمة
فان حسناً هذا من سرارة الناس وهو فوق ذلك من
أقرباء أحمد الأدنين ، وقد ذكرت ذلك لأوريك إلى
أى حد يذهب أحمد في مزاحه

أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواء ...
النسوان ملاعين يا روى ... قالوا العقد ضاع ...
ضاع فين بالله يا أهل القنطرة ... لا ياستى العقد في
الدولاب ... والغرض مرض ... »

وكان يبدى، وبمعد في هذه الماني ؟ فاما حسن
فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا
نضحك فيشكف الضحك مثلنا ، وأما أختى
فضحكت أولاً ثم لاسا سمته بينهما بأنها خبات
العقد لتطالبه بحيلة تبجحت فشددت على ذراهما
فنظرت إلى مبتسمة وهزت رأسها وعاد إلى وجهها
الاشراق ، ولكنها لم يسمها إلا أن تقول لنا ونحن
نعفى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ...
ينسى أين وضع العقد ثم يدعى أنى خباته .. طيب .. »
وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »
فضحكت وقالت : « الحكاية باختصار أن
أختى لا تجد عقدها ... وأحد يهتك بسرقة
العقد .. لقد سمته بأذنانك .. والآن أهتمت ؟ »

وكانت هذه صدمة فان معرفة حسن بأحد
يسيرة ، وإن كان من أقارب الأديف ، ولكنه
احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن فرفناه
بأساليب قريبه فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار
يطرق من حين الى حين كأنما يحدث نفسه بشيء
وخرج أحمد أخيراً ، ودخل علينا وفي يده
نخيفة يتأملها وينظر الى الصور التى فيها كانت
له عناية بقراءة الصحف ، وجلس الى المائدة وأدار
عينه فيما عليها ثم سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »
فاغتصمت أختى هذه الفرصة وصاحت به :
« ألا تنتظر حتى يستعد الباقون للأكل .. ما هذه
الشراة .. ثم كيف ترعم أنى أخفيت العقد
لتشترى لى سواء ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ...
معلوم يا سيدى ... أو الكبريت فرغ ... طبيعى
أسيح ... ومن يسمع ... ألبس البرنس وأخرج
لأخى بكبريت ... خازوق آخر يا حبيبي ... لقد
نسيت الفزاز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ...
وستختنق يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... افتح
يا سيدى وابد ... وحوح يا حبيبي من البرد ...
الذى سمى هذا حماماً كان ولا شك ابن حرام ... »
وهكذا الى غير نهاية ... ومن تحصيل الحاصل
أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كلما دخل
فيه أحمد لنعرف ما يجرى له فيه فنقع على الأرض
من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شيء
لا يحدث لسواه لأنه كما أسلفت سريع النسيان :
ينسى أين وضع الأسفنجية ، وأنه ردى الكبريت
في الحوض ، وينسى أنه نسى أن يجيى معه بقروش
ليضعها في الثقب فإنه يبق في الحوض ساعة
أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما ابتلاه عمدين
لنضحك ولكنه أغنانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا
ويجلس معنا فألفنا ناعداً الحمام واقفين وإن كانت المقاعد
في الدهليز غيا بيده فأشترنا إليه أن إسكت . ورأنا
نتنسم وأحسن من هيئتنا أننا نتسمع فتنسى على أطراف
أصابعه ووقف معنا يصنئ أيضاً وكان أحمد يقول :
« قالوا العقد ضاع ... قال ضاع ... كلام فارغ
يا حبيبي ... والله ما أخذه إلا هذا الحرامى الذى
زل في ضيافتنا ... بالطبع سرقة ... في عمر أمه
ما رأته مثله ... الأقارب عقارب يا سيدى ... ضاع
العقد يا ستى ... أنا المسكين يا حبيبتى ... هات لى
عقد غيره يا سيدى ... طبعاً يا ماما ... من يدري ...
لعل للعقد لم يضع ... أيوه يا سيدى ... لم يضع ...
الأرجح ... والمقول أن يكون في الدولاب ... »

أعلم من أول الأمر أن لا فائدة .. قلت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد المقد ..
نعم هي خبائه »

فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت ... »
فقال : « أسكت ! وكيف تحمليتنا كل هذه المشاق من أجل خرزات ... »

ولم يتمها فقد هجنا به احتجاجا على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قرت الضجة قالت أختي : « اسمعوا ..
إني لم أعد أطيع البقاء هذا النهار في البيت فلنذهب الى أي مكان آخر ولنتدبر هناك .. »

وكان هذا اقتراحا حسنا ، فان بقاءنا في البيت كان خليقا بأن يفرينا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقى على غير جدوى . فني الخير أن نخرج وأن نقضي النهار في مكان آخر ثم نمود .. ومن يدري فقد نجد المقد تحت عيوننا حين نمود كما يحدث كثيرا . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث

عن قلبي وكانت أختي معي ، فلما تمينا جلوسنا على الكرامى وهممت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعي ... ومن الغريب أن أختي لم تبه في بدى كما لم أزه ... وقد ذكرت أختي بهذه الحكاية أو الحادثة وفي مرحوي أن أبحث في نفسها الأمل فلا تقضي النهار بإسائة مكتئبة في سرها وإن كانت تشجع وتجلد ولا تبدى جزعا

وقت الى حمى على حين راح غيري يلبس الثياب استعدادا للخروج . وكان طبيعيا أن يفرغوا من شأنهم قبلي ، وأن يستبطوني فاني في حركة دائمة في الحمام ولم لا يصنعون شيئا بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب القلق من الانتظار . فأقبلوا على باب الحمام بدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعونني أن أسرع ،

بالنفي ... النفي البات ... أما الشطر الثاني من السؤال فأوان الرد عليه يكون بمد الأكل ، فانه يحتاج الى عقل ، والعقل يذهب به الجوع »

فصاحت به : « ولكن كيف نجرؤ ؟ ... »
فقال مهدوء : « من الغريب أني جئت هنا لا كل لا لأتكل .. نعم الأكل أولا يا امرأة »
فقالت : « هل عنيت بالبحث في ثيابك ؟ ..
بالطبع لم تمن .. »

فالتفت الى حسن وقال : « شف يا حسن .. شف ... احذر يا بني أن تتزوج .. لا غدر لك وقد رأيت بينك ما تصنع الزوجات بيمولهن .. »
فقال حسن : « أظن أني سأزوج .. وعلى فكرة كيف تسمح لنفسك أن تنهني بالسرقة ؟ »
فرفع أحمد يده الى السماء ثم التفت الى حسن وقال : « وأنت أيضا .. لم يبق لي عيش في هذا البيت .. فلأرحل »
ونفض وقال : « يا امرأة إني في المكتب »

لم ندع مكانا في البيت إلا بحثنا فيه ، ولا نوبا في خزنة أحمد إلا نفضناه وقلبتنا جيوبه - حتى السجاويد وفمنها ونظرنا تحتها .. حتى الستائر تحينها وأجلنا عيوننا فيها وراها وفيها أيضا غافة أن يكون جبل المقد قد علق بشيء منها . فلم نجد لا عقدا ولا حبة من عقد فيشسنا وحل الا ككتاب محل البشر ، فقد كنا الى ما قبل ذلك نمتقد أن المقد موجود في مكان ما ولكن أعيننا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطئنا بعيوننا ونحن نديرها كما هي المادة في حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد يعيننا من مزاحه في خلال هذا البحث الثعب ، فلما كفنا قال وهو بضطجع ويشعل سيجارته : « لا فائدة .. لقد كنت

وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طيلة وأخيراً خرجت فما يمكن أن تكون لمستحم راحة أولقة وعلى باب من يصيحون به ويسمعونه ما يكره ، فلتحقوا بي في غرفتي ، ولكنني أخرجتهم منها بجهد ، فاني مستعد أن أحتمل كل شيء إلا أن يحيط بي هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس ؛ على أنني أسرع وبجيت لآتقي شر هجومهم على كرة أخرى ، وكانت ساق لا تزال أحسها ثقيلة مما أصابها في السويس وهاضها وإن كانت لا تؤلني ، فلما صرت اليهم في الزدعة وقفت هنيئة أدعكها لأليها فسالني أختي : « ألا تزال تؤلك ؟ »

فقلت : « كلا ، لا ألم ولكنني أحسها ثقيلة » فقال ابن عمي : « كلك ثقيل يا أختي .. تعال » فقلت : « ولكنني حقيقة أشعر أنها أثقل مما كانت أمس »

فقلت أختي : « ولكن ما هي الحكاية ... أظن أن من اللاتي أن تقف ساعة أمام الباب ؟ » قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نفود إلى البيت دقائق قبل أن نخرج إلى رحلتنا . . » فنهضت أختي عن مقعدها قليلاً وزحفت إلى الأمام مقسدار شبر ، ووضعت كفها البضة على كتفي وقالت : « لا تعذبني ... انطلق »

قلت : « لا حاجة لي إلى الكلام ... خذي » وانحنيت فأخرجت العقيد المفقود من طية البنطلون عند حرفته ورفعته إلى عينها وقالت : « لقد كنت أظن أن ساق اليوم أسوأ مما كانت أمس لأنني أحسها أثقل ... فالآن عرفت السبب ولكنني لا أعرف كيف سقطت العقيد في طية البنطلون . . »

ولا أزال إلى الآن أجهل كيف أمكن أن يحدث هذا ، وإنما الذي أعرفه أن أختي فرحت وأن ابن عمي حاول أن يركبني بعنقه المألوف ، فوضعت كفها على فقه فقبل أصابعها ثم فصرخت فقال : « هذا جزاء من يدافع عن السراق واللصوص والخونة »

فقلت أختي : « طبيعي هذا من الجهد الذي تكلفته اليوم في البحث » فاقننت وزلنا إلى الباب ، وكان ابن عمي قد جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، جلست أختي ومعها حسن على المقعد الخلفي ، واتخذ أحمد مكان القيادة ، وقالت له وأنا أفتح الباب الآخر لأجلس إلى جانبه : « لسل درس الأمس نفمك ، فلا تكرر أخطائك المعتادة »

فزام أولاً ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون أن أشرفكم بشولي القيادة العامة ، أفلا يحسن أن أعرف إلى أين يراودني أن أحملكم ؟ »

فقلت أختي : « أوه ... إلى أي مكان . . إلى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو إلى حدائقة الأورمان ... أو ... أي مكان تحب »

قال حسن : « إلى القناطر إذن ... اركب يا هذا أم تريد أن أنزل وأحملك ؟ »

فقلت أختي : « أوه ... إلى أي مكان . . إلى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو إلى حدائقة الأورمان ... أو ... أي مكان تحب »

ماتريشا

أقصصة انجليزية

بقلم الأديب أحمد عبد العظيم شحانة

— ألا ترى يا صديقي

الغبوم فوقنا تتلبد ؟ ..

ثم السماء هي الأخرى

توشك أن تلتجنا ...

أليس الرأي عندك أن

نؤوب ؟ ..

وظل الريان في موقفه

يتطلع إلى زميله وهو

مطرق ذاهل حتى رفع

رأسه من بين كفيه في

تؤدة وعناء ، وطفق يرق بيصره الزائغ إلى السماء

روبدًا رويدًا ، ثم ما لبث أن استرده وقد انتشر

على شفثيه بسمه طفيفة ساخرة وهو باق جواه

الوجيز :

— لا . لا إخالها تفعل ...

ثم عمد إلى راحتيه فأسلم إليهما رأسه المكدود

وعاد السكون الحاد فالتأم فوق رأسهما من جديد ..

لم يكن توفى ملاحًا خبيرًا ، وكنت أحنو عليه

حنو الاخوة لأنت أمي — أعزها الله وأكرم

مئواها — حملته إلى مقرنا ووضعته بيننا رضيعًا

بنتًا فارقة أبواه وخلفاء وحيدًا ، فذب مبنًا وجرى

جرونا حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجل فتش عن ذوبه

فما وجد لم أترأ ولانفسه موثلا غير موثنا ، فارتضى

عشرتنا وأطمانا إلى جوارنا ... وكنت في هذه

الانثناء يافعا حلو القسبات أملس الشعر فاحمه ، رحيب

ما بين المنكبين مستوى العود فارعه ، وكان توفى على

تقيضى ضاويًا يحياك مكفأ اللون لا يفتق قط من

أحزانه ، صموتا أبدًا من غير سبب أو علة ظاهرة ...

يكده بدنه وينسلو — متلذذا مرناحا — في تمنيته

وتجشيعه صنوف التمديب والارهاق ...

... لو أنك ترقت قليلاً في سيرك ، ولم تك

مسرع الخطو وأنت تطوى حافة الميناء منذ عشرة

أحوال قضت للحظت زورقاً فضى اللون جذاباً

يحمته النهر — في خمة الليل — فوق صدره التأثير

المرتبج ، وقد توارى من صفع الرياح القاسية في

ناحية قاصية خاف سد متيع قائم بين الأمواج ...

فاذا ما الفجر انبثق وجرى نسيمه الوافي

الرفيق ، انفث الزورق من قيده ودلف إلى عرض

النهر هادئاً وادعاً ينساب كالثعبان ... يثمره سحر

الفجر وجلاله ويلفه سميت رهيب متصل ... وفي

سويمات الظهيرة ، وقد احترت عين السماء وعم

الضجيج ودبت الحركة ... هنالك بترأى من وراء

الأفق البعيد شراع الناصع الرقيق مقبلاً يهادى

في فتور وعناء ، وقد أقتض ظهر الزورق الرشيق

أ كوام السمك للقائمة ذات البريق ...

وتوقف الريان فوق رأس الزورق بين الأمواج

الوادة ذات صباح منصوب الصدر مرفوع الهامة

يرنو إلى السماء ويحبل عينيه في أنحائها برهة موجزة

لا ينشب بعدها أن يتحول عنها قائلاً رقيقه المطرق

النكتيب :

بابنا الصغير فألقيت بدى على مقبضه ، ولكننى دفعت دفعا هيناً رقيقاً حتى لا يسمنى صديقى ... كنت أبى أن ألقاه إلا أننى ما كدت أخطو أول خطوة حتى وقع بصرى على فتاة رقيقة فأنسة ما كادت تلمحنى فى مكانى حتى بدرت إلى قائلة فى لطف ودعة : هأنذى ياسيدى ... أستطيع أن أقضى لك حاجة ؟

عرافى وجوم شديد وتولتى وقتئذ الحيرة ، فعمدت إلى لسانى استعته واستنهض همته فغدا لى الثرثار ولم ينبس بغير هذه الكلمات القليلة ألقى بها من مكانه ، ثم عاوده جوده وتصلبه : نعم ... خدمات كثيرة يا آنسة ... وما كدت أفرغ من إلقائهما حتى رنّ بقة من وراء الحجرات صوت رخم بدد السكون الخيم ولا أذنى كما ملأ جو الغرفة .. وتبينت هذا الصوت جيداً فاذا به ... يا عجبا ! إنه صوت توى ! توى ينى ... توى السكيتب النقبض ... تلك لعمرى إحدى المعجزات ..

وهفت نفسى إلى رؤية هذا النظر العجيب ودردت على عقبي أحاول المدو إليه قبل أن يرتد إليه حزنه ، إلا أننى والحق أقول ألقيت نفسى عاجزاً وأطرافى جامدة لا تقبل الحركة ، وأحسست رغبة وجنوحاً قوياً للبقاء ، فلبثت فى مكانى أجيل عيني فى قوامها الساحر المشوق .. فى خديما الناعمين .. فى فها الترضى الدقيق .. فى ساقها المتلئين ... فى ...

— سيدى ما حاجتك ؟

ووجدت لسانى فقلت : ولكن خبرين أينما الأنة الصغيرة ماذا تفعلين هنا ؟
فأجابتنى وقد غطى الدهش صفحة وجهها الجليل :

وكنّت لا أملك وإياه من متاع الدنيا شيئاً غير هذا الزورق الذى يسمى كل يوم مع الشمس ، وحانوت منبئل حرج نبيع به السمك الذى نصيد .. وكنت لم يمد يوماً غرقتين باردتين عاريتين تقومان خلف الحانوت بقليل ..

وأحسست يوماً أن صدرى يضيق وأن قلبى ينقبض ، فشبت إلى الفضاء الواسع الذى يحاصر مسكننا التمس الراحة والهدوء ، غير أننى ما كدت أقل فيه بعض الخطى حتى أظلم السكون فى عيني وأحسست أن الأرض تتمد تحت قدى .. وبدرت منى حينئذ صرخة دوى بها الفضاء .. وألقيت يبعصرى إلى الأرض فى لهفة وسرعة ، فاذا الدم يتصبب من قدى حاراً غزيراً .

لقد قيل لى يومئذ إن مساراً حاداً منتصباً ، هو الذى وطنته قدمك شبه العارية ، فكان هذا الدم القاتل الذى روعك ... ولكننى فى الواقع لم أبه لشيء مما وقع إلا عند ما أبصرت القيع يوماً يطوق فوهة الجرح من كل جانب ... عندئذ تسرب إلى الخوف ، ولم أجد إذ ذاك بداً من أن أهرع إلى المستشفى ... وهناك فى طريقى بدالى طيف صديق وحيداً صامتاً ينهض بأعباء عملينا الناصبة الضنية والمرض يتفصد من بدنه الناحل الهزيل ... لقد أخذتنى الشفقة به فأمحيت عليه أوصيه أن يترقب بنفسه وأن يشرك معه من يقوم مقامى حتى يحين أوبقى ..

وانصرفت أسابيع قلائل أنفقتها جيماً تحت ستف المستشفى حتى اندملت قدى وقارت الشفاء عندئذ رأيت أن أفارق عيى فشخصت إلى مقرنا من غير أن أب علم صديقى ... وأدركت

أنفاسها الدقيئة العذاب ...

واضطرب جسمنا للتصقان وانتهت مذعوراً
عند ما اخترق أذنى صوت من أقصى القرية ...

لم أكن أقدر أن ثالثاً معنا يشهد كل ما جرى
منا .. كان جامداً كالتمثيل يتصبب منه النهم والألم ،
ولم أدر لم كان يصوب إلينا هذا النظر المروع الخفيف .

وأخذ يتقدم نحوى مشككاً السرور وهنق في صوت
متهدج تلوح فيه رنة الأسى العميق :

- هانت ذا أخيراً يا جيم ! كيف أجدك الآن ؟
كيف حال قدمك ؟ ولكنك لم تنبئني بموعده قدومك
إنه جيم يا ماريا صديق وشريكى

وأمسك عن الكلام منهية وطفق يمسح جبينه
بيده ويقبض على فكبيه ، ثم عاد ينظر إلى مستأنفاً
قوله : (صديقي .. أريدك وحيداً .. في مكان خلى .

أريد أن ألقى إليك سراً)

وأمسك بذراعى وكان طبيعياً ألا أحجم أو
امتنع عليه ، فاستسلمت له واتحدنا إلى الطريق
ومضينا فيها جنباً إلى جنب صامتين واجمين لأخذته
ولا بمجدنى ...

وقف توفى عن السير فجأة ، فالتفت إليه
فابتدرنى ضارعاً مستطفاً :

- أأنت تعلم يا صديقي أنني قضيت العمر
حزيناً كاسف البال موجع القلب .. حتى قبض
الله لي ماريا ؟ كم أحبها يا صديقي ... لقد بعثت في
الحياة .. بددت عنى المعلوم . تصور أنني أصبحت
كلها بالغناء ! دعها لي يربك ولا تصرفنى عنى ...
إنك جميل ، وإن شئت سئ إليك كل النساء ؛ أما
أنا فخلقى سبي ووجهى دمى ، لأقوز لأبصرهم
لقد مسك كلاته منى موضع الألم فأقبلت عليه

- إننى أبيعك ... أنت أو غيرك من هذا
السك ... أنا ماريا ، أما أنت فأجهلك ويخفى
منك صمتك ونظراتك ..

- ولكن هبني كتمتك حقيقة أمرى
فهرزت كتفها الصغيرين ومدت شفتها الدقيقة
قائلة :

- وماذا يضربنى يا سيدى ؟ بل لنتك تفعل
قالت ذلك واتخذت سبيلها إلى بعض الأبنية
تتناولها واحدة فواحدة وتنفذ النبار عنها ثم
تردها إلى مواضعها ، ووقفت أنا أرقبها عن كعب .

كانت رائحة ساحرة .. وجسدها ناعماً مفرباً يشف
عنه ثوبها الحريرى المبهوك ... وسفحت فى رأسى
فكرة ! لابد أن تكون هذه غانية ألقى بها صديق
لتلهو معه . وكان السكون حولنا صريراً والأبواب
كلها موصدة . بدت أطرأني واشتدت ضربات
قلبي وانهت رأسى ثم شبت النار فى كياني وما
أسرع شوبها فى كيان اللالاح !

دونت منها وجسمنى يضطرب اضطراباً شديداً
فارتدت إلى الوراء مذعورة ، وكادت تولبني ظهرها
فاحتوتها ذراعى المدودات وتلقاها صدرى
المتعب ... وطالعت الفرار ولكننى استبقيتها ؛ ولم
أشعر إذ ذاك بذراعى وهى تنساب منى وتطوق
جسمها اللين الدافئ وتضمه إلى وهى تدفنى عنها
دهشة خائفة : سيدى ما هذا ؟ .. قف .. تمهل ..
إننى لست عرضة للبيع سيدى .. - ولكننى لم
أسمع لقولها بل حدثت فى عينها الصافيتين الخافتين
وشعرها البعثر على عباها الوضىء ... لقد طار عنى
صوابى وتلاشى السكون من أمام عيني فأهويت
بمنى على نقرها - كالجنون - أغمره بالقبيل وانشق

— عفو يا توني ! إنني ما قصدت إلى إبدائك

قط ولكن ...

— ولكن هيا بنا ولننس ما قد سلف

لكنني كنت على يقين من أن توني لن ينيب

عنه مما مضى شيء ... واطلقتنا عائدين وسبقني هو

إلى الدخول فتلفتت إليه ماريا ثم أنشأت تضحك

مله شديدا ويقول : « توني ... إنك تبدو مضحكا

للناية » ونظرت إليه فلذا لونه بزاد انتعاشا ... هي

إذن لا تنضم له الحب ... فلو كانت تفعل ماسخرت

منه ولا اتخذت شفتيه الفلظيتين الداميتين هزوا !

كانت لطمه أخرى عنيقة تاقها البائس ومضى على

وجهه حتى داراه باب المدح ، وأقت أنا في مكاني

وقد رأيت رأيا خلته كفيلا بأن يرد إلينا ههنا ما

المنفود . لم أكن متأسسا بل أحسست كأن ماء

باردا يجري في عروقي عندما تلاقيتها فدنيت مني

تسألني في صوت لين رقيق عما أطلب ؛ بيد أنني

أخذت أقص عليها كل ما دار بيني وبين صديقي وهي

تنصت لي والابتسامة على فمها تنسع شيئا فشيئا ،

حتى إذا ما فرغت من حديثي أطلقت ضحكة خافتة :

— إنني لست فتاته ولا فتاة غيره يا سيدي .

وهب انني سأعشقك يوما فتقني من أعشقه سيكون

رجلا قويا لا شبحا هزلا . وكان طبيعيا أن يخلص

إلى الزهو فأعجب بقوتي وبنائي ولكنني تاهبت

لأنها بما انعدمت عليه نيتي

ماريا ... لقد ارفض عني الألم وأسبغت على

النهوض بعمل قادرا ، غير لنا ولك أن تطرق عملا

غير هذا !

كان لسكباتي عليها وقع شديد فلبثت على

أرهما مبهوثة شاخصة ، ثم اندمعت نحوي

أحاول الترتيب عنه :

— كم أنت طيب القلب يا توني ! إن ماريا

هذه ليست لي ولا لك ... سئلي عن هذا الضرب

من بنات حواء ... إنها امرأة الجميع ..

ما كنت أتم كلفي هذه حتى فوجئت بلحمة

قوية قاسية أطارت صوابي وطوحت رأسي إلى

الوراء ، وكنت أسقط على أثرها لولا أن تعالكت

قليلا وفتحت عيني دهشا متمجبا فالتفت صديقي

برغي وزبد ويتأهب للسكى ثانية ، فأسرعت إلى

وجهي أغطي صفحته بقبضتي وما خطر لي حينئذ

أن أطمعه ألمي أن لحمة من يدي قد تؤدي به إلى

التهلكة ، فصحت به وأما أتراجع إلى الوراء أن

كف يا توني ولا تكن غيبا ، ولكن قبضته

خلصت إلى واستقرت في بطني ..

لقد صورت لي شدة الألم أن جسمي قد ارتفع

عن وجه الأرض فهجمت عليه من غير وعي

وضربتة ضربة دار على أثرها ثم هوى بجسمه الضئيل

تحت قدمي

وتهاقت الناس مسرعين من كل حذب

وانجذبت بقامتي المديدة على صديقي الممدد الصريع

واحتملته بين ذراعي كالطفل ومضيت به إلى صيدلية

قرية ... وسألني الصيدلاني وهو يهرول مسرعا

من وراء قوادره وزجاجانه : « ماذا حدث .. ماذا

جرى له ؟ » ولكنني لم أستطع جوابه فقد كان حاقا

جافا وكنت في شغل عنه أصلي من أجل صديقي

وأضرع إلى الله أن يفتح توني عينيه وأن أرى الحياة

تسري في كيانه ... وحقق الله رجائي عندما قرب

الصيدلاني يده حاملة إلى أنف صديقي زجاجة صغيرة

فاهتز رأسه ثم فتح عينيه الوادعتين برق ففات له :

وأمسكت بذراعي قائلة :

ـ "جيم ... أبطأوك فؤادك أن تحرم فتاة
مثل رزقها ؟! لقد قضيت وقتاً طويلاً مشردة
ساعبة حتى وقعت إليه ... بربك لا تذرني أرحل
وشرعت تبكي وتندب ؛ ولم أكن في حياتي
قد شهدت امرأة بين يدي تبكي فلا يجب إن بدا
منى الضعف والخور حيال دعمها المردار ...

مضت الأيام مضياً بطيئاً ثقيلًا ، ومضى كل
منا يعمل عمله في سميت وهدهد ، وأخذ توني
منذ ذلك اليوم يتجنب لقاء ماري ، وأخذت أغشى
معا ثاعات اللو كلما هوى قرص الشمس وأظلنا
الدرجى .

وانتفىق نور الفجر ذات يوم فولينا وجهينا
شطر الميناء . ووقفت فوق صدر الزورق منفرج
الساقين متقبض الصدر يتمسكن بشعورهم ثقيل ،
وتحدثني نفسى بشر مستطير ... كان الضباب أمام
أبصارنا ممتدداً كثيفاً ، والزورق من تحت أقدامنا
قلداً مضطرباً يتقاذفه الموج الثائر المضطرب ، والريح
تملأ الفضاء زفيراً خفيفاً مزيجاً ، وطففت بعصرى
أبحث عن توني فألفيته في قاع الزورق يحدقني
بنظرات مغزقة ويعرر يده برق فوق خنجره ،
فاشند رعي وانفجرت صارخاً بين هدير الأمواج
وزفير الريح :

توني . لا بد لنا من المودة ... هيا اطو
الشباك .

وامتلت توني على الفور وطفق يجذبها في تودة
ويكدسها تحت قدميه وهو ثابت هادئ وجملت
أزرق فراغه بلهفة وشوق حتى أسرع بتوجيه
الزورق صوب الجنوب ، ولكنه ما كاد يأتى على

آخر الشباك حتى أحسست أن قلبى قد فارق موضعه
واقضضت عليه أحوال القبض على ذراعيه :

ـ توني لا تفعل ... رد الشباك ثانية ولا ترفعها .
أنظر إن بها (القائمة) ! إنها غال ميه ، سيم لك
ولا ريب أحداً يصدق .

لكنه وكأنه لم يفقه قولى ظل يضم الشبكة
إليه والسمكة الرهية تدنو منا شيئاً فشيئاً .

ـ توني ... لا تكن ترقا ... ستجر علينا
الكوارث ... ستسوق إلينا الوبلات .

أصم توني أذنيه وتركنى في مكاني ، وانطلق
مسرعاً نحو كومة الحراب فاستل منها واحدة وعاد
فصوبها إلى السمكة الهائلة ، فلما أصابها شدها بجبل
غليظ إلى الزورق وتركها تتخبط وتتملص وتضرب
الماء تريد النجاة ...

وقصدت السكان مستمسكاً ونظري لا يفارق توني
وهو يلوح بخطاف غليظ في يده حتى بلغ مربط
السمكة فأخذ يربطها به ... وارفعت أيا مني هذه
اللحظة جبال من الموج هائلة فانصرفت عيني إلى
الزورق وعند ما نفلت إلى الوراء جد الدم في عروقي ...
كان توني على قيد أقدام منى بشع الهينة يخيف
المنظر يفقهه والخطاف في يده يضطرب :
ـ توني ماذا جرى لك ؟ ... وصحت مرثاعاً :

توني هل جنت ؟
فأجابني في صوت مختنق صرتمش كخسرجة
الموتى :

ـ أجل ... أجل ... منذ شهر ثلاثة والنار
تأكل منى ... وأنت قرر البين عماراً .

كان صوته يقرع أذنى كالطبول تخلت السكان
ورحت أترابع وهو يلحق بي حتى ارتطمت

قدى بحافة الزورق .
 — توى ... كيف أقسم لك أنى ما كنت أشعر
 بأنك تتعذب .
 وجف حلقى وأخذ العرق يتصبب من جبينى
 رغم برد الشتاء : — أتريد قتلى ؟ ...
 — ليتنى أقوى ... ساموت ممك ... سيطوبنا
 اليم ... سنصعد الى أمنا فى السماء .
 وحانت منى التفاتة الى النهر فصرخت فيه
 مذعوراً :
 — توى ... انتبه ... حاذر .

ولكن كان الحبل قد التف حول ساقه فانزعه
 (الوحش القائم) وحمله معه الى اليم وهو ينظر الى
 مستقيماً تمتد منه اليدان ...
 «وارحناه !» قلها وهو يشيب بين الأمواج .
 «دعه يهلك ... لن يلومك أحد ... لقد أراد
 لك الموت ... فليلق جزاءه» .
 وسكنت الريح قليلاً فشعرت أن هاتفاً مهتف
 باسمى بصوت كأنما يتحدّر من علياء السماء ... لقد
 خيل إلى أن أى تطل من بين السحب وتصبح به :
 ولدى ... ولدى ... أتقذ أخاك .
 وابتدرت المياه مسرعاً ومضيت أشقها بذراعى
 وهي تنهش جسمى نهشاً حتى رأيت صديقى بين
 معترك الأمواج يتخطب ويتشبث فاندفعت نحوه
 صائحاً : «توى ... توى ... لا ترحل ... إني أت»
 وطفقت أسبج وأرد الوج عني وأظلمه بكلتا يدي
 ولكن ... دون جدوى ! كان توى قد ذهب ...
 كانت مادياً واقفة لدى الباب عند ما طرقت
 بقدى ، فلما أبصرتنى وحيداً شعنت الرأس ممسكاً
 سألنى وقد انتقم لونها : أين توى ؟

آلام فرتر
 للشاعر الفيلسوف جوه الأسانى
 الطبعة الرابعة
 ترجمها أحمد حمزة الزيات
 وهي قصة عالية تدبح من آثار الفن الخالد
 ونمها ١٥ قرشاً

المرأة الشاعرة

Imaginative Woman

للمصمى الانجليزى ترمس هاررى

بِقلم الأديب نظمى خليل

للشعر غسب ، بل وللحياة
أيضاً . فكانت إذا ما خلعت
إلى نفسها تفكر فى ذلك
الزوج وفى ثروته الطائلة ،
وفى قيمة هذه الثروة لها .
وكانت فى كل مرة تعود بعد
ذلك التفكير الطويل بالألم
والاشفاق على هذا الزوج
الذى لم يعرف قط ذلك الجو
الشعرى الجميل ، جو

المواطف والخيال الذى كانت تطلق فيه مشاعرها
الكبوتة وأحلامها المذبة تخلى فى ساعات خلونها
وهدونها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف
على البحر ، وقد أحيط بمديقة شجرها فيتانة ؛
فاستقبلتهما صاحبة المنزل وأخذت يتحدثان عن
ظروفهما السيئة وعن موت زوجها المفاجئ ، وعن
وسائل الراحة التى تمدها السكك من يقيم فى منزلها .
فأعجبت مسز مارشمل بالمثل ، ولكنها أرادت استئجار
كل الغرف ، فغاب أمل المرأة فى كسب هؤلاء
الضيوف ، إذ كان هناك غرفتان يشغلها شاب
رفيق الجانب طيب القلب كريم التلق لا تود أن
يتركها ، ولكنها تحتمت قائلة : لا بأس ربما يخلى
لكما هاتين الغرفتين بضعة أسابيع . وقبل أن يفرغ
الضيوفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن
صاحبها الشاب قد رضى أن يخلى لهما الغرفتين مدة
ثلاثة أسابيع . فقال السيد مارشمل :

« إنه شاب كريم حقاً ، ولكننا لا نريد أن
نزعجه فى مسكنه »

انتعنى « ولیم مارشمل » من البحث عن
مسكنه السعيد فى إقليم « سولنتس » فى جنوب
« ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجة
وأطفاله فى انتظاره بعد أن قضوا سحابة اليوم فى
الطو واللعب . وكانت الأم منصرفة إلى قراءة الشعر
كما دأبت ، فلم تكدر تراه حتى ألقت بالكتاب جانباً
وأفاقت من ذلك الحلم الجميل الذى كانت غارقة فيه
وقالت : إنى أود أن تكون قد وقعت هذه المرة إلى
منزل ملائم فقد ضقت ذرعاً من طول مكثنا فى هذا
الفندق . فأجابها زوجها : إن المدينة مزدحمة والغرف
ضيقة وأخشى ألا تجد فيها ما تريد . هل لك أن
تصحبينى إلى ذلك المنزل الذى رأيته اليوم ؟ ثم خرجا
مما تاركين أطفالهما الثلاثة فى رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين فى الزواج
والشرب ، فقد قضى الزوج حياته فى صناعة الأسلحة
ونشأ فى جو صنائى بحث ، بعيداً عن جو العاطفة
والخيال الذى عاشت فيه زوجة الشاعرة ، فلم يكن
غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن ترائح
إلى أعمال رجل مثل « مارشمل » . إنها ليست عدوة

في ذلك الجو المكتئب المكفهر الذي أصبحت
تشم في أنها آلة للنسل وأداة للتسلية

وتشاء الظروف أن يقترن اسم هذه السيدة
باسم هذا الشاعر الشاب في إحدى المجلات الكبرى
عقب فاجمة مؤلة اهتزت لها عواطفها الشاعرة
فأوحى إليهما في وقت واحد بقصيدتين متحدثتين
في الروح والعاطفة كأنهما فاضتا من نبع واحد، حتى
أن مدير المجلة قد نشرهما في صفحة واحدة متمججا
لذلك الاتفاق الغريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت «إلا» أو «جون
إيني» كما كانت تسمى نفسها تهتم بكل ما ينشر في
الصحف بامضاء روبرت ترو. لقد أخذت ذلك
الاسم لترضى رغبة كامنة في نفسها، وحتى لا يرتاب
الناس في صدق إيماءاتها إذا علموا أن هذه
المواطف الجياشة والشاعر القوية تفيض من قلب
امرأة عادية هي زوج لأحد تجار الأسلحة وأم
لثلاثة أطفال.

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع
الشعر الحديث، بل كانت فرجة لقاب، مكوم، يأس
قد ضاق بالحياة أو ضاقت به هي فلم يعد يميز فيها بين
أخص الطبايع البشرية وبين أرقاها. فكانت تلك
السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشعر بحقيقة ألمة تمز
في نفسها لأنها لا تستطيع أن تتحلى في ذلك الجو
الساى الذى يضرب فيه بمخاضه القويين.

ثم مضت بضمة أشهر نشر خلالها روبرت أول
دواوينه الشعرية فكان بكورة طيبة استقبلها
الشعب بشئ من التقدير لكنه من أن يكسب
نفقات الطبع، فأغرى هذا النجاح للتواضع
جون إيني على أن يجمع مقطوعاتها الشعرية المنثارة
في كتاب واحد مؤلة في أن تصادف بعض ما ظفر

فأجابه صاحبة المنزل قائلة: لا إزعاج ولا إقلاق
فهو شاب غريب الأطوار تراه دائما حاكما مطرقا
حزينا يحب الوحدة ويتشق الهدوء، وهو يحرص
على البقاء هنا في فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس
له إلا البحر؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر
القرية كما يفعل كل عام تبديلا للواء. وفي اليوم
التالى كانت أسرة السيد مارشيل تقيم في ذلك المنزل
الجديد. ثم مضى الرجل إلى البحر يرياض على
شاطئه الجليل، وانصرف الأطفال إلى اللعب في
الحلاء، وبقيت «إلا» وحيدة تلهو بما عسى أن
تجد من كتب وآثار في غرفة ذلك الشاب. فقد
رأت روفوا من الكتب الغريبة النادرة قد تكس
بعضها فوق بعض في نظام خاص يدل على أن صاحبها
لم يفكر قط في أن يدأغربية مستمد إليها. فقالت:
سأخذ هذه الترفة لنفسى إذ يظهر لى أن
صاحبها مفرم باقتناء الكتب. هل يمكنى أن أقرأ
بعضها منها يا مسز هور؟

— نعم، إنه أديب نائىء وشاعر واعد، له
دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة، ولكنه لا يشق
له طريقا في المجتمع

— أهو شاعر حقاً؟ لم أعرف هذا قبل الآن.
ثم تناولت كتاباً قرأت اسمه في الصفحة الأولى
فصاحت متعجبة: «يا للمصادفة! إنى أعرف اسمه
حق المعرفة: «روبرت ترو» كذلك أعرف أشعاره.
أهذه هي حرفته؟ وهل هو حقاً الذى أخرجناء منها؟
ثم أخذت تفكر في ذلك الاتفاق الغريب.
لقد كان والدها أحد رجال الأدب البارزين فنظمت
في الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعها عواطفها
الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى، حياة الحلم
والزهى؛ حياة المرح والشباب التى ضاعت جينها

في المزيج الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع
الغرفة جيئة وذهوباً ، فأطار النوم من عيني ولكى
مع ذلك لم أضيق به ولم أغضب.

كان هذا فاجحة الحديث عن ذلك الأدب
الواعد الذى أخذ يصمد مدارج الشهرة فى وثبات
واسعة موقفة .

وفى ذات يوم جاءتها صاحبة المنزل تلفت نظرها
الى شيء لم ينتبه إليه وهو آثار للكتابة بالقلم
الرصاص قد نقشت على ورق الحائط خلف الستائر
بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسز مارشيل
أن تحبس شعور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى
الغرفة ، وانحنى برأسها الجليل حتى كادت تلمس
الجدار . ثم أخذت مسز هورتنشرف لها فى أسلوب
المرأة المتمكنة من علمها الواقعة على جميع ما يحيط
بها فقالت :

إن هذه الكلمات هى خواطره الأولى التى
تهفو بقله وهو نائم فى فراشه ينقشها هنا خوفاً
من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار
منشورة بعد ذلك فى الصحف ولكن هذه الأسماء
لم تنشر بعد .

فاجر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت
برغبة قوية خفية فى أن تخلو الى نفسها . ولم تكند
المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لها حتى أسرع
مسز مارشيل الى غرفة الشاعر وأخذت تلو هذه
الأشعار فى صوت موسيقى جميل حتى سكوت
أذناها وشالت بها أفكارها الى السموات العلى .
كانت الطبيعة فى ذلك اليوم غاضبة مائة ، فلم
يرد مسز مارشيل أن تصاحبه الى البحر الهائج الزبد .
أما هى فقد أخذت تضيق بتلك الحياة الرتيبة الشائبة ،
وتنفرد من ذلك الجو المألوف الثقيل ، إذ لم يصد

به روبرت من الاقبال والتشجيع ، ولكنها عادت
بصفقة المنيون ، فلم يتصد أحد لكتابتها بالنقد
أو التعرّيط ، بل لم يفكر أحد أن يعلق عليه أو أن
يشير إليه ولو فى إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فسرطان
ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى
عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست بجنين يضطرب فى
أحشائها فانصرفت عن الأدب وتاهبت لاستقبال
ذلك الضيف الجديد .

جالت هذه الأفكار فى خاطر تلك المرأة التى
وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار فى غرفة ذلك
الشاب الذى ارتبطت به برابط روحى وثيق ، فنهضت
عن كرسىها وأخذت تجول فى أنحاء الغرفة تفرس
فى كل ما تراه ، ثم دعت مسز هورتنستفسر منها
عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين
الغرفتين حتى فى أيام سفره ، فإن جو هذا المكان
يلأم صدره . وهو يقضى وقته فى القراءة والكتابة
لا يقابل أحداً ؛ وهو مع ذلك طبيب القلب حلوا
الحديث يتمنى كل من يعرفه أن يصادقه . إنك
لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم .

— فى طيبة القلب ورقة الشاعر !

— نعم . حتى أننى كثيراً ما أغربه على الخروج
من عزائته ، فيقوم برحلات قصيرة إلى باريس
أو الترويج ، ثم يعود يشكرنى لأنه ذاق طعم
السعادة بسببى .

— إنه قيق الاحساس لاشك

— أجل وإن بدأ فى بعض الأحيان غريباً ، فقد
حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده

فاحمر وجهها خبيلا وأمرعت الى خلعتها ، ثم قالت لقد رأيتها مصادفة هنا فارتدبتها لأسرى عن نفسي ألم الوحدة . ماذا أعمل مادمت بعيدا عني دائما ؟ بعيدا دائما ؟ حسن . . .

فلما جاء الليل ذهب الى مسر هو بر تنفذى شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد . فقالت صاحبة المنزل : إنك تلذين كثيرا لسماع قصته . لقد أرسل إلى خطابا اليوم يخبرني أنه سيأتي غدا لحاجته الى بعض الكتب

— هل يمكنني أن أبقى هنا عند مجيئه ؟
— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك
فשמرت يارتياح خفي عند سماعها هذا الكلام

ومضت الى فراشها تفكر في هذا اللقاء الرقوب وفي صباح اليوم التالي قال لها زوجها : لقد كنت أفكر يا (إلا) فيما حدثتني عنه من أني أتركك وحيدة دون أنيس . قد تكونين على حق في هذا ، ولكن الجو اليوم محو ، والبحر رهو ، وللنسيم رخو ، فهل لك أن تصحبيني الى تزهة قصيرة ؟ ولأول مرة شعرت (إلا) بمدم رغبتها في تلبية هذا الطلب ، ولكنها لم تعلن رفضها . ثم اقتربت ساعة الخروج فأخذت تستعد لها ، ولكنها ما لبثت أن توقفت عن المضي في اللبس ، فإن الرغبة في لقاء ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيدا سائر الرغبات الأخرى ، فقالت في نفسها : (اني لأستطيع الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك ، فضى وحده كان المنزل هادئا في ذلك اليوم ، فقد خرج الأطفال الى الحلاء يلعبون ويمرحون ولم تعد تسمع إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطئ فرحة بذلك اليوم المشمس الجميل . لقد سمعت الباب يقرع ولكنها لم تر أحدا ، فلما نفذ صبرها نادى مسر

ركوب البحر ولا السير مع الشاطئ . متأبطة ذراع زوجها شيئا بجانب تلك اللذة القوية التي أخذت تشمر بها كلا أوت الى غرفة ذلك الشاعر المجهول . لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها ، ثم حاولت أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تفرق في عينيها . وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة مغمورة بتلك المشاعر اللذيذة التي أوحى بها اليها غرفة ذلك الشاب الذي لم تره قط

لم يعد قلب تلك المرأة يفتي على أوتار الحب الأول ، ولم يعد زوجها ينظر اليها أكثر من رفيق أو صديق ، ولكن قلبها كان لا يزال عامرا بالحب ، جياشا بالمواطف التي تتطلب غذاء ، وإلا ذابت وماتت . وأخيرا وجدت ذلك الغذاء في ذلك الاتفاق الذي لم تكن تعلم به

عشر الأطفال يوما على بعض ملابس ذلك الشاعر فأمرعت مسر هو بر ووضعتها في الصندوق كما كانت . أما الأم فقد شعرت بشيء غريب كتمته في نفسها حتى تحين الفرصة ، وسرعات ما حانت ، فقد خرجت مسر هو بر إلى قضاء بعض حاجاتها ، وخرج الأطفال يلعبون كما دهم كل يوم ، فأمرعت الأم الى الصندوق وأخرجت منه حلة جميلة فارتدتها ، ووضعت قمعته النسالية فوق رأسها . ثم أخذت تخطو في مشيتها تسأل نفسها : ألا توحى لي هذه الملابس بما أوحى اليه من روائع الفن ؟ لقد طالبا خفق قلبه تحت هذه السترة ، وطالبا تفتح ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه هذه القبة ؟ ثم ما لبثت أن شعرت بضمعا بجانبه فنادت والدموع تكاد تطفر من عينيها ، ولكنها لم تتركه تصل الى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها فصاح : ما هذا الجنون ؟

لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك المرحلة التي تمتد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نبأ من زوجها يخبرها أنه سيقضى ليلته في زهرة بحرية مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت العشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطئ وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة المختبئة وكأنها تتوقع أمراً خيفاً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشمرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدنو من الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أكثر ثيابها وقامت إلى الأطار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائمة ، وكان الشاعر لا يمسأ قيمة عالية تلي ظلالاً رقيقة على جبينه . أما العيانان اللتان وصفتها صاحبة المنزل فقد كانتا تشمان ألباً وبؤساً

نظرت إلى الصورة طويلاً ثم تهمت في صوت هادئ رقيق : « وهل أنت الذي كشف نوره القوى نوري هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغترت رقت عيناها بالدموع ، ولست شفتها الصورة ، ثم ما لبثت أن ضحكت ضحكة عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة الريبة ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس المواطف والأفكار التي كان يضطرب بها قلبها

هو ورسالتها عن الطارق ، فأجابها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن المجيء اليوم لعدم حاجته القوية إلى المكتب . فراح الحزن على قلب (إلا) وبقيت وقتاً طويلاً تنسج الانفعالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح المديونة) إذ كان الحزن قد جفف ينابيع فرحها

— مسز هوبر . هل لديك صورة لـ . . . ذلك الشاب الذي يقطن هنا ؟

وكان الحجل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه — ماذا ؟ نعم . في داخل ذلك الأطار الجليل المعلق في غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة

— نعم . إنها في داخل ذلك الأطار نفسه . لقد اشترته خصيصاً لصورته ولكنه جاءني قبل السفر وقال : « إخفي صورتي عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقومون هنا فاني لا أود أن ينظروا إلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فانه لا يفضح ؛ فلو أنه عرف أن الشخص الذي سيقوم في غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حرياً ألا يفكر في إخفاء صورته — وهل هو رشيق ؟

— إنه رشيق في نظري وإن لم يبد كذلك في نظر بعض الناس . ولكنني أعتقد أنه شخص قوي يأمر كل من يراه ، في عينيه برين الذكاء ، وفي بدنه روح المبقري الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟

— إنه بكبرك بسبع سنوات . أي أنه حوالى الثانية والثلاثين

والحقيقة أن (إلا) كانت فوق الثلاثين وإن

له برنامج آخر . لقد تمبت اليوم ولكنى مضطرب
استيقظ الساعة السادسة . سوف لأوقظك . فرفعت
اليه عينها بينما كانت يدها تمن في إخفاء الصورة
تحت الوسادة . فأنحى عليها وقال : أحقاً لست
مریضة ؟

— كلا . ولكنى كاسفة البال فقط
— لا بأس

ثم أنحى عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبله
وفي الساعة السادسة استيقظ مارشيل وهو
يتنأب ويقيم هذه الكلمات : لست أدرى أى شئ
كان يحق هذه الليلة

فرفعت (إلا) عينها فرأت صورة روبرت في يده

— حسن . لقد قضى على

— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟

— ماذا تنى ؟

— أرى صورة هنا

— أظنها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل

— إنى أعجب كيف جاءت هنا

— لقد رأيتها أمس فرمينا وقعت من يدي هنا

— إنه صدقك إذن

— إنه رجل ذكى وشاعر واعد وهو الذى

يقطن هاتين الغرفتين ولكنى لم أره

— كيف عرفت هذا ما دمت لم تره ؟

— مسز هور أخبرتنى ذلك عندما أعطتنى

هذه الصورة

— حسن . يجب أن أترك الآن . إنى

لا أستطيع أن أحببك مى . راقبى الأطفال جيداً

حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وماكاد مستر مارشيل يترك المنزل حتى أسرع

زوجته إلى مسز هور تسألها عن موعد حضور

والتي تفقدتها في زوجها فلم تجد لها . « إنه أقرب
الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عيني » . ثم ألقت
بلكتاب والصورة على منضدة صغيرة بجانب السرير
وأخذت تستعيد بعض أشعاره الوجدانية ثم
ما لبثت أن أمسكت الصورة في يدها وأخذت تنظر
فيها وهي نائمة . ثم التفتت إلى الأسمار المكتوبة
بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملاً وسطوراً
كأنها مذكرات « شبلى » . ثم شعرت أن أنفاسه
الحارة القوية تصافح خديها وكأنها منبعثة من تلك
الجدران التي طالما أحاطت برأسه كما يحيط برأسها الآن
لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو ممسك
بالقلم . نعم . إن الكتابة ماثلة بما يدل على أن
الكتاب قد قد ذراعه هكذا . « إن الصورة أكثر
حقيقة من الانسان فهي غذاء الأبدية » هذه هي
الأفكار التي خطرت في ذهنه في سكون الليل
العميق عندما انطلقت روحه في سماء الفكر
لا تخشى تقدراً ولا تهاب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه
الكلمات قد كتبها في عجلة على ضوء القمر الخافت
أو نور الصباح الخافت أو بصيص الفجر الأدكن . ثم
مدلى شعرها حيث كان يضع ذراعه وهو يستجمل
تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شفتى الشاعر محاولة أن
تغمص روحه وتشم أنفاسه خلال ذرات الأثير
وبينما هي غارقة في بحار هذه التأملات المذبة
المليحة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكذب تصحو
من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : معذرة ،
هل بك صداع ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك
فأخفت الصورة في حركه غريزية سريعة
وقالت : بلى من صداع . كيف جئت الآن ؟
فقال : خفت أن أتأخر الى النداء الذى أعددت

يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم «جون إيفي» من قبل فسيبقى بكل ما تنتشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت إلا في هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفي تلك الغرفة التي كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيها فيه ، ولكنها لم تتلق منه رأياً ، فمزت هذا إلى أن روبرت يكتب إليها ظاناً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً مخلصاً لزوجها فكتبت إليه بدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى واقطع المطر ، وأخذت الأزهار تنفتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، واتسحت الأرض برداء الربيع

وفي اليوم الموعد في الساعة الخامسة سمعت قرعاً بالباب فهولت إليه ولكن هالماً أن وجدت صاحب المجلة واقفاً وحده فسأته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إلى آسف كثيراً لعدم مجيء روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدني أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتي اليوم

— نعم وقد أوصاني أن أعذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلي ؟

لقد تحدثنا معاً بالباب ثم انصرف وهو في حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

روبرت . فعلمت منها أنه سيأتي في نهاية الأسبوع ثم عاد مارشمل قبيل الغروب وأخذ يقرأ الرسائل التي جاءت أخيراً ، وبناء قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام — ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إلى أحب هذا المكان

— ولكني لا أجد فيه ما يبرى بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إلى مضطر إلى العودة ثانية لأصحبكم إلى المنزل . وعلى كل فلدريك ثلاثة أيام أخرى

ولكن «إلا» رأت أنها مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها فعلمت أن

الشاعر يقيم في إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولكنها لم تستطع أن تهتدى إليه ، فمادت كاسفة الببال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا في نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انبث في قلبها فأمر جوانبه القائمة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع

ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت .

وفي صبيحة يوم السبت ، كانت مرسى مارشمل وأولادها في طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفر أكفيلاً والجو خافقاً مكتئباً يبعث الضيق والضعف ولكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى

الجزر المتناثرة فيه حتى غابت جميعها عن عينها ، فأخذ قلبها المثقل المغموم يتلهف إلى حيث يقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الرقيق الجميل جسماً بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبتة إجماعها وتسأله رأيها في بعض مقفوعاتها الشعرية التي أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ما جاءها بما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب

« عزيزي : قبل أن يسللك خطابي هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الضجة التي ثارت حولي . لن أثقل عليك بسرر الأسباب التي حملتني على هذا ، ولكني أؤكد لك أنها وجهة مقنعة . ربما لو كانت لي أم أو أخت أو صديقة لما فكرت في أن أقطع مجرى حياتي هكذا . لقد طالما حملت تلك المخوفة المنشودة التي استوحيتها ديواني الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ، وأرى لزما على أن أذكر ذلك حتى لا أخرج أية امرأة قد يظن أنها السبب في هذه المأساة »

قرأت (إلا) هذا الخطاب وهي في ذهول عن نفسها ثم أسرع إلى فرائشها وانكفأت على وجهها تبكي وتنتحب ثم أخذت تنبتم : « أواه لو عرفني قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة ! لو أمررت بدى على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه طعم الحب وأشعره بالحياة ، ولكنت أربه استمدادى للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيء لي هذا ولم يتح لي أن أنتم في حنته

ثم قامت لساعتها وكتبت إلى صاحبة المنزل تطلب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها الرد يحمل خصلة الشعر ومكان المقبرة وفي أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تخفى شيئا في صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟

فتمتمت قائلة : لقد مات

— من ؟

— لا أذكر اسمه

— حسن . ثم مضى الى عمله حيث اتفق أن قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

إحدى صحف النساء ، نال فيه كاتبه منه كثيرا ، وبما قرأته

— لا . إنه ليس جديرا بالتفكير فيه . فهو كثيره من مثات المقالات التي ينشرها أصحاب المقول القديمة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه يهتم كثيرا بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجبا عليه أن يعرف أن هناك من يعطف عليه ويمجبه به — نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إني — أحبب إني ؟ هل قال هذا ؟

— إني لا أعتقد أنه أعجب به يوما

— ولا بشعره ؟

— لا ! !

وأخيرا أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها لم يستطع أن يرضى بمبودها العظيم فذهبت إلى حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبههم لها وضما

أما الناشر فقد أدرك أنها لم ترد بدعوته إلا لقاء صاحبه ، فاقصر ف . وفي اليوم التالي نشرت إحدى صحف الصباح الخبر الآتي :

انتحار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذي عرفه الجمهور منذ سنوات شاعرا مطبوعا ، وأديبا موهوبا في منزله في سولنتس بطلق ناري . إن الجمهور ليس في حاجة الى تذكره بديوانه الشعرى « أغاني المرأة المجهولة » الذي نشره في العام الفائت ، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءة مقالا عنيفا تناوله فيه كاتبه بالتقذ والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذي كان قد أعدده لأحد أصدقائه وهو :

و لم يمض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى كانت (إلا) ماقاة في فراشها لا تستطيع حراكا . وقد ذبل جسمها وجفت بنابيع الحياة فيها . وفي الساعة الأخيرة قالت : « ولهم . إني أريد أن أعترف لك بكل شيء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا لسولنتس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نسيتك ، ولكني كنت في حالة سيئة ، لقد ظننتك دوني كفاءة وعقلا بينما كان فوقى قوة وذكاء . فأردت أن أبحث عن شخص يفهمنى ...

ولكنها لم تستطع أن تزيد حرفا على هذا فانتفضت انتفاضة سريعة كانت القاضية لم يكن الزوج . كثيره من الأزواج سريع الغيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى الاعتراف بملقاتها برجل مات

وفي نهاية العام الثانى بعد هذه الحادثة بينما كان مسر مارشل يبحث عن أوراق زوجها ليحرقها قبل أن يقترن بزوجها الثانية رأى خصلة الشعر ، وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب عليه التاريخ بخط زوجته . فنهض مسرعا وأحضر ابنه الصغير الذى كان السبب في وفاة أمه ووضعها على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ يفحصها ويقارن بينها وبين قببات وجه الطفل ، وكأن الطبيعة الماكرة قد شادت أن تجعل الشبه قويا . فصاح :

تسالى . لقد خانتنى في هذا الطفل . دعنى أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ... الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخير أصباح : اذهب أيها الحيوان إنك لا تنسب إلى !

تلقى نيل

حديث زوجته عنه والصورة وخصلة الشعر أيضا . وفي أحد الأيام هبت (إلا) مضطربة مهمومة فكثبت ورقة صغيرة الى زوجها تخبره أنها فاهية الى مكان بعيد قد يستغرق منها يوما ، ثم انطلقت كالريح الى المقبرة . فلما جاء زوجها حسرت في أذنه الخادمة أن سيدتها لم تكن في حالة هادئة في الأيام الأخيرة ، وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج كان عارفا بمكانها ، فأسرع توارا إلى المقبرة وهناك في غسق الليل أخذ بتدسس طريقه على برى شبح زوجه ، وأخير ألح بصو صا من النور يشع من بعيد ، فسار اليه وسط أكوام من الصخور والرجام فرأى زوجه حانية فوق القبر فقال :

ما هذا ؟ أتتركين أطفالك وتأتين هذا العليش ؟ إني لا أغار من هذا التمس فقد أنهى الموت ما بيني وبينه . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة حيث أخذ أول قطار دون أن تنطق الزوجة ببنت شفة

مضت على هذه الحادثة بضمة شهو ولم يجرؤ أحد أن يكلم الآخر

أما إلا فقد كانت عليها تزداد سوءا بعد سوء حتى جاء يوم الخاض فقالت :

— إني لا أعتقد أنى سأنجو هذه المرة

— فقال زوجها : أوه . ما هذا البعث ، لماذا لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ فقالت :

— إني أشعر أنى ساموت ، وسأترك فراغافى قلوب أبنائى . فقال :

— وأما ؟ فقالت :

— إنك ستجد من يخلفنى . فقال :

— ألا ترالين تفكرين في صديقك الشاعر ؟

فلم تجبه



يَوْمِيَا نَائِبِي الْأَرْيَافِ

لِلأَمْتِازِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ
(تابع)

١٤ أكتوبر ...

أنه «أفرنجي» غير لون العينين والشعر. أين يتنزه؟ وأين ينفق وقته؟ هذا الشاب الذي جاء من العاصمة منذ أيام حيث الأنوار والملاهي والضحجج؟ إنه الآن لا يكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها مهديم. وغير هذه «الحجور» السقفة بمحطب القطن والذرة بأوى إليها الفلاحون. إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماد وفضلات البهايم، وفي تكدمها ونجمها «كفور» و«عزبا» بمنزة على بسيط المزارع، ليكأنها هي نفسها قطمان من الماشية مرسله في الفيضان. هذه القطمان من البيوت التي تمش في بطونها ديدان من الفلاحين المساكين هي كل ماتقع العين عليه في هذه البقاع. ويزيد في كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الغروب. فلا يسمع بعدد غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الحبر ونحيب السواق والشواذيق والكباسات، وأصوات بعض الأعرية النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء المخصوصيون

تركت الأمور يذهب إلى شاته. وعدت إلى مكنتي بدار النيابة. وعلم المساعد بمودقي لحضر وهو كالشفاق إلى رثي. ولكنه عاتب على إغفالي إياه في واقعة الليل. فتنبت إلى أتي حقيقة نسبته كل النسيان. إن أهامي بإصطحاب الأمور تلك الليلة قد ألحاني ولا شك عن كل شيء آخر. ومع ذلك فهي حادثة نافهة لم يستفيد منها غير بطن حضرة الأمور. ولم يقع ضررها إلا على جيب حضرة العمدة. آه هؤلاء العمدة! لشد ما أرتي للحلم! وظهر «فراش» الحكمة الحاج خريس. فطلبت إليه كوابن الشاي الخفيف. والتفت إلى مساعدي فأقبل على يتحدث كمن يتحدث لجرد الحديث، وكأني به جوعان كلام. إن الوحدة قد كادت تقتله أنساء غيبتي عنه. لقد سمع الريف. إنه لا يجد هنا قوة واحدة يلق أن يدخلها مثله. اللحم إلا دكان ذلك البدال الروي «طناش»، وضمت أمامه مائدتان من الخشب وكريسان من القش. وقد أطلق عليه الأهل اسم «الحجارة». وحتى هذا الروي قد ارتدي جلبابا كتشاب الفلاحين فلم يعد شيء يرم على

أن أزيدة بياناً ليزداد حرماً ، ولكن الحاج خميس دخل حاملاً كوباً لم يكد يقع نظري عليه حتى صحت :
- ما تسقى أحسن خبر « كوييه »
وتخلص !

- صلّ على النبي ياسيدنا البك ! أنا بقى لى
عشرين سنة فراش عكة . وورد على أصدق
الأهال والوظفين . تصدق بالله ! ما ينفع فى المحاكم
إلا شأى مُرّ طعم « الفورنيه » !

فرددت قليلاً ثم لم أجد مناصاً وفلت :
- شأى المحاكم وشغل المحاكم كله مُرّ
والسلام ، هات . ا . ووضع الرجل الكوب
الزجاجى أمامى وانصرف . وما كدت أرفش رشقة
حتى فتح الباب ودخل عبد المقصود أفندى رئيس
القلم الجنائى بروحه الذى لا أستخف له ظلاً وقال :
- عندنا من نوع التلبس أربع قضايا .

- هات !

فذهب وأرسل إلى المسكرى القادم « بالمحاضر »
والقبوض عليهم . وأخذنا نطالع الأوراق قبل أن
نستدعى أماننا المتهمين . وجعلت من نصيبى ثلاث
قضايا . واستصغرت ملفاً أقيمت عليه نظارة بريمة
وأعطيته مساعدى وأنا أقول له : « سرقة كوز
ذرة . لى نتمرك على أمهل من مثل هذه
السرقة . سل هذا الخلق فستجده معترفاً فى أمان
الله ! » . وبدأ الاضطراب قليلاً على الساعد : فهذه
أول مرة يستجوب فيها متهماً . وتناول من يدي
المحضر . وجعل يقرؤه كلمة كلمة . وبسبب قراءة هذه
« القسمات » التى لم ترد على الجنس . وفرغت أنا من
أمر نصيبى البالغ أضعاف ما عنده وهو بازال
مهمكاً فى إعداد مخصصات وإفدية ، ومخصصات
للمخصصات ، وأسئلة مدة إعداداً كأنها قنابل

او النظاميون أحياناً إرهاباً للغير أو تشجيعاً
لأنفسهم . إن مساعدى يريد دواء لهذا الضيق .
وهل من دواء للريف غير الزواج أو السير الموج
أو المطالمة وتحرير الذكرات كأفهل أنا كلما وجدت
إلى ذلك سبيلاً ؟ وفسكر صاحبي فى الاختلاف إلى
النادى . إنه لا يعلم شيئاً عن نادى هذا المركز . إنه
اسم يطلق على حجرة فى منزل عتيق يصعد إليها يسلم
من خشب . وهى تضاء بمصباح غازى أى « كلوب »
وهذا « السكوب » هو وحده الشئ الجدير
بالاحترام فى الحجرة . أما أهل النادى فهم بالطبع
رجال الادارة وطبيب المركز وبعض الأعيان
والموظفين وصاحب الاجازخانة . ولا يشغل هؤلاء
فى ذلك المكان غير لعب الورق و « الطاولة »
واغتياب الناس . فهل يلقى بمثل النائب العام فى
هذا المركز أن يندس فى هذه الزمرة ! لقد قلت
لمساعدى أنى « شخصياً » أفضل أن يكون عضو
النيابة مبدأً عن كل هذا إذا كان يريد أن يجعله
الجميع . وأنا ان أنسى ذلك اليوم الذى دعانى فيه
رجال الادارة إلى حفلة عشاء فى ذلك النادى مع
القاضى المقيم تكمراً لزميل لهم منقول . ولم أستطع
الاعتذار فذهبت . وإذا زجاجات الوسكى على المائدة
بجوار الطعام . وقد ملأوا كأسى وكأس القاضى .
ولم يفتن القاضى لنفسه فشرب وأكثر ، وجعل
يثرثر ويضحك حيث لا موضع للكلام والضحك .
وعندئذ مال على الأمور وقد سكر هو أيضاً وألقى فى
أذنى صاحبا : « البك القاضى فقد وقاه » فلم
أرد أن أسمع أكثر من ذلك . فانسألت منصرفاً إلى
بيتي فى هدوء دون أن يشعر بى هؤلاء المتخبطون فى
كؤوسهم . منذ ذلك اليوم وأنا لا أضع قدماً فى
هذا النادى . واقتنع مساعدى بكلامى . وأردت

وجه الشاب وتردد، ثم تجلده ونظر الى المthem وسأله :

— أنت سرقت كوز القدرة ؟

فأجاب الشيخ لغوره من جوف مقروح :

— من جوعى .

فنظر المساعد الى وقال فى لهجة الانتصار :

« اعترف المthem بالسرقة » ١

فقال الرجل فى بساطة :

— ومن قال لى نأكر ؟ أنا صحيح من جوعى

نزلت فى غيط من الفيطان سحبت لى كوز ...

ووقف القلم فى يد المساعد ، ولم يعرف ماذا

يسأل بعد ذلك . والتفت إلى يستنجدنى ، فنظرت

الى الرجل سائلا :

— سين ، يا رجل لماذا لا تشغل ؟

— جيم ، يا حشرة البك هات لى الشغل وهيب

على إن كنت أناخر . لكن الفقير منا يوم ياتى ،

وعشرة ما ياتى غير الجوع

— أنت فى نظر القانون منهم بالسرقة

— القانون يا جناب ألبك على عيننا ورأسنا .

لكن يعنى القانون عنده نظر ويعرف أنى لحم ودم

ومطلوب لى أكل

— لك ضامن يضمنك ؟

— أنا واحد على باب الله

— تدفع كفالة ؟

— كنت أكلت بها

— إذا دفعت يا رجل خمسين قرشا ضمان مالى

يفرج عنك فورا

— خمسين قرشا ! وحياتك اسبك أنا ما وقعت عيني

على صنف النقدية من مدة شهرين . التعريفة تسبت

شكلك ، ما أعرف إن كان لحد البساعة (غروم) من

وسطه والا سدوده

سئلتنى فى صدر سارق « كوز اللذة » . فكتمت

فمكى . أنا أيضا فى مستهل حياتى القضائية كنت

أفضل فعله . ولقد قسا على القدر أشد مما قسا على

هذا الشاب فنكبتنى بقضية تزوير مقدمة كانت هى

أول عمدي بالتحقيق . ولست أنسى اضطرارى

وقتئذ وقد مثل أمامى المthem المزور بطول باعه وذلاقة

لسانه واعتياده الثول أمام القضاة . فذهبت الأمثلة

المجيزة من رأسى ، ولم أدر ما أقول . وانتظر الرجل

واقفا فى هدوء أن أفتح فى أو يفتح الله على يسؤال ،

وتصيب منى شبه عرق وأنا أرى المthem أحسن منى

حالا وأربط جاشا أقوى امتلاكا لأمره . وخيل

إلى أنه يسخر منى فى دخيلة نفسه . وكان كاتب

التحقيق رجلا قديما ذا مران طويل صادف فى حياته

ولاشك عشرات مر من الساعدين الجدد أمثالى . عرف

ما بى فأمرع يعاوننى وبلغتنى ما ينبغي أن أبدا به

من أسئلة وأنا أتقبل منه المعاونة بأنفة وكبرياء دون

أن أظهر له حاجتى الى تدخله . وأمثال هذا السكرتير

المهم من ذوى الحق المغموط والفضل المجهول كثيرون ؟

وقد سمعت أحدهم يقول لى مشيرآ إلى بعض من

كبار رجال القضاء : « علمناهم الشغل ومشوا

واردقموا وبقوا قضاة ومستشارين ، والواحد منا

واقف فى مطرحه لا يكبر ولا يصغر » زى ججش

السيخ ! تذكرت كل هذا وأنا أنظر الى وجه

مساعدى . ورأيت أن أنهد خطاه الأولى بنفسى ،

فطلبت إليه أن يتجى جانبيا هذه اللخصات ، وأن

يضغط بأصبعه على الجرس . ففعل وظهر الحانجب

بالباب ؟ فأمرته بإحضار المthem الأول ، فدخل فلاح

كهول قد برز من صدره شمر أزرق أشيب كأنه شمر

صبيح مسن ؟ وقلت للمساعد أن يوجه إليه ما يحضره

من أسئلة ولا يخاف ، وأنا أعينه إذا توقف ، فاجر

ومراويل ، وكذلك أنواع من الأحذية الجلدية لحساب متجر في القاهرة من المتاجر الشهيرة ، وكانت تمتاز ليلًا بكل هذا جسر التزعة الحاذقة لدائر الناحية ، فسقط منها في الماء كيس كبير مغمم بألوان الملابس ، ولبت الكيس في أعماق التزعة حتى انخفض منسوبها وانحسر الماء عن البضاعة ،

فهرعت تلك البلدة العارية الى ذلك الكنز الذي لا يشابه كل الكنوز . وتساقبت الأيدي الى الكيس الرافد في الطين تجذب من بطنه ما تصل اليه ، فان كان سرولا من الصوف لبس في الحال فوق الجلباب الأزرق وإن كان معطفا من الجوخ دخل فيه الرجل (بحرامه) . وإن كان خذاء لامعا وضع في الأقدام بفسير جوارب . ومضت البلدة تجري في الطرقات فرحة مبهلة : « الكداوي في البحر ، الكساوي في البحر ... » ، الى أن رأى رجال الحفظ واستكثروا عليهم النعمة واستغربوا أمرها واستكشفوا سرها ...

ورأيت أن أسأله أول الأمر جملة ، على أنظر منهم باعتراف يسير على مهمتي . فالتفت عليهم نظرة شاملة :

— سرقتم الملابس ؟

فأجابني من بينهم صوت هين رزين :

— أبدا والله ما سرقنا ولا نعرف السرقة ؛

البحر رى علينا الكيس ، وكل واحد منا طال نصيبه

فقلت للرجل من فوري :

— نصيبه ؟ هو الكيس ملك البحر ولا

له أصحاب خواجات ؟

فأجاب الرجل في صوته العميق الهادي :

— راح من بالنا أن له أصحاب يا حضرة البك

ف نظرت الى مساعدى وأملت عليه نص القرار — « يجبس التهم احتياطيا أربعة أيام ويجدد له ويعمل له فيش وتشبيه » . اسجبه يا عسكري ! فقبل الرجل كفه وجها وظهرا حامدا ربه : — وماله . الحبس كويس ، تلقى فيه على الأفل لقمة مضمونة . السلام عليكم !

وخرج الرجل يذب وقد وضع في معصميه القيد . واطمان مساعدى واستراح باله بذهاب متهمه ، وطلبت القضية التالية . قطهر العسكري ومعه آخر وفتح باب مكتبي على مصرعيه ، وجذبا الى داخل الحجر أكثر من ثلاثين رجلا وامرأة وولدا قد شدوا في حبال من الليف ، إذ لم يجدوا في المركز لكل هذا العدد قيودا جديدة . فسالتمالك أن صحت لنظرهم :

— الله أكبر ! مواشى طالمة سوق السبت ؟ حل الجبال يا عسكري !

فقال الحارس وهو يحمل بأسنانه عقدة حبل : — قتشنا يا سعادة البك بيوتهم وجدنا فيها المنوعات . وباقى غيرهم من أهل الناحية تحت التفتيش والقبض بمعرفة حضرة الملاحظ وأورطة المهجاة !

فأدرت بصري في هؤلاء الأدميين . واستعدت في مخيلتي ما قرأته الساعة عن متهمهم في الأوراق التي أمامي وقلت :

— ممنوعات !

فاستدرك الحارس :

— اللبوسات يا فتندم

نعم . إن ما قرأت الساعة هو أن سيارة كبيرة كانت تحمل أكياسا ضخمة مملوءة بمختلف الملابس القطنية والصوفية من معاطف وستر

ففعّل وهو يلحن بصوت خافت هذا الجاموس الأبيض الذى لا يبنى إذ دخله حجرات الحكومة . وحانت منى التفاتة إلى مساعدى فوجدته مطرقاً مفكراً . فداخلى حب استطلاع أن أعرف ما بنفسه الآن . آتراه قد تأثر لشيء . أترى دقة الحس ورقة الشعور التى جاء بها كما جئنا كلنا فى مبدأ عملنا الحكومى بالريف ما زالت حية أم أنها فى طريق الموت ... ولكن طرقة عصا شديدة ضربت الباب عرفت فيها ضربة المأمور . ودخل صاحبنا بلهث ويصيح :

— البنت ريم ...

— مالها ؟

قلتها رغمًا عني فى لفحة . فاستراح المأمور على كرسي وأنا أنتظر الكلام من فيه بصير نافذ . غير أنه نظر إلى الحاجب بالباب :

— إسقى وحياة عينيك !

وأخرج مندبله الحرير الصناعى من كه ومسح وجهه ورأسه وأنا على أحر من الجمر . وأخيراً التفت إلى وقال :

— اخفتك !

فنظرت إليه ملياً :

— تتكلم جد !

— هربت مع الشيخ كلب !

— الشيخ عصفور ؟ !

— نهاره اسود !

— والعمل ؟

— أمرت فرقة المهجاة أن تقوم فى الحال فتفتى الأثر فى جميع الطرق الزراعية ...

وجلسنا فى صمت . وقد شرد فكر كل منا...
نوفير الحكيم

ربنا بلى صرايتك ؟ إرأى بحال الفلاحين المساكين !
— المسألة مسألة قانون . والقانون صريح : إن كل من وجد شيئاً مملوكاً للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامل معاملة السارق . فهمم ؟
— فهمنا يا حضرة البك . لكن ... بقى ...
الكساوى كانت قدام نظرنا ورمائها البحر عاينا والواحد منا من غير مؤاخذه عريان ...
— أنت يا رجل فاكرك الدنيا قوضى ، وإلا فيه قانون وحكومة ! ويظهر أن الرجل لم يستطع صبراً فقال :

— بقى هى الحكومة لا منها ولا كفاية شرها ؟ ! لا كستنا ولا تركستنا تنكسى !

— أنا مضطرب أن أحبسكم
— يا جناب البك . أنتم فقتنم دورنا وسحبتم الكساوى منا ، والعيال الفرحانة عادت تيكى ، ورجعنا لأصلنا لا لنا ولا علينا . يبقى الحبس له لزوم ؟ !

— أفرج عنكم بفهمان مالى
— مالى ؟ ! الفلاحين عرايا يا حضرة النايب !
— تفصلوا من غير مطرود ! دماغى وجميى والمناقشة مع أمثالكم ضياع وقت . القانون صريح وأنا تمقيد بنصوص أشد من الجبال للموضوعة فى أيديكم . المسألة عندى قبل كل شيء مسألة قانون . « يحبس المتهمون كلهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد لهم ويعمل لهم فيش وتشبيهه » اسحبهم يا عسكري ! نفجروا جميعاً فى صف طويل وفى ذيلهم رجل يقول هامساً :

— يحبسونا لأن ربنا كسانا !
وهذا المكان . ولكن رائحة كرهية انتشرت فى الحجرة . فنادت الحاجب وأمرته بفتح النوافذ .

من قصص الحديث

رحل بلا روح

للكاتب الانجليزى كاشين سينولد

بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

أعدائها ، بل وهبته
للعالم أجمع . وقد أذيع
اكتشافه في الأفاق على
موجات الأثير من مراكز
الاذاعة في لندن بخمسة
عشر لساناً . وكانت
الحديث الدائر على الأفواه
أن ستونهم أكبر محب
للانسانية وأعظم معضد

للسلام على الرغم من مهاجمة صحف النازي له في ألمانيا ،
فقد كانت ترى أنه كان من الواجب أن يذكر
فضل وطنه عليه ، ويخصه بهذا الاكتشاف الجليل .
ولقد دعاني ستونهم ظهر ذلك اليوم في جملة
من الأصدقاء والعلماء فليت
دعوته وأسرت إليه

وكان بيتر ستونهم مديد
القامة ، أشيب الرأس — على
الرغم من أنه لم يوغل بعد في
الشيخوخة — أزرق العينين ،
صافي القلبيث ، يبدو قههما
أثر الحزن والتفكير العميق ...
قال أحد المدعوين :

— إنه يبدو عجيباً حقاً أن
ستونهم الذي افتن في اختراع
المهلكات ، وتمادى في ابتداء عدد الموت لإبان
الحرب ، هو عينه ستونهم الذي ينال اليوم جائزة
نوبل كأول خادم للسلام العام . فاطرق ستونهم
لحظة ثم قال :

— هذا عجيب حقاً ... ولكن لا تنس

كانت سونيا الحشاء ، وبيتر ستونهم ، وذلك الذي
يدعونه نيكولي ، تشيع أمانى من لحظة للحظة ،
وتتمثل في خاطري من حين لآخر وكنت إخال
أنى أسمهم يتناقضون الحديث ، ويتساجلون القول ،
وأنا جالس أزهف الأذن لحديث
ألفون جنتنر الذى كان يروى
قصتهم على كتيب منى

ولقد عدت إلى منزلى ظهر
ذلك اليوم الذى نال فيه بيتر
ستونهم جائزة نوبل للسلام ،
وتناقلت اسمه الأفواه ، ولهجت
بذكره الألسن ، وكان رأى
السائد في العالم أنه منجى
الانسانية ، ومنقذ العالم من
ويلات الحروب



ومنذ شهور قلائل أعلن ستونهم على ملا من
العالم أنه وفق إلى اكتشاف على جليل ، يجمي
العالم من الغاز السام على اختلاف أنواعه ، وتمدد
حالانه ؛ ولم يخص بهذا الاكتشاف الجليل دولة
من العالم تندرع به ضد غيرها ، وتتحرز به من

أجرى أمامه مثل هذا الحديث

— حقاً إنك أقرب أصدقائه ... وأظنك تلم عن هذا الرجل ما خفي عنا؛ فما الذي دعه بعد أن أورد جيوش العالم موارد التهلكة، بما ابتدعه من مهلكات، أن يجمعها عليهم اليوم برداً وسلاماً؟ وما الذي حدها إلى اختيار هذا الاسم العجيب الذي حير الأذهان؟

— حسن يا صديق ... سأخبرك بذلك، وإنها لقصة عجيبة أنت أول من يحظى باستماعها ... أجل سأحدثك الآن عن ستونهم، وعن سونيا، وعن ذلك الرجل الخالي من الروح الذي يدعونه نيكولى . فقلت في دهشة :

— الخالي من الروح؟ ولكن لكل الرجال أرواح يا فون جنتنر .
— مهلاً مهلاً ... لا تتسرع يا صديق . واعتدل البارون في جلسته ، ثم أخذ يسرد على قصته فقال :

عرفت الدكتور بيتر ستونهم لأول مرة خلال الحرب الأخيرة ، وكانت كوكبا زاهراً في عالم الاختراع ؛ وقد بدأ حياته بالاشتغال بالنظريات الرياضية ، ثم تعلق علم الطبيعة ، وشفق بالكيمياء فكانت خفاياها وأسرارها ككتاب مفتوح يتلى منه آراءه ، ويستوحى أفكاره ، ويمرور الزمن وتعاوب الأيام تمكنت بيننا أواصر الصداقة ، وتوقفت عرى الحبة ، وكثيراً ما كان يتحدثني عن مطامنه وآرائه وعن بحوثه الطويلة في الجهد والطاقة ، وكثيراً ما ردد على مسمي قوله :

— إن حرب المستقبل لن تكون قط حرباً بين جيوش ، بل ستكون الآلات عدتها ، والعلم عدتها . . فأجيب مداعباً
— إن أجارك في رأيك هذا ، حتى تخترع

يا صديق أن « الديناميت » و « البارود » وغيرها من المفرقات كانت من إنتاج قريحة الفريد نوبل نفسه الذي يتقدم اليوم بجمازته إلى محبي السلام العام ... فقال آخر

— وعلى ذكر هذا أقول : لماذا اختار الدكتور ستونهم لفظ « سونيافين » اسماً لاكتشافه على ما فيه من غرابة ؟ . فرستوهلم بيده على جبهته ثم قال :

— حقاً إنه اسم غريب ولكنه بقية ذكرى في نفسي ، وحلم سعيد كان مصيره الزوال ، كبقايا الأحلام ...

— حل ! هذا عجيب ! أيعني الدكتور أن هذا الاسم أضغاث أحلام في ليلة ما ؟

— ليلة ما ! كلا يا صديق فقد استغرق حلمي عامين ... والآن يا صاحبي دع هذا جانباً فانه يثير في نفسي ذكريات ألمية

وانتقل الحديث من هذا الاسم الغريب ، ومن ذلك الحلم الذي استغرق عامين إلى نواح متعددة ، وشجون مختلفة ، حتى انفرط عقد الحفل ومضى كل لسيله

عدت إلى منزلي ، فوجدت البارون الفون جنتنر في انتظارى ، ولما علم أنني كنت في ضيافة بيتر ستونهم ... سألني :

— وكيف كان يبدو ستونهم ؟

فضحكت وقلت :

— على خير حال يا صديق ... اللهم إلا عند مأسأله أحدم عن سبب اختياره لفظ سونيافين اسماً لاكتشافه الجديد ... فقال في دهشة وعجب :

— يا ألسنى ! أسأله عن ذلك ؟ ... كان ينبغي ألا يخوضوا به إلى تلك الذكرى المؤلمة ... إنني على الرغم من كوني أقرب أصدقائه لأجرو أن

كما يفحص الطبيب مكروب الداء تحت منظاره
وسافر ستونهم فجأة إلى باريس لمواصلة دراسته
مع العالم الفرنسي « جورج رابيه ليجر » ثم عاد بعد
سنتين وملك بزيه الزهو بشيتين أولهما : الانسان
الذى اخترعه ، وثانيهما : زوجته الحسنة الروسية
سونيا ، قال :

— وستعجب بها يا فون جنتنر .. لقد قابلتها
في باريس ... إنها إحدى نبيلات روسيا اللواتي
هاجرن إبان الثورة ، ونحكتم قال :
— ولذلك سترأها الليلة نائمة على الثورة
والفلاحين ... وسترى أيضاً آلى التي ستعجب

بها كثيراً
وأصدقك القول أني رأيت تلك الليلة ما عجبت
منه كل العجب : رأيت ذلك الانسان الذى تحركه
الأشعة بدل الكبرياء ، ورأيت سونيا ستونهم
وكانت سمراء الوجه رشيقية القوام ، تجمع الى
جمال وجهها رقة في الحديث ، وظرفاً في القول
وقد طرقتنا في الحديث شاباً شتى وشجوناً
عديدة إلى أن مال بنا إلى الكلام عن الروسية
وثورتها فالتفت عينا سونيا وقالت دون ريب ولا روية
— هؤلاء الفلاحون .. لعنة الله عليهم ...

لقد هدموا في أمسية مائة من الصروح المشيدة
والبروج المردة ما بناء أسلافنا في دهور طويلة ..
لقد قتلوا أبى .. وما نجوت من راثهم إلا بشق
النفس ... ويمكنك أن تفهم الآن لماذا لا يأخذنى
العُجب والزهو بأنى روسية .. ولماذا ترانى دائماً
ناقمة ساخطة على هؤلاء الفلاحين ... لقد كانت لنا
أراض واسعة ، وسهول مديدة ، وكنا نملك الألوف
المؤلفة من هؤلاء الفلاحين ، قصفت راحتنا ،
وخلا وطاينا

وقد استرعى خاطرى قولها : « كنا نملك

لنا إنساناً يستطيع أن يفكرين

— هذا ما أرجو تحقيقه يا فون جنتنر
— وماذا عساك تمنع بهذا الانسان إذا وفقت
الله إلى إبراز ما في غيبائك ؟

— الحرب يا عزيزى دون شك ... إن العالم
ما زال يعتمد على الانسان في الحرب على الرغم مما
يفقد من الجيوش ، ورغم ما في الانسان من غرائز
الخوف والحرب ... إلى أخذ أهقى للحرب المقبلة
وسأملأ بهذا الانسان وأمثاله ساحات الوغى ،
وسأزودهم بأشعة الموت عوضاً عن القنابل والبنادق .
فقلت ضاحكاً :

— إنك سفاك دماء يا بيدر .. أنبئني أن تكتسح
العالم وتسحق جيوشه بما تسميه علماً واختراعاً ؟
— إنى أرى أن العالم لم يتقدم قيد شمرة ،
ما دام الانسان يلعب دوراً هاماً في الحروب ...
وسأعمل من الآن على تحقيق ما ربي في ضوء تلك
النتيجة التي وصل إليها اينشتاين سنة ١٨٠٥ « إن
المادة يمكن تحويلها إلى طاقة ، وإن الطاقة يمكن تحويلها
إلى مادة » ، وأغلب الظن أن الشمس هي مصدر
الطاقة والحركة ، ومبعث النشاط الانساني ؛ وليس
هذا غريباً فالنود يمدونها من قديم ... وربما
أدركوا أنها سر تلك الحياة . ومحور تفكيرى
الآن الذى أدور حوله هو أن الشمس مبعث الحركة ،
وأن أشعتها هي مصدر النشاط الانساني

ورعاً انتهت الحرب قبل أن يوفق بيدر في
إبراز فكرته إلى العالم ولكنه كان دائب البحث ،
دائم العمل ، يصل ليله بنهاره في دراسة أشعة
الشمس . وليس بمسير أنت يأتي العالم بأشعة
الشمس لفحصها في معمله ، فقد تمكن نيوتن من
اكتشاف جهازه « البكتروسكوب » الذى يمكن
الانسان من دراسة الأشعة وفحصها فحصاً دقيقاً

في انداع وخشوع ، ثم امتدت يد بيتر إلى زر آخر
ففاض في الترفة نور أزرق قائم بقبض النفس
فهاشت قوى ذلك الواقع أمامنا ، واستترخت
مفاصله ، وجلس في مقعده كما يجلس ابن السبعين
وهو يفوء تحت أعباء السنين .



ومضيت أنقرس وجه ذلك الانسان ،
وأنا مشئت النفس مشرد اللب إلى أن جذبني بيتر
من يدي قائلاً :

— أ رأيت كيف يحسن إنسانى تكاليف الحياة
ونظم المجتمع ... إنه يتحرك بالأشعة كما رأيت ،
وهذه الأشعة هي المؤثر الخارجى الذى يدفعه إلى
التفكير كما تدفع الانسان . مؤثراته الخارجيه من
جوع وخوف وفرح وغيرها . . ولقد أمسيته
« نيكولى » ولما رأيت فيه بعض مشابه من الفلاحين
الروس ابتمت له هذه الملابس الروسية ... إنه
الآن يفكر بمقل الفلاح الروسى ، على الرغم من أن
تفكيره لم يزل في مرحلة البداءة » ، وأطرق بيتر
قليلاً ثم استطرده في شرحه :

— ولقد زودته بمركز عصبي يقابل المخ في

الفلاحين » إذن فسونيا من هذا النوع الذى يملك
الرجال ؛ ولا شك أنها تحس الآن من أعماقها أنها
تملك بيتر ستونهايم ، فلن يصبح بيتر ستونهايم من
الآن ملكاً للعالم كما كان من قبل

وحادث سونيا بمجرى الحديث عن الروسية
فقالت :

— لقد حدثني بيتر عنك كثيراً يا فون جنتر ،
وأخبرنى أنك قلت له إنك لن توافقه في آرائه
حتى يخترع إنساناً يفكر .

— هذا حق ... إن كان بيتر قد صنع مثل
هذا الانسان فستصبح الدنيا تحت قدميه ... فضحك
بيتر قائلاً :

— إننا لم ننته بعد يا فون جنتر ... ولكن
إنهم بنا لنرى ماتم .

وكان للعمل في الجناح الخلقى من المنزل ،
فسرنا بصحبة بيتر في عمر ضيق ، يبعث الرهبة في
النفس ، ويرسل القلق إلى القلب ، حتى بلغنا باباً أقفلته
الحديد ، وناء بما حمله من الرُكُج . . فقلت ضاحكاً :

— ما هذا ؟ ... أخشى أن يسلبك الاصوص
صاحبك يا بيتر

كلا يصدق ... بل أخشى أن يغلّ ضيافتنا
فبهجرنا .

وعالج بيتر الباب حتى فتحه فولجنا الترفة ،
وكان الظلام يجلجل أركانها ، ويشقى جنباتها ،
فضغط بيتر أحد الأزرار الكهربائية ، فتمر الترفة
نور زاهر ساطع يعشى العيون ، ويبهز الأبصار ،
ولكنه لم يُبْرِ من عيبي ، قدر ما آثار ذلك الجالس
على المقعد في وسط الترفة . وما إن لمح ناظرى ،
حتى هب واقفاً في ريث وتؤدة ، كما يقوم الانسان
المادى ، ثم أحنى هامته الحديدية معلناً تحيته

ماجد من أمر نيكولى ، وكانت تملأ عينيه الدخيلة
والعجب ، وبذلك زهو الأوبة النجبة بالولد
الذي النجيب .

وكانت شمس الطفل لا تزال تاتي على السكون
وميضاً من شعاعها عندما ولجنا غرفة نيكولى ففتح
بيتر النافذة قائلاً :

— لو اعتمدنا فقط على أشعة الشمس لنبعث
الحياة في أوصال « نيكولى » لأربنا بموت في الليل
وبموت في النهار ، ولكني رأيت استمالة لنشاطه ،
وبقياً على حياته ، أن ألجأ إلى توليد أشعة الشمس
في الممل ... ولكن انظر ... » وأشار إلى نيكولى
وكانت أشعة الشفق الحمراء قد بدأت تنفمر
الغرفة ، وتفيض في أرجائها ، فرأينا نيكولى يقوم في
تؤدة حتى يستقيم ، ثم رفع ذراعه اليمنى حتى توازى
كتفه ، ثم يستدير على عقبه حتى يواجه الشمس
القاربة . فقال بيتر هامساً :

— « أرايت ... » ، ثم استطرد قائلاً : « الآن
عند ما تهبط الشمس القاربة عن الأفق ... وتغيب
على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال . وينقطع
شعاعها عن نيكولى تهمد حياته وتتمد حركته .
وكان الليل قد أخذ ينشر سجوفه الفاحشة
وبرخ مسوحو الظلمة على السكون ، فأترل نيكولى
ذراعه ، وعاد الى مقعده ، ثم جلس في صمت
وحزن ... فقال بيتر :

— إنني لم أحاول بعدُ تحليل هذه الظاهرة
المجبية ... لماذا يرفع « نيكولى » ذراعه ويواجه
الشمس القاربة في خشوع وخضوع ... » فالتفت
عينا سونيا . ثم قالت في صوت مضطرب :

— هذه عادة الفلاحين في روسيا ، فعند
ما ترسل الشمس القاربة نظراتها الأخيرة الى
السكون ، يولون وجوههم شطرها . رافعين الأذرع ،

الانسان العادي ، فان مخ الانسان يقوم في الجسم
مئاته مركز رئيسي تمانه أعصاب مصدرة وأعصاب
مؤددة ، فثلاً إذا قربت يدك من مدفأة ساخنة
حلت الأعصاب الموردة إلى المخ : أن ارفع يدك ،
فيصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب المصدرة إلى
اليدين ، فترفع يدك دون أن تحس بهذه الدورة
العصبية .

فالشعاع الأبيض الساطع يؤثر في مركز نيكولى
العصبى فيجعله يقوم ويحيى . والشعاع الأزرق يؤثر فيه
تأثيراً مخالفاً فيجعله ينحني ويحس ... وكلما أن هناك
مواد تجذب الحديد ، فهناك أيضاً مواد تؤثر في
الأشعة وتجذبها ، ومنها صنعت مركز نيكولى
العصبى . واستطرد بيتر قائلاً :

— وسيكون نيكولى وأمثاله من الملايين عمدة
الحرب القبلية ، فان يقف في طريقهم إنسان ، ولن
يفت في عضدهم قتال ، أو يقل من غرهم سيف .
— وتساقت إلى خاطري صور عذبة ،
وتراحت في مخيلتي مشاهد كثيرة عن ذلك الرجل
وأمثاله ، وهم يدخلون إلى المدن ، وقد سقطت
تحت ربتهم ، ووقعت في قبضتهم ، فأخذوا
يحطمون ما صادف طريقهم من عوائق ، ويصرعون
ما اعترض سبيلهم من جيوش ... فقلت :

— هذا حسن ، ولكن ماذا جنت عليك تلك
الأرواح البريئة التي ترهقها بما كشفه عليك ،
وأنتجته قريحتك ... فرفع بيتر كتفيه قائلاً :

— وما قيمة الأرواح يا صديقي إذا هي وقفت
في سبيل العلم ؟

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والتهور تترسم
خطى التهور ، إلى أن كان يوم قاتل في فيه بيتر
مشرق الوجه ، منبسطة الأسارير ، ودعانى لمشاهدة

— المجد والشهرة ؟... تلك أحلام يا صديقي...
لن ينال المجد والشهرة سوى نيكولى... أما نحن
فستصبح في زوايا النسيان بعد أن أنفقنا في خلقه
مئة صبا، وأخلقنا جيدة شبابنا، حتى أصبحنا
نخطو إلى الهزال والسقام، كلنا يخطو إلى السكال
والترام »

وأطرفت قليلاً ثم رفعت رأسها كمن خطر له
خاطر ثم قالت في سرعة :

— فون جنتير... إن نيكولى أسير في غرفته،
وأرى أنه لا بد محطم ذلك الباب ومحطمان أيضاً
إذا تقدم به العلم قليلاً :

— ولكن كيف يحطم سادته وأولياء نمته ؟
— كما حطم الفلاحون الروس سادتهم وأولياء
نمتهم



وهنا أدركت أن سونيا ورثت عن أسلافها
من النبلاء ذلك الكره المتأصل في نفوسهم للفلاحين،
وأنه قد دخل في روعها أن نيكولى فلاح روسي...
فهمت قائلاً :

مبتلين إلى الله... ونيكولى فلاح روسي، فلا غرو
أن يقفوا أثر قومه...

وكان وجهها شاحباً، وعيناها ذابلتين يبدو
فيهما ما يسيطر على نفسها من الرهبة، وما يرمض
قالبها من الألم « ورأى بيتر ذلك فقال مُرَقَّعاً عنها :
— سرّى عنك يا عزيزتى... إنك لست
روسية بعد... وأما هذا الإنسان فما هو إلا آلة
صماء خرساء... فقالت متوسلة :

— ألا تَشْخُصُ عنه هذه الثياب يا بيتر... إنه
يبدو فيها كالفلاحين الذين كنا نغسلهم يوماً ما.
فضحك بيتر ولسكنه لم يخلف عنه الثياب.
وأظن أن تلك الأمسية كانت بدء كراهية سونيا
لنيكولى وسخطها عليه... لقد كانت تعتقد أنها
تملك بيتر وحدها دون شريك، ولكنها اليوم
ترى لها شريكاً أشد، وخصماً ألد، يفرق بينهما،
ويحول دونهما.

ومضت بضعة أسابيع لم أر في خلالها بيتر إلى
أن قصدت ذات يوم لزيارته، فوجدت سونيا
وحيدة في المنزل، وكانت تبدو كالزهرة القابلة،
فلا تفرق في القسائم، ولا وضاءة في الوجه، ولا يرق
في العينين، وجلسنا نتحدث عن العلم وعن بيتر
إلى أن قلت :

— وماذا جدم من أمر نيكولى؟ أترأى في طريق
التقدم ؟

— نيكولى ؟... لا تجرأى ذكر ذلك
الاسم... لقد أصبحت أبغضه من كل قاي...
ألا تعلم أن بيتر يقضى معه آناه الليل وأطراف النهار
دون أن يخرج من غرفته... وقاطعتها قائلاً :
— ولكنه قريباً ما يتم وينال به المجد والشهرة.
وقالت مرعدة :

متزن الجرس منسق النبرات ، وقد عرفت فيه
صوت بيتر يقول :

— ومن هو ذلك الرجل الخالي من الروح ؟
فأسرعت إليه قائلاً :

— بيتر... إن سونيا لا يمكنها أن تصبر أكثر
من ذلك ... إنها تمنقداً أن نيكولي يقف حجر عثرة

بينكما ، أخبرها أنه ليس إلا ألعبة يتسل بها عقلك ،
وآلة تتلهى بها

يداك ... فمر بيتر
بيده على جبهته ثم

تقدم لسونيا قائلاً :
— سونيا ...

إنني لست لأحد
سواك ، وما صنعت

تلك الآلة إلا لأخلد
اتحك بجوار اسمي ،

والأأجملك من رهوة
بأعمال ، وإن لفظة

منك لتجملني أحاطه
تخطايا »

وأشرق وجه
سونيا ، وبان الرضا

في عينها ، وبدت
كن ألقى عن نفسه عبثاً ثقيلآ آده وبهره ...

وتحولت فجأة إلى نيكولي حتى لمست صدره ، وكان
لا يزال رافعاً ذراعه ، فصاحت به :

— ما الذي يجعلني أخافك أيها الانسان الآلي ؟
إنك فلاح ونحن النبلاء لا نخشى الفلاحين . إنك

خادم لنا ولثمة في كفتنا إنني لا أخافك ولا
أرهبك فأنت عاجز عن أن تمسني بسوء ...

— سونيا ... هيا بنا إلى غرفة نيكولي ...
سأريك أنه ليس إلا آلة بسيطة يمكن الطفل أن
يجر كها ... هيا ...

— اقنعي بذلك يا فون جنتنر ... أجماني
أعتقد ذلك ... أجماني أعتقد أن نيكولي ليس إنساناً

وأخذت بيدها إلى العمل ، وكان نيكولي جالسا
كمادته في ملابسه الروسية ، وكان يبدو عليه أنه أقرب

إلى الانسانية من
ذي قبل ، ونظرت

فاذا سونيا ترمقه
من خوف . فقلت

لها وأنا أشير إليه :
— بضع مئات

من الأبطال
الحديدية ! هذا

كل ما في الآلة
— هذا كل

ما في الآلة ! كلا
ياسيدي ...

وأسرعت إلى
النافذة ففتحتها ،

وكانت الشمس قد
أذنت بالغروب

ففاضت في الغرفة أشعة الشفق فقام نيكولي كمادته ،
مولياً وجهه شطر النافذة رافعاً ذراعه اليمنى ... فقلت

— هذا عمل آلي محض ... ثم استطردت
ضاحكاً :

— سونيا أنتجسين رجلاً خالياً من الروح ...
خالياً من الشعور

وارتفع في تلك اللحظة صوت من أقصى الغرفة



الصلة الروحية التي تربط الناس ببعضهم... وأظنك تعلم مبلغ حبي لسونيا ، والآن وقد قضت نحبها فاني أحس أني قضيت معها نحيي ...

لقد أزهدت آلائي إبان الحرب من الأرواح البريئة ما يعجز عن حصره البيان ... وكل روح من تلك الأرواح ... لا بد أن كان هناك من يالم لها ألى الآن على سونيا

وأطرق قليلا ثم رفع رأسه قائلاً في حزن :
— لقد كان العلم في يدي أداة لأهلاك العالم وتدمير الأرض ، فلم لأجعله أداة لأسماعاد العالم وخدمة الانسان ؟

— يمكنك أن تعمل على ذلك يا بيتر ... ولقد وهبك الله قريحة هي خير من يخدم العالم إن شامت ، فأجاب في ألم :

— حقاً ... حقاً ... سأعمل على ذلك يا ثون جنتنر ، سأصلح ما قدمت بدياً ، سأسوء جراح العالم ، وأدراً عنه وبيل الحرب ...

واستقام القون جنتنر واقعاً ، وسار إلى الشرفة في خطوات مترنة ، وكانت الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وبدأ الليل ينشر ذوائبه الفاتحة ويرخي نقابه الأسود على الأفق ، فاستدار القون جنتنر إلى قائلاً :

— لقد كنت تريد أن تعرف لماذا يؤثر ستونهم الآن خدمة السلام العام . . ولماذا اختار اسم سونيا فين اسم لغازه الجديد ...

— « حسن ... لقد أخبرتك »

أحمد فتحي مرسى

وفي طرفة عين ، ودون إنذار أو تحذير سقطت تلك الذراع الحديدية الثقيلة على رأس سونيا ، كما يسقط الحجر على بيضة الطائر فيشهها تهشياً

ووقف كل من في مكانه مشدوهاً من هول الحادث ، ومضت برهة قبل أن تجمع أشتات عقليتنا وعلق بصري نيكولي ، فرأيت به يجلس في هدأة وسكينة... وصعد في رأسي ذلك السؤال فجأة . « لماذا أسقط نيكولي ذراعه في تلك اللحظة ؟ » وغابة تذكرت أن الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وأن الظلام عاد يرخي سدوله وينشر مطارفه السود على الآفاق ونظرت الى بيتر وكان وجهه الشاحب كوجوه الموتى ، جامداً لا يتحرك ، شاخصاً لا يطفرف . واستدار على عقبيه فجأة دون أن يناس بينت شقة ، وخرج من الغرفة ثم عاد بعد قليل وبين يديه قضيب ثقيل أنهال به على نيكولي فخطم رأسه ، وهشم أوصاله حتى ملأت أرض الغرفة . وكانت سونيا تسبح في بركة من الدماء ، فتقدمت الى جنبها ونقلتها الى غرفة أخرى ثم عدت الى بيتر وكان مستغرقاً في ذهو له ، وما رأي في حتى قال دون أن يبي ما يقول :

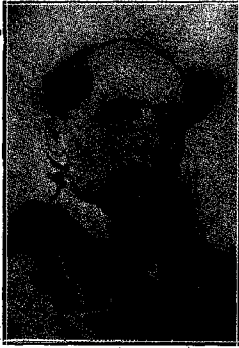
-- فون جنتنر ... أكان نيكولي آلة حقاً ... أم كان إنساناً يفعل ما يفعله ؟ أتراني خلقت فلاحاً روسياً يتخذ على النبلاء وتفيض نفسه بالانتقام ؟ — هذا توهم يا صديقي ... إنك لم تتبدع إلا آلة كان موت سونيا خطأ منها .

فنظر إلى بوجهه السام الحزين ثم قال :
— فون جنتنر ... إنني لم أقدر قبل الآن تلك

المستتر بكوك ورفاقه

للقصص الانجليزية شارل ديكز

(تابع ما نشر في العدد السابق)



شارل ديكز

وكانت صفات تلك الفتاة ومفاتها قد تركت
أثراً عميقاً في نفس مستر تومبان فسأل الرجل :
« هل السيدة في إنجلترا الآن أيها السيد ؟ »
- « لقد ماتت أيها السيد ... ماتت »
وعندئذ وضع الرجل على عينه خرقه صغيرة
قدرة كانت بقايا منديل قديم وأتم كلامه قائلاً :
« لم تشعر بهم هم هيكها ... وذهبت فريسة »
وسأل سندجراس ذو النفس الشاعرة : « وماذا
كان من أمر والدها ؟ »
- « حزن وشقاء ... احتفى فجأة ... حديث

وأبحه الرجل على حين غفلة إلى مستر تومبان
قائلاً : « فتاة جميلة أيها السيد » ، وكان مستر
تومبان بصوب نظراته في مظهر لا ينفق ومبادئ
تلك الجماعة ، جماعة بكوك ، إلى عادة في الطريق .
وأجاب تومبان بقوله : « جداً »

- ليست فتياتنا من الجمال كفتيات أسبانيا
مخلوقات نبيلة ... شعر أشقر ... عيون دعج ...
قدود رشيقة ... مخلوقات حلوة ... جميلة
وتسأل مستر تومبان : « هل زرت أسبانيا
أيها السيد ؟ »

وأجاب ذلك الشخص قائلاً : « قضيت هناك
عصوراً »

فسأله مستر تومبان : « هل ثمة من انتصارات
أيها السيد ؟ »

- انتصارات آلاف ... دون بولارد
فزحيج جراندي بنته الوحيدة ...
دونا كرسيتينا ... مخلوقة جميلة ... تحبني حب
الجنون ... أب حقوق . ابنة عزيزة النفس ورجل
انجليزي وجهه ... دونا كرسيتينا في ياس ... سم .
مضخة صغيرة للمعدة في حقيبتني ... عملية ناجحة ...
بولارو المجوز في سرور غالب ... يوافق على
زواجنا ... أيد مشبك وفوض من الدمع ... قصة
مؤثرة ... جداً »

هل يبقى في الفندق ؟ وأجاب الرجل بأنه لا يعترم البقاء ، ثم أجه مستر ونسكل إلى مستر بكوك وتم يمض كلات ، ثم سرت خمسة من فم مستر بكوك إلى اذن مستر سندجراس ، ثم من مستر سندجراس إلى مستر تويمان ، وأخيراً اهتزت الرؤوس كلها بإيماء موافقة ، فخطب مستر بكوك ذلك الغريب بقوله :

« لقد أوليتنا اليوم صنيعاً جليلاً أيها السيد ،

فهل تسمح لنا أن نتقدم بدليل بسيط على ما نكنه لك من شكران ؟ إننا نرجو منك أن تشرف مائدتنا اليوم »

« مع فائق السرور ... ولتكن دجاجة ومرق وما يقدم معها ... على أنى لا أترح ... ومتى يكون ذلك ... ؟ »

وأجاب مستر بكوك : نحن الآن قبيل الساعة الثالثة ، فهل يلائمك أن يكون الأكل عند الخامسة ؟

... يلائمني ذلك تماماً ... عند تمام الخامسة ... وإذن فلتعنوا بأنفسكم حتى ذلك الوقت ... وانطلق الرجل بعد أن رفع قيمته قليلاً عن رأسه وأعادها في فتور ؟ وكانت تبرز إلى النصف من جيب سراويله تلك الحزمة الملفوفة بالورق البني اللون ، وكان سريع الخطو خفيف المشية ، ورأوه يتعطف في الشارع المجاور

وأجه مستر بكوك إلى رفاقه قائلاً : « يظهر في جلاء أنه رجل كثير الأسفار والتجوال في الممالك ، وأنه دقيق للملاحظة وثيق الخبرة بطياع الناس والأشياء

وأجاب مستر سندجراس : « كم يشوقني أن أرى ما جئته ! »

وقال مستر ونسكل : « وأما كم أود لو أني رأيت ذلك الكلب »

المدينة كلها ... بحث في كل جهة ... لا طائل ... يقف انفجار الماء بفتة من النافورة في الساحة الكبرى ... أسابيع تنصرم ... الماء لا ينبعث عمال لتطهيرها ... زح الماء الراكد ... وجه حمارى رأسه إلى أسفل في فوطة النافورة ... أخرجوه ... تلعب المياه متدفقة من النافورة كما لم يكن هناك شيء »

ولقد بلغ التأثير بمستر سندجراس مبلغاً عظيماً فقال : « هل تسمح لي أيها السيد أن أثبت في دفترى تلك المأساة الصنيرة ؟ »

— « اسمع لك لا ريب أيها السيد ... خمسون غيرها إن شئت أن تسمع ... حياة غريبة . تاريخ عجيب ليس تاريخاً فذاً ... ولكنه وحيد في بابه »

وظل الرجل يقص من تاريخه عليهم وهو يتناول بين القينة والقينة كأساً من الخمر ، حتى بلغت العربية قطرة رويشتير ، عندئذ كانت صفحات كل من مستر بكوك ومستر سندجراس قد امتلأت بما اختاره من مخاطراته

ولاحظ لأعين السفر قلعة قديمة ، فصاح مستر سندجراس بكل ما وسعه من حاسة شمعية انصف بها « يالها من أطلال فاخرة ! »

ورفع مستر بكوك منظاره المقرب إلى عينيه فانطلق لسانه قائلاً : « ما أعظمها موضع دراسة لن يعنى بالأثمار ! »

وقال الرجل : « آه ... مكان جميل ... قلعة فاخرة ... حواظ عابسة ... أفواس متداعية ... برج ... متهدم وهناك كنيسة قديمة أيضاً ... برت سلمها أقدام الحبيج ... وهكذا ظل الرجل يهذى بمثل تلك العبارات حتى بلغت العربية فندق « بول » فنزلوا ؛ وهناك سأل مسترونسكل ذلك الرجل

خنجره ، وجرح الفتاة في كفتها ، وهو ما فعل ذلك إلا على سبيل الدباغة خصب . ومع ذلك فقد كان هذا الفتى الظريف أول من حضر إلى الحانة في الصباح التالي ، حيث أعرب عن استمكاته لتنامي الحادث كأن لم يكن هناك شيء .

واستمر مستر بكوك بصف المدينة قائلاً : ويخيل إلى أن التبغ يستهلك في هذه المدينة بكثرة هائلة ، وأنت تلك الرائحة التي تملأ شوارعها ليستسيبها ويستمرئها أولئك الذين اشتد ولوعهم بالتدخين . ولقد يأخذ السائح المتر على المدينة وضواحيها ما يراه من قذارتها ، تلك القذارة التي تملأ أظفار صفتها ؛ بيد أن هؤلاء الذين يرون في تلك القذارة علامة الحركة ودليل النجاح التجاري ، يرتاحون ، لاريب ، إلى ذلك المظهر »

وحضر ذلك الغريب عند الساعة الخامسة وهو الموعد الذي حدوده . وما هي إلا بركة حتى أحضر الطعام . ولم تك مع الرجل تلك الحزمة الملفوفة في الورق البني ، ولكنه لم يغير شيئاً من هندامه ، بيد أنه عاد أكثر ثثرة ، إن كان هذا ممكناً فلما رفع الفلام غطاء أحد الأطباق تساءل الرجل : « ما هذا ؟ »

وأجاب التلام : « هذا سمك طرى ياسيدى . — « سمك طرى . آه ... سمك عظيم ... يرد كله من لندن ... أحباب عربات الرجيل يأتون بولائم سياسية ... عربات نقل ملأى بالسماك الطرى ... عدد من السلات ... قوم ما كرون . كأس من الخمر ياسيدى »

وأجاب مستر بكوك قائلاً : « بكل سرور » وشرب الرجيل من تلك الخمر أولاً مع مستر بكوك ، ثم مع مستر سند جراس ، ثم مع مستر

ولم يقل مستر توبمان شيئاً ، ولكنه كان يفكر في دونا كرسينا وفي النافورة ، ومن ثم فقد امتلأت عيناه بالدموع

وبعد أن احتجز هؤلاء غرفة جلوس لهم ، وخبروا غرف نومهم ، وأمسروا بأعداد ما رغبوا من طعام ، خرجوا من الفندق يلقون نظرة على المدينة وما يحاورها

وإنما لا نجد فيها أثبت مستر بكوك في دفتره عن المدينة وما حولها ، ما يشعر بأن مآزكه مغظرا من أثر في نفسه يختلف في شيء عما كتبه غيره ممن زاروا تلك الجهة ، ومن السهل أن نوجز وصفه فيما يلي :

« يقين لي أنت أهم ما تنتجبه هذه المدينة وجاراتها ، هو الجند والبجاعة والبهود والطباشير والجبري والضباط وعمال المواني ، وأن ما يمرض عادة للبيع في شوارعها العامة لا يمدو الواردات البحرية والتفاخ والسمك الطرى والجنس دلي . وتقع الأعين في تلك الشوارع على مظهر بهيج حي ، يكون مبعثه في الغالب مروح الجنس . وزياطهم إذ يتجمعون . ولعمري أن مما بهيج نفس كل امرئ سخى اليد يجب معايشة الأصدقاء ، أن يرى هؤلاء الرجال الفطاريف عوج بعضهم في بعض ، بفعل ذلك الفيض الجامى ، ترسله حجة الأجسام والأرواح ؛ ويتجلى ذلك على الأخص ، إذا ذكرنا ، أن السير في إثر هؤلاء ومشاركتهم في مزاحهم ، بهوى متمعة رخيصة بريئة للامة ، فليس هناك من مظاهر الانبساط ما يفوق انبساط نفوسهم ورقتها . حدث قبل مجيئى بيوم أن أهين أحدهم إهانة بالغة في حانة عامة ، فلقد أبت ساقية الخمر أن تعطيه من خمرها زيادة على ما أخذ ؛ فكان جوابه على ذلك أن استل

الغلام تاركاً الجماعة يستمتعون براحة نينك الساعيتين اللتين تقبضان الغداء

وقال الرجل الغريب : « عفوا ومذرة أيها السيد ... بقيت زجاجة ... أدرها ... وجهه الشمس ... أدبروا الكؤوس واثربوها حتى الغالة » ثم أفرغ كأسه وكان قد ملأها منذ دقيقتين ، وعاد فثلاه في هيئة من اعتاد ذلك الفعل

وأدبرت كؤوس الراح وطابت مقادير جديدة ، وأخذ الغريب يتحدث وجماعة بكوك ينصتون . وكانت الرغبة في رؤية الحفلة تلح على مستر توبمان بين لحظة وأخرى ؛ وأثرب وجهه مستر بكوك بتلك الصبغة ، وشاعت فيه تلك الحرارة التي يبعثها الاحساس العميق بالأخاء ومحبة الرفاق ، وأخذ النعاس كلاً من مستر دنسكل ومستر سندجراس فناما ملء جفونهما

وقال الغريب : « بدأ الحفل في الطابق المأوى . اسمع أصوات الجمع ... تخبير القيثارات ... ثم العود ... لقد بدأوا ... » ولقد دلت الأصوات المختلفة التي وصلت إلى أسفل البناء أن هؤلاء الراقصين قد بدأوا الشوط الأول وعاد مستر توبمان يقول : « كم أعني أن أنهد الحفل ! »

وعاد الغريب قائلاً : « وأنا أيضاً كم أعني ذلك . لعن الله ذلك المتاع الثقيل ... كتلة ضخمة ... ليس لدى من الملابس ما أرتيه لأذهب إلى البهو ... موقف نكد ... أليس كذلك ؟ »

وكان الاحسان والخير العام في مقدمة المظاهر الرئيسية في مبدأ جماعته بكوك ؛ ولم يكن نعمة فيهم من هو أشد ظهوراً في إخلاصه لهذا البدأ من مستر

توبمان ، ثم مع مستر دنسكل ، وأخيراً مع الرفاق مجتمعين ، كل ذلك في مثل ما يتكلم من سرعة : « وراح يسأل خادم الفندق قائلاً : « جلبة شديدة على السلم يا غلام ... مقاعد مساعدة إلى أعلى ، نجارون يهبطون إلى أسفل ... مصابيح ... كؤوس ... قيثارات ... فيم كل هذا ... ؟ »

— « للرقص يا سيدي »

— « اجتمع ؟ »

— « كلا يا سيدي ، ليس هو اجتماعاً يا سيدي ، هو حفل من أجل عمل من أعمال البر يا سيدي » وسأل مستر توبمان ذلك الغريب في شوق : « أ يوجد كثير من الفانيات في هذه المدينة ؟ هل لك علم بذلك أيها السيد ؟ »

— شيء فاخر ... مركز رئيسي . كنت أيها السيد ... كل امرئ يعرف كنت .. تفاح .. برقوق ... خر ... نساء ... كأس من الخمر يا سيدي .

وأجابه مستر توبمان بقوله : « مع عظيم السرور يا سيدي » ثم ملأ الرجل كأسه وأفرغها ثم استأنف مستر توبمان حديث الرقص قائلاً : « كم أعني لو أتيت إلى الذهاب إلى ذلك المكان ! كم أعني ! »

وتدخل الغلام بقوله : « تباع التذاكر في الحانة أيها السيد ، ونحن الواحدة نصف جنيه »

وأعرب مستر توبمان ثانية عن رغبته الشديدة في مشاهدة ذلك الحفل ، ولكنه لم يجد أي رد في عيني مستر سندجراس ، ولا في حلقته مستر بكوك الفارغة ، أكب في لذة عظيمة على الشراب والحلوى وقد وضعا إذ ذاك على المائدة . وانسحب

الى النعاس ، قد أخذت تدب الى حواس مستر بكوك . وكان هذا السيد ، قد تقاب في تلك الدرجات التي تسبق عادة الخلود الذي ينال الأكل وما يلحق به . أخذ يهبط من قمة الانتشاء الى أعماق اليأس ، ويصعد من أعماق اليأس الى قمة الانتشاء ، فيكان بذلك كصباح الغاز في الشارع . لم تكن تدب الرياح على فوهته حتى كان كالصباح ، انبث منه أول الأمر وهج شديد الدمان ، ثم ما لبث أن خفت حتى لتحسبه قد انطفأ ، وما هي إلا برهة حتى انبثق نوره ثانية ليلتمع لحظة ثم عاد فارتش ذلك النور واضطرب حتى انطفأ في النهاية . ومال رأسه فاستند الى صدره . ولم يك ثمة شيء مما تستدل به الآذان على وجود ذلك الرجل العظيم ، سوى ذلك الشخير اللتتابع ، تقاعه بين آونة وأخرى حشرجة طفيفة .

وكانت قد اشتدت في تلك الآونة رغبة مستر تومان في أن يشهدهم الرقص ويرى لأول مرة مقدار ما يتركه جمال غادات كينت من أثر في نفسه . كذلك اشتدت رغبته في أن يصطحب معه ذلك الغريب ، فهو لم يسبق له علم بتلك الجمادات ولا بساكنها . على حين تخيل إليه أن ذلك الغريب يعرفها كأنه عاش فيها منذ نعومة أظفاره .

وكان مستر ونكل يفت في نومه ، وكان صديقه مستر تومان يعرف معرفة خبرة ووثوق بما شاهده من أمر صاحبه في مثل تلك الأحوال أنه إذا استيقظ من نوم كهذا ، فما يكون ذلك حتى في الأحوال العادية إلا لكي ياتي بنفسه على سريره . وصاح ذلك الغريب الذي لم يعرف النعم برفيقه قائلاً : « إملأ كأسك وأدر الخمر » .

وفعل مستر تومان ما طلب إليه . وكانت تلك

ترامي تومان . وإنك لتجد فيما أثبت في سجل الجماعة من مواقف ذلك الرجل الفذ ما لا يسهل تصديقه ؛ وفي تلك المواقف ترى هذا الرجل يندق مبراة على بقية الأعضاء وبعد اللهم يد المساعدة وقال مستر تومان لذلك الغريب : « إنه لما يسعدني أن أعطيك من ملابسي ما بقي بفروك ، ولكنك تبدو نحيفاً على حين أرى ... »

« إنك بدت ... باخوس إله الخمر الشاب ازداد بدانة ... قطع أردانه ... ترجل من فوق برمبل ... يرتدى سترة ضيقة من الصوف تلتصق بجسمه ... ها ... ها ... أدر كؤوس الراح »

وليت شعري هل اتمتع مستر تومان ببعض الامتناع لتلك اللجة التي طلب بها إليه ذلك الرجل أن يدير الخمر التي ما لبث أن عها ، أم أنه وقد رأى عضواً من أعضاء جماعة بكوك يشبه باخوس المترجل ، قد أحس في ذلك تشهيراً به وتمريضاً شنيعاً ؟ ذلك أمر لم يتبين بعد . ناول الغريب الخمر وتكاف السعال مرتين ، ووجهه إلى الرجل نظرات صارمة حادة استمرت عدة نوان ، ولكنه لا رأى من ثبات ذلك الرجل وهدوئه ما رأى على الرغم من تلك النظرات لم يردأ من أن يستردها شيئاً فشيئاً وأبى يعود به إلى حديث الرقص فقال :

« أردت ياسيدي أن أقول إنه إذا كانت ملابسي لا تلائمك لشدة وسعتها ، فان ملابس صديق مستر ونكل ربما كانت مناسبة » .

وقاس الرجل بينه ملابس مستر ونكل وانبسطت أساور وجهه وهو يقول : « إنها عين ما أريد » وتلفت مستر تومان نحوه ، فرأى أن الخمر التي سافت صديقه مستر سندجراس ومستر ونكل

الحرفين (P. C.) على الجانبين^(١) . وتساءل ذلك
الغريب « P. C. ؟ ماذا ... منظر غريب ... صورة
ذلك الرئيس و P. C. ماذا تمنون بدينك الحرفين ؟
أريدون بهما « Pebular Coat » ؟^(٢) وراح مستر
توبمان يشرح للرجل في امتداح شديد وفي زهو
وترفع ذلك اللغز الخفي

وأخذ ذلك الغريب يقول وهو يدور على عقبيه
ليرى نفسه في المرآة : « تبدو قصيرة عند الوسط ...
أشبه بستره رجل البريد العام ... حلال غريبة تلك
الحلال ... صنعت بلا قياس ... تبيء مكسوة ...
وتلك من غفلات القدر التي لا نفهم ... كل من
طالت جوسهم تكون حللهم قصيرة ، وكل من
قصرت أجسامهم تكون حللهم طويلة »

وفي أثناء تلك الثرثرة ، أصاح الرجل وضع
ملابسه ، أو على الأصح ملابس مستر ونكل ، وسار
في محبته مستر توبمان ، فقصدا السلم إلى بهو الرقص
وسألها الرجل الواقف بالباب « ما اسمك يا أيتها
السيدة ؟ » . وهم مستر توبمان أن يتقدم ليسمع
الرجل القاه لخال صاحبه بينه وبين ما أراد

« لا تذكر أسماء قط... » ثم هس في أذن مستر
توبمان بقوله : « لا قيمة للأسماء ... غير المروقة ...
أسماء حسنة جداً في ذاتها ولكنها ليست عظيمة ...
أسماء لها قيمتها في جمع صغير ، ولكن لا يقام لها
وزن في حفل عام ... قل : رجلا من لندن ...
غربيان من ذوي السكينة ... أي شيء » .

وفتح الباب على مصراعيه وتقدم مستر تراسي
توبمان وذلك الغريب فدخلوا بهو الرقص
(يتبع)

الكأس الأخيرة كأنها حافظ جملة بعقد النية على
تنفيذ ما اعترم . ثم أجه إلى صاحبه قائلاً : —

« تقع الحجرة التي سينام فيها مستر ونكل
داخل حجرى ، وأنا لا أستطيع إذا أيقظته الآن
أن أفهمه ماذا أريد منه ؛ ولكنني أعرف أن عنده حلة
كاملة في حقيقته ، فإذا فرضنا أنك ارتديتها وذهبت
بها إلى البهو ، ثم خلعتها بعد عودتنا ، فاني أستطيع
أن أضعها في مكانها دون أن أعجزه الآن أو أقلقه »
« فكرة صائبة ... حيلة فائقة ... موقف
نكد لعين ... أربع عشرة حلة في ذلك التناع التقبل
وأراي مضطراً أن ألبس ثياب رجل آخر ... فكرة
حسنة جداً ، تلك الفكرة ... جداً »

وقال مستر توبمان : « يجب أن نشترى
نذاكرنا »

— « أصر لا يحتاج أن تقسم الجنية قسمين ...
دعنا نقترح من يدفع للآخرين ... أنى الجنية على
المائدة ... لفة كما تلف المغزل بأصابعك ... أنا أقول
إنك ستجد الوجه الذي رسمت عليه المرأة ... المرأة ...
المرأة ... المرأة الساحرة »

وأنى الجنية على المائدة وظهر منه الوجه الذي طبع
عليه الفارس وقد سماه الرجل بالمرأة من باب التظرف
ودق مستر توبمان الجرس واشترى التذاكر
وطلب إلى الفلاح مصباحاً أو شملاً يذهب به إلى
الحجرة ؛ وبعد ربع ساعة كان ذلك الغريب يحضر
في حلة مستر ونكل

وبينما كان الرجل ينظر إلى ثيابه في المرآة قال
مستر توبمان : « إنها حلة جديدة ، وهي أول حلة
صنعت بمحل زرار نادينا . » ثم وجه نظر الرجل
إلى ذلك الزرار الكبير المذهب الذى ظلمت في
وسطه صورة وجه مستر بكوك ثم كل من تينك

(١) كما في الإنجليزية الحرفان الأولان من تلك العبارة
نادى بكوك (Piekuck Club) (٢) حلة خاصة

ومتكلم وقد غرق القوم
في ثورة حادة من الجبال،
والنساء قاتلات يتحدثن،
وهناك مغرقة حسناء
تتحدث مع الأمير «

منظر وجيد

المتفرجة الحسنة ، الأمير ،
المتفرجون والمتفرجات ، وفي
المقدمة زوج فتصل الانجليز ،
وصديق الشاعر ثم مارسيلوس
ثم أريجاني فالنور الشاعر

المتفرجة الحسنة — كان ينبغي أن يبدأ

الساعة الثامنة ؟

الأمير — نتحدث يا عزيزي متأملين الأنوار

الساطمة

المتفرجة — (شاك) أتبلغ من العبقرية

هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — (المتفرجة تهيب دون إلقاء عنوان

القطعة الجديدة على الورقة)

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟

الأمير — أجريته ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلت جرأة لا يستطاع إخمادها .

فكرى في أن ليس فيها مكان ناء ، على أننا هنا

جالسون في مكان ملائم كل الملازمة

المتفرجة — وماذا يقولون عن القطعة بالأجمال ؟

الأمير — لا أدري (بصوت منخفض) يتكلمون

عنها كثيراً بالسوء : ينبغي أن يتحدث عن

ضعف القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بعدها ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

سيرة أجيال الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي بول برنيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداي

الاشخاص

- ١ — باديس لإيجانو : شاعر في إيطاليا
- ٢ — مارسيلوس : شقيقه
- ٣ — أريجاني : مدير المسرح
- ٤ — الأمير
- ٥ — صديق الشاعر
- ٦ — الحاسد
- ٧ — البوق لوجانو
- ٨ — في عاشق مصري
- ٩ — أبو الهول
- ١٠ — إيزابيلا موتي : ممثلة إيطالية
- ١١ — فتاة مصرية
- ١٢ — سانتيا : أخت الشاعر
- ١٣ — فتاة عاشقة مصرية
- ١٤ — الحسنة المتفرجة
- ١٥ — السكاتيللي

(تجرى حوادث المسرحية في إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر الحالية)

الفصل الأول

الجز : أسمية تمثيل في روما في المسرح الكبير
الحالي وقد ظهر قسم من الهول تشرف فيه المقاعد
الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستار لا يزال
مرخى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية
« أبي الهول » للشاعر الإيطالي « بارس لإيجانو »
وخلال ذلك يكون المتفرجون بين قاعد وقائم

الأمير - (هزه) بدور أبي الهول ، لاريب ا

أخرى - إنها الغريبة الأطوار

المتفرجة الحسناء - إنها تنزه قودا ا

الأمير - كما تزدريد أن تظهر بحيث كيف

تقبض دوما على القرد الذي يدعى رجلا

المتفرجة - إن لها حفلات راقصة أشد هياجا

من مواطن الفحش والعريضة

أخرى - على أنها تؤثر على كل شيء قبس

أنوار الشموع

الكاتيللى - وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟

متفرج - من ؟

الكاتيللى - وهل عندك شك في ذلك ؟ هو

باريس إيجلانو . وهذا سبب الفهم الآخذة

في الخو

أخرى - إنها لا تمثل إلا الأدوار التي

تخرج منه

أخرى - وطالبا اعترفت بذلك من قبل

متفرجة - ولكنها بارفيتي كانت مخاطبه

في فينيس في شهر يونيو الأخير - بلهجة الفرد

أمام أصحاب الزوارق

أخرى - لوشنت لأصبحت شهيرة الاسم غدا

أخرى - إن لها كلابا سلوقية ، وتخرج

شبه عارية

الأمير - ليس هذا بالرائع كشىء غريب ،

فاصفعوا عنها عاجلا لجلالها ، واصفحوا عنها سريرا

لظرفها الذي يتلأأ حولها حيث خطرت ، في ذلك

النهار ، في القصر ...

المتفرجة - في « السوفونيسيا » ..

الأمير - زلت شاحبة الوجه عشيبة تنبعلها

عليها « بياتريس » وتحسدها « لورا » نظرا إليها

بالأمس بردائها الأزرق ، وفي هذا المساء برداء

حالك اللون ، لونه الغريب يزرى بالسواد ، وانظروا

قريبة القنصل (تظهر بينهما شخصان)

مدعو - أمي جميلة ؟

الأمير - كزنبقة تمهوى عليها أنظار الرجال ،

تستوى وتشكى على أصابعها ذات الخواتم البراقة

متفرجة - (بسخرية) كل هذا - دائما -

من أجل باريس إيجلانو ا

حسود - يا لحظه ا

الأمير - وهل أنت أسف على ذلك ؟

الحسود - إنني أنتظر . يجب أن ينتهى ذلك

يوما : الشكل ينتهى من نساء ، من مجد ، إزاييلا

موتي ، إن في خوزته كل شيء

الأمير - ولكن ليس لك إلا أن تعمل عمله ،

فابلق القلوب فهزها . إن هذا ليس بمسير

الحسود - أنظر : لا مقعد فارغ ! إنه ترك

الدينة تأتي إليه سميا ، والناس كلهم منتشرون

إزاء الستار

الأمير - ولكني لأراك في المقدمة ،

وأجرك موليا ظهرك للستار

الحسود - ذلك خير ا

الأمير - ماذا تنتظر أيها الصل الرقيق

الملس !

الحسود - أرجو أن أرى رواية أخ من

إخواننا يصغر لها الناس صغير استمجان ا

امراة - ما هذا التخلف ا

أخرى - يجب أن تكون « إزاييلاموتي »

سبب هذا التخلف ؟ ومهما يتكرر دائما هذا

التخلف

أخرى - وبأى دور تقوم ؟

الصدق — إنه كثير الايمان بنفسه وذلك ما يبعث على القلق... ثم ما ذا تقولون؟ إنها ليست من المرح على شيء. آه لو يهجر هذه الأنواع موجهة عبقريته إلى مواضيع أكثر وجاهة. لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك. قلت له ذلك مراراً، وأعدت عليه القول تكررراً فلم يذعن! على أن عندي مواضيع المسرح كثيرة. وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه إلى الناس بما يفهمونه: فن حب متواضع، ومن مفاجآت، ومن لحظات روحية، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء، وأخيراً التزوج الذي ينطوي على كل شيء مما يباد تمثيله مئات المرات. ولكنه يأبى الاذعان لرأيي، والشعب مهما ارتقى لا يزال مفتقراً إلى أن نساياه؛ أما أن نقص عليه تاريخه فهذا كثير! أما مسرحياته فلا بطل لها سواء، وفي هذه المرة أيضاً...

فتى — (يدنو منه)

هل تعرف القطعة؟ وما مآخذك عليها؟
الصدق — كما تبها
امرأة — (بسخرية) حقاً؟

الصدق — لقد أراد — وأضحكني بمنه ذلك — أن يبالغ أكبر مسألة في الوجود، وهي مسألة الموت. والمسرح ينفر من مثل هذا. ولقد يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير. المسرح يفترق إلى عمل، وخصومة وسارتين. ولا يستطيع أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده.

امرأة — من يدري؟

الصدق — العمل المسرحي هو الشرط الأول: أعتقدون بي؟ إنه ناقضي؛ وبدلاً من أن يبعد إلى رواية جديدة لبث يبطئنا ما يرضى عنه مقياسه الخاص جاعلاً من المسرح مكان اعتراف، بمعتقداً

بميين تلونت، ونظر بعضنا بعضاً، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة. كم كانت جميلة! أخيل اليينا أن وجهها الذي غاص منه الدم رخام شفاف فعمس أحداً: إنها «ديانا». وقال الآخر: «إنها آريانا» وهكذا كانت تمشي الأسماء حولها وتعالى وتنخفض كأليل متوهج، وللجبال أسماء متعددة، أما هو فواحد!

الكاتيتيلي — (متكئة على مقدمها تقرأ العنوان بدون اكترات على صفحة البرنامج) أبو الهول؟ إلى أحب هذا العنوان؟ إنه يمثل في النواويس القديمة، السماء الزرقاء، الصحراء... هل تعرف مصر؟ (يضيق صوتها في الضوضاء)

الأمير — (وقد لمح متراجدياً) وهذا صدق حجم للشاعر...

المتفرجة — هذا الأشقر!

الأمير — إنه سيحدثنا منه عن السوء الذي نريده

المتفرجة — صديقه؟

الأمير — حقاً؟ إليكم هذا القانون: إذا كان لنا من يبعثنا فهم أخلاقنا. لنناده...

صديق الشاعر — (عائداً) أنت؟

الأمير — (يقدمه للحساء) صديق للشاعر الصدق — سترون أن المشهد الأول هو خير المشاهد

الأمير — أحقاً؟

الصدق — (متنبهاً) والثاني

الأمير — تهديتك فيها تيه، وهل أنت واثق بالفوز مع ذلك؟

الصدق — أريد أن أؤمن به ولكن (بتنهدة ثانية)

الأمير — وهذه فيها قلبي...

إنك لا تفكر إلا في المال من حيث لا يفكر
إلا في الفن .

الحسود — (غاطباً للفرجات اللاتي يسلن عنه)
شقيق المؤلف .

مارسيلوس — ولا ينظر إلا إلى الجمال العميق
البعيد الغور . المجد عندكم مجد مدح الناس واعجابهم
ودعواتهم وأوسمتهم ، ولكن المجد — عند قلبه
الذي يجهل مدوعكم — هو ملكة مختلة تخطر حافية .

إن ما يريده ليس بذلك الفوز الزائل الذي يهتز له
ضحكا جبالاً المواقع الأولى ، ولكن ما يريده
هو الشعور القوي العنيف بخفقات القلوب بحبيب
خفقات قلبه بسمو ورفعة ، وهو إنما يمرر عن
النفس الانسانية إذ يمرر عن نفسه ، ويرى أن
تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يمررها بقلبه ،
كل ما يشكرونه يتكبره ذوق متصنع متكلف على
أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !

(ينحب)

الصديق — (هازئاً كنيه) إنه وهم باطل ينتهي
بالحرق اسرى . لتتحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحسود — إن مارسيلوس أخوه .

آخر — ولهذا يتجنبون مثونة اللود عنه
كراهية فتتأثر حين يشتم ربه

الأمر — إن له سيحات حسنة

متفرجة — وله عيتان جميلتان ؛ وقد زاد
عنه بشدة

الصديق — يمثل هذه المحاقات يحشو الدجوبون
به أذنيه

الفن ! الجمال ! كل هذا لا يساوي قطعة قد

أحسن حبكها تمثل عاماً

(ثلاث ضربات)

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا في مسرحياته . إنه
اتخذ وسيرى سأم الشعب منه . وإلى لى يقين

من أن هذا ليس بنتاج مسرحى !
(مارسيلوس يجلسون يدور ويدأ ويدأ وقد شرانهم
يتكلمون عن أخيه ، وبجاء فابل هذا الصديق)

مارسيلوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة
الصديق : ليكن ؛ إن له لبراءة ، ولكن
بإمكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيلوس — (ببجلة) الفوز ! هذه هي كلمة
طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يجرعه كثيراً ،
على أنني ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء
رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ؛ ولقد
نظرت آثاراً كثيرة قبولت بصغير الاستهزاء ،
أو بتصفيق الإعجاب ، ولكن أحداً لم يخذع
في قيمتها ...

الصديق — ولكن ...

مارسيلوس — انقف عند هذه الكلمة ،
كلمة الفوز ، فكلمة كانت الكبرياء مصونة كان
الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم من نفسه يستحي
من الضحكة الزائفة الناشئة عن حركة رائمة منه ،
فهو إذا لم ينفمس إلا في نفسه ولم يتخذ للتخليق
إلا أجنحته ، ولم يفكر في الناظرين إليه من أبناء
الأرض ، إذا لم يفكر إلا في تحليقه وحالة نفسه التي
يمرر عنها ، وإذا لم يمد يري — بعد انتهائه من
الصعود — إلا الفهم ، فان كبرياءه — اذناك —
كبرياءه المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن
تسكلم بلهجة عالية قائلة : ليقبل إلى المجد فانا
لا أرحل نحوه ...

الصديق — أجل ؛ إننى أعلم ...

مارسيلوس — صه ! أيها الفهم الرأى !

وقلبك الرحب جملة صمياً مع نفسه إلى مثل هذا الحد، ألا تجدون في إحقاقه من تقديم القطعة ؟ ألا تحسون في شكه وقلقه كل هذا الثمن الذي يخرجكم لكم أيها السامعون ! يجدر بنا أن نؤمن به في اللحظة التي يشك فيها من نفسه . وهذا حقه الجماعة - كان ينبغي عليه أن يعلمنا من قبل ...

ليأت إذا ... ليطلع علينا !
(يظهر باريس إيماناً خلف الدبر ... صغير ومراح ...)
باريس - (بصوت شديد وعلى وجهه صفرة)
هأنذا يا شعب روما ! يا نقاده ويا كتابه ،
يا رساميّه وفنانيه ورجاله ! ويا أصدقائي البهترین في
هذا الخضم الواسع ، هأنذا إذا شئتم أن
تصغروا لي ...
الجماعة - ما هذه المجازفة ؟

باريس - يجب أن آتي ، لا يفر أحد من
هذا المكان غيري ! أنا ألفت الرواية وأنا حلت
دون تمثيلها ، وإذا أردتم عرفان السبب فاصغروا
إلي !
الجماعة - كفى ... لماذا ؟

باريس - جيئت بنفسى معترفاً ! اسمع لي أيها
الشعب الذي أحبه ! ألم أقاسمكم بالقدر الكافي
أعشار فؤادي لقاء ترحيب - منكم بي - أقل
هزءاً وسخرية .

الجماعة - ذروه يشككم !
باريس - ألم أحبسكم - بدون انقطاع -
عهوداً ووفيتها ، ووعداً وأجزتها ؟ ألم أطالب
اليكم الكبرياء التي تتمسكون بها ؟ اسمعوا إلى : إن
الرواية روايتي ، قد أودعتها كل همسات حياتي ،
وفصلت لها جناحين من تهدياتي
الجماعة - حسن !

الجماعة - آه ! ثلاث ضربات ... لنفزع
إلى مقاعدنا !
(ينفذ التارلدير المسرح)

الجماعة - أخطاب ؟ ما هذا ؟ المدير ذاته ؟
ولكنهم ضربوا ثلاثاً ! ليتكلم ! ولنتنظر !
المدير - معذرة يا سادتي وسيداتي ،

لا أستطيع التكم إذا قاطعتوني
الجماعة - كفى ...

المدير - إن مأساة الشاعر الكبير لن تقدر
على تمثيلها هذا المساء
الجماعة - ما ذا تقول ؟
المدير - إسمعوني قليلاً واعتصموا بصبركم !
الجماعة - نريد « سر أبي الهول » مهما ذهب
الأمر

المدير - إسمعوني ، إسمعوني بلطف ! لن تقدر
على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك
الجماعة - المؤلف ... لا يمكن ذلك
المدير - المؤلف نفسه تقح فيها
الجماعة - المؤلف ... المؤلف ... كفى ...

أيها الكذاب ! أيها اللص ! أيها الأثيم !
المدير - إسمعوني قليلاً ! وأنا وافقت على
إرجاء تمثيلها لبوادير التلق التي رأيتموها تنشي وجهه ،
وإنكم لتشفقون عليه كما أشققت أنا . إنه المؤلف ؛
وإنه أيضاً الصديق الذي أحبه
الجماعة - آه

المدير - إن روايته الأولى مثلت هنا على هذا
المسرح ، وقد كانت حائزة لأعجاب القوم ، ولم يزل
في أثناء الستار وأطوائه تصفيق غار . ألسنا مدينين
له بكثير من الساعات الطويلة ؟ فلنسمح له بها عن
هذا التردد ، إن حبك أيها الدبنة وهاتفك وإعجابك

تهامس فيها أمواجك
(بصمت دقيقة بادياً عليه التأثر مودعاً شمع)
إنني راحل ؛ وهذا وداعي أردده في هذا
الساء : فلا روماً ولا سماءاً يستطيعان أن يلهجاني .
وداعاً أيها الأصداء المتجاوبة من هذا النابوس
الشهير ! أريد أن أرى « أبا الهول الحقيقى » في مصر
حقيقية . لن نسمع - أيها الشعب - بعد اليوم
اسمى ولا أناتى .
أقول وداعاً ...
الجماعة - كفى ... الرواية تريد أن نراها ...
هات أبا الهول .

باريس - ليس من حق انسان أن يحطم
بالقهر نفسه ! لا لا : لن نروا منها شيئاً برغم
الحاحكم ! إننى صمت - أقول - صمت إلا أنى
أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتنجحت عنها
لأستطيع الخوض في ليج الحياة ، وجئت لى أحطم
قيثارتى أمامكم ! إننى لن أكتب شيئاً بعد اليوم !
الجماعة - القطعة ... ولتذهب أى ذهبت ...
تريد أن نراها .
باريس - (فاذفاً بضاربة من الورق) إليكم
القطعة ...
الجماعة - آه

باريس - هذه هى روايتكم التى أضمتها
بِكبيراتى وكاتبى ، وهذه هى النسخة الوحيدة
الباقية فى الوجود . أنظروها وتروحووا من بيد
ريح أيتها التى لن تعرفوها . وداعاً ! يا قصص الف
من الأشبال من غير حديد ولا شباك ... إذا أردتم
قلبي فدونيكم قطعاً منه وفلاًكاً بمزقة ...
(يمزق الأوراق ويغلف بها وجوه السامعين)
(يهبط الستار)
(الفصل الثانى فى العدد القادم)
فيل هنرارى

باريس - قضيت ثلاثة أعوام منكباً خلالها
على نظمها ، وقد صبغت أوراقها بدم غير منظور ،
ثم كانت إعادة تلاوتها على أوراق تجعدت ، ثم جاء
مهملات ترينها ، ثم تنالت لحظات الشك والريبة .
وقد وجدت كل مساء خلال استسلامى لأحلامى
أن هذا الأثر الفلق الذى كنت أعبده أخذ يتلاشى ،
وكما وافت الأساة وقتها المحتوم أصبح حلماً الذى
انتهت به قاسياً عندى ، وأصبحت أشعر فى ساعة
يأسى العنيد أن عرضها عليكم وتقديمها اليكم ضرب
من المحال .
الجماعة - إنه لمتموه .

باريس - لا ، لست بمجنون ولا بى عته ،
اصفوا لى . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأيى ،
وتدركون كيف التهمى « أبا الهول » . إنى أنزلت
فى هذه القطعة الثرية قلبى ، قلبى كله ، معتمداً
بأن الشاعر الذى لا يضع قلبه فى عمله يأتى عمله
ناقصاً . ما كنت لأشك فى هذا من قبل ، ولكنى
فهمت بعد لآى أى حد بلغ إغراقى ! ورأيت أن
ستاراً خفياً يجب أن يحيط بالشهد حينما ينطوى
على حياة إنسانية

الجماعة - الرواية : الرواية

باريس - (بهول) إنها لن تمثّل !
(الهياج يزداد) إننى أبصرتها - كما تراه لى -
نهض من تحت قديمى ، ورأيتها تولد وتحيا بوجهها
الحقيقى . وأدركت أن تقديمها اليكم يمد جرحية .
وقد فهمت المثلة التى تقوم بها ذلك : وغلب تردى
العنيف على نفسها . افهمى أنت أيها الشعب
وأسكت قليلاً حب الاطلاع فى نفسك عارفاً بأنى
كنت دائماً تلك القيثارة التى كانت ترجع
أنشودتك القائمة ، وكنت الصدفة الواحدة التى



من أعماق النفوس

اعتراف في العصر

لألفريد موريه
بقلم الأستاذ فليكس فانس
(تابع)

بها كل مذهب، لما جاءت إليك مقنعة صدودك
وهي تعلم أنها مجرمة وقد اعترفت بمجرمتها.
لأريب في أنك ستأسف على هذه الليلة لأنك
لن تقع بعد على مثلها.

وكان ديجنه يقول هذا بكل ما فيه من قوة
المقيدة وبرود الاختيار، فكنت وأنا استمع إليه
أحس بارتعاش في جميع أعضائي وبجاذبية يهيب بي
إلى الذهاب لمقابلة عشيقتي أو الكتابة لاستفدائها
إليّ، ولكنني لم أكن قادراً على النهوض من
فراشي، فوفرت على نفسي التعرض لمشاهدتها
تنتظر خصمي، أو لأرى بابها موصداً عليه وعليها،
ولكنني كنت قادراً على توجيه رسالة إليها،
فكنت أفكر بالرغم مني فيها سأخطبها به.

وما بارحتي ديجنه حتى شعرت باضطراب شديد
دفعتني إلى التفكير في وضع حد لهذه الحالة مهما كلفني

إذا كان هذا هو الحب عندك، فأني أشفق عليك.
فقال (ديجنه) إنه ما أحب إلا نساء اللواخير فهو
لا يدقق في مثل هذه الأمور. وأضاف إلى ذلك
قوله: إنك لم تول فتية، يا أوكتاف، وتريد
الحصول على أشياء كثيرة تنطبق على ما تتوهم،
ولكن هذه الأشياء لا وجود لها، فانك تمتد
بالحب، بل بنوع غريب من الحب؛ ولعل لك
ما يجعلك قادراً على الشعور به، غير أنني لا أعتناه لك.
إنك ستستمتع بتجارب غير هذه الخلية يا صديقي،
فتأسف لما فعلت الليلة الماضية، إذ لأريب في أن
هذه المرأة كانت تحبك عند ما جاءت إليك، وقد
لا تحبك في هذه الساعة، وللهما الآن بين ذراعي
رجل آخر؛ غير أنها في تلك الليلة وفي هذه الترفة
كانت موهلة بك، فإذا كان يهكم من الدنيا؟ لقد
أفقدت نفسك ليلة من ليالي العمر وسوف يشجيك
ذكراها لأنها مضت ولن تعود.

إن المرأة تنتشر كل إساءة، ولكنها لا تنسى
ذنب من تهرع إليه فيردها، ولو أن الترام لم يذهب

اخترار مسلك لي ، وإذ لم يقف ذوق عند واحد منها ، أطلقت لخيالي العنان ، فشمعت فجاء كأن الأرض تمجدي ، وكأنني لست بالقوة الخفية السماء التي تدفع بهذه الكرة في الأجواء ، فخيّل لي أنها ترتفع نحو السماء وأنا عليها كواقف على مركب يمر عبر الباب ، وترأت لي شجرة الحور كسارية لهذا المركب ، فتراجعت عن مستندى ومددت ذراعي هاتفا : أية أهمية لساافر لا يعضى إلا حيناً من الزمن على هذا المركب ؟ فسا هو الانسان ؟ ما هي هذه النقطة السوداء على ظهر هذه العائمة النائية في الأثير ؟ أفليس حسي في الحياة أن أكون إنساناً ؟ لا ، إنني أريد أن أصبح رجلاً له صفته الخاصة وطاقمه الخاص

ذلك ما تمنيت أمام الطبيعة ، فكان رجائي الأول وأنا ابن أربعة عشر ربيعاً ، ومنذ ذلك الزمن لم أقم بأى عمل إلا إطاعة لأمر أبي ، ولكنني ما تمكنت يوماً من التغلب على طبيعتي المتمردة . لم تكن حبيبتي إذن بنت كسلي ، بل كانت بنت عزى وإرادتي ؟ وكنت أحب جميع ما خلق الله ولا أحب ما صنع الناس إلا يسيراً ؛ وما كنت أعرف من الحياة سوى الحب ومن العالم غير معشوقتي ، فاكتفيت بما عرفت

خرجت من المدرسة ، فمشت واعتقدت على الاخلاص أن هذا الحب سيؤود حياتي بأسرها ، وهذا الاعتقاد أزال كل ما سواه من تفكيري . وكنت أعيش بمنزلة فاقضي أيامي لدى عشيقتي ، وكان ألد شيء عندي أن أذهب بها إلى الحقول أو أيام الصيف فأنوسد الروج الناضرة إلى جنبها ، إذ كنت أجد في مشاهد الطبيعة الرائعة أشد محمد

الأمر ، وبعد نزاع عنيف تغلب الاشمئزاز فيه على الحب ، كتبت إلى عشيقتي أنني لن أراها بعد ، وطلبت منها ألا تحضر إلى . إذا كانت تتحاشى أن أوسد بابي في وجهها

قرعت الجرس وسلمت الكتاب إلى خادى لايصاله بلا إبطاء إلى البريد ، ولكنه ما كاد يفلق الباب حتى ناديته فلم يسمع صوتي ، وما تجاسرت أن أدعوه ثانية ، فسترت وجهي بيدي واستسلمت لليأس العميق

الفصل الرابع

وعند بزوغ الشمس في اليوم التالي ، كان أول ما خطر لي مناجاة نفسي بما يمكن لي أن أفعله بعد الآن

لم يكن لي مهنة ، وما كنت أنماطى عملاً ، لأنني كنت درست الطب والحقوق وبقيت متردداً بين احتراف إحدى هاتين المهنتين ، ثم اشتغلت ستة أشهر في إحدى الحرف غير أنني لم أوفق إلى العمل بدقة ، فتداركت أمرى بالاستعفاء قبل أن أطرد . وكنت درست كثيراً ، غير أن علوي كانت سطحية ؛ وكنت أُنسى العلم بالسهولة التي أتلقته بها

وكان استقلالى أعز شيء على بعد الحب ، وقد تمشت حبيبتي منذ نعومة أظفاري

وكان والدي يخاطبني يوماً بشأن مستقبل عارضاً على مسالك عديدة للعمل فأتى على عارضة النافذة وحصدت في شجرة من الحور معشوقة تتأيل في الحديقة مع الهواء وأخذت أفكر في

أن إغراق في نأثرى كان يحول كل إعجاب إلى آخر
شاعر عرفته ويدفعني إلى كره سائر الشعراء .
وثارت على هذا التهج حتى أنشأت من نفوسى
مستودعا للماديات ؛ وكنت اغترفت من كل حديث
مجهول حتى بشمت فإذا أنا طلل بال عليه شيء لم يزل
فى جميع الصبا ، هو أمل هذا القلب فى طفولته .

ذلك هو أمل الذى سلم من كل وصمة ومن كل
فساد وسكب الحب فيه كل قوى الحياة ، فإذا
الحياة تصيبه بالجرح القاتل ، ومكر المشيقة يرميه
بأحد سهم وهو يطير فى أرفع أجوائه

وكنت أشعر أن فى نفسى شيئاً يتشجع فى
استرخائه كأنه طير جريح يحتضر . إن الجمع الذى
ينزل الدوايح بفراذه لشبيه بالأمم الهندية التى
تستقر فى الأعشاب الشافية للسماتما ، فأناك كثير
ما تجد قرب الأدوية التى تسببها أجمع علاج لها ،
فالرجل الذى يتبع نظاماً ينطبق على حالة المجتمع فى
حياته فيمين وقتاً لأعماله ووقتاً لزيارته ومبدأ
لممارسة الحب .. لا يتعرض لأى خطر إذا هو فقد
من بهوى لأنه أخذ فى أعماله وتفكيره نظاماً
وترتيباً كصوفى الجنود المهابة للسكفاح ، فإذا سقط
جندى منها انكش الصف وقام آخر مكانه فلا
يشعر أحد بفراغ ذلك المكان

أما أنا ، فساكنى ما ألجأ إليه منذ أصبحت
وحدى ، فكنت أقف أمام الطبيعة وهى أى التى
أحب فأراها تتسع حولى وتزداد فراغاً ، ولو أمكننى
أن أنسى عشيقى كل النسيان لكنت نجوم
كثير من الناس يجدون الشقاء على أهون سبيل
لأنهم يصمدون للحياة متغلبين على الحب الجريح
ولكن أنى لأين التاسمة عشرة أن يقتبس هذه

للقوى ، وفى أيام الشتاء كنت أذهب بها من مرتص
إلى آخر . وهكذا كانت تمر أيام حياتى متتابعة
دون أن أفوم بأى عمل

كانت جميع أفكارى متجهة إلى المشيقة التى
خدعتنى ، لذلك رأيتنى عندما انتهكت خداعها كأننى
أحيا ولا فسكرى

لا أجد ما أصور به حالتى النفسية سوى
تشبيهاً بحالة مساكين هذه الأيام حيث تجد الرياض
مؤلفاً من طراز جميع البلدان وجميع الأزمان ، فنحن
فى عصر لا طراز له لأننا لم ننزع طابع زماننا لاعلى
مساكنتنا ولا على حداقنا ولا على أى شيء لنا .
فأناك لتصادف فى الشوارع رجالاً أطلقوا الحام على
طراز عصر هنرى الثالث كما ترى رجالاً حللوا
الدقون وآخرين أرخوا شعورهم على زى أيام رفايل
وسوام أرخوا على طراز زمن المسيح

وهكذا يتجمل إليك أن مساكين الأغنياء
معارض فنون ، إذ تجد فيها الطراز القديم وطراز
عصر النهضة وعصر لويس الثالث عشر . فلدينا
من كل عصر أشياء ولا شيء لدينا من عصرنا ؛
وما شوهدت مثل هذه الحال فى أى زمن من قبل
فنحن نذهب مذهب التخيرين فنأخذ من كل ما
نجد : هذا الجمال ، وهذا المواقفه ، للراحة وآخر
لقدمة ، وآخر لما فيه من القبح .. وهكذا نميش على
أقناض كأن العالم قد اقترب من الزوال

على مثل هذا كان تفكيرى . كنت طالمت
كثيراً وتعلمت الرسم وحفظت أشياء تراكت فى
دماغى بلا ترتيب فكان رأسى كالاسفنجة متضخما
على فراغه

وعشقت جميع الشعراء واحداً بعد واحد ؛ غير

فكنت أزرق قائلاً : — إن أترك سيمحي ، أيها الجرح الدامي الجيب فأى يلسم سأسكب عليك وما كان زبايد كرمي لهذه المرأة ليزيل تذكرها من كيان فكأنه بقي يتمشى مع دى فى عروق كنت ألمتها ثم أحلم بها . ومن له أن يقاوم الأحلام وأنت يحكم عقله فى تذكارات قواها لم ودم ؟

عندما قتل مكبيت دوكانا هتف قائلاً : إن مياه المحيط لن تفصل يدي ، وأنا أيضاً كنت أرى أن مياه البحار كلها لن تفصل جرحي وصارحت ديجنه بمحاثي فقلت له : دعني وشأني ، إني عندما أستسلم للكرى أرى رأسها ملقى على وسادتي

ما كنت أحيأ إلا من أجل هذه المرأة ، فسا كنت أرتاب بها حتى ولو ارتبت بنفسى .. فإذا ما لمعتها فكأنني أجد كل شيء ، وإذا ما فقدتها فكأنني أرى الوجود بأسره مندثراً خالياً

وقبعت فى منزلى منقطعاً عن الناس ، إذ كنت أحسب العالم ينص بالمسوخ والحيوانات المفترسة ؛ وكنت أقول لكل من يحاول تسلطى : إن ما تقوله حق ، ولكن كن واثقاً من أننى لن أتبع نصحك وكنت أستند إلى النافذة وأقول لنفسى :

سوف تاتى ، لا ريب فى أنها قادمة إلى ، لقد دارت بمنعطف الشارع . إلى أحس باقترابها منى . إنها لا تستطيع أن تحيا بدونى كما لا أستطيع أنا أن أحيأ بدونها . ماذا عسافى قائلاً لها وبأى وجه استقبلها ؟ وبينما أكون مستغرقاً فى هذه التجرى كان خداعها يقاچى تذكارى فأهتف قائلاً : لا ، لا أريد أن تحبى ، لا أريد أن تقترب منى ، فأنى أقتلها

الطريقة فى حبه وهو يجعل كل شيء ويشتهى كل شيء وهو الشاعر بنمو جرائم الشهوات كلها فى نفسه . هل لثل هذا الفتى أن تساوره الشكوك ، وهو كيف التفت بمنكاً أو شالاً أو عاق نظره على الآفاق يسمع هائفاً يدعو إلى الشهوة والأحلام ؛ وما من حقيقة يمكنها أن تتسلط على القلب فى فتوته . كل شيء يثبت الأزهار للشباب حتى القند المتصلة فى أغصان السندبانة الهرمة . ولو كان للفتى ألف ذراع لمدها إلى الفضاء حتى إذا التفت على عشيقته أصبح هذا الفضاء فى نظره مليئاً عامراً وما كنت أحسب أن فى العالم من عمل سوى الحب ، وعندما كان أحد الناس يخاطبني عن غير الحب ؛ كنت أدير ظفري والزم السكوت وكان ولمي بمحبوبتي ولها وحشياً أنقى على حياتي طابع الرهينة والنمك ولاوردن حادثة واحدة تثبت ما صورت من حالي :

كانت محبوبتي أعطيني ذخيرة ضمنها رسماً المصغر ، وكنت أحمل هذه الذخيرة على مخفى قلمي أسوة بكثير من الرجال ولكنني وجدت يوماً عند أحد الباعة سلسلة خديدية علقت فى طرفها دائرة على ظهرها تتوءات شائكة فابتمتها وربعت الذخيرة عليها وحملتها مديراً للتوءات لجهة صدرى فكانت تنفز فى جلدي فأشمر من ألهما بلذة غريبة ، وكثيراً ما كنت أضغط عليها بكفى مستريداً لذنى والآلى... وما كنت لأجهل ما فى عملى من جنون ، ولكن هل من جنون لا يقدم الحب عليه ؟ وعندما عرفت بخيانة حبيبتي ، خلعت هذه الذخيرة عني ويعلم الله ما كان عذابى عندما تحررت من قساوتها

وما كنت سمعت عنها شياء بعد أن أرسلت لها كتابي الأخير فكنت أتساءل : ما تفعل الآن ، أترأها مشغولة بمشق سواي ، فسا على إذن إلا أن أحسن سواها

ولكنني كنت أسمع صوتاً يهتف بي من الأبعاد قائلاً : ألك أن تحب سواي أنت ؟ لعلك جئت !

أذلك ممكن لشخصين سادها الحب فتعانقا واتحدا ؟ أنت لم تعد أنت بعد وأنا لم أعد أنا

وكانت ديجته يقول لي : متى تساو هذم المرأة أيها الجبان ؟ أفترى في نقدك أيها خسارة لا تموض ؟ وهل كان عشقها لك اللذة الوحيدة في الدنيا ؟ اتخذ لك عشيقة أخرى ولينته الأمر

فكنت أقول له : لا ، ليس فقدى لها بالخطارة (يتبع) فبئس فارس

نحن نشترى منكم قطنكم ونعيده إليكم

فأنتم الرابحون في المعادلة

شركة مصر للغزل والنسيج

تمدكم بكافة المنسوجات القطنية

قطن مصر .. صنع مصر .. فخر مصر

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر



هوميروس



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في بيلوس
تلياك يسائل نسطور عن أبيه

فلمصره ما تقدم

« انتهت حرب طروادة وعاد القادة الاغريق جميعاً إلى اليونان ما عدا أوديسيوس فإنه لم يعد ، وكانت حرب شعواء بينه وبين إله البحار بوسيدون الذي أشل طريقه في البحر لحصومة قديمة بينهما . وكانت المرة ميثرا من أنصار أوديسيوس ، فذهبت إلى إيثاكا ، مدينة أوديسيوس ، لتحض ابنه تلياك على البعث عن أبيه وتعرضه على طرد عشاق أمه بنلوب من قصره . ذلك أن طول غياب أوديسيوس أطمع هؤلاء في جال الملك فأرادها كل منهم زوجة له ، ولكنها احتلت عليهم حتى استطاعت أن تجمعهم في قصرها لتضرب بينهم بعض ريثما يعود زوجها وتخلصها منهم . ولقيت ميثرا الفتي تلياك وأحضرت له سفينة مجهزة بكل ما تحتاج إليه رحلة طويلة مخوفة بالأخطار ثم أفلتت من ماله في صورة أحد أمراء البحر (منتور) إلى بيلوس ليسائل أميراها نسطور عن أبيه الذي كان يزاوله في حرب طروادة

برزت ذكاه من لجة الشرق فصبغت أرادها^(١) الذهبية جبين الأفق النحاسي ، وسلبت الأشواء الجميلة لهدى إلى السبيل السوي ، وألقت السفينة مراسمها لقاء بيلوس ، مدينة نلبوس^(٢) ؛ حيث وجدوا القوم على الشاطئ يقرنون القرايين باسم بوسيدون ، ذى الشعر اللازوردى ، وقد جلسوا في صفوف تسعة ، وفي كل صف خمسمائة شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة عجول سما ذات خوار ، فأكلوا الخوايا^(٣) ، ونحوا بالسواعد والأغاذ ؛ ثم أقبل تلياك وبين يديه ميثرا تهادى وتقول :

« تلياخوس ! تشجع يا بني ، ولا تجمل للاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار

(١) أشعة الشمس

(٢) نلبوس هو ابن بوسيدون (نبتون) إله البحار وأحد أعداء أوديسيوس

(٣) الأسماء وما إليها

أدرك باطلفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمانك
ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ،
وتقبل من جميع أهل يبلوس أنصياتهم ، ثم تفضل
يا مولاي فسدد خطي تلياخوس وخطاي إلى ما أقمنا
فوق هذا الركب الشاحب من أجله .. آمين آمين (١١) »
وتناول تلياخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ
ما فيها ، وتعم بصلاة قصيرة ، وماكاد يفرغ حتى
تفرق المدعوون من أهل يبلوس طامعين شاكرين ،
إلا منبرقا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ثم
قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غداثنا فإذا أيها الوافدون
من أنتم ، ومن أين حاكمك هذا البحر ؟ أنجار أنتم ؟
أم قرصان تملأون الشيطان ذمرا وفزعاً ؟ »
واستجمع تلك شجاعته ، وفتخت فيه منبرقا
من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نلبوس العظيم ، يا غفر
هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقتك وصفيك أوديسيوس
سميت إليك من أقصى الأرض أسائلك عن أبي
أبي صفيك وخليك الذي صال معك تحت أسوار
اليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم
شيئا ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين
جميعا وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه أين وقد ؟
وأنى نوى ؟ وأيان قرت رفاة إن كان قد شالت
نمامته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان
ما يزال حيا .. إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا
من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى أن يكون قد
نوى هناك ... هناك ... في أعرق مملكة نيتيون ،
مع الجيلة أمفترت (١) . لذلك سميت إليك يا غفر

(١) ملكة البحار وزوجة نيتيون

عن أبيك ، وقد يجلو لك الشكوك التي تخامرك ،
وثق أنه لن يخون عليك من أمره خافية ، فقد
تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »
ويقول تاباك :

« أواه يا منثور ! ما أحسبني أقوى على لقاء
الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا
الفتى الحدث . أتى لي بلقاء الشيخ ذي التجارب ؟ »
ونجيه ذات المئين الزرجيتين :

« لا عليك يا بني ! إن هي إلا كلمات تقولها
وعلى الله قصد السبيل ! ! العالم كله يعرف أنك
نشأت في ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! »
ودلفت منبرقا ، ودلف في إثرها تلياك ، حتى
كانا في وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم
بين أنبائه ، وحيث استغل أهل بالشواء ، وهب
الجميع للقاءهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ،
بزيسترانوس ، فصاحفهما هاشا ، وثلقاهما باشا ،
وأجلسهما فوق الفراء البثوث إلى جنب أبيه ،
وأخيه الأصغر تراحميديس ، وقدم لسكر مضافة
من حوبة ، ثم كأسا ذهبية من خرميقة ، تذوقها
قبل أن يجي بها ، ثم قال مخاطبا منبرقا :

« مرحبا بك أيها الضيف المكرم ! لقد
شرقت في عيد نيتيون ، فخبذالو أفرغت باسمه ماني
هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ! وخبذالو
أشركت في التقدمة زميلك ، فبا أحسبه إلا عبدا
للآلهة ، خائبا لها »

وتبسمت منبرقا ، وتناولت الكأس في وقار
وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نيتيون العظيم قدس اسمك ، وأحاط بالبابسة
ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث المتضرعين ،

أأنتك حقاً لولد أوديسيوس؟ أجل ! إنك بملاحك
وقصباتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك المذاب
عُسلوج أرومته ! أوه ، أوديسيوس ! يا رفيق
الشباب وحبيب القلب ! لشد ما تتعلىج في النفس
تلك الخاتمة المائلة التي قضاها على الأرحيف^(١)
سيد الأولب ، غب انتصارهم ، وقُبيل أوبتهم !
لقد حنقت ميزفا على ولدي أترپوس إذ تنازعا فقال
قائل منهما نضحي لربة المدالة عند سيف البحر
تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أي وأبحر على أن يقدم
لها القرابين في أرجوس ! يا للتمسحين ! أجا تمنون
البائس ومنالابوس السكين ! إنهما لم يصليا لميزفا
خاق بهما غضبها ، وعبنا حاولا بعد ذلك أن
يترضاها ! إختلف الاخوان ونام الجند حتى مطلع
الفجر ، ثم أطلع نصف الأسطول في موج نائر
مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ،
وما هي إلا سوبمات حتى هدأ اليم ونام الموج ؛
وبلفنا تندوس فذبنا الأضحيان باسم الآلهة ،
وسبحنا رب البحار نيتون فتطامن المباب ؛
ولكننا ما كنا ندرى ما تنسجه يد (جوف)^(٢) حولنا
بل لم يكن يخامرنا أقل شك في وصولنا إلى الوطن
سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت عمة ، ونشب
بين القادة نزاع في الرأي : هل يقلمون من تندوس ،
أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت
تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، أثر سلاح أليك
أن يعودوا أدرأجهم بسفائهم إلى طروادة ، وذلك
بجاملة للقائد العام . بيد أني لم أر هذا الرأي ، بل
فرت من العاصفة بسفائي إلى جزيرة لسبوس ،

هيبلاس كما تمحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بمض
ما تعرف مما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص
على ما جسي أن تكون قد سمعت من بعض حاشيتك
التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ،
ولا تخف عني شيئاً ... قل .. إني أستحلفك بكل
ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن تقص على
أبناءه . لقد كان يحبك ويحملك ويوقرك ، فاجز
ابنه بعض ذلك »

وكأنما رأى نسطور حلماً للذي قال :
« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أدوع
ما هيئت ذكريات الماضي الغم بالأشجان !
ذكريات الزادة السادة والمناوير الصناديد ، الذين
سقطوا تحت أسوار اليوم العتيدة فأرووا ترى
البيدان بدمائهم ، وسطروا آية المجد بدمعهم !
إيه أخيلوس يا سليل الآلهة ؛ وبروكلوس يامعجز
الاندا والأقران ؛ وأجا كس ! ! أجا كس الذي
كان أمة وحده ! لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع
برام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدي ! آه
يا ولدي ! أواه باقطة قلبي وفلذة كبدي وثمرة حياتي
وسؤدي ! يا أشجع الشجعان يا أنتيلوخوس !
أيه قصة وأيه مأساة ؟ ! يارعاك الله أيها الشاب
الحزون ! أني لى أن أقص عليك أحداث سنين
تسع كانت هموماً متصلة وأحزاناً فاجمة وآلاماً
تتسمر في جميع القلوب ! ؟ أي اسان ذرب
يقص فلا يعمل ، وأي مقول رطب يحكي وما يبي ؟
ألا لو أنك أقت تسمع الأعوام الطوال فما أحسب
القصة تنتهي ! القصة التي لم تجد فيها شجاعة
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول
أناته وحمته ! ولكن حدثني ربك أيها الشاب :

(١) جنود أرجوس لاحدى مقاطعات اليونان

(٢) زيوس أوجوبيركاسيه الرومان وهو كبير الآلهة

لقد نفذ اسطبارى وكأت حيلتى ... فإذا أهمل؟
وقال نسطور: «أيها الصديق، لقد أذكرت
منى فائلاً ... وبحكم تلباخوس! لقد تناقل الناس
ما كان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح عرض
أوديسيوس، وتستنزف ثروته ... ولكن، من
يدرى؟ هل أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شاقهم،
وبديل منهم، وتكون له الكرة عليهم؟ لقد كان
أبولو العظيم حبيب مينرفا وصفيها، وهى لابد أخذت
بناصرك كما أخذت بناصره من قبل، وهى لابد
مدركتك وشيكا، وحائلة بين أعدائك وأعداء
أيك، وبين هذه الجريمة ...»

وبحسب تلياك:

«ألا من يدري؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط!
آه أيها الأحاسيس الغريبة التى تجيش فى قلبى!
الآلهة فقط هى القادرة على تحقيق معجزة!»

وهنا، حدثته مينرفا بنظرة هائلة من عينيها
البرجديتين، وقالت له:

«تلباخوس! أية كلمة هائلة زل بها لسانك؟!
ما أيسر على الآلهة أن تقول للمستحيل كن فيكون!
أنا نفسى كم تحشمت أهوالاً فى أسفارى ثم عدت

بمنايا أربابى سالبا إلى أرض الوطن! بل كم من
أناس ظنوا أنهم نجوا من الموت فى يم غشهم بوج
كالظلال، فلما وصلوا إلى البر حاقت بهم منايام كما
حاقت به منيته أجمنون، حين خور صريعا يسد
إيجستوس الأثير؛ والمملكة^(١) الفادرة الفاسجة
الزئيم! حقاً، إن الآلهة لا تمك أن تحول بين المرء
وبين النون ما دام قد جاء أجله، مهما يكن حبيبها
وأعز عبادها عليها.»

(١) كليتيسترا

ولحق بنا ديوميد ثم منالايوس فى إثره؛ وأرسلنا
نمّة؛ وانتظاراً إذناً من السماء، أو قل بارقةً من
الآلهة، تقطع بعدها. وكانت الماصفة تشتد وترقص
فوقنا ومن تحت أساطيلنا، فلم نبدأ من المجازفة،
وإلا تكسرت جواربنا على الصخور وفوق
الأواذى، ... يا لهول! لقد بلغت قلوبنا الحناجر
قبل أن نصل إلى جيرىستوس! حدا لك يا نيتون
وثناء عليك؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قربان من
كل مجل جسد وكبش حنيد؛ ولقد فاز ديوميد
فوصل بمجنوده سالبا إلى أرجوس، وكذلك فاز
الجبارة اليرميدون، جنود أخيل، بقيادة شبلة
العظيم نيوتيليموس، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين،
ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس ... كذلك
وصل أجمنون وليته لم يصل! لا ريب أنك سمعت
بما حاق به! لقد قتله الجرم إيجستوس^(٢)، ولكنه
دفع روحه غماً لفعلة؛ إن الميث لم يطلب لابن
أجمنون حتى تار لأبيه، فانقض كالصاعقة على
قائه وظاله بيده! يا لفخار أيها الصديق الشاب
حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك فى سجل
الخالدين ...»

وشاع السُجب فى نفس تلياك، فقال:

«ويك نسطور! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق
السماء، وستنتفى الأجيال القادمة بقصته، وسيرويه
الخلف عن السلف. كم ذا وددت لومكنت لى الآلهة
فى أعناق هذه العصبة الفاجرة من العشاق الآثمين
الذين يدلون على بدمدم وعددم، والذين يفقدون
فى وجهى بالاهانة تلى الأهانة ... وأسفاه!
ليت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حقى على باطلهم؟

(١) شرحنا ذلك فى درامات إسخيلوس فى الرسالة

وسلّط على العباد أعواماً سيّماً طوالاً... كل هذا والسماء ساهرة لا تنقل ، فقد عاد أورست ابن الملك النائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأخذ عرض أبيه وقتل الوحش اللثيم الذى دسّ شرف للملكة ، ولطخ بالوحل هذا المجد الأثيل ، ثم قتل أمه ... أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف البؤساء بمختلفون بهذا النصر ويصاؤون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك الشر... وبينما هم فى أفراحهم وانتشراحهم إذا بالملك العظيم يصل بأساطيله بمسد رحلة طويلة مخوفة بالخطر .. فلقد أبحرنا (أنا ومنالايوس) من طروادة معاً ، وما كدنا نبلغ صنيوم^(١) ، أول مرافق أثينا ، حتى وقع مالم يكن لنا بحسبان ... ذلك أن رب الشمس أبولو غال بسهامه التى لا تطيش رباب الأسطول العظيم ، فروتيس ، فاضطر الملك أن يلقى مراسيه حتى يصلى على صديقه ويقيم الشعائر على جثاته ؛ ثم أفلح ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفجرت اللجج أفواهما ، وتدافع الموج حول الأسطول كالجبال ، وعمم الجو ، وغامت السماء ، وانقضت الصواعق فانشعب الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشعلت وحدانه ، فبعضها شرق وبعضها غرب وبعضها يعم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها انجى برغمه نحو شطآن مصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخس فقط ... وصلت بعد طول الجهد إلى هنا ... »

« بنى ... أيها الصديق الشاب ... أخلق بك أن تذهب من فوراً إلى منالايوس فتسأله عن أليك ، فلقد لقي الأحوال فى البحر ، ولا ريب أنه سمع بكثير مما جرى فيه من مختلف الأمم فى رحلته

وعسى تملك عبوسة خفيفة ، وقال :
« مهما يكن الأمر فلندع هذا الآن يا منثور ! إننى لأمل فى مطلقاً فى عودة أبى ، ولسكنها أفضية من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ، وأن أعود فأسأل نحر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب الذى حكم كما هو مأثور أجيالاً ثلاثه ، والذي يتألق فى عينيه سناء الآلهة ... أعود فأسأله كيف قتل أجاممنون ؟ وكيف تهباً لا يجستوس أن يقتله ، وهو من هو أعلامته نسباً وأغز حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان منالايوس الملك شقيق أجاممنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن ؟ أم كان ما يزال يطوى الآفاق فشجع ذلك إيجستوس وفتح فى قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فانى قاص عليك نبأ ما لم يأتك به علم ... قاله لولم يُقتل إيجستوس قبل عودة منالايوس ، ما أقيم على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى بدنه النجس لسكلاب البرية وطير القلاة تنوشه وتمزقه وتفتدى به ؛ جزاء فماته الشنماء ، وجرمه التميم وخطيئته التى لا تنفّر . إصمخ إلى ... لقد أناب منالايوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور الملكة ويكون فى خدمة الملكة ... ذلك هو أريدس الحليم ، الذى تنفله إيجستوس ، واتصل بعولانه سرّاً وهو لا يدري ، واستطاع أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم قتله فى بركة موحشة غالبته فيها السباع الضارية والأوباد^(٢) الكاسرة ، حتى إذا خلا لها الجو استسلمت له الملكة القياد لحكم وساد وطنى واستبد

كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربية وزوجاً من صافنات جياذك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، مادمت قد عرفت فيه ابناً لأعز أحيائك وأوفى أسدائك »

ثم حدثت المعجزة ... فانه ما كادت مينرفا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منتور أمير البحر إلى نسر عظيم هبوب اللقعات ، ما عم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى حاق في السماء ، وغاب في لانهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم .

وتناول نسطور العظيم يد تلياك ، وظل يقاب فيه بصره ، ثم قال :

« أيها الصديق ؛ لشد ما عظمت منزلتك ، وسما مكانك . حتى لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ! هذه دون أي ريب ابنة سيد الأولاب — الكريمة مينرفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس كما وقرت أمك »

« ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن تتلقني بنسا جميعاً ! أمنيحي بركانك ... أنا وأبنائي وشعبي ... اكثني أسماء في الخالدين ، وسنصل لك ونذبح باسمك بقرة ؛ لا ذلول تسير الأرض ولا تسقى الحرت ؛ مسلة لا شية فيها ؛ منصورة بالورد ، محلاة القرنين بالذهب »

وقبلت مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهضت وفي إثره أبنائه وأحفاده ، وفتحت أبواب القصر وتقدمت ندامة الشراب فقدمت إليه كأساً من خمر لها نسب من عهد آدم فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به ماؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تلياك إلى

المشتمة ... هلم ... إنطلق إليه ... وإن لم تستغفك سفينتك فاقى بمدك بكل ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وهام رجالك معك أينما توجهت ، بل هاهم أبنائي ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منالابوس ، فان جند الخبير اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد كثُر ظلامه فوق الطبيعة المنهكة الخسادة فنهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهي ما تزال في صورة منتور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « سرحي يا نغر هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا أسن القرايين^(١) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نبتيون قبل كل شيء ... »

واقتصر الولدان بين المدعون يصبون الساء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الجزية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تلياك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يارفاق ! أنتما ضيقي ، فكيف تبيتان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كين لسكا وفراش وثير ، وفيه والجد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي سمار كما هم ثمة طوع اسكا »

وشكرت مينرفا الملك عطفه ثم قالت : « بورك أيها الملك ، لينق تلياك هنا ، ولأتمض أنا إلى البحر لأشهر على صوالج مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلمهم أتراب تلياك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحباً ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نقلع صبيحة الغد إلى

(١) كان من التقاليد الشائعة أيام مومير أن تطلع أسن القرايين وتحرق باسم الآلهة لينصرف الجمع

قبائنه برسبوس يتلقى الدم في وعاء كبير . ونهض
نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة
مضرة ، وتعم باسم ميزرفا ، وقف في اللظى
بكمكنتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر قليل
من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم
شمر تراسيميد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب
الجميع بجهزونه ، وكانت يورديس الجميلة المفتان
تمنى أشد عناية بالفخذين ، فسترتهما بثوب غال
من الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة
والمطور والأرواح . . . وهكذا أخذ الجميع في
شغلهم ، وشرعوا يلقون في البحر بالحوايا ، وشرعت
بوليكاست تنثر البهار والتوابل . . . ونهادى
تلياخوس بسد هذا فاستوى إلى جنب الملك ،
وانتصب الولدان والندادى يصبون الخمر ، وبدأ
الكل بأكلون هنيئاً ويشربون مرثياً

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيتت
الصافقات الجياد لحبل تلياخوس وأحضر القواص
عربة كبيرة مثقلة بكل ما يحتاج الرحلة من زاد
وعتاد

وأخذ تلياك مكانه من العربة الأولى ، واستوى
إلى جانبه يزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم
سلم تلياك وودع ، وشكر وأثنى ، وجذب عنان
الحيل فانطلقت تنهب الركب ، وتبتعد عن بيلاوس
وتطوى الزمان

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث
تقام رب البيت بالبشر والترحاب ، وآتوا عنده ،
حتى أيقظهم أوروا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى
أسبرطة

دسبى مشبه

(يتبع)

مخدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه
يزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وجد الملكة
في انتظاره

ونشرت أورورا^(١) غلاتها الذهبية في مشرق
الأفق ، فاستوى نسطور على عرشه الرمرى الثنائى
عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه نديوس يجلس
كأله للنظر في سوانح المباد ، وأقبل بنوه الستة
وهمهم تلياك الذى جلس إلى جنب أبيهم وتحدث
إليهم نسطور فقال :

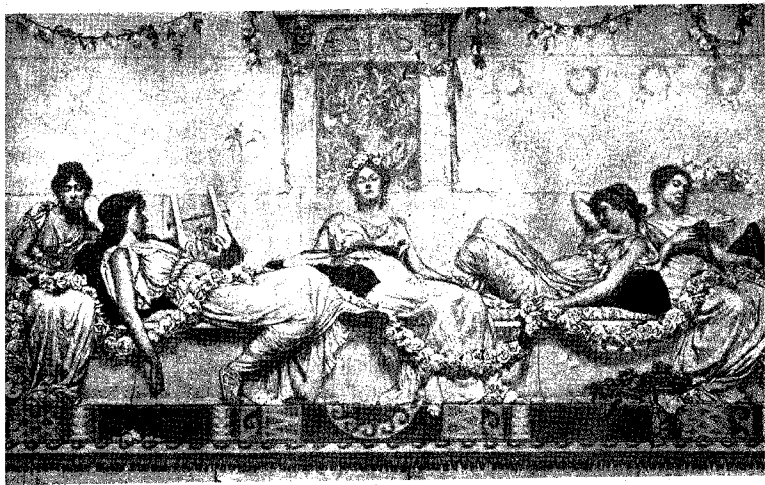
« هلوا يا بئى » لنذبح القربان المقدس باسم
ميزرفا السكرعة التى باركت حملنا أمس ؛
لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً^(٢) سمياً ،
وليذهب آخر فيدعو رجال تلياخوس - إلا
اثنين - من السفينة ؛ ولحمض ثالث فليأت بالصناع
الفنان (برسبوس) ليجلل قرنى القربان بالذهب
ولييق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من
النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبناؤا الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل
اللاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليذلى قرنى البهيمة
بالذهب ... ثم ... وافت ميزرفا ... ميزرفا نفسها
لتشهد الطقوس التى تقام باسمها ... ، وبدأ الفنان
عمله ، فأخذ يرقق صفايح الذهب ويثبتها بمهارة
في القرنين الصغيرين . وتقدم أريوتوس بن نسطور
وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى
سلة من أغصان أنواع السمك ، وتقدم ابنه الثانى
تراسيميد وفى يده شاطور كبير ليذبح الثور ووقف

(١) ربة الفجر وحادية عربة أبوللو حين يركب الشمس
كعند المروق

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقره سلة





النحاس - للصور الانكليزي ر. ستفنس

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العبية الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٩ محرم سنة ١٣٥٦ - ١ أبريل سنة ١٩٣٧

العدد الخامس

الرواية

رغب إلينا كثير من أصدقاء الرواية أنهم
يفضلون أن تقتصر على نشر الأقاصيص القصيرة ،
فإن تسلسل القصص الطويلة يثقل نشاط القارئ
وزهد في جاذبية الحديث . وفي هذه الرغبة النفسية
لا شك سداد ووجاهة . غير أن الفن القصصي كله
أوجله في هذه الطولات الرائعة ، فإذا أغفلناها لهذا
الأسباب قطعنا عن الأدب العربي الزاخر الأغنياء ،
وخرجنا بالرواية عن الغرض الأجل . لذلك سنحاول
التوفيق بين رغبة القارئ وعرض الرواية بأن
نقطع هذه السلاسل فلا نبقى منها إلا الاعترافات
والمذكرات ، لأن موضوعاتها تنكاد أن تسقط ، وإلا
الأوديسة ، فإن تأشيداً توشك أن تنتهي ؛ ثم ننشر
من حين إلى حين قصة من بدائع القصص الطويلة
كاملة في عدد واحد . وبذلك تساهم الرواية مساهمة
صحيحة في ترقية القارئ العربي والأدب العربي بما
راع وخلد من الفن القصصي الصحيح

فهرس العدد

صفحة

- ٢٦٦ الرواية لمحمد موباسان
- بقلم أحمد حسن الزيات
- ٢٧٠ الدكان أقصوصة مصرية
- بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
- ٢٨٢ غرام الشعراء أقصوصة فرنسية : ف . ف
- ٢٨٥ يوميات نائب في الأرياف صور مصرية ...
- بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
- ٢٩٠ حبيبة للكاتب الفرنسي أندريه كورتيس
- بقلم الدكتور محمد الرافعي
- ٢٩٧ الصمت للكاتب الروسي ليونيد أندرييف
- بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي
- ٣٠٧ الحذاء المشوم للكاتبة الإيطالية جرازيا ديلدا
- بقلم الأستاذ كامل محمود خيبي
- ٣١١ اعترافات في العصر لألفريد دي موسيه ...
- بقلم الأستاذ فليكس فارس
- ٣١٨ الأوديسة لهوميروس
- بقلم الأستاذ دريني خشبة
- ٣٢٤ سر أبي الهول لموريس رستان
- بقلم الأستاذ خليل هندواي



ما تستغفبه . وعهدى بك رجلاً ذكياً فلا أخشى
أن يؤذى صداقتك هذا الحديث ؛ وإذا تأثرت به
وتأثت منه فلن أحرص بمسء اليوم على أن يكون
لي منك صديق

إن أمي - عقيلة كورسيل - كانت امرأة حديثة
السن حية الطبع خافضة الجناح ، خطب زوجها
منها المال ، وتزوج منها الثروة ؛ فكانت حياتها
منه حياة الشهيد المذب . هذه الفتاة الودود الجرود
الرفيقة عاملها ذلك الفلاح الجلف الذي كان يجب أن
يكون أبي ، معاملة جافية قاسية من غير هوادة ولا رحمة
لم يكذب بتقضى شهر واحد على زواجهما حتى
كان يمايش خادمة من الخدم ؛ وكان يتخذ قسماً
عن تلك نساء مستأجرى مزرعته وبناتهم حظايا
وخلال ، ولم يمنه ذلك من أن يكون له من زوجته
ولدان ، وقد كان الناس يمدونهم - وأنا فيهم - ثلاثة
كانت أي تمتص بالسكوت وتلوح بالصبر وتعيش
في هذا البيت الصاحب اللامع كما تعيش الفيران
الصغيرة التي تسرق الخطى وراء الأثاث ، وتختلس
الأنظار بين الفُرش
كانت تنظر إلى القوم وهي ضروية خفية راجفة
بعين لاقية قلقة كأنها عين الفزع ، فلا تستقر في

عرفت الفتى (رينيه دي برينغال) شاباً عظيم
البسطة لطيف المشرة ، تنفث وجهه سحابة رقيقة
من الحزن تكاد لا تنتفح ؛ وهو شديد التشاؤم ،
صريح التشكك ، لا ذع النقد ، يابح السخرية من

نفاق الناس ولؤم العالم ؛ يقول وكثيراً ما يقول :
« إن الناس ليس فيهم صالح ؛ وإذا كان فيهم غفة
فهي بالأسافة إلى ما فيهم من الدعارة »

كان له أخوان من آل (كورسيل) لا يجتمع
وإياها ظل ، فكنت أظنه من رجل آخر غير أبيهما ،
نظراً لاختلاف اسمه عن اسمهما ؛ وقد اضطربت
الأسئلة في مناسبات كثيرة بأن جادنا غريباً وقع
في هذه الأسرة ، ولكنها لم تفصل الخبر ولم تنص
الحادث . وجبب إلى هذا الشاب كرم شمائله فتوثقت
بيننا أسباب الألفة ، وأنصت زيارات الودة

فتي ذات مساء سألته عرضاً وأنا أنمش على
مأبتيه أما وهو من غير ثالث : « أولت على فراش
أمك الأول أم على فراشها الثاني ؟ » فانتسف وجهه
قليلاً ثم تفرج ، وبقي لحظة لا يتكلم وقد بدت على
هيباء ربكة ظاهرة ؛ ثم ابتسم ابتسامته السامة المذبة
وقال : « إذا كنت يأسديني تفسط لحديني وتفسط
لسامعي ، فسأفص عليك من نبال مولدي وتخشدي

لا يلاطفانها ولا يحفلانها؛ وقد تمودا أن رباها في البيت من سقط المتاع، وأن يماهلاها بمعاملة الخدم وقد كنت أنا الوحيد من بين أبنائها الذي بادلها حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص.

ثم توفيت وأنا في الثامنة عشرة من عمري. ولابد أن أقول لك لتستطيع فهم ما يلي من الحديث: إن زوجها كان جمهوراً يحكم شرعياً يحمل لها الحق في استقلالها بإدارة أموالها، مسكان لها بفضل حيلة القانون وذكاء المسجل، أن توصي بما تشاء لمن تشاء. أبلغنا بعد وفاتها أنها تركت عند هذا المسجل وصية، ثم دعينا إلى محضر قضها وقراءتها.

لا أزال أذكر ذلك كأنه حدث أمس: كان منظر أعظمنا أليماً، مبكياً مضجكاً، مفاجئاً مدهشاً، أحدهم تمرّد بعد الموت، واحتجاج من جوف القبر، وصوت الحرية اليائس ينمّث رهيباً من خلال النابوس الثقيل، يحمل شكوى هذه الفقيدة الشهيذة التي أشقته أخلاق الناس وسحقها تقاليد المجتمع. كان الرجل الذي يظن نفسه أبى ديموناً لحما كأنه جزاء؛ وكان أخوأي فتبين قوين أحدهما في الثانية والعشرين والآخر بصغره بثنتين؛ وكان ثلاثتهم ينتظرون مطعنين على القاعد. أما السيد بورنيشال، وقد دعى أيضاً إلى شهود هذه الجلسة، فقد دخل وأخذ مكانه خلى؛ وكان في ردحجوة الضيقة شاحب اللون كاسف البال بعض شارب الذي أخذ يشتهب؛ فلا جرم أنه كان يتوقع ما سيحدث أغلق المسجل الباب بالقفل والرتاج وشرع يفض أمانته الغلاف المختوم بالشمع الأحمر وهو يجهل ما يحتويه، ثم أخذ يقرأ:

محجرجها ولا تطمئن. على أنها كانت رائحة الحسن، بارعة الطّرف، شقراء الشعر، في شقوتها لون من الشبهة، ومعنى من الحياء، كأنما لوحت شجرها مخاوفها المستمرة.

وكان من بين الأصدقاء المختلفين إلى قصر السيد كورسيل ضابط قديم من ضباط الفرسان أرمل مرهوب الجانب، رقيق القلب، حاد الطبع، إذا أزعج أمراً لم يثنه عنه شيء؛ ذلك هو السيد برنيشال الذي أجل اسمه. كان رجلاً مديد القامة، مجردول الضخام، خفيف البدن، أسود السبلتين، غليظ الشارب، يشبهني كثيراً وأشبهه. يقرأ كما يقرأ الأدباء، ولا يفكر كما يفكر أهل طبقته. كانت جدته العليا صديقة لجان جاك روسو، فكأنما ورث عنه شيئاً من طريق هذه العلاقة. حفظ كتابيه (المقد الاجتماعي) و (هيلوز الجديدة) عن ظهر قلب، ودرس سائر كتبه الفلسفية التي مهدت عن بُعد لهذا الانقلاب الذي حدث لعادتنا الباطلة وآرائنا الفائلة وآدابنا السخيفة.

أحب أي وأحبته كما يظهر، وظلت هذه العلاقة سرّاً مكتوماً لا يطير في جنباتها ظن، ولا تحوم حولها شبهة. ورأت هذه المرأة المسكينة الحزينة نفسها مفروكة متروكة، فتملقت بأسباب هذا الرجل تمانى اليائس، واتخذت في معاملتها طريقته في التفكير، ونظورته في الماطفة الحرة، وجرأته في الحب المستقل؛ ولكنها كانت من الحياء والخفر بحيث لا تجرؤ على أن ترفع صوتها بالكلام، فظلت هذه الأهواء والآراء في قلبها الغلق مكظومة سر كومة مكررة.

وكان أخوأي كأبيهما قاسيين عليها،

أحدا ؛ فأننا بعد أن مت أطرح عن نفسي هذا الخجل النافق وأجروا على أنت أحمر بفكرى وأجهر بسرى

« إذن أوصى بآلى الذى جعل لى القانون حق التصرف به لما شقى المحبوب (بيير جرميه سيمون دى بورنيقال) ليؤول من بعده إلى ولدى وولده رنيه وإلى بين يدى الله رب العالمين وأحكم الحاكمين أعلن أنى كنت ألعن السماء وأرجم الأرض لو لم يتح لى هذا الحبيب الصادق المخلص ، فأذوق من شفتيه الود الصفيق والحب الوثيق والحنان الطوف ؛ وأفهم بين ذراعيه أن الله خلق الناس ليجتمعوا على الحب ، ويأتلفوا على الصفاء ، ويتعاونوا على الشدة ، ويتضح بعضهم حشرات بعض بالزءاء والدمع
« إن ولدى الكبيرين أبوجا السيدى كورسيل ، وأما ولدى رنيه فأبوه السيد دى بورنيقال ، وإلى أسأل الله رب البشر ومصرف القدر أن يضع الوالد والولد فوق ظنون الناس وأوهام المجتمع ، وأن يؤلف قلوبهما على الحب مدى الحياة ، وأن يعطفهما على وأنا فى القبر »

(ماتيلد دى كروا كسيلوس)

فلما فرغ المسجل من قراءة الوصية نهض السيد دى كورسيل ويصاح : « هذه ولا ريب وصية امرأة مجنونة ! » فتقدم السيد دى بورنيقال وقال بصوت قوى حاسم :

« أنا - سيمون دى بورنيقال - أعلن أن

هذه الوصية ليس فيها إلا الحق المبين والصدق المحض ، وأنا مستمند أن أثبت ما فيها بما تحت يدي من الرسائل »

أمتك صديق عن الكلام فجاء ؛ ثم قام إلى درج فى مكتبه فأخرج منه قرطاساً قديماً فنشره ثم قبله طويلاً ودفعه إلى وهو يقول : « هذه هى وصية أُمى المحبوبة فاقرا » فقرأتها فإذا فيها :

« أنا - آن كاترين جنيفيف ماتيلد دى كروا كسيلوس ، الزوجة الشرعية لجان ليوبولد يوسف جوتتران دى كورسيل - أعلن وأنا صحيحة الجسم سليمة العقل إرادتى الأخيرة

« استغفر الله أولاً ، ولدى العزيز رنيه ثانياً ، من العمل الذى أريد أن أت فيه . وفى اعتقادى أن ولدى من كبر النفس وسوى العاطفة بحيث يفهم حقيقة أُمى ، ويقبل واضح عذرى . لقد قضيت حياتى بأاسة ممثلة . كان زواجى مسألة حساية مالية ، فلا غرو أن تكون حياتى الزوجية سلسلة من الأنكار والاحتقار والضم . يعنف على زوجى من غير رحمة ، ويختاننى من غير هدنة ؛ فأننا أغتفر ما فرط منه إلى ، ولكننى لا أعترف بأن له ديناً على

« ولولدى الكبيران لم يحبائى ولم يدللائى

قط . كأننا قليلاً ما ياملاننى ماملة الولد للأُم

لقد كنت لهما ما ينبغي أن أكون فى حياتى ،

فأست مدينة لهما بشئ بعد مماتى

« إن علائق الدم لا تتوثق بغير المودة الداعة اللازمة فى كل يوم ، وأما الولد المعقوق فهو أبسد من الغريب . وهو مجرم لأن الولد لا ينبغي له أن يستخف بأمه

« لقد كنت أمام الناس أضطرب خجلاً وأنزعج وحلاً من قوانينهم الباغية وعاداتهم الخافية وأحكامهم الممية ، ولكننى أمام الله لا أخشى شيئاً ولا أرهب

عدد الرسالة الممتاز

سيصدر يوم الاثنين المقبل عدد الرسالة
المهجري الممتاز في ثمانين صفحة مديحاً بأفلام
أقطاب البيان وأعلام الفكر في مصر وسائر
الأقطار العربية ، وإليك بعض أسماهم مرتبة
على حروف الهجاء :

الدكتور إبراهيم بيومي مذكور

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

» إبراهيم مصطفى

الدكتور أبو الملا عفيف

الأستاذ أحمد أمين

» أمين الخولي

» توفيق الحكيم

الدكتور حسن إبراهيم حسن

» شحت

الأستاذ عباس محمود العقاد

» عبد الرحمن صدقي

» عبد القادر المغربي

» عبد الحميد العبادي

الدكتور عبد الوهاب عزام

الأستاذ علي الطنطاوي

» نصري أبو السعود

» قدرى حافظ طوقان

» محمد أحمد النمراني

» محمد سعيد الريان

» محمد عبد الله عنان

الدكتور محمد عوض محمد

الأستاذ محمد فريد أبو حديد

» محمود غنيم

حينئذ مضى السيد دى كورسبل الزوج إلى
السيد دى بورنيغال الحبيب ، فما شككت في أنهما
سيتفانلان . وقف أحدهما للآخر ؛ هذا ريبيل
وذلك هزل ، وكلاهما وافى الشطاط يتهور بالكلام
ويتسمر بالنضيب . قال زوج أى لحبيبا وهو يتزغم
ويزجر :

« يا لك من شقي شرير ! »

فرد عليه الآخر بلهجته وغلظته : « ستلاق
في غير هذا المكان يا سيدى . ولقد كنت أود قبل
اليوم أن أطمك وأحمدك ، لولا أنني آثرت سلام
هذه المرأة التي أشقبتها بمخائنتك ، وعذبته بقساوتك »
ثم التفت إلى وقال : « إنك ولدى ، فهل تريد
أن تتبقي ؟ إنني لا أملك الحق الذي يساعدني على
أخذك ، ولكنى أملكه إذا شئت فجئت مى »
فصاحته من غير أن أجيب ؛ ثم خرجنا معا وأنا
أسوأ حالا من الجنون

وبعد يومين قتل أبى زوج أى في مبارزة ؛
فلزم أخواى الصمت اتقاء لعار الفضيحة وسوء
السمعة ؛ ونزلت لها عن نصف مآركته أى قبلة .
وتسميت باسم أبى الحقيق ، وزميت للقانون ذلك
الاسم الذى يحلني إياه وليس لى به صلة . ومنذ
خمس سنين توفي السيد دى بورنيغال فخزنت عليه
حرنا شديدا حتى لم أملك المزاء عن فقدته إلى اليوم

قال ذلك صديق الشاب ثم نهض نخطا إلى حقى
وقف بين يدي وقال : « هيه ! أليس من رأيك أن
وصية أى هى أجل وأنبل ما تستطيع امرأة أن
تعمله ؟ » فبسطت إليه يديّ الانتين وأجبتة :
« بلى يا صديق ! ذلك شئ لا ريب فيه »

الزيات

الدكات

لأستاذ عبد الفتاح المازني



على ذلك فأقبلت على السيارة تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعتها وإذا بصوت يقول لها :
« اسمحي لي ... »

فالتفتت مذعورة فما سمعت وقع قدميه وهو مقبل عليها ، ولا رآه وإن كانت قد دارت بعينيها في المكان ونفضته قبل أن تنوى الرجوع إلى « الكشك » . ولم يسألها الرجل شيئاً ولم ينظر إليها بل انطرح على الرمل بثيابه الأنيقة بعد أن أتى طربوشه في السيارة ودراج يجرف الرمل بيديه من خلف المجلة وقدامها . ولما فرغ من ذلك ووسع للمجلة نهض ومشى مطرفاً ينظر إلى الأرض كأنما يبحث عن شيء ، ثم انحنى وتناول حجراً كبيراً ولوحاً من « الصاج » وعاد بهما فوضع الحجر خلف المجلة واللوح امامها وتمتها ليكون دورانها عليه لا على الرمل ، ثم نهض مرة أخرى وقال :
« أظن هذا يكفي .. فلنجرّب على كل حال » .
فقالت : « أشكرك .. لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم تنجذني ؟ »

فأشار بيده وقال : « أجلي الشكر حتى أستحقه .. إن المجلة السكينة لا تزال غائصة فلننقذها أولاً » .

ومضى إلى آخر السيارة وقال : « أدري

وقفت « جليلة » حائرة لا تدري ماذا تصنع ، فقد انفرزت إحدى المجنتين الخلفيتين في الرمل وأبت أن تخرج منه وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت المجلة تزداد غوصاً كلما حاولت نزاعها ، وكانت الشمس قد مالت إلى المغرب ولم يبد أحد في الأفق ، وكان « الكشك » الذي وقفت عنده منذ لحظة تقرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف أو اثنين ، فليتها ما جازته إلى هذا المكان القفر ... ولكنها أرادت أن ترى الطيارة الشراعية من مكان قريب ، والأرض بعد « الكشك » غير ممهدة ، ولكن عناء السير فيها محتمل ولا خوف من الفوص ، وقد طوفت من قبل في أرجاء هذا الفضاء الرحيب فهي تعرف صلابة الأرض ولا تخشى رخاوتها . غير أن الحظ خانها في هذه المرة فمأكدت تتف بالسيارة وتتأذى عنها قليلاً ثم ترجع حتى ألفت المجلة قد غاب نصفها في الرمال الخائنة ، وكان تلايمذ الطيران الشراعي يبيدين عنها بعد « الكشك » ؛ فهل تترك السيارة وتمود أذراجها إلى الكشك لتلتس من صاحبها المونة وتسأله أن يدعو إلى نجاتها ؟ بعض خفرائه ؟ لم يبق من هذا مفر على ما يظهر وإلا صار خطبها أدمى بعد الغروب . وصح عزها

فصاحت : « نعم . نعم . ولكنني آسفة لأنني لا أذكرك أبداً ... لا صورتك ولا اسمك »

فقال باليسام : « انهما جذيران منك بالنسيان »
فألت عليه أن يذكر اسمه فقال : « هذا لنز سأتارك لك حله وأنت عائدة »

فابتسمت وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به عن الطريق وما فيه فتحدث لي حادثة ؟ »

فقال : « صحيح . صحيح . إذن لم يبق مفر من التضحية ... سأخسر ما صرت جذيراً به من الشكر وأسترد سخطك القديم »

فسأله وهي تضحك : « هل كنت فظيماً إلى هذا الحد ؟ »

فقال : « ستمرفين مبلغ فظاعتي حين تعرفين اسمي .. مراد الباروني »

فأطرقت وقالت على مهل : « مراد ... الباروني ؟ (وهزت رأسها) كلا .. إن ذا كرتي لا يحتاج فيها شيء .. آسفة »

فقال وهو يضحك بدوره : « أما أنا فان ذكراك يقشعر لها بدني فما أستطيع أن أنسي أنك صليت على ملء قريتين من الماء في الشتاء .. سلطت على خرطوم الحديقة وأطلقت على ماء .. أهذه ذكري ننسى ؟ .. أأنت معذوراً إذا ظلت متذكراً ؟ .. »

فدنت منه وقالت بصوت خافت كالهمس : « مراد ؟ .. صحيح !! »

فقال : « وكنت ظالمة لي .. »
فقالت : « كلا ... لقد تذكرت الآن ... فقد وضعت لي دودة ميتة في فمائي ... الحق أنك كنت فظيماً »

الحرك وسيرى بها وسأدفعها أنا من الخلف »
فتملت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة أمتار ونزلت منها منهلة الوجه فصاح بها : « لماذا وقفت ؟ هل حدث شيء ؟ »

قالت : « لا ... إنما جئت لأشكرك ... ففرك يديه ومد يدها إليها وقال : « آه صحيح . صار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ »
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تعفي عنه بلا كلام

وقالت وهي تبتسم له - في عينيه - : « ألا تريد أن أشكرك ؟ »

فقال وهو ينفض الرمل عن ثيابه : « كلا ... إنه دين قديم أؤديه ... بعضه على الأقل »
فناخست الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ لي أنا ؟ ولكنني لا أذكر ... أفي أعرفك ... لا مؤاخذه ! »

قال : « صدقيني حين أقول لك إنه يسرنى أن أراك ناسية ... إنها ذكري خليفة ألا تثير في نفسك إلا الامتناع والنفور بل المقت ... فالحمد لله »

فدنت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن أرجو أن ترحمني ... هل تعرفني ؟ »

قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت لا أكنتمك أني نسيت اسمك ... انتظري (ورفع كفه الكبيرة المليظة الى جبينه) اسمك باسقي ... غريب ! تبقى الصورة كل هذه الأعوام وبذهب الاسم ... أوه جما ... جما ... وجدته ! وجدته ! جليئة ... أليس كذلك ؟ »

وجدت لي عملاً .. في تجارة رابحة والحمد لله ...
وأنت ؟ . »

قالت : « أوه .. كبرت مثلك ... »
فقاطعها وقال : « كلا .. إنك لم تتغيري ...
لو كان هنا دود لما خطر لي وأنا أنظر إليك إلا أننا
مازلنا طفلين ولهممت بأن أصنع لك واحدة في
قفاك »

فضحكت وقالت : « لقد صرت بهذا جذاً ...
لم يبق شيء من ذلك الطفل اللعين ... غريب ...
أعني أن تلتقي هنا هكذا بعد كل هذه السنين ...
ماذا كنت تصنع ؟ . أعني هنا »
قال : « أعني ... للرياضة »

فتنهت وقالت : « إذن لا أقل من أن أحملك
معي في السيارة »

وقال وهو يركب معها مسروراً : « ما قولك ؟ .
تحتفل بهذا اللقاء الذي لم يكن لي ولا لك في حساب
بالمشاء تتناولوه في محل الحاقق .. هه ؟ »

فابتسمت لنفسها في مرآة السيارة وأصاحت
شهرها الذي عبث به النسيم ثم التفتت إليه وهزت
رأسها أن نعم ؛ ثم انطلقت تحطف بسيارتها الأرض

ولم يكن في جليلة خفة أو طيش ولكنها
كانت فتاة وحيدة مدللة ورثت عن أبيها شدة
القلب واستقلال الطبع ، وعن أمها سرعة الاجابة
إلى دواعي الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات فلم
يبق لأبها سواها ولم تهمل تربيتهما ولكنها كان
ينقصها حزم زوجها وحكمته ، فألقت لها حبلها على
غاربها وهي تحسب أنها لا تعد وما كان يصنع أبوها .

فأشار بيده إشارة المستنكر : « لا لا لا لا ...
هذا كان سوء تفاهم .. أعني أني كنت فرغت من
اللب بالدودة وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها
لتلعي بها ، ولكني أخطأت فوضعتها لك في
قفك بدلاً من يدك ... بل كان الخطأ منك لا مني ،
فقد جعلت بحرين خائفة وأنا أجرى وراءك فلم
يسمعي إلا أن أتركها لك في حيث تيسر لي ذلك
فالذنب لك يا جليلة »

فقال جليلة وهي تضحك : « أذكر كيف
كنت تصيح بأعلى صوت كلما رأيتني ؟ وكيف
كنت تجري وراءني وتديب برجليك كما أذكر كنتي
تزيدي رعباً ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك ... أذكر كل شيء ...
إنه كل ما بقي لي منك ... لقد كنت أصبح وأذنب
لأخني عنك حين لك »

فقال : « غريب ... أكنت تحبني ؟ ...
لقد كان نجاحك تاماً إذن في إخفاء هذا الحب »

ونظرت إلى وجهه الذي لوحته الشمس ،
وشعره الذي ظهر فيه الشيب هنا وهناك وأخذت
الصورة القديمة تسترد ألوانها وتبرز معالمها شيئاً
فشيئاً ثم قالت : « لقد كبرت جداً ... طولاً
وعرضاً ... وتغيرت أيضاً ... من الذي يراك
الآن فيذكر بك ذلك الطفل الشقي الذي كان يسود
عيشي ويرعبني كلما ظهر لي فجأة من وراء شجرة ...
أو من تحت الأرض فيما كان يخيل إلي ؟ ... ماذا
صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟
يكبرون ويقنون على عمل يشتغلون به .. أنا أيضاً

الراسخان كالمراتين الصغيرتين ، وتكاد من قوط
البراعة في انسجام الثوب على الصدر ترى الحفنتين
ترفغان الثوب ، وتبصر استدارة السرة وحسن
الاحواق فيها حولها . وكانت مجدولة الساقين
لا عظيمة العضلة ولا مضطربتها ولا عرقوبها لها .
وجمال الساق في المرأة بشير بحسن القوام . وكانت
تكبره الاحذية العالية الكموب نفورا من بروز
الفخذين . على أن هذا كله ما أكثر من يشاركنها
فيه . ولو اقتصر الأمر على التكوين المادي لما
كانت لها مزية تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية
الجذب شديدة الاغراء فلولا استقلالها وشخصيتها
لما استطاعت أن تنجو من العاطب

وقال مراد وهو عاكف على البيان الذي قدمه
إليه الخادم : « معذرة فاني أنضور جوعا ... لم أكل
في سهارى شيئا ... ماذا تريدن ؟ . كباب ؟ . لحم
رأس ؟ . حمام ؟ . إني أرى الخاني عنده كل ما
يؤكل ... لا الكباب وحده ... ما قولك ؟ »
فأثرت الكباب وقالت : « إن هذا فنه الذي
يمتاز به فيحسن أن أقصر عليه » —
وكافا جالسين في آخر القاعة ووجهها هي إلى
الباب ووجهه إلى الناس . وشغلا رمة بالأكل
وذكريات الطفولة فقال لها وهو يضطجع :
« أذكركن يوم تحدثك أن تتساقى النخلة ...
(فهزت رأسها) لقد كنت لا تطيقين التحدى ...
فهل أنت ما زلت كذلك ؟ »
فوضعت الشوكة على الطبق ونظرت إليه
وسأته : « ماذا تعنى ؟ »
قال بايتسام : « أعنى أن وراءك ... بعد مائتين

على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تتمم الحرية شرأ
وإنما أكدت استقلالها وأورثتها تمردا صريحا على
كل قيد من القيود التي يفرضها العرف حتى على
الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبعض أهلها يشق
عليهم ذلك أحيانا فتقول لهم : إني لأفعل سوءا ولا
أمرى أدنى ولا أتوقع على أحد ولا قيمة لخروجي
وحدى أو مراقبة أصحابي وسواحي إلى السينما
أو غيرها لأنني أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ
على نفسي . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئا
للمها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جليلة بارة الحسن ولكن صوتهها
كانت له حلاوة التفريد ، وكانت نظرتها الحائلة
تفعل فملين يبدوان متناقضين — تنعش القلب
وتغتر الجسم ، فإذا أدامت إليك كرة الطرف —
على عادتها إذا مرها منك عمل أو قول — شاع
الرضى في نفسك وفاضت بالسرور ودار رأسك
وأحسست بالخدر في أعضائك . وكانت أقرب
إلى القصر منها إلى الطول ، وإلى الامتلاء منها إلى
النحافة والهرزال ، وقد حتمها كثرة الحركة والولع
بالشى في الهواء الطلق وفضام النفس عن الآكال
الدسمة الثقيلة أن تصبح كأمها أكداسا من اللحم
تلح على روحها ، وكانت سمراء ولكن سمرة مشربة
حمرة لا كدرة فيها ولا نمش . وكان شعرها جمدا
وأثينا وحفا ، وكانت تفرقه وترسله إلى الوراء وتمقصه
وتأبى أن قصه . وكانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن
رقيقة الحال أو مضطرة إلى حسن التدبير والاقتصاد
فقد ترك لها أبوها الحازم ثروة كافية ولكنها كانت
تؤثر أن تصنع ثيابها بيدها فجاء عبوكة التفصيل
على قفها الجليل يبرز من تحته ثيابها الناهدان

اثنتين ... رجلين أحدهما يحدق في ظهورك ...
لا يخجلني شك في أنك تحسبن وقع نظرتي على
جسمك ... انها نظرة جامية ... كايوية ... انتظري
قليلا وسادعو الخادم ليجئنا بالقهوة فأدري وجهك
حين يقبل وانظري ... »

فعلت ثم اعتدلت في جلستها وقد علا وجهها
الاصفرار، فأكب مراد على بقية الفاكة وتشاغل
بها عما رأى في وجهها من دلائل التغير . ولم
تف جلية هذه الكياسة منه ووقع من نفسها
اتقاؤه الفضول فتاسكت وضبطت صوتها وهي
تقول : « لقد تغيرت جدا ... من كان يظن أن
ذلك الطفل الخبيث الذي كان يتعقبني وينص حياتي
يصبح هذا الرجل الوديع الطريف الكيس ؟
أعرف من هذا يا مراد الذي يكونى بنظراته ...
إنه خطيبي زكى ... أذهمت الآن ؟ »

فقال بهدوء وبصوت مترن النبرات : « خطيبك ..
زكى ... هذه أخبار ... أظن أن من واجبي أن
أقدم لك التهنئات .
ولكنها أحست من نبرات صوته على الرغم من
اتزانها أن هذا الخبر لم يسره فقالت : « لا داعي
للعجب ... ثم إن الزواج مسألة عادية جدا على كل
حال ... أو كما يمكن أن تقول أنت ... هو شر
يصيب كل إنسان ... عاجلا أو آجلا ... متى
يصيبك يا مراد ؟ ... »

فقال : « أنا ؟ ... لا أدري ... صاحبك ...
أعني خطيبك لا يزال محلقا في ظهورك ... فهل
تستطيعين أن تنهضي وتذهبي إليه وتقولى له بكل
هدوء إنك حقاً في أن تتناولى الشاء مع صديق
قديم مثلى وضع في طفولته دودة في ظهورك ، وصيبت

عليه عشرين قرية من الماء في الشتاء ؟؟ »
فقالت ببساطة : « إنى أحب زكى ... وأنت
لا تعرفه ... بالطبع ليس في كونى معك هنا ما ينبغى
أن يسوءه ، ولكنه لا يعرف أنك هذا الصديق ؟
كل ما يعرفه أنه خطيبي . . وأنى - كما قال لى
مراراً - طائشة ... متقدمة ... »

فقال مراد : « اشربي القهوة ... لا تفسدى
على نفسك الليلة ... ستشرحين له كل شيء ...
فيعود حلا وديما ويمتدركك من هذه النظرات
الحامية ... »

فشربت القهوة ولكنها كانت ساهمة ، فقد
كانت تحب « زكى » هذا وكانت تكره الاضطراب
الى الشرح وتستثقل أن تحتاج حتى الى ما يشبه
الاعتذار .

وقال مراد : « لقد قام الرجلان ... خطيبك
وصاحبه ... »
فقالت : « يحسن أن تقوم إذن ... فسيودع
صاحبه ولا شك ويقف في انتظارى ... أشكرك
يا مراد ... نتهيت الى أنه خرج ... فلألحق به .
ونخرجا . وودعها مراد بعد أن عرفت منه
عنوانه وعرف منها عنوانها وألح عليها أن تتصل به
إذا جد أمر من جراء لقائهما الليلة .

وقالت جلية لركى : « مى سياترى فلا حاجة
الى تاكس . »

فدخل فيها واضطجع ثم قال : « من هذا
الرجل الذى كان معك ؟ »
فقضت عليه ما وقع لها عند الطلار ؛ فقاطعتها
وقال : كيف تكلمين رجلا غريباً ؟ ... إن هذا
كثير ... »

قالت : « ولكنه ليس غريباً ... لقد نشأنا - معاً - في حي واحد ... » .

فنفخ وقال : « ولكذلك لم تكني ترفين أنه هو صديق طفولتك ... » .

فقالت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد أن أقبل مفعوته ولا أشكره على الأقل ؟ ... » .

فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا المكان وحدك ؟ » .

قالت : لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة التي لا تدع وقتاً لمرافقتي ... ومع ذلك أي بأس هناك ؟ » .

قال : « بأس ... بأس ... هذا الذي حدث لك من غوص العجلة أليس بأساً ؟ » .

قالت : « لا تكن متعنتاً ... إن السيارات يمكن أن يحصل لها أي شيء في أي مكان في الدنيا . » .

فترك هذا أيضاً وقال : « ولكن تأبين معه الى الحاقى ... ماذا يقول الناس ؟ » .

فقالت : « إذا كان الحاقى مكاناً لا يليق أن يدخله الشريف ... » .

فقاطعها بسرعة وقال : « لست أقول هذا ... الأمر على العكس ... » .

قالت : « إذن انتهينا ... » .

فسكت فإ رأى حجة له تنهض . وساء ذلك فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح

واسع الأمل في المنازل الملحوظة فلم يسره أن الفتاة التي سيتزوجها تقرر حجته بأقوى منها ، وأحس

أن في هذا تنفساً له وغضاً من مقامه وسقوطاً لهيبته . ولكن الكلام خانته فأثر السكوت على مضض . وكان زكي - أو إذا أردت اسمه كله زكي الدين

حمد - من أصل تركي أو شركسي - سيان - وكان يطعم أن يبلغ عماله الموروث حيث لم يستطع

أن يبلغ بالكفاية الشخصية ، وكانت أمه التي لا ينفك يحلم به في القنطة والنسائم أن يصبح

يوماً من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى ، وكان

يعتبه جداً أن يحسن رأيهم فيه وظهرهم به ، وكان يحرص على المركز المأمول ويحيط نفسه سلفاً بكل

مظاهر الآبهة والسمت والوقار وينظر الى الأمور كلها كأنه واقع ، وينتظر من الناس أن يمدوه كذلك ، بل

أن يبالغوا ويروحوأ يمدون بصرهم الى المستقبل وأن يحاولوا كما يتخيل نفسه فيه وزيراً أو رئيس وزارة .

وقال لجليلة وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو يا جليلة ألا تترسني لكلام الناس ، واذكرى أن

لي مركزاً يجب أن أحافظ عليه » .

فسحبت يدها من يده وقد ألهما كلامه وأحسّت أن سهماً وقع في قلبها . وكانت حساسة وذكية .

ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز شئني ما يفيدُه الفنى ، ولم تكن هي محتاج منه الى مال فإن مالها كثير . وكانت تدرك أن ما يشعير « مريضك »

جانب ضعف فيه ولكنها تنفض عن ذلك لجليلة ؛ غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تسى الى

هذا المركز - وإن كان موهوماً - فضلاً عما تنطوي عليه عبارته من التعريض بها ببدء شرحت

له الأمر كله ولم تحف عنه شيئاً . وماذا تحفى وليس في الأمر ما يستدعي الالكتمان ؟

وقالت له وهي تهتم بالدخول : « ليلتك سعيدة » فسأله : « متى نلتقي غداً ... »

فأطرقت شيئاً ثم رفعت رأسها وألقت إليه

وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتمشي قليلاً عسى أن ينفعها ذلك فيعفيها من الشعور بالانتفاض والفتور . وإنها في بعض الطريق إذا بها ترى مراداً يمشى بسرعة كأنها يريد أن يدرك موعداً ، فوقفت وأشارت إليه وقد أحست أن جسمها قد صار أخف مما كان . فجاءها يمدو فمألته : الى أين ؟ ... »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلق إليها تحية بل ركب وهو يقول : « أأنا نلتقي في هذه الأيام ؟ حسن هذا ... أليس كذلك ؟ » .

فأعدها ما في وجهه من البشر وقالت ضاحكة : « غريب هذا ... تمضي سنوات لا نلتقي فيها مرة واحدة وفي أربعة أيام نلتقي مرتين » ،

فقال : « لا تملطي يافاتي ... ليست هذه مصادفة » .

فنظرت إليه مستغربة وسألته : « ليست مصادفة .. ؟ »

فقال وعلى فمه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه « كلا ... ليست مصادفة ... إنها إرادتي سلطتها عليك لجذبك الى حيث أنا ... نعم »

فساد إليها إشراق وجهها واطمأننت وقالت : « أوه ... آه ... إرادتك ؟ طبعاً »

فقال : « لا تمزحي ... إني أتكلم جاداً » فرمت إليه نظرة سريعة فألفته لا يزال يبتسم فحولت وجهها الى الطريق وقالت : « هذا بدع ... نكلم ... إن أدنى لك »

قال : « نعم ... إرادتي ... لم أزل منذ عشر سنين أدري هذه الارادة فهل تستغربين أنها بلغت من القوة هذا الشاؤ ! . بالطبع لا ... وأنت أول

ابتسامته ساخرة وقالت : « غداً ؟ لا ... إني على موعد مع مراد ... » .

ودخلت . وتركته وافقاً وفيه مفتوح . ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ! وإنما قالت ما قالت مدفوعة اليه بضجرتها وألمها .

ولم تحاول أن تلتقي بمراد في اليوم التالي فقد كانت تدرك أن هذا لا يكون منها إلا خرقاً ومخافة .

فلزمت بيتها الى المساء ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ثم ردت بعض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها ، وكان الألم لا يزال

يحرق في نفسها فساء نومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ولكنها أحست ثقلاً في جسمها وفتوراً فيقمت في فراشها وأوصت أنها أن تمنع أن يزججها أحد - حتى ولا زكي - فشعرت الأم أن في الأمر

شيئاً ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكي يسأل عن خطيبته فمرت

الأم أنه لم يلقها منذ يومين ، فأظهرت تعجبها وزلت فقالت إنها كانت تحسب أنها لا تخرج إلا للقاءه ، وزل زكي أيضاً فقال لها إن جليلة خفيفة وإن خفتها

تسيء الى سركره ، وإنه كلما في ذلك فتنضبت ولجت فيا نهاها عنه ، فهو يرجوها أن تكبحها قليلاً فما

يليق أن تترك هكذا جليلاً على غاربها . وعرفت جليلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها فدهشت له ولكنها لم تنضب ولم تثر بل كان من الغريب أنها أحست كأنها وضع لها في مكان القلب قطعة من الثلج .

وجاء العصر فركبت سيارتها وخرجت بها الى مصر الجديدة . وكان كل هما أن تكون هي

تتمشي ... ودعى السيارة فلن يخطفها أحد»
وقطعا مسافة وجها صامتان ثم وقف والتفت
إليها وقال : « اسمي يا جلييلة ... إلى أعتد على
ما تخولني صداقتي القديمة من الحق في الصراحة؟
عشرون قرية من الماء تجعل لي هذا الحق ... أريد
أن أقول إني تحاشيت في مقابلتنا الأولى أن
أكشفك بما أضمر لك من الحب كل هذه السنين
الطويلة .. لأنك قلت عرضاً إنك مخطوبة ...
ولكن وجه المسألة تغير اليوم بعد أن سمعت منك
ما قال هذا البفل »

فقاطعت ضاحكة : « اذكر أنه خطبني ...
لا يزال خطبني ... وأنى قلت لك إني أحبه »
فقال : « لم يمد هذا يعنني ... لست أحاول
أن أصر فك عنه ... كلا ... ولكنه لم يبق لي بد
من أن أقول لك إني أحبك ، وأنى أحبك مذ
كنت طفلة وكنت أعابك وأكيدك وأصرخ في
وجهك ... وكان هذا مظهر حبى الصباني ...
أما الآن فان مظهره أنى مستمد أن أذهب إلى
خطيبك هذا وأخنقه بيدي هاتين . »
فقال ضاحكة : « لقد توجهت لحظة أنك
صرت أرق »

فقال : « كلا .. أنا كما كنت .. واسمى
ولا تقاطعي وإلا يحمى عن دودة ووضعها لك في
فمك ... إذا حدث يوماً أن صار الدكان للابحار
فأخبرني ... »

فقال : « لغة التاجر أيضاً ... ولكنى
سأستعيرها منك ... فإني أنك مفضل عندى على
كل مستأجر لهذا الدكان إذا خلا يوماً من الأيام .
لم يكن يحظر لي أن هذا ما تنطوى عليه لي ... ومن

من ينبغي أن يكون من تلاميذى المؤمنين بي ...
من حوارى ... هه ... وسأفتح بك العهد
الجديد ... »

وبلغا آخر الطريق إلى المطار من ورائه غلغا
على سلم السيارة وأخرج مراد سيجارة وذهب
يدخن في صمت ، فلما طال ذلك التفتت إليه وقالت :
« إنك لا تسألنى ما ذا حدث »

فلم يحول وجهه إليها وأدرك من كلامها أن
شيئاً لا بد أن يكون قد حدث ، ولم يشأ أن يتطفل
عليها بالسؤال فاكنتي بأن يقول : « إن أذى لك ...
أعرفك السمح »

فقال : « إنك قليل الفضول »
قال : « لأنى مشغول عنه بما في نفسى ...
الدان غاصة ... لا تحتمل زيادة »
قالت : « لغة التاجر ... اسمع ... غضب
زكى ... أوه ... غضب جداً ... لم يقل شيئاً
كثيراً ... كل ما قاله أنى خفيفة طياشة وأنى
أسمى بسلوكى إلى مركزه »

فانتفض مراد واقفاً وقد تجهم وجهه ورمى
السيجارة ثم التفت إليها وقال باللهجة صارمة :
« من يكون زكى هذا ... »

وكبح نفسه عن الاسترسال ورد لسانه بجهد ،
وضبط أعصابه وعاد إلى مكانه من السلم والتفت إليها
وقال وقد وسمه أن يتنم مرة أخرى : « معذرة
ليس لي حق ... قولى إنك صفحت عفى »

فسرها منه أنه غضب لها وفارت نفسه
بالسخط على خطيبتها من أجلها فقالت له برفقة
« أشكرك ... إننا صديقان قديمان ... »
فقال لها وهو ينفض مرة أخرى : « قوى

فتاة مثلها فكتم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله
المعونة على احتمال البأس الخامس ؛ وهو ظرف كيس
ابق دائم البشر واسع الادراك رحيب الأفق حلو
الفكاهة . وزكى النقى الذى لا يزال مهموماً
بمركزه للتخيل ، والذى لا يتقى في سبيل الحرص
عليه أن يجرح قلب فتاة ، وبأن سيرتها توشك أن تسيء الى
في سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسيء الى
مركزه الموهوم هذا . وقد أحبته ... هذا صحيح .
ولكن عينها فتحت فهي تراه الآن على حقيقته ،
وليس يسمها إلا أن تفكر في حياتها معه كيف
تكون إذا كان كل ما يباليه في الدنيا هو هذا
المركز .. ولكنها خطيئته وقد قبلت أن تكون
زوجته ... فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها ... أى الرجلين أحب إليها ؟
وحيرها الجواب ... فهل هذا الذى تشعر به لمراد
حب ؟ . إن يكن هذا فهو هادئ جداً ... أما زكى
فان الدكان كما قالت لمراد مزحومة ... صحيح أنها
مزحومة بما لا قيمة له — كما ظهر الآن —
ولكنها مزحومة ... فهل تخسرو يوماً ؟ . هذه هي
السؤال ... وإلى أن تخلو لاسبيل الى شيء ...

ولو أن زكى ذهب إليها في ذلك الوقت ولطفها
وتألفها وضاحكها ومازحها واعتذر إليها ، ولو
كانت هي في رأيه المخطئة ، لمادت المياه إلى مجاريها
كما يقولون ولازغمت قيمة ما في الدكان وارتدت
إليه نفاسته ، ولكنه أراد أن يلقيها درساً فأعرض
أباماً وجفاها وانقطع عن زيارتها ، ولم يكن ذلك بل
أرسل إليها خادمة تبلغها تحياتها وتسألها باسمه عن
صحتها ، وأوصاها أن تخلق مناسبة لتقول لها إن
سيدتها يكثر في هذه الأيام من زيارة بيت خالتها

التي تتصور أن وضع الديدان في قفاها يكون علامة
حب ؟ ولكنك كنت دائماً غريباً ... على كل
حال ... المسألة المهمة أن الدكان مزحوم ... ليس
خالياً ... خرجت أستبضع فامتثلت ... صحيح أنه
امتثل بأشياء لا قيمة لها ... ولكنني لم أكن أعرف
أن ما غص به عديم القيمة ... المهم أنه تمتلئ ...
وأظنك تدرك أنه ما دام مملوءاً فلا مكان هناك
لجديد ... يجب الصبر حتى أخليه مما فيه ... هذا
يحتاج الى وقت ... ومن يدري ؟ ربما كان الاخلاء
أصعب من الماء ... ولكنك تفهم وتمذر ...
فقال ببساطة وهدهو : « لا بأس .. لا بأس ..
إن ذكاني أيضاً مزحوم ... ولكنه مزحوم بالنفيس
الغالى ... ولست أريد أن أخليه ... لا أستطيع
أن أخليه حتى لو أردت ... وهيات أن أريد
أو أستطيع ... إنه مكنت منذ خمس عشرة سنة .
وسينظّل مكنتاً طول العمر ... وقد عرفت أن
مفتاحه مملوك ... في يدك ... فادخلي حينما تشائين
وعسى أن تشأى ... عذبي أن تحتل مكانك من
الدكان بعد أن تفرغي من أمر دكانك ... وفي أثناء
ذلك نبق كما كنا دائماً ... صديقين حميمين »

ولم يسع جليلة إلا أن تفكر في أمر الرجلين :
مراد الرجل الذى تمرقه منذ الطفولة والذى كان
يسود عيشها بمبته لأن هذا كان تعبيره الخاص عن
حبه لها ، وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم
عن طلب بدنها لرقه حاله بالقياس إليها ، وقد صار
تاجراً ، ولكنه لم يثر لأنه لا يربح إلا الكفاية ،
ومن هنا إحجامه الى الآن عن خطوبتها كما حدثنا ؛
وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به

به سنين وسنين .. وتعمجت لسرعة استيلاء مراد على هواها فما لقيته إلا مرتين بعد طول الانقطاع والغيبة . فهل هذا هو الحب الذى يقال عنه إنه يكون من أول نظرة ؟ .. أم تراها كانت تحبه منذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبا له راقدا ينتظر فرصة للظهور ! لاشك أنها كانت تحبه . كذلك قالت لنفسها وهي راكدة على سيرها بعد الغداء .

نعم كان يقسو عليها ويركها بالزح التثب ، وكان يحتج لها وراء الأشجار ثم يفاجئها بصرخة ترعها فيضحك ويقهقه . وكان يجري وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الأعياء .. فيحملها ولكنه

لا يرحمها ولا يترقب بها بل يروح يقرصها ويمضها فتصرخ وتضج وهو يضحك ولا يبالي ... ولم تستطع أن تنتقم منه إلا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم الماء فأغرقتة فجعل ينفذ من البرد ، ولكنه كان يضحك مع ذلك ولم يسخط عليها ولم ينطق بكلمة تشي بالألم أو النعمة أو الغضب ، بل احتمل ذلك . ولما رقه قلبها وأقبلت عليه بالاعتذار إليه وطلب الصفح منه لم ينس دابته وعيته ، ونبحها كما يفعل الكلب « وَوْ .. وَوْ » ففرغت فها كانت تتوقع شيئا من ذلك ، ومضت عنه مبهمة مخنقة متعقدة أنه شر صبي في الحارة ؛ وكان هو يقهقه وينطوى من شدة الضحك غير عابىء بالباء والبرد ، فيأله ما أقواه .. ومع ذلك كانت تالتب إلا معه ، وإذا أقبل عليها غيره من الصبية فترت ... نعم لا شك أنها كانت تؤثره ... وإساذ لا تقول إنها كانت تحبه ؟ صحيح أنها لم تكن تعرف ما الحب ولكنها تعرف الآن فقد صارت خبيرة مجربة فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصحيح ؟

— وكانت لها بنت في مثل سن جليلية — ليثير غيرها وإسفافها من أن يطير المصفور من يدها فأفلح ولكن في استشارة نعمتها عليه ، فقالت لنفسها إن رجلا يهينها ويعرض بها ويرمى بأن سلوكها من شأنه أن يسيء إلى سمعتها وأن يضرب مركزه ، ثم لا يجعل هذا بينه وبينها بل يفضي به إلى أمها ، ثم لا يكفيه هذا بل يجفوها ، ثم يترق في تمديد الإساءة إليها فيرسل إليها خادمة تبذلها أنه انصرف عنها إلى سواها — مثل هذا الرجل خير له ولها أن ينبت ما بينها ..

على أنها لم تتمجمل وإن كان عزها قد صبح على الفراق فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وإرادتها الحرة ، فلم تر ما يدعو إلى المجلة بعد أن انتوت أن تقصم العروة واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت إلى هذا العزم وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع ، فقد كانت واثقة أنه ما من شيء يستطيع أن يحوّلها عنه . وصار معها أن الدكان خلا بسرعة مما كان يفض به . ولم تكن تاتي في تلك الأيام مرادا لأنها أرادت أن تختبر نفسها ونجسها لتعرف ما تنطوى عليه له ، فأدهشها أنها تحس وحشة وأنها تشتهي أن تكون معه وأن تستمد ما تشرب به في مجلسه من سكينه النفس واطمئنان القلب والرضى الهادى . وزاد شوقها إليه أنها كتمت الأمر كله عن أمها فلم يكن هناك من تبثه ما في نفسها ، ولو كان مراد إلى جانبها لكان خليقا أن يفهم ويمدح ويمطف وأن يسرى عنها بفكاهته التي لا تحونه ، وأن يمدحها بقوته التي تجعله لا ينسى أن يضحك وهو يفجع في أمه الذي عاش

قامتق لونه ولكنه تجلد وقال : « متى إن شاء الله ؟ لست أطمع أن أدعى ولكنى أريد أن أحتفل ببليلة الجلالة وبسرورك فيها . وحدى »
فسألته بحيث : « وحدا ؟ »

فقال : « نعم . لن يكون مى سوى خواطرى »
وأدار وجهه إلى الباب ليخفق زفرة يملو بها صدره ثم التفت إليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »
ففرغت إليه وجهاً مشرقاً ونظرت إليه نظرتها الحائلة وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »
فقطب وقال : « إيه ؟ »

فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »
فحدق في وجهها - في عينيها - ثم صاح وقد فطن إلى ما تمنى وأنحى عليها فرمها بيديه عن الكرسي غير عاىء بالمال والزبان وأهوى على فها بالثبات ثم ردها إلى الكرسي وصاح بأحد رجاله :
« إذهب . إذهب . حالا . حالا »

فوقف الرجل كالآبله لا يفهم ، ولا يدري أين يريد منه أن يذهب فصاح به :
« هات المأذون .. ألا تعرف المأذون يا أبله ؟ »
إذهب .. حالا .. »

فوقفت جلييلة وأقبلت عليه تسأله : « ماذا تمنى ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ .. ياله من سؤال ! .. نعمقد المقد ! .. هنا .. حالا .. في الدكان .. هذا ما أعنى .. رجالى وزبائنى شهودى .. شهود سعادتى لقد كان التجار في الزمن السالف يجيئون برجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون البارة أن يدخلوا ويزينون لهم البضاعة .. وقد اتقضى ذلك الزمن وحلت الاعلانات في الصحف محل هؤلاء

وارتدت من الماضى إلى الحاضر وذكرت كيف غاشت مجلها في الرمل ووقفت حائرة وإذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها - كما كان يفعل وهو سبى - وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ولا يبالى ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل بيديه الكبيرتين ويحمل الحجارة ؟ يفعل كل ذلك ولا يرفع عينه إلى .. ثم يعرفني فيتألف في تذكري بنفسه . ويتظاهرن بنسيان اسمى وهو منقوش محفور في قلبه .. وتنازعه نفسه أن يقضى إلى بحبه فيشير إليه من بعيد في معرض الكلام على ذكريات الحداثة . ويعرف أنى مخطوبة فيفقد كل أمل ولكنه يتجلد ويتكلم الاتسام وعفى في مؤانستى بمحدثه كأنما لم ينهد كياه ولم يتقوض بنيانه . وهل أنسى كيف تار واتفص حين رويت له ما أهانني به زكى ؟ لقد كانت وثبته تلك حسبي دليلا على عمق ما يجن لى من الحب . ومع ذلك أبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن النيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تنأجى نفسها على هذا النحو ولا تكتحل عينا بغمض حتى كان العصر فقامت ولبست ثياب الخروج واستقلت سيارتها الصغيرة إلى دكان مراد فأقبل عليها يرحب بها فقالت له :

« أنت أولى من الغريب »

فابتسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »

قالت : « نعم . أريد شيئا من الحرير .. قطعاً كثيرة . ألوانها شتى . الوقت ضيق . »
فقال : « الوقت ! لست فأها شيئا . »

قالت : « ألا تعرف أن المروس تحتاج إلى ثياب كثيرة ؟ »

المنادين ولكن اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس ..
كل الناس أن يدخلوا لا يشترطوا بل ليشاركوني
في سعادتي .. لماذا لم يجيء المأذون .. إذهب
أنت وراءه واستمعه »

وفرحت جلية بهذا الجنون وخجلت أيضاً -
أفرحها أن عقله استطاع من فرط الجذل ، وأخرجها
أن كل هؤلاء الناس من المال والزبان يرونها ،
وأن عيونهم جميعاً عليها ، وأنهم يفحصونها ليمروا
سر هذا السحر الذي ذهب بلب الرجل الذي
ألفوا منه الرزاة والسكينة والظرف والمقل ..
ولم تكن تقدر أن يفعل ذلك وأرادت أن تستمعه
فأبى ، فاقترحت أن يذهب بالمأذون إلى البيت فأبى
أيضاً ، وقال إن ناساً في هذا الزمان يتزوجون في

الطيارة ، فإذا منع أن تزوج في الدكان ، فقالت إنه
فرق ساعة ، والمسافة إلى البيت لا تستغرق زمناً ،
فأبى أيضاً ، وقال إنه يخاف عليها أن تطير وتتسرب
في الهواء ... كلا ... لا بد أن يكون المقدس هنا
وراقها هذا الجنون وأرهف خيالها فرضيت
وتزوجا في دكان

وقالت له وما خارجان : « نسيت أن أقول لك
إني وجدت أن الدكان لم يكن خالياً قط ... كان
مافيه مخزوناً من أيام الصبي ، فلما أدت عيني فيه
عرفت ولهذا جئت »

فقبها على باب الدكان
ولم يستح الرجل ا
ابراهيم عبد القادر المازني

بنك مصر

باعدكم على الادخار من اقرب وأضمنه الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسي .

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

غرام الشعراء

أقصوصة فرنسية

نصبت الشاعر محاسن الأميرة فأحبها
روح شاعريته القدسية ؛ ورأت الأميرة فيه
ما بهر غروبها فاستسلمت لغرامه ، وتراجع
سائر العشاق بذلة الانكسار أمام الشاعر الثرى
الجميل ، وكان اسمه سعيداً^(١) وله صديق اسمه
جميل فكتب سعيد إلى جميل يقول :

« لقد رضيت في زوجاً ، فما أسعدنى بهواها !
وإننى لأشك أحياناً في سعادتي فأحسبني واهماً .
وهل لثل هذه الآلهة أن تحب رجلاً يموت ؟
ولكننى أعود إلى رشدى فأسأل نفسي عما دفعها
إلى التسليم بقبولى زوجها لها إذا كانت لا تحبني
لا أراى مضطراً إلى أن أقول لك ، وأنت الصديق
الوفى العاوف بما في سرى ، إنه لا مطمع لى في
الحياة الا امتلاك قلب امرأة بكل ما في كلة الامتلاك
من معنى السيادة المطلقة ، تترعب في قلب لا وحن فيه
ولا شرك ولا ضلال . أريد روحاً أبداً روحى
وحياة واحدة في جسدين . ذلك حلم الخلود أطمح
إلى تحقيقه على هذه الأرض الفانية . إن الله لم
يخلق الجمال عبثاً ، فانه وضع في إهاب الأميرة المثير
للتيران قلباً يحترق هو نفسه بها . إننى أشكر الله
لأنه أنالنى ما اشتيت »

وورد الجواب بهذه الكلمة :

« احذر ، فانك شاعر »

وكانت حفلة زفاف جلالتها روعة الجمال ولدت
فيها بروق اللال

اهتزت المدينة لهتاف الفرح ، وسار المروسان
تحف بهما الأجداد وبنوا كبهما البر على طريق
السعادة والهناء

(١) ترجمت الأسماء بما يقابلها في العربية

كانت فتاة أسعدتها الحظ وأسعدتها الجمال ،
ولدت من أبوين أحدهما الثروة وناهما الجمال ،
فكان الله أوجدها فتنة للعالمين ، تلمب بالباب
الشراء تارة ، وتارة تلمب بقلوب الطامعين
وكان اسمها مشتقاً من مصدر النصر فدعاها
الناس بالأميرة لأنها حكمت لآلهين إله الجمال
وإله المال
انصبت للناس صنما يميده العاقل والجاهل ،
رجل العواطف ورجل الأطماع ، فترنحت أعطافها
من يسكرة الدلال ، وأصبحت تطلع المأل من عل
فتستصفر كل الماشقين

إن رجلاً يسلمه الحظ بامتلاك قلب الأميرة
ليقسم فيه عرشين ويمتلك به سعادتين
مرت السنون والأميرة تحسب الدمع خلة
في مآق الناظرين إليها ، ولولا قوة في الكون
تسخر المال والجمال لكان قد قضى على الأميرة أن
تفادر الدنيا بوحدانية جلالها لا تشرك به أحداً من
الناس ، وما تلك القوة إلا الحافز الطبيعي لا يعتمد
عليه إلا المتظاهرون بتذليله وهم في ادعائهم كاذبون
وكان في المدينة شاب ولد كما ولدت الأميرة
من مصدرى المال والجمال ، غير أن إله الشمر
كان قد نفخ في روح الجنين خلسة فجاء الطفل
بحمل إلى الدنيا مجنونة الالهام

خلدي ، وعرفت ما أحب وما أكره ، فأمرني
مثال أحلامي

ما أنمس قلب الشاعر ! بل ما أبعد نيام
الشعراء عن أهواء الناس ! إن في بعض النفوس
المشتعلة بلهب الأبد غراماً يستنزّل العاطفة من عالم
التجرد ، وما وجدت هذه النفوس في الأرض
إلا لتشق ، لأنها تطلب كوثر السماء من كبؤوس
التراب : تريد حياة من الموت ، وتجرّد من المركّب
المنحلّ .

وكان الشاعر يجثو أمام أميرة مداعباً أوتار
قيثاره فيستنطقها أجمل الأنعام ، ولكن الأميرة
كانت ترفع يدها إلى جبينها وتشكو الصداق ؛
كان يأخذ الشاعر أروع القصائد ويثلوها على
متسامع أميرة فلا تلبث أن تحول الحديث إلى بحث
أنواع الطعام وما يصعب هضمه منها
كان يبدأ حديثه معها قائلاً : أئلا ترين
يا حياة الفؤاد أن ... فقاطمه شاكّة حرارة الجو
وطقق اليأس راود نجلد الشاعر

وتقدّمت الأميرة يوماً إلى عابدها قائلة : ياسيدى
العزير
فانتفض الشاعر وقال في نفسه : لقد جاءت
تبادلى حباً بحب ، وقلبا بقلب

فقال : ليس جمال الحياة في ...
فقاطمته وقالت : في الأعياد والمرافق واستقبال
الأسدقاء . أما حان الزمن للقيام بما بوجه مقامنا
الاجتماعي ؟ إنك ستدعوني قريباً أهل المدينة لوليمة
كبرى يبعثها الرقص إلى الصباح ، أليس هذا
ما تريد يا سيدى ؟

تحت أغصان الربيع أمام الطبيعة الموشاة بحلّاتها
السندسية كان سعيد يناجي عروسه بروح شاعر ،
وإذا قال لها : ألا تسمعين حفيف أجنحة السمادة
حولنا ، تهتدت تهديداً غميقاً حسببه الشاعر صدى
لنبرات إلهامه

وقضى العروسان شهر العسل في قصر من
قصور الريف ؟ وما مرت أيام بemde حتى أخذت
الأميرة تشمر بالشجر في هذه الحياة الهادئة .
فأصبحت تنب من السير في ظلال الأشجار ،
وتخاذر الجلوس على الروج المزهرة خشية أن تنالها
رطوبة من الأرض أو لفحة من الهواء

وكان أمير الشعر يدعو أميرة لمرافقه إلى
عمشى القصر القديم حيث يعرض جمالها الرائع على
البدن المتطلع من بين الأزاهر الراقصة على أغصانها ،
ولكن الأميرة كانت تمن أن تخاف لفتات البدر
وهو العاشق الأبدى بلفح الجباه بنظرانه فيورثها
الصداق

وهجرت حيلة سعيد عن إبداع ما يبيد الابتسام
للجمال العابس ، فقرر العودة إلى المدينة

وقال الشاعر في نفسه : لقد يكون قصر الريف
قد أثر برباشه البسيط على روح إلهتى فلا فؤدنها
إلى قصر أجدادى حيث الزخارف الرائعة والرياش
الفخم ، ولا فرق إذا سكن ملاك الجلال كوخاً في
الحقول أو قصرآ في المدينة ؟ ولن يتمكن صخب
المجتمع من إقلاق راحتنا وهي تجد في الدنيا ، وأنا
أجد فيها الحياة

وتنفذت الأميرة غرف القصر وقاعاته وعلى
شفتها ابتسامة الرضى ، فهتف الشاعر لها وناجى
آلهة إلهامه قائلاً : لقد فهمت أميرتى ما يدور في

وكانت الشمس تودع الأرض وقد شحب وجهها
المحترق . خرج الخدم وتقدموا إلى العربة فوجدوا
فيها مولاهم مضرجا بدمه ، وفي صدره خنجر وبين
أصابعه ورقة خط عليها : « ليرحمني الله ، فما هي
الجانية على »

وانطرحت الأميرة على جثة زوجها وقد ربيت
لهذا المشهد الهائل ؛ وعند ما ألصقت شفتها بجبينه
البارد كانت تنأج نفسها قائلة :

للزهرة أن تنور في الروض مكتومة الأريج ،
فأنها إن لم تحي الصدور لا توقف نبضان القلوب ؛
أما المرأة الجامدة المغرورة التي حرمت فتحة الحب
فهي بليعة على نفسها وخطر على الناس . لمن الله
يوماً جئت فيه الحياة بما لا يجدي ، وأنا محرومة
من روح الحياة . إذا ما تلاتني الحب في قلب المرأة
فانه ليستحيل إلى سهر زعاف يسرى في عروق كل
من يمد لها يداً . ويل لما شئت الزهرة البشرية التي
لا عطر فيها

ومر جميل على قبر سعيد ليبيكيه فرأى قرب
الحد زهرة نبتت بين حجرتين حراء ناضرة تتمايل
مع النسيم . جثا الصديق الوفي وصلى فارتفع عير
الاخلاص من روحه ، وبقيت الزهرة كأنمة أريجها
وهي شاخنة برأسها تباهي بجبالها

وجالت بين أجفان الصديق الوفي دمة محرقة
فقال :

لعل المرأة التي لا تحب قد استحالت إلى زهرة
لا تجود بالبكير على قبر الشاعر ، ليكون هذا القبر
كنز نوى فيه مكلاً بحب الجمال محروماً من
جمال الحب ف . ف

وسقطت صاعقة المسادة على رأس ابن الشر
فأنحى منكسراً وفي عينيه دموع وفي قلبه نار
وكتب سعيد إلى جميل يقول :

« ليس بين الناس من يفوق شقاؤه شقائي ،
إن أميرتي لا تفهمني

لقد لاحت على وجهها ليلة المرقص بوادر
انبساط وسعادة ما رأيت عليه مثلاً ليلة زفافنا .
عرفت طبيعة هذه الأميرة ، فهي عاشقة صاف
وغرور ، فيها كبرياء وليس فيها عظمة ، في صدرها
أطماع وليس فيه قلب

تقدمت إليها وهي مسكري بانتصار جمالها فقات
لها همساً : أنت يا سيدتي زهرة بلا عطر . أنت
إسراء بلا قلب ، وقلب بلا غرام

فلم تفارق الابتسامة شفتيها ، فكأنني لم أقل
لها ما قلت . ثم تنازلات وحدثت في قائلة : صدقت ،
أيها السيد ، أنا الزهرة التي تسلب الطبيعة روعة
جمالها ، وتنشق من النثر أريجها دون أن تجود
بمطرها على أحد ...

ومرت أماي ورأيتها يشمخ كبرياء وتوارت
بين الرافقين كأنها القمر الضاحك بين النجوم ،
ولكنني أذكر أنها زودتني بنظرة حسيرة لم أتمكن
من إدراك مغزاها

اذرف من دمة على نفسي ، فأنا أتمس الناس
وورد جواب الصديق هكذا :

« تذكر ما قلت لك ، فقد تأيد حكمتي »

ووقفت أمام قصر الشاعر عربة تجللها رهبة
الموت

نزل السائق عن مقعده وضرب باب القصر ،



يَوْمِيَّاتِي فِي الْإِزَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

١٥ أكتوبر ...

لم يملك الأمور عندى طويلا ، فقد ذهب سريعا ، وانقطعت عني أخباره ؛ وطلبتة كبريا بالتليفون في المركز فلم يدر أحسد أين مقره . كل ما عرفه عنه أنه خرج في « البوكس فورد » مع الماوان ولم يعد ، وانتظرته طول نهاري لأعرف منه ...؟؟ ولكن النهار انقضى وغربت الشمس وعيل صبري ، فشيت بنفسى إلى المركز فلم أفر بطايل ؛ وقال في قائل : لعله خرج على النادى فهذا ميعاد جلوسه فيه . فما ترددت ، وتوجهت إلى النادى فاستقبلنى أعضاء دوشين أول الأمر ، ثم هرعوا يقدمون إلى « الكرسي » السليم « الوحيد في تلك الحجرة زيادة في الاحتفال في . فسألت عن الأمور فقالوا إنهم لم يروه وأنهم يعجبون لغيبه عن النادى حتى هذه الساعة . فلما علموا منى أنه خرج من الصباح مع الماوان في « البوكس » ولم يعد صاحوا جميعا ، من فم واحد :

— لا حول ولا قوة إلا بالله !

صاح صوت من بينهم :

— ضمتنا وضاعت فلسنا والموض على الله ! ولم أنظن إلى مرادهم في مبدأ أمرى ، ولكن

التفاته حانت منى إلى المائدة والورق المطروح عليها في انتظار اللاعبين . فقهت للفوز وتذكرت ما قيل لى من أن المامور لم يعرف الحسارة قط في هذا النادى ، وأنه اعتاد في أوائل كل شهر أن يرج كل مرتبات الموظفين ثم يظل طول الشهر يقرضهم ما يحتاجون إليه للأكل والملابس حتى لا يموتوا جوعا إلى أن يقبضوا ، فيلاعهم من جديد ويأخذ مرتباتهم الجديدة ويقرضهم ما يعيشون به طول الشهر ، وهكذا دواليك . وقد اعتادوا هذه الحياة ورضوا بها ، وهم يمزون أنفسهم بقولهم : « سواء أكانت النقود في جيبنا أم في جيب حضرة المامور فالنتيجة واحدة . » شئ واحد يقاومهم ويخيفهم أشد الخوف ، هو خروج المامور بأموال البلدة « للملاعبة » مركز آخر . فالمامور يضجر أحيانا من ملاعبة هؤلاء الفاسدين وقد يجردوا ، فينتخب تارة نفرا من خيرة اللاعبين وينتقلون لمنازلة المركز المجاور كما تنتقل فرق كرة القدم ... وتارة يخف المامور بمجرد أو مع الماوان ، إلى

مكسر صابغ شعره . لكن المركز كله بالخمر
والمسكر تحت أصرنا ، يضرب لنا سلام . قامت
امرأة القاضي وزلت فلبست لها الوسام الأحمر
عهدة الحكومة فوق الفستان البعي المسوخ
وطلمت تقول لها : « قطع لسانك وأبته سفينة !
أنتم صهيح مالمكم إمارة إلا على خفيرين مغفلين ،
لكن من في البلاد كلها بقدر يحبس ويشنق ويقول :
حكمت المحكمة غيرنا ؟ »

ولقد أحسست شيئاً من الحرج في استمحي إلى
هذا الكلام ، فسا إن فرغت من شرب القهوة
حق وضمت الفئجان على المائدة في هدوء ونهضت في
الحال مسلماً مودعاً وانصرفت

سرت في الطريق إلى منزلي أفكر . ولقد
تمهلت في خطأي ، إذ لم أجد في نفسي رغبة إلى
الاجتياز بين جدوان أربعة مع أكداش من الشكاوى
المتأخرة أضع أنفي في تراب ملفاتها . وإن رأسي
بعد لمشغول بفتاب المأمور ، أتراه قد وجدها ؟ .

أين ذهب بها إذن ؟ والشيخ عصفور ماذا جرى
له ؟ العجيب في الأمر أن يستطيع هذا المصفور
أن يختطف هذه الزينة ونحن عنه ظالمون الحقيقة
أننا لم ننفذ إليه . لقد استطاع أن يختطفها من
يد المأمور في خفة وسهارة . نعم ، من يد حضرة
المأمور لا من يدي أنا . ولكن الأعب من هذا
أن تطيعه الفتاة وتذهب معه راضية . فهو من غير
شك لم يكرهها ولم يحملها قوة واقتداراً . ما سر هذا
التأثير وهذا النفوذ العجيب وهو لا يكاد يمرقها
ولم يكن بينهما لقاء طويلاً ؟ أتراه قد أغراها بالهرب ؟
ولكن ما الذي يدهوها إلى الهرب ؟ أم هي مجرمة ؟
أهذا الجمال الرائع يجرم ! أم نحن المجرمون إذ نظن
السوء بالجمال ! إن من المسير على نفسي أن أنصور

نأقرب بلدة يلمب «جورين» ويرجع ، ونارة يستقبلون
في ناديهم « منتخباً » قادمًا من بلاد أخرى . هنا
في مثل هذه المقارعات الحامية الوطيس بين بلدة
وبلدة يتعرض للخطر حبيب المأمور أعني مرتبات
المركز . . .

على أني لم أثبت أن أدخلت الاطمئنان على
قلوبهم بقولي لهم إن المأمور قد ذهب في غالب
الظن لعمل يتعلق بقضية تشغل بالنا . فهدأوا
وجلسوا الحافلة ساكنين أدباً واحتشاماً ، ثم أخذوا
يتحدثون ويتررون قليلاً أثناء شرب القهوة ، إلى
أن قال أحدهم في نبرة الترحيب :

— ربنا عوضنا خير بتشريف البك النائب ،
لأن حضرة القاضي انقطع عن النادي من زمن . . .
بسبب سوء التفاهم . . . فنظرت إلى التلكم وقد
بدا في عيني التسائلة ماداعا إلى الاسترسال :
— أي نعم ، سوء التفاهم بينه وبين البك
المأمور

وأمن في الثثرة فقال :

— المسألة أصلها خلاف بين السيدات مع
بعض . الست حرم القاضي واقعة مع الست حرم
المأمور

فأطرقت صامتاً ، وطن الحاضرون أن بي
رغبة إلى الاصفاء . فاطلق أحدهم يقول :

— آخر أخبار أنهم طلموا لبعض فوق الأسطح
وزلوا في بعض «روح» من النوع «التظيف» ،
امرأة المأمور إغاطة في صاحبها راحت لبست سترة
زوجها الرسمية بالتاج «والغنبورة» وغطت رأسها
من غير مؤاخذه بالطرحة أم تتر «وقالت لها
بالصوت العالي : «أنتم حوالكم إلا قلة القيمة !
لا يمشي وراكم إلا حاجب «ديابيكيا» نص عمر

أو أنه على الأقل قد اطلع على سر الفتاة وغاض بسنيه البراقطين في بحار نفسها العميقة المظلمة . ولكن هل يفضي هذا الشيخ الينا بشيء ؟ إنه هو نفسه سر مغلق ، ولست أدري أهو حقاً أبه أم خلف هذا الوجه الساذج ...؟؟ وكنت قد بلغت المركز . ورأيت يباه « البوكس فورد » فعلمت أن المأمور قد عاد ، فأسرعت واقتحمت عليه حجرة فالفيتة ملني على « الكنبه » وقد خلع طربوشه وأمسك القلة الفخار يجمع منها والدرق يتصطب من جبينه فلم يكذب يراني حتى صاح :

— الممالة وحياتك فيها شغل سحر ! لا بد أن الشيخ الكاب سحر البنت . تصور أننا من الصبح لغاية ساعة تاريخه ما تركنا في دائرة المركز غيط ذرة ولا زراعة قصب ولا ساقية ولا طاحونة ولا كفر ولا دوار ولا زرة ولا أرض ولا سما ولا طريق زراعي ولا جهنم حرا إلا قلناها وقشناها شبر شبر . لو كانوا انقلبوا طير على الشجر أو سمك في البحر كنا وجدناهم . لكن المصيبة أنهم ... فما تمالك أن قاطعته :

— المصيبة أنهم على بعد خطوة من هنا يا حضرة المأمور !!
فوضع المأمور « القلة » على الأرض ونظر إلى فاغرا فاه :

— إنه ؟

قلقت في شيء من الحدة :

— طير إليه وسمك إليه !! الرجل والبنت قدام باب المستشفى من ساعتها .

— المستشفى الأميري . ١٩

— قر يا شيخ قل لواحد عسكري يروح يناديهم من هناك ، بلاش أمور ...
ولم أتم بقية عبارتي ، فقد نهض المأمور فرحا

الجال غير مقترن بالفضيلة . الجال الحق والفضيلة الحق شيء واحد . ولكن المصائب قمر الدولة عندما سئل عن الضارب فاه بكلمة واحدة ما زال جرسها الباهت يرن في أذني : « ريم » ! ولستكن ما بال الفتاة صرخت وذهلت إذ هلمت بالجناية أول مرة ؟ أهو تصنع وتمثيل ؟ لقد خلعت آهتها قلبي خلعاً في تلك الليلة . وما أشك في أن المأمور وهو على الأقل ذو خبرة بالقرويات قد تأثر مثلما تأثرت . فان كان مكر مثل هذه البنية الرقيقة يجوز على أمثالنا فأعزى بنا أن نضع في مرابط البقر لا أن نضع أمامنا نفوس الناس نستطلع مجاهلها ونستكشف أسرارها . وألهمتني هذه الخواطر وحللتني قدامي من دون قصد إلى المستشفى ومررت بياه الكبير ووقفت عيني اللاهية على ذلك المنظر المتداد من الأهالي والنساء والصبيان الجالسين القرفصاء فلم أحفل بهم . ولكني لم أكد أغادر هذا الجمع حتى وقفت دهشاً . فلقد لحقت تحت الجدار على بعد قصبة من الناس الشيخ عصفور جالساً إلى الأرض وهو مطرق ينكت التراب بطرف عوده ويجواره الفتاة وقد أسندت رأسها إلى الحائط نباحاً وإعياء أو كآبة وحزنًا . فهمت كل شيء . إنها جاءت المستشفى تسأل عن حال المريض . وإنها اتخذت من الشيخ الأخضر دليلاً وصاحباً ومعيناً ، وكان ينبغي لذلكنا أن يتجه في بحثه إلى هذه الجهة القريبة . ولكن ما العمل الآن ؟ إلى مفردى ؟ ولا سلطة لي بغير رجال الحفظ ألقى اليهم بالأمس . لا بد إذن من الذهاب من فوري إلى دار المركز لأبش أحد المساكين يأتي بهما . وأسهرت في السير قبل أن يعلما برؤيتي لهما فيهربا خوفاً مني . وابتعدت عن المكان وأنا أقول في نفسي : « لاشك أن الشيخ عصفور يعلم الآن كل أسرار القضية .

قبل أن يسمع منى . وصاح بصوت جليجل في صحن المركز :

— يا شاويش عبد النبي !

فجاء من ناحية الاسطبلات رجل عملاق في قميص وسراويل بيضاء ورفع يده بالسلام وقال :

— أفندم سعادة البك !

— قم حالاً مع نفرين للمستشفى الأميري ومعكم قيد حديد ...

فتردد الرجل وقال مقاطعاً :

— « أودة التبن » مفتوحة يا سعادة البك والأنفار جارين المليك والغرش للخيول ...

فصاح فيه المأمور :

— يا حصان نفذ الأوامر ! إن شا الله عن الخيل ما باتوا في لياليهم . قلت لك قم في الحال — حاضر يا أفندم !

وتركت المأمور يفهم مرؤوسه ما يتبع . وانضرفت إلى مكتبتي بعد أن أوصيت المأمور أن يلحق بي مع القبوض عليهما . فأنا لا أحب مطلقاً التحقيق في دار المركز وهي ليست داري . قرب المركز هو المأمور . ولا أرضي لنفسى أن أكون في كنفه أثناء عمل . خصوصاً في هذه القضية وأمام هذه البنية . وذهبت على عجول وأرسلت من يستدعي كاتب التحقيق . ولم يمض قليل حتى كنت في حجرتي جالسة إلى مكتبتي أطيل النظر إلى الباب نافذ الصبر منتظراً قدوم الفتاة كأنه موعد لقاء .

وسمعت بقرأ على باب الحجرة . ودخل المأمور يسألني للفور عن الطاولتين فأجبت أني لم أر أحداً بعد . فجلس وهو يقول إنه أرسل من يأتي بهما . وجعل ينظر نحو أياً إلى الباب ويفتل شاربيه . وجاء كاتب بأوراقه ونشرها أمامي . واستمده كل

منا . وإذا بجبالة ترتفع في الردهة وصوت أقدام ثقيلة وصلصلة حديد ، وطرق الباب علينا ، ثم فتح وأتني بيننا الشيخ عصفور وحده مكبل اليدين وخلفه الباشجاويش يحمل له عوده الطويل . فوقع في نفسى قلق . وشعرت بوقع مثله في نفس المأمور . فقد ابتدر الباشجاويش صاحماً :

— والبنت ؟ !

— وجدنا الرجل وحده ققيضنا عليه يا أفندم

— وحده . ١١٩

قالا المأمور كما قلتما أنا في نفس الوقت ، وقد اختلط في نفسيهما الأسف بالمعجب والغضب . وخرج المأمور عن طوره فنهض وصرخ في وجه الشيخ عصفور قائلاً :

— البنت ؟ !

فلم يبد الرجل حراكاً . وأجاب في هدوء رصين :

— بنت مين ؟

فنظر اليه المأمور نظرة شذراء وقال :

— إنت يا رجل شارب حشيش . ؟ ! شغل الحشيش أنا أفهمه طيب !!

وأراد أن يلكمه بقبضته القوية فنمنته من ذلك ، وأصررت الشيخ أن يدنو منى فدنا فسانته في رفق :

— ريم كانت ممك ؟

فأجابني الرجل من غير تردد :

— أبداً

فأدركت أن عين الرجل البراقة قد لحتني عند مروري بباب المستشفى ، وفهم بذلك ما سيكون فأخفي الفتاة في الحال ، وأن الأمر غير ذلك وأن عيني هي التي خانتني فلم تكن ريم إلى جانبه ، وأن خيالي السامع في جو هذه الفتاة قد أتى صورتها

والثانية بلطيه ... »

« فقاطعه الأمور صمًا حيا :

— مفهوم، مفهوم، مفهوم ! وإلى غرفتي في الريح
من سنتين كانت البياض والآن البلطية ؟؟
فلم يجبه الشيخ ولم يلتفت إليه ونمضى يقضى :

« واحده بياض شفتي

والثانية بلطيه

والثالثة من بدعها

سحرت مرا كيبه »

وتنهذ في المباراة الأخيرة واتخذ صوته فيها نبرة
عجيبة ذات معنى ارتجفت له قليلا ، ونظرت من
طرف خفي إلى الأمور فرأته قد اختلجت عيناه ،
ولكنه تجلده وتحمال وقال للرجل :
— ومن هم المراكبية ؟ ! !

فأطرق الرجل وصمت صمتا عميقا . ولست
أدرى أهو أيضا خيال مني أو حقيقة ما اعتراني
من شعور بأن هذا الشيخ قد فهم ... وأنه قد
أدرك ما بنا منذ اللحظة الأولى ... »

توفيق الحكيم (تبع)

قصص اجتماعية

مترجم: بقلم الأستاذ محمد عبد الله عناد

مجموعة من القصص الربيع الشائق لثانية من أعلام
الأدب الفرنسي م : بورجيه . كوييه . أناتول فرانس .
موباسان . تيريه . مارسيل برينو . دي بانيل . جان
لوران . مع تراجمهم القدية . ومترجمة بأسلوب فائق .
في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب
تحت ١٠ قروش وياع مؤتمنا ٦٠ قروش بخم ٤٠ ٪
عند البريد وهو قرشان للداخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

وأناها على امرأة أخرى من الفلاحات المنتظرات
بالباب . كحل هذا جائز ، ولكن أين ذهبت ريم ؟
ولماذا أنهم بصري ولا أنهم هذا الشيخ المختل ؟ ومن
هو أولئك هذا الرجل ؟ وبحث فيه من فوري قائلا :

— تعال يا رجل انت !

— محسوبك .

— من أنت ؟

فنظر إلى الرجل نظرة من لم يفهم السؤال .
فأقيمت عليه العبارة من جديد في شدة وقوة ،
فقال :

— أما ... أما عصفور ، ألقط الحسب فوق

التراب ، وأعبد الرب تحت التراب !

— تكلم جد يا رجل . اسمك ؟

— عصفور .

وأشار إلى يديه وفيها القيود واضح :

— أطلقني ! من حب النبي يطلقني ...

فأصرت المسكر بفك القيد من يديه ، وسألته
في صرامة :

— صنعتك ؟

فتردد الشيخ قليلا وسكت لحظة ، ثم لفظ
آهة من أعماق قلبه ورجع رأسه إلى الوراء ،
وجدت عيناه كأنهما تنظران إلى شيء لا وجود له
في عالم الحس والحقيقة ورفع عقبرته بالنساء :

« أنا كنت مسيادا

وصيد السمك غيبه

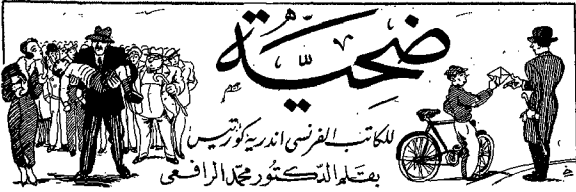
نزلت بحر السمك

أصطاد لي بسنيه

وعجيني شكل السمك

في البحر حوالبه

واحد بياض شفتي



ضحكتها

للكاتب الفرنسي اندريه لوتريش
بترجمة الدكتور محمد الرفاعي

وأطل الغلام من النافذة مرة أخرى فأبصر حملا صغيراً قد أهله منظر السيارة فثبت في موقفه حائراً دهشاً ... وأعجب الطفل بمنظره فصاح :
— ألا ترى هذا الرجل الوديع يا أمي ؟ ألا يمكننا أخذه معنا ؟

فضمته أمه إلى صدرها وجعلت تقبله وتحنو عليه ؛ وانفجر الأستاذ لاماس من التيقظ فأعمل محرك السيارة وأندفع بها فجأة ، فلم تكد تنبث حتى وثب له أحد الرعاة وأكرهه على الوقوف ؛ ثم صرخ فيه من مجراً مهدداً وأراه على ضوء مصباحه جثة الرجل ، وقد فرسته السيارة ودقت أضلاعه ، وكان الدم ينهمر من فمه الصغير ...

— وارتفع جان ماري وفزع لهذا المنظر المرعب وجعل يصيح وقد لاذ بأمه ، وأخفى رأسه في صدرها :

— يا للشيء ... يا للشيء ! لقد قتل الرجل ...
لقد قتل الرجل !

فأخذت أمه تسكن روعه على حين ارتفع صوت لاماس وقد اشتد الجدل بينه وبين الراعي في ثمن الفريسة المسكينة .. وبعد حجاج ولجاج أخرج الرجل ورقة مالية وري بها في غضب إلى صاحب القطيع ، ثم رى الطفل وأمه بنظرة التسنخ ، وانطلق بالسيارة لا يولى ...

غابت الشمس وأظلم الليل ولم الطريق في سواده ؛ فانكشف على طرف الأفق نور يزهر في العتمة وهو يتحرك فيملاو وينخفض كالنذير ليلفت إليه أنظار السابلة ، فما إن اقترب منه الأستاذ لاماس حتى أوقف سيارته ثم مد عينيه في ضوء مصباحها الوهاج فاذا سواد عربيض من قطمان الغم تنابت في سيرها مقبلة كاللوج يدفع بعضه بمضاً ، وسطع له الضوء على مثل البحر من الصوف ، وملأت مسامعه الضجة من ثنائها ورنين جلالها النحاسية وقممة أظلالها على أرض الطريق ... ثم أخذ الرعاة يزجرونها وينمقون بها يستحثونها للسير حتى حاذت السيارة فتبعثرت حولها وجعلت تحثك بها فلأت الجو من ريح أسوافها الكريهة ونشرت عليه سحابة من غبارها الخائق ...

وعندئذ انحدر جان ماري من حجر أمه ودنا من نافذة السيارة ففتحها ، وأخذ يلفو ويهال ويهتف :

— الخراف ... الخراف ... إنها ولاشك مقبلة من جبال الألب ، جبال اللوج والذئاب ... أترينها بالنة خطيرتها البلية يا أماء ؟

فصاح به لاماس وله زئير :
— هلا عقلت أيها الأحمق الصغير ... فإلك ولهذا ؟

معهما خريطة الطريق فأمرت ابنها أن يردّها الى السيارة؛ فلما نزل الطفل، وقع في أذنيه صوت صديقه مالميسيه، وهو طفل أبله، وكان يحادث لاساس فيسأله هذا الأخير:

— ماذا قالت لك؟ تكلم وأوضح

فأجاب مالميسيه وهو يقطع ألفاظه:

— لقد أمرتني «ميون» أن أنتظر هناك لأبلك أنه لم يأت اليوم أحد

— إذن قل لها إنى سأراها غداً في الساعة

الخامسة

فانتظر جان ماري حتى خرج الغلام ثم دخل فصاح به لاساس:

— ويحك! ما الذي جاء بك؟

فكان جوابه أن رى بالخريطة في السيارة، وأنسل راجعاً ولم يتكلم

جلس الأستاذ لاساس يأكل طعامه، وكان موزع الفكر، وحمل يرايمق زوجته بنظرات كمنظرات الأعداء، وهي غائبة عنه إذ كانت كملدتها منذ شهرين، تهم في عالم الخيال تنهياً بسماحتها؛ وكان جان ماري راقبه فيلاحظ منه تلك

النظرات التي تهدهد سمادة أمه، فبرئاع لها وورد لوصرخ في وجهه: «أيها القتال... أيها القتال»

وكان من عادة لاساس وهو مدرس علم التاريخ في اللبسية بمدينة أورانج، أن يذهب الى تلك المدينة لألقاء دروسه بعد الظهر من أيام الاثنين والاربعاء والجمعة. أما يوم الثلاثاء فيقتضيه هناك في إعطاء الدروس الخاصة. فإلى الذي عاقه عن السفر اليوم مع أنه يوم الثلاثاء؟ لقد كاشف زوجته بنيتها أن يخرج ولهاها الى متنزّه فلم تستجب له وذهبت

وكان الراعي قد أنام ذلك الحبل القاتيل على يديه كالطفل الصغير فأنشئ عنقه وبدل رأسه في مسكنة وذبول... وانطبع هذا المنظر الخفيف المائل في خيال الأم وزاده هو لا نظرها الى طفلها، فجاءت تضمه إليها وتهدهده وهو ينشئ في بكائه؛ وصاق الأستاذ لاساس فصرخ:

— أما أن لك أن تسكت أيها اللعين!

فكانت الصرخة كالضرب...

وسكت الطفل وأخذ يفكر... إنه لا يحب هذا الرجل العاتي وهو غريب عنه، ولم يكن ليقول له «يا أبي» لولا ضراعة أمه إليه... كلا إنه لا يحبه ولقد أصبح عقته أشد المقت ويمده قاتلاً ككل قاتل... ألم تكن في قلبه رحمة؟ ألم يكن يستطيع الانتظار حتى تجوز الغنم؟ ولم هذا الغضب، ولم هذه القسوة، ولم هذا النظر الشرير؟ ألا صبراً صبراً... فهو لم يبلغ السابعة بعد... ولكنه سوف يشب شبابه، وسوف ينتقم ما ينتقم لذلك الحبل ثم... وأخذت الأفكار تموج في رأسه وتضطرب وخيل إليه أنه هو تلك الفريسة، وأن السيارة مندفة إلى اليسار تحطم أضلاعه وتدقه بعضه في بمض، فصاح من رعبه:

— يا للوحش... يا للوحش!

وانحنى عليه أمه متفرّعة وسألته عما به، فأجابها لعله كان يحلم...

وانطلقت السيارة تحت الليل البارد حتى إذا بلغت نهر الرون عبرته وانحدرت الى نهاية الرصّة، وهناك منزل لاساس، فقال هذا الأخير لامرأته:

— اسمدى أنت فأعدى العشاء وسأدخل السيارة في حظيرتها وصعدت المرأة في السلم ثم ذكرت أنها تركت

ستقتضي الليل بجانب ذلك الرجل ذى العينين
المبتوتين ؟

وثب من سريره وفتح الباب ، ثم سعد السلم
يسرق خطاه حذرا أن يسمع خفق قدميه ، ومضى
يقترّب من حجرتهما ، وكان الضوء يتخايل من
أسفل الباب

وأنتصت فلم يسمع حسا ، فراه هذا السكون ...
إنه خائف ، ولقد ارتجف ... يا الهي ! أما من كلمة
في فمه أو في فمها ؟ كلمة واحدة يسمعا فيسكن إليها
وشق اسمه صوت أمه وهي تقول في حدة :

— ألم بأنك أن تخبرني ماذا بك يا نيكيتوريان ؟
فأجابها لاس أن له ليس به شيء ، ثم أطفأ النور
وعند ذلك اطمأن جان ماري على أنه قادته إلى
غرفته ؛ بيد أن الأرق استولى عليه فلم يجد النوم
إليه سبيلا ؛ فأخذ يفكر في صديقه ما ليسيه وفيما
أرسلته به للوضع المعجوز ... ولماذا انتظر في
(الجراج) ولم يبق الرجل في المنزل ؟

ثم أشققت ملائكة النوم على هذا العقل الصغير
من الحلى التي انتابته ، فتنفست على وجهه ، فأخذ
السكرى بأجفانه ونام ... وارتفع في الخارج هدير
مياه النهر وهي تتلاطم على شفته الصخرية ، ورفرفت
في الفضاء روح الجمل المقتول ...

وفي النداء ذهب جان إلى المدرسة فجلس غائب
الفكر مغموما ، تلقى أمامه الدروس فلا يتصق إليها
ولا يفقه منها شيئا ... ولما انتهت الدراسة أوفض
إلى الميدان الذي تعود أن يقابل فيه صديقه ما ليسيه
فالتحس حتى وجده ثم ألطفه بشيء خسه به ، وجعل
يتسقطه ليكشفه عن سره حتى أفضى به إليه ثم
تواطأ معا على الكتبان

وأسرع جان بعد ذلك إلى المنزل فكان فيه

على خلاف عادتها إلى المدرسة ، فصحبت ابنها عند
خروجه وجملت ذلك عذرا تتشدد به ، فنضب
الرجل وقال : إن هذا عذر سخيف ... لكن لماذا
قال ذلك ؟ آه ... إن جان ماري قد بدأ يفهم ...
فيالقرب من المدرسة يقع منزل والدته الأولى ...
منزلها الذي ولدت فيه وورثته عن أهلها وعاشت
فيه مع أبيه قبل أن يُقتل في حادثة الطائرة ... إنه
بذكر هذا المنزل ... لقد كانوا ينزلون منه في طبقته
العليا ، وأبت أمه أن تؤجره بعد وفاة أبيه ،
وراحت في ذلك زوجها الجديد لاس في فجاء
هذا بالمعجوز الدمية « ميون » وهي عظمته ،
فأسكنها في الطابق الأرضية نكابة بصراته ...

ثم إن جان ماري بدأ يفهم ... فليس من ريب
أن أمه انما تعمدت اليوم أن تمر بذلك المنزل لحاجة
قلبا إلى الذكرى ... ولكن لماذا يقضب لاس ؟
أليس هذا من حقها ؟ ولماذا يراقبها بتلك النظرات
المسدوءة ؛ إنه يكادها منذ شهرين ... فلا جرم
أصبحت تندم على زواجها منه وإن كانت في حاجة
إلى هذا الزواج لراحة حالها ... ولكن جان ماري
إن يكشفها عما يعلم اشفاقا عليها ... أنه رجل ، وإن
من واجبه أن يحميها من ذلك الشق السفاح ...
الذي قتل الحمل ...

وجمع تحت المائدة قبضتيه الصغيرتين يهددهما
الرجل ويتوعدده ... !

أردت الأم ابنها في سريره ، وطبعت قلبها
على جبينه فأمسك بها وقال :

— إني أخاف عليك يا أمه ... أفلا تبقيين
معي يا طفاتي الصغيرة ؟

تخففت من جاشه وخرجت من الغرفة بعد
أن أوصته بالنوم . ولكن أنسى له أن يجمع وأمه

وبهذا كان دائم التردد على منزلها . وكان الجميع يتهزأون به ويسخرون منه إلا صديقه جان ماري فبينهما الطفولة والصداقة

والتقى هذان الطفلان كما اتفدا في الصباح ثم سارا الى دار مالبسيه وتربصا حتى دقت الساعة الخامسة فأسرعا الى موعد الأستاذ لأماس في منزل ظئره المجوز ، وانسلا اليه من باب خلفي عهد بفتحائه الى مالبسيه لأطعام الدواجن ، ورأيا وسما ...

جلسوا للمشاء ، وكان جان ماري صرديكا بود لوأسرعوا في الطعام مخافة أن يدرك لأماس شيئا من أمره ، أو يسترب به ، أو يسأله سؤالاً ينكشف فيه ... غير أن الأستاذ كان لاهيا بشأه وبالأفكار التي تدب وتجيء في رأسه . أما والده فكانت كيمادتها شاردة الفكر تلتقي في الخيال برجل قد عرف جان اسمه منذ ساعتين فقط ...

وفرغوا من الطعام وأوى جان الى فراشه ولم يحاول في هذه المرة استيقاظ أمه الى جانبه ، فبالخطر لا يزال بعيداً ولا يزال في الوقت سمة ، ثم هو في حاجة الى أن يتدبر ما رآه وما سمعه في منزل الظئر المجوز ...

كان يمكن في الغرفة المجاورة ، وجعل يوسووص من ثقب في الباب ، فرأى لأماس يدخل فيجلس بجانب المجوز ؟ وحديثه فيما حدثته به أنها تسمع في كل ثلاثاء ديب خطوات في الطيقة العليا ، وأنه قد تبين لها أنها خطوات رجل وامرأة ... أما أمس فلم تسمع شيئاً وقد أبلغته ذلك في اسان ما ليسيه فأوماً لأماس برأسه وجعل يمدق في نيران اللوقد كما كان يحمق في الموضع الذي سقطت فيه الثبنة ، وكما كان يرامق زوجته بالأمس ...

لوقته المعلوم ؛ ثم جاءت أمه في عقبه وكانت قد خرجت تتابع شيئاً من الفاكهة ، فوضعت مائخمل وأخذت تداعب ابنها وهو ينظر إليها في إعجاب .. لقد كانت جميلة في تلك الساعة فخرجت وجنتاها وشع السرور من عينيها ، وتهدأت خصل من شعرها الأسود الفاحم على جبينها المشرق الوضي . وأرادت أن تسوى شعرها فتناولات مثبتتها^(١) وفنتحتها لتخرج منها المشط ولكنها ندت من بدنها وانقلب ما فيها ، فلاحظ جان بين أشيائها مفتاحاً وخطاباً غفلاً من العنوان ، قد علق به القبار كأعما التقط من الأرض ... فأهوى ليأخذه ولكن أمه أمرعت فاختطفته وغيبته في حقيبتها وقد زاد احمرار وجهها

وفي تلك اللحظة انشق باب الغرفة وخرج منه لأماس متشككاً مبتدلاً متجه العين ، فقال لزوجته في لهجة الرتاب :

— هل خرجت اليوم يا أنى ؟

وأجابته :

— كانت الخسامة مشغولة بإعداد الطعام فخرجت اشترى الفاكهة إلى ذاهبة لأعير ملابسى فراجمة بمتد هتية

وأخذت ترتقي السلم وقد حملت لأماس في الموضع الذي سقطت فيه الثبنة ...

كان مالبسيه في العاشرة من عمره ، وهو يتيم قد كفلته خالته ، فكان الجيران يمتنونونه في أعمالهم بشئ من الطعام أو قليل من المال

ولما كانت الرضعة « ميمون » مقعدة لا تقوى على الحراك فقد استأجرته هي أيضاً في حاجاتها .

(١) الثبنة حشية يد المرأة

جمعت الأيام تمر ووجهه يزداد في كل يوم شحوباً ، وتفضع جبينه من القلوب والفكر ، ولم تلحظ أمه هذا التغير الذي طرأ عليه فقد شغلها عنه سمادتها وأحلامها ، وكانت تخرج كل صباح ... إنها هي لاتعلم ولا تحذر ، ولكن جان ماري موجود يتأهب ليوم الثلاثاء ...

وجاء اليوم الموعود فكان ماريه صديق جان متسككاً الى دراجته على مقربة من مناجم الفحم ، وليث يترقب خروج دويناس حتى رآه مقبلاً فأمرع اليه وقال له في كلامه المتقطع :

— أصرني عقيلة الأستاذ لاماس أن أحمل اليك رسالتها فهي تريد ألا تأتياها اليوم وأن تبقى هنا عجب دويناس وحر في هذه الرسالة وفي الغرض منها . ألم تجد غير هذا الأبله فتأتمنه على السر ؟ وما بالها لم تكتتب اليه بذلك ، وقد فلت هذا من قبل ، يوم الثلاثاء الماضي ؟

ومتمنه بلاهة الغلام أن يستقصي منه ، فألقى اليه بقطعة من النقد واكتفى بسؤاله : أي مريضه ؟ فهز الغلام رأسه بعلامه النفي ، أو ما بها وهو يتعلل الدراجة ثم اندفع يدرج في الطريق وقد اطأ أنت نفسه إذ وفق فيما عهد اليه

والتقى عند الظهر بجان ماري فأخبره بما صنع ؛ وتهلل جان وسره نفاذ نذيره المحكم ... ثم وعد الغلام أن يجزيه عشرة فرنكات إن هو كتم السر وتقصت سحابة وجهه فتولنت وجنتاه ولامت عيانه ، ورتت في سوتة نيمات القلب للطعنين الوائق ... إنه سيذهب الآن فيتحدث الى أمه ويكاشفها

ها هي ذي خارجة من غرفتها وقد تنهأت

إنها والله نظرات بغلي بها الدم في عروق جان ماري السكين فيقرع في فراشه كلما نمتها ... وتري من هو كسافييه دويناس الذي جاء اسمه في حديثهما ؟ كسافييه ... كسافييه ؟ آه ! لقد تذكره الآن ... فهو شاب مهندس جميل النظر حسن الشكل ، يعمل في مناجم الفحم بالمدينة ؛ وقد عرفته أمه في السنة الماضية على شاطئ البحر ، وكانت تستر إذا خرجت معه وتحذر أن يراها زوجها فلم يرها . أما « ميون » فمجاز مقيمة لا ترح مكانها ، فكيف سقط لها هذا الخبر ، ومن أين لها أن كسافييه هو الرجل الذي يجتمع بأمه في الطبقة العليا كل الثلاثاء ! لهمم بظنون فلنا فقط ... ولكن لاماس كان يقول له يجوز ويكره هذا القول :

— إني واثق من أنه هو بعينه . انه هو بعينه الرجل

وكذلك صر في الحديث نبأ خروج أمه في الأيام الأخيرة كل صباح وتلقيها الرسائل تُدسُّ لها تحت الباب ... ثم قال لاماس

— سوف أأخذ مفتاحاً آخر لهذا الباب ، وسوف أنصبَّ عليهما انصبايا في الثلاثاء القادم وسترين كيف يكون الانتقام ...

الانتقام ... يا إلهي ! إن حياة أمه كالمعلقة في خيط دقيق ... ماهذه الحى ؟ إنه يهدى ... ماهوذا لاماس ينصب عليه انصبايا ليأخذه فيقتله ...

ثم أخذ يصيح في فراشه ففزعت أمه وأسرعت اليه ، ولكنه استمسك ولم يفيض إليها بشيء إذ لا يجب في رأيه أن تعرف هذه العزيزة ما يتهددها خشية أن يفضحها اضطرابها ... وهو وحده سوف يحميها ويمنعها

واستلَّ جان ماري المفتاح من موضعه فدسسه في جيبه وانطلق معلناً أنه ذاهب إلى المدرسة ؛ غير أنه ما كاد يتمدد عن الدار حتى تحول إلى مكان الموعد في منزل أمه فصعد إلى الطابق العليا وأغلق عليه الباب ...

لقد كان هذا المنزل موحشاً كالقبر ، فهو مثاق التوافد على آلة الظلام وقد ركذ فيه الهواء وتلخَّص إذمازجته رائحة القبار المتراكم وقد نندى بالرطوبة ؛ ارتعب الطفل وانخلع قلبه وأخذ يرتجف ... ولكن أبحف وقد أشرف على نهاية تديره المحكم ؟ كلا ... إن ما يحشاه على نفسه لا يمد شيئاً في جنب ما يحشاه على أمه .

ودخل إلى البهو تجلس في ركن منه وأخذ يتلوى بالتفكير في المجوز ميون تحت السقف الذي هو عليه ... كيف هي الآن ؟ إنها تعد عنقها الهزيل وترفع وجهها اللميم إلى السقف ، وترهف أذنها لاستراق السمع ... ؛ ولكنه سوف يحمل من هذه الداهية ومن رضيعها لأماس أخوكة أو أخوكتين ...

وكان ينظر في ساعته بين الوقت والوقت على ضوء شمع ضئيل ينقد من صدع في نافذة ، فلما حانت الساعة الثالثة ، وهي ساعة الموعد بين أمه وصاحبها ، نهض واقفاً وأنشأ يسير في الغرفة ذهاباً وجيئة وهو يشد وطأته كالرجل ، ثم جعل يحرك الأثاث ورجه رجاً ليبلغ الصوت إلى مسمي المجوز ... ؛ لا شك أنها مستطارة من الفرح ، مطمئنة إلى ما يقوله الأستاذ لأماس إذ تقول له « إنها هنا ؟ » ولا شك أنه سيثب في السلم كالجنون ويفتح الباب بالمفتاح الذي اصططنه ، ثم يقتحم البهو كالوحش الضاري ، وعند ذلك ... ؛ عند ذلك ...

للموعد وأبدعت زينتها ... ما أجلها ... وإياها من مسكينة ؛ فهو سيحرمها مقابلة صديقتها اليوم ... ولكن أليس هذا الحرمان عطاء ؟ يوم واحد ثم تقابله بعد ذلك كل يوم ... إنه سيكاشفها غداً ويفضي إليها بكل ما عانى في سبيلها ، وستمدده بطلها العظيم وتمجبه وتقبله كثيرًا ... وإياها من سمادة ؛ إنه سعيد ، إنه سعيد ...

جلسا يأكلان فقال جان لأمه وقد حوَّل نظره عنها :

— لقيت اليوم صديقي مالبسيه في رجوعي من المدرسة وكنت قد أعرته دراجتي فأخبرني أنه صادف أثناء زهرته هذا السيد الذي تعرفينه ... أُنذ كرين ؟ هذا الذي قابلناه على شاطئ البحر ... ؟ فاختنق صوت الأم وغصمت : — وماذا قال له ؟

قال له : « إني على جناح السفر إلى بلدة سالون فبلغ ذلك لعقيلة لأماس »

ولم تشأ الأم أن تفيض أو تكثر من الأسئلة ، فان كل سؤال يحرك ظناً وكل ظن يبعث رغبة ، فسكنت ورفعت يدها من الطعام ، وانقلبت سجنها فأصبحت كالنجم الساطع تنفث السحاب ثم قطع جان ماري هذا السكوت فقال لأمه : — هل لك في زيارة عمي الآنسة رزون اليوم ؟ لقد تصرَّمت الأيام ولم تذهبي إليها ...

وسرت الأم لهذه الفكرة التي خطرت كالوحي ، فهي لم تذهب منذ زمن طويل لزيارة تلك العائس ... وسيهون ذلك عليها ملل الانتظار إلى القدر ؛ وفي القدر تقابل صديقتها في المناجم



الصمت

للكاتب الروسي ميرزا اندريف

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صديقي

١ -

في ليلة من ليالي أيار
معمرة إخمجانية، والبلايل
في القمراء تلمع شادية
مشجية، أقبلت أولجا
ستبانوفنا على زوجها
الأب إجناتي وهو جالس
إلى مكتبته. وكانت
أسارير وجهها فاطمة
بأبيض الحزن وأوجعه،
والسراج في يدها مهتز
مرجف. فلما دانت لمست
براحتها منكبه وقالت
مختنقة الصوت بمهشة :
— أبتاه ، لنصعد

إلى ابنتنا فيروشكا !

ففتحهم الأب إجناتي وقطب حاجبيه من فوق
عدساته دون أن يلتفت إليها . وظل شاخصاً يضره
في الفضاء طويلاً حتى أسقط في يدها ، فقلبت
كفها الأخرى تقلب المهوم الجزع ، وتمالك
على أريكته خفيفة هناك وقالت :

الفصة الروسية من أحق القصص بالعناية ، وذلك
للطابع الذي انفردت به ، وللإنسانية العالية التي تشتمل
عليها ، ولأنها طبيعة صادقة ، ولأنها تعبرها الصديق
واستارتها للمواطنه ، وأخيراً لما فيها من الدلالة على
نفسية الشعب الروسي

وصاحبنا ليونيد اندريف من أقرب القصصيين
الروس الكبار عهداً إلينا . وهو ينظر إلى الأشياء
على نحو خاص به ، ويصورها بلمسات قوية من ريشته
المتفحلة تظهر النور والظل بأكثر أحجامهما وأبلغ
تباينهما

وفي كل قصة من قصصه فكرة مجردة يحرك حولها
الأشخاص والحوادث ، وهو مع هوله يحفظ التوازن
ويدعرك بأنه ليس في الدنيا ضرب بحث ولا خير محض
وأندريف كمظم معاصره من القصصيين
والكتاب نشأ من طبقة الشعب وعرف الضنك والجوع
واجل بالكآبة والألمى . وقد تخرج في القانون
واشتغل أول أمره بالرسم ثم بالصناعة ، ولكنه
لم يكد ينصر على الناس قصة « الصمت » حتى كانت
له منها نبأة الذكر والفكرة القائمة . وهي مثال رائع
على طريقتة في كتابة الفصة

— أماصا كما كليكا !

قالت ذلك بصوت
ويشد مع التشديد أبلغ
التشديد على « كليكا » .

وقد تقلص وجهها للتعنف
المتحزن بأمارات من الألم
والعنوت ، وكأنها أرادت
أن تصيح بسماها
وأمارات يحياها عن مبلغ
ماتعاني من قسوة القوم :

زوجها وابنتها

وأرسل الأب إجناتي
تحفة ونهض . ثم أظبن
كتبانه وخلع عدساته
ودسها في عليتها وأطال
التفكير مكتئباً وقد

استرسلت على صدره أجل استرسال لحية جثة
وخطلها الشيب ، وكانت تملو وتهبط في هواده
مع أنفاسه المتلججة العميقة

وبعد هتبه قال : « حسن . نذهب »

فهب أولجا واقفة . وقالت تشاهده بصوت

ولكن فيروتشكا ما برحت صامته . وحيا لها
الأب إجناتي يوالى مسح لحيته في تحفظ ظاهر
كأنما يخشى أن تنالها بالنتف أصابعه المضطربة من
حيث لا يشعر . ومضى في حديثه يقول :

— خالفت مشيتي وذهبت الى بتروغراد —
فهل اعنتك على مخالفتك ؟ أكنت يوماً عليك
باللأ ضيقاً ؟ أتقولين اني لم أك برأ بك حديثاً
عليك ؟ إذن ، لم لا تتكلمين ؟ انظري ، أى خير
أصبت من بتروغراد !

واقطع الأب إجناتي عن الكلام فجأة ، وتخل
كالعيان لخاطره بناءً من الجرائيت هائل
رهيب ، حافل بأخطار راصدة كامنة ، مكنته بخاف
غريبة أطوارهم ، جاسية مشاعريهم . وهنا ذهبت
فيروتشكا وحيدة ضعيفة ، وهنا كانت تلفها
وضياعها ، فحاشت في نفس الأب إجناتي نقمة على
تلك المدينة الهائلة الغامضة ، تشوبها النقمة على
ابنته ، وهي ما فتئت صامته ، صامته في تشبث وعناد
أما فيروتشكا فأجابته بجفاء وهي مطبقة جفونها :
— لا دخل ألبتة لبتروغراد فيما أنا فيه . على
أنه لا شيء لي ، والأولى أن تذهباً للنوم ،
فالساعة متأخرة .

فأنت الأم : فيروتشكا ! إطمئي إلى سريرتك
يا بنتي !

فقاطعتها فيروتشكا نافذة العبير : كفى يا أمي !
وجلس الأب إجناتي على مقعد وجعل يصحك ،
ثم قال متهاكاً : « حسن والله ! ليس في الأمر شيء
بمد هذا كله ؟ »

فأجاب فيروتشكا بلهجة حادة : وقد أقامت
صعدتها واستوفزت في فراشها :

— أبت ! أنت تعلم حتى لك ولا شيء ، ولكني
إنما أشعر بجمود شديد ، وسيزول هذا كله ..

متوجس مترلف : « وإنما رجائي اليك يا أبتاه ألا
تتمفها . أنت تعرف طباعها »

وكانت غرفة فيروتشكا على سطح المنزل ،
والدرج المؤدى إليها خشبي ضيق ، فكان ينسخ
وبصر تحت أقدام الأب إجناتي وخطاه الثقيلة ،
وقد اضطر الرجل لطول قامته وعظم جرمه أن
ينحني حتى لا تصطدم هامته بسقف السلم ، وكانت
زوجته تقدمه في ثوبها الأبيض فلنس ردنها وجهه
فانقبضت أساريره وعبس متمللاً متبرماً . وولج
الغرفة وهو على تمام اليقين بأنهما في حديثهما مع
فيرا ابنتهما لن يخرجاً بطائل

وقالت فيرا : « يا لله ! هذان أنا ؟ » ورفعت
إلى عينيها ذراعاً عارية وبقيت ذراعها الأخرى على
الحائط الصيني الأبيض بحيث يتعذر التمييز بينهما
لفرط بياض ذراعها وشغوف لونها وبرودة مجسها
فأبتدتها الأم بندها : « فيروتشكا ! »
وخفقتها العبرة فصكت . وقال الأب إجناتي وهو
يحاول للتلطيف من جفاء صوته وخشونته :

— فيرا ! خبرينا ماذا بك ؟

فظلت فيروتشكا صامته

وعاود الأب إجناتي خطابه : « فيرا ! أتزين
أمك وأنا غير أهل لناجاتنا بأمرك والاستراحة الينا
بذات صدرك ؟ ألسنا نحبك ؟ وهل لك من هم
أقرب إليك وأمس بك منا ؟ بئى الينا شجوك
وصدقيني أنا الشيخ الجرب أنك واجدة بمدى
بعض الراحة ، وكذلك نحن . انظري إلى أمك
المعجوز وكيف عذابها ... فيروتشكا ... وأنا
— وهنا تهدج صوته كأنما انشعب شيء فيه
شطرين — وأنا ، أبوهن على ، تحسبتهن يهون ؟
سكانى لست أبصرك نهب لوعة .. ولكن ما هي ؟
وأنا ، أبوك ، على جهل بها ، أصبح هذا ؟ »

فأنها في ذلك المساء ألقت بنفسها تحت محلات
القطار فشطرها نصفين

وقام الأب إجناتي نفسه بدفنها ، ولم تتهد
زوجته حفلة الصلاة عليها في الكنيسة ، لأن نني
فيروتشكا كان صدمة لها أصابها بالفالج . ففقدت
كل حراك لقدمها وذراعها ولسانها . فقيت
طريحة في غرفة محجوبة الضوء ، وعلى مقربة منها
تدق الأجراس في القباب معولة نادية ، وإنها
لنسمع موكب الجناز خارجا من الكنيسة وتسمع
المرتلين ينشدون في مرورهم أمام المنزل ؛ ولقد همت
لترفع يدها وترسم إشارة الصليب فلم تطاوعها
يدها . وأرادت أن تقول : « الوداع يا فيروتشكا »
ولكن لسانها أصب في فيها هامداً مودماً ثقيلًا .
وهكذا كانت طريحة بلا حراك حتى ليحسها الرائي

هاجعة في ثقلة الكرسي لولا عنايتها الفتوحاتان
وشهد صلاة الجناز في الكنيسة جمع حافل من
معارف الأب إجناتي وأغرياء عنه . وكلهم مترحم
على فيروتشكا متوجع لمصرعها ، وهم في نفس
الوقت يتتبعون حركات الأب إجناتي ونبرات
صوته ليستدلوا بها على حزن عميق وجوي لا ينجح .
إذ كانوا في قرارة نفوسهم لا يحبون القس المسكن
خالقه من عنجهية ومجرفة ، وأشدنه وصرامته مع
التائبين اللينيين على يديه ، فضلاً عن أنه حسود
جشع لا تقوته فرصة بتقاضى فيها هذا أو ذاك من
أهل دائرته أكثر من حقه . فلكل هنا يودون
التشقي برؤيته مثلاً كسيراً ، ويودون أن يروا
إقراره على نفسه بأن مصرع الفتاة يركبه منه إثم
مضاعف ، باعتباره أباً فظاً غليظ الطبع ، وبصفته
قساً ظهر مجرؤه عن وقاية لحمه ودمه وفلذة كبده من
الخطيئة . ولذلك أمتعنا في ملاحظته والتطلع إليه ،

والحق أنه أولى لسكا الذهب للنوم ، وإنى لرغبة
فيه أيضاً . غداً أو في حين آخر ، سيكون لنا
متسع للحديث

فهب الأب إجناتي دفعة حتى ارتج مقدمه
وصدم الحائط وراه ، وأخذ بذراع زوجته قائلاً :
« لنذهب »

فأنت هذه : « فيروتشكا . . . »

فصاح بها الأب إجناتي : قلت لك فلنذهب .
وإذا كانت قد نسيت الله ، فهل نساء مثلها ؛ ولماذا !
واجتذنها للخروج في شيء من العتوة والقسر .
وكانت وهما يهبطان السلم بحجر أقدامها جراً يزداد
تثاقلاً وتراخياً . وغمغمت في همسة مغضبة : أفمنك !
أنت أيها القس الذي جعلتها كذلك ، وعنك دون
سواك أخذت هذا الطبع . وإنك لستول عنه .
آه ياري ، ما أتمسنى !

وجملت تولول راكفة السمع مطروفة الجفن حتى
لم تعد تبين مواقع خطاها ، بل كانت تاركه قدسها تهبط
الدرج كأنها تنساقط إلى هاوية ترغب في التردى فيها
ومن ذلك الحين صحت عزيمة الأب إجناتي ألا
يكلم ابنته . وكأنما لم تظن الابنة إلى هذا التغير
منه ، وظلت كمهدا تنضطج آونة في غرفتها
وأونة تتمد إلى الخروج . وكانت كثيراً ما تمسح
بالراحتين عينيها كأن عليهما غشاوة . ولكن صمت
الأب وابنته كان يشغل على الأم ويكرهها ، فبانت
وهي بالأمس المولمة بالزواج والضحك أبعد أهل
الأرض عنهما ، قتراها ذاهلة متقبضة لا تسكاد
تصرف ماذا تقول أو ماذا تفعل

فلما إن فيروتشكا تخرج أحياناً للتمشي والتزه
لحدث بعد أسبوع من المقابلة الآتفة الذكر أن
خرجت خروجها المعتاد كل مساء . وشاء القدر
ألا يراها أبواها من بعد حبة بينهما رائحة أو غاذية ،

نظيف مرتب والقاعد الكبيرة مسربة في أعطينها
البيضاء كأنها الموق في أكفائها . وفي إحدى
التوافد قفص ملق ولكنه خاو وبابه مفتوح .
وحين ذاك نادى الأب إجناتي : « نستاسيا ! » فبدا
له أن صوته أجش ، وأحس أنه يسمى صنما بعيد
جنابة ابنته أن يرفع الصوت الى هذا الحد في تلك
الحجرات المهادنة ، فعاود النداء بصوت أكثر
تلطفا وخفوتا : « نستاسيا ! أين الكناري ؟ »
فأقبلت الطاهية . وأنفها من كثرة التحبيب

ممتنع وارم ولونه قان كالجوز
وأجابت بحفاء : — لا أدري . لقد طار
فقطب الأب إجناتي حاجبيه منه مضطربا ،
وصاح بها : « وكيف تركته يطير ؟ »
فأجهشت تبكي وتمسح دموعها بذوائب اللنديل
المصوب به رأسها . وقالت :
— إنه الروح الجميلة المزيزة لسيدتي الصغيرة
الراحلة ، فسكيف لي بحبسه ؟
وخيل الى الأب إجناتي نفسه أن الكناري
الصغير القافع اللون السعيد الذي كان دأبه التهرب
شاغرا برأسه قد كان حقيقة روح فيروتشكا ، وأنه
لو لم يطر الكناري لما صبح القول بموت فيروتشكا ،
فاشدت على الطاهية تقمته وصرخ بها :

— اغربي عن وجهي !
ولما لم تبادر توا الى الباب زاد قائلا : « مجنونة ! »

— ٢ —

ومنذ يوم الجنائز والصمت غيم على البيت .
وليس المراد بالصمت هنا السكون ، فان السكون
إنما هو عدم الجلبة . وأما هنا فالصمت معناه
أن الذين التزموا الصمت لا جرم في مقدورهم
الكلام إذا شاءوا . وهذا ما يقع في نفس الأب
إجناتي حين يبلغ غرفة زوجته فيلاقي نظرتها

ولكنه وقد آتس أن أنظارهم الى كاهله المريض
الصانع يلتصسون بمحناه تحت وقر الفادحة — لم
يأل جهدا في نصب قامته وإقامة صمدته . فكان
في تلك الساعة أقل تفكيرا في الابنة الفقيدة منه
في صيانة كرامته

فألم كرزوف : « قس صمدت على التمز قناته
وصلب على المعجم عوده » وكرزوف هذا تجار دين
القس يثمن بعض الأطار . ولقد شفع ملاحظته
بنفضة بالرأس الى جهته

وعلى هذه الحال من رباطة الجأش واستقامة
الشطاط سار الأب إجناتي إلى المدفن ، وعلى هذه
الحال نفسها عاد منه ، حتى إذا كان عند باب غرفة
زوجته انحنى كاهله قليلا ، ولعل هذا راجع إلى أن
ارتفاع الباب دون قامته . ولما كان قداما من وضع
النور لم يتبين وجه زوجته عند دخوله عليها ،
فلما أن تبينه وجدها هادئة ، وأنه لا أدمع في عينيها ؛
وليس بهما نفقة ولا حزن . فهما خرساوان
صامتات صمت ألم وعناد ، وكذلك جسمها
البدن التراخي المرتكن إلى حاجز الفراش
فسألها : والآن ، ماذا ؟ كيف حالك ؟

ولكن شفتيها خرساوان وعينيها صامتتان .
فوضع الأب إجناتي راحته على جبينها ؛ فإذا هو
خصر رطب ، ولم يبد من أولجا سبناشنا أدنى دلالة
على أنها أحست لسته . فلما أن رفع راحتيه عن
جبينها كانت عينا غائرتان سوداوان تشخصان اليه
دون أن يطرف لهما هذب ، وتكاد تكون الحدة
منهما كلها فاحة بسبب تمدد انسانيهما ، ولم يكن
فيهما حزن ولا نفقة

فغمغم الأب إجناتي ، وقد بردت أطرافه
وارتعدت فرائضه : « حسن ، أما ذاهب الى غرفتي »
واجتاز قاعة الاستقبال حيث كل شيء كهمده

في المنزل حتى ليخيل أن في الامكان سماعه . واستمرت الحال على هذا النوال فوفر في نفس الأب اجتنائي أنه يسمع الصمت .

وكان الأب اجتنائي في كل صباح بمسد الثربان المقدس يقصد الى قاعة الجلوس فيأخذ بصره في لمحة واحدة فقص الكناري الخاوي وسائر الأثاث في ترتيبه المهود . فيجلس في أحد المقاعد الكبيرة

ويطبق جفنيه ويستمع الى صمت المنزل . وكان أرقاً عجباً . فالفنص صامت في وداعة ولطف .

والأسى والدموع والضحك الطاعن الفقيد جميعاً يأنسها الرجل في هذا الصمت . وكان صمت الزوجة مع قيام الجدران دونه لا يزال عنيداً ثقيلاً عليه كالصاص - ورعباً ، ورعباً حتى ليأخذ برد المرقور في أشد الأيام حمارة قيط . أما الابنة فكان صمتها لا آخر له ، بارداً كالقبر ، غامضاً كالوت . ثم كان الصمت كأنما يشقي بنفسه ، وكأنما يتهاف على التحول الى نطق ، لولا أن شيئاً له قوة الآلة

وجودها يحسكه عن الحراك ويمد كامتداد السلك . وإذا السلك من مكان بعيد لا يعرفه على وجه التحديد يهتز ويصدر عنه صوت ناعم خافت يخون فتحفز الأب اجتنائي الرغبة تشوبها الرهبة على تسقط بادرة هذا الصوت فيشد بكفيه على جانبي المقعد ويمد رأسه متسمعاً مترقباً بلوغ الصوت اليه ، ولكن الصوت ينقطع وينطوي في غمرة الصمت وهنا يهتف الأب اجتنائي وقد ركبته النضب : « عبث باطل وأضاث أحلام » . ويهبط من مقعده مديد الشطاط فاصب القامة كهده على الدوام .

وكانت نافذة القاعة تشرف على ساحة السوق السابحة فيضج الشمس . والساحة مرصوفة بحجارة مصقولة الأطراف ممردة . وفي الناحية الأخرى

الشاحصة ثقيلة حتى لكأنما استجبال هواء الشرفة رصاصاً حرق رأسه وينقض ظهره . وهذا ما يقع في نفسه حين يتأمل معزف ابنته الذي انطبع عليه صوتها ، وحين يتأمل كتبها وصورتها - وهي صورة مرسومة بالألوان جاءت بها معها من يتروغراد . ولقد نما في نظره الى صورتها نحواً خاصاً .

فهو يتطلع أول الأمر الى جيدها حيث مسقط الضوء في الصورة فيخيل إليه أن عليه خدشاً كالذي كان على جيد فيروتشكا الميتة ، وإنه لفي حيرة من أمر هذا الخدش ومنشئه ، وفي كل مرة يعمل الفكر للاهتداء الى سببه وعلته . فلو أن القطار هو الذي صدمها في هذا الموضع لهشم رأسها بأكله ، ورأس فيرا الميتة سليم كل السلامة .

أثرى بعضهم داس عليها بقدمه وهم يحملون الجثة الى المنزل ، أم أنه أثر ظفر خدشها من غير قصد ؟

ولكن إطالة التفكير في تفصيل مصرعها كان يشق على الأب اجتنائي وبروغه ، فيتحول عندها الى تأمل عينيها في الصورة ، وما سوداوان نجلاوان أهدابهما الوطفاء تلتقي تحتها ظلاً وريقاً فيزداد بياض الفلتين نصوعاً وتبدو عيناها كأنما يحوطهما إطاران كالأطر السود المجلة بالجداد . وقد جعل لها الرسام المجهول - وهو لا شك من الفنانين الوهويين - معنى غريباً يخيل الى الرأي أن بين هاتين العينين وبين ما تقمان عليه غشاء رقيقاً شفافاً ففى تذكرنا بغطاء معزف البيانواللامع السوداء تلوه من غبار الصيف غشاوة خفيفة لا تكاد تبين ، وهي على خفافها تكمد من لآلاء الخشب الجبلو . وكان الأب اجتنائي حيناً وضع الصورة تتابعه عيناها غير ناظقتين بل هما أبداً صامتتان . وبان الصمت

واذ ذاك يهب الأب إجناتى من فراشه ، ويسبط يده مضمومتين مما فى توسل وضراعة مناديا : « فيروتشكا ! » .

ولا من حجب الا الصمت .

وفى ذات مساء قصد الأب إجناتى إلى غرفة أولجا استبانقنا زوجته بعد انقطاعه عنها زهاء أسبوع وجلس عند فراشها وهو مشيح بوجهه عن ناظرها الشاخصين الفاجحين ، وقال :

— أيها الأم ! أريد التحدث معك عن فيروتشكا . أتسمعين ؟

ولكن ناظرها صامتتان . فرقع الأب إجناتى عقبرته ، واشتد — مثل شدته مع المترفين — فى خطابها :

— أعرف أنك تمددنى المتسبب فى مصرع فيروتشكا . ولكن ، هلاً ، أكنت أقل منك حياءً لها ؟ إنك لقرية الرأى — لقد كنت متشدداً ، فهل حال ذلك بينها وبين ما شئت ؟ لقد تناضيت عمالى عليها وأنا أبوها من حق الاعتبار ، فطأطأت صاغراً حين ارتحلت — غير حافلة باستئصال لعنتى — إلى هناك ، وأنت — أيها الأم — ألم تضرعى إليها باكية تناشد فيها البقاء ، حتى أمرتك أن تنكحى ؟ أمستول أنا عن أنها ولدت قاسية القلب ؟ ألم أعلمها ما يبينى علمه عن الله والطاعة والحب ؟

وألقى الأب إجناتى لحة على ناظرى زوجته الشاخصين ثم أضحاح مستأنفاً :

— ماذا كنت صانعا معها وقد أوصدت دونى مغاليق صدرها وأبت الكشف لى عن شجوها . أكنت أمرها ؟ لقد أمرتها . أكنت أستعطفها ؟ لقد استعطفها . ماذا ؟ أتربى أنه كان على أن أخرج على قدى العيبية المزعوج رباً ككنا وأتحب كالرأة المعجوز ؟ ما الذى قام بمقلها ، ومن أين أسأبها

سور حجرى ممدود لا توافد له لأحد غسازن البضاعة . وكانت فى الركن مركبة واقفة كأنها نُسب من الطين قائم ، وكان غير مفهوم سبب وقوفها هناك دواماً مع أن الساعات الطويلة تنقضى ولا يظهر عابر واحد فى هذه الطريق .

كان على الأب إجناتى خارج البيت أن يتحدث الى الكثيرين : مع مروهسيه من رجال الدين ، ومع السكان فى دائرة الكنيسة أثناء قيامه بفرائضه ، وأحياناً مع منافره يحاورهم فيها هو مأثور ومستحب . ولكنه حين يؤوب ويحتويه غرفته كان يحيل إليه أنه قضى سحابة نهاره صامتاً . وذلك لأنه ما كان ليتحدث الى واحد من هؤلاء عن المسألة التى هى عنده أم المسائل وأهمها والى تهيج كل ليلة بلابله وتلمج خاطره : فمى مينة فيروتشكا ؟ ؟

وقد أبى الأب إجناتى التسليم بينه وبين نفسه باستحالة حل هذه المعضلة ولم يزل على اعتقاده بإمكان كشفها وجلاء غامضها .

فكان يحى لياليه مسهداً تماوده كل ليلة ذكرى اللحظة التى وقف فيها وزوجته فى جوف الليل الى فراش فيروتشكا وهو يستعطفها ويسوق إليها الرجاء أن « تكلمى ! » . فإذا بلغت به الذكري الى هذه الكلمة تمثلت له بقبية الشهيد على خلاف ما وقع . ولقد حفظت عيناه المنمضتان فى ظلالهما صورة حية لا ليس بها من تلك اللبلة ، فهما تتمثلان فى جلاء فيروتشكا تستوفز فى فراشها وتقول مبتسمة ...

ولكن ماذا قالت ؟

إن تلك الكلمة التى لم تلفظها ، والتى بها جلاء المعضلة كلها ، تلك الكلمة تتخيل له قرية ، جد دانية . فلو أنه يهف سممه ويسكت خفقان قلبه ، إذن — إذن لسمعها على أنها كانت فى الوقت نفسه نازحة نائية بلا حد ولا أمل .

انبعثت من الألواح المكتسبة بها الجدران ومن
الأثاث وسائر ما بالغرفة زبح كريح العطن والانعلال
وكانت القمراء تتخلل زجاج النافذة وتنسبط
على أرض الغرفة كشرط وضاء ، وكانت المناشد
بطلانها الأبيض الناصع تمكسها فينير أركان الغرفة
منها نور كليل شمعمانى . ويبدو الفراش الأبيض
النظيف وعليه سادتان كبيرى وصغرى كأنه شبح
من عالم الأطياف . وفتح الأب إجناتى النفاذة
فاندفع الى داخل الغرفة تيار من الهواء البقي ،
يستروح السائق فى أردانه تراب النهر المجاور وعين
الزرقونة الزهراء ، ويمحلى الى التسمع المصنى نشيداً
خفيضاً لله لقوم فى قارب على النهر يمدفون ، وفى
يخديفهم بنشدون

وخطا الأب إجناتى عارى القدمين كأنه الطيف
لا يتحدث صوتاً ، ودنا من الفراش الحاوى وخبر
مكباً على وجهه فوق الوسائد يضمها — حيث
لا محالة كانت تضع فيروتشكا وجهها

وظل على هذه الحال طويلاً . وتعالى الشبهدى
الخارج ، ثم أخذ ينخفض حتى لم يعد مسموعاً ،
والأب إجناتى لا زال فى مكانه ، وشعره المرسل
مشمت مهدل على كتفيه وعلى الفراش
ودلف القمر فى مسراه ، فأظلمت الغرفة

واحولسكت ، ورنح الأب إجناتى رأسه ونادى
بصوت أفرغ فيه كل جبه الذى أطال كبته وكظمه
بلايت ولا تصرخ . وكان وهو ينادى ينضت
لما يقول ، وكان النصت ليس هو وإنما هى فيرا
— فيرا ، يا ابنتى ! أندرकिन معنى ابنتى ؟

يا بنييتى امهيتى ادى احياتى !
هذا أبوك ، أبوك الشيخ المسكين وقد علاه
الشيب وخذاته القوى

وانتفض منكبا وسرت الرجفة فى جنبه

ما أصابها ، لست أدري . يا لها ابنة عاقلة لقلب لها !
ودق الأب إجناتى على ركبتيه بجمع يديه
— لقد نجرت من الحب — هو ذاك . وأنا
على علم بما كانت تصفنى به : مستبد غشوم . وأنت
كانت تحبك ، أليس كذلك ؟ أنت التى بكيت ،
و... تذلت ؟

وخحك الأب إجناتى فحكة خافتة

— تحبك ! بلى والله ، وترويحاً عنك لقد
اختارت هذه الميتة ميتة شنيعة شائنة افانت على
القَصَص والحصى المفروشة به السكة الحديدية ،
ماتت على الأقدار — كالسكب جدلته رفسة
بالذل على خطمه

وغنم الأب إجناتى بصوت هامس أخ :

— ما أشد حزنى ! إنه ليتولانى الحزى إذا
خرجت الى الطريق ! ليتولانى إذا خرجت من
الحراب ، ليتولانى أمام الله اياك ابنة قاسية خسيصة !
إنك لتستحقين اللعنة فى قبرك

وأثنى الأب إجناتى على زوجته نظرة ثانية ،
فاذا هى ممشى عليها ، ولم تفق من غشيتها إلا بعد
ساعات . ولما أفقت كانت عيناها صامتتين ليس
فيهما ما يدل على أنها فقهت مقال الأب إجناتى لها
أو لم تفقه منه شيئاً

وفى تلك الليلة ، وكانت من ليالى تموز مقمرة
ساجية دافئة يخيم السكون عليها ، قام الأب إجناتى
بدب على أطراف قدميه حتى لا تسمعه الزوجة
ولا بمرضتها ، وصعد السلم إلى غرفة فيروتشكا .
وكانت نافذتها من عهد وفاة ابنته لم تفتح فكان فى
جوها حرارة وجفاف تشوبهما رائحة احتراق
خفيفة من حديد السقف المستهدف طوال النهار
لوقدة الشمس . وكان إحساس الوحشة والأقواء
نجماً على الغرفة التى طاللت غيبة الانسان عنها ، وقد

— تكلمى !

فكان جوابه الصمت

في اليوم التالي تناول الأب إجناتى غداءه على انفراد مبكراً ، ثم أخذ ستمته إلى المدفن لأول مرة بعد وفاة ابنته . وكان المدفن موصداً مهجوراً لا يحس فيه نأمة ، حتى لكان النهار القاطط في هدوئه ليلة مشمسة . على أن الأب إجناتى كدأ به نصب قائمته مجاهداً ، وأدار بصره من جانب لآخر بحفوة وصرامة ، وهو يزعم أنه كعهده بنفسه . ولم يفتن إلى التخاذل الطارىء الفظيع بفت في ساقيه وإلى لحيته المسترسلة قد اشتعلت شيباً كأنها أصابها صقيع هتون . وكانت الطريق الى المدفن طويلة مستقيمة آخذة في ارتفاع لطيف المرتقى ، وفي نهايتها باب المدفن من خشب الزيزفون يظله سقف أبيض ملتصع ، فكانه فم مغفور الشدقين على الدوام محلولك وعلى حافته أنياب قواطع لوامع

وكان قبر فيرا موعلاً في جوف المدفن بعد نهاية المرات المفروشة بالحصباء . فكان على الأب إجناتى أن يجوس طويلاً في مسالك ضيقة على محاذاة السكثبان الممرجة النائمة بين حشائش مهمة مهجورة من الجميع منسية . وكان يلتقى هنا وهناك بنصب متداعية ، لونها حائل مخضر من القدم ، وحواجز منارة مهتمة ، وصفائح من الحجارة تقال ضيخام ملقاة تهبط صدر الثرى كان بها عليه حقداً كحفد الشيخ بأسرا متجهما

وعلى مقربة من إحدى هذه الصفائح ، كان قبر فيرا . وكان الدر المشوش عليه مصفراً ذابلاً على حداته عهد في حين كل ما حوله يانع ناضر . وكانت هناك دوختان متشابكتان ، وخيلة ممددة من شجيرات البندق وارقة الظلال تبسط أفنانها المتأودة بأوراقها المخشوشة الوبراء على القبر

الضليع من فرعه إلى أخضه . ثم همس متهدجا في لين وترفق كأنما ينادى طفلة :

— أبوك الشيخ السكين يسألك . نعم يا فيرا إنه يستمطفك ، إنه ليبيكى ، ولم يكن من شأنه البكاء قط . إن ألك يا بئيتى ولوعتك ، يحزان في نفسى كما لو كانا بي . بل أشد وأبكى

وهز الأب إجناتى رأسه :

— أشد وأبكى ، يا فيرا . وما الموت عندى ، أنا الشيخ ؟ ولكن أنت ..

آه لو علمت ما كان من رقتك ، ولطافة بئيتك ومبلغ إشفافك وتببيك !

أندكرين إذ وخزت أسبعك ونضج منها الدم فطفتت تصرخين . نعم يا بئيتى !

وكنت تخبئيني حقاً ، وتشففين بي جبا ، أعلم ذلك . وكنت في كل صباح تقبلي يدي . تكلمى عن هذا الذى يحزنك — فأتى بهاتين اليدين خائت حزنك . إنهما ما برحتا قويتين ، هاتين اليدين ، يا فيرا

واهترت خصائل شمره

— تكلمى !

وشخص بعينيه إلى الحائط ، وبسط يديه ، وصاح :

— تكلمى !

ولكن الزرفة صامتة . ثم طرقها على بعد سحيق أصداء مديدة ومقتضبة من صفير قاطرة عارة فأدار الأب إجناتى عينين اتسع حلقهما كأن قد تمثل له شريح الحنة مبتورة الاشلاء . ثم نهض من ركوعه على همل متساندا ، ورفع إلى رأسه بحركة للذهول يداً مشنجة متفرجة الأشاجع ممدودة الأصابع . ومضى الأب إجناتى إلى الباب ، وفي خروجه همس في حدة :

وزنّاع من رعية صمّتهم وورده ، كل هؤلاء
أيضاً يقومون
وخلع الأب إجناتى قبعته السوداء الربّعية
الحاشية ، ومسح بيده على ذوائبه المشتمة ، وممس
متادياً :

— قيرا !

وأخذ القلق أن يكون يسمع منه غريب .
فاعلى الضريح وتطلع من فوق الصلبان . فلم يكن
على القرب أحد ، فأعاد النداء رافعاً صوته :

— قيرا !

وكان صوته صوت الأب إجناتى المهود من
قديم جافاً آسراً ، وكان عجباً أن نداء بهذه القوة
يبقى بغير جواب !

— قيرا !

ومضى الصوت ينادى عاليًا ملجأ ، ولما أن
سكت لحظة ، خُبل إليه أن جواباً غامضاً دوى
من تحت أطباق الترى . فتلقت الأب إجناتى
حواليه مرة ثانية ، ورفغ مسترسل لته عن أذنيه
وألصقهما على الدرر المحشوشن الشائك فوق القبر ،
ونادى :

— قيرا ! تكلمى !

فأحس الأب إجناتى في فزع أن شيئاً له برودة
القبر قد نفذ إلى أذنه وجد له عقله ، وأن قيرا
تسكمت — ولكن كلامها هو ذلك الصمت
الطويل نفسه ، وظل يزداد الصمت روعة وهولاً .
ولما أن رفع الأب إجناتى رأسه من الأرض
مجاهداً ، ووجهه شاحب كوجه الميت ، خيل إليه
أن الهواء يهتز وينبض بصمت مرئان ، كأن ريحاً
صرصرًا تارت على ذاك العيل المخوف ، وأن الصمت
ليزهق أنفاسه ويخنقه ، ولا تزال موجاته الثلجية
متقلبة في رأسه جيئة وذهاباً فيقف لها شعره

فجاس الأب إجناتى على ضريح تجاه ضريح
ابنته وهو يتندب بين الفينة والأخرى . وجمل
يتلفت حوالبه ، وألقى نظرة على صحراء السماء
الصافية ، وكان قرص الشمس المتقدم معلقاً في مكانه
جامداً بغير حراك . وعندها فقط أحست في نفسه
عسق ذلك السكون الذى لا سكون مثله يخيم
على مدفن ، والريح هاملة لا تهفو لها نسمة تميت
بالأوراق الخافة اللينة . وقام في خاطر الأب إجناتى
مرة أخرى أن هذا ليس بالسكون ولكنه الصمت ،
وقاض الصمت وطم حتى بلغ أسوار المدفن نفسها
وتسورها متثاقلاً وغمر المدينة . وأما آخره فهناك
في هاتين المينين السوداوين الشاحصتين المصرتين
في تمتعت وعناد على الصمت

هن الأب إجناتى كنفية ، وقد سرت البرودة
فيهما . وسرح نظره على قبر قيرا . وطال تأمله
ليسدان الحشائش القصيرة المصوحة وقد صار
انتراعها من مناسبتها في بعض الرياض الفجاء
الصاحبة فلم ينهيا لها تأمل ولا ترعرع في هذه
التربة الجديدة . ولقد عز على الأب إجناتى إقناع
نفسه بأن هنا تحت هذه الحشائش على بمد بضعة
أشبار منه ترقد قيرا ، وبداله أن تدانى الشقة إلى
هذا الحد أمر غير معقول ، وإنه ليخامر نفسه منه
حيرة وتوجس غريب . اذ كيف أن هذه التي تعود
التفكير فيها على أنها طوبى في ظلام الأبدية
الحقيقة على الأبد تكون هنا قريبة ! وكيف يعقل
مع هذا أنها تلاشت من الوجود ولن تعود !

وخيل إلى الأب إجناتى أنه لو نبس بكلمة ،
بالسكمة التي يكاد يحسها على شفتيه ، أو أنه لو أوماً
بإشارته ، لأقبلت عليه من القبر ، ووقفت أمامه
ممشوقة القد جيسة كهمه بها ، ثم إنها لا تقوم
وحدها ، بل إن الموتى أجمعين الذين يحس بهم

من ملاقة هذا الرجل طالما عليك بمنظرة الأشعث
الأبد، راكضاً، وأثياً، ملوحاً بذراعيه - حين
تتبين وجهه بمسوخ السحنة مجنونها، وتسمع
حشرجة أنفاسه تتدافع بصوت أحش من فم المغفور
وانتهى الأب اجتناق وهو في أقصى سرعته
إلى الرحبة الصغيرة التي تقوم في آخرها كنيشة
المدفن متطامنة محصنة. وكان على مقعد طويل عند
مدخلها شيخ مهوم يلوح كالحاج من بعيد، وإلى
مقربة منه امرأتان عجوزان من التسولات في شجار
وصيال تتشاحنان وتبهاهلان

ولابغ الأب اجتناق منزله، كان الليل قد دجا
والمصباح قد أسرج في غرفة أولجا استبانفنا، فأقبل
عليها دون أن يدل ثيابه أو ينزع قبمته المزعقة
التربة وتراى على أقدام زوجته راكماً وانتحب:
- أيتها الأم - أولجا - رحماك رقي لحالي
أ كاد أفقد صوابي

وصدم بحافة السائدة رأسه وانتحب نحيباً
صاخبا وجيما، شأن الكظيم ينتحب لأول مرة؛
ثم رفع رأسه على يقين من أنه بعد قليل تظهر
العجزة فتتكلم زوجته وترق لحاله

- يا زوجتي العزيزة

وتهاقت بكل جسمه الضخم ضارعا إليها
مستعظفا إياها. قالت بالنظرة الشاحضة من عينيها
السوداوين. ولم يكن فيها رحمة ولا نفعة. ربما
تكون زوجته قد صفحت عنه وورقت لحاله، ولكن
عينيها لا رحمة فيها ولا مغفرة. انهما على حالهما
خرساوان صامتتان

والبيت كله في وحشة صامت

عبد الرحمن صدقي

أشعث مستطاراً، ولا تزال منكسرة على صدره
فيئن ويتأوه من وقع صدماتها. وأقد ظل مرتمد
الفرائص يقلب أخطأ عصبية خاطفة من ناحية
أخرى، ثم قام متحاملاً في انتاد وبطء، وعانى
أشد الجهد وأنسكاه ليرفع قامته ويرد إلى بدنه
المرتجف مشية الكبرياء المهودة، وقد أفالج بعد
لأى، وأخذ بنفض التراب عن ركبتيه متمهلاً
متروياً، وليس القبة، ورسم إشارة الصليب ثلاثاً
على القبر، ثم دلف بخطوات متساوية ثابتة، غير
أن طرق المدفن وماله اختلطت عليه فضل السبيل
فوقف عند مفترق المسالك جامداً في مكانه
بضحك:

- ضلّت السبيل!

وطالت وقفته برهة ثم عرج من غير تفكير
إلى اليسار. وذلك أنه ما كان ليطبق الوقوف هنا
جامداً ينتظر. وتبته الصمت على الأثر. وهذا هو
الصمت يخرج من اللجود المشوشة، وتتنفس
عنه الصلبان الداكنة التجهمة، ويتصاعد نفحات
دقيقة خائفة من مسام الأرض المتشعبة جثثاً ورماما
والأب إجناني بضائع خطاه مسرعاً، وقد سدر
بصره وذهل عن نفسه، فهو يطوف بالمسالك مبينها
المرّة بعد الأخرى، وأثبا فوق القبور، متعثراً
بالحواجز، يهوى بكفه على الأكاليل من الصفيح
شائكة فيتمزق قماشها الرقيق الناعم في يديه. ولقد
ذهل عن كل تفكير إلا فكرة واحدة وهي الخروج
من هذا المكان. فاندفع من ناحية إلى أخرى،
وأخيراً انطلق يعدو في سكون، شجاعاً مد يد القامة
لا تكاد تعرفه في رنسه الخافق وراعه، وشعره
المتهدل المرسل في الهواء

وان رؤية ميت قائم من القبر لأخف هولاً



فالحب والاطمئنان يثمران قلبينا وحياتنا . وأنت
ياسيدار ؛ أنت فينوس هرموزا ؛ أنت ترائي
وأنت ملكتي ...

وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا
وهو في مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس
دائماً ؛ أحس أن بداقوية تجذبه في عنف ، وسمع صوتاً
خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت في (تيرأوفا)
وعمك هناك بعالج مرضاً خطيراً ... » هذا صوت
سائق ينهيه إلى أسر ، ولكنه ما كان ليسلبه بعض
هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث
نفسه : « سأنشر هذا الخبر المحزن على عيني زوجتي »
لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم
تفرح من مكانها وهي جالسة أمام باب الدار تلتبس
الدنء من أشعة الشمس ، وقد ارتدت خير
ملابسها ، وانتمت ، ورتبت شعرها في دقة وأناقة ؛
غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبثت بها يد البلي ،
ووجهها وقد شحب وتفضن وذوى جماله ، وعينها
وهما تضطربان وقد خبا ضوءها وانطلقا ريقهما ؛ كانت
كلها ترسم سطوراً واضحة في تاريخ فاقتهما وعوزها
ومن أقصى المكان ارتفعت نجة تشبه ما يسممه
إيليا دائماً في المحكة : فهو لاء أصحاب الدار
يقتنازعون فيها بينهم أسراً ؛ وهذا الذئب — وهو
جزء من الدار — قد ضم جماعة بلبون الورق
وعزحون في نجة وصخب ؛ والزوجة لا يمتنها

ضاعت سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجد
عملاً ، وهو لا يدري كيف يزجى هذا الفراغ المريض
الذى وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطراً
من نهاره في حجرة الانتظار بالمحكة ، واضعاً
كراسة على ركبته يثبت فيها ما توافيه به قريحته
من أشمار ينادي بها زوجته الحبيبة . لقد كان
الضجيج يملأ بلازانه والجوع تغاطر من هنا ومن
هناك ؛ فقبرات النساء يتخاضعن على درجعات شديدة
كأنها يقتنازعن أقطار الأرض جميعاً ؛ وقائلو الزور
يسرون في هدوء وأناة يبتنون شيئاً ؛ وصغار الحمامين
يتدفقون هنا وهنا يفتشون عن صيد جديد ؛ هذا
وإيليا جالس في هدوئه ، في زاوية المحكة ، يكتب
إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس مما حوله شيئاً :

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعمق عظمي ،
فكل ما يدور في العالم مقدر قبل أن يكون . أنا
شاعر وفيلسوف ، فليس شيء في الحياة يثير في
الدهشة لأنني أعلم أن الأيام تملأ بالرء مرة وتسفل
به أخرى . لا تقطعي — يا عزوتي — فربما تذكرنا
عنى أغسطينو ... أغسطينو الذى طرد زوجته
وحرم ما له ؛ لعله يذكرنا يوماً فنذهب إلى شاطئ
البحر معاً ، ننهد القوارب تضطرب بين الأمواج
المتأججة ، ونحن نسير ذراعاً في ذراع كأننا عرسان
في شهر العسل . على أننا — الآن — سعيديان ،

ملحوظة : كتبت هذه القصة بقلم الكاتبة الإيطالية
جرازيا دليدا ، وقد أخطأ الخطاط فجلبها الكاتب

فالشمس تتأني كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية في رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسبات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو في طريقه تراءت له الزهور الرافقة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشدي في روحه النشاط ، وتذكي في أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحسرت الشمس الى مفرجها ، فاستجالت حرارتها المنعشة الى برد قارس تحملها نسبات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتددان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخافته رزائنه الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتامل له ما يلاقيه من مهانة واحتقار حين يبدو في دار عمه رث اللباس ، زري الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعاز زوجته حين يلج دار عمه في مثل حذاءه . لا بد أن يجد حذاءه ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدري ... وبعد فترة كان يسير في شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفي ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبياً قوياً جذب إيليا اليه ... جذب لينام ليلته في حجرة قذرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيظ أحدهما يستأجر إيليا من أفكاره ومن نومه مما . استلقى الرجل على فراشه وتناى رأسه غير صودة نمل جديد تراءى له أبناً هفا خياله ؛ في الشارع ، في الحقل ، في زاوية الحجر ، في صندوق في الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحياناً الى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة ... وظلّ إيليا تنزعزع الريح العاصفة ، والظطيط اللدوي في أرجاء الحجر ، والساعات تمر . وتماق

ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج العاشق فقد وقف بازاء زوجته بداعب شعرها في رفق وتجنب ويقول : « أفتملين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... » قالت الزوجة : « إلى أين ؟ » قال : « إلى أين ؟ لعلك لم تمي شيئاً مما قلت ؛ إلى عمي أغسطينو طبعاً ؛ ما أجمل ما أرى في هذا اليوم ... » قالها وقد كتم في نفسه أموراً استشرتها الزوجة المسكينه فراحت تحرق في حذاءه الممزق مرقاً أعيت على الاسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بالمال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن مي ما يكفيني ، لا يشكك هذا . إن كل ما في الكون بلد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدعة . إن ما بهم للراء حقاً هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلي هذا كل ساعات الصباح أفتريدن أن تقرأي ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرها وهو يبسم ... ثم انطلق وما خلف من شيء سوى هذه القصاصة ...

انطلق ماشياً لأنه لا يملك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحى إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، بقترض ، فيضيع وقته فيما لاغناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تموده منذ زمان ؛ وما كان لشيء ما أن يزع عنه رزائنه أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . لقد سار في نشاط وخواطره معاقه بحذاءه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ..

بلغ إيليا (أوروسى) — وهي قرية في طريقه — ولم يحدث ما يهكر صفوه ؛ فالطريق ممد لاحب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة متممة ، في ناحية من الأرض سحرية ،

يسرق مليون ليرة، أيها السارق؟

واضطربت الفكرة في رأسه: « مليون ليرة! أين هي؟ أين أجدها؟ لو وجدتها لاخطفقتها لأأني ولا أنبأها...! » ثم تعلى وهو يسم كده الخاطرة، ومد رجليه وحرك أصابعه في الحذاء الجديد. يا عجبا! لقد رانت على نفسه سحابة سوداء من السكابة مرة أخرى، وشعر بقدميه تتقدان، وبأصابعه تتخلك كأنها تنفر من هذا الحذاء المسروق! لقد سار في طريقه متكاسلا، ومتأبطا حذاه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد؟ ثم اضطرب وتوزعته الأفكار السود؛ فهو يلتفت الى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يبعه...

وانبثق العجبر كأنه شيطان ماردي يجده بينين فيهما البفض والازدراء؛ يطل عليه وقد قمته سحابة دكناء من الضباب ليمث في نفسه القزع والزعب، ولينذر بالفضيحة والويل؛ وهؤلاء الناس — عما قريب — ينسلون الى القرية، مارين به، وحين يسمعون قصة الحذاء المسروق يقول قائلهم: « نعم، لقد رأينا رجلا هناك يسير مضطربا، وقد تأبط حزمة يجنيها تحت معطفه... »

ورأى — وهو يسير — فلاحا يسير الطويحي، في طريقه الى القرية، تغيل اليه أنه يحرق فيه ويلتفت اليه بين الحين والحين وعلى شفثيه ابتسامة السخيرة والتمكيم

ثم... ثم انحسر الظلام عن نهاري حزين كالخ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب؛ والغربان تمر به وهي تنق نقيقها للشئوم؛ وقد انطوى الجلال الذي أحسه بالأمس في هذه الناحية؛ وبدت له الحياة عابسة تيمث في النفس الألم والضيق، ودوت في في أذنيه أصوات تفزعه من مكانه لأنه رأى فيها

بصره بنجم يثاقني في السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة؛ وخياله عند زوجته وهو جالس اليها ينشر على عينيها بعض أشماره الرقيقة الطالية، وعند الحياة الناعمة التي يحياها الى جانبها لو ظفر عاكلك عمه...

وانتفض الرجل من فراشه بعد لأي وهو يضطرب، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يلبسه فوجده ثقيلا واسما فكره الى حذاء الرجل الآخر؛ غير أنه لم يجد شيئا، وطن في مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف في مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع؛ وبدت له خسته مخزن... حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحرق؛ وحين انحنى الصوت دلف هو الى الخارج ليرى... ليرى الردهة خالية الا من بصيص من نور، وإلا من قطعة تمك جسمها في الجدار، والا من حذاء بازاء القطعة، بدا في عيني الرجل جبارك... فانطلق اليه يخبثه في ثنايا معطفه، ثم اندفع الى الشارع في هدأة الليل وسكونه. لقد غادر الفندق لم يشعر به أحد، ثم أسرع... وتراعى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تنساق رويدا رويدا لتتفرع في هذه الاتجاه؛ فقال: « يا عجبا! أكل شيء في الطبيعة والأنسان يريد أن يهد...؟ » وظل يتحدث نفسه هذا الحديث وهو يحب في الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن ومضت نصف ساعة جالس يمدها ليلاس الحذاء المسروق. لقد بدا عليه السرور والفرح — بادي الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به، فراح يتحدث نفسه: « ماذا يكون لو أنهم يعموني؟ سيقتلونني لاشك. ماذا يقول زوجتي إذن؟ ستقول: ماذا صنعت يا إيليا؟ أقتسرق حذاء؟ أي فرق بينك وبين من

يوماً كاملاً لا يظلم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخى ومشى الهوينى يترحم كأنه عود ذائب تمصّف به الريح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه في حلم ، وعلى شفّيته كلمة الاعتراض ؟ غير أنه وجد المكان هادئاً كأن شيئاً ذابال لم يكن ، وصرفاً تعلق به بصر ، ولم يحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وتحين هم من مرقدته اشتري رغيفاً بما بقى معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ناظري إيليا — مرة أخرى — جميلاً ، والوادي كأنه يسم في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبث منة القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيره بغور نشاطاً وحياء على رغم هذا الحذاء المزعج الذى تموج فيه قدماء ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز والابن يتابعهما

... وبلغ دار عمه وقد أجهده السير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيسدنعه الى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر اليه في دهشة وحى تمجّب : « أنت ابن أخيه حقاً ؟ لماذا لم تسرع الى هنا ؟ » ولكنّه وقف سامئاً ، فاندفت هى تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وانتظر ... انتظر طويلاً وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيتهم فقد الأمل . وحين أحس بالموّت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا الى داره يحمل الى زوجته الحبيبة الى نفسه خيبة الرجاء وضبعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

فلم يجرّد مهبّ

أصوات الذين من خلفه يقصّون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم المزعج بالحذاء الذى سرقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق ...

لقد ألقى بعض همّه حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما يزال الى اضطرابه ، وخياله ما يفتأ بصوره أشياء ؛ فهذان الماملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره بطلبانه بعد أن وجدا الحذاء اللقى ... سيُلبّس به . ثم يدفنان به الى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراى له جماعة يذبونه ويمذبونه حتى يمترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترامى إليها الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤرثها الاجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعها الخواطر المظلمة كما تتناوح الرياح الشديدة الفاصفة سحابة في كبد السماء ، ورجع الى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه المناهة ، بضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة في وقت ممّا ؛ ثم هو لا يطلب إلا سراها أو أملاً كالسرّاب ، ومن يدري ؟ لعله لا يستطيع أن يأتى بالحجة القاطعة تثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... ورغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يفسل .

نكص الرجل على عقبيه متلخ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء الملقى في ذهول وبلاهة ، أفواريه التراب ؟ إنه إن فعل فما غير من الحقيقة التى في رأسه ؛ أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وترد إيليا حيناً ، ثم هوى الى الحذاء بخفيه رحمت ظلمات مطفئه ، وارتد الى القرية لا يستطيع أن يمسكها إلا لأن يسدل الليل أستاره ، لقد غبر

وتفقر الشوارع من كل عابر

وكنت لا أزال أنا لم من جرحي

لقد كان لي بالأمس حبيبة وكان لي صديق ،
فخافتنى الحبيبة وصرعتني الصديق فألقاني على فراش ،
الأرواح ، فأصبحت وفي رأسي من الاضطراب ما لا
أهتدي معه إلى حقيقة حالي ، فكنت أحسب أن
ما صر لي لم يكن سوى حلم مروّع وأنا في ساجد
سمادتي المفقودة إذا ما فتحت عيني لأنوار الصباح ،
ثم أعود فأرى حياتي بأمرها حلماً طائشاً ساخراً
يتكشف لي بشنة عما استتر فيه من خداع وأكاذيب
وكان ديجنه جالساً على مقربة مني وقد أثارت
أشعة المصباح وجهه فلاححت أمارات الجبد عليه
بالرغم من استمراره على الابتسام كعادته

وما كان ديجنه بالرغم من صلاته وجوده إلا
الرجل المخلص الطوف ؛ غير أن الاختيار كان قد
نال منه وأسقطت الحادثات طرته ، وما جهل هذا
الصديق الحياة فانه خبرها وأسالت كثيراً من
دموعه ؛ غير أنه أدرع الصبر فاستجرت آلامه
وبات يتوقع الموت
وقال ديجنه :

— إنني وقد نفذت ما انطوت عليه سريرتك
أراك تمتدح بالحلب كما تصوره القصصيون والشعراء
فأنت إذن تصدق ما يقال لا ما يقع في هذه الحياة .
لقد ضللت السبيل السوي في تفكيرك ، فان أمنت
في السير وقفت بوجهك للمصائب والويلات
وهل يصور الشعراء الحب إلا كالجحيم النحاتون
الجمال ، وكما يندع الموسيقيون الأنغام ؟
إن أرباب الفنون وقد دقت أعصابهم ووهبوا

من عمق النفوس



اعترفان فتى العَصْرِ

ألفريد رى موسى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

(تابع)

الفصل الخامس

وعندما رأى ديجنه أن لا دواء ليأسى وأنه
أرد كل نصح وأقع في داري أدرك خطورة الموقف
فجأني في إحدى الليالي ودلائل الاهتمام بادية على
وجهه فذكر عشيقتي بلهجة الزدري ، وأسرف
في التفرغ بوجهه إلى كل امرأة مجاربا حوائز عقيدته ؛
وكنت منظرها على فراشي فجلست وأسندت رأسي
إلى كفي وأصغيت بكل انتباه لأقواله

وكانت ليلة ، بدأت تهب فيها الرياح فتسمعك
أنين المدنفين ، وكان المطر يضرب برشاش زجاج
النوافذ ثم ينقطع فجأة فتحسب الطبيعة قد فقدت
الحياة في فترات السكون

في مثل هذه الساعات يحكم الألم جميع الكائنات
فتهتز الأشجار كأنها تتلوى في أوجاعها وتحنى
رؤوسها حزينة عاجزة وتهرع أطياف الحقول إلى
صغيرات الأشجار مترجمة على اللجج الأبي

عقلك لشعورك أن تصور ماهية الانهيار؟ أم يمكنك أن تدرك ما لا يجد وأنت ولدت في الأمس وغدا ستموت؟

لقد جنّ الكثيرون في كل أنحاء العالم أمام هذا المدى الفسيح ، وما نشأت الأديان إلا من الاستفراق في التفكير في أسرارهِ . ما قطع كاتون عنقه ، وما استسلم السيجيون للأسود والبروتستانت للكنائليك إلا لأدراك المطلق التعالى عن كل حصر وتحديد

إن جميع شعوب الأرض يبسطون الألف نحو هذا المدى الفسيح قاصدين الارتقاء إليه . وفائد الرشيد يطمح إلى امتلاك السماء ، أما الماقل فيكتفى بالانجذاب والخشوع ويرتجى جانيًا على ركبته كالجحش جراح شوقه

إذا كان فسيح المدى يمجّز إدراكنا فكيف نتوسّل به إلى نيل السكّال وقد حتم علينا ألا نتجه إليه في أى شيء وألا نتطلبه من أى شيء ، لا في المحبة ولا في الجمال ولا في السعادة ولا في الفضيلة ، وليكننا مع ذلك ملازمون أن نتوق إليه لنبلغ في المحبة والجمال والسعادة ما يمكن لنا أن نناله افترض ، يا أوكثاف ، أن في غرفتك لوحة من ريشة دفايل ، لوحة تحسبها سائلة من كل عيب ، فاقتربت منها يوماً مدققاً فيها فوجدت في رسم أحد أشخاصها خطأ فأنفخا كمضو مكسور أو عضلة نافرة من مركزها الطبيعي — كما يقال عن إحدى العضلات في ساعد مصارع — فأنك تشعر بالسكدر ولا زيب ، ولكنك لا ترى بلوحتك إلى هيب الوقد من أجل هذا العيب بل تكفى بأن

الحسن المزهف يختارون أنقى عناصر الحياة وأبدع رسوم المادة وأدوع ما في الطبيعة من نيرات قيل إنه كان في أثينا عدد كبير من الفانيات الفاتنات فعمد براكتيل إلى تصويرهن الواحدة بعد الأخرى ، ثم استعرض مجموعته مستبعداً عيوبها ومستنبطاً منها مثلاً كاملاً جامعاً للخصائص على أنواعها هو رسم الزهرة آلهة الجمال

وعلى هذه الزهرة جرى أول إنسان أوجد آلة للموسيقى مقبراً قواعدها وأحوالها ، فأنه ما وضع الأنغام إلا بعد أن تنصت طويلاً إلى تغريد البلابل وحفيف الفصوص

وهكذا أوجد الشعراء أيضاً الأسماء السرية التي صرت على شفاه البشر من جيل إلى جيل ، كدافنيس وكلوو وهيرو ولياندر وبرام وتيسيه تلك أسماء لم يبدعها الشعراء إلا بعد أن ابتلوا الحياة وعرفوا من المحبة سرورها وبطبيعتها في الزوال ، وبعد أن شهدوا إلى أية درجة من الهوس يبلغ الهيام أحياناً متقياً الطبيعة البشرية من أدراكها

فاذا أنت فتشت في الواقع عن مثل هذا الحب الطلق الثابت فكأنك تفتش في ميادين الجاهير عن نساء يضارعن الزهرة في روعة الجمال ، أو كأنك تكاف بلبلا إنشاد أجل مقطوعات يتهوّن إيقاعاً ليس السكّال من هذا الوجود ؛ وكفى الذكاء البشري أنه فاز بتصوره ؛ فاذا ما طمع في الحصول عليه رمت به شهوة إلى النبل والجنون

افتح نافذة غرفتك ، يا أوكثاف ، وتطلع إذا تشرف منها على مدى لانهائية لهفتشمر أن لا حد لهذه الآفاق ؟ ولكن هل لك بالرغم من تصديق

وبما أن سواك سيتمتع بها بعدك ، فإيهما وقع ذلك في هذا المساء أو بعد سنتين . إذا كانت هذه المرأة لن تحبك إلا إلى حين فإيهما أن قصر حبها على ليلة أو طالع إلى سنتين

ألست رجلاً يا أوكثاف ! أفأ ترى الأوراق تنساقط عن أغصانها والشمس تشرق فتغرب ؟ أفأ تسمع نبضات ساعة الزمان في كل خفقة من خفقات قؤادك ؟ فأى فرق لدينا إذاً بين غرام سنة وغرام ساعة من الزمان ؟ أفليس مجنوناً من يتطلع من نافذة تقدرها الكف لبرى الذى لا نهاية له أنت تلقب المرأة التى تحبك عامين دون أن تحنونك بالمرأة الشريفة ، ولعل لديك مقياساً خاصاً تعرف منه ما تقتضيه قبيلات الرجال من الزمن لتحب على شفاء النساء

إنك لتجد فرقاً كبيراً بين المرأة التى تستسلم للحصول على المال وبين من تستسلم طلباً للذة ، فجد مثل هذا الفرق أيضاً بين من تبذل نفسها إجابة للداوى الكبرياء ومن تبذلها في سبيل إخلاصها ؟ إن بين من تشتري من النساء من تقدر لها ثمناً يزيد على ثمن سواها ، وبين اللواتى تطلب فيهن تمتع حواسك جن تنال ثقتك دون سواها ، وبين من يدفعك الضرورى إلى نيلهن من تباهى بالظفر بها بأكثر مما تباهى بامتلاك أخرى سواها ، وبين من تخلص لمن أنت من تهبها ثلث قلبك في حين أنك لا تهب الأخرى سوى ربه ، وتهب غيرها نصف هذا القلب ، وذلك تبهما لما تقدره لأحدهما من التهذيب والعادات وما تراهها من كرامة الأصل وروعة الجمال واعتدال المزاج ، وتبهما للظروف الطارئة أيضاً ولما يقوله

تقول — إنها غير كاملة وإن في أقسامها الأخرى ما يثير الإعجاب

إن في العالم نساء تردهن طبيعتن وما في عواطفهن من الاخلاص عن اتخاذ عشيقين في زمن واحد . ولقد خيل إليك أن عشيقتك من هذه الفئة ، ولقد كان خيراً لك لو أنها منها . ولكنك تحققت خيانتها فهل في ذلك ما يدعوك إلى احتقارها والاساءة إليها وإلى الاعتقاد بأنها تستحق حقدك وتمتلك ؟

افترض يا أوكثاف أن عشيقتك لم تحدهك وأنها لا تزال تحبك دون سواك ، أفأ ترى حتى في هذه الحالة أن حبها بعيد جد البعد عن السكال وهو حب بشرى حقير يتحكم فيه حيث هذا العالم وأضاليله ؟ أفنتكر أن هذه المرأة قد استسلمت قبل ما نلتها أنت إلى رجل ورجال وأن غيرك سينالها بمدك أيضاً ؟

ارجع إلى رشذك ! إن ما يدفعك إلى اليأس الآن إنما هو اعتقادك بكال كنت حليت به من حب فاذا هى ساقطة لا حلية لها

ولكنك إذا ما رأيت اعتقادك على حقيقته وانضج لك أمه توهم واعتار بشرى تدرك أن لا فرق بين السقوط دركة وبين التدهور دركتين على شفير السيوب البشرية

إنك لن تستطيع أن تنكر أن حبيبتك قد نالها غيرك قبلك وسينالها غيرك بمدك أيضاً . ولكنك ستقول لى إنك لا تهتم لهذا مادام حبها . أما أنا فأقول لك إذا كان سواك قد تمتع بها فإيهما أن يكون وقع ذلك في الأمس أو منذ سنتين ؟

الكأس هي الكوثر الذى تشربه . وهكذا ان
تتفجع اذا ما رأيت هذه الكأس محطمة أمامك
فى إحدى الليالى ، وما المرأة الا وعاء من مصنعة
الخزاف سربيع سقوطه وسريع تحطمه

وجه شكرك لله لأنه سمح لك بأن تلعب السماء ،
فلا يخذل عنك فى جوانحك خفقان تحسبه خفوق
جناح ، فان الأطياف نفسها لا يمكنها أن تحترق
السحاب وفى الأعلى طبقات لا هواء فيها . أفأنا
رأيت القنبرة ترتفع محملة إلى مساح الضباب وهى
تفرد لترعى . بعد تحليقها ميتة إلى أخايد الحقول
أكرع من الحب ما يكرعه الشارب المعتدل ،
وليك أن يصبح سكيراً

إذا كانت عشيقتك أمينة مخلصه ، فأحبها
من أجل أمانتها وإخلاصها ؛ وإذا لم تكن فيها
هذه الصفات وكانت فتية جميلة ، فأحبها من أجل
فتونها وجمالها ؛ وإذا لم يكن لها من مزية سوى
الملاحة وخفة الروح ، فأحبها من أجل ذلك
أيضاً ؛ وإذا لم يكن لها شيء من جميع هذه الصفات
ولها تعلقها بك فلا تمتع حبك عنها ، فما يجد الرجل
فى كل مساء امرأة تتمشقه

وإذا ما عرفت أن لك مزاحماً فى حب من
تهوى فلا تشد ناصيتك ولا تمن أنك ستنتحر .
إن غرورك يخذلك فيخيل إليك أن حبيبك
تخونك بالتصاقها بسواك ، غير أنك إذا عكست
نظرتك المكذوبة قتلت فى نفسك إن حبيبك
تخون مزاحمك بالتصاقها بك ، فأنت ترى النصر
فى جنبك لا فى جنبه :

إليك أن ترسم لنفسك خطة تلزم سلوكها ،

الناس وبحسب تأثير الساعة ، وما تناوأت من
مشروب مع عشائك

إن النساء يستسلمن إليك الصديق لا
لسبب الا لأنك فى شرخ الشباب النغد ، ولأن
استدارة وجهك لا عيب فيها ، ولأن شعرك مسرح
باعثاء ، ولكنك لا تصافك بهذه الصفات لا تعرف
من هى المرأة

إن أول ما ترى الطبيعة إليه إنما هو استبقاء
النوع ، لأن الحياة أينا تجلت من قم الراسيات الى
قعر البحار تنزع من الموت وتنفر من الفناء ،
وما فرض الله هذا الناموس إلا استبقاء خلقه
فوضع اللذة العظمى فى الاتصال الجنىسى بين الأحياء
إن النخيل يرتعش غراماً عندما يرسل الى أنثاه
ذرات الحياة تحملها جارفات الرياح . وإذا قاومت
الوعل أنثاه فانه لا يبقى ينطرحها حتى يبقرها .
والحمامة تنتفض تحت جناح زوجها كأرق
المشيدات احساساً

وهكذا الرجل ، عندما يضم رفيقته بين ذراعيه
أمام عظمة هذا الوجود يشعر بالسرادة الآسية التى
خلق منها تهب مشتتة فى صميم فؤاده

أيها الصديق ، إذا ما ضمعت إلى صدرك امرأة
ملؤها الصحة والجمال وشمرت بسكرة الغرام تفجر
الدمع من مآقيك وبلبلود فى صميم فؤادك يدفع
إلى شيفتك بالقسم ترفره زفراً بثبات حبك إلى
الأبد ، فلا تكبح صراح نفسك حتى ولو كانت
المرأة التى تضم بين ذراعيك من بنات المواخير .
ولكن حذار ! ألا تميز بين الحرة التى تكرمها
والثمل الذى يسود مشاعرك منها ؟ ولا تحسبن

أنفسهم آلات حرث وزرع . فليس هنالك شعور
مستمارة ولا أصابع ولا أدهن ؛ غير أن الشق
عندهم سليم من الجرب فلا يحول لهم أنهم في إقترانهم
يكشفون عالمًا جديدًا . وإذا كانت نساؤهم محرومات
من الحب الزهف في الشهوة فانهن سليات من
المال ؛ وإذا ما خشنت ملابس أيديهن فان خشونتها
لم تنطرق إلى قلوبهن

لقد ذهبت الحضارة مذاهب لا تأتلف والنظم
الطبيعية ، فان المذراء السكابة سجيئة وراء الأتفل
وهي مخلوقة للشمس والهواء الطلق ، ومن حقها أن
تشهد مصارعة الشباب كما كانت تفعلها بنات
لاسيديونيوا ترجع حرة وتحب مختارة ، ولكن
سجيتها لا يحول دون تطرق الشق إليها ، فانها
تجد الفساد في وقوفها أمام مرآتها فيدب إليها
النحول من جودها ويذوي في سكون الليالي جالها
المنتنق متشوقا إلى الهواء إلى أن يأتي يوم تسحب
فيه من سجيتها نجاة وهي لا تعرف شيئًا ولا تحب
شيئًا وتشتهي كل شيء . وتتولى إحدى المتجائز
تعليمها بالقاء كلمة سقيمة في أذنها ، ثم تؤخذ بيد هذا
الدرس لتلقى على فراش رجل مجهول يفتصبها اغتصابًا
ذلك هو الزواج أو بالأحرى ذلك هو منشأ
الأسرة المتمدينة ...

وعر المشهور فاذا بالفناء تقذف إلى الوجود
بطفلها ، وإذا بشعرها يتساقط وبصدرها يتدل
فوق جسم شوته التجاعيد

لقد فقدت هذه المسكينة جمال الماشقات قبل
أن تمسق ، فهي لا تعرف لماذا حبلت ولماذا أصبحت
أمًا ...

فلا تقل إنك تريد حبًا مطلقًا لا شرك فيه لأنك
إذا ما قلت بهذا المبدأ ستضطرب ، وأنت إنسان
متقلب بالطبع ، أن تستدرك خطأك فتضيف إلى
قولك كلمة (على قدر المستطاع)

كن راضيًا بالزمان كما يجيء ، وبالهواء كما يهب ،
وبالمرأة على ما هي عليه

إن المرأة الأسبانية وهي من الطراز الأول في
النسوية ، تحب بلا شرك ، فقلها غلص مضطرب
ولكنها تخفي خنجرًا تحت أثوابها فوق هذا
القلب . والاطيالية تنقد شهوة ولكنها تفتش عن
عريض التنكبين وتقدر قدر عشيقها كما يأخذ الخياط
قياس ذرائئه . والانكازية متحمسة تستسلم للكآبة
ولكنها باردة متعجرفة . والألمانية رقيقة الشعور
ولكنها باهتة جامدة . أما الفرنسية فانهن ظريفة
رشيقة ولكنهن أكذب من الشيطان

لا تلق على المرأة تبعة ما هي عليه ، لأننا نحن
أوجدناها في حالتها بتشويهنها في كل ساحة
ما أوجدته الطبيعة فيها . وما الطبيعة بغافلة في
عملها فانها تمد المذراء للعشق حتى إذا خرج الولد
من أحشائها تساقط شعرها وهبط نهدها واحتفظ
جسمها بأثار جراحه ، فالمرأة لم تخلق إلا لتكون
أما ، ولقد يبتعد الرجل عنها بعد أن تكون أدت
مهمتها فيستغفره الجلال المفقود ولكن طفله يتعلق
بأذياله ويشده إلى مسكنه باكيًا . هذى هي الأسرة
وذلك هو الناموس الطبيعي وما يهتدى إلى السبيل
السوى من تحول عنه

إن فضيلة أهل القرى قائمة على أن المرأة في
مجتمعهم إنما هي آلة للتوليد وللإرضاع ، كما أنهم هم

تلقين هذا الفتى ما تلقنته هي من الحياة ، فتفتقى عليه بالألا يجب طوال عمره

هذه هي المرأة كما أردناها ، وما عشيقانا إلا من هذا الطراز . ولكننا نغضى مهنه ، أطيب الأوقات . فإذا كنت ذا حزم ولك ثقة برجولتك ، فاتبع ما أشير به عليك . استسلم بلا وجل لتيار الحياة . تمتع بينات الحانات والمواخير وبسيدات البيوت والقصور . كن ثانياً ومتقلباً . كن حزيناً ومرحاً في وقت واحد ، ولا تبال أخدعتك المرأة أم حفظت عهدك ، ما دمت واثقاً من أنها أولئك حبا

إذا كنت رجلاً عادياً لا مزية لك ، فكن محترساً في اختيارك . وعلى كل لا تضع نصب عينيك أية صفة من الصفات التي تتمنى وجودها في عشيقتك أما إذا كنت ضعيفاً وفي فطرتك صفات السود لا مزايا السيد ، وإذا كنت تشمر أن في جذورك اندفاعاً إلى التغافل حيث تثر بحفنة من تراب ، فالأجدر بك أن تتخذ عندك المقاومة لأنك إذا ما استسلمت لضعفك ، فلا تتوقع نحو فروعك حيث علقت أصولك ، لأنك ستجف كالنبته البليدة لا تورق أغصانها ولا تنور أزهارها ، فيندرب نسف حياتك إلى الجذوع القارية وتبقى أوراقك كأوراق الصفصاف باهتة ، تراخية صفراء . وعندئذ لن تجد ما يرويك غير دموعك وما يغذبك سوى قطع قلبك

أما إذا كنت متحمساً تؤمن بالأجلام وتطامح إلى تحقيقها فاني أقول لك بكل صراحة : ان الحب وهم لا حقيقة له

يقدم الطفل لهذه المرأة ويقال لها : أنت الآن أم ، فتجيب قائلة : لست أمًا . إذهبوا بهذا الطفل إلى مريض فها في ثديي لبن له

وهل يدرك اللبن صدر مثل هذا الصدر المقتصب ؟ ويؤيد الزوج هذا الرأي معلناً أن تعلق الطفل بأمه ينفره منها

تجلس هذه المرأة على سرير مخاضها الدامى فيوثى بالأطالس وتبذل العناية لشفاها من داء أمومتها ، وما يمر الشهر حتى تراها تجوب السارج وتنتقل من مرقص إلى مرقص ، ويرسل الطفل إلى مريض في إحدى القرى ، أما الزوج فيبدل إلى المواخير تحت جنح الظلام

ويدور بالمرأة عشرات الشبان يتدفق بياهم بكلمات الحب والاخلاص والوله والعناق الدائم فتسفع من أفواههم كل ما كان يدور في خلاها فلا تلبث أن تختار أحدهم لتضمه إلى صدرها . ويتدفق هذا المختار إلى تدينسها ثم يتحول عنها ليداعب الحظ في مؤسسات القراطيس المالية

ففى الأمر فليس لهذه المرأة أن تمود أذراجها ، تستخرط في البكاء ليلة ثم ترى أحداها حراء مما ذرفت من دموغ ، فتتخذ عشيقاً آخر تسلم به هما فيسلها الثانى إلى ثالث إلى أن تبلغ الثلاثين أو تتجاوزها ، فيدب الفساد قاصياً فيها حتى على الاشتراز ، وتصادف في ليلة من ليالى جوحها يافماً يتدفق الجلال من مجاه وتندلى طرته السوداء على إشراف جبينه ، ترسل ميثاء شرارات الحياة وتتحقق في فؤاده الأمانى المذاب ، تفرى فيه خيال شبابها وتذكر ما تحملت من شقاء ، فتسارع إلى

مُزاحم وخيانة زوج والنكابة بعشيق
 أجل تما المحبة في نظر نساءنا إلا التاهي
 بالأكاذيب كما يتلعى الأطفال بلعبة الكين تلك
 هي غشاء القلب وهي أقبح من الدعارة الرومانية ،
 وذلك هو المسخ المولود سفاحاً من الفضيلة والزيلة ،
 تلك هي مهزلة الحياة التي تمثل بالهمس والنمز حيث
 يتجلى كل شيء صغيراً لا شكل له في رشاقته فكانه
 تمثال صيني لخلقة من عجائب الخلوقات ؛ تلك هي
 الحينة تتجكم في الجمال والقبح وفي كل ما هو
 سبأى وجهنمى في الأرض ؛ تلك هي الأطلال
 التي لا حقيقة لها ، بل هي رمة المظالم تتداحى من
 كل هيكल أقامه الله في الحياة
 هذا ما قاله ديجنه فتعالت أمامي نبراته اللاذعة
 تحت جنح الظلام
 (يتبع)
 فيليكس فارس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

وما أنا بمنكر عليك حجة مذهبك في الحب
 لأنه عبارة عن أن يهب الانسان جسده وروحه
 معاً ، بل هو اندغام شخصين في ذات واحدة تنمشي
 تحت الشمس وتجول في الحقول المزهرة تلتف
 بأربعة معاصم وتفكر برأسين وتشمرب بقلبين
 ما الحب الا ايمان وعقيدة بوجود السعادة على
 هذه الأرض
 ما الحب الا المثلث المتألق بالنور على قمة هيكل
 الوجود ، فاذا أنت أحببت مشيت حراً تحت قبة
 هذا المبد والى جنبك المرأة التي لا يفوتها ادراك
 سر خشوعك عند وقوفك لفكرة تخطر لك أو عند
 زهرة تلمحها فتتوجه بنظرة استغراق الى هذا
 المثلث السماوى

إن خير ما فى الوجود هو أن يتمتع الانسان
 ببذل ما أعطى له من قوة ، لذلك كانت العبقرية
 أروع ما يستهوى النفوس ، ولكن اذا ما ضاعف
 الانسان هذه القوة بضمه ففكره الى فكره وعاطفة
 الى عاطفته قاله ليبلغ السعادة المظلمى وفيها يتناهى
 ما وهب الله للناس في هذه الحياة ، لذلك كانت
 المحبة أفضل من العبقرية

تلك هي المحبة قتل لي الآن اذا كانت هذه
 العاطفة العليا هي ما نسميه محبة في قلوب نساءنا
 وكيف يكون جهن جباراً وما المحبة في نظرهن
 إلا الخروج مقتنعات من بيوتهن وتوجيه الرسائل
 السرية والسير بذعر على رؤوس الأقدام وإنشاء
 الدسائس وبذل التهمك ورشقى اللحاظ الفواتر
 وارسال تهديدات المغازى وارتياء الأثواب النفيسة
 وخلق هذه الأثواب أخيراً وراء الأفق لاذلال



هوميروس



الأوديسسة لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في أسيرطة العشاق يتآمرون

مقدمة ما تقدم

وهادها وأعجب، وانطلق تلياك وصاحبه من قورها
إلى باب مفالابوس الملك حيث وجدا، لحسن
الطالع، وجوها مسفرة، وجواهر مستبشرة،
وموسيقى تصدح؛ ومنشدون يرددون أناشيدهم
ويرسلون أغانيهم، ووليمة ملكية حافلة اجتمع
لها الملك وأبنائه وخلصاؤه وندماء، يأكلون
ويشربون ويسمرون ويتطربون... ماذا؟ لقد
اجتمع القوم من كل حدب، وأقبلوا من كل
سوب، يحفلون بابي الملك: ابنة الذي زوجته
أبوه من أجل غادات أسيرطة وأكثرهن وسامة
وقسامة وقتنة، ابنة ألكثور العظيم، ثم بابنته -
الفتان اللعوب الطروب التي رزقها على كبر من
هيلين، والتي نافست ببجالتها ودلها هوميرون ابنة
فينوس

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لهما إتيون،
كبير أمراء الملك، فانطلق إلى مولاه وحدته
عنهما... «إن لها لهابة وإن عليهما لرواء، فهل

سقطت طروادة وعاد كل المحاربين من اليونان
إلا أوديسيوس فطعم أمراء الأقاليم الجاورة في زوجته
الجليلة بلوب وحاصروا بيتها، وأحزن ذلك إلهة
الحكمة مينرغا - أو باللا أфина - غرمت ابنة
تلياك على أن يقف في وجه العشاق، وأن يبحر إلى
يلوس لیسأل أميرها لسطور عن أبيه وأبحرت هي
معه في صورة أمير البحر منتور وهو لا يدري أنه
هي... وأكرم لسطور وفاة تلياك وقص عليه
ما كان بعد سقوط طروادة وأرسله معززا مكرما إلى
أسيرطة بعد أن أيقن أنت منتور أمير البحر الذي
يصحب تلياك إن هو، إلا مينرغا. وقد ذهب تلياك مع
أكبر أبناء لسطور إلى أسيرطة لیسأل ملكها
مفالابوس - زوج هيلين التي كانت سببا في حرب
طروادة - عن أبيه»

وصل الركب إلى أسيرطة بعد أن غور في

إلا عن قصر سيد الأولب في شعاف جبل إيدا ١١
أية ثروة وأى كنز ؟

وسمعه منالايوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقدر أحدا منا - نحن بنى الوتى -

الى سيد الأولب ! وأنت على حق حين ترى أن لأحد
ملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سحت
في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدرر
الغوالي من كل فج ... من كريت وقبرس وفيثيفية
ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا
ولوبيه ... وروؤوس والشاء والوعل هذه ... الوعل
الوحشى السأم ... والشاء التى عمدنا بخيرها بنير
حساب ... لقد طوفت في الآفاق وتركزت في كل
منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم أكابؤكم بذكر
منالايوس الملك الذى دك المعازل وهدم القصور ...
ما أنس لا أنس هذا القصر العتيد الذى جمات
عاليه ساقله بما فيه من أذخار وقضى ، وددت لو كان
في قصرى شئ منها ، وود الأعريق لو حصلوا في
بلادهم جميعاً على بعضها ! هناك ! هناك تحت أسوار
طروادة يا صاح ! يا ويح نفسى ! يا رجنتا للأصدقاء
الأخياء الأعزاء الذين ناموا نومة ! ! ! لشد ما أسلى
النفس منهم بالتأسي ! لشد ما يتدلج الأسمى في قلمي
عليهم جميعاً ، ولا سيما صغي وخليلي وأعر أودائى
على ... أوديسيوس !! أوديسيوس الكريم ! ليت
شغرى يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك
الأمم ؟ أى ترزق ؟ أم توبت في بطحاء بلقيس ؟
يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ، وزوجك المتاعه ،
وابنك المحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرت في
المهد ما بلغ الفطام ، الى حومة الوعى وحلبسة
الحمام ... »

يأذن لها مولاي أم بأمر فتزدحما من حيث أقبلتا ؟
وأوماً لملك برأسه الكبير الذى يزيد في وقاره
وحسن سمته شمرة الذهبى ، وأمر إيتون أن يذهب
اليهما ، يسير بين أيديهما إليه إذ كيف يرد
عن طمأى النرباء ، وقد طعمنا طوبالاً زاد الفرباء
ودعا إليه إيتون طائفة من الخدم . وذهب الى
الوافدين الكرميين فحياهم وسلم ، وحل الأتجم وأنأخ
اليهم ، ومضى بهما الى داخل القصر من طريق
يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى
ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى نالأت
في الأنوار الوضاء والسرُج الوهاجة ... ثم لقيتهما
فنيات من عذارى القصر فقدنهما الى الحمامات
المرمية الباذخة فاقتمسلا وتضمخا ولبسا ثياباً
ملسكة ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهن الملك لها وبش ، وأجلسهما الى جانبه
على مقعدين وثيرين ، وهما فى دهش من ذاك المنظر
المعجب . وأقبلت فتاة فصبت على أيديهما الماء ،
وذهبت فأحضرت مائدة رائمة منسقة ، عليها قدر
غير قليل من أنغر الأشراب وأشهى الآكال ،
ووقف خادم آخر يقدم طبقاً بعد طبق ، وكأشاً
من ذهب بعد كاش من ذهب ، والملك فيما بين ذلك
يبالغ في إناسه لها والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى
يفرغتا من طعامهما فيخبرانه عن أمرهما ، وكان يتلطف
فيقدم لها قطعاً من شوائه بيده .
وسار تليماك صاحبه فقال :

« بيزستراتوس يا صديقى ! ما أجل وما أنغم
وما أروع ؟ ! هذا الحفل الباهر يتألق في الذهب
والفضة والماج والكهرمان ودرع النحاس !
أبداً ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن

روحه ، في ثيابه من الهم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقاً أيها الملك إنه هو ! ولكنه خجول حبي ،

ولقد أوشك حيّاه أن ينمته من لقائك ، وقد هاج

تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فاني ابن

نسطور صديقك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب

تليباخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه

الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيان قد

ذهب . . . وهاك ابنه المكلوب يجتر أشجانه ،

ونطحن فؤاده أحزانه . »

وشدّه البطل - ذو الشعر الكهرماني -

فقال :

« يا للآلهة ! أهكذا أفاجا بلقاء ولدي ! أنت ؟

أنت ابن أوديسيوس الذي شق طويلاً بسبي ،

وبذل نفسه من أجل ، وما يزال يناضل الزيلات من

جرائي ؟ كرامة وحسباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت

أنك تسمى للقائي لشدت لك مدينة في أرجوس تنبه

على المدائن وترهي على القرى ! ورفعت لك عماد

قصر متيف طالما كنت أخاه يؤويننا جميعاً فنسعد

سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ومن بعد . . . ولتذ ،

أنا وأبوك وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات

الماضي المترع . . . آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت

الأحلام وذابت الأمان ، وقست عليك السماء . . .

فحرمتك كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض

الوطن ! »

وأثارت كلات الملك شجون القوم ، فبكى

تليباخوس ، وأدركت الملكة ، وابجس الدمع من

عيني بيزستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته

قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حبيبك أيها

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا المتاف

باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استخرط في

البكاء ، وطلق يذري شتونه في طرف ثوبه . . .

بين دهشة منالايوس وحيرة ، وذ هول الحاضرين .

وانمقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى

أقبلت هيلين فجأة ، فثلقت القوم بنظرون إلى هذا

الرشا الذي ينتهي مياساً في ظلال من الفتنة كأنه

دياناربة القوس الذهبية . . .

واستوت على عرشها التضد ، الذي أصلحته

يدا أدوستا وعناية أكليب ، ثم أحضرت الطرف

والهدايا واللى . . . فهذه سلة من الفضة المزخرفة

بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب أمير

طبية ، عروس المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يذر

من النصار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان

من الابرز . . . يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه

البارعة الرائسة الحيفاء . . . ونظرت هيلين إلى

الضيقتين الغريبتين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تحبرني من

هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس . . .

الصغير تليباخوس . . . الذي تركه أبوه صبيّاً في الهد

من جراء حرب إليوم المشنومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار

بمخيلتي ما دار بمخيلتك من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه

الساقين والساعدين وتفتت العنيتين واسترسال

العتين ^(١) . . . ما كان لأوديسيوس ! ؟ لقد ذكرت

ما قامى صاحبي من أجل وفي سبيل تحت أسوار

إليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكي ويبكي ويبالغ

في البكاء ، ثم يقبله حزنه فيخفي وجهه ، وفيه

(٢) آلة الشعر الذي يجاوز شعرة الأذن

لقد أزرى بي أن أفر راغمة فأهجر فراثنى الظهور
وظلقت اليافعة إلى بلاد قاصية لاناثة لي فيها ولا
جل ... »

وأعذرهما الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :
« أبدا ما رأيت أثبت جاشا ولا أربط قلبا »
من أوديسيوس ؟ وإن أنس لا أنس يوم الروح
الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر
هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان الموهلة الذي قهر
لنا طروادة في يوم أو بعض يوم ، وقد عيننا بها
السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس^(١)
الصناديد ، وكثت أنا — سقى الله الشباب —
واحد منهم ، فما أنسى قط حين اقتبست في
عصبة ذوى أيد من مذابيد الطرواديين (إذ هتف
بهم هاتف إن الحصان يعمل لهم شرأ ويطوى
لقرتهم تمورا) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان
اليونانيين واحدا بعد واحد لئلا ترى هل اختبأ منا
بداخله أحد كما تنبأ بذلك التنبؤون . والله لقد
كنت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ، والله
لقد أوشك زسيلي ديوميديد رد عليك هو الآخر ،
لولا أن فطن أوديسيوس خذفنا وحبس ألسنتنا
الشقاقة التي كادت تورطنا موارد الهلاك ، لو أن
أحدنا خدع فنبس بينت شفة ... واحسرا !!!
لقد صمتنا جميعا ولسكنك عاودت ، فما كنت
تهتفين باسم أنتيكلوس ، حتى أوشك المجنون أن
يلبي ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكثنا يده ،
حتى لسكاد يزق روحه !!! ولم يبعفه حتى أيقنا
أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم التكررون »
ثم كان المزيج الأخير من الليل ، فتلطّف

الملك : لقد تذكرنا ، وأنا وصاحبي ، جلائل أعمالك
فمرتنا فيك الملك الأجل ، والقدام البطل ، ولكن
ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد قالت يد الردى أخى وابن
أى وأبى في سيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس !
البطل الفوار والفارس الكرار الذى لم تكتحل
عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أودودا القادر ، شلت
يداك بما فتكت بأخى ... »

وتعطف الملك قطيب ابن نسطور بكلمات
عاليات ، وأمر الندمان فصب الماء على أيديهم جميعا
ثم أخذوا في آكالمهم ، وصبت هيلين قطرات من
طيب مذهب للأحزان في كأس تلياك ، وكأس
صاحبه ، لا يعرف من بذوقها إلى الأسى من سبيل .
وحى قطرات عجيبة أهدتها الملكة ، زوجة (ذون)
الأميرة المصرية بولندامنا ، وكمن من مصر من سحر
مبين !

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كانت من
أوديسيوس يوم التقى الجمعان عند اليوم ، وكيف
استطاع أن يتسلل مستخفيا في ثياب شحاذ إلى
داخل المدينة الممتدة ، وكيف قابها في حجرة
باريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من
رجائه إياها ألا تنفضه عند أعدها حتى يمودسألما
إلى معسكره وغيمه ، وأنها برّت فلم تنج . أحدا
بوجوده .. ثم رأت أن تنصل من فضيحة فرارها
مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغمها
لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (ما
وعدت به باريس من أنها ستهبه أجل فادات
هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة^(١)) . « واخجلتاه !

(١) الأياذة — قضى باريس بالتفاحة لفينوس وكرم
منها منيرفا وحيا وذلك سبب عدايتها للطرواديين

(١) اسم يونان القديمة

ينافس بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء... من أجل زوجه ١١ يا للمار ! إنهم استباحوا كل شيء... كل نفسه وكل شأنه ، ولم يمتوا آخر الأمر عن عرضه . انى أستجيرك يا مولاي وأصرع اليك أن تخبرني عما تعلم من أسرائى ؟ هل قضى تحت أسوار اليوم ؟ أم غائبه يد اللزوم في ركن آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وأثر أصدقاك ، وأغز أودائك عليك ، فيكل آلاء ذلك عندك أستحلفك أن تصدقنى ... ماذا تعرف من أخباره ، وما ذا عسيت سمعت من أنبائه ؟

وتنفّس الملك تنفّسه عميقة وقال :

« يا أرباب الأولمب ! أبلغت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا ياءوا بما صنعوا ، ألا ما أشبههم بهذه الوعة التي أجاءها الخاض قولت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفاراها (١) ! حنانيك يا آلهة ! زيوس ! ميرتزا ! أبوللو (٢) ! أين هو فيعطش الجبابرة كما بطش بفيولميليده العسقى من قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعتهم وأزفت آزفتهم ... فطلب نفساً يا بنى ! إلى منيبك بما علمته عن أبيك من (بروتوس) راعى الأحمق ، وكاهن الأغوار ضلت بنا الفلك بما نسبنا من التضحية باسم الآلهة ، قبلنا شيطان مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نروى من كوتر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ،

تلباخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى وصيفاتها فأمرهن الى مخادع الأضياف ، فأصاحن فرشها ، وأعدن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره يزاستراتوس وتلباخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن كل في سريرته ، وناما ... في ... سمور وفي قائم وفي سنجاب

وتهاويل غير ذلك من الر قم ومن ستدس ومن زرياب (٣) ونهض الملك والملكة كذلك فدخلوا القصر ، واستسلما لأطيب الرقاد

وذكر قرن أودورا ، ربة الفجر ، في المشرق الوردى ، فقب الملك وأصلح شأنه ، ورف بإزته الأثنيب فوقف على غاربه ، ثم مضى الى مجلسه حيث اتى تلباك في انتظاره ، فغيباً وجلس وبدأ حديثه فقال :

« أى بنى ! تلباخوس ! أبها البطل وسليل البطل ! فم شددت رحلك الى هنا ؟ الى رحاب ليسديمون (٤) في فلات البر وسروات البحر ؟ الأمر عام ، أم لشان يحصك ويتملق بشخصك ؟ وأجاب تلباك : « مولاي الملك ! منالابوس العظيم ! لقد جئت أحسن خيراً عن أبى وأقبات أحدث عن أعدائه الذين آووا الى بيته فإيريمون يستترفون غلته ، ويهلكون حرثه ، ثم هم مع ذلك

(١) الشعر لابن الروي لم نجد أحسن منه في ترجمة أبياتهم
(٢) من أسماء اسيرطه
(٣) من أسماء اسيرطه

(١) جمع غفر وهو ولد الوعل
(٢) كان أبوللو من خصوم اليونانيين في حرب طروادة ولما يدهشنا هذا الدماء

تنتفله فتقبض عليه. وتشد وثاقه ، فانه يقفك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذي ينتهى بك سالماً غائماً الى بلادك . بل ربما — إذا طلبت إليه ذلك — وقفك على كل ما حصل في بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك صفي السماء وجيب الآلهة .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أبدي بنى الموت أن تقبض على هذا الآلهة البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها أنه ربما ولى ديرة إذا شعر من هذه المحاولة فلا أستطيع لقاء بعدها أبداً . بيد أنها طمأننى ؛ وذكرت أن أبها يخرج من الأعماق فى الظهيرة إلى جون قرب حيث يستاق برهة وسط قطمان كثيفة من عجول البحر ، من ذرارى هاليسودا الجميلة ، تاتى هى الأخرى فى أثره لتنام ثمة . . . « فإذا كانت هذه الساعة فانى سأفودك بنفسى إلى

هناك ، وليكن ممك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرم قوة ، وسأدلكم على منعرج آمن تنقظون به حتى يكون قد غلبه الكرى ، ثم تنقضون عليه فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهيك بشيء . أبدأ ؛ إنه سيكون ثمة شيلارايا ، وتارة سيكون نارا ترى بشرى كالقصر كأنه جبال صخر ، وأخرى يكون أفوانا هائلان ينثف الدم . . . ولكن خذوه أخذاً شديداً ولا تقتلوه قتل كوا . . .

فانه إن آتس فيكم قوة عادت تنفض إلى صورته الأولى التى رأيتموه عليها ، ثم تره بعد ذلك أسلس قياده ، وهذا وتطامن . . . فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، فدعوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسأله ما شئتم ، فانه يجيبكم عما تسألون . »

(يتبع)

دسنى هسبر

ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يره عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا أنه العاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كنت أجلس وحدى فى منعرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صبي وأكثر الملاحون يرتادون الماء بشصوصهم^(١) عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاءً لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت حتى كانت تلقانى ، ثم جلست بجانبى ، وحدثنى فقالت : « أبها النازح الغريب ! أكبر الظن أنك مذهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لمست بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مضياً ، ولا تلتمس مغرجاً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أبال أنى شدهت ، فسألتها قائلاً : حسبك ياربة ! إلى ما لمست بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقت فيها بمعرضانى ، بل كانت ذلك قدراً على مقدوراً ؛ ولكن خبّرى بمحك إذ الآلهة تلم كل شيء — من من أرباب السماء مجسسى هنا ؟ . . . وهل مقدورلى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ . . . »

وقالت عروس الماء : « أبها النازح الغريب ! سأبديك فأسدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد الأعماق ، ورب الياء المصرية ، والمتصل برطيا نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطلت أن

(١) الفص حديثة عفاء يصاد بها السمك (السارة)

بلى ! ليس الجمال في
المكاتب ، إنما الجمال في
ظل القدم ، في الظل
اليوناني ، وفي الأم التي
يكنن إيقاعها وأوزانها
تحت الأرض ، حيث
تؤلف كل اثنتي عشرة
خطوة في الليل بيتكاً من
الشعر

سيرة الجمل الهولك

مشرحة شعرية في أربعة فصول

لشاعر الفرنسي مورييس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

الفصل الثاني

« قصر باريس لإيجلاو في الجزيرة على ضفاف النيل ،
العصر خال من كل شيء ، لا مكتبة ولا كتاب ، هناك
أزهار في أبنيتها ، تماثيل صغيرة في إحدى الزوايا ،
وفي الأعماق شرفة تطل على الصحراء كالنمط تطل على
بستان من الرمال الذهبية للتوهجة . والرمز شفق ! »

المشهد الأول

باريس (على مقعد ممدود) وسانتيا شقيقة إزاءه
سانتيا - الجو جميل والفصل بهي ...

باريس - المحي هذه السمات البيض البعيدة
سانتيا - هذه خميس كما تعلم وينابيعها التي
تجري كأنها تجري من الأحلام
(يرى فريوات حلات جرارهن)

باريس - روما ! إن تماثيلك لا تبلغ مثل هذه
الروعة ! أراهن - وهن عشرين - كأن الحياة تكاد
تدب فيهن . سانتيا ! ليس الجمال في أطواء الكتب .
لا تمثل الكتب شيئاً ! إنها ليست إلا لحداً !

سانتيا - أو بعض شيء تدي يرشف !

سـر باريس - (يرى النسوة كأنها يؤلفن صفاً من
الجمال لا يفصل عن الميون) أليس هذا جيلاً حقاً ؟

سانتيا - إننا غادروا من أجلك الحدائق
المؤرجة بالياسمين كالأزهار الندية ، وقد هجرت
الكتابة يا باريس ! فلماذا لم تعد تكتب شيئاً ؟
(يشير باريس بيده)

لاحق لك في السمات ! إنني أسمع مكتبة إلهاماتك ،
التي تتحرى عن كلماتك . أنت لا تستطيع أن تبقى
هذا المتدليب صامتاً . ألا تود أن تكتب شيئاً ؟
باريس - أبداً !

سانتيا - وهذه الأبيات ، وهذه الأغاني
الحادة المشوشة التي تنتهد في نفسك ؟

باريس - سأصرفها على ! بل سأطردها
كأنها أظفار متشرد ! على أني في بعض خطراتي
لا أكتفك أنني أضعها صارخة شاكية راجية أن
تبقى وأن تحيا . يرجوني تهدي قائلاً : ضمني في

كتابك ، وإلى الفتى يهتف في : « خلدي » ، وخفوق -
قلبي بصيبح : « دعني أبقى » . مع أن كآبات مساء
شاكية ، لأنها أشاعت أجنحتها ، وتود أن تبقى خالدة
سانتيا - إنها لجريمة ! ...

باريس - ذلك حسن ! على أني في الحقيقة
أعبد وأقدر هذه الآثار الرائعة العجيبة التي لم أقم بها
سانتيا - أتبكي ؟

كسرت قيثارتى وأصبحت لا آسف على شيء .
أقول لك : ما يهمنى كل ذلك ؟ وهل الشجرة التى
عاققت يونيو تفكر فى ما تناثر من أوراقها فى
الخريف ؟ إننى أحب هذه العزلة التى أحيا فيها الآن !
قد بلغنا الجزيرة ألياً كعرباء راحلين ؟ أنت
ومارسيلوس وأنا ، لم نجد من ينقل متاعنا إلا هذا
الفقير المصرى ؟ وكانت لكل هذه الميول الممدودة
هيئة عنيك . لا تحف ولا جلبة ، ولا قيثان
ولا مصورون ! كل هؤلاء لم يشقوا سبيلاً إلى
الصحراء ولم يجدوا مفعلاً إليها ؟ فهذه النخلة
المهمة لا ترمى أشمارى ، وأبو الهول الجبار يسخر
— فى أحراق الليالى المصرية — من هؤلاء المفسرين
أحاجى الحياة ، الجاهلين أحبيته العجيبة ولغزه
الغريب ، وإنى لأراهم مفتوناً بهذه الظلمات الجديدة ،
وبهذه الغبطة التى لا تجعل منى رجلاً مشهوراً . . .
ما عسانى أقول ؟ إن اسمى — هنا — شيء
مجهول ، ولا شيء من كل الجلبة التى قامت حوله
بلغ هذا المكان . كذلك الزهو الإنسانى يتلاشى
ويشمر بصمائه وحقارته على أقدام الأهرام . لا أحد
يعلم اسمى ، ولا أحد يبي كلمة من كل ما صنعت

(يفتح الباب وتدخل فتاة مصرية وتخل أماتها
كأنها رضى خى من رموز المدينة)
الفتاة — الشاعر إيجلانو !

المشهد الثانى

الفتاة — (بتردد) :

الشاعر إيجلانو

سانتيا — ولكن . . .

الفتاة — هذا هو يا سيدنى

باريس — إنك واهمة

الفتاة — ولكنى جزت المدينة بمحاجى الملعب

لأحظى برؤيته ، والبيت الصغير الذى محرسه نخلة

باريس — ماذا تريد منى ؟ بل ؟ . . .
أذرف الدمع تهناً بلا انقطاع ! لقد كنت قبل
أعبر فى قصائدى الأولى عن فتوى ، ولقد كان
صراخى الزئاف فى الليل مشرقاً ، أما اليوم
— يا سانتيا النعسة — ما عسانى أصنع فى شعرى ؟
وأغنى — المدهشة قد فقدت رقعتها وأصبح أجعلها
ما طفع بالدموع

سانتيا — إذا شدا المندليب فى شدة رنة البكاء
باريس — فى الآلام الكبيرة لا يستطاع النقاء !
سانتيا — ألا تجد نفسك — خلال سكيتها —
أسفة على سماء إيطاليا وعلى ذلك السماء العالى الذى
نثرت فيه روائيك على الشهب المائج
باريس — لا آسف على شيء

سانتيا — ولا على القطعة الموزقة : ذلك الأثر
الذى لم يعد يجدى شيئاً . قطعه الموزقة صنعت
المدينة جماء ، ولم يبق منه إلا نسخة واحدة . إننى
فكرت فيه وفكرت فى تلك الزق المتناثرة فى
الليل . هذا فؤادك يا باريس ! فؤادك الكتيب
الزاهق مرقته فى كل ورقة تطير ! ألا تأسف على
ذلك اليوم المفلوط ؟

باريس — لا ! وصنعت فى ذلك اليوم ما أصنعه
دائماً ، لأننى ما كتبت لحظة إلا طارحاً فؤادى
على الناس . إننى غير آسف على شيء

سانتيا — ولكن ألا تأسف على ذلك الكيان الملعب الذى
إزايلاً ؟ ألا تأسف على ذلك الكيان الملعب الذى
بنظرة واحدة منه عرف أن يصنعك ! إنها يا باريس
كانت آلهة فنك ؟ فهل تستطيع أن تفر من
صوتها ومن نظرتها كل دهر ؟ وهل نسيت أنك
أصبحت تصنع أجل أشمارك لتشدو بها ؟

باريس — تلك كانت القيثارة التى يفتش عنها
فؤادى ، واليوم أصبحت غير محتاج إليها . لقد

لأنك ضرقها ، أنت باريس إيجلانو الذى أعبدته
باريس — أحلى قلبك فاقى أحطمه
الفتاة — ولكنى رأيتك

باريس — شاعر كبير بالقرب منك ؛ هذا هو
أنا ! فلتوقن نفسك الطامعة ؛ هذا ما كنت تمنينه
الفتاة — إذا كانت نفسك تريد فى كل آن
الهزء والسخرية ، فلا تفسد تلك الصورة التى
أحفظها لك ، فمكلم ما أنا مدينة لك به من بهاء نور ،
وقم عالية ، وكل ما أودعته فى صدرى من أحلام ،
ومثل أعلى ، وعظمة وجلال

باريس — أ كاذب وأضاليل !

الفتاة — المثل الأعلى !

باريس — إن هو الا فتاع عتيق ضروق !
الفتاة — لقد كان غذاؤك لى خيراً من
الشهد والخبز

باريس — أسكتى ! لقد كنت كاذبا
الفتاة — واسكت أنت ، وليكن الآن
ما كان مجنوح ذوقك إلى الأمرار ، فانت رفعت
قلوبنا بأنيثك وبكاثك

باريس — إنه لحد فارغ ؛ بل ليته كان لحداً !
إنه ليس بلحد ، وهل العندليب الذى يبت شجواه
على الأغصان ينادى موسيقياً لينقل دموعه ، وذلك
الشقاء الأليم — بعد أن يبلغ القمة — ألا يسكت
إلى الأبد ؟ لا ؛ اننا لم نقل شيئاً عن حظنا المشوم ،
ومن هذه المسائدة الدامية لم يبق لك إلا البقايا

الفتاة — اننى سأقتع بهذا اللحد الفارغ ...
ولكن ماذا ! ان باريس إيجلانو حى برزق ؛ فإ
يعنى الليل والسكون الكسدى ؛ أنه حى ؛ أنه فى

صدر الحياة ، لن تكون الأرض خالية فارغة
(وتخرج وهو يتكلم على الطاولة كأنه مجنوب
يفكر سري ، يفتح درجاً وينظر فى صورة ثم يضعها
أمامه ، ويتكلم ... وتخرج سائناً)

سوداء اجتذبتى كأنه معبد فى الطبيعة ، لأن لنا
قلوباً إن لم يكن لنا وجوه
باريس — خطأ !

الفتاة — نحن اللواتى نظل وراء أقنعة السكابة
حتى فى النهار باتى إلينا « الغرب » مع نسائم البحر
باريس — ولكنه لا يحيا هنا
الفتاة — تخطر صورته بين جوانحي دائماً ،
صورته المحبوبة ، صورة هذا الذى يبكى عليه أشد
بكاء . بلى ! أهواه ؛ وكل قصيدة من قصائده اللطيفة
تقدر أن تعبر عن نفسى بلهجة أوضح من لهجتي .
إننى أنطق مع أبنائه ، وأحس مع ذكرياته ، وأنالم
لهفاته ، وأحب مع تهاداته

باريس — ولكنه مات

الفتاة — (بلهفة) مات ! يا إلهي ! ليس ذلك
ممكناً

باريس — مات ؛ ولى الفخر بمرفته ؛ لقد
كان لى صديقاً

الفتاة — مات ...

باريس — أنت تبتكين ...
الفتاة — أحس أن الوجود كله أمسى محدوداً
باريس — (مخططة الصورة من بين يديها)
وهذه الصورة ...

الفتاة — أصونها وأقدسها منذ عامين
باريس — أنظري ما أنا صانع بها
(يمزجها) والآن فابكى أيضاً !

الفتاة — لآسى ...
باريس — أبكى الآن على شيء ؛ أبكى على
صورة ...

الفتاة — (مصممة بصرها قليلا فى وجه باريس)
هذا هو أنت ؟ فهمت الآن ، لا أحد يقدر على
أن يأتى بهذا التجديف الشيطاني ... أنت إيجلانو

أنت الذى شهدت صرعة الآلهة وشعبت مع

القيوم

هذه غيوم !

الأبدية هى البساط الذى تسحب عليه غائبك ،

وغذاؤك — حين تطالب الغذاء — أعلامنا »

(يتم الكتابة ، فيدخل مارسيلوس شاحب الوجه ، يذو من باريس وباريس مازال يكتب كالمجنون بهذا الوحى . ينظره مارسيلوس وغاة يطرح باريس ماكتبه على الأرض حيث يرى مارسيلوس)

المشهد الرابع

باريس — مارسيلوس !

مارسيلوس — ماذا توارى عني ؟

باريس — لا شيء

مارسيلوس — أشمراً ؟

باريس — (نظراً فى مكان بعيد حيث يبدو أبو الهول

كفارق فى الضباب الذهب)

ذاك من أجله ، لا من أجل هذا العالم القائم .

اليكها ! ها هى ذى مطروحة على الأرض !

مارسيلوس — أتعنهما عن أخيك أيضاً ؟

باريس — وما عسى يجدى ذلك ؟ إنك تدرى

الشعوب الذى تقنع به وجهانا !

مارسيلوس — ولكن ...

باريس — (يتناول منه كتاباً) :

فرجيل ، دائماً !

مارسيلوس — أتلوه باستمرار ، إننى أعود

دأماً إلى طريق النور حيث فتح « فرجيل »

أجفاني . يخيل إلى أنه ينادى : « أنت مارسيلوس »

والشفق الذهب منعمور بالسلام الهادئ ، يطفو

عليه صفاء وخشوع ، أعود دأماً إلى بيته العظيم

القاتل « ستفندو مثل مارسيلوس » فهل يا ترى

أحول يوماً ذلك الجوال الذى اختلسه الزمان من

المشهد الثالث

باريس — (منفرداً)

لا ... لا أستطيع

(قوة غريبة تدفعه الى الكتابة)

هذه هى المرة الأولى من بعد فصول فارغة

وشهور خالية . لماذا ، لماذا ، لماذا يا إلهي ؟

هذا الموكب القديم ؟ البكيات ؟ وأية كلات مجدى

نفساً ؟

نفيتك عنى عشرين مرة أيها النعمة المساة

من عالم الآلهة ، لا أريد هبتك على ، ولا أريد أن

اميل إليك . فى هذا المكان المنعزل لأحد يشير

إلى أنك تزدلين على الأرض

لا كتاب عندى لا شيء ... الهواء ...

الفضاء ... الريح ! ومارسيلوس وحده يتلو

« فرجيل » حلاً . ولا يدل هذا البيت على أنه

بيت شاعر ، وإنما يدل على واحدة نفس قلقة ،

التهمها قلقها

بلى ! هذا هو العنوان الوحيد الذى خلدها فى

الوجود ، وهذه صناعتى الوحيدة ، إننى قلق ...

فلماذا لا تزلين تعودين نفسى وتهيجينى أيها الآلهة

التي أكره زيارتها فى كل أسبابى ؟ ولماذا توسوسين

لنفسى بأبيات جديدة ؟ لا أود أن أكتب شيئاً ؟

أفهمت ؟ إن فكرتى الجميمة تذهب إلى أبعد من

عالم البكيات ، وأنا غادرت كل عالم التعبير والألفاظ

(يكتب باهلاً غير منظور)

« يا أباهول الأعظم ، يا وثن العدم !

الذى تدعوفى إليك بعيداً عن العالم !

الصحراء هى أوقيا توسك ، والكواكب هى

أحدافك !

يبدو لى كأنك علامة ساطعة !

خلال أحماق الأعصار والأحمار

كارسيلوس « وإن حظك كله يتحمل في ذلك القدر
(يتعمد قليلا وباريس يهز كتفيه باسماء يعود
مارسيلوس على أثره)

مارسيلوس - نسيت أن أتيتك شيئا عظيما .
على قيد خطوتين مني في الطريق أتعلم أني لمحت
« إزايلا موني ؟ »

باريس - (بدعشة)

إزايلا موني ...

مارسيلوس - هي ذاتها

باريس - إلهي !

مارسيلوس - لم تكن وحيدة ، كان يتبعها
أرجنتي وجدها هيلين

باريس - إن هذا الجنون : لا أستطيع أن
أراها ... لا ! لا أستطيع ... إن الشاعر قد انتحرف
نفسه ، وإنني أطرد كل ما يحدثني الماضي عنه باسأله عذب
إزايلا ... إنه اسم غدا بعيدا عني ... إنها
هي التي فرت منها فراري من القدر

(يفرح باب الحديقة)

مارسيلوس - آه هم أنفهم

باريس - لالا ! لماذا ضمقت ؟ إن قلبي يزود
عني إزاء الفن الى الأبد ... لتدخل ...

(مارسيلوس ينطلق ليفتح الباب ويقف لحظة جامدا)

نعم ! لتدخل ! لقد كنت أخاف قليلا ، والآن
يتراءى لي كل شيء . إزاء أبي الهول بخار متلاشيا .
إذهب الى لقائهما ، ولتأت وتعلم أن كل شيء .
- حيث يقيم أبو الهول - سحاب غابر ! إنها
أصبحت - عندي - لا شيء .

إزايلا - (صاخبة)

باريس !

(يتحد يناديهم تسقطان على فراخ)

هذا الذي كان يكتب لي قبلا

(يثب)

هنري هنري

مشقه ؟ وهل أموت قبل أن أستنفد فكري ؟
قبل أن أسوي من الحياة وقبل أن أجد « فرجيلا »
بحيائي في النهاية خالدا ؟

باريس - ولماذا تتكلم عن الموت ؟

مارسيلوس - أتعلم لماذا أحلم به ؟

إني إذا احتضرت قبلك على هذه الرمال المحرقة ،
وإذا قدر لي أن أكون السابق وأنت اللاحق ،
وإذا قدر أن يكون للأصغر أمر إرشادك إلى الطريق
في هذه الظلمات حيث يهزم آخر فشل ، إذا قدر
لك يا أخي البكر أن تعقب أنت قيس مشعل لتزول
في مثواك ، فأقسم لي بأنك تتناول القيثارة المهمل
المحطم قطعاً على الشاطئ بقلب شجاع . أقسم لي
بأنك تجعلني خالداً في شرك . إن جزع الموت
يخف على وقته إذا جتني خلاله وإذا قدت واضعاً
على لحدي إكليلاً من النار ... أقسم !

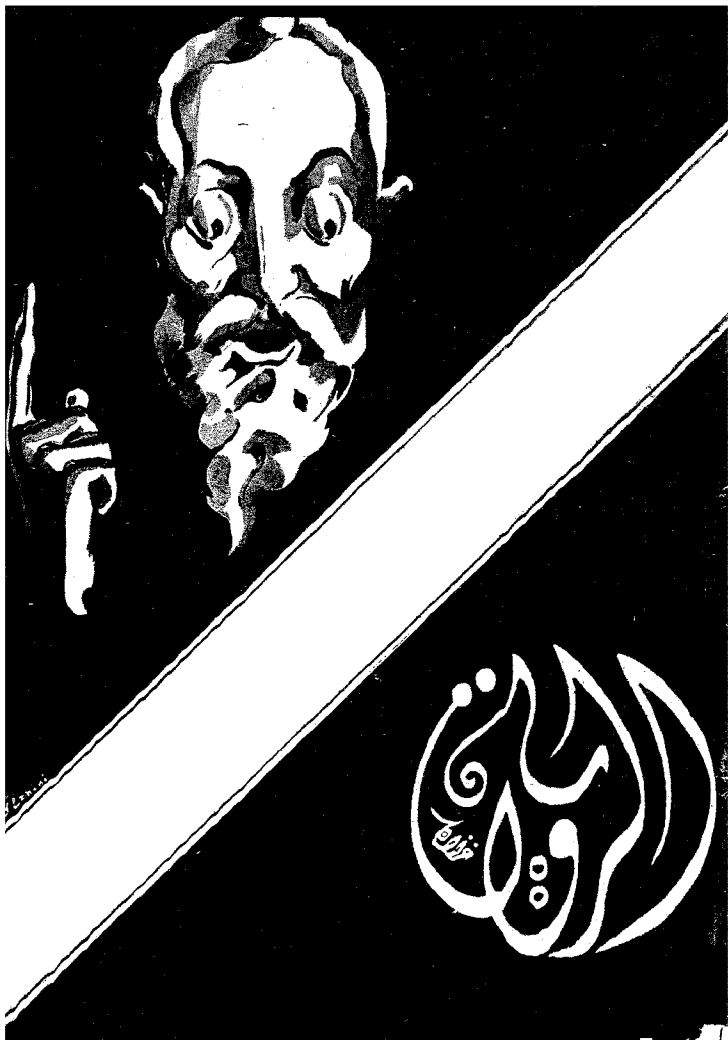
باريس - (بابتسامة)

إني مقسم لك ... ولكن لماذا يساورك هذا
الشك في نصيبنا ؟ إننا سنموت معاً في يوم لا زال
بعيدا ، نموت كهلين هادئين عارفين مرة الأكل
مارسيلوس - (منهدا)

إنني في ريب من ذلك ؟ إنني لا أجد طريقاً
أمام قدي الفتيين ... ويخيل إلي أن كل شيء منته
أو محدود ، ولكن هذا ليس له جمال غريب ؟
جماله بالآزى على هذه الأرض الصفراء التي طرحتها
عليها القدر ، لا ترى من كل شيء إلا شجراً ومعبداً ،
لا تتكلم ولا تتألم ولا تحب . ترى كل شيء بعيداً
دون أن تألفه أو تأنس به . غير متروحين الا ورة
القدي !

أخي ! ليس هذا القدر بقيق ، أقسم لك
على ذلك

بقول البيت الناقص : « ستفقدو أنت





العنقاء

صاحب المجلة ومديرها
رئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بمبلغ الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
المنية الخضراء — القاهرة
تليفون ٥٣٤٥٥ ، ٤٢٣٩٠

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

السنة الأولى

٤ صفر سنة ١٣٥٦ — ١٥ أبريل سنة ١٩٣٧

العدد السادس



فهرس العدد

٢٣٠	الحامي	لجى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات
٢٣٤	هتاف الهاوية	أفصوصة فرنسية	بقلم ف. ف.
٢٣٦	كيف كنت عمًا	أفصوصة مصرية	بقلم الأستاذ لإبراهيم عبد القادر المازني
٢٤١	مبارزة	لغولاً تيفوف	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي
٢٤٥	من القاتل	لأندره وارنود	بقلم الدكتور محمد الرفاعي
٢٥١	في سبيل الزوجة	لتوماس هاردى	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٢٥٧	يوميات نائب في الأرياف	مسور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٢٦٣	الساحر	لتشيرلوكوف	بقلم الأدب نظمي خليل
٢٧١	صيد السمك	للكاتبة الإنجليزية سرسفلد	بقلم الأدب حسن حبشي
٢٧٤	اعترافات في العصر	لأنفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٢٨٠	الأوديسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دريني خشبة
٢٨٥	سر أبي الهول	لموريس رستان	بقلم الأستاذ خليل هندأوى

الأمين ، يؤدي كل سخرة ، وبلي كل طلب ،
ويتنقل نفسه للنائب في كل ما جل وقيل من
غير كلفة ولا حرج .

ثم اتفق في إحدى المناقرات البرلمانية
أن صار هذا النائب وزيرا ، فلم تمض ستة
أشهر على ذلك حتى عين جان مارين مستشارا
في مجلس الدولة

أصاب الرجل أول ما أصابه فكة من الصواب
والكبر طاش بها ليه وغاب فيها صوابه ، فكان
يحب الشوارع ولذته أن يظهر
للناس ، كأنهم يستطيعون أن
يعرفوا النصب الذي صار إليه ،
بمعجرد أن تقع أبصارهم عليه .
وكان يتصيد المناسبات ويترصده
الفرص ليقول لصاحب الخانوت
وبائع الصحف وسائق المركبة :
أنا - ومنصبى مستشار

في مجلس الدولة - ...

ثم شعر بعد ذلك بالحاجة
اللحظة إلى أن يجمع غيره ، كأنما
اقتضاه ذلك الشعور كرامة
النصب ، وضرورة المهنة ،
وواجب القادر الكريم . فقدم
سندته وعونه إلى كل امرئ في
كل أمر ، وبسط عنائه في ذلك

حتى عفا على حاجة المحتاج وسؤال السائل . كان
إذالمح في الشارع وجهاً يعرفه داف إليه في لهفة
وهشاشة ؛ ثم تناول يديه وسأله عن صحته وسأله ،

الجنائمي

للجان مارين

بصلم احمد حسن الزيات

لم يكن جان مارين يقدر في حله ولا في وعه
أنه سيكون يوماً على هذه الثروة وفي هذه المنزلة
وهو ابن محضر من محضرى الأقاليم . أرسله أبوه
إلى الحى اللاتينى يدرس الحقوق
كما يدرسها كثير مثله ، فكان
رحلاً من أحلاس مشارب
البيرة يفضاها واحدا بعد
واحد ، حتى اتصلت أسبابه
بطائفة من الطلبة الرغائين الذين
يستفرغون أحداث السياسة
وهم يثماطون أكواب البيرة .
واشتد إعجابه بتخليطهم وولوعه
بمخلاطهم ، فطلبهم في كل
مجلس ، وتبهم إلى كل قهوة ،
حتى كانت يؤدي عنهم بمن
ما يشربون إذا كان في كبسه
فضل . ثم عالج الهامة فلم يفرز
في قضية من القضايا التي
دافع عنها



موياسان

وفي ذات صباح قرأ في إحدى الصحف أن
رفيقاً من رفاق الحى اللاتينى انتخب عضواً في
مجلس النواب ، فأصبح له النظر الملزم والكب

وقال له قبل أن يسمع الجواب عن سؤاله :

«تعرف أنني مستشار الدولة ، وستجدي إن شاء الله عند حاجتك» فمол على بياض في غير ضيق ولا محرج ؛ والمرء في مثل منصب طويل الباع عريض المقدرة ثم يحيل بكل من يقابله هذه المقابلة ، ويسأله هذه المسألة ، إلى القهوة القريبة ، فيطلب قلما ودواة وورقا من أوراق الرسائل « ورقة واحدة ، يا غلام ، فاني أريد أن أكتب كتاب توصية »

كان يكتب في اليوم الواحد من عشرة كتب إلى خمسين كتابا في التوصية ، فلم يدع قهوة في العاصمة إلا كتب فيها ، ولا موظفا في الحكومة إلا كتب إليه ، وكانت بذلك رخي الصدر موفور السعادة

ففي صباح يوم من الأيام كان في طريقه إلى مجلس الدولة فأمطرت السماء ، فراودته نفسه أن يركب مركبة ولكن لم يفعل ، وأثر أن يبلغ مكتبه على قدميه . ولكن الفيت انسكب مدرارا فشرقت به الطرق وغرقت فيه الأفاريز ، فاضطر السيد مارين أن يلوذ منه بأحد الأبواب ؛ وكان قد لجأ إليه قبله قسيس شاع للشيب في رأسه ولحيته . والسيد مارين كان يكره رجال الأكليروس ، فلما صار مستشارا أصبح يحبهم ، لأن أحد الكرادلة جاء في أدب واحترام فاستفتاه في مسألة عويصة كان الماطر لا يزال ينهمر غزيرا ، فدفع بالرجلين إلى مأوى البواب يتقيان به الببل ، وكان في طبع السيد مارين حازف يشبه الحسكة يفره دائما بالكلام ليرفع من شأنه ويدل على نفسه ، فقال :

— هذا يوم فظيخ يا سيدي القس

فأجبنى القسيس الشيخ وقال :

— نعم يا سيدي ، وهو أفضل على من يقدم إلى

باريس يقضي فيها بضمة أيام

— آه ! أنت من الأقاليم ؟

— نعم يا سيدي وما أنا في باريس غير طير ...

— لاجرم أن هذا الرابل المتهون يتقل على نفس العابر الذي يريد أن يقضي في العاصمة بضمة أيام ؛ أما نحن معشر الموظفين الذين لا يرحونها طول العام فلا نكاد نمأ به ولا نفكر فيه

لم يجب القسيس وإنما أخذ ينظر إلى الشارع وقد خف هطول المطر ، ثم شرع فجأة يشمر مسوحيه عن سائيه يريد أن يعبر الطريق كما يفعل النساء حين يردن عبور الجدول . فلما رآه السيد مارين يريد الانطلاق صاح به :

ستبل نفسك يا سيدي القس ، فتمهل قليلا فقد أوشكت السماء أن تغلق

فوقف الشيخ المتردد وهو يقول :

— أنا يا سيدي على حد عجلة ؛ وإن عندي موعدا لا سبيل عنه ولا وقت له

فتبين في وجه السيد مارين الكدر ، وقال للقسيس : إنك ستعبر الطريق لا محالة . ولكن ، هل أستطيع أن أسألك إلى أي الأحياء تريد أن تذهب ؟ فتردد المحوري ثم قال :

— إلى ذاهب إلى جهة (الباليه رويال)

— إذن أستطيع ، إذا سمحت يا سيدي ، أن أقبك البلب بطريقي ، فاني ذاهب إلى مجلس الدولة وأنا مستشار فيه

فرفع الشيخ القسيس إليه أنفه وجلى فيه بعصره ، ثم قال : قبأت يا سيدي ، وأشكرك جزيل الشكر حينئذ أخذ بذراعه ومشى يجره ويسبذه ويرشده وينصحه :

« خذ حذرك يا سيدي القس من هذا السيل .

فقال السيد مارين في اهتمام ولهفة :

— ولكمهم ياسيدي القس من صفوة أصدقائي
ومن خيرة زملائي . وكلهم ظريف الطبع عذب
الخلق . فاحمل على من أمرك ما تحب . وسأكتب
إلى ثلاثتهم كتب التوصية بك لا ألوهم فيها تأكيذاً
ولا شفاعة . فأقبل القسيس يشكر ويمتدرد ويتضرع
والسيد مارين يقول له في غبطة وزهو :

إن من حقاك أن تفخر بمثل هذا الحظ
الناهض ياسيدي القس ؛ وسترى أن قضيتك

بفضل ستسير من غير حائل ولا شغل

فلما بلغا دار المجلس صعد السيد مارين إلى
مكتبه وقدم إليه كرسي أمام المدفأة وجلس هو على
مكتبه وطفق يكتب :

« زميلي العزيز ... اسمح لي أن أوصيك خيراً أرجل
فاضل من رجال الدين ومن أوفرهم كرامة وأكثرهم
جدارة هو القسيس ... » ثم قطع الكتابة وسأل :

— اسمك من فضلك ؟

— القسيس سانتور

فعاد السيد مارين يكتب :

« القسيس سانتور ، وهو في حاجة إلى جميل
عطفاك ونيل عونك في مسألة صغيرة سيحدثك
عنها : أنا سعيد بهذه الفرصة التي سمحت لي بإزبلي
العزيز أن ... »

ثم ختم الكتاب بالتحية المروفة ...

ولما حرق ثلاثة الكتب وطواها ألقاها إلى
صنيعته ومحيطه فأخذها ومضى وهو يلهج بالثناء
ويهلث بالشكر

أتم السيد مارين عمله ، ثم انقلب إلى بيته ،
فقضى نهاره رخي البال ، ونام ليله قرر الحفن ، ثم
استيقظ صباحه منشراح الصدر ، فدعا بصحف

اتن على الأخص مجلات المركبات ؛ إنها ترشك
أحياناً من قدمك إلى رأسك . اجعل بالك لطريات
المارين فلا شيء أخطر على الدين من أطراف
حديدتها ؛ والنساء على الخصوص أشق على السائرين
في ذلك ، فانهن لا يحفظن شيء ولا يلتفتن إلى أحد ،
وقد يفرسن في حر وجهك أطراف مظلاتهن أو
مطراتهن . وهن عشيخ لا يبالين كأنهن يملكن
الدين ، فهن يحكن على الافرنج وفي الشارع .
وفي رأي أن تربيتهم مهمة أو مغفلة .

ثم جعل المستشار الناصح بضحك والخورى
الشيخ صامت لا يجيب ؛ إنما كان يسر معنى القامة
يتحدث في عنابة وحذر موضع خطوه حتى لا يلوث
نعله ولا ثوبه

استأنف السيد مارين الحديث قال :

إنك قدمت إلى باريس لتلوه فيها قليلا ولا
شك . فقال له القسيس في سذاجة :

كلا ، إنما قدمت في عمل

— آه ! وهل هو عمل مهم ؟ وهل لي أن أسألك
عن موضوعه ؟ إذا رأيت أنى أنفعك بتأفمة فاني
طوع أمرك

يذا على الخورى الارتباك ونم حاله عن القلق
فقال مغمما :

أوه ؟ إنها مسألة صغيرة شخصية ؛ هي مشكلة
تأفمة مع ... مع مطرائي ، إنها لا تمنيك ...
مسألة داخلية من ... من نوع اكايروسى
فبادر السيد مارين بقوله : ولكن مجلس
الدولة هو الذى يقضى في مثل هذه الأمور .
فاعتمد على في شأنك . فقال القسيس :

نعم ياسيدي وأنا ذاهب إلى هذا المجلس .
إنك طيب القلب جهم الرودة . إن مسألتى بين أيدي
السادة لوريير ، وسافون ، وبتيبا

الصباح فسكان أول ما وقع في يده صحيفة انقلابية (راديكالية) وكان أول ما قرأ فيها هذا الخبر :

« اكليروسنا وموظفونا »

لا نكاد سنثبات الاكليروس ننفسد على
الاحصاء : هذا قسيس يدعى سانتور قد ثبت عليه
بالدليل القاطع أنه انتمر بالحكومة القاعة ، وأنه
اقترف طائفة من المنكورات نصون القلم عن ذكرها ؛
وقد اتهم فضلاً عن ذلك بأنه يسوعى قديم تقص
توب قسيس نائى . ثم عزله مطراناً لأسباب
يؤكد الراون أنها مخزية . وقد استدعى إلى
باريس ليحاسب على هذا السلوك ، فاهتدى إلى
مدافع وارى الزناد حديد الفؤاد فى مستشار يدعى
مارن لم يتخرج فى أن يوصى بهذا الشرير الفاسق
جميع الموظفين الجمهوريين من زملائه . نسجل
هذا الخبر المريب ، ليرى معالى الوزير رأيه فى
موقف هذا المستشار الغريب . . . »

لم يكد السيد مارين يأتي على آخر هذا الخبر
الصاعق حتى وثب فارتدى ثيابه وذهب يمدوهم طمعا
إلى زميله (بتيبيا). فلما رآه التوميل صاح به :

— ويحك ! أبلغ بك الجنون أن توصي بهذا المؤتمر المجوز ؟

فأجابه ماريون وهو من الجزع لا يملك قلبه ولا يحمي لسانه :

— حاشا ! حاشا ! رويدك ! لقد خُذت !
تظاهر هذا الخبيث بالورع والنبل حتى خدعني ..
خدعني بنذالة ؟ فأرجو أن تحكم عليه بصرامة .
لأنأخذك به رافة ... أما أنا فأسأ كتب . قل لي
إلى من يبنى أن أكتب لأسأله أن يحكم عليه ؟
أنا ذاهب إلى النائب العمومي ... ثم إلى رئيس
الأساقفة .. نعم إلى رئيس الأساقفة ...

ثم جلس فجأة إلى مكتب السيد (بتينا) وأخذ يكتب :

مولای . انشرف بان ارفع الی عظمتکم
 ائی وقت خجیہ لہ سائس و اکاذیب نسجہا قسیمی
 یدعی سننور ثم فاجأ بها سلامۃ نبی . وما زال يدور
 من وراء خدیجی حتی حلفی علی أن اکتب
 ولما مضی الکتاب وغلفہ التفت الی زمیلہ
 وقال له :

أرأيت يا عزيزي ؟ عساك أن تتخذ مما حدث
 لي درساً وعبرة . إياك أن تكتب كتاب توصية
 بأحد ! أسمعتم ؟
 (الزينات)

الى كل كاتب عربي في مصر وفي غير مصر :

المباراة القصصية للرواية

تشجيعاً للقصاص العربي تفتتح (الرواية)
مباراتها السنوية فيه بهذه المباراة :

مباراة في الأقصوة

جائزتها خمسة عشر جنياً مصرياً
يوزعها المحكمون على الفائزين الأول والثاني

الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شريفة الموضوع
٢ - » » » » بلغة الأسلوب
٣ - » » » » نبيلة الفرض
٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من (الرواية)
٥ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى (الرواية)
عن آخر مايو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد

هتاف الهاوية

اقصوصة فرنسية

واهترت الصخور وفتحت الهاوية فأها ، فتساقطت الجنود فيها في أقل من لحظة ، وتراجع من بقي إلى الوراء وهم يسمعون صراخ رفاقهم يصعد من الهاوية بأنين يفت الأكباد . وساد السكون بمدرحة ، فرجعت الوديان صدى عويل الشجائن ، وقد تواروا عن الأبصار في ظلام هاوية لا قرار لها

وصرت الساعات وقد عاد كل من الفريقين إلى معسكره واهي القوي ، وقد خارت الزنائم أمام هذه السكارة ، وتضعف الرأي في إنقاذ نخايا الهاوية وعند الساعة الثامنة قبل الظهر دخل معسكر الفرنسيين رسول من قبل (ولنجتون) وطلب الثول أمام المارشال ناي ، وكان هذا منفرداً في مضربه غارقاً في لجج التفكير يقطع قلبه حزناً . فتقدم الرسول ووقف بين يديه وقدم إليه رسالة من مولاه ، فأخذها من يده وتلاها كأنه مستفيق من حلم عميق ثم نادى أحد القواد وقال له :

— أعد فرقتك لتسير معي إلى الجبل وما مضت دقائق معدودة حتى كانت الفرقة تتسلق الجبل بقيادة المارشال . فلما وصلوا إلى القمة رأوا ولنجتون في انتظارهم وحوله قواد جيشه ، وكلهم واجهون . فقال ولنجتون لنأي : -

— إنك مهم ولا ريب بأمر الشجائن الذين ابتلعهم هاوية الكوبا هذا الصباح . وأنت تعلم أن المداء يقف عند الكوارث ؛ فلنتعاون لمل بين رجالك ورجالي أحياء يمكن إنقاذهم من هذه المنة الشنماء وتقدم ناي إلى ولنجتون وصاحه قائلاً :

— كان علينا أن نفكر في هذا الأمر دون تأخير ، ولكن الاضطراب جمد دمي ، وهذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر بها برعشة الخوف وتقدم الجميع إلى فوهة الهاوية ، وكانت الشمس المحرقة تمكس أشعتها على الصخور البيضاء ، والهاوية

كانت الجيوش الانكليزية معسكرة على قمة جبل الكوبا متحصنة في مركز منيع ، لا تحسب للحملة الفرنسية حساباً ، وكانت هذه الحملة تدور بقاعدة الجبل ولا يعلم قوادها كيف يتدبرون الأمر ، حتى رأى القائد الأكبر (ناي) أن يجمع الجيوش وينظمها ليقذف بها الجبل النيع . ودوت الوديان بصوت النفير الملن الهجوم ، فاندفعت الكتائب تتسلق الصخور كأنها محمولة على أجنحة ترفعها رفعا في الهاوية

وما مضت ساعة حتى كانت عساكر ناي وعددها أربعة آلاف مقاتل يحدق بالانكليز على قمة الجبل ، فذعر الجيش الرابط لهذا الهجوم المفاجيء فأصلوا الهاجمين من يدافعهم ناراً حامية ودتهم لأول وهلة على أعقابهم ، فلم يعد يرى على تلك المرتفعات المماثلة النجوم إلا أشلاء تنطير في الجو ، ولم يعد يسمع إلا الأنين يخفقه إرعاد البارود بمقد بدخان الكثيف قبائبا تغمي العيون . وكان كلما أبدت المدافع صفاً من صفوف الفرنسيين يتقدم غيره من وزائه ليتقبل الموت . ونفت الذخيرة ، فصمت المدافع ، وبدأ الدخان ينشع عن الوقع ، فغشى الانكليز ارتداد الأعداء عليهم فقادوا أدرأجهم مدبرين

وارتفع صوت المارشال ناي هاتفاً بجنوده :

— هيا إلى الأمام !

فقرأ كفت الكتائب لاحقة بالأعداء معملة فيهم السيف حتى بلغوا منحدر الجبل للجهة الثانية ، فارجمت الأرض تحت أقدام التراجيمين والهاجين

هذه الوهاد العميقة تخلص منه رجالنا ؟
وتقدم القس الى فوهة الهاوية ، ثم تراجع وقد
ككل جبينه العرق وامتنع لونه ، فقال أحد القواد :
لقد زلزلت الأرض فجأة تحت أقدام الجنود
فندحرجوا في هذه الهاوية
وقال ناي : لقد سقط أربعمائة من شجعاني في
هذه الحفرة

وقال ولنتكون : وألف من شجعاني ابتلعهم
هذه الحفرة أيضاً

وعلق الجميع الانظار على شفتي القس منتظرين
ارشاده ، فاذا هو يسقط جانباً ونهم من عينيه
الدموع وهو يتم بصاوات الأموات
وكان الجنود أرحوا من الجبال اربعمائة متر ولم
يبق لديهم منها سوى عشرة أمتار ، فاذا بصوت
ضعيف كأنه الممس خارج من القاع يقول : أرحوا
الجبال أيضاً

وأرخت الأمتار الباقية وربط الجبل في
نتوء من الصخر ، نخرج من الهاوية صوت يقول :
لا يمكنني أن أتقدم بعد ، إنني أسمع صرخاً
وعصفت الريح في القاع فاقطع الصوت

متلاشياً في الهدير
وتقدم المارشال ناي إلى الشفير ونادى بأعلى
صوته : أيها الشجاع ، ماذا تسمع ؟
وساد السكوت ، والرب علاً النفوس ، ورفع
الكاهن يده وبارك ، فانتكشت الرؤوس بخشوع
وجنا الجنود مصليين وهم ينتظرون الصوت الأخير
وكان الشجاع للدلى بطرف الجبال لم يمد يقوى
على رفع صوته لشدة البرد في القاع العميق ، فدفع
حشيرة أخيرة أوصلت هذه الكلمات إلى الشفير :
« أسمهم ينادون : فليحي الأمبراطور ... »
(ف . ف)

البارد يتصاعد من القاع السحيق . وأحنى القائدان
الكبيران رأسهما ، فعلا وجههما الاصفرار ، إذ
وقفت أنظارهما في القمر البعيد النور على لبد الظلام
وقال المارشال : يجب أن ندلى أحد الجنود
ليرى ماحل برفاقه . والتفت إلى أحد القواد قائلاً :
أحضر الجبال واثنى رجل

وخرج من الصفوف جندي فرنسي طويل
القامة ، وهو يتسم مفتخراً بالتضحية في سبيل
إخوانه ، فخلع سترته ، وربط وسطه بطرف الجبل
الطويل ؛ وبعد أن رفع يده بالسلام أمام المارشال وضع
رجليه على فوهة الهاوية ، وبدأ الجنود يرخون الجبل ،
وعندئذ تقدم أحد الجنود الانكايين طالباً النزول
إلى الهاوية أيضاً ، فقال ناي ولنتكون : لا يرسل
في مثل هذه المهمة عدوان ، فقد يشتبك في
المنحدر بهراك يحول دون بلوغنا النتيجة التي نترقبها
فأطرق ولنتكون وتراجع الجندي الانكايي
إلى صفه . وكان الجنود يصاون الجبل بجمل آخر ،
وثالث ورابع ، حتى شمروا بوقوف الجذب من
الأعماق . فنادوا جميعهم بصوت واحد :
— ماذا ترى ؟

فأجابهم صوت الهاوية كأنه صدى بعيد :
لا أرى شيئاً ، أرحوا الجبال أيضاً
واستمر الجند على إرسال الجبال وقد خفت قوة
الجذب ، فاستدل القواد أن الشجاع يسير على ميل بين
الصخور متسلماً سبيله على مفاوز لم تغطها أرجل بشر
وما مضت دقائق حتى أصبحت الجبال تلوح
في الفضاء كأنها لا تحمل شيئاً ، فوجم ولنتكون
وقال : أحضروا القس الذي وجدناه هذا الصباح
على سفح الجبل فله يعرف منفذاً لأخراج رجالنا منه
ومثل القس أمام القائدين فقال له ولنتكون :
أنت من أبناء هذه البلاد ، فهلا تعرف منفذاً بين



- « كن ملاكا ... »
 « بنير جناحين؟ »
 « وافتح البوابة »
 « آه ... أفتح البوابة لتخرج السيارة »
 « كيف عرفت؟ »
 « بذكائي ... ألم أقل لك إنني ذكي؟ »
 فرمت إلى نظرة من عين ساجية ثم قالت
 بإبتسام تنال إن تمنع أن ينقلب فهمة عالية :
 « كن ملاكا ... »
 فوقع في روعي من ابتسامتها أن في الأمر ما لا
 يدخل في طوق الملائكة ، فزمت ولم أقل شيئا ،
 وغالبت هي الضحك ثم قالت :
 « وكن اليوم عمي »
 « عم ... عم ... عمك ... يا خبر ... ! »
 قالت : « اسمع ... إنني صديقة تريد أن
 تخرج لقاء خطيبها ، ولكن أياها لا بدعها تخرج
 وحدها ، وقد اتفقت معها على أن أمر بها للنذهب
 إلى السينما ... فهل فهمت لماذا أريد منك أن تكون
 اليوم عمي؟ »
 فقلت وأنا أنوجع : « فهمت أني سأذهب
 إلى سينما لم تكن لي على بال ، وأنني سأمثل دور آلا
 أرناح ... من هذه الفتاة؟ »
 قالت - كأن هذا جواب السؤال - « جملة
 جدا ولكن احذر أن تنازلها »
 فسألتهما : « هل سأكون عمها هي أيضا؟ »
 فضحكت وقالت : « ستكون عمنا اليوم ...
 واحذر أن تفلط »
 « ولكن سأغلط على التحقيق . إن العمومة
 حادث جديد في حياتي ، فإذا أخطأت في تمثيل الدور
 فلا عجب ... لم أندرب عليه قط هل قلت
 خطيبها ... أم حبيبها؟ »
 فقالت : « باسلام ... وما الفرق ...؟ شيء
 غريب »
 قلت : « صحيح لا فرق ... ولكن عمك؟ »
 كيف يمكن ألا أغلط ... ثم إنها مهمة صعبة
 لا أشعر أنني سأرتاح إليها »
 فقالت بدلال سلبني كل قدرة على المقاومة :
 « كن ظريفا ... كالعادة »
 فضحكت مسرورا وقالت : هل يسمح لي أن
 أكون عمًا ظريفا؟ »
 قالت : « لا مانع . ولكن احذر أن تنازلها »
 قلت : « لقد شوقتنني إليها ... أغريتنني بها . فهل
 هي حقيقة ظريفة؟ ... أعني تستحق أن أرضى من
 أجلاها وفي سبيلها أن أكون عمًا؟ »
 قالت : « جدا ... موت ... »
 قلت : « يا حفيظ يارب ... والآن يا بنت الأخ

الله في عمره الى زمن غير زمنه ... » قالت له :
أرجو ألا تكون درجات السلم كثيرة ... قالت
السلام تتمبني ... جداً ...

فطعماً نبي الرجل وأكد لي أن الدرجات ثلاث
فقط - ودار وعدّها - وأشار الى حجرة ، وأوماً
الى أن أدخل ، فإذا فيها فتانان - التي جعلتني عمها
والأخرى التي سأكون عمها - أعني التي تريد أن
تخرج لتلقى حبيبها أو خطيبها ... سيان كما قالت
صاحبتى ... وحديث في وجهها وأنا أسلم عليها
وأطلت النظر اليها وأبقيت يدها في يدي ، وأنا
أسألها عن صحتها ، وأثنى على بيتها وأذم لها الطريق اليه
وكانت كفها رخمة ووجهها حلواً سمحاً
وغينها واسميتين ولونها صافياً وقدها رشيقة

وجلست وجلس الرجل الى جانبي بحبيبي
وبرحب « بالهم » ، وجاءت خادمة « بالماشوراء »
فاعترزت وقالت إن معدتي لا تهضمها وإنّي أظن
أني شخيت ، فقال الرجل : « العفو » وقالت
صاحبتى : « صحيح ... معدته ضعيفة ... والطبيب
ينهاه دائماً عن أكل شيء بين الزوجيتين » ، وجاءت
القهوة وناولوني فنجانة ، فصببت القهوة من الفنجانة
في الطبق ، كما رأيت بعض الشيوخ يفعلون ، وكان
هذا أروع ما وافقت إليه في أدائي لدور العم .
وكانت صاحبتى تغالب الضحك بجهد ، ثم تنظر الى
وتمض شفتيها بحذرة من الغلط ، ثم سألتني الرجل
عن السينما التي اخترتها ، فقلت له : « ياسيدي لقد
ألحت هذه البنت للملونة (والعمومة تسمح بهذه
الملونات) أن أخذها الى السينما مع صديقة لها
فاعترزت لأنّي لا أكرمك أني لا أطمئن إلى
الصداقة بين البنات ، ولكنني أحمده الله . حمدته
وشكرته لما رأيته . . . شعرت بالأطمئنان فما يمكن
أن تكون بنتك إلا فتاة مهذبة . . (وهنا شكرني

المميز - وإن كنت لأعترف لك أخاً ولا أختاً -
تفضلني وبخلي عن القيادة ... »

قالت : « لماذا ؟ ... إلى أحب أن أقود
السيارة ... هل أخطأت ؟ ... »

فتركت سؤالها بلا جواب ، وقالت باللهجة
الأحماص : اسمي الكلام يا بنت ... »

فضحكت ومالت بالسيارة الى الرصيف وتخلت
لي عن مقعد السائق

وبلغنا البيت - لا أدري كيف ولا من أين
فقد أطاررت سواني كثرة التعاريج وضيق الحارات ،
ولسكن البيت كان في فضاء رحيب وإن كان غير
نظيف . ونزلت هي وبقيت أنا في السيارة . ومضت
دقائق وأنا أفكر في عمها وفي الفتاة التي ستقول لي
« يا عمي » ، وفي كيف أطبق الصبر على هذه
العمومة ، وإذا بغتي يقول لي : « تفضل يا عمي »
فصحت به - فقد فأسباني - « إيه ؟ .. » وكان
مؤدباً مهذباً ووسياً قديماً حدثت نفسي أن الفتاة
التي ستدعوني عمها لا بد أن تكون جميلة - إذا
اطرد القياس ، وتهدت لأنّي سأكون عمها أيضاً ...
ولالعمومة قبورها ، ولا بد من الاحتشام ... فلا حول
ولا قوة إلا بالله !

وقال الفتى : « تفضل حتى تلبس أختي »
فشكرته وأغلقت أبواب السيارة فقد كان
الأطفال كثيرين في الحارة ، والأطفال ملاعين
يعبثون بكل شيء كما كنت أفعل لما كنت طفلاً ،
ومشيت وراة الى بيت حديث البناء ، فاستقبلني
وراء الباب رجل وقور ظننته أول الأمر من
السكان ، ولكنه مديده الى وقال - كما قال الفتى -
« تفضل » ، فقلت لنفسى : « إن تمثيل دور العم
ينبغي أن يبدأ هنا ... حالا ... فان هذا الرجل
الطيب لا بد أن يكون هو الأب السخي الذي مد

ودرنا نبحت عن بيت الخطيب — أو هكذا ظننت ، ولكن الحقيقة أننا صرنا به ، وأن الفتاة وأنه في الشرفة غير أنها خجلت أن تدعو معها إلى الوقوف وتنزل ، وأحسست أن جوالسيارة لا يخلو من ركود ، فوقفت في بعض الطريق واتجهت إلى الفتاة وسألها : « هل عرفت البيت ؟ . وهل رأيت فيه صاحبك ؟ » فهزت رأسها أنت نعم واضطرم وجهها — حياء على ما أظن — وتولت صاحبتى الكلام والابضاح ، فقلت لها : « حسن . ابقيا أنتما هنا وسأزل إليهما »

ولما وقت عيني عليه وهو واقف في الشرفة ومعه أخته أشرت إليه أن ينزل فلم يفهم ، فصاحت به : « تمال ... أيوه انت ... »

وسلم مرتبكاً وقال : « أفندم »

فقلت بمنف : « لا أفندم ولا يحزنون ... كيف تكلف الفتاة أن تقطع إليك السكر الأربعة ولا تجشم نفسك عناء السى إليها ؟ ... ثم إن أباه لا يمكن أن يقبل »

فقاطعتى وقال بلهفة : « هل يعرف ... »

قلت : « اسمع ... هذه العلاقة يجب أن تكون رسمية علنية وإلا فالواجب أن تنقطع ... الآن »

وقال بصوت خافت : « بالطبع »

فالتفت إليه وقلت بصرامة : « بالطبع ماذا ؟ ... تقطع ؟ ... أو تستمر على وجه القبول ؟ »

قال : « تستمر بالطبع ... إلى أين أريد أن أتزوجها »

فوقفت وسألته : « وماذا يمكنك ؟ . إن الزواج ليس من وسائل هذه المقابلات السرية التي لا يعلم بها والدها ... والآن تمال وأطمني ... ومضيت به إلى السيارة وكان يمشى مطأطأ

واستغفر الله كما لا أحتاج أن أقول) فرأيت أن أختار شريطاً غير غراي . . آثرت شريطاً من الأشرطة البوليسية . . وهي كلام قارغ ، ولكنها خير وأسلم عاقبة الأشرطة الفرامية ، وأظن أنك توافقني . . أليس كذلك ؟ »

فوافق وشكر وأكد لي أنه تشرف بعمرقتي ، ولا أكنم القارئ . . أنى خجلت منه في هذه اللحظة وأن نفسى حدثتني أن أصارحه بالحقيقة من أولها إلى آخرها ، ولم يصدني عن ذلك إلا التحرج من الزوج بنفسى في مأزق آخر لا يسهل الخروج منه ، وإذا صارحته بأنى لست عمماً ولا قريباً فأذا يكون موقفى . . بل ماذا يكون موقفه صاحبتى التي جاءت بي إلى هنا وادعت أنى معها . . ثم إلى أين أريد أن أرى هذا الحبيب أو الخطيب — سيان — الذي تريد أن تلقاه وتحتال هي وصاحبها على هذا النحو المخرج — لى — لتلقاه ؛ وقد أستطيع أن أصنع خيراً إذا رأيت أنه فأن لى لفراصة .

وأخيراً هضنا ، وركب معنا الفتى — أعى أخاه — فاحتفظت أمامه بمقتضيات العمومة على فرط قملها حتى تركنا حيث يريد ، وكانت الفتاتان على التعمد الخلقى ، فلما نزل الفتى وأمنت أن يسمعى قلت لهما وأنا أمضى بالسيارة على غير هدى : « هل أتقنت دور المم ؟ » ، فضحك الفتاتان ، فخل إلى لحظة أن الفتاة التي جنبنا بها ترمف أنى لست عمماً ولا ابن عم ولكن صاحبتى قالت شيئاً فهمت منه أنها تريد أن أمضى في تمثيل الدور فسخطت وقلت : « والآن إلى أين بنا » ، فقالت الفتاة الجديدة : « إلى ... من فضلك ... أعنى إذا سمحت » ، وقالت الأخرى — صاحبتى — « بالطبع ... إن عمى سبور ... » ونضحكنا من هذا المم « الاسبور » ، ومن حقهما أن يضحكا .

قلت : « لا شيء ... اطعمنى ... ولكن
أطعمينى بلا سؤال أو تردد »
وأنا رجل لا أحب التلذذ ولا أطيع البلاد .
ولا صبر لى على التأوى والف والدوران . ولربما
عظيم بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين
نقطتين . والذى يصنعه غيرة فى يوم أصنعه أنا فى
لحظة لأن أعصابى لا تحتمل البطء . لذلك مضيت
إلى بيت الرجل وكانت كل من الفتاتين تسألى :
« إلى أين من هنا ؟ » وكنا أول الأمر نتعجبان
ونضحكان ثم وجدنا لما دونت من البيت واتقى كل
شك فى أنى أقصد إليه

وقلت للشاب وأنا أنزل وأجره : « تعال أعرفك
بأبيها ، فما أستطيع أن أضعحك معها بغير ذلك ...
أعنى بغير اذنه ... أنفهم ؟ »
وكانت لمحتى صارمة أو قل انها كانت حازمة
وان خلت من الصف ، فسار مى . وجاء الرجل
مستغرباً عودتنا قبل موعد انتهاء السينما فقلت له
بلا تعهد : « هذا الشاب يريد أن يكون نسيبك ...
يجب بنتك هذه ... وأنا أعلم أن هذه مفاجأة ...
ولكنى لا أدعوك أن تزوجه الآن ... إنما رأيت
من واجب أن أخبرك ... وسيعطيك اسمه وعنوانه
ويحدثك عن نفسه وأهله وأصله وفصله فيها بعد ...
فاذا وافقت ورأيت أهلاً لذلك فهينك لك وله وللبنات
والا لافارمه ... وقد أخبرتك بهذا ... فاجأتك به
لأنى لا أستطيع أن أدعه يصحبنا إلى السينما بغير
علك وإذناك ... فهل تسمح له بذلك ؟ »

وتشهدت لما سمعت الرجل - هذا الرجل
الوقور الطيب - ياذن لى فى ذلك ويشكرنى أيضاً ...
تالله ما أطيبه ! ...

وعدنا الى السيارة فركبناها فى صمت ففقد
بهت الشاب واستمعنى عليه الكلام . وله العذر .

الرأس . وأحسب أنى نفعت عليه هذا اللقاء ،
ولكنى لم أكن أستطيع غير ذلك فقد كانت
صورة الأب الوقور الطيب الذى لا تخالجه ريبة
مائلة أمام عيني ، وقد ترك لى ابنته مطمئناً الى ومتمداً
بعد الله على . ولو كنت لم أدخل بيته ولم أوجهه
ولم يأعنى على فثاته لما أحسست أن على تيمة . وشق
على أن يكلفها هذا الفتى أن تذهب إليه فى آخر
الدنيا ، وهو قاعد فى بيته لا يتحرك ولا يسى ، ولا
يبالى ما تتحمل الفتاة فى سبيله من عناء وما تفرها
به الرغبة فى لقائه من احتيال وكذب وخداع .
فنويت أن أحسم الأمر

وهم بالركوب فجذبت من كتفه ، ونأيت به قليلاً
وسألته : « الى أين أولاً ؟ ... قل لى ماذا تنوى أن
تصنع ؟ إنى لا أريد أن أصابك ولكن هذه الفتاة
الساذجة فى ذمتى فهل تستطيع أن تكون رجلاً ؟ »
فانقد وجهه وتعلم ثم استطاع بجهد أن يقول
لى إنه رجل شريف وإنه لا يبيع بها سوءاً وسألنى
وقد وجد لسانه : « هل حضرتك ... »

فقاطعتة قائلاً : « لا يمينك من أنا ... تعال ...
يكفيك أنى قد وثقت بك ... تعال »

فسره هذا . وهل هو إلا طفل ؟ . وإنى
لا أكون حماراً غيبياً بليداً إذا لم أستطيع أن أستولى
على زمامه ... والتفت إلى صاحبتى ونحن راكعون
بالسيارة وقلت : « وأنت أيضاً ستطيعين عمك
فالت على وقالت : « إيه ؟ » قلت : « لا شيء ... »

لقد شئت أن أكون لك اليوم عمًا . فاستنكرت
أن أكونه فى أول الأمر ولكن الدور حلالى ...
أعجبينى ... فانا الآن عم حقيقى ... سأظل عمًا
ظريفاً ... ولكنى عم على كل حال فلا تنسى هذا
فسألتنى بصوت خفيض : « ماذا جرى ؟
اطمئنى ... »

ولكنه جنون أثمر خيرا
وقالت الخطيبة ونحن خارجون : « عسى ...
لا نتركنا »
فتنايبت وقالت : « هل سأظل عما لك أيضا
الى الأبد ... »
فجذبت ذراعى وقالت بلهجة المستعطف :
« لا تتركنا ... فاهم »

قلت : « سمعت . وفهمت . وأطمت . »
قالت صاحبتى : « أما إنك لم ... »
فلم أقل شيئا وفتحت أبواب السيارة وأشرت
اليهم بكننا يدي وقالت : « بيتك . بيتك . بيتك »
كما يقال للدجاج

وتمشيئا جميعا في بيت الرجل الطيب . ولكنى
قبل أن أتناول شيئا من طعامه قلت له :
« سأقول لك شيئا . لست عما لهذه الفتاة .
هى صديقة وجارة . أعرف أهلها جميعا من زمان
طويل . وقد ألفت أن تدعوى عنهما . حكم العادة
فقط . وأنا أكره هذه العمومة ، ولذلك أخلفها .
أمامك ، وأرجو أن تمنينى على التخلص منها . فإ
قولك ... ؟ »

وكانت يداى على ركبتى فى انتظار حكمه ،
فأحسست راحتين عليهما فالتفت فإذا الفتاتان
تنظران إلى ابنتسامة الرضى والسرور ، فرددت عيني
الى الرجل استعجله الحكم فقال : « تفضل ياسيدى
تفضل »

فتشهدت ورفعت يدي الى المائدة لآكل وإذا
بالخطيبة تنهض وتميل على عنق وتقبلى
كلابا . إنها فتاة لا تستحي ... أبدا ... أبدا
براهم عبد القادر المازنى

ودخلنا السينا فجلست بين الفتاتين وجلس الشاب
على عيني صاحبتى التى جمعتها خطيبته برضاء أو على
الزعم منه ، لا أدري ، فعمل ذلك عند الله ؛ وكانت
الفتاتان لا تمران شيئا مما حدث لأنهما لم يدخلوا
البيت معنا ولم تقل لها شيئا فى السيارة فلت على
صاحبتى وقالت لها : « الآن تستطيعين أن تهنى ...
ما اسمها ؟ . لقد صارت خطيبته حقاً وصدقا ...
لا كذبا يا ملعونة ... »

فراحت تترثر وتسالى : « ايه ... ماذا تقول ...
ماذا حدث ... كيف كان هذا ... ماذا سمعت حين
دخلت البيت ... ؟ »

فوضعت كفى على فها . وكيف بالله كنت
أستطيع أن أسد هذا الطوفان من الأسئلة بنير
ذلك ؟ وقد وقف الطوفان ، ولكن اللعينة عضتني
فكذبت أسرخ لولا أننا فى سينا . وتصبرت
وتجلت وانجحت الى الشاب وقلت له وأنا أمد
كفى للمضوضة : « بسها ... إذا كنت مسرورا »
فباسها - بطنا وظهرا - مرة وثانية وثالثة .
فاستحييت وانزعجتا منه ، وحولت وجهي الى
صاحبتى وذهبت أحدثها بما كان ، وإني لأكذلك
وإذا بالفتاة الأخرى تجذبنى اليها وتدير وجهي الى
وجهها وتطوقني بذراعيها وتقبل خدى ... أى والله
ولا تستحي ... فدهشت ونظرت اليها ... ثم
حولت وجهي عنها . فقد كانت الدموع على خديها
وأعترف أنى لم أر شيئا من الشريط ... نعم
نظرت ولكنى لم أفهم ... لم يكن بلى الى ما أرى
وكنت أفكر فى هذه الفتاة وفى مصيرها مع
فتاها لولم يلهمنى الله أن أكون مجنونا وأن أصنع
ما صنعت وهل يفعل هذا سوى مجنون ؟



كان ذلك في بكرة الصباح

الوقع . إنها مسألة شرف يجب هنا القضاء فيها .
وكان الجميع شاعرين بجلالها . وعلى قدر بمدى عن
إدراك ما هم صانعون كانت اللحظة تزداد رهبة
على رهبة

وانطلقت رساصة . وسرت في فرائض الجميع
رعدة . وأرخى فلاديمير ذراعيه ، وثنى ركبتيه ،
وخر في مكانه . وهو على الثلج لقي ، وقد نفذت
الرساصة في رأسه ، منطرح ، وذراعا متباعدتان ،
وشعره ووجهه ومتوسد الثلج تحت رأسه ، كما
مضجعة بالدم . وهروا إليه الشهود فاحتلموه .

وخصه الطبيب بقرقر وقائه . وأحمت مشيكة
الشرف وانفض أمرها . ولم يبق إلا إبلاغ الخبر
إلى الفرقة التي يتبعها الضابط ، وإبلاغ النقيب
ما يمكن من التلطف والتحرز إلى الأم التي أصبحت
من بعده وحيدة في الدنيا . فان الفتى القليل
وحدها . وهي لم تخطر قبل المباراة في بال أحد .
أما الآن فالكل يفكرون ويبحثون ويطلبون التفكير .
فالكل يعرفونها ويحبونها ويدركون أنه لا بد من
التقديم لهذا النبأ الفظيع عندها والتهديد قبل إلقاءه
والتردد في مسأته . وفي النهاية وقع الاختيار على
« إيفان جوليوبنسكو » بوصف أنه أصاحهم جميعاً

و « فلاديمير كلادنيوف » فتى وسيم ، مديد
القامة ، في الثانية والعشرين من عمره ، كان فلان
مظهرأ ، له وجه مليح وشعر وحف أشقر ،
يرتدى حلة الضباط ، ويتعلم نعال الركوب الطويلة ؛
وكان واقفاً في مخرج مشوشب كساه متساقط
الجليد ، وهو شاخص إلى ضابط آخر ، وذلك
الآخر رجل أسبل الشاربين ، بائن الطول ، محمر
الوجه ، وكان مواجهاً له على مسافة ثلاثين قدماً
وهو يرفع على مهل يده حاملة في قبضتها مسدساً
يسدده إلى فلاديمير

وكان فلاديمير واضعاً ذراعيه متشابكين على
صدره ، حاملاً كذلك في إحدى كفيه مسدساً ،
وهو ينتظر - انتظار من لا يبالى - طلقة النار
بطلقها عليه خصمه . وكان وجهه الناضر الصبيح
وإن غشيته مسحة من شحوب تتوقد الشجاعة
فيه ويملوه ابتسام المستخف . وكان موقفه المخطر ،
وما يبدو على غريعه من تصميم مبرم لا رحمة فيه ،
وشدة الانتباه من جانب الشهود الواقفين صفاً
واحداً بلا حس ولا حراك ، كل هذه مجتمعة
جعلتها لحظة بالغة الهول ، غامضة السكنة ، رهيبة

الغرفة مخاطبة زائرهما سليمة السريرة طيبة النخبة:

— وبعد ! فكيف لامرئ أن يبق فيكم
أبها الشبان ؟ هاأذا أحاذر أن أحدث أدنى حس
للأفداح وأطباقها ، واستسبحك في عدم إيقاظ
إبني ، فاذا هو قد مضى منذ برهة طويلة ولم يخف
أثراً ! ولكن ، لم لا تجلس وتشرب قدحاً من
الشاي ؟ لقد أهملتنا نشر الإهمال في هذه الأيام الأخيرة
وابتسمت كأنما تبسم عن سرور مخامر ،
وزادت بصوت خافت :

— كانت الأخبار كثيرة عندنا في تلك الآونة ،
وما أحسب أن فلاديمير استطاع كتابتها . ولا بد
أنه أفضى بها اليك كافة بمخاطباتها ليومنا هذا .
إن ابني فلاديمير مستقيم الطبع مفتوح القلب .
والليلة البارحة دارت بخلدري الظنون مع ما بها من
إثم ! إذا كان فلاديمير إبني بذرع الغرفة طيلة ليلته
فمنأه أنه يفكر في « لينوتشكا » صباحاً ، مشوقاً
إليها . وإن من مألوف عادته وبدنه إذا ذرع الغرفة
الليل طوله أن يمضي لا محالة في النداء . آه يا إيفان
لا أتمنى شيئاً على الله إلا أن يرزقني من لدنه هذه
الفرحة بقرها عيني في هرسى . وماذا تطلبه امرأة
مجنوز أكثر من هذا ؟ وليس لي غيرها أمنية
وبشرى ؛ وإله ليخيل إلى أن ليس ثمة سؤال أو ترجية
بعد إذ يتزوج فلاديمير ولينوتشكا . إن في ذلك
لنبتة لي وأيام غبطة ، وسعادة ما بعد ما سعادة . ومالي
سوى فلاديمير من حاجة . وليس شيء أحب إليّ
من هناؤه

وكان من شدة تأثر السيدة المجوز أن جعلت
تكفكف الدمع قد اغرورت به عينها
واسترسلت تتحدث إليه : « أو تذكر ؟

لتبليغ الخبر للأُم وهيون الخطب جهد المستطاع

كانت « بلاجيا بتروفنا » قد استيقظت
ساعتئذ من نومها . وكانت تجهز لنفسها شاي
الصباح ، حين دخل إلى غرفتها « إيفان
جوليوبنسكو » مكتئباً مرتبكاً

وهبت السيدة المجوز للحالة ضيفها قائلة :
« لقد جئت في الأوان والشاي مجهز يا إيفان ! »
ثم أردفت : « إنك قادم لا محالة لترى فلاديمير ! »
فتمتم « جوليوبنسكو » مجفلاً : « لا ... إنما
كنت ماراً ... »

— أنت لا بد عاذره ، إنه لا يزال نائمًا لقد
قضى سحابة الليلة الماضية بذرع غرفته جيئة
ودهايا . وقد أوصيت الخادمة ألا توقظه ، فإن
اليوم عطلة بمناسبة العيد . ولكن لعلك آت في
همة مستعجلة ؟

— كلا ، وإنما عرجت عليكم في مروري
لحظة ...

— إن شئت رؤيته أمرت بإيقاظه

— كلا ، كلا لا تكلف نفسك

ولكن بلاجيا بتروفنا كانت معتقدة أنه قادم
ليرى ابنها في أمر من الأمور . فخرجت وهي تتمتم
بينها وبين نفسها

وجمل « جوليوبنسكو » يذهب ويجمي
مضطرباً ، وقلب كفيه ، وهو لا يدري كيف
يبلها الخبر النظيف . لقد أرقت اللحظة الحاسمة ،
ولكنه لم يمد مالهك لنفسه بل ملكه الزوع فهو
يلعن الخط الذي ورثه شر مورط في الأمر كله
واستهلت « بلاجيا بتروفنا » وهي تدخل

« إن لك عندي تحية ، لقد كتبت لينوتشكا فيها كتيبه لي توصيني بأن أبلغ تحياتها إلى إيفان ، وأن أرجوه المحي مع فلاديمير زياترنا ؛ فأنت ترى بنفسك يا إيفان مودتها لك ! لا وإيم الله ، يظهر أنني لا أستطيع الاستئثار بهذا وحدي . لابد من إطلاعك على الخطاب ، ولنتظنر أنت لنفسك مبلغ ما فيه من محبة وعذوبة

وعاودت بيلاجيا بتروفنا البحث عن حزمة الخطابات في جيبها وسجبت منها طرسا رقيق الورق مقرط الكتابة ، ونشرته أمام إيفان جوليوبنك وقد زاد وجهه اكفهرارا ، وحاول إيفان أن يدفع عنه القرطاس الممدود ، ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت قد أنشأت تقرؤه :

(عزيزي بيلاجيا بتروفنا — متى بين الأوان الذي أخاطبك فيه بغير هذا فادعوك بأيأ الميزة المحبة ! إنني أقرب ذلك اليوم متلهفة ، وإن أملى لمظيم بقرب حلوله حتى لست أحب دعوتك من الآن باسم غير يا أي —)

ورفعت بيلاجيا بتروفنا رأسها ، وتوقفت عن التلاوة ، ونظرت إلى جوليوبنكا بمعينين تملؤهما العبرات وقالت : « أترى يا إيفان ! » . ولكنها رأت جوليوبنكا يتنكر بفضاضته ، وأن عينيه هو أيضاً مغروقتان . فقامت وأقبلت عليه ، ووشمت يدها الزممة على شمره ، وقبسلته في هيئة فوق جبينه ، هامة من شدة التأثر : « شكرا يا إيفان ! لقد كنت دائما أعتقد أنك وفلاديمير أقرب إلى الآخرين الشقيقين منك إلى مجرد صديقين . لا تؤاخذاني . إنني سميذة أيا ما سعادة . والحمد لله سبحانه ! »

لم تكن الأمور في البداية جارية على أحسن حال ، سواء قويا بينهما أو قويا يملق بالمال . فأنكم معشر الشبان الضباط غير مسموح لكم حتى الزواج من غير مال مرصود . حسن ، لقد تم الآن إعداد كل شيء : حصلت على الخمسة الآلاف روبية اللازمة لفلاديمير . وفي الامكان ذهابهما إلى المحراب لعقد الزواج غدا غدا . أجل ، وقد كتبت لي لينوتشكا خطابا ما أطفه . إن قلبي جذلان مبهج

وأخرجت « بيلاجيا بتروفنا » — وهي مسترسلة في كلامها — خطابا من جيبها ، وأظهرته لجوليوبنكو ثم أعادته : « أنها الفتاة محبة ! وناهيك من طيبة نفسها ! »

وجلس إيفان جوليوبنكو ينصت إلى كلامها وهو على مثل الجمر . وقد أراد أن يقطع عليها هذا الفيض من الأحاديث ، ويقول لها إن كل شيء قد انتهى ، وأن فلاديمير ابنها مات وأصبح في خير كان ، وأنه بعد ساعة واحدة لن يبق لها شيء من هذه الآمال الزاهية . ولكنه أنهى أنصت إليها والزم الصمت ، ونظر إلى وجهها الطيب اللطيف فأخذ منه الاشفاق عليها وإذا حركة تشنج تأخذ بكفلمه وأخيراً سألته السيدة المعجوز : « ولكن ، مالي أراك اليوم متجهما ؟ ما بالك ، إن وجهك يبدو مكفهر كأمدا كالليل ! »

وود إيفان لو يقول : « نعم ! وسيكون وجهك كذلك حين أخبرك الخبر ! » ولكنه لم يبلغها شيئا ، واستامض من ذلك بأن أشاح بوجهه وجمل بفتل شاربيه

ولم تلاحظ بيلاجيا بتروفنا شيئا ، واستطردت وهي في أفكارها مستغرقة :

ضروب البطولة وسائر ما يسمونه مسائل الشرف على اختلاف ألوانها . وأخير آهـب من مجلسه وهو موطن النفس على التصريح أو التراجع . وأقبل ، فتناول — ممجلاً ومن غير كلام — يد بيلاجيا بتروفتا وانحنى يلتفها ، فأخفى بذلك وجهه عنها ، وإذا سيل من الدمع السخين المدرار ينهمر فوقها . ثم انتزع نفسه وانطلق لا يلبى على شيء ، وتناول عند الباب معطفه الكثيف وخرج من البيت دون أن يقول كلمة

وتطلعت بيلاجيا بتروفتا وراءه مندهشة ، وقالت في نفسها : « لا شك أنه أيضاً عاشق ، مسكين ، كان الله في عونه . إيه ! إنها لوعة الصبا تلوعهم — ومن بعدها سعادة »

ثم سرعان ما نسيت ، وغاب أمره عن بالها ، واستغرقت العجوز في أحلامها بالمساعدة تترأى لها محقة كاملة !
عبد الرحمن صرقي

استدراك

جاء في (مذكرات نائب في الأرياف) المنشورة في هذا العدد أن مدة المارضة أربعة أيام والصواب ثلاثة

وقاضت الدموع على خديها . واشتد بإيفان جوليو بنكو اضطرابه وارتيابه ، ولم يسمه إلا أن يأخذ بين راحتيه يدها الباردة المروقة ويكب عليها تقريباً . وكان مخنقاً بالمبرات فلم يستطع أن يلفظ حرفاً . ولكن هذه الفتوة من الحب الأموى أشمرت بالتيكيت الشديد ، حتى لقد آثر أن لو كان هو الصريح على الساحة وقد نفذت الرصاصة في دماغه ، فذاك أهون عليه من سماع عبارات الحمد له وامتداح صداقته وخالص أخوته تجري على لسان هذه المرأة وهي بمسد نهية قصيرة سيتضح لها حقيقة الواقع وجليه الأمر . وماذا تترأى فيه وقتئذ ؟ ألم يقف — وهو الصديق وفي حكم الشقيق — ساكناً جامداً حين كان للمسدس مسدداً إلى فلاديمير ؟ أليس هذا الشقيق نفسه هو الذي قاس المسافة بين النريخين ، وهو الذي حشا المسدسين ؟ كل هذا صنعه بنفسه ، وقد صنعه وهو يعي ما يصنع ، وهاك الصديق بل الشقيق يجلس الآن صامتاً ولا يتقدم حتى هنا للقيام بواجبه

إنه جزع خائف . يحتقر في هذه اللحظة نفسه دون أن يستطيع مغالبتها ليقول ولو كلمة واحدة . وإن إحساساً غريباً بالتناقض يجرج صدره ويذهق روحه ، فهو في كرب واختناق . والوقت يمر سراعاً ، إنه يعلم بمروره ، وكلما زاد به علماً وهت عزيمته ولم يقو على حرمان بيلاجيا بتروفتا مما بقي لها من لحظات سعيدة أخيرة . فإذا هو قائل لها ؟ وكيف يقدم للخبر ويهيوها لساعة ؟ لقد حار إيفان جوليا بنكو في أمره وأسقط في يده

لقد انفسح له الوقت هنا ليلعن في سره جميع البارزات وجميع المشاحنات وكل ضرب من

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

متجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٣ قرشاً

من القاتل



بسم الدكتور محمد الرافعي

لأنثريه وارنود

لعلها واحدة من صواحيه غارت عليه أو تقمت منه أو نكثت عهدا ؛ أو لا فشيوق واحدة ممن أراد أن يزيحه من طريقه ..

عرفت كل هذه التفاصيل من الخادم وأنا أتناول فطوري ، إذ كنت في فندق المحطة وقد بث فيه متخلفاً أنتظر القطار المحلى الذى يرح فى

الصباح قرية بوفيليه

ودخل أحد الشرطة إلى الفندق فجعل يجرى أسماء المسافرين الذين وصلوا بالأمس؛ ثم تقدم إلى فى شأتى وشأن أوداقى ؛ ثم سألنى كيف قضيت الوقت منذ طرأت على هذه الناحية ؛ وبعد أن تثبت من قولى حياى ومضى لسييله . فقلت للخادم :

— ما أحسبه يشق عليه

أن يضع يده على القاتل والبلدة من سفرها تكاد تسلمه لمن يبحث عنه . .

قال : لا يكون هذا رأيك يا سيدى ، فالقرية يمر بها غرباء كثيرون .. وهب القاتل من أهلها . فلا ريب أنه قد تدبر واحتاط وفكر وقدر ، وما يكون مثل هذا المجرم الذى يقتل هذا الضملاق

أصبح الناس فى قرية بوفيليه الصغيرة وعلمهم الضباب ومعه الريح الباردة تسفع الوجوه ، وبين الضباب والريح يطير الخبز المزعج : أن قتل مسيو فينيه برصاصة وقعت فى عنقه !

وعثروا على جثته فى أرباض القرية ، بين أسوار الحدائق على مقربة من النهر . وكانت الماسفة

والطر وظلام الليل ستر على القتل والقاتل ، فلم ير أحد ولم يسمع

ومسيو فينيه هذا عملاق معصوب الخلق ، مفتول العضل ، غليظ الألواح ، طويل عريض قد ناهز الأربيعين ؛ يعيش فى سعة من غلة أرضه ولهو أكثر وقته بالصيد ، وفى سائر الوقت يختلف إلى

الأندية والحانات

ويقرقه أهل قريته فاجراً صاحب نساء وغزل ، خديته وحديثهن على كل شقة ؛ ولم يلقه الليل إلا على امرأة يخادها أو يحتظها ؛ وهن اليه أشد ميلاً ، فه المال وفيه القوة ، وإلى ذلك ظرف وجمال وصباة ورقة حديث

فن الذى قتل مسو فينيه ؟



كبيرة فأوفدته إلى بلدة بكسيول القريبة من هنا في عمل من أعمالها يستغرق سنين عدداً . فلما جاء إلى هذه البلدة أخذ يحال طبيعتها وسحر مناظرها فابتاع منزلاً ريفياً سكن فيه مع زوجته الجميلة ، تحوطهما سعادة الحب ؛ أوله كان يتوهم ذلك ... وتصرمت الشهور وتبعها السنون وهو ناعم بحياة الجديدة ، مسحور بالجالين في الطبيعة وفي زوجته « مثلين » . وكان وانقأ من حبها مطعمئناً إلى وفائها ، حتى ألقى إليه ذات يوم كتاب غفل من التوقيع ينهبه فيه كاتبه إلى أن يفتح عينه على زوجته ... فسخر من الكاتب وكتابه ، وانطلق إلى داره وما يشك أنه سيطالع امرأة ببث بضحكها ويضحكه

وخطر له وهو يفتح باب الحقيقة أن يحكم الدعاة فيجعلها رواية ذات فصائل ؛ فإذا انفجر من النفيظ في الفصل الأول وهو يعتقد الريبة ، انفجر من الضحك في الفصل الثاني وهو يطعن إلى الحب ... فلبس وجه القبيظ والحنق ودخل على زوجته دخول الموتور في عرضه وكرامته وقال لها : — أما الآن فقد برح الخفاء وانكشف الستور وتحقق الظن ونطقت الريبة ... تباً لك من خائنة غادرة تتنذل عرضها وتخون زوجها . هلم فأسألي الله أن يرحمك إن كان يرحم الفاجرة ؛ فألقى تلك اللمحاة

وتابع الرجل حديثه لي فقال :

لم أكن — علم الله — أريد غير المرح والدعاة وما كان يحظر لي قط أن يحدث ما حدث ... فما سمعت المرأة ما سمعت ورأت ما رأت ، حتى انقلبت عيناها وزاغ بصرها وانكفأ لونها وتهارب دماها ، وارتعدت واضطربت ومادت ووقعت بأكية على قدمي ... !

إلا غارماً شديد البأس رهبه الناس فلن يظهر اسمه على لسان أحد . وأى الناس يرد نفسه القتل ؟ وخرجت أمراً في الجوع المضطربة أذهب هنا وهناك إلى أن يحين الوقت ، ثم توجهت إلى الحطة وجملت أنصفج الوجوه أبحث عن شخص جمى به القطار أمس وقضينا معاً شطراً من الليل . وكان هو أيضاً قد طرأ على البلدة وتختلف ينتظر القطار المحلى ، فتواعدنا أن نلتقي في الحطة

وكان صاحبي هذا رجلاً قد علاه الشيب فايض شعره الخشن ، وسطع بياضه على وجهه قد لوحته الشمس فاحمر واحمر . وكان قصير القامة صلب العضل ، قويا مجتمعا ، عصبى المزاج يعاير من عينيه مثل الشرر إذا حدثك إليك ..

ولم يكن حديثنا في القطار إلا تحية وردّها ؛ وقد تختلف مثلي في بوقيبيه ، فما إن وطئت قدماه أرض الرضيف حتى أمرع إلى عربة الأمتعة ومعه الجالون ينزلون متاعه وأثقاله وهو شيء كثير عجيب مختلف ، يجمع أنواعاً عدة من فساتل شجر الورد إلى صناديق ضخمة تضم ألواحاً من الرمر المصقول أجيد تحمها في باريس

ودنوت من الرجل ، وكان القطار بهم أن يتحرك ولما يفرغ الجالون من عملهم ، فألقيت حقيبتي وعملت معهم في إزال ما بقى ، فشكرني ودعاني للشاء معه

وتلافينا في مطعم اشهر باجدة أطمعته فما زفوت الغريب أن يختلف إليه . وجلسنا لطعامنا وبدأ يحدثني حديثه ، فكانت قصة من أعجب القصص ..

تزوج شبنك هذا وهو في الأربعين من عمره بفتاة تقارب العشرين . وكان مهندساً في شركة

إن قلة فيزون بعيدة لا يمكن بلوغها إلا بالسيارة ؟
فإن كان الخبر صحيحاً فمادة زوجتي كبا أرادت
السيارة أن تسألني هل أنا في حاجة إليها ؟
إذن فلأنتظر

وجلست معها للقاء وكان لم يكن في شيء ؟
وأشرفنا على الفراغ من الأكل ولم تسألني فهدأت
وكدت أطير فرحاً ، وجعلت في نفسي ألبن القيمة
وأهلها ، وأنا في ذلك إذ قالت مشايين في تردد :

— أحتاج الى السيارة اليوم يا عزيزي ؟ فاني
أريدها لنزهة قصيرة في الجبل

وكان كلامها كالصاعقة انقضت على ، فاحتبس
لساني ورأيتني أعتقد ، غير أنني تماسكت مرة
أخرى لأنتهي الى النهاية . فقلت لها وأنا أنتزع
الكلام انتزاعاً :

— ألا ترين أن الجو اليوم ليس جو النزهة
في الجبل ؟

فمبست وقالت بحفاة :

— ولكني أريد النزهة اليوم

وكنت مستطعياً أن أمنعها إذا زعمت لها أنني
في حاجة الى السيارة ، أو قلت إنها معطلة ، أو اعتذرت
بملة ما ... ولكن قلبي كاد يتمزق بالتمسك ،
وأردت اليقين واليقين في خروجها ، فتركتها
لشأنها وقلت خذها فلست في حاجة اليها
وأسرعت الى محل العمل فسألت عن فارتك

فقيل لي إنه قد خرج في سيارة ولن يعود بعد ظهر
اليوم ... فطار لي وبحققت من مصيبي ، ولم أملك
الصبر حتى التمس سيارة تجملي وتقذف بي على
الحائن والخائنة ، فعمدت الى « موتوسكل » كان
لأحد العمال فطرت به .

فلما وافيت الفندق ريمته ومضيت حذراً ألود
بكل ما يواريني . وكنت الى تلك اللحظة أراجع

فوقفت مشدوهاً لا أكاد أصدق ما رأيت
لولا أنني أرى ... ثم أمان الحب وأشفت عليهما
وظننت ما بها مما يحده الرعب ، وقلت : لعلها
حسبتني قد جنت ... فضممتها الى سدرى وقبلتها
وجعلت أهدئ روعها وأعتذر إليها حتى سكن ما بها
ولما طابت نفسها انفجرت ضاحكا وقلت
لها : هذا هو الفصل الثاني من الرواية الهزلية ...
ثم حدثتها بالخبر وأقرأتها الكتاب ، فطوقني
بذراعيها وتلمعت بي وقالت وهي تقبلي :

— ما كان أبعدك من الرحمة ! لقد حسبتك
جنت ... فلأن أظن بك الجنون أقرب من أن
أظن أنك تران في

ومرت الأيام وكنت أشهد حهما يتضاعف كما
تكثف النوبة عن خطيئة تريد أن تمحوها من
ذاكرة حهما ... وحدث ذلك الكتاب على محله من
حسن الظن ، فقلت : لعله من ما جنى يمشي في ،
أوعده يكيد لي ، أو عامل طرده فيريد أن ينتقم
مني بتخريب سعادتي ... غير أنني لم أطمئن الى ذلك
وساورتني الظنون الأخرى ، ولم أر من الحكمة
أن تعلم زوجتي بما تخالجي من الشك ؟ فجعلت
أجنس عليهما وأستعصي أخبار من تتصل بهم ؟
حتى كان يوم تلقيت فيه رسالة أخرى لا توقع
عليها ، وهذا نصها :

« إن زوجتك على موعد من كبير المهندسين ،
وأنت تعرف أنه السيد « فارتك » ، وستواجهه اليوم
في الساعة الثالثة على قبة فيزون بفندق الخنزير البري
حيث يلتقي العشاق ... »

فأقرأت هذه الرسالة حتى دارت في الأرض
وغل دمي وحن جنوني فعممت أن أذهب الى دار
المهندس فأبطن به . ولكنني تماسكت وجعلت أندب :

قد هلك كل من أرسلتهم الشركة إليها ، فهي تضمن أن تبعث في إلى الموت وما عيّلت الشركة أن الموت هو الذي أريد . فقبلت العمل وسافرت دون أن أزعج إلى بكسيبول لأرى زوجتي ، إذ لم يكن أبض إلى من أن أراها ووهبتها المنزل ونزل لها عن حصّة من مرتبي تدفعها الشركة إليها ؛ غير أنني اشتريت ألا تعلم ولا يعلم أحد بالسكان الذي سافرت إليه ، وأن يسيّر لسمي في دفاتر الشركة حتى لا تعلم ولا يعلم أحد . وتركت بلادي كأني مودع العالم ، فلا هم لي إلا أن أموت في أفريقيا فينساقي الجميع ...

ونشبت الحرب غير أنني لم أغامر فيها لشدة احتياجهم إليّ ، فقلد كان الزنوج بها جونا كل يوم ، ولولا مدافعتنا الرشاشة لهلكنا جميعا وجعل الزنجر وكأنه لا يمر على ، إذ لم يكن لي شيء جديد . ولم أعد إلى بلادي وآثرت أن أهلك كما يهلك الانسان في الصحراء . وانقطعت عن العالم وانقطعت أخبار العالم عني ، فلم أكتب لأحد ولم يكتب إليّ أحد ؛ واستعجز قاي من هول المصائب ، ورأيتني كالوحش الذي لا يفهم الموت حين تمت إلى الشركة ذات يوم زوجتي الخائنة ... وكان صباح وكان مساء ، وتقلب الظلام والنور ، حتى مررت يوما بمحصن تنزل فيه سرية من الجند يقودها ضابط عاش في باريس قبل الحرب ؛ فجلسنا نتحدث ونستعيد العالم ، وما كان أشد دهشتي حين علمت منه أنه كان عاملا في إدارة الشركة ... ١

وترأى بنا الحديث عن رجل ، رجل من الرؤساء ، فقال لي :
— هل عرفت قارئك ؟

ففسى وأزعم أن زوجتي قد ذهبت إلى جهة أخرى وأني لن أجد أحدا ، وسأجلس في الفندق لكأس أو كأسين ثم أعود إلى داري معلما فأجلس عند قدمي زوجتي واعتذر إليها كما اعتذرت في المرة الأولى ... وما بلغت هذه الخطورة من تفكير حتى كنت بمجداء الفندق وكأنه يقول لي أنظر أنظر ... أبصرت زوجتي ، وقد جلست إلى قارئك وأمامها الشراب ... فاقضضت عليها كالوت . أما هي فوعدت مشيئا عليها ، وأما هو فانهض وقد اكفهر وجهه وتنامت لسانه وأخذ يغمغم ، يحاول أن يتكلم ... فلم أهله ولم أسمع له ، بل صفعته على وجهه ثم انطلقت أعدو كالجنون وطرت بالوتوسكل

كانت ذلك قبل الحرب العظمى . وكانت العادات يومئذ غير العادات ، والشرف غير الشرف ، فأوصلت البلدة حتى ألحمت زميلين في فطيلت اليهما أن يكونا شاهدي في مبارزة قارئك . وأجمعت على قتله إذ كان حذقي في الضرب بالسيف لا يقل عن مهارتي في الرمي بالرصاص ثم أمت في محل عملي وأبيت أن أرى زوجتي أو ترائي . فكتبت إليّ تضرع أن آذن لها فقتلني بالخبر على جلبته فإن الأمر غير ما ظننت ، وإنما هو شأن آخر ستنبته بالبرهان القاطع ، و... وهنا منرت الرسالة ولم أستوف قراءتها ، وأبيت عليها ناساكت

ووقعت المبارزة وتضاربنا بالسيف ؛ فما كانت إلا هزيمة ثم أغمدت سيفي في صدر الخائن فسقط ميتا ولم ينطق بكلمة ولا حرف

وعدت ساعتى إلى باريس فكتبت إلى الشركة سر ألتبس عملا آخر . وجاءني الرد أن لا عمل إلا في ناحية بعيدة من بلاد أفريقيا ... وفي هذه الناحية

تم اختللت أعصابي وأصبحت خطراً على أنياعي ،
ولست أدري ماذا كان يحدث لو لم ترحمني الطبيعة هناك
فتضربني بالحي التي أرحمتني إلى هنا ... ولم تقناني
الحى فقد كانت لي قوة أقوى منها ، وهى رغبتي
فى التكفير عن الذنب

وبحثت فعملت أن تارنك ربيكاً هو ابن أخيه ،
وقد ذلّ بمدعى ، واقترب مدغى ، فنزلت له عن
أكثر ما جمعت من المال

أما زوجتي المسكينه فلم تترك أحداً تربطها
آصرة ، فجعلت هى أن أعيش ما بقى من العمر فى
ذكرها ، أنمذب بها كما عذبها ... فاستغيت
من العمل وحيث أريد بكسبى الذى دُفنت فيها ،
وسمى مارأيت من غراس الورد على أنواءه ، ومن
هذه الأحجار الغالية ، وهى تحت مثقال عظيم فى
باريس ، وهو آت بنفسه على أترى ليقم البناء على
القبر ، فيجعله أترأ خالداً مذكوراً من آثار الفن ،
وإلى جانبها سأقضى بقية مدى ، وإلى جانبها سأدفن

وحان الطعام أن يلقى أبوابه ، فخرجنا وكان
المطر ينهمر ، وجعلنا نلتصق الطريق حتى بلشنا
المحطة وبها مقهى يظل مفتوحاً إلى الصباح ، وأبى
صديق إلا أن يدخل إليه ، فهو على سنه مازال
بظلماً إلى الحز ، ولم يكن احتجز نفسه غرفة بأوى
إليها فى الفندق ، وتركته يتأبل سكرأ وانطلقت
وحدى .

قلت فى أول القصة إلى توجهت إلى المحطة
وجعلت أنصف الوجوه أبحث عن شخص ، فهو
صاحبى شبنك ، وقد ألتسته فلم أجده ، وانظرت
فلم يجى ، إلى أن تحرك القطار فوثبت إليه

فحدثت فيه أحسبه بهزأى ... ولكفى
تذكرت أنى قد غيرت اسمى فن البعيد أن يعرف
من أنا ؛ وكأنما أراد أن يذكرنى ، فقال :

— ألا تذكر تارنك الذى قتله زميل له فى
المبارزة ؟

قلت — فاقصة هذه المبارزة ؟

قال — لقد ذهب تارنك ضحية خطأ شنيع .

— أى خطأ ويحك ؟ ألم يكن خليلاً لزوجته قاتله ؟

-- كلا كلا ... لم يكن فى قدرته أن يكونه ...

ولقد اطّلت على الملف الخاص به عند ما كنت
أعمل فى إدارة الشركة ؛ فهذا البائس أظهر من
الطفل الرضيع إذ خذلتسه الطبيعة فلا يصلح
لأمرأه ... لا تلك ولا غيرها ولكفى ...

إلى أعرف ما تريد أن تقول ... نعم إن
الرجل فاجأه مع زوجته على حال ظنها مربية ، غير
أنهما لم يكونا فى مجلس غرام ، بل اجتماعاً لشأن
آخر ... فقد كانت هذه الزوجة تضربت إلى
تارنك وألحت عليه أن يسمى فى الانعام على
زوجها بنوط الشرف ، وسمى تارنك وكتب إلى
الشركة أيضاً ، وقد رأيت كتابه ببنى رأسى ،
وكان طلبه قريباً من الاجابة ، وبشروه بذلك ،
ودفعت الزوجة إليه تتلقى البشرى ، ولكن الزوج
الأبله نجحش به ولم يسمع منه ، ثم قتله ولم يسمع من
زوجته ، ثم رحل إلى حيث لا يعلم أحد أين رحل ...

قال محدنى :

هنا ما قصه الضابط ... وكدت والله أموت
حسرة ونوما ، وكدت أجن من هول ما صنعت ،
وتعرق قلبى أشد وأوجع مما قاسيت من قبل ، فلم
أطيق العيش وحاولت الانتحار فحبل بينى وبينه ،

كانت تهم به هيام الجنون فتأتى في سيارتها الصغيرة بين الوقت والوقت لاختلوها به في فندق من الفنادق ثم تدفع للفندق ما كان يجب أن يدفعه هو ... ١

وجعل ثمينه يلعن زوج هذه المرأة فقد كان أبه ممغلا ؛ إتهم رئيسه بزوجته فدعا للمبارزة وقتله ثم نأى فلا يدم أحد أين هو . وقد ترك لزوجته منزلاً وجصة كبيرة من مرتبه ، فكان ثمينه هو الذى يستمتع بالمال والدار والزوجة ، ساخرا هو وعشيقته من المنفل ... الى أن هلكت المرأة وهنا سكنت ثمينه عن الكلام وكان السكر قد نال منه ، فغمغم الرجل الشيخ بكلمات لم تفقهها الفتاة ؛ بيد أنها رأت وجهه كوجه النمر من الخلق والنيظ

وبعد ذلك أخذ ثمينه يفتنى ويمرّب فأخرجهم صاحب المقهى . وسأل الشيخ صديقه أن يصحبه في نزهة ، وأبّت الفتاة وألحت على ثمينه أن يعود الى مثواه ، فأغضبه الحاحها فلطمها ألقمها إلى الأرض . وما كادت تنهض حتى أبصرتهما يبتعدان إلى ناحية النهر ...

فالقيت الصحيفة من يدي وقد عرفت من القاتل ... وتجهزت على صديقي التمس صاحب غراس الورد وأحجار الزمر المصقول ... فلا بد أن يكون قد أزهق نفسه وانتهى القاتل والقتيل ... وقبل أن أغادر قرية بوقليبه تحدثت الى محطة بكسيول فعلمت أنه لم يأت إليهم أحد يسأل عن المرمز وغراس الورد ، وقد ذوى التراس فانقلب حطبا ...

وأنت يا فخر زوجة شبنالك ... ؟؟

محمد الرفاعي

وبلفنا بكسيول وفيها ينزلون من جاء به صديق من غراس الورد وأحجار القبر ، وأنزلها القطار ومضى في

وقضيت عملي ورجعت بعد أيام ، فاضطررت إلى التخلف مرّة أخرى في بوقليبه ، فنزلت حيث كنت نازلاً وسأت الحادى :
— هل عثروا على القاتل ؟

فقال : انهم قبضوا على فتاة ولكنهم لم يقبضوا على دليل يثبت جنائيتها . وأن هذه الفتاة أقرت أن القاتل رجل غريب كان معها هو والقتيل ، ووصفته بأوصافه ، فبحثت الشرطة في جميع الفنادق واتصلوا بكل من زلوا بهذا تلك الليلة فلم يهتدوا إليه ولا إلى من يعرفه . ولعله لم يقض ليلته في الفندق ... ولكن ما الذى يدعو هذا الغريب لقتل ثمينه ؟ لا أظنها إلا حيلة تريد الفتاة أن تخدع بها الشرطة ... وأنى ذلك كان فأملك الجريدة المحلية وقد اقتضت الخبر من أوله إلى آخره

وتناولت الجريدة وقرأت ما شهدت به الفتاة فاذا هى تقول إنها كانت صدرا من الليل مع ثمينه تعاقره الخمر حتى غملا . فلما انتصف الليل وأغلقت الحانة ذهبا الى مقهى المحطة ؛ ودخل الى المكان رجل علاه الشيب ، أسمر الوجه مشرب بحمرة ، قوى الجسم ، قصير القامة ؛ وكان يتربّخ من شدة السكر . فتجاذب هو ووثينه الحديث وخاصا فيه ، وزعم أنه قادم من باريس ووجهته الى بكسيول وأخذ ثمينه كعادته يشقّق الحديث بأخبار النساء من حظايا وعشيقاته ، وقال ان اسم بكسيول يذكره بأيام الطلب إذ كان في السابعة عشرة من عمره ، وكان يومئذ قد اتخذ أول خليلاته وهى زوجة مهندس تدعى مشلين ... وازدهى بأنها



— ١ —

يردها بعده كلمة كلمة ، وقد ركع وضيم يديه إلى صدره في خضوع ، والجمع من حوله خشع بنظرون .

وحين تمت الصلاة انصرف الناس وقد عرفوا في الشاب البحار شادراك جويلف الذي رحل عن وطنه الأول هافنبول ... رحل عنه إلى نيوفوند لاند ، حين مات أبواه .

وانطلق البحار يتحدث هذا وذاك ، ويقنع عليهم قصة حياة منذ ركب البحر ...

وعلى قيد خطوات منه فتاتان : أما إحداهما فضليّة ضامرة رقيقة ، وأما الثانية فتويلة قارعة ؛ جذبه إليهما بمض ما بدا عليهما من رقة وخفة ونشاط ، فقال لحدّته : « من الفتاتان ؟ » قال له صاحبه : « أما القصيرة فهي إميلي هانتج ، وأما الطويلة فهي جُورْأنا فلبارد » ، قال : « نعم لقد ذكرتهما ... » ثم أصرع ؛ وحين حاذاهما قال : « إميلي ، ألا تذكرين ... » قالت الفتاة : « هذا ما أظنه يا ماستر جويلف ! » وحدّقت فيه الثانية ، فقال : « لأستطيع أن أذكر الآنسة جورْأنا غير أني أعرف عنها الكثير »

وساروا جميعاً والبحار يحدثهما حديث ماضيه ، وهما تنصتان في شغف ولذة ، وبلغوا — بعد حين — دار إميلي ، فتركتهما هذه ليسيرا جنباً

في أُمسية يوم من أيام الآحاد ، وقد ابتدأ الظلام ينشر سجوفه على مدينة هافنبول ، كان فناء كنيسة سان جيمس يتلأأ ، وتسطع فيه أضواء الشموع ؛ والقس في عجابه بمحذر الناس ويمظهم ... ثم وقف — وقد انتهت الصلاة — في خشوع وذلة ، وراح الجمع ينسلون رويداً رويداً .

كان المكان هادئاً صامتاً لا يرتفع فيه إلا هدير الأمواج الصاخبة تصفع الشاطئ في شدة حيناً وفي لين ، وإلا صوت أقدام رجل ينطلق إلى باب الكنيسة يريد أن يفتحه لينصرف المصلون ؛ وحين شارف الرجل على الباب ارتفع المزلاج من الخازج ودلف رجل في لباس البحار ... ثم انطلق على مهل حتى وقف بأزاء المهراب ، والقس يحدجه بنظرات فيها الغضب والحزن على فضوله ؛ غير أن البحار قال في هدوء : « لا تؤاخذني عافيات يا سيدي ، فلقد جئت لأحمد الله على أن أقتضى من الفرق حين تحطم مركبي ؛ وهذا واجب أريد أن أؤديه إن وجدت منك الرضا » ، وصمت الراهب حيناً ثم قال : « لا مانع ؛ وكان يجدر بك أن نجى في بدء الصلاة ، والآن سنصلي معاً صلاة النجاة من الفرق » ، وانطلق القس يتلو الصلاة والبحار

واختلجت هذه الأفكار في رأسها فسكرت
الى صاحبها تقطع ما اتصل بينهما ، وانطلقت الى
صاحبها تريد أن ترى أثر الخبر في نفسها ، وفي
بدها كتبها الى شادراك لتقرأه على صديقها قبل
أن ترسله .

دخلت جوانا فلم يجد إميلي في الدكان فجلست
تنتظر ... ونظرت فاذا شاب يتحدث في بعض
السكرت من خلال الزجاج ... إنه هو ، هو شادراك
جاء ليجلس الى إميلي ، وهو الآن يجمل بصره فيما
حوله عليه يجدها وحدها ؛ وأنفت جوانا من أن
يجلس الى صاحبها تحت سمع إميلي وبصرها فانفلتت
تنواري خلف سحج لثري وتسمع ، ولتستطيع
أن تنسل من الباب الخلفي متى أرادت ... وبدأ
لمينها ما ارتسم على وجه شادراك من سبات الألم
والحزن حين دخل فلم يجد إميلي ؛ وهم أن يخرج
غير أن شبح إميلي كان قد بدا له فترتب . وحين
رأته هي فزعت كأنها تريد أن تنكص على عقبيه ،
فقال شادراك : « لا ... لا ترجى ، ما الذي يفزعك
يا إميلي ؟ » قالت : « لا شيء ياربان جوليف ، لا شيء
سوى أنك لجأني فاضطربت » وكان صوتها يضطرب
كأنه يتحدث عن بعض ما في قلبها من بأس وألم .
ورأى الشاب ذلك فقال وهو يبسم : « لقد عرّجت
عليك في طريق ... » قالت وهي تقفز ليكون
التضد بينهما « لذلك تريد بمض الورق ! » قال :
« لا ، لا ، يا إميلي ؛ لذا تقفزين هناك ؟ لماذا تبتعدين
عني ؟ أنا أصبحت تفضيني ؟ قالت وما تزال الاضطراب
في ألفاظها : « لا ، أنا لا . أكرهك ، وكيف أقبل ؟ »
قال : « تعالى إذن هنا نتحدث كصديقين » ...
وجالست إليه وطلت فيها ابتسامة رقيقة ، وانطلق
هو يتحدثها : « ها أنت ذي يا هنزى ... » فقاطعتها :
« لا تقل هذا ، أيها الزبان ؛ إن هذه كلمات يجب

الى جنب حتى هار جوانا ... وحين رأى شادراك
نفسه وحيداً أورد الى دار إميلي ... إنها تبتس مع أيها ،
وهي تدير دكاناً صغيراً للسكرت ، تسد بما تربيته منه
ثغرة لا يسدها راتب أيها الصائيل ... وداف الى
الدار ليجد الأب وابنته يشربان الشاي ، فتناول
قدحاً آخر ؛ وأخذ يحديثهما حديث البحر
ومفاجآته ، والفتاة تحس أن هذا الشاب يجذبها
إليه رويداً رويداً ؛ ومضى أسبوع توثقت فيه
بينهما عرى الصداقة

وتلأل القمر - ذات ليلة - ليبت في نفس
البجّار الشاب النشوة والطرب ؛ فانطلق يستمتع
بالهدوء والبحر والقمر ، ويستروح نسفات الحياة
الناعمة ... ورأى فتاة تسير على بعد ظنها إميلي
فانطلق في إثرها ، وحين صار بمحذاها وجدها جوانا
غيرها وسار الى جانبها ، وهي تدفقه عنها برفق
خشية غضب إميلي ، غير أنه أصم أذنيه عن كلماتها
وراح يحدها ...

ماذا قال لها وماذا قالت ؟ ماذا كان منها
وماذا كان منه ؟ لم يبع شادراك بشيء من ذلك ،
ولكنه أصبح ينفو يحوها ويحمل أميلي قليلاً قليلاً .
وطارت إشاعة يحمل في ثناياها عزم البحار الشاب
على الزواج من جوانا دون إميلي . ودود الإشاعة
لثبت في نفس الأولى الأمل الحلو ، وفي قلب الثانية
اليأس والحيرة ... وبدأ لجوانا أن تنطلق الى
صاحبها تكذب الخبر وتقول لها إنها ستدفع
الشاب عنها في رفق ولين ...

لم يكن شادراك هو كل أمل جوانا ، فهي
لا تستشعر حبه في قلبها ، وهي لا ترى فيه رجلاً
لأنه فقير ، ثم هي جذابة جميلة ناعمة ، تأسر القلوب
وتسكن على الأفئدة ؛ غير أنها أعجبت بلباقة البخار
وظرفه ، وكانت ولوعاً بالزواج ...

لا تستطيع أن تجلسي اليك . ولقد أحست هي في خطابك صفة قوية قاسية هدمت كيانها » وأفاضت الأم فيما قالت ، وكان البحار الشاب رقيق القلب ، سليم الطوية ، فصدق حديث الأم للفتى ، وألقى بين يديها قياده وهو يقول : « ويلى ! لقد تسوت حقاً ؟ والآن فلها هي الخيار »

وفي الصباح التالي جاده خطاب من جوانا تطلب اليه أن يوافيها الى اللقي ... وقالت له وهما يسيران ذراعاً في ذراع : « الآن رجعت البياء الى مجارها ، وكان خطابك غلطة من غلطات الشباب أليس كذلك ؟ » قال وهو يسم : « بلى !... » وتصرمت أيام ... طلعا بعدها على العالم عروسين ...

٢ -

وكرهت الزوجة أن ترى زوجها يركب البحر فيخلعها نصف زوجة ، ويتركها وحيدة وقد ماتت أسها ، ثم هي لا تأمن غدر الأمواج ، فراحت تحبب اليه البقاء الى جانبها ليقوما معاً بعمل فيه الأمن والرجح

وأطمأن الزوج لحديث زوجته ، فأنشأ دكاناً للبدالة ، وبذل قصارى جهده ليفوز من دكانه بمحتم ؛ غير أن جهله بفنون التجارة كان عقبة كأداء . ودار الفلك دورات ، وهو هو ، حيث كان منذ سنوات ، لم يُبد شيئاً سوى ولدين أشرقا في دجى حياته ، وأحبتهما الأم حباً أنساها ما كانت تحبوه زوجها من الحب ، وشب الطفلان على شاطئ البحر فيهما الفراشة والقوة والنشاط ، لكنها لا تستطيع أن تنسهما كما صور لها خيالها ، وبدت لها الحقيقة مرة لذاعة

أن تكون لشخص واحد ليس غير . قال : « لقد أدركت ما تمنين ؛ وإنى أقسم أنه ما جال في خاطري يوماً أنك تفكرين في . أنا أشعر بجيل إلى جوانا ، وأعلم أنها لا تحملى في قلبها شيئاً من الحب ، وما كان بيننا سوى الصداقة ؛ وأنت تلمين أن البحار حين يهبط أرضاً يكون أعمى كالغفاش ، فهو يريد امرأة تملس له وتنفذ تملايمه ما وراء ذلك . ولقد أحبتك وسكنت اليك — بادية الأمر — ولكنك انزوت عني فأحسست كأنك تدفيني عن نفسك في رقبتي ، فانطلقت إلى جوانا ... » قالت وهي ترتجف : « كفى ، كفى ؛ فأنت ستزوج من جوانا في الشهر القادم ، وإنه من المار ... » قال وقد أمسك بذراعها يضمها إليه : « إميلي ... عززقي إميلي ... إنه هو أنت ... أنت وحدك التي أحب ، وأنت التي سأزوجها . إن أمل جوانا أن تزوج من رجل غيري غنى . إنها لا تصلح لي ... » وكانت جوانا من خلف الستر تحتاج وتضطرب وقد فجأها حديث شادراك فأزعجها وآلمها ، فانطلقت وفي قلبها الحقد والكراهية لصاحبها إميلي ... انطلقت إلى دارها تمزق الخطاب الذي كتبته إليه وفي رأسها خاطرة تضطرم : لقد عزمت على ألا تدع البحار الشاب يفلت فيكون هو سعادة إميلي وشقاءها في وقت مما ...

وطربت إميلي لحديث الشاب فقامت تودعه وفي عينيها عبرات الشكر والسرور وسيطرت الفكرة على شادراك فسكتب إلى جوانا يكشف لها عن بعض ما ظنه قد خفي عليها ، وطلب اليها أن تكتب له ، ثم انتظر ... انتظر طويلاً فلم يظفر منها بكلمة ، وأمضه الانتظار ، فانطلق اليها ... وقالت له أنها : « إنها مريضة

المعادة لابنيك ! » قال : « لقد كنت أستطيع لو أنني انطلقت إلى عملي .. على الذي أجيده ... إلى البحر ... »

ونحركات أطلع الزوجة في صدرها فقالت : « أفترى النجاح هناك ؟ » قال : « نعم » قالت : « أفتريد أن تذهب ؟ » قال : « ما أريد له لذة في نفسي فأنا أجد اللذة هنا إلى جانبك وإلى جانب أولادى غير أنك تريدن الثراء ، وهذا طريقة . » قالت : « ومتى تمود ؟ » قال : « من يدري . » وفي الصباح لبس شادراك ملابس البحار وانطلق إلى البحر ... إلى نيو فونلاند ...

وترعرع الطفلان ، وانطلقا إلى الميناء بعملاق بأجر زهيد ، وأمهما جالسة إلى نفسها تحببها : « لاسير ، فهما يكسبان ما نسد به عوزنا ، سيكونان في السابعة عشرة والثامنة عشرة حين يرجع أبوهما يحمل إليهما المال ، وبه يبلغان ما بلغ أبناء إمبلى من الرقابة والعالم ... »

وانقضت الأيام ، وحانت عودة شادراك ولكنه لم يأت ... غير أن ذلك لم يزعج الزوجة ولم يقلقها فهي تعلم أن المالك شراعى وأنه لاسير إن لم يصل في ميعاده ... وانقضت أيام ...

وعاد الرجل وعلى وجهه سمات الفرح باللقيا بعد الفراق الطويل ، وعلمات الفوز بما يرضى به زوجته : وراح يضم زوجته في شفق وحب وهو يقول : « لقد أفدت كثيرًا يا جوانا » ثم أفرغ في حجرها كيسا كبيرا قد ملأ ذهبًا . وبدأت الدهشة على وجه الزوجة — بدى — ذى بدء — ثم انحمت قليلا قليلا ، ليحل محلها الجشع الذى فى صدرها فقالت : « أهذا كل ما أفدت ؟ » واستشعر الرجل الخيبة فقال : « ماذا ، ما ذا يا عزيزتى ؟ إنه

وكانت إمبلى قد تزوجت من تاجر غنى ، وراح يتودد إليها حتى رضىته زوجا ، وتفتحت زهرة هذا الزواج عن طفلين مسحا عن قلبها ما كان من حب لشادراك ومن كراهية لجوانا ، واستقرت إمبلى في دار زوجها الفسيحة الجميلة ، وهذه الدار مجاء وكان شادراك !

لشد ما ألم جوانا أن ترى المرأة التى غلبتها على أمرها حينما من الدهر فى قصرها الشديد ، ترفل فى حريرها وستندم بين أطفال كالأقار ، وأن تراها تطل من نافذتها بين الحين والحين كأنها تستمتع بما ترى فى دكانها من معاني الضمة والفقر ! ولشد ما حزن فى قلبها أن تستشعر الخيبة بعد أن أحرزت النصر ! وأن ترى حياتها تنفتح عن قافة وعوز ! أفكان هذا هو كل ما أفادت جوانا حين ظفرت بفتاها شادراك ؟

وجلست جوانا إلى زوجها تحببه وقد خلا السكان إلا منهما ، وبصرها ملق بمرية أحد الأغنياء الكثيرين الذين يزورون إمبلى بين الفينة والفينة تحببه تقول : « ما كان لرجل أن يبرز فى عمل لا يجيده ولا يتقنه ، وأنت لا تحسن فنًا من فنون التجارة » قال الزوج : « إن الثراء لا يستغنى كثيرا ، وحسبى أن أعيش إلى جانبك سعيدا ... » قالت : « أفلا ترى ما بلغت إمبلى من الثراء والدعة ؟ إن ابنتها يتملكت فى الكلية ، أما ابنك فلا يستطيعان ... » واستيقظ الهوى فى قلب البحار حين ذكرت إمبلى فقال : « إنه أنت أنت التى رفقت إمبلى إلى ما ترين حين جذبتنى إليك ، فأرندت هى فى يأسها تجيب التاجر إلى ما طلب . » وتألم الحقد والغضب فى صدر الزوجة فقالت فى غيظ وحدة : « دع الماضى ، وانظر كيف تجد

بقلب الأم ويبدد في الصبيبت غرامن التخاذل والضعف ، فانسَل رقيقة ولديه في الصباح الباكر ونسبت الربيع نمر هَيئَة نَدِيَّة . وأحسَّت الأم ، بعد حين . فاندفعت على آثارهم لتري ما سطره الرجل على الجدار ، بنبتها بسفرهم خابية ثلاثا تحزنها ساعة الفراق وتولها ، لتري كل ولد وقد ترك أثرًا تحت أثر أبيه يقول : « وداعًا يا أماء ! » وانطلقت الأم لتندرك السقر ، غير أن سفينتهم « جونا » كانت هناك عند الأفق تخمر المياب ... وتنجرت الدبرات من معجربها - وقد تصدع قلبها - تمجج السرور والهجة عن أيامها . وارتدت ... ارتدت لتري مثلها الأعلى في المرأة التي دفعت زوجها وابنتها الى اليم ... إمبلى ...

وانقضت أشهر السيف الأولى ، وجوانا لا تبرح مكانها وما فيه إلا الرفوف ، وإلا النضد ، وإلا بقية من البضاعة ؛ وجاءت أيام الشتاء تريد أن تحجو ما سطر أذى زوجها وولديها ؛ وشق على الزوجة أن ترى هذا الأثر الغالي يحجى ، وهي ترى من خلاله بسات سيدها وولديها ، ففطته بالواح من الخشب ...

ورأت إمبلى ما يضطرب في خيال صديقتهما جوانا فانطلقت ترفه عنها وتشتري منها بعض أشياء هي في غنى عنها وعن بعض ما فيها من قذارة ورداءة ؛ وجوانا لا تظلمن إليها ولا تبدأ لأنها ترى في ذلك معنى الثمالة والتشفي ؛ وتأثرت الحقد في صدرها حين رأت ابني إمبلى وقد عادا ليقتنيا أيام عيد الميلاد بين أبيهما وأمهما ، يبدو عليهما أثر النعمة والعلم مما ...

ومضى عام ... وابتدأ القلق يستولى عليها ... وجلست إمبلى إليها تحدثها فقالت لها جوانا : « أنت تسيرين في طريق النجاح دأبًا ، أما أنا

لثراء ... » قالت وكأنها تؤنبه : « هذا ثراء لمن يعيش في البحر ؟ أما هنا ... »

وأمسك عن الحديث حين دخل الولدان ... وفي يوم الأحد التالي انطلق شادراك الى الكنيسة ليؤدى صلاة النجاة

وبدا للرجل أن زوجته لا تقنع ، فراح يتحدثها ليستشف من حديثها بعض ما يكنه قلبها ، فقالت وهي تشير الى دار إمبلى « إنهم يملكون الآلاف وما عندنا سوى بضعة مئات ؛ لقد اشتروا عربية وحسانين . ما زلنا فقراء يا شادراك ... »

وقضى الزوج عامًا لا يرى زوجته إلا حزينة كئيبة ، فامضته ذلك وآله وعزم على أن يغامر في البحر مرة ثانية مع ولديه . وانطلق الى زوجته يكشف عن عزمه فاضطربت وفزع ، وقالت : « لا ، لا ، يا شادراك . لا أستطيع ذلك ، ولا أريد أن أقذفهما في يد الأمواج ... » قال الزوج « وأما لا أستطيع السفر بدونهما »

وباتت المرأة تقلب الفكرة في رأسها ، وعلى خطوات منها إمبلى تُسمر الحقد والغليظ في قلبها فلا تستطيع صبرا على ما هي فيه من فاقة وفقر ؛ غير أنها لا تقوى على أن تمشي وحيدة ، ولكن .. ولكن أحلامها في النفي والسعادة ... وصيحت زوجها تقول له : « أنستفيد كثيرا لو أنهما ذهبا برفقتك ؟ » قال : « أضمافا مضاعفة ، فَمَا خَيْرِي من رجال كثير ، وأنا ألع فيهما الذكاء والفتنة والجد والجد » قالت : « وهل في دكوب البحر من خطر ؟ قال : « نعم »

ومرت أيام وأيام ، والأم لا تستطيع أن تقر على رأى ... ثم وافقت ...

وخيل للرجل أن موقف الوداع بمصيف

من امرأة مثلي تهديها الأيام؟ « قالت إيميلى فى رقة :
« أطلب إليك أن تعيشى معى ... معى فى منزلى
فأخرجك عن خلونك ووحدةك وكأبك »
قالت : « لا ، لا ، سأظل هنا ! إنك تريد أن
تنتقمى ... تنتقمين منى لأننى حلت بينك وبين
شادراك ؟ إنك تريد أن تحبسى فى دارك لتبذرى فى
نفوسهم اليأس حين يمودون فلا يجدونى »
وأمسكت إيميلى عن الاجابة لأنها تعلم — كما
يعلم من فى هافنبول — أن شادراك وولديه قد
ابتلعتمهم الأمواج منذ حين ...

وصرت الأيام ... وعجزت جوانا عن أن تدفع
أجر الدكان والنزل حين نصب ممينها ؟ فهى قد
خافت العمل منذ زمان ، وزوجها قد أخذ كل
ما أفاد ليضمه وبكثرة ، وتضائل الأمل فى عينها
رويداً رويداً ، فأجابت إيميلى إلى ماطلبت ...
وامتدت بد الأيام إلى المرأة تحمل إليها المشيب
الباهر ، وترسم على وجهها غضون الأسى والألم ،
ويحنى ظهرها ، غير أن الأمل ...
واستولت على المرأة زعرة جنون تفزعها عن
مرقدتها بين الفينة والفينة لتنتظر خلال النافذة
عليها تجمد أحياءها

وهبت ريح الشتاء الباردة تصفر صغيراً ضحكاً ،
والظلام الحالك ينفث ذوابه على المدينة ، والمرأة
جالسة فى حجرتها ترهف السمع ... ترهف السمع
بعد ست سنوات خلون منذ أن أفلح الركب
« جُوانا » ... وخيل إليها أنها تسمع صوت
شادراك وولديه ، فاندفعت تدق باب الدكان دقاً
عنيفاً ... وأطلت شاب من النافذة ليقول لها :
« ياسيدتى ، إن أحداً لم يأت ! »

لعل محمد حبيب

فأهبط فى منحدر الاخفاق دائماً « قالت إيميلى
« لماذا ، لماذا ؟ سيرجعون جميعاً وفى أيديهم الثروة
والمال ... » قالت « أفيرجعون ؟ أفيرجعون حقاً ؟
إن الشك قد هيم على ... إن مركباً واحداً قد
أقلعهم جميعاً ، والأشهر تمضى وأنا لا أعرف ما
يصنعون الاشئ ، ينزع عنى الهم سوى عودتهم »
قالت إيميلى : « أنت مخطئة يا جوانا ، لماذا دفت
بهم الى البحر ؟ » فالتفت جوانا متحاجة تقول :
« نعم ، انه أنا التى فملت ، وانه أنت التى أغرقتى
بذلك ؟ فما كنت لأستطيع أن أراك غنية ترفلين فى
حلاك وحملك ونحن نتخبط فى شدائد الفقر
والحاجة . هذا ما فى قلبى ، ولا يعنينى بعدها أن
تكبرهينى » قالت إيميلى فى هدوء : « لا يا جوانا ،
أنا لن أبضك أبداً »

وكانت إيميلى صادقة فيما قالت ...
ودار الفلك دورته يذيق المرأة وبال أمرها ،
لتتكفر عن سيئات اقترعتها حين طاعت أطامها ،
واليأس يتدفق فى قلبها ينزع عنها الصبر والایمان
وذكرت أمنية زوجها حين قال : « ... وحين
نعود غائمين سألين نذهب الى الكنيسة لنؤدى
صلاة الحمد كما فعلت أول مرة ... » فكانت تذهب
فى صباح مساء لتركب هناك حيث ركب زوجها
منذ سنوات وسنوات وهى تضرع الى الله ...

وطال بها الانتظار ، وهى لا تجد من يقص
عليها قصة زوجها وابنها ، فتوزعها الهموم
والأحزان ، وارتاحت لوحدها وخلوتها وإيميلى
من ورائها تدفع عنها الخواطر السود ؟ غير أن
جوانا قالت لها فى غضب وحسرة : « أنا أكرهك !
أنا لا أستطيع أن أراك ! » قالت إيميلى : « لماذا ؟
فأنا أريد لك السلاوة والاطمئنان ! » قالت : « أنت
سيدة غنية تنعمين بالمال والزوج والبنين ، فاذا تبتغين



يَوْمِي أَنَا فِي الْإِرْفَاءِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٦ أكتوبر ...

كالطائر المرح، وأحياناً يحزن ويثب على قدميه وبأني أن يتقدم كأن في طريقه أمي رافعة الرأس . وهو الساعة بهتز في يدي ويرقص ولا يطيعني كأن شيئاً يخيفه أو يقصيه عن مروج الأحلام . فنظرت إلى خزانة ملابسي الخشبية فإذا بأرأسود على رأسها واقفاً يقرض الخشب بأسنانه ؛ فجمأت أنظر إليه عليه بذهب ، فلم يذهب ؛ ومضت ساعة وهو في مكانه وأنا في مكاني ، كلانا له عمل من غير شك ، وهو فيما يبدو لي لا يحفل بوجودي ، ولكني أنا أحفل بوجوده . فزيارته في هذه الساعة شغلتي عن نفسي . وأخذت لأحظه وهو يمسح رأسه وقه بيديه الصغيرتين . وجملت أفكر في هذا المخلوق الذي لا يفكر في ، وهنا كل الفرق بيني وبينه ؛ وتركزت هذا النجار الصغير ذا النشار الدقيق ، وحملت كتابي إلى سريري وسدلت « التاموسية » عليّ وأحكمت ربط أطرافها حتى آمن فضولي هذا الزائر إذا حدثته نفسه بمداعبة ندى المارية . ولم

لم نستطع أن نعرف شيئاً من الشيخ عصفور ، ولم نستطع كذلك أن نقبض عليه ، فهو لم يرتكب أمراً يقع تحت نصوص القانون فأطلقناه ، وخطر ببالنا أن ندفع في أثر أحد الخبيرين عسى أن نستكشف غيباً الفتنة . . . ولكن أين هو الخبير السري الذي يخفي على الشيخ عصفور ؟ إنه يعرف كل رجال الحفظ معرفة أكيدة ، وهو الذي قام معهم في الوقائع مئات المرات وسهر معهم وأكل وشرب وغنى وأشد ، ودلهم على غايء الأسلحة ، وافتنق معهم آثار الجزمين . إنه يكاد يحسب من أسرة « البوليس » . تركبانه ينصرف في سلام . وقد اكتفى للأمور الحائق بأن شيمه إلى الباب بصفعة على قفاه شفي بها غلبه ، وانصرف بمذلك كل منا إلى شأنه : للأمور إلى ناديه ، وأنا إلى منزلي حيث خلعت ملابسي وخلوت إلى نفسي ، وأخرجت كراسة يومياتي أنق في هذا الكلام الذي لا أجد من أفضي به إليه في هذا الريف . إن القلم لنعمة لأمثالنا ممن كتبته عليهم الوحدة ، ولكن القلم كالجواد ينطلق أحياناً من تلقاء نفسه

وصفق يديه :

— يا افندى يا محضر! حضر الجلسة . . .

الجلسة .

وألقى بمطفه التيل الأبيض السفرى على كرسى ، وأخرج وسامه الأحمر من محفظته ولبسه في الحال . وأقبل الفراش بالقهوة فشربها القاضى وهو واقف في جرعتين وهجم على قاعة الجلسة ، ونحن في أعقابهِ ، وصاح المحضر :

— محكمة ! !

ونظر القاضى في « الزول » وقال :

— قضاي الخالفات . محمد عبد الرحيم الدنف ،

لم يبق دودة القطن . . غياي خمسون قرشاً . تهاى

السيد عنييه . . . لم يقدم ابنه للتطعيم . . غياي

خمسون . . . محمود محمد قندبل ، أحرز بندقية بدون

رخصة . . غياي خمسون والمصادرة . غياي خمسون . .

غياي خمسون . . .

وانطلق القاضى في الأحكام كالسهم لا يوقفه

شئ ، والمحضر ينادى مرة واحدة حتى يلاحق

القاضى ؛ فن لم يسمع النداء . عد غائباً وحكم عليه

غياي . ومن سمع بالمصادرة فحضر يجرى ابتدره

القاضى :

— أنت يا رجل تركت غنمك ترحى في زراعة

جارك ؟

— أصل الحكاية يا سفاة البك . . .

— ما عندناش وقت لسماع حكايات . . .

حضورى خمسون . غيره . عبد الرحمن ابراهيم

أبو أحمد . الخ الخ . . .

وانتهت الخالفات في مثل لمح البصر ، وجاء

دور قضاي الخنج وفيها سماع شهود ومرافعة مجاميع

أجد فائدة من « المصاد » فانها تسكفى عناء في

إغنادها وترب . نتيجتها . وليس أشق على النفس

ولا أدعى إلى إضاعة الوقت من انتظار النتيجة . إذا

كانت القضية حاضرة محاورنا وتداولنا ولا تقع

حتى تقع معها نفوسنا . وفوق ذلك فلنك قنصنا من

الزجران ، ومع ذلك لم تقطع زيارتها ، فلنتركها إذن

نحى وروح ؛ ولنعلمها هذا الجليل ؛ ولنحرص نحن

على أنفسنا وحوالنا . وأنا والله الحمد ليس لى حوائج

يخنى عليها غير هذا الأثاث الرخيص من الخشب

الأبيض قد حطمته كثرة التنقلات من بلد إلى بلد . فإذا

يضره أن تميت به أسنان صغيرة ؟ ونمت في تلك

الليلة بعد المشاء بقليل ، فان في اليوم التالى جلسة

القاضى السريع ، وقد كلفت مساعدى بحضورها

على أن أحضرها معه إلى جواره كي أمرنه على

نظام الجلسات وما يتبع فيها من إجراءات . وجاء

الصباح وذهبت إلى المحكمة فوجدت مساعدى

في غرفة الدلاوة متأبطاً مظروفاً به وسامه وهو

في انتظار القاضى . ولم يلبث القاضى أن جاء في

القطار القادم من القاهرة وخلفه شبان الحاجب ،

وما يشتردان في الخطى والقاضى يخرج من جيبه

تقوداً يتاولها للحاجب ويقول له :

— اللهم يكون فلاحى من قشرة بيت اللوح !

واستج للبيض يا شمعان افندى ؛ والزبدة والجبنه على

عهدتك . أوضع الحاجة في السلالى « كويس »

وانتظرنى بها على المحطة في قطار ١١ كالعتاد . اطلع

انت السوق والأفندى المحضر يقوم بذلك بالعمل !

وانصرف الحاجب سريعاً ، ودخل علينا القاضى

وسلم في محلة قاتلاً :

— أظن تدخل الجلسة .

وحى تحتاج إلى شيء من الأمانة ؛ فأخرج القاضى
ساعته ووضعا أمانه ، وصاح فى المحضر :

— بسرعة ؛ القضية الأولى ...

فنادى المحضر :

— سالم عبد المجيد شقرف ...

فنظر القاضى فى الرول وعرف التهمة والتفت
إلى التهم وهو لم يجتز بعد عتبة باب الجلسة وصاح فيه :

— ضربت الحرمة ؟ كلمة واحدة ... قل من
عندك !

— بإسعاد البك فيه راجل يضرب حرمة !

— ممنوع الفلسفة . كلمة وزد غطاها .

ضربت ؟ نعم أو لا ؟

— لا

فصاح القاضى فى المحضر :

— أنكر التهمة . هات الشاهد

فحضرت الحرمة المضروبة تتمتر فى « ملها »
الأسود الطويل ، فلم ينتظر القاضى حتى تدخل
الجلسة ، وصرخ فيها :

— ضربك ؟

— أصله يا سيدى القاضى ربنا بخليك ...

— مفيش أصله . ضرب والا لا ؟ هى كلمة

لا غير

— ضرب

— كفاية . واستغنت المحكمة عن بقية
الشهود ... كلامك يا منهم

فتنحى التهم وجعل يدافع عن نفسه والقاضى
مشغول عن سماعه بكثابة الحثيات ومنطوق الحكم
على الرول بالرصاص إلى أن فرغ . فرغ رأسه ونطق

بالحكم دون أن ينتظر إلى التهم . أو ينتظر بقية دفاعه

— شهر مع الشغل . غيره ...

— يا سعادة القاضى أنا عنسدى شهاد

لا ضربت ولا بطاحت . الحكم ظلم . ظلم يا ناس

— إخرس ! اسجبه يا عسكري !

فسجبه العسكري بميدا . ونوديت القضية

التالية . فحضر رجل هم مقوس الظهر أبيض

اللحية يدب على عصا فابتدره القاضى :

— بددت القمع المحجوز عليه ؟

— القمع قمحى يا سعادة القاضى وأكلته أنا

والصيال

— معترف . حضورى ، حبس شهر مع الشغل

— شهر ! يا مسلهين ! القمع قمحى . زراعتى ..

مالى

فسجبه العسكري . وهو ينظر بينين زائنين

إلى الحاضرين كأنما هو لا يصدق أن الحكم الذى

سمع حقيقى . إن أذنه لاشك قد خاتته ، وإن اليقين

عند الناس الحاضرين . فهو لم يسرق قبح أحد ،

لقد جاءه المحضر حقيقة فحجز قمحه وعينيه حارساً

عليه حتى يسد مال الحكومة ، ولكن الجوع

اشتد به وبمباليه فأكل قمحه ؛ فمن ذا الذى يصدّه

سارقاً ويماقبه عقاب السارق ؟ إن هذا الشيخ

لا يمكن أن يفهم هذا القانون الذى يسميه لصاً لأنه

أكل زراعته ، وثمرة غرسه . إن هذه الجرائم التى

اخترعها القانون اختراعاً ليحمى بها مال الحكومة

أو مال الدائنين ليست فى نظر الفلاح جرائم طبيعية

يحميها بغريزته الساذجة . إنه يعرف أن الضرب جريمة

والقتل جريمة والسرقة جريمة . لأن فى ذلك اعتداء

— الحبس بالزور يا حضرة القاضي ؟ أما مظلوم .
لا قاضي سمع كلامي ولا حاكم طلب سؤالي لحد
الساعة !

— إخرس ! معارضة يا رجل بعد اليعباد ؟
— وما له ؟

— القانون يا رجل انت محدد أربعة أيام
— أما يا سيدى القاضي غلبان لا أعرف أقرأ
ولا أكتب . ومن يفهمنى القانون ويقرئى
الواعيد ؟

— يظهر انى طولت بالى عليك أكثر من
اللازم . أنت يا بهيم مفروض فيك العلم بالقانون .
إحجزه يا عسكري !

ووضع الرجل بين المحجوزين وهو يلتفت يمنة
ويسرة إلى من حوالبه ليرى أهو وحده الذى لم
يفهم ؟ !

وجعلت أتأمل لحظة سحنة هذا المخلوق الذى
يفترض فيه العلم بقانون « ناپليون » ! !

وانتهت الجلسة آخر الأمر . ووثب القاضي
ناهضاً وعاد الى حجرة الداولة ، وخلع وسامه على
مجل ، فان قطار العودة لم يبق على قيامه غير سبع
دقائق . ولكن القاضي تعود الركوب فى آخر
لحظة ، فهو فى إسراره لم يفقد ثباته الداخلى ولا
اطمئنانه ؛ وتناول معطفه الأبيض ووضعه على
ذراعه وسلم علينا وانصرف الى المحطة فى شبه ركض .
وإذا كاتب النيابة يدخل مسرعاً يبيض الملفات
وخلفه عسكري يسحب مسجوناً والكاتب يصيح :
— القاضي مشى ؟ عندنا معارضة فى أمر

حبس معروضة على حضرة القاضي
فقلت له فى الحال :

ظاهراً على الغير ، وأن الرذيلة الخلقية فيها بدهيية
جلية . ولكن التبديد ... كيف يفهم أركانه
وحدوده ؟ إنما هو جريمة قانونية يظل يتحمل وزرها
دون أن يؤمن بوجودها . وأسلم الشيخ أمره
لخالقه . وتسلمه الحراس وهو يقول : « لا حول
ولا قوة إلا بالله » . ونوديت القضية التالية ،
ولم يكد المحضر يلفظ اسم التهم حتى كان القاضي
قد وزن « الدوسيه » فى يده فوجده ثقيلاً والشهود
كثيرين ؛ ونظر إلى ساعته ، ثم نظر إلى منصة
الحامين فلم يجد مع هذا التهم محامياً فعلمت أنه
يريد أن يؤجل القضية ، ولم يحب ظنى ، فقد
التفت إلى النيابة قائلاً :

— النيابة طالبة التأجيل ؟

فنظر مساعدى إلى مرتبكا . فأسرعت قائلاً :

— بالعكس ؛ النيابة تمارض فى التأجيل

فأخفى القاضي امتعاضه وقال فى شبه همس :

— ننظرها والسلام . هات الفهود ...

غير أن القاضي ذكر أن هذه القضية إنما هى
قضية « معارضة » فى حكم غيايى سبق فيها . وينبئ
أن تقدم المعارضة فى خلال أربعة أيام . فقرأ فى
الحال التواريخ وصاح من فوره فى التهم. متفكساً
الصمداء :

— القضية معروضة شكلاً يا حضرة التهم
لأن المعارضة تقدمت بعد اليعباد
فلم يفهم الفلاح ذو « العيرى » هذا الكلام .
وقال :

— والعمل إيه يا حضرة القاضي ؟

— العمل أن الحكم السابق بحبسك ينفذ عليك .
إحجزه يا عسكري !

سهر ليلاليه ليحشوبه هذه الأوراق
وخلوت أخيراً في مكنتي . ودخل على رئيس
القلم الجنائي بيريد النيابة . وفتح مظاريقه أمامي
كالمتاد في كل صباح . وما كدنا نفض غلافاً أو
غلافين حتى سمعنا خبيجاً خارج الحجرة وصوتا
مدويا عرفت فيه صوت الشيخ عصفور ، فبعثت من
يسأل عن خبره ، فقليل لي : إن المركز أرسله اليوم
مقبوضاً عليه بعد أن حرره له محضر تشرد . فأدركت
أن الأمور ما زال يمتد أن هذا الشيخ هو الذي
خطف البنت . وأن حقه عليه ما زال متاججاً
وأنه لجأ إلى وسائل الادارة ليقوع به . إن فكرة
إتهام الشيخ عصفور بالتشرد فكرة نيرة لا يمكن
أن تخطر إلا بذهن المأمور النليظ . والحقيقة أن
هذا الشيخ متشرد لا أكثر ولا أقل . وهو من
هذه الناحية يصلح فريسة لنصوص القانون التي
بين أيدينا . ولكن العجيب أن يسكت عنه المركز
كل تلك الأعوام التي مضت ولا يفتن إلى أمر
صناعته إلا الساعة . إن هذه الوسيلة لم تعجني
كثيراً ، ولم ترض ضميري القضاء ؛ فإن نصوص
القانون لا يبنني أن تكون أسلحة في أيدينا نغرب
بها من يريد ضربه في الوقت الذي تختاره . إن
القبض على الشيخ عصفور اليوم هو من غير شك
مسألة انتقامية . إن المأمور قد رأى هذا الرجل يفت
من تهمة خطف الفتاة دبر وفكر في طريق آخر
لا يستطيع منه الإفلات . هذا أسلوب الادارة
الذي لا يحسن أن يسلكه رجال القضاء ؛ وعزمت
في نفسي أن أفرج عن الرجل ، ولكنتي أرجأت
النظر في أمره حتى أفرغ من « توريد البوستة »
التي أماني . فلقد قدم لي عبد المقصود أفندي مظروفاً

— الحق القاضى على المحطة قبل ما يركب
فصاح الكاتب في العسكري :

— هات المسجون يا شاويش واطلع على
المحطة

وهزل الجميع : الكاتب والجاويش والمسجون
في ذبل حارسه مربوطاً في السلسلة كأنه كلب .
وجروا كلهم خلف القاضي الراكض . وهذا منظر
مألوف لأهل البلد في يوم هذه الجلسة . فان
المعارضات التأخرة والتجديد لأوامر الحيس تنظر
وتعفى في « بوفيه » المحطة قبل قيام القطار بدقيقتين ،
ويتحرك القطار وقدم القاضي ما زالت على الرصيف
والأخرى في العربة الأخيرة وهو يقول :

— رفض المعارضة واستمرار حبس المتهم
فيدون الكاتب منطوق هذا الحكم فوق
« رخامة » مائدة البوفيه ، بينما يتسلم القاضي من
شعبان الراكض خلف القطار المتحرك « سلاي »
البيض والزبد واللحم ، والحاجب يصيح بأعلى صوته :
— اللحم يا بك من بيت اللوح وبيت
الكلأوى !

وصعدت بعد الجلسة إلى مكنتي أنا ومساعدى
وقد بدا الوجوم على وجه المساعد ، فقد كان يحسب
أن النيابة مستقوم في كل قضية تشرح وجهة نظرها
في الاتهام . ولقد كان أمد لذلك مرافعات طويلة
مكتوبة بخط واضح جميل على « أفرخ فولسكاب »
مسطرة ، فإذا هو يخرج بها من الجلسة مطوية كما
دخل بها ، وإذا الأحكام قد انطلقت انطلاق القطار
في بساطة ومرعة ، والعدالة قد جرت مجراها في
طرفة عين كأنها جواد السباق من دون حاجة إلى هذا
التحليل والشرح والاستشهاد والاستدلال الذي

في نفسي : « تلك ملحوظة من النائب العام » .
فأسرعت بقضه فإذا هو بلاغ ، من مجهول أرسل
الى النائب العموى رأساً في القاهرة ، فأحاله على
لأجراء اللازم فيه . فشرته في يدى قرأته بأمان ،
ولم آت على آخره حتى كان قد استولى على العجب ،
وأطرقت لحظة أفكر ؛ ثم أعدت النظر فيه
وتهمت في قراءة سطوره هذه :

« سمادة النائب العموى بمصر دام
نرفكم بأن الحرمة زوجة قمر الدولة علوان
المضروب الموجود « بالاسبغالية الكبرى » كانت
ماتت من سنتين مخنوقة وتستر عليها - للاق الصحة
من أجل الرشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة .
واسألوا زوجها علوان وأختها البنت ريم عن الذى
خنقها . وأسباب الجريمة مألوفة ولا تخفى على
فطنتكم إذا كنتم خاطركم بالتحقيق بنفسكم وإنكم
تكشفون أسراراً خطيرة ، وتضربون على أبهى
الأشعار . « وتوضمون » العدل في مجراه . والعدل
أساس الملك . وقد قال الله عز وجل في كتابه
المعز : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)
صدق الله العظيم » « فاعل خير »
(يتبع)
توفيق الحكيم

آلام فترت

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

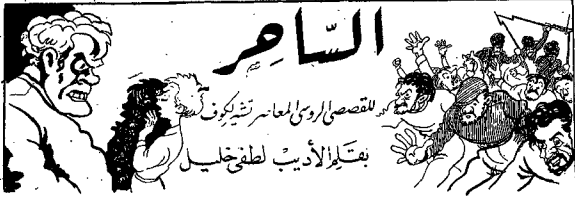
الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حمزة الزينات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

أصفر ضحكاً علمت أن فيه « قضايا جنائيات » مرسله
إليها من الرئاسة لدرستها والمرافعة فيها أمام محكمة
الجنائيات المتقدمة هذا الشهر في عاصمة المديرية التي
نعمل في دائرتها . فألقيت نظرة على هذه القضايا
فوجدتها تحوى مئات الصفحات . وهل لي رأس
يتسع الآن لكل هذا ؟ لأشئ بفقرى من عمل
النياحة غير المرافعة في قضايا الجنائيات . فان
المسير على ذاكرتي الضميمة أن تحيط بكل تلك
التفاصيل التي تتكون منها الجريمة كي تبسطها بعد
ذلك في نظام وترتيب وهدهد أمام قضاة ثلاثة عابسين ،
وعامين متربصين ، وجهود يشاهد ويحكم لا على أب
الموضوع ، بل على مدى اتقان الحركات والإشارات ،
ورنين الصوت في القاعة ، ومهارة الانقاء ، والضرب
باليد فوق النصبة . إنى بطيى لأصالح إلا للملاحظة
الناس خفية يتحركون فوق مسرح الحياة ، لا أن
بشاهدى الناس مثلاً بأرعاً قد سلطت على وجهه
الأضواء . إن هذه المواقف تعمى بصرى ، وتذهب
لبي ، وتطير ما في ذاكرتي ، وتفقدني ذلك الهدوء
النفسي الذى أرى به أعماق الأشياء . لذلك ما ترددت
وأمرت بأحالة هذه القضايا على المساعد ، فهو ما زال
في تلك السن التي بهر فيها الانسان وبمجب بهذه
المواقف والظاهر ؛ وقد يكون له من حسن
الاستعداد لهذا العمل ما يجب على أن أوجهه اليه .
وإنى فوق ذلك أنيس له فرصة الإقامة أياماً في عاصمة
المديرية حيث يجد في ملاحمها ومشاربها ما يرفه
عنه ويلطف من أثر الوحدة والضيق في هذا الريف
الصامت . وأعجبتنى هذه الحجج ورأيها كافية
لإقناعى بوجوب إزاحة هذه القضايا الثقيلة عن كاهلى .
وأولاه رئيس القلم الجنائى بعد ذلك مطروفاً آخر
صغيراً قرأت عليه بالخبر الأحمر كلمة « سرى » فقلت



الحوانيت ، ولكن الأمان من أى شيء ولم يقف أحد على السبب ؟

لقد كانت جموع الهال تروح وتشدو على الأرصفة ، وثيدة الخطى ساهمة الوجوه تتكلم فى همسات خفية مع من يقابلها من الرفاق ؛ ثم يحدق بعين المقت والحفيظة إلى ذلك الشئ للترف وهو يخطر فى لباس فاخر ويشيح بعيداً عن ذوى الخلقان الممزقة والوجوه الشاحبة الربضة والأيدى القليظة القذرة التى تشوه جمال الشوارع النظرة التى كانت تفيض بهجة وسخراً فى ذلك اليوم الطريق الجليل الذى كانت فيه أوراق الأشجار المروسة على أحياد الطرق الفسيحة تلقى أشمعة ذهبية — كأنها تستقبل قبلة الفراق من الشمس الغاربة —

على تلك العربات ذات الطلاء الوهاج ، وبنابر أكت الترام بأجراسها المماجلة ، والسيارات بأبواقها الصارخة ، والدراجات العادية الرائعة تفرم المسالك والدروب

كانت تلك الكتل البشرية تلوح كأنها حبيج غير منتظر قد جاء من عالم آخر يخطو بين أناس مترفين ، فتجنبوا ملامسته أو الاقتراب منه خيفة أن تحسم منه لونه أو ينالهم من أطرافه وضرب . ثم مالبت تلك الجوع أن تفرقت أبدياً كأنها

كانت المدينة فى هياج وذعر ؛ وكان الاضراب سائداً فى العامل والمصانع قد اندلع كالنار تسعفها الريح حتى عم سائر الأنحاء ، وفرق الفرسان من الشرط تخترق الشوارع — كأنها رجال اللطافه الذين اعتادوا أن يأتوا مسرعين ، ولكن بعد فوات الفرصة — بوجوه ساهمة مهمومة ينقلون الخطى على قوع الطبول كأنهم رجل واحد والألق يسلمع من حراب بنادقهم وهم يلوحون بها فى الفضاء ، ثم ينفلت بينهم أحد القوزاق فى جلده البارى إلا من الشمع كأنه أبله مجنون فيهموى الناس بعضهم على بعض متدافعين إلى مختلف الجهات مخافة أن يطأهم بقدميه

بقيت المدينة على تلك الحال من الصخب والاضطراب ، فواجهت الحوانيت تلقى بأضوائها المختلفة ، وجموع الناس تتزاحم على الأرصفة فى خوف وقلق ، والعربات تتسارع فى الشوارع فى صراع وعنف . وبات الناس يتوجسون خيفة من كل شيء ؛ فان صفر شرطى فى صفارته أو انفلت أحد القوزاق فى الشارع ، أو نزت برأس عرييد نزوة الشجار والعبث ، استولى على قلوبهم الخوف والهلع . فيندفع بعضهم إلى مكان الحادث وبولى البعض الآخر الأديار طالباً الأمان فى مجازات

- سرب من الكلاب الضالة عند ما حاجتها فرق
القوزاق الرا كضة فصرى الخوف إلى جميع القلوب
— أى : هل هؤلاء الناس عمال ؟
— نعم . نعم ... امض فى طريقك ولا تنلقت
حولك
— ولكن لماذا يهرولون هكذا ؟
— خوفاً من الشرط . امض ولا تتكلم
— لماذا لا يتركهم يحشون على سهل مثلنا ؟
— إنه لا يسمح لهم بذلك
— لماذا ؟
— أوه ! أرجو ألا تثقل على . أعطى يدك وسر
فى طريقك وإلا ... فالسوط ... فأمسك « سرج »
بيد أمه وأخذ يجر رجله خلفها وقد امتلأ قلبها
رعباً من تلك الجوع اللبذقة حتى سرى إلى الطفل
الصغير الذى كان يحدق فيها حوله وهو ذاهل مأخوذ
— وهل هم أشرار يائى ؟
— من ؟ من ؟
— العمال ؟
— لا أدرى . ففهم الطيب ومنهم الخبيث .
إنهم لا يريدون أن يعملوا
— أم كسالى يائى ؟
— نعم . نعم . ولكن هيا . وإلا كنت مثلهم
— أم أحماس يائى ؟
— وفى تلك اللحظة كان الفرسان القوزاق قد
ركضوا بجيولهم ، وصفر رئيسهم صغيراً عالياً ولوح
بسوطه فى الفضاء فدوى كالطابق النارى ارتجفت
له قلب الأم ، فأسرعت إلى إحدى العربات الراقفة
ودفعت فيها ابنتها الصغير ثم ألقت بنفسها فيها دون
أن تساو مع صاحبها على الأجر بل دفته من الخلف
وصاحت فى صوت مختنق خائف :
- اسرع !
— ولكن إلى أين سيدتى ؟
— هناك . إلى الأمام . ياله من ضيق ! أدر سريماً
— لا تخافى سيدتى . إنهم لن يقتربوا منا .
— وما كادت العربى تنمط إلى الشارع الآخر
حتى عاد الهدوء إلى قلب الأم ، فمادت إلى حديثها
الأول :
— تذكر أنى سوف لا أدفع لك أكثر من
عشرين كوبكا .
— إن هذا قليل يا سيدتى .
— إذن نزل . قف . سنأخذ الترام .
— أنصح لك أن تبقى حيث أنت يا سيدتى فإن
الترام سيقف بعد قليل .
— من قال هذا ؟
— إن المال سيضربون اليوم . أعلم هذا من
قبل .
وعندئذ كانت جماهير العمال قد اقتربت منهم
فدفعت الأم السائق دفعة قوية فضى فى طريقه ،
بينما الابن ينظر إليهم فى خوف واضطراب فيلوذ
بأمه شيئاً فشيئاً .
— إني لأفهم لماذا يهتمون بهم كل هذا الاهتمام ،
فان كانوا لا يريدون أن يعملوا فليدعهم يقطعون
الشوارع جيفةً وذهوباً ؛ فسرطان ما يعضهم الجوع
ويرجمون عن عزمهم .
فأجابها السائق : إنك على حق فى هذا يا سيدتى ،
فان الجوع بفيض تقيل . ثم أدار وجهه عنها وأخذ
يبست بشعرات ذقنه ولكنه ما لبث أن التفت
إليها ثانية وقال : « يمكنك أن تروضى حيوانك
بالتجويد ويمكنك أن تعملى هذا مع أى إنسان
آخر ولكن الاساءة للرجل الفقير خطيئة لا تتغفر

يكذب يستقر في منزله حتى نادى أخته «سونيا»
وهمس في أذنها :

— لقد رأينا اليوم بعض العمال ، لقد رأيناهم

حقاً !

— ماذا يشبهون ؟

— إنهم ... حسن ... إنهم يشبهون الفلاحين

ومنذ ذلك اليوم لم يعد سرج يتحدث كلما

نزل إلى حديقة المنزل يلعب مع أخته إلا عن أولئك

الناس الذين عطّلوا المصانع وأضرّبوها عن العمل ،

ولكنهما لم يبالا إلى رأى يرتاحن إليه : أهم أشرار

أم أخيار ؟ أما في المنزل فقد كانوا أشراراً وأما في

الحديقة فقد كانوا أخياراً

وأخيراً ذهب سرج إلى البواب وسأله :

— ولكن هل يستطيعون أن يوقفوا مصنّعاً .

— من السهل جداً يا سيدي الصغير .

— كيف يتسنى لهم هذا ؟

— بأن يدعوا البخار يخرج أو يتركوا المصنع

قاعاً صفصفاً

— وبدونهم لا يشتغل المصنع ؟

— كيف يشتغل من دونهم ؟

— وبدونهم لن أحصل على معطف جديد ؟

— لن يحصل

— وسترتي الصغيرة ؟

— كذلك سترتك الصغيرة و « بنطلونك »

وقيصك ، فستضطر أن تسير كالولدتك أمك .

— عارياً ؟ ... أوه ! يا لك من أبله ! إن أي

محضر لي كل هذه من الخارج .

— عليك أن تنتظر إذن حتى تصنع ، ولكن

ماذا تعمل لو حدث اضراب عام في السكة الحديدية ؟

والآن من يكسونا أيها السيدة إذا ما لي معطفك
اليمين وتنا كلت شئتي البسيطة ؟

— لا نهم يا رجل مادام معك المال الكافي .

فان لم يشتغل عمالنا اشتربنا ما يلزمنا من الخارج .

— ولكن ماذا تمسكين لو وقفت قطارات

السكة الحديدية ؟

— هذا لغو . إن القطارات لن تقف أبداً .

من يسمح بهذا ؟

— من يدري ؟ إنهم يشيرون أنها ستقف حالا .

فأنصت « سرج » إلى الحديث الذي دار بين

السائق وأمه وحار في أمر أولئك الناس الذين

يطعمونه ويكسونه وفي الوقت نفسه يهربون من

رجال الشرطة . لقد اشترت له أمه معطفاً جديداً

للشتاء فلفه في أوراق ووضعه على ركبتيه يخفي له

قلبه فرحاً كلما خطر له أن ما من إنسان يستطيع

أن ينتزعه منه

— وهل سمعوا معطفاً الجديد هذا يا أمي ؟

فأجاب السائق : لقد صنعوا كل شيء أيها

السيد الصغير ، ما من شيء إلا وكان من فضل أيديهم .

فغضبت الأم من هذا الكلام وشدت أيها

من كره وقالت له : اسكت . لا يبنني لك التحدث

معه . أما السائق فقد مضى يتفلسف في نفس

الطريقة حتى ضاقت به الأم وصاحت في وجهه

غاضبة : « وأنت أيها الرجل يجب أن تزج في

السجن »

فصكت الرجل عن الكلام وألحبت جواده

بالسوط فأخذ يطوى الطرقات حتى وصل إلى المنزل .

وهكذا رجع سرج واليكيكوك تملأ رأسه في

حقيقة أولئك الناس الذين يدعون « العمال » فلم

— أيمكن أن تغف السكة الحديدية عن المجل ؟
 — هناك إشاعة بأن القطارات ستقف .
 — وماذا يكون مصير والدي ؟ كيف يمود إلينا ؟
 — أوه ! ربما تعطى عصا .
 — اسكت عن هذا الهراء . سأبلغ هذا إلى أبي
 التي سوف تجزيك عليه .
 ثم غاب في تفكير عميق ، وأخيراً جذب

كم "مطفئه الجديد ، وقال :
 — وهل حاك العيال هذا أيضاً ؟
 — نعم . لقد صنعوا كل شيء . إن أمك لم
 تعمل أكثر من أن أوجدتك في هذا العالم .

لم يحض على هذا يومان حتى كان الترام قد وقف عن
 السير ، واحتجبت الصحف عن الظهور ، وأغلقت
 الحمامات أبوابها وانطفأت المصابيح في الشوارع
 وتمطلت القطارات عن السير ، وعم الملح سائر
 المحطات حتى أخذ الناس يتوقعون شللاً عاماً في
 حركة المواصلات بين ساعة وأخرى

كان مقدر أن يصل والد «سرج» في ذلك
 اليوم ، ولكنه لم يأت فقلقت الأم وأشاحت وجهها
 عن كل من بالزلزل ، ولم يسمح «لسرج» أن ينزل
 إلى ردهة الدار ، فكان يقضي الساعات الطوال في
 إحدى النوافذ يأكل قلبه شوق ملح ليقف على
 ما كان يجري في الشوارع

— وهل سيأتي أبي حلاً إلى المنزل يا أمي ؟
 — إنه لا يستطيع ذلك ، ثم أخذت تلعن
 الاضراب والبال والوالد أيضاً
 — أحقاً يا أماء أنهم يستطيعون ؟
 — يستطيعون ماذا ؟
 — أن يمنوا السفر بالسكة الحديدية
 — يظهر أنهم يستطيعون ، لا تنقل على . ثم
 تفرق الدمع في جفניה وهاجت نفسها حقناً وغضباً ،
 أناس سرج فقد أدار رأسه إلى النافذة وأخذ ينظر
 إلى المارة في شيء من الاهتمام والخوف ، ثم
 همس قائلاً :
 لو استطعت لقاتلتهم جميعاً !
 ولم يأت المساء حتى كانت الشوارع قد انقشرت
 من المارة فأغلقت الحوانيت وأقفلت النوافذ بالمصاريع
 الخشبية ، وأخذ رجال الشرط والقوازي بطوفون
 في الطرقات لا يقفون إلا في الأمكنة التي أوقدوا
 فيها النيران ، فلم يستطع الابن أن ينام بل كان يقفز
 من فراشه في موهن الليل ويسأل حافياً إلى النافذة
 ليري ما كان يجري في الشارع
 كانت ألسنة النيران تندلع في الفضاء وأشباح
 مهولة من الناس تتحرك حول النيران الحراء كأنها
 وحوش ضارية تدور حول فريستها ... فيحس
 الابن برعدة تتمشى في جسمه فينكش راجعاً إلى
 فراشه وقد توهمهم وحوشاً جائمة سوف تنقض
 عليه وتشويه في تلك النيران المستمرة ثم تلهمه
 التهاماً ، فيزوي في فراشه الناعم الدفء وهو
 يصيح : أمي ! أمي ! إني خائف مقررور .
 — لماذا لم تنم ؟ ولماذا فت من فراشك الآن ؟
 — إن النار في استعار دائم يا أمي وهؤلاء الناس
 لا يزالون أمام نافذتنا
 — ثم ولا تخش شيئاً . آه لو يأتي والدك ؟
 — أمي !
 — ماذا بني العزيز ؟
 — أريد أن آتي إليك . إني خائف

— البهال أيضاً ! ثم حك وراء أذنه بيده وقال :

— وماذا تفعل بدون الكمك ؟

— سنفكر في حيلة

— ولكن ألا يستطيع المحافظ أن يجبرهم

على خبز الكمك ؟

— لا يا عزيزي سرج ، إنهم لا يخافونه

— ألا يخافون المحافظ ؟ !

— إنهم لا يخشون إنساناً قط

— إذن فهم ذوو بأس شديد ؟

— بيدهم كل شيء . فلماذا كل هذا الخبز اليابس

الآن فسوف لا يجده قريباً

— إنى لا أستطيع أن أكل الخبز الأسمر

— نعم ، ولكنك ستفرح به غداً

— لماذا ؟

— إلتاثة الأسر على سرج فلم يعد يدرك أى نوع

من الناس هؤلاء الذين لا يخافون المحافظ ولا يخشون

إنساناً قط ولكنهم مع ذلك يفرون من وجوه

القوزاق ورجال الشرط . ما المعسل ؟ أبو قفون

المصانع ويمطون الترام والقطارات والصحف .

ويسلبونك الكمك ثم الخبز الأسمر ثم لا تقبل

شيئاً لهم . ثم أخذ يستعيد في ذهنه صور الساحرات

والسحرة الذين قرأ عنهم في القصص الخرافية

المديدة وتذكر قلانسهم للسحرة التي تخفونهم عن

أعين الناس فلا يمكنهم أن يقبضوا عليهم فإذا أمرهم

المحافظ أن يعملوا لبسوا تلك القلانس للسحرة

وغابوا عن العيون !!

ثم سرى القلق من الشوارع إلى البيوت وشاع

الخوف في نلوب كانت من قبل آمنة مطمئنة

فانقلب نظام الأسر واضطر أصحابها إلى تغيير عاداتهم

والحد من مطاعمهم واختفت مباحج الحياة من

— مم ، بنى المحبوب ؟

— الساحر !!

— أى ساحر ؟

— أشكال مختلفة

— إذن فلتأت إلى

قفز سرج من فراشه فرحاً وجرى إلى سرج

أمه وقبض على يدها وقد اختبأ تحت النطاء

ثم هس قائلاً : « إنهم يستطيعون أن يعملوا

كل شيء »

وسرعان ما غابت الأم في النوم من جديد

تاركة ابنها يطل برأسه من تحت النطاء وينظر إلى

الحائط فيرى الأظيان الحمراء التي تعكسها نيران

الشارع المستمرة فيستولى عليه الخوف ثانية فيأتي

بالنطاء فوق وجهه ويمود بفكر في أولئك السحرة

الأخيار والأشرار وفي أولئك الناس للدعوى عمالاً :

أم أخيار أم أشرار ؟

وفي الصباح جلس إلى المائدة ليتناول طعام

الافطار ولكنه لم يجد الكمك الساخن الذي

اعتاد أن يراه كل يوم بل وجد خبزاً ناشفاً بارداً

لا يفرى على الأكل . فصاح : هات لي بعض الكمك ،

لماذا تقدمين لي هذا الخبز القدر ؟ ثم أخرجه

الغضب عن نفسه فألقى بسلة الخبز بعيداً دفماً لذلك

الاهانة التي لحقت به من والده :

— أشكر الله يا « سيد » سرج على هذا الخبز الآن

— ماذا ؟ عليك يفيض الكمك . أى ! لماذا

لم تأت لي بالكمك اليوم ؟

— ولكن أين لنا به الآن يا عزيزي سرج

وقد أغلقت كل الخازن

— لماذا ؟

— لأن جميع المال مضرّبون

ورواؤها . ولو شاء لكان لدينا الآن كرك ككير
ساخن ، وإن لم يشأ فلن يجرى الماء في الأنابيب
ولن يكون هناك شاي أو حمام . إنه لا يخاف إنسانا
ولا يخشى سلطانا . ياله من ساحر !!

لقد كان الصبي وثاقا من هذا فلم يمض أسبوعان
حتى حدثت المعجائب في يوم واحد . فقد استأنف
الترام سيره ، وفاضت الشوارع بالأنوار الكهربائية
الحافظة وعادت الصحف إلى الظهور ورجع الوالد
إلى بيته فركب معه إحدى العربات اخترقت بهما
الشارع العام فرأى السحرة قد تجمعوا كتلا زاخرة
مبهجة يحملون الأعلام الحفاقة وينشدون الأناشيد
المذبة دون أن يتصدى لهم شرطى أو يروهم قوزاق
فتناق الطفل الخروج إلى الشارع ليрам
بنفسه فقال :

— أى ! لقد عاد السحرة يخطرون في الشوارع
دعيني أخرج لأرام
— إنك لا تستطيع
— إنهم ليسوا أنجاسا بل أطهار الآن . أليس
كذلك يا أمى ؟

ثم مضت عدة شهور كان فيها كل شيء حسنا
فعاد البيت مرحلة القديم وجنته المفقودة . ثم
تصادف يوما أن ذهب الوالدان إلى إحدى الملاعب
وخرجت الربيبة لقضاء حاجة لها ، وانصرفت
الأخت إلى عرائسها ولعبها بينما الجدة كانت لا تزال
طريحة القراش . فأحس الطفل بشيء من الضيق
إذ لم يكن هناك ما يلعبه أو يسرى عنه فأخذ ينتقل
من غرفة إلى أخرى في تراخ وكسل

— جدى ما ذا أعمل ؟
— فلتدلك ساقى ، فان الألم عاودنى فيها

المدينة كلها . وقد الناس هناءة العيش . وأخيرا
تسلل الخوف إلى تلك القصور النيفة حيث كان يقم
سرج وأمثاله فأغلقت الأبواب وأحكمت الأقفال
ووقف البوابون أمامها يتبادلون الحديث مع الحراس
والعمس وهم ينفخون في صفافيرهم . ولجأة انقطعت
الكهرباء عن منزل سرج فنادى أمه قائلا : « في
الكهرباء خلل يا أمى »

— أضىء حجرة الاستقبال
— وهذه أيضا

ثم جاء الخادم وأخبر سيده أن هناك اضربا
عاما فعلينا بالشموع

وعلى هذا شمل الظلام المنزل كله لا يظهر فيه
إلا أضواء الشموع الباهتة المضطربة التي كانت
تنعكس على المقاعد و (البيان) فتلوح في أعطينها
وستائرهما كأنها جثث في أكفانها قد غابت في
تفكير عميق . وبينما هم كذلك إذ جاتهم الأنباء
الزرجية بمحملها الخدم الذين كانوا يتحدثون في
غرفتهم الخاصة

« إنهم يشعرون أن المياه ستقطع ، وقد سمعنا
الآن أن حفلات الجنائز ستقف ، ولن يكون لحم
في السوق غدا ، ولو استمر الحال على هذا أسبوعا
واحدا فان قصطا هائلا سوف يجتاح المدينة »

استمع « سرج » إلى تلك الأخبار المزججة
وهو ذاهل مشدود ، فقد ظهر له أن العامل هو
المثل الأول لهذا الدور وسرعان ما انبثق في ذهنه
أن العامل ما هو إلا ساحر ، ساحر ذو قوة غريبة
يمكنه أن يأتى كل شيء . فلو أراد لاستأنفت
القطارات سيرها ورجع أبى إلى المنزل وعادت
الكهرباء نضىء كما كانت ، فيعود للترف بهاؤها

وفتح عينيه فرأى رجلاً قد ارتدى ثوباً بالياً وجلس على مائدة صغيرة يلهم طعاماً ساخناً يشاعده منه البخار وهو يتلفت حوله في خوف وحذر ، وقد أمسك الطبق بيده كأنه يخشى أن ينزعه منه غيره . فاشرباً الطفل بعنفه ثم نالت حوله وقال : « ولكن أين الساحر ؟ » لم يكن هناك غير الخادمة وهذا الرجل ؟

أتحتمل أن يكون هذا الرجل هو الساحر الذى يخافه ؟

ثم قويت رغبته في رؤية ذلك الساحر ، فاندفع إلى المطبخ ، فقفز الرجل واقفاً وقد سقطت اللسعة من يده ، فقالت الخادمة :

لا شيء ، إمض في أكلك . فان يذبح السيد الصغير شيئاً

فأجاب سرج . أى شيء ؟

— لا تخبر أباك أو أمك بأمر هذا الرجل الذى يتناول الحساء . إنها فضلة من طعام قديم ! — حسن

إنه جائع فيجب أن ترجمه إليها السيد الصغير

— من ؟

— إنه : هذا الرجل زوجي

— زوجك ؟

فألقى عليه الطفل نظرة شرراء وهو واقف في قوام يحول . يرتجف خوفاً ورفقاً ، ولكنه ظنه ساحراً خفياً قد لبس هذه الصورة الزرية الكئيبة ثم قال كذلك أنت . إنك ساحر ... إلى أمرتك — من ؟

— أنت ! أنت !

— إلى عامل يأسيدى الصغير ولكنى لأجد عملاً — ولكنك ساحر ... إلى أمرتك . تستطيع

— إلى لا أحب هذا . فهو عمل ناهه ثقيل . ثم تركها وانصرف إلى أخته ولكنه لم يكدرى عرائسها حتى تناول واحدة منها وكسر ذراعها وولى هارباً إلى المطبخ ليرى الطاهية الجديدة ، ولكن الخادمة لم تسمح له بالدخول فقال لها :

— ولكن ماذا أعمل إذا كنت وحيداً ؟

— ليس في المطبخ ما تلهو به

— ولكن من ذا الذى يتكلم هناك ؟

— إنه زوج الطاهية

— إنه مُسَلَّم

— لماذا ؟ إنه رجل عادى . عامل

— أزواج الطاهية عامل ؟

— نعم

— ساحر ! يجب أن أدخل إليه

— لا . إلى أشكوك إلى المربية وأخبر أمك بذلك إن فعلت هذا

— إذن فانت كاذبة . سأخبر أمى أنك أكلت

القشدة

إنك كاذب في هذا فقد التقطت ذبابة فقط ثم تشاجرا معاً ، ولكن الطفل لم يجرؤ مع ذلك على دخول المطبخ فبقى واقفاً يياه متردداً في الأمر حتى جاءت الخادمة وفتحت الباب فأسرع يختلس النظر إليه فاستطاع أن يسمع صوت الساحر ولكنه لم ير الرجل نفسه ؛ ثم استبد به الشوق للملح والرغبة القوية ، فعزم أخيراً على الدخول . ولم يكدرى الخادمة تبعده قليلاً حتى صاح : « أشكرك اللهم » ثم اقترب من الباب وأخذ يفتح شيئاً فشيئاً بيد الكنيسة حتى انفتح على مصراعيه ولكنه لم يستطع أن ينظر إلى المطبخ دفعة واحدة ، فوقف قليلاً مطع الرأس حبيس النفس حتى استجمع من شجاعته

أن تعمل كل شيء .. لقد أتيت كل تلك الأضرار ،
ولكن حذار أن تعود إليها ثانية . إن ضوء الشمعة
باعت كذيب ولا أحب إلا الكمك مع الشاي
— إنى لم أعمل شيئاً يا سيدى الصغير وسأترك
هذا المكان حالاً
— ولكنك غير خفيف كما كنت أظن . لقد
حسبتك هائل الجسم مارد القامة عابس الوجه .
قل لى : ألم تسجر نفسك ؟
— أتسخر منى لأنى لا أجِد فتات الخبز . حرام
يا سيدى حرام
— ولكنى كنت أظنك أعظم من هذا وأنت
مرح طروب فأرأيتك ترعد فرقا وأنت تتناول
طامامك . إنى لا أخافك بعد ذلك
ثم انسل الطفل إلى العمر المأم ووقف قليلاً ،
وهو متأهب للجرى إذا ما الساحر عطارده ، ولكن

لم يحدث شيء من هذا بل كان هناك رجل واقف
بجانب أحد الجدران يشفق شهيماً عالياً ثم يجفف
عينيه بطرف كفه . فصاح
ساحر ويكى !! إنه الجزء العادل !!
— لماذا لم تدع أبى يعود إلينا ؟ لماذا قطعت عنا
الكهرباء ؟
— لماذا حرمتنا من الكمك الساخن ؟
— فلتتل الآن جزء ما قدمت يدك
ثم صرخ صرخة عالية دوت فى جميع أنحاء
الزلز
مرحى . مرحى ..
ثم أسرع إلى مرييته فى نشوة المنتصر الفائز
وهو يقول :
لست أخافه بعد اليوم !!
نظمى منيل

شركة مصر للغزل والنسيج

تحفف عنكم وطأة حرارة الصيف المقبل
بما تنتجه لكم

من ملابس قطنية خفيفة ومحببة وبأسعار معتدلة
أطلبوا منسوجاتهم من

شركة بيع المصنوعات المصرية
إنها إحدى مؤسسات بنك مصر

صَيْدُ السَّمَاءِ

للكاتبة الإنجليزية سَرْسِفِيلِد
بِقِلم الأديب حسن جشي

الجليد ؛ ومضى الرجال
بطرحون شباكهم على بعد
مائة قدم ؛ أما أنا فقعدت
تذرت بالحرام ، وجلست
على قطعة من الثلج ،
وأخذت في مطالعة كتاب
كنت قد أخذته مني

وأقبل الرجال ظهراً ، وقد أصابوا صيداً كبيراً
وكان كل منهم قد اشتد به الجوع ، وإذا كنت المرأة
الوحيدة بينهم ، فقد قتت بأعداد الطعام وتبعتها ،
ثم جلستنا حول نلهمه ، متجاذبين فيما بيننا أطراف
الحديث ، أما أنا فقد جلست أنصت إليهم ، إذ كانوا
يتكلمون عن تجاربهم في الصيد ونهارهم فيه ، بما
لابدع بحالاً لأمراء . ثم
عادوا إلى الصيد ؛ وإذا
بالشمس تختفي ؛ ثم
أربد الأفق وبهجبت
السماء ، وتراكت
السحب ، وهبت
ريح عاصف ، وأخذت
قطع الثلج يصططهم
بمضها يممص في
صوت قوى أربعين .
ولما أفضحت لأخي

عن مخاوف شحك مني ، وسخر بي وطلب إلى أن
أخرج ما اصطاده من شبكته ، حتى أشغل عن هذا
الفزع . ولما أتممت ما وُكل إلى أداؤه ، اقترح أن
أقوم بنفس هذا العمل للأخريين .
كان أربعة رجال منهم قد جلسوا على يسار أخي

في صباح بكر من أيام يناير ١٩٣٠ غادرت
أنا وأخي وخمسة أصدقاء لنا مدينة سنجاو ، ووجهتنا
متشيجان لصيد السمك . وقد يلوح للبرء أن من
الغريب أن يذهب أحد في شهر يناير للصيد في جو
كثيرين يكسبون قوت عاهم خلال هذا الشهر .

كان الأفق منيراً ،
والسبيل واضحة ،
ومع أن الأرض كانت
مغطاة بالجليد ؛ إلا
أن الحرارة كانت فوق
الصفر بضع درجات ،
والجو دافئاً ، وتدرنا
باللباس النظيف ،
واستصحبنا معنا
صناديق الذخيرة ،
وقد وضعنا القهوة

الساخنة في « الترموس »

وإذ وصلنا خليج سنجاو وهو البقعة التي
اخترناها للصيد وجدنا الجليد يتوغل قرابة ميل
في اتجاه البحيرة ، فتركنا عربتنا على الشاطئ ،
وحملنا منها بعض الذخيرة ، جاعلين وجهتنا حافة



الكاتبة

البحيرة، وكان الهلع قد اشتد في هذه اللحظة، ولكن زميلي "أقبل على يشجماني، فأخذنا يشيران إلى الشاطئ حيث كان رفيقان من رفاقنا يدفعان العرب، ولكن الجو أخذ يبرد عن ذي قبل، وعم الظلام حتى لم نستطع أن ننبين أحداً، وأقبل الليل ورأيت أن حجم كتلتنا الثلجية قد تضائل إلى نصف حجمها الأول، وابتلت ملابسنا بما كانت تسقينا به الريح من ماء، ولم ألبث أن شعرت بالبرد القارس فأجلستني نوم وويلاند بينهما، ودرأني بنطائين مما أحضرته؛ أما رفاقنا الآخرون فقد اختفوا تماماً، ولم يدع الرجلان وسيلة من وسائل التسلية إلا حاولاها معي، وأقبل يطمثنان خاطري بأن لا بد من مجيء قارب نجاة بعد قليل. وأخذ الثلج يتحرك بشدة فزاد ذلك في رعبنا، واشتد البرد؛ ولم تلح أي بادرة من بوادر النجاة. ثم أشعل نوم عود نقاب ونظر في ساعته، فإذا نحن في منتصف الليل، فكان لنا في هذا الموقف ثمان ساعات. وحاول (ويلاند) إلياسي معطفه الجلدي، فأبیت ذلك؛ ومن ثم سار وسط الحلوكة محاولاً معرفة ما بلغت الكتلة من مساحة، ولم أستطع أن أرى أكثر من ستة أقدام أمامي؛ غير أنني لاحظت أنه سرعان ما رجع إلينا، فسألته عما صارت إليه الكتلة وما بقي من الثلج، ولكنه لم ينيس بينة شفة، فتضاؤل جسدي كما تأخر، وشعرت كأنني في غيبوبة.

وعلى حين فجأة صرخ نوم واختطفني ثم دفعني عن نفسه إلى الجانب العكسي؛ فدرت عدة مرات حول نفسي قبل أن أتمكن من الوقوف، ثم اثبتت زاحفة إليه ألثمت، وقد أبصرته منبسطاً على الثلج، وأمامه الماء، ولم أعرف إذ ذاك ما كان

(نوم) متحدثين؛ ولما أتممت عمل مضيت ناحية الصباد الأخير ويدي وويلاند، وكانت صديقا قد دعا لي فجلست بجوارده، وأخذنا نتحدث فيما بيننا، ثم أنبل «نوم» واشترك في الحديث؛ وأخذ الجليد يصطدم بعضه ببعض؛ وبالرغم من ضحك رفاقي كنت خائفة، إذ لاحظت أن الريح أخذت تشتد عن ذي قبل، وتعمى هدارة صاخبة؛ وفي الحال أخذت كتل من الثلج هائلة الحجم تندفع بشدة وتسي إلى البحيرة، فاقترحت على نوم أنه ربما كان الأجدي علينا أن نغادر هذه البقعة، ولأول مرة في حياته خضع لطلبي، وأخذنا نعمل جميعاً مما في نقل ذخيرتنا.

وأنحيت لانتقاط بضعة سمكات حينما سمعت صوت اصطدام هائل، فالتصبت، فإذا بي أرى لشدة هلي واضطرابي شريطاً أسود من الماء قد فصلنا نحن الثلاثة عن الأربعة الآخرين، فصرخت بأعلى صوتي، وإذا ذلك أبصرت قطعة الثلج التي نحن وقوف عليها، قد أخذت تتحرك ناحية البحيرة، فقفز نوم وويلاند في مكانهما، واندفع الأربعة الآخرون يجرّون هنا وهناك وينصحبوننا بما لا طائل منته... كان طول كتلتنا الثلجية مائة قدم، وعرضها سبعين تقريباً؛ فجرى نوم إلى حافتيها، وجاؤل أن يلقى بأحد أطراف شبكة صيده للأخوين ولكن لم تساعده قواه وما كسسته الريح، وازدادت مساحة الانفصال بيننا وبينهم أفرى بالشبكة ثانية ففشل أيضاً، إذ وقع في الماء، وأحاطني (ويلاند) بذراعه، وقد اصفر وجهه وجذبني إلى وسط الكتلة الثلجية، فقد كان ذلك كما يظهر أخطر مكان، إذ كانت الحواف تهشم قطعاً قطعاً؛ وأخفت الريح تشتد عفاً، وتدفعنا سريعاً إلى ناحية

قدما ، فافزعني هذا ، والتفت الى (ويلاند) وقد غشي عليه ، وصرخ أخی نجاة وقد قفز قفزة عالية فالتفت فإذا نور يتبقي من مشعل سفينة وهو يتألا وسط هذا الديجور القاتم وأخذنا ننظر الى هذا الضوء في لهفة وشوق وهو أخذ في الاقتراب منا لحظة بعد أخرى ، وصرأماننا سبت مرثا ، وبعد لحظات قلائل أنزل زورق النجاة وسار نجاهنا ، وقفز منه رجلان نحونا ، ودرأني بالأغطية ،

وحلاني الى الزورق ثم عادا بويلاند وتوم وساربا الزورق الى الباخرة ، فأبصرت جزيرتنا الصغيرة وقد خلع عليها الضوء ولونا شفقيا هيبجا ، ولم أشعر بلذة ما في حياتي كلذتي وأنا أرشف القهوة الساخنة التي ناولنا إيها الضابط في حجرته بالسفينة ؛

وشربت ثلاثة أكواب منها ، فأحسست بالعودة تسري في جسدي ، ثم شعرت برغبة شديدة في النوم ، ولما استيقظت بعد أربع عشرة ساعة أبصرت نفسي على سرير في إحدى المستشفيات . أما ويلاند فقد استعاد صحته رغم ما حاق به من أهوال بعد يومين . أما أخی فقد كان أسرع منه ومنذ تلك المفطرة ، قصرت منيدي بالسلك على المياه الضحلة خلال شهري مايو ويونيو من

يفعله توم ؛ ولما اقتربت من الحافة أكثر ولمسته قال : « هاتي يدك يا بنتي ! »

فدوت إلي ذراعي ... وإذ ذاك عرفت ما كان يعمل .

لقد كان يحاول إنقاذ ويلاند ؛ ذلك أن قطعا من الثلج قد انفصلت وأزلقت في الماء . وعليها (ويلاند) ؛ فجذبني أخی ، ولما عرف أنني أصبحت بأمن من الفرق مد يده لجذب زميلنا ، وحاولت أنا الأخرى إنقاذه ،

ولكن لم أنبئ يده أو جسمه لشدة الظلام التراكم بهمه فوق بعض ، واستطاعت أخيرا أن أمس أصبعه ، ولقد كان صراعا عنيفا لا أستطيع وصفه . ونجحنا أخيرا في جذبه ، وأحسست كأن ذراعي سينفصلان عن



جسدي ، وأخذ الثلج يتراجع الى الوراء ، ورقد ويلاند أمامنا كأنه الحفة الهامدة ؛ وظل ثلاثتنا بضع دقائق واجين صامتين من شدة الفزع والربح ؛ ثم احتملناه الى السكتة الجلدية ودرأنا بالأغطية ، ولما لم يُجِد فيه هذا العلاج ، أخذ توم في تحريك ذراعيه بقوة ، يدفعهما الى الأمام والخلف ليسري الدم في عروقه . وإذ ركمت بجانبه تبينت أن الماء قد أحاط بنا احاطة السوار بالصمم ، ولم يبق من السكتة الثلجية الطافية سوى مساحة لا تتجاوز عشرين

البا فاشمر بحزن عميق ، لأنها لم تكن صديقة
عشيقتي غسب ، بل كانت أيضاً مستودع أسرارها ،
وكثيراً ما كانت تخفي معنا ساعات السمر فأستقلمها
وأعني أن تخلي لنا السكان . ولعل نفورى منها تولد
من صبرى على فضولها . وما كان تساهلها معى ومع
عشيقتي ، بل وما كان وقوقها مراراً موقف المدافع
عنى تجاهها ، ليجو سيئة هذا الفضول ، فكنت أراها
قبيحة ثقيلة . ولكننى أنعمت النظر فيها هذه المرة
فلاحت لى وعليها مسحة من الجمال ، فكنت أصدق
فى يديها وأثوابها فأشمر بأنها تحرك ساكننا من
فؤادى ، وكانت هى تحدى فى فلا يخفى عليها أمرى
وما يفعل التذكار بمواطنى ؟ وقطعنا مسافة الطريق
وأنا أنظر إليها وهى تبتسم لى . ولما بلغنا المدينة
قالت : — وأخيراً . فقلت : — أخبرنيها إذا

شئت ، وإنهم اللع مع عيني
وبعد أن تناولنا المشاء جلسنا أمام الموقد ،
فقلت : أقضى الأمر وانقطع كل رجاء ؟ فقلت :
والأسفاه ! إن الأمر الملقى إنما هو خيبي ، وستودى
هذه الفجيمة بى . ولا أطيل بوصف حالى : لقد
امتنع على أن أحبا وأن أحب سواها وأن أعيش
بلا حب

واستقلت على مقعدها متراحة وقد لاحت على
وجهها علامات الأشفاق ، واستقرت لحظة كأنها
تتأجج نفسها وتنصت من قلبها الى أصداء بعيدة ،
ثم مدت الى يدها فأقربت منها فقالت : — وأنا
أيضاً قد أصابنى ما أصابك ، وتهدج صوتها فقطعت
حديثها

إن للمحبة أنخوات عديدات أجلهن الشفقة .
صاغت هذه المرأة وتنادينا حتى كاد أحدهنا

من أعماق النفوس

اعترفان فتى العصر

لأفريدى مرسية
بسلام الأستاذ فليكس فمارس

الفصل السادس

وفى اليوم التالى ذهبت قبل المشاء الى غابة
بولونيا وكانت السماء مثليدة بالغيوم : ولما وصات
الى باب مالو أقيمت عنان فرسى على عنقه ، وذهبت
تألفها بين الأشجار مستغرماً أستعيد أحوال ديجنه فى
ذهنى ، وما توغلت فى أحد التملطفات حتى لاحت
لى عربة تستقلها إحدى صديقات خليلتى ، فندت
إلى يدها لتصالحنى ثم دعتنى الى تناول المشاء معها
إذا لم يكن من مانع لى

وكانت هذه المرأة — وتدعى مدام ليفاسور —
قصيرة بدنية شقراء ، وكنت أنفر منها دون ماسب ،
ولكننى لم أمكك نفسى من قبول دعوتها ، لأننى
كنت أتوقع حديثاً معها عن عشيقتي ، وأمرت
رفيق السائق بقيادة فرسى فذهب به ، وجلست
أنا قريبا وعدنا الى باريس

وبدا المطر يتساقط ، فأنزلنا النطاء وأصبحتنا
فى عزلة ، وقد ساد علينا السكون ، وكنت أنظر

وكان يسود سكوت عميق حول البيت التي تقطنه هذه السيدة ، إذ كان يسكن أحد أقسامه مريض ، ففرش التين على الطريق المجاورة منعاً لفرقة العربات ، وكنت أماً مطوقاً هذه المرأة بذراعي وقد أذهلتني عاطفة اقتسام الأشجان ، وطالت محادثتنا فكنا نتشاكي فاشعر أن بين آلامي وآلامها شيئاً من اللذة ، وأسمع صوتاً مواسياً كأنه نشيد مهابى يتعالى من اثنين متوجعين . وكان دمعانا يتأزجان وأنا مكب عليها فما كنت أرى غير وجهها ، ولكنى عند ما تراجعت عنها رأيت أنها كانت فى هذه الأثناء رفعت إحدى رجلها وأسندتها على رف الموقد فانسحب رداؤها حتى بدت ساقها عارية

ولما رأت اضطرابي لهذا المشهد لم تغبر وضعا فأدبرت ظهري ليتسنى لها ستر ما انكشف منها فتجاهلت الأمر . فوقفت الى الموقد أنفوس فيها واجماً ؛ وإذ انضح لى أنها مدركة ما تفعل أدبركت بدورى أن هذه المرأة قد شامت أن تلتب دورها لأغوائى ، فما كانت دموعها وما نقلته عن آلامها إلا اختلاقات تستكمل بها فنها

أخذت قبعتى وتوجهت الى الباب ، فأزحمت رداها على مهل ، فلم أبنس بكلمة بل أومات مسلماً وخرجت

الفصل السابع

وعند ما رجعت إلى مسكنى وجدت وسط غرفتى صندوقاً كبيراً . وكانت إحدى عماتى انتقلت إلى ربهها ولم تكن حصتى من ميراثها

يلتصق بالآخر ، فبدأت تستكمل مثنية على عشيقتي تتحدث لها الأعدار وتوجه لى كلات الاشفاق ، وازداد حزنى فلم أجيد ما أحببها به ، وذهب بها الحديث الى التكلم عن نفسها ، فأسررت إلى أن رجلاً أحبها ثم تركها منذ أمد غير بعيد بعد أن ضحت فى سبيلها والكثير من ثروتها ، وأن زوجها وهو رجل حقود كان يهددها . وكانت تذرف الدموع وهى تسرد حكايتها حتى نسيت همى بهما ؛ ثم استعطرت فقالت إنها تزوجت مرغمة فقام النضال طويلاً بين عقلها وعواطفها ، وهى الآن لا تأسف على شئ أسفها لبقائها محرومة من الحب . ولأح لى أنها كانت تلوم نفسها لأنها لم تعمل على الاحتفاظ بقلب عشيقها ، إذ عاملته بشيء من الاستخفاف

وعادت فاستسلمت للصمت بعد أن فرجت عن قلبها فقلت لها :

— ما هى بالصدف العمياء تلك القوة التى قادتنى الى غابة بولونيا هذا الصباح . إن الآلام البشرية أخوات ناهات ، ولعل هنالك ملاكاً كريماً يضم هذه الراحات المرجفة المبسوطة نحو الله تتوسل الى رحمة . لا تندى على ما بحث لى من سرى ، فما للانسان أن يندم على دمة ذرفها أمام أى مخلوق كان . وما سرى الذى أودعته إلا دمة سقطت من هينيك فاستقرت فى فؤادى ، فاصحى لى أن أرجع إليك أحياناً لنشاكى وتنالم مما

وشمرت بغطف شديد يجذبني الى هذه المرأة وأنا أنكمل حتى رأيتني مكباً على وجهها أقبلها ، وما خطر لى أنها ستستاء منى ؛ أناهى فبقيت بلا حراك كأنها لم تنتبه الى ما أقفل

فما أنتم إلا بلهاء ... وفي الحالين أنتم كاذبون لأنكم
أوجدتم من قارب الانسان أساطير ضلال وأوهام .
مهاكرا : إني سأدفع بكل ما كتبتم إلى السنة الغريب
وما كنت أجد من منجد لي في ثوري غير
دموعي فأتيقن وأنا أسكبها أن الحقيقة التي لا حقيقة
سواها إنما هي الأوجاع والآلام . فأهتف قائلا :
أحييني أيها المعقريات النقسمة على الخير والشر
لأعرف إلى أية ناحية أتجه . أتيبي بينك حكما يفصل
في خلافك فأهتدي من حكمه إلى النهج السوي
وتناولت تورا قديمة كانت على الخوان ففتحتها
قائلا : أحييني أنت أيها الكتاب المقدس
وامددي بأحكامك ، فوقع نظري على الاصحاح
التاسع من سفر الجامعة فإذا فيه :

« لأن هذا كله جعلته في قلبي وامتنحت هذا
كله . إن الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله .
الانسان لا يعلم حبا ولا بغضا . الشكل أمامهم .
الشكل على المأسكل ، حادثة واحدة للصدق والشرير ،
للصالح وللطاهر والنجس ، للذابح وللذي لا يذبح ،
كالصالح الخاطيء ؛ الخالف كالذي يخاف الخائف ،
هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس . إن حادثة
واحدة للجميع وأيضا قارب بني البشر . لأن من
الشر ، والحنانة في قلوبهم وهم أحياء وبعد ذلك
يذهبون إلى الأموات »

ما يقول الفلكيون عندما يتنبأون عن مرور
مذنب في ساعة معينة ، وهو الكوكب . التائه في
الأفلاك ؟ ما يقول علماء الطبيعة عندما يرون
حيوانات ساجدة في قطرة ماء ؟ أيعتقدون بأنهم هم
مخترعو ما يتجلى لهم وأن مرصدهم ومجهدهم يضمن
لكون نواويسه ؟

ذات شأن ؟ فوجدت في الصندوق أدوات وأشياء
مختلفة بينها عدد من الكتب القديمة أعلاها القبار .
وكنت إذ ذاك أتحلل فنجرا ، فرأيت أن أنصفح
بعض هذه الكتب ، وأكثرها روايات نشرت
في عهد لويس الخامس عشر . ولعل عملي وهي من
الصالحات السابغات كانت وزنتها من أقارب لها
فاحتفظت بها دون أن تطالعها ، لأن هذه الكتب
كانت عبارة عن مجموعة دروس في الفوايا والفضاء
أعهد بنفسى ميلا لا قبيل لي برده إلى تحليل
جميع ما يقع لي من حوادث سواء أكانت هامة أم
نافهة فأطعم دائما إلى وجود ارتباط بينها فأجد
بتسلسل لها وأنظمتها في سلك واحد كعقد لا بد من
ضم شتات حياته . ولعلني ذهبت مع الوهم إذ أعتقد
بوجود علاقة بين حالي ووصول هذه الكتب ،
فاندفعت إلى مطالعتها مبتدئا وفؤادي ينفطر حزنا .
وكنت أناجي هذه الصفحات قائلا : إنك دون
سواك تعلمين حقيقة الحياة وتجسرين على القول
بأن لا حقيقة إلا بالتمتع باللذات والراوعة والفساد .
كوني لي نعم الصديق وانثني على جراح نفسي
سمومك السكاوية فأتمتع منك أن أؤمن بها تعلمين
وهكذا بدأت بافتحام المسالك المظلمة مهما
مطالمة دواوين أحب الشعراء إلى ، فلا القبار كل
كتاب كنت أجالسه من قبل كأستاذ اتلقن
الحقيقة عنه . وكثيرا ما أخذتني سورة الغضب
فدست على هذه الكتب بقدمي كأني أنتقم من
مؤلفيها فأقول لهم :

— أيها التائهون في الأحلام ، إنكم لا تعلمون
الناس غير الألم . إذا كنتم عرّفتم الحقيقة فما أنتم
إلا منعمو عبارات مخادعون . وإذا كنتم جهلتموها

يصراخ يشبه الأنين قابعته بعيني وهو يجرى كالسهم إلى الأفق البعيد، ثم مررت فناة صغيرة في الشارع وهي تنفي

الفصل الثامن

ومع هذا فقد أثبت نفسي أن تستسلم الحياة اللو والاستهتار إذ كنت أغفلها حالكة مفاجئة، فقررت أن أحاول اجتنبها، وهكذا اقتحمت كثيراً من الآلام، وساورتني مرهقات الأحلام. ولو لم يكن غير حرارة الشباب ما يحول دون شفائي لكفنتي أوجاعاً وجهداً. فقد كنت أني توجهت وبلا عمل شغلت نفسي لا أفكر إلا في النساء. وإذا نظرت إلى إحداهن شعرت بهزة أنتفض لها انتفاضاً. ولكم أفتت من نومي وجسدي يتصب عرقاً، فأترابي على جدران غرفتي بشهيق مخنق يطلب الهواء!

لقد كان من خير ما أسعدت به وقتها يسمد الشباب بمشله، أنني أسلمت عفتي للحب؛ غير أن هذا الحظ قضى على بأن أشرك طوال حياتي كل شهواتي بعاطفة الغرام. وذلك ما كان يدفعني إلى الهلاك، فكنت وقد تسلط على التفكير المستقر بالرأه لا أملك خيالي من الجوح ليلاً ونهاراً في مآزق الحب الضال وفي مهاولي خيانة النساء. امتنع على أن أتصور إمكان الوصال بلاحب، فكنت لا أقطع عن التفكير في المرأة قاطع الرجاء من وجود الحب الصحيح، فذهبت الآلام في نفسي مذهباً أورثني شيئاً من الخليل، فكنت أشتي تارة أن أعذب جسدي أسوة بالرهبان لأमित شهواتي، وتارة أريد أن أندفع إلى الشارع

ما قال في نفسه يا ترى من وضع أول شرعة للناس عند ما فتن عن حجر يضعه أساساً لبناء المجتمع فهتف به هاتف من أعماق أحشائه يقول له: إن الحق للقوة. أمن أوجد العدل هو هذا المشرع يا ترى؟ وهل اخترع العار أول رجل اقتطف الثمر من أرض جاره وأخفاه تحت ردائه متلفناً يميناً وشمالاً وقد دب الرعب في قلبه؟ وما قولك في صاحب الحقل الذي سُرقت أثماره فخرم نتاج جهوده؟ يلتقي السارق فلا يرفع عليه يداً بل يشمله بعفوه ويقول له: إليك بما تريد من أثمار حقل، فيرد الثمر بالخير ثم يرفع رأسه إلى السماء شاعراً بارتجاف في قلبه ويدموع في عينيه وبخشوع بطوى ركبتيه. أترى هذا الرجل أول من اخترع فضيلة المعروف؟

يا لله! لقد سمعت أذنأي امرأة تكلمني بالحب ثم تخونني، وسمعت أيضاً رجلاً يكلمني عن الصداقة وهو يشير إلى بالانفاس في حياء الدنس، ورأت عيناى امرأة تستخرط في البسكاء ثم تطمع في مؤاساتى بعضلات ساقها، وهذه التوراة التي تحمل اسم الله ترد على سؤالي قائلة: — (من يدري؟ وأية أهمية لكل هذه الأمور؟)

وسارت الى غرفتي المفتوحة أنظر الى الفضاء الفسيح الباهت في وجومه صارخاً: — أضحج أن الدم ورايك؟ أجب أيها الفضاء، أفليس فيك شيء سوى الأروام تدفع بها الى صدرى وقد مدت اليك ذراعى؟

وكان الصمت العميق يسود جميع ما تطل نافذتي عليه ومرت طير بجناحيه السوداءين ذاهباً في الهواء

فراشي وروائح البارود والاصطبل تنبث من أنوابي ، فأستر وجهي بلحاي هاتفاً : إليك عني ، أيها الشبح ... أفا أستريح منك ليلة على الأقل ؟ وما كانت جميع هذه المحاولات لتجديني نفعاً لأن المزة أسلمتني إلى الطبيعة فقذفتني الطبيعة إلى الحب

وعند ما كنت أراد قاعات التشرريح ، كنت أرى نفسي محاطاً بالجثث فأمسح يدي بمنزري الداي فيملو وجهي الاصفرار ، وأشعر بأنني أختنق من الروائح الكريهة النبعثة من الأشلاء الفاسدة ، فسكنت أعرض عن النظر إليها لأتمثل أمانى الحقول الخضراء تموج سنابلها ، والروج بفوح عيبرها في سكون النفس ؛ فأقول في نفسي : لن أجد في العلم سائق ، فاني باستغراق في هذه الطبيعة التي لا حياة فيها ساموت كن أنقذ من لجة البحر فلف بجلد حيوان سايخ حديثاً لاستعادة الحرارة المفقودة . لقد قضى على بالاً أشقى ، فحسبي أن أموت هنالك في الحقول تحت أشعة الكوكب المنير وكنت أنطلق على صهوة جوادى فاصداً متزهاتة تنثر وشافيل ، فأزجل هنالك لأنطرح على مرج نصير ، أو لأتوه في واد مقفر ، فما كنت أسمع من الأدواح والروج إلا صوتاً واحداً يقول لي : ماذا أتيت تطلب هنا . . . إلنا ترتدى

الحلل الخضراء ، وما الخضرة إلا رضى الآمال فكنت عندئذ أفزع إلى المدينة لأتوه في أزقتها المظلمة فأنتطلع إلى بصيص الأنوار من نوافذ المساكن المقفلة على أمرار الأسر وخفاياها ، ثم أسرح الطرف على العريات تلوح وتختفي ، وعلى المارة تردحم وتبتدد ، فأراني بين كل هذا وحيداً شريداً . أشهد النسخان

أو الحقول أو أى مكان آخر لأنطرح على قدى أول امرأة أسادفها مقسماً لها أنني أحبها حباً أبدياً والله يعلم كم حاولت أن أسلو لأزال الشفاء ، فكان أول ما لجأت إليه انزالي عن العالم جريباً مع نفورى من مجتمع رأيت جميع الناس فيه يشبهون عشيقتي رزيلة وختلاً . فرجعت إلى ما كنت أملت من دروسى فتوغلت في مجاهل التاريخ واستقرت مع الشمرء الأقدمين كما عدت أيضاً إلى درس التشرريح

وكان يقطن الدور الرابع من مسكنى شبيخ ألساني واسع الاطلاع ؛ فألجأته بالرغم من محبته للوحدة إلى تدريسي اللغة الألمانية ، فبدأ عمله بكل جد وإخلاص ، ولكنه ما لبث أن اصطدم بفكرى المشت ، فكان وأنا أجلس إليه تحت نور مصباحه الضئيل ، يضع كفيه على كتابه ويشخص في متجهداً مندهشاً ، وأنا سايخ في أحلامي لا أشعر لا بعيره ولا بأشفاقه على حالى . وأخيراً قلت له : أنت أطيب الناس قلباً ، ولكننى أرى البعث فيها يحاول . دعنى لما قدرلى ، فما أستطيع أنا ولا تستطيع أنت تبديل هذا القدر

وما أدرى أؤكد الرجل ما أعنى أم قاله ما ألتج عنه ؟ غير أنه صاغنى بجمرة ، ولم يعد يذكر لى اللغة الألمانية ودرسها

وبدأت أشعر أن المزة لن تسوقى إلى الشفاء بل إلى الهلاك ؛ فتحوّلت عنها إلى طريق أخرى وهجرت المدينة إلى الحقول شاغلاً نفسى بالصيد متوغلاً في الغابات أقطمها خيباً على ظهر جوادى ، ومارست المبارزة بالسيف مجهداً نفسى حتى المياء ، فما كنت أعود النساء إلى مسكنى إلا لأنطرح على

رفع عقيرتك شاكيا لغراغ الحق من شرابه ، وإذا
فرغ الحق في الأقبية من الشراب ذنان ، وإذا
فرغت الدنان فالروابي مكسوة بالكروم تمتص
لأملأها . اتخذ لك من الكلام للمسول ستارة وتقدم
إلى نهر السلوان متصيداً فيه امرأة جميلة تلهو بها
حتى إذا أفانئت من بدك لا يفوتك اصطيد سواها .
تمتع بالحلب الذي تتوق إليه بكل جوارحك ، ولا
تضيق أيام شبابك ، ولو كنت أنا مكانك لكنت
اختطفت ملكة بدلاً من التاهي بدرس التشريح .
هذه النصائح التي كنت أسمعها في كل حين ، وعند
ما كان يحين زمن الرقاد كنت ألتفح بردائي وقلبي
يكاد يتفجر ألماً ؛ فأهرع إلى سريري لأجثو أمامه
باكياً مصلياً ضارباً على هذا القلب كما كان غالبه
بضرب الأرض قائلاً : ومع هذا فأنا تتحرك ...
فليكس فارس (يتبع)

يتصاعد حزينا من السطوح وأشعر بالآلام تجول
في هذه الأزقة الملتوية حيث يتراكم الناس وقد
كلهم عرق الجلود وبتلانس الألوف دون أن يعرف
أحدهم الآخر . فما السبيل العام إلا مزاج تتعارف
فيه الأجسام وتتناكر عليه الأرواح ، هنالك لا تعد
للغريب يد إلا يد بنات المواخير

إن ما تهتف به المدن إنما هو قولها : - هيا
إلى الفساد . . هيا إلى الفواحش ، فما يسكن
الآلام سواها

ذلك ما تقوله المدن وما يقرأه السارة مكتوباً
بالفحم على جدرانها ، وبالأحوال على أرضيتها ، وبالدم
المتجمد في عروق الأوجه الشاحبة

وكنت أجلس أحياناً على مقعد منفرد في
قاعات المراكز فأناظر إلى النساء يتأيلن بأثوابهن
الحراء والزرقاء والبيضاء وقد عرين المعاصم وضفرن
الشعور كأنهن الحور يسكرهن النور في أجواء
التناسق والجمال ، فكنت أقول في نفسي : -

ما أروع هذه الزهرات تقتطف وتستشق ! وما
ستكون كلمة هذه الأقحوانات الأخيرة إذا ما نثرت
وربقاتها واحدة واحدة لتستنطقها سرها . أيتها
لنقول لك - قليلاً ثم قليلاً ، ثم لا أجبك حتى
ولو قليلاً

تلك هي حقيقة العالم ، تلك هي نهاية
إبتساماتك ، أيتها الأزهار

على هذا الشفير المروع تتأيلن بأوشحتكن
المريفة بالأزهار ، أيتها الرقصات وعلى هذه الحقيقة
الشفماء تتأيلن كالمها على رؤوس أرجلكن الصنيرات
وكان ديجنه لا يفتأ يقول لي : - والله ما رأيت
سواك من ينظر بمجد إلى كل هذه الأمور . إنك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأمريتين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزينات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

لولا أن نثر العروس فوقنا طيباً عبقاً ، لأخياشيمنا
وأثقلنا من صلول^(١) تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب البحر حتى برزت عجول البحر
فنامت في الجون ، ثم كانت الظهيرة فيرز بروتوبوس
وططق يمد قطعانه ، مبتدئاً ، لفقلته ، وكأن
أثارة من الشك لم تخامره في حالنا ، فانطرح ونام .
وانتهزنا الفرصة ، فانطلقنا نمدو إليه ، وقبضنا عليه ،
وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلتاً ... يا عجيباً !

لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد غضنفر
ذو لبدة ، ثم انتفض فإذا هو أفنوان أرقم يتحوى
ويتحوى ، ثم انتفض فصار نمرأراً ثاماً ذا أنياب ، ثم
صار خنزيراً برياً ، فسلا رايكاً ذا عياب ، فأيكة
باسقة ذات غصون وأفنان ! ولما لم يجد بداً من

أن يبدو لنا على حقيقته ، انتفض فكان على صورته
الأولى ، ثم قال : « تحمرك الله يا ابن أزيوس أى
إله جبار حبسك في مياها وساعاك على ، تحمك
بي وتشدد وثاق ؟ ماذا تريد ؟ » فقالت له : « حبسك
يا رب هذا البحر ، إنك كشت في علما ! لقد طال
مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدري أى إله عادل
حبسنا فيها ، ولأى شيء ؟ » . وقال بروتوبوس :

« ويك يا منلايوس ! لم لم تصل لسيد الأولوب ثم
تضج للآلهة يوم غادرت (طروادة) ؟ لقد غضب
الجميع عليك فكاتبوا أنت تضل في تيه هذا
البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم ثمة حتى
يثوب اليك رشدك وتصلب الآلهة خاشعاً خائباً
متصدعاً ، ثم تذبح القرابين وتجزد الأضحيان فتدود
الى أوطانك ! » وعمراني مما ذكر ما عمراني ،
فقلت له : « الحمد لك أيها الاله القدوس ... »

(١) أروح اللحم صار نثاً وصلوله رائحة النتنة .



الأولاد نيسر

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

ثم غابت عروس البحر في طببات التبعج ،
وتركتني في حيرة مما ذكرت ، ثم إنى عدت إلى
قرنى في السقينة ، وعاد كل إلى قرته ، وبسد أن
تمشيننا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً
لا آمناً ولا قريراً ... وزغت أورورا تموه المشرق
بأصباغ الورد ، نهضت أصلي الآلهة فوق السيف
المتد ، وأبتهل إلى السماء أن توقفنا لاسفاه خيرنا
ثم اثنتيت فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصحابهم
لهذا الأمر ، وهم موضع تقى ومعد رجلى .
وبرزت من السماء عروس الماء ، وأحضرت
لنا أربعة جلود من جلود عجول البحر لتلبسها ،
ونستخفى بها ، واتم الخدعة على أبيها . وأعدت
لنا مهاداً في رمل الشاطىء . ثم دلفنا نحوها ، ونام
كل في مهده ، وألقت فوقنا مامهما من الجلود
النتنة التي أروجت حتى كدنا نختنق برائحتها ،

رجلاني ، وانطرحت أنتقلب في الرمال من الغم ،
وأذرف الدمع من الحرقه على أختي . ولكنه خاطبني
قائلاً : « لمنض يا ابن أثريوس . إنك تبكي ولات
حين بكاء .. هلم فعد إلى وطنك لترى ببينيك قبره
ولتشهد ابنه العظيم أورست ينتقم له » ، ويستأصل
شأفة قاتليه .

وكأنما مرى عني بما قال بعد ، فهضت وساءلته
بمبدأ ن شكرته على ما أنبأني : « .. إذن من هذا
البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع البحر ضالاً في
رحابه ؟ »

فقال : « ذاك ابن ليرليس ، وسيد إيثاكا
(أوديسيوس) ! لقد شهدته بعيني حين سبى في جزيرة
عروس النساء كاليسو ... لقد حل عليها ضيقاً
برغمه ، فلقد تحطمت سفائنه ، وهويته عروس
الماء ، وهو ما يزال عندها لا يجد مراكباً يحمله إلى
وطنه ... أما أنت ... أيها الملك منالايوس ،
فطوى لك ! إنك ستحيي سيداً ، ثم تنتقل إلى دار
الخلد ونعيم لا يفنى ... ودار الفردوس زلاً ...
حيث لا برد ولا زهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،
بل تبق ، ومن معك من الأناسي من ماء معين ،
لا لوف فيه ولا تائب ... مقام كريم وجنة نعيم ،
وغادتك الحسان هيلين ، يا ذرية زبوس العظيم !
ثم غاص في اليم ، وعدت ورجلي إلى الفلك ،
وفي القلب لوعة ، وبالنفس أسمى . وتبلغ كل بقايا
ثم أسلمنا عيوننا للكرى ، وكأنما نام أسطولنا في
ظلام الشاطئ .

وانبلجت أودورا فنضرت بالورد جبين
الشرق ، وهبت أنفاس الصباح المنده فأهرعنا

سأفل ، سأفل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لي
بحق روبيتيك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم
سالمين كما تركتهم أنا وصاحبي نسطور عند طروادة
أم أن منهم من عرق أو قتل أو مات خنث أنه
وكانما ضاق بي ، ولكنه قال : « ويك يا ابن
أثريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتني أن تقف على كل
أسراري ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا
سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلاً منهم من مات ومن
هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، وما يزال واحد يذرع
رحب هذا البحر ، ضالاً على غير هدى ... لقد
هلك أجاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه
ناج برغم السماء من البحر اللجج الذي كان يناوح
سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشرط السفينة نصفين
بضربة قاضية ، من رعه السمهرى ذى الثلاث
شعب ، ثم رطم حطائها بمسد ذلك فوق صخرة
جيرية ... مسكين أجاكس لقد غص بالأحاج ،
وشرق بقطرات فات ... أما أخوك^(١) فقد نجا !
لقد دفعته موجة هائلة فوق شاطئ (ماليا) ...
أرض ديسيتيس وإيجستوس .. ومن ثمة ركب
البحر إلى وطنه آمناً . ألا كم كان أخوك رائماً حين
وطىء أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويناجي
كثيراتها ! ألا ليت ما نجا ! لقد لمح أحد الأوغاد من
جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد
كميناً من عشرين رجلاً من أفسق رجاله حيث اغتالوه
كما يذبح العجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد بادوا بما
صنعوا ، وأبيدوا على بكرة أبيهم ... »
وما يكاد يصعقني هذا الخبر حتى خذلتني

(١) أجاكس الذي نجا من الفرق ثم ما كاد يبلغ
قصره حتى قتله زوجته وعقيقها إيجستوس

تفضل جبينه ، وانتشرت على أساريه سحابة
كثيية فقال :

« أ رأيت إذا أعطيت سفيني للفتى تلياك فاني
أريد أن أبحر إلى إيليس لأرعى أفراسا لى اثنى
عشرة ما تزال ترضع أفسلاها (١) متى يرجع من
يلوس يا أنتينوس ؟ »

ورُوع الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم
أن تلياك قد غادر إيثاكا ، بل كانوا يظنون أنه يبحر آلامه
وأحزانه في أحد الأدغال النامية في ضارعه . قال
أنتينوس :

« أحقا أنه أبحر يا نومون ؟ وهل يحبه أحد
من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ سفينتك أنت ؟ وهل
أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذى أذنت
له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها باذنى . وماذا
عساك كنت صائما لو سألك أمير فى مثل بأسائه
أن يبحر على سفينتك ؟ أ كنت ترفض وتتأبى ؟
لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كاهم
فينان المود ، غريص الشباب ، وقد رأيت معه
أمير البحر منتور . ألا كم كان يبدو منتورا حينما
وقوراراشا تالله لقد خلته — بل أ كبر ظنى أنه
— أحد الآلهة ، وكيف لا يكون إلهما وقد رأيت

بمعنى هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى ييلوس
قبيل ذلك ، فأنى عاد ؟

وفرغ نومون ، وعاد أدرأجه الى دار أبيه ،
واستولى الدهول على الرجلين ، وكان المشاق قد
فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا
يستريحون من التعب ، فيم شطرحم أنتينوس ،

(١) القلو ولد الفرس لم يبلغ عاما

جميعا ، وجزرنا الأصاخي باسم الآلهة وصلينا لها
جائتين ، وأقت لأخى رسما فوق ثرى مصر الخالدة ،
ثم هبت الريح رخاء فنشروا الشراع وأصلحنا
القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض الوطن ،
فبلغنا هيلاس ساليين

وبعد ! فلنقم معنا ههنا أياما ترحم وتفرح ،
ونسعد نحن بك يا ابن أعز الأصدقاء ، ثم لنمد لك
الهدايا واللى التى تليق بك ، ولنمد إلى وطنك على
عربة فاخرة نبحرها ثلاثة من الصافئات الجياد ؛
ولنزودك بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر
للآلهة فنذكرنا أبدا »

وشكر تلياك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى
وطنه ، وماعليه من واجبات ، وما يبنى من عودة
ابن ملك ييلوس ، ما رر عنده أن يستأذن فى
الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه
كأس فيديعوس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ،
الكأس الخالدة التى صنعها الآلهة فلكان يسديه
لينفج بها ملك سيدونيا
وهيا الندل مقصفا فاخرأ به جزور وخمر ،
وأقبلت أدواجنهم يحملان الخبز ، فأكل الملك ومن
معه ورووا

هذا ما كان من أمر تلياك ومنايوس
أما ما كان من أمر المشاق آنئذ ، فقد كانوا
يلعبون ويمرحون فى بيت ملك إيثاكا ، يلعبون
الأسنة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون
ويعزجون . كانوا جميعا يأخذون فى هذا الهو لتزجية
الوقت ، إلا أنتينوس ويورعاك ، فقد جلسا بمزل
بتحادثان . إذ أقبل الفتى نومون بن فرنيوس وقد

أذيت ثمتا لذلك روجي ولكن ... هيا ... لنقض دليون - خادمتي الوفية ذات التجارب - إلى ليريس - فلتحدثه عما تأمر القذاب . ويى ١ لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس ٢ وهضت يوريكليا مرضع تلياك ، تنثر دموعها وتقول :

« وأسأف على أيها الملكة ! سأعترف بما كان ولك أن تقتلى ... أوتقى على ! لقد زودت الأمير بكل ما أمر من زاد وخر ، وأخذ على موثقا ألا أبوح بسرته حتى تمضى اثنا عشر يوما بناتها ... حتى أنت يا مولاتي ! لقد أمرنى ألا أعلك بشيء اهدنى يا مولاتي ولا تصاعنى أحزان القصر بحزن جديد ، وامضى الى خدعك فاسترحي ثمة ، ولتصل جريماً لربة العدالة ميرفا - باللا الطيبة - أن تصون مولاي الأمير وترعاه ، وتكلاه من كل خطر وليعد الى عرش آياه ليحكم ويمد يد يد شؤن البلاد .

ورقا الدمع في عيون الحاشية ، وهضت دليون فصعدت الى الطابق العلوى ، وأمرت بسلة من الكمك ففجعت بها العذارى قربانا ليرفا وتقديمه ، ثم أرسلت هذه الصلاة :

« إسمي يا ابنة سيد الأولي ! يا ميرفا العادلة ! باسم ما ذبح لك أوديسيوس في هذا القصر وما نحى نضرع اليك وتتوسل بك ونصلى لك ، أن تصونى ابنة الأمير وأن ترسلى عبوسة من شواظ غضبك على أعدائه ... أولئك الأضياف الظالمين ... آمين » وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابات ميرفا صلاتها . ثم علا خييج القوم وارتفع صخبهم ، وكان فيهم شاب تزق الثالث في أذنيه صلاة بيلوب فحسبها أشرفت تنانخي وتنازل ، فراح يفرض بها

وهو يتميز من الغيظ ، وينفدح الشرر من مقلتيه ، فقال :-

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل باهر ! باهر جدا ! لقد أبحر الفتى تلياك في عصابة من شباب الملاحين ليؤلب عليكم المالين ، ويرسل علينا حسبانا ! الويل له ! أعسدوا الى مركبا وعشرين فارسا من أبسل صناديدكم لأجاء بين أواذى ساموس وتثوء إيتاكا التاعس الذى ذهب يستروح أخبار آياه ليسمى الى حقه بظلمه » وتحسّس المأل وعلا هتافهم ، وهروا الى الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتأمرن ، وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذى انطلق بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفك الى الملكة الباكية الغفوة ... بيلوب - وما كاد يقص عليها ما اعترموه من قتل تلياك حتى تضمضت وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحبست أنفاسها هنيهة ، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها . « ألكي ينقرض اسمه من صفحة الوجود ؟ » وأجابه الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن آياه . ثم ذهب لطبيته ، وجلست الملكة المرواة لدى الوصيد تيكى وتنتحب ، ومن حولها العنيد الرعايب والمعجوز الشططاء من خدامات القصر ، يمولن ويكفكفن ...

قالت الملكة : « وحي لى أيها العذارى ! أبدأ ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت بعض الذى لقيت مما كتبته على البهاء ! لقد فقدت زوجي ، أسد هبلاس الكرم أوديسيوس الأمير الحلال رجل الفضائل والمروءات ، ثم لم يبق إلا أن يرحل عني ولدى ... دون أن أعلم أمر رحيله من إحداكن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو

وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس وغر آرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أنا ذى انتفض فرقا على ولدى ... ولدى الطرى الفينان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... فى هذا البحر اللجى ... لقد أفلتت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دى وأحزاني ! وهما قد تمقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرتد إلى وطنه !»

ونجيبها مينرفا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه راعيا يحفظه وبوقيه ... راعيا يتمنى الجميع أن يكونوا فى رعايته أبدا ... مينرفا ! إنها أيضا تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت بأمرها أواسيك !»

وهلعت بنلوب ثم قالت : « وى ! أما إنك إذن لربة وقد كنتك الأرباب ... ألا أقص على إذن ما كان من أمر رجلى ، أما يزال حيا برزق ؟ أم تحفظته بد للنون ؟»

وتضاحك الشبح العابس فقال : « لا ! ليس الآن ! ان أذكر لك إذا كان رجلك ما يزال حيا أو إنه قد قضى ، نالنا ولذلك ؟»

ثم رفت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام

ونفضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجذب كابوس الهم الذى كان ينقل على قلبها

وأقلع المشاق بفلكهم فى الهم المضطرب ، كل تحده نفسه بمقتل تليماخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا ... فأرسوا أمة يتربصون -

(يتبع) دبرنى مشبه

فى مكات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذره القوم ، ونصيحته لهم أن يستعينوا على حزم أمرهم بالكتمان .

وتحير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، وبهم شطر البحر ، ثم ركبوا فى سفينة أعدت لها اعزموه من تلصص وقرصنة وقتك إعدادا كافيا فنقلت إليها الأسلحة ، وُحملت إليها حمال الزاد والذخيرة ... وأقبلت ، لا باسم الآلهة مجراها ... ولا سلكت سبيل الرشاد .

واضطجعت بنلوب فى فراش حشوه فكر وهم ، وساجت فى قلبها الوسوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلب الحيزان بسبب ولدها ، ومادر له الكلاب وما كادوا ، مسكين أبها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر سائدوك حولك الأحييل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرفا الكريمة فى رؤيا عجيبة تواسيها وتذهب عنها ذلك الطائف الحزن ، فتزيت بزى الأميرة الفتان ، إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاروس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت ترسل هذه الأحلام :

« أهكذا تنامين ملء عينيك الجليتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ روعك ، وليصف بالك ، فالسباء ترى ولدك ، وهو عائد إليك عما قريب ! إنه لم يقترف شيئا مما يغضب الآلهة ، ولذا فهي تكلؤه وترعاه وتحفظه ، فقرى عينا واسلى وانمى !»

وتقول بنلوب إذخرى بحلم :

« من ؟ إفتيا ؟ عجبا ! فم قدمت يا أختاه وقد ظنر أن كنت تلمن بهذا القصر ؟ ألتواسيني وتسلميني ؟ لقد تكاثرت الأخزان على قلبى ،

النهار بفصل قليلا
بين المحبين الماشقين
ولكني ، يا إزاييلا ،
لن أعادوك أبداً

(هف قليلاً ، ويكون
هناك سكوت يفعل بين
الفتيين ، وكان باريس
يفكر ويذكر وينسى الماشي)
وداعاً يا إزاييلا !

إن ربح مصر تصفر ،

شكراً لأنني أدركت حلمي الذي يرتش
سأرحل ! وحين أرحل وانتهى إلى أطراف
الوجود يستحيل بيننا اللقاء يا إزاييلا
باريس — (متأثراً) ما هذا أيها السيدة ؟
إزاييلا — (بغربة وبرود)

وها هما كتابان منك ، أحدهما في بدء حبنا
والآخر في منتهاه فليس معنى الزيادة — يا باريس —
إلا أن تتذكر حين يتنامى الرجل
باريس — (تحيط به الذكريات)

إزاييلا — إلى هنا — المسرح — أوروبا —
ها أنت تنظرن ، إنني أحبها وحدي ، وفي بعض
أحيان أخوض الصحراء راكباً ، أو أطوف في
النيل على زورق

(ينظر إليها طويلاً)

وأجل من هذا ألا أفوه بكلمة ...

إزاييلا — وأنت في شرك عدو الصمت

باريس — من أين جئت ؟

إزاييلا — جئت من فرنسا حيث مثلت

مسرحية « فيدر »

باريس — أنتلين دائماً ؟

سيرة أجيال الهولك

مسرحية شعرية في أربعة فصول
لشاعر الفرسى مرسيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هندأوى

المشهد الخامس من الفصل الثاني

إزاييلا ، باريس ، أرجانتي ، مارسيللوس
(تدنو إزاييلا من باريس ، تراه وتقول بصوت
منقطع غريب اللهجة)

إزاييلا — « يا حبيبتى ! ها قد هبط الليل

على روما

ورداء أزرق الحواشي قد انبسط على الأعالى
لا أرى إلا السماء ، ولا ألمح أحداً

ولا أفكر إلا فيك ، لأنني لا أهوى سواك

كنت — يا حبيبتى — هذا المساء شمعة

الروح المتأججة في المسرح

ألا عطفاً لأحسانك التي جلبت شعباً كاملاً

بفهمي

ولكني لا أهوى منك شهرتك ، ولا مجدك

ولا فنيك ...

وإنما أهواك أنت يا إزاييلا !

أنت حبي الأكبر وكل وجودي يهتز لك ...

كل كياني هنالك ...

هذه الليلة ذاتها ، كنت أود أن أقول لك قبل

منوع النهار

بكل هذه العبرات الالهية ، وإذا كان حقاً أن
— هنالك — كل آثارك الآتية ، فلتبتك عيناى
دون وخز في هذا الهواء ، ولتغم — إلى الأبد —
بدموعها القلقة هذا الأمان حيث يهدم فيه — حظ
شاعر .

أرجانتى — وواجهك نحو عالم غيور ، فأنت
لم تعد لفنك ، وإنما لنا ؛ قلب الشاعر العظيم هو
يقظتنا وهو — حين يصمت — يقهرنا .
باريس — فكروا فيما روفكم !

إزابيلا — لاحق له في ذلك ، لقد احتعلنا
منه تلك الحركة حين قذف بقطعة على الملائك . . .
ومن ذلك الحين ولى هاربا ، ولكننا نريد أن نفكر
في عودته إلينا

باريس — لم يعد الفن من الكبر ما يتسع
لأسراري .

إزابيلا — ألا تعرض بمسد اليوم عبقريتك
على الناس ؟

باريس — (ضرب على صدره) يكفيني في الليل
أن أعلم أنه — هنالك — يزجر !

إزابيلا — وإذا لم يعد يزجر ؟ هل تعلم ماذا
يقولون ؟

باريس — (بسخرة) أنى هريم بلا شك ،
وعمرى ثلاثون .

إزابيلا — ويقولون : إنك في جذوة الحب
أصبحت شملة خادمة ، وإنك بت تحشى الجمهور ،
وإن القطعة التي صنعت بها الشعب لم تم في الحقيقة ،
ولكنك أردت إخفاء نزعها بما عمت ، هل أنت
تأرك سوقا لمثل هذه الشائعات ؟

باريس — ما معنى ذلك ؟

إزابيلا — المسرح هو كل شيء ، فإذا هجرته
أموت سائما ، إننى فقيرة الى أن أطرح هذه
الأشياء العميقة كصن بينى وبين الناس
أرجانتى — انتصاراتها الأخيرة سودت وجوه
الأولين . آه لو تراها في مسرحية « الفينيقين »
أو في « تاجر البندقية » !

إزابيلا — نسيت « هيلين » حيث كنت
أتناول بأناملى أجل أكاليل الغار ، حقاً لقد مثلتها
أكثر من المرات السابقة

باريس — عن أية هيلين تتكلمين ؟

إزابيلا — عن « هيلينك »

باريس — أعن « هيلينى » ؟ بل ذكرت :
فهل اسمى في الفضاء بنادى اسمها ؟ هيلين . وبأى
حق جرى يسمح لى بأن أفتح جفنيها . هيلين ؟
إننى أكذب ككل انسان ، هذا ضلال ، إننى لم
أذرف دموعا على قبرها

إزابيلا — البكاء باطل حين تبتكر العبقرية .

باريس — الأثر الخالد هو دموع حية .

إزابيلا — إن حاضرك ليغار من انتصاراتك
اللولية ؛ بلزمننا الآن قطعة جديدة منك ، وروما
لا تزال تريد أن يحقق فؤادها لانتصاراتك .

أرجانتى — كذلك .

باريس — هات إثمائى يا مارسيللوس !

مارسيللوس — (يتناول مارسيللوس إثماء ويعطيه
إزابيلا) .

وهذا ناسلم من النار ؛ ولهذا ترين هذا الأمان
مصبوبا على هيئة قلب .

إزابيلا — (تأخذ الكأس بيديها ، وترفعه حتى
شفتيها بخشوع اليأس والحب)

الأمان التي كانت تحملها « أرملة يوهي » لم يتبل

هذه الطبيعة دون أن تجرئ على النظر إلى وجهه .

إزابيلا - باريس :

باريس - انظري ؛ أريد أن تعرفي إلىه
أيتها السيدة إنه أبو الهول ، وبأيتها السيدة
- مدير مسرح أوروبا - ارفعي قبعتك جلالاً ،
هذا هو الأوحـد الكبير الذي يلتحف كل الأبدية ،
يحيط به حشم غير منظوري هم القرون الانسانية
يحثون أمامه ، قيمته الحجرية مبللة بالندى ، هي قيمة
قيصر أو قيمة الأهرام ؛ والآن أفيمك جرأة على
تحدثي عن العبقرية وعن اندادى وعن الشاهد ؟
ألا فاحشوا بأبـو الهول أن يهز الأرض ضاحكاً في حالة
من حالات هذيانه !

إزابيلا - إنك لتسخر باطلاً ؛ هل بإمكانك
أن تصرف الناس عن لومهم لك بأنك انتهيت ؟
يا باريس ؛ ماذا يهمنـا أبو الهول ؟ هذا المارد المعلق
الذي يقف على هذه المدينة المثلثة ؟ والذي يزيد
بقلب غيور هو أبو الهول الآخر ؛ أبو الهول الذي
كان لا يحيا إلا بك ، لأن مدينته كاملة تقول بأنه
غير موجود ؛ ولأن هذه الضوضاء الباطلة لبنت في
جميع روما ، فأنبت لها بأنها غخطئة ؛ وهي تظن
أنها لم تكن إلا طليعة مهمة فأنبت لها بأنها غخطئة ؛
اسمعي لي يا باريس وأنصتي لي ؛ إن المدينة ذات
التلال السبعة تود أيضاً - في عصرها المنحط -
أن تحمل أترك كياقوتة ثمينة ...

باريس - (هازأ كتنهيه)

أنتكرت «أبـو الهول» ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إزابيلا - ولكن ...

باريس - أجل ؛ ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إزابيلا - (منضية الطرف)

كان أجل آثارك

إزابيلا - أو تارك اسمك يفتيب في الليل ؛
وكوكبك ينطق في اللحظة التي أخذ يلمع فيها ،
إن الخطأ الوحيد الذي يرتكب حيال المجد
والحب هو الاعتزال ؛ إنهم - ولا ريب - قد
تكلموا كثيراً عنك في الشهور الأخيرة وعن
مسرحيتك «أبـو الهول» ، ولكن الصمت اليوم
يخيم على الجميع ، وهذا «سير ماران» مقم غبطة
وهنا لتفوقه عليك ، وحين تبتمد العبقرية يحمل
الاكتساب معها .

باريس ؛ ليس هذا بحق ولا يمكن أن يكون
حقاً ، إن هذه الجهة التي يكلها النور الذهبي ؛
والتي يتوجها النار ، هذه الجهة ، لا ترضى بأن
يسلمها تاجها رجل أقل شأنًا ، لا يجدر بك أن
تقع بهذا النسيان الهين ؛ وحين لا يتنازل الانسان
فدني ذلك أن أراد انتهى ؛ فهل تتركهم يفكرون
بأنك هذا الانسان ؟ وهل تترك الشعب الماجل
يتخذ شاعراً غيرك ؟

باريس - إذا كان هذا هو المجد ؛ وإذا كنت
تقولين حقاً فالأجدران يراه من بعيد لا من قريب ؛
إذا كان هذا هو المجد - يا أوروبا - فاني أوتر
هذا الليل الأزرق في أفريقيـا حيث أفتقت أثر أخى ،
وهذه الشاهد التي لا تنتهي ، وهذا الهواء المترشح
بشذاك العظيم .

أنظري ؛ يا للركة ؛ فضاء خالٍ من هتاف
الاستحسان ، ووجوه المصورين ، وفي النساء حيث
يرقد أبو الهول ؛ رجلاه في التراب وجبينه في السماء ،
هل لحته يتشمش تحت لآلاء القمر .

أجل ؛ لقد جئت بقودك الجزع ، عارفة في
الحقيقة من أنا ؛ جئت تشكمين لي عن أدوار
وعن استحسان ، وهنا ، هنا في هذا البلد ، وإزاء

وجوه الرجال ، وإذا كان الشمر يثير الكون
فذا لأن الشمر هو حب أيضاً .

باريس — لنجتنب الكلام عن الحب .

إزابيلا — هذه المدينة التي تقديسك ، المدينة
التي ما زلت أراها بمدرجي حولي ، أما تنبأت أنت
بما يحتمل قلبي ؟ قبلاني كانت أتم آثارك ، وعيناً
تمن في الفرار منها لاجئاً إلى هذه الأهرام ، إن
هذه العصافير البقلة تعود إليك ؛ تعال فان ظل
الشمس بدأ يحيا . تعال نحيا ، تعال نتالم ، تعال
نبدع ، تعال إلى الحب .

باريس — لا أريد ... لا لا ...

إزابيلا — إن هنالك أشياء تحقق في صدري ،
أنصت لي فأنتي أمثل كل بطلانك ، كل من تود
ومن تريد ، إن دم « إيزولت » هو هنا يجري في
ذراعي ، وهيلين أغارتنى صوتها الرنان ، وعندى
عيننا « بيريس » لأعبدك .

تعال ، تعال ؛ إلى كصحيفة من رخام مهجور
فقيرة إلى من يترك قلبي يخفق من أجله ، فقيرة إلى
أن أحس في حلقى الجامد أشمارك العظيمة للتوقدة
تنبت في الجزر في السم .

فكر ، لم يدب في حياة ، اسمع لي ؛ أعد علي
قلبي الخفاق ؛ وصوتى المنطلق ؛ انني أحضرو وشحوني
هو الدليل ؛ أعد لي قبلاتك ورواياتك .

باريس — (واضعاً يديه على جبينه) إنني جاهل
الشيء ؛ هذا الصوت

إزابيلا — هذه عبقريتك تتكلم في أعماق
نفسى .

باريس — ما تذوقت أبداً هاتين الشفتين
الهاجتين .

باريس — وماذا يهمك بمد هذا ذلك الصياح
وتلك الأعمال ؟ يكفيك أن أتركاً جيلاً خُلِق ...
إزابيلا — ألا شيء بعده ؟

باريس — لا شيء

إزابيلا — (بصوت منخفض) (إلى إرجاني
ومارسيلوس)

دعنا الآن وحدنا ؛ بنيت ذلك ، إن كابو باطرة
أصاحت بمالكها ، أما أنا فأريد أن أتعذ بمالك ...
(ينسحب إرجاني وموسيلوس ، وتنفرد إزابيلا
بباريس ، وكان الليل يهبط رويداً رويداً)

المشهد السادس

باريس — أقول لك معاوداً مؤكداً بالاشيء
أقوله لك .

إزابيلا — (تدنو منه برقة وهوى)

ولكنه يجب ذلك ؛ كيف تأباني حين أكلك
باسم قبلتنا ؟ « لا الحمد ولا الفن » كتابك الأول
في قلبي وفي ذاكرتي ، ووجودي كله كان يهتز لهذا
القسم الغيور ؛ لماذا لم تأت بي معك إلى هنا ؟ إنني
لأسمع عن قلبائك وعن عتوك ، ولا أسمع عن
غيابك ، وتريدني ألا أنالم منك حين أسمع وقع
قدميك .

باريس — قد كان يجب عليّ ؛ إذ كان يصعد
إلى — من أعماق نفسه — نداء أكبر من الذي
أجبه .

إزابيلا — أى نداء ؛ بقرب أى نداء يتلاشى
هذا النداء ؟

باريس — أصبح الحب أصغر من أن يحيط
بأسرارى .

إزابيلا — مه لا شيء أكبر من الحب ؛
عند ما يذكر على اللسان يظهر شحوب الموت على

ماذا ؟ قلت : الشيخوخة ؟ ويقول : — هذا البلد ، بلد الشمس والرمال والشقاء ! هذا البلد — وهو في حالة بأسه — يريد أن يحيط بحينا الجديد بوسائل زينته القديمة

لا نتمتع من هذه الليلة الجذابة الفتاة ؛ أنصت الى أصوات هؤلاء النسوة ينشدن نبيداً تقول أغانيهن : الحب !

وتردد الصحراء : الحب !

ويرجع الليل العميق ، والبحر : الحب ! ويقول أبو الهول الحائم على هاوية الرمال ، المسترسل للحلم استرسالاً أبدياً : الحب ! نعم ! كل شيء يمضي ، وكل شيء كضباب زاحف على القمم . ولذلك ينبغي أن نحب بدون انتهاء ! فلنحب ...

إننا سنلتقي في الليل الذي يقترب منا كهذه القطمان التي نمد أجسامها ، لنحب إذاً لنحب حباً لا يقنى ولا يبيد ، وكل من لا يحب يقضى حياته سُدًى . وليشهد على حينا هذا العملاق الراسي ذو الجناحين ، وليشهد على حينا القنى هيكله الأبدى .

باريس — (مرتمداً مضطرباً متأثراً) .

وأنا سألح نفسي عن هذه الصحراء العميقة إذا انتزعني أنها الآلهة البشرية ، إذا ... ولكن مادام الأمل يلعب في خاطرك الأزرق فأنا أقبل تجديد الصراع والسرور ، وإذا ما نفيت ذلك عن نفسي فأنى أثر أمنحهم الآن ؟

إيزابيلا — (برفقة وفتنة) .

الآن !

باريس — أى شيء أستطيع أن أجيب لهذه

إيزابيلا -- هذا هو دى الذى يتحرك فى الليل لصيرى .

باريس — لا دعنى .

إيزابيلا — (تنفض لها) اسمع !

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — لقد ملكتك ! إلى لأتمثل تلك الليلة من الصيف الأخير ، هل تذكر ؟ اذكر أيامنا الملتبها إلى إيطاليا ، وقبلتنا فى الشرفة الزاهية ، وذلك الكهل الذى كان يتشم ، اذكر ذلك الكهل ! آه لقد كان فى عيوننا قبس من الشمس ، وكانت الأمسيات لطيفة ملائمة لهوانا ؛ ولكن مصر هذه تشبه شيخوخة العالم ، لماذا تنفر من بين ذراعى هنا أريد أن أملك ، هنا عن كسب من هذه الرمال القاتعة .

(فتحت النافذة ، وبدت منغيس ، النجوم ... الطبيعة . أبو الهول)

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — الى أبى الهول الأعظم الذى ذرف حمرة ، الى ألوف الأعوام ، وبلغ من الكبر ما يبلغ حظنا من القصر ، اليه ؛ الى أبى الهول تعال ! (فادته إلى النافذة المفتوحة وهناك فى الليل بدأت تهس له)

ان النهار الأزرق جلبابه ينتهى الآن . والليل طفق يرص عنقه بالكواكب ، والقطمان تؤوب الى حظائرهما ، وهذا النخيل يشمخ ويتطاول كأنما يريد حمل السماء على أوراقه الخضراء ؛ وهذا صوت قيثارة يمد يصل كرحفة بيضاء . وهناك على قيد خطوات ، فى الجزيرة المتبخرة زهواً — نسوة ملهبات متلويات المحصور يرقصن ويرددن بالحلمن الجديدة أهارج الشمس والنيل ...

باريس - أصغى ، أصغى ، أصغى . هل تسمين هذا الأنين ؟

إزابيلا - لا أسمع غير هذا الريح التي لا يختلف ، يرافقه هدير النهر الكبير .

باريس - آه يا ألهي ، ما العمل ؟

إزابيلا - لذة الليل تفتح لنا جوها ، وصدى قبلة واحدة قد يهيجها .

باريس - لا ! إنني أسمع نداء .

إزابيلا - إنك لا تسمع إلا ندائي .

باريس - إنك - في الحقيقة - لست مهياة لسماعه ، ولكن أنا الذي أحيا وسط هذه الرمال الذهبية ، ذا أذن مرهفة وقد سمعت كل شيء سمته

كصخرة سفينة ضالة ؟ تجوز الزمان والحدود والفضاء ... قبلتك ليست بشيء ؟ قبلتك تتلاشى

حين أسمع - غاصراً الصحراء متموجاً فوقنا - هذا النداء الذي ينازع كل شيء من أجلى .

إزابيلا - كيف تسمعه ضد من يعبدك ؟ هل هنالك صيحة يستطيع سماعها بين قلوبين متحابين

يخفقان ؟

باريس - مهما تدانى قلبان فالقضاء يمشي بينهما ، بل ، بل ؛ المحي يبيدك تلك الخالد على الدهر

هذا هو المعلق الذي يناديني . إنك تحدثيني عن القبل ! فكركي أيتها الابنة البعيدة عن الحطار ،

فكركي في كل ما تقوله إلهة النيل . إنه يناديني إزاء النهر الذي لا يبيد . أهو لإنسان أم وليد ؟ أم امرأة ؟

إنه أبو المول : وهو الذي يعلم السر ، ويعلم لماذا خلقنا ولماذا نمحيا . ونحن نفكر في أنه يعلم كل ذلك أرا أنا ترتمش ! ... !إننا - بابتعادنا عنه -

الأفئدة التي تميدني ، آتاري المحرقة تسكن هذا الألام ، وكل غابري الناري يرقد في هذا الرخام الرمادي ، أما أبو المول ...

إزابيلا - بأبي المول ؟

باريس - الوحيد من آتاري ؛ الوحيد الذي خلد ، هو ذلك الذي طرحته أرضاً وأنا كالوحش وتقبله الشعب جميعاً بوجهه . بل ؛ لقد مرقت كل شيء من هذه الصحف السوداء ، ولم يبق لي قصاصة منها .

إزابيلا - (مادة إليه يدها بالأثر) .

هذا هو !

باريس - إلهي !

إزابيلا - نعم ؛ لقد قابلت هذه البقايا البعثرة المحيرة ، وأعدت الأثر كله ، فاستنقذت الأثر النفيس من النسيان ، وهكذا أيقظت ألبانه ووقفت على أشعاره ، وهذا بعض واجب المرأة أن تعيد

نظام ما يبعثره الانسان ، أو تجد ما يبيده .

(ترفع الأثر الذي أهنته)

ها هو الأثر المنقذ !

باريس - أهو ؟

إزابيلا - هو الأثر الوحيد الذي تستطيع بواسطته أن تجابه تقادك ؛ أتري أيها التاعس الذي دممت عيناه كيف تأسف كفك على تمزيقه . والآن فلنرحل وليسبقنا أراجيتي !

تمال تتروح النسيم ، تمال وندوق في السكينة الصخب الذي كانت تغطي عنك روما ، عد لتمود شهيراً في بلد السرو ، ودع عنك هذا التخيل المهرم وهذه الطرق الطامخة غباراً ، وهذا النهر ، وهذه الصحراء ، وأبأ المول الغريب !

(يهان بأن يطلعا متعاهين ، وفجأة يفصل عنها باريس)

ان نحيا متجاورين ممّا ...

إيزابيلا - صه !

باريس - لقد قررت من الأمل واللذة والطموح ، وأصبحت لا أهتم إلا بالانحناء عليه ، لا هدف لي سواء ا وحياتي تضي خالية من الحب والأسدقاء ، والآلهة فارغة منك ، ومن الكتب لأن « آباء الهول » في أجواز البحراء يفارون من القليل - من الانسانية - التي تجري في نفوسنا كنت أخال أنه هدأ وسكن ، ولكنه قد أحس خطواتك البظنة بالحب ، على هذه الطريق ، لقد شمر - ولا ريب - بخطر يدايم . فهو يناديني بلهجة أكثر عنفاً : « تعال » .

صوت أبي الهول من بعيد - تعال !

باريس - اسمي صراخ هذه الشفة الهامدة ، هاهو يوقظ «مارسيلوس» التلظى في حماء . لا شيء يقف دونه - قلت لك - لا شيء !
(يدخل مارسيلوس شاحب الوجه)

المشهد السابع

باريس ، مارسيلوس ، إيزابيلا

باريس - أسمته أنت أيضاً ؟ لقد كنت هنالك بجانب إيزابيلا .
مارسيلوس - نعم ! وليس أجل منه هذه المرة .

باريس - لقد كان صراخاً رقيقاً مرئناً .

مارسيلوس - وواضحاً !

باريس - كان كآله خالد .

إيزابيلا - لم يكن ذلك إلا حفيف الريح بين الأوراق .

مارسيلوس - لا ، لا ؛ لم يكن ذلك بحفيف

هواء ؛ كان أشد من ذلك .

باريس - هل أنت متعبد به ؟

مارسيلوس - كان يقول : « تعال » وقد سمعته جلياً ؛ اسمع أنت ، يجب علينا أن نوافيه ونسي إليه ، لأنه سيكلمنا هذا المساء ... وذات شيء حقيق .

باريس - شكراً يا مارسيلوس ! إن نظرتك تزيدني يقيناً ، إذ لم أكن واحداً في استماعه ، ولكنه ...

مارسيلوس - يدعونا في جوف الليل الخائف وكفه الضخمة الرمادية تفتح السكون . إنه ينظرنا يا أخي . إنه يحمل القمر على جبينه .

إيزابيلا - هل أذا بمنجرتان حتى يمتطفعا منا ؟ إن هو إلا تمثال بارد طوى ألوف السنين .

باريس - أنه سيروى لنا لماذا نحيا على الأرض .

إيزابيلا - انكما ستصدمان الجبين بيكهما وخرسه .

مارسيلوس - إنه يفسر لنا العناية التي لم يهبها أحد منا .

إيزابيلا - باطلاً يشير الانسان على تمثاله .

مارسيلوس - إنه سيبين لنا ماخبأته لنا

الأقدار ، وبه نعلم لماذا خرج (لأزار) من لحده شاحب اللون كأنه خارج من سرير .

باريس - وجهلنا عرقنا ويحطمتنا .

مارسيلوس - وعن أسرار الموت يحدتنا .

إيزابيلا - كفى ... كفى !

مارسيلوس - كلمات التند الجديدة ؛ أريد

أن أفهم كل هذا ، وان كان حقيق بذلك .

إيزابيلا - أيها الولد ! ان قلبك الترد لا يدري

باريس - هلم لتعلم هذه الشملة لماذا تذهب ،
ثم بعد يوم تمجد ؟ تعال ! فما أقصر هذا الغياب
بالنسبة للغياب الثاني . انه سيقول لنا كل شيء .

تعال !

إزابيلا - قفا ! فالدار بيضاء مخوفة بقراس
الأس ، والريح تمول في الليالي الأكثر عاصفًا ، هنا
خصائل النساء التي تلوح سوداء ؛ هنا الفن والحب
والطرق المعجبة ...

صوت أبي الهول - تعالوا ...

باريس - اسمعهم يمينًا
(فجأة تصف الزوينة ، والورق تلعب خلال السناء
وعلى ضوئها يوح أبو الهول)

أبو الهول - تعالوا ...

إزابيلا - (متلقة بهما)

لا !

مارسيلوس - ان نداءه العالي يشق حداس
الظلام ، اننا ننبه حتى أطراف العالم

أبو الهول - تعالوا ...

باريس - لا نتردد ! لنمش من غير ارتعاش

ولا وجل !

إزابيلا - ابقيا !

أبو الهول - تعالوا ...

إزابيلا - ابقيا ...

أبو الهول - تعالوا ...

إزابيلا - ابقيا ...

أبو الهول - تعالوا ...

(يبدو من الشرقة أبو الهول يلعب عليه القمر ،
إزابيلا تضحى ، ومارسيلوس وباريس يتسلان في الليل
بينما كان صوت أبي الهول يتردد)

خيل هنري

(يتبع)

ما يقول في المسائل الكبرى ليس لها جواب ،
وكلا زاد التنقيب في السعي وراء حكم هوأى زادنا
ذلك أننا لا ندري شيئًا .

مارسيلوس - ولكنني سوف أنتزع من
هذا المسارد جوابًا كاملاً .

إزابيلا - وان يك لنزأ فانه من حجر .

باريس - لا لا : فلقد رأيت جفونه ترمش

إزابيلا - ذلك قلبك الذي يدق بالقرب

منه .

مارسيلوس - وسمعتك في أعماق نفسي كلامه .

إزابيلا - ذلك فؤادك الذي زاد وحيه

ألا يهني الذهاب نحوه ؛ حقًا ان هذا الليل رائح
والفراغ المظلم على الوادي . ولكن هنالك الحب ؛
هنالك النور ، والورود التي يداعبها الريح .

كنت نحبها قبلًا ...

باريس - أحببتها يوم كانت أفقدتنا هادئة .

دعينا نمر !

إزابيلا - سنبزغ الفجر .

باريس - دعينا .

إزابيلا - هنالك حلالة الوجود ولولم يفسر

ممتاه ؟ والصف ؟ أليس هنالك الصيف الذي
يسطع على الأكوان ؟

هنا لذة غداثر النساء الشقراء أنها الفتيان !

هنا لذة بأيدينا ! فلا تمدوا وراء أبي الهول فانه
يقتلسكم .

باريس - (اتخذ مارسيلوس)

وأنت لم ترتجف في حين مثل هذا الارتجاف ...

مارسيلوس - اني أفكر في « سانتيا » التي

ترقد هنالك . مرعان ما يتجدد اللب غالبًا اذا ترك .



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠، ٥٣٤٥٥

الهرولة

مجلة أسبوعية للقصص والرائع

نصدر مؤتلفاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٠ صفر سنة ١٣٥٦ - ١ مايو سنة ١٩٣٧

العدد السابع

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٣٩٤	من ذكريات القرية ... أقصوصة مصرية رقيقة ... بقلم أحمد حسن الزيات
٤٠١	الملكة ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٤٠٩	يوميات نائب في الأرياف ... قصور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٤١٤	دورثيا ... للكاتبة الانجليزية مسز جور ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٤١٩	تسى تانا ... أقصوصة يابانية ... بقلم محمد محمد مصطفى
٤٢٢	فلوريدور ومرجريت ... أقصوصة فرنسية ... بقلم ف. ف.
٤٢٥	على قم الألب ... عن الانجليزية ... بقلم أحمد فتحي مرسى
٤٣٠	المرأة الحائرة ... لثوماس هاردي ... بقلم نظمي خليل
٤٣٧	الأوديسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ درين خبطة
٤٤٥	اعتراقات فتى مصر ... لأنفريد دى موسى ... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٤٥٠	سر أبي الغول ... لوريس رستان ... بقلم الأستاذ خليل هندواي



- ١ -

أفرانه اشتركوا في زعامة القوة ، وانفرد كل منهم بموهبة من الواهب النادرة تجمله رجل وحده . فالهدى يجيد الزمر في الأرغول ، وأحمد يتقن غناء الواويل الحر ، وحسن يحذق النقر على (الدربكة) ، وعلى يد ر حفلات الأنايس وغزوات الليل . وتقسما على هذه المزاي ، هوى الشبان وإعجاب الصبايا ؛ فكان لكل منهم حزب من الجنسين يتمصب له ويمتف به وينقاد إليه ، في غير وقاحة تسقط حياء الفتيات ، ولا خصومة تكدر صفاء الفتية

كانوا يدخلون الحشيش ، لأنه حكم من أحكام (الكيف) ومرض من أمراض المادة ، ولكن لأنه كان في زمنهم من صباوات الشباب وزوات الفتوة . وكانوا هم وأتباعهم يسرقون القطن ليلاً من حقوله ، لأن السرقة فيهم أثر من أئام الفطرية ، بل لأن قوى الشباب الجياشة كانت تبحث في ردوسهم وتضطرم في نفوسهم فلا يجدون لها متنفساً ولا مقيصاً إلا هذه الغزوات الليلية يتحدون فيها بقطة الحراس وسطوة الحكومة

كانت المزرعة البعيدة من مزارع (الأمير) تسمى وهي ييضاء تتألق باللوز المتفتح كما تتألق السماء الصافية بالكواكب الزهر ، ثم تصبح وهي سوداء كأنها الأرض بعد الجراد أو الدار بعد الحريق ؛ فيرغى (التفتيش) ويزبد ، ويرق (الركن)

كان أهل القرية يسمونه (البجوح) لأنه كان غيثاً من السكرم يصيب الأبدى المنكودة ، ونسباً من الرح ينمش الأجسام المجهودة ، وشماعاً من الهجة يذمر النفوس الظالمة . كان ابتسامه الدائم يفيض على وجهه البرزى إشراقاً من الروح المذب يجمله أقرب إلى البياض المشبوب ؛ وكانت نكتته على طرف لسانه يرسلها في الناسبة الجميلة فتفجر الضحك من الصدور السكظيمة ، حتى وصفوه بأنه يضحك حجارة القبر !

كان جميل الهندام ؛ يلبس الجلباب الأزرق المحكم على مبدار من الشامي أو الخوخ قد زرّ لفنقه صفت منضود من الأزوار الحربية ؛ ويضع على رأسه طاقية من القماش الأبيض المحرم قد أمالها قليلاً إلى الجهة اليمنى من رأسه ؛ ويجمل في يديه المطرزين بالوشم الأزرق خاماً أو خائمين من النضفة البيضاء والعقيق الأحمر ؛ أما قدما فكانتا حافيتين في النبط ، فاعلنين في القرية ؛ وهو على أية حال كان مثال الظرف للشباب ، وتموجز الفتوة في البلد

كان الهدى (وهذا هو اسمه) سمهور القوام ، مجدول المضل ، جرى الصدر ، شهم النؤاد ، لا يتخلف عن الصف الأول في كل ما يصيب القرية من أعراس ومآتم ومعارك ؛ فكان رابع ثلاثة من

ويرعد ، ودار المهدي تغنى وترقص وقد أولت
 (لجبدعان) الذين قضاوا ليلهم في العمل الجريء
 وليمة سخية لا يقدم فيها غير الحلاوة الطحينية على
 (الصواني) وفي (الأاجر) ؛ ثم يخرجون بعد المداوبة
 الى ضفاف الترع الحارية فينامون على بساط النجيل ،
 تحت الصفصاف الطليل ، يفتهمهم عير الفلية والسعد ،
 وينفخهم نسيم اكتوبر النعش وقد خلص من
 حرور الصيف الى تنور الخريف . ثم يستيقظون
 على أنغام الناي الحنون يرسلها المهدي في الفضاء
 الصافي فتتمزج بأغاني القرويات الجميلات وهن
 يقطن في أحجارهن لوزات القطن العزير
 كان الناي أو الأرغول للمهدي كاللسان
 للشاعر أو الخنجر للبلبل ، ينفخ فيه روحه ، ويصور
 به عواطفه ، ويرسل منه رسائله ، ويفعل به ما يفعله
 كوييدون بسمه . فهو في النهار الراجح الطروب
 الهائم في هبات النسيم ، يوفه عن اللاغبين في
 استراحة الطيور ، أو ظهيرة المحراث ، أو وحشة
 الساقية ؛ وفي الليل رسول الطرب المتنوع في
 حفلات الأعزاس ، يجتمع هو ورفاقه الثلاثة في
 دار العريس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها
 وأطفالها يتمنون بنفات المهدي ، ورقصات على ،
 وتقرات حسن ، ومواويل أحمد

٢ -

ترحت الى القاهرة في طلب العلم ؛ ثم كنت
 في الصيف أعود الى القرية فأنسج في حياتها ،
 وأختلط بينها وبناتها ، فأغسل دجاجة وأنها الطاهر ،
 وأجلو شموري بجوها المستنير . وأهدد أحلام
 مستقبلي في مهد الطفولة
 في ذات سيف لاحظت أن بالهدى مسحة
 من هنال لا يملأها مرض ؛ ورأت أنه قليل
 الدابة كثير الوجوم ، يطرق أطراف المهوم
 وبذهل ذمول الشاعر . وأعجب أمره أنه أثر
 الأرغول على الناي ، ومال عن سير الحرب الى أطلال
 الحب ، وهجر مجالس الفتوة ، وحافظ على الصلوات
 الجلس في أوقاتها وراء الأمام . فسأته ذات يوم وقد

وكان الفتيات الناهدات يتكدسن في دهليز
 الدار يتوسمن الوجوه الراغبة أو الخاطبة ببيوتهن
 المسلية الحسالة . وكنا نندس بينهن ونحن صغار
 فنسمع من بين شفافهن اللبس ذلك الانجباب
 المتردد الهامس بأولئك الذين يدخلون السرور في
 كل قلب ، ويبعثون الانجباب في كل نفس ،
 ويقذفون الرعب في كل مكان خارج القرية . وكان
 المهدي على الأخص عرض الأنظار المسددة ،

أنافه إلى عين رأسها كأنها طاقة المهدي ، فلا يسمك إلا أن تصدق ما يقولون من أن أباهما بضن بها على الفلاح الذي يبتذل جالها في إدارة الطنبور وخدمة الماشية

— وكيف تلقاها يا مهدي ورأى أبها فيك هذا الرأي ؟

— ألقاها كل يوم وهي تسقى الجاموسة من التربة ، تركها تبرد في الماء ثم تجلس إلى تحت شجرة التوت فتساقط أعذب الأحاديث من غرام وشكوى ، وأصحابها وهي ذاهبة على حمارها الأبيض القصير ، تحمل النداء إلى أبها في غيطه البعيد ، حتى إذا قاربناه جلست على حوض الساقية أتمقها بنظري حتى ترجع فأعود معها إلى القرية ، وفي بعض الأيام يذهب أبوها إلى السوق فأقضي معها ومع أمها ذلك اليوم السعيد ، لا بكل النظر المثبت في النظر ، ولا يفتر الحديث المتصل بالحديث ، ولا نشعر بالمكان الذي يحصر ، ولا بالزمان الذي يمر ، ولا بالوعد الذي يقترب

وربما ظلت النهار كله مع أبها في المزرعة تضع بذور القطن في الأرض ، أو تنثر حب الذرة وراء المحراث ، أو تنقي غلت الرز في وسط الماء ، فلا أستطيع أن أراها ؛ فأحاول أن أخفف برحاء الشوق عن قلبي العميد بالنظر إلى حمارها وهو يتمرغ في الحارة ، أو إلى كلبها وهو راكض على عتبة الباب ، أو إلى عجلتها وهي تمشي متثددة أمام أمها إلى التربة

أرجو ألا تضحك ! إن حب ربا قد صور لي الأشخاص والأشياء على غير الصورة التي تراها ؛ فأنا حقيقة أرى حمارها أجل الجبر ، وكلبها أظرف السكاب ، وجاموسها أطف الجاموس ! إن في

جاني بصد انصراف الناس يسألني عن الكتاب الذي يجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر المنفي :

— مالك يا مهدي تغيرت بعض التغيير ؟ أبك علة ؟ ألك حاجة ؟ فأجابني وقد استراح إلى موضوع الحديث كأنما أصاب به نفساً من كربته :

— علقى (ريباً) ، وحاجتي هي !

— ربا ؟ أنجها ؟

— أموت فيها !

— ولم لا تخطبها إلى أهلها ؟

— يقول أبوها إنني أسرق غيطان الناس

وأتماطى الحرام ولا أصلي

— وماذا ترى أن تفعل ؟

— لا شيء . سترتها خاطبوها إلى ، وسيفير

أبوها بالطبع رأيته في

أنا أعرف ريباً ! وهل في قريتي الصغيرة من أجمله حتى أجعل ربا ؟ كانت وحيدة أبها الحاج حسين ، فطمعها على الدلال ، ونشأها على الدعة ، ووسع لها في الثياب والزينة ، وأعفاها من أكثر عمل النيط والبيت ، فشبت على أخلاق الترفين خفيفة الزاد عزوفة النفس مرهفة الحس واهنة الأعصاب رقيقة البدن ؛ ولكنها كانت على الغاية من ملائمة الشكل وصفاء البشرة وعذوبة الروح وسحر المنطق . وأبلغ آيات الجمال فيها عينان ساجيتان وأهداب وطفت ينبعث منها في القلوب مالا تستطيع اللثة أن تسميه ولا العلم أن يصفه . فإذا خرجت ساعة الأميل في أنرابها الجليات يحملن الجرار إلى النهر أو من النهر ، مزينها في مقدمة السرب بقدها المشوق اللحن ، ومشيها الحنالة الموزونة ، وخالخالها الغضى اللامع من خلال ذيلها الهفهاف ، وجرتها المائلة في

يعمل مع أبيها في الغنط ، ويكاد يعمل مع أمها في المنزل ؛ وهو الذي يسقى الجاموسة ويعلف الحمار ويرعى شؤون الأسرة

— إذن قبل أبوها أن تزوجها منه ؟

— نعم ، قبل بمذ أن يتحقق أنه ترك الحرام وعزف عن اللهو وعكف على العيادة وأخذ عهداً على السيد القصبي . وهم الآن يرصدون الأبهة لحفلة العقد ، ويمدون المدة لرفة الزواج

— ٣ —

بيع القطن ومسحت على الجيوب الفارغة يد قارون ؛ ومست الشبان الأعراب مواسم الهوى فذهب كل منهم يسمى لأهله البنت التي ضفر لها (الضفائر) واشترى لها (النوايش) وأهدى إليها (الحلوة) ؛ وأخذ الشيخ عبيد الوهاب مأذون القرية ينتقل من دار إلى دار وتحت إبطة دفتره المريض وفي حزامه دواته النحاس ، يقعد العقد ويأخذ المندبل ويشرب السكر ويسمع طلة البندقية التي تملن عقد الزواج للفتيات المنتظرات حين يقول للمريس : « بارك الله لك فيها » ؛ وأقبل الزمار

الصييت (أبو سمد) بطبوله وخزاميره ومهرجيه ، فلبث في القرية الساكنة أسبوعين جعلها فيها صورة صغيرة من (مولد السيد) ؛ وتساءل الوائدون على الأفراح : أين المهدي ؟ لم يظهر في زفة من الزفات ، ولم يسهر في ساهر من السواصر ؛ وكان العرف الجاري أنه هو الذي يقول (الطبل) ، ويهتدم المريس ، وينظم الزفة ، ويقترح الأدوار على (أبو سمد) ، ويرسم لموكب الزفاف الزايط مكان الوقوف وزمان الحركة . ولقد تحدثت المصاطب منذ شهرين أن زفاف ربا إلى المهدي سيكون افتتاح الموسم ، وأن شعراء (الربابة) ، ومنشدي الواوويل ،

كل أولئك شيئاً منها لا أعرفه . ولو كنت تعلمت لمرت ١ .

لقد أحببت غير ربا ؛ ولكنه كان حبا غير هذا الحب . كان حبا لم يتمد السطح ولم ينفذ إلى ما وراء الاحساس فلم يغير في عادة ولا صفة . أما حبا فقد خلقتي خالقة أخرى ، حتى لألئس المهدي القديم في إهابي فلا أجده : أصبحت لأميل إلى غزو الليل ، ولا أرغب في لهو النهار ، ولا أفكر في غير الخير . وفي بعض الساعات والحلوات أشعر أن في رأسي

عالمًا عجيب الألوان غريب الصور تخرج فيه الزهور وتطفو به المرائس ، فاستغرق فيه استغرق الطفل في « صندوق الدنيا » ، وأحس سيلاً من المعاني ينهمر على لساني فأحاول السلام فلا يبر ، وأجرب الفناء فلا يجدي ، وأجد الأشمار التي حفظها من عنثرة وأبي زيد لا تصور ما في خيالي ولا تنقل ما في خاطري . ولذلك جئت أسألك عن الكتاب الذي أجده فيه أشعار الشيخ حسن جابر النفي فأنها أقرب إلى ما أريد

لا تظن ياسيدي أني أزور لك كلام المهدي على عادة الكتاب ليطرد الحديث على أسلوب واحد . الحق أن المهدي كان بذكائه وعقله كاتباً لا ينقصه إلا القلم ، وبخياله وحسه شاعراً لا يبعوزه إلا القيثارة . هذه هي معانيه لم أنقص منها ولم أزد عليها . ولو كنت أذكر اليوم ألفاظه لما ترددت في تسجيهاها انصرف المهدي عني وغاب فلم أعد ألقاه عندي ولا أراه عند غيري . فسألت عنه ذات يوم رفيقه أحمد صاحب الصوت الأبيض والموال الأحمر ، فقال وهو يتشم في خبث ويشير في بأس : — أوه ! إنه لا يكاد يفارق ربا ولا أهل ربا :

والشيخ عبد الجبار هذا ضرير في حدود السبعين يحيل الخيال لاصب الجلد ، ولكنه مسموم الجسم متين العصب . كان شيخ الفقهاء ومعلم الصبيان في القرية ؛ وقد تنفس به العمر حتى ربي جيلين من رجالها ؛ فكان يتمتع بذلك بنفوذ واسع واحترام عظيم . وكان وافر اللب شديد الدهاء رزين الطبع ، ثم أكتبته مزاولة التعميم على الأسلوب القديم سلاطة اللسان وخشونة اليد وقساوة القلب ، فقلنا نخرج من كتابه متخرج دون أن تصاحبه عاهة في بدنه . لقد كان يضرب الصبي بالجريدة حتى يفقد الوعي ؛ ثم يتركه لأنه تعب لا لأنه أشفق . وكان إذا تهدأ أو توعد ظهر غضبه التسمير في مقلتيه الجاحظتين على رغم انطفائهما ، فلم أر أعمى يؤثر بمينيته غيره . وكانوا يسمونه (جلاد الشيطان) لأن الجن الذين يركبون الجليات كانوا يترمدون فرقا من طلعت . وليس الجن وحدهم الذين كانوا يرهبونه ، فقد كنا وكان الصبيان إذا سار الشيخ عبد الجبار في زعوطه الأسود ، بده على كعب قائده ، ورأسه الدقيق غائب في حمامته الضخمة ، وخده الشاحب مصغر للناس ، وأذنه المنصوبة مرهقة للقط الطريق ، وقفنا صامتين راهبين كأن جنازة تمور !

— ٤ —

لقد كنت وأسفا من شهود هذا الحادث الفاجع ، فأنا أقضه عليك كما حدث . لا يزال على طول العهد حيا في ذاكرتي رهيبا في نفسه كأنه وقع أمس . والحوادث اليسيرة تجدد خلودها في أعماق الحافظة الصغيرة ، فكيف بالحادث الجلل ؟

جاء المهدي بالشيخ عبد الجبار بعد صلاة المشاء إلى ربا ، وأقبل أهل الحارة ومن سمع من رجال القرية إلى البيت الحزين الفاني يساهمون في

ولاعبي البرجاس ، وضاربي (الحطاب) سينقاطرون على البلد يؤدون إلى المهدي بعض ما أولاهم في سالف العهد من أباد وصنائع

— هل عندك يا عني خبر عن المهدي ؟ هل هو مريض ؟

— هو في أمان الله ، ولكن ربا مريضة

— منذ كم ؟

— منذ شهر

— وماذا تشكو ؟

— يقولون إنها (معدورة) ، فهي لا تتكلم ، ولا تتبسم ، ولا تشتهي الطعام ، ولا تذوق الكرى . وقد عُدتها بالأمس فوجدتها مسبوبة على الحصير ، زائفة البصر ، ساهمة الوجه ، ترفع بدأ وتضع أخرى ، ثم تبكي من غير سبب ، وتنفذ من غير حنى ، ويدركها الدفول حينما فتتمض عينها ولا تتحرك . وكانت أمها على رأسها تروح عليها ، وللهدي بجانبها يذب عنها ، وأبوها أمام الحجر يدخن في تفكير وحزن ، فسألت أمها :

— كيف حال ربا اليوم ؟

— كما ترى . ولقد ذهبت اليوم ومي مندبلها إلى الشيخ فرج ؛ ففاس الأثر وفتح الكتاب ، ثم قال إنها ألفت ماء بالليل أمام القرن ولم تبسل ، فوقع على أطفال من الجن فركبها أوم . ولقد كتب لها حجابا كبيرا جئناه إليها فخلته ، ورسم بالحبر أشكالا في طبق ثم مجاها بالماء وسقيناها إياه فشربته ؛ ولكن ربا لا تزال ذابلة ذاهلة ، لا يعطئن بها فراش ، ولا يسكن لها عصب !

— وماذا لا تطلبون لها الشيخ عبد الجبار ؟

— لقد فكرنا في ذلك . وسيدذهب المهدي

بعد صلاة المشاء يدعوه

البرى ما فعل باليد اليمنى ؟ ثم تناول الرجلين متعاقبتين فكتب على أظفارها المشرة ما أملاه الفقيه عليه . ثم أعلن بعد ذلك جلال الشيطان أنه حبس المفريت في جسمها فلا يستطيع أن يخرج . وانقلبت سحنة الشيخ فجأة فارد وجهه ، وحفظت عيناه ، وغلى دمه ، وصاح في غلامه :

— جاد ! هات (الفلقة) !

وجاء جاد بالفلقة فوضعهما في قدي ريا مكان الخلخال الفقى اللامع ؛ ثم شدها وأمسك من طرف وأمسك شاب آخر من طرف . واستل الأعمى جريدة من الحزمة وبرك على ركبته وبقى في يده ، ثم أبحى على المريضة المهوكة ضرباً دراكاً يهدم جسم الجان به الانسان !

كانت ريا تصرخ صراخاً عالياً متوالياً من الضرب الموحج ، والقوم صامتون وفي سرهم الذبابة بالشيطان الذى يلتمس الرحمة فلا يجد ، ويحاول المزعجة فلا يستطيع

تخبطت الجريدة الأولى فوق عبد الجبار وأقبل بوجهه المتضمر على ريا الضارعة وقال في تهديد وحقق :

— هيه ! قل لى ما اسك ؟

— ؟

— أمؤمن أنت أم كافر ؟

— ؟

— قل لى من أى القبائل والفصائل أنت ؟

— ؟

— أنما هدى على تركها وأنا أسامحك وأطلقك ؟

— ؟

كان الأعمى يلقى هذه الأسئلة التحديه على المعزيت الأسير في جسم ريا ، وريا تنه أنيناً متصلاً

الرجاء والدعاء والأسف ، فلأوا الحجره وسفلوا الدهليز وسالوا خارج القبة . وكانت ريا ساهمة كأنها صورة الحلم الفقى ؛ فلما دخل الشيخ عليها حلفت فيه بيمينها ثم صرخت صرخة شديدة ؛ فقدم النساء أسفات وقال بعضهن لبعض : عرف جلاله ففرع ! ليت ذلك كان من زمان !

جلس عبد الجبار عند قدي ريا ، وجلس بجانبه عريف الكتاب ومعه حزمة من جريد النخل المشذب المصقول مما يستعمله فى تأديب الفلاظ الشداد من « أولاد الكتب » ، ودواة من الخرف الأخضر ، وقلم من القصب الأبيض ، وخرفة بالية معقودة على شيء . ثم أخذ يسألها سؤال العارف :

— ماذا بك يا ريا ؟

— لا شيء يا سيدنا

فلما رأى سيدنا الصوت طبيعياً والجواب عادياً قال لنفسه وهو يسمع الناس :

— هيه ! لقد هرب ؛ ولابد من استحضاره ثم فك القعدة مما فى الخرقه فلذا هو فتات من اللبان والجابى . ودعا العريف بموقد النار فوضع فيه البخور فأفهم أرجه الحجره . حينئذ أخذ الشيخ يتلو المزامير بصوت يشبه الهمهمة فلا يكاد يتبين منه حرف . ثم كان يتجهم عند بعض المقاطع فيشتد ويحتد ويذكر بعض الأسماء الغريبة ، حتى هرج دخان البخور وهممة الشيخ وازدحام الحجره أعصاب المريضة المسكينه فاختلجت أطرافها اختلاجا أحسه الأعمى ، فأمسك عن التلاوة وأمر برفع الموقد وأشار إلى عريفه أن يبدأ العمل

تقدم العريف الجرب وتناول يدها اليمنى وكتب على ظفر إبهامها كلة أملاها عليه الشيخ همساً ؛ ثم كتب كلة أخرى على ظفر السبابة ، ثم على أظفار الوسطى والبنصر والخنصر ، وقلم باليد

ناجياً فزعاها وصرقاً دمعها — يصب على جسمها
الناحل هذا المذاب ؟

لم تعد ربا تصرخ ولا تستغيث ، وإنما كانت
تنتفض للضربة والضربة انتفاضة الملسوع ؛ ثم
ترسل مدامها الفزار في صمت ، وتقلص شفتيها
الرقيتين في مضض . ووقعت عين المهدي على هذا
الوجه الشهيد المتحضر فاسترخت يده وارتدى على
الأرض مستخرطاً في البكاء . فأنهر عبيد الجبار
هذا الضارب الخرخع وتناول الجريدة وصاح :

— جاد ! أعد نظرك في الأظافر فأمل بمضها
قد امتحنت عنه الكتابة فيهرب

ففحص العريف أطراف البيان الرسالة وأصاب
القدمين المعزقة ، ثم قال في الطمئنان الوائق بعمله :

— الكتابة سليمة يا سيدنا
حينئذ أخذ الجبار يفكر في عذاب آخر ،
ولكنه أراد أن ينذر به الجنى قبل تنفيذه ؛ فزحف
حتى بلغ رأس المريضة ، ثم ألصق فيه بأذنه وأخذ
يساره . ولكن ما باله ارتبك ؟ إنه ولا ريب لاحظ
كما لاحظ القوم أن ربا تنسم نسما لا يكاد يظهر على
المرأة ، وأن العفريت مهما عذب لا يخذل هذا
الجلود ، فأحس الخطر وتوقع السكاره . وأراد الخبيث
أن (يتخذ الموقف) كما يعبرون فقال :

لقد وعدني أن يشاور نفسه ؛ فدعوه الآن هادئاً
يفكر حتى يصبح الصباح !

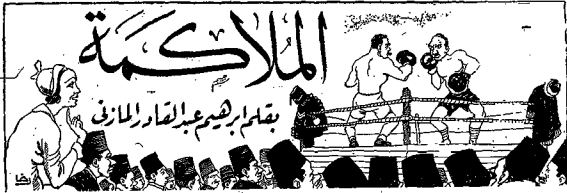
وفي الصباح ذهب عبد الجبار وادعاً يفتح
الكتاب ، وذهب أبو ربا هالماً يفتح القبر !
ومنذ ذلك اليوم المشؤم مات المهدي الذي
عرفته في أول القصة ، وعاش في جسمه المهودود
تخلوق آخر لا هو شخص ولا هو شيء !

الزيات

في استرخاء وخفوف وضراعة ، والقوم حولها
ينتظرون إجابة الشيطان وأبصارهم شاخصة
وأنفاسهم معقدة ، والألسنة خارج الحجرة تتناقل
صمته الغريب في همس وعجب ، والشيخ عبد الجبار
يحدق بعينه البيضاء في عين المصباح الخافت ويقول :
يا سلام ! ما رأيت أعند من هذا الملعون ! يا جاد !
هات الجريدة الثانية !

وشد الفلقة جاد من جديد ، وبرك الشيخ
الجبار على ركبتيه من جديد ، ثم شرع يدق القدمين
النحيلتين دقاً عتيقاً بالجريدة الثقيلة ؛ وهبت قوى
الفتاة المنذخورة تدافع الألم الممض بالصراخ
الدوام والاستغاثة المبهلة :

— أنا في عرض النبي ! أنقذني يا أماء !
أعطني يا مهدي ! أنا أموت ! ليس على شيء ! آه !
لم يجد هذا الحفاف المولم سحماً من أحد ؛ لأنهم
يعتقدون بإخلاص أن المارد العنيد يخذلهم عن نفسه ،
وأن ربا الحقيقية الناعمة في غلاف من العفريت لا تدرى
ولا تحس . وكَلَّت يد الجبار من الضرب فخل محله
شاب قوى . وتحطمت الجريدة الثانية والثالثة ،
وجلاد الشيطان بعيد الأسئلة بين فترة وفترة
فلا يسمع إلا الجواب الطيبى أو الأنيب المستسلم
وزاد عجب الناس من عناد الجنى الكافر ،
واشدت سخط المهدي على هذا الرجم الذي غلبه على
حيييته ، فتناول الجريدة الرابعة ووقف بجانب
الأعمى وقد كان مهمهم ويدمدم ، وأخذ يلهب قدى
حيييته المبودنين بالصا المضرس المبرومة ! وريا ..
أوه ! لا تسلى حينئذ عن حال ربا . إن في بعض
مظاهر النفس ودلالات اللامح ما يقف أمامه البيان
الانسانى أبكم لا يطق وعيياً لا يبين . وماذا عسى
اللفظ المعنى الجامد أن يصور لك حال ربا وقد
فتحت عينها الداميتين فوجدت المهدي —



السنية ومعها خادمها يحمل لها الكتب والكراسيس
ويعني أن أكلها في الطريق إطاعة لأمر « الست »
فأنا كاد أجن من فرط الحب والنيرة والشعور بما أنا
فيه من المهانة والتحقير . وأحسب أن كراهة امرأة
عمى لى وحى لبنتها هما اللذان جعلتا منى رجلاً
مستقلاً وأغبراني عاصمت ، فقد تحولت من الأزهر
إلى دار العلوم ، وقد دفنى إلى ذلك أمور منها أن
مستقبل الطالب في دار العلوم معروف ، وأن
الطالب فيها كان يأخذ في الشهر جنباً على سبيل
الإعانة . فتحولت إلى دار العلوم كما قلت . من غير
أن أراجع عمى أو أستهيره ، وصبرت على ذلك التضييق
كالخدم في بيت عمى شهوراً ، وادخرت الجنيهات
التي قبضتها من المدرسة في أواخرها ، ثم تركت
البيت واستأجرت غرفة شاركى فيها طالب آخر
وفرشناها بألزم ما يلزم وأقننا فيها . وبكى بياناً لما
فررت منه أن أقول إن بنت عمى هي الوحيدة التي
افتقدتني وشمرت بانقطاعي عن البيت ، وكان الحب
بينى وبينها متبادلاً ، فلما لقيتها وحدها مرة أخبرتها
الخبر فرحت وأنتت على وشجعتني

ولأأطيل - تخرجت من دار العلوم وأصبحت
مدرساً أنقاضي في الشهر ثمانية جنيهات لا واحداً
فقط ، وعينت في مدرسة بنها الابتدائية ، وبشأن
الله أن يعين عمى وكليلاً للمدرسة فلولا كراهة امرأة

لا أدري إلى هذه الساعة كيف أسكن أن أدع
هذا يحدث . . ولو أن أحداً تنبأ لي به : قرأه
في فنجانة القهوة ، أو طالعته سطورده من الخطوط
التي رسمها بأصبعه على الرمل ، أو تبينه من اجتماع
ورقات معينة وهو ينشر الورق كله أمامه ، أو من
تقارب بعض الودعات وهو يلتقيها من كفيه على
الأرض - أقول لو أن أحداً تنبأ لي بهذا وأنا
مبى لكان الأرجح ألا أصدق ، ولكن الحق
أن أدفع جبينه بأصابع يميني وأقول له : « غ »
فقد كنت في حدثاتي « شقياً » جداً . وكانت
امرأة عمى تكررني وترغم أن كراهتها راجعة إلى
« شقائتي » ولكني - حتى في حدثاتي -
كنت أدرك أن كرهها لي سببه أفي فقير وأن عمى
يعولني ويكفاني ، فقد مات أبواي في طفولتي .
وكان عمى ضعيفاً لا يستطيع أن يخالف لزوجته
إرادة أو أن يهد لها في أمر . فتركها تهرمني التعليم
الحديث وترسلني إلى الأزهر « مجاوراً » ضناً منها
عليّ بأكثر من القوت الضروري والكسوة التي
لا غنى عنها . وكانت تفرق بينى وبين بنت عمى
التي كنت - ومازلت - أحبها ، فكنت أفضي
ساعات الدرس والنوم في النظرة لأن امرأة عمى
لا تأذن لي في الصمود إلا في الأعياد - لتقبيل
يدها - وكنت أرى بنت عمى تذهب إلى المدرسة

أفرغ من واجبي وأذهب الى بيتي . ولن تراه
زكية شيخاً لأنها لا تذهب معي الى المدرسة فأنا
لا أبدو لها الا أفندياً كما يحب

وكانت هذه بداية الشركة ، فقد قالت لي
يوما وهي تسير معي في الحديقة : « اسمع يا سيد ! لماذا
تهمل الألعاب الرياضية في المدرسة ؟ »

فالتفت اليها مستغرباً وقلت : « أهملها ؟ ..
ماذا تمنين ؟ »

قالت : « أعني أنك لا تشترك فيها ... تترك
تدريب التلاميذ لهذا الأمل ... انه أمي في الواقع
وان كان يكتب ويقرأ ... هو جندي لا أكثر
وقد يكون أقل من جندي »

قلت : « وهل تريد أن يتولى تدريب
التلاميذ على الألعاب الرياضية فيلسوف ؟ »
قالت : « لا ، ولكن الروح الرياضية لا يئنها
إلا متملم »

قلت : « ولكن ماذا أصنع ؟ إن هذا
ترتيب وضمته الوزارة ولا شأن لي به »
قالت : « الوزارة لا تمنحك أن تعني بتلاميذك
وتنطوع لمساعدتهم »

وابتسمت لي ، وانهارت حصون المساومة .
وأحسب أنا معشر الرجال ضايف . ولم تتركني في
ذلك اليوم حتى بذلت لها الوعد أن أعني بالألعاب
الرياضية وأن أنطوع لمساعدة التلاميذ .

ولم يكن الأمر سهلاً فقد كنت في المدرسة
شيخاً ، وعسير على من يلبس ثياب الشيوخ أن
يشترك في ألعاب . وخليق بمنظرة حين يتحول من
شيخ في قفطان سابغ وجبة تفيض عليه الاحترام
والوقار ، وعمامة مكورة ، إلى رجل نصف عار في
قميص قصير وسروال أقصر ، أن يضحك التلاميذ

عني لي لوسمعي أن أقوم مع عمي في بيت واحد ،
فقد صرت أستطيع أن أؤدي نفقات معيشتي
وتكاليف إقامتي ، ولكن هذا لم يكن ميسوراً .
على أن استقلالي لم يثقل على نفسي ؛ وكان يسرنى
على العموم أني صرت أستطيع أن أزور بيت عمي
زيارة من لا يحتاج إليه ، ولا يطعم في شيء منه ،
وأن أرى « زكية » وأعشى معها في حديقة
البيت - خلصة بالطبع - وأن أبثها حبي الذي
لم تخمد وقدنه الأيام

وكنت شيخاً - بهامة وجبة وقفطان -
فقلت لي زكية يوماً : « لماذا لا تغير هذه الثياب ؟ »
فلم أفهم وقلت : « أغيرها ؟ .. وما عيها ؟ »
قالت : « البس ثياب الأفندية ... كأبي »
قلت : « اسحق لي أن أقول إنني لأحب أن
أكون كأبيك »

قالت : « أعرف ذلك .. إنه ضيف ولا شك ..
ولسكن لا تقلده هو إذا اتخذت ثياب الأفندية .
كل الناس يلبسونها .. »

قلت : « لا أدري هل تسمح لي الوزارة
أو لا تسمح ؟ . وليست أحب في فاحشة حياتي
الجديدة أن أتعرض لخلاف في هذا الموضوع »

فتركت كل هذا وقالت : « إنني أريد ذلك ..
يسرنى أن تقبله .. ألا تحب أن أكون مسرورة
بك ؟ .. سيد ! .. من أجل أنا ! ... »

فلم يسمي أن أظل أعترض بعد هذا . وأعدت
عدتي لتغيير الثياب ، وكانت كلمة هذا التغيير
كبيرة ، وكان هذا هو الذي يصدني عن التغيير .
أما الوزارة ورأيها فقد أقيمت لها ثياب الشيوخ
ألبيها في المدرسة ، وأخلعها حين أغادرها ، وبذلك
انقبت غضبها المحتمل ، فلما شأن في بعد أن

بالرجل الذى بملكك ... دع هذا لى »
فتركها وأنا أحدث نفسى أن فى زكية مشابهة
من أمها ... أعنى أنها ورثت قوة الشكيمة والارادة
وجاءنى يوماً جندى من جنود البوليس وكان
مارداً ضخماً مفتول العضل، ولم أكن دونه جسامة،
خيانى كأنى ضابطه، ثم شرع يحسنى كأنما كان
يخشى أن أكون مصنوعاً من الجبن الطرى . ثم
ربت على كتفى وقال : « عفارم » كأنما كنت قد
صنعت نفسى !

ولا أطيل ... بدأ التدريب بكل أنواعه حتى
بأثقال الحديد ، وكنت لا أفهم أساذ كل هذا ،
ولكن زكية كانت ودائى تستعفى وتشجئنى ،
وكانت امرأة عمى قد سافرت الى مصر ، فصار فى
وسع زكية أن تخرج معى أحياناً للتنزه على النيل
وكانت سافرة لا تتحجب ، وكان قد عُرف أن
عمى وكيل المديرية ، فالذين يرونها مى يملون أنها
بنت عمى ، فلا بأس من خروجها معى . وانتقل
التدريب من البيت - حيث بدأ - الى مخفر
البوليس حيث الأدوات التى صرنا نحتاج اليها ولا
سبيل الى نقلها ، مثل التوازييف « والحصان »
والعقلة وما إلى ذلك ، واقتنت كل هذا فقد أحسست
من نفسى إقبالا عليه ورغبة فيه ، رسرني أن ذهب
اللحم المترهل وأنه أكنز وصار عضلاً قويا . وكان
معلمى بأبى كل جزاء أو مكافأة ، وكنت أعجب
لهذا ولا أرتاح اليه ، فان كونا وكيل المديرية عمى
لا يبيع لى أن استنزل الرجل على هذا النحو ، غير أنه
كان يؤكد لى أنه يجد سروره ولذته فى تعليمى
فكنت أسكت ولا أفهم . وأنى لى أن أعرف أن
بنت عمى هى التى تدفعه ويجزيه ... ؟
وقال لى الرجل يوماً : « إنك يمكن أنبت

ويغريهم بركوبه بالمزاح والعبث ، ولا بأس بالألعاب
الرياضية ولكن البأس كل البأس أن أصبح موضع
استهزاء . ولم يكن يسمنى أن أقدم إلى الناظر
ممرراً عن رغبتى فى التطوع لمساعدة التلاميذ على
شئ . لا أحسنه أنا أولاً ، ولا نيمائى ثانياً صالحاً
له ثانياً . لهذا عدت إلى زكية وقلت لها لى
نوبت أن أغير ثيابى رسمياً أولاً ، وأن أندرب على
هذه الألعاب ثانياً ، فدهشت وقالت : « تغيرها ؟ .
أولست قد غيرتها ؟ . ألسنت تلبسها ؟ »

قلت : « الجواب نعم ولا ... ألبسها خارج
المدرسة وأنضوها فى المدرسة وأعود شيخاً »
قالت : « ولكن لماذا ؟ . ان هذا ... هذا ...
لا مؤاخذه ... جبن ... لا يليق بك ... لى أحب
أن تكون شجاعاً »

فلم يسمنى إلا أن أكون كما تحب - شجاعاً
ومن الغريب أنى لم أجد أراً لما كنت أخشاه
فقد استشرت الناظر ، وكان رجلاً وقوراً جريئاً
كريمياً على نفسه وعلى رؤسائه ، فقال لى : « لى
أراك فى الخارج أفندياً ، واحسب ان التلاميذ
يرونك أيضاً ، فمذا لا تكون أفندياً دائماً ؟ .
أما الوزارة فلا أرى أن لها شأنًا ، ثم إنك هنا فى
بها بعيد ، ومع ذلك من الذى يعرفك ؟ . على كل
حال ضع بالقوم أمام الأمر الواقع »

ففعلت ، وبقي التدريب الرياضى ؛ فخطر لى ان
أستعين بالمعلم الأسمى - كما تصفه زكية - ولكنى
آثرت أن أستشيرها أولاً ، فنهتني عن الاستماعة
بمعلم المدرسة ، وقالت : « يجب أن تظهر لهم جميعاً
أستاذاً كبيراً حتى فيما كان الظن أن تجهله »
فسألتها : « ولكن من إذن يعلمنى ؟ »
قالت : « لا تحمل همك ... سأبث أنا إليك

وعلانا ، وترتانا ، من الرؤساء ، ومن رجال الادارة
ومن الأعيان وآباء التلاميذ الى غير ذلك . وأنا
مكب على عملي واثق أنه سيرفعني في الوزارة درجات
وقالت لي بنت عمي يوما : « لماذا لا تبتكر
شيئا ؟ علم التلاميذ الملاكمة . ألف فرقة منهم لما ..
تصور وقع هذه المفاجأة في الاحتفال السنوي .. »
قلت : « فكرة والله .. ولكن هل يوافق
الناظر ؟ لابد من موافقته كاتلميذ »

قالت : « أوه ... الناظر ! ... كلما قلت لك
شيئا تقول لي الناظر ؟ ... هل تصور أن الناظر
يسوؤه أن تبيض وجهه ؟ .. كون الفرقة وفاجئته
هو أيضا بها .. »

ففعلت . وكنت في أول الأمر أستعير قفازات
الملاكمة من ملعب البوليس ، ثم رأيت أن أذهب
بالفرقة التي انتقيت أفرادها من كبار التلاميذ الى
ملعب البوليس ، فلما دنا العام من ختامه كان بعض
أفراد الفرقة صالحا للعرض الى حد ما

وكنت أنا في خلال ذلك مواظبا على التدريب
لا أنقطع عنه ولا أقصر فيه ، فاتفق يوما أن أكني
صميدة على حشكي لكلمة قوية على خلاف عاده ،
فألتني وأحسبت الدم يصعد إلى رأسي من فرط
الغضب والنفط ، وأنهت عليه غير عابئ أو متفرق
وكنت أتوقع أن يتورى في كائنه ، ولكنه لما
أحس وقع اللسكات ابتسم ونأى عني وقال :
« يكفي .. يكفي .. الآن اطمان قلبي »

فوقفت وسألته : « ماذا تعني ؟ »

قال : « لا شيء .. أردت أن أجربك . الآن
صرت ملاك . تستطيع أن تنازل من شئت »
فابتسمت مسرورا وإن كانت المنازلة أحد من
الناس لم تجر لي في خاطر فاكنت أنعم من أجل

يكون منك ملاك عظيم »
فسالته : « ملاك ؟ »

قال : « نعم ... ليس أسهل من هذا ... لماذا
لا تتدرب على الملاكمة ؟ »

قلت : « ولكن لماذا .. ما الداعي ؟ »
قال : « لم لا ؟ ... »

فلم أر بأسا ... ولم لا — كما قال — وكنت
قد شغفت بالرياضة بعد أن أنقذتها وحذقتها وبرعت
فيها وصرت موضع إعجاب زمكية ، ولكني قلت
للرجل : « اسمع يا صميدة (وكان هذا اسمه) إني
معلم ، ولا يليق لي أن أظهر للتلاميذ بأنف مبسط
أو شفة أو عين واردة سوداء ، فإذا كان لابد من
الملاكمة فلا تضربني بشدة »

فقال : « إن الخوف على منك لاعليك . مني »
فسرني هذا وأقبلت على الملاكمة أناملها
بسرعة ، وكان صميدة يقول لي إن ضربتي رجلاي :
أي أني سريع الحركة خفيفها جدا ، وأن هذه المزبة
خليفة أن تنفس على أقوى الخصوم مزاييم الأخرى .
فلما سمعت منه ذلك صار همي أن أحسن استغلال
هذه المزبة الى أقصى حد وأبعد مدى

وصرت ملاك . كما شاء الرجل — وكنت
في أثناء ذلك قد تطوعت للمعاونة على تدريب
التلاميذ ، ثم صرت أنا السكل في السكل — كما
يقولون — ولم يبق لمعلم الألعاب إلا الخدمة ، فإني
كان يحسن شيئا في الحقيقة — أعني شيئا يستحق
الذكر — وفرح الناظر بذلك ومد بصره الى آخر
العام الدراسي ، وراح يتصور الحفلة الرياضية التي
سيقيمها ويدهش بها رؤسائه في الوزارة . وكان
لا ينفك يحادثني عنها ويطلب رأيي فيها يثني أن
يكون فيها ، ويقول لي إنه يريد أن يدعو فلانا

البدنية . وكان الناظر رعا مازحني وقال : « والله فلتحت يا شيخ سيد » فأقول : « والله يا حضرة الناظر ما كان لي هذا على بال »
ولو استطعت لقلت له إن الفضل لبنت عمي زكية

وجاء يوم الحفلة بعد طول الاستعداد — أي العناء — فقد كانت تلك الأيام أيام جهود متواصلة من الصباح إلى المساء ؛ وكان أشق ما فيها أن زكية وصميذة كانا يصبران على استمرار تدريبي على الملاكمة كأنما كنت سأحترفها ، أو كأنما أصبحت حياتي رهنا بها وبمبلغ إلتفاني لها . وما أكره الليالي التي عدت فيها إلى البيت وانطرحت على الفراش ونمت إلى الصباح — ببشاي — كالقنبل

وأقيمت الحفلة على ما رسمنا ورتبنا . وكان المدعوون حشداً كبيراً من الموظفين والأعيان والرؤساء في وزارة المعارف . وكان الناظر يادى السرور ظاهر الاغتياب ؛ ولكنني كنت أتوقع أن يكون استقبال المدعوين والتلاميذ لتلاميذي الملاكمة خيراً مما كان وأكرم ، فقد كان هذا جديداً في ألباب المدارس ، وكانت تلاميذي جديرين بالتشجيع والعطف ، لا بهذا الصمت العميق أثناء الملاكمة وذلك التصفيق الفاتر بعد انتهائهما . ولم أرتح إلى هذا الفتور ، وشق على أن يكون هذا جزءاً لتلاميذي . ومن غيري يعرف مبلغ ما تبجسوا واحتملوا وبذلوا من الجهد في سبيل الاستعداد لهذه الحفلة ؟ . ولا يجب إذا كان فتور التفرحين قد أعدام ، فقد كانوا يجركون أذرعهم يبطء وفي استرخاء ، وكنت أحرضهم وأستحهم بالاشارة

ذلك بل من أجل ما أراي أفيده من اللذة والسرور ودنا الموعد الذي تقام فيه الألعاب وكنت قد أعددت برنامجاً حافلاً ، فسألتني زكية :
« كيف نسيت الملاكمة ؟ »
قلت : « لم أنسها . سيتلاككم أربعة من التلاميذ — كل اثنين مما »

قالت : « أنتظ أن هذه ملاكمة ؟ هذا لعب »
قلت : « هل تريدن ملاكمة جدية بين هؤلاء الأطفال ؟ »

قالت : « سيفعلون كل ما يقدرون عليه ، واعتقد أنهم لن يقصروا ولكن هذا لا يكفي . . . يجب أن تكون هناك ملاكمة جدية بين رجلين »
فلم يسمني إلا أن أسألهما وأنا أنضحك : « ومن أين نجى بهما بالله ؟ »

قالت : « إذا كان هذا كل ما في الأمر من صمودية فدعه لي »

فسألتها كيف تنوي أن تدبر الأمر ؟ فقالت : إن عمي يمكن أن يقترح على المدرسة أن تسمح بأن يضم إلى البرنامج فصل في الملاكمة بين اثنين من الجنود . فاعترضت بأن هذه حفلة مدرسية لاءلاقة لها بالبوليس وأن الناظر خليف أن يرفض . فقالت : « مالك أنت ؟ دع الأمر لي ولن يخسر شيئاً إذا أبي ناظرك ، فإذا قبل فإن نجاح حفلتك يكون باهراً . ألا ترى أنني أريد لك الخير ؟ »

فشكرتها — أعنى قبلتها — ومضينا في الاستعداد . وكان الناظر لفرط اهتمامه بالحفلة قد أخلاقي من الدروس فانقطعت لتدريب التلاميذ وتنظيم الأمر . وكان يضحكني أحياناً أن شيئاً معماً مثلي ينقلب في شهر بطلاً من أبطال الرياضة

حل ... بالطبع يمكن ...»

وزرت الناظر على كفتي وقال: «برافو، برافو! والآن عجبا»

وهم بالرجوع فاستوقفته وصحت به: «ولكن يا حضرة الناظر هذا مستحيل...؟ كيف يمكن...؟»
ولكن زكية قاطعتني وقالت: «بالطبع يمكن.
إن صميده يؤكد أن في وسك أن تأكله... لأجل خاطري... لا تخيب أملى فيك... قل إنك تقبل»

وابتسمت لى. وكان الجندي الملاك ينظر إلينا وينتظر، وبداه في خاصرته، وعلى وجهه ابتسامة زراية واستخفاف لا تطاق. وأظن أن هذه الابتسامة الثقيلة هي التي دفعتني إلى القبول والرضى لا الابتسامة الحلوة الساحرة التي جادت على بها زكية، فبرزت راسي أن نعم وعيني على الجندي

وما أسرع ما خلعت ثيابي وألقي على جسدي صميده شيئا كالبرنس، فأنا كن لى وحى، ولا كنت أفكر إلا في الظهور أمام تلاميذي وأمام رؤسائى في الوزارة، ملاكا؛ ولم يكن ما بى خوفا وإنما كان خجلا. وكان صميده يدفعني ويربث على كفتي.

ودخل الجندي مرهوا منتفخا ودخلت ورائه مطأطأ الرأس من فرط الاستحياء. وقابلنا الجمهور مقابلة حارة. ثم نهضنا وتصافحنا، ولكن خصصى زاد على ذلك أن لس ذقتى بقفازيه وابتسم، فلا الضحك، فأحسست أن دى ينلى في عروق من الغضب، وهل مما يحتمل أن يجعاني هذا الجلف أضحوكة وعرضة استهزاء؟... واغتممت فرصة سنحت لى فلكته بقوة - على أفئه - ولم يكن هذا ذنبى فقد كان أفئه كبيراً يبرى باللكم؛ وأحسب أن اللكمة كانت عنيفة فقد دار وتطرح، ثم أقبل

فلا يزيدون على الابتسام، ثم يستأنفون تحريك أيديهم كأنما هم يسبحون في الماء. فلما انتهوا صفقت لهم بشدة، ولكن الفتور العام أخجاني، فكففت فجأة وهوت بدأى إلى جانبي

وكانت الملاكمة الجديدة بين اثنين من رجال البوليس هي المشهد التالي والأخير في البرنامج. وأحسب أن انتظارها هو مبعث هذا الفتور الذي كان من نصيب التلاميذ، فما كانت ملاكمة هؤلاء إلا لعباً. فظلت واقفاً في مكاني وراء منصة الملاكمة أنتظر أن يجمي صميده بالتلاكين ويقدمهما الى الجمهور؛ فقد كان هو الحكم. فجاء صميده ولكن وحده، وليس كفتي بأطراف أصابعه فالتفت إليه، فدعاني أن أتبعه. وكان هناك ستار وراء المنصة وغرفة لتغيير الملابس، فقال لى وقد أصبحنا بمزج عن الجمهور: «ما العمل؟» فبرزت راسي مستفهماً، فقال: «إن الجندي الثاني مريض فهو لا يستطيع أن يحضر»

ودخل في هذه اللحظة الجندي الآخر وصدره عار، وعليه غابة من الشعر، وقال بصوت عال لا يخلو من السخرية والاعتداد بالنفس: «أين هذا الهرب يا صميده؟»

فلم أرتح الى منظره البشع، ولم يحسن وقع لهجته في نفسي، فنظرت إليه كما ينظر الانسان الى شيء قدر؛ ثم حولت وجهي عنه فقد دخلت في هذه الساعة زكية ووراءها الناظر

وقال صميده: «ما العمل؟»
وقالت زكية: «ألا يمكن أن تنازله يا سيد؟»
فبهت ووقف لسانى في حلقى، وجف ربيى،
لا من الخوف بل من الدهشة.
وقال صميده: «والله فكرة... أحسن

وانطلقت صيحة عظيمة من الجمهور - من الأعيان ومن التلاميذ جميعاً - ووقف الكل وراحوا يصفقون بلا ترفق بأيديهم وأحسب أنى أنا الوحيد الذى لم يكن مسروراً فى تلك اللحظة

وجاء فى ضابط المدرسة بدعوى إلى مقابلة وكيل الوزارة فى غرفة الناظر ، وكنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل ، فمأجرتى فى وهى قط أن الوزارة ترضى عن مدرس بلا كم جندياً فى حفلة كبيرة عامة كهذه ؛ ولكنى لم أكّد أبلغ الغرفة حتى استغربت أن أرى ذكبة داخلية أمامى ومهاجى ، فسكنت نفسى قليلاً لأن هذا يشبه أن يكون اجتماعاً خاصاً لا مقابلة رسمية . وصرت فى الغرفة ووقفت مطرقاً فوقف الوكيل ووقف مثله الباقون - مفتش الانجيزى وآخر مصرى والناظر وعمى - وقال الوكيل : « إني أهنتك ... لقد كنت بارعاً جداً »

وصاغنى المفتش الانجيزى بمدى بقوة وحرارة وأثنى على بلغة عربية محطمة . ولم يكن شئ من هذا مما كنت أتوقع . وخطر لى أن الفضل فى حسن ما استقبلت به لابد أن يكون لناظرنا الجرىء الحمر ، فتركهم جميعاً واندفعت إليه وصاحته شاكرراً فتأثر الرجل الكريم وقال :

« إني مسرور وآسف فى الوقت نفسه . لقد جرّ على نجاحك أنى فقدتك ... أو على الأصح سأفقدك »

وقال الوكيل : « لا شك أن فقد المدرسة له سيكون خسارة ، ولكن يميزك أنه سيكون بفضل تشجيعك أنفع فى مكان آخر ... نعم لقد رأينا - أنا وجناب المفتش - أن ننتفع بك فى الوزارة

على كالوحش المفترس ، فذكرت نناء صميده على سرعته وخفة حركتى ، وذهبت أحاوره وأداوره بخفة وسرعة لم أعهدهما فى نفسى من قبل ، وقد نفعت ذلك فاتمنى الشوط الأول من غير أنت بصيبنى أذى

وكنت أنتظر أن ألقى من المتفرجين تشجيعاً ، ولا سيما من تلاميذى ، ولكن الشوط الثانى بدأ والكل صامت ، وكان خصمى مضطرباً محققاً ، لا أدري لماذا ، فانهال على كالصخرة ، ولكنى كنت أسرع مما قدر ، فلم يبلغ منى شيئاً . ويظهر أن هذا زاده سخطاً وغيطاً ، فقد صاح فى بأعلى صوت : « ألا يمكن أن تقف فى مكان ؟ .. إن الرء يحتاج الى مونسىكل ليلحق بك »

فانفجر المتفرجون ضاحكين . فلم يبق لى عقل فقد كان ضحكهم على ولاشك . ووقفت وثبت له فأبسل يرد أن يلكنى ، فانحرفت قليلاً لألقى الضربة فراحت فى الهواء ، وفى هذه اللحظة التى انحرفت فيها ، سمعت صوتاً يصيح : « عليه ! » عليه ! . اقله ! . وكان وجهى بمد أن انحرفت قد صار الى الجمهور فلما رفعت رأسى رأيت - تحت عيني - عمى واقفاً يلوح بيديه فى الهواء ويصيح : « عليه ! . عليه ! . اقله . »

ولا أدري إلى هذه الساعة أكان عمى يحضنى أنا على القتل ، أم كان يحض خصمى على اللواء فى ، ولكن الذى أدريه أن البقية الباقية من عقل طارت . وذهبت مع الرياح الأربع . ودرت واستقبلت خصمى الذى دار مثلى بمد أن تطرح لما أخطأتني ضربته ، ولكنته تحت ذقنه فارغى على الأرض وانحنى صميده عليه وهو بمد ثم أقبل على جهننى بالفوز الماجل



يَوْمِيَّاتِي فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَمْسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٧ أكتوبر ...

فكرت ملياً في أمر ذلك الخطاب . من ترى يكون مرسله المجهول ؟ الأسلوب يلمح أن صاحبه أزهري فسد . هذه الآلة القرآنية وهذا التوقيع لا يصدران إلا من هذا الصنف الذي يستغل علمه القليل وجهل الناس الطبق في الريف فيعيش على تحرير البلاغات المأجورة وبذر الشقاق بين الأسر والأفراد . ولكن في هذا الخطاب على أي حال وقائع تستدعي التحقيق . ولو صح ما جاء فيه من أن زوجة قمر الدولة قتلت خنقاً لخرجنا من الأمر بجنابة تمحضت عن جنابة . لايهمنا الآن البحث عن صاحب الخطاب بقدر ما يهمنا التأكد من صحة الانهام . لا بد إذن من فتح المقبرة واستخراج جثة زوجة الصاب وعرضها على الطبيب الشرعي . وقد اتجه تفكيري كله هذا الاتجاه فلم أشغل ذهني بما ورد من ريم في هذا البلاغ وما يمكن أن يلحقها من شر . ذلك أن كل شيء مترتب على نتيجة خص الجثة . وكنت قد بادرت فأخطرت الطبيب الشرعي ببرقية ، وقت بما يلزم من إجراءات لفتح المقبرة ، فعينت عليها الحراس يسهرون الليل بجوارها حتى لا يبعث بها عاث . وأرسلت في طلب « اللاجد » وكنت قد اتصت ليلفونياً بالمرکز عقب قراءة ذلك الخطاب

لأخطر المأمور ، فقيل لي إن المأمور ركب ومضى إلى اجتماع خطير معقود في المديرية برئاسة المدير وحضر إلى للفور الماوان يقول :

— سمادتك اطاعت طيساً على جرائد الساء

— أبدأ

— في البلد أزمة وزارية

فأدركت في الحال سراجتماع المديرية ، وعلمت أن رجال الادارة منذ الساعة لن يكون لهم عقل ولا فكر في غير تقسم هوى الوزارة الجديدة ، حتى يمدوا أنفسهم الليل معها كل المواقف غيرها . وهذا الليل يبدو أكثر ما يبدو في التجهيم السريع للعمد والأعيان الموالين للوزارة الآفة ، والابتسام البديع لأنصار الوزارة المقبلة . ولم أبدأ ملاحظة للماوان ، فأنا رجل قضاء لا ينبغي لي الكلام في السياسة ، ومهما تغيرت الرزارات والأحزاب فإن القانون هو القانون . والتفت إليه أخيراً وقلت في هدوء :

أظن حضرتك تقوم ممناً بدل المأمور

— الظروف الحاضرة تمنعني من ترك المركز

فارتبك الرجل قليلاً ثم قال :
— أنا غرضي ... راحة سعادتك من جهة ،
وعدم إحراج المركز في الظروف الحاضرة من جهة
أخرى ...
— طيب . طيب ...

وأسرعت فأقفات باب الموضوع . فقد سمعت
تقراً على باب حجرتي ، وأبصرت من خلفه الطبيب
الشرعي بحقيقته الصغيرة يستأذنت في الدخول .
فنهضت في الحال واتجهت إليه وأدخلته مرحباً .
وطلبت له فنجاناً من القهوة . ثم تجاذبنا الحديث
في الأحوال العامة . فأخبرني باختصار ماسبق أن
علمته من عبد المقصود أفندي من أن الوزارة الجديدة
قد تسلمت فعلاً مقاليد الأمر ، وأنها تعد العدة
لاتخابات جديدة . ولم نناق على هذه الأخبار
بشيء . فكلانا يجهل ميول الآخر . وكلانا يخشى
أن يظهر رأي الدين . وديناً لوقتنا الكلام في
المعمل وفي القضية التي بين أيدينا ، وأجبرت الطبيب
بطرفها في عبارات سريعة . واستقر الرأي على
المبادرة بالانتقال إلى المقبرة . فقمنا إلى السيارة
وانطلقنا ولم نقف حتى بلغنا مكاناً قصياً في المزارع
قد تجمعت فيه نحت ظل تحتين أو ثلاث بضع
مقابر من الطين والأجر قد عدلها « شواهد » طويلة
سمراء كأنها رؤوس المغاريت فنزلنا . وهرع
لاستقبالنا الحراس . هبوا فجأة من مرافقهم لمرآنا
وخرجوا علينا ، بمفهم يهبط من أعالي « مرتبة »
قد وضعت فوق المقبرة كما يوضع المروج فوق الناقة ،
وبعضهم يثب من على حصير غفرش بين يدي هذه
المقبرة كأنهم فردة نثب من حجر أسود ، وسألت
عن حضرة ملاحظ النقطة فأشاروا إلى الطريق
الزراعي ، فأريت فتى في ملابسه العسكرية يقبل

لكبري ملاحظ النقطة موجود هناك في خدمة
سعادتك
فتركتني ينصرف إلى مركزه ، وأمرت بأعداد
السيارة ، وجامحت أنتظر الطبيب الشرعي وقد أجاب
على ريقتنا بأشارة تليفونية أنه حاضر اليوم . ودخل
على عبد المقصود أفندي وأشار بيده إلى « النتيجة »
الملقة بالحائط ، وذكركني بضرورة تفتيش سجن
المركز ، فالنباة عليها أن تقوم بهذا التفتيش فجأة
سرتين في كل شهر على الأقل . فلم أنفث إليه
وأمرته أن يذكركني فيما بعد ؛ ففشي خطوتين ثم
عاد وغمز بعينه :

— فيه إشاعة أن الوزارة الجديدة تألفت
ونابوة أن تجري انتخابات جديدة
— وماه ؟

— غرضي يعني ... قبل سجن المركز
ما يزدهم ...
فلم أنبس بكلمة ، وتشاغل بتقليب أوراق
القضية التي تقوم من أجلها ؛ ورأى رئيس القلم
الجناي أتى لن أحبيب . فانصرف متردداً متباطئاً .
وأدركت من هيئته أنه لم يأت من تلقاء نفسه ؛
فناديته فوجع ، فقلت له في ابتسامة التخابث :
— كاتب ضبط المركز كلك في التليفون ؟
فأجاب للفور :

— طبعاً . ودفأر السجن مسددة جاهزة ...
وحضر التفتيش مكتوب . وكل شيء تمام ، ولا باق
غير إنهاء سعادتك ... والحكاية كلها قيمة ربع
ساعة ونكون انتهينا من مأمورية تفتيش السجن
فقطرت إليه شرراً :

— شيء جميل . تفتيش الخائن مضبوط
يا عبد المقصود أفندي ... ؟

بجثة أخرى ما كاذ بفحصها الطبيب حتى وجدها هي كذلك جثة رجل . وهكذا ظل يمرض علينا الجثث التي وقمت عليها يده فاذا كلها لرجال . فخصاح اللحاد مغنيلاً :

— أمال النسوان راحت فبين يارجاله ؟

فقال له الطبيب في هدوء :

حضرتك بالاختصار غلطت في القبرة

ثم نظر إلى القبرة التي بجوارها وقال له :

— افنخ دى

فذهب اللحاد بأدواته حيث أشار إليه الطبيب

بينما أنزل الحراس « متاعهم » من فوق القبرة

الأولى وهم يتهايمون :

— بقى كتنا را كبين غلط !

وفتحت القبرة الثانية . وما كاد اللحاد يزحف

إليها ويختمني فيها حتى ظهر الملاحظ عائدًا وخلفه

امرأة تخني وجهها بطرف طرحتها السوداء . وترفع

عقيرتها مولولة :

— يا لى كذت منورة الحارة !

فسد الملاحظ فيها في الحال منتهراً :

— اخرسى يا ولية !

واقرب الطبيب الشرعى من المرأة وحادثها قلم

منها أنها كانت جارة للمتوفاة وأنها حضرت جهازها

— اسمى يا سقى . الميتة كفنوها قدامك ؟

فتنهت المرأة وقالت :

— قداى يا سيدى ، وبقيت بيدك أظلم

وأرقع بالصوت

— المهم عندنا مش اللطم ، كفنوها في كم

« درج »

— في عين السدو ثلاثة « أدراج » : درج

مرمرى ودرج كزيمير ودرج حرير أخضر ...

متبختراً على حصانه الأشهب . ولم تمض لحظة حتى

بدأنا العمل ؛ فأمرنا اللحاد بفتح القبرة فأعمل في

الحال فأبسه ومموله في البناء الذى يخفى المدخل .

وسألني الطبيب الشرعى عما إذا كنا استدعينا أحداً

من أهل المتوفاة يستطيع أن يتعرف على الجثة وكفنها ؛

فأجبتة أنا لا نعرف للمتوفاة غير أخت قد هربت

واختفت . فافترح إبعاد الملاحظ الى القبرة يحضر

لنا امرأة من الجيران ممن حضروا غسلها أو دفنها .

فقام الملاحظ للفقور لما انتدب له . وأمنن اللحاد

في اللق والمهدم حتى جرح صدر القبرة جرحاً بالغا

وقام عنها وهو يقول :

— الباب من غير مؤاخذه من ورا ...

وتناول أدواته وذهب إلى الناحية الأخرى

وجعل يوسمها ضرباً وطرقاً . فصاح به الطبيب

الشرعى :

— هل هي يا رجل مقبرة توت عنخ آمون ؟

تنفط في المدخل وأنت لحاد الناحية !

— أسله يا حضرة الدكتور مضى عليها زمن

مقفولة

وضرب ضربتين انفتحت تحتهم المدخل . وزحف

الرجل على يديه وقدميه إلى داخل القبرة وخرج

يجذب شيئاً ملفوفاً في « قماش » لا لون له من القدم

تكاد أطرافه تنتفت في أصابعه . ووضعته تحت

أنظارنا وهو يقول :

— شوفوا هي دى « بلا قافية » الحرمه ؟

فكشفت الطبيب الشرعى عن تلك العظام

النخرة ونظر فيها ثم قال للحداد :

— ادجع بها يا حمار . دى جثة رجل

— راجل ؟

واختفى اللحاد بالجثة في قلب القبرة وعاد فظهر

التي لها في حياتنا البشرية كل الخطر لو زرعنا عنها ذلك « الرمز » أبقى منها أمام أبصارنا الالهية غير المكترثة غير جسم مادي حجر أو عظم لا يساوي شيئاً ولا يعنى شيئاً . ما مصير البشرية وما قيمتها لو ذهب عنها « الرمز » ... « الرمز » هو في ذاته كائن لا وجود له . هو لا شيء ، وهو مع ذلك كل شيء في حياتنا الآدمية . هذا « اللاشيء » الذي نشيد عليه حياتنا هو كل ما نملك من سمو نخال به ونتمتاز على غيرنا من مخلوقات . هنا كل الفرق بين

الحوانات العليا والحوانات الدنيا

وقطع الطبيب سلسلة تفكيرى بمقص طبعى في يده ذات القفاز الجلودى الشفاف يفحص به العظام قائلا :

— امرأة من غير شك

ومضى في عمله وهو يقول :

— الأضلاع سليمة ، والجحجحة : الطاسة

سليمة ، والعظم الالى ... وهنا نظرت اليه في انتباه . فالعظم الالى في العنق هو الدليل الناطق على حدوث الجريمة . فان كسره معناه أن الخلق قد وقع . وإن كل ما يهمنا في الحقيقة من استخراج الجثة والكشف عنها هو فحص العظم الالى ، والتحقق من سلامته . ولم يعلى الطبيب حتى أسأله وصاح وهو يربى هذا العظم بين أسابعه :

— مكسور

هذه الكلمة كانت كافية لتحديد موقفى من الأمر . ان ما جاء في البلاغ المجهول للمصدر حقيقى إذن . وماذا أنتظر بعد ذلك . وصحت في الطبيب : — انتهينا . وعزمت على العودة مسرعا للبدء في تدبير ما ينبغي للوصول الى معرفة سر هذه القضية الجديدة ، نهى من دون ريب مفتاح الأولى

وخرج اللحد وقتند يجذب من داخل القبرة جثة شخص الطيب كفنها وقد ذهب لونه بفعل الزمن إلا بقية اخضرار خفيف في أطرافه يتم عن حقيقة لونه الناب ، فأمر من الفور بحمل الجثة ووضعها على « لوحين » من الخشب نصباً سريعاً على هيئة مشرحة تحت ظلال شجرة من السنط ، وطلب إبعاد الحاضرين فرفع الملاحظ عصاه الخيزران الرفيمة في يده وفرق الناس صامخاً :

— بعيد . بعيد ...

وكشف الطبيب الكفن في احتياط . وما كاد ذلك الميسكل العظمى الدججى يظهر للعيان حتى سمعت خلفى همسا ومهممة ، فاستدرت فأبصرت سائق السيارة محتفيا خلف جذع الشجرة صاحب الوجه بارز العينين يشاهد هذا المنظر ولا يملك نفسه : — لا حول ولا قوة إلا بالله ! إنا لله وإنا اليه راجعون !

ولحه الطبيب فأنهروه وأمره بالانتماد . وصحت أنا كذلك في الدائق صبيحة انصرف بعدها الى سيارته وقبع فيها . غير أنى تأملت قليلا أمر هذا السائق ... ما الذى روعه ؟ أهو منظر العظام في ذاتها ، أم فكرة الموت المثلة فيها ، أم المصير الأبدى وقد رآه أمامه رأى العين ؟ ولماذا لم يمد منظر الجثث أو العظام يؤثر في مثلى وفي مثل الطبيب ، وحتى في مثل اللحد أو الحراس هذا التأثير ؟ يجبل إلى أن هذه الجثث والعظام قد فقدت لدينا ما فيها من رموز . نهى لا تسدو في نظرننا قطع الأخشاب وعمدان الحطب وقوابل الطين والأجر . إنها أشياء تتداولها أيدينا في عملنا اليومى . لقد انفصل عنها ذلك « الرمز » الذى هو كل قوتها . نعم . وماذا يبق من كل تلك الأشياء العظيمة المقدسة

وسألته عن الخبر فأجابني انه قد سدر اليوم امر
برفض العمدة الحالي وتعيين آخر مكانه من الأسرة
النافسة في القرية . ففهمنا كل شيء ، ومال على
الطبيب بقول ضاحكا :

— يظهر أن تليفون الحكومة عند العمدة في
مقام الصولجان

— هذا صحيح فيما أرى ، انه مظهر السلطة والحكم
وأداة الاتصال بالحكومة ، وإن خلمه من دار العمدة
« الخلو » إنما هو « رمز » لروال السلطة ، وأن
هذا الموبل المرتفع من « دوار » العمدة القديم ،
وهذا البكاء الذي يشيع به التليفون الخارج من
بيته لدليل على فداحة المصيبة ؛ وهذه المصيبة كسكل
مصيبة لها وجهها الآخر الباسم بطل على ناحية
أخرى ؛ وإن دار العمدة الجديد الذي يستقبل
التليفون الداخل عليه بالزغاريد والدفوف لدليل
أيضا على مبلغ السعادة والهناء . هنا « الرمز »
كذلك في شكل « تليفون » من الصاب والمخضب
وقد لعب دورا مهما على مسرح هذه القرية

الوادة

وانطلقت ببا السيارة والطبيب صامت في
بعض الطريق . وأخيرا التفت إلى وقال :

— يظهر أن العمدة الجديد من محاسب
الوزارة الجديدة

قلت له : إن هذه القرية كسكل قرية اليوم في
مصر بها عائلتان قويتان أو أكثر تتنافس العمدة
وكل منهما ينتمى إلى حزب من الأحزاب التي
تتنازع الحكم . ولماذا تريد أن يكون الحال في القرية

غيره في الدولة ؟ وهل القرية إلا مصغر الدولة ؟
(يتبع)
توضيح الحكيم

وفريغ الطبيب الشرعي من أمر الجثة وأعادها
للحاد أمانا الى مقرها وسد عليها كما كانت . وأنا
صامت في مكاني أفكر فيمن يكون الخائف لهذه
المرأة . أهو زوجها المصاب ؟ وما الذي حمله على
ذلك ؟ وأختها ريم ما شأنها في الأمر ؟ أترها تلم
بهذه الجريمة ؟ وأين ريم الآن ؟ إن وجودها اليوم
في التحقيق ذو أهمية كبرى . ولكن كيف نمثر
عليها ؟ إن الشيخ عصفور يعلم مقرها ، أو على الأقل
يستطيع أن يعاوننا في البحث عنها . إذن فلنجعل
الشيخ عصفور مبدأ لخط السير الجديد . فلأقنمه
أما بوسائل مبدأ عن طرق الادارة النعيفة . إن
مثله قد يؤخذ بالحيلة والهدوء . ترى لو أفهمته مثلا
أن في إمكانية أن أزوجه منة ... وأعجبني الفكرة .
وعزمت على تنفيذها . وركبنا السيارة عائدین .
ومررنا في طريقنا بالقرية ، فإذا أصوات حزن وولولة
نساء ترتفع من « دوار » العمدة . فقلت وأنا أتف
السائق باشاوة :

— العمدة مات ؟

وأطلت من نافذة السيارة ، فإذا أنا أمام منظر
لم أفهمه أول الأمر . رأيت شيخ الخفر ووكيله
وبعض الخفر يحملون شيئا في أيديهم ومن حولهم
جوع الرجال والنساء والصبيان يهلاون ويكبرون
والنساء يزغردن كما يفعلن في الأفراح وفي أيديهن
الدفوف يضربن عليها . وتأملت جيدا ما يحملونه
وتأمل ممي الطبيب الشرعي دهشا فأرينا آلة تليفون
حكومية من طراز تليفونات المراكز . فصاح الطبيب
في عجب :

— اتليفون له زفة كأنها زفة عروسة
ومر بقربنا خفير نظائى فأشرت إليه فاقترب

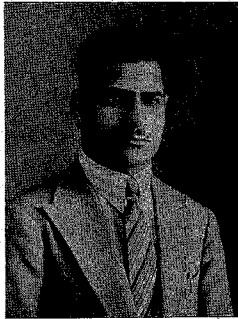


— لعل أستطيع أن أساعدك
— لكي تفعل لا بد أن تعي اللوق أو تفنن في إياهم ... (لورد بيرون)

القصر، فأمرني أن أسهر على صفيته، وأن أخصها
بالناية، وأن أرفق بها ... وبدأ على الفور حين
ترامى لي أنني أصبحت أما، وهذه دورثيا ابنتي
وأختي في وقت مما ... إني أحبها ... أحبها وأعطف
عليها، وأطرب حين أراها
في جالها ورقتها وطفولتها
تتب هنا وهناك

وشاء أي ألا نسرح
مقاطعة روكسلي في هذه
السن الباكورة؛ غير أنه
استطاع زيارته التتالية أن
يرى عن كثب ما نحن فيه
من هناة وسرور، ومن
تآلف ووافق. لقد اطمأن
إلى ما رأى فزادت ثقته بي
وسرته ما أحببوا أختي دورثيا

من عطف وحنان، فأقامني عليها حارساً أميناً دون
حريتنا المعجوز مسز شيرلي التي بذرت في نفسي
غراس الكبرياء والنفطسة حين أدخلت في دوعي
أني الكبيرة، وأبني التي سارث هذا الملك
الكبير من بعد ... ثم هي تملقني في خضوع،
وتترصاني في ذلة



أحدثت من أصل انجليزي عريق في الجسد،
ونشأت كما ينشأ أبناء الأشراف لا يسمعون إلا
كلمات اللدج وعبارات التلق؛ ففتيت مي
كبريائي، وراحت تمن عن نفسها في حركاتي،

وفي رنات سنوتي، وفي
نظراتي، وفي ... غير أن
كل هذا قد استحال في
نفسي إلى نوع من اليأس
والقنوط منذ هبطنا هذه
البقعة الخالية النائية، ومنذ
بدت الحياة في عيني جدياء
مقفرة

وماتت أي عني طفلة في
العاشرة، وعن أختي دورثيا
في الثالثة، وهي ما تزال تبسم
للحياة في سذاجة ورقة ...

وماتت لتكون بين يدي أي اللورد هربرت أوف
روكسلي ... لقد كان شقيقاً رحباً غير أنه ما كان
ليستقر إلى جانبنا ليرعانا ويتولى أمرنا؛ فهو سياسي
ضليع، وقف إلى جانب الملك جيمس الثاني ودافع
عن مبادئه؛ وهو يد قوة فمالة في البلاط ... وأراد
أبي أن يتطلق إلى حياته في اللدبة وإلى عمله في

لست أذكر كيف تمررت إلى السير وطوت
ورسلي ولامتي ... لقد جذبني إليه ما رأيت فيه
من وداعة وهدهو ، وما سمعت من حديثه وقد نبلا
من كلات التصنع والخطاع . لقد علقتة واطمأننت
إليه ، غير أنه ما لبث أن غادر القصر ليكون مدير
أملاك الملكة . وحين انطلق إلى عمله بوعدها على أن
تتلاقى في حفلات القصر وهي كثيرة . لقد نأى ..
نأى وألسنه الثناء والملاح ما تبرح تطن في أذني
طينتنا لا يكاد يباغ يباغ شغاف قلبي ، ولا يستطيع أن
يحوله عن هذا الرجل . وتكاد تنفي أول عقبية في
حياتي حين بداني أنني قد علقت بهذا الرجل ولا
أدرى ماذا يحمل لي قلبه ؟ وأنا فتاة لا أهتم لمن
يطمع في أن يغلبني ، ولكن أملئ ثمين غال . ورحمت
أنشر شبكي في خفاء وتستر خشية أن تشعر هذه
القلوب التي طمنتها بالكبرياء وألمتها بالثاني ، وأنا
أراها تنقص صني في غير مال ولا فتور لتجد فترة
تنفذ منها إلى ما يسوءني ، وكلة اللورد لوفيل
تستجشي إلى أمر ...

لقد كانت زلات صوت السير ورسلي موسيقية
شجية جذابة تركت في نفسي أثراً لا يمحي .
والحق أن قلبى قد خفق له مراراً ومرات ،
وأحسست كأن حبي له يتدفق في قلبي عاصفاً قويا ،
ولكنه هو .. ماذا رأى في ؟

وأخذ الشك يضطرم في قلبي ... قلبي التلطف
للمشتاق ، والأمل الحلو يخفف بعض ما أقاسي .
لم يقل لي مرة إنه يحبني ، ولكنه كان ليطعنني إلى
سواي ، ولا يرافق غيري ، ولا يرقص إلا معي ؛
وفي ليالي الصيف الصافية يطلب هو إلى أن ننطلق
معا إلى شاطئ نهر التاميز لنقر من جلبة القصر
وضوضائه ، فأسير الهوينى إلى جانبه في هدأة الليل

وكانت دورثيا - بادي ذي بدء - جبانة
ضعيفة ضاوية ، تتكلم في هدوء وتضطرب في
سيرها ، ثم هي لا تستطيع أن تتكلم عبراتها
التدققة إذا هي أحسّت الشدة أو لمست القسوة ؛ غير
أن إبتسامها البعيدة ما كانت لتفارق نغورها الحلو ؛
وحيث تداعب النسيمات الرقيقة شعرها الذهبي
البسط ، يتألق من بين ثناياه وجه وضاح كأنه طلعة
البدر في الليلة الصافية ، ويكشف عن عيني
جذابتين تنبعث منهما أشعة أسرة . حقاً ، لقد
كانت دورثيا جميلة فائقة جذابة كأنها حوراء

وأرادني أني - وأنا في الثامنة عشرة - على
أن أبعد بين قنيت البلاء على رغم ما كان فيه من
اضطراب وتقلقل ؛ فحببني من وحدتي في روكلي
إلى هوايت هول المانحة الساطعة الثالثة . لم تنزل
قدماي ، ولم يسيطر على الخور والضعف لما رأيت
في القصر ، فلقد كان في قلبي من الفرور ما خيل إلى
أنني فتاة القصر جلالاً وجاذبية ورقة حديث ...

والتفت حولي جماعة يتقربون إلى وينثرون على
مسمي عبارات الملاح والاطراء ، وكأنهم رأوا في
ما رأيت في نفسي من قبل ؛ غير أنني كنت أستقل
ظلمهم وأحدهم بنظرات فيها الازدراء والاحتقار
وأمتنع عنهم في جفاء ... وجعلت ترفني أنا - أنا
الآنسة ميراندا هيرت - إلى أعلى فأصبح حديث
المجالس ، ومادة الصحف ، ومنية القلوب ، وبهجة
القصر ، وقذى في عيون النساء ؛ وصرت معبودة
يسجد عند قدمي الحب الذي أبفضه وأمقته وألوى
عليه ؛ حتى أن اللورد (لوفيل) قال لي في غضب وقد
دفعته عني في جفاء وغلظة : « ميراندا ، إن هذا
الاحتقار الذي تنثرينه الآن هنا وهناك سينتقم منك
بعد حين ! » فأبتسمت إبتسامة السخرية لما سمعت

وشخصه الجليل ما يبرج بضطرب في خيالي .
إنني أحبه ... لقد امتننت نفسي حين
أحببت من لا يحبني ... امتننت نفسي ، غير أني
ما أزال أحبه

أين من أستطيع أن أفرض أمامه أغلاق قلبي ؟
إن مريبتنا مجوز ثرثرة لا تكتم سرا ؛ ودورثيا
ما تزال طفلة لا تفهم نجوى ، وأنا لا أريد أن
أجعل لها في طفولتها مشقة بذكر الحب ...

وتصمرت أعوام وأعوام وأبى ما يزال في مفناه ،
وأنا أجهد نفسي في المحافظة على ماله ، وفي الدهر
على أختي دورثيا ؛ وشبابي بذوي رويدا رويدا ،
وجالي يخيو قليلا قليلا ؛ وأنا في شغل عن ذلك بما
في قلبي من حب للسير ورسلي ، وبما آخذ به نفسي
من عادات وطباع رضيا هو واطمأن اليها
ولبثنا زمانا في روكسلي لانهرحما ؛ غير أن أحد
أقارب أمي هيا لنا فرصة ، فاستطعت أن أرافقه أنا
وأختي الى لندن ، ثم راح هو يصحبها الى هناك
الفينة بعد الفينة ، لأعيش وحدي زمانا أحدث
نفسى حديث الأمل في الرجل الذي أحببت

وبينا أنا أجلس الى نفسي في ليلة من ليالي
الربيع ، رأيت رجلا غريبا يذلف الى الحقيقة ،
فنظرت ... فنظرت فاذا ورسلي ... ورسلي نفسه
إلى جانبي ، فراح قلبي يذق دقات عنيفة كأنه يريد
أن يوقظ ما نام فيه . لقد جاء ... جاء وفي يده
خطاب من أبي الى مسز شيرلي يقول فيه « وأرجو
أن ينال السير ورسلي كل ما يصبو اليه من العناية
والاحترام بيتكم لأنه ليس ضيق فحسب ، بل هو
سيصبح — بعد حين — زوج إحدى ابنتي .. »
ما أسمعني ، ما أسمعني ! هذا خطاب أبي ، وهذا

وسكونه ، أنصت إلى حديثه المذب وكلمته تنطق
عن بعض ما يستشعر من لذة وسعادة

وشذات أبي أمور القصر فما استطاع أن يفتح
عينيه على ما يتنازعني من هوى ، فهو ما يقفأ يحدث
السير ورسلي عن دسائس يحكيها جماعة البروتستنت
لتمصف بللك جيمس ، أو عن بعض ما تنثره
اللسكة حوالها من مقت وكراهية . أما أنا فقد
سيطرت على العاطفة تسلبتي مما يدور حولي ،
وعزب عني أنني سأكون نخبية حين يهب الأعصار
فيفك كل أتباع الملك وأحبابه

وتردد أبي حينما في أن يتبع سيده إلى مفناه ،
ثم انطلق على أثره ، وكنت حطرويا مرحجة حين
خيل إلى أنني سأرافق أبي والسير ورسلي إلى
سانت جرمان ، ولكن أبي أرادني على أن اردن
إلى روكسلي لأقوم على ابنته دورثيا

رجعت لأرى دورثيا ما تزال في ثياب الطفولة
ومرحها . ولأستشعر في نفسي شيئا غير الذي كان
قلبي يخفق ، وخواطري تضطرب ، وأنا كأنا عصا
ساحر لستني لتترك في أحسن ما في المرأة وتزع
عني بعض ما كان من كبريائي وغطرستي ، وتحيل
نظرائي وكلماتي وحركاتي إلى أشياء أخرى منها الزفة
والظرف . يا محبها ! لقد أحببت ... أحببت بقلب
فيه التواضع والانسانية والشك في وقت مما

ليته نشر على عيني بعض ما في قلبه إن خيرا
وإن شرا ، فأعيش بالأمل الحلو أو باليأس القاتل ؛
ليته تزع عني الاضطراب والقلق بكلمات لا إنه
لا يحبني ، وإنما كان يحبوني الصداقة والطف
فحسب اسينسائي أو لعله نسيني ؛ فهذه الأيام تمر
ولم أظفر منه بخطاب يحدثنى حديث قلبه . ها هي
ذى الأيام تمر وصوته المذب ما يزال يرن في مسمعي

ووجدت عذراً ، فانتقلت الى حجرى ...
الى مرآتى ، وقلبي يتنزع حقداً وألماً ، وبلى ،
وبلى ! هذه أول مرة أدري فيها حقيقة أمرى ! لقد
رأيت ، والاضطراب يكاد يعصف بى ، والمم يوشك
أن يفتك بقلبي ؛ رأيت أن الأيام والأسى قد مسح
كثيراً من جمالى وجاذبيتي ؛ وازدد تاريخى يعمل
في أضماغه عبرات وعبرات سكبها في سبيله هو ...
أيام كنا مفترقين ، ورأيت شفتى وقد نزع عنهما
طول انتظارهما للشفتين الآخرين ما كان عليهما من
رونق ومن حمرة . وتبلبلت ، وسمعت صوتاً كأنه
منبعث من أعماق الغيب يقول : « سيطلبك
يا ميرابدا ... إنه سيطلبك ! » ولكن كيف ... ؟
وأنا لا أستطيع أن أسترد أيام الشباب وبهجة
الجمال ! ليت ... ليت الأيام التى سلبتني ما سلبت
من جمال تسلبني من حياتى فاستريح ... لقد
كادت الأفكار المضطربة تقتلنى ، غير أن ورسلى
ودورثيا انتزعاني مما كنت فيه

وبدا لى أن ورسلى راح يبادع بينه وبينى ليصل
بينه وبين التى أحب ، فلمست القنور في جديته ،
وفي نظراته ، وفي ... ورأيت أملى الذهبى يتلاشى
رويداً رويداً ؛ فهو يتحدثني في رقة وشغف ؛ وهو
ينظر إليهما في قننر وانكسار . وترأى إلى أن
دورثيا تبادلها حباً بحب وغراماً بغرام ، فأحسست
الصفقة القاضية تقضض عظامي ، ثم لا ترسانى
إلا واهنة يائسة . وما كان لى أن أحذرهما ، أو أن
أتهما بالخيانة . وكيف ... كيف أقفل وجهى فوق
بأنه حبيبها وأنا لم أكشف لها عما يضطرب في قلبي
لا ، لا ... لن أقفل . سألقى بنفسى في قرار الخيبة
والياس ، وأدفن في قلبي أملاً كان ثم انطوى ليسمدا

خطيبى وحبيبي الى جانبي ! أى سعادة ! أى هناءة !
لقد بحث هذه الساعة الجميلة سيئات الماضى ،
ومسحت سنوات كثيرة انصب على فيها اليأس
والآلم انصباباً

ورأى السير ورسلى ما رسمته الأيام على صفحة
وجهي ، فزاعه ما رأى ، وتخيّل إلى أنه يلحظني
بشيء من العطف والشفقة والأسف حين بدا له
أنه هو سر هذا التغيير . لقد نزع عني أفكارى
الضطربة ، وخواطرى المتضاربة رويداً رويداً ،
وكنت أجلس اليه في كن في حدائق روكللى
أستمع الى حديثه عن النفى ... ويستمع هو الى
حديثي عن عملى في روكللى ، وعن رأيي في
تنشئة أختي دورثيا تنشئة طيبة ، ثم عن رغبتي للملحة
في رؤية أبى ، وهو يعرف أنه سيمود قريباً

وجلست إليه مرة في الردهة ، وقد نشر
الليل علينا سجفه ، وأرسل الصيف نسجته الرقيقة
تبعث في نفوسنا النشاط واللذة ؛ جلست إليه
يحدثني وأحدثه ، وأبسم له ويسم لي ، وبين يدي
عود رحلت أداعيه فتنبعث منه أنات قلبي العاشق
وسيطرت علينا النشوة فما جذبنا منها إلا دورثيا
حين اندفعت إلينا - وقد هزها العطب - وهى
ترسل صوتها الشجي بأغنية كنت قد علمتها إياها
وقد تجأت مفاتها وانحة خلاصة أسرة ... وبدت
على وجه ورسلى سمات الدهشة والسرور ، وطربت
- بادى الأمر - لما رأيت ؛ ثم رأيت أنه قد تعلق
بها بصره فما يطوف ولا يتحول ، وفي نظره أثر
الهوى والرغبة ، وترأى لي كأنه هوة سحيقة تنفج
تحت قدمي ؛ وبدا لى مستقبلي مسطوراً بحروف
من نار

يا لشقاوي؟ وبالنسبة! لقد أصحخت إلى نداء
شيطاني فتخطيت إنسانيتي، وبانت المدى في
القسوة والفظاعة حين أوثقت يديها وقيدت رجلها
ووقفت بازائها أحدها بنظرات فيها التنقي
والانتقام... ولكن صوتاً أجش فيه القسوة
والغضب ناداني من خلفي. إنه هو... هو صوت
أبي؟ والتفت مذعورة، فإذا هو... هو أبي على
قيد خطوة مني

لقد غاظه ما رأى فهدم على بكاءات للذاعة
مريرة، وهو يقول: لماذا، لماذا؟ وبدت عليه
الشفقة فتناثرت عبراته وهو يستل خنجره ليقطع
الحبل، وأختي السكينة تضطرب وتجهش.
وبدأ لي - بعد إذ فقدت حنان أبي وعطفه -
أنني أصبحت وحيدة لا أجد من يشق علي،
فيست مرة أخرى. وراح الشيطان يرفه عني،
وينثف في لسان عبارات فيها الشر والدم...
وأرسلها على لساني وأنا هادئة كأي لا أفعل أمراً
إذاً فقلت:

«لقد لبست دورثيا ثياب العار والحق حين
انطلقت تبادل ورسل غراماً دينياً وخباً فاحشاً»
لقد تارأني لما سمع... تاركا أنه السبع بهلكه
القرم وعلى خطوتين منه فريسته، وغلي في دمه
شرف أجيال عدة لم يثل ولم يدنس، وفي يده خنجره
يضطرب... لقد قذف به... قذف بالخنجر في
قلب أختي... أختي دورثيا البريئة وتفجر الدم
من قلبها الطاهر ومن كل نقطة منه تتصاعد اللعنات
فلا تنصب إلا على رأسي

وبلي، وبلي! لقد جنيت، ولكن ماذا
أفدت؟ ماذا أفدت؟ لعل محمور مريب

مما... ولكن كيف؟ لا أستطيع أن أفعل...
وتنازعني عوامل جديدة وسوسها الشيطان ليدفع
قلي - وقد استقر فيه الألم والأسى - يدفعه
ليصنع جادة مربعة...

... واستطاع ورسل أن يرى ما يصطارع في نفس
فطار من روكل... طار في صفار وضمة،
لاستشعر للنع الحلية وصراة اليأس. لقد كنت
أستطيع أن أخذ نفسي بالصبر؛ وأن أرغها على
النسيان لو أنه ظل إلى جانب دورثيا رعاها ويحفظها،
غير أنه أتى بها إلى ليعطيني فرصة الانتقام... طار
وما ظننت أنه انطلق لينثر قلبه على عيني أبي
بعد إذ حدثها حديث الزواج، وما كان حديثه
عشياً. لقد قصت على قصتها في سذاجة وصراحة
وسلامة قلب، ثم قالت إنه حبيبها ورجلها وخطيبها،
يا لله! لقد كانت قصتها كية على قلبي أفزعته لتبذر
فيه روح الشر والحسد

وجاءت إليها صكوك الهوى من خطابات وصور
وهدايا... جاءت لتنتف في الحقد فيجور ألماً
وحسرة. لقد انطبع في ذهني كل ما قرأت وما
رأيت... انطبع في ذهني ليتسمر في قلبي وأمام
عيني شبابي الصائغ وجمالي الداوي، فشاغ الغلام
في نفسي ورائت على نفسي عوامل لا أدري ما هي،
غير أنني لست الشر في أضماها، فرحت أدعو الله
أن يتقذني... وشاء القدر أن أغتمر في هذه الحماة
فناثرت في زوات البشرية الشريرة، فانطلقت إلى
أختي أقسو عليها، وأغلظ لها في القول، وأضر بها
لنيز ما سبب، وأحبسها في حجرة مظلمة وهي
ما افترفت ذنباً؟ وأمعنت في إبدائها لأشعرها
بعض ما أقاسى في سبيله... في سبيله هو



ربة الأسر وتمذيب الجنود
أما الأسيرة فقد تضعض جلودها حين سبقت
إلى المحاكاة ، وكانت تعلم أنها محاكاة صورية
سيعقها حتما الحكم بالاعدام ...
وجيء بها في أسماها نصف عارية ، وأخذت
تنظر في شيء من الحيرة والدهول الى المقاعد
الوثيرة المثورة هنا وهناك ؛ ولفجها دفء الوقت ،
فاندفع الدم حارا في جسدها فبدت عذراء الصين في
ثوبها البالي كدمية لأمر فنان

كان الجنرال شو كسل ياباني يقدس وطنه
ويعبد امبراطوره ، ولذلك كبح جماح عاطفته لما اهتر
كيانه لرأى الفتاة وحول نظره عنها ، فرجع به
النظر كأن جمالها لا ينتهي فإ ينتهي الإعجاب بها .
وسألها في خشونة عن علة وجودها في ساحة القتال
وتكلمت تسي نانا فكانت كلماتها الموسيقية
تستقر في قلبه ، قالت إنها كانت الى جانب شقيق
لها تخفف عنه وبيلات الحرب ...

وظفت على رأس الجنرال شنج شو أقسى قواد
اليابان وأصلهم عودا زوبعة نفسية هائلة ، وعجب
لنفسه إذ وقظ فيه فتاة الصين عاطفة الحب التي

المدافع تصم الآذان في جنوب منشوريا ،
وجنود اليابان تكسح الأراضي الصينية بقيادة
الجنرال الشاب شنج شو ، وزحف الظلام وهذا
الليل إلا من أصوات بضعة مدافع كانت ترسل
فدائنها بين الحين والحين . وأوى الجنرال شو إلى
مخدعه يسترق إغفاءة الفجر ، وفي الصباح دخل
إليه مستشاره اللازم تسنخ ، قال :

— كثر عدد الأسرى الصينيين يا سيدي
الجنرال ، وقلت المون فأصحي حلم يفتت الآكباد
ونحرك الجنرال الشاب في مقدمه قليلا ونظر
إلى نافذة تطل على اليبسان وارتسمت على وجهه
علامات الاشفاق لما رأى فعل العرى والجوع
بأسراه ، وأخذت أصابعه تبتث في شارب الصنير
بحركة آلية ، وقال يهوده :

— اقتلوه جميعا رميا بالرصاص

— نسيت أن أقول إن بينهم فتاة وجدت
بالحنادق الصينية أمس عند استيلائنا عليها ، وكانت
قائدة الوعى من شظية قبلة أصابت ساقتها
— أجاوسة هي ؟

— أظن ذلك

ووقف الأمرى يرحنون بالوت ينتشلهم من

ومرت أيام كان كلا جن الليل جلس إليها ساعة
يحدثها في كل شيء إلا غرامه

ما كانت نانا تشمر بالحلب للجنرال ...
وإذ أحست بالقلق ذات ليلة لغيبه عجبت
لنفسها من أمرها ومرت ساعات وهي ترقب وقع
أقدامه وسهدت حتى مضى أكثر الليل ونحلت
نظراته الطالقة حبا وعطفه الجليل ، فأحست بقلها
التائر يلف بخياله ويمترف بوله ...

ومضى النهار أبجع من ليل داج خفيف
وأغارت أسراب الطيارات الصينية على القلعة
تحاول نسفها

وجزعت نانا إذ تبوت قبلما ترى الرجل الذي
توهجت للقاءه ، وتساقطت القنابل على القلعة كالطار
للتهمر حتى إذا انتهت الغارة دخل عليها ضابطان
من سلاح الطيران الياباني وخرجا بها إلى طائرة في
سفع الجبل وفي دقائق كانت الطائرة تنهب بهم الجو
إلى الميدان الشالي لتدلي نانا بشهادتها في قضية آسام
الجنرال شنج شو بالحياة المقامى

ودخلت نانا إلى المكان الذي يحاكم فيه الجنرال
وتقطعت أوصالها لما رأت نحوه وشجوه والنقطة
عينها ، فرأت صدره يملو ويهبط . ها هي عيناه
تسبان لها

من لها بكلمة عطف يلفظها فه ليرتوى بها
قلها الظامى ؟

وقطع عليها خيالاتها دخول أعضاء المجلس
المسكرى ونظرت الى رئيسه الأشيب وقد بدت
في قسبات وجهه دلائل النافذة والمهدوء

وطالب الرئيس من الجنرال أن يقسم بشرفه
المسكرى ليقول الحق فأقسم

لم يشعر به من قبل . . . وعشنا حاول أن يستجمع
شئنا حواسه ، وراعه بريق عينها الجليتين ترقبان
ما ستفرج عنه شفتاه

كان يرى في إعدامها فناءه ، وفي الإبقاء عليها
خيانة لوطنه وأمبراطوره

وكان يابانيا . . . فأنكر عاطفته ونطق بالاعدام

وسيقت تسمى نانا إلى قبو قلعة مجاورة في انتظار
تنفيذ الحكم

ودخل الجنرال الشاب حجرته عظم القلب
ممزق الأحشاء وما انتصف الليل حتى شعر بشوق
إليها كالجنون ..

ولم يلبأ بدهشة جنوده وحراسها لما قام يدهمه
قلبه إلى فانتته

وذعرت الفتاة لمرآه ولكن روحه ففزت إلى
عينيه تنطقان بغرامه العاصف فاطمأنت إليه ...

ونظر إلى فانتته العززة تعبت السكابة بنضرة
شبابها وإلى جفنها الرطب كأنما علق به أثر من دمع
ووقف أمامها وقد تضاعل الوجود في نظره
فأصبحت هي كل شيء فيه . واستقر بريق عينها
في أعماق قلبه نارا تجلس إلى جانبها يحترق ...

قالت :

— ألتنفيذ الحكم جئت ؟

— أجلته أياما

— إذا تريد تمديدي ؟

وعز عليه وهو القائد الظافر أن يعترف لها
بهيئته ، وفك أنوثتها برجولته ، فقال :

— ذلك ما تستدعيه الظروف

وخشى غدر عاطفته أن تضطره إلى الاعتراف
فقام بقتل ساقه اقتلاعا

قال الرئيس :

— ترمى إلى القيادة العليا نبأ حركك بالاعداد
على الجاسوسة الصينية تسي نانا ... أفملت ؟

— نعم

— فإذا ما جن الليل ذهبت إليها ؟

— نعم

وأجلت تنفيذ الحكم بأعدادها ؟

— نعم

— أذلك لأنها شفتك حيا ؟

وهنا اختلج قلب الجنرال ونظر إلى نانا فإذا

بوجهها أبيض كالثلج وقم :

— نعم أحبتها

أحببتها ... 11

وحلت هذه الكلمة سمادة الدنيا ودخلت
الى صدر نانا ، ونظرت الى رجلها يعترف بحبها
فأشرق وجهها وابتمت له
وتداول الرئيس مع الأعضاء في صوت خافت
وانتصب في مجلسه ونطق بالحكم

وتلقى الجنرال حكم إعدامه مع نانا بهدوء بال
ورباطة جاش ... وتأوهت نانا وسكنت كأنما على
رأسها الطير

استولى الجنود اليابانيون على منشوريا فأمر
الامبراطور بتسريح الأسرى والمفقودين الشامل عن
جميع المحكوم عليهم ، وأسرع أحد الفرسان الى
الميدان رسالة الامبراطور لينقذ حياة الجنرال ونانا
والطريق طويل صخري ، والفارس ينهب
الأرض بجواده وقد بقى على موعد إعدامها نصف
ساعة . ومضت عشرون دقيقة كان قد نال الجواد
الاعياء ، فبئس الفارس من إمكان الوصول ، ولكن

الأمير عاوده فاستحث الجواد

ها قد لاح له خيام المسكر كقط بيضاء
تحت الأفق . ولم يبق سوى خمس دقائق ...

ووقفت نانا تنظر إلى فوهات عشر بنادق
تصوب الى صدر حبيبها . فأظلمت في عينيها الدنيا
وشمرت بقلها بصدع ...

ودوى الرصاص فسقط الجنرال وسقطت معه
شباب قلبها ...

وصوت إليها الفوهات بدورها ونادى رئيس
التقوة :

واحد

اثنان

وإذا بالفارس بصرخ ويسقط من على ظهر
جواده اللاهث أمام الرئيس ويده الرسالة ، فتناولها
منه ونظر إليها وإلى جثة الجنرال ، فازدحمت في
عينه الدموع ودفع الرسالة إلى نانا
وهوت نانا على جثة رجلها تشبعا لها وتقبلا
فأبسدها عنها الجنود برفق فنظرت نانا إلى السماء
وقالت :

— رب لم حكمت على بالحياة ؟

محمد محمد مصطفى

أمين بلوك الضباط بمدرسة البوليس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاسرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشا



الحقيرة حيث تطرح على سريره آملاً زيارة طيف
الحبيبة في منامه

وعاد الفتى في المساء التالي الى مكان اللقن ، وبات
بانتظار موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ؛ وعاود السكره
مراراً فما رأى في جنة غرامه غير أزهارها ، وما
نشق غير عبيرها . وموت الليالي فتيقن الماشق أن
سره قد افترض ، وتأكّد أن الحبيبة قد غادرت الدبر
وعبثا فتنس عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على الماشق أيام ساعاتها أعوام ، وهو
يشغل نفسه بالتمثيل على السارح وفي قلبه غصص
من تذكارات الفتاة المجهولة

وفي ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور
مؤثر فحانت منه التفاتة الى مقاعد الطبقة العالية ،
فرأى حبيبته شاخصة اليه وقد ارتسم الحزن العميق
على ملامحها وتساقطت من عينها الدموع . وقف
الممثل مشدوهاً الى أنبّ نهبه صوت اللقن الذي
حسب أنه نسي دوره ، ففسد الى التمثيل بلهجة
ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من هو
تأثير إلقاءه وإيمانه . وما انتهى من التمثيل حتى
هرع الى غرفته مثيراً أوتابه والذفع الى مدخل
السرّح لعله يرى خالته ابنه . فلم يوفق الى لقائها ؛
وتكررت هذه الحادثة والممثل يحاول عبثاً مقابلة

— أحبك حياً ملأ جوانب نفسي وملاك على
مشاعري

— لقد وهبتك قاي غروباً لحب لا انتهاء له
— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غراي
تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر النير ، وهذا الرّوض
النضير ، ويشهد مبدعهما أنني لا أحب سواك ،
ولا أقف حياني إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام فذعر الماشقان
وتواعدا الى الغد ؛ وتساق الشاب جدران الحديقة
العالية وتوارى مبتعداً في الشارع وهو يناجي نفسه
قائلاً : من تكون يا ترى هذه الفتاة التي تقف
حياتها على ، وما أنا إلا ممثل على السارح
العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لي فيها يتم عن محدّد
رفيع وثقافة عالية . لقد أرادت أن تخفي اسمها عني
فقلت : مادمت في مدرسة الدير تلميذة أتلقن العلم فما أنا
إلا أسيرة لأملك نفسي ، فاقنع بما أعلنته لك من
حبي الآن لي أن أبرح هذا المكان فأطملك على
الحقيقة وأسلمك يدي أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذي
رأى فيه لأول مرة هذه النادة الفاتنة تطلّ من
نافذة الدير وترسل إليه نظرة أوقدت جذوة النّرام
في قلبه . وتابع السير حتى وصل إلى غرفته

أصرح : إن الممثل الذى امتلاك فؤاد وخيلى هو أنت ، أيها السيد فلوريدور

وصبق الممثل وهتف قائلاً — أنا ؟

— عفواً ، إن فى هذا التصريح ما يمس عزة نفسك ، ولكننى ألجأ إليك فلا تحبب أسمى ، فانك على ما أرى لا تعرف ابنتى وما اجتمعت بها ؟ فاذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدى إلى الإامك بتضحية فان بصعب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الابقاء على شرف اسمى وحياة وخيلى وحى وتعلمان أنها لا تريد أن تقترن بغيرك

— وما هى هذه التضحية ؟

— إنك قادر على انتلاع جرائمك من قلبها

— وبأية طريقة أقتلع ما تسببه جرائمى حى ؟

— أصغى إلى ... إن وخيلى لم ترك إلا عن بعد وأنت على السرح مررت أبواب الأبطال تنشده أجل الأسماء ، فمن السهل عليك أن تبدد أوهانها إذا أنت رضيت بالظهور إليها فى مظهر الرجل المادى ، بل الرجل التمثلك الكبير البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتتأكد عندئذ أنها عشت ثوباً ، وأعجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر فمحذورك وتشفى من دأبها المقام ، وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور فى التفكير . لو كان ما يتقصده الدوق صحيحاً من أنه لم يجتمع بالفتاة وما عرفها ، لكان هنالك واجب يسهل القيام به ، ولكن أنى للقلب الذى ضم المحبوب إليه أن يستسهل انسلاخه عنه . ولاحت الفتاة بالثريقة الرفيعة المتحد لطيال الممثل واقفة من حبه على شفا جرف تكاد تنزل على هائلة بقلب أبيها واعتقادات من تنتمى إليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين فضيلتها

الفتاة عند نهاية جملة ، إلى أن دخل عليه يوماً وهو فى لجج من الأحزان شيخ مهيب نذل أنوابه على أنه من علية القوم ، فاستقبله الممثل مستغرباً هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مديده مصباحاً وقال : عفواً أيها السيد ؟ إننى أنيتك ولا معرفة بيننا ، ولكن من الأمور ما يجيز تجاوز المألوف ؛ ولدى مسألة هامة يتوقف عليها شرفى وسماذى . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

— تكلم يا سيدى ، فأنا مصغ

— هب أنك أمير وراك ابنة جميلة فى ريمان

الصبا وهى وارتة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها

عريساً من أعظم الدولة تحسده الملوك على أمجاد

فلم تقبل ابنتك ما أعدته لها من سعادة فإذا تفعل ؟

— أترك لها الحرية ، وأجهد أن أكتشف

سر قلبها ، إذ لعلها وهبت قلبها لمن أمتلكها

حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

— وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

— أطاوعها فى إرادتها وأساعدها على الافتران

بمن تهوى ، فليس بغير الحب من سعادة على الأرض

— وإذا كان ما تشير به يفوت الامكان ؟

— ولماذا ؟

— لأن الفتاة التى أنكلم عنها هى وحيدة

الدوق بإرسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق

واقف أمامك الآن ، ولأن الذى تهواه ابنتى رجل

شريف ولا ريب ، ولكنه يمثل ...

— فهمت يا مولاي . إن فى تنازل ابنة الدوق

بإرسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لمارك أتأبه

الطبعة الميزة بالانقلاب ، ولكن ما تعنى بهذا

الكلام ؟

— إذا كان الأمر لم يتضح لديك ، فهأنذا

من جبل لا قبل له بيلوغه ، وتذكر وعده للأب
الشيخ المتوسل الضعيف . فبالك عواطفه وفيها
ثورة وسمير

وجلس فلوريدور الى المائدة بين الدوق وحييته ؛
فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كانت قد
ملأ كأسه وأفرغها في جوفه دفعة واحدة ، ثم
ألقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره متكلاً
بلهجة عوام الناس منتخباً ألفاظه السمجة ؛ ومامرت
نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحلق ببنييه
ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحج
غطاءها معه فتدحرجت الأواني تتحطم بفرقة
أخفت الزفرات التي كانت تندفع من قم شهيد
الروء بالرغم عنه

ونهضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقد علا
وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق الى الفتى
قائلاً : — إن مروءتك تفوق إبداءك في التمثيل .
لقد جربت فؤادى الكسير ، دعى أسد إليك
الشكر الذى تستحق . ولكن ماذا أرى ...
ما هذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟ ...
ووجع الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ، بل
اندفع الى خارج القاعة كأنه قد رشده مرسل
ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بمد أيام قرب دير وإهبات
الكرمل ، فرأى جماعاً محتشداً في الأسواق المجاورة
وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا
بمرية مذهبية موسومة بشارات الشرف ووراءها
عدد من المربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها
الخياد المطهمة . فسأل أحد المتفرجين عن هذا
الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بارسلان تحمله
وامرأته لحضور حفلة ابنتهما ...

والتضحية التى يعرضها أبوها عليه ، فإذا بصوت
الشيخ الوقور يرتفع قائلاً : لا تتردد ، أيها السيد
الكريم ! ان ما يوجه إليك الآن إنما هو رجاء
والد جصر في وحدته كل ما في الحياة من سعادة
ومجد وآمال ؛ فأنا إلا شيخ هاو ضعيف ، بل أنا
أحد أشراف وطنك أسرع إليك أن تحفظ اسم
سلاطى من المار ، فلا تدعى أذهب بواجبى الى
القسوة على ابنتى التى لم يترك لى الدهر سواها
وأدى كلام الشيخ قلب الفتى ، فودع بالقيام
عما يطلب منه لاستئصال حبه من قلب الفتاة
الوحيدة التى ملكت له وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفي اليوم التالى عند الظهر أعلن خادم القصر
لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق
أدخله الى الهو الكبير ، وها أنذا آت إليه .
دخل فلوريدور الهو وجاء الدوق يصاغه ؛
ثم ظهرت الغادة ، فقال الدوق :
أقدم إليك ، يا ابنتى ، الممثل فلوريدور . الذى
أعجبت بتمثيله ؛ وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك
دعونه إلى مائدتنا ولعلك تسرين بذلك
وطأطأ فلوريدور رأسه مفكراً بأية فظاظة
يجب عليه أن يبتدىء بتمثيل دوره الذى عاهد
الدوق على القيام به ؛ ولكنه ما رفع بصره وشهد
خالبة له حتى علا وجهه الاصفرار ، وإذ مدت يدها
لتصاغفه وحى ترتجف من الشوق خيل اليه أنه
يلصق شفثيه بشفثها ، ويفرق نور عينيه بأنوار
هينها . والتفت الى ما حوله فارتعش أمام مظاهر
الأنفة والبذخ في هذه القاعة تقف بينها فتاة حديقة
الدير التى أقسمت له بالله ألا تحول عن حبه
ولا ترضى بشيء رقيقاً لحبانها ، فرأى هاوية سحيفة
تنتفح تحت رجليه ولاحت له الحبيبة في منتصف

في بلاد أسحر والجمال

على قسم الألب

ترجمة أحمد فني مرسى

وفي الجنوب حيث
تقوم جبال الألب سداً
منياً بين السماء والأرض
وقد حلت الثلوج
رؤوسها بلونها الشف،
وبريقها القرار ، يقصد
محبو الرياضة والمخاطرة ،
فيتساقون شفاف التلال ،

ورؤوس الجبال ، معرضين حياتهم لدام الخطر ،
وقاجىء الهلاك

وسأقص عليك في هذه السطور ، قصة ممتعة ،
لبعض هؤلاء الذين دفعهم نشوة المغامرة ، وحفزهم
حب الاستطلاع إلى كشف قمم الألب ، والوصول
إلى ذروتها ، على الرغم مما يخفى من حثوف ،
ما وتكن من مزالق :

كان الشتاء ذلك العام ، شديد الزمهرير ، قارس
البرد ، وكانت الجبال ملفمة بشغوف من الجليد مؤذرة

يصف بعض كتاب الغرب سويسرا بأنها
« مستراد الغرب وملعبه » يؤمها الغربيون رغبة في
التروح والتطلق ، وحباً في التجول والتسلق ، وميلاً
إلى اجتلاء الحسن وترشف الجبال

ففي الشمال حيث تنبسط السهول المخضرة ،
وعتد الرياض الأرجية ، وقد أزرعتها الطبيعة بمطرفها
الأخضر ، وطرزتها بكفها الصناع ، يلجأ ناشدو
السكينة ، وعاشقو الجبال ، فيقضون فصل الربيع ،
مسرحين الطرف في جنبات المروج المنضرة ،
ممتعين النظر بسحر الطبيعة وروعة السكون

أقسمت ألا أسلم يدي إلى سواك ، ولكنك لن
تسلم هذه اليد ، فكل شيء يفصلني عنك حتى
إرادتك . فهاأنذى أنخرط في سلك الرهينة لأبر
بقسم أقسمته أمام الله في الحديقة بين ذراعيك
وأقسمته أيضاً وأنت تخفق زفراتك ، وتقضي على
كرامة نفسك

« اليوم أشجع السواد ، وأسدل على وجهي
النقاب . وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه
إلى هذه الحياة ، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتيك
مرغبت دى بارسلان قد ماتت عن هذا العالم
لتحياء الله ... »
الراهبة إيناس
(ف . ف .)

(٥)

ولم يقف فلويدور ليسمع تمة الحديث بل
اندفع راكضاً نحو مسكنه الحقير وهو يقول في
نفسه : أواه ، لقد نجحت في تمثيل ، وهذه
الحبيبة تزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها .
ويلاه من ظلم الأقدار !

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان
غلافاً باسمه ، فافتض ختمه وقرأ ما يأتي :

« بالرغم من محاولتك اقتلاع حبك من قلبي
لم يزل شخصك نصب عيني ، فإن أنظر إلى غيرك
حتى يواريني رمسي . ما فاتني الجهد الذي بذلته
لأرضاء والدي ، فقد كنت أقراً في قلبك حقيقة
نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك . ولهذا

هائلة تنحدر من ذروة الجبل إلى قرارة السهل — ولكن ما هي تلك الثلجة ... ؟ ... الثلجة هي مجرى من الثلوج الدافقة المنحدرة من قمم الجبال إلى الهُوى والوهاد ، وتنشأ عادة من أن الثلوج لا تنهض بما يتحمل منها من الثلوج الحديدة المتراكمة ، فيدركها الهيار وتربط إلى السهل جياشة يدفع بعضها بعضاً ...

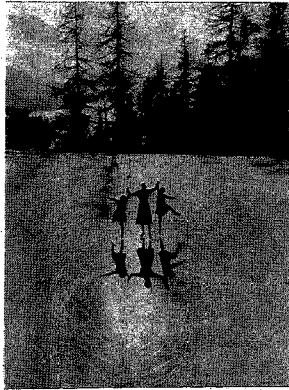
وسطح الثلجة مفر خداع ، فهي تبدو هادئة واعدة ، حتى إذا وطئها الإنسان دون درب أو خبرة سقط في هوة من تلك الهوى السحيقة التي يخفيها سطح الثلجة النزار

وقد يتساءل البعض ... « ولكن لماذا يقدم الإنسان على اختراق الثلجة ، ويرى بنفسه في التهلكة » ... والجواب على ذلك « أن عواصف الثلج تنشر عادة على صفحة الثلجة طبقة شفة رقيقة من الجليد ، فتبدو لمن يراها مستوية ، منبسطة ممهدة ، حتى إذا وطئتها القدم لم تنهض بها ، وهوى الإنسان إلى قرارة الهوة

والثلجات من تلك المناظر البهيجة التي تقع عليها نواظر رائدى الألب ، فهي في ريقها الرفاف ، ولونها الأزرق الصافي من أروع ما تقع عليه العين ... فإذا أشرقت الشمس ، ونفضت عليها ربيعاً من شعاعها اللطاف ، تجملت لديها أبهى الألوان ، وتلافت عليها أروع المشاهد

وعلى حفاف الثلجة يرى الناظر ، إذا سرح الطرف وتفصى النظر « مناسد الثلج » Glacier tables قد انتشرت في جنبات السكان ... وهي قطع من الصخور الرقيقة الناعمة التي تجملت بنحها الثلوج فرفعتها عن الأرض ، وكانت لها بمثابة قوائم ترتكز عليها كما ترتكز المنضدة ...

يبرود من الثلج ، عند ما خرجت الجماعة ، وكانت مكونة من خمسة رجال — كاشفين وثلاثة أدلاء — إذ لا بد للمتسلق من دليل يهديه بين مسالك الصخور لأن من الهلاك المحقق أن يخبط بين تلك الجبال خبط عشواء دون أن يعرف شامها ويخبر دروبها وكان كل منهم مزوداً بفأس صغيرة لتحطيم ما يعترض سبيلهم من الثلوج الغزيرة والصخور



غروب الشمس على ثلوج سان موريتز

الناطقة التي قد تفوقهم عن مواصلة التساق. وكان الأدلاء يحملون على ظهورهم حقائب من الصوف « rucksack » ملأى بما خفف حمله من طعام وشراب ، هذا عدا جبل متين النسيج ، يشدون به بعضهم إلى بعض في مواقع الأخطار

أخذ السفر يتحرك وتبد الخطى ، ثابت القدم قسراً أو غل في المسالك حتى اعترضت سبيله ثلجة

بعض ، وساروا يبتغون الدليل في رهبة وثؤدة
وأفصح النجر ، فجلى لهم الطريق ، وبدت
أمامهم قصة ناجية دقيقة الدروة لا بد من عبرها ،
تقع في جانبها الآخر هوة سحيقة ، وكانت القمة عالية ،
ضيقة لا يتسع صدرها لأكثر من اثنين ، إذأزلت
قدم ، فآله أعلم بالصير
وهنا يبدو ذكاء الدليل ومرانه ، فهو دائماً
ثابت القدم رابط الجأش في مواقع الأخطار . لأنه



الغابات تغطي سفوح الألب السفلى

من الملاك الانسان أن يجفل أو يرفج ، أو يسير
مشترك الخاطر ، موزع اللب ...
وتقدم الدليل وفأسه في غمائه ، يشق بها
طريقاً إلى أعلى المرتقى ، والآخرون في أثره يحفون
وقد عقل الخوف ألسنتهم وغشى الرعب قلوبهم ،
فأخذوا يتشبثون بالحبل كلما علقت أبناسهم قرارة
الموة ... وأخيراً بلغوا الجانب الآخر بعد لاي

ونمود الآن الى جماعتنا وقد اعترضت الثلجة
سبلهم ، فطلقوا بدورون حول ضفافها في
حيطة وحذر ، حتى اجتازوها بسلام ، فإذا هم في
ضيق منبسط ، وإذا بالدليل يشير الى ثمن أسود
قائم على مدى البصر ، فرفع الجميع نواظرهم ليثبتوا
به معرفته ، فإذا به كوخ صغير قائم على سفح
الجبل ... ولكن أى كوخ هذا ؟ ... أقيم هنا
إنسان ؟ ... كلا ، فهذا الكوخ ليس في حيازة
أحد ، بل أقامته الحكومة ليتحجز به المتسلقون ،
من عوادى البرد ، وظلمة الليل ، ووعثاء السفر
وكانت الشمس النارية تطوى مطارفها الزاهية
عن الكون ، عندما بلغ أصحابنا الكوخ ، وقد
أضناهم التعب ، ونال منهم التعب ، وبلغ بهم
الجوع مبلغاً جعلهم ياتهمون الطعام التهاماً ... ثم
أخذ الليل بلف الكون في مسوحه السود فاضطلع
كل منهم في ركن من أركان الكوخ وراحوا
في سبات عميق

وتيقظ الجميع بعد الواحدة بقليل على صوت
الدليل ، وكانت السماء سافرة الأديم مسفرة
الوجه ، تلمط في جنباتها النجوم البراقة ، وتحقق
في حواشها الأنواء الرجافة ، التي تنعكس على
الجليد فيبدو كالزجاج الرائق المذوّب ، وكانت
نسبات الألب العاطرة الهفافة تملأ الصدور وتنفج
الجسوم عندما ابتعدوا عن الكوخ ، وراحوا
يتأهبون التساق بين الحيطه والحذر ، فقد بدأت
أخطار الطريق تبدو جلية ، فتكشفت الثلوج ،
وبدت الهوى السحيقة وعاد الجليد ينهار تحت
أقدامهم ؛ فابتدروا الحبل وشدوا به بعضهم الى

ومرت لحظة رهيبة اختفى الجسر بعدها عن
النواظر ، يحمل الرجلين في طوابه ولم يبق إلا الجبل
يعترب في أيدي الآخرين اضطراب الأرضية في
البئر البعيدة الدور . ترى أينقطع الجبل وينتفضي
الأمر فيضم الألب تحيئين جديدين الى سجل ضحايا؟
وعسى الآخرون دون هدى أو غاية ، حتى ليقتلهم
الجوع ويعصرهم البرد

وجأء ثقل عليهم الجبل فأدركوا أن
زميلهم ما زال معلقين بطرفه الآخر ، فأنجلي
اليأس عن قلوبهم ، ودب فيها الأمل ، فأخذوا
يجذبون الجبل في هدأة وسمت وبعد
لحظات ظهرت رأس أحد الرجلين وهو يحطم
بقاسه ما يموق الجبل من الجليد . وما بلغ حافة
الهوة حتى انبرى يمين زملاؤه على اخراج الدليل
التي ظهر بعد لحظة وعلى نفره ابتسامة هادئة ، وهو
يتمتع بكلمات الشكر

وجلسوا جميعا التماساً للراحة بعد هذا الجهد
البالغ ، ثم قاموا يبحثون عن جسر يعبرون عليه
الهوة ، وأخيراً عثروا بعد جهد جهيد على جسر
أشد تماسكا ، وأثبتت بناء من الأول ، فتقدم
الدليل بحذره في حذر ، حتى إذا تثبت منه تبعه
الجميع الى الضفة الأخرى من الهوة

وكان في الجانب الآخر من ارتفاع صخري ينحدر
إلى حافة التلجاة ، فكان لا بد من ارتفاعه ، فصعد
الدليل وهم في أثره ، إلى أن توقف فجأة متقصيا
النظر الى الأفق البعيد وقد عرى وجهه عيوس
وجوههم قتلقت الجميع إلى حيث ينظر ، فإذا بهم
يرون على مدى البصر ، ضبابا أبيض كاللحسان

وجهه ، فإذا بهم في منبسط من التلجاة يضم تلجاة
جياشنة هائلة ، تقوم على ضفافها مرتفعات من
الجليد تنهار إلى التلجاة مرتفعا بعد آخر فهم الآن
بين هلاكين . فالتلجاة عن عيهم مأجدة مزبدة ،
والتلجاة عن يسارهم مهارة متساقطة ، فلا سبيل
إلى النجاة إلا بعد التلجاة ولكن أنى لهم ذلك ؟
تقدموا قليلا فإذا هم أمام هوة لا يدرك البصر
مداهها ، عليها جسر رفيع ضيق من الجليد ، فأمرع



من مناظر الألب الغربية

الدليل يتبعه أحد الرجال ، وكانت الفأس في يده
عمد بها الجسر ، ويرسم بها مواقع الخطى ، وما
إن بلغ منتصف الجسر حتى بدت منه صيحة رعب
عالية ، فالتفتوا جميعاً فإذا الجسر ينهار تحت قدميه
ويتساقط إلى فرازة الهوة السحيقة
ولم يكن على الجسر في تلك اللحظة إلا الدليل
وزميله ، أما الساقون فقد ارتدوا إلى حافة الهوة
ممسكين بطرف الجبل

يتقدم نحوهم في سرعة عجبية ... فقال الدليل :

— أيها عاصفة تلجئة تحتاج الجبال ... فسأل أحد الرجال :

— وهل تلبث طويلاً

— من يعلم ؟

وأرسل الدليل بصره يمينا وشمالاً ليتثبت من موقعهم ووجهة سيرهم قبل أن تفسح الماصفة وتضرب عليهم حجابها السكتيف فتحجب عنهم الطريق وبعد لحظات كانوا يدرجون في جوف الماصفة التي أحاطتهم جميعاً كنتلا من الثلج تتحرك ، وخلفت عليهم أرباداً من الجليد ، لفهم من قمة الرأس إلى أخمص القدمين

وقد دامت الماصفة برهة غير قصيرة ، هدأت بعدها ثورة الريح ، وتفتح ضباب الثلوج ، وأشرقت أشعة الشمس ، فأخذوا يتفوضون عن جوسهم حلال الثلج ، وعسحون من جبينهم ماءها البارد وكانوا قد اجتازوا المرتفع وتزلوا في واد منبسطة يلوح في نهايته ، حائط أملس من الثلج ، لا تلمح به كف ، ولا تماسك عليه قدم ، يبلغ ارتفاعه زهاء المائة متر

فوقفوا أمامه مشدولين ، ومضت برهة قبل أن ينبس أحدهم بيئت شفة ، كأنه يدور بخلفهم ذلك السؤال « كيف لنا أن نتلقى بذلك الحائط الأملس ؟ » بعد برهة من الحيرة والتساؤل ، تقدم الدليل فشد أوساطهم إلى الجبل ، وأخرج فأسه ، وسار أمهلهم إلى الحائط فأخذ يدرجه بالفأس ، ويحفر فيه مواقع الأقدام ، ثم أخذ يصعد رويدا رويدا ، وهم في أثره ، وكل بيده الفأس يشق بها الطريق

وكان الجميع يصعدون في ريث وحذر ، فان زلة قدم واحدة تؤدي بهم جميعاً إلى الهلاك . وأخيراً بعد لأى وعناء ، بلغوا نهاية الحائط فجلسوا يتناولون طعامهم ... وامتنع أحد الرجال عن الطعام ، لأنه كان يحس بدوار شديد ، فقدم ثقل عليه رأسه وامتنع لونه ، وآلته عيناه ، وتناثرت زفراته ، وذلك لخلاصة الهواء في الطبقات العليا من الجو ... ولكنّه على الرغم من ذلك لم يفكر قط في التأخر أو العودة وبعد الطعام بقليل قاموا بصلون السير ، ويتناولون التسلق ، فانه لم يبق أمامهم إلا القليل للوصول إلى قم الألب ؛ فساروا يحثون الخطى بعزم وجد ، فمبروا بعض القمم ، واجتازوا بعض مرتفعات متقاربة

وكانت الشمس قد ارتفعت ، والنهار قد منع ، فطرق سمعهم صوت مترن الجرس ، متسق النبرات ، يعني « أغنية النصر » المعروفة ، فالتفتوا جميعاً ، فاذا بالدليل قد بلغ طلائع القمم

(عن الإنجليزية) أحمد فني مرسي

قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عسامة

مجموعة من القصص الرقيقة الشائقة لثمانية من أعلام الأدب الفرنسي م : بورجيه . كويه . أناتول فرانس . موباسان . تييرييه . مارسيل بريغو . دي بافيل . جان لوران . مع تراجمهم التفسيرية . ومترجمة بأسلوب فائق في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب
تمت ١٠ قروش وبيع مؤقلاً بـ ٦ قروش بنصم ٤٠ ٪
عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب



الصيد ... ولم يكن الشاب بالجامد القلب ، الخامد
الماطفة ، بل كان مشبوب الاحساس ، ملتهب
الشعور ، فمرعان ما استجاب لبريق عينيها ، وخضع
لرخامة صوتها ... ولكنه لم يكن يمتد أن حظه
سيسمو به إلى مراتب النبلاء ، بل أيقن أن اهتمامها
به لا يمدو فرجة لمواطفتها المكبوتة ، وألمية
لنفسها الحائرة ، ولم يدرك أن هذه الفتاة تسكره
أصحاب الطبايع الزبقة والشخصيات الستمارة ...
ولكن قد يجيء الوقت الذي ترى فيه العين
النبية الفاشية في عين صاحبها تورم الحب وبريق
الهام ، وما قد جاء للفتى الموعود ، ولم يكن بالنبي
الأحمق فبشرت المعلمة أئنة إلى قلبه ، وتمددت بينهما
المقابلات حتى إذا ما خلا كل إلى صاحبه كشف
له عن نفسه وباح له بمكنون سره ، فبينما سنان
وبنتا جيان ثم بنصران دون أنت يذبحا سرا ،
أو يفضحا أمرا ... ثم تمكنت بينهما الألفة حتى
لم يستطعا أن يكبحا تلك العواطف الثائرة التي
كانت تضطرم في قلوبهما

ولكن الفتى كان دونها شرفا ومرتبة ، فلم
تكن تستطيع أن تمنان زواجها به ، فاتخذت المسألة
حلا وسطا ، فمزمت على الاقتران به دون أن يعلم
بذلك أحد ... ثم نظرا فيما بينهما مواعيد المقابلة ،
فكانا يلتقيان في إحدى غرف التزل بميدان عن

عاشت عيشة مترفة في قصر رقيق بديع يحف
به الجبال من كل جانب ... وكانت امرأة ذات
حسن عبقري ، وجسم خصب ، وأتونة متعظلة ،
ترنو إليها العيون أينما حلت ، وتشبعها القلوب أينما
ذهبت ، حتى أصبحت حديث أهل المدينة كلها
وفتنة لشبابها ، فترامى اسمها إلى ما وراء ذلك الأقليم
« ويسكس » يجد الناس في ذكره حلاوة وفي
ترديده متعة وسلوة ... أما هي فقد استمدت
تلك الحياة وأخلدت إلى هذه الدعة واطمأنت إلى
تلك الألسنة التي تهتف باسمها في كل يوم ، ولكن
قلبا المتكبر الذي كان يشرف على تلك القلوب
الساجدة العابدة لم يجد هواء إلا في شاب رقيق
الحال عادي الهيئة قد انحدر من أسرة فقيرة متواضعة .
إذ كان أووه يعمل كاتباً في « دائرة » والدها ،
ولكنه كان وديع الخلق ، كريم النفس ، رقيق
الزجاج ، قد أغرمت به فتاة قروية ساذجة ، فلم يرد
أن يصديها في جهنم الأول ، بل وهبها جانباً من
حبه الشاب الفاضل ، وأحلها ركناً من أركان
قلبه الفسيح العاصم ، فأرادت تلك الفتاة النبيلة
« كارولين » أن تستأثر بذلك الشاب فاعتنمت
فرصة تردده على منزل والدها بحكم عمله وأخذت
تنوود إليه ... تحذبه مرة وتغازله أخرى ، وكانت
ماهرة في هذا الفن مجيدة لهذا النوع من

أخيراً أن زوجها المسكين قد قضى نحبه فبقيت
 حائرة لا تدري ما ذا تعمل
 ولقد أحست أولاً بالحزن والأسى على فراقه
 لكنها ما لبثت أن أخذت تفكر في مكانتها كانية
 أحد النبلاء فنظرت الى الجثة وقالت : « لماذا تموت
 هنا أيها الزوج التمس وفي تلك الساعة ؟ » . لماذا
 لم تمت في كوخك ؟ إذا لم أعرف أحد أمرنا
 ولبق سرنا مكنوناً » . . . ولكن دقات الساعة
 المألية في سكوت الليل العميق قد أبقتها من
 ذهولها ، فهضت مسرعة الى الباب ، وقد عزمت
 على إخبار والدتها بحقيقة الأمر طاعة أن هذا هو
 الطريق الوحيد لخلاصها من هذا المأزق . . . غير
 أنها لم تكذب تدنو من الباب حتى رجعت عن عزيمتها
 وقد أبقت أن في إيقاظ والدتها إفساء لمرها كله ،
 فموت على حمل الجثة بعيداً من دون مساعدة أحد . .
 ثم أخذت تنهال لهذا العمل الجسيم ، فالبسته
 ملابسه وربطت ذراعيه وتزلت به سلباً ضيقاً . . .
 ثم حملته إلى مكان أمين تظله الأشجار . . . وعلى
 باب كوخه ألقت بحملها الثقيل ؛ وقد أخذ منها
 التعب كل مأخذ ؛ ثم وضعت في يده مفتاح بيتها
 الخشبي لتعلم الحقيقة على الناس ، وانحنى عليه وقبلته
 القبلية الأخيرة ، وعادت أدراجها وهي تسقى آثار
 قدميها في الطريق . . . ثم انسلت إلى خدعها دون
 أن يشمر بها أحد ؛ وأوت إلى غرفتها وأغلقت
 نوافذها ، وأعدت كل شيء إلى ما كان عليه
 ولكن لم يكذب بطلع الصباح حتى ذاع في المدينة
 نبأ موت ذلك الشاب الرقيق الوديع على باب منزله
 وهو يحاول فتحه . . لقد كانت جميع الظروف
 تدل على أن الميتة طبيعية ، فلم يثر حولها نقاش . . .

أعين الناس ، فيقضيان ساعة تسكر فيها روحهما بلذة
 الهدوء والنبطة ؛ ولكن هذه الماطفة المشبوبة
 ما لبثت أن خدعت فأخذت تفسق من السكر
 الأولى ، وخلت إلى نفسها تفكر فيما آتته من طيش
 ورعونة ، وكيف أن فتاة كريمة المحند عريقة النسب
 تزوج من شاب دونها شرفاً وقدراً . . . وكان خليقاً
 بها أن تقترب بتبديل عظيم ، أو قاض نابه ،
 أو أسقف جليل . . . أجل لقد كان زوجها الشاب
 ذكي الفؤاد واسع الاطلاع ، ولكنه كان قليل
 التجارب ضيق الخبرة . . .

لقد اعتاد أن يزورها تحت أستار الليل فينسلق
 إلى نافذة غرفتها فيجدها في انتظاره ، ويأوى إلى
 جانبها ساعة والناس نيام ، ثم يعود إلى كوخه
 الصغير قبل طلوع الفجر . . . ثم جاءها ليلة وقد
 شاقه الحب إليها ، ولكنه لم يعض معها ساعة حتى
 مل الحديث وهم بالزول ، فقد كان لقاء تقيلاً
 متكلفاً سمع فيه ما أناره وأخرجته عن نفسه إذ
 شمر أن قلبها قد أخذ يتحول . . .

والحقيقة أن اهتمامها بمصيرها أخذ ينسحب
 حجباً لإيه . . . وعلى فجأة أحس بالم يقطع أحشاء فهب
 وافتقاً ثم مال الى النافذة يستنشق بعض الهواء ، ثم
 ما لبث أن همس بهذه الكلمات : « آه يا قلبي ! » ثم
 سقط على الأرض جثة هامدة . . . فأسرعت إلى
 إشمال المصباح وقد خبا ضوءه وانحنى عليه تسأله
 ما به ، ولكن قلب المسكين كان قد وقف ، فاستيقظ
 في ذهنها ما كان الطبيب قد قاله له من أنه
 مصاب بمرض القلب ، وأن هذا المرض قد بورده
 حثفه يوماً

ثم أخذت تفحصه مدة طويلة ولكنها أدركت

فلم تستطع الفتاة أن تجبس دموعها المهمة وقالت : « لم يكن حبيبي تماماً ولكني كنت أنا حبيبته . أما وقد مات فاني لا أهتم بالحياة بعده » « أتستطيعين أن تبق على سر من أسرار ياميلي ؟ إن هذا السر يتصل بشرفة ولا يعرفه إنسان غيري ، ولكن يجب أن تعرفيه أنت »

فأظهرت الفتاة استمداها لكنان هذا الأمر . وحقاً لقد كانت وفيه لذلك الشاب الذي أحبته والذي تبكيه الآن

« إذاً فقابليني اليوم بعد الغروب عند قبره أفض إليك به »

وفي غسق تلك الليلة من ليالي الربيع الجميلة ، كان شبحا هاتين الفتاتين يحومان حول قبر ذلك الفتى التمس . وفي ذلك المكان الموحش ، وفي تلك الساعة الرهيبة ، أخذت الفتاة ذات النسب والجمال تقص على ابنة الحطاب كيف أحبه وتزوجته سراً ، وكيف مات في غرفتها ، وكيف جرت في جوف الليل الى كوخه حتى لا يتكشف أمرها

فصاحت تلك الفتاة الساذجة مذعورة :

— تزوجته يا سيدتي ؟ !

— نعم ولكن هذا كان طيشاً مني . كان الأجدد به أن يتزوجك أنت ياميلي فقد كنت له ، لكنك فقدته

— نعم وهم من أجل ذلك يسخرون مني فيقولون : لقد جنت به حباً وهو لم يلفت إليك

— إن النصر على أولئك المتكلمين حاولي ذلك

لقد فقدته حباً ولكن يمكنك أن تسترديه ميتاً وعلى ذلك تستطيعين أن تنالي من أولئك الساعرين ماترين

— وكيف ؟

ولكن بعد تشجيع الجنازة أخذ الناس يهيمسون أن رجلاً كان سائراً في الطريق في ساعة متأخرة من الليل ، فرأى شيخ امرأة يذب في الظلام وهي تجر جثة ثقيلة في طريقها إلى كوخ ذلك الفتى ، فأخذوا ملابسه القديمة وخصوها من جديد ليروا فيها من آثار الجر على الأرض ، وأخيراً عرفوا أنه هو الرجل بعينه .

أما كارولين الجميلة الذكية فأخذت تفكر فيما يجب أن تعله ... فرأت أولاً أن تترف بالحقيقة كلها ... إلا أنها بعد أن بلغت الى تلك المرحلة دون أن يتكشف أمرها أو رتاب فيها أحد ، عزمت على بذل مجهود آخر لأخفاء باقي العالم ...

وسرعان ما لمت في خاطرها تلك الفكرة ... لقد كان ذلك الزوج يحب فتاة قروية قبل أن يقع في شرك هذه النبيلة ، وكانت هذه الفتاة لا تزال على حبها إياه إذ لم تكن تعرف من أمر زواجه شيئاً .

على أن نفوذ كارولين على أولئك الفلاحين الذين يعملون في أراضي والدها كان عظيماً ... لها الكلمة النافذة والقول المسموع ... فمزمت على مقابلة تلك الفتاة تحمس فيها عارها ومخامها نتيجة وزرها

بعد أن أخذت تفريق من نشوتها ، وشعرت بالآلام الفضيحة والنسب تنوش صدرها كلما ذكرت ذلك الزوج المنحوس ، حتى لقد كرهت اليوم الذي لقيته فيه وودت أن لم تكن قد رآته قط . وسرعان ما اهتدت الى تلك الفتاة فوجدتها متعمقة اللون مهددة الجسم ، قد ارتدت ثوباً أسود حداداً

على ذلك الشاب الذي أحبته وأخلصت له وإن لم يمتن بها إلا قليلاً ... فقالت كارولين :

آه ! لقد فقدت حبيبك يا « ميلي »

ثم أعطتها كارولين كل آثار الذكري التي كان زوجها قد قدمها إليها حتى خصلة الشعر وفي اليوم التالي أعلنت الفتاة ذلك الأمر بين الناس حتى ذاع بين أهل المدينة كلها . وفي ذهول ذلك الموقف الجديد أخذت مربي السكنية تتأمل الدور كما لو كان قد حدث معها فعلا . واستطاعت بما كانت تصيبه من مال كارولين أن تشتري منزلا صغيرا وأن تتردد على الكنيسة من وقت لآخر ، وقد ازدادت جمالا وفتنة أيقظا في قلوب خدبناتها القرويات الغيرة والحسد .. ثم فكرت في أن تقيم نصبا تذكاريا فوق قبره مادامت كارولين تقوم بدفع النفقات ، فما عليها هي إلا أن تقدم الحزن والأسى ... وما لبثت مربي أن ارامحت إلى تمثيل دور الأرملة ، ووجدت في زيارته كل يوم والبكاء فوق قبره لذة وتفرجها ، فكانت تنثر الأزهار فوق قبره وأصبحت تمتدق وهي تخطر في ثوبها الحزين أنها كانت زوجة حقا

ثم انفق أن سمرت كارولين يوما مع بعض صاحباتها بتلك المقبرة فلم يجدن مربي وقد انحلت على قبر حبيبها تنثر فوقه الأزهار في رقة وحنان ، فتأثرن لهذا المشهد المؤلم وعجبن لذلك الوفاء البادر الذي لا بد أن تكون صاحبتة قد وجدت صديدا في ساكن ذلك القبر .. أما كارولين فقد سمرت كأن نورا غريبا ينبعث من عينيها بمجد تلك الفتاة على مكانها هذا كأنه لا يزال بقايا بعض الحب وزوجها المتوفى ... ولكن الفروق الاجتماعية أكرهتها على إخفائه في طيات صدرها . وأخيرا لم تستطع تلك الفتاة أن تقهر تلك المواقف القوية التي كانت تصطرع في نفسها ... فذهبت يوما إلى المقبرة ، وكنت وراءها حتى إذا ما جاءت مربي تنثر الأزهار

فأفضت إليها كارولين بما يجب أن تعمله ... وهو أن تعلن ميل بين الناس أن ذلك الشاب كان قد عقد عليها سرا ، وأنه كان يزورها في كوخها في الليلة التي توفي فيها . فلما قضى نحبه بين يديها حملته إلى منزله لتندرا عن نفسها الفضيحة والعار .. وأن تقول إنها كانت عازمة على حفظ ذلك السرى نفسها لولا أن الاشاعات والأقاويل قد أجبرتها على إفشائه فأجابتها ابنة الخطاب وهي دهشة لهذه الفكرة :
— وكيف أثبت هذا ؟

— يمكنك أن تقول إنك تزوجته في كنيسة القديس ميخائيل في مدينة (باث) باسمي بحجة أنه أول اسم خطر ببالك لتتقضى اسمك من التهمة ... وسأعنيك على ذلك

— أوه إلى لا أحب أن ..
— إذ اعلمت ما أسرك به فاني سأكون صديقة لك ولوالدك وإلا فيكون لي ممكنا شأن آخر .. وسأعطيك الآن خاتم الزواج لتلبسه كما لو كان لك
— هل لبسته يا سيدتي ؟

— في الليل فقط
وأخيرا قبلت مربي ما عرضته عليها كارولين دون تردد كبير إذ لم يكن الوقت يحتمل ترددا .. ثم أخرجت الفتاة النيلة الخاتم من صدرها ووضعت في أصبع مربي وهي واقفة على قبر حبيبها . فاقشعر بدن الفتاة ومالت برأسها وقالت :

— أشعر أني أصبحت عروسا لحجة ولكن هذه الفتاة ما لبثت أن سمرت أنها قد ارتبطت بتلك الحجة قلبا وروحاً وأحسنت بشيء من المهدوء يسرى إلى نفسها .. تغيل إليها أنها قد استحوزت في الموت على ذلك الشاب الذي عبثته على غير طائل في الحياة

عليه الآن . أما أرملة الوحيدة . فان نصبي فيه
أوفر من نصيبك . لأنني أحبه وأبكيه وأدعي باسمه
العزيز

فصاحت كارولين وقد كاد الشرر بقطاير من
عينها :

— إنني أحبه ولن أسمح للخوافة مثلك أن تنتزع
منى ... كيف أسمح بذلك وهو أب لذلك الجنين
الذي يضطرب في أحشائي ... يجب أن تمديه إلى
ثانية ... ميلي ! ميلي ! ألا ترجميني وتقدرين موافق ؟
باللتسرع ! إنه عدو النساء ، لماذا لم أترو قبل أن
أقدم على العمل ؟ هيا أعطيني ما أعطيتك وأكدى
لي أنك ستساعديني على نشر الحقيقة
— محال ! محال !

وقد ازدادت الفتاة إصراراً وعناداً : « انظري
إلى هذا النصب ... انظري الى ثوب الحداد ...
الى هذا الخاتم ... استعني الى الاسم الذي يتنادوني
به ... إن نفسي ليست أهون علي من نفسك ...
أبعد أن أعلن أن حبه حبي ، وأن نفسه نفسي ...
وأحمل اسمه بدلاً من اسمي ، وأنخذ من موته حزني
وشجني ... أجمع اليوم فأهدم ما بنيت به دمي
ودمعي ؟ لا ! لا ! لن أؤذي نفسي هذا المار ...
إني أسدتك القول يا سيدتي ... إن قصتي هي
الحقيقة بعينها ، وأنت كنت واهمة في كل ما ادعيتني
لنفسك ... ولكن أرجو يا سيدتي ألا تدفعيني
إلى هذا ، إنني أؤمل إليك أن تبقي لي »

لقد كانت ميلي تزعم أنها أرملة تدافع عن
زوجها ... حتى أن كارولين رقت لحالها بالرغم
منها ... فقالت لها :

— نعم ... إلى عائلة بموقفك ... ولكن فكركي

على القبر كماداتها كل يوم برزت لها كارولين وهي
بشاحبة مرتجفة تقول :

— ميلي ! اقتربي مني ! إنني لا أدري ماذا أقول
لك ... فقد كدبت أموت

فمجبت ميلي لهذه المفاجأة الغريبة وقالت :
— معذرة يا سيدتي !

فدنت منها السيدة وأختطفت يدها اليسرى
وقالت :

— أعطني هذا الخاتم
فأمسعت ميلي الى الفزاع من أصبعها ... ثم
أعادت كارولين سؤالها في صوت حاد غاضب وقالت :
— إنني أطلب اليك أن تمنطيني إياه ... أوه !
أو ه ! إنك لا تعرفين السبب ... لقد عراني حزن
والم لم أكن أنوقعها !

فأجابتها ميلي وقد تلتكها الذعر
— ولكن ماذا تريدن يا سيدتي ؟

— يجب أن تعلمي أن كل ما حملته كان كذبا
وادعاء لا أساس له من الصحة ... وأني أمرتك
أنت بعملية محافظة على اسمي ... وأنه لم يزوج
غيري ... وقصاري الكلام يجب أن نذهب الحقيقة
وإلا قضى على جسمي وعقلي وشرفي الى الأبد »
ولما كان لكل شيء حد فان للدوء والوداعة
حدها أيضاً ... فقد أصبحت ميلي تمتد أنها قد
امتزجت بذلك الشاب لما ودما وأصبح لها الحق
في أن تحمل اسمه كما حملته ... وأن تحمل به كزوج
وتتحدث عنه كزوج ... حتى لم تدم تفكر في
سواه . وأخيراً قالت وقد غمرها اليأس والحنوط :
— لا ... لا ... إنني لا أستطيع أن أتركه ...
لقد أخذته مني حياء وردته إلى ميتا . سأحافظ

بلاده أخيراً ... فلما انتهت عاد إلى إنجلترا وقد رقى إلى قائد فرقة ولا يبلغ الخامسة والعشرين .
 ترامت أخبار ذلك الابن إلى كارولين ... وكيف أنه قد أشرف على الندوة دون أن يكون صنيعة لأحد ... فأبقت فيها غرائز الأمومة السكينة وملأها كبرياء وغروراً . فأخذت تهتم بابنها الظافر الموفق ودغيث في رؤيته بعد أن توفي زوجها « المركيز » دون أن تعقب منه ولداً ... فاتفق يوماً بينما كانت تسير بمرربها خارج المدينة أن حشرت بها إحدى الفرق العسكرية فوقع بصرها على ضابط شاب قد امتلأ جواداً أصيلاً مطهماً ... فسرعان ما عرفته لما بينه وبين زوجها الأول من شبه قوى ، فضايف هذا النظر عواطف الأمومة التي بقيت كامنة في زوايا قلبها هذه المدة الطويلة ، فأخذت تسائل نفسها كيف صبرت على إغفال هذه السنين الطوال ... فلو أنها كانت جريئة في حبها مخلصه في عاطفتها ... لا عترفت بزواجها الأول ولم تهبط بتربية ذلك الطفل كابن لها ... فإذا كان بصيرها لو أنها فقدت هذه الجواهر النادرة وكسبت ابناً شهماً قادراً ... أخذت هذه التأملات والدواطف تعمل في قلب تلك المرأة السكتية الوحيدة ، وأخذت الندم ينوش فؤادها الحزين على عدم الاعتراف بزوجها الأول أضعاف ما ألما للاتزان به .
 وأخيراً لم تستطع أن تغلب تلك الرغبة القوية الملحة التي كانت تتأجج في صدرها حتى أبقت أنها لا يمكنها أن تمشي دون أن تعان أوموتها لهذا الفتى ، فمزمت على أن تنتزعه من حضن تلك المرأة التي أخذت تضمحلها الكراهية والبغضاء لأنها استبدت بذلك الطفل دونها ... ثم أبقت أن ذلك الابن سيرحب باستبداله فلا حجة ممدمة ، بأم أخرى نبيلة غنية

في ... ملجأً أحمل ... فبدونك إن أستطيع أن أبقى على اسمي ... قالت نشر الأكاذيب والفضائح أحب شيء للجمهور ... » ولم تمض بضعة دقائق حتى كانت الفتان قد شمرتا بضرورة العمل معاً .. فأخذتا تتشاوران فيما يجب أن يعملا ... وأخيراً عادت مبلى إلى بيتها ... وأفضت كارولين إلى أمها بكل ما حدث ... ولم يمض على ذلك بضعة أيام حتى تركت كارولين وأمها القرية وذهبتا إلى لندن حيث وافتهما هناك مبلى بمحبة تغيير الهواء على نفقة تلك الفتاة النبيلة التي كانت تشفق عليها في محنتها ووحدها .

وفي مستهل العام الجديد عادت مبلى إلى القرية تحمل بين ذراعيها رضيعاً فأقامت في منزلها الصغير تعنى بذلك الطفل الجديد بما كان يصلها من كارولين من مال ...

وبعد ذلك بعامين تزوجت كارولين بأحد النبلاء ... فهاشت معه عيشة سعيدة إلا أنها لم ينجبا طفلاً ... بينما كان ابن مبلى يكبر شيئاً فشيئاً ، وكانت أمه تتوهم فيه يوماً بعد يوم صورة ذلك الرجل الذي استحوذ على قلبها الشاب ... ثم ذهب به إلى القبر ... فسهرت على تربيته قدر ما كانت تسمح به ظروفها ... إذ أخذت كارولين تنصرف عنهما شيئاً فشيئاً ، ولم تعد تفكر في طفلها إلا لماماً ... ولكن مبلى كانت تقطع من قوتها لتقوم بنفقات الطفل ، فأرسلته إلى المدرسة الابتدائية ... ولما بلغ العشرين دخل في الجيش متخذاً من الجندية أهيمته وعمله ، وسرعان ما أكسبته رجولته الكاملة وأخلاقه القوية ومواهبه النادرة إعجاب رؤسائه ... فحبه بعطفهم وحهم حتى أبلى بلاء حسناً في تلك الحرب الضروس التي خاضتها

المشهورات فقد كان يعرف أن ولادته محاطة بشيء من الغموض — أما سلوكه نحو البارونة فانه لم يخل من الاحترام والتقدير ، إلا أنه كان أقل مما تنتظر ، وأخيراً وضع أمامه أمر التفاضل بينهما وسرعان ما قال قوله الأخيرة :

« لا يا سيدتي . إنني أشكرك كثيراً ، ولكنني أفضل أن أترك الأمور كما هي ، فان اسم والدتي هو اسمي على أي الحالات . إنك لم تعني بي يا سيدتي إلا قليلاً عندما كنت طفلاً لا حول لي ولا قوة ، فلماذا أدعي إليك الآن وقد أصبحت قوياً قادراً ؟ !! إن هذه المخلوقة المزينة (مشيراً إلى ميلي) قد حبتني عطفها طفلاً ، وعالتي شاباً ، وسهرت على ربيصاً ، وحرمت نفسها حتى أنفقه اللذات من أجلي . إنني لا أستطيع أن أحب أما أخرى كما أحبها . إنها أوى وسأكون دائماً ابنها ، ثم طوق عنقها بذراعيه وطبع على جبينها قبلة أودعها أرق عواطف البنوة وأسمائها

فلم تقو كارولين المسكينة على مشاهدة هذا المنظر الذي كاد يستل روحها من بين أضالها . فقالت وقد خنقها العبرات وتهدج صوته في حلقها :

— إنك تقتلني ! ألا تستطيع أن تحبني أيضاً ؟
— لا يا سيدتي . لقد كرهت أن تنسبني إلى أبي الفلاح ، وإنني أكره أن أنتسب إليك !
فتنهدت المرأة تنهات عميقة عالية وقالت :
« ألا تستطيع أن تهطيني قبلة واحدة ... كما أعطيتها ؟
إنها ليست كثيراً ... هي كل ما أريد ... كل ...
فأجابها : نعم . ثم قبلها قبلة عابرة باردة كانت فيها نهايتها .
نظمي فليل

وفي اليوم التالي ذهت إلى بيت ميلي القديم في تلك القرية الصغيرة فوجدتها لا تزال في ثيابها السوداء الريفية حجاباً على فقد حبیب شبابها ... فلم تكذب تخطو إلى داخل الكوخ حتى صاحت :
— انه ابني يجب أن تركبه لي ... لقد أصبحت في موقف أتحدى فيه العالم أجمع . أظنه يزورك من وقت إلى آخر

— كل شهر منذ أن عاد من الحرب ...
ياسيدتي ... ويمكث يومين أو ثلاثة في كل مرة ... وأصبحه أحياناً في رحلات قصيرة . قالت هذا في صوت الظافر الملمع

فأجابها كارولين في هدوء :

— حسن . يجب أن تركبه لي . إنك لن تفقدني شيئاً فلك أن تره متى شئت . سأذهب الآن إلى اثبات زواجي الأول وسأخذه معي
— لقد نسيت يا سيدتي أن هناك اثنين يجب أن يؤخذ رأيهما في هذا الموضوع ، لست أنا فقط بل هو كذلك

— سأتم كل شيء . لا تظني أنه سيرفض . ولكنهما لم ترد أن تسرع إلى ميلي بالتعرض إلى الأصل والنسب ، فقالت : إنه لمحي ودي ولا يتصل بك في شيء . فانبجرت القروية غيظاً وقالت في تهكم صرير : « ماذا يميني من أمر اللحم والدلم ؟ إنني أترك المسألة له فلندعه يفصل فيها بنفسه »

فأجابها كارولين : « هذا كل ما أبنيه . قالت أرسلني في طلبه ولا تأبله هنا » . ثم أرسل في طلب الضابط وجلس الثلاثة في ذلك الكوخ الصغير يتداولون فيها بينهم لم يدهش الشاب إذ علم أن أمه إحدى النبيلات



هوميروس



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

هبت أودورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب
(تينون) ففشرت في المشرقين غلالة سنية من
فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة منعقداً في
ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشه ،
ومينرفا ... ربة الحكمة والموعظة الحسنة ، قائمة
بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانه
وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غضبها
وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :
« أبتاه ! يا سيد أرباب أبواب الجوف ! اصغ
إلى ! وأنتم يا آلهة الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة
منكم ، قلها حسبي ! إلى أين نصير الأمور إذن ؟
ها كم قد أصبح أمر الناس قوضى ... والطاعة
يمشون في الأرض مفسدين ، وكأنما أعرضتم
أعينكم عن خيصارهم ، ولم يضركم ألا تنكثوا
أشرارهم ، فنسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي
طالباً منحكم محبته ، والذي بذل لشبهه مهجته ...
يثوى اليوم في تلك الجزيرة الوحشة يجتر هومره ،

أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليبسو
فمقدمة الفصل السابق (١) :

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها عاد كل القادة
اليونانيين إلى أوطانهم إلا أوديسيوس الذي ضل طريقه
في البحر لما كان بينه وبين تينون من عداوة — وقد
كانت زوجته بنتوب على قسط وأثر من الجبال قطع
فيها كل أصراء بلاده وحاصروا بيتها واستنفدوا
خيراته . وكان ابنه تليك فف طرى العود فلم يبق على
نضالهم ولكن مينرفا ربة الحكمة كانت تعطف على
والده وعقبت أولئك المشاق ؟ فبدت للفق في صورة
آدمية ونصحه أن يذهب من قوره إلى نسطور ملك
بيلوس ومثاليوس ملك أسبرطة ليسألها عما كان من
أمر أبيه — وقد أبحرت معه مينرفا لتخرسه وتسهر
عليه . وأكرم اللسان وفادته وقص عليه ملك
أسبرطة تينونات بروتوس إله الشاطئ المصري عما
كان من أمر أوديسيوس وما كان من عداوة تينون
إله البحر له . وأنه ما يزال منتظاً في جزيرة كاليبسو
— وهال المشاق لإبحار تليك فصموا على قتله عند
عودته وترصوا له في البحر بالفعل . »

(١) نعتهد بقدر استطاع أن تلخص جميع الفصول
السابقة حتى تتصل الحوادث في ذهن القارئ الذي سائر لللمعة
من أولها ، ولكي يستطيع من لم يسيرها أن يبدأ من أي
فصل شاء

ويلقى بعد طول النأى خلانه»

وأصلح رسول الآلهة الأمين ، هرمز ، نمليه الذهبيتين ، نغمتا به كالريح فوق السحاب وفي يمانه عصاه السحرة المحببة التي إن شاء داعب بها الجفون فأغفت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ، وما فتى يرف بين السماء والماء ، وبدوم في ذاك الفضاء كالفرنوق^(١) الذي يتوالب على أعراف اللوج بصيد ما يفتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة المنزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يرتق هنا ويرتق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذي تأوى إليه عروس الماء الشقاء ذات الشعر الكهرماني وقد جلست ثمة تفرد وتفتى وتعمل دائبة في منسج أمامها ، ويدها تتلفغان الوشيمة^(٢) الذهبية كما يخطف البرق والنار تتأجج في الوقد بقرها وتوهج ، وجمر الأرز والصنديل يبق ويتأرجح ، وعملاً نشره أركان الجزيرة وفجاجها ... وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل الكهف ففشتته بظلال رائحة ، وظلمة رهبة ؛ وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها في الدوح الداهب في السماء ، وكانت^(٣) الحدأة يبيضا ، وقر الغداف جنب صفاره ، وطفقت البومة ترسل في الآفاق صغيرها ، وتناوت فوق الشاطئ أفاجيص الطير من كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن يمين الكهف وعن شماله مثقلة بالمناقيد ذوات السكر ؛ وتدفت جداول أربمة من عيون كوثية تسقي السندس الجليل المنضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر

وينير في صفحة السراب آماله ، .. كلا على كاليبسو عروس الماء ... لا يملك سفينة فيقاع إلى الوطن ، ولا يجد قلباً إلى جانبه فيدته حزنه ويشتكى إليه لأواده ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ، بل تسلط عليه الأقدار القاسية عسبة من الأعداء الألداء يربصون بابنه الشر ، ويتوون غيلته ، إذ هو عائد من أقصى الأرض . من أسيرطة ويولوس بعد رحلة منهكة بأكية ، قام بها ينتسم خبراً عن أبيه يشقى في قلبه غلة ، ويرى في نفسه كالوماً » ويجيبها رب السحاب الثقال :

« أمة كلة هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابنتي ؟ ألسنت تنشقونين إلى عودة أوديسيوس سالبا آمنًا فيطش بكل أعدائه ؟ إطمئي إذن ، ولنجرسي ولده تلياخوس حتى يصل سالبا آمنًا هو الآخر إلى أرض الوطن ، ولنسبؤ أعداؤه بالفشل » ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمز ، رسول الآلهة ، فقال :

« هرمز ! ألم يابني إلى عروس الماء الشقاء كاليبسو رسالاتي ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس على رمث^(١) وحده ، لا أنيس له من إنس ولا آلهة ، فليلق الأهوال الطوال حتى يصل إلى شيريه أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ، فليردوه بسفينة زادر وذخيرة من أحمال من ذهب وديساج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق نصيبه الذي حصل عايه من أسلاب اليوم ، لو عاد به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالبا إلى إيثاكا ... بذنا قضت القادير أن يؤوب ... وأن يستعيد سلطانه وصولجانه ، وملكه وإخوانه ؛

(١) خشب يضم إلى بعضه ويركب في البحر Raft

(١) يوزن طنبر ووزن فردوس طائر مائي (النفطاس)

(٢) للمكوك

(٣) وقدت عليه

المنزلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، ويقومون الصلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم ! إنهم جل جلاله ، يقول إنك تحتجزين هنا أنفس مخلوقاته ، البطل الكبير الذى نزع عن بلاده إلى اليوم قفص ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بمد سقوطها فى الماشرة مع محاربى هيلاس الذين تفرقوا فى البحر شذرة ذرة ، فتم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله ، وقذفه البحر فوق جزيرتك النائية ... جوف بأمرك أن تردى ، فى كتاب العقابر أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده وبقى فيها آله

وكرّزت كالبيسوزنالا وقالت بحجبه : « ها ... الظلم والحسد ... دائما ... هذا دأبكم يا آلهة ... كم تأكل قلوبكم الفئرة كلما ضمت ربة إلى ذراعيها أحد بنى الموتى ! وهل نسيتم يوم ترتم عندما علت ديانا ذات الأصابع الوردية هذا الفتى الجنى أوتريون كيف دبّت النيرة فى قلب أبوللو ففكر هذا المكر السوء ، ودبر قتل الفتى بيدي حبيبته ديانا ؟ (١) هل نسيتم أيضا كيف أرسل أبوكم جوف إحيى صواعقه على أباسيون المسكين لأن سيرس ربة الربيع قد هويته وأخذته بين ذراعيها حين شغفها حبا ؟ ! كذلك أنتم متى اليوم ، وكذلك أنتم غيورون دائما ، فأقساكم إذ تنفسون على

(١) تراجم الأوديسة التى بأبدينا مبهمة فى الكلام عن هذه الأسطورة لذلك اضطررنا أن نتصرف قليلا اعتقادا على شرح الأستاذ جبرير — وخلاصتها أن أبوللو علم بما بين أخته ديانا وأوتريون من هتك فاستدراج ديانا وأخذ يبارها فى الرماية — وكان أوتريون يستحم فى البحر فجعلها تصوب سهمها إلى رأسه وحى لا ترمى فتلتله

عجب ، وأى منظر عجب يبعث الهجة والانفراج حتى فى قلوب سكان السماء !
ووقف هرمس يمتنع ناظره بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف ، ولم يكن يسيرا على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى آلهة خالط طرق بابها ، ولو أنها هى أيضا فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحيانا ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعث الشقة ، ونأى الدار ، واقطاع الزار ... ، وأرسل عينيه فى كل شق من شقوق الكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسوس على أثر ... فاقثنى ، وبعم نحو الشاطئ واستوى على صخر عظيم نائى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع الغوالي ، يطفى بها فى القلب سميرا سرمديا يلزمه أبد الدهر ... وكأنما عرفت كاليسو من هذه الآية أنه هرمس ، فراحت تسائله ، إذ هى مستوية على عرشها المرد العظيم :

« هرمس ! يا صاحب العصا السحرية ، يا من طالما أحببته وبعثته ، حدثني فيم أقبلت ، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم قفل . سل حاجتك فسأفضيها إن تكن فى وسى ... ولكن هلم أولا ولنؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدّت عروس الماء ساطعا حافلا بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمس فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم توجه بالكلام فقل : « تسألين أبنا الرب فيم أقدمت ! ألا فاعلى أننى ما أقدمت عن أمرى ، لكنه أبى ، سيد الأولمب وكبير الآلهة ، هو الذى أرسلنى . إذ أية حاجة لآلته فى هذه القطعة

حياتك الغالية في تنور من الآلام ، هلم ... هيا
إلى عمل مجيد .. أمامك الدوح العظيم والأيك الذاهب
اقطع منه ماشئت واصنع لنفسك رَمَتْما يحملك
فوق هذا العباب المتسلاطم . وسأزودك بكل
ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك بأثواب
جديدة تقيك الحر والبرد ؛ وسأسخر لك الريح
تُهْدِدُ هُذُك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من
آلهة السماء التي تقدر فتعدل ، وتقضى فلا يرد لها
قضاء ..

وتفزع يا أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال :
« أوه يا عروس ! بل في الأمر سر محاولين
إخفاءه عنى ... أى رَمَتْ يحملني في ذلك البحر
اللجى وأى ريح تسخرين من أجلى ؟ وإن السفينة
العظيمة لتبحر عباها وهي لا تدري أنسلم أم يكون
أهلها من المفرقين ؟ لا ... لن أقفل حتى تمطى
موتقك ، وحتى تقسمي القسم العظيم ، أنك
لا تبطين لي شرأ ولا أذى ! »
وتبسمت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على
خديه وهي تقول :

« وبحك ! كيف تسمي في الظن يا أوديسيوس ؟
أية حجة تملأها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصغ
إلى ... أقسم لك بقسم الآلهة في الأرض والسماء
والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذى يقشعر لكركه
كل شيء ... أنى لم أضمر لك فيما عرضت عليك
شرأ ولا أذى ... إن الذى تبكى من أجله ، أبكى
أنا أضمافا ما تبكى من مثله ، فلقد كنت ضرورة
من ضرورات حياتي هنا ، ولقد تعلق بك قلبي ،
وهامت بمحبك نفسى ، وليس قلبي من صخر
فيحتمل اليمد عنك بله الأضرار بك »

حببني ؟ لقد أنقذته بنفسى من هذا اليم الذى
التقم سيفينه عن فيها حين شطرها أبوكم بسهمه
في عبثه من عبثاته ! حببني الذى أمواه من أعماق
وأفتديه بروحى ، والذى أمهد له حياة الخلود ...
ولكن ... والأسهاف ! كيف أطرده من عندى ؟
ويحى ! إن تكن هذه مشيئة زيوس فلا أحدثن
أوديسيوس ليرى نفسه ، إذ ليس عندى مركب
يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإلى ناحية
له ...

وكلها مرضى فأنذرها من غضبة سيد الأواب
وحضها أن تمل على إبحار البطل

ورف همرض الرسول في لازورد السماء وانطلقت
عروس الماء تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس ،
حتى لقيته فوق صخرة ساحا واجما ، تفشى قلبه
المواجس ، وبميت به محال الأمانى ، وقد أنهمرت
فوق خديه عبرات حرار ! والاحظاظ تذب
فتسقط من حياة في ظلام اليأس كأوراق الخريف
وقد مل هذا المقام الطويل البائس في جوار
عروس الماء ! تلك التي تخلع عليه حبا البارد ،
وتقسمه على أن يقضى لياليه بجانبها على فراش
واحد في ذلك الكهف السحيق ... وكلفكر في
وطنه ، ونظر الى الموج التواب في أفق اليم ،
وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجع
وتصدع ، وأرسل في لانهاية الماء والسماء آهات
وأهات ...

واقتربت منه عروس الماء في رفق وحذب ،
وقالت له :
« أيتها الشمس لا تنتحب هكذا ، ولا تعبر

بشغفها الرقيقة الثلجية الناصعة التي كأنما نسجت من نسبات الصباح المطرى ، وراحت تخطو فيناط ريانة ، وقد انشجعت حول وسطها التحيل بقوطني جميل ، وألقت على رأسها بخاز صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأسأ ذات حدين أحدها كالسباطور ، ركبت فيها يد من خشب الزيتون اللتين ، ثم إزميلا حاداً مرهقاً ... وسارت بين يديه حتى كانا عند غابة عظيمة تُجْرِفُ ، لاجبة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسندبان والشربين^(١) ، وتركته ثم عادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للبطل السكين بال ، بل شرع من فوره يقطع كل أبكة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة ... ثم أقبلت كاليبسو وقد حملت إليه آلات ساعده على تشذيب الشجر ، واستطاع بمدا لى أن يضم بعض الجذوع الى بعض ثم كدبها بكلايات كبار ، وأفرغ في وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السقانيون ... ودعم ذلك جميعاً بألواح ودُسر ، وصنع قلماً وتجميل في القلع شرعاً ، ثم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن صدارة^(٢) كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجعل جوانبه بفروع وأغصان ترند في قوته وتضاعف من منته . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأرسله الى البحر في الخامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامة فسلته وضخه بالطيوب والمطور ، وخلعت عليه حلة من ديباج ثمينة وزودته بزقنين من حجر وماء ، وأمدته ببنى كثير من طعام وأواب

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والقاموس

(٢) أو صيرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر (صابورة)

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسوس فوق المتكأ الذي كان يجلس عليه هرمل منذ هنية ، ثم أقبل جوارى الماء يحملان شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلارويا ؛ ثم شرعت كاليبسو تحمده وتقول :

« أهكذا يا ابن ليرتيس العظيم ، أيها الحكيم الصنّاع ، لانفتأ نحن إلى وطنك وتعتزم الرحيل اليه ؛ أنا هذيرك يا أوديسوس ... فوداعاً ! ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قنادها قبل أن تصل إلى بلادك ؟ أليس خيراً لك أن تظل إلى جاني ، وتقاسمى كهفي ، فتصبح من الخالدين ... وتنسى هذا الجلال الفاني الذي لا ينفك بصييك ويسبيك ، والذي أحسب جمالي وقتنتي لا يقلان عنه سحرًا إن لم يزيدا عليه فتونا ؟ »

فجيبها أوديسوس الحكيم : « أيها الربة الخوفه ! هوئي حفيظتك ! أنا أعلم أن بتلوي الموزة لا ترق من جمالك وقتونك مثقالا ، لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... وطني الحبيب الذي أحن إليه وأهيم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا اللعج التلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؛ في خيار الممعة ؛ وفي الفلك تحت كاسكل الزوبعة ... إلى إلى يا خطوب ، وأقدي بكل حولك يا رزايا ... »

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخت الليل سدوله فوق الجزيرة ، ونامت الربة في سريرها الوثير وبين ذراعها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه وتلثمه ... حتى إذا نضرت بالورد أوزورا جبين المشرق ، هب الألفان وتندرا ؛ هذا بثوبه الخشن ، وتلك

ثم إنه لاعب السحاب بصولوجانه ذى الشهب
الثلاث فاتفقت منه ظلمات في أرجاء السماء ،
وطفق بمد يهز أحشاق البحر فهاج وماج ،
وتلاطم بالأمواج ، وصاح صبيحة رياح الشرقيين
ورياح للمفرين فاجتمعت إليه من كل مكان
سحيق ... ثم هبت ريح الشمال التالجية اللامعة
فانطلقا لألاء النهار ، وفاء الليل فجأة ، وطفى العباب
وشابت نواصيه بالثبيج ، وتناوح الموج المنضوب
حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه
فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه السذاب ،
وراح يحدث نفسه هكذا : « يا لنعاسي ! أى مقدار
قاس يترصدنى ؟ ! لقد أذرتنى ربة السماء مقبة هذه
الرحلة الهوجاء في البحر فما صدقتها ، وتنبأت عن
الشدائد التى تمتدور طريقى إلى الوطن ، فما هى ذى
تتحقق ! أية أعاصير هوج وأى موج ينتفض من
الأعماق سلط جوف على هذا البحر ! بمد لحظة
أغوص في ظلمة هذه القبور التى يشقى عنها الموج !
ألا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار
إليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً في سبيل إنقاذ
الأتريس^(١) أو يوم أوشكت أن أصرع برماح
الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة أخيل !
أجل ! لو أننى مت ثمة لأتيت من أجل الطقوس
الجنائزية ، وأديت لى الشعائر الدينية ، وذرف فوق
قبرى كل يونانى أغلى دموعه وأعز عرابه . وتقاديت
هذه الموتة المجهولة التى تكاد تلقىنى ! »
ثم كانت الطامة ... فان موجة كالطود فجأتهم ...
فيمرث الرمث ... وأقلت مقبض السكان من يدي
أوديسيوس ، فانتثر فى اللجة ، ثم غاص فى أعماقها ،
وعبثا حاول أن يطفو ... لأن الرياح تكالبت من

(١) هو أجاممنون

وودع عروس الماء الممزونة ؛ وجلس عند
السكان ، ثم دفع الرمث فى البحر ، وابتمد رويداً
رويداً
وكان قلبه يفيض بالبشر ، وصدده بمتلىء
بالانشرائح ... وظل يجرى به الفلك الصغير سبعة عشر
يوماً ، وعيناه فى كل ليل ما ترعان عن الثريا فى علياء
السماء ، وما تفران تنظران الى نجوم الدب الأكبر
التي تقف للجبار^(٢) بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء
قبل أن يرح ، أن يجمل هذا النجم الى شماله أبداً
ثم بدت جبال فيثيا الشمم كأنها دروع
مسرودة فوق صدر الأرض الشاحبة ... ولكن !
وا أسفاً ... ! لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عنانه
من سوليا^(٣) ، فلع أوديسيوس فوق رمثه يتوائب
على هام الموج ، ويقترب من الشاطئ ، فينجو إلى
الأبد من بطشه ... وثارت فى نفس نبتيون
— إله البحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس —
ثورة من الغضب ، وظل يملك هذه السمكات فى
نفسه من فوق بطاح إيثوبيا^(٤) :
« وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ،
وتحركت فيهم عواطف الحنان من أجل هذا الرجل
أوديسيوس ، فقصوا فيه ما قصوا لأنهم يسكنون
السماء ، ولم يبالوا بى لأنى أسكن الأرض فى
إيثوبيا ؟ ... إنه برى شاطئ فيثيا قيد وثبات منه
وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم تترصد
فى كل موجة من موج هذا اليم ... ولكن ...
لا ... لأهبطه بألف سوط عذاب قبل أن يصل
الى البر ... »

(١) الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى بيسيدا

(٣) هكذا فى الأصل

بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء»
وسلّمت إليه زوارها الموعود، ثم فاضت في
الماء، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة
وحزن عميق؛ ثم أفانق من غشيتيه، وجعل يهرف
هكذا: «أوه! ترى؟ أذاك شرك آخر تدبره
الآلهة لي؟ ولكن لا... لن أرح مقباً فوق
الرمث، فالبر بعيد، ولأظل مكافى مادامت الجنود
مكعبة هكذا، فإذا حطمتها يد الحدّان فلا فعلن
كما أشار الآلهة الذي كان يكلمني منذ لحظة...»
وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة
جارفة حطمت رمثه، وتركته عالقاً بأحد الألواح...
وأسرع أوديسيوس نفلح الرداء الجميل الديباجي
الذي خلّفته عليه كالبيسو، ولف الزوار الموعود
حول صدره، وقذف بنفسه في الماء... وزاح
يسبح!

وكان نبتيون الجبار يرى يمينه، ويشقى
حردّه، ويقول في نفسه: «ذُقْ يا أوديسيوس
وبال أمرك في هذا الطوفان، قيل أن تغفل بحبالك
بجبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة، وسيتبرئ
ثمة هل تنتهي آلامك!»

وحثّ مطيّه حتى وصل (إيجّه) حيث
يشرف قصره المنيف

وكانت مبنزفا تهمد الكفاح المائل بين
أوديسيوس وبين اليم، فاطلمت من عليائها،
وداعبت الرياح حتى استقامت وونت، ثم أطلقت
بوريس، ربح الصبا الشمالى الكريم فجرى (١)
رخاءً، يدفع أمامه البطل العظيم الذى ظل يناضل
الموت ويصرعه يومين أطول من دهر، وليكين

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكور

كل مكان، وكلما نجا من موجة فغرت له فاهاً
أخرى... ثم حدثت المعجزة... فقد وسعه يمد
لأى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دفعة اليأس
إلى السطح، وأن يملأ رئتيه الهوكيتين بنفسه من
المهواء، كانت تخرج بالماء الأجاج للتصعب من
جبينه، حتى لأوشك أن ينص بها... لولا أن
اطافت به الصدفة، فرأى الرمث قريباً منه، وقد
انزعجت الماصفة قلاعته وشراعه، فسيح إليه
وأمسك به، ثم استوى عليه، وتركه الموج تلعب
به واحدة وتمتبت به أخرى، وتجمعت عليه الرياح
عن شماله ويمينه، ومن خلفه وقدامه، حتى قبض
له القدر عروس الماء (إينو) ابنة قدموس، التى
كانت تمشى في البر وتعرف فيه بهذا الاسم، والتي
تخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر
وعلقها أحد الآلهة فوهبها الخلود... لقد تفجرت
في قلبها شاكيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما
رأته في هذا الروح الذى ليس ككله روع، فسحرت
نفسها ووثبت على الرمث في صودة غطاس الماء،
ثم قالت له: «وبحك أيها البائس! فيم أثرت
غضبية نبتيون عليك حتى ليقبلك مرباً في شعاب
البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا...؟ على أننى
أنصح لك أن تدع هذا الرمث، تندافعه الرياح
حيث تشاء، ثم تخلع ملابسك، وتقفز في الماء،
وتسبح بقوة وجدل حتى تصل إلى شطآن فيشيا،
حيث تسلم بنفسك، وتكون بآمن من بطش
هذا الجبار. خذ، هاك زواراً من حرير من
حياتك السماء، لفّه فحمت صدرك، فانه يجعلك
بآمن حتى من مجرد التفكير في الموت؛ فإذا وصلت
سالماً إلى الشاطئ، فارمه بكل ما أوتيت من قوة
بعيداً في البحر، وأدر وجهك بمجرد أن تغفل،

فقدنه في مسيل من مسایل الماء المنتشرة على الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي كاد يسلمه بدوره للمحيط ، مما جملة يضرع لب النهر ويبتل ... ويدعو من أعماق قلبه ويصلي ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر حدة التيار ، وفلّ من غرب الماء واستطاع البائس المهوك أن يصل إلى إحدى العدوتين وأهيا مهالكهما .. فانطرح على التري يقبله .. ويلهث ويقول :

« وحي نفسي ماذا تبنتين يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عبي مصدّع ، ولا قبل لهذه البقية من حشاشتي بطل المشاة وصقيع الفجر ... فلو أنني استطعت أن أتسلق هذا الحدور فالوذ بأجرة من هذه الغابة ! ولكن ! وحي ! أي وحش صار يفتذى بلحمتي ثمة ؟ »

يَيسد أنه تقول في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغابة ؛ ثم كان بين زيتوتين إحداها ثمرة ، والأخرى عقيم ؛ كل منهما ثفاء شجرا حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالها ، ولا الماء بواصل إلى من استندى بهما

هناك ... وجد أوديسيوس مأمته ... فراح عهد الأرض ، ويلم ما استطاع من قش ويحطّط حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين غيره ، من الضارين للمشردين في الأرض ، ودعهم حفاقيها بفروع الشجر ... ثم أسلم عينيه لنوم هادي عميق ، سكبته ميفرا في كلتا مقائيه

فله ما كان أروعه غاراً في هذا السقف من القش ، كشملة من زيتونة لاشرقية ولا غربية ، يعتر بها ريفي شاب في قرار مكين^(١)

(يتبع) دمرني فشيء

(١) كانت النار في الزمن القديم أغلى ما يستر به الناس

أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غابت أورورا في اليوم الثالث ، استطاع أن يرى الشاطئ على مرصى البصر ، من فوق موجة عالية

ما أحلى الأمل الذي يجيبا بعد يأس ! لقد كان ينظر أوديسيوس إلى التلال والجبال القريبة ، والغابة الناعمة في أحياها ، كما ينظر الأطفال الأبرار إلى أب لهم أنهكتهم العلة ... ثم تماثل للشفاء بعد تسليم وقنوط !

ومحس الأرض بقدميه ... ولكن ... وأسفا ! الأعماق الهائلة والصخور والأواذي والموج الذي يرتطم بأقدام الجبال فيرغي ويزيد ... لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تجوس خلالها سفن ... ولقد ظل أوديسيوس يكافح ويكافح ... حتى غم على قلبه ، وكاد يتفشاء طائف من الخور ، بعد أمل أكيد !

وجاشت الوسواس في قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الهلك في هذه اللجة الزجاج ... وكان أخوف ما يتخشا أن يدفعه الموج على تنوء الصخر فيحطمه ، أو أن تلجحه أمفريت ، زوج نبتيون ، عدوه اللدود ، إله البحر ، فتسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه ، أو يقذف به إلى أعماق الأعماق ... كرة أخرى

وبينا هو في بحرين من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة يضطرب بها اليم قدسده في قوة وعنف إلى الشاطئ ذى التنوء والنؤى فتكاد تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجارتين على حافة صخرة بارزة ... ونعمة ظل ملقا حتى أقبل جبل آخر من موج البحر فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد مرابطين الماء ... وجاهد المسكين ثانية وثالثة حتى تدافع الموج من خلفه

الأرض فيثير غبارها ، وكان القمر في كبد السماء الصافية ، يرسل أشعته الفضية على الرجل النائم . ولم يكن هناك أحد سواها ، أنا والنائم المثل الذي لم يكن يشمر بوجودي وهو يتوسد الحجر القاسي كأنه على فراش ونير .

وشمرت بأن حال هذا الرجل زادت في الآلى ، فتمكنت من مبارحة مكانى الذى ما كنت لأرحه ، وما كنت لأستفيد من وجودى به لأطرق الباب حتى ولو أغربت على ذلك بمعلقة وقاج ، وذهبت إلى قرب هذا الرجل النائم أنفوس فيه وأقول فى نفسى :

ما أحق نومه ، لا ريب أن رقاد هذا الرجل لا يقلقه شيء من الأحلام ، ولعل زوجته تفتح فى هذه الساعة لئلا يلهو باب السكن الوضع . إن أبواب هذا الانسان عبارة عن أطوار بالية ، وقد نحل خداه وتجددت يده ، فى يكون هذا المخلوق إن لم يكن واحداً ممن لا يجدون كل يوم كسرة خبز يقتاتون بها ، فهو إن نهض غداً من نومه يستعاوده جميع همومه وتجتاحه جميع مصائبه ، ولكنه هذا السماء كان يملك بضعة دراهمات يمكنه من الدخول إلى حانة فاتباع النسيان لأوجاعه . لقد ربح هذا الرجل فى مدى أسبوع ما أله ليلة رقاد هنيء . ولعله حرم بذلك أطفاله عشاء ليلتهم ، ولكنه الآن يملك من الآله ، فزفقه أنه أن يخذله ولصديقه أن يبيع مسكنه الحقيق كالص ، بل لى أنا إذا شئت أن أنسرب على كفنه لأقول له : إن عدواً يهدد حياته ، وإن النيران تلتهم مسكنه ، فانه لينقلب على جنبه الآخر ويمود مستغرقاً فى نومه

وذهبت أذرع الشارع بمخطوات واسعة قائلاً : وأنا ... وأنا ... وأنا المحروم لذة النوم ، وفى جيبى



اعترافى فى العصور

والفريد موسى

بسلام الأستاذ فليكس فارس

الفصل التاسع

وكنت وصلت إلى أشد الهاوى ظلاماً عندما دفعنى اليأس وثورة الشباب إلى فعلة قررت اتجاه حياتى

كنت كُتبت إلى عشيقتى أننى لأريد أن أراها بعد ، فعمت بما عاهدت النفس عليه ؛ غير أننى ما اتمنت من تمضية الليالى تحت نافذتها جالساً على مقعد أمام بابها لأراها تلوح لى كالخيال من حين إلى حين بين منفرجات ستارها

وبينا كنت فى إحدى الليالى جالساً على عاذى وقد تملك الألم كل مشاعرى ، رأيت عاملاً يسير على الطريق فى ساعة متأخرة وهو يترنخ سكرًا ويتمتع بكلمات لا تفهم تتخللها هتافات نشوة وجبور . ووقف هذا العامل بنفثه وأطلق صوته مترنخاً ثم عاود السير ورجلاه تقودانه تارة إلى بين الطريق وتارة إلى شالها حتى بلغ قفصاً موحهاً لمقعدى أمام بيت آخر فانطرح عليه ، وبعد أن تقليب برهة على ساعده استغرق فى السكرى

وكان الشارع مقفرًا والهواء الجاف يهب على

الحانات ، فنار تأثري وقالت في نفسي إلمني أن أفوز حتى بهذه التمرة ، فكنت أتراكم من باب دكان إلى باب دكان آخر هاتفاً :

- أريد خبزاً .. أريد خبزاً ..

واهتديت أخيراً إلى حانة مفتوحة ، فطلبت زجاجه خمر وجلست أكرعها دفعة واحدة دون التفات إلى نوعها ، وابتعت الأولى بثانية وبثالثة ، فكنت أقلب الكأس تلو الكأس مكرهاً ، كريض يتجرع دواء فرض عليه فرضاً لأنقاذ حياته .

وما مضت برهة حتى شعرت بأجرة هذا الشراب - الذي كان ولا شك مقشوشاً - تتصاعد إلى رأسي وتورثني السكر لجأه ، فيتوالى علي ذهني الصفاء والاضطراب ، حتى فقدت قوة التفكير ، فشخصت بأبصاري إلى مافوق كما أنني أودع شموري بنفسي ، وتراخي ساعدي على الحوان فلم أستطع تحريكهما . وعندئذ لاحظت أنني لم أكن منفرداً في الحانة إذ رأيت في طرفها كتلة رجال تجلي القبح في وجوههم الفاحشة ، وتماثل التبرات الشاذة في أسوأهم ، وكنت أرى من أوثابهم أنهم ليسوا من العامة ولا من متوسطي الحال وكل ما فيهم بدل على أنهم من أحقر الطبقات ، من الطبقة التي لا مكان لها ولا ثروة حتى ولا مهنة سوى مهنة البطالة الدنيئة ، من الطبقة التي لا تنتمي إلى الفقراء ولا إلى الأغنياء وقد انتمى إليها بؤس الفقر وروذيلة النشئ

وكان بين أيدي هذه الجماعة ورق قدر العيسر ، وكان الخلاف قائماً بينهم فيخوضون أسوأهم في مجادلاتهم ؛ وكان بينهم فتاة غضة الصبا ، بهية الطلعة ترتدي أثواباً نظيفة ، وليس في مظهرها ما يشبه من حولها من الناس سوى صوته الأنيح الذي كان

من اللال ما يكفي لتتوهم هذا الرجل سنة كاملة ، يسودني الضرور بل الجنون فأترفع عن دخول الحانات ، وأتجاهل أن التمسأ يدخلونها ليخرجوا بالسعادة من بين جدرانها

يا لله ! إن عناقيد من الكرمة تمصرها الأقدام كافية لتبديد أحلام المهوم ، ولتقطيع الأشرار التي تمدها روح الشر على مسالكنا . إننا نمول كالنساء وننألم كالشهداء ، فيخيل إلينا حين تساورنا المصائب أن العالم قد تهدم على رؤوسنا فننطرح منتحبين كما انطرح آدم أمام الباب الموصل بينيك النعيم المفقود ، في حين أنه ليس علينا إلا أن نمد يداً إلى الكأس لأطفاله لب أحشائنا ، وشفاء أوسع جرح فتحت فيه الحياة . ما أحقر هذه المهوم التي تداوى بزشفة من مثل هذا الدواء !

إننا لنعجب من أن العناية الآلهية لا ترسل جميع ملائكتها لتنتصت لابننا لانا ، وما العناية بحاجة إلى إرسال طغام أملاكها إلينا ، فهي قد رأت أوجاعنا وما خفيت عنها شهواتنا ، وغرور روحنا الساقطة وما يحيق بنسا من غمرات الآلام فاكثفت بأن تثبت ثمرة صغيرة سوداء تتدل على جوانب طريقنا .

إذا كان هذا الرجل يتام ملء جفونه فلماذا لا أنام أنا مثله ملء جفوني

لقد يكون مزاحي متوسداً فراش خليلي الآن فيخرج منه عند الفجر ، وتشميعه هي حتى الباب فينظرن إلى وأنا أعط في نومي على هذا القعد فلا أتنبه لصوت قبلاتهما ؛ وإذا ما ضرباني على كتفي فأنني ألقب على جنبتي الآخر واستمر في الرقاد وبحكم الراح في فذهبت مفتشاً عن حانة أستقر فيها ، وكان نصف الليل مرّاً وأقفلت أكثر

مستسلم للباس ، قد صرحت بسرعة حشيت معها
أننى أشاهد حلماً ، فاضطربت أفكارى حتى حسبتنى
جننت أو استولت على قوة مجهولة

وصحيت بالفتاة فجأة : من أنت ، وما تريدن
منى ؟ وأن عرفتني من قبل ؟ من كلفك مسح
دموعى ؟ أهذه واجبات مهنتك ؟ وهل تظنين أننى
أرضى بك ؟ . . إني لن أمسك بأطراف أمانى .
ما ذا تفعلين هنا ؟ ؟ أجيبى ، أمانا تطليين ؟ . وبأى
ثمن تبيعين إشفافك ؟

ونهضت طالباً الخروج ؛ ولكننى شعرت
بأن رجلى لا تقدران على حلى ؛ وأن غشاوة أسدلت
على عيني ، ونفدت قواى فارتعيت على مقعد مستطيل
عثر به

أخذت الفتاة يدي وقالت : أنت متألم . . .
لقد شربت كما يشرب الأطفال أمثالك فما عرفت
ماذا فعلت .. انتظر على هذا المقعد إلى أن تمر
عربة . . قل لي عنوان أمك لأرسلك إليها
ثم تضاحكت قائلة : إذهب إلى بيتك ما دمت
قبيحة في نظرك . . .

والتفت إليها وهي تنسكلم ، وما أعلم إذا كان
السكر أوانى ما رأيت ولم أتبين إذا كان سلالى سبقي
هداى أم هداى سبق الضلال ، فرأيت في وجهها
صورة لوجه خليلتى ، وعند ذلك شعرت بصقيع
الجليد في أعضائى

إن الانسان ليسمر أحياناً بارتعاش في شمر
رأسه ، ويقول السذج إن ذلك دليل على مرور
ملاك الموت ، وما كان الموت قد مر على رأسى بل
هوداء العصر ، وما كانت هذه الفتاة إلا ذلك الهاء
بمينه تجسم فيها شاحباً هازناً بنسبرات الصوت
الأبح وجاء مجالسنى في زاوية من هذه الحانة

يتعالى كانه صوت منار امتهن المناداة في الأسواق
ستين سنة . وجدت هذه الفتاة ، وقد أدهشها
ولا ريب وجودى في هذه الحانة ، وأنا مرتد
ما أردتبه من أتيق الأبواب ؛ وما لبثت أن تقدمت
نحو مجلسى وعند ما رفعت الزجاجات الثلاث عن
الخوان ، ورأيتها فارغة افتتر ثمرها عن درّ نصيب
قبيضت على يدها ورجوتها أن تجلس قربى فجلست
مسرورة ، وطلبت أن يحضر الخادم لها المشاء .
وحدثت في الفتاة صامتاً وعيناي مغرورقتان

بالدموع ؛ فسألتنى عما يحزننى ، وما كنت قادراً
على إيراد الجواب ، فمززت رأسى كأننى أريد أن
أطلق القطرات الحارثرات من مدامى ، فتساقطت
على خدى . وأدركت الفتاة أننى أكم أمراً
مؤلماً فما حاولت اكتشافه ، بل أخرجت مندليها
وهي تتناول طعامها لتره على وجعى آناً قائماً

وكان في هذه الصبغة شيء لا يحدد إلا بأنه مزيج
من أخشن الأشياء وألطفها ؛ وقد تغفلت العطف
في غشاها ؛ فوجت حاراً في تقديرها . ولو أنها
كانت التفت بي في شارع ومدت يدها إلى
لتراجعت عنها مشمئزاً ؛ غير أننى وأنا في حالى كنت
أرى من الغرائب أن تتقدم نحوى فتاة ما رأيتها
من قبل فتجلس صامتة إلى خوائى وتتناول طعامها
أمانى ثم تحجف مدامى بمنديليها ؛ لذلك بت أمانها
واجماً تاراً مخلوباً

وسمعت صاحب الحانة يسألها عما إذا كان لها
معرفة بي . فأجابته إيجاباً وطلبت ألا يتدخل أحد
في أمرى . وبعد قليل من الزمن انصرف اللاعبون
وأقبل صاحب الحانة أبوابها من الداخل ثم اندسج
إلى غرفته الخاصة ، وهكذا بقيت لوحدى مع الفتاة
وكانت هذه الحوادث التى أترتها بما فعلت وأنا

الفصل العاشر

المستقر ، ولكل إنسان في حياته ساعة وقف فيها صارخاً : لضرب سهماً مذهباً في مجلتك الدائرة ،

أيها الزمان

وبعد أن تم ترتيب الغرفة طبقاً لما ذكرت أوقدت ناراً ، وجلست القرفصاء أكرع كاس بأسي حتى الثمالة ، وأسبر صميم فؤادي لأشعر بتملله وانقباضه ، وكنت أستعيد في ذهني أنشودة تيرولية كانت تنغني خليلتي بها وهي :

كنت في روض دلالي زهرة فيها غرام
أحرق المشق جالي هكذا يقضى الغرام
وكانت نبرات هذه الأنشودة ترن في أذني كأنها صرخة تتعالى في قفار قلبي ، فأناجى نفسي قائلاً : هذه هي سعادة الانسان . هذه هي جنيتي أصبحت سبية من بنات الوراخير ، وهل خليلتي أفضل منها ؟ هذه تمالة الكوثر التي نحتسبه ، هذه جيفة الغرام ...

وأطلقت الفتاة الشقية صوتهها بالانشاد إذ سمعتني أنغم بأنشادي ، فملت وجهي صفرة الموت إذ سمعت عواطف نفسها تنشد هذا الصوت الأجنس المتعالى من فم فتاة تشبه من أحببت ، فكأن هذا الصوت هو الفحشاء تفرغر في صدر نورت فيه أزاهر الشباب ... وخيل إلي أن صوت خليلتي قد أصبح منذ سقوطها شبيهاً بهذا الصوت ، وخطر ببالي ما يحكي عن (فوست) من أنه رأى قارة حمراء تنشب من فم ساحرة عارية كان يخامرها في ليلة راقصة . فصرخت بالفتاة : اسكتي ، وهرعت إليها فترامت ضاحكة على سريرى ، فانطرحت بدورى إلى جانبها وإذا بي أرى جسدى كتمثال ممدد على لوح مدق

أى ، رجال هذا الزمان ، المتسارعين وراء

وما كنت ألحظ مشابهة هذه المرأة لمشيقى حتى اجتاحت دماغى فكرة فظيمة لم أجد بداً من تنفيذها

وكانت خليلتي في أوائل عهد غرامنا تأتي خلسة إلى غرفتي للاجتماع بي ، فكنت أملاً هذه الغرفة أزهاراً وأضرم النار في اللوقد ، وأعد العشاء ، وما كنت أغفل عن تزيين السرير وإعداده للحيبة النظرة

ولسكن شخصت الى هذه الحبيبة الساعات الطوال وهي جالسة على القعد أمام المראה ، وكلانا صامت بناجى الآخر بخفقتان فؤاده ، فكنت أراها كملكة من عالم الجن تحول الى جنّة هذا السكن الصغير حيث أرقبت كثيراً من الدموع . ولسكن تألقت بروعة جمالها بين هذه الجدران الأربعة المزينة والرياش القديم ، وقد تبعثرت حولها كتيبي وأتواني

وكان تذكار هذه الليالي لا يفارقني لحظة منذ فقدت بهجتها ، فكانت ككتبي وجدرانى تناجيتي بهذه الذكرى وأنا مسهد مقجوع فترهقنى حتى أذهب هارباً منها الى الشارع فأفارق من سريرى الذى لم أكن ألجا إليه إلا لأذرف عليه الدموع اقتدت هذه السبية الى غرفتي وأجلستها على القعد ، محاولاً ظاهرها بحوى وأبقيتها عليه وهي نصف عارية ، ثم شرعت أرنب كل ما حولها على النمط الذى كنت اخترته في أعين الليالي ارتساماً في خيالى إن للكريات السعادة صورة واحدة تنقلب على سائر صورها ، فهي خيال يوم أو ساعة فالتت سواها في جمال المؤثرات فتبقى كأنها الأنموذج

فيمها ، اذكروا انكم قد تمسقون شيئاً بالرغم من صقيع عواطفكم ، ولقد ينقطع عرق في أعماق أحشائكم فتصبرون صراخاً يشبه آهين التائبين . لقد يجيء يوم تقرر دون فيه ألى الأتزة الموحلة عندما تطالبون ملذاتكم لتستزفوا فيعسا قوا كم : البائرة فلا تجدون من المال ما ييلقكم أياماً ، فتذهبون بنظراتكم الحائرة ووجوهكم الشاحبة المحسدة لتنطرحوا على مقعد منفرد تحت ظلام الليل . أيها الأنانيون المنتصبون ككتائيل من مصر ، التفردون باخضاع كل شيء لتفكيركم ، أنتم الباهيون بترفكم عن اليأس وبصمتكم في حساب الأرقام ، إذا ما سطا اليأس عليكم وأخطأتم في حسابكم يوم يزعمكم الافلاس ، تذكروا (أبلار) وقد اختطف القضاء منه (هلويز) التي بالغ هيامه بها ما لا يبلغ معشاره حبيكم لحيادكم ودنايتكم وخيلاتكم فإن هذا الماشق قد فقد بافترائه عن يمد ما لا يمكن لكم أن تفقدوه أنتم ، حتى وما لا يمكن أن يفقده أمة لكم إبليس لو عاد إلى الجنة ليسقط منها مرة أخرى . ذلك لأن أبلار قد أحب هلويز حباً لا تقرأونه في أية جريدة تصفحونها ولا يلوح حتى كتيال لنسائكم وبناتكم لافي كتيبات ولا على مسارحنا - ، ذلك لأن هذا الماشق أمضى نصف حياته باقى قبلائه على جبين الحبيبة الطاهر وهو يلقيها الزامير والأناشيد ، ذلك لأنه لم يكن له سواها على الأرض .

تذكروا هذا المبني واعلموا أن الله قد أرسل إلى قلبه العزاء والسلاوة .. فإذا ما تذكرتم هذا الماشق والحنة التي حلت به فإن كفر فولتير ودعابات كوزبه تفقد معناها في نظركم فتدلون أن العقل يمكنه أن يشق الإنسان من أوهامه ولكنه

ملذاتكم في المراقص والمسارح ، إنكم ستمودون في آخر الليل إلى مساكنكم لتقرأوا قبل استسلامكم للوسن أشياء من كفر الشيخ فولتير أو مداعبات كوزبه ، أو خطب مجلسنا النبائي عن الاقتصاد السياسي ، فأجذبوا إلى أن أوجه إليكم هذا الرجاء ، ولكل منكم ما يروح به عن نفسه رائحة هذه النبتة السامة التي زرعا العقل في قلب حضارتنا : إذا ما وقع هذا الكتاب الوضيع صدفه بين أيديكم فلا توجهاوا إليه بسمة الاحتقار ولا ترفضوا ككتافكم مستهزئين . لا تقولوا وأنتم تحاولون أنفسكم في حرز أمين وإن واضع هذه الفصول مصاب بداء الأوهام ، ولا تقولوا أن العقل أو ما تمتبرونه عقلاً هو خير ما في الإنسان من قوى ، وإن حقائق الحياة قاعة على حركة المضاربات السالية وورق اليسر ولذيذ الخمر وصحة الجسم وعدم البالة بالسوى ، وعلى فراش وثير تمددون عليه عضلات توترت بالشهوات تحت جلد فاعم يسمى بالمطور

لا تفتروا ، فقد تهب يوماً عاصفة هوجاء على حياتكم المادية ، ولقد ترسل العناية الإلهية صريراً على الأدواح الباسقة التي تسقونها من مياه النسيان الراكدة . لستم بآمن من عثرات الآمال فإن في أعماق عيونكم دموعاً ، أيها المتحصنون بالجود : وأنا أقول لكم إنكم معرضون لخيانة خيلاتكم وما تهتمون لهذه الخيانة اهتمامكم لموت أحد جيادكم ، ولكن اذكروا أن المضاربات المالية ممرضة للاخسارة وإن أقوى ورقات اليسر قد تصطدم بأقوى منها ، وإذا كنتم من غير فئة المضاربين فلا تنسوا أن سعادتكم وذهبكم وفصتكم مودوعة عند صيرفي قد يزل به الأفلاس أو ممثلة بقراطيس مالية قد تسقط

الأكدر الذي يمشى بين
النخيل يترك القمر
يتقطر ؛ إن أيام مصر
ترتمش حولنا ، والسماء
يدفع اللحظات بين يديه
كسبحة سوداء ،
والسكون ذاته صلاة
غريبة ، والرمال تتألق
كالحرير الأرجواني .

سيرة أبي الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول
للكاتب المسرحي مريسي رستان

بقلم الأستاذ خليل هندأوى

لى من العمر عشرون ، وها إلى أحببنا
الماشقة : عينك اللامعتان لها من البحر رفته العميقة
الماشق — منذ أى زمن تهويننى ؟
الماشقة — أنى لى أن أعرف ؟
الماشق — ألا تعرفين ؟
الماشقة — يجب أن أهواك من اللحظة التى
كنت فيها ، وإنى لأذكرك فى كل أيام الجميلة !
الماشق — قد انتصف الليل
(ينهش)
الماشقة — أين ترى الساعة ؟ أه إلى أريد
ألا أعرفها ، فصوت المؤذن الذى يتعالى لا يصل
إلينا ، هنا الساعة تمضى على استحياء ثلاث نسم بها

الفصل الثالث

أبو الهول الأكبر

الصحراء القارية ، الليل التام ، الفضاء ، الزمان ،
ضباب ذهبي يضر الأضياء ؛ وأبو الهول الشامخ يبدو
بين الأشياء كأنه السكان الجدير بالوجود .
يرتفع السار : الليل داج ، والنيوم تنزاح قليلا
قليلا ، يبدو القمر والنجوم تبت واحدة فواحدة كأنها
تنصر من النور ، وأبو الهول كأنه ينصر من الظلمة ،
وعلى قدس أبى الهول عاشقان مصريان !

المشهد الأول

أبو الهول ، الماشقان

الماشق — محب العودة سريعاً ؛ انظرى فالليل

ولتذهبوا إلى أبواب المابد محاولين فتحها فتجدونها
مقفلة فى وجوهكم فيخطر لكم أن تاجأوا إلى الرهينة
التي لا يخرج النذرون منها إلا إلى قبورهم ، ولكن
الاقدار تسخر بكم وتقذف اليكم بزجاجة خمر وامرأة
عاهرة ، فاذا ما كرعتم الخمر وقدمت العاهرة إلى
فراشكم ، فتبينوا مصيركم واعلموا الى أية هابوة
تجدرون

فليكس فارس

(يتبع)

أعجز من أن يشفيه من آلامه !
إنكم لتدركون إذ ذاك أن الله قد أوجد الحكمة
مدبرة لشؤونكم لأراهبة محبة تنحو على أسرة الأعداء
منكم . إنكم لتدركون بأن قلب الانسان لم يقل
كفته الفصل عندما أعلن أنه لا يؤمن بشئ . لأنه
لا يرى شيئاً ...

إنكم فى ذلك الحين لتجلبون أنظاركم على
ما حولكم مفتشين عما تنوّهون الأمل فيه

القرون — أيها الملاك الحجري ! بم تأمرنا
فنعمل ؟ نحن حرس لك !
أبو الهول — لم أعد أريد حراستك ؛ فذكرني
وحيداً ، كم نجوم تنظر إلى ؟ أريد أن أطل وحدي
هذه الليلة

القرون — نحن هنا دوماً بحرسك
أبو الهول — دعني هذه الليلة السرية البارزة !
القرون — لتكن كلتك مسموعة !
(ينسحب كل خيال مطأطأ رأسه لواء أبي الهول
مدمماً بصلاته)

الخيال الأول — يا سيداً من حجر !
الخيال الثاني — يا أوزة الخلود !
الخيال الثالث — يا ملك الزمان !
الخيال الرابع — يا جدار الثواني !
الخيال الخامس — يا عجيبة مصر !
الخيال السادس — يا حكومة الدوام !
الخيال السابع — يا زهرة حجرية ضردمة
على صفحة السماء !
الخيال الثامن — يا خلية نابضة تخرج فيها
الاحضاط عسلاً !

الخيال التاسع — يا وثناً خالياً من الرافة !
الخيال العاشر — يا شرفة المشاهد !
الخيال الحادي عشر — يا نور المشرق !
الخيال الأخير — يا إله السحب وداعاً ...
(تتوارى القرون ، أبو الهول وحده مع الليل والنجوم)

المشهد الثالث

أبو الهول وحده

أبو الهول — بلى ، لأترك وحدي ، ذلك خير !
أيها الليل إننا وحدنا الآن ، ليرمق أحداً

الماشق — إن الساعة قد تسجل في قبة
السماء الملائى بالنجوم ، لأنها تحدد الزمن بضربة
حزينة ؛ لإبرتها السائلة هي شعاع القمر الوهاج
الذي يسهط من عل ليميل على تفرقنا ، يجب أن
نذهب ... هيا !

الماشقة — لماذا هذا التكيك ؟ فالرجوع
هو الموت ، وأنا أريد أن أحيأ على فك ! الحياة
بدونك هي صحراء خيفة جدا ، والهواء الذي يبعبك
يغمي أغار أحيانا منه . أريد أن ألتئم عيفك وفك
الماشق — إن شفتيك رقيقتان

الماشقة — ومن أحب مثلنا ؟ لا أحد ...
هذه المرة الأولى التي ينبت فيها أن يحبوا كما أحببتك ؛
ونحن ابتكرنا هذا الحب . ألا قبلة مستطيلة أيضاً
تطبعها على فمي اللهب ونموذ بعد ذلك يا حبيبي !
الماشق — حبيبي !

(يتماغان شديداً ، ثم يتعدان
والفتاة تلفت إلى الورا)

الماشقة — هل رأيت ؟ لقد كنا في ظل
أثر ... يقال إنه ذو وجه خالد جميل ، كم غبر به
من السنين هنا !

الماشق — إنني أجهل ذلك ...
الماشقة — سرّج يوماً إذا شئت مع الفجر .
تعال فضع قدمك موضع قدمي ، فما عسى يكون
أبو الهول ؟

الماشق — لا أعلم ...
(يتعد الحبيبان)

المشهد الثاني

أبو الهول (وحده)
القرون
تهب القرون في منتصف الليل وكن جالسات كالأشباح
السوداء على قدمي أبي الهول

الآخر ! لقد شمت - طيلة النهار من الأنوار
الوضاءة ، وحين تمودى بارد الأنفاس ، وتحط
رحالك على حجرى ترتاح روحى ، أنا فى النهار
مخلوق كبير من حجر ، مزيج أصم ، حتى إذا
جئت غمرتنى بحياة جديدة ، وأصبح القمر
مرسوحى إلى بها أجب الهواء
أيها الليل البالغ من الكبر عتياً ! ها نحن
شاخصان وجهاً لوجه . لننظر ؟ فالشمس المنبثقة
تجمل أشعتها ، وأن باستطاعتنا - حين تبعث
فى الروح - أن نتحد اتحاداً سامياً .
ماذا تقول ؟ وأنت مائل بابتسامتك الغضبية ،
هل نعلم عن هذه الكائنات والناس والآلهة والموتى
شيئاً ؟ هنالك سيرايمس ، وهنالك ساردا نبال .
وهذا الرماذ الشاحب ، إنهم يدعون هذا كله
صحراء ... الصحراء كلمة كبيرة ذهبية لا تشبه
شيئاً ، وعليها بدأت تنزل عظمتك وكبرياؤك .
هذا هو الرماذ . الرماذ ، الرماذ ، ... هذا
- أيها الليل - هو رماذ من لمحونا فى القديم .
إنهم ينقمون على صمتى ، ولكن من ذا أكلّم فى
هوى السحرة ؟ فالنهار طفل لا يعلم شيئاً ، النهار
هو ذلك الطفل الكبير للفتائل الذى يضحك !
حين يكون الانسان مثلى ، يقدر أن يتكلم مع
الليل ، مع الليل وحده لا مع سواه ؛ على شفا
الإنهاء للسلطة قناعها . إن عندى أسئلة ، والليل
عنده نجوم ! (يتهد)

أنت تقول إنها كانت شقراء ، وأظن ذلك
حقيقة . ألا ترى أنك سخرية حين تريد هؤلاء
العلاء ، هؤلاء العلماء ، هؤلاء الجهال ، أن يسموا
الماضى ويفشروا النار ؟ وإنا أنت وحدك ، وأنا ،
نهم فى هذه الأجواز المظلمة ، وأنت وأنا قد رأينا
كل شيء .

بلى ! قد تكون أنت أكثر علماً منى لأنك
تهوى على الآفاق البعيدة بمخاضك الكبير الأزرق ،
تدور أنت حول الأرض ، وأنا أبقي راسياً فى مصر ؛
ولكنك لا تدرى - برغم ذلك - مرأ أنا أدرى به
منك ، سر ليلية تموز ، وليلة ابول ، لأنى كنت
أفكر حين كنت ترتجف ! هنالك مرأ أعلمه دون

الآخر ! لقد شمت - طيلة النهار من الأنوار
الوضاءة ، وحين تمودى بارد الأنفاس ، وتحط
رحالك على حجرى ترتاح روحى ، أنا فى النهار
مخلوق كبير من حجر ، مزيج أصم ، حتى إذا
جئت غمرتنى بحياة جديدة ، وأصبح القمر
مرسوحى إلى بها أجب الهواء

أيها الليل البالغ من الكبر عتياً ! ها نحن
شاخصان وجهاً لوجه . لننظر ؟ فالشمس المنبثقة
تجمل أشعتها ، وأن باستطاعتنا - حين تبعث
فى الروح - أن نتحد اتحاداً سامياً .

ماذا تقول ؟ وأنت مائل بابتسامتك الغضبية ،
هل نعلم عن هذه الكائنات والناس والآلهة والموتى
شيئاً ؟ هنالك سيرايمس ، وهنالك ساردا نبال .
وهذا الرماذ الشاحب ، إنهم يدعون هذا كله
صحراء ... الصحراء كلمة كبيرة ذهبية لا تشبه
شيئاً ، وعليها بدأت تنزل عظمتك وكبرياؤك .

هذا هو الرماذ . الرماذ ، الرماذ ، ... هذا
- أيها الليل - هو رماذ من لمحونا فى القديم .
إنهم ينقمون على صمتى ، ولكن من ذا أكلّم فى
هوى السحرة ؟ فالنهار طفل لا يعلم شيئاً ، النهار
هو ذلك الطفل الكبير للفتائل الذى يضحك !
حين يكون الانسان مثلى ، يقدر أن يتكلم مع
الليل ، مع الليل وحده لا مع سواه ؛ على شفا
الإنهاء للسلطة قناعها . إن عندى أسئلة ، والليل
عنده نجوم ! (يتهد)

نجومك ، أعلم أسماءها الخفية ، ولما طرى البعيد
فى الليل يتساقى إلى تلك الديون ؟ وأنت بماذا
تفكر ؟ أليس الأجدد بنا أن نصمت ؟ موسى
لم يكن مهده إلا لحداً فسيحاً ، وقصر كان ذلك

باريس — إن صوتك ، من أعماق الوجود قد
نادى روحينا . إيه يا أباهول ، الآله الذى ليس
بالله ، والمرأة التى ليست بأمرأة ! أجبنا / لقد
دعوتنا فجئنا

مارسيلوس — لقد جزنا طرقا مقلمة ،
ووصلنا طارحين عنا ذلك العالم

أباهول — وما يجدى الكلام مى ؟ كل
مخلوق لا نفع له . لا جواب لكأ عندى . انطلقا
فى طريقكما

مارسيلوس — لقد قلت لنا « تعالوا » بأهجة
ليست بشرية

أباهول — لا أذكر هذا النداء لأنى كنت
أتى ندائى فى طيات السكون لا أعيى أحدا . هذا
حق . ولكنى لا أعلم من ينبئ أن يحفظه ،
ولا أدرى أبدا من يجب أن يلبي ويأتى ...

مارسيلوس — نحن !
أباهول — (بعجرفة) انما ؛ وما بتقنيات
بذلك ؟

مارسيلوس — (بزمز) بلى نحن ؟ رجلا
يرغبان فى كلامك
أباهول — (يقهقه)

رجلان ... وما معنى ذلك ؟ رجلا ؟
مارسيلوس — وقد ساورها القلق .

أباهول — (هائلا) هل تعلم قيمة الرجلين
عندى ؟ إنهما أحقر من حيتين من الرمل فى
الظلام البشرى ، لأنى رأيت من البشر ما يفوق
عددا ما رأيت من الرمل

مارسيلوس — ولكن فى كل رجل إنسانية
بأسرها

الورى وحدى . لقد ظن « أوديب » أنه سيقدر
على استخلاصه من ذات مساء ، وقد ذهب يبشر
الملائكة بتجارى . هاأنذا أنحك ساخرا ، لأن أباهول
يحيا بينا هلك (أوديب)

أأقتل نفسى ؟ بالسخرية للتقذر ! لقد التهمت
الأفتدة من كل مكان ، ورأيت الجميع يبيدون
وأنا باقى سرمد ! أتنشق الظلمات كالنجم ، وأغرب
بسياطي القرون التى تتقهقر ! وأحيانا كنت أبتنى
أن أزاف ، وأن أمد يدي إلى الجواز الانسانى ،
ولكن الموت كان يكر عاجلا ، والرجل الصلب
كان عمره أقل مدى من خطرة من خطر ائى !
(يبدو مارسيلوس وباريس)

المشهد الرابع

أباهول ، مارسيلوس ، باريس

باريس — إن الطريق الموحش الذى يوؤل
بنا إليه قد انتهى ، وهاهو ظله يترامى لنا فى الليل .
هذا هو ! لنقترب فى هذه الظلمة الحالككة ، أبدا قبل
بالكلام ، فإن فى خشية
مارسيلوس — لا ! كن أنت البادى
يا أخى !

باريس — أنت !
مارسيلوس — كله بأسلوب لين !
باريس — الظل الذى تقب — هذا الما —
موضع عينيه يُخيل إلى أنه يخرج نظرة عميقة
كالوجود :

أباهول العظيم ! نحن هنا . . . لقد سمعنا
نداءك المجهول وقد أتيناك
مارسيلوس — بلى ! قد أتينا !

لساذًا نحيا ، ومن هم الناس ؟ أنت الذى تعلم سر
الكون ينبغى أن تقول لنا

أبو الهول - (بسخريه) :

هل تظن أننى أعلم ؟ لا أعلم إلا الابتسام ...
سر الكون ! وهل للكون سر فى الحقيقة ؟

باريس - أجب ! ماذا نصنع ؟ ما هو لنا ؟
وأين تتوارى هذه العوالم ؟ هذه النجوم ؟ وهذه
الوجوه ؟

أبو الهول - ولهذا جئت تمكر على هذه
الشاهد ! دعنى ! أريد أن ألام ...

باريس - قلت لنا : تعالوا !

أبو الهول - قلبكم المضطرب صور لكم ذلك .

إنى أنادى : تعالوا نداءً غير مقصود . وليرغم من
زعم أنه نودى فى هذا الظلام . انظروا إلى هؤلاء
الأطفال الذين ارتدوا الكبرياء ؛ هؤلاء الأقزام ،
أقزام لحظة بأتونى ويزججونى ... هذه الصحراء
الترامية الأطراف ، الجراء اللون مغرب راحتي .
فليركونى ناعماً ...

باريس - ستتحدث إلينا !

أبو الهول - ومن يجرؤ على التكلم كالآخر فى
هذه البقعة ؟ أين تراك قائماً وفى أى مكان ؟ أنى
أود رؤيتك . أجاهل أنت تلك المصوراتى تحيط بى
من كل جانب ؟ أجاهل أنت أنى إذا أومأت بإشارة
صغيرة همع يابى - إجماعى - ثلاثون قرناً -
نخابة صاخرة لندائى !

باريس - كفى ...

أبو الهول - لا يستول عليك الغضب ! فقد
ألفت أن أسمع مثل هذا الصياح ، وأرانى محتملاً
كل هذا بسكون نفس . وأبئت كل شيء يزول من

أبو الهول - أنظر إلى ما تيق لى من عشرين
قرناً بشراً ! هذا الرماد الذى أضع عليه خالبي ...

لا ! لا ! دعنى وحدى فى هذه الزاوية ، فلا شيء
عندى أقصه عليكم أيها الرجال الذين تحدثوننى !
محدث الوحيد هو هذه الهوة المكوكية . فيم
تريدون أن تحدث يا كائنات عمرها عمر ساعة !

هنا الذى يحيا دواماً إزاء من يموتون . ليس بيننا
صلة تربطنا ! إننى لم أعد أنى أبداً الكائنات التى
أحببتها . فى البدء حين كانت الريح تهب علية
رفيقة ، أملت ناظرى إلى هذه الكائنات البشرية
وما كنت أدري أن سيدركها الفناء وشيكاً ؛
ولكنى رأيت كل هذه الكائنات تهوى إلى
المنحدر ! وهكذا أصبحت لا أريد أن أجعل
ناظرى الحجرى المروع فى هذه الانسانية الزائلة
بمرارة

دعونى أنظر إلى السماء أيها المخادعون !
فالكواكب أطول عمراً من البشر ، وانطفأوا
أبعد من انطفائكم

باريس - ربما كان ذلك ! ولكن هذه
النجوم الساحبة فى السماء الملهبة ، هل تراها تتالم ؟
أجفائها الغضبية ، ونظراتها النورانية ، ربما
كان لها فى الأخالى خفقات أكثر طولاً ، ولكن
الشيء الذى لا تمسكه فى سماها الزرقاء ، هو قلق
الانسان الممدود على هذه الأرض ؛ وإذا قدر
للانسان هذا الحظ المتقلب - كما قالت - فذلك
لأنه سريع الاشتعال ، سريع الانطفاء

مارسيلوس - ولهذا ترى أرواحنا ترحح
تحت الألم ، وأنت للشرف علينا ، الثاوى على
صخرتك الباردة ، تريد منك أن تعلمنا - بصوتك -

قديمك - يضع زخرفه كزينة تتقاذفها
الأمواج ؛ وأكبر آثارنا الرقيقة تندو خواتم في
أسبابك !

لا لا سوف تسكمني ... لأنني أريد
ذلك !

مارسيلوس - ستكلمنا ؟

أبو الهول - من قال : أريد !

باريس - أريد ...

أبو الهول - ما معرك ؟

باريس - في الثلاثين ...

مارسيلوس - في العشرين ...

أبو الهول - (ساخراً)

المشب أطول عمراً منك ! أطفال ! أطفال !

عشرون ربيعاً ! وتقولان هذا ! ترفان الرأس

شامخاً وجفونك في اضطراب . لاحق لك في

قولك . عشرون عاماً ! لحظة قصيرة ، نظرة ،

بسمه ، وإنها تلك اللذة التي أفضها لتجربك صرقي

الكبير . وتنهدة واحدة مني لها ضعف هذا العمر .

ولكن القضاء هنا مغفم بالكهولة الخالدة . وهذا

هو الخلود بصفر على جناحي . هذه الشجرة ؟ هذه

النخلة البعيدة ؟ أيتها حين وجدت ابنة فرعون

موسى عارياً في ماء النيل . عشرون عاماً ! يا لها من

جرأة غريبة ! تقول عشرون عاماً أيها الطفل !

الذي يمتد بها ويزمى عجباً . أيتها المشبة الحقةرة

الناجحة على قلبي القاسي ، ينبغي أن يكون له عشرون

عاماً حتى يكلمني بهذه اللجة !

مارسيلوس - البطل إذا كان أكثر فتوة

وشباباً ، كان أكبر عظمة !

أبو الهول - إذا لم يكن لك إلا العشرين

فلقد ولدت إذا الآن . عد إلى بسد أني عام

ألهة وكهات وأبحرة . رأيت نابليون ولم أرتع
لرؤيته ...

باريس - أراك تقابل كل الجهود البشرية
بابتسامة التهكم !

أبو الهول - لا لا ! إنني لأسخر منه ولا أنهمك

إنني أحيا بعده ! ماذا تنتظرون مني ؟ أكلت ؟

أصدافه ؟ أنا لم أعد أعيا بشيء لكثرة مارأفت

وأشفقت ! الحقيقة ! سل القمر عنها . قد رأيت

كثيراً من الحقائق ، حتى أوقن بوحدة منها

مارسيلوس - يا أباهول !

أبو الهول - حقيقة ! لقد رأيت أكثر من

عشرين حقيقة . كل الحقائق ترحف إلى هذا السكان

باطلاً زحفها . وكل حقيقة مائة الآماء التي

لا ينضب ، فذروني أبا في لحدي الرمي !

مارسيلوس - لا لا ... ستقول لنا

باريس - لقد كنت مغنياً ، كنت شاعراً ،

وكانت الجماعة تنصرف لي ، وقاعة التمثيل مقام

دعوتي . أردت - يوماً - أن أولف قطعة منك .

وبينا أفكر فيها وأجمع الفكر حولها ، إذا بي أراك ،

أراك تتخائل - في قلب أبياتي وتناديني ! وبسمتك

- في الليل - كانت تضيء لي سهراتي ، واسمك

حين يذكر بيث في روح البقطة

أبو الهول - مه ! إنني لم أدر شيئاً

باريس - ها أنا ، ذو الشهرة الكبرى التي

لبث (بلسكال) قلقاً من أجلها ، شهرتي هي شهرة

« موسى » المتضرع للآله حين خط على صحيفته

اسمك العظيم الحزين ، إن اضطراباً عنيفاً يرسو في

روحي . لقد عرفتني من كل شيء كنت أعبد

وأقدسه . أنت وحدك عظيم . أنت وحدك الذي

تخشاها القلوب . أنت وحدك جيل الفن - تحت

الساقية الزرقاء حسامه ، لأنه طرح يوماً سيفه في
وثبة عظيمة من وثباته ، ولما أشرق النهار رأيت
هذه الساقية تلعب

ماذا تريد أن تعلم أيضاً ، يا واضح الأسئلة ؟
كل هذه الأسماء العظيمة التي لبثت نفوس أصحابها
شاحبة باهتة . كل هؤلاء القياصرة وهؤلاء الملوك
هؤلاء كلهم عندى أموات الأمس ، عرفتهم
وعاشرتهم . كل هؤلاء رأيتهم يموتون كالأشياء
الحقيرة ، لأنى كنت الشاهد الذى يرى كل شيء
يتلاشى أمام عينيه

كنت الحكم الخالى من الرأفة ، والقارب
الفارغ من ملاحيه ، والملاك من غير فردوس ،
وملاك البحر من دون أمواج ، والماشقة من غير
قبلة ؛ وفي سرى الحجرى أرى كل شيء يركض
إلى زواله ، ويعلم أن الوجود هو الفناء ...
باريس - لا تريد هذا ...

أبو الهول - ماذا تريد أن تعلم ؟ أنسألى عن
أوديب ؟ إنه كان ملكاً كملوكنا . لقد كذب كثيراً
ها أنت ترى أنى لا أزال هنا
باريس - لا أطلب هذا ...
(يتبع)
خليل هنرلى

وحينذاك تتكلم . لقد شئت من الليل ، ونجرت
منك ومن أسئلتك ، أريد أن أنام قرناً دون أن
أجيبك !

عشرون عاماً ! أجل قصيراً لكنى للؤلؤة تنفتح !
كايوباطرة - عمر نظرتها إلى النهار وهو يشرق !
جوليت - عمر سماحاً بقبلة !
روميو - ذاك الطفل الوديع الخجل الذى
قال لأبي الهول بأن له عشرين ربيعاً
مارسلوس - كفالك سخرية منى !

أبو الهول - أنا ساخر منك ؟ إنى أخذتلك
لأنك أردت أنى على ذلك . حسن ! سأنام قرناً . فإذا
تريدون أن تعلموا يا عابرى الطريق ؟ إذا كانت
كايوباطرة ذات غداً لأمعة أو سود ؟ كنت
أحدث الليل عنها هذا المساء . لقد كانت غداً
ذهبية ، أذكر ذلك ، وهل تعلم أنها لم تكن جميلة
باريس - ولكن ...

أبو الهول - أن هذا يدهشك حقاً ...
ولكن أصغ إلى أصحكة زهرة محطمة ، وعنق شفاقة
إنى لأبسط على كل شيء وجهها الغريب الوردى
الذى لا يؤسر . وجهها الغريب الطافح إلى الأبد
بالرقة الساخطة والجمال الغائب

آه من ذلك القارب اللان بالبيد والطوب
الذاهب دون أن أراه ! المالك الذى تتلاشى في القبل
وفي السحر ؛ في الشاهد الخلابه أجوا كثيراً وشفقوا
كثيراً بهذا الوجه الصغير ، بهذا الوجه الزائل .
لقد مالتوها كثيراً ، وهذا هو كل أسطورتها
أنا نفسى كنت مستهائماً بها ؛ وقبل قبل
نطقت باسمها فقطرت من عيني دموع
والآن ماذا تريد أن تنتزع منى ؟ أسناداً وأدلة
أم أذاعات عن قيصر وبومباي ؟ قد تكون هذه

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جوتة الألمانى

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد هسمة الزيات

وهى قصة عالية تمد بحنى آثار الفن الخالد

وعنها ١٥ قرشاً



الرسالة

مجلة لبروحية الفكر والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

- الرسالة : تعبر بأفكار من روح النهضة المصرية
- الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البعده المصرية
- الرسالة : تصور مظاهر العبقرية لمؤلفه المصرية
- الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية
- الرسالة : تحي في النشر أساليب البصيرة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً، والخارجي مايساوي جنينها مصرياً، وللبلاد العربية خصم ٢٠٪

طبع بالطفعة الرجانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ — تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيطة الخضر - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الهرولة

مجلة أسبوعية للفصحى والكلام

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثامن ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

٤٥٨	الحبيب الملون ...	لجي دي موباسان ...	بقلم أحمد حسن الزيات ...
٤٦٢	ليسلى ...	أقصومة مصرية ...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...
٤٧٠	يوميات نائب في الأرياف ...	صور مصرية ...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٤٧٦	الفسرى ...	صورة ريفية ...	بقلم الأستاذ محمود الحقيف ...
٤٨٤	السلطانة ...	لبرنار نابون ...	بقلم الدكتور محمد الرافعي ...
٤٩١	السيدة نكولتش ...	للكاتب النموى آدم مولر ...	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٤٩٧	المراقب ...	لقصصى الروسى تشيرلوكوف ...	بقلم نظمي خليل ...
٥٠٥	اعترافات فتى مصر ...	لألفريد دي موسيه ...	بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٥١٢	الأوفيسة ...	لهوميروس ...	بقلم الأستاذ دريفى خشبة ...
٥١٦	سر أبي الهول ...	لموريس رستانت ...	بقلم الأستاذ خليل هندناوى ...



- ١ -

عنه الغضب . ثم بلغ به الرضا أن اعتراه القلق على ما صنعت بابنته الأحداث ، فأقبل يسأل عن بيتها أخلاءها القدماء الذين لا بسوها ، فلما أكدوا له أنها تنبسط على النعيم بين الأثاث والرياش ، وأن لديها كومة من الأواني اللوثة منضودة على رؤوس الدافئ ، ونجبة من المناظر الجميلة مرسومة على وجوه الحوائط ، فضلا عن الساعات المذهبة المعلقة في كل مجلس ، والطنافس الفاخرة المبسوطة في كل ممشى ، جرت على شفتيه بسمة خفيفة ، لأنه منذ ثلاثين عاماً يكدح فلم يجمع غير خمسة آلاف فرنك حقيرة ؛ فالبنية على كل حال ليست غبية !

وفي ذات صباح جاء فيليب بن توشار صاحب مصنع البراميل يخطب إليه ابنته الثانية روز ؛ فدق قواد الأب دقات الفرح ، لأن آل توشار من ذوى الثراء والمسكة ، فهو قطعاً سعيد الجد في بناته . ضرب الأب موعداً ليوم العرس ، وعقد النية على أن يجعل الاحتفال به نكاحاً ، واختار أن يقام بسنت أوديس في مطعم الأم (جوزا) . ذلك يقتضى زيادة السكفة والنفقة ، ولكن لا بأس !

إن المرة الواحدة لا تصير عادة !

وبينا كان الشيخ وابنتاه يتهيأون ذات يوم

كان للسيد (تاي) ثلاث بنات : أتنا ، وهي البكر ولم يمد لها ذكر في الأسرة ؛ وروز ، وهي طريديتها في العمر ولم تتجاوز الثامنة عشرة ؛ ثم كاير ، وهي الصغرى ولا تزال غضة الحدانة في ربيعها الخامس عشر . وقد أشيل الأب عليهن بعد وفاة أمهن فلم يتزوج

كان السيد تاي مدير الآلات في مصنع من مصانع الأزرار ؛ وهو رجل منهم الفؤاد ، مرعى الجانب ، رضى الخلق ، عزوف النفس ، مثال للمامل الصالح ، وقد اتخذ مسكنه في شارع (إنجلولم) بمدينة الماف

ولما هتكت ابنته أتنا رداء الحشمة ، وأطلقت لنفسها عنان هواها ، أخذها الغيم المقدس ، وتوعد المنوى الأنيب بالقتل ؛ والمنوى غلام غرير رأس قما من الأقسام في متجر كبير من متاجر المدينة . ثم وقع في سمه من بعض الأفواء أن ابنته استقامت على الطريق الأمثل ، وأحسن القيام على ما جمعت من المال ، وأطمانت إلى العيش الطليق في ظلال السيد دوبا ، وهو راض فاني الشباب على السن من قضاة المحكمة التجارية ؛ فقررت فورة الوالد وسكت

فأذنت لها أن تراضية منتبلة . وجعلوا أجل الزواج يوم الثلاثاء الأخير من هذا الشهر

— ٢ —

أخذ موكب الزفاف سمته بعد الواضعات الدينية في دار العملة، والطقوس الدينية في الكنيسة، إلى دار أُنَّا . وكان آل تاي قد دعوا من أصدقائهم العمة لاموندوا ، وألم سوفتنين وهو شيخ متفلسف متكاف بهم بالقيود ويحتفل للنظام . وقد اتخبروه مرافصا لأننا ، واتماقرونا أحدها بالآخر لأنهما أبرز من الحفل شخصية وأرفع مكانة . والبالغ الركب منزل (أنا) تركت قوبنها وتقدمت الموكب قائلة : « سأهديكم الطريق » ثم صعدت السلم عجلي وتركزت موكب المدعويين ينقل خطاه في ونا وبطاء . ثم فتحت الفتاة الباب وأفسحت الطريق للمدعويين فدخلوا مشدوهين مأخوذون بحولهم في الأثاث الفخم ، وتدورهم وسهم في البيت الأنيق . وكانت قاعة الطعام لا تتسع المدعويين فدخلت المساندة في البهو ونظمت فوقها أداة الطعام وأبنته ، وصفت عليها دوارق الصهباء فوقع عليها من الشبائك ضوء من الشمس لآلأ فضاها وشمعت سناها دخل النساء غرفة النوم يتخلن ما عليهن من قبعات وشيلان ؛ ووقف الأب توشار على العتبة يتخلن النظر الخبيث إلى السرير الواطيء المريض ويشير إلى الرجال بيديه إشارات الجون والدعابة . وسار الأب (تاي) الوقور وقبعته في يده ينتقل من غرفة إلى أخرى وهو ينظر إلى أمات ابنته الفخم نظر المزهو الفخور ، وبلحظ قطع الرياش لحظ الفاحص المقدرو هو عشي مشية قيم الكنيسة في أمهات الكنيسة . وكانت (أنا) لانفتا ذاهبة آية

للشدهاء ، فتح الباب فجأة ودخلت أنا عليها أغفر الحلال ، وفي أصابعها أنفوس الخواطم ، وعلى رأسها قبعة مُمراشة ؛ وكانت في هذه الزينة عذبة الروح خفيفة الظل ، فوقمت على صدر أبيها وأخذت بمنقه فدم تلح له وقتنا ليقول : (أف) ، ثم ألقت بنفسها بأكية في أحضان أختها ، ثم غيضت دمعها ومسحت ما سال منه وجلست إلى المساندة وطلبت طبقاً لتشرب الحساء مع الأسرة . وفي هذه المرة تخن الأب (تاي) وتطف ، حتى باكي ابنته رقة ورحمة ؛ ثم قال مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا حسن ! » وحينئذ أخذت أنا تذكر ناجات لأجله : ذكرت أنها لا تريد أن يقام عرس روز في سنت أودريس ، وإنما تريد أن يقام عندها وتتحصل هي أكلان الزفاف فلا تكلف أباه شيئا . لقد أضيضت النية على هذا الأمر ، وُجمت الأهمية لسل شيء ، وقدمت النفقة عن كل عمل . فقال الأب مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا حسن ! » ولكن شيئا من الشك تخالج في صدره فقال : ليت شعري أيقبل آل توشار هذا الاقتراح ؟ فأجابت روز وقد بنتها هذا السؤال : ولم لا يقبلون ؟ أترك لي الأمر ، وسأذهب إلى فيليب فأكله فيه . وفي اليوم نفسه ذهبت روز إلى خاطها فيليب وحدته في اقتراح أنا فارتاح له ، وعرضه على أبويه فافترو في وجههما السرور طمعا في غداء هنيء مريء لا يتكلفان له كلفة ؛ ثم قالوا : « لا ريب أن الحفل سيكون هناك أغم ، فان السيد دبوا يتقلب في الرخاء ويتمرغ على الذهب » ثم استأذنا في أن يدعوا صديقتهما الآنسة فلورنس طاهية الأسرة التي تسكن الطبقة العليا من المنزل ،

طالب أمه ، ونهض باسماً والتفت إلى (أنا) على سبيل
الأدب والتظرف ، وبحث عن أغنية من الأغاني
التي تناسب مقتضى الحال وتوأم جلال المأدبة .
وأخذت (أنا) هيئة السرورة وتطرحت إلى الوراء
على كرسيها لتسمع . وبدأ على الوجوه المصغية
اقترام من السرور والبهيم ؛ وأعلن القى القى أنه سيفنى
(الخبز الملون) ثم دور ذراعها اليمنى على صورة
قرص وأخذ ينشد :

إن الخبز المبارك هو ما تصنعه الأرض ؛
ولا بد أن نقتله بسواعدنا الفتية !

ذلك هو خبز العمل القى يقدمه الرجل
الصالح في المساء إلى بنيته وهو جذلان مقتبط .
ولكن هناك خبز آخر يفتن النفوس ويغوى :
ذلك هو الخبز الملون الذي زرعه هلال كناجهنم .
أيها الأطفال لاندسوه ! إنه خبز المار والخطيئة .
أيها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملون !

انفجر الدعويون بالتصفيق وأطالوه في حدة
وشدة . وقال الأب توشار : « ذلك شيء في محله » .
وأدارت الطاهية الدعوة في يدها قطعة من الخبز
ونظرت إليها في حنان وإشفاق . وقال السيد سوفتني
متمنماً : « حسن جداً » . ومسحت البسة لاهوندا
عينها بفوطتها . وأعلن الرئيس أنه سيفنى القطوعة
الثانية ، وانطلق ينشد بها بقوة وحمية :

احترموا ذلك البائس الذي حطمته السن العالية
فجاء يستندى الأكف على قاعة الطريق .
ولكن احتقروا ذلك المتبطل الذي يترك العمل
وهو صحيح البدن جم النشاط ثم يمد يده للذوال .
إن الاستجداء مع القدرة سرقة من المنتج

ترعى النظام وتستعجل الطعام وتوفر الجلال المأدبة
وأخيراً وقفت على صيد غرفة الطعام الماطلة
من أمانها وساحت في القوم : « تمالوا هنا بأجمعكم
لحظة ! » فسارع إليها الاثنان عشر مدعوا فوجدوا
اثنى عشر كوباً من خمر مادي مصفوفة على صورة
الأكليل فوق منضدة عالية ؛ وأخذ كل من العروسين
بخصر الآخر ووقفا في أحد الأركان يتبادلان
القبل ؛ وظل السيد سوفتني يتمعد (أنا) بالنظر مسوقاً
بتلك الرغبة وذلك الرجا الذين يحركان الرجال
حتى الشيوخ والمسنوخ إلى النساء الحسان كأنما
يفرض على الأناث واجب الحرفة والزام الصنعة أن
يترن عن شيء منهن للذكور

أعدت المائدة وجلس إليها القوم : أهل الزوجين
في طرف ، وبقية الناس في طرف ؛ وتصدرت
في اليمن الحماة ، وتصدرت في الشمال العروس ؟
وأخذت (أنا) تجمل بالمها إلى المدعوين أجمعين فلا
تدع كاساً تفرغ ولا طبقاً ينقص . ولكن رهبة
الاحترام ووازع الاحتشام اللذين بهما في
النفوس فغامة المسكن وأبهة الخدمة ، ألجأ الأفواه
وشلا الجوارح . إنهم يأكلون أشد الأكل ،
ويطعمون أجود الطعام ، ولكنهم لا يعزحون
ولا يعزحون كما يفعل الناس عادة في ولأثم
الأعراس . كانوا يشعرون بأنهم في جو تشيع فيه
مهاة الجلالة فبرمت الأم توشار بتلك الحال ،
فهي بطبعها دسابة تحب الزاح وتطلب الضحك ؛
وأرادت أن تسرّي ذلك الاقتباس عن القوم ،
وكانوا قد أتوا على ألوان الطعام ووقفوا على
الحلوى ، فطلبت إلى ابنتها فيليب الرئيس أن يبنى
المدعوين أغنية ، وكان قد ذهب بحمته في الحى أن
صوته أرخم صوت في مدينة الماهر ؛ فلبى الرئيس

الذي أوهم عظمه الكبير .
وسرقة من العامل الذي قوس ظهره العمل .
خزى لمن يمشى على خبز الجول والكسل !
أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملون !

لم يرد البيت الأخير إلا الخادمتان والأب
توشار . أما (أنا) فقد انتسفت لونها وكسر طرفها
الغنى ، ولف رأسها الحجل . وأنا الزوج الغنى فقد
ملكه الدهش وظل ينظروا إليه نظرا ذاهل يحاول
أن يعلم السبب في هذا الفتور المفاجيء . وألقت
الطاهية قطعة الخبز من يدها كأنها مسمومة .
وحاول السيد سوفتئين أن يتخذ الموقف فقال : إن
القطع الأخير شديد مفرط في الشدة . وطنى الدم
في وجه الأب تاشي فاحمر حتى أذنيه ، وتسمر القضب
في عينيه . وصاحت (أنا) في خدشها بصوت
يهدهج البكاء وبيلله الدمع أن يقدموا الشمبانيا .
وسرعان ما تنطلقت وجوه القوم وثابت الى نفوسهم
البهجة . وكأن الأب توشار لم يروم يحس ولم يع ،
فظل يردد بين يديه قرص الخبز وهو ينشد :
أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا هذا
الخبز الملون !

ورأى المحتفلون قناني الشمبانيا بأقنعتها الفضية
على أيدى الخدم فهبت في نفوسهم ثورة الماضية
وزبحر في حناجرهم صوت الرعد وصاحوا منشدن :
أيتها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملون !

الزيات

المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نعد في أجل المباراة
في الأفضولة لوقوع الأجل الأول في أزمة الانتجانات .
فتزولا على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخر يومه

نفض القوم أجمعون واقفين حتى الخادمتان ،
وأخذوا يرفمون عقائرهم بالبيت الأخير . وكانت
أصوات النساء الناشزة الحادة تقطع أصوات الرجال
الرزينة الممتلئة . وكانت العمة والروس تكيان أحر
بكاء ، والأب تاشي يخط في صوت كصوت البوق
المزدوج ؛ والأب توشار يردد جازعا بين يديه قرصا
من الخبز ، والطاهية الصديقة ترسل عبراتها
الصامتة على قطعة الخبز التي لا تزال تكابد في يدها
العذاب ؛ وقال السيد سوفتئين في وسط هذا
الجزع المدمم : « ذلك هو الكلام الحر والغزى
الصحيح ، لا ما كنتم تريدونه من المجون والدعابة »
كذلك أدرك التأثير (أنا) فأرسلت قبيلتها إلى
أختها ، وأشارت إلى زوجها إشارة الإعجاب والودة ،
تردد بذلك أن تهنيئها به . ومادت بالفتى نشوة النجاح
فأخذ يفتي القطوعة الأخيرة في حماسة وطرب :
أيتها العاملة الحسنة ! كاشي بك تصيحين وأنت
في ما واثك التواضع إلى صوت الخادع النغوى !
اذهي لشأنك يا مسكينة ! اتركيه ولا تتركي الآلة .
إن أهلك هم أنت ؛ فسمادتهم فيك وبك .
هل تجددين في الترف الحزى والبنخ الأثيم جمالا
ولذة حين يرسل إليك أبوك في نفسه الأخير
لعنته ودعوته ؟
إن خبز الخطيئة والحزى معجون بالدموع !

ليلى

لداستان ابراهيم عبدالقادر المازني



أمام عينها ، كشر يسط السينا ، ما كان من أمرها إلى الساعة ، فقد تخرجت في المدرسة السنية ، ولسكنها لم تشتغل بالتدريس ، فقد أحبت فتى رشيقاً أغراها بنفسه ، ووعدها بالزواج ، وكرر الوعد ، وأكده ، وأقسم على الحفاظ — وما أسهل بذل هذه الوعود على الشبان — حتى فاز منها بما يني . وألحت عليه تطلب منه الوفاء ، وتوسلت إليه ، وبكت ، وقبلت يديه ورجليه ، ولم يكن هو ينوي الوفاء ، ولا كان في وسعه ، فما كان سوى عامل في مصنع ، وإن كان مظهره يوم أنه من الوجهاء . ولم يكن يدرك ما تورط وورطها فيه — وماذا عسى أن يخشى مثله ؟ ولسكنها هي كانت لا يخفى عليها ما هي صائرة إليه من الفضيحة ، لا محالة ، إذا لم تعجل بالتدبير النقذ . وليتها أطلعت أمها على ما كان من أمرها مع هذا الفتى . . . ولكن ماجدوى « ليت » بعد ثلاث سنوات قضت فيها الحسرة على الأم السكينة ، ولم ترق قلب أبيها الغليظ ؟ وكانت ليلى تخشى ضعف أمها ، وقوة أبيها ، فلم تجد أمامها إلا فاتها تاتي بنفسها عند قدميه ، باكياً ، متوسلة ، وهو يرى تضعضهما هذا ، فيتعجب ، ويتفطرس ، ويتحكم ، ويدعوها أن تفر منه . وتتردد هي وتحجم عن هذه الخطوة الحاسمة التي لا رجعة بعدها إلى أهلها ، فإن أباه عنيف عنيد ، يؤثر أن يقتلها على أن يقبلها في بيته . بل هو لا محالة

وقفت « ليلى » أمام المرأة ، تصلح شعرها وتضع فيه المشابك ، وتسويه براحتها وأنامها ، وتنفي شمرات منه هنا ، وترد أخرى إلى مكانها هناك ؟ ثم تناولت المشبنة وفتحتها ، ونظرت فيها هنيهة ، ثم قلبتها على المنضدة ، ونفضتها بأطراف أصابعها ، ثم تحنتها وراحت تتأمل ما أفرغته منها . ثم هزت رأسها أسفة ، وشرعت ترد الأشياء إلى الحقيقية : المشط والتدليل وثلاثة طوابيع يريد بثلاثة ملاليم . . . لا شيء غير ذلك . . . حتى ولا أجرة التزام إلى عملها الجديد الذي فازت به . وما غناه ثلاثة من طوابيع البريد بثلاثة ملاليم ؟ . . . لو كانت بستة لباعها وركبت التزام من غمرة ؟ فإن السافة طويلة من حدائق القبة إلى شارع سليمان باشا . . . ولو كانت عشرة لباعها أيضاً — لا تتركب — فإن المشى يسهل أن يحتمل إذا كان معها قرش تأكل به . . . كلا . . . لا بد أن تصبر على الجوع وأن تتجهد وتحتمل المشى مع الطوى ، وما بقى سوى يومين ثم تقبض أجراها عن هذا الأسبوع الأول . ولكن هل تستطيع أن تحتمل الجوع وتمب العمل والمشى يومين كاملين ؟ ؟ وأبت أن تفكر في هذا ، وأن تدعه يسط همها ، وقالت لنفسها إن حسبها أنها وُفقت إلى عمل ، وأنه وسعها أن تظل حية إلى اليوم . وهبكت على كرسي وهي تقول : « آخ ! » لا من التمس ، بل مما ستبقى في يومها هذين ، ومر

قالتا إذا عرف الحقيقة ، وإذا أطاعت فتاها ، وفرت . وسيعرف الحقيقة إذا بقيت فالفرار أنجى . وقد لا يكون أنسرف ولكنه سبيل الحياة إذا شاءت أن تبقى حية . وقد كان . فرت مع هذا الفتى وحملت معها في حقيبة الثياب حليها ، وشيئا من حلي أنها أيضا ، وقد نعمها ذاك ؟ فما أقامت مع الفتى إلا أياما في فندق زرى . وكان ظنها أنها ذاهبة إلى بيته ، وأملها أنها ستكون زوجة له فيكون مما يرجى أن تفسر زلتها على جسامتها ، فاذا بالفتى لا يريد إلا أن يقضى أياما في متعة خالصة ثم يلقى بها عظاما بعد أن أكلها لحما ، فكادت تجن ؟ واغتتمت فرصة خروجه من الفندق يوما ، فحمت حقيبتها وأدت حساب الفندق ، وانطلقت على غير هدى . وصارت المسألة « أين تذهب ؟ » بيت أبيها لاسبيل إليه ، وأترأها في المدرسة . . . كلا . . هذا أيضا ممنوع . . وتذكرت وهي واقفة في محطة الترام صديقة لها كانت من جيرانها في زمن الحداثة ، وهي الآن « حكيمة » في قصر المينى . ولكن الحكيمات في هذا المستشفى يبتن فيه ولا يخرجن إلا أياما معلومة ، فما العمل ؟ ولم يطل ترددوا فذهبت إلى « العيادة الخارجية » وسألت تلميذة لقيتها فيها عن صاحبها ، واتفق أنها كانت تعرفها فدلتهما عليها ، وأنبأها أنها تعمل في قسم الزمرد ، وكتبت إليها ورقة بعثت بها مع خادم أو « تمودجى » كما يسمى ، فدعتها الحكيمة إليها . وكانت هذه المرافلة بداية الفرج .

أقامت ليلي بمصدق مع أهل الحكيمة ، وكانتا تلقتان يوم الأحد وبوى الخميس والجمعة ، إلى مساء ، — كل أسبوعين مرة — وكانت ليلي ربما اشتاقت إلى صديقتها في أيام عملها بالمستشفى تتذهب ، في الظهر أو في الساعة التاسعة ، لتراها

وهي خارجة من المستشفى في طريقها إلى «الموستل» حيث الطعام والنوم ، فتجدها دقائق ثم تسكر راجعة إلى البيت . وكانت المسألة التي تشغل البنيتين هي كيف يبنى أن يحيا ليلي ؟ فقد كان مفهوما أن إقامتها في بيت صاحبها ليست سرمداً وإن كانت تنفق على نفسها من نعم ما تبيمه من الحلى ، فإن لهذا آخراً على كل حال . وكان مما فكر فيه أن تعمل في عيادة أحد الأطباء ، ولكن ليلي أشققت أن يراها عنده أحد من أهالها أو معارفها . وخطر لها أن تعمل في مصلحة التلفزيون ، ولكن السعى أخفق ، ولم يجد وسطا الأطباء الذين استمات بهم « الحكيمة » فقد تحول التلفزيون وانقلب « أوتوماتيكيا » فما الحاجة إلى بنات جديدات ؟ وخشيت أن تشغل بالتعليم في مدرسة أهلية فيمتدى إليها أبوها ، وكان خوفها من ذلك عظيما . وأخيراً اقترح عليها طبيب أن تتدرب على الآلة الكاتبة ففعلت وأتقنت ذلك حتى صارت تكتب ثمانين كلمة في الدقيقة ، وأعلنها الطبيب وألحقها بمكتب يتلقى طلبات « النسخ » ، ولكن العمل كان قليلا لأن أكثر ما كان يطلب كان باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وكانت تعرف الانجليزية ، فقد تعلمتها في المدرسة ، فلم يسمعها إلا أن تتدرب على كتابتها على آلتها ، وسهل عليها بعد ذلك أن تستطيع نسخ « الفرنسية » أيضا فإن الحروف واحدة وإن كان جهلها بهذه اللغة قد جعلها أبطأ . غير أن السرعة يمكن أن تحيى مع الوقت

واستغنت على الأيام عن المقام في بيت صديقتها وإن كانت صلها بها قد بقيت وثيقة ، فان فضالها عليها كبير ، وجعل صنعها معها ليس مما يججد ، ولا مما ينسى حتى لو زعت نفسها إلى الكفران . وأقلس المكتب فانتقلت إلى سواء بعد عشاء

تمهاني . كن شفيبي عندها »
فقال : « لو كان الأمر لي لما تقاضيتك شيئاً
قط . ولكنك ترففين زوجي . ولست أعرف لي
حيلة »

قالت : « ولكن كيف أستطيع أن أعطيك
اليوم شيئاً ؟ لا أعرف أحداً أقترض منه .
ولا يمكن أخذ شيء من المكتب . إني جديدة فيه »
فقال : « اسمي ... لو لم تكوني بلهاء لأمكن
تذليل كل هذه المصاعب ... ولكني لم أوفتاة
مثلك »

فقالت : « ماذا تعني ؟ .. كيف يمكن تذليل
المصاعب ؟ »
فأراح كفيه الفليطيين على كتفيها وقال : « أنا
أستطيع أن أدبر الأمر إذا طأوعتني »

قهزت رأسها غير فاحمة فقال : « تعالي ... »
وطوقها بذراعه ، وأدنى شفتيه المطولتين
من فمها ، غاولت أن تنأى عنه ولكنه جذبها
إليه بقوة ، غولت وجهها عنه ، فذهبت شفاته
تبتان في نحرها ، وكنتفها ، وكانت يده اليسرى
تتحسس صدرها وتقف وتتكور على ثديها الراسخ ،
فكاد عقلها يطير ، وتفلطت من عنائه بمنف ،
وارتدت راجمة إلى آخر الغرفة وهي تلهث وتنهج ،
كأنما كانت تجري ، وسدرها يبلو ويهبط كالنوح ،
من جهد المقاومة ومن الغضب أيضاً . وكان هو
ينظر إليها نظر النعمة والغبط ، فصاحت به وهي
ترجف : « إذا لم تخرج من هنا قسأً صرخ »

فزام ، وهز رأسه ، وقال وهو يدور ليخرج :
« طيب ... سترى ... إما أن تدفني اليوم
وإلا فأخرجي أنت » فلم تقل شيئاً ... وماذا عسى
أن تقول ؟

على الرغم من أنها أصبحت معروفة في هذا المحيط
— محيط الكاتبات الناسخات . وكانت حليها قد
ذهبت جميعاً في نفقات الحياة ، وأجور التعليم ،
وسد النقص ، وهامى ذى الآن قد التحقت بمكتب
جديد بعد أن ظلت عاطلة شهرين أكلت البطالة في
خلالها القليل الذي كان مدخراً

ونهبته عن الكرمي وهي تنهد وتناولت
حقيبتها ، لتخرج إلى عملها ، وكانت الساعة
السابعة فأمامها ساعة كاملة للدش إلى المكتب ،
وقد عرفت بالتجربة أن الساعة فوق الكفاية ،
ولكن فسحة الوقت خير من ضيقه ، ومضت إلى
بابها لتفتحه وتخرج ، وإذا بنقر خفيف عليه ،
فقالت : « تفضل » فدخل رجل بدين وسلم وقال :
« أراك خارجة »

قالت : « نعم ... » وهمت أن تقول إنها
مضطرة إلى التبكير ، ولكنها كبحت نفسها فأبغته
هذا فقال : « أجرة الترفة عن ثلاثة أسابيع ...
ألا يمكن أن تعطيني منها شيئاً على الحساب ؟ »
قالت : « آسفة . وإني لشاكرة لك هذا الصبر
كله . والعطف أيضاً .. بعد يومين .. أقبض أجرة
الأسبوع فأعطيك شيئاً »

قال : « إنك تخرجيني مع زوجتي . هذا الصبر
الطويل ليس له عندها إلا معنى واحد . وقد
أندرتني اليوم . وعبثاً أحاول أن أفهمها الحقيقة ..
لا تريد أن تفهم . كل ما تعرفه أن الأجرة تأخرت
ثلاثة أسابيع . وكل ما تريده هو أن تؤدي إليها
هذه الأجرة أو تخرجي اليوم »

قالت : « ألا يمكن أن تمهلني يومين اثنين ؟
أني أذهب إذا خرجت اليوم ؟ ليس لي مكان آخر »
فهز الرجل كفيه الفليطيين ولم يقل شيئاً
فدنت منه ليلي وقالت : « أرجو . أرجو أن

« بونجور »

« بونجور ... خذى هذا العنوان واذهبى إليه
حالا ... عمل مستعجل ... اليمينتون ذهب بها
أحمد ... العمل يستغرق يومين ... ثلاثة ... المهم
الاتقان ... يجب أن يكون راضيا ... فاهمة ؟
فذهبت ولم تسأله أهو عربى أم أفريقى ...
وماذا يهم ... ؟ كله عمل ... آلى ... ودخلت
الشقة فاذا هى بيت لا مكتب ، وقالت للخدام
النوبى : « إنى من محل ... »

فاكتفى بأن يشير إلى غرفة المكتب فجلست
على كرسى من الجلد كبير وثير ، وأدارت عنها فى
الغرفة فلم تر فيها أثاثا غير كرسى آخر كالذى
جلست عليه . وحول الجدران رفوف كثيرة عليها
كتب لا تحصى ، وثم فى الركن مكتب أنيق ،
وفى وسط الغرفة منضدة صغيرة ، مما يستعمل
للشاي ، وضمت عليها « اليمينتون » فتوقعت أن
ترى رجلا على السن وأدهشها أن يدخل عليها
شاب يناهز الثلاثين وان تمل أن هذا هو الذى
جاءت لتعمل له ولتنسخ ما يشاء

وقال بركة لا تكلف فيها : « قهوة ؟ »

قالت : « أشكرك ... فها بدم ... ماذا تأمر ؟ »

فقال وهو يناولها ملقا ضخما : « فى كم يوم

يمكن الفراغ من نسخ هذا كله ؟ »

فقلبت الأوراق ونظرت فى الخط والسطور ثم

رفعت رأسها إليه وقالت : « صعب أن أقول كم

يستغرق ... ولكن ... بعد ورقة أو اثنتين أستطيع

أن أحكم حكما قريبا من الصحة »

فهز رأسه وهو يبتسم وتحوّل عنها ثم كأنها

خطر له خاطر فدار على عقبه بسرعة وسألها :

« يهودية ؟ »

فابتسمت له ، وقالت وهى تهز كتفها :

« لآنى شقراء ؟ »

فقال : « إذن أنت ؟ »

فأراحته من عناء التخمين وقالت : « مسيلة »

فقال وهو يهز رأسه بعنف كأنها وجد ما يسره

من حيث لم يكن يحسب : « أنا أيضا مسلم »

فلم تقل شيئا واجترأت بالانقسام ، وشرعت

ترفع غطاء « اليمينتون » . وتركها هو وذهب

فجلس على الكرسى الآخر ثم رآها تالتت فى الغرفة

فنهض وهز رأسه مستفسرا ، فنهضت هى أيضا

وقالت : « لا تمتب نفسك ... أظن أن فى وسى

أن أجيد كرسيا من الخيزران فى ... »

فقال وهو يمدو الى الباب : « بالطبع ... أما

إنى لمفعل ... »

وعاد بالكرسى وهو يقول ضاحكا : « لكنا

كنت أظن انك ستجلسين القرقصاء وتكتبين على

حجرك . ! ! لم تنهدى ذلك العهد بالطبع ...

لا يمكن ، فانك ما زلت صغيرة .. أوه جدا ..

ولكى أين تملت الكتابة على هذه الآلة ؟ مضرة

إذا كنت أنطفل ولكن المصريات يندر .. جدا أن

تمنى واحدة منهم بذلك »

قالت : « ولكنى استطعت أن أنمل .. صنعة

فى اليد أمان من الفقر » وابتسمت

فقال : « أهو ذاك ؟ مضرة .. كان سؤالى

فضولا متى لا يفتقر .. سامحى »

فسرها منه هذا الأدب ، وقالت : « ليس

هذا سرا .. ألسنت أعمل .. لست هاوية بالطبع »

فقال : « إذا كنت تملين فى مكتب .. فانك

ولا شك تعرفين لغة أجنبية أو اثنتين ف ... »

قالت : « أعرف الانجليزية ، وأصبحت أعرف

من الفرنسية ما يكفى للنسخ ... وأنكلمها أيضا

فانبا جميعا نكلمها هناك »

بالروايات والقصص ، ولكنها منذ ثلاث سنوات لم تقرأ رواية ، وإن كانت قد ذهبت مرارا الى السينما — وهي مطمئنة بأن أباها من ألد أعداء السينما ومع ذلك كانت تتحرج وتلتقي على وجهها نقابا خفيفا شفافا ، حتى حين تمشي في الطريق كانت تنتهب زاحمة أن هذا وقاية من الشمس والتراب

ولم تشمر بعبد الحميد — فقد كان هذا اسم — حين دخل عليها ووقف ينظر اليها أكثر من دقيقتين . فلما رآها لا تلتفت اليه ، ولا ترفع عينها عن الورق ، ولا تتمهل أو تتباطأ في العمل قال : « مئذرة ... إن هذا انتحار »

فرفعت رأسها حينئذ وقالت : « أوه ... لم أرك إلا جئت ... كلا ... إني على العكس مسرورة ... وأعترف لك بأن هذه أول مرة سُرني فيها عملي ... رواية مدهشة »

فقال وهو ينحني كنفها عن الرميحون : « قد تكون الرواية أو لا تكون مدهشة ... ولكن أبست على الدهشة ألا يحتاج الانسان الى الراحة . تفضلي وقوي وأرجي جسمك قليلا على هذا الكرسي »

وتناول ذراعها لينهضها ، فقالت وهي تقوم : « صدقت ... أسترخ دقيقة »

فقال وهو يعضها الى الكرسي : « تستريحين تماما ... »

فقالت وهي تجلس على الكرسي : « ولكني أريد أن أعرف بقية الرواية »

فقال : « اضطجعي أولا ... أنا أنص عليك البقية .. ألخصها لك في ألفاظ قليلة »

قالت : « كلا ... هذا يفسدها ... إني أريد أن أقرأها »

قال : « إذن أقرأها لك »

فقال : « أوه لست أريد أن أفتح لك محضر تحقيق ... مئذرة مرة أخرى ... ورفع يده الى جبينه المريض ومسحه وقال : « هذه أول مرة أرى فيها مسألة تستغل بالنسخ (ضحك) أرانا نتقدم ... أليس كذلك ؟ »

وكانت قد شرعت تدق على الآلة الكاتبة ، فاكثفت بالابتسام

وتركها هو بعد ذلك وخرج بعد أن قال لها إن في وسعها أن تطلب ما تشاء من الخادم ... أي شيء ... قهوة ... شاى ... أكل ... كل ما في البيت تحت أمرها

ولكنها لم تطلب من الخادم شيئا ، ولم تعلق راحته ، بل أقبلت على الآلة تدق ، وتدق ، بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وتخرج له من كل ورقة نسختين . واستمرت العمل ووجدت فيه متعة لا عهد لها به في مثله ، فقد كانت هذه ذواقة تنقلها — استمدادا لطبعها ولا شك — وكانت الصور التي يرسمها المؤلف — هذا الشاب الوسيم اللؤب — تتجسد لها ، والمواقف تتمثل ، وهي تدق ، وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وكانت نفسها تجيش بمثل المواظف الوضوطة والاحساسات المصورة ، ففضحك نازعا ، وتحققها العسبرات نازعة أخرى ، وتعمس حيناً ، وترى نفسها تنطق بالألفاظ التي تدقها بقوة وعنف كأنها تمثل ما تقرأ ، أو كأنها كان الأمر حقيقة لا خيالا . وكانت ورقة بعد ورقة تلتقي في السلة على المكتب وهي ذاهلة عن كل شيء . فما قامت مرة ، ولا تمطت لترص أعضاءها المكسدة ، وتحرك أصابعها التي كادت تتشنج وتصلب أو تتخشب ، ولا شرعت بظلم أو جوع ، ولا كان لها بال إلا الى هذه الرواية التي تقرأها وهي تنسخها . ولقد كانت مشغوفة أيام المدرسة

ولم ينتظره بل ذهب إلى غرفة النوم وجاء منها
بزجاجة من الكولونيا رش منها على وجهها الأصفر،
وأقبل على راحتيها يدها وكما دخلت حذاءها
وجوربها، وراح يدها كما أيضاً بالكولونيا،
ومحمد واقف ينتظر، وينظر الأوامر التي لا تصدر،
ولا يصنع شيئاً

وبعد لآي ما بدأ الدم يعود إلى وجهها المنقوع،
فتنفس عبد الحميد الصمداء واطمان، وفجئت لبلى
عينها وأجالتهما في ما حولها بفنور، ثم تهتد
ووسعه أن تتكلم

فقالت: «لم يحدث لي هذا أبداً»
فقال بشيء من العنف: «كان جيلاً جداً أن
يحدث لك هذا في الشارع... هه؟»
فابتسمت وقالت: «أشكرك... إلى أسفة...
هذه أول مرة»

فقال: «محمد... خذ هذه الزجاجة وضعها
في مكانها... والآن لا يسعى، وقد خرج محمد،
إلا أن أوجه إليك سؤالاً ثقیلاً... إرداً في الحقيقة...
ولكنه واجب... متى أكلت آخر مرة؟...
احذري أن تكذبي»

قالت: «لاداعي للكذب... أمس الظهر»

قال: «لقد ظننت ذلك...»

قالت: «كيف عرفت؟»

قال: «أوه المسألة في غاية البساطة... ليست
مسألة فراسة، ولكنها مسألة ضم قريئة إلى
قريئة... وأتترف أنني مررت بمكتب...
واستدرجت صاحبه إلى الكلام منك، فقال إنك
معروفة في مكاتب النسخ، وإن كنت من الجديبات
عنده... هذا يومك الخامس في مكتبه... وأنتي
عليك وطمانتي كأنما كنت أحتاج إلى ذلك...
فلما أغشى عليك الآن أدركت أن هذا من التنب

قالت: «تعب... دعني أقرأها أنا... وأنا
أستريح»

قال: «بعد الغداء... الوقت طويل»
فقالت: «الغداء؟ كلا! اسبح لي أن أخرج
ثم أعود في الساعة الثالثة... كالعادة»

قال: «ولم لا تبقيين وتنتدين هنا؟ قولي
إنك باقية»

قالت: «لا أستطيع... سأعود بالطبع بعد
الظهر...»

وكانت تعلم أنها مفلسة، وأنها لا تستطيع
أن تذهب إلى بيتها - حيث ذلك الرجل الخشن
النفطع - وهبه ليس فيه ما تصنع هناك؟ وإذا
لم تذهب إلى البيت فإن يمكن أن تذهب؟ هذا
شاب يمرض عليها أن يطعمها وأن يريحها من
الآتياب التي تمزق أحشاءها، ويعفها من الشعور
الثقيل بالقرص والعض في جوفها، فلم لا تطيع
وتقدم وتأكلي؟ وأحسنت وهي تدير هذا في نفسها
بالدموع تفرق في مآقها وتخفقها، وخشيت أن
تخونها قواها وأن تغلب العسيرة أمامه، فقرضت
أسنانها وشدنت أعصابها، ونهضت متحاملة
على نفسها

فقال: «إلى أين؟ لا يمكن أن تخرجي...
عيب... لا يليق»

فقالت بضغف - فباقيت في بدنها ذرة من
القوة بعد أن أنفقت البقية في المكابرة: «أرجو...»
ولم ترد قد هوت كالخلة أو كأنها ثوب فارغ
ولم يكن هذا مما يجري لصاحبتها حساب،
فلم ينتبه إلى ما حدث إلا بعد أن ارتعت على الأرض
- بعضها على الكرسي وبعضها على السجادة -
فأنحى عليها وحملها وأراحها على الكرسي، وخرج
يمدو ويصيح: «محمد... محمد... تعال حلاً...»،

وتملك في عيني .. ولكنها تكلف على كل حال»
فقال مستغربة : « تكلف ؟ أبدأ »

قال : « إن الذى أعنيه هو أنت الشجاعة
لا تكون إلا تكلفاً .. شئ يجعل الانسان نفسه
عليه .. هذا ما أعني »

فقال : « ولكنى لست فاعلة »
قال : « نؤجل الدرس إلى وقت آخر ؛
ونتحدث الآن عنك .. قولى ما اسمك ؟ »
قالت : « فريدة »

قال : « ينطقونها في المكتب (فريدا) ...
ما علينا .. هل هذا اسمك الحقيقي ؟ »
قالت : « لماذا تظن أنه ليس اسمي ؟ »

قال : « ما رأيت من شجاعتك يجعلنى على
هذا الظن ... أنت بنت ناس »
قالت : « كل الناس أبناء ناس »

وتضحكت ، فقال : « أعني أنك تشعرون بكرامة
محرمين عليها »

قالت : « هل أنا الوحيدة التى تفعل ذلك ؟ »
قال : « أعترف أنى أنهزمت ... عندى كلام
كثير ... حجيح ... ولكنى أوتر الهزيمة ... فما
قولك في أن تكون صريحين ؟ »

فضحكت .. ولم يكن ضحكها سروراً بل عن
شعور بالضعف وبالأضطراب الذى أدركت أنه
سيدفعها إلى الاعتراف بكل ما في نفسها . فقال :
« قولى لى اسمك الحقيقي ... سأحفظ به »

فأقرت من حيث تريد المكابرة وقالت :
« ولكن ما الفرق بين اسم واسم ؟ .. كله اسم »
قال : « ها .. لقد صح ظنى ... والأآن

ما اسمك الحقيقي ؟ .. لقد وعدتكم بكتمانها ، فهل
تستطيعين أن تتقي بي ؟ »

قالت : « نعم ... لىلى »

والجوع .. ألا ترين أنى أصلح للقيام بدور سنسكر
أو سركوك هولمز ؟ »

فضحكت وقالت : « لماذا سألت عني ؟ .. »
فقال : « قبل أن أجيبك يجب أن تنتظري
قليلاً حتى أعود إليك »

وخرج وتركها ، فراحت تفكر مسرورة
في هذا الشاب - نعم هو شاب وإن كان الأرجح
أنه تجاوز الثلاثين - وفي رفته ودعته ، وفي مروءة

نفسه وحسن أدبه ، وفي براعته في فن الرواية براعة
جملتها تعمل كما لم تعمل قط في حياتها .. وفي

وسامته ، وفي هذا السحر الذى ينطلق من عينيه ،
فينفذ إلى القلب ، ثم تهدت أسسفة سحر
أولا سحر .. سينال لاشك أنه يعجب بها ..

هذا واضح .. ولكن ما قيمة هذا الإعجاب ؟
وهيه أحبها ، فما أملها معه إلا أمل الخلية ؟
وهيهات أن ترضى ذلك ؟ ولو كانت ترضى ذلك

لما فاتها ما فاتها من الفرص ولا كانت خسرت
ما خسرت من الأعمال ، فما كان أكثر أصحاب
الأعمال الذين طعموا في هذا النوع من العلاقة ،

فلما خيبت أمهم ألغوا بها في الشارع .. وحسبها
زلة واحدة في حياتها أورتها هذا الشقاء الطويل ...
واختصرت زفرة طويلة ، فقد دخل في هذه

اللعطة محمد وأمامه سيده - الخادم يحمل ساطانية
متوسطة فيها سرق ، والسيد يحمل فوطه

وقال السيد : « اشربي هذا .. حالا .. »
وطرح الفوطه على حجرها ، ففعلت كما أمر ،
وقال لها : « هذا يكفي الآن .. بعد طول الطوى

يحسن التخفيف حتى لا تندي المدة »

فقالت وهي تضحك : « لا تبالغ .. إنه يوم
واحد ليس إلا »

قال : « هذه الشجاعة التى تظهر بها تسرنى

وعرف اسمها الكامل ، واسم أبيها أيضاً ،
فقال وهو يمسح جبينه : « انتظري ... أليس
والدك هو الذي كان ضابطاً في الجيش ؟ »
قالت : « هو بعينه »

قال : « وكان يسكن في شارع ... »

قالت : « هذا هو البيت الذي ولدت فيه »
قال : « غريب .. لقد كان أبي رحمه الله صديقاً
جداً لأبيك .. ولداها بـلنقيان الآن ! غريب ؟
وماذا حدثك على ترك أبيك ؟ أسمع أنه كان عتيقاً »
قالت : « لأنني خفت عنفه .. اسمع .. سأفص
عليك حكايتي كلها .. لم يبق بد من هذا .. وأحبيني
بمذلك إذا استطعت .. ربما كان هذا لازماً لتشتفي »
وقصت عليه الحكاية ، ولم تكن شيئاً ، ولم
تحاول أن تهون من زلتها . كان يصني وهو مطرق ،
فلما فرغت قالت : « والآن يمكنك أن تبغني أنك
دفنت حبك المبالغ لهذه الفتاة الطائشة »

قال : « لقد كنت نخبية .. ولست أدفن جي
لك ؟ ولكنني أنوي أن أعلنه ، فهل تسمحين لي
بأن أطعم أن تحبيني يوماً من الأيام ؟ »

فأطرق تفكر ، فقد أساءت فهم ما قصد إليه
وتوهمت أنه يريد لها كأرادها غيره ، خلية ، وشعر
هو من إطرافها أن معنى كلامه ليس واضحاً ،
وشجبه تردددها الظاهر ، فقال : « إني لا أرى
أني أستطيع أن أعيش بعد اليوم بدونك ، فهل
تقبليني زوجاً ، على أنت تكون الطاعة مني
والحب ، ولا يكون منك إلا ما يسمح بالأمل في
أن تحبيني يوماً ما ؟ »

فصاحت : « ولكنني أحبك من الآن ؟ »

وندمهما فما بقي لهما مقام معهما !

ابراهيم عبد القادر المازني

قال : « ليلى .. ليلى ما ذا ؟ »
فكانت : « ألا تمنيني ؟ .. لست أشعر أنني
أستطيع المقاومة إذا ألححت ... ارحم صفتي »
فقال : « بالطبع ... معذرة ... لست أريد
أن أستغل ضعفك ... كلا ... اغفري لي فضولي
فانه ليس عن خسة بل عن .. »

وأمسك متردداً ؛ فقالت وقد رأته تردده
وأدركت بفرزتها الذكبة ، دلالة : « عن .. »
فقال : « عن حب .. لقد قلتها ... قولي عني
مغفل ... ما شئت قوله ... ولكنها الحقيقة ...
وقد استرحت الآن .. رفعت عن صدري حجراً ..
تنفست .. عجيب ولا شك .. هي دقائق رأيك
فيها .. ولكنني مع ذلك أحببتك كأني عرفتك من
قبل أن أخلق ... كأنما كنا معاً في عالم آخر قبل
هذا .. ولست أقول هذا لأخذك ، وإني لأعلم أن
الرجل يستطيع أن يخدع المرأة بتمثيل دور العاشق ،
ولكنني لأحاول خداعك ، ولا مطعم لي فيك ..
كل ما أعرفه أنني أحببتك .. قد يكون هذا
شموراً وقتياً يفتر بعد قليل أو كثير ... وأني حب
لا يفتر ؟ .. على كل حال لأعلم ... أعرف فقط أنني
فوجئت بهذا الحب الذي غمر نفسي وشاع فيها
علواً وسفكاً ... انتظري إليه كيف شئت ...
باستخفاف إذا أردت إذا لم يسلك غير ذلك ...
ولكن صدقيني .. فاني أحتمل الاستخفاف ولكنني
لا أستطيع أن أحتمل التكبذب .. كلا .. »

فكانت ببساطة : « إني أسدقك »

فصاح بها : « إيه ؟ »

قالت : « ألم تسمع ؟ هات أذنك وأما أصبح
لك فيها .. صدقتك ... هل سمعت الآن ؟
لا لا لا لا لا ... صدقتك معناها صدقتك فقط ! ! »



يَوْمِيَّاتِي فِي الْإِيفِ

لِلأستاذ توفيق الحكيم

١٨ أكتوبر

كان أول ما فعلت عقب رجوعي إلى مكنتي أن أرسلت في طلب الشيخ عصفور ، خضر أمان مطرقاً صامتاً فابتدرته :

— البنت ريم تمجيك ؟

فرفع رأسه ونظر إلى نظرة أحسست أنها نفذت إلى أعماق نفسي ، ثم عاد فأطرق ولم يجب فقالت له :

— أنا مستعد أن أطلب للأذن وأعقد

عليك وعليها

فلم يبد حراكاً ، فضيت أقول :

— لو كانت موجودة هنا كنت حالا

وجملت أستحثة على الكلام فلم يخرج عن صمته . وأخيراً رنم بصوت كالمهمس لكنه واضح النبرات :

نهيتك ما انتهت

والطبع فيك غالب

وديل الكلب ما يتمدل

ولو علقوا فيه قالب

فأتمالك أن صحت :

— إخرس يا بهيم !

وأسرعت بطرده ، وقد تبين لي أن لا فائدة ترمي من مثله . ورأيت أن أسأل حلاق الصحة ؛ فاستدعيته وسألته في أمر الرأفة المخنوقة وكيف صُرح بدفنها بدون إذن النيابة ، فقال من فوره :

— وشرفك يا سيدنا البك ما أعرف إن كانت مخنوقة أو محروقة . حضرة حكيم الصحة أمر

بالدفن كالمعتاد

— بدون توقيع كشف ؟

— لو كنا نقمع نكشف بإسمادة البك على كل

بنت كان زماننا توقيعنا من بدزي

— بقي بالاختصار لا حد كشف ولا نظر ..

— الجارى عليه العمل يا سمادة البك أن

حلاقين الصحة في الجهات تبلغ حضرة الدكتور

المفتش بالتلفون . وحضرته قاعد على مكنته هنا

ما عليه إلا أنه يسأل في كل حالة عن سبب الوفاة

وزد عليه في التليفون : ماتت يادكتور موة ربها

أصله يا سيدى الدكتور لما دخلت يدى أسحب الولد لقيتها راحت « عرقطة » ، قمت قلت : « أحرص كفى بشوية تين » . ومدت للطبيب بدا ملونه « بالتين » قد بدت منها أطراف طويلة سوداء . وقال لى الطبيب : « إن الداية تولد المرأة كما لو كانت جادوسة » . وماتت الربيضة مع طفلها واكتفت الصحة بأن سحبت من هذه الداية « الصحة » التصريح ... ولكنها لم تغير النظام وحى . تعلم أن ألوف الأطفال يموتون على هذه الصورة فى كل عام نظرت إلى حلاق الصحة مليا وأدركت أن أرواح الناس فى مصر لا قيمة لها . لأن الذين عليهم أن يفكروا فى هذه الأرواح لا يفكرون فيها إلا قليلا . وطردت هذا الرجل أيضا ، وقلت فى نفسى : إن خير السبل فى مثل هذه القضية أن أعرف مرسل البلاغ الجهول . وفكرت لحظة ، وخطر لى أن أعرض خطه على القاضى الشرعى وهو يتجرى لى بين موظفى حكيمته وبين المحاميين الشرعيين . ولعله هو نفسه قد مر به هذا الخط . ومادمت أعتقد أن صاحب الخطاب أزهري فليكن البحث فى دائرة المحكمة الشرعية . وطلبت فى الحال عبد المقصود أفندى رئيس القلم الجنائى وهو من أصدقاء القاضى الشرعى وكانته أن يرافقنى فى الحال ، ولم يمض قليل حتى كنا فى بناء تلك المحكمة ، فسلنا عن القاضى فدلونا على حجرة أمام بابها « قيقاب » ؟ فهمس عبد المقصود أفندى فى أذنى أن فضيلته لا شك كان يتوضأ كى يصلى الظهر . وسرد لى فى عبارتين مبلغ ورع هذا القاضى وزهده . وضر بنا على الباب ودخلنا ، فرأينا القاضى خالما جيته وحماته وهو جالس على حصير الصلاة ، وبين يديه طبق به بلع من نخلة رأيناها مثمرة فى فناء المحكمة . فلما رأنا

يقوم يقول : ادفن ، ادفن ، ادفن ...

— ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله !

ولم أرفأ فائدة كذلك من البحث مع هذا الحلاق فأنا أذكرى الناس بحلاق الصحة . إن كل منهم أن يقبضوا من أهل المتوفى خمسة قروش ويحصلوا لهم على الاذن بالدفن دون أن ينظروا فى وجه جثة أو ينتقلوا الى منزل . إن هم إلا سمسرة « دفن » ، وحتى مع فرض وجود التزبه منهم الذى يريد القيام بواجبه فيذهب للكشف على الجثة ، ماذا يستطيع مثل هذا الجاهل أن يستكشف ؟ إنه سبرى رجلا أو امرأة قد فاضت روحها وليس بها إصابات ظاهرة . فكيف يعرف أن الوفاة مشتبه فى أمرها ؟ إن « نظام » حلاق الصحة نفسه ، هذا النظام الذى لا تعرفه أية دولة على بسيط الأرض هو موطن الداء . ومثله عندنا نظام « الدابات » وإنى ما زلت أذكر ما قصه على طبيب مستشفى المركز ذات يوم . قال لى إنه دعى الى حالة ولادة عسرة فى إحدى جهات الريف ، فذهب مسرعا فوجد الربيضة ملقاة على ظهرها وقد تملت منها ذراع الجنين وبجوارها عجوز حراء الشعر والشدين ، قالت له إنها « الداية » وأخبرته أن الربيضة قد مضى عليها ثلاثة أيام على هذه الحال بهذه القراع الخارجة منها . فسلنا ماذا انتظرت كل هذا الوقت ولم تحطرى الطبيب ؟ فأجابت : « كنا منتظرين ستر ربنا ، قلنا ربنا ينتعما بالسلامة » . ووضع الطبيب يده فى الرحم فاذا الرحم محشو بالتين ، وإذا مثانة الربيضة قد تهتك وأنها هالكة لا أمل فيها ، وأن المولود قد مات منذ يومين . وأنى نظرة حوله فاذا كومة من « التين » القدر عند أقدام المرأة . فالتفت إلى « الداية » الصحية مستفهما ، فقالت :

للمأمور مرة في العيد فوجد حجيرة استقباله عبارة عن « دكتين » من الخشب فوق كل منهما فروة خروف قدرة وبينهما حصير قديم . أما المرتب الكبير فهو يكنز برمته إلا جنبهات ثلاثة هي كل نفقات الشهر . وفي آخر العام يشتري بالمال المكنوز عقاراً وطنياً . وهو لا يضع ماله في المصارف خشية أن يعرف مقداره . ولا يدري أحد أين يدفنه طول عامه . وأخبرني المأمور أن القاضي وكأنه لم يمت الليل حضر إليه في الصباح المبكر يجري ويقول في تردد :

— مشروع المسجد بلغت لسعادة المدير ؟

فأجاب المأمور في ابتسامة خفية :

— طبقاً اليوم آخر النهار أنا ناوي أقابل سمادته ..

فأسرع القاضي في رفق وتلطف ومال على أذن المأمور كأنما يقضي إليه بسر :

— أرجوك بس . مسألة الخمسة جنبات ..

— مالها ؟ ..

— لا داعي لذكرها ..

هذه الواقعة تمثلت في رأسي فجأة عندما قال لنا القاضي في قلبي : « طلب خصوصي ؟ » فقد قرأت ما جال في نفسه . فهو لا شك قد خاف أن نكون قادمين لطلب تبرع من هذا النوع . فأسرعت أرد إليه الاطمئنان وأخبره أن حضورنا هو لعمل من أعمال وظيفتنا ؛ وأخرجنا في الحال من ملف أوراقنا الخطاب الغفل وعرضناه عليه وحادثناه فيما يريد منه فأنشرح صدره وقال :

— موضوع بسيط . نشر الزنجبيل أولاً .. ثم ننظر بعد ذلك في أمر البلاغ .

وصفق بيده وصاح :

نهض وحياناً وأجلسنا على الكرسي وطلب لنا « زنجبيل » ، ورأى عبد المقصود افندي أن يوفر على مؤونة بدء الحديث ، فالتفت إلى القاضي الشرعي وقال :

— البك وكيل النيابة ، عرضه يطلب من فضيلتك ...

فأجاب القاضي سريعاً في شيء من القلق :

— خير إن شاء الله . طلب خصوصي أو ... وذكرتي حياته وقلقه بقصة عنه قصها على المأمور . قال لي يوماً إن المدير اقترح نحسينا لمظهر المركز ومراعاة للصحة العامة إنشاء متنزه في وسط البلد ، وقد تبرع بعض الأعيان بما استطاعوا التبرع به من مالهم ، وبلغ القاضي الشرعي ذلك ؛ فذهب إلى المأمور وسفه له هذا المشروع واقترح أن يقام بدل المتنزه مسجد لعبادة الله ، وحض الناس على التقوى والصالح ، فأمن المأمور الخبيث على كلام القاضي ونحس لرايه أعظم التحمس ، وقال له :

— لا بد من عرض اقتراح المسجد على سمادة المدير ، وأما متأكد أنه موافق مقدماً ، وزيادة في ادخال السرور علي قلب سمادته نكتب اسم فضيلتك في رأس قائمة التبرعات ، باعتبار أنك متبرع بمبلغ خمسة جنبات . وقد ذكر لي المأمور أنه لم يكذب لفظ هذا المبلغ حتى اصفر وجهه القاضي ولم يجيد ما يقول ولم يستطع أن يسحب اقتراحه وظهر عليه الضيق والحرج ، وقد كان المأمور يتوقع ذلك على الرغم من علمه بيسر القاضي وبسطة حاله . وهذا اليسر لا يبدو على حياته فهو يقطن في شبه حجرتين ، ويكفيه من الطعام قليل من الخبز . مع فلتين وبلعتين . وقد زاره

الكتاب من شيء» فاستكنى الحاضرون فسكت تأديبا لوجود سماعة المدير ولولا هذا ما سكت ورب الكعبة ، ثم استمر هذا الأفتدى في كلام لا هو بالمعقول ولا بالمنقول إلى أن قال إن عالمه النصراني قد استطاع بمادلات جبرية أن يزن الأرض والسما ! فما تمالك نفسي ونهضت وأنا أتتفض وصحت به : « مهلا يا حضرة الأفتدى مهلا ، أخبرنا قبل كل شيء ، هل هذا العالم (شنتون) وزن السموات والأرض بالكروسي أو بدون الكروسي ؟ ... » فارتبك المدرس ونظر إلى قائلا : « كروسي إيه ؟ » فرددت عليه بالآية الشريفة : « وسع كرسيه السموات والأرض ... » أجب أنها المدرس الأفاك ، ها هذا الحاصل والجوهر ، الوزن كان بالكروسي أو بغير الكروسي ؟ ...

فكتمت ضحكي وقلت في هيئة الجد :

— وأخيرا ... ؟

— وأخيرا ياسيدي ... لا شيء ، لم يستطع المحاضر أن يجيب ، واحتج وانسحب ، وضج الحاضرون واختلط الحابل بالنابل ، وغضب مني سماعة المدير واعتبرها إهانة لمجلسه ، وترك الناس المحاضرة وهي المسألة الأصلية والتفتوا إلى اعتدائي على مقام المدير وهي مسألة فرعية ، وتكاثروا على يطلبون إلي الاعتذار ، فاعتذرت ، ولكن مع ذلك أشعر أن من يومها والباشا المدير لا ينظر إلي بعين الرضا ...

وسكت قليلا ثم قال في لهجة أخرى :

— بمناسبة الحالة السياسية اليوم . أطن الوزارة الجديدة ستجري حركة تغيير وتبديل بين المديرين ورجال الادارة كالمعتاد ؟

فلم أكده أفتح في لأجيب حتى دخل القراش وهو نصف شيخ . أعني أنه بليس العمامة على جلباب

— يا شيخ حسنين . استعجل لنا الفراش ثم صمت قليلا . وعاد خيانا :

— أهلا وسهلا . . . حصل لنا الشرف . . . ورأى عبد المقصود أفتدى أن يبدى لي صاته بالقاضي ومعرفة له فأشار إليه والتفت إلي قائلا :

— فضيلته من كبار العلماء الراسخين في العلم ووجه الكلام للقاضي :

— أنا يا فضيلة القاضي لا أنسى يوم المحاضرة لما رديت على الولد المدرس ..

فقاطعه القاضي مستغفرا مستعيذا :

— أخزاء الله . أنا لا أطيق الصبر على الكفر والجهل . والتفت القاضي إلي وقال :

— تصور ياسيدي البك أن هذا الأفتدى مدرس جغرافيا في المدرسة الثانوية أتى فيها محاضرة علمية عن عالم نصراني اسمه « شنتون » قال إنه قد عرف بالضبط وزن الأرض والسما . . استغفر الله العظيم . .

وتأملت قليلا في الاسم الذي نطقه القاضي . واهتديت آخر الأمر إلى أن المقصود به العالم الرياضي « آيتشتين » ، ولذا لي أن أعرف ماجرى ، فهذا من غير شك صراع بين عقليتين واصطدام بين رأسين يحول لثلى دائما أن يشاهده ويقف على مده ، فقلت للقاضي في شيء من الاهتمام :

— وحضرت المحاضرة يا فضيلة الشيخ ؟

— حضرت والأمر لله من قبل ومن بعد

— وماذا حصل ؟

— حصل ياسيدي أن هذا المدرس قام وقال في حضرة الباشا المدير وكبار الموظفين والأعيان إن هذا العالم الكافر قد أتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر ، فقلت وصحت به : « كذاب يا حضرة المدرس ، لقد قال الله في كتابه العزيز : ما فرطنا في

عادي قدر كلابيب الفلاحين ، وهو عارى القدمين .
وقدم لنا فتجانين من طرزين مختلفين قد كسر
مقبضاهما . فشربت في احتراس وأنا أنظر الى داخل
الفتجان خشية أن يكون فيه بدل السكر صرصار .
وفرغنا من الحديث والزنجبيل وبدأنا العمل . وطاب
القاضي أورافاً بخط موظفيه ضاهيناه بخط البلاغ
فلم نجد مشابهة . وعرضنا البلاغ على من في المحكمة
لعل أحداً يذكر لنا أنه يعرف صاحب هذا الخط
فلم نطفر بظائل . وخرجنا من المحكمة كما دخلنا .
ومشينا في طريقنا الى دار النيابة . فقال عبد المقصود
أفندى :

نفرجوا جميعاً . وعاد إلى الأمور يتنفس الصعداء
ويقول في صوت متمب :
— بقي لي يومين بيلتين في القرف ده
وأردت أن أداعبه وأخيفه قليلاً فقلت :
— لكن انت يا حضرة الأمور معروف عنك
انك من حزب الوزارة السابقة
فقال لي على الفور :
— اسكت اعمل معروف . أنا طول عمرى مع
الوزارة الجديدة بقلي ، واللى في القلب في القلب ؛
والأعمال بالنيات
فابتسمت وقلت له :

— نترك السياسة ونتكلم في الشغل
وأخبرته بنتيجة فحص الجثة ووجود العظم
اللاى مكسوراً ، وضرورة البحث عن المجرم في
حناية الحق الجديدة . وطلبت إليه أن يوجه عنايته
لمساعدتنا في الكشف عن الفاعل . فقال في الحال :
— المركز مش قاضى للحقن والحرق
— عجائب . انتم لكم شغل غير المحافظة على
الأمم ؟

— يعنى حضرتك مش قاضى
— لأ مش قاضى ...
— نترك الانتخابات وتلتفت للقتل والحقن ؟..
— طبعا
— ما عنديش أوامر بالسكلام ده
وتركنى وجعل يعث بقيود حديدية وسلاسل
معلقة على حائطه . وغمرني عبد المقصود أفندى كى أغلق
هذا الموضوع . وأراد أن يغير مجرى الحديث فقال :
— البك الأمور يسمح بطلب دفاتر السجن ...
وشعرت أن كرامة عملى في خطر فصرخت قائلاً :

— نمر بالمرّة نفقش سجين المركز ونخلص
فلم أبدأ اعتراضاً . وذهبنا الى المركز فوجدنا
الأمور قد جمع بعض العمدة في حجرته وجعل يشرح
لهم وجهة النظر الجديدة ويصدر إليهم تعليمات بنفس
الحماسة التي كان يبديها في ميده تولى الوزارة السالفة .
فما إن رأى وعلم بالفرض من زيارتي حتى خف
لاستقبالى وأجلسنى في صدر حجرته . وفص مجلسه
وهو يشيع العمدة الى الباب قائلاً :

— فتح عينك يا عمدة أنت وهو . مرشح
الحكومة في الانتخاب لازم يتجيب ، أنا نفصت يدى
وأنتم أحرار . مفهوم ؟
فأجابوا في صوت واحد :

— مفهوم يا حضرة البك
وتردد أحدهم وقال :
— فيه يا جناب البك جماعة مشاغبين أقويا
كلهم مسموعة من العائلة الثانية الكبيرة ...
فدفع الأمور في كنفه دفماً وقال له :
— للشاغبين على أنا ... تفضل

للأمور أخفى بعض الأهل في أودة التبن
فقال لي عبد المقصود في شيء من التوسل :
.. يا بك ، الوقت بطل ، والسياسة متحركة
في البلد ، ما فيش داعي للتدقيق ...
- يعني نترك الناس في الحبس من غير جرم ؟ ..
- يا سعادة البك ، رئيس الأمور هو وزير
الداخلية ورئيس الوزراء في الوقت نفسه ، أما رئيسنا
فهو وزير الحقانية فقط ، وقد سبق أن قضاة
ووكلاء نيابة وقفوا للإدارة في ظروف سياسية
مواقف من هذا القبيل قاموا بتلوهم الصعيد !
- يعني نحفى على دفاتر المركز ونسكت ؟ ..
- يا سيدنا البك ، إحنا حاك تكون أحسن من
مين ... كان غيرنا أشطر ...
- طيب ، قم استمجل لنا الدفاتر والسلام ..
(يتبع)
توفيق الحكيم

- لا يلزم من أفى أفتش بنفسى السجن والمركز كله
ونهبشت في قوة وعزيمة أزججت الأمور .
فتردد ثم قال في رفق :
- تفضل . السجن تحت أمرك ... انتظر
سمادتك دقيقة واحدة
وخرج سريعاً من الحجرة وهو ينادى :
- يا شاويش عبد النبي ...
واختفى عن نظري . ودفعني دافع الى النظر
من نافذة الحجرة تطل على قناء المركز . فرأيت
للأمور والجاويش يسرعان الى السجن والمركز ويفتحنانه
ويخرجان منه أشخاصاً تدل هيأتهم على أنهم من
أهل النواحي ذوي الرخاء ويزجان بهم في حجرة
التبن والذلف ويعلقان عليهم بأبها بالفتاح . فقلت
لعبد المقصود أفندى :
- تمال وطل ببينك ده ولا سجن الباستيل .

بواخر

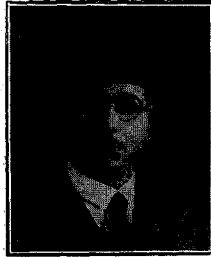
شركة مصر للملاحة البحرية

لماذا يفضلها الناس ؟

لأنها تفوق غيرها بدقة النظام وجودة الطعام
ولأن جميع أسباب الراحة متوفرة فيها
ولأنها قطعة من مصر
ولأنها بواخر شركة مصرية صميمة



من الذين منذ ثلاثين عاما أو تزيد ، ينمقد على رأسه
سجاف قصير من تلك الأقراص التي يتخذها
الفلاحون من روث الماشية ، كأمّا أريد به أن يزيد
هامته بمض الطول ، أو يكسب جبهته شيئا من
الريسة . ولقد عبثت يد الزمن بتلك الأقراص
فتأكلت جوانبها ، وبذلك الحجة الضيقة فتشقق
حتى لتسدو شقوقها كأنها
الغضون في رأس جلاله الشيب
وجمده السنون . على أن ذلك
الكوخ على ضمته كانت تفيض
عليه بساطة من الروح والهدوء
تجمل الأفتدة تهوى إليه ،
وتصبو إلى المبيشة القريرة
الساكنة في جواره



في ذلك الكوخ الضيق
يسكن (طليب) البدوي
وامراته ، وابناها حنظل وراغب ، وبناتها
شروود ، وعز ، وشام ، على أنهم لا يقضون تحت
سقفه إلا ليالي الشتاء ؛ أما في النهار فاهم مضارب
واسع ومتنفس فسيح في ذلك الفضاء المحيط بهم ؛
وأما في الصيف فلم يكن ثمة من سقف يلوم سوى
تلك القبة الزرقاء تربتها مضاييحها اللامعة التناثرة

كانت شجرة التوت الكبيرة التي تقوم على
رأس حقلنا منذ عشرات السنين مقلنا من حر
الصيف ، نأوى إليها إذا اشتد القبط فنقضى النهار
في ظلالها الوارف السابغ ، ولا نمود إلى القرية إلا في
شوء القمر أو في لمح الشفق . كان ذلك دأبنا طيلة
عطلة الصيف لا نغل هذه الدوخة ، بل لا نطبق أن
يتصرم أسبوع دون أن نقضى
يوما إلى جانبها ؛ هنالك حيث
كنا نتم بذلك الهواء الطرى
الرخي الذي تستروح النفوس
نسيانه في أشهر الحر ولا نصيبه
إلا في ظل مرحلة فيناية كذلك
السرحة ، امتد من حولها
الفضاء وانبعسط الأرض
على قيد خطوات من تلك
الشجرة الوارفة الظل تجري

ترعة من تلك الترع الكبيرة التي تنساب في الدلتا
زاخرة في الصيف بذلك الفيض الذي يجعله النهر العظيم
من تلال الحفشة فيملأ به الترع والقدران فتجيش في
أنحاء الوادى بالقوة وتقضي على أرضه الخصب والرى
وعلى مقربة من تلك الشجرة تقع العين على
كوخ متواضع ، يستقبل الشمس إذا طلعت ، أقيم

أو يتبرها القبر الثالث الوضاح

كان شيخ العرب وهذا هو اسمه الذي اعتادته الألبين يقوم على حراسة « الوابور » القائم إلى جوار كوخه ، في بناء لم يتخذ من اللبن كما اتخذ الكوخ ، بل من الآجر التين ؛ وكان شيخ العرب من أولئك الأعراب الذين ينتجعون الرزق في قري مصر ، فلما جرى بذلك « الوابور » أقیم على حراسته بأجر معين . وهو إلى ذلك يرعى الأغنام ويتخذ من أصوافها ومن لبنها أثاثاً وطعاماً ، كما يصيب من بيع صافرها بعض المال

حللنا ذات صباح ذلك القميل الحبيب تحت هاتيك الشجرة ولم يسد من الشمس إلا نصف وجهها ، فأخذ بعض الرفاق من بني العم يبحثون فيما ألقينا على الأرض من متاع ليهبوا لنا الطعام وقد أحسنا الجوع بعد سير ساعة ، وتحملنا على حصر حول الطعام ، فأكلنا في شهية كادت تصل إلى الشره ، وكانت نفوس الرفاق جميعاً تفيض بالروح والهجة ، يزيدم اهتماماً نسيم الصباح الجليل الوافي ، كما كان كل شيء حولنا ينبىء بأننا سنقفى يوماً سميذاً

وأقبل شيخ العرب ، وكان قد ذهب مبكراً في بعض شأنه إلى غربة على بك وهي تقع غير بعيد على الضفة الأخرى للترعة ١ ودعونه إلى الطعام فأصاب منه يسيراً . ولما فرغنا انصرف الرفاق إلى ما اعتادوا من لهو ، فبعضهم ذهب بصيد السمك ، وتأهب البعض للمب الترد ، وكانوا قد جاءوا معهم بصندوقه ، وبسط البعض كومة من التراب ثم خططوها وهياً وللمب « السيجة » . أما شيخ العرب فقد أسند ظهره إلى جذع الشجرة وجلس يذخن وهو

مطرق كأن به هم . وجلس إلى جانبه أحاده وأدابعه كمادى ، فسألته استبطن دخيلة نفسه :

— ما حال إبراهيم اليوم يا شيخ العرب ؟
— ما زال على حاله من الغضب والعنف ، لا يسكت لسانه ، ولا تهدأ ثورته . يهدد ويشوع ، ويقسم الایمان على تنفيذ ما اعترم ، على الرغم من نصيحنا له وزجرنا إياه

كان إبراهيم هذا شريكاً لشيخ العرب في بعض غنائه ، توشجت بينهما أسباب المودة ، وتوثقت روابط الألفة ، وأحبه شيخ العرب حباً شديداً ولا سيما بعد أن خطب إليه ابنته عز . كان قتي في نهاية العقد الثالث من سنى عمره ، طويل القامة في غير إسراف ، ريان البدن في غير امتلاء ، مغتول المضل ، وسيم الحيا ، يرف في مقدمة فوديه وشم عصفوريين باسطي الجناح ، تزداد زرقة لونهما وضوحاً في تلك الحجر التي أشرب بها وجهه الرضى الأبلج . تلمح نيل نفسه في عينيهِ الواسعتين الجليتين اللتين كانتا مضرب للثل في حدة البصر ، وتبين قوة عزيمته وإياه طبعه في أنفه الطويل الأثم وشاربهِ المدهف المبروم ، كما تلمس صرامته وجرة قلبه في سداد نظراته ولهجة حديثه وإشارة يديه . ينظر إليه النساء والمبنيات نظرة الصباة والاعجاب ، ويرمقه الرجال معجبين بفتوته وخفة حركته وروعة قوامه ؛ وهو إلى ذلك ماهر اليد ذكى الفؤاد في كل ما يطلب إليه من عمل ؛ يفلز الصوف في سرعة محببة وإتقان مدهش ، وينسجهم رقماً جملة النقش بهيجة الألوان ، خبير بالنماذج يميز الجيدة منها لأول نظرة ، خبير بما يصيب الغنات من علل ، بصير بما يلزمها من علاج أو حبيرة ؛ يقظ في السوق لا يحدح في شراء ولا

إليها بصره الحسديد ! ولا تنسى هي إذا خرجت
ترعى النعم في متوع النهار أن تلف خصرها الدقيق
بجزائها الأحر الذي غزله بنانه ونسجته كفه ،
ولا تحمل معها غير ذلك العود من شجر اللوز الذي
أهداه إبراهيم يوماً إلى أبيها . وهو يتبعه يبقره
أبناً أجيحت ، حتى إذا اشتد وهج الظهيرة أوبا إلى
شجرة فجلسا بطمان بما حلا منهما من زاد

كان من أبهج الأيام عندنا أن يكون معنا
إبراهيم ، إذ كان يتيح لنا لعبه السبحة مع شيخ
العرب فرجة ممتعة ، كما كنا نطلب إليه بعض
المواويل فنصني إلى حديث قلبه وخلاجات نفسه
يفيض بها لحنه اللقي ، ویرسها في القضاة صوته
القوى ، ولسكنا لم نجد هناك تلك المرة ، كالم
نجد في المرة السالفة

كان آخر مرة لقيتنا ثاراً لا يقر ، مغيظاً مخفياً
كأنه في نوزته الثمر الزجر الهتاج ، وقد اختفى فيه
ذلك الانسان الباش الرزين . ففز من مكانه كالسهم
إذا انطلق فواجه أخته وكانت لدى باب الكوخ
تتحدث إلى عن ، فحلمني برهة في وجهها الذي
مرت فيه صفرة كأنها صفرة الموت ، ثم بصق في
هذا الوجه وهو يكاد يتميز من اليطي ! يحبس
لسانه لكيلا ينطق أمامنا بما لا يليق من فحش
القول ، وهو يحرق الأرم ، وينبئت من عينيه
بريق الشر والقت ، ولولا نظرة ملامة من عن
خفت حدة وردت وثبتت لحظم يديه رأس أخته
التي كانت تنتفض أمامه انتفاض المصفور بأغصه
الصقر ، أو الصبي صور له خياله أنه يبين يدي
شيطان ! ثم التقط عصاه واتخذ سبيله مبتعداً عنا
دون تحية أو التفاته ، وهو يتوعد ويؤكد الأيخان

بغبن في بيع ؛ يشارك الفلاحين في أعمالهم وهو
ذلك الرائي فيجعلهم على الإعجاب به والاعتراف له
بالتفوق ، نخطوطه في زراعة القطن كأنها ضربت
على خيط ، وآراؤه في السباد والبرور وأوقات الزرع
والحصاد آراء الخبير المجرب ؛ هذا إلى ذهن فطن ،
وعقل مبتكر ، يفهم ما يلي إليه أول مرة في سرعة
ويسر ؛ وراه إلى جانب ذلك كله المقدم المتفوق في
القو واللب ؛ ينازل الرفاق في لعبة السبحة فيظهر
عليهم ويسخر منهم ويلب « الحطاب » فلا تخطيء
يده ولا تسكل عصاه ، ويفنى في الأرغول أناشيد
حماسية تبعث في قلوب خلانه الطرب والقوة

تمثل له في عز طيف أحلامه وصورة خياله
فأسلم لها قلبه وأسلم قياده يرى فيها ما لا تراه
عيناه في غيرها من بنات العرب ، فحبهاها الجبل
الصباح فتنة ناظره ، وعيناها الضاحكتان اللذبتان
بهجة فؤاده ، وقوامها المرفف الرشيق شمة روحه ،
وحبا الذي تسكبه على قلبه في حرارة وقوة هناة
نفسه ونم حباة . يرى في آثران خطواتها وسرعة
التفاتاتها صورة من تزوع نفسه وتوذب همته ،
ويحس في حذتها وهباته كفتها ظلاً من مهارته
وكفايته ، ثم يرى في رفق حديثها وهدهود طبعها
ما يمزجه من رفق وهدهود ، وما تنوق إليه نفسه
من سبينة واطمئنان . على أن أهم ما يسمو بها في
عينه طهرها الذي جمعت به بين بأس الرجال ونومة
الأبكار ، والذي جعلها كالوردة في أعلى النمن
تأخذها العين قبل غيرها ولكن يحول دون الوصول
إليها علوها أولاً ، ثم ما يحيط بها هناك من أشواك
يرعى غنايتها في الأرض الفضاء ؛ فيراها عن
بمد وسط غنايتها وحدها أو حمية حظفل أو مع أمها
أو إحدى شقيقتها فيمررها قلبه ، قبل أن ينفذ

الزينة ، وتبالغ في التبرج ، فقد ماها الصديرتان ناعلتان أبداً ؛ وترى نعلها الأصفر الدقيق نظيفاً كأنه لم يس الأرض ، ومن ناطقها الأحمر المحبوك حول خصرها تتدلى على مرطها الأسود اللامع خيوط مختلفة الطول مشكلة الألوان تنتهي بذلاذل تملو وتهبط وتبائل عتة ويسرة كلما خطت خطوة أو حانت منها التفاتة . وفي صغيرتها شريطان ساطعا اللون ممدودان ولكنهما لا يستقران على ردةقها في موضع ؛ أما شنوفها وأقراطها وخواتمها وخالخالها فلم تقتنع في اقتنابها بما دون القضة . وترأها في مشيتها كالظبية تبث في الحقول من حولها السحر والجمال ، فإذا تغنت أو ضحكت أطلقت نفسها على سجيبتها فلاتك حدة نبراتهما وحلاوة صوتهما نشوة وفتنة ، وحمك فيض مرحةا على مشاركتها ولو كنت ضائقا بهما

ولكن الفتیان والرجال لا يذكرونها إلا في تذاخر وهمس ، وتراهم إذا جاء حديثها يتبادلون نظرات الحبث ، ويتناولون عبارات الفخر ، وترى كلا منهم وقد تشككت أسأريه بما يجول في نفسه واختلجت عيناه بما نعى إليه أخيراً من أمرها

راح شيخ العرب يقص على من حديث إبراهيم وأنا مصغ بسمي إليه ، مقبل بمجواصي عليه قال :

— أ رأيت ما كان من ثورته غداة كانت سكينه هنا تمر إلى عن بعض حديثها ؟

— رأيت ذلك خيرني وأزعجني

— إذ آو علمت ما كان بينه وبين زوجها شبل وما دب بينهما من شحنةا وبغضاء ...

قال ذلك وأطرق كمن يثقل رأسه ثم فاستفهمته ما حدث ، فأخبرني أن الرجلين يترص كلاهما بالآخر

وظلت أخته في مكانها لدى الباب واجهة أول الأمر ثم بالبت أن عاودها هذوها ، وانبسطت أسأريها كان لم يكن هناك شيء ؟ ولعلها أرادت بذلك السكون أن تتظاهر أمامنا أن الأمر هين وأن ما يقضب أعاها لا يستحق كل هاتيك الثورة ؛ يبسب أنه لم يكن سكونا متكلفا يحجب وراءه اضطراباً أو إشقاقاً ، فلقد هالتنا في عينها نظرات جريئة غريبة ، نظرات من يحس أنه في موقف البار والخرى ولكنه لا يستشعر ذلك الخزي ، ولا يرى مكان الخجل من حياءه إلا التبيج الباسم الذي يدل على أنه يحس كل شيء ولكنه لا يبالي بشيء

كانت « سكينه » وهذا هو اسمها قارئة الجمال رائمة الحسن ، لطيفة التكوين تحس هذا الجمال وتدرك بغير زتها مدى أثره في نفوس الفتیان والرجال فتصن في الدلال وتسرف في إبداء زينتها ، وليس أحب إلى نفسها من أن ترى ما يفعل جمالها بقلوب الشباب ؛ لها عينان هما السحر أو يقصر عنهما السحر ضائقكتان أبداً ، ساطعتان كأنهما نجمتان جريقتان دجوان تصوبهما إلى القلوب ولا تستردهما من حياء كما تفعل النسوة ، كأنما تريد أن تبهج على جرحها ؛ وما استطاع فتى لمح تينك المينين مرة أن ينسى سحرها أبداً . هذا إلى جبين صقيل وخذ أسيل يبدو مشعباً بالجرة مع ما يسه من سفح الشمس ، وفم ريف كما ترف الزهرة في ندى الصبح تحتاج عليه البسات ، وتقسق بينه وبين عينها النظرات ، وأنف لطيف دقيق إذا تغير قيد شعرة عما هو عليه فلن نواهم تلك القصبات وهي لا تقتنع بما أسبقته عليها يد الطبيعة من حسن فتراها تمن في

حوله أو هلكوا ! بتخيل شديد الحرص ، يحاسب ناظر زراعته على اللطم حسابه إياه على الخنثي ، لا بد كر حسنة ولا ينسى إساءة ، يقيم نفوذه على البطش والجور ، عسوف عنوف لا تأخذه رافة بأحد ، لأنه يرى الرافة ضعفاً لا يليق بمثله ؛ لا يمدل نبوغه في جمع المال من شتى الوجوه إلا مهارته في إحكام الدسائس وتدبير وسائل السكيد ؛ على أنه في اشباع شهواته قد فات كل نبوغ وتمدى كل حد ، حتى ليتلاشى تلقاء تلك الناحية فيه كل نبوغ آخر ! وقل في الناس من تكون له مثل تلك القوة البهيمة التي لا تعرف كلالاً ولا تحس مللاً

رأى. وهو على حمالة إلى عزبته في ثلاثة من رجاله ذات صباح امرأته في ظل شجرة ، فكأنما تلاشت كبريائه بفتنة . سأل رجاله في غير ترفع وفي غير حياء : من تكون تلك المرأة ؟ فأخبروه أنها سكينه الأعرابية فمجب كيف تكون في عزبته ولا يعلم بها ! فأفهموه أنها زوجة «النفرة» الجديد شبل ، فسرت في وجهه أولاً أمارات الارتياح ، ثم علم أنها أخت إبراهيم الأعرابي فامتعض وانقبضت أساريره ؛ وبدا له ، فاستعاد كبريائه وراح يهان سخفه على وجود امرأة في طريقه دون حياء كأنما هان على الناس أمره ، واعتذر إليه أعوانه بشى الماذير فعي أعرابية جاهلة ، وهي لا تعرف أن هذا طريق البك إلى ضراعه ، وهي لن تعود إلى ذلك بعد اليوم ، إلى غير ذلك من وجوه الاعتذار

على أن البك وإن تظاهر بالمرءة في الناس ، تهون عليه نفسه فيما بينه وبين نفسه . وسرعان ما تهاقت على سكينه حتى صارت شغلة الشاغل ، وسرعان ما صار لزوجها الخطوة والمال ؛ وقد عرفت الأعرابية الماكرة ناحية الضعف في هذا التعاطف

يريد أن يقتله ، وأن الأمر وصل بينهما إلى مثل ذلك التفرج والمدوان ، فقد حدث أن لطم إبراهيم زوج أخته أمام جماعة الفلاحين من أقرانه في عزبة على بك ثم راح يكيّل له السباب الملقح الذي يستفز الجبان ، ثم اخفتت من غم شبل عشر نجمات ، ووجدت إحدى بقرته ميتة والأخرى بين الموت والحياة ؛ والناس جميعاً موقنون أنه ما فعل هذا غير إبراهيم بعد أن تهامس أهل العزبة بما شاع عن سيرة أخته ، وهو مصمم إذا أراد ، جرىء إذا اتوى ، عات إذا نفذ ، ليس في العزبة كلها من يخرج على سطوة على بك ويستخف بسلطانه سواء . على أنه اليوم لا يرى شبلأ كفاً لخصومته ، بل إنه لينظر إلى من هو أعظم وأسمى ، ينظر إلى على بك نفسه ويرى فيه غريمه وعدوه الألد . أو ليس يطف اليوم على شبل المطف كله ، ويعدمه بما له ويعفيه من مشاق الأعمال ؟ وكيف يصير إبراهيم بعد أن يتبين أن البك إنما يفعل ذلك كله من أجل سكينه وعيني سكينه ؟ كيف يطبق إبراهيم أن يلقى الناس ويحفظ بينهم بمكائسه وهو اليوم تنبئه الفضيحة أبنا سار ، ويأتيه المار من كل مكان ، ويلقاء الحزى أئى حل

كان على بك من أبواب الضياع ، يتحدث الناس بما كان لجده من ثراء وجاه ؛ ولقد تقاسم بنوه من بعده هذا الثراء الضخم وذلك الجاه المريض فانتهى إلى على بك بن حسن بك منه جانب كبير ؛ ولكن أخلاق جده انتهت إليه كاملة ، فهو شديد الكبرياء عظيم الأنفة غليظ القلب ، ينظر إلى أهل عزبته جميعاً نظراته إلى عبيده وإمائه لا يهيم إلا أنت يشبع بطنه وعلاً جيوبه ، عاش من

الشیطان نفسه ! ولكنه كان لا يفتأ يسب ويتوعد
مملنا في حدة أن الموت خير عنده من تحمل هذا
العار ، وأنه إن سهاون في عرشه فأولى به أن يلبس
ملابس النساء ، ويتخلق بأخلاق النساء ؛ وكان
يقسم لي أنه سوف يبدأ بذبحها كما تذبح الشاة
ما واثته الفرصة لذلك ، ثم ينتقم من عشيقها أبشع
انتقام مهما كانت سلطته ! يقول ذلك وصدره
يعلو ويهبط كما يعلو موج التزعة ويهبط ، والعرق
يتصبب من جبينه ، والشر يلمع في مقلتيه ، وأصابع
يده مشدودة كأنما يريد أن ينشها في فريسة مائلة !
وكان ينفر منا إذا زجرناه قائلا إنه لا يهاب الموت
بل إنه ليعتدئ ليربحه مما هو فيه ! وحتى عز ، عز
نفسها ما كانت تجد سبيلا إلى قلبه ، وكان ينهرها
ويطلب إليها في صرامة ألا تخوض في هذا الأمر ،
وإلا فلن تكون له بها صلة . وسكت شيخ العرب
برهة ، ثم استأنف حديثه قائلا : « تغير المسكين
وكأنما حل عليه شخص آخر ، فهو لا يهنا له
طعام ولا يستقر جنبه في مضجع ، وأصاب غيابه
الهمال لولا ما تحاول عز من عناية بها . يحسب كل
نظرة موجهة إليه إذا سار ، ويحال كل بسمه
سخرة منه ، ويظن كل همس يدور حوله ، ولذلك
تراه لا يقضي مجالس الرجال إلا نفرا من خلصائه
يستمعين بهم فيما يدبر من أمور ، واليوم تكثر
حوادث الحريق وتسمم الملابس في الدرية ، فأشفق
على هذا البائس والسكى لا أجد حيلة في تسكينه
أو صرفه عن وجهته ، وليس بكبرى ما أحاذره
عليه بقدر ما بكبرى ما صادرت إليه ابنتي من
حال منكرة ؛ فقد غاضت بشاشتها ، وتغشى السقم
في جسمها القوى ، حتى بت أخشى أن أفقدها »
ثم خفت صوت الرجل ، ودنا مني ، وقال

(٤)

المتجبر فأسلست إياه وحطت من كبريائه ، تدل
عليه متى شئت فلن يستطيع قبض كفه عنها ،
وتعسكر به فلن يقوى على إزعاجها ، وهي تنقرب
إليه مرة وتنفرد منه مرة فلا تجرد في الحالتين إلا
الخضوع والاستسلام من ذلك البك العاني ! وأي
خضوع هذا الذي يجمله على الرغم من مكانته
لا يتورع أن يتردد على كوخها بنفسه متخذاً من
الليل ستاراً ؛ ذلك الكوخ الذي اختاره لها بالقرب
من مسكنه غير عابئ بما يقول الناس أو بما يتقولون
أما زوجها فقد تنافل عن هذا كله وتجاهله ،
وحسبه ما يصيب من وراء ذلك من مال أو حظوة
عند سيده ! وما كان هذا الضعيف ليملا عيني زوجته
المتبرجة الشرود . فهان عليها أمره منذ أن تزوجها ؛
وما يهد له سبيل هذا الزواج سوى صداقته لإبراهيم
منذ حداتهما . ولقد رضيت به كارهة مرغمة ، ثم
ما لبثت أن طرحته وراء ظهرها فلم ترع له حقاً
أو قل لم تحسن له وجوداً . ولقد ظلمه إبراهيم حقاً
فما انتقم به منه فسا هو إلا أداة قافهة حقيرة ،
لا يملك من أمره ولا من أمر زوجته شيئاً

أفاض شيخ العرب واسترسل ، وما كان
يعتني إلا إبراهيم ، وقد عرفت الآن سر غضبه ،
وبواعث ثورته . أيستطيع وهو فرد فقير أن يقاوم
البك وله من الأعوان والجاء ما يقابل به بلده
بأجمعها ؟ ورأى شيخ العرب في حديثي إشفاقاً
عليه ، وفي عيني لهفة لساع بقية خبره فقال :
كثيراً ما طلبت إليه أن يأخذ حذره ، وألا يطلق
لسانه بما لا يليق ، وعلى الأخص لأن خصمه ماضى
البطش ، سريع الانتقام ، فظنح القدر ، لا ينجو
من كيد عدو ، ولا يفر من حباله مسمى ، ولو كان

كسحنة الحبشى ، بيد أنها كانت على الرغم من ذلك تمكس أشعة الشمس ، فيشتد برقيها حتى يخطف الأبصار

وانتهنا على حين غفلة إلى السكلاب تجبرى فاجحة نحو التربة ، فاجمعت أبصارنا جميعاً إليها ، ولكننا لم نر غير الماء ينساب مسرعاً دافقاً ، وماهى إلا لحظة حتى رأينا حنظل يجرى نحو الضفة ومن ورأه راغب ، وما يشيران إلى الماء ، وتبتمهما عن وهى تؤيدهما بقولها : إنها جنة آدمى وليست جيفة حيوان . وأسرعت إليهم أنهم فوقت معهم ، ولكنها كانت تخالفهم قائلة : إنها جيفة حمار . وأمنا النظر في الماء فرأينا شيئاً ساجماً ، يتحرك حركة غريبة ، هى حركة تدفق الموج ، ولم تبينه أول الأمر إذ لم يكن يطفو منه فوق الماء إلا جزء يسير ؛ ولكننا استطمنا أن نرى كنفاً آدمية عارية وجزءاً من الذراع ، ثم ما لبث الرأس أن تبدي برهة ولكنه عاد فاخفى ، ثم برز الوجه وبرز إلا قليلاً والتيار يحمل الفريق مسرعاً فيبدو للمين من أجزاء جسمه ما يبدو حسب حركة الموج . ولقد أحزننا ذلك المنظر وروعنا ، ورأينا بعض الناس على الضفة الأخرى ، وكان الفريق أقرب إلينا منا يرفضون أصابعهم بالتشهد ، كما رأينا بعض النملان يتجمعون ويجرون على الشط قبالة الجنة ؛ وكأنا جدد شيخ العرب فى مكانه فلم يذهب إلى حيث كانت تقف زوجته وأولاده . وشمل الجو كله من حولنا رهبة شديدة وكآبة قابضة ، والفريق يجرى به الموج فيدخل فى ظل بعض الحشائش ، ثم يخرج منها إلى ضوء الشمس ثم رأينا خمسة من الرجال يأتون مسرعين على الشط الذى كنا تقف عليه ، فساروا يتبعون الجثة

فى خمس : « رأيت كيف يكون مبعث البلوى هؤلاء السادة ، ثم يتهموننا نحن الأعراب بأننا أصل الحوادث ، والحكومة تأخذ بما يقولون ولا تفكر أن تبحث أسباب تلك الحوادث ، أو تتبين بواعثها الخفية ... »

وتوقف محدثى على نداء ابنه راغب :

— أبنا ؟

— ماذا يا ولد ؟

— حنظل وعز وأى والغنات ... هاك ...

هاك إيش ها تريد يا بوى ؟

— ما أبنى شئ يا ولد ... اسكت

ولما وصلت عن وأى وأخوها من « سرحمهم » إلى باب الحظيرة ، أشار شيخ العرب إلى ابنه فجاءت مسرعة وحيث فى طلانة وهدوء ، وعلى وجهها مسحة من همها الدفين ، وقال لها أبوها : « كبرى النار يا بنت ، وهات الشاى » ، وأعطيتها بعض ما لدينا من الشاى فذهبت لعمله ، ثم جاءت أنها خفيت وجاست ، وجلس حنظل غير بعيد منا فى يده مغزله وصوفه

وجاءت عن بالشاى ، فتهدت أنها وهى تمدحها حجاج الاشفاق ، وقال لها أبوها وهو يخفى همه : « درى الشاى يا عز » ، وتناول كل منا من يدها قدحاً من تلك الأقداح الزجاجية ، ورحنا نحتدى الشاى فى صمت

وكانت الشمس قد لألأت صفحة الماء بأشعتها القوية التى كانت تبدو لأعيننا أعظم ضوء أو أشد وهجاً ونحن فى ظل الشجرة ، حتى لقد كان يصعب على بعضنا أن يدغم النظر لحظة إلى الماء ، وكان الماء يوشد مثقلاً بذلك القرن الذى يفقه به النهر الحبيب فى زمن فيضانه ، فكانت صفحة التربة

لبثت تنتظر وهي لا تدرى من الفريق ، ولكن لم يطل انتظارها ، فقد عاد راغب مسرعاً وكأنه يحمل إليها نبأ سارا ؛ وقال في سذاجة الأطفال وبرائتهم : « يا غز يا أختي إنه إبراهيم أخو سكتينة »

صرخت الفتاة مذعورة للنبأ الفاجع ، ولكنها حتى في ذلك الموقف تداركت وجودنا فقطعت صرختها وهزلت نحو الكوخ ؛ وهناك أبصرناها تسقط لدى الباب منشياً عليها ، فجرينا إليها ولكن عبتنا حاولنا أن نفعل شيئاً ، وأخذنا في أمرها من الارتباك ما يأخذ الرجال عادة في مثل ذلك الموقف . بيد أننا أسرعنا فأرسلنا من أحضر أباهما وأمه ، فجلست الأم بذلك يديها ورجليها وقد ألقت رأسها على ركبتيها ، وأبعدنا نحن الرجل قسراً عن الكوخ وأجلسناه بيننا تحت الشجرة وبه ضف ما بابنته ، ولم يفق حتى أفاقت من غاشبتها ، وكأنها قد اليأس لسانها أو ذهب اللعاب فلها فلم تقل شيئاً ، وكذلك انعقد لسان أبيها فلم يتحرك وهو يقاب كفيه في جزع لن يصفه كلام

وجلسنا نحن حوله وكأننا قوم اجتمعوا في مأتم فلا تتسائل إلا بالألحاظ ولا تتجاوب إلا بالاعاء . ومر الرجال بعد لحظة يحملون غريقتهم على محفهم التي أعدوها ، يريدون أن يسرعوا بمحنته حتى يخفوا الحادث

قضينا يوماً كشيئاً ثقيلاً لم نستطع أن نكمله فعدنا إلى القرية في عصره ، وانقضى الأسبوع وحل موعد الذهاب إلى التزعة ، ولكننا لم نذهب فقد علمنا قبل ذلك الموعد ببسلة أنه قد أتى القبض على شيخ العرب فقد جاء ذكره في قضية مقتل علي بك فاستدعى لسماع أقواله إذ قد حامت جوله بعض الشبهات

الخطيف

ربنا ينجح ، وفي وجوههم حسرة واهتمام شديد وكانوا يصيحون بقولهم : « البر البر يا طالب الدفن » ومن معتقداتهم أن الفريق ينجح إلى البر إذا صاح الأحياء أمامه بتلك العبارة

وليت شمري هل استمع الفريق إليهم حقاً ؟ فقد أبصرناه ينجح إلى الشاطئ قليلاً قليلاً حتى أوشك أن يلامسه غير بعيد منا ، ولكن لم ألبث أن تبينت سير جنوحه ، فان انتفاء التزعة في ذلك المكان جعل الموج يرتد من الشاطئ الآخر إلى شاطئنا فوجه إليه الفريق شيئاً فشيئاً

وذهبنا وذابت امرأة العربي وابناها لرؤية الفريق . أما شيخ العرب فلبث في مكانه برهة ، ثم قام فتعامل على نفسه وسار يجر رجليه ليلحق بنا ، وهناك رأيناه وقد أخرجه الرجال ممدداً على الشاطئ وقد تمزقت ملابسه وتورم جسده : رأينا إبراهيم جثة هامدة ولا حظنا في فقه ضربة وفي عنقه أثر شجار عنيف ؛ وتجرد الرجال فصنموا من عصمهم محفة ألقوه عليها وخلعوا عليه بعض ملابسهم ووقفنا نحن مشدوهين أمام هذا المنظر وفينا من لم يستطع أن يحبس دمه على الأخص لرأى ذلك الشيخ الذي أذهله الرعب فتركه كالأصم أو المجنون وصرنا نحو الشجرة فرأينا غز وأخواتها في انتظار النبأ فما كان لهن أن يرين غريقتنا ربما ترمى جسده . وهل كانت تستطيع غز أن ترى هذا الفريق ولو كانت على جسده من الثياب أطولها وأعرضها ؟ هل كانت تستطيع أن ترى خطيئها وحبيب روحها ممدداً على الشاطئ جثة هامدة متورمة ؟ هل كانت تستطيع أن ترى إبراهيم وأصحابه من حوله مسحون دموعهم بأكفهم وهم من أشداء الرجال ؟



جالها ، وإن كانت قد ناهزت الثلاثين ؛ فأومأت إليه أن يقبها وانطلق على أثرها إلى غرفة منمزلت ؛ وقالت له بصوت متهدج مرتمش :

— ألم فأخبرني الخبر وأوجز ما استطعت فإن زوجي ينتظرني

فوقع كلالها منه إذ لم يكن يعلم أن لها زوجاً .. وتخاذل من هول الصدمة ، وكاد ينقطع عن الكلام ، لولا أن رأى اضطرابها فمادق الأمل عليه وقال لها :

— إن ضاق بك الوقت فلي يتسع لي أن أخبرك بكل شيء في هذه المرة ، ولكن حسبك أن تملئي أني قد خرجت من السجن ، وكان مأوى في هذه السنوات العشر الطوال .. أوه لأرجو ألا تنظري إلى نظرة الاحتقار فلقد كنت أحسبك غير جاهلة أمرى وإن لم أكتب إليك ...

فطاشت نظراتها إليه بنظرات من الخوف والرعب ؛ ثم قالت له بصوت مرتجف :

— وما شأني في كل هذا ؟

فأبلس ولم يدر كيف يقول ، وتسلط غايه صوتها العذب فسلبه إرادته ، وكثيراً ما كان يسلبه ما يسلب ويهيج فيه ما يهيج ، ونهب الصوت إلى وجودها ، ونهب وجودها إلى ذكرى الأيام الماضية فحنّ وأنّ واعتراه ما يمتري الحبين ، وجعل يلتبس

بينما كانت سيمون أدبل تهم بالخروج من (الاستوديو) إذ كان لها عمل المثلة الأولى في شريط سينمائي جديد ، اعترضها شاب أنكرته عما كان يقش وجهه من الأصباغ والطلاء فلم تثبته ، ولكنه دنا منها وأسر إليها اسمه

— شارل جيرو ...

فذهرت الفتاة وتراجعت كأن هذا الاسم قبض على قلبها فهي تريد الإفلات منه ، ولكن الرجل خطا إليها وقال في مسكنة وذلة :

— أما إنك لم تعرفيني فغير عجيب ؛ فقد تصرّمت عشر سنوات كاملة ، وفي دون هذا تنكر المرأة رجلاً ... ولعلك تتساءلين ماذا جئت أفعل الآن بعد هذه النوبة الطويلة ...؟ فأجئت إلا لأني على العهد وما زلت أحبك

فأجابته : لملك جنت 1...

فجعل يرمقها في ذهول ، ولم يصدق عينيه وأذنيه إذ لم يكن يتوقع أن يرى ويسمع ، وهو الذي تجشم في سبيلها ولقي مائتي من أجلها ؛ ثم قال لها :

— أريد أن أنفرد بك فإن لي حديثاً

وكانت سيمون لا تزال كعمهدها وضيفة فائنة جذابة ، بأرمة الشكل ، بديمة التكوين ، رقيقة الملاصق ، عصبية الزواج ، لم تنل الأيام من

ففضت بصرها وهزنت رأسها علامة النفي ،
ولكنه مرّ في حديثه وقال :

— لقد دفع إليك صديقي « أدولف ملبان »
في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً من المال وزعم كما
أوعزت إليه أنه من أحد أقاربك ... غير أنني
كنت أأمل أن ستردّين أنه مني

فبدت الدهشة على وجه سيمون وقالت :

— أدولف ملبان ... ! أدولف ملبان ... !

— آه .. لكما تذكرينه الآن . ؟ لقد كان
صديقي الحميم فاستودعته المال ليسهل على الحرب .
ألم يدفعه إليك ؟ أجبني ...

وكانت ترمقه بنظرات غريبة فأخذ يدها بين
يديه وجعل يشد عليها ولكنها انتفضت منه وفرت
لا تولى ، وثبت في مكانه لا يلحق بها

ثم عاد إلى غرفته وفي نفسه الأمل ، فذلك
الانفعال الذي بدا عليها لم يكن من غير شك إلا نتيجة
هذه القابله .. كلا .. كلا إنه لن يهون عليها ومن
أجلها سيجن عشرين سنوات .. ولكنه اغتم لزواجها
وداخله الشك في أمانة صديقه أن يكون قد ذهب
بالمال ولم يؤدّه إليها ، فتزّوى ماذا فعلت المسكينه
بعد اختفائه ؟

وتفتحت له الذّاكرة وأطرق بفكر في الأيام
الماضية ..

كان شارل وسيمون من بلدة بوردج فتعارفا
وتحابّا منذ الصغر . وكانت أسرته غنية واسعة
التي ، أما هي فكانت يتيمه لا مال لها . فلما أراد
الزواج منها كبر ذلك على أهله وأبوا أن يقرّوه
فرحل معها إلى باريس وكان لها من العمر ثمانية
عشر عاماً ، فأخذ يرافق ييمض الأعمال ليكسب

الألفاظ فلا يجدها ، ولم يدرك كيف يذكر لها أنه
من أجلها سرق ومن أجلها قتل ...

لقد كانتهما كلٌّ ما قبل لما تعلم شيئاً إلى الآن ،
وبوده لو كانت تعلم ؛ إذن لأدرت محلها من
نفسه فحسب أن يرتفع بذلك في عينها وتعرف أي
عجب هو ... ؟ ولم يكن يرتاب في أن مجرد التقائهما
يضلّه منها بما مضى ويستعيد إليه حناها القديم ،
وإن يكن للحظ عمل فالخط هو الذي هداه إليها
ويسر عليه البحث عنها ، وجاءه باسمها بين أسماء
المثالثات في السينا فما كان أسهل عليه بعد ذلك أن
يمرّ مقرها ... أفيعد هذا يخشى ويرتاب ويأس ؟
وتلثم لسانه وغشم قائلاً :

— أراك خائفة مني ... أو لا فهو الحذر
وما يخفى لك أن تحذري من بيميا بهواك ، فإن
كانت رويقي قد ساءت لك فمذرة ...

فيما التأتّر على وجه سيمون وكأنما ندمت
على ما فرط منها ، وهاج شجونها منظر الرجل الذي
طالب أحبتّه ، وقد جاء يسألها هذا الحب مرة
أخرى ، فقلها قلبها وانقرطت الدموع من عينها
وتساءلت في حزن ورقة :

— لست أدري كيف يقدم شاب مثلك على
فعل جزاؤه السجن ؟

فتجهمّ جبينه وتساقتت الكلمات من فمه

— لقد اضطررتي البؤس والحب ...

فاحتجّت عليه قائلة :

— أهنّاك بؤس فوق ما تحملهاء معاً ؟

فلم يطق صبراً وصاح بها :

— ألم تذكرني بعد أني لم أقترف ما اقترفت إلا في
سبيلك ولأنتشلك من هذا الشقاء ؟ ألم تعلمي أن
السعادة قد جاءتك في الوقت الذي اختفيت فيه ؟

عامل البنك ويتربص به الى أن سنحت الفرصة فانقض عليه ذات مساء في مكان منقطع قدس في فقه خرقه مبللة (بالكلوروفورم) ثم احتوى ما في حقيقته من المال وتسلل الى منزل صديقه ولم يره أحد

ونقض خبره لصاحبه فأظهر له هذا من الاخلاص والعطف ما سكن إليه ؛ وقال في نفسه جريمة دون جريمة ، وسرقة أخف من قتل ...

ولكن جرائد الصباح ظهرت تحمل نبأ وفاة عامل البنك من فعل (الكلوروفورم) فأرتاع شارل وأسقط في يده وأخذته الرعب . وتنصّح له صديقه فأشار عليه بأن لا يرجع الى باريس حذراً أن يتم عليه المال وقد عرفوه مملّكاً ، ثم زين له السفر الى مدينة برن والبقاء فيها حتى يُسنى الخبر وتطوى القضية

ورأى شارل أن هذا هو الزاى ، فمدّ يده سرقة فكان ثروة ... ثم عزّل عنه القسم الأكبر ودفعه لصديقه على أن يحتفظه عنده أياماً ثم يؤديه لصاحبه سيمون أربل في باريس ويزعم لها أنه من أحد أقاربها . قال :

— فان شكت في الأمر فمليك بالصمت وقل لها المال هو المال ، وسوف تعلم متى ما لم تعلم منك ، وإذا نجوت فان أوبى إليها قريبة ، وإذا وقعت فاني متلف جميع أوراقى فلا يعرفون اسمى ولا يهتمون بي إليك

وتماقن الصديقان طويلاً ، وسافر شارل الى برن فأقام بها خمسة عشر يوماً وثق بعدها من نجاته فأزعم العودة الى باريس ؛ وما كان بمترم حتى كبسه الشرطة وقبضوا عليه ، ولم يدر من أين دعى ١٠٠٠

ما يتبلمان به . وكانت هذه حاله بصمة أشهر ، فإنا نقص من سعادة المال أتمته هي بوجودها ، الى أن جاء يوم أعوزه القوت ولم يجد عملاً فأصبحا ولا مأوى لها يضربان في شوارع المدينة وبينتان في ضرائنها فلم يربدا من الكتابة لأبيه يسأله للمعونة ، فأرسل إليه ما يكفي لتوفية دينه وإتباع تذكرة العودة ؛ وهدده ان هو لم يرجع في الحال ان لا عون ولا مساعدة ولا ميراث ... !

ولكن شارل لم يعبأ ولم يكثرث لوعيد أبيه وأثر البقاء مع سيمون والحب والفقر ؛ ثم سنحت له فكرة السفر الى جنيف ليستمتع خالته الفنية قبل أن تصغر يده مما أرسله أبوه . وودعته سيمون على المحطة بعد أن تواعدا على اللقاء بعد أسبوع ... ولم يخطر لها في تلك اللحظة أن اللقاء لن يكون الا بعد عشر ساعات كاملة ... !

ولما وصل شارل الى جنيف اتى خالته وسألها ان تعرضه مالا يتسبب فيه بالتجارة ولكن أباه كان قد أنهى إليها الخبر وحذرها ، فمتفتته وردته ردّاً قبيحاً . فثارت ثائره وجن جنونه ، فإذا تفعل سيمون إذا فقد القليل الذى تركه لها ؟ إنها بين موتين ، فاما ان تموت جوعاً أو هو الموت الأدبي للمرأة الحسنة ...

وأخذ يقلب زأبه ويفكر في حاله ، وكان قد اطلع في الصحف على أخبار السطو على عمال البنوك ، فلم يده فكره المضطرب الى خير من هذه الوسيلة ، وما ينفع العالم ولا يضره نقص اللصوص واحداً أو زادوا واحداً ...

وأغدع عنده وترك منزل خالته بحجة الرجوع الى باريس ، ثم أوى الى منزل صديقه أدولف مليون وكان طالباً في إحدى جامعات جنيف ؛ وأخذ يتأثر

الميسر وحلبات السباق ، وأصبح عالة عليها تطعمه وتكسوه ، وما تحب المرأة من تطعمه وتكسوه . وكان الى ذلك قليل الحزم كثير التسويف فقال لها وقد أشاح بوجهه عنها :

— ليس هذا بالرأى . . فقد لا يعلم زواجنا أبداً ، وما أحسبه إلا يأساً منك إذا أياسته ، فبدعك وشأنك . وكل ما يجب هو ألا ترائى فأجابته في ازدراء :

— إنك تخشى إذا هو علم زواجنا أن يتهكم بأنك دالت عليه الشرطة وقضعت جريمته . . فما زلت أنساءل كيف قبض عليه وقد كان آمناً ولم يأتمن أحد غيرك ؟

فصهت الرجل وقال لها وقد اختنق صوته . — أفظنني مهما كنت سافلاً أتسفل الى مثل هذه الدنيئة ؟ أنتعدين ذلك يا سيمون ؟ فأجابته ببرود : ولم لا ؟

فصنق كلامها وظل باحثاً مشدوها ، وقامت هي الى الباب وألقت اليه وهي تخرج من الترفة : — لا يدهشك أن ترائى في أحضان شارل . .

فظل قابلاً متكدياً في مكانه وقد طاش عقله . فهو ما زال يحب سيمون ، ويؤثر الموت على أن يفقدها ؛ ولكنه قال في نفسه : « إن في ذكري الأيام السيئة التي قضتها مع شارل ما يحول بينها وبين شارل » ، ونسى هو الآخر أنها من النساء وسدق حدس الحبيب الأول ، فتمكن شارل مرة أخرى من مقابلة سيمون في (الاستديو) والتحدث اليها ، وكانت تصدف عنه في بادئ الأمر ، غير أن الحب التآجج في صدره نفى عنه اليأس بل هوّن عليه أمر زواجها وما يدرى بمن تزوجت . . . وقرّر في نفسه أن صديقه لم يؤد اليها

وفعلت البفئة فعلها في نفس هذا المسكين فتلعجج ، وقرّروه وجعلوا يسردون أخبار جريمته عملاً عملاً وكلة وكلة فتضعضع وأقرّ ؛ بيد أنه رآهم يجهلون اسمه ، فانتحل اسماً فأخذوه به وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة ، وكانت الجرائد الفرنسية في شغل عن مثل خبره باضطراب الحالة الدولية في ذلك الوقت فلم تشر اليه ، وهكذا أخفى أمره وظل مجهولاً من أهله ومن سيمون ، فكان هذا عزاءه في سجنه ، وهان عليه ما سوى الفضيحة عند من يجب . وأخذ يمل النفس بأنه متى انحسرت هذه الحمة ولقي سيمون وأففى اليها بالغرب ازداد حظوة لديها فجرت به وفاء وبقاء وإخلاصاً بإخلاص ؛ ونسى أنها من النساء . . .

وتصرّمت المدة وخرج من السجن فلم يوفاة والديه وحرمانه ميراثهما ، ووقع له عنوان سيمون في أعلانات الصحف فكان ما وجد أحب اليه مما فقد . وما هو ذا الآن يردد في نفسه بعد أن قابها « إنها ما زالت تحبني وإن أصيحت ذات بعل ، فان كان قلبها لي وحدي فهي لي وحدي . . . »

وجلس سيمون في الوقت نفسه للعشاء مع زوجها أدولف ملبان بمنزلهما في شارع كورسيل ، وكان زواجهما من عشر سنوات ، فجري بينهما كلام قالت فيه :

— يجب عليك أن تطلع شارل على الحقيقة قبل أن يعرفها من غيرك فذلك أحرى أن يخفف وقصها عليه

وكان أدولف رجلاً باذناً خامل الحركة ، لم يعمل عملاً منذ ورث الخيالة على سيمون بأرباحها الطائلة فهو متبطل يقضى أيامه فيما يزيد منحولاً بين دور

ومر اليوم طويلاً بطيئاً كأنه يمد دقائقه واحدة واحدة؛ وكانت سيمون تلاحظ على زوجها القلق والاضطراب على ما يبدو من سكينته، فأعجبها ذلك، وابتسمت ابتسامة خفية وقالت في نفسها: «إنه هو أيضاً يحبني...»

وفرغت من عملها فأخذت تتحدث إلى يمس صديقاتها؛ ثم عادت إلى منزلها فدخلت إلى حمامها وأطالت المسك فيه؛ ثم جمعت تزيين وتطيل في زينتها والوقت يمر لا ينتظر حتى إذا ما استقلت سيارتها كان قد فات الموعد الذي ضربته لشارل، وانقضت ساعتان...

فلما بلغت المنزل أبصرت بالقرب منه سيارة عرقها وسمها أن تراها...

ثم تقدمت إلى الباب الخارجي فلاح لها نور ضعيف ينبعث من إحدى الغرف تحت ظلام الليل الدامس؛ ففتحت الباب وردته وراءها ثم دخلت إلى الغرفة المضيئة فوق وقع بصرها على جسم ضخم منكس على الأرض قدنت منه في غير ذعر ولا دهشة، وانحنت عليه تبتسمة فاذا هو زوجها أودلف وقد تشحط قتيلاً في دمه...

وأخذت تتأمل ما حدث فكانت القضية في خيالها أن الصديقين التقيا على فجأة فجر الكلام الكلام، وعلم شارل أن أودلف هو صاحب المنزل وهو زوجها الذي خان عهده وخلفه عليها فطاشت الغيرة بمقله قتلته، ثم هاله ما صنع واستبطاً قدومها فنجأ بنفسه...

وجملت تتأمل الجثة وقد علت شفتيها ابتسامة شيطانية، وقالت تحدث نفسها بصوت مسموع وقد أمنت أن يسميها أحد:

— كنت أسألك من سيقتل منهما...؟

المال فأخفقت حالها، فذلك سبب زواجها آترة على السقوط، وتلك فضيلة تسره ولا يحزنه... ولم تقو سيمون على تيار هذا الحب الجارف فتفتش قلبها وبانت تنتظر صاحبها كل يوم على باب (الاستديو) فتصلطحه في سيارتها للتنزه في الغابة...

وسأله شارل في أحد الأيام:

— أما تخشين أن يباغتنا زوجك؟

فأجابت وعلى شفتيها ابتسامة ذات معنى:

— إن هذا لا يعني ألبنة

وكانت هذه هي المرة الواحدة التي جر فيها الحديث إلى زوجها ولم يسمح شارل لنفسه أن يسألها عن حياتها طوال هذه السنوات العشر وألهاه ما هو فيه وأصبح لا يفكر إلا في أمر حبهما ومستقبلهما فقال لها:

— أخبريني أن لك منزلاً ريفياً بضاحية سان جرمان وأنكم لا تنزلون به إلا في الصيف، وعندي أنه أفضل مكان نخيل فيه دون حذر... فاستحسن رأيه واستعملته إلى أن تحتاط للأمر ثم يكون له ما يجب

وفي ذات يوم فاجأته بقولها:

— سأقوم هذا المساء بعمل التجربة الأخيرة للشرط السبائي الجديد، ولا ريب أن زوجي سينتبهز هذه الفرصة فيفضي الليلة في اليسر كدأه كما كنت وبهذا يحاو وجهه... فهناك مفتاح منزلنا الريني وأحرص على أن تكون هناك عند منتصف الليل فساوأفك في هذه الساعة وقد انتهيت من عملي؟

فلما افتتح دوسه في جيبه، وما تسمه الدنيا سروراً وغبطة

ومن غيرك يبعث بهذه الرسالة إلى أدولف ؟
ثم أخرج من جيبه خطاباً غفلاً من الامضاء
فجعل يقرأه عليها :
« إن كنت تريد أن ترى بعينيك خيانة
زوجتك فاذهب الى منزلك الرقيق عند منتصف
الليل »

فتبالت كأنها لا تفهم شيئاً ، ولكنه نظر
إليها في ازدراء وقال :

— لا تحاول الانكار فلما تجدني دليلاً إلا قام
دليل ... ولقد فاجأني أدولف ، فلما رأيته يقتل ،
ولكني ظهرت عليه وانزعجت سلاحه ثم رميته
بخيانتته فتبرأ منها وأكذلى أنه دفع إليك المال منذ
عشر سنوات ، ولم تكن به ربة فبعثت به وأعربت
وسلّطت عليه هواك وفتنتك ورضيتك عاشقاً ،
ثم رضيت به زوجاً ، وعلمت منه كل ما جرى على
لم يكتفك شيئاً ... وكان المسكين يحدّثني والجنون
يطير في عقل وتثلك تسخرني في قتلته على غير
وعى ... ألا فاحبرني الآن لماذا نجاهلت وأنت
عارفة ، وهل تلك إلا نية السوء وضيم الشر ؟

فسكتت هُتسبة ثم تهمت :
— كيف لي بالحجة وأنت لا تصدقني ؟

فاستأنف كلامه بصوت محموم :

— لقد كنت واقفة من قتل أحداً ، فابتلقت
عاشقان لامرأة واحدة في خدعها الاعلى جريمة ...
ولا شك أن أدولف كان يعلم أني أنا الذي ينتظر
هنا في منتصف الليل ، وإن لم تذكر لي له اسمي في
خطابك ، فجاء على نية القتل ومعه سلاحه لأنه
كان يخشاني ... ولقد غررت بي وخدعتني بحبك
لتنهني بي إلى هذا المصير قاتلاً أو مقتولاً ، وهل
جئت بمد الوعد بساعتين إلا لتكون الجريمة قد

فها هو ذاك أدولف وقد استرحت منه بقتله كما
استرحت من الآخر بالفرار

ثم دارت على عقبها وحثت تريد الخروج ،
فانفض جسمها إذ رأيت شارل بالباب يقول لها وقد
تكلم وجهه وانقلب سحنته :
— إذن كان أدولف صادقاً ؟

فامتقع لونُها بصفرة الموت ، وظهر في عينيها
الرعب ، ولكنها تماسكت وصاحت بصوت غتنتي :
— أقتل زوجي ثم نتجراً ...

غير أن شارل قطع عليها وقال في جفاء
وخشونة :

— كيف علم هذا الرجل وكيف جاء إلى هنا ؟
أجيبني من هذا الذي استدرجه ؟

فزاغ بصرها وتلجلج لسانها وتهمت :
— لست أدري ... لست أدري ... لعله
حكم الاتفاق والصادقة ... دعني أخرج من هنا
والأ صرخت وجمت الناس عليك

فهز كنفه ورماها بقهقهة منكورة افشعر لها
جسمها ثم قال :

— اصرخي ما شئت فان يجديك ... فالكنا
منزل والقوم نيام ، وهي أحداً ممل فأتاك فانه
سوف يقبض عليك بهمة الاشراف في الجريمة ...
ألم تهربي معي من جورج قبل اثنتي عشرة سنة ؟
وبعد هذا ألمت أنت أعطيتني مفتاح المنزل ؟

فقال وقد اتخذت ووهنت قوتها وأحسب
الأرض تميدها :

— لست أدري لم تخاطبني بهذه اللجة ؟
— ذلك لأنك دخلت إلى هذه الغرفة وكل
حركتك تنم عن دخيلة نفسك الخبيثة ، فقد ظهر
لمني أنك كنت تتوقعين رؤية هذه اللجة هنا ...

شيء أحبك وأنت صعلوك ، وأنت عاثر الجدل ،
وأنت خامل مجهول ؟ أقتعجب بعد ذلك من وقوعي
بسهولة في أحضان أدولف وقد جاءني بالمال والجاه ؟
وما نسيت شؤمك حين ظفرت به بنخسيت أن تعود
إلى وتقع في حياتي وقوع المم في السعادة ، فما
كدت أعلم من صدقك بما اقترفته من تلك الجناية
وهو يحدثنى بها متحزناً عليك رأياً لك ، حتى
أسرعت فأبليت الشرطة ودلائهم على غيبتك ليأخذوك
عني أنت وشؤمك وتماسك ...

ثم صاحت وهي تقهقه بمجنون :

— قال يرجع الفضل في سجنك هذه العشر
السنوات ... أنسمع يا شارل ... أنسمع يا شارل ،
وهل فهمت الآن ؟

وبقي شارل كالماخوذ ، على حين ازداد هياج
سيمون واتسمت أحضانها وجعلت عيناها ،
وأخذت تقبل وتدبر كأنها ترقص حول جثة
أدولف ... ثم قالت قيا تهذي :

— وكذلك ضربتُ أحدكم بالآخر وتخلصتُ
منكم ما دون أن ألوث يدي بالجريمة ... ! ألا ترى
هذا تديراً يا عزيزي ؟

وظهرت عليها أعراض الجنون ، فقال شارل
في نفسه وهو يتفجع لها : « ذلك خير ما أعناه
لبرأتني ... فلن يأخذ أحد بقول امرأة مجنونة ،
وسيمتقدون أنها هي التي قتلتها في حالة من حالات
نفسها ، ومسدسه أقوى دليل على انحصار الأمر
فيما بين الزوج وزوجته ... »

وبينا هو في تفكيره انقضت عليه سيمون
تريد الفتك به وهي ترعى وتزبد ، فدفعها عن نفسه
وانفلت منها وخرج هارداً والمجنونة تصيح بالجثة :

— اقتل شارل يا أدولف ... ! اقتل شارل
يا أدولف ... ! محمد الزائفي

وقمت في هاتين الساعتين ؟ فإن كنتُ أنا القاتل
هددتُ زوجك فخلصت منه ، وإن كنت
القاتل أسلمتني إلى الموت إذا لم أفر ... ؟ ولماذا
جئت ، وكان في استطاعتك ألا تجيئي لولا
ما استحثك من غرضك الخبيث لتتعي خطتك
المهنيمة ... ؟ فلا تنسى أني قضيت عشر سنوات
بين القتل والجرمين وعرفت كثيراً من ميولهم
وطباعهم

ثم قطع حديثه وسكت لحظة وكأنها عاوده
حبه وأخذته الرأفة بها ، فقال بصوت خافت :

— اصنعي إلى ياسيمون ... لن أمسك بسوء إذا
أنت أخبرتي ، لماذا أردت التخلص مني ومن أدولف ؟
فأجاب سيمون وقد سكن اضطرابها وامت
عينها ، وأخذت تضحك ضحكة جنونية :

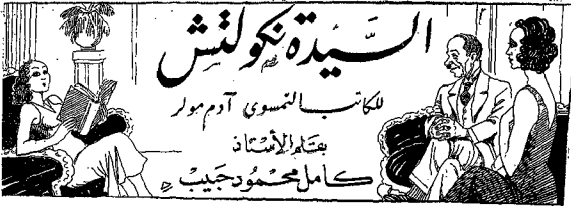
— إن كنت تريد علم ذلك فاعلم أني أحب
رجلاً ثالثاً ...

فتحرك قلبه وزادته رغبة فيها ، وقال وهو
يبيض حناناً ورقة :

— وهل نسيت ياسيمون أيام حبنا وعهد
شبابنا وأحلامنا ، وأنني في سيبك عانيت ما عانيت ؟
ألسْتُ بهذا الحق بك من هذا الحبيب ؟

فكانما طعمها في قلبها ورأته متطعلاً على الحب
وما كانت تُصانمه قبل ذلك إلا مكيدة وخداعاً ،
فهاجها جميعاً ، وقالت في ثورة من الغضب :

— ألم تدر بعد أنها الآن الحق أنك أبغض الناس
إلى ؟ وكيف تريد أنت أنسى شؤمك علي ،
وما ابتليت به في معاشرتك من نكد وهم ، وفقر
وتعاسة ؟ لقد استغويتني ففرت معك إلى باريس
وكنت صغيرة طائشة ، وأسلتُ أن يوافق أهلك
على زواجنا ، فخاب الأمل وذهبت الأمانى ،
وقيت أنت وما بمعك إلا نكد الحياة ، وفي أي



المدرسة ، وهذه فلولين يببسى أختها تنطلق كل صباح في سيارة السيدة الفخمة الأنيقة لشترى شيئاً ، أو تزور صديقاً ، أما السيدة نفسها فما كانت تخرج الدار إلا بعد أن تتناول طعام الغداء عند الساعة الواحدة بعد الظهر .

وكانت الطفلة في سنى طفولتها الأولى ترافق أمها إلى الحدائق ، أو إلى الغابات ، أو إلى المنتديات . فلما شبت وترعرعت حال بينهما أمر . فالأم تنطلق إلى لهُوها ومتمتها وميلنكا في خدرها تتلقى درساً في البيان ، أو تجلس إلى مربيتها تحديثها حديث المدرسة ، وهذه تقص عليها بعض ما يثر به المعجائز ، وهي تجوز شطاء تمهر على الطفلة ومحبوها بعض ما تهفو إليه نفسها من الحنان والطف وأنها هناك ... أو تكب على درس تطالعه ، أو ...

ودأب تقولاً يتكوف على تناول طعام الغداء في دار السيدة ، والسيدة تزعم أنه حمها ، وهو يصحبها هي وأختها في غدوها ورواحها ويغشى بهما المنتديات العامة والمسارح والحفلات ، ثم اندفعوا جميعاً زوجون بأنفسهم في حياة الصخب واللقب ، كأن بهم ظمأً للبهت والرح ، وبدت السيدة نكولتش في أعين الرجال جميلة جذابة فيها اللياقة والبراعة والذكاء ، ثم ... ثم لمسا في حديثها نفثات السحر والطرب ؛ فراحوا يتوددون إليها

منذ سنوات عشر كانت تسكن داراً أنيقة في كارتر في فينا ، وهي حسناء ناعمة ، واضحة الجبين ، بسامة الشعر ، هيفاء رقيقة ، يزيد جمالها شمر فاحم رجل ، صفته يد صنع ليضاعف من جمالها ورونقها ، وفي عينيها الزرقاوين الحاليتين تفتش وجور ... ولقد عجبت زوجة البواب أن ترى هذه الفتاة تلصق إلى بابها قطعة من نحاس مصقول لامع كتب عليها « السيدة نكولتش » و « السيدة » في فينا هي الساملة أو القابلة أو الخياطة ؛ وما هذه واحدة من أولئك

وكانت زوجة البواب تعلم علماً يشيع في جوانبه الشك أن هذه السيدة أرملة سياسي صربي قضى عمراً من عمره في سفاري برلين وسانت بطرسبرج ، ولكنها تعلم علم اليقين أن للسيدة أصدقاء كثيرين فهي ترى الدار تملج كل ليلة بالزائرين وهي دائماً تطفل ، وهي دائماً تسترق السمع والبصر ؛ لتشبع رغبة في نفسها ، ولتستطيع أن تطعم بعض فئات المائدة ؛ أو هي تنطلق إلى صاحب الدار ، وهو كونت مجوز فيه الصلاح والوقار والزهة ، فتعشر على عينيها بعض ما ترى وما تسمع ، فتكون الفضيحة ...

ولم تكن السيدة تسكن الدار وحدها ؛ فهذه ابنتها الصغيرة مبلنكا تطوى نهارها بين جدران

نشأت في وادي دربنا ؛

حيث بك إلى دار أبي

لنستريح قليلاً ، يا عزيزتي

أنا لا أحبك الذهب ولا أفتح أمامك
الكسوز الغالية

لأنني فقير لا أملك من ذلك شيئاً

ولكنني أطرح عند قدميك الصغيرتين قلبي

قلبي وقد أفعمه الحب والفرام

وعرفت الطفلة أن هذه الأغنية هي بعض قلب
أبيها لأنه استقبل بها زوجته الحبيبة لأول مرة
هبطاً مما دار أمه ، وأرادت الطفلة أن تسمع من
المجوز قصة أبيها وما اكتسحت به عيناها ، ولكن
المجوز كانت تدفعها في رفق « ستملين ذلك ،
يا عزيزتي ، حين تبغين سن الفتاة ... »

حقاً ، لقد كان الأب صربياً أغرم بوطنه
وأحب زوجته وابنته في وقت مما ، وهفت نفسه
إلى أن ينشئ ابنته في دار أمه ليسكب هوى قلبها
بعض ما يتناقل في حروقة من هوى بلاده ، غير أن
الأم نفرت منه — بعد حين — لتعيش في
منأى ... في برلين ؛ وهو يزورها حين الفينة والفينة
ونشأت الطفلة لا تجد السلاوة إلا بين جدران
المدرسة ، بين صديقاتها وزميلاتها ، فسكرهت
الدار ، وبدا لها ما يكتنفها من غموض وعزلة ،
فسيطر عليها السخط والألم ؛ فشببت وشب معها
البغض لأبها وولقت لبارها غير أن مفاتها راحت
تملن عن نفسها فبدت فتاة جذابة ، رائدة الحسن ،
جميلة الطامة ، فيها الأنوثة والدفقة والخجل ...
وكانت السيدة قد اعتادت أن تصحب أختها

ويتملقونها ، وهي تبسم في رقة وهدوء ؛ أما يبيسي
فكان في مرحها الحق ، وفي حديثها المجون ، وفي
نظراتها الاستهتار ، ثم هي لا يتحرج ولا يتأني ،
وكيف تفعل وهي تريد التمة واللذة ، لقد فقدت
الزوج وفقدت الأمل فيه فأرادت أن تجد الصديق
والصديق ...

وكان قولها بيتكوف عضواً في مجالس إدارة
الدولة انتدب في السفارة الروسية ، وهو رجل
طروب لمع الشيب في عارضيه ، غير أن قلبه ما يزال
شاباً فيه الزوات الطائشة ، قوى مباسك لم ترعزعه
الشيخوخة وهي تهاجمه في شدة وعنف ، سياسي
عبقري يرى النجاح والرقى في التجسس والاعتراف
فهو ينشر شباً كهنا وهننا فما تخفى عليه خافية من
أسرار العطاء والوجهاء من الأجناب والوطنيين ...
وشاع عنه هذا نفاقه الجميع ، وتجنبه جماعة وحذره
جماعة غير أن واحداً لم يلتو عليه

وكانت السيدة واختها هما ساعدها : فالأولى
تتقصى في خداع المرأة ورزاة المجرى ؛ وأما الثانية
فكانت تندفع في طيش وتهور ، أشفت منها
السيدة أن يعضفاً بما تستمع به من احترام وتقدير ،
وبيتكوف يلح ويلح ...

في هذه الحياة المضطربة ابتداء الحكم يفتتح عن
زهرة فاضرة جملة مات أبوها وأبها تلهو ، محبسا
دواعي البث والتي في حجرتها ليلا فلا تبرحها ، ثم هي
لا ترى إلا ألم بيتكوف يرميها بالنظر الشرير ويقذع
لها في القول ويقسو عليها ، وإلا مريبتها المجوز
أنوكا ، فما تجد الالة في شيء سوى أغنية عذبة
تردها المجوز كل مساء عند فرائثها :

أنا سياد

دم أجداده الكرماء ، فما به من عبث وما به من
لهو ، فهو يهوى الفتاة ، وهو يريد لها نفسها منذ
خفق لها قلبه ؛ والمعجوز تضطرب في رؤاها
الخواطر المتناقضة : أفيستطيع الفتى أن يتزوج من
فتاته ، وهي تصل بينهما ، وهي لها الشقا بعد الالتقاء
تحت أستار الظلام ، في منأى عن الزيتب والواشي

ورجعت السيدة وأختها وقد آلتهاما الحمية ،
وحز في نفسيهما الاعراض والطارء ، وعاد المم
بيتكوف ليرى ... ليرى الفتاة بين أشجار الحديقة
ترف رفيف الزهرة اليانعة في نبات الفجر الندية
نخله جمالها ، واضطرب قلبه حين وجد فيها صورة
الأم منذ سنوات وسنوات ، واستلبه بعض ما رأى
من قسوته وغلظته ، فهو على يد الفتاة قبلها في
شفق ولهفة ، ففزعت هذه وجفلت وهي تقول :

« أى عى ، عى الدزى ! »

وانطلق الرجل الى السيدة ليرى ... ولأول
مرة بدت في ناظره قببجة تستلبها الشيخوخة من
جمالها رويداً رويداً ، فقامها وانجذب عنها وعن
أختها في وقت ممّا ؛ ووأّت هي فيه الفتور ، وفي
حديثه القسوة ، لحزنت حزن المرأة تفقد عيشها
وعائلها ... أما يبيسى فما كان يعششها ما رأت من
عمها وهي المرححة الطروب ، فنادرت الحجرة في
خفة وهي تقول : « سأصحب ميلنكا الى الكازينو ... »
وكشفت السيدة للرجل عما يضطرم في قلبها
— حين خلاهما المكان — وانهمرت عبراتها
حرى فيها الأسى والشجن . نعم ، لقد أحبا حيناً
من الدهر وأحبته ، وذاتت هي لذة الهوى وذائق
هو ممها ... أفنكون هذه هي النهاية ؟
وعلى حين فجأة قال بيتكوف : « مارينا ، إن

-- كل صيف -- إلى حيث يصطف المظاء
والرجاء لحاجة في نفسيهما ؛ وتراى إليها أن ملك
الانجيز سيقضى بعض أيام هذا الصيف في مارينباد ،
فانطلقا إلى هناك ، واستطاع بيتكوف أن يهيئ
لها حجيرة في فندق فيرستنهوف حيث يهبط
المظاء ... وخشيت السيدة أن يحوم حولها
الشبهات وتتناولها الألسن حين خيل إليها أن
ما يبدو على حقيباتهما من قدم ورثة يتم عن
شئ ، فراحت تسدد سهاها في طيش وهرج ؛
وضاق صدر الملك بهذا التطفل والتبجح ، فأمر ،
فخيل بينهما وبينه ، وارتدت السيدة وأختها على
أعقابهما بعد أسبوعين تحملان الحمية وشياخ الأمل
لأول مرة في الحياة

وكانت ميلنكا في إيشل وأنها في مارينباد
تستشعر ألم الوحدة ومرارة المزلّة ؛ ووجدت إلى
الخلاء طريقاً ، فانطلقت هي ومريتها الى الكازينو
كل صباح ، وإلى غابات لوفن كل مساء ؛
واستطاعت أن تتحدث إلى ضابط شاب من ضباط
الحرس للملكي فيه الظرف والروح تمود أن يجلس
إلى نضد بجوارها ، ومريتها ترى ... لقد ألها
حيناً أن ترى الفتاة سجيئة أو كالسجيئة ، فسرّها
الآن أن تراها تجمد اللذة والتمعة في حديث رقيق مع
شاب مذهب فيه الرجولة والحياة

لم تكن الفتاة ماجنة عابثة ، ولم تكن هوجاء
مستهترّة ؛ فهي تمشى على استحياء ، ويجلس في
أدب واحتشام ، تصون نفسها عند الابتذال
والبئس ... ثم هي قد علقت الفتى الضابط كبرات
كراسر وعلقتها هو ، وهو من أسرة عريقة في المجد ،
طيلة المنبت ، زكية الغرس ، وفي عروقه يجري

زمانا فهاجت : « نعم ، إنك لا تجد ما تدفعه ...
أفنتيت أن مذكراتي عن الجاسوس الرومي تزلزل
أركان العالم ؟ » قال وهو يكتفم في نفسه الجزع
والرعب : « لا تكفوني حقاً ، يا ماريينا ، فأنا رجل
حطمته الأيام ، لا أبكي على شيء أما أنت فإترالين
شابة » ثم قال بعد أن أطرق قليلاً : « ... وأنت
أم هذه الحسنة ، دعيها مني فسيتهافت عليها الرجال
تهافت الذباب على الحلواء » قالت في غيظ وغضب
« أفلا تسمع ما أقول ؟ لن أخلي بينك وبينها ،
لقد حاولت جهدي أن أحول بينها وبين أن ترى
حياتنا المضطربة ، وألا تنغمز في هذه الحماة ،
لتكون — بعد حين — سيدة نفسها أو تزوج من
رجل ... إنها ابنتي وإنني لا ترى فيها إلا سلمة
غالية تريد أن تبقيها باليمن البخش ... » قال في
هدوء : « أيمها ؟ يا للغباء ! ستعود ومعهما الملايين
ثم تزوج بمن تشاء ! »

وكان الرجل فظلاً في نظراته ، حيوانياً في آرائه ،
وحشاً في خواطره ، تنفطر الانسانية من عباراته ،
كم في الحياة من أمثالك أيها السبع الضاري الذي ؟
لقد أصر على أمر ، وترك الأم حزينة مضطربة
ما تستقر ولا تهدأ

ورجعت ببسبي من الكازينو بإشارة مستبشرة
وقد رأت الفتاة تنزول قلب الشاب كيرات كرامر
رويداً رويداً ، وجلست هي إلى السيدة تقص عليها
قصة الغرام الجديد ، وابتسمت الأم حين بدا لها
أن هذا الشاب قد أرسلته العناية الإلهية لينقذ
الفتاة من هاوية عميقة توشك أن تتردى فيها
ونادت السيدة ابنتها « ميلانكا » : « إنك تتأثنين
كثيراً كما تأثرين أن تكشفني عن مفاتيكي ! »

ابنتك جميلة ... جميلة فانتنة خلابة ... ويل لي !
كأنني لم أرها من قبل ! » وفزعَت السيدة فقالت
وهي تضطرب : « أفنتمقد ... أفنتمقد ؟ » فقال
في هدوء : « لقد كانت في الرابعة حين كان
نكولتش ... فعلى الآن في الثامنة عشرة ... »
وصرخت المرأة في وجهه حين تراءى لها ما يريد
الرجل : « لا ... لا ... ! » فقال هو في سخرية
ونهم : « الصغيرة أجل ... لقصها ... » وصاحت
المرأة أخرى وهي تنفض من الذعر وقلها يتمزق
إرباكاً : « لا ، لن ألقها بين يرائك ، لن تسيطر
عليها ، لن تقذف بها إلى الهاوية ... ! » قال وقد
أصر على أمر : « إفعلي ما شئت فإن تستطيعي أن
تحولي بيني وبينها ، فأنا الوصي عليها وأنا الذي
أريد ... إنه فوق طاقتك أن تجدي لها زوجاً غنياً
كريم الأصل ، ومن المجهز أن تزوج من رجل
فقير ... » قالت : « لا ... أنا لا أفكر في زواجها
الآن ، ولكنها هي ستكسب ما يكفيها فعلى
ستتال درجتها الجامعية قريباً ... » وابتسم الرجل
ابتسامة المزم ؛ وظاهه أن تقف الأم في سبيله تدفعه
عن أمر يريده لنفسه فاضطربت الكلمات على شفتيه
« المستقبل ! المستقبل يا ماريينا ! أنا لا أجد ما أدفعه
لكم ... سأطلق إلى عملي في سانت بطرسبرج ثم
أعود في الخريف القليل لأرى رأيك ... »

واستشعرت المرأة الصفة حين تراءى لها أنه
سيد لها ويخضع لها وهي لا تملك شيئاً . لقد اندفعت
معه في طريق وعز زماناً ، وهو يعلم لماذا انتصر
نكولتش وهو شاب فيه القوة والفتوة ، ولماذا
أصبح هو وصياً على الطفلة ! وارتد تاريخها كله
ينشر نفسه على عينيها وقد أزعج المخازي والمساوي
ويوقف في نفسها زعجات طيبة أسدل عليها الستار

وأحسّت الفتاة شدة الصدمة في قلبها فطارت إلى حجرتها تبكي أملاًها الضائع وسماحتها المفقودة ، والمجوز ترتب على كنفها ، وتهدي من ثوبها ، وتبث في نفسها الأمل الحلو من جديد ، فهي ستنتقل في الصباح الباكر إلى آل كرامر عليها تلقى الشاب فتحدثه الحديث وتري رأيه

وترى إلى المجوز أن كيرات غادر القصر صباحاً إلى إيشل فارتدت على عجل تحمل البشرية .. بشرى قدوم الزوج المنتظر

وأفزع السيدة حديث المجوز عن إيشل ، قصة ماوينبار ما تزال على الألسن ، وهي تخشى أن بدوى الخبر في إيشل والفتي عندها فيحجم ، فطارت إلى فينا لتدفن سوءاتها هناك

وكانت خطابات بيتكوف تبث في نفسها السأم واللل ، فهو ما يزال يتحدث عن ميلنكا ويطلب رسمها ، فأرسلت إليه تصدق في شدة وعنف ، وتأتي أن تسلس له بمسد إذ أحسّت بالأوممة العاصفة تدفق في قلبها قوية بحرس ابنتها وتبهر عليها ؛ وهو ... هو بيتكوف الوغد يتخذ من قصة غرام الفتي والفتاة أول حجر في بناءه السافل

وعلمت الأم أن قانون الحرس الملكي يحجم على الشاب أن يتقصى خبر الأسرة التي سيصبح صهرها لها ، ف راحت تحدث أختها الحديث ، ونوحى إليها أن تذهب إلى أحد مكاتب الاستعلام لترى ما يقولون عنها وهي تقول « لا أظن أن أحدا هنا يستطيع أن يجد في فترة ينفذ منها » قالت الأخت « وأنا أوقن أن بلاداً غير هذا لا نستطيع أن نجد فيه الأمن والطمأنينة »

وانطلقت ييبسى إلى مكتب الاستعلام تسأل المدير خبر السيدة نكولتش وابنتها لأن ضابطاً شاباً

واضطربت الفتاة لما سمعت غير أن السيدة اندفعت « لملك عقلت هذا الشاب ! » قالت في انكسار « نعم ، نعم يا أماء » وصمتت الأم حيناً ثم قالت « لا بأس ، لا بأس ولكن احذري ! » وطربت الفتاة لحديث الأم الرقيق وعطفها السامى

وفي الحق لقد كان الشاب يرافق الفتاة وخالها كل يوم حتى باب الدار ثم يقفل راجعاً خشية أن تراه السيدة ، والسيدة تنظر من خلال النافذة ، ثم ... ثم أرادت أن تعرف من هو الشاب ؟ فأرسلت إلى بيتكوف تطلب إليه أن يوافيها بما يعرف عن آل كرامر ... وجاءها البريد يحمل أخباراً تسر ، ثم راحت هي ترى ما وراء ...

وعلى حين بفترة بدت السيدة في الكازينو في ثيابها السوداء وقبعها المريضة ، متأقصة متبرجة تحطف البصر واللب ، وإلى جانبها ميلنكا ، فتاة في مستقبل العمر تحلب القلب وتأسر الأفضة ؛ ثم ييبسى ... ومررن جميعاً بالفتى وهو جالس إلى أخويه غياهن في أدب وهو في مكانه لم يبرحه ، وكان ظهور السيدة قد بث في نفسه الرهبة والخوف فما استطاع أن ينطلق البهن ... وتكرر هذا أياماً ...

لشد ما آلم السيدة أن ترى الفتى يترى ويحجم وهي كانت تأمل أن تراه إلى جانبهم يتحدث ويتحدث ثم يصحبهم إلى الدار ... واضطربت ييبسى لهذا الاخفاق ؛ أما ميلنكا فقد حز في قلبها أن تطوى الأيام ثم هي لا تستطيع أن تجلس إلى صاحبها تحده ويحدثها ، وتدق اليأس في قلبها حين قالت لها أمها « أنا أحرمت عليك أن تجلسي إلى هذا الشاب الوضع أو أن تتحدثي إليه فهو يريد التمتع الرخيصة واللذة السافلة غسب . إن في هذا الإحجام من القسمة والدناءة ما فيه ... »

جامدة ذاهلة تستعث الأخت في صوت فيه الألم والحسرة « اقرئى ، اقرئى ! » واستأنفت الأخت « وتنتى حياة السرف التى تعيشها السيدة وأختها ، وقد انطوت أيام شبابهما ، أنهما ما تزالان تعملان فى الجاسوسية... لهذا ولنير هذا ممانكتهمه لاستطيع أن ننصح شاباً ذا كرامة وشم أن يصاهر هذه الأسرة . أما الفتاة نفسها فنحن نجزم بأنها بعيدة عن كل ما يشين السيدتين وبمصنف بكراتهما . وقد رأى إلينا أن الشاب قد نفذ يده منذ أيام... » وانقض الحديث على السيدة صاعقة: تركها عركاً ، وتهد من كيانها ؛ وأختها الى جانبها تستعشر الخيبة واليأس والعار جميعاً . وانهمرت عبراتهما ... عبرات الندم تحاول عبثاً أن تفصل بعض ما جنت يداها حين غرتهما الحياة بزخرفها ، وحين زين لها الشيطان سوء عملها

ورجعت ميلنكا الى الدار وفي عيניה عبرة تترقق ، وفي قلبها الأسى والحزن ، لأنها رأت صديقها على خطوات منها يراها فيصدف عنها ، ثم هى تنبسم له فيعرض عنها . واندمجت الى حجرتها عليها تطفىء بعض اللواعج المضطربة فى قلبها بسيل من عبراتها الحزنى ... ولكن أنها نادتها لتنتشر على عيניה بعض صفحات الماضى ، غير أن الفتاة قالت فى غيظ وحنق : « لا ، لا أريد أن أسمع شيئاً ، ولكن فلانرحل الى بلاد لا يعرفك فيه أحد » ثم جفلت من بين يديها وأنها تنادها ...

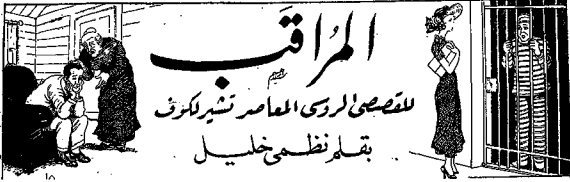
وفى الصباح وجدت السيدة فى بحر لحي من الدم وعلى النضد خطاب منها الى بيتكوف .. وجاء الرجل ليصحب الفتاة — دون خالتها — الى سانت بطرسبرج ... الى الهاوية ...

لعل محمود هيب

يريد أن يتزوج من الفتاة ، وحدهما الرئيس بنظرة فاحصة ، وبدا عليه الجذ والاهتمام حين سمع قولها « لأن ضابطاً شاباً ... » ثم قال : « أنا لا أعرف شيئاً ، ولكنى أستطيع .. سأقصي وأرسل إليك ... وخشيت المرأة أن يفتضح الأمر فتركت عنوان إحدى صديقاتها ...

وتصرمت أيام ... وانطلقت السيدة وابنتها — ذات ليلة — كل واحدة الى حجرتها ، تنأهب للذهاب الى الأوبرا ، وقد ابتدأ الأمل يحياى فى نفس السيدة ، وخيل اليها أن المغموم التى رانت عليها حيناً من الدهر قد انتعشت أو كادت ، وأن المستقبل يحمل فى أضفافه مسرات ومسررات ، بعد إذ انطوت صفحات الماضى ومحاها النسيان ، ثم جالسا تنظران يبيسى ... وعادت الأخت وفي يدها خطاب كبير ... إنه من مكتب الاستعلام ...

وسرت فى مفاسل السيدة رعدة خفيفة ، وسيطر عليها الشك فقالت : « أنفضه الآن أم نظرحه جانباً حتى نمود ... » قالت يبيسى : « لا ، لا بد أن نقرأ الآن » ، وترددت السيدة حيناً ثم قالت : « لا بأس ، فلتنذهب ميلنكا وهرينها فقط ... » ثم أرتج الباب ، وفُضّ الغلاف وراحت يبيسى تقرأ : « لا ريب فى أن السيدات يستمتعن بطيب الأحودة ، والسيدة تعيش فى رفاهية وبذخ وإن كانت لا تغلك شيئاً ، وهى تزعم أنها أرملة سيماسى صرى له شهرة ومركز ، وهذا زعم بعيد عن الصواب ، وتساكنها سيدة أخرى تقول هى إنها أختها ، وهذا ادعاء فيه شك ، وهما تندفمان فى طريق ليس فيه الشرف ولا الكرامة ، وهما تعملان فى فرق الجاسوسية الأجنبية ... » واضطربت يبيسى وقالت : « يا للعار ، يا للعار ! » والسيدة



المراقب

للمصطفى الرضى المعاصر شير لكونف
بقلم نظمى خليل

لا ترى أمامها إلا زوجها الشيخ «ستيبان» يسير في الغرفة في خطى متثاقلة، وهو يحمل سملاً حاداً. فلا يكاد يرى زوجه وحدها حتى يشيح عنها ويدمدم بهذه الكلمات: «كفاك ذهاباً وانتظاراً!» ثم يسمتان - فكلما كان غارقاً في الأفكار مثقلاً بالعموم - يكاد الملع بنجس من عينيه، ولكنهما كانا يقاومان الحزن ويشكفان الصمت

كان يتردد على منزل ستيبان صيرف المدينة وهو رجل ثمار مدح فيقص على الزوجين كيف يامل المسجونون السياسيون في السجن، وكيف يحبسون في حجرات ضيقة ذات فتحات ضيقة ينصب منها الماء حتى تنقلص أبدانهم، وتجمد دماؤهم في عروقهم، وتقف قلوبهم عن الحركة. فتضطرب تآدياً لهول هذا الكلام؛ فتصيح خائفة وجلة: إلهي! إلهي! فيحاول الصيرف أن يهدئ ثورة الأم الحزينة فيقول: ولكنهم قد يطلقون مراح البض منهم. ثم يمضي في حديثه الطويل المتصل، وهو يشوه الحقائق ويلقي الروايات حتى يسرى الخوف والرعب في قلمي الزوجين الفجوعين في وحيدهما المرز فيقضيان ليلهما على فراش دونه شوك القتاد

اعتادت ماريا أن تذهب كل مساء إلى المحطة تتوسم وجوه الركاب باحثه عن ابنها «نيكولاس» فيقفز قلبها فرحاً كلما وقعت عينها على شاب في لباس الجامعة ولكنها كانت في كل مرة تتفقد ابنها فلا تحمده فتندفع إلى العربات وتحدق النظر في الجمهور الواصل على الرصيف، وهي لا تكاد تصدق عينها؛ فتسأل وهي حائرة قلقة:

— إلى أين يذهب هذا القطار؟

فيجبها رجل: إلى موسكو

— وهل جاء من «كيف»؟

— نعم

فتصوب المرأة بصرها جهة «كيف» ثم يملأ وجهها ابتسامة حزينة رقيقة لتلك الصورة المرززة التي تستلطف عليها من وراء ذلك الضباب والدخان - صورة «نيكولاس» المرزب وهو في لباس الجامعة - ولكن هذه الصورة الحلوة الجميلة سرعان ما تختفي من ناظرها فتهم بالرجوع إلى المنزل وقد فاض بها الحزن حتى كاد يحبس أنفاسها. حتى إذا مادنت من البيت استيقظ فيها ذلك الأمل من جديد فتتوهم أنها ستجد ابنها هناك فتسرع الخطى وتندفع إلى الباب في شوق وخوف، ولكنها

الطعام ذات النطاء الأبيض لا تزال قائمة وسط
الحجرة . فذكرته هذه بحياته الماضية البعيدة ؛
فالمحبرة كما تركها على المكتب ؛ ومحفظة الأوراق
لا تزال عالقة بالخائط ، والأوز يتبختر في فناء المنزل
وهو يضم فراخه الصغيرة الصفراء إليه . فابتنم
نيكولاس لهذه الأشياء كأنه قد رآها بالأمس
كانت السماء صافية سافرة ، والهواء رخوا ليناً ،
فوقف الشاب في إحدى النوافذ يرقب الطيور وهي
تهرع إلى أوكارها . فأبصر شبيحاً يذب من
بعيد يثير العثير بقدميه وعينه إلى الأرض ،

والمصافير تفر من أمامه وهي تمششق وتتناقر
فاطأ نيكولاس لهذه المناظر الجميلة المتمدة
— منظر الشارع المهادى الملقر والحائم الطاهرة
والطيور المنردة ، والأوز الصارخ الفرح ، والغرف
النظيفة المرتبة — وشعر بوحده وهذوئه ؛ وسرعان
ما أدرك أن له حياتين متميزتين متباينتين : إحداهما
هناك حيث كان يعيش ، والأخرى هنا بين أحضان
والديه . وأن حياته البعيدة أصبحت تلوح له كأنها
قصة خيالية قد قرأها في أحد الكتب ، وأن حياته
في القرية حياة حقيقية غير متغيرة — كقانون
الطبيعة

— أحب السمك يا عزيزى كوليا ؟
فالتفت كوليا حوله فرأى أمه واقفة وهي
تترنح من فرط السرور . وقد شمعت أكلها
استعداداً للعمل . وقال :

— السمك ؟ حسن . إلى لا أهتم كثيراً
بالأكل

— إذن اطهي لك بعضاً منه . وسرعان ما عادت
حاملة طبقاً به سمك وضعت على المائدة وهي تقول :

لم يمض على هذا الحديث بضعة أيام حتى كان
نيكولاس واقفاً بالباب ، فلم تكذب ما رآه حتى
أسرعت إليه وضمت إلى صدرها والدموع تنهمر
على خديها ؛ ثم أخذت قبله ، وهي لا تكاد تصدق
أن « كوليا » قد عاد إليها ، لمكانت تنظر إليه وقد
اندفعت إلى رأسها آلاف الأسئلة تريد أن تلقىها
كلها قبل أن تسمع جواب الأول منها

— هل أنت في صحة جيدة ؟
— أحقاً أطلقوا سراحك ؟
— إلهى ! هل أنت حى حقاً ؟

فنظر إليها في ابتسامة حزينة مضطربة وقال :
« لقد كنت يائساً من لقاءك يا أمه ! »
— ولكنى كنت أذهب إلى المحطة كل يوم
إذ لم نستطع أن نفكر فيما حدث لك
— الأمر عاوى ؛ لقد سجنبت بضعة أشهر في
حسن . . .

— وأنتك الآله ؟ لقد صليت من أجلك
يا عزيزى . هل عفوا عنك ؟
— فأجاب كوليا في ابتسامة رقيقة : « لا .
ليس عفواً تاماً ، ولكنهم أرسلوني إليك مراقباً »
— وماذا هم صانعون بك ؟

— إنى لا أعرف على وجه التحديد ، ولكنى
سأدخل الجامعة ثانية في بحر سنتين
— أظنك في حاجة إلى الطعام . إنك ضامر
هزيل . انتظر قليلاً فلن أغيب عنك

كان كل شيء على ما هو عليه : فالغرف نظيفة
مرتبة والمستأجرة مدلاة على النوافذ وشجرة
« اللبلاب » لا تزال تنمو الباب بأكاليلها ، ومائدة

من العمل نجحراً بالذباب الكثير الذى يضايقه فى المكتب ، والطريق الطويل الذى يقطعه على قدميه ؟ فارجو أن تحتل غضبه وضيقه
أما نيكولاس فقد كان يفكر فى هذه المقابلة يخشى الصدام معه . والحقيقة أنه لم يرد أن يفهم أبداً بأنه كان فى الامكان أن يسلك غير ما سلك إذ كان يشعر دائماً أنه على حق ، ولكنه كان لا يزال مضطرباً يضيق بالخجل الذى يفسد عليه حياته ؛ ثم نظر من النافذة فرأى والده يخطو متثاقلاً كما لو كان أحد الأعيان المحنوظين فى القرية ، وقد أمسك فى يده شمسية ضخمة ، وتباطى عطفة كبيرة
— ماذا يحمل أبى ؟

فأجابته أمه فى لطف : إنها عطفة الأوراق التى يحملها دائماً حتى ولو لم يكن فيها شيء ، كذلك الشمسية وإن لم يكن هناك مطر . فلماذا الرجل من الأوز اندفعت إليه مشرئبة بأعناقها تعض ساقه ، فوقف فى مكانه وشمخ برأسه وأشار إليها بأصبعه فانكششت الأوز وهزت ذيلها واعدت إلى أحواضها . ثم خرج نيكولاس الى الباب ولكن ستيبان لم يسرع فى مشيته إذ كان قد علم عجيبته وهو فى مكتبه بل قال وهو يبتسم : أه ! أه ! هل أتيت ؟ ولم يرد أن يظهر فرحه الذى غمر قلبه لذلك الشاب الذى كان يظن أنه غلق مسدود حتى أنه قد رآه فى الليلة السابقة فى حلم مروع ثقيل كأنه مسوق إلى ساحة الاعداد وقد جاء ليودع والده ، فتقدم إليه كولينيا بوجه شاحب وشفتهين مرجفتين وقال : « يوم سعيد يا أبى ! » فأجابته أمه : سعيد يا ولدى ! ثم عانقه عناقاً قصيراً وسمل سمالاً عالياً . ثم أخذ يسأله عن عجيبته . ثم جاءت ماريا فرأت الأب

أبها المصاة — علام المصيان ؟ ما ذا تريدون ؟ ولكنها لم تنتظر الجواب فلم تكن تريد أن تعرف ما ذا يريدون . بل أسرعت إلى المطبخ لترى الزبدة التى كانت على النار . ثم عادت وهى تقول : « سيأتى والدك الآن ، فلا تنظف له . قد بغضبك ولكنه لا يحتفظ بغضبه عليك طويلاً . إنه شيخ قد عاش طويلاً ، بينما أنت لا تزال تحبب فى الحياة ؛ وليس العمر المحرب الطويل كالسير فى المراعى والحقول

— وحتى يعود أبى ؟
— كمادته كل يوم فى الساعة الثالثة
— وأين يعمل الآن ؟

— فى نفس المكان الذى كان يعمل فيه — فى مناقصات الحرس — ومرتبته كما هو لم يزد . لقد ضغمت أعصابه حتى كادت يده تقف عن الكتابة . فقال نيكولاس وقد غمره الحزن والألم : شيء مربع ؟

— نعم مربع يا عزيزى كولينيا فقد أصابه شلل كاد يقمعه عن العمل . كنا نؤمل أن ... ولكن ماذا ... إنما لا نستطيع أن نعيد الزمن من جديد . كل قبل أن يبرد الطعام . فأخذ نيكولاس يأكل فى تراخ وكسل إذ كان يفكر فى حال والده وينظر إلى أمه كيف ابيض شمرها ويبتسم يداها واخذودب ظهرها . بينما هى كانت تديم النظر إلى الساعة تترقب عودة ستيبان تتنازعها مشاعر الخوف والفرح ، فقد كانت تتمتع بعجيبته ليرى ابنه الوحيد ، ولكنها كانت تخاف أن يخرج الغضب بالأب فيسبىء إلى ابنه . فعملت على تهئية الجولهنذه المفاجأة الغريبة فقالت : « إن والدك يأتى متعباً

يشيح عن ابنه ، فعملت على تخفيف حدة ذلك الموقف فقالت : « احمده الله أيها الأب فقد عاد إلينا ابنتنا في صحة جيدة ؛ وهذا كل ما نريد . هيا إلى الغداء . هل ضايقتك الذباب اليوم ؟
فلم يجب الزوج بل قام الثلاثة الى المائدة ، وأخذ الأب يلقى على ابنه بعض الأسئلة القصيرة المتعسبة فقال :

— وعلى هذا أخرجوك ؟

— نعم

— إذن كنت مجرماً ؟

— نعم

— وتمود إلينا مراقباً ؟

— نعم

— وماذا تريد أن تعمل الآن ؟

— سأستأنف دراستي

— أي إنك تبدأ من جديد ؛ فإذا ما طردت

ثانية رجعت الى الأول

— فأجاب الأب : لم هذا الكلام الآن ؟ لسكل

شيء نهاية

— فقال الأب : حسن ، وستأتي نهايتنا قريباً .

ولكن لماذا طردت يا ولدي ؟

لقد اشتركت في الثورة ؟

— حسن جداً . ولماذا حبسوك ؟

— لا أعرف

— اسمع يا بني ؛ إني مضطر أن أقول لك إني

لم أكن أعتقد هذا العمل منك . لقد كنا مضطرين

إلى دفع نفقات المدرسة ثمانى سنوات وأجر

المدرس الخاص والكتب والملابس ، وكنت أمني

نفسي بأن هذا كله سيهد لي . ولكن ظهر لي الآن

أن ما عملته قد تلاشى كالفحم المحترق
وترى الأم أن الحديث قد أخذ يشتد والجو يكفهر فتحاول أن تلقى بعض الماء على النار التاججة فتقول : « كل إنسان عنده أولاد ، وهو مضطر الى هذا العمل . ليس هناك ما يسوع هذا الأحصاء الآن » فأجابها الزوج وهو يسعل سعالاً عالياً : « إني لا أحصى عليه شيئاً ، فقد قربت نهايتنا ، ولا ننتظر منه شيئاً . لقد عملنا على أن يقف على رجله . . .
ولكن علام التحدث في هذا وكل إنسان هو الخالق لسمادته » فلم يبق كوليها على سماع باقي الكلام بل ترك أمه تعتب على أبيه وهي تقول : « ما كان ينبغي لك أن تهاجم هذا الشاب بهذه السرعة »

خرج نيكولا من الى الفضاء يبحث بالأوراق المتساقطة قرب الطريق ويفرّكها في يده ثم يغيب في تفكير عميق وهو واقف أمام ذلك البحر اللانهائي من القمح الأخضر ؛ ثم استولى عليه نوع من اليأس العميق إذ كان كل شيء حوله صامتاً لا يسمع إلا قناب الحقل تفتي بأصوات مرعشة متقطعة حتى بدا له أن هذا العالم ثقيل ، وأن أم مشاكلة هي الصحة ؛ فإن كانت الصحة جيدة حلت مشكلة الحياة كلها . فيكني أن تترك قلبك يتأمل هذه الحقول النضرة والأجواء القسيحة والسحب البيضاء . كل شيء سيكون كما كان من قبل ، وسيأتي الشتاء ويمعبه الصيف ، وستخضر الحقول ثم تنمرها الثلوج ، وستفرد القبور وستقام الأسواق وستمتع القرية بوفود الفلاحين
ثم أخذت القرية تصحو على أصوات الماشية وهي راجمة إلى حظائرها ، فناء الشياه وخوار

هذه الكلمة الغريبة . ولكنه غاملك نفسه وسار
وهو يفكر فيمن تكون هذه الخطيئة

وأخيراً وصل الى حجرة صغيرة كثيفة اللون
لم يكن بها إلا نافذة واحدة قد ثبتت فيها قضبان من
النجاس ، فنظر نيكولاس الى هذه النافذة فرأى
فتاة في ثوب بنفسجي بديع ، وقبعة من القش قد
زينتها بأزهار الربيع . وقد وقف بجانبها ضابط
طويل الشارب تلعب حربته في الفضاء كالألوح بها
أو انتقل من مكانه

فقال الفتاة في ابتسامة رقيقة عذبة : نهارك
سعيد . فرد عليها الشاب التحية ، ثم أخذ كل
منهما يرمق الآخر ، وبعثا خول نيكولاس أن يتذكر
هذه الفتاة إذا كان قد رآها من قبل . كان وجهها
مغطى بقناع خفيف قد ألقت عليه أسلاك النافذة
ظلالاً رقيقة ، فلم يستطع أن يبين سمات وجهها فقال
لها في استحياء : أسمحين أن ترفعي القناع ؟
فرفعت الفتاة القناع فسحرت عيناها ، وعلت
وجهه حمرة الحجل

وخفض بصره . لا . لا . إنه لم يرها من قبل
وهنا تنبه الضابط لحديث الشاب ، فكان كما
حركت الفتاة يدها لوح هو بسنانه وشعل سناً
عالياً يريد أن يفهمها أنه لا يزال يقظاً لما يدور بينهما
— لقد نسيت بكل تأكيد حبيبتيك (جاليا)
فأجاب نيكولاس في غموض : لا . ثم ابتسم
فجلجلت ضحكة قوية من الفتاة ، وتألفت أسنانها
من خلال الأسلاك

فلوح الضابط بسنانه وقال : « هل تزامن
الهدوء قليلاً ؟ »

فكانت الفتاة في حدة : « أحرام علينا أن

الثيران كان يحتلظ بأصوات النساء وهن يصحن
على فراخهن لتذهب الى أوكازها ، وأسواط الرعاة
تدوى في الفضاء كأنها طلقات نارية ، ثم امتلأ الجو
بسحائب التراب وما لبث الظلام أن لف القرية في
سكون مطبق عميق

عاد نيكولاس الى المنزل فاستلقى على مقعد كبير
في الحديقة وأخذ يستعيد في غيبته صور ما حدث
له في « كيف » وسرعان ما لاح له صورة تلك
الفتاة الغريبة حاملة للذلة والألم ، فتذكر يوم أن
كان يقيم في سجنه الضيق الثقيل وقد اعتقد أن هذا
العالم قد نسيه حتى أمه ووالده ، إذ دخل عليه
السجان يقول : « زائر قد جاء إليك ! » فهب
نيكولاس واقفاً وسار خلف السجان في ممر طويل
مظلم قد فتحت فيه « الزمانين » على أبعاد متساوية
نغيل اليه أنها حديقة حيوانات مرقومة الأبواب
وخلف كل باب واحد من هذه الحيوانات الضارية
من يكون الزائر يأتي ؟

أيمكن أن تكون أمه ؟ لا ، إنها لا تنلم بسجنه .
قد يكون أحد رفاقه . ولكن كل رفاقه في
السجن أو في النفي ، وفوق ذلك فإنه لا يسمح
بزيارة أحد من رفاقه . إذن لم يأتني أحد . ثم سأل
السجان : من جاني ؟

فأوسع السجان الخطو ولم يجب ، فقال نيكولاس :
« أحرم علينا أن نتحدث معكم ؟ قد تكون مخطئاً
في استدعائك إليّ

فنظر اليه السجان وقال في هدوء : خطيبتك ؟
— خطيبة ؟ ثم سكت طويلاً وقد شمر أن
قلبه يشب بين أعضائه . وأراد أن يضحك عالياً من

وهل يسمح بشمورى هنا ؟

لم يكن هناك من يجيبه

قضى نيكولاس ذلك اليوم فرحاً مقتبطاً ،
وقد نسي أنه مسجون وهو يطوف بزرائته منشداً
كوحش كاسر قد ضاق بقفسه

لقد كان هذا اليوم يوم ميلاده ! !

ثم جاء المساء ؛ مساء السبت !

وهناك في الأفق البعيد أخذت أجراس
الكنائس تدق فبعثت في نفسه الهدوء ، وأيقظت
فيه ذكريات الطفولة الحلوة ، ففتح النافذة وأخذ
ينظر إلى تلك السماء الصافية ، وقد أخذت الشمس
الغاربة تمكس أضواءها على جدران السجن ، والحمام
ترفرق بأجنحتها في الفضاء ، فأيقظت في قلبه
شجون الذكري والآلم ، وذكرته بالحرية ؛ ثم
اشتد عليه الحزن وزادت به الوحدة وشعر بمحاجته
إلى التحدث إلى نفسه : من تكون جاليا ؟ ثم
استبد به الشوق فتناول عصا صغيرة ، وأخذ يتحدث

بها على جدران الزنانة :

« لنجوم تقضى لامة في السماء الزرقاء

ومن خلال النافذة يهب عيبق الريح
وعلى الأرض الناعمة يجمعون غرائس الأحلام

الساجدة على أجنحة الفضاء ! »

ولكنه عاد فجاً ما مكتبه واستلقى على سريره

يفكر فيمن تكون تلك الفتاة الجميلة

قضى نيكولاس الأسبوع كله يترقب يوم
السبت ، وقد شعر أنه لن يأتى . لقد عاش من أجله
ولم يفكر في شيء غيره ، لم يهدأ في نومه إذ كان

نضحك ؟ ولا أن نصرخ ؟ ... » ثم سألت

نيكولاس إن كان يضحك في سجنه

فأجابها : « إن الإنسان هنا لا يحتاج إلى
الضحك ولا إلى الصراخ . أظن أن العالم في الخارج
جميل جداً الآن »

فأخذت جاليا تصف له قدوم الربيع وفيضان
الأنهار ومنظر الطيور وتفتح الأزهار ثم قالت :
سأحضر اليك بعضاً منها المرة القادمة . أتحب
البنفسج ؟

— نعم وسأضمرها في زرائتي وستدكرني
دأماً بك

قال هذا بصوت راجف وهو يحرق في وجه
تلك الفتاة . أى وجه جميل هذا ؟

— لا تحزن . سأجء اليك كل سبت

ثم دقت الساعة اثنتين وانتهى زمن اللقابلة .
فقال السجنان وهو يفتح الباب :

— تفضلي . فقالت الفتاة :

— لا تحزن ! وداعاً ! تذكر أنني ذهبت أن
لك أصدقاء

أما نيكولاس فقد تبع السجنان وهو مطروح
إلى الأرض وعيناه تظفران بالدموع ، ولم يكذب
يصل إلى زرائته حتى أوصدها وراءه وأخذ يفتي
في صوت عال : « هبوني حرية السير . هبوني
حرية الحب »

فسمع صوتاً ينهائهم عن الفناء والرقص لم يعرف
مصدره ، فقد ظن أن الباب يشكلم فأمسك عن
الفناء ، وقال :

والحب ! أهو مسموح به هنا ؟

فلم يجبه أحد

وسمع طيور الصباح تنفرد على فتن الأشجار ، فاطمان إلى هذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وأغمض عينيه من جديد محاولاً أن يتذكر حلمه القاهب البعيد فشهو كأن نوراً كتور الصباح المبكر يضيء قلبه المظلم الحزين . آه ! لقد ظهرت له جاليا في حلمه بجلابها البيضاء وقبعتها الزر كشة بأزهار الحقول ، ثم انحنت عليه وهمت في أذنه قائلة : « استيقظ ! يجب أن تذهب إلى الشرطة ١ » ولكن هذا لم يكن هس جاليا بل كان صوت أمه ماريا تذكره بما لم يكن قد نسيه ، فقد أصبحت كلمة « البوليس » تستثيره ككلمة أب . فهب غاضباً وارتدى ملابسه وخرج مشيحاً من أمه بأرق الدعاء وأخلصه ، فقد كانت نفس الكلمة تثير في قلبها هي أيضاً نوعاً من الألم الغامض الخفي ١

خرج نيكولاس قاصداً مراكز الشرطة ، فلم يكذبصل إلى الباب الخارجي حتى هب الناس وقوا وتهامسوا فيما بينهم أن يرجعهم هذا القادم من ألم الانتظار والشكوى . ثم دخل بيتاً مظلماً يريد أن ينقض نفوح منه الرطوبة وتنتشر فيه رائحة الفئران الميتة وقد جلس النساء على الأرض الرطبة المبللة ، ووقف بجانبهن حارس عملاق بفنل شاربه وبغازل سفارهن ، فسأل نيكولاس عن سبب انتظار هؤلاء الناس ، فملت أصوات متعددة مختلطة : « نحن الشهود أيها الرفيق » ثم سار إلى غرفة الانتظار ، فسمع صخباً وخيبيجاً ، فن صرير الأقدام إلى وقع أقدام الخدم وهم يقدون وروحون إلى خشخشة الأوراق . وأخيراً أدخل على رئيس البوليس الذي كان جالساً إلى مكتبه متكباً على أكراس من الأوراق ، ولكنه مالبث أن اعتدل في كرسيه ونظر إليه

بهب مذهوراً وهو يردد اسم السبت . وأخيراً جاء يوم السبت ، وكان يوماً مطيراً ؛ ولكن نيكولاس لم يشعر بذلك ، إذ كان قد نسي كل العالم في ذلك اليوم

فلما أحضروا الغداء صاح : « هل من زائر ؟ » ولكنه لم يلق جواباً ، فبقى الطعام كما هو ، وبقى هو ينتظر ، وأخيراً جاء السجان بالمشاء يحمل معه باقة من البنفسج قد ذبلت أزهارها ، فارتجف نيكولاس ، وقال وهو يتناولها في نعمة حزينة يائسة : وزائري ١١

فابتسم الحارس ومضى

فنظر نيكولاس إلى الأزهار ، فرأى أمامه جاليا تقطفها وتقدمها إليه في ابتسامتها الشرقة العذبة فدفن وجهه فيها ، ثم أخذ يتنسم أريجها ويستنشق فيها عطر الربيع وعبيق الحيرة ويرضع أوراقها كأنه طفل غريب ؛ ويحنو عليها محاولاً أن يبق على حياتها بدم شبابه وقلبه ، ولكن هذه الأوراق مالبثت أن اسودت وتفضت وماتت ، ولم يبق منها إلا واحدة وضعها بين صحائف كتابه

وإذ هو يفتح هذا الكتاب أبصر تلك الزهرة الدالة ، فأخذ يفكر فيمن تكون جاليا الغائبة ! استيقظ نيكولاس عند سماع هس غريب ، فأصغى إليه ، فآذ هو صوت والده يصلي لله ، وقد سمعه يردد في آخر صلاة : « كذلك ابني الخاطيء خادمت نيكولاس » ، ثم قام الرجل ونفض عنه التراب ، وجاء إلى ابنه يوقظه ، وهو يقول : « استيقظ . يجب أن تذهب اليوم إلى الشرطة ، وإلا قبض على أنا . عليك أن تعفي ذلك التهمد المكتوب هناك ، ثم تتصرف » ثم فتح الشيخ النافذة ، فرت بالحجرة نسمة الصباح المنعشة ،

اهتدت إليه وهناك أسندت رأسها إلى ظهر ابنها وأخذت تبكي وتنتحب . وأخيراً قال الابن في صوت راجف حزين : « يجب أن أذهب بعيداً . ماذا أعمل ؟ » إلى لا أعرف . لا أستطيع احتمال أكثر من هذا . لن أذهب ثانية إلى البوليس . بل يجب أن أذهب إلى مكان آخر

— ولكن ألا ترحم والدك ؟ إنه يصرخ الآن من الألم . ألا ترحم شيخوخته ؟ اكتب التعمد للبوليس . اعمل ما يطلبه منك والدك
فهجمت الذكريات الألمية على نيكولاس وصاح :

— لا ، لا ، ان أعمل شيئاً . سأذهب إلى مكان آخر
— إلى أين يا عزيزي كولين ؟ إن والدك سيضطر أن يجيب عنك

— لا ، لا ، ان أذهب
وفي الصباح وجد نيكولاس ملقى في مقعده بنام نومة الرجل المجهد الذي فزع من هوم العالم وأعباء الحياة
ووجد بجانبه كتاب وعليه زهرة البنفسج نظمت من قبل

آلام فرتز

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد سمير الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

نيكولاس وقال : « حسن . ماذا تريد ؟ إليه . المساواة ؟ إن عمداً لا يمكن للشباب أن يناله ... انظر إليك ساس كالوميا وأنا بدين كالغيل . في الناس الذكي والغني — الفقير والغني — هذه هي سنة الطبيعة ...

— وأنت ... ؟

— إلى لا أريد شيئاً

— يجب أن تنصرف عن مجالس المهيجين وألا تستمع إلى خطبهم الزورقة . إلى لا أحدثك كرئيس للبوليس ولكن كشخص عاش ولديه كثير من الخبرة والتجارب . أنظن أني لم أحلم بالمساواة ؟ إلى لا لقد حللنا بها جميعنا ونحن شبان ولكننا كنا غفلة . والآن إنك مراقب هنا . يجب أن تكون تحت أنظار مارأنا . ثم خرج نيكولاس بوجه شاحب محقق وجسم مرضوض مجهد وفي عينيه ريق البركاهية وشرر التمرد والثورة

أمضى نيكولاس بقية اليوم يتجول على شاطئ النهر حتى جاء الليل فتسلل إلى كوخه الصغير الذي أقامه في حديقة الخزل ، وهناك استلقى على مقعد كبير ووضع يده على وجهه وأخذ يستمع إلى أصوات الأجراس التي كان يحملها إليه السكون العميق ، ثم لا تلبث أن تدوب في جوف الفضاء . ولكنه ما لبث أن سمع صوتاً ضعيفاً يقول له : « ألم نتم يا عزيزي ؟ » ألفت نيكولاس إلى مصدر الصوت فرأى أمه واقفة بالنافذة وهي تنه وتبكي

— ربك لا تخبي من أجلي يا أمي !

— وكيف العبر يا ولدي العزيز ؟

فتركها الابن وذبح إلى كرسيه واستسلم للبكاء . فأخذت أمه تنلس باب الكوخ حتى

أنتظر فراغ الصبية من ارتداء أثوابها . وكل ما يمكن
لبياي أن يؤديه ، هو أنني كنت أسمع القاذف الناري
يقول لي : عد إلى رشدك لأدراك ما أنت فاعل

ولقد فكرت مبراراً في ما كان سيوقع لي
لو أن الفتاة أسرعت بمقاورة الغرفة كما أمرتها .
لا ريب في أنني كنت سأجد سكوتي بعد ثورة
الحجل التي ساورتني ، فإن الحزن شيء والبأس شيء
آخر ؛ ولكن الله قد جمع بينهما كيلا يتسلط
أحدهما منفرداً دون رفيقه على النفس الثالثة . فقد
كان يكفي أن تخلو عرفتني من هذه المرأة ليضعف
بأسمى ويقوى حزني بالندم ، وللندامة ملاكما
المانع الثفران عن قاتلي النفوس . ولو جرت الحوادث
على هذا الوجه ، لكنني وجدت الشفاء وأوصدت
بأبي دون كل فاحشة بمسد أن أبيت لي زيارتها
الأولى مثل هذا الحجل وهذا الاشتياز

ولكن الحوادث اتخذت مجرى آخر
كفت لم أزل جالساً أنتظر خروج الفتاة وفي
نفسى مراجل من السكر والخوف والغضب ؛
أما هي فبقيت منهمكة في ترتيب شعرها وتنسيق
طيأت ثوبها . تنبسم لطيالها في المرآة . ومهت ربيع
ساعة وأنا أتبع شاردات أفكارى حتى نسييت
وجود شخص آخر في غرفتي . وبدت من الفتاة
حركة أشعمرتنى بوجودها ، فانتبهت من غفاتي
وزجرتها ، فذعرت وقامت تطلب الباب وهي ترسل
إلى قبلة الوداع من بعيد . وفي هذه اللحظة قرع
جرس الباب الخارجي بشدة ، فهضت مسارها إلى
إخفاء الفتاة في غرفة داخلية ما كدت أدفع مزلاجها
حتى دخل ديجنه ومعه رفيقان من شبان الجيرة
إن بعض حوادث الحياة تشبه التيارات
المندفعة في عباب البحر ، فهي قضاء أو صدفة

من عمّاق النفوس

اعترافاً في العصور

والفريد مرسية
بقلم الأستاذ فليكس فمارس

الجزء الثاني

الفصل الأول

وعند ما صحت في اليوم التالي ، رأيتني بلنت
من الانحطاط والنداء ما جعلني كارهاً لنفسي ،
فاستهوتني فجأة فكرة مروعة دفعتني من فراشي
فهببت وأنا أصبح بالخلوقة التي قضيت معها ليلى
قائلاً لها : ارتدى أثوابك واخرجي حالا من هذا
المكان

وجلست أحرق بالجدردان حتى بصرت
بأسلحتي المعلقة على الزاوية . . .

عند ما تتراعى فكرة مثالة إلى أحضان الفناء
فتقدم الروح على الكبار تشعمرها الحركة الآلية
للتنفيذ بشيء من الرهبة يصطدم بالإرادة فيزعزعها .
ومن بهاجم الانتحار يستول الذعر على أنامله
وتنقلص عضلات يده عند ما يحس بضيق الحديد .
وما أقدم لإنسان نحو الموت إلا وأحس باحجام
الطبيعة عن مجاراته

يصعب على الآن إيضاح ما كنت أشعر به وأنا

معها المزاج فرجونه بلهجة جافة أن يعينى من مزاجه ، فإهم لقولى بل تناول الموضوع الذى جاء من أجله ؛ وما جاء إلا ليملئنى أنت خيالى لم تسكتف بأخاذ عشيقين فى آن واحد إذ بلغ عشاقها الثلاثة ، وذلك منناه أنهما لم تعامل من خدعتنى لأجله بأحسن مما عاملتني

قال ديجنه : إن مزاجى لم يتورع من نشر الخبر ، وقد عرفت باريس كلها بخيانة الخيلة له أيضاً ؛ وما أدركت لأول وهلة معنى هذا القول حتى استعدته الحكاية ثلاث مرات ، وإذ فهمتها صمعت ولم أجد سوى الضحك ألجأ إليه حين أيقنت أن من أحببت امرأة ساقطة ، ولكننى وجدت حين قالت لى نفسى بأنى أحببتها بل لم أزل أحبها إلى الآن وأيد رفيقا ديجنه ما قاله هو ، فعرفت منهما أن خيالى كانت فى منزلها . وقد التقي العاشقان فيه فكان عراك شديد اشتهر أمره حتى اضطرت المرأة إلى مغادرة باريس هرباً من الفضيحة والمار وما كان ليخفى على ما يصيبني من كل هذه المهازل ، إذ أصبحت مبارزنى من أجل هذه المرأة وتولئ بها وجميع مافعلته من أجلها سخرية وهزواً ، وما كان ما توصف به من أبط الصفات وما يفترض من غيرها فوق ما اشتهر منه إلا ليشعرانى بأنى لم أكن إلا واحداً من عديد من تناولهم خداع هذه المرأة الساقطة

ولاحظ الشابان امتعاضى فوقفا عن التحدى فى السخرية ؛ غير أن ديجنه لم يقف إذ كان مصمماً على معاملى معاملة الطبيب يعالج مريضه بقسوة لابد من الأخذ بها ، وكان يرى لنفسه هذا الحق وهو الصديق الحميم الذى محضنى الورد وإداني الخدمات المديدة ، وقد اعتقد بحسن نيته فما زاده اضطرابى

أو عناية الهمة ، سمها ما شئت ، ولكنها كاثنية وما ينفها التعارض فى معنى كلماتها . على أن جميع من يذكرون قيصر وما بولبون لا يفوتهم أن يصفوا كلا منهما برجل العناية الآلهية ، فكانهم يرون الأبطال دون سواهم من الناس يستحقون عناية السماء بهم . ولعل الآلهة فى اعتقادهم كالثيران فى حلبة الصراع لا يستهويها سوى الأوشحة الأرجوانية إن ما ينتج عن أحقر الحوادث فى هذه الحياة وما تبدل فى مسالكنا أنفه الأمور ، لمضلة تنفع أعمق الهاوى أمام المفكرين

إن أفعالنا لشبهة بالسهم الصغيرة التى تنلها بتفوقها نحو الهدف حاسمين أنها ستنتج طوع اختيارنا ومهارتنا ، ولكن لفحة من الهواء تهب على أحدها فجأة فتحوله عن مجراه وترفعه لتدفع به إلى مجاهل الآفاق

إننا نشعر بصدمة مروعة عندما يتضح أن كبرياءنا الوافقة من ذاتها ليست إلا شبحاً يتجلى مهارة وعزماً ...

إن القوة نفسها وهى سيدة العالم التى يقبض الانسان عليها ويتنصها سيفاً يناضل به فى معترك البقاء ، إنما هى خاضعة ليد خفية تمحوها عن الهدف الذى يرى اليه ، فإذا جهدنا متطلق كالسيف خلا أمامه مضرب فرمى بمجمله الى الحضيض

هكذا بينما كنت أتجه بكل ارادى الى تطهير نفسى من أردان خطيئتي ، ولعلنى كنت أتجه أيضاً الى ازال العقاب بنفسى ، رأيتى مثلاً أمام تجربة خطيرة قدر على أن أسقط فيها

وكان البشر يطفح من وجه ديجنه ، فانطرح على المقعد وهو يتسكع بما يتم عليه وجهى من اضطراب ومن سهد ، وما كنت فى حالة أحتمل

فصل منها وهو مسك الختام ؛ فاعلم ، يا عزيزي .
أو كئنا أن المراك بين عاشق خليلتك القديمة إنما
وقع في ليلة مقمرة ، وبينما كان كل منهما يهدد الآخر
بقطع عنقه ، لاح في الشارع خيال يغمض على مهل
وقد عرف أن هذا الشبح لم يكن صواك أنت . .
وصحت به : — ومن قال هذا . . من رأي في
الشارع ، أما . . ؟

فقال : هي خليلتك بعينها التي رأيتك . . وهي
نفسها أخبرت بذلك وهي تمسحك وتؤكد للناس
أنك لم تزل هائماً بها وتقتضي الليل كالجلس أمام
بابها . أفلا يكفيك أن تعلم أنها تملن هذه الأمور
على ما لا الاتهاد ؟

ما تمكنت يوماً أن أكذب في حياتي ، وفي
كل مرة حاولت أنت أموه الحقيقة يفضحني
وجهي . ولكن هذه المرة شعرت بتسلط الخجل
على من إعلان ضمني ، فقلت في نفسي : (ما كنت
لأقف أمام بابها لو أنني عرفت أنها تدهورت إلى هذا
الحد) واجتهدت أن أفنع ذاتي بأنه لم يكن بإمكان أحد
أن يراني ويعرفني ، فحاولت إنكار الواقع ، ولكن
الاحمرار علا جبينى فاتحاً أمري . وحقق ديجنه
في وهو يتنسم فصحت به : — حذار ، يا هذا ،
فإنك تتجاوز الحد

وذهبت في الغرفة أذرعها طولاً وعرضاً كمن
قد صوابه ، وحاولت أن أضحك فعصاني الضحك ؛
وأخيراً وجدت نفسي تجاه ستر مهتوك فقلت : —
وهل كنت أعلم أن هذه الشقية ...
فانقبضت شفتا ديجنه كأنه يصير على قوله :
أفأ كان يكفيك ما عرفت ؟

وجت وكان الدم — وقد انقبضت عليه عروفي
ربع ساعة — يتصاعد إلى صدغي نابضاً فبهاأت
أكرر القول وأنا لا أحي : — أينما كنت في

إلا إني لا في الشدة ليقذفني إلى السبيل الذي يريده
لي ، ولكنك ما لبث أن شعر بنفاد صبري فاختر
السكوت ، وما كان سكوته هذا إلا يزيد من ثوري
فبدأت بدوري أنحرش بزائري مستغفماً وأنا أنمسي
ذهاباً وإياباً في الغرفة متوقفاً سماع التفاصيل عن هذه
الحوادث التي سمعت لها . وكنت أنكف
الابتسام ثم أنظأر بالسكون ، فاجتحت محاولاتي ،
لأن ديجنه تمنع بالصمت لجأه بعد أن ذهب بثروته
إلى مدى بعيد ، فكان ينظر إلى يهوده وأنا أذرع
عروفي بخطواتي كالمعلب أطلب قبضة عليه

وشعرت بعجزى عن بيان ما كان يدور في
خلدنى : أصبح أن تلك المرأة التي تربعت صنماً
معبوداً في صميم فؤادى والتي ذقت من هجرها
الأمرين ، تلك المرأة التي حصرت فيها كل هيأى
وأردت أن أبكيها مادمت حياً قد استجالت ما بين
ليلة وضحاها فاحشة تلك اسمها ألسنة الشبان ،
مهتوك تملن بنفسها فضأجها على ما لا الاتهاد ؟

وكنت وأنا استعرض هذه الأمور ذهني
أحس كأن كوابي يطبع على كفتى علامة العار . وكلا
استغرق في التفكير كانت تتكافئ الظلمات حولي
فأدبر رأسى عن جلسائى وأنا شاعر بابتساماتهم
ولحظاتهم تنصب على لاستجلاء سريرى

وكان ديجنه يتبع حر كاتى وسكناتى وهو
لا يجهل إلى أن ينجبه بما يفعل لأنه كان يعرفنى
ويعرف أبنى أقدم على كل أمر وأتجاوز كل حد بما
في من اندفاع إلا حداً واحداً وهو الشرف ؛ لذلك
كان يقصد أن يصم الأذى بالمبار مستمعيناً على
عواطفى بتفكيرى

ولما رأى أبنى وصلت إلى الحد الذي يريد ،
صوب آخر سهم من جبهته إلى فقال :
أفأ أعجبتك هذه القصة ؟ إليك الآن بالآخر

هذه الهاوية السحيقة تهتف هازئة : - هذا هو
جزاؤك ...

لو جاء هؤلاء الصحاب فقالوا : إن الناس
يهزأون بك لكنت أجيبهم : ما لي وللناس ؟
ولكنهم جاءوا يقولون إن خليلك لا زمام لها
ولا عهد

إذًا ، لقد اشتهرت الفضيحة وثبتت بشهادتين
ما كان يمكن لمؤديها أن يملنا وجودى على ما كنت
عليه دون أن يحدثا بما كانا هما عليه أيضاً ، فماذا
أكذب الناس ، وما بوسى أن أقول لهم ؟ وأين
أجد لي ملجأ وقد أصبح قلبي وهو مركز حياتي
طلأاً متهدماً . وهل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة
التي ما كنت لأتردد في اقتحام أية مسخرة وأية
ملامة من أجلها واحتمال جبال المصائب تنهار على
في سبيلها ، هذه المرأة التي أحببتها فأحببت سوى
فأطالبها بالنور النطقي بل قنمت بأن أقف باكياً
أمام بابها لأشئ إلا لألح فيها وأنا بميدعها شبابي
المضيق وقد استحالت إلى أطياف تذكّر ، ولأحفر
اسمها دون سواه على لوح قبر دفنت فيه جميع
آمالى ... هل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة هي
نفسها تسخر بي وتهزأ بدموعى ؟ إنها هي نفسها
أول من أشار إلى بيناته قاضياً على بالنتهيم أمام من
لا عمل لهم إلا الاندفاع في ميلمهم إلى الاستمراء
عن يحتقرهم ...

أجل ، هي نفسها من رى بالاهاة إلى خارجة
من شفتين طالبا التصقتا بشفتي ومن جسد كان
روحاً لحياتي بل دماً من دى ولحماً من لحي . وهل
من إهانة أقطع من هذه الالهانة وما هي الا قهقهة
لارحة فيها تصفع الجبين الوجيع برشاش نفاثتها ...
وكنت كلما استغرقت في آلامى يحتدم غضبي
وتضطرم ثورتى ، وما أدري أيصع أن أصف

الشارخ غارقاً بدموعى ، كان المراك قائماً بين
الماشقين ؟ : أنى تلك الليلة جرى هذا ؟ .. وقد
هزأت في ... لقد سخرت في ! هي ؟

أما رأيت هذا في حلم يادبجته ؟ أم يمكن أن
يكون مثل هذا صحيحاً ؟ ...

وكنت وأنا أدفع بهذا الهديان أشمر بالغضب
يساورنى حتى استولت على هزة عنيفة اضطرتنى
إلى القعود وبدأى ترمشان .

وقال دبجته : - ما لك ولغذه الهزلة تقابلها
بالجد ، يا أوككتاف ؟ لقد أرهقتك هذه الهزلة منذ
ثلاثة أشهر ، والأمر ظاهر ، فأنت بحاجة إلى
التسلي . تمال لتناول المشاء سوية وغدا نذهب
للتنزه في الضواحي

وكان يقول هذه الكلمات بلهجة فمات في
نفسى ما لم تفعله أوجامى إذ شمرت بأنه يمايلنى
معاملة طفل عليل

وبقيت ساكناً أحاول التغلب على ذاتى
عناجتها قائلاً : - لقد خدعتنى هذه المرأة فجاءت
بمدها النصائح السيئة تملأ قلبي ، وما وجدت لي
ملجأ لا في العمل ولا في اوراق قواى ، ولم يبق لي
وأنا في العشرين من ربيع الحياة ما يقبني التدهور
في القنوط أو الفساد إلا ذخيرة آلامى للربصة
أستعبد بها وقد جاني الآن من يريد تحطيمها بين
يدى : إنهم لا يوجهون الالهانة إلى حبيبي الآن بل
إلى بأسى ، لقد أصبحت مسخرة وهي نفسها تهزأ
بى ... وأنا أبكي

وما كنت لأصدق بوقوع مثل هذه الفرية ،
فكان الساضى بأسره يحتاج تذكارى فأرى ليالى
غرامنا القديم تمر أمامى كأشباح تتوالى مترامية على
شغير جرفى لا قرار له غير مسجور مظلمة كالدم
و كنت أسمع قهقهة تتجاوب أسداؤها فوق

ولو اضطررت إلى حفر هذا القبر في صميم نواصي
قلت هذا وازنمت على مقعد أنظر إليهم
يدخلون الغرفة وأنا أشعر بالسرّة الزائفة التي يشمر
بها كل إنسان فيرجّ كرب الاحتقار عن نفسه ،
وإذا ما خطر لإنسان أن يجيب لتخاذلي منهجاً
جديداً في حياتي ، فما ذلك إلا إنسان يطلع على خفايا
القلب البشري ولا هو يعلم أن المرء أن يقف
عشرين سنة على تردده ، وليس له أن يتراجع إذا
هو دفع بالخطوة الأولى على أي سبيل

الفصل الثاني

ما أشبه من بصاب للدوار بمن يتنلذذ للخلاعة
والفحشاء ١ وما أوائل الدروس إلا لرعب تمازجه
لذة للشرف مرتجعاً من رج مرتفع على الأعماق
إذا كانت الرذيلة المستترة تنال من نبالة الخلق
وتحيط من معزة النفس ، فإن في الخلاعة العريضة
التي تقضم الهواء الطلق شيئاً من كبر الحساسة
تراه متجلباً في أشد الخلفاء فساداً . إن من يسير
تحت جناح الليل سائراً أنفه باردانه ليلطخ خياته
متنكراً نافضاً زياء نهاره خلصة ، إنما هو كبعوض
الإيطاليين الذين يرسلون خناجرهم رشقاً إلى ظهر
من لا يجروون على منازلهم . إن في الروايا المظلمة
وفي التلاق تحت جناح الليل ما يشبه كين الأثمرار ،
في حين أنك ترى في مقنم الدعارة الصاخبة شيئاً
من صفات المحاريين ، فتحسب أنك تشاهد عمراكا
في موقعة وتهتف بك الكبرياء قائلاً : إن جميع
الناس يفعلون هذا مستترين ، فاهتك السستر أنت
وافضل علانية ما يرتكبونه في الخفاء
وإذا ما ادرك الخبيص هذه النجوى ، فإن شعاع
الشمس لينعكس ملثمعا على درعه

ما كنت أشعر به من الغضب ، وكل ما أعرف عنه هو
شعوري باماطة الانتقام . ولكن أنى لي أن أنتقم
من امرأة ؟ . . . وأن السلاح الذي يمكن لرجل أن
ينال به من امرأة لأشتره بما عجز وهان ؟ أية ضربة
أوجهها إليهما وأنا أعزل حتى من السلاح الذي
رشقني بناره ؟ وهل لي أن أنالهما بما نالتي به من
وقية واغتياب ؟

ولاح لي فجأة وراء الباب الرجاس خيال الفتاة
التي كانت لم تزل تنتظر الإفراج عنها . وكنت
نسيها تماماً ، فمضت من مقعدى وصحت بأصغى :
اسموا . . . لقد أحببت . . . أحببت كعجنون بل
كأحمق فاستحققت كل ما ترشقوني به من عار ؛
غير أنني سأعرض عليكم الآن ما ثبت لكم أنني
لم أعد ذلك الأحمق الذي تنوهون

ودفعت باب الغرفة الصغيرة برجلي فأنكشفت
نخباً الفتاة وقد لجأت إلى زاوية لتتقى الأنظار
وصحت بدبحته : أدخل ، أنت يا من رأيت
مجنوناً لهيأى بأمرأة ؛ أنت يا من لا تحب إلا بنات
المواخير . . . أفأ ترى حكمتك مختال هنا في هذا
الغرفة ؟ سل هذه الحسكة ، سل هذه الفتاة عما إذا
كنت قضيت ليلتي كلها تحت نافذة تلك المرأة ،
فأنها أخبر من سواها . . . ولكن ليس هذا
كل ما أريد أن أقوله ؛ إنك تدعوني إلى تناول
المشاء معك هذا المساء وإلى زهرة في الضواحي
غداً ، فأنا أقبل دعوتك ، ولكنك لن تبارحني
منذ الآن ، فلنمضّ النهار سوية ، فأقدم لكم
ما تشاءون من خمر وورق ميسر وأزهار . أنتم لي
وأنا لكم ، فلنتعاهد على هذا الشعار ، لقد شئت
أن أرفع في قلبي مزاراً أحسّط به غرامي ولكنني
الآن سأنزل هذا الغرام إلى قبر أدفنه فيه

رلا بالقربان بحوم ناعبة فوق رأسه
لقد سردت الحوادث التي رمت بي إلى هذه
الحياة ، فلي الآن أن أقص ما رأيت فيها :

لأول مرة رأيت فيها المجتمعات التي يدعونها
مراقص مقنعة ، كنت سمعت من يقول إن فيها
دعارة القصور وإن إحدى ملكات فرنسا تنكرت
فيها بزي بائمة أزهار ، ولكنني ما شهدت في هذه
المراقص إلا بائعات أزهار متنكرات بزي خادمت
الجنود . كنت أحسب أنني سأجد فيها الدعارة
فكذب الواقع حذسي ؛ وما يمكن أن ندعو دعارة
هياكاً متساقطاً من دخان ، ولا السكس والصنع ،
ولا فتيات سكارى منظرحات كالأموات على ركام
الكؤوس المحطمة

لأول مرة رأيت فيها فسق المائدة ، كنت
سمعت أحاديث الشراقة في الولائم وبانتي اسم
فيلسوف يوناني أقام دين الفطرة على لغة الحواس ،
فكنت أتوقع أن ألاقى في هذه الولائم شيئاً من
الاستغراق للنسي إذا امتنعت الأفراح الحقيقية فيها
فما وجدت إلا أقبح ما في الحياة : ما وجدت
إلا ملالاً يحاول أن يتمتع بالعيش ، فكان هنالك
قوم يسودهم الخلق الانكيزي يتحدثون عن أعمالهم
ويجدون التسلية في هذا الحديث وهم يقدررون
ملذاتهم على ما بذلوا من مال ؛ وعلى هذه الوتيرة تدور
عليهم رعي الحياة

لأول مرة رأيت فيها بنات الهوى بعد أن
كنت سمعت قصة (اسبازي) بمحضنها (السيبادة)
وهو يتناقض مع (سقراط) ؛ كنت أتوقع أن أرى
انطلاقاً وقحاً فيه شيء من الروح وخفة الروح ؛
كنت أتوقع أن أشاهد ما ينبغي وبطغو كجباب
الراح الممتعة فما وجدت إلا شفاهاً متراحية وعيوتاً
جاحظة وأتامل متشنجة

قبل أن ديموكليس كان يحيا وفوق رأسه سيف
معلق ؛ وما خال الخلاء إلا مثل حاله ، فان فوق
كل منهم سيفاً يقول : تقدم ... تقدم أبداً ،
فانا معلق بخيط على وشك الانقطاع

وما أرى ما أصور به حياة الخلاء إلا وصف
عجلة يقتعدها في أعياد المرافع رهط المقنمين ، وهي
تخترق الطرق مكشوفة بلهب الهواء عبا عليها من
مشاعل تنير الوجوه السكاسة ، وعلى هذه العجلة
فئة تنفي وفئة تضحك وبين الثنتين نوح مخلوقات
كانها نساء ، وما هي في الواقع إلا بقايا نساء عليهن
من الإنسانية آثار عافية . ويألهن من نساء يلقيهن
بين القبيل كل أنواع الامانات والتحقير ولا يعرف
المتنصن لهن هوية ولا اسماً

وكل هذا الرهط تسير به عجلة المسافر مفرقة
تنيرها مشاعل الغاز اللهب ، وقد تحكم السكر في
الرؤوس فجمد فيها كل تفكير . ولقد تخيل إليك
من حين إلى حين أن هنالك ما يشبه الاحتضان
والتقبيل ، وإذا تدرج أحد من هذه العجلة فما
يهم أحد بأمره ، وهل يهم شيء من يرى نفسه
خارجاً من عدم سائر إلى عدم ... على هذه الوتيرة
تسير خيول العربة خبيكاً وعمر رهط المسافرين

إذا كان الدمش هو أول ما يشعر به المتخبط
في سلك الخلاء ، فما يشعر به بعد ذلك إنما هو
الاستغراق بقبض على القاب ليجره جرأ إلى الاشفاق .
إن ميدان الخلاعة محلي للقوة أو بالأحرى مجال
لنقاد القوى ، وذلك ما يجتذب الكثيرين من
عشاق المجازفة ، فيقدمون إلى هذا الميدان ليبدلوا
نفوسهم مبددين ما فيهم من قوى ، فهم كالفراس
النميد يمتطي فرساً جوحاً وينطلق غير شاعر بما
يعان من لجة ومن دمه على أشجار الطريق ولا بالنشر
بتظاير من مجار الدباب تنبئه في الأرجاء القفرة

هذا الزمان ولا في الزمان المنصرم إلا كلمة «البقاء»
وما حفرت هذه الكلمة على الذهب التوهج بشماع
الشمس بل على الفضة التي تبدو لمينيك باهتة كلبها
مفشاة بكدورة أنوار الليل

لأول مرة رأيت فيها الشعب ، كان ذلك في
صبيحة الرفع (أرباء الرماذ) عند منهدر (كورزيل)
وكانت السماء قد أمطرت الأرض رذاذاً منذ السماء
فأصبحت الأزقة كأنها مزارق أوحال ، وكانت
المجالات الحاملة رهط المقتنين ترمي متدافمة بلا انتظام
بين التفرجين على جانبي الطريق ، وهم واقفون رجلاً
ونساء يمرضون أنوعاً من القبح على الرصيفين .
وكانت تلمع في محاجر هؤلاء الناس عيون أعادتها
الجر لونها فبدت فيها نقمة الوحوش السكاسة .

وما كانت سدماط المجالات تنال صدورهم لترجمهم
قيس أئمة الى الوراء ، وكنت أنا واقفاً على مقدم
إحدى هذه المجالات المكشوفة فكنت أرى من
حين الى حين أحد التفرجين يتقدم نحونا من صفه
وهو بأسماله ليوجه إلينا أظفاح الشتاء ثم يرمينا
بحفنة من الدقيق ويعود أدراجه . وما طال سيرنا
حتى بدأ الناس يرشقوننا بكثل من الأوحال قنبا
تراجمنا . بل داومنا للتقدم نحو جزيرة الغرام وغابة
(رومانفيل) موطن البناق والسرور . وسقط أحد
أحبابنا عن مقدم المجلة الى بلاط الشارع فهرع
الشعب إليه قاصداً بحطيم عظامه . . . فترجلنا وأحطنا
به لواقبته وكان حامل النثير يتقدم المجالات ممتطياً
جواده فرشقته الشعب وقد فرغ ما لديه من الدقيق
بحجر خدش كتفه

وما كنت سمعت بمثل هذا من قبل ، فبدأت
أتعرف حالة العصر الذي نعيش فيه
(يتبع) فليكس فارس

لأول مرة رأيت فيها السيدات المتهتكات .
كنت قرأت (بوكاس) و (باندالو) بعد أن
طلعت (شكسبير) ، فكنت أتخيل هؤلاء السيدات
ملائكة جسيم يواجهن الحياة بالرشاقة والرح ،
وكنت أرسوم منهن أشكالاً تنم عن الجنون في
الخيال ، وقوة الإبداع والقحة بعيون ساحرات
تثير برشقة لحظ فائر أحاديث شجون وغرام .
كنت أحسهن في الحياة تموجاً واهتزازاً كأنها
البحار ، وأراهن منمجات غملات ، أو منظرحات
سكرا من خرة الحب والهيام . هذا ما كنت
أتصور وما كنت أتوقع أن أرى ، فإ رأيت إلا
محركات رسائل وضاربات مواعيد ، دأهين لإرسال
الأكاذيب لرجل مجهول بعد رجل مجهول ، وستر
الدنايا بالزياء ، وما يرمين إلا الى هدف واحد :
الاستسلام والنسيان

لأول مرة اردت فيها أندية اليسر ، وكنت
سمعت الأحاديث عن جداول الذهب والثروات
بالحظة من الزمان ، وعن سيد من قصر هنري
الرابع ربح بورقة واحدة مائة ألف ريال وهي قيمة
ما كان يردى من ملابس ، فإ رأيت في هذه
الأندية إلا دكان أبواب يستأجر منه المال للرتدين
قيصا ليس لهم سواء ثوبا بعشرين درهماً لتمضية سهرة
واحدة ، وما رأيت إلا جلاوزة يحرسون باب ناد
فيه رهط الجالئين يقاصرون مجاذفين بطلاقة عيار
نارى على آدمعتهم مقابل رغيث ...

لأول مرة رأيت فيها مجتمعا للخاصة وللعامه
من ثلاثين ألف بفتى حاملات اجازة يبيع أعراضهن
في باريس ؟ وكنت سمعت بكل فيالق الفخشاء
في كل زمان من عهد بابل الى أيام روما ، وقد
كتبت على أبوابها « اللذة » فإ رأيت لا في

نام أوديسيوس منهوك القوي
وذهبت مينرفا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد
السلالة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر
الذين فروا من وجوه جيرانهم الجبابرة
السيكوبس — في العصر الخالي ، وزلوا بهذا
البلد ، فشادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا
أرضه الخصبة ، وأسكنوا الدور والقصور ،
وأنشأوا المعابد للآلهة عرفاناً وشكراً

وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم
استوى على العرش من بعده الكينوس ، حبيب
الآلهة ، وصفي السماء

كانت الأميرة الحسناء ، نوزيكا ، ابنة
الكينوس الملك ؛ تنطق كاللاك في نوم عميق بين
وصيقتين رامتين من وصيفاتها ، فوق سرير وثير
في مخدعها الملكي الفاخر

وكان رجاج الباب يحكا كانه رجاج باب الجنة ،
ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة مينرفا ،
التي خطرت الى الداخل كنسمة نادية من سمات
الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك ترخرف لها
هذا الحلم الغضبي الجليل ، وكأما تبدو لها في المنام في
صورة صديقتها وأخت أترابها ابنة ديماس الكريم :
« نوزيكا ! يا ويح لك أيها النؤوم المكسلا !
أهكذا تهملين ملابسك وأنت موشكة أن تُرْفَى إلى
عرسوسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظر
ورواؤك ، ودواء حاشيتك وسائر وصيفاتك ؛ كما
يتوقف عليها زهو أوبليك بين الناس . انهضى مع
الفلسف^(١) فاذهي بمطارنك إلى الفتسل عند ضفة
النهر فاعسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين
مرح هذا الشباب الخالي ... هلى ! إلى ساعاونك ،

(١) الفلق أول شيا العيص



الأوديسيا

لهيرودس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصوصة ما تقدم

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني فيمن عاد إلى
بلاده بعد حرب طروادة ، لأن نبتيون إله البحار
كان عدواً لدوداً له فصرده في البحر — وكانت
زوجة البطل من أجل نساء البلاد قطع فيها الطاموس
كل يريدها زوجة له . فحاصروا منزل أوديسيوس
ليرغموها على الزواج من أحدهم . وقد ثارت مينرفا
ربة الحكمة لهذا فبدت تلبك بن أوديسيوس في
صورة آدمية وجعلت تعرضه على البحث عن أبيه ،
فزار لها الفرض ملكي بيلوس وأسيارطه ، صديق
أبيه ، فأكرما وقادته ، وأخبره الأخير عما علم من
أخبار أوديسيوس . وروع الشاق لما علموا ما كان
من سفر تلبك فتربصوا له عند إحدى الجزر ليقبلوه
في المودة . أما أوديسيوس فقد انتهى به اللطف في
البحر إلى جزيرة سحيفة تسكنها إحدى عرائس اللاء
(كاليسو) التي هوته وشغفها حبه فاحتجته
عندها حتى أرسل كبير الآلهة ولده (هرمن) بالمحاج
من مينرفا يأمر عروس اللاء أن تسد مركباً
لأوديسيوس يعود عليه إلى بلاده . وأبحر السكين
وما يلك اللوح يلبه حتى كاد يفرقه نبتيون عند
شاطئ جزيرة ملوك البحار — ولكنه نجا وتام
منهوكا في غابة فون السفح »

المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ الذي طمعه
الدونضحة الجزر، واغتسلن بعد ذلك وتضمضن،
وجلسن على شفا النهر يتبلسن بلبقات، ثم خرطن
فتلامعن بالأكر، وتفتت ابنة الملك أعذب الأغاني،
وتفتت كما تنثني ديانا في شمعاف الجبال وفي يدها
القوس والترس، وتصيد الخنازير في أرعانت
— ومن حولها ررب من عذارى الآلهة، وابنة
لاتونا تنيه^(١) علمن وتدل... كذا كانت تيمس
ابنة الملك، فيكشف لألأها جبال الأخريات

وهنا... شامت مينرفا أن يهب أوديسيوس
من نومه، ليشهد الشيداء الهيفاء التي كُتبت في
الأزل أن تقوده إلى المدينة؛ ففما كانت توزيكا
تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها، إذا هي
تملو وتملو، ثم تدوم كما يدوم الطائر، ونهوى
في العباب المصطخب وسط النهر...

وصرخ العذارى صرخة داوية، فانتفض
أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً يرى هذا
المنظر العجيب!

« ويحي أي بني الموق قُطبان هنا؟ ليت
شعري أشوس عزابيد أم كرام أجويد! أوه! أ
إنهن عزائس ماء تفزعن فرجعت الغير ان أصداء
صراخهن، وتراقص الجباب في العباب من
جبرسنهن، وتنثي الكلا نشوة في الوادي لأداف
بحوهم فأرى إليهن... »

وخطر من دغيلتيه^(٢) خطر ان الأسد
هاجته الماصفة، فانتقدت في عينيه جمرتان من
غضب، أو طمى فاشتدت غلته إلى الدماء...
وذال^(٣) نحو العذارى، فما إن رأيته حتى تفزعن

أنت يا ساحرة أبواب شباب القياشيين ١ سل
أباك برسل إليك عربية وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك
إلى عُدوة التهر حيث لا شاهد ولا رقيب...
وانفتلت مينرفا ذات المينين الزرجديتين،
ورقت أسباب السماء حتى كانت فوق ذروة
أولب... حيث السكون والمهدوء والصمت،
وحيث يستقر الآلهة، وحيث لا تنصف ريح
ولا تتلبد سحاب ولا تدمع عين مطر... وحيث
السماء لازوردية صافية إلى الأبد

وخطرت أودورافوق عرش الشرق، وأرسلت
من لفتها أميناً من رسل النور يداعب جفني
نوزيكا، فهبت وحلها الجبل لما يفتأ يساور رأسها
الصفير، وهرعت من فورها تبحث عن أبوها
تقص عليها أبناء مارات. وقد ألفت أنها لدى
اللدفا مكبة على غزل من صوف أرجواني موثى
بصبح بحري، ومن حولها وصيفات يساعدها...
ثم لقيت أباه يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ
الملكة، فاستوقفته، وكنته في العربية، واحتجت
بملايس إخوتها الخمسة الذين يستحيون أن يرافقوا
العذارى في الحفلات بملايس لالتليق بأبناء الملوك...
وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها
وشفوف زفافها... ولم يبخل أبوها بما طلبت، بل
أمر لها بعربة كبيرة عتيقة ودواب، وزودتها أنها
بأشربات وآكال وطيبوب، ومروخ^(١)

واستوت مع وصيفاتها في العربية، وساطت
البغال فانطلقت تغلوى الرحب إلى النهر حيث
وقفت عند منمرج يترقرق فيه بلور الماء، متدفقا
من نبع قريب. وسرحت الدواب لترعى العشب
الحلو الناي على حفافى الماء، ثم أخذت في غسل

(١) ما يمسح به الجسم من دهن أو طيب أو غيرها

(١) هي ديانا

(٢) الدغيلة والدغل الشجر اللثف

(٣) ذال ودال معنى في خفة ونشاط

إلى مدينتها، وتسبغ على — أسبغت عليها الآلهة كل ما تنمي من هناءة وبهنية وقران قوى العرى لا تتناول إليه أعين الأعداء — دناراً يستروى؟» وأجابته نوزيكا : « حبا أيها الغريب النازح وكرامة ! إن سبائك تدل على نبل ، وشمسك ينيء عن رفعة ! اسطر على ما ابتلاك به سيد الآلهة الذى بيده العزة ، يشق من يشاء ، ويهب لمن يشاء . سادلك إلى المدينة ، مدينة الفياشين ملوك البحر ، التى أنا ابنة ملكها العظيم الكينوس ، رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومأت الى وصيفاتها وهى تقول : « مكانكن يا عذارى ! فم فراركن هكذا من إنسى كريم ؟ لقد أبت الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحبائها ، بلادنا المقدسة ، التى انزلت فى لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جواب آفاق ، قذفه البحر الى شاطئنا ، فرحبا به ضيفا من لدن زيوس ، وأهلا بوفادته وسهلا ... هلم إذن يا صويحيبات قدمن له طعاما وشرابا ، ثم هيئى له حماما فى منمرج ظليل عند حفافى النهر »

وأهرع البنات فقُدن أوديسوس الى منمرج ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له نوبا وكساء ، وهيانا طيوبوا يتضمخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألن أن يذهبن بعيدا حتى لا يعثر أمانهن ، إذ ... لشد ما يجعلى أنت أبدو عاريا أملما الخرد الحفريات ! ... وهادين إلى مولاتهن يحدثنها عما قال : بينا هو قد انقذف فى الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليهما من ملح اللجة ، وصعد فتضمخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه العتيق ذلك الكساء الذى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميترقا نفسها كانت تماونه فى تجميل خنلقه ، وتزيل من شعره الكث

وآتين مذعورات فى الشاطئ ذى النوى ... إلانوزيكا ! فقد نفخت فيها ميترقا من روحها ، وزرعت من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجنو تحت قدمها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كسب يستعطف ، ويسأل الفتاة دنارا ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتألف ، ثم قال :

« عمرك الله أيتها الملكة ! أرَبّة من الخالقات ، أم حسناء من بنى البشر ؟ أصرع إليك أن تجيبى ! فانك إن كنت ربة ، فإملاك لإديانا ، ابنة سيد الأوبل ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدما المشوق ، وحسبنا التسوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنت من بنات حواء ، فأسمعك ألك بك ، ولشد ما يزهون بجمال ! كلما خطرت فى ملعب ، أو بدحت^(١) فى مرتع ... ثم ما أسمع الزوج الذى سيحظى بكل ذلك الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال ! ألا ما أروع ما تبقيين كالنحلة اليانعة فى دبلوس ، عند مذبح أبولو ، أيتها الأميرة ! ألا كم أتمنى أن ألتق قديمك ، لولما ينتابى من روح ، ويؤودنى من فزع — أنا — ذلك المسمى المحزون المشجون ! — أنا — ذلك المسمى الموهون الذى أظلت من يد اللون أمس ، كشر له عن نابه فى ذلك البحر اللججى ، بعد سفرة عشرين يوما من جزيرة أوجيبيا ، وسط أنواء ولأواء ، وموج كالجبال حتى شامت العناية أن تطرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدري ما خبات لى القادر بعد ! ولكن ، هل ترى مليكتى من أجل ، وهى أول من لقيت فى هذه الأرض بعد طول عتافى ، قترشدنى

كالأعلام — والذي أخشاه أن يرانا الناس نعمة فيدهم زروا بنا ، وفدي سلفوني بالسنة حداد ، قائلين في سفاهة تندر : ترى ؟ من يكون هذا التريب النجيب الهرقلى الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى صدفة جمعت شملهما يا ترى ؟ سرعان ما تراها ترف اليه عرساً كاعبا ... قد يكون ضيفاً غير محمود من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلواتها وتسيبها واحداً من الآلهة أبى من السماء ليقرب في حضنها الى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها زوج سعيد من بلاد غربية يشيع أمانها الجاحدة بعد أن رقصت الأبدى الكثيرة التى تقدمت اليها من أبناء الفياشين ... هكذا يقول الناس إن رأونا أيها الرجل ، ولم الحى ، فانا نفس لا أعنى من اللامعة فتاة عذراء تستبجح أن تمنى مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها ... ولكن اصغ إلى : إنك واصل حتى إلى أبى إذا اتبعت نصيحتى .. بعد قليل سيصل ركبنا الى حرج أشجار الحور المقدس النابى في مخوم الطريق باسم ربة المدلة والحكمة ميرفا ... وإن عنده لبنمك يفرق وسط كلاً وأعشاب ... وإن عنده لحديقة أبى ، الجنة الضحك المثانى ، قف نعمة حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحسانا في بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل المدينة واسأل أى من الناس ، ولو طفلاً يافعا ، عن قصر الكينوس الملك ، أى الحبيب ، فانه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر في سمته وأهته ؛ فاذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى تلقى أى مبالسة لدى الوجد المتأجج بجانب عمود صرصرى مكبة على غزله الصوفى الموشى بأصباغ البحر ، ومن حولها وصيفاتها يعاونها في انجازها — وقريباً منها ترى أبى مستوي على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولمب ... لا تكلمه ...

الأشعث تليداته التى كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى ... ثم يمد بكل ذلك تفضي عليه أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هى فلكان الصناع يعمل حلبة من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ في رونق وروعة ، حتى إذا لمحه الأميرة العذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها : « تالله يا صويحيبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، ولقد حسنته أفاقاً من رعاى الناس ، لولا أننى أتى أن الآلهة لا تسوق الى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لى زوج في بهائه وحسن سمته ، على أن نبقى آخر الدرهم منا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وخرقاً » ومدن أمامه سمطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأثريات والآكال ، وأخذ أوديسيوس في أكلته حبيكاً متادباً ، برد عنه تلك المسغبة الطويلة التى أنهكنه وأوهت قوته

ووضعت أحمال المطارف والثياب فوق العربة ، وشدت البغال ، واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح الغريب ! الى المدينة إذن ! إلى سارشدك إلى قصر أبى ، حيث نقاه في جمع من أشراف الفياشين وسنطلق وسط هذه الحقول ، وإن لى معك من أجل هذا الحكمة ... لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين قريتها جسر ضيق تقرر على جانبه سقائنا ، رابضة مترامسة ؛ ثم ينهض عندها معبد نبتيون العظيم ، وبحوارده سوق المدينة البنى من الحجر الصلد ، حيث تباع حبال السفن وشرائعها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثرت عتادها — لأن الفياشين لا يعنون بشئ عنايتهم بهذه اللنشآت في البحر

سيرة ابن الجاهل الهولك

مسرحة شعبية في أربعة فصول

للكاتب المسرحي مرسيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداو

وأنتى قلباً إلى ! فان
وجهك - تحت شعاعى
الذى يواريه ظلك - يشبه
وجه أوديب، فكأن حذراً
باريس - أنا مثله خاشاً؛
لا أخشاك !
أبو الهول - أدن
يا مارسليوس !
مارسليوس - أجدد
بعض التأثير على قلبى

أبو الهول - ألهذا السر جئتُما !
مارسليوس - وهو الذى جشمتنا العناء
أبو الهول - (وراه الأحدث سناً ، فليأت إلـيه
برأفة)

إنك تشبه قيصر الصغير ، إنه ظل ذهب ولم يمد
باريس - لم نأت لهذا ، يجب ألا نحوم حول
المهوى التى تريد القاءنا فيها . إن صوتك نارة يتقاعد
ونارة يصبح بشرى اللجة . إننا لم نأت لهذا ،

أبو الهول - سلى إذا عما تطلب ؛ أنا مصغ
إليك !

باريس - زبد أن تعلمنا سرىك ؛ وهو أكبر
الأسرار فى هذا الطريق ، وهو السر الوحيد فى
هذا الوجود

أبو الهول - لقد قلت لكما ...

باريس - يجب أن تنبئنا ...

أبو الهول - كنت إخالك أكثر شجاعة

يناجى ابنة جوف ، الدرة باجيس
وهنا ... وقف أوديسيوس بصلى لبئرثا :
« يا ابنة جوف القوى المتعالى اسمى ! أسيخى
الآن يارية ! لقد تصاممت عنى إذ كانت اللجج
تلغفنى فراغبى الآن ! اجعلنى لى مرفقاً فى أمرى ،
وهب لى حبة ورحمة من قلب أبناء الفياشين
أنسى بها آلامى .. (آمين آمين !)
ولبت ربة الحكمة واستجابات لدعائه . يبد
أنها احتراماً لعمها (نيتيون) الذى لا يفتأ يفتنى
أثر أوديسيوس ، عدوه الأكبر لم تثنأ أن تبدو له
(يتبع)
درينى فمشبه

بل جاوزة الى أى الرؤوم ثم سئل حاجتك تقضها
لك ، وتملك الى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ..
أثر فى صميمها عامل الخير والحبة ، ترك الى آلاك
وذويك وبلادك .. وسلام عليك »

ثم إنهما ألهمت ظهور البغال فانطلقت تعدو
مولية عن النهر الذى صار يبتعد قليلاً قليلاً ..
وكانت نوزيكا أخذة بزمامها لتكبح من جماحها ،
حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها

وكانت الشمس تصبغ بالورس جبين المغرب
حينما وصل الركب الى حرش ميزفا القدس ، الذى
نهض حوره الباسق فى السماء نضراً ملتقاً كأنما

أبو الهول - تقول : جرعة ! دون أن تعرف
أى سر أواريه فى أنوابى !

باريس - كلما أمنت فى الفراغ فى زدت عزمي !
لا سر يبعث الروح النيرة ! النزوح ! أريد
- منك - بياناً أيتها الشعلة التى تهافت على نارها
فراشات كثيرة

أبو الهول - أيتها الطالب الفرق فى سبيلى !
هل نظرت - أية درجة بلغ الشجوب فى وجهي ؟
تمال وانظر إلى أشمة القمر وانهم ! فالسر الذى
أكتمه هل يخاف هذه النشوة التى تودع فى هذا
الشجوب الذى يزيد تفكيره وتأمله كلما زاد تأمله .
تمال انظر على شعاع نارك الذاهل ، أتريد دائماً
أن تعرف الأشياء التى أعرفها ؟ هل تريد دائماً أن
تفرق فى روعى الباعثة على الروح ؟ هل تريد
الحقيقة الأكثر بأساً ؟

نعم ! هل تريد دائماً يا باريس ؟ بعدما رأيتنى
وعلمت أنى أكثر الكائنات بأساً لأنى أكثرها
خلوداً !

باريس - نعم : أريدها
مارسليوس - نعم : نريدها ، نريدها
أبو الهول - مع كل ذلك ؟
الاثنان - مع كل ذلك
أبو الهول - لا شيء يستطيع أن يحيا بعد
معرفة لغزى ! لا يستطيع ..

الاثنان - تكلم !
باريس - أريد ذلك
مارسليوس - أريد أيضاً
أبو الهول - لا أستطيع أن أجيبكما معاً !
مارسليوس - ماذا تقول ؟

وأنت تدري أنس لا نخفل بشأن اللوك الغائبين ،
والآلهة الغائبين ... نريد سر هذا الكون البعيد .
أنت تعرفه ؟ قل لنا !

أبو الهول - وإذا ...
باريس - قل لنا على أى حال !
أبو الهول - (بدلاى) لا ...
باريس - هذه كلنك الأخيرة ؟

أبو الهول - ما أجل هذا التحدى ؟ وإذا
كان نوفى عن السلام ..
باريس - كفاك ..

أبو الهول - وإذا كان من حسنة العالم بالغيب
أن يبق ساكناً ! وإذا كان التراب سيواربك غداً
فلماذا تميشون ؟ وإذا كان صمعى أسى ماتعطيه رحمتى
باريس - كفاك كذبا وهتانا !

أبو الهول - وإذا كان سكوتى فى الليل أكبر
ما يمنحه قلبى الهادى ؟ وإذا كانت الحياة الخالية
من المعرفة خير وسيلة ..
باريس - (يدهول)

كيف تستطيع أن تعرف قلوباً كقلبي . يمكننى
أن أحتمل كل شيء !

أبو الهول - إنك تظن ذلك أيتها البطل !
« همت » كان قلب مججمة فى القبرة بكفه ولكنه
كان لا يدري الكلمة النهائية حين كان يقاب !
ربما كان فى الشك سعادة : فاحفظ ذلك وامنض
لطيتك !

باريس - لا أريد أن أبرح المكان !
أبو الهول - يا للضحية الناعسة ! ولكنى
سأضمت ..
باريس - صمتك جرعة

إلهي ! إن قلبي يندق سريعاً ، والصحراء
— ينجيل إلى — أنها زادت آماداً ... إلى أقدم
عليك يا أبا الهول ، وروحي التيقة الآن تصعد
إليك أيها النور العجيب ! أرقق إليك ... أقبل
عليك ... وأسمعك ...

(رقى مارساليوس إليه ، وكان الليل شاملاً ...
ينحني على فمه ليقول له السر ، وباريس يتأمل جميع حركات
هذا اللقيف من الخلود والفناء ، مارساليوس يعني ، وتراه
يصغر لونه تحت ضوء القمر ، ثم تنطبق عيناه وتتغذّل فواه
كم أن أصيب بصاعقة)

باريس — (ملقياً بنفسه على جثة أخيه)
النجدة ! النجدة ! مارساليوس ! ليس هذا
بحقيقة . أخي لا تنفلي هكذا جفنيك ! كلني ...
أجبنى ! ها أنا بباريس يناديك يا كيك ...
(يفكر فجأة أمام الجثة في السكبات اللاتينية التي كان
يلفظها الفم الحى ورددتها)
إنك ستفقدو مارساليوس !
(بألم وبكاء)

هل جئت بك من إيطاليا إلى الصحراء ، إلى
الموت ، إلى السكابة ؟
ألا تنفّس قليلاً وأجبنى خلاك ذم ! إنني عجيبك !
أبو الهول — لقد مات إلى الأبد ! أجل !
مات إلى الأبد !
(الليل فام الأصفاء ، ولا نجمة في السماء . أبو الهول
وحده يسمع أين الباكي)

إنه هجر هذه الأرض ، حيث يهوى كل
شيء ، هذه الأرض حيث نفا تراب قبورنا .
انظر إلى السماء التي لا تحد ؛ إن في منتصف هذه
الليلة آلاف الكواكب المروعة كانت ترتجف
كأنها عيون متطلعة على مصائبنا . إنها كلمة ؛ بل
كلمة بسيطة رُجّمت في الليل ، وهذه الظلمة

أبو الهول — انتخبنا أحداً !
مارساليوس — باريس ..
أبو الهول — (بعد صمت طويل)
مارساليوس !
مارساليوس — أخي ! لقد اصطفا في الآله
الحجري ...

باريس — ستقول لي ما يحدث بك
مارساليوس — ولماذا هذا الانتقاء الغريب
الذي آثرته ؟

أبو الهول — في اللحظة التي ستعرف فيها هل
تضطرب أحياناً ؟
مارساليوس — لا أحد منا يخشى ! إن هناك
ظماً شديداً !

باريس — اذهب وليبدأ ! امض يا أخي
المحبوب ! يا قطعة من قدرى ! يا خفقة مضطربة من
صباحي ! اذهب وانتطف الحقيقة ... هي لنفسى
أيضاً ... الحقيقة

مارساليوس — (يذهول وغيطة)
يا أخي ، يا قطعة من ذهب ونار ! أليس قلبي
قلبك ؟ إنني في طريق المعرفة ... يا لساء البهي !
إن هذا بكفر عن المشقة التي تحملناها . سأعرف
الكلمة ، كلمة العلم الانساني
أخي ! يشبه لي أنت كوكباً جديداً سطع
في دى

سأعلم كل الحقائق العميقة ، فقلبي قبلة عميقة
عذيفة يا أخي الأوحاد ! إن رعشة عميقة تمشي
فوق ذوائب التخيل ... لقد كنت على حق
يوم هجرتُ معصتي وجيبتي ، وروما وفنوني
وليالي الحب
(يرقق ويهتف على أبي الهول)

على الرمال المتقلبة !
لقد هلك مارسيلليوس - أتريد رجلاً آخر
يهلك بدمه ؟

تمالى إلى ! وفر من هذا المكان الذى يهين
عليه الموت ، واهرب من هذا السر القاتل ! وانج
من هذا الموت الذى يخرج من قلبه ... إلى
ساحل إليك الفرار - يا حبيبي باريس !
أبو الهول - (بصوت ليس أعذب)

إنه لن يصني إليك وإن يسمع بجواك ! هول ،
ولا شيء يستطيع أن يستنقذه منى
إزاييلا - ألم أكن جميلة بمقدار ؟ ألم أكن
رفيقة وحنونا ؟

باريس - (مبتعداً عن أبي الهول قليلاً قليلاً)
إزاييلا !

أبو الهول - أما تشاء أن تعرف سرى ؟
أغلب عليك الرجل ؟ أراك أصبحت شاحب اللون
باهت الوجه ! لقد رن صوت منهب هادماً السحر
الذى يربط قلبينا ... اذهب أيها المنيب الخائى
ميتة مثل ميتة أخيه

باريس - (إزاييلا تملق به)
لا لا ! دعبنى ...

إزاييلا - باريس
باريس - أود أن أعلم ...

أبو الهول - إذهب أيها الهالك ، واضرب
لمشيقتك موعداً فى مساء

إزاييلا - لدى من القبلات الحية التى تبعثها
الحبة المنهبة !

أبو الهول - ولى - فى الليل - بصوت
الرنان ذو الأسرار

انتشرت سدولها فى كل مكان . لأن السر الأعظم
الذى أواريه تحت تقابى يمت القلوب ، ويطغى
التنجوم

باريس - لتسمعى سماء خادمة النور !

أبو الهول - لن يصعد شهيقك إلى السماء !

باريس - اصمت ! اصمت ! اصمت أيها المارد للرعب ؟

أبو الهول - لقد بدلت لهجتيك ...

باريس - لهذا الأمر أعجبك هذا الفتى ...

أبو الهول - كل من أفشيت لهم سرى

الحقيقى هلكوا دون أن يفوهوا بلفظة ... وهذا
واحد منهم

باريس - اصمت ...

أبو الهول - ليس فى هذا المنظر شيء عندى !

ولقد أضحك أمام ميت !

باريس - وميتان يزيدان إعجابك ، إذا لامرمة

فيه ، لأنك ستكلمنى بدورى ! بهذا الجسد التمزق

وهاتين العينين الهامدتين ألا ما تكلمت وحدتنى !

لأننى مصر على ذلك . فان قلبه الهالك لأكثر

معرفة من فؤادى الخى . وعيناه الغمضتان المحدثتان

قد ملأتهما اللاهية

(يرقى باريس إلى التثال كما صنع مارسيلليوس ، وفى
هذه اللحظة توافيه إزاييلا وتصعد برداء أبيض شفاف)

المشهد الرابع

باريس ، مارسيلليوس (طريحاً على قدى أبي الهول) ،
أبو الهول ، إزاييلا

إزاييلا - (بصيحة شديدة)

باريس ! لا تصغ إليه !

باريس - إزاييلا !

إزاييلا - حنانينيك ! لقد وجدت آثارك

(شاحب اللون ، كأنه يرتقب أجله . لكنه فجأة يفهم أنه لا يزال حياً ، وبصيغة الظفر) :

إني أحيا ...

أبو الهول - (بتعجب)

ولماذا لم تمت ؟ وبأي حق تظل في الحياة ؟

باريس - أنا حي ...

أبو الهول - لا يعيش من يعرف سرى !

باريس - أنا حي ...

أبو الهول - أجبني عارفاً الكلمة التي تهتز

لها قمتي ؟ لا يقدر أحد على ذلك !

باريس - أنا أول من يقدر !

أبو الهول - لن تقدر ! وما قدر أحد على

ذلك . السكك مجهول سرى ...

باريس - عرفت سرى ولا أزال أحيا ...

نعم ! لا أزال أنتفس وأحيا ! وأنت أيها الحبيب

الضعيف العزم لأنك لم تستطع أن تطبق عينيك

على السر ؟ يا رفيق صباي ، ثم هادئاً قرر النفس !

إني سأبجز وعدى ، وسأعود الى أهدامى الأول ،

فالمعمل وحده يذهل عن الألم الكبير . ومن أجلك

أيها الوجه الشاحب ، سأجعل جواي على سر

الموت قطعة تندفق فيها الحياة . وهكذا تظل حياً

في آثاري وابتكاري ..

(يقترب من جثة مارسيلوس وبرقة زائفة وحنان

عميق مؤثر حمله وألقت إيزابيلا موشعها على وجهه الشاحب

وقبل أن يتقدم أجيش بالبكاء وودع أبا الهول) :

- وداعاً

(باريس يتوارى وخلفه إيزابيلا ، وبسد لحظة يظهر

أبو الهول ، بقمعه ضاحكاً قائلاً بنفسه) :

- لم أقول الحقيقة إلا لمارسيلوس !

الشار

فيليب هنري

إيزابيلا - اذكر سماعتك ، والأيام التي قضيتها في حي !

أبو الهول - إني أعرف قبلة لا تنتهي أبداً

باريس - لا لا ... أريد أن أعلم !

(يعود إلى أبي الهول)

إيزابيلا - (متوسلة إلى أبي الهول)

آه يا ملك الرمال ! كن أكثر إشفاقاً على منته .

ألا تبصر - إزاءك - امرأة تبقى البقاء طيلة هذا

الخلود الشاح البارد ! لا أملاك إلا هذه اللحظة

الإنسانية التي تصرمى ... فالفرون - لديك -

تتراكم تائهة حائرة . يعضى فريق ويعود فريق !

أفنى هذه القرون إذا كان فك الخالد لا يمنع إلا

الموت للحب الذي يناديه !

أما هذا فلا تذقه الردى - إنك إن تفعل

تفرض على منعه غداً - لا أملاك من الزمان إلا عمر

حبه ، هو إيمانى الذى أعتمد ، وحياتى ، وكوكبى

المصاعد ، الحياة خالية إلا به ... إنك إن تقتله ...

أبو الهول - (لباريس)

اصعد ...

إيزابيلا - إنك لن تغمض هذه العينين التي

أعبدتها !

إنك

أبو الهول - لقد كنت أردد في أمرك ...

قد انتهت كل شيء ... سأكلك !

(يرقى باريس كمارسيلوس ويودعه سره)

باريس - (وهو يسمع كلماته)

إفنى أسمع ... أسمع .. وبعد . وبعد . وبعد !

(عاد إلى إيزابيلا الفاتجة ، وهو يكاد يسقط على الأرض

كمارسيلوس)

إلى ... إفنى مانت لا محالة !



الرسالة

مجلة لبحوث في الآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار عميقة روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البهجة المصرية

الرسالة : تصور مظاهر الحضارة الحديثة المصرية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية

الرسالة : تعني في النشر أساليب البساطة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاعتراف الداخلي ستون قرشاً، والمخارجي ما يساوي جنبها مصرياً، وللبلاد العربية تخضع ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تلفون ١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

لجنة الأسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤتلفاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ١ يونيه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة	
٥٢٢	الوسوم بلجى دى موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
٥٢٦	من غير عنوان للقصصى الروسى تشيرلوكوف ... بقلم الأديب محمود البدوى ...
٥٢٩	غرام ادوارد الثالث مسرحية انجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحجد حدى ...
٥٣٤	مات الملك عاش الملك لمارى كوليردج ... بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
٥٣٩	يوميات نائب فى الأرياف صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٥٤٥	الحياة أقصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ...
٥٥٥	ليلة ممطرة لفيلكس براون ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٥٦١	القلب المظلم لواشنطن ارفنج ... بقلم الأديب حسين محمد كامل ...
٥٦٥	اعتقافات فى العصر لألفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فيليكس فارس ...
٥٧١	الأوقيانسة لهوميروس ... بقلم الأستاذ فريد خشة ...
٥٧٧	سر أبى الهول لموريس رستانت ... بقلم الأستاذ خليل هندادوى ...



ينظر إليهم عن عرض نظر الحسد والحق . وبما قضي أعصار أيام العطلة الطويلة يمد هؤلاء واحداً بعد واحد ، ثم يقول لنفسه : « ما أكثر من لقيت منهم بين شارع السدالين وشارع درو ! »

كان عشي وثيد الخطي يفحص ملابس الناس بمعين قد صرنا على تمييز تلك النقط الجراء من بعد ، حتى إذا بلغ الغاية من زهرته كان عجبته من عدد الموسمين قد بلغ الغاية من نفسه : « ثمانية أوسمة من رتبة ضابط ، وتسعة عشر وساما من رتبة فارس . ذلك كثير ! وإن من السفه أن تبذر الحكومة هذا التبذير في الأوسمة على هذه الصورة . تأمل فطاعة الحال إذا لقيت مثل هذا العدد في الرجمة ! » ثم يمد أدرأجه وهو هو د في مشيه ؛ فإذا شغلته زحمة الناس عن الفحص فأذهلته عن واحد من الموسمين هاج هائج وانتفخ سحره

كان يعرف الأحياء التي يكثر فيها أولو الأوسمة ؛ فهم كتار السد في شارع (باليه رويال) ؛ وعدد في شارع الأوبرا أقل منه في شارع (دلايه) ؛ وهم على عين (البقار) أكثر منهم على يسراه . ثم هم يفضلون بعض المقامى والملاهي على بعض . وكلا رأى السيد سكرمنت شزيمة من ذوى الشمور البيض يقفون على طوار الشارع

في الناس من يولد ومعه غريزة متسلطة ، فلا يكاد يبلغ حد التفكير والتعبير حتى تتحرك في شموه وتصرخ في دمه . فالسيد سكرمنت لم يجل في ذهنه منذ طرأه سنه إلا فكرة واحدة : هي أن يكون موسوماً ، أو حامل وسام . فكان وهو في حدائنه يحمل وساماً من الزنك كما يلبس الأطفال قببات الجنود ، ثم يقدم يده في عظمة وزهو إلى معونة أمه في الطريق وقد رفع صدره الصغير للزدان بالشريط الأحمر والنجمة المدينية . وبعد أن درس دراسة سقيمة عقيمة فشل في امتحان البكالوريا . ثم انتاث عليه أمره ولم يدر ما يصنع ، فتوسل بفناه إلى أن تزوج من فتاة جميلة . ثم عاش هو وهي في باريس عيش السراة من الحضر بلا لسان عالهما ويستزلان عالم الناس ، ويهاجان بصداقة ضابطين من ضباط الفرق ، ويفخران بمعرفة عضو من أعضاء مجلس النواب يمكن أن يصير يوماً ما وزيراً . ولكن الفكرة التي سكنت رأس السيد سكرمنت منذ أيامه الأولى لم تزل حديث أمانيه . ولبال صدره ؛ فهو لا ينفك فريسة للألم الملح لأنه لا يملك الحق في أن يحمل على دنجونه ذلك الشريط الصغير الملون . وكان منظر الموسومين (Décorés) الذين يلقاهم في الشارع الأكبر يلوع فؤاده ويوقد صدره ؛ فهو

ودهشة : « درجة من درجات الأكاديمية ؟ وماذا فعلت حتى تبلغ ذلك ؟ فأجابها في حدة وغضب : « إقمي ما أريد . إني أبحث فيما ينبغي أن أعمل - إنك غبية في بعض حالاتك » فالتصمت الزوجة الحسناء وقالت : صحيح إنك على حق ، ولكني لا أعرف أنا ماذا ينبغي ! » فسكنت للرجل فكرة فقال : « لعلك إذا كُلت النائب (روسلين) في هذا الموضوع ظفرت منه بنصيحة غنية . أنا كما تعلمين لا أجزؤ على أن أبدأ بهذا الحديث . ذلك شيء دقيق محرج ؛ فإذا صدر عنك كان طبيعياً لا حرج فيه ، نزلت السيدة سكرمنت على مقترح زوجها ، وذهبت إلى النائب روسلين فوعدها أن يكلم الوزير . ولما احتته السيد سكرمنت قال له النائب : لا بد أن يقدم طلباً يسرد فيه شهاداته ودرجاته . شهاداته ودرجاته ؟ ؟ إنه لم يعمل من ذلك شيئاً حتى البكالوريا . على أنه مع ذلك عكف على العمل وشرع يؤلف رسالة عنوانها : (حق الشئب في التعلم) ، ولكن الأفكار لم تواته فمجز عن إتمامها . ثم أخذ يبحث عن موضوع أمهل منالاً وأقرب مصداً ؛ فجزى على باله هذه الموضوعات متعاقبة : « تعليم الأطفال بالنظر » ويريد بذلك أن يُنشأ في كل حي من الأحياء الفقسيرة مساح بالجان للأطفال يحترم فيها والدوم فيتلقون بها مبادئ المعارف البشرية عن طريق الفوائيس السحرية . تلك دروس حقيقية يعلم النظر فيها المخ ، فتبقى الصور منقوشة على لوح الذاكرة ، ويصبح السلم منظوراً بهذه الطريقة . ولا نجد أمهل منها في تعليم التاريخ العام ، والجغرافيا ، والتاريخ الطبيعي ، وعلاوم النبات

فيربككون المرور ، قال لنفسه : « هاك ضباطاً من وسام جوقة الشرف ! » ثم تملكه الرغبة في أن يتقدم إليهم فيسلم عليهم ثم لاحظ أن لضباط هذا الوسام مشية تختلف عن مشية فرسانه ، وأن أوضاع هاماتهم على عواتقهم تختلف فيهم عنها في الناس ، لأنهم يشعرون أن لهم باسم الحكومة اعتباراً أعلى وخطراً أجلاً . ثم تأخذ في بعض الأحيان سورة من النضب الاشتراكي الحاقدة على الموسومين . ثم يرجع إلى منزله وقد هيبت رغبته رؤية الأوسمة ، كما هيبت رؤية الأطعمة شهوة الجائع ، فيقول في صوت قوى : « متى نتخلص من هذه الحكومة القذرة ؟ » فسأله زوجته وقد خأها هذا التصريح : ماذا بك اليوم ؟ فيجيبها : « إن ماني هو السخط على الجور الذي يقترب في كل مكان . لعمري إن الشيوعيين على حق ! »

عاد بعد الغداء نفرج ، وأخذ يتأمل معارض الأوسمة في بيوتها ويتوسم علامتها المختلفة الأشكال والألوان ، فودلو أنه ملكها جماء ، وأنه أصبح على رأس موكب نفخ في صدرة حاشدة ، تتلأل على صدره هذه الأوسمة ، وقد رُكبت أنواطها الموقفة واحداً فوق واحد على حسب درجاتها المتفاوتة ، ثم عشي مشية النافع الوقور وهو يتوهج توهج الشمس في الجب من همس الإعجاب وهتاف التجلة

ولكنه وأأسفاً لا يملك لقباً من الألقاب يخوله الحق في وسام من الأوسمة : إن وسام اللجيون دونور ، أو جوقة الشرف (كما قال لنفسه) يبعد للنال عن رجل لا يؤدي وظيفة عامة . فهلا يحاول أن يتال درجة من درجات الأكاديمية ؟ ولكنه لا يعرف السبيل إلى ذلك فتحدث به إلى امرأته ؛ فقالت له في عجب

وقد صعد إلى بعض الجماعات العلمية التي تعالج على الأخص مسائل العلم الغامضة ، رجاء أن يدرك من ورائها بعض الشرف ، ثم أوصى به رجال الوزارة وفي ذات يوم كان النائب المحترم يتفقد عند صديقه السيد سكرمنت (فقد دأب منذ شهور على أن يأكل عنده) فقال له في صوت خافت وهو يصاحه : « لقد ظفرت لك اليوم بنعمة كبيرة : حملت لجنة الأعمال التاريخية على أن تكلفك خدمة ، فنطأت بك أن تقوم ببعض الأبحاث في مكنتات فرنسا المختلفة »

لم يكذب السيد سكرمنت يسمع هذا الخبر حتى استرخت قواه فلم يستطع أن يأكل ولا أن يشرب . ولم يمر على هذا الحديث أسبوع حتى كان الرجل يضرب في مدن فرنسا ، زور المكاتب ، ويتصفح الفهارس ، ويقلب المخطوطات . وبلغ به اللطاف مدينة (روان) غدته نفسه أن يركب إلى باريس ليرى زوجته ، فقد مضى على مفارقتها إياها أسبوع ركب قطار الساعة التاسعة فبلغ منزله منتصف الليل . وكان لديه مفتاح البيت ، فدخل وهو ساكت الصوت صامت الخلق ، برجف من السرور ويتساقط لذة المفاجأة .

كانت امرأته محبوسة في غرفتها فيا للسام ! نادى الزوج زوجته من وراء الباب : « يا جان ! يا جان ! إنه أنا ! »

لا شك أن جان قد فزعت وريمت ، لأنه سمعها تنب من فوق السرير ، وتحدث وحدها كما يتحدث النائم في الحلم ؛ ثم أمرعت إلى مقصورة زيتنها ففتحتها ثم أغلقتها ، وجلت في الغرفة مراراً حافية القدمين سريعة الخطى ، فصدمت بعض الأثاث

والحيوان والتشريح الخ . ثم طبع هذه المذكرة وأرسل منها نسخة إلى كل نائب ، وعشراً إلى كل وزير ، وخمسين إلى رئيس الجمهورية ؛ ثم بعث إلى كل صحيفة بإبزية بعشر ، وإلى كل صحيفة إقليمية بخمس

ثم عالج موضوع المكنتات المتنقلة فاقترح أن تسيّر الحكومة في الشوارع عربات صغيرة كمربات البرتقال موقرة بأشنان السكك ، وتجعل لكل ساكن في كل حي حقاً في استئجار عشرة كتب في الشهر بصنتم . وحينئذ في ذلك أن الشعب لا يشغل باله ولا ينطق ماله إلا في القوم ، ومادام الرجل لا يذهب إلى التعليم فلنذهب التعليم إليه على أن هذه الأبحاث لم يعبأ بها لسان ولم يعب بها فكر ؛ ولكنه مع ذلك قدم طلبه ، فأجابوه بأنهم علموه ورقموه ، فلم يبق لديه شك في الفوز . وانتظر ثم انتظر ، فلم يرد على انتظاره شيء . فعقد النية على أن يسمى للأمر بنفسه ، فطلب الأذن على وزير المعارف ، فاستقبله في مكتب الوزير موظف حديث السن ولكنه رصين المظهر ، تمرأمله على نضد من الأزرار الكهربائية كما تمرأبد المعارف على مضرب البيان ، فیدهو الحجاب واللمان والكنتية ؛ فأكد له هذا الموظف أن مسألته تسيّر قدماً في طريقها الواسل وأشار عليه أن يستمر في أبحاثه الخطيرة .

فانتصع السيد سكرمنت وحسر عن يده للعمل أصبح النائب روسلين يهتم أشد الاهتمام بفوز سكرمنت ويشجى له ما استطاع الوجوه العملية والنصائح الحكيمة . وهو نفسه قد ظفر بوسام لا يدري أحد إلى اليوم الأسباب التي أهلته لهذا التميز . اقترح على السيد سكرمنت دراسات جديدة ،

— نعم ... وإنه لمر ... سر عظيم !
ومضت بالمعطف الجيد فغيبته في خزانة الثياب
ثم أقبلت على زوجها تقول وهي مضطربة شاحبة :
« هذا معطف جديد استصغنته لك . وقد أقسمت
لا أفضي إليك بشيء . إن ذلك الانعام لا ينشر
رسمياً قبل شهر أو ستة أسابيع . يجب أن تتم العمل
الذي كلفت به ، ولا ينبغي أن تعرف الخبر إلا بعد
رجوعك . إن النائب روسلين هو الذي طلب لك
هذا الانعام »

فاسترخت مفاصل السيد سكرمنت وقال في
غمضة : « زوسلين الموسوم ... وسمي بهذا
الوسام ... أنا ... هو ... آه ! » واضطر السيد
أن يشرب كوباً من الماء ...

وكانت على الأرض ورقة صغيرة بيضاء قد
سقطت من جيب المعطف ، فالتقطها السيد سكرمنت
ونظر فإذا هي بطاقة قرأ عليها : روسلين . عضو
مجلس النواب »

فقال له امرأته :

« رأيت ؟ لعلك تصدق ! »

فشبه الرجل من السرور وأخذ يكي من الفرح
ولم تمض ثمانية أيام حتى نشرت الجريدة
الرسمية أن السيد سكرمنت قد أنعم عليه بوسام
الجيوت دونور من درجة فارس مكافأة له على
خدمات استثنائية (الزيات)

المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نعد في أجل المباراة
في الأقصوصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات .
فتزولا على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخر يونيو

فصوت ما عليه من أكواب وقوارير وتحف .
وأخيراً قالت تسال : « أهو أنت يا إسكندر ؟ »
فأجابها إسكندر : نعم إنه أنا . افتحي إذن .
فتحت الباب وأتت زوجها قلبها على قلبه وهي
تقول مغمضة : « أوه ! يا للرب ! يا للعجاجة !
يا للفرح ! ثم أخذ الزوج ينضو ثيابه على أسلوب
علمي مرتب ، شأنه في كل شيء ، ووجد معطفه
على كرسي . فتناول ليمقله على مشجب الدهليز
على عادته ، ولكنه وقف بفنسة وقفة القاهل
الشدوه ، لأنه رأى في عروته شريطاً آخر ! وأقبل
على امرأته يجمجم ولا يكاد يبين :

« ه ... ها ... هذا المعطف موسوم ! »

حينئذ قفزت امرأته قفزة فكانت فوقه ،
وأخذت يديها بالمعطف وقالت : « كلا ! إنك
وام ... أعطى إياه » . ولكنه ظل يمسك بأحد
ردنيه لا يرسله ، وقال في جنون وحدة : « هيه !
لماذا ؟ أخبريني ... لمن هذا المعطف ؟ إنه ليس بمعطف
لأنه يحمل وسام اللجيوت دونور . » فجهدت
المرأة كل الجهد أن تنزع المعطف من يديه وهي
مستطارة اللب تدمم بهذا الكلام : « اسمع !
اسمع ... أعطى إياه ... لا أستطيع أن أبوح لك
بشيء ... هذا سر ... اسمع ... » فتكدر الرجل
وانكفأ لونه وقال : « أريد أن أعرف كيف كان
هذا المعطف هنا . إنه ليس بمعطف » وصاحت المرأة
في وجهه قائلة : « بلى . اسكت . أقسم لي ...
اسمع ... لقد أنعم عليك بوسام ... » فاعتزت الرجل
هزة من التأثر تفكك لها جسمه فأرسل المعطف
من يده وذهب فارغاً على مقعد
— تقولين ... إني ... إني ... أنا ... موسوم ؟

من غيب عنوان

للفصيح الرريسي تشيكوت
بقلم الأديب محمود الرزقي

نفسه . وحينما يهيج غيظ متمكن ، أو بأسره فوح شديد ، أو يتحدث عن أشياء مروعة تأخذه نشوة قوية ، ويتسائل الدمع من عينه اللامعة ، وتضرب وجهه الحرة ، ويدوى صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان المستمعون أن أرواحهم تذبها عظمتها وأنها تغني فيه . لقد كانت قوته في هذه اللحظات العظيمة المجدبة لا تحمد ، فلو أمر شيوخ الدير أن يقذفوا بأنفسهم في البحر لاستبقتوا إليه مسرعين

كان موسيقاه وصوته وشعره الذي يتنهل به الى الله منبها لسرور الرهبان لا ينضب . ففي مدة حياتهم الرتيبة تغلب الأشجار والأزهار والريبع والحريف إلى أشياء عملة ، ثم يلقهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدة الطير ملول النغم موزون الجرس . ولكن سجايا رئيسهم كانت لهم بمثابة القوت المحي والقوة المجددة

كرت السنون وما زالت الأيام تشابه الأيام ، والليالي تحاكي الليالي ، ومادنا من الدير أحد ، اللهم لإلصق الوحي والوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب الساكن الإنسانية بعيداً جداً . ولا تصل إليها من الدير أو تصل إلى الدير منها حتى تمبر حمراء ذرعها مائة ميل

والذين يجرؤون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يحملون للعقابة قيمة ولا يقيمون لها وزناً ، والذين نبذوها وراءهم ظهرياً ونقضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأهم يسرون إلى القبر

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم في ليلة من الليالي رجل برهن لهم على أنه من

كانت الشمس في القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هي اليوم . وحينما تقبل أشعتها الأولى ندى الأرض تنفض هذه عنها غبار الكرى ، وتشيع في الدنيا البهجة ، وتحلو الأمان ، وتمود الأرض في الساء إلى سكونها ، ثم تنفوس في غياب الليل . وقد ترى أحياناً سحابة راعدة تلوح ، ويقصف الرعد وهو يزجر ، أو تهوى نجمة من شاطئ وهي وسنسى ، أو يقبل راهب حيث الخطي شاحب اللون ليخبر رفاقه بأنه رأى غمراً قريباً من الدير . كان هذا كل شيء ، ثم تمود ثانية الأيام تشابه الأيام ، والليالي تحاكي الليالي

كان الرهبان يصلون ويعملون : أما رئيس الدير فيعزف على الأرغن ، ويقرض الشعر اللاتيني ، ويؤلف النغم الموسيقى . وكان للكهل الحلو الوديع ذكاء فادر وسجايا حميدة . فهو يعزف على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان الذين يضعف سمعهم كلما قربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يجبسوا دموعهم كلما صوته أرغنه من صومعته . وعندما يتكلم ولو عن الشؤون العامة كالشجر الوديف والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه إنسان دون أن ترى دموعه تترقق في عينيه ، أو بسمه ترسم على شفتيه . فيخيل إليك أن الأنعام التي تتجاذب في الأرغن هي بينما التي تمتلج في

والقصة ولكنه أثر تأثيراً غريباً في رئيس الدير ، فنظر هو والرهبان بعضهم إلى بعض ثم قال رئيسهم بوجه شاحب : « إخواني ! إنه الحق . فصحيح أن الحماقة والضعف البشري جرفا الإنسانية النعمة في تيار الجحود والاثم فأهلكاها وقضيا عليها . وما نحن أولاء لا نريم من هذا المكان كأنه لا عمل لنا ولا واجب علينا . لماذا لا أذهب إليهم فأذكرهم بالمسيح الذي نموه ؟ »

فالت كلمات رجل المدينة من نفس رئيس الدير ، ففي اليوم التالي أسلك بكساره وودع إخوانه وركب الطريق إلى المدينة ، فأسمى الرهبان لا ينعمون بموسيقاه ولا يحلو حديثه ولا براثع قريضة

ترقبوه شهرا ثم شهرين فسادوا ؛ وأخيراً في نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف تنفد الرهبان لللاقاه وأمطروه بالأسئلة ، ولكنه بدلا من مشاركتهم في جبهودهم بكى بكاء مرأ وما نيس بينت شفة . رأى الرهبان أنه أصبح خبيلا ، وأن أعراض الكبر قد بدت على ملامح وجهه

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك أن أحجموا بالكاء ؛ وسأله عما يبكيه ، فما أجابه بكلمة ، وغادروهم موصدا عليه بابه ومكث في صومته خمسة أيام ما ضرب فيها شرابا ولا طعم طعاما ولا عزف على الأرغن . ولما طرقت الرهبان عليه بابه وألحوا عليه في الخروج ليشاركوه في أساء كان جوابه الصمت العميق

خرج من متكفئه أخيراً وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ما حدث له خلال الشهر

سكان المدينة ؛ وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكاباً للآثم وجبا للحياة . وقبل أن يصل أويرجو رئيس الدير أن يباركه طلب طعاما ونبينا فلما سألوه عن سبب قدومه من المدينة إلى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق ، وعند ما أشاروا إليه أن من الواجب عليه أن يمسي راهباً أجابهم في ابتسام :

« لست لكم بصاحب ! »

شرب وأكل مله بطنه ، ثم رفع بصره إلى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لانعما وقال :

« إنكم ممشر الرهبان لا تعملون شيئا ، كل ما نتمن به هو طعامكم وشرابكم . هل هذه هي الطريقة لخلاص أرواحكم ؟ فكروا الآن ! بينا أنتم تمشون في هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحملون بالخيرات والبركات إذا باخواكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم . انظروا ما الذي يحدث في المدينة ! بينا بعض ناس يموتون جوعاً ، إذا بالآخرين لا يعرفون كيف يبيذرون الذهب . ينتمسون في الدعارة ويهلكون فيها كما يهلك الذباب في العسل ؛ ثم لا صدق ولا إخلاص بين الناس . من الذي يجب عليه انتشالهم مما هم فيه ؟ أنا الذي أروح صريع الكأس من الصباح إلى المساء ؟ هل أنتم الله عليكم بالإخلاص ومن عليكم بالحب وحباكم القلوب الرحيمة ، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الأربعة ولا تعملون شيئا ؟ »

وكان كلام الرجل السكير ينطوي على الجرأة

نصف غارية على منضدة وسط القاسمين ، ويصعب عليكم أن تصوروا شيئاً أكثر فتنة وسحراً منها ! صبي ناضر زاهر ، وشعر طويل جتل ، وعينان سوداوان لامعتان ، وشفتان مكتنزتان محمرتان ، ثم سفاهة وجرأة وقحة . هذه البهيمة تبتسم فتفتر عن أسنان بيضاء كالبرد كأنها تقول : « انظروا ! إني جميلة ومستهترة ... » وتبدل من عاتقها الملابس الحريرية البديعة المشجرة . على أن جمالها لا تحبته ملابس ، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طبقات ثوبها .. كأنه الأعشاب الصغيرة وهي تشق لنفسها الطريق في الأرض زمن الربيع . وتشرب المرأة التي لا تستحي التبيذ ، وتتنى الأغاني ، ثم تستسلم بعد ذلك للمعربدين ... لوح الرجل الكهل بذراعيه حائقاتم استمر يصف لهم سباق الخيل ، وصراع الثيران ، والملاعب ، وحوانيت الفنانين حيث يعرض هيكل المرأة العارية مرسوما بالزيت أو منحوتا بالصلصال

كان الرجل في حديثه لسنا ملتصقا بجهوري الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لاتقع عليها العين ، والرهبان ذاهلون عن أنفسهم ، غائبون عن رشدهم ، وقد أسرتهم كلماته وسحرهم بيبانه ، فهم يلهثون من فرط السرور . فلما فرغ من وصف اغواء ابليس وقتنة الفسوق وسخر المرأة لمن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء باب

فلما خرج من صومته صباح اليوم التالي لم يجد راهبا واحدا في الدبر . فقتل انطلقوا جميعا مسرعين إلى المدينة !

محمد البري

الثلاثة التي خلعت والدمع ينضح وجهه والألم يأكل قلبه ؛ ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حينما أخذ يصف لهم رحلته من الدبر إلى المدينة . غنى الطير وخر الجدول على جوانب الطريق ، وجاش صدره بالأماني الحلوة والآمال الممسولة . شعر بأنه جندى يتهيأ لافتحام الموقعة والوصول إلى النصر الحق .

سار حالا بقرض القصيد ويصوغ النشيد ؛ وسرعان ما وجد نفسه في نهاية الرحلة . على أن عينه أومضت باللب ، ونفسه جاشت بالفضب ، وصوته ارتمش عند ما بدأ يحدسهم عن المدينة والانسانية . ما كان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذي رآه وأحصاه وهو في قلب المدينة . رأى وفهم لأول مرة في حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانساني الخاوي . هنا تخمون أو ستون رجلا جيبهم مترعة بالسال بقصفون ويشربون التبيذ دون حد ، أخذوا وقد تملكهم نشوة الزاح يرفعون عقائرهم الفناء الساقط ، وينوهون في شجاعة بأشياء جارحة لا يجرؤ انسان يخاف الله جل سلطانه أن يشير إليها . فهم أحرار سمداء شجمان لا يخافون الله ولا يخشون الجحيم ولا بهابون الموت . يقولون ويفعلون ما يشاءون ، ويذهبون إلى حيث تسوقهم رغباتهم الجامحة

أما التبيذ فصفاء صفاء الكهرمان ! وهو أيضا زكي الرائحة لذيذ الطعم ، لأن كل من يعب منه يطفح وجهه بالبشر ويرغب في الشراب ثانية . وهو يجزى على ابتسام بابتسام ، وبتهلل غبطة كأنه يعرف أي ضلال جهنمي يجتئ تحت حللوه

على من اجل غضبه وبكى أحر البكاء وأشجاء . ثم استطرد يقص عليهم ما رأى : « وقفت امرأة

غرام إدوارد الثالث

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمري

بأدية على مولاي الملك ؟
فإذا في مقدور عبدتك
أن تفعل لتزول عن
نفسك أسباب الأذى
المأبوس والكتابة
الطليقة ؟

إدوارد - عفوا يا سيدتي ، إلى لشارد اللب ؟
وما أستطيع أن أتر أزهار المزاج على أرض من
الفضيحة والمار ؟ فاني قد أخطأت يا كونتس ،
منذ دخلت هذا المكان

الكونتس - حاشا ، يا مولاي ، أن يكون
بين أهل هذه الدار من يستطيع أن يرى ملكي
خطئا !

أطلعني يا مولاي الكريم على أسباب امتناعك
إدوارد - وماذا يكون مبلغ قربي من الشفاء
إذا أنا أطلعتك على ما تطلين ؟

الكونتس - يكون ذلك على قدر ما تستطيع
جميع قواي النسوية أن تبذل في مشرتي الدواء .
إدوارد - إذا كنت تقولين حقاً في ذلك
كل أسباب الرضا ؟ فاستخذي جميع قواك في
تحقيق أسباب سعادتي ، وعندئذ أسمعك يا كونتس
أو أموت

الكونتس - سأفعل ، يا مولاي ، ما تريد
إدوارد - أقسمي على ذلك يا كونتس
الكونتس - أقسم بالله أني سأفعل
إدوارد - إذن انتحي جانبا غير بعيد
واذكري أن هنا ملكا مفرماً بك
واذكري أن في مقدورك أن تسمديه ، وأنتك

يتحدث الناس اليوم عن غرام دوق وندسور
(الملك إدوارد الثامن) بسيدة كانت متزوجة يوم
أحبها ، وعما انتهى إليه ذلك الحب من طلاق السيدة
زوجها ، وزول الملك عن عرشه للافتتان بها .
وهنا قصة ملك آخر من ملوك الأنجلز هو إدوارد
الثالث الذي أحب كذلك سيدة متزوجة ، وقد
انتهى أمد غرامه على ما يرى في هذه التمثيلية الشعرية
التي وضعها بعضهم ، وقد نسبت إلى شاعر الأنجلز
الأكبر شاكسبير

وتلخص القصة في أن الحرب كانت قائمة بين
إدوارد الثالث وبين الأسكتلنديين ، وقد حاصر
الاسكتلنديون حصن روكسبرج وأسروا حاكمه
لورد سالسبري ، وقامت زوجته لادي سالسبري
بالدفاع عن الحصن دفاع الأبطال ، حتى إذا اقترب
الملك إدوارد من الحصن تحلى عنه المحاصرون
وتراجعوا هارين أمام جيوش الملك

وفتحت لادي سالسبري أبواب الحصن أمام
الملك الذي أصبح هو وحاشيته ضيوفها ؟ وما كاد
الملك يرى ربة القصر حتى أحس بمحاجمها قلبه
وشعر بحرج موقفه ، وفاجأته اللادي واقفاً إلى
نافذة الردهة شارد الفكر فجري بينهما هذا الحوار :
الكونتس - يؤلنى أن أرى مظاهر الحزن

بعيدة عنها ، بينما أنا محتفظ بها
 إن جسمي هو مخدع روحي ، وساحتها ،
 ومعبدتها ؛ وروحي ملاك ، نقي طاهر ، سهاوي ،
 غير مدنس
 فإذا أعرتك بيت هذا الملاك يا مولاي فئات
 روحي المسكينة ، وقتلتي روحي المذبة

وطلب الملك من الأزل وارويك ، والد
 الكونتس أوف سالسبري - بحكم عين الطاعة
 التي أقسمها له - أن يذهب إلى ابنته فيأمرها
 بالطاعة ورغبات الملك . وتظاهرا بالأزل بالطاعة ، وكان
 موقفه غاية في الحرج . وفي الحوار الآتي بينه وبين
 ابنته يبدو مبلغ ذلك الحرج ، كما تبدو لباقة الأزل
 في أداء واجب الطاعة لليمين التي أقسمها ، وواجب
 الشرف والحرص على كرامة ابنته
 وارويك - كيف أستطيع أداء هذه المهمة
 القاسية ؟ يجب ألا أناديها بابنتي ؛ إذ أين هو
 الأب الذي يقبل في مثل هذا الظرف التمس أن
 يحرض ابنته على الزنا ؟

إذن سأناديها بإسراء سالسبري ... فهل أنكم ؟
 لا ... إن سالسبري صديق ؛ وأين هو الصديق
 الذي يؤذي الصداقة بمثل هذه اللثة ؟
 إذن لا أناديها ابنتي ولا أناديها امرأة صديق .
 لا ، فما أنا وارويك كما تتوهمين
 إن أنا إلا محام قادم من محكمة الجحيم
 ليست روحه جسم وارويك
 لأجل إليك رسالة من الملك .

فلك المحلنا العظيم مغرم بك أيتها السيدة ،
 والرجل الذي يستطيع أن يسلبك حياتك

قد أقسمت علي أن تبذل في سبيل إسماعه كل
 ما تستطيع قوتك تحبته من أسباب المزاء
 أفضل ذلك كله ثم خبريني متى تتحقق سعادتي
 الكونتس - لقد فمت ذلك كله ، يا مولاي
 الملك المهيب

ولقد قدمت لك من مظاهر الطاعة والاخلاص
 كل ما في مقدوري من قوة الحب التي أستطيع أن
 أحيطك بها

فقل لي ، يا مولاي ، أي برهان غير ذلك تريد ؟
 إدوارد - لقد سمعتي أقول إنني مغرم بك
 الكونتس - لأن كنت مغرماً بجمال تغذه
 إن استطات ، فهو على ثقافته لا يساوي في نظري عشر
 قيمته ؛ ولأن كنت مغرماً بفضيلتي تغذه إن استطات
 فتبعب الفضيلة بغير مقدار ما يتفق منه
 وليكن غرامك يا مولاي بأى مما أستطيع أن
 أعطى وما تستطيع أن تأخذ ، فلتز به
 إدوارد - إن جالك هو الذي أريد أن أنم به
 الكونتس - وددت يا مولاي لو كان جمالي
 دهاناً ؛ إذن لموته خربت منه نفسي وقدمته اليك
 ولكنك ، يا مولاي الملك ، ملتصق بحياتي

ملازم لها
 فإذا أنت أخذت أحدهما أخذت الثاني معه ،
 فجلى كالحلال للتواضع يتبع ضوء الشمس الشرقة
 في صيف حياتي
 إدوارد - ولكنك تستطيعين أن تميزيني
 بإيه فأنم به

الكونتس - ليس أسهل من أن أعير روحي
 بمبدأ عن جسمي - والجسم في قيد الحياة -
 إلا أن أعير جسمي - وهو ماوى روحي -

السكوت نس - حصار غير طبيعي ... إذن ما أشد تسمى .. أأنجو من خطر الأعداء لأنهم من أصدقائي في خطر أشد منه فطاعة وقسوة ؟ أليست لدى الملك من وسيلة أخرى يدنس بها دى الشريف غير إفساد باعث هذا الدم في عروق وحله على أن يكون محاميه الشرير ورسوله المفضوح ... فلا عجب إذا فسدت الفروع ، بعد أن دب الفساد في الجذوع . ولا عجب أن يموت الطفل المجنوم إذا تلوثت حملة الضرع وقد جف معينه . إذن أتركوا لللائم حبله على الغارب ، وسلموا الشباب الطائش زمام الحرية المطلقة ، وأزيلوا القوانين الشديدة اللامنة ، وإمحوا جميع القواعد التي تجزى على العار بالمار وتقابل الجبرعة بالمعاقب . لا ، بل دعوني أمث إذا كانت إرادة الملك الفاضلة تأتي إلا ما يريد . فلأمت قبل أن أطيع إرادته ، وأمثل الدور الذي يريد أن أمثله في لمهاة شهوية الفاضحة وارويك - أراك تتكلمين كما أردت أنك أن تتكلمي . فاصني إلى فأنا عميد ما أمثمتك من قبل ، فان قبراً شريفاً أجل مكانة من تخدع الملك اللدنس . وكلما عظمت مكانة الرجل عظمت قيمة عمله كرمياً كان ذلك العمل أو شائناً . والقدرة الحقيقية التي تنطاز في شعاع الشمس تبدو للعين في أضغاف قيمتها الحقيقية . وأشد أيام الصيف صفاء لا يلبث أن يلوث الحبة الهامدة التي يبدو كأنه يقبلها . وحميقة هي الضربات التي تحدثها الفأس القوية ، والجريمة التي ترتكب في السكان المقدس يتضاعف أثمها عشرات المرات . والعمل الشرير الذي يرتكب بحكم القوة إثم مزدوج مقرون بالتحريض : والقرود الذي يكسى باللباس الجميلة البراقة الألوان يصبح منظره

إن أراد ، يستطيع كذلك أن يسلبك شرفك ... فأطبعه وأعيريه شرفك لتتقضى حياتك فكثيراً ما يضيع الشرف ثم يسترد ، ولكن الحياة إذا ضاعت فإنها لن تعود ؛ والشمس التي تجحف الحشائش تنمش الأعشاب ؛ والملك الذي يدنسك قادر على أن يرفع مكانتك . ويقول الشمراء إن رمح أشبيل العظيم كان يشق الجروح التي يحدتها ... ومغزى ذلك أن الرجل القوي يستطيع أن يصلح ما أفسد والأسد قادر على تنظيف فكيه اللاميتين ، وعلى ستر قسوته مظاهر الوداعة

بينما فريسته المهالمة ترمد عند قدميه والملك مستطيع - في عظمتة - أن يستر عارك وهوؤلاء الذين يجروئون على النظر ناحيته باحثين عنك إنما يفقدون نعمة البصر بالنظر إلى قرص الشمس

وما مبلغ الضرر الذي يمكن أن تحدثه نقطة من السم في المحيط الهائل ؟ وعظمة المحيط كغنية بتطهير كل ما يلقى فيه من الفاسد ، وتنجريدها من قوة الأذى ... واسم الملك العظيم يبرر سوء عمله ويكسو جرعة الندم المرة غلافاً من السكر حلو المذاق .

وأذكرى إلى ذلك أن لا ضرر في أن تفصل ما لا يمكن أن تصونه في مأمن من العار وهأنذا بأمر ملكي قد أبرزت الرذيلة في ثوب الفضيلة . وإني أنتظر جوابك في قضية مولاي

الملك - أن تخضى لارادنى
الكونتس - إنما ذلك حقك يا مولاي
الملك - على أن هذا يا أحب الناس إلى لىس
إلا مقابلة حق بحق ومبادلة حب بحب
الكونتس - بل مبادلة الخطيئة بالخطيئة ،
والمداوة بالمداوة
ولكنى إذ أرى جلالتك ميالاً لهذا الأمر فلا
عماننى ، ولا حبي زوجي ، ولا مكاتتك السامية ،
ولا الاحترام الواجبة رعايته ، ولا شيء من ذلك
بقادر على أن يتقضى . وإذا لم يكن بد من أن
تتخلب قوتك وتطنى على كل هذه الاعتبارات فاني
أستبدل الرضا بالتمتع .

وسأرغم نفسي على عمل ما لم أكن لأعمله .
إنما أشرط يا مولاي أن تمحو تلك اللوائح التي
يحول بين حب جلالتك وحبي

الملك - أذكرى هذه اللوائح يا حبي ، وإنى
لأنسم بالسما على أن أزيلها
الكونتس - إنها حياتهما هي التي تقف
بين حبينا

وإنى لأغص إذ أقول ذلك يا مديكي

الملك - حياة من يأسيدنى ؟

الكونتس - فليعلم مولاي الملك الحبيب
أنها حياة ملكك ، والسبى زوجى الشرعى ،
فهو بصفته هذه سيحول دون حبنا مادام حياً ،
ولن نستطيع أن نتم إلا بموتهما

الملك - إن ما تطلبين فوق طاقة قوانينا

الكونتس - وكذلك شأن رغباتك ، فإذا
كان القانون يستطيع أن يمنحك من تنفيذ أحد
الأمرين ، فليمنحك كذلك من محاولة الأمر الآخر

أدعى ألى الزرابة والاحتقار . إنى أستطيع يا ابنتى
أن أطيل الكلام في وصف عظمة الملك وجسامته
الغار الذى يلعنك من ورائها ، ولا تزيد الكأس
الذهبية منظر السم إلا بشاعة . وتبدو الليلة الظلماء
أشد ظلاماً إذا تخلصها البروق . والزنبقة الفاسدة
أخبث ريحاً من النشب العطن . وكل مجد ينحدر
إلى الأثم بتضاعف الغار الذى ينشأ عنه . وإنى
لأتركك الآن وقد أودعت نفسك دعواتى التي
ستقلب لمة قاسية أشد القسوة إذا أنت لوت
اسمك الذهبي الشريف بلوثة الغار الموه بمظاهر
المظلمة والمجد (ينصرف)

الكونتس - سأتبعك ، وإذا ما استدار عقل
هذه الناحية فينمر جسمى روحى فى ثم غير
محدود النهاية

وفى أثناء ثورة عواطف إدوارد يصل ابنه
البرنس أوف ويلز إلى قصر روكسبرج فتثور فى
رأس الملك معركة شديدة يبدو أثرها فى حوار بينه
وبين الأمير يذكر فيه واجباته الزوجية ، فيتردد
بين الحرص عليها وبين الاندفاع وراء شهوته المفاجئة
الملحة ؛ وبينما هو فى هذا الحوار يتقدم اللورد
فيعلن قدوم اللادى السبرى ، فيأمر الملك ابنه
بالانصراف والتسلى مع أصحابه ، وتدخل لادى
السبرى فيجربى بين الملك وبينها هذا الحوار

الملك - الآن جئت يا صديقة روحى

لتريدى من مكانك القدسية

فى معارسة حبي جمالك الفتان ؛

الكونتس - لقد أسرتى أبى ، وهو يباركنى ..

ها على جنبى تتدلى سكينتا زواجى
خذ إحداها فاقتل بها ملبكتك
وتعلم منى أين هى راقدة ،
فسأقتل بالأخرى حبيبى الذى بنام يوماً عريقاً
فى سويداء قلبى ؟
فاذا ذهبنا جميعاً فسأوضح لأزادتك غرامك .
لا تحاول أبها الملك الداعر أن تمنعنى
فان عجزى أسرع فى حركته من محاولتك
اتهاذى

فاذا تحركت فسأضرب ، قف مكانك ،
واستمع لما أخبرك به
فأما أن تقسم على المدول عن رغبتك الشريرة
فلا تعود أبداً إلى محادثتى فيها وإلا أقسمت
بالسبأ (تركع) أن تلتطخ هذه السكين الماضية
هذه الأرض بما أردت أن تلوث من دم صدرى
المسكين . أقسم يا إدوارد أقسم !
وإلا فسأضرب هنا وأموت تحت قدميك
إدوارد — إلى لأقسم بالقوة التى تزودنى الآن
روح الخجل من نفسى ألا أفتح شفتى بعيد
الآن بكلمة تشير إلى هذا الأمر الشرير .
انهضى أبنتها السيدة الانجليزية صدقا التى
ستفخر بها جزيرتنا أبداً بخير مما يستطيع أى
رومانى أن يفخر بتلك التى أجهد كثرها النبوش
أفلام الكثرين عبثاً فى محاولة وصفها .

انهضى ولتكن خطيئتى عماد سميتك الشريفة
التي ستفنين بها على مر الأجيال
انهضى فلقد أفقت من ذلك الحلم الكرهى !
عبد الحمير محمدي

وما أستطيع أن أصدق أنك تحبى كما تصف
إلا إذا أنت وفيت باليمين التى أقسمت
إدوارد — كفى . . فليمت زوجك والملكة
فأنك لا روح جالاً كما كانت هيرو
ولم يكن بيرولس ليندر بأقوى منى
وقد خاض مجرى الماء سعياً إلى حبيبته .
أما أنا فسأخوض جحبا من الدماء لأصل إلى
هيكلم معبودى .

الكونتس — وإنك لتفعل أكثر من ذلك ،
فستصبح ناء النهر بدم قلبيهما الذى يشطر حبنا
 ويفصل بيننا . ونصيبنا زوجى وزوجك من هذا
الدم متساويان

إدوارد — إن جالك يحملهما جرمة موتهما
ويقدم الدليل الذى يقضى بأن يونتا
وأنا بامس هذا الدليل وبصفتى قاضيهما سأذنبهما
الكونتس — بالله من الجلال المزيف ! ومن
القاضى الفاسد الضمير !

وعند ماتقد محكمة السبأ المالية فوق رؤوسنا
اجتماعها العام وتبدأ حساب الناس ، ومحاسبتنا
على هذا الشر المحسم هل نستطيع إلا أن نتجف
كلانا من هول الجرعة ؟

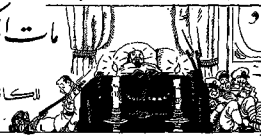
إدوارد — ماذا تقول حبيبتى ؟ هل هى مصممة ؟
الكونتس — مصممة على أن أتحلل من
قبودى ، وإذن إليك هذا :

أتهز وعذك أبها الملك العظيم أصبح لك .
قف حيث أنت وسأبتدع عنك قليلاً
ثم ترى كيف أسلم نفسى بين يديك
(تلفت إليه فجاء كاشفة عن سكينين)



مات الملك عابش الملك

للكاتبة الإنجليزية ماري كولبريدج
بتدريس الأدب محمد عبد الفتاح محمد



أن الفم قد انطبق ، والمعينين أسبنا ، والقلب كأنه
كف عن وجيبه الدائب
ودار المحس :

— يا لله ! ما أروع ! ما أشد جلاله !

كانت غشية الموت قد أصابت الملك ، ولكنه
أفاق منها فرأى الصمت الروح الرهيب قد شمل
القاعة . صمت سحري في روعته ، جليل في رهبته .
ووجد نفسه من كثرة الأزهار الفواحة في مثل
الفردوس الذي وعد الله عباده التيقن . وألقى في
نهاية الفراش عند قدميه شمتين ترسلان ضوءاً
خافتاً مرتمشاً ، يخفق تكفكان قلب الماشق . وكان
رأسه هو الذي تحرر من الفطاء الخمل اللين الملقى
على بدنه الجليل ؛ ورأى على ذلك الضوء الذابل
الضليل أربعة ، بل خمسة رجال حول السرير
يفطون في نوم عميق

وشاع في نفسه فرح شديد حينما استطاع أن
يتحرك . وما كادت ساعة القصر الكبيرة تنتهي
من دقائقها الأحدى عشرة حتى أحس بقوة الحياة
تطرد من جسده ضعف الموت . فهب من رقدته
جالساً وهو يضحك ضحكة خفيفة

ما هذه القوة الفاشحة التي كادت تودي به على
حين يرى بلاده في أشد الحاجة إليه ، ولكن
صوتاً خفياً هتف بالملك من وراء النيب يقول :

لم يكن السكون شاملاً ولا الصمت كاملاً في
القاعة الرحبة التي خيم عليها جلال الاحتضار
وغشها الموت . هناك حيث رقد الملك مستسلماً إلى
تلك القوة الخفية التي استولت عليه لتنتزع منه سر
الحياة . وكان الناس بين غاد وزأح ، يتهايمون في
سكون وحذر كأنهم يخشون أن يزعجوا ذلك الذي
بالفأ أنفاسه الأخيرة ، على الرغم من أن الطبيب
الخاص لجلالته قد أذاع أن عليه لم يعد يسمع شيئاً .
وكانت أولى بالمحتضر أن يتملأ لحبيب زوجه
الصغيرة الحسنة وقد جثت على حافة سرير ، لو كان
ديب الفناء في بدنه قد ترك له شيئاً من حس السماع
وروي في الاضائة ألا تكون قوية باهرة ، وفي
الستائر أن تظل مسبلة كيلا يؤذى الضوء عيني الراقدة
الجليل ، على الرغم من أن الطبيب قد أكد أن
جلالته أصبح لا يرى شيئاً

ولم يسمحوا لإنسان ما أن يذنو من الفراش
ماعدا أولئك الذين له في قلوبهم أخلص الحب
وأشد الوفاء ، على الرغم من أن الطبيب قرر أن
صاحب الجلالة أصبح لا يعرف من الناس أحداً
وقد قد تلت يده السكرعة من الفراش كأنما
تبحث عن شيء ، فتناوتها الملكة بين يديها منتعجة
ممولة ؛ بيد أن الملك لم يستطع أن يجيب على ضفطها
ليده بالمثل ، لأنه كان في واد آخر غير واديه . ولو حظ

إن أمامه ساعة ليس فيه ، سيمود بعدها إلى الحياة
ويكون هذا الحلم الزعيج قد مر بسلام
وتنفس الصعداء عند ما مر ذلك بخاطره ، ثم
غمغم قائلاً :

— ستمود الأمور إلى مجراها بعد حين
واستذكر لحظاته الأخيرة ، ثم استدار وصرح
البصر في فراشه وقال :

— غير أني لم أكن يوماً ما حيائياً ولا رعبدياً .
وابتسم حينها ذكر الملهة التي منحتها إياه الصوت
الحاتف

ونظر أمامه فأبني ملكة الواسع الرخيص عند
تحت ضوء القمر الزاهر ، فقال لنفسه :

— سأجد ولا ريب ثلاثة آلاف عوضاً عن
ثلاثة ، أليس الكل أصدقائي وأحبابي ؟
ومر عند ما ترك باب القصر التيف بطفل يبكي
بكاء مرأ ، فقال له في عطف :

— ما خطبك أيها الصغير ؟
فأجابته الطفل من خلال النحيب :

— لقد فارقت أبواي وذهبا إلى القصر عني
جاء موت الملك ولم يموداً بعد . وإلى كما ترى
وحيد تخب جائع ، ولم أتناول عشاءي حتى الآن ؟
ثم إن دميقي تحطمت . ألايت الملك يعود إلى
الحياة ثانية ؟

وأنهمرت مسارب عيني الطفل واشتد بحميه ،
فسر الملك أشد السرور ، وقال في نفسه :

— هاهوذا أحد أفراد شعبي يتمنى في عودة الروح
ولم يكن لديه بنت ولا ابن ، فأراد أن يداعب
الطفل ويلعبه ، ولكنه آثر أن يفي إلى شأن أم
إذ كالت في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه .

« أمها البعد ! سأمنحك الحياة ساعة بعد هذه
الموتة . وإذا عثرت فيها على ثلاثة يشق عليهم فراقك
جعلتك من الخالدين »

إذن فهذه ساعته . ساعته التي انتزعها من
الموت انتزاعاً . كم ياترى مر منها ؟

لقد كان ملكاً عادلاً كالوه العين لا يفغل عن
راحة شعبه ، جرى الصدر لا يعرف من الخوف
سبيلاً إلى قلبه ، ولكنه يحب الحياة . لله ما أجهل !
لقد عرف الآن قيمته لديه . على أنه لا يحب الحياة
لذاتها ، ولا يتعلق بها لذاته ، إنما يهوى الحياة لأن
أعماله لم تتم ، وأماله لم يحقق ، ورسائله لم تؤد على
وجهها الأكمل

وارتدت الأشياء في عينيه ثوباً جديداً وهو
ينادر العفة ماراً بالحراس النائمين . وفارقه شعور
السخط والتبرم بالقوة الظالمة التي سلبته الحياة

وقلب الأمر على جميع وجوهه ، ونبت الماطفة
وحكم العقل ، وقال في نفسه : « إن البلاد حقاً في
حاجة إليه ، ولكن هناك من يمدله من الرجال
أو يفضلوه . وإن الدنيا المليئة بالمعقول الناضجة
والقلوب الكريمة . المالم وسيع ، وإنه ليراه الآن
أوسع . كل شيء يبدو في ناظره أكبر مما كان
من قبل . لقد نبذته بلاده الآن وهجرته بسد أن
أفني عمره في السعي لها والحذب عليها

وتردد لدى الباب : أين يذهب أول الأمر ؟
أذهب إلى زوجه ؟ كلا ، لا ينبغي أن يراها الآن ،
فميتاها قرعهما البكاء ، وجسمها هذه الحزن

يجب ألا يراها إلا حين يستطيع أن يضعها إلى
صدره ، ويرى دموع الفرح يموده إلى الحياة
تنضج أسيل الخد ، كقطرات الطل على نضير الورد .

سلفه من حيث الآراء القريبة ، وقد كان سلفه يحمل له اللقت والكراهية ؛ وقد عمل أمياس الماكر على أن يفسح لنفسه مكاناً في البلاط الجديد ، وأمل أنت يكون قد أفلح . لقد أقسم لي أنه كان يستهن سياسة الملك القديم . لا مصرية في أنه كان يحبوه العطف والالطف والخطوة ، ولكن يجب ألا تحكم الماطفة إذا أردنا الرغد في العيش . وقد بدأ خطته حين مات الملك ؛ وها أنذا أرسل أمتته في أثره

— حسن جداً !

قالها الرجل الذي عرف الملك فيه أحد سفرائه ، وقال بمد برهة :

— سأنبئه فوراً . وإني أقول لك والسلام بيني وبينك ، أن ذلك لصالح الدولة ؛ فذلك الجديد أرعن طائش لا يدري ماهية الحكم . لقد أمرني أن أعقد صلحاً لا يتفق وما شيدنا من قصور وآمال ؛ غير أن الحرب قائمة لا محالة . ولا اكتمك أني لو كنت أطعت أمره لعزت الترقيات في الجيش وشحت المناصب

ولم يطلق الملك سماع بقية الحديث ، فاعتصرق وهو يقول في نفسه :

— لأذهبن إلى أسدقائي ، فهم على الأقل لا ينجنون شيئاً من مداينة خاني ، ولعله يجردهم من كل ما وهبهم إياه

وسمع الساعة الكبيرة تدق ربع الساعة الأول وهو يسير . لقد كان ملكاً حكماً ، إذ اتخذ سيده إلى أفقر الأحياء في مملكته ، وقد زار هذه الأمكنة من قبل متخفياً ، فأثري نفسه ما هم فيه من المسكنة والفقرة

من نفسه وأثره على غيره
وخارمه شعور غريب ، وخشي ألا يجده في منزله ، وقال :

— يا أمياس المسكين ! إني سميد إذ لم يمت حزناً علي ، فلا أستطيع احتمال فقدك ولا الحياة من بعده . وأني حينما دلف إلى منزل صديقه المشاعل تفندو وتروح محمولة والحياد مسرجة ؛ وبلغت أصوات المرح والرج مسمعية ، فتلفت هنا وهناك ، ولكنه لم ير الوجه المألوف . وأبصر باباً مفتوحاً ، فتسلل منه ، ولكنه لم يثر على صديقه ؛ وبحث عبتاً في غرفه . كانت كلها خاوية ، فانتابه هلع شديد . لم يقتله الحزن ولا ريب ! . وبلغ الجناح الذي تساقب فيه الصفو على غرة من الليالي ، ولم يجده هناك أيضاً . رأى الكتب مبعثرة والزجاج متناثر الشظايا على بلاط الترفة

ولج إطار صورة ملق على الأرض ، فالتقطه فكانت صورته وقد تحطم الإطار ، فتركه يسقط من يده ثانية كأنما سمته نار تندلع منه

وانتهى ناحية الموقد الكبير في ركن من القاعة ، وكان قلبه يتأجج بالمرح كأنه الحب البائس فرأى بقية من رسالة لم تحبها النار بمد ؛ كانت رسالة كتبها بخطه إلى صديقه الحميم ؛ ففتناولها وصر يبصر عليها ، فألفاها آخر رسائله إليه كان قد ذكر له فيها تفاصيل مشروع اعترم القيام به وما كاد يطعمها النار المنهبة حتى دخل القاعة شخصان يتحدان ؛ يقول الرجل للمرأة :

— أين أمياس ، ألا تملين ؟

— ذهب ليقدم ولاءه للملك الجديد ، إذ نحن كما تعلم في قلق مستمر ، وهذا الملك ليس على شاكلة

— لقد طالب حاول أن يثبت بالقانون . كان
أولى به أن يهتم بالأبرياء الذين يشيرون في السجون .
إن في الأمر شيئاً ولا ريب

يا لله ! كأنما التأم هذا الجمع للنيل منه
والقدح فيه

ودقت الساعة الربع الثاني حينما ابتعد الملك
عن هؤلاء الرعا

وأحسن دافعاً قوياً دفعه إلى عدو له كان يكيل
له السباب والشتم فيقبلها منه هاشأ باسمه ، وأخذ
سبيله إلى السجن قدماً . وانتق غرفة منه تضم بين
جدرانها الدكاناء رجلاً واحداً يكتب مستنداً
على إحدى ركبتيه . فأدام الملك النظر إليه ،
وسرعان ما دخل حارس السجن يرافقه رئيس
مجلس الشورى ، وهو رجل كان يجب به الملك
ويقدره حق قدره

ودفع السجن رأسه بسرعة ثم قال في اضطراب
وقلق :

— ولكن بوى غداً
ثم عاد وتمالك نفسه وقال :
— غير أني الآن على استعداد لي رجاء واحد .
هل أمل أن تبلغوا هذه إلى زوجي ؟

فتكلم رئيس مجلس الشورى في هدوء :
— لقد مات الملك ، وأرجى تنفيذ الحكم
فيك . إن للملك الجديد سياسة أخرى ، ومن
المحتمل أن يطلق سراحك غداً

فقال السجين في حزن عميق :
— مات ؟
فقال الآخر في حزم :
— أجل . مات !

(٣)

ولم يكن أحد يعلم من أين أتته تلك الحكي
الخبيفة التي أودت بحياته ، حتى هو نفسه لم يكن
يعلم علم اليقين ، وغنم ضاحكاً :

— سوف لا تمس الحيات جسدي بعد الآن
وكانت منازل الحكي الوضع تدل على فقر مدقع
وبؤس شديد ؛ وكانت الأمراض والأدواء تبدو
واضحة على وجوه الأهلين البؤساء الذين وقفوا
جماعات على قارعة الطريق يتهايمسون ويرددون اسمه
من حين إلى حين . كان اسمه جارياً على كل لسان ،
شاغلاً كل ذهن ؛ وسمعهم فيما سمع يرددون النشرات
الطبية التي أذيعت عليهم ويحزرون اليوم التي
يشيرونه فيه إلى مقره الأخير . عجيباً ! يظهر أنهم
بجوته متنبطون

وفي إحدى المواخير أبصر خمسة رجال حول
مائدة يجثسون شراباً ، فوقف يتسمع إلى حديثهم ؛
وسمع أحدهم يقول :

— حمد الله على خلاصنا منه . فما فائدة ملك
يضن بفلس واحد زيادة عما أمر به . ولا يخفى عليكم
ما في ذلك من كساد تجارتنا . أما الملك الجديد فيبدو
لي أنه من صنف آخر . وستروج بضاعتنا في حكمه
وأيام الحق . فقال آخر :

— أجل . لقد كان ملكاً لبطاق . كان يطاردنا
ويحرم علينا الهو . بأي حق كان يفعل ذلك ؟ أريد
أن أعلم
فقال ثالث :

— أما أنا فأقول . ليسقط ذوو التيجان . فان
كان لا بد منهم فليتركونا وشأننا . وإلى لأوتر
شاباً لا ينصاع للتعليه عليه سالبات النهى الكواغب
وقال رابع :

فهب السجين واقفاً يسمح جبينه كالمحوم
ثم قال :

— سيدى لقد كنت أجهل وأحترمه . كان
ملكا بكل ما فى هذه الكلمة من معان سامية ،
وقد عاملنى معاملته لسيد عظيم . ذلك فضلا عن
زوجته الصغيرة الحسنة ، لكم أتعنى أن يبعث مرة
أخرى ، وكان الدمع يجول فى عيني الرجل أثناء
حديثه

ودقت الساعة الربع الثالث والملك يغادر
السجن الرهيب

كان عطف عدوه أشد وقفاً على نفسه من غدر
خلاصائه ومحبيه . خيره له أن يموت من أن يكون
مدينًا بحياة لئىل ذلك الرجل

غير أنه لم يسمه إلا أن يطرب لشعور الرجل
نحوه وتقدير ما فى نفسه من نبيل وسرورة ؟ وهان
عليه الموت وسهل لأنه رأى أن محبة الناس له لم
تكن إلا حلماً من الأحلام . إن هؤلاء الناس
الذين تعب لهم وسهر عليهم لم يلبثوا بمسد شاو
من يحترم نفسه

— أين أصدقائى الآن ؟ . طفل غريب ،
وعدو نبيل . إنهما كل ما لى من أصدقاء . وهل
للحياة قيمة بعد ذلك ؟

ألا يجدر به أن يستسلم للقضاء . ولا يتعنى
بمسد الآن شيئاً ؟ لقد تاقى درساً باليماً . فى وسعه
أن يردد فيقام فينال الراحة الكبرى . لقد بررت
القوة الإلهية مسلكتها مع الانسان الطامع الجهول .
ماذا ينفع الرء أن يثبت عنده كذب أخيه ؟

وطارقة الأسف ، وذهب عنه الحزن ، ورجح
الخفاء ، وتكشفت له الحياة

وتليدت السماء بالسحب القاتمة فحجبت قرص
القمر الزاهى . وهبت ريح باردة نالت من جسده
المهوك . وأحس عزلة موحشة تشمله ، ووحدة
قاسية تكاد تصرعه ، وقاض قلبه بأساً وغماً

أحقاً ليس هناك من يهتم له ويمحزن عليه ؟ إنه
يهب كل ماله فيه فى سبيل نظرة عطف حقيقية
واحدة . كم يتوق الآن إلى شخص يبذل له من
ذات نفسه ما يجمع عليه يده ويشد به عضده . كم

يموزه الآن أليف يمتعه بنعمة وداده ويقبل عثاره
لديه لحظات أخرى ثم ينتهى الأجل . كيف
بالله احتمال عمره الطويل ؟ على أى حال لم تبق له إلا
دقائق معدودة

وأحس سلة فى نفسه وعزاء فى قلبه . نسى
كل ما أساء به إليه الناس وصنم لديه شأنه وحقر
فى عيني نفسه

ووقف لدى باب غرفة زوجته يقدم رجلا
ويؤخر أخرى . ماذا يفعل لو وجد أمه الباقى
سراباً ؟ ألا يجمعل به أن يمود حتى لا تصرعه الحقيقة
المرة ؟ غير أنه غنم قائلاً :

— لم أكن يوماً ماجاناً ولا رعيدياً
وكانت زوجته تجلس إلى جوار الوقد وحيدة
تحنى وجهها بشعرها الأسود الراحف المسترسل .
أحس عند ما رآها لأول وهلة بمطف نحوها يكاد
يذوب منه القلب . وعجب كيف تسرب إليه الشك
فى إخلاصها

وكان خاتما الثمين يطوق بنصرها كهده به
منذ أن أهداها إياه ، ولم يكن بالفرقة ما يسترعى
البصر سوى بريق حجره الأخاذ
وشعر بمحنين إليها . ودهش لم تركتها وصيفاتها



يَوْمِيَّ إِنَّا فِي الْإِرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٩ أكتوبر

رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلك أن أمحت عن ذلك الخاطب الذي كان قد تقدم للبنت ريم . ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه ؟ فانطلب إذن إلى المركز أن يأتي إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخاطب . ولكن الجار امرأة ؛ فان المرأة بطبعها فضولية ثائرة . فما من جارة لا تعرف أسماء الخاطبين والمخطوبات في الحارة .

ولكن هل أستطيع الآن أن أكلف المركز باحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم ؟ إن السياسة وحدها هي كل شيء اليوم في المركز ؛ ولن أجد خفيرا يلقي بالا إلى أواخرى الساعة . فلتصل نحن مباشرة

بجوار فراشه . لذلك أمسكت بيده بين يدي وهو يجود بنفسه . لقد ملكني الخوف وأنا أنتظر هنا وحيدة مع نفسي . ظننت روحه تأتي فتفزعني . ولكن لا ، لقد ذهب إلى حيث لا رجعة . سترفرق

وحيدة . كان يجب ألا يفارقها في تلك الليلة المصيبة . وبدت له كأنها غارقة في أفكارها وهومها . ألا ليها تسمعه صوته الموسيقى الخنون ، أو حتى تردد اسمه

علينا السعادة بأجنحة من الحب بعد الآن وزعت خاتمها ولثمته ثم قدمته إليه وهي تبكي وعند ما دقت الساعة تمان انتصاف الليل نهض الحراس من نومهم فأروا الملك راقدا قد تنشاه جلال الموت . غير أنهم لحوا تغييراً عظيماً أعترى عيانه ، فقالوا فيما بينهم :

يبد أنها كانت صامدة صمت القبور وفزع الملك لحركة مباغتة . وفتح باب سرى في الجدار ؛ باب سرى كان يظن أن أحداً لا يعلم به سواهما ؛ ودلف منه رجل وانتصب أمامها . فرفعت إصبعها إلى فمها نوى إليه بالصمت . ثم ألقت بنفسها أخيراً بين ذراعيه :

يجب ألا ندع الملكة تراه ثانية
سميرة : محمد عبد الفتاح محمد

— هل عدت أخيراً ؟ كم أنا سعيدة ! عفواً يا حبيبي ! لقد كان علي أن أفصل شيئاً وأنا جاثية

- أيام انتخاب ياسماده البك
- والمعمل ؟
- تتصل بدوار الهمد وتطلب النفر والحرمه
- اتصل

واستطلعتنا آخر الأمر أن نظفر بحضور الحرمه الجارة مع «مخصوص» وكان ميماد غدائي قد حان . وكان قد أجهدى العمل المتناهد بالكتب . أعنى تحقيق التزويرات وقضايا الزبالا فاحش والتلبس الوارد من المركز من «إيراد» اليوم ، وأكثره الآن محاضر «تشرّد» ضد الأهالي غير المواليين للحكومة القائمة . وما أسهل هذا السلاح وما أقواه في يد رجال الادارة ! فان كل نجل كرم من أنجال الأعيان يمكن اتهامه بأنه لا يحترف صناعة ، ويمكن بذلك القبض عليه وحبسه أربعة أيام باذن النيابة لجن التجري عنه وطلب بحقيقة سوابقه من مصر . وأين هو وكيل النيابة الذي يمارض المركز اليوم في إصدار أوامر الحبس ؟ وقت للتداء بمد أن أصدرت من هذه ماشاء الله والمركز . وعدت بمد الظهر لسؤال المرأة ، فتكلمت كلاماً كثيراً لم أخرج منه إلا أن الفتى الخاطب يدعى «حسين» وهو ليس من أهالي البلدة بل من بلدة مجاورة

- اسمه حسين إيه يا وليه ؟ فيه ميت حسين في البلد . لقبه إيه ؟

— ما اعرفش نقيه ياسيدى . البنيت قالت اسمه «حسين» وأنا مالى بقى أسأل عن أصله وقبيله . أنا حرمه غلبانه في حالى ، بعيد عنك ما أكره على إلا كثر الكلام . أنا طول عمرى ياسيدى في الحارة ما أحشر نفسى في كلام ولا في سؤال . وأنا مالى قالوا يا داخل بين البصلة وقشرتها ...

بالقربة وتطلب إلى النقطة أن ترسل إلينا المرأة الطالبة . وأمرت في الحال حاجي فتقدم إلى آلة التليفون وأمسك بالبوب وجمل بصيح أكثر من ربع ساعة :

— يا نقطة ! يا نقطة ! ردى على يا نقطة ! البك الوكيل جنبى يا نقطة !

ولكن النقطة غضت طرفها الناعس عنا ولم تكلم نفسها عنه الرد علينا ؟ واشتد غيظ الحاجب وجملت يده تحرك جرس التليفون بقوة كادت تخلمه . وهو من طراز تليفونات المراكز التي لا توصل الكلام بين المتكلم والمخاطب حتى ينقطع نفس الاثنين من كثرة الصباح ، وحتى ينقطع جيل الحديث مائة مرة ومرة تشبكيه خلاهاً حبال أحاديث أخرى من بلاد أخرى ومن مصالح مختلفة . فبينما يدور الكلام حول إرسال متهم إذا صوت بجيب في مسألة متعلقة بتفتيش الرى وبالفتحات ونوبات الترع ، وإذا آخر يتكلم في أنفار القرعة ويطلب طلبات في لهجة الأمر والنهى . على أننا اليوم لا نلقى ردا على الاطلاق . ويد الجرس في يد الحاجب لا يقف لها دوران ، كأنه يدبر طاحونة بن . ولا ينفك يصيح نارة مهددا ونارة متوسلا :

— أنا في عرصتك يا نقطة ! كلمة واحدة يا نقطة ! إخص عليك يا نقطة ! ردى على يا ...

فأعالمكت أن قلت :

— شيء لطيف ! نأص تركم وتقول : «ردى على يا روح قلبى يا ست هانم يا نقطة !»

— يظهر ياسمادة البك أن النقطة خالية من حضرة الملاحظ والبولكامين والسكن كليلية ...

— النقطة خالية ...

زوجها ، ودنت من القاتل الحقيقي ومرت عليه من الكرام ، ووصلت الى ذلك المسكين صاحب الستندات الذى ليس له فى الثور ولا فى الطحين ، فلكثته فى صدره لكلمة كادت ترديه وصرخت بالصوت :

— غمرى

فأرتج على الرجل وقد فوجئ . ثم عمالك وقال :

— يا سقى أنا أعرفك ؟

فلم تسمع اليه المرأة ومضت تولول :

— غمرى دى . غمرى

والثقت الى الرجل كالاستجير :

— يا سيدى البسك . انهضنى . أنا عمرى

لا شقتها ولا قابلتها ...

فقام وكبل النيابة وهو أنا ولا نغر بأستلته « التجازية » المحفوظة عن ظهر قلب ، المعتبرة من « روتين » العمل التى إذا لم تسأل أحصتها الرئاسة علينا هفوة ، وإن لم يكن هناك محل لتوجيهها ، أسئلة سخيفة لا تبنى شيئا فى ذاتها ولكن القضاء بمتبرها محرجة مضيق على خناق المجرم :

— بينك وبينها صفائى

— أبدا يا سيدى ولا أعرفها

فتمهلت قليلا لى ألقى ذلك السؤال الذى

يلقيه كل وكيل نيابة وكل قاض فى ثقة واطمئنان كأنما يلقى يده على الدليل المبين :

— إذن ما سبب ادعائها عليك ؟

— أنا عارف ! مصيبة على الصبح وارتعت على

— احجزه يا عسكري

— يحجزنى ؟ أنا يا سيدنا البسك لى قضية

مدنية تحت . اعمل معروف خلينى أروح لشقى وألقى الرجل فى الحبس الاحتياطى . ونودبت

— اسكنى قلبت دماغى فى الفارغ ، داهية تقلب دماغ الى طلبك . يعنى لو عرضنا عليك الولد تعرفيه ؟

— أعرفه يا سيدى . يا ندامه ! وأنا بقى خلاص انعميت ... أنا كنت اسم الله على مقامك ...

— كفاية ... انت واحدة والله الحمد لا تحبى كتر الكلام ولا ...

كتر كلام ... أبدا وحياتة شرفك ... أنا بعبد عنك من يوم ...

— بس !

ونادبت الحاسج ، وأمرته بإخراج المرأة واجلامها فى الدهليز بجواره تنتظر حتى تطلب . وكافته بمخاربة البلدة التى فيها الفتى ليحضرها الفتيان الذين يسمون فيها باسم « حسين » ممن تنطبق أحوالهم وأوصافهم على ما لدينا من المعلومات . وجلست أنتظر ساعة وأنا أفكر فى قيمة هذا العرض « القانونى » . لى لا أتق كثيرا بفراصة هؤلاء النسوة . وما زلت أذكر قضية قتل أثنين فيها زوجة القاتل وعرضنا عليها المئمة بين أشخاص آخرين جثنا بهم عفوا من قاعة الجلسة المدنية المنعقدة فى صباح ذلك اليوم . وكان من بين هؤلاء شخص منكود الطالع أنى يحمل مستندات شركته فى جاموسة ويسمع الحكم على خصمه بالطلبات . فاذا هو يجيد نفسه قد زج بين الأنهار الذين أخذوا من قاعة الجلسة ليقفوا فى صف طويل فى قاعة النيابة وقد أخرج عليهم وكيل النيابة امرأة شطاء ، وأمرها أن تبرز القاتل من بينهم . فتفرست المرأة فى الوجوه وحى تدق صدرها وتدعو بالويل على قاتل

طبقاً للقوانين الحديثة ينبغي أن يرحى في تطبيقها عقلية هؤلاء الناس ومدى إدراكهم وقدرتهم الذهنية

وحضر المطالبون وأوقفهم في صف طويل وأدخلنا المرأة فتقدمت وهي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم
ولم أترك لها مجالاً للثورة . فقد انتهت :
— كلمة ورد غطاها بوليعة . من في الحاضرين الخاطب ؟ ...

فدنت من أقرب الفتیان إليها ونظرت إليه بعينيها « الممشاء » نظرة « الرشح الجلي الأصبش » إلى « عريضة » يرفعها في يده حتى تمس أنفه . وقالت له في صوت خافت تريد ألا يصل إلى مسامعي :

— أنت « يا ادلمدى » مش اسمك حسين ؟
فأدركت في الحال مبلغ علم المرأة بما انتدبت لأجله وقلت لها في شدة :

— كل الجدعان اللى قدامك ياوليه اسمهم حسين — قطعة !

لفظتها المرأة في صوت الواقع في حيرة من أمره . ثم اتجهت الى التالى وسألته :

— انت متين يا جديع انت ؟
فأجابها الرجل في صوت هادئ :

— من امبابة يا سقى !
فقال على الفور في لهجة الجدة :

— دى بلد الحجير يا جدعان . دا كان مرة « ادلمدى » جوزى اشترى منها حمار ...

فلم أتمالك أن تهت :
— أخرجى يا « قرشانه » يا « وحشة »
يا قليليلة الحيا ... ضيمت وقتنا ، نهار بحاله .

قضيتبه المدنية فلم يحضرها بالضرورة قطعت دعواه وجلس الرجل الفرفصاء على الاسفلت ومستنداته في يده يفكر فيما آل اليه حاله بلا مبرر ولا جبررة تذكرت ذلك وقالت في نفسى : « كلا لا ينبغي أن نبالغ في قيمة « المرض القانونى » إن هؤلاء الفلاحين بأعينهم التى أكلها الصديد منذ الطفولة ، ومداركم التى تركت هملا على مدى حكم ولاية من جميع الأجناس لا يمكن أن يركن إليها في حكم أو تمييز . وهل هناك أعجب من « عرض قانونى » آخر قت به في قضية تزوير ، وكان اللهم « أفنديا » وقد وضعت بين أشخاص مطرشين وجئت بالجنى عليه الفلاح وأمرته باخراج « غريمه » من بين هؤلاء ، فتغرس في الوجوه لحظة ثم ترك الصف بأكله ووقف تجامهى أنا وكيل النيابة المحقق وأطال النظر في وجهي وقد بدت في عيني علامات الشك الذى سيتبعه اليقين أنه وقع أخيراً على الجرم الحقيقى ، وكان حاضراً عندي وقتئذ أحد كبار مفتشى التنبات زائراً قد أراد أن يشهد عملية المرض . فعالنى أن يبطل الرجل شكاً في أنا فيبدو والمفتش رأى لا أرضاء ، فانهرت الفلاح وأمرته أن ينظر في الصف الذى أمامه ويخرج منه اللهم . فكان اللعين يمر بالصف مراراً سريعاً ويمود فيلقى بصره على ويفحصنى من رأسى حتى إخص قدى لخص المشتبه المسترب . ولن أنسى اضطرارى يومئذ .

وقلت في نفسى : « الله يكون في عون المرؤسين » ولم اجد عند ذاك مندوحة من أن أنهى عملية المرض في الحال قائلاً في سرعة : « لم يستمر الجنى عليه على أحد » وأمرت الحاضرين بالانصراف فخرج الرجل وهو مازال يجتلس النظر . كلا إن تلك الاجراءات التى تتبع في أعمالنا القضائية

عن القضية التي ترفع فيها . قائلا إن المتهم فيها قد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه قتل رجلا في نظير مبلغ خمسة جنهات . قاتل رجل سكوثاني بدوى قوى الجسم يحترف إزهاق الأرواح . وقد اتفق معه أحد الفلاحين على قتل خصم له وحررت الكيبالة بشمن « الروح » . وانطلق ذلك المحترف حاملا بندقيته كما يحمل الفنان قيثارته ، ووقف بها تحت نافذة المسجد حتى دخلت « الروح » الغالية وسجدت تصلى فأرسل إليها الصياد من بين قضبان النافذة قبلة واحدة ذات صغير من « ماسورة » أرغوله الجهنمي كانت فيها الكفاية . وهي صناعة تحتاج الى ثبات يد ، كصناعة التجارة ؛ فالنجار الحاذق يضرب المبارضة واحدة لا عوج فيها ولا ميل ، تصيب اللوح فى الصميم . وكان مصير هذا الدم الضائع كالعتاد ومآل القضية البراءة ، لولا خلاف دب بين البائع والمشتري . قاتل سلم « البضاعة » حاضرة . ولكن المشتري مطل باليمن . ولم يطق القاتل المحترف صبرا على هذا « الزبون » المتوقف عن الدفع فصاح به وسط الجلسة غير صراع حرمة قضاء ولا قضاة ...

— عازي أتقته لك لوجه الله ؟
وترك « زبونه » والتفت الى هيئة المحاكمة :
— اشهدوا يا ناس على قلة الشرف . أنا أستحق الشنق ؟ الى ما قبضت مقدم . هو يخرب البيوت إلا الشكك
ونحكت قليلا أنا ومساعدى . وقد أبدت له ملاحظتى على هذه التجارة أو الصناعة المعروفة فى الريف . وهى الاستئجار على القتل . ان الفلاح المصرى يلجأ كثيرا الى محترف يقتله . كما كان بعض ملوكنا الأقدمين يلبجوا وون الى الجنود المرتزقة . أهو تهن

إخص على دى شهود ...
قلتها من غيظي وأما ايس من عادى « التفاحه » ولكن هذه المرأة التى أفهمتى انها رأت الخاطب بعينها وتعرفه إذا حضر أمامها قد اتضح الساعة انها لا تعرف الا اسمه . وحتى هذا الاسم الاثر « حسين » من أدرانا إذا كان هو اسمه الحقيقى أو انها كلة ألقتها على عواهنها هذه المرأة « الهجاصة » وسألت الحاضرين عن الخاطب فلم أحد بينهم من يفهم غرضي أو من يعرف شيئا عن الموضوع . فصرقهم . ولم أكّد أخلو الى نفسى وأفكر فيما يبنى عمله بعد ذلك ، حتى فتح الباب ودخل على مساعدى آتيا من البندر حيث كان يترافع فى قضايا الجنابات التى أحلتها عليه . وقد رأيت وجهه نفرا مشرقا . وابتدنى قائلا :

— البنادر هى النعم . يا خسارة رجعتا بسرعة الى جحيم الريف
— أخذت أحكام براءة
— أنا نزلت فى أحسن بانسيون وصرفت ضمت بدل السفيرة

— رد على سؤالى . القضايا عملت فيها إيه ؟
فوجم الشاب قليلا ، ولم يكن ينتظر منى الكلام فى العمل والجهد منذ اللحظة الأولى . وكان يحسن بي فمّا أن أكون به لطيفا رقيقا ولكن القضية التى فى يدي أثبتت أعصابى ، أو لعل شيئا من الحسد الخفى قام فى نفسى إذ رأيت هذا الفتى عائد كالأهرة المشرقة من ذلك النعم الذى يقول عنه ديننا أنا راسف فى أغلال الوظيفة غارق فى عمل دى مسؤولية لا يقف ولا يتنحى . وتنهت مع ذلك لخشونتي وأردت أن أبتسم وأن أتكمّل فى غير القضايا . ولكن المناسبة كانت قد فانت . ومضى المساعد يتحدث

ولقد أخبرني فعلاً أحد المستشارين من أهل الصراحة أنه بعد أن نطق ذات مرة بالحكم في جناية خطيرة ورجع ليلاً إلى مكتبه وورقه وملفات القضية ليكتب الحثيات ، وقع نظره على أقوال وهبارات في محضر جلسة اليوم ، وفي المحاضر السابقة ، وفي تحقيق النيابة استخلص منها تفكيره الهادئ الرزين في ذلك الليل الساجي ما لو عرفه قبل النطق بالحكم لكان حكمه قد تعدل وتبدل . ولكن ما العمل الآن وقد تم النطق بالحكم وما من سبيل إلى تغييره بأي حال ؟ لا يستطيع أن يصنع شيئاً . فجعل همه تلك الليلة أن يستخرج من الأوراق جميع الأسباب التي يبرر بها النطق بالحكم . وكمن الحثيات الطويلة تكتب تبريراً وتدعيماً لحكم سريع مضي النطق به ، لا تفسيراً لمدالة ولا تحجيماً لحقيقة ...
(يتبع)
نوفمبر الحكم

خلق في الفلاح يضاف إلى أمراضه الجثمانية والفكرية والاجتماعية الكثيرة . أم أنها قلة مقدرة وصف ثقة بالنفس منشؤها اشتغاله بأعمال العبيد من قديم في الأرض والزراعة وترك الفروسية والهندسة للغيرين وأفرهم بنا عهداً الأعراب والأتراك . ان الملاحظة على أشهر محترفي القتل في الأرياف أنهم من دم أجنبي . أم ان الفلاح يحب السلام وبأنف أن زاوول سفك الدماء بيده التي تبذر البذر ويخرج منها الخير . لست أدري . إن الأمر يحتاج إلى درس خاص . وبكيفية نحن المتصلين بهذه المسائل أن لا نمر عليها بغير ملاحظة . وقد أنهمت مساعدتي أن مهنتنا سخية عمادة البحث والملاحظة . وإنه طول حياته يها إلى يئس أن يسر مغمض العينين . فهي خير مهنة تكون الرجل تكويناً صحيحاً . فوكيل النيابة إن هو إلا حاكم صغير في مملكة صغيرة إذا

فهم كل شيء في هذه المملكة ، ولا حظ كل شيء ودرس الناس وطباعهم وغرائزهم ، فقد استطاع بعد ذلك أن يعرف تلك المملكة الكبيرة التي هي دولته . بل استطاع أن يفهم ذلك العالم الأوسع الذي هو « الإنسانية » . ولكن كم من رجال النيابة أو القضاء يستطيع أن يلاحظ أن قوة الملاحظة هي أيضاً هبة عظيمة لا يملكها كل الناس . وقد وحي مساعدتي هذا الكلام وهو على قسط وافر من الذكاء . فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه وأخبرني أنه لاحظ أمراً استوقف تفكيره في جلسة الجنايات ، ذلك أن المستشارين ينطقون بأدى بدى بالحكم . ثم ينصرفون بعد ذلك إلى كتابة الأسباب . والنطق الذي يتصوره هو أن يكون الأمر على العكس . ملاحظة قيمة .

سَلْمُ خُضَيْرٍ

تأليف
٥٠١٥



١٠٥٧
سَلْمُ خُضَيْرٍ

برليشة ذهب عيكار ١٤
مضمون ٣ سنوات

تستعمله الحكيم كوماتا لشرقية
مكتبة در طبعة خضير بشار عبد العزيز بربر



وما إليها ، وأن تقوم بما تقتضيه الخدمة . وكان
أصدقاءها كثيرين فسرهم هذا وارناحوها له وأقبلوا
على « نادية » ليساعدها ، وآثروا على الأندية
المفتوحة بلا قيد ولا شرط ، أو كما قال بعضهم :
« لسكل من هب ودب » فصالح حالها بذلك حتى
لقد احتاجت أن تنتقل الى شقة واسعة كثيرة
الغرف والشرقات . وصاروا السلون - على الأيام -
خير زبائنها وأسخام يدا ، فقد كان أكثر من عدام
يحمل معه ، وهو خارج ، ما بقى من طعامه وشرابه ؛
أما أولئك فقد كانوا يتكون الباقي ، ولا يفوتهم أن
يحسنوا تجربة الخادومات ؛ وكثيراً ما كانوا يداونون إلى
« صفية » أعداد الطعام والشراب الذين يريدونهم ،
فيكون لها من ذلك ربح آخر . وقلما كانوا يكتفون
بنصف الريال المطلوب

ولم تكن « صفية » كبيرة السن أو دميعة ،
ولكنها كانت قد قادت سن الاقبال عليها من الشبان
وبلغت سنًا تحتاج فيها الى المحاورة والمداورة ، وتأكيد
الحاسن ، وإبراز اللفاتن ، فكانت لا تزال تدخل
غرفة وتخرج من أخرى ، وتعي هذا وتلاطف ذاك ،
وتعمل بيدها البضة الكوب أو الطبق لتجده
بفسيره ، وتنجي الخادمة وتلقى الابتسامات هنا
وهناك ، وتخطر في شغفها المحبوك التفصيل . ومن

كان الحاضرون يجلسون حيث شاءوا من
غرف الشقة الرحبة ، فقد فتحت كلها - ماعدا
غرفة النوم - وكان كل اثنين - كل فتاة وفتى -
يختارون المكان الذي يرايه أوفى لها وأطيب .
فتحمل إليهما الخادمة طاولة صغيرة وترص عليها
ما يحتاجان إليه من أطباق وأكواب ، ثم يجيئهما
بشراهما وطعامهما اللذين دخلا بهما ، فيأكلان
ويشربان ويسمران ويرقصان - فان في البيت
فونترافاً لا يستريح - ويظللان كذلك - « في
خمود وفي أمور » كما يقول ابن الرومي - الليل كله
أو بعضه ؛ ثم ينصرفان راضيين شاكرين . فقد كان
هذا اتفاق « صوفى » أو « صفية » - كما تؤثر أن
تسمى نفسها - مع ضيوفها ، وكانت خياطة وكان
الحال حسناً ، والأيام مقبلة عليها ، فجاءت من هي
أبرع منها وأكيس وألبق وأقدر على الاستيلاء على
أهواء الزبائن فركدت السوق وقل العمل ونضب
المعين ؛ ثم خطر لها ان تسمح لمعارفها من الجنسين
ان يسمروا عندها ليلتين في الأسبوع - السبت
والأحد - أى أن تجعل من شقتها نادياً خاصاً ،
واشترطت أن تتقاضى من كل واحد وواحدة نصف
ريال ، ولضيوفها أن يجيئوا بما يشاءون من طعام
وشراب ، وعليها هي أن تمد لهم الأواني والأدوات

تسندته وتقوم اعوجاجه . ولم يكده عبده يراها حتى نهض وتناول ذراع الرجل وقال له بمجة :

« ما هذا الذي صنعت بنفسك ؟ كيف تجرؤ أن تجيء إلى هنا وأنت على هذا الحال ؟ »

فقال الرجل وهو ينحط على أقرب كرسي : « إيه ؟ ماني ؟ »

فقال عبده : « ألا تخجل أن تحمل هذه الفتاة عيب جسمك الثقيل ؟ »

فزام الرجل وأدار عينه في الغرفة ، ثم كأنما أحس أن جفونه ثقيلة ، فأغمض عينيه ، ورد رأسه إلى ظهر الكرسي ، فهزه عبده هزاً عنيفاً ، وصاح به يدعوهُ أن يقبضه ويقي ، فأشار إليه الرجل أن يبعد عنه ، فعاد عبده يقول كأنما يحدث نفسه : « ولكن الفتاة ؟ كيف تكلفها أن تحتمل منك هذا الحال ؟ »

فقال الرجل : « مالها ؟ إنها رابحة على كل حال » فدهش عبده ونظر منه إلى الفتاة ، ثم كأنما خطر له خاطر فقال لصفيه : « اجمل بالاك إليه .. إنه صديق لي . اعتنى به . أرجوك »
والثفت إلى الفتاة وقال لها : « تعالى معي .. إن بقاءك معه وهو على هذه الحال لا يليق .. تعالى تقف في الشرفة »

وأشار إليها فشت أمامه إلى حيث أوما ، فلما سارا وحدهما قال لها : « هل جئت إلى هنا من قبل ؟ »

قالت : « أبداً »

قال : « هل تعرفين أحمد هذا ؟ »

قالت : « عرفته اليوم من صديقة لي »

قال : « من أنت ؟ »

قالت وهي تبسم : « إنك شديد الفضول »

قال : « لأن تعرفي صاحباً بي ما يقول ويفعل ، خير فيما أظن من أن تعرفي من لا يكاد يبي »

أدري منها بأبراز خطوط الجسم الجميل ، واستدارات القدر الرشيق ، وإكساب الأثناء والأرداف فتنة فوق فتنتها الطبيعية ؟

وكان بعض ضيوفها يأتون فرادى اكتفاء بما يعملون أنهم يفيدونه عندها على كل حال من الأنس والهجة ، فما كان يدخل هذا البيت غريب عن رواده ، فكان المستفرد الوحيد يستطيع أن ينتقل من مجلس إلى مجلس ، وأن يمايبث أو يضاحك أو يسامر أو يراقص من شاء . وكان من هؤلاء عبد الحميد — أو عبده كما كان يسمى في العادة — ولم يكن يعرف من الموجودين إلا اثنين — « دافيد » الذي جاء به « ورشحه » في مرة سابقة ، و « صفيه » ربة البيت . وكانت « صفيه » قد أعجبها شكله ووقع من نفسها هدوؤه وسكون طائرته في الأغلب ، وما يبدو عليه من قوة الجسم والارادة معاً . وكان قليل الشراب نزر الحديث ، ولكنه لم يكن على هذا الجامداً ولا قاتراً ولا صارم الجذ ، فكانت صفيه تقبل عليه وتحاول أن تحل عنده محل الصحابة التي لم يجيء بها ، ولا تتركه إلا لحظات قصيرة للمنايا بغيره إذا بدت لها حاجة إلى ذلك . وقالت له مرة :

« لماذا تجيء وحدك ؟ »

فلم يدر ما مرادها ، ونظر إليها — أنارها النظر — قبل أن يجيب ثم آثر اللطافة فقال :

« وهل أأما وحدي ؟ »

فسرها جوابه ، وظنت أنه قانع بمجلسها وحديثها ، وراحت تحي نفسها الأمان ، فقد توسعت فيه — من مظهره — إلني ، وأنست من سيرته الجود . وإنها لبسم بكلام مناسب ، وإذا بآلباب يفتح ، وإذا بآثنين يدخلان — رجل وفتاة — وكان لا شك في أن الرجل سكران طائع ، فما كانت رجلاة يحملانه إلا يجهد ، وإلا بفضل الفتاة التي

من الساحق . ومنه على الخصوص أنه لم ير على شفتيها أثر الأحر وأن حاجبها طيبان

وقال لها : « ما اسحك ؟ »

فضحكت وقالت : « لكأنك أبي »

فقال : « لا تضحكي .. واسمى ... قد يكون

فضولي ثقيلا ولكن محبتك مع هذا السكران ... »

فقاطمته : « هل المجيء الى هنا عيب ؟ »

فقال : « لا . لست أزعج ذلك .. إن المكان

لا عيب فيه ... ناد لا أكثر ولا أقل ... ولكنه

خاص ... ليس لكل الناس ... ولكن أين

كنت مع أحمد ؟ ... أين سكر الى هذا الحد ؟ .. »

فقالت : « اسمع ... إني كذبت حين قلت

إني عرفته من صديقة لي ... الحقيقة أني لم أراه إلا

منذ ربع ساعة ... أي قبل أن تدخل هنا بدقائق »

فقال : « هذا أدهى ... كيف اتفق ذلك ؟

أعني هل عادتك أن تعرفي من يشاء أن يعرفك ؟ »

قالت : « لك العذر . وعث أن أقول شيئاً .

هل تسمح لي أن أخرج ؟ »

فاعتذرت إليها ، ولكنه ألح عليها أن تقول له

ماذا كان أحمد يعني بقوله إنها رابحة على كل حال .

فقالت ببساطة : « أقول لك الحق إني لأدري .

إنه صاحبك فله بعد أن يفنى »

وهت بأن تعفي عنه ، فتملق بها وراح يطالبها

بأن تقول له كيف جاءت الى هنا مع أحمد ؟ فقالت

هل تصدقني إذا قلت لك إني أنا مستغربة ، وإني

لا أعرف كيف اتفق أن يحدث هذا ؟ »

فأحس من نبرة صوتها أنها صادقة ، وقرأ في

عينها الصراحة فقال لها : « مالك ؟ حدثيني »

فابتسمت ، ولكن ابتسامتها كان فيها من

فضحكت شحكة رقيقة خافتة وقالت : « أظن أن الأمر على العكس ! »

فقال : « هل تمنين أن تقول لي إنه لا يعرف من أنت ؟ »

قالت : « هذا ما أعني . إنك ذكي »

قال : « وماذا كان يعني بقوله إنك رابحة على كل حال ؟ »

فأطرقت قليلا وقالت : « إن اهتمامك هذا

بأمرى يسرني ، ولكن هل من الضروري أن تعفي

في التحقيق إلى النهاية ؟ »

قال : « عفواً ولكن الكلمة محيية ... وأنا

أخشى أن تكون .. أن يكون .. »

وأمسك . وماذا عسى أن يقول ؟ إن هذه

أول مرة بلقاها فيها ، وليس من اللائق على كل

حال أن ينتحل لنفسه حق القيم عليها ؟ ولكنها

كانت جميلة ، وكانت ثيابها تدل على النعمة والترف ،

وقد تجد كثيرات يلبسن من الثياب أغلاها وأغلاها أنفسها

ولا يكن مع ذلك فيها إلا كاستعيرات لها ؛ أما هذه

الفئة الصغيرة السن فيبدو للناظر إليها — من

النظرة الأولى — أنها ألقت النعمة والترف ، وأنها

نشأت في أحضانها . وكان قوامها ليناً ، وقدها

صغيراً ؟ وكان ثيابها راسخين من غير أن يمسكها

أو يرفعهما شيء . وقد وقعت عين عبده عليهما ،

أول ما وقعت على شيء فيها ، ففطن إلى دلالة ذلك

وأدرك أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون إلا غريبة

على الرغم من ذلاقة لسانها . وهل يعقل أن يظل

الثديان راسخين على الرغم من امتداد الأيدي إليهما

وكثرة البعث بهما ؟. أبداً .. أبداً ... كذلك كان

يحدث نفسه وهو يكلمها ويحدث في وجهها الدقيق

المعارف ، المشرق اللدياجة ، الصالح ، بغير معونة

أن يذكر لها رقم تليفونه ويتسنى أن يذكر لها اسمه ، وأن تقيده هي الرقم ولا تسأل عن الاسم الذي ينبغي أن تذكره وتطلب أن تكلمه ! ولم تكند تغيب عن نظره وتذهب إلى حيث لا يدري ، حتى فطن إلى هذا السهو ، وأيقن أنه قد فقددها إلى الأبد ، إلا أن يشاء الله أن يلتقي بها اتفاقاً في الطريق فراح يمدو في الشوارع كالجنون لعله يدركها ، ولكنه لم يكن يعرف أن بيت قريب لها في هذه الناحية ، وأنها دخلته قبل أن يدرك مافاته ويشعر في المدو ... احتياطاً منها لهذا ...

ومن المبالغة أن تقول إنه أحبها ، فقد كانت حصانة نفسه عظيمة ؛ ومعنى بذلك أنه لا يشق من النظرة الأولى ، وأن تجاربه علمته الحذر ، وعودته الشك والاسترابية ، ومالت به إلى نقي الحياة كما يتفق أن تكون وبغير احتفال كبير ، ولكنه لا شك في أن هذه الفتاة وقعت من نفسه واستوت على جانب منها ، أو احتلت مكاناً فيها . وكان يعرف فتيات كثيرات يأنس بهن ويسر بمجلسهن ، ويقضي الساعة والساعتين معهن في سمر وضحك ولعب ؛ وكانت له سيطرة لاهي بالفخمة جداً ، ولا بالتى يحق لأحد أن يزدريها ؛ وكان يؤثر أن يحمل التى يتفق أن تكون معه إلى حيث يشاء هو ، ولا يحظر له أن يسألها أن تحب أن تذهب ، ولا يترك لها الخيار ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك عن جفوة في طبعه ، أو عجرفة أو ما يجرى هذا الجرى ، بل لأنه اعتاد أن يكون الزمام في يده ؛ ولكن هؤلاء الفتيات اللواتي يعرفهن كن لا يحببته ولا يرضى بهن ذوقه ، وكان بعض إخوانه الذين يعرفون سلامة ذوقه يقولون له : « ماذا يصحبك في هذه ؟ » — مثلاً — فيقول وهو يضحك : « ليس لي في الأمر خيار ... هذا ما وقفني إليه الله ... »

الكافية أكثر مما كان فيها من السرور ؛ وقالت : « هل أروى لك قصة حياتي منذ ولادتي أى ؟ » فقال : « يسرى أن أصنى »

قالت وهي تضحك : « ليس الآن ... يجب أن أخرج ... لقد كنت مجنونة ... أشكرك على عنايتك في ... فضولك رد إلى العقل ... نعم كنت مجنونة ... لا بأس ... حصل خير ... فهل أعتد عليك ؟ هل تسمح أن أخرج في ؟ يخرجني ؟ يجب أن أعود »

فقال : « تعالى » ومضى بها إلى باب الشقة ، ولم يكن بأن يحبي صفة وهو خارج ؛ وكانت صفة تنظر إليه وإلى الفتاة بعين النعمة والحنق ، فقد ساءها منه أنه وكل إليها العناية بصاحبه السكران وينصرف هو عنها . وجمعت تسأل نفسها لماذا لم بكل هذه العناية إلى الفتاة وهي كانت معه ؟ ... كيف يرى عليها هذه الجثة ، وروح هو يختطف الفتاة من صديقه ؟ وأسرتها في نفسها وحقدتها ، فقد كانت لها مآرب فيه

وجاود عبده أن يقنع الفتاة بأن تذهب معه إلى السينما ، فقد كانت الساعة دون التاسعة ، ففي الوقت متسع ، أو أن يمشى معها في شوارع غمرة وهي مضادة ولكنها كالظلمة ، وكانا قريبين من هذا الحى ، ولكنها أبت وأصررت على العود إلى البيت ، ورجت منه ألا يرافقتها ، وأخيراً — وبعد اللثيا والتي — رضيت أن تقيده رقم تليفونه وأن تمد بأن تكلمه « يوماً ما »

تركها وهو لا يعرف من هي ، وهي لا تعرف من هو . فأما هو فالج عليها بلا جدوى أن تخبره من عسى أن تكون ؛ وأما هي فلا تحتاج أن تقول إنها لم تحاول أن تعرف اسمه . وكان من القريب

ذلك بقي كما هو فلم يصفم اعتقاده بأنه فقد درة
ومضت الأيام ، وكان فلما تبثت في مكتبته
لكثرة ما تحوجه أعماله إلى الخروج . وكان إخوانه
يقولون له محتجين عليه : « يا أخى أين تذهب ؟
كما جئنا أو سألنا عنك بالتليفون قبل لنا خرج »
فيقول لهم : « وما حيلتى ؟ . مطالب العمل
تضطرنى إلى النظ هنا وهناك ، ولا سبيل إلى إنجاز
أعمالى إلا إذا تمهنتها بنفسى » ، ولكنه بعد أن
قابل الفتاة وجد الوسيلة إلى القعود والاستغناء عن
الخروج ، واكتفى بالتليفون وبمساعديه في
المكتب . وكان فلما يغادر الترفة التى فيها التليفون
مخافة أن يتفق أن تسكمه فلا يحسن غيره جوابها
لأنها لا تعرف اسمه . . فتألف ما كان أحمره .
كيف تركها تذهب قبل أن تعرف اسمه ؟ ولم يكن
طريقه من غمرة ولا غيرهما ما هو قريب منها ، فقد
كان بيته في شبرا ، ولكنه صار يذهب إلى شبرا
عن طريق غمرة ، وبجوب بسيارته كل شارع وشارع
في هذا الحى . وكان كثيراً ما يترك السيارة ويجيبى
على سهل وعينه إلى التوافذ والشرقات . وكان ربما
قال لنفسه : إنه أبله ... ومن أدراء أن يبتها في هذا
الحى ؟ ثم يعود فيقول لنفسه : إن هذا هو الأرجح .
فقد قالت له إنها الفتى بأحد قبل أن يدخل بيت
صفية بدقائى ، والمقول أن تكون راجمة إلى بيتها ،
وإلا فإذا كانت فتاة مثلاً تصنع في حى غمرة في
الساعة الثامنة مساءً ؟ . ثم يعود فيقول لنفسه :
لما كانت عند قريب لها أو في بيت نسيب
أو صدقة ؟ . ولم يمنعه هذا الاضطراب أن يظل
يجوب الحى كل يوم ، وكل ليلة ، وحرار ، ولكنه
لم يفز بشئ .
وقال لنفسه عصر يوم وهو ماض إلى مكتبته في
شارع عبدالعزيز : « القاهرة واسمة ... فيها مليون

وعصفور في اليد خير من ألف على الشجرة » ،
وكان يدرك أن إخوانه على حق ، وأن الاوانى
يعرفهن لمن أهمل لأن ينفق في سبيلهن وقتيه
وماله . . ولكن ماذا يصنع ؟ . أنى له أن
يصل أسبابه بأسباب فتاة من الطراز الذى هو
أحب إليه ؟ إن هذا يتطلب أن يعيش المرء للمرأة ،
أى أن يجمل همه ووكده أن يتصل بالنساء . وهذا
ممكن ، ولكنه عسير عليه ، فقد كان هناك عمله ،
وخلق به اذا أهمله أن يفقد رزقه . وكان فيه فوق
ذلك حياء ، كان في أول الأمر شديداً ، ثم غلبه
وقهره ، إلى حد كبير ؛ غير أن حيائه لم يذهب
وإنما بقي كاسماً ؛ فكانت تمر به منه نوبات — إذا
صح هذا التعبير — تفسد عليه كل ما عالج به نفسه
وراضها عليه أو ظن أنه راضها عليه . وكانت هذه
الفتاة التى رآها في بيت « صفية » من الطراز
الذى يشبهه ويصبو إليه — الجسم الصغير والقدر
المتعدل والخلق المستوى — وشام الخير من لحاتها ،
وأنس من كلامها الرشد . ولا ريب أن مجيئها مع
أحمد — ذلك السكران — كان خفة وطيشاً ،
ولكنه صدق أنها جاءت معه لا تدرى كيف . .
ومن يدرى ؟ لعل نوبة اضطراب نفسى عرتها
فأندمت على ما كانت خليفة أن تهجم عنه لو كانت
متزنة الأعصاب . . على كل حال قد ذهبت الآن .
وأكبر الظن أنها لن تلقاه . . حظ ! ! درة ظل
حياته يفوص على مثلاً في لج الحياة ، ثم لم يكده
يظفر بها حتى حرما . . ولكن هل هى درة ؟ .
بلا شك ! . ولم يعجبه هذا التسرع ، وقال لنفسه :
إن شعوره بالحرمان الذى مئى به هو الذى يحمله
على المغالاة بقيمتها . واقتنع بهذا — اقتنع عقله
بأن الحسرة والأمل هما اللذان يميلان به إلى المبالغة
والتمجيد والقول بما لا يعلم — ولكن شعوره مع

لست فاهمة .. معذرة »

فأدرك أنه تهور ، وأنه لا معنى لتحميلها تبعة ما بقى في تلك الأيام . وكان الدق الذى فى قلبه قد هدا ، وأنفاسه قد انتظمت فقال : « معذرة .. لا تأخذبنى .. إغما عنيث انى تميت فى البحث عنك .. أوه كل يوم ... وكل ليلة ... لم أدع شارعاً من شوارع غمرة إلا مشيت فيه مرات بعدد شمر رأسى »

فقالت : « غمرة ؟ . (وضجكت) إن بيتى فى المنشية ... ولكن لماذا أنتبت نفسك ؟ »

وكانت عيناه قد انسمتا جدا ، وهو يسمها تقول ان بيتها فى المنشية ؛ ثم فطن الى ما فى ذلك من سخر القدر ، فابتسم وقال لها : « لأنك أخلفت وعدك ... ألا تذكرين ؟ . ما علينا . والآن قد وجدتك قالى أين ؟ »

قالت : « إنى ذاهبة لشراء أشياء »

قال : « أهلك فى سيارتى الى حيث تريدن فاننى أكره أن أكلك فى الطريق ... لأجلك لأجلى »

وأقنعها فركبت معه ، وقال لنفسه إنها دقائق ليس إلا ، فلأضح لها بما أجن من الشوق ، وراح يصف كيف كان يصبو إليها ، ويتلف على رؤيتها ، وكيف كان ينتظر بجانب التليفون كل يوم ساعات ، وكيف كان يعيش فى غمرة محدقا فى البيوت ، أى فى شرفاتها وشبابيكها ، ويصطلم بالناس والأشياء ولا يبالي أو يمتدّر

وكانت تنصت ولا تقاطع ، فلما فرغ قالت له : « هل تريد أن تضحك على ؟ »

قال وهو كالمذهول : « أنتحك ؟ »

فقالت وقد أبقت من هيئته أنه صادق : « انى أصدقك ... ولكن أليس هذا غريباً ؟ .. أنه

وربع مليون نسمة فلا أمل فى لقائها إلا بمجزة ... وأولى بى أن أكب عن البحث فانه عناء باطل ... ولأسهل من ذلك أن ألتبس إبرة فى كوم من القش » .

وكان قد بلغ المتبسة الخضراء فتذكر أنه لم يحلق ذقنه ، فترك السيارة الى جانب الرصيف الأيسر المحاذى لخط الترام ، وذهب الى دكان حلاق وهو يحدث نفسه بأنه سخيّف .. يخرج من البيت من غير أن يحلق .. « لنفرض انى التقيت بها فهل أقابلها بهذا الوجه القدر ؟ . » ونحك من نفسه وهو يقعد على كرسي الحلاقة وقال — لنفسه طبعاً — : « يعنى خلاص ؟ . لم يبق إلا حلاقة الذقن ؟ . أهذا كل ما كان يمنع ان ألقاها ؟ . أما إنى لسخيّف »

وكان يتبسم والحلاق يجري الموى على صفحة خده فيضطر أن يرفع يده حتى يعود جلد الوجه الى الملاسة بعد التقبض . ومن يدرى ماذا كان الحلاق يقول لنفسه وهو يرى هذا الزبون الطارىء يتبسم أو يمس بلا مناسبة ؟ . . .

وخرج ومشى مطرقاً الى السيارة ، ووقف أمام بابها ليفتحه ، ويركب ، وإذا به يرى الفتاة واقفة على رصيف الترام . وكانت وحدها أيضاً . أو على الأقل لم يكن الى جانبها أحد لا من هنا ولا من هنا ... فذهب يمدو إليها وقال لها وهو يهيج — لا من الجرى بل من الاضطراب المعسبى — وقلبه يدق كالطرقه

« أنت فين ؟ . هلكتنى »

فالتفتت إليه مستغربة ، أول الأمر ، ثم عرفتة فقالت ببساطة : « آه ... أهو أنت ؟ . سلامات »

قال : « سلامات إيه وهباب إيه ؟ . بيمحيك كده ؟ . أنا مت .. »

فقالت بدهشة — وقطبت — « مت ؟ .

مفاجأة لي أنا على الأقل»

فقال بأخلاق : « لقد كانت مفاجأتى أنا أقوى ... لم أكن أتصور أن يحدث لي هذا ... أن أحب من النظرة الأولى ... كان هذا يبدو لي مستحيلاً ... ولكن الأيام تواتت وأنا لا أزداد الا شغفاً ... لم يفتر شوق اليك وذكرى لك ... لم تهت صورتك ... بل صارت أقوى وأسحر ... لا أدري كيف ... »

فقال فجأة : « اسمع ... اذهب الى الجزيرة » فكاد يطير من الفرح ، وبلغها في أوجز وقت ، ولم يبقاً بالمارة ولا بشرطة المرور ؛ وكانت تبسم إذ تراه لا يتكلم ولا يعنى بشئ إلا أن يبلغ الجزيرة في مثل ومض البرق . ووقف هناك فقالت : « لا ... يحسن أن نمشي على مهل ... أو نقف ... لا بأس ... » وسره وهو جالس إلى جانبها في السيارة أن يسمعها تقول له : « إني أحشى سوء ظنك ولذلك أرى أن أدري لك قصتي ... لن أذكر أسماء ... »

القصّة فقط ... »
فهرز رأسه مغتبطاً ... أليست قد صارت يعنىها أن يحسّن رأيته فيها ... حسبها هذا ... » وروت له قصتها فقالت : إنها كانت مخطوبة لشاب من أسرة كريمة غنية ، وإنهما تحابا بعد المخطوبة ، فما رأيته قبلها ، ومضت الأيام وكثرت الليالي ، وكانت تلاحظ مستغربة أنه لا يذهب معها الى سينما أو مسرح ، أو يخرج معها للتزوّج ، وكان يمتدّر دائماً بالعمل وضروراته ، فكانت تعقل عذره ولا تلج عليه ، ولا تثير الأمر أدنى تفكير ، حتى كانت الليلة التي رآها فيها في بيت صافية ، وكانت في السينما مع أمها ، وإذا بخطيبها يدخل وذراعه حول ذراع فتاة اسرائيلية — هي اسرائيلية على التحقيق ، سمعتها تدل على ذلك — وكانت الأنوار قد أطفئت

لأن السينما كانت قد بدأت تجلسا وراهما ، فلم يبق لهما عين ترى السينما بها ، ولا عقل يفهم ، ولا أذن تسمع الى ما يهيس به خطيبها في أذن صاحبته فسمعت ما فهمت منه — على الرغم من تقطع الكلام وضجة السينما ، أنه سيظل وفيّاً لها لا يتخلى عنها ، وأن ما سمعته عن زواجه أو وشيك زواجه كذب وافتراء ، وأن كلام الناس كثير ، وهل هو مجنون حتى يتزوج هذه الموصوفة المروعة ؟ ولم تستطع أن تسمع أكثر من ذلك لأن الدم صعد الى رأسها فدار ، ثم نهضت واعتذرت الى أمها بأنها مريضّة وأنها ستذهب الى البيت لترقد . همست بهذا في أذن أمها ... وتركها قبل أن تستطيع أن تقول شيئاً ، وخرجت كالجنونة ، وظلت ماشية على غير هدى ، ولم تدرك أنها في حي غمرة إلا بعد أن خرجت من بيت صافية ... وكل ما تعرفه عن هذا السكران — أحمد — أنه لف ذارعه بذراعه — لا تدري ولا تذكر كيف — وأنها سمعت معه فما كان في رأسها عقل ... هذه هي القصّة .. وقد انتهى كل ما بينها وبين خطيبها .. لم تقل شيئاً لأما ولا لأبيها .. اكتفت بالأصرار على الرفض .. فتركاها وشأنها لما رأيا عنف الأصرار ، ولأنهما أدركا أن الأمر لا شك خطير .. وقالت له أخيراً إنها شاكرة له وحافظه لجليله ، لأنه رد اليها عقلها في تلك الليلة

ولما فرغت من قصتها أدهشتها بقوله :
« تزوجيني ! »
فلم تستطع أن تقول أكثر من « أ .. أنت .. »
إيه ؟ ... »

فلم يجمل بالله الى دهشتها ، ولو جملة لكان خليقاً أن يحس بما يفتر من حماسه ، بل أعاد الطلب : « تزوجيني »

الى الاسكندرية ، واستأجرا هناك شقة مفروشة في « الرمل » قريبا من البحر ، فدخلت عليها يوما صديقة لها من عهد الحداثة اسمها « زكية » وكانت شديدة العناية ببنائها وعطورها ، مسرفة في حبها للسباحة والرقص ؛ وكان هواها هذا يتبرلنطا كثيرا حول اسمها ، ولكنها كانت لا تبالي ذلك اعتادا على ما لها وجه أسرتها ؛ وكانت تعتقد أنه يسعها أن تفعل ما تشاء ، لا ما ينبغي ، فكان أثرها يحسن استقباليها في بيوتهن ، ويتقن أن يخرجن معها ، خافة أن يمتد اليهن القيل والقال ، ولم يكن فيها سوء ، ولكنها استخفافها بالتقاليد وافرطها في استمالة حريتها ، كانا عظيمين ؛ ولم تكن كل فتاة يسعها ما يسع زكية . وكان معروفاتها أنها تجري مع أول الخاطر ، وأنها أصرح بما ينبغي ، فكان لسانها يفسد عليها مزايا الصدق والصرحة وطيب القلب ؛ ولم تكن تبالي أن تحشر نفسها فيما لا يعينها ، ولم يكن هذا عن قسوة بل عن إخلاص وغيره ، ولكن دخولها في شؤون غيرها فلما كان يحلو للناس وقالت لمائدة وهي تجلس على كرسى : « ما أبهاك اليوم يا عابدة ! . يظهر أن الزواج زاد حسنك نصارة »

وأبستمت وهي تخرج من حقيبتها الصغيرة علبة مذهبة مرصعة تفتحها وأخذت منها سيجارة مذهبة الفم أشملتها وراحت تدخن وتنفض وقالت عابدة : « وأنت ؟ إلى أراك ترجسة ! . هذا الثوب وحده حلم جميل ... لم أرك منذ أيام ! فإذا كنت تصنعين بنفسك ؟ »

قالت زكية : « دعيني وقولي لي أين عبيد ؟ »
قالت عابدة : « عبيد ؟ .. إنه في مصر ... له ثلاثة أيام هناك ... ترفين العمل وضرواته »
فقالت زكية وهي تنفض اللسان وقد شردت

فقالت : « إنك مدمش ! »
قال : « كلا .. إلى أحبك ، وقد عانيت في الأيام التي افتقدتك فيها ما علمني أنني لا أستطيع أن أحيا بدونك » فتزوجيني

قالت : « وأنا ؟ ليس لي حساب عندك ؟ »
قال : « بالطبع .. ولهذا أقول تزوجيني »
فقالت : « أرجو ألا تسمى فهم ما أقول ... لو كنت أحبك لما وسعني أن أزوجه الآن ... »
فقد يقال إلى تركت خطيبي من أجل رجل آخر »
قال : « ماذا تسمين رجل يقول عنك ما قال ؟ »
قالت : « لست بأبالي ، وإنما أبالي الناس ... أهلى وممارفى »

قال : « ماذا بمنيك منهم إذا كنت سعيدة معي ؟ »

قالت : « اسمع ... قبل أن نخف حصة الألم الذى أعانيه لا سبيل إلى التكبير في شئ »
قال : « مسكيفة ! . ولكن هل معنى ذلك أن لي أملا »

قالت : « من يدري ؟ ثم إلى لست أبى »
قال : « أبوك ... آه أبوك ! . ولكن ماله ؟ »
قالت : « قد يكون له اعتراض »

قال : « اعتراض على سعادتك ؟ . أم تريد أن تقولى إنك لا ترفيننى ؟ . ممكن الحق »
وعرفها بنفسه وأفضى إليها بكل ما يمكن أن يحتاج إلى العلم به ، ولكنها مع ذلك رجعت منه أن ينفذها من حديث الزواج فسمكت ، واكتفى بوعدها بأن تلقاه من حين إلى حين

وصارا باتفاق كل بضعة أيام مرة ، ثم كل يومين ، ثم كل يوم ، وأخيرا خطبها إلى أبيها وتزوجا وصر عام ووجه الصيف ، فانتقل عبيد و«عابدة» — فقد كان أن تعرف اسمها كما عرفه زوجها —

إن في وسعك أن تردبه إليك إذا أحسنت السياسة ..
الأمر يحتاج إلى كياسة وحسن تدبير ... ولم أفل
لك ما قلت لأفسد عليك حياتك ، بل لأنهلك إلى
الخطر لتعالجيه بالحكمة »

فصاحت عابدة : « أنظنين أني أفل أنظر
مع عبده بعد هذا ؟ . بعد ان خافني ؟ . كلا ...
ولو ظل يتوسل إلى علي قدميه سنوات ! . يعطى
خاتماً لموس ، وما مضت على زواجنا سنة واحدة ؟
هه ... ويحذرها أن يتصل بالخبر ؟ . » وتحدثت
الدموع على خديها « لاني أحب عبده ... حبه بأل
قلبي ، وكان حبه بمر صدري ... أنظنين في أني
أندني وألجأ إلى الحيل لأستعيد حبه لي ؟ . أألوث
نفسى لأنتزع من هذه المرأة ؟ . كلا ! الحب الذي
يذهب لا يعود ! . والنار التي تحمد كيف يرجي أن
تمود مضطربة ؟ . لقد مرق عبده قلمي ! . إقتلع
أحشائي من جذورها . ولا أستطيع أن أغفر له
هذه الخيانة »

وغلبها البكاء ، وتسانلت عبراتها ، واضطربت
شفتاها ، وعجزت عن الكلام . ثم أحست يداً على
كتفها ، وصافح سمعها صوت عبده :
« أأناخن يا عابدة ؟ . كيفا اكتشفت خيانتى ؟ .
مهرا ... لقد سمعت كل كلمة »

فقالت زكية . « أنا أخبرتها ... رأيك تمطى
تلك المرأة أس خاتماً ، وشمعت أن من واجبي
أن أنبه عابدة »

فقال عبده : « هل تسمحين بالخروج من هنا ؟ .
ولا تتكفى نفسك عناء الرجوع مرة أخرى ! . »
ففوضت زكية وصار وجهها كالجرة وقالت
وهي تخرج : « هذه إهانة فظيمة »

فقال عبده : « إذهبي وسكني أعصابك بالرقص
مع أول رجل تصادفينه »

نظرتها : « العمل ... إن العمل لا يمكن أن يقصى
الرجل عن فتاة لها مثل جمالك وسحرك ... شيء
واحد هو الذي ينأى به عنها ... امرأة أخرى ! »
فبهتت عابدة وحملت في وجه صاحبتها بينهما
الواستين ثم قالت : « هذه سخافة يا زكية ...
لا ينبغي لك أن تظني هذه الظنون بعبده ، ومن
باب أولى لا يجوز مثل هذا الكلام عنه »

فقالت زكية باللهجة المصرية : « ألا يجوز لي
ذلك ؟ حسن . اسمي إذن . واذكرى أنه ليس لي
غاية أبقها من وراء ما أقول ، وأنه ليس أحب إليّ
من أن تكوني سميذة موقفة ... ولكنه يبدو لي
أن من واجبي أن أعرفك أن عبده على صلة بأمرأة
هي الخطيئة مجسدة »

فربت عابدة ، ووثبت إلى قدميها وأحست
أن رأسها يدور ، ويدور ، فأعتمدت على ظهر
الكرسي وامتقع وجهها ونظرت إلى زكية مبهوة
فقالت زكية : « صحيح يا عابدة ! . لقد

رأيتهما مما البارحة في سان جيمز ... وسمعت
حديثهما أبعثاً ، فقد كنت قريبة منهما أراهما
ولا يرباني ، وكان مما سمعته : « إن زوجتي لا يجوز
أن تعرف شيئاً من هذا أبداً ، فليبق بيني وبينك
فقط » ثم أخرج من جيبه خاتماً لأدري ماذا يساوي
ولكنه على كل حال لا يمكن أن يكون من قصدير .
والآن قد عرفت الحقيقة ، فإذا تنون أن تصنعني ؟ »

وكانت عابدة تنظر إلى الأرض ، أو إلى قدميها ،
فلم تجب ، فأعادت زكية السؤال ، فقالت عابدة :
« أصنع ؟ تسأليني ماذا أتوى أن أصنع ؟ .
ليس هناك سوى شيء واحد أستطيع أن أصنعه ...
أغادر الاسكندرية حالاً ! . ولن آخذ معي شيئاً ...
إنتهى كل شيء »

فنهضت زكية وقالت : « لا تكوني سخيقة ...

وأخرج من جيبه ورقة ودفع بها إلى عابدة

وقال عبده ، وهو يسير مع عابدة على شاطئ البحر :

« إني سمعت .. سرقى ما حدث »

فاستغربت وقالت : « سرك ؟ لست فاهمة »

فقال بإبتسام : « لأنى لما سمعتك وأنا واقف

فى مدخل الباب ورأيتك تتورن هذه الثورة

أيقنت أن حبك لى لا يمكن أن تنال منه الأيام

أو تفتره الحوادث »

فقالت بحجب : « لا تسكن وانقا .. »

وذهبت تعدو أمامه ، وقد وسمها أن تضحك

وتمزح ، فجرى وراءها ، وخاض الماء إليها ،

وتناولها بين ذراعيه ، وضامها إليه ، وأهوى

بشفته على شفيتها . إبراهيم عبر القادر المازنى

ثم دار وواجه عابدة فقالت وهى تنتحب :

« كيف تفعل هذا ؟ كيف ؟ »

وحالت الدموع دون الكلام ، فقال عبده :

« اسمى يا عابدة ... ان المرأة التى كنت معها فى

سان جيمز هى « صوفى » أو صافية ... هل تذكرين

هذا الاسم ؟ . يظهر أنه كان لها مآرب فى ... وأنا

لا أدرى . ويظهر أن زواجى أحقنهما ، وقد راحت

تلفظ وتحدث بأنى عرفتك فى بيتها ... لا تنالى ،

ان هذا طعن عليها هى قبل أن يكون طعنا عليك

أو على ... الحق قد يعنى ويصم ... لهذا اضطررت

أن أنالها وأقيدها ... إستكتبها إقرارا بضارها

الى قطع لسانها بعد اليوم ؛ وكان لا بد أن أداورها

وأحاورها فأنقذتها من المال ... قليلا فى الحقيقة ..

وأعطيتها خاتما ليس له قيمة كبيرة ، لأنى خفت

عواقب لفظها ... سمعة المرأة كسمعة البنك ... »

علمكم المصرى

برفرف على

النيل و كوثر

فهما رمز بلادكم

سافروا عليهما تجسدا راحتم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩



تترقق عبرات الفيض والشر ... وهو يستشمر في نفسه السمو على من حوله من رفاقه جميعاً حتى الطالب الجامعي مولد ، ثم هو يحتقره ويزدرجه لأمر في نفسه ، وهو دائماً بهيج غيظه ويثير غضبه بكلمات فيها السخرية والتهمك ؛ ولكنه الآن قد جالس في هدوء وصمت ، ونظراته تقتحم هذا الطالب القدر ... وفي الناحية الأخرى من التضد جلست البصات أخت كلوتيلدا الصغرى وهي في السابعة عشرة ، ثم ابنة عمها كلارا وهي في السادسة عشرة ، ثم فتانان في سنهما هما هيلين وماري أختا أُنُو وهو في الخامسة عشرة ، وهم أبناء أحد الجيران وكلهم يلمعون الورق في هدوء وسكون تبدو عليهم اللذة والقبطة ... إلا الطالب مولد فقد جالس يقرأ شعراً

وراح أُنُو ينتاب في ملال ، وسرت البدوى إلى كلارا فراحا تتشاءم هي الأخرى ، وإلى جانبها البصات تفيض نشاطاً وحياء ، وزعمها ما ترى في هذين من كسل فتشور بهما الفينة بعد الفينة ... وابتدأ الخمول يتسرب إلى النفوس ؛ غير أن المنارم ما تزال تدفع إلى كلوتيلدا المرة بعد المرة ؛ والطر ما يزال ينهمر والرياح تصغر صغيرها الزعج وأرادوا أن يردوا للمنارم إلى أهلها ، فأرغموا الذين خسروا على أن يملأوا عسكراً : فهابن تقف

أرعى الليل سدوله على الكون ، والطر ما يزال يهطل رذاذاً يلاطم زجاج النافذة في رفق ولين ؛ وهم في حجرة من منزل ريفي حيث يقضون عطلتهم ، وقد تناثروا حول نضد عليه مصباح ينبعث منه ضوء هادئ ضئيل ؛ وهم جماعة من الشبان والشابات بين الربيع الخامس عشر والعشرين من العمر ؛ وكلوتيلدا أكبر الفتيات سناً لم تسلمخ الثامنة عشرة ؛ فتاة في مستقبل العمر ونجر الحياة ، في ميمة الصبا واكتمال الأنوثة ؛ تضطرم في وجنتها حمرة الشباب والجمال ، هيفاء جذابة ، فيها الملاحة والظرف ، وفي فطارتها السحر والفطنة ؛ وهي جالسة إلى جانب طالب جامعي رث اللبس ، زرى الهيئة ، منتقع اللون ، تبدو على وجهه سمات الحياة والجبن ، وفي نظراته الاضطراب والضعف ؛ ثم هو هادئ وزين ، يرى مجون من حوله فيبسم في هدوء ودعة ، ثم لا يخوض فيما هم فيه من لهو وعبث ... وقبالة كلوتيلدا يجلس أُنُو وهو شاب في السابعة عشرة كثر الشعر سبطه ، تنبث من عينيه أشعة نقادة علامة ذكاء وفراهة ، وفي وجهه يتدفق دم الشباب الحار علامة صحة وسلامة ، وبداه منقبضتان كأنما تحزمان ثميناً علامة قوة وقوة ، ثم هو قد ورث عن أمه الألمانية الليل إلى البراخ في وجهه من بعاثه ، صراخ الغضب والحلق ؛ وفي عينيه

كلوتيلدا : « نحن بخير يا أماء ! » وقالت اليبابات :
« لقد أفرعنا المطر والريح . وماذا تفعلين أنت
وأبي ؟ أما ترألان تلبان الورق ؟ » قالت المرأة :
« نعم ، ما زلنا ... انخذوا لكم سلوة ... » ثم
أغلقت الباب في رفق وساد الصمت
مرة أخرى

وانطلقت كلوتيلدا وكلارا الى النافذة تنظران
من خلال الزجاج ، فانطلق مولر على آثارهما وأتيليو
جالس الى النضد ينظر ... وأتو بضرب في أنحاء
الحجرة يفتي أغنية إنجليزية اهتزت لها اليبابات
فراحت ترقص على نغماتها وابنتا الجار يرمقانهما في
لذة وطرب

وعلى حين بفتة انتفض أتيليو وهو يقول :
« ما هذا ؟ ماذا وراء ... ؟ أفيسطر علينا الطمود
والكسل فنظف في هذه الحجرة الضيقة طول الليل ؟
لا بد أن نعمل شيئا ... » قال مولر وهو ييسم في همم :
وما تطلب اليئا أن نعمل ؟ قال : « فلنعمل شيئا ..
شيئا مثل ... فلنذهب الى النابة » قال الآخر :
« عجبا ، أفنذهب تحت هذا الماء المنهر ؟ » وراح
أتيليو يقلده ويسخر منه « الماء المنهر ؟ » لقد
كان يبغض هذا الطالب من قلبه ، أما الآن وقد
رأى كلوتيلدا تنظر اليه شذراً حين سخر منه فقد
استحال هذا البغض الى كراهية ومقت بخزان
قلبه في غير رحمة ولا شفقة

لقد رأى هو هذا الطالب منذ فترة يقف الى
كلوتيلدا وقد ألسق جسمه يحسبها فأحس هو
بالدفء والحياة ، وأحسنت هي .. ثم .. ثم ارتدت
إليه ذكرى أيام عطلة عيد الامبراطورية حين كانت
كلوتيلدا لا تراقص إلا هذا الشاب ولا يراقص

صامتة لا تتحرك ولا تتماثل ، وكلارا تحفظ
قطعة من الشمر ، وأتو يقلد صوت الحيوان ،
وكلوتيلدا تصطحب الحانة فتهدم على رفاقها بألفاظ
جافية نابية ، وأتيليو يمثل دور صموك أرسطوقراطي
تيمنه رفيقته اليبابات

وراح أتيليو يتصمك على كلوتيلدا ، وحين
وقف بأزائها نزت منه نزوات الماطفة الفياضة
الجامحة ، وأحس كأن نارا تستمر في قلبه ، فرفع
يدها الى فيه يريد أن يقبلها ، وعيناه تحدقان في
عينها ، ثم ذهل عن نفسه ... وأجهدت اليبابات
نفسها في أن تجرم بعيدا فأبى وقلبه بضطرب ...
وسحبت كلوتيلدا يدها في رفق ، وفي نظراتها
الشفقة والطف ، وعلى فيها ابتسامة رقيقة ؛
والجميع يرمقونه في دهشة وعجب ، إلا مولر فقد
يسيطر عليه الحقد والغيظ

وانتهى أتيليو ناحية ، واثارت به اليبابات :
« حقا لقد كنت وقحا » وأهم الشاب أذنيه عن
لوم الفتاة ، ونهتهم ماري الى أمر حين قالت :
« والآن ماذا نفعل ، والمطر ما زال يسدفق ؟ »
وكانت العاصفة ترأر وتصفع جدران الدار في شدة
وعنف ، ثم اضطرب المسباح يروشك أن ينطفئ ؛
وفزعوا جميعا حين سمعوا الباب يصصر صريرا شديدا
وأوراق الأشجار تصصف بها الرياح فتنبعث منها
أصوات مزعجة ، والسماء ترعد وتبرق تنذر بأمر ؛
وران عليهم حزن عميق نزع عنهم ما كانوا فيه
من مرح ولهو ، فوجوا ...

وفتحت باب الحجرة المجاورة امرأة فيها
الجمال والظرف ، وقد تشمت شعرها الأسود الناعم
وعلى شفتيها ابتسامة عذبة ثم قالت : « ماذا كنم
يا أولادي ؟ لماذا تجلسون في صمت ؟ » وأجابت

عن هذه الأصوات المنكرة ، هذا وقت سرورنا بقطع الطرا « وقال الطالب وهو يسيم في سيم : » لقد انتهى هناك وأبتدأ هنا . في الدار ! « وفي الحى لقد كانت القطرات تتساقط من خلال السقف في رفق أولاً ثم في شدة ؛ وفتحت الیصابات النافذة فاندفع الى داخل الحجرة هواء ندى بارد نفث فيهم جميعاً روح النشاط والقوة ، فقالت كلوتيلدا : « الآن نستطيع أن نخرج الى تزهة قصيرة ... » ووافق هذا هوى في نفوس الجميع فانطلقوا بفثشون عن معاطفهم وقبماتهم في صخب ولجب ، ثم راحوا يتشاورون فيما يفعلون ...

وقال مول : « تزهة في الغاية مشياً على الأقدام » فأجاب أتيليو في إحتقار : « مشياً على الأقدام ؟ كيف ؟ كأنك تريد أن ينطلق كل اثنين معاً ؟ كأنك تمنى ... » ووقفت الكلمات على شفتيه فما استطاع النطق ، فأجابت كلوتيلدا حين اضطرب الشاب : « الأدب والحياء يا أتيليو ! » وجمدا ما كان في أتيليو من حماسة وشجاعة حين رأى عيني الفتاة تغدخان شرراً يتطار ، وهفت نفسه الى أن يستدر ، غير أن كبرياءه ألجته فجعد في مكانه . واندفع الشاب وقيد ارتد إليه هدهوّه : « لعل ما فيك من ذكاء وفراة قد أوحيا إليك بشيء ، فما هو ؟ » وأحس أتيليو

بالصفعتين في وقت معاً فتخاذل ثم قال : « إلى النهر ، ونصحب معنا المصاييح اليابانية ندرأ بها الظلة والضلال . أمواقون ؟ » وصاح أنو وإلیصابات معاً : « حسن ! » وتبادلت هيلين وكلارا النظرات ... نظرات الفزع والريبة ، وبدا عليهما الجبن والخور ، غير أنهما ما استطاعتا أن تقولوا شيئاً ، وقالت كلوتيلدا للطالب مول : « ماذا ترى ؟ » قال : « لا بأس ، فما في النهر ما يفزع وقد هدأت العاصفة ! » قالت هي : « أفتمتد ؟ » وألم أتيليو

هو غيرها ... ثم حى لا تذكره هو إلا في النهاية وقد أوشك الحفل أن ينفض فتنتطلق إليه تساهل : « لماذا لم تراقصني ؟ » فيجيب في جفاء : « لا أستطيع الرقص ! » وقلبه ينازعه إليها . فتمزحى كتفها ثم تنطلق الى صاحبها ، ليطل هو وحده يتمنى لو أوى إلى فراشه وقد أجهده التنب وأضناه الدهر . غير أن ريح كلوتيلدا كان يرف عليه عطرأ ندياً بين الفينة والفينة فيبعث فيه النشاط والصبر

لقد ذكر أتيليو هذا وغير هذا مما كان ، فكلوتيلدا ومول كانا يسيران دائماً جنباً الى جنب ، وباتياناً أمراً واحداً ، ويتبادلان الهدايا والنظرات والابتسامات كما شقين يهفو قلب كل منهما نحو الآخر فما يستطيع عنه صبراً ، وارتدت الحوادث المؤلة في خاطره يشد بعضها ببعضاً فطاطأ رأسه وذهب في غمرات من الأفكار السود ؟ واستطاع أن يرفع رأسه — بمد لى — وأرسل من أعماقه زفرة كاد ينشق لها قلبه . ثم نظر الى النافذة في فتور وتكسر فما رأى أحداً ، فأدار بصره يبحث فاذا كلوتيلدا وصاحبها قد جلسا يقرآن شعراً في كتاب واحد والحجرة في سكون القبور ...

وقطعت الیصابات هذا الصمت العميق بقولها : « أتيليو ! لقد قلت شيئاً ثم أمسكت ! » وفزع هو حين رأى الفتاة تنزع من أخيلته وأراد أن ينحط عليها بكلمات قارسة للاعة جزاءً وفاقا لما أبتته منذ حين ، غير أنه هدأ من ثورته وقال : « أنا ؟ أنا لا أذكر ! » وصاحت ماري من جانب الحجرة : « لقد انقطع الطرا ! » وصاحت هيلين من الجانب الآخر : « حقاً ، حقاً ! » وانطلق الجميع الى النافذة يتدافون ويتصايحون وكادت تقع بينهم مشادة لولا أن كلوتيلدا زجرتهم : « أمسكوا

والنف حولها الباقون يشجبونها فصرخت أخرى وهي تبكي : « أنا لا أجسر » فطوقتها هيلين يديها وهي تقول في رفق : « لا تهزني ، سأظل إلى جانبك » وصاح أنو : « نعم ، أيها الجبناء ! » ثم اندفع ليأخذ مكانه في القارب واندفعت للبصابت على أثره ثم ماري ؟ وأمسك هو بالمجدافين وجذب القارب إلى اليم في قوة وهو يغنى ...

وفي القارب الثاني كلوتيلدا ومولر وأتيليو . ودفع أتيليو القارب بين الأمواج في تيار جارف ، ثم ... ثم هبت الريح شديدة عاصفة ، واضطرب النهر ، وبمدت الشقة بين القاربين ... وقزعت ماري واضطربت البصابت ، فأرسلتنا ممّا صبيحة عالية أفزعت أنو وزعزعت غريمته ، واضطرب لها قلبه فارتد إلى الشاطئ وقد خشي مقبة الاندفاع وجرف التيار القارب الآخر ؛ وأتيليو ومولر يجذفان في صمت وإطراق ، وكلوتيلدا تضطرب وقد سلها الفزع من رزائنها ... ثم انطأ المصباح فران عليهم ظلام عميق ، وخيل إليهم أن صوراً خفيفة تنمكس على صفحة الماء ، وأن أضواءاً خشنة تنبعث من كل ناحية فتنتفث في القلوب الموعب والملع ... وأجهد الشابان نفسيهما عبثاً أن يبلغا الشاطئ ، والأمواج تجذب القارب في شدة وعنف ، وبدأ لهم جميعاً في كل ما برؤن معنى من معاني الحزن واليأس ، وترادت لهم الأصوات حولهم تشيهم إلى النهاية ..

واستولى السكلا على الطالب فأطلق المجداف من يده وهو ينظر إلى كلوتيلدا قابستمت ابتساماً مرة وقد سيطر عليها الأسى واليأس ، وانتفض أتيليو يقبض على المجداف الذي أطلقه مولر وهو يصارع الأمواج في غم وقوة ، ثم أرسل صبيحة دوى لها السكان : صبيحة فيها السرور والبشرى لأنه

مارأى فقال : « لا خير ، فأنا ذاهب ومن أراد فليتبعتني » ثم انطلق وفي نفسه الثقة والعزم ؛ وانطلق الجماعة على أثره

وساروا في طريق غير معبد وسط حديقة مهملّة ، قد تشعثت فيها الأغصان وأوراق الأشجار ونبتت فيها الحشائش هنا وهناك ؛ والرياح تمصف قهز الأغصان فتساقط عليهم قطرات كبيرة من الماء تبلل ملابسهم ووجوههم ؛ وأقدهم تنفوس في أرض رطبة لينة ؛ وحين بلغوا النهر صاحت البصابت : « المصاييح ، المصاييح ! » وانبرى أنو في شجاعة .. ثم انطلق إلى القارب ليحضر المصاييح والفتاب

وكان الماء يندفع يلاطم بعضه بعضاً فينبعث منه خرير كهدير الرعد ، والأمواج تضطرب وترجرجر ، والتيار يحمل بعض الأغصان وأوراق الشجر وقطعا من الخشب ، وفي فجوة على الشاطئ قاربان أترع أحدهما بلأ .. واندفع أتيليو ينشل الماء من واحد ، ومولر إلى جبل القارب الآخر يفتك عقدته ، والفتيات ينظرن في صمت ، وكلوتيلدا تنظر إلى السحب التكاثفة في السماء

وأقلع الطالب في حل رباط القارب ، وحين انطلق إلى الثاني كان أنو قد عاد وصدده يعلو ويهبط من أثر الاجتهاد والمصباحان تحت معطفه . وراحت ماري تهزأ بالطفل حين رآته قد أساء اختيار المصاييح فتصاييح الصبية ، ودوى الصوت في أذني الطالب يزجه وقد أعجزه أن يفك المقدمة فصاح في غيظ : « الصمت ، الصمت ! » وكان أتيليو قد انتهى من عمله ، فاندفع إلى الطالب ينزع منه الحبل ، وفي لمحة البصر كان قد حل المقدمة ، ثم أضاء المصباحين في سعادة وإتقان ، ثم قال في هدوء وكبرياء : « قلتيذا ! » واضطربت كلارا ثم صرخت : « أنا لا أجسر »

لقد ثارت الماطفة في قلب الصبي فا استطاع أن يرد جحاشها ، وترقرقت المبرات في عجزه فها استطاع أن يكفكفها ، فانهطوى إلى نفسه بمجردها . حديث قلبه ، ثم .. ثم أضاء الصباح وراح بقلب بصره فيها حوله ، فرأى طريقاً ممهداً بإزاء النهر فساراً في صمت جنباً إلى جنب ، وقطع هو هذا الصمت بقوله : « يا عجباً ، لقد بلغنا البر بعد إذ فقدنا الأمل وعلينا الآن أن نحمد الله ... » وصمتت الفتاة فها أجابت فأطرق هو في حياء وخجل ... ثم قال : « أمتعبة أنت يا كلوتيلدا ؟ » وأصمتت هي أذنها عن حديثه ثم انطلقت بسميداً كأنها تهرب منه ، وأحس هو بالألم والخلية بخزان في قلبه ، فرفع الصباح ليرى مكانها منه ؟ ثم اندفع على أثرها يقول في خضوع وذلة : « كلوتيلدا ! أفاغضبتيك ؟ ماذا ، ماذا فعلت ؟ » ثم انتقع لونه ، واضطربت أعصابه ، وفترت قوته لأنه ... لأنه تذكر ...

ونازعته نفسه إلى أن يحتم عند قدمها يتوسل ويتوسل ، غير أن شيئاً في نفسه رده فها استطاع أن يفعل ، ثم قال في همس واضطراب : « كلوتيلدا ! ماذا جنيت ؟ لم أفعل سوءاً ! أنا لا أذكر . حقاً ، أنا لا أذكر ... » وخفت صوت الفتى قليلاً قليلاً ، ولكنه ما يزال يستمطعها : « لماذا ؟ لماذا تقسين علي ؟ لماذا ؟ لقد علقتك وأغرمت بك ! » وكانت هي قد بسدت عنه فها صممت كلمات الأخيرة ، وانطلق هو على أثرها . فقالت له في جفاء : « دعني ، دعني وحيدة ! » واستطاع هو أن يرسل من بين أناته الخافتة : « لا ، لا يا كلوتيلدا ! لم أجن ولم أجترى ! إن قلبي ... » ثم راح يلين ما قسا من قلبها ، ومن حولها الطبيعة القاسية عابسة مهتاجة تبتعث في قلب الفتى الأمسى والحسرة . وهي ... هي كلوتيلدا تنفث فيه اليأس والألم ...

استطاع أن يجذب القارب زويداً زويداً إلى الشاطئ وقفز مولد إلى الشاطئ وأمسك بالقارب يريد أن يجذبه إليه ، غير أن موجة قوية غلبته على أمره فانفلت القارب ، وأقزعه ما رأى فصرخ صرخة شديدة ... وراحت الأمواج تتقاذف القارب وقد ذهل الاثنان عما هما فيه فها استشعرا الصدمة ؛ وما أحسا أن القارب قد انخرق رغم أن حذاء كلوتيلدا كان قد اغترق في الماء ، فكانت ترتعد من شدة البرد ومن شدة الخوف مماً

وأحس أنيليو بالاعياء والجهد فألقى المجذافين جانباً وقد استرخت ذراعه إثر صراع عنيف دام طويلاً ؛ ثم قال في أمسى : « لقد تهدمت ، ستكون النهاية ؟ » فأجابت كلوتيلدا بصوت فيه نبضات قلبها المضطرب : « استمر ، استمر » وحاول هو أن يستمر ، غير أن قوته كانت قد تحطمت فخر على ركبتيه ومال رأسه فليس رداء الفتاة واستقر في حجرها ، فصاحت : « ماذا ، ماذا تصنع ؟ .. » ولكنه كان قد خرج عن وعيه فطوقها بذراعيه في رفق وشفق ، ودفعته هي عنها في صمت ولين ، فاستلقى في قاع القارب ، ثم قام وقد آلتته الصدمة ، واندفع إليها ثانية .. لقد رنت في أذنيه صيحة خافتة ثم لم يشعر بسوى شفتيها الجليتين تلسان شفتيه ؛ وإلا جسمها النض الرطيب اللدن ينفع عبره حواله ، ثم يلمص بجسمه ؛ وإلا شعرها ، وقد عبثت به الريح ، يداعب وجهه فينفث في قلبه الشاب معاني ومعاني ...

ووقف القارب فجأة ، فالتفت هو مذعوراً ، فبدا له أنهما على خطوات من الشاطئ ، وفي قوة الشباب وعزيمات الرجولة جذب القارب فاذا هما ... فاذا هما في أمان ... ثم هبطا إلى الأرض وقد ابتدأ الظلام ينحس عن جبين الفجر وهما يستشعران برد الليل في مفاصلهما

ورقة ... وهو يرى ... وهو يرى ... وتبنت الفتاة في خياله ما تبحر ولا تتحول ؛ فأحس بدمه يفور في عروقه ، فهب يريد النهر ...

واستقبله النهر وفي خرب أمواجه المويل والبكاء ، وجلس هو على شفا جرف يردد بصره في هذا الخضم ، كأنما ينظر الى نهايته ؛ وفي أذنيه ترن هذه النغمات الحزينة تثير في نفسه الشجن والحزن ، ثم راح يحدث نفسه : « لو أنني ألقيت بنفسي لانت متاعبي ... » لقد عصفت به أحزانه فسلبت عقله ، فراح ينشق نبات النهر في لذة ومتمعة ، ويرى في اضطراب الأمواج وزمجرتها رنات فيها السحر والفتنة ... هنا ... هنا ينتهي شبابه ويطوى كتاب حياته ... ثم اضطرب وسرت في مفاسله ضحايا الخوف ، فقال يهيدى نفسه : « ما هذا ؟ إن المرء لا يموت إلا مرة ! » غير أن الجبن والخوف وحب الحياة والحسرة على شبابه كانت جميعا قد استيقظت في قلبه فارتد عن النهر فرعاً لقد ذهل عن نفسه لما استطاع أن يسمع وقع أقدام المساة ولا أصواتهم وهم يقتربون منه ، وقد ابتسم الفجر ... وأصر على أن يرجع إلى الدار لينام ، فيستجم ، فينسى ... ثم انطلق وهو يقول :

« ويلي ! أفكل هذا في سبيل الفتاة ... ؟ »

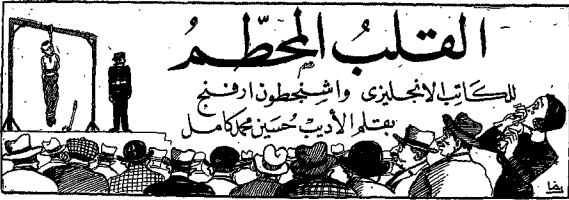
وعلى حين بقتة أحس يدين تلمسه في رفق ، ووجه بللته المبرات بلمن بوجهه في عطف وحنان ، وهي تضمه إليه في شوق وشغف ، وأضاءت الحياة في عينيه مرة أخرى ، وشاع السرور في قلبه ، وسيطرت عليه نشوة اللذة والسعادة ، ثم فتح عينيه يستشف ما وراء ، ففزع فارتد ... ثم اندفع ثانية ليأتي بنفسه بين أحضان أمه

فلم محمد مبيب

وبدا لها شبح يضرب في الأرض يبحث عن شيء ، وارتفع من ناحيته صوت ينادي : « من هناك ؟ أتيليو ... كلوتيلدا ... » إنه هو ... هو الطالب مول . ونادت كلوتيلدا : « هيا ! إنه أنا » ثم اندفعت مولىة ...

لقد رأى أتيليو الطالب يسرع نحو كلوتيلدا ، وراحا هي تسرع نحوه ، ثم وقفا جنباً إلى جنب ، وخيل إلى أتيليو أنهما يتماثلان فتجهن وتمبئس ؛ وهبت نسمة من نبات الفجر تحمل إليه حفيف الأوراق كأنه قبله ! فارتد وانتفض قلبه ، ثم جد في مكانه ، وقد استولى عليه دوار شديد فأغلق عينيه حيناً ... وحين أدار بصره رأى الصديقين يلقيهما الظلام ، وهو ما يزال يسمع صوتاً يناديه : « أتيليو ، أتيليو ! أسرع فتجن في انتظارك ! » وانظر على الحشائش الندية ، والأزهار من حوله تنفخ عبرها الشذى تريد أن تبت فيه الهدوء والنشاط ؛ غير أنه كان قد انطوى على آلام مبرحة يتفطر لها قلبه ، وتنداعى لها رجولته ؛ وأظلمت الدنيا في ناظره ؛ فراح يتقلب في قلق ومعض ؛ وتدفق اليأس في قلبه ليزع عنه نور الحياة وجمالها ؛ واستولى عليه شعور غريب ... شعور الفرار من على الأرض ، من هذا العذاب ... وبدت له الحياة ، بمد التي أحب ، عينا لا خير فيها

واضطرب شبح الموت في خياله ، وتراى له أنه يشق إليه الظلام في مثل عصفة الريح وهدرة الموج ؛ وكلوتيلدا مائلة في خواطره ؛ فهو يراها ومن عينها السوداء بين تنبت أشعة آسرة تجذب إليها في غير هودة ولا لين ، وهو يرى وجهها الوضاء الجليل ، وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة عذبة ؛ وهو يرى قدما التجميل الضامر يتهادى في دلال



إذ أن الرجل له مصالح وأطاع ، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح في معامنها الصاحب ، والحب عنده ألحمة في مستقبل حياته ، أو أنشودة ينشدها في أوقات فراغه ، وذلك لأنه في شغل عنه بما يطمح اليه من شهرة ، وما يسي وراءه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يفتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصبو اليه من سؤدد بين أُناده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها تهب للمواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ؛ فالقلب دناياها التي تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عما تتمناه من مخبوء الكنوز ، فتطلق كل جارية فيها للغمارة ، وتنطلق بكل روحها مع سفين العواطف ، فان غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ، إذ معنى ذلك أفلاس قلبها ودوال دولتها قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممتدة ، وقد تجرح بعض ما رق من أوتار قلبه ، وتصف بمعض معالم هوائه ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يبسّد أفكاره ويصرّفها بالاندماج في دائرة الأعمال المتنوعة ، كما أن في وسمه أن ينفسم في اللاهلي والمسرّات ، أو يسدّل مقر سكناه إذا رأى أن السرح الذي مثلت عليه فصول مأساته محاط

اعتاد الذين تقدست بهم السنون ونحطت بهم حدود الشباب فلم يمدودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا في جوها الزاهي حيث لا مقام لشعور أو قرار لماطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تعدو أن تكون سورا وأقايس من نسج خيال القصصيين والشعراء ؛ إلا أن خبرتي بدخيلة النفس الانسانية تحملي على ألا أرى رأيهم ؛ فقد هدنتي التجارب إلى أن الرء قد يسدو فارتا باردا لشواغل الدنيا وهووسها ، وقد يطالع الناس هاشا كمرعاة لرامم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادى نيرانا كامنة ترقد في أعماق أبرد الصدور ، وهي نيران إذا أثارها مثير احتدمت احتداما لا يبرف مده ، وقد تسوء عقباة . الحق أني مؤمن قوى الايمان بذلك السلطان الأسمى ذاهب مع تماثيله إلى أقصى حدودها . إلى مؤمن بالقلوب المحطمة إيماني بأن خيبة الحب في رجائه قد تمنجل بفنائها ، ولكنني لا أرى الحب مرضا كثير الفتك ببنى جنسي ، في حين أني أؤمن الايمان كله بأنه المرض الذي يصيب كثيرا من النساء اللطيفات فيزعجهن ويذهب بهن ومازلن في مستقبل العمر وشرح الشباب

بمد قليل وجدت الأصدقاء يبكون على قبرها وقد عاجلتها المنية في وفرة صباها ، فتعجب ما شاء لك العجب كيف هبطت الى عالم الظلام والديدان تلك التي كانت تشع الى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ! فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوقفاها ، وما يدري أحد منهم ذلك المرض الفكري الذي سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأذى المؤثرات

مثلا مثل الدوحة الفينانة تزهى الغابة بها وتردان ، تقف رشيقة القدم مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينما ينهش اللود لها فيسرع اليها الذبول حين يجرى إشراق نفرتها وازدياد توريقها ؛ وعلى غرة نراها وقد مالت بأغصانها الى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة الى أن تضمحل وتموت فتبقى في سكون الغاب . فإذا ماتا مانا هذه الانقراض الجلية أخفقتنا في تحليل ميتتها محاولين عينا أن نذكر تلك الماصفة التي عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التي لعلها تكون قد صمقتها

لقد لاحظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سريعة نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاخترن من الوجود على مهل كأنهن تبحرن في الهواء . ولقد ظننت مرارا أني أصبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن إلى آلام السل الهللكة تارة ، وإلى البرد تارة ، وإلى الهزال مرة وإلى الأحزان مرة ، ولكنني وجدت في النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضعية الأمل

كلُّ يذكُر ولا رب قصة ذلك البطل الارلندي الشاب « . . ١ » فهي قصة كان وقعها اليما بحيث

بملابس لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فيرحل الى حيث يشاء متخذاً أجنحة الصباح طائراً الى أقاصى البلاد حيث يخلد الى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهي بالنسبة الى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهي أكثر اصطحاباً لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استجالت هذه الى رسل ودواعي الألم والحزن قال أين النجاء ، وأين تلقى الرزاء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وخاب فألها في حبا فقتل قلبها في ذلك مثل القلمة تقع في أيدي الأعداء فتسهب وتسلب وتترك خواء

كم من عين متألقة خبا ضياءها ! كم من خد أسيل غدا شاحبا ! كم من وجه جميل ذوى وطواه الردى دون أن يدري امرئ السبب الذي أودى بتلك النضارة ! فمن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تغم الحماة جناحيها الى جانبيها تخفى بهما السهم الذي يوغل في مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادئ خجول ؛ وهما أصابت في حبا من توفيق قلعا تهمس به لذات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها في الحب أودعته طيات صدرها وتركته هناك في هم واصب بين ظلول أسفها الذاهب ، فقد أخفقت آمال قلبها وانتهت بهجة الحياة الكبرى عندها ، فهي عندئذ تناف الألماب البهجة التي تغمش الفؤاد وتسرع النبضات وتدفع تيارات الحياة والصحة في المروق ، وهي في حالها تلك تعلقها الأحلام السود وتفرعها في نومها ، ويمتص الأسي دماءها حتى ليمسى جسمها من الوهن والهزال ينقض ويهدم تحت أضغاث مؤثر خارجي . فإذا ما سألت عنها

يا لهولة من قبر ! كم هو خيف ! كم هو ميهن !
وقد خلت الذاكرة مما عساه أن يخفف غصة الفراق .
ولم تستطع تلك اللابسات الوديمة وإن خالطها التهم ،
أن تذيب ذلك الحزن في تلك الدموع المباركة التي
تنزل كالطلل من السماء برداً وسلاماً على القلب في
ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد في وحشة حياتها أن تلك الصلة
قد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته .
ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف
أن يهينها عطفهن ، لما أعرزها المزاء ؛ فالارلنديون
قوم حساسو النفوس ككربوع الشهور . ولقد
مدت إليها بيوتات كريمة يد المعونة وأعطتها برقيق
الرعاية وقدمنها للجمتمرات ، وحاولن الترفيه عنها
بشقي الملاهي والمسررات ليزول عنها حزنها ولتبتعد
عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً
في عبث ، فان من التذكيات ما يثبث النفس ويذوقها
وينفذ إلى منبت السعادة فيسحقه سحقاً فلا يعود
إلى إنبات . أما هي فلم تأب التردد على منتديات
السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها
موكولة الى أساها ، فكانت تسير في وجوم
يشيب فيه الشعور بالدنيا التي توجج حولها .
وكانت تحمل في نفسها على الدوام ها دفيناً يسخر
بمداعبات الصديقات ، ولا يحفل بسحر الفناء
ولا بجمال الرقص

لقد رآها من روى لى قصتها في « كرنفال »
وقد أخبرني أنه لم ير منظرًا لبؤس أكثر إبلاماً
لنفس من رؤيتها في هذا الحفل الحافل تمشي كالخيل
الضارع وحيدة كثيبة بينا كل ما حولها زاه بهيج

لا يمكن أن تنسى سريعاً ، فقد حوكم إبان الاضطرابات
الأرلندية متهماً بالخيانة ونفذه حكم الاعدام بالشنق ،
وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق في قلوب
الجمهور ، إذ كان شاباً في ميمة الصبي وزهرة الشباب ،
متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه
كل ما يحبب في الفتى من كريم السجيا وحيد الصفات ،
كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته
وإقدامه ؛ وكان لخصبته النبيلة في دفع تهمة الخيانة عن
نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولندائه الحار للأجيال
المقبلة وهو في موقف الاتهام وساعة اليأس صدى
داوياً في أعماق كل صدر كريم ، حتى أن أعداء أنفسهم
نددوا بتلك السياسة النكراء التي قضت عليه بالقتل
ولكن قلباً واحداً بين هذين القلوب فاقت
حسرة ولوعته كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة
الجليلة ابنة أحد مشاهير المحامين الارلنديين التي
كان قد نال حبها أيام سنده وتوقيفه ، وكانت هي
قد أحبت له لأول ما أحبت بتلك الجلاسة التي تحب
بها المرأة حبها الأول في مقبلت أيامها . لقد كانت
محبه أيام محنته ، أيام تألثت عليه أقاويل الناس
وأحكامهم ، أيام عصفت المواصف بماله ، وتهدد
العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب .
ولقد كان زيد حبها له مماناة لتلك الآلام ، فكيف بها
اليوم وكيف ألها وهي التي كانت تهم بطيفه وتشفق
بنياله . وقد حرك المصاب نفوس عدائه . سل عن
ذلك من سدت أبواب القبر بقشة في وجهه ، وفرقت
بينه وبين من لم يعدل به وبمحبه أحداً ، وقد جتا على
حافة القبر كالطيرود في دنيا باردة موحشة ذهب عنها
كل ماهو محبوب وكل ماهو جميل

الزوجة الصالحة ، فحاولت أن تسعد زواجها ، إلا أن هذا الهم الساكن وذلك الحزن الكامن لم يجمع فيهما علاج

فذهبت رويداً رويداً ، وأخذ منها الهزال مأخذه ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل في البرء منه ، وهوت أخيراً إلى قبرها نجيحة القلب المحطم وقد نظم فيها مور الشاعر الأرنؤدى الشهير أبياته الآتية :

بميدة عن الأرض التي بها مثوى بطلها المحبوب ،
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،
لإلأها تشييع عنهم بوجهها وتأخذ في النحيب
فقد علق قلبها بالقرى التى ضم الحبيب ،

تنشد أغاني الفطرة عن مواطنها السذج الأعزاء
مؤثرة ما كان يحبه من بيت تلك الأنعام .
آه ! ليس يدري أولئك الممجون بالحنانها
كم يتمزق قلبها وهي تشدو بأنفسها !

عاش لحبه ومات في سبيل بلاده ،
وكان هذات كل ما يمينه من دنياه ؛
وسوف لا تجف جاحل دموع بلاده عليه
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،
حين تؤذت بضيائها بدنو غدر موموق ،
حتى تقضى عليها في نجمتها كبسمة من المغرب
من جزيرة الأحزان التي أحببتها وعلقت بها
(حدائق القبة) صبر محمد لامل

وقال لي إنه رأى تلبس حلال المرح في حين تسير
ساعمة الوجه ممتعة اللون بغيرها الأسمى كأنما تحاول
عبثاً أن تخدع قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه القيم .
وبعد أن طافت بالبحريرات الفاخرة وجالت بين ذلك
الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج
منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت في الفضاء برهة وهى
شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بجبال المناظر
من حولها ، أخذت تنفى ، شأن القلب اللبيل في
تقلب أطواره ، فكان شدوها ياكياً . لقد كان صوتها
رخياً إلا أنه في هذه المرة كان مؤثراً بسيطاً ، فتنفست
عن نفس بائسة ، والتف حولها الجميع وساد السكون ،
فاذا بت النفوس وأدمعت الميون

لقد أثارت قصبتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة
سيدة على ذلك الاخلاص وهذا التفاني لا بد أن
تثير إعجاب الناس في بلد عرف أهله بالحناسة
والوفاء ، فأحبها وأعظم بها ضابط باسل خطبها وهو
يحدث نفسه بأن من كانت تخلص هذا الاخلاص
لبيت ، تظهر ولا شك مثل هذا الاخلاص
للحى ؛ إلا أنها خيبت أمله في ذلك إذ لم يكن
في وسعها أن تنصرف فسكرها عن ذكرى حبيبها
الأول . على أنه أمر على طلبه قائلاً : إنه يكفيه منها
التقدير بديار عن الحب . وساعده عليها اقتناعها
بجسارته وعوزها واعتادها على الفير ، اذ كانت
تميش على فيض ما محمود به الصدقات ، فتجيج في
النهاية في الحصول على يدها مع تأكيد رهيب بأن
قلبها ما زال ملكاً لغيره ولا سبيل إلى صده عن هواه
سافر بها إلى سويسرا لعل تبديل المناظر يحو
ذكرياتها القديمة . ولقد كانت رقيقة القلب مثال

يتساءلوا ما إذا كان صديقهم قد خرج بفضلهم من
مازق ليقع في مازق أشد حرجاً وضيقاً
تلك هي واجبات الصداقة في نظر هذا النوع
من الأصدقاء

من مصائب الشبهة أنها تتوهم الحياة قاعة على
مثال الحوادث الأولى التي طرأت عليها . وهنالك
نوع من أشقياء المجتمع تزام على أهبة ليقولوا للفتى
الصدوق : إنك على حق في اعتقادك بالشر ، ونحن
نعلم حقيقة

ولقد سمعت رجلاً وخط الشيب شعورهم
يتكلمون عن نوع من علاقات الرجل بالمرأة
يصفونه (بالماطفة الجواله) فكانوا يتحدثون عن
هذه الماطفة كأنها آلة حديثة اخترعها مهندس ،
فيصرون كيفية استعمالها ويدكرون ما يجب أن
يقول الماشق ، وما عليه أن يجيب به مقرر في قواعد
رسائل الغرام وكيفية الركوع لاستمطاف المرأة
المشتهة . وهكذا كان هؤلاء الأفاضل ينظمون
حركات الهجوم والدفاع

وما كانت هذه الأصول الموضوعة إلا لتجما في
أفقهه سخكا ، لأنني ما تمسكت يوماً أن أقول
لامرأة أحقرها إنني أحبها حتى ولو كان هذا
التمعارف المعمول به مما تعرف المرأة نفسها زيفه .
ما جنوت يوماً أمام امرأة دون أن يحنو قلبي مني .
لذلك ما عرفت حياتي هذا النوع من النساء
المبتذلات ؛ وإذا ما كنت وقت لاحتادهن ، فما
كان ذلك إلا دون قصد مني وعن جهل بحال المرأة
التي أغوتني

ليس من المستغرب لدى أن يهمل الانسان
نفسه ، ولكن ما أستغرب هو أن يقدم على تدنيها .



اعتراف في العصر

لألفريد رى موسى
بقلم الأستاذ فليكس فانس

الفصل الثالث

وكان ديجنه قد أعد في بيته في الضاحية حفلة
للشباب مستكلة من خمر وطعام ولعب وصيدورقص
وسباق ؛ وكان غني هذا الصديق مجتهداً بحب الضيافة
والكرم ؛ وله مكتبة مجهزة بأحسن الكتب ، وكان
إذا حدثك ثم حديثه عن علم وأوسع وأدب جم
وحملت إلى هذه الحفلة كما بقي أغلبها فلا تغلب ؛
وقد احترمت ديجنه حزني إذ سكت أنا عن استفساره
فلم يعاود الكرة على

وما كان بهم ديجنه إلا لأمر واحد ، وهو أن
يراني ناسياً خليلي ، فكان يرضيه أن أتناول الطعام
كسواي ، وأرافق الأنحاب في ألباهم وصيدهم
إني في العالم أناساً مثل هذا الصديق يحاولون
جهدهم أن ينجحوا من يودون فلا يترددون في أن
يرشقوا وجهه بحجر إذا رأوا ذبابة تلمس خده ...
فهم لا يفتخرون بمنعونه عن ارتكاب ما يمدونه خطأ ،
ولا يطيب لهم عيش دون أن يتوصلوا إلى طبع هذا
الصديق على غرارهم ، فإذا هم ظفروا بناتيهم فركوا
أيديهم ونفضوا أناملهم دون أن يتحظر لهم يال أن

الأزهار ورقة أخذتها فاذا عليها :

« إلى أو كتاف من ديجنه ، بشرط المعاملة بالمثل »
وما قرأت هذه الكلمات حتى أدركت ما يرى
اليه ديجنه من اهدائه الى خليلته كما تهدي
الجواري . . . وما كان ديجنه على ما أعرف به من
الصراحة ليفعل ما فعل تضليلا أو هزواً ، فهو لم
يقدم على فعلته إلا ليلقيني درساً

إن هذه المرأة كانت تحبه ، وقد سمعني أنني
عليها ، فأراد أن ردمني عن التماق بها في حالتي
قبولي لها ورفضى

فوجت أنفوس في هذه المرأة ودموعها تتحدر
على خديها ولا تجرؤ على مسحها خشية أن اتقيه إلى
بكاؤها ؛ وما كنت لأعلم بماذا تهدها ديجنه حتى
أطاعت . فقلت لها : لا بأس عليك ، أيها الأنسة ،
ارجعي من حيث أتيت .

فقلت : إذا أنا خرجت من غرفتك قبل
بزوغ الفجر ، فإن ديجنه سيمدني إلى باريس ،
وليس بوسى أن أخالف أمره ، فوالدتي فقيرة

فأجبته : إن ففرك يدفعك إلى تنفيذ أمر
ديجنه إذا ما وافقت أنا عليه ، ولقد يستهويني جلالك
الرائع ، ولكنك تبكيين ، وما تدرفين دموعك من
أحلى ، وأنا لا شأن لي في غير هذه الدموع . اذهبي
وأنا كافل لك أن لا يرجمك ديجنه إلى باريس

إذا كان التأمل صفة ثابتة من صفات العقل
في أكثر الناس ، فما هو عيدي إلا كمنزلة
لا تتحكم إرادتي فيها ، فإن التأمل يحتاجني كنوب
عاطفية شديدة لا قبل لي بردها ، فمنذ ما خرجت
هذه المرأة من غرفتي جلست وقد اعترتني نوبة

ولقد يكون في هذا القول شيء من الكبرياء ،
ولكنني أربأ بذاتي أن أرفعها فوق موقعها ، أو أن
أحط بها إلى أدنى من مستواها . وليس أكره إلى
من المرأة التي تهزأ بالحلب . ولعل هذه المرأة أن
يبادلني عاطفتي هذه فأنني لن أأزعها هذا الحق

إن مثيلات هذه المرأة لأحط من الداهرات ؛
وقد تكذب الساهرة كما تكذب المرأة المحتقرة
للحلب ؛ ولكن الأولى قد تحب ، أما الثانية فلا تفقه
للحلب معنى

أذكر امرأة تطلعت في فكانت تقول للرجل
التي التي تمايشه : لقد مللتك ؛ وهأنذا ذاهبة
إلى حبيبي

إن مثل هذه المرأة لخير من النساء اللواتي
لا يتقاضين عن أعراضهن ثمناً

وقضيت فصل الصيف عند ديجنه حيث بلغتني
أن خليلتي بارحت فرنسا . ومنذ اليوم الذي بلغتني
فيه هذا الخبر استولى عليّ خول لم أجدر لنفسي
عنى سبيلا

وكنيت في وسط هذا المجتمع الجديد أنطلع
كالفرس الجوح إلى كل ما حولى

وكان لديجنه خلية على غاية من الجمال . وكنيت
أعشى معه في إحدى الليالي فقلت له إنني أقدر
جمال عشيقته وتعلقها به وإخلاصها له ، وأبشعته
أنني أغبطه على هذه النعمة . فسكت على عادته وابتسم .

وعند ما دخلت إلى غرفتي لأرقد في الساء نفسه
سمعت طريقة على بابي فأذنت بالدخول ظناً مني أن
أحد الصحاب أخذته الأرق فليجأ إليّ ، وفتح الباب
فرايت امرأة تتقدم مترددة وقد امتنع لونها وتعرض
نصف جسمها ويدها طاقة أزهار قدمتها إليّ ، وبين

أن تقتل جسداً ؟
ولكنك قد تكون عاشقا لهذا الجسد فلا تجد
أمامك إلا من يقول لك : أترع الكأس وتذهب
في سبيلك ، فان للجسد الذى تمحترق من أجله نمنا
معينا . ولكن ديجنه يحب خليلته فهو لا يرضى
عليها بشيء ، فهل لهذا الرجل حب خاص به دون
سواه ؟ لا ؛ إن هذا الرجل لا يعرف الحب ، ولا فرق
عنده بين امرأة تستحقه وأخرى لا تستحقه لأنه
لا يحب أحدا

وما الذى أبلغ ديجنه هذه الدركة من
الشعور ؟ فهل هو خلق بهذه العاهة ، أم أصيب
بها بعد ولادته ؟ إن ديجنه ليس رجلا ما دام
الحب أرم للانسان من الماء والهواء . أهو
أحد الجبابرة أم أحد الصاليك ؟ فهو يرتجى على
أحضان امرأة تمسقه دون أن يشمر بأية رعشة
ودون أن يتوقع أى خطر ؟ وما الحب لديه إلا سلعة
جسد ببدرة مال . أية ولية هي حياته ؟ وأتى شراب
يتدفق في أفداحه ؟ إن هذا الرجل لم يتجاوز الثلاثين
من عمره وقد أصبح مدمنا على السم مكتسبا متاعا
تهزأ بزفاف الأفاعى التى يداعبها

إن في الأمر لنزاع عميقا يا بنى ، عليك أن
تجد له حلا . مهما اجتهد أنصار الفحشاء بالتعميل
فإنهم قد يشبثون ليوم من الأيام وليلة من الليالي
ولساعة من الساعات أنها ناموس طبيعى ، ولكن
إثباتهم هذا لا يصمد لوجه الزمان لأنه ليس من
شعب على الأرض لم يعتبر المرأة رفيقة الرجل وسلواه ،
أو ألزمت المقدس لحياته ؛ وقد استحققت التمجيد
في الصفتين

ومع هذا فانك ترى من الناس من يتنصب

النامل ، فاذا أنا أناجى نفسى قائلا : هذا قضاء الله
فيك يا هذا ... لعل ديجنه كان على حق لاعتقاده
بأنه إذا لم يرسل خليلته إليك لكنت تقع أسيرا
في هواها

أفا دقت في حسننها وجمالها فأدركت أنها
آية في الخلق وما تجود الطبيعة بمثلا إلا نادرا ؟
ومع ذلك فان الرجل الذى يريد أن يشفيك من
دائك لم يجد وسيلة أجدى عليك من الصاق شفتيك
بشفتيها ليجو آثار الحب من قلبك

ولكم رأى هذه الفتاة رجل قلبك فما استهدفوا
للخطر الذى تراميت أنت عليه

وهذا ديجنه تميد بجمالها ولكنه لم يؤخذ به ،
فهل يحيا هذا الرجل بلا قلب ؟ إن لهذا الرجل
قلبا ولكنه يختلف عن قلبك شعورا ، لأنه لا يعتمد
في شيء ولا يهتم بأى أمر كان ، ولكنه إذا أصيب
بلسعة في رجله فإنه يرتمش خوفا . وهو المتعد
بأنحصار الحياة في جسده ، فاذا ما فقد الكون
يأسره . أيمكن للانسان أن يحيا على هذه الوتيرة
فيجلب روحه بالسياط كما يجلب التعمدون أجسادهم ؟
افتكر يا هذا واعتبر أنك ترى رجلا يغم بين
ذراعيه أجل امرأة وهو مشتعل بحمارة الشباب
يعان لهذه المرأة إجماع بها وتمن أن يحيا له فيجنيه
يوما صديق يثق به ويقول له : إن هذه المرأة
مبتذلة فيزول كل إعجاب وحب من قلبه ، ولو أن
هذا الصديق قال له إن هذه المرأة جانية لما فعل
هذا الوصف في قلبه ما فعلته كلمة « مبتذلة »

فأهي قوة هذه الكلمة يترى ؟ إنها ولا ريب
تحمل المار ، وتنزل العقاب المبادل بالمرأة التى
استحققتها ولكنها ليست إلا كلمة ! وهل للكلمة

الكاذبة إلا بذورا لا تثبت غير المرارة والأوجاع
وقد استنفدت قوى حتى ملأها

إنها لكلمات لا يتفوه بها إلا القلائل من
مشوا في الحياة حيث مشى هذا الرجل ؛ غير أنهم
لا يشعرون بتغير معناها في قلوبهم ؛ وأنا أيضا لا أجد
سواها في صميم فؤادي

وبعد أن عدت إلى باريس في أول الخريف
بدأت حياة الشتاء مندفعاً الى اللامحى والمكاتب
والمراقص ، فما كنت أفترق عن دمجته إلا نادراً ؛
وكان هو يبدى مزيد ارتياحه الى ؛ وما كنت أنا
مرتاحاً الى نفسي ، لأنني كنت كلما توغلت في هذه
الحياة تتزايد همومي ، فما طال بي الأمر حتى بدأ
هذا العالم الذي حسبته لأول وهلة واسع الأرجاء
يضيق بي في كل خطوة ، فكنت كلما لمست شيئا
من اشباحه يضمحل ويتوارى أمامي

وكان دمجته يستفسرنى عن حالى فأقول له :
وأنت مالك أيها الصديق ؟ لعلك تتذكر قريبا بارجك
الى القبور ، أم إن في صدرك جراحاً نكاشها
رطوبة الشتاء ؟

وكنت أراه أحيانا يتظاهر بعدم سماع ما أقوله ،
فيكتأ بهرغ الى اللوائذ ونشرى حتى تفقد الشمور ،
أو نستأجر فرسين . ونطلق الى الحقول قاطعين عشر
مراحل لنتناول طعامنا هناك ثم نمود لنستحم ،
ثم نتناول العشاء ، ثم نترا كض الى موائد القمار ثم
ننسحب الى أسرتنا . وما كنت أسأل الى سربرى
وأوصد الباب على حتى انظر حجاباً أذرف الدموع ،
وتلك كانت صلاتى في كل مساء

ومن غرائب حالى أنني كنت أشعر بشيء
من الغرور عند ما كنت أتمكن من الظهور على

كالخارب المدجج بالسلاح ليندفع قافراً فوق الهاوية
الى قعر الله بها بين الانسان والحيوان . ومن
يقدّم على هذا العمل قائما هو يتكر النطق على نفسه
فيصبح كالوحش الأعجم خائفاً المحبة المفكرة الناطقة
بقبلات الجسد وشمواته اذ يضع على فمه ما على أشداق
الحيوان من طابع الصمت الأبدى

إن مثل هذا المسخ يقف أمام أشرف كلمة وجب
عليه أن يتعلمها فينفخ عليها عاصفات من دياجي
الذابة السوداء حيث يأتمر شياطين الفناء بالحياة
لقد تجاوز هذا الرجل الحد الذى أوقف الله
الانسان عليه ؛ فهو قد تهور عن هذا الحد أو اندفع
إلى ما وراءه . . . وقد أصبحت أحشائه كاحشاء
المرأة العاقرة أوجدتها الطبيعة ناقصة أو تسربت إليها
قطرات أعشاب سامة تقضى على جرثومة الحياة .
إن العمل والمطالعة قصران عن شفائك يا بنى ؛

وقد أصبح شعارك أن تنسى وتعلم ، وقد كنت
تقلب صفحات الكتب البتية ، وأنت لما تزل قاصراً
عن دراسة الخرائب والاطلال . أنظر الى ما حولك
من قطمان البشرية وإلى عيني أبى الهول تشمان بين
ما خطته اليد المستترة . طالع كتاب الحياة أيها
الطالب وارم بنفسك في تيار الحياة فما الحياة
إلا كنهر السيكس الى الأساطير تولى مياهه المناعة
لن يجرؤ على افتحاحه من الأبطال . أقدم فأما أن
يقودك هذا التبار الى الموت أو يرمك الى الله

الفصل الرابع

قال القديس أوغسطينوس وهو الرجل الكامل
عند ذكره أيام شبابه :

— وما كانت جميع هذه السرات والملاذات

وأشعر أنني رجعت الى الأيام التي كنت فيها طفلاً وبالرغم من أنني كنت أتبع دقة النظام الذي قررته أنا وأصدقائي في حياتنا المشوشة ، فإني ما كنت أهل الذهاب الى بعض المجتمعات العائلية غير أنني كنت أشعر باضطراب شديد عندما كنت أنظر الى أبة سيدة ، فإ كنت ألس أيدى النساء إلا مرتعشا بعد أن سمعت على هجر الحب الى الأبد

ومع هذا فإني رجعت ليلة من أحد المرافص وفي قلبي من الألم ما أشعروني بمودة الحب اليه ، لأنني كنت جلست الى السائدة بقرب سيدة لها من الجمال والأدب الجلم ما لا قبل لي بنسيانها . وعند ما أغضضت عيني لأنام انتصب خيالها أمامي فحسبني مقضياً على بالهلاك ؛ ولذلك سمعت على أن أجتنب أبة فرصة تمكنني من الاجتماع بها . وبقيت أغالب نفسي خمسة عشر يوما ما بارحت فيها مقعدي ، فكنت أنطرح عليه ساهياً ففقر في غيبيتي جميع حركات هذه المرأة وكلها . وما طال الأمر حتى ذاع صيتي في باريس بحيث يترصد الناس لسكناات الناس وحركاتهم بأنني سيد الخلاء . وكان ذكاء العالم في هذا مدعاة لاجباني به ، لأنني بعد أن كنت في عينه أشد الناس حماقة عند ما وقعت لي حادثة خليتي أصبحت الآن الرجل المتصلب الذي يتحكم في شوره . وذهب البعض الى القول بأنني ما كنت عاشقا لهذه المرأة بل كنت ألعب دوري بمهارة ، فكان ذلك خير ثناء بوجه هؤلاء الناس إلى

والآنسكي من هذا أنني أصبحت أنا نفسي أنتفخ غرورا بهذا الشرف السكين وأتلفذ بفروري

غير الحقيقة التي أعهد لها في نفسي . فكنت أباهي بالاغراق في وصف شروري وأجدالة شاذة يشوبها الحزن العميق ؛ وما كنت أشعر إلا باللال عند ما كنت أسرد حوادتي على حقيقتها ؛ وما أدري كيف أصف هذه اللذة التي كنت أستغرق فيها عندما كنت أقص وقائع جنون وغشاء لا حقيقة لها وما كنت أنال من شيء تآلى لاضطراري الى ارتياح الأماكن . التي كنت أرافق خليلتي إليها فيا مضى ، فكنت أظهر كالمتهو أمام رفاقي وأذهب الى مكان منفرد لأحدق في أصول الأشجار ونبات الأرض ؛ حتى إذا مللت تأمل في ضربتها برجلي وحاولت تحطيمها . ثم أعود الى حيث أتيت وأنا أعتم قولي المؤلف : « إن الله لا يخيبي » وكانت تنتهي هذه النوب بي الى سكوت بطول مدني ساعات

واحتلت دماغى فكرة ملكيت جوانبي وهي أن لا حقيقة إلا في العرى ، فكنت أقول إن العالم يسمى أصباغه وأدهانه فضيلة ، ويدعو سبيحته ديناً ، وأتوايه أدباً ولياقة ، وما الشرف والأخلاق إلا خدمات لقضاء حاجته . فالألم لا يشرب خمره إلا من دموع المساكين الذين يؤمنون به . فهو عيش مطرقاً ما دامت الشمس تتكبد السماء فيذهب الى السكناات والمرافص والمجتمعات ، وعند ما يستدل ستر الظلام يترعى قراءه مومساً لها من التيس رجلاه ولكنني كنت أحتقر نفسي بهذا القول إذ كنت أشعر أن تحت هذا الجسد الذي تستره الأتواب هيكلا من عظام فكنت أرتمش وأسأل نفسي ما إذا كان هذا كل الوجود

وكنت أعود الى المدينة فأسأف في طريقي فتاة تمسك بيد أمها وتسير معها فأبتمها بأنظارى متنبها

مزاحى يدفعني الى الحزن المفرط كما كان حزني يثير
مزاحى فاستغرق في ضحكي

وسمعت ذات يوم رجلاً يتبجح بأنه لا يعتقد
بأية خرافة وأنه يستخر بكل تفاؤل وكل تشاؤم فجاء
أصحابه الى غرفته ومددوا على فراشه هيكلاً رمة
بشرية وكنوا في غرفة مجاورة ؛ ودخل الرجل الى
غرفته في ساعة متأخرة فلم يسمع الكامنون أية
حركة حتى الصباح ، إذ شاهدوا صديقه جالساً
على فراشه وهو يلعب بالمطاط . وكان الرجل قد عُجِنَ
وقد كان في داخل شيء يشبه هذا الرجل يلعب
بمطاط رمة محبوبة ، وماتلك الرمة إلا انقراض غرامي ،

وهي كل ما تبقى لي من سالف أيامي
(يتبع)
فيلكس فارس

وكنت موجهاً كل جهدي الى أن يراني الناس
(والسلام الى مقام من محجرت عواطفهم في حين أنني
كنت أشتغل بالشهوات وتذهب تخيلات الجاعة
بي كل مذهب

بدأت أعلن أنني ليس للمرأة أقل شأن في
نظري ؛ وكنت أبذل الجهد لخلق أوهام أعلمها
للناس وأقول إنني أفضلها على الحقائق فكأنني لم
أكن أرى لذة إلا في تشويه ذاتي ، وكان يكفيني
أن تلوح لي فكرة تصدم الرأي العام لأتطوع
للدفاع عنها مهما كلفني الأمر

وهكذا بليت بأعظم النقائص والعيوب : بليت
بتقليد كل ما كان يستوقف انتباهي لاجله بل لغرابته ؛
وبما أنني لم أكن أرضى أن أظهر في مظهر التقليد
كنت أندفع الى المغالاة لاثبت أنني مبتدع لا تابع ،
فلم أكن أرى شيئاً حسناً حتى ولا مقبولاً ، وأبدي
عجبي ممن يقدرون رذائلهم في إعجابهم ، ومع ذلك
أكن أتورع في حماسي عند ما كنت أدافع عن
نظرية أريد أن أخذ بها ، فكنت أندفع في بياني
حتى تضيق اللغة عن إمدادي بالتعابير اللازمة
لابداء إعجابي ؛ وكان يكفي أن يسلم أخصائي بما
أرى إليه لأفقد كل فصاحة وكل حماسة

وما كانت هذه الحالة الفكرية إلا نتيجة
ملازمة لحياتي التي كرهتها وما قدرت على تبديل
خطي فيها . فكنت أعذب تفكيرى كأنني أنقم
منه وأخذ كل وجهة طلباً للهروب من نفسي
ولكن بينما كان غروري يداعب ذاته على هذه
الويزة كان قوادى يتقلب على أوجاعه ، فكأنني
كنت أنطوى على رجلين أحدهما ضاحك والآخر
باك ؛ وكان الصراع مستمراً بين دماغي وقلبي ، فكان

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

الثنى بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس



هوميروس

الأميرة إلى القصر فلحقها إخوتها الأمراء الخمسة
النسجولوب، فحذا الدواب وحملوا المطارف والسياب،
وصمدت هي إلى نخدها حيث كانت خادمتها المعجوز
الشعطاء (يورعدوسا) تنبى بنار الدفأة

ولم تكذب بور ترى سيدتها حتى حيث وثقت،
وانطلقت تمد لها وجبة الساء

أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه وتوهم
شطر المدينة، وقد نشرته حوله ميرفا — صفيته
الوفية — ظلالاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس حتى
لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيه أقبل ومن
أى الأفطار جاء ... بيد أنها لاحت له قبل أن ياج
باب المدينة في هيئة فتاة قروية كالب تحمل فوق
رأسها جرتها ... وتمعدت أن تعترض طريقه،
فانتهزها فرصة وراح يسألها هكذا: « يا بُنَيَّةُ !
أتسمعين فتدليين على بيت رب هذه البلدة،
السينوس الكريم ؟ لقد نال منى الزنى وطول
السفر، وجلت عليكم يا أهل فيشيا الأجابيد ضيفاً



الأوليسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

في قصر الكينوس

مقدمة الفصل السابق

« لم يمد أوديسيوس من طروادة فيمن عاد من أبطال
الآغريق قطع في زوجته الجميلة — بنلوب — أمراء
البلاد وحاصروا بيتها ليرغموها على اختيار أحدهم زوجاً
لها . وقد سادت هذه الحال لالة الحكمة ميرفا وصديقة
البطل فخرت والده تلياك أن يعبر إلى أسبرطة وييلوس
ليسال الملوك عن أبيه وقد أبحر تلياك، وعلم أن أباه
ما يزال حياً في جزيرة كليسيوس عروس الماء — وغبط
عشاق بنلوب لما علموا بإبحار تلياك فترقبوا به لينتالوه
في عودته . أما أوديسيوس فقد صنع له رمتاً وأبحر
عليه من عند كليسيوس ولم يزل يصارع البحر حتى اقترب
من سواحل شيريا مملكة أمراء البحر وهنا ثارت
المواصف وكاد يفرق ... ونجا بعد جهد ونام في
دخيلة في طرف غابة على سفح الجبل . وأقبلت توزيكا
لينة ملك شيريا في ربرب من وصيفاتها لتفعل مطارف
عرسها فلبت أوديسيوس الذي رجاها أن تمنحه
دثاراً وأن تدله على مدينتها — وقد أعطته ما سأل
ورمت له الخطة التي يلتقي بها أباه الملك الكينوس »

وفرغ أوديسيوس من صلاته، ووصلت عربة

تلقى . إنها سيدة قومها ، وهي محبوبة مبعولة إلى درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع الفياشين ملوك البحار ، الذين طالما تكبروا حول موكبها في شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها تجلس وقورا كأحدى ربات الأواب فتعمر بالحبة أبناءها ، وتقضى فيها يشجريهم ... لك الله ياسيدي إن قدر لك فاستظمت لقاءها ... إنها إذن تمنحك برها وتسبغ عليك من بركاتها فتمود إلى بلادك راضيا ، وتلقى آلك وخالنك عزيزا مكرما »

ثم غابت ميرزا عن الانظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبة إلى مراثون — ومن ثمة رفت رفة فكانت في أثينا حيث أوت إلى قدمها الكريم إراكثيوس

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيبا متخاذلا ، غارقا في بحر لحي من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى بهره لآلاء شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولعمانه تلك الجدران المصفحة بالنحاس زينا إطار من اللازورد الأزرق ، وتلك الأبواب الهائلة من الذهب الخالص ، والعماد السامقة من الفضة الجلولة ، تكللها تيجان من النضار الثمين . وعلى العجين وعلى الشمال رُبضت كلاب من ذهب ، صنعة فلسكان ، صناع السماء الخالد ، وخالد أبد الدهر كل ما صنعت يدا فلسكان . ثم على بعد ذلك زدهة فسيحة مترامية صفت إلى جدرانها كراسي كأنها عروش ، وُثبت فوقها غارق ذات ألواف وشفوف ، صنعة وصيغات القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأمره شيريا ... فيقف الولدان في جلابيب من ذهب ، وفي يد كل شملة تسكب الأشواء من فوق المذبح على جوع الطامعين

غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ » وقالت ميرزا — ذات العينين الزرجدتين — وهي تحببه :

« حبا أيها العزيز الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس بنفسى ، فهو غير بعيد من بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ... إصمت مادمت سائرا ، ولا تحدج أحذا بنظرة ، ولا تكلم من أهل هذا البلد إنسيا ، فقد جابوا على ازدراء الغرباء وقلة إبلانهم ، وتلقهم في فتور وبرود طبع ، وقد أحبه نبتيون رب البحار فأذل لهم أعناق الموج وأسلس لسفهم أعراف الماء ، فهي تخطر فيه كالطير حين تخوف ، أو كالفكرة حين تخطر في الخلد »

وتهادت ربة الحكمة بين يديه ، وداف هو ورامها ؛ ولم تره جموع البحارة الحاشدة التي كان يسير بينها ، لأن ميرزا ضربت على أعينهم غشاوة عجيبة حجبته عنهم ؛ وكان ينظر بين الدهش إلى مينائهم وسفائهم ورجبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المهددة بالمدينة في أبهة وجلال ، ثم بلغا بيت الملك ، فقالت ميرزا :

« هاك يا أبناء القصر الذى سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه رؤساءنا وأمرأانا أحجاب السمو يولون ويقصفون ، فعمل قاتلهم بقلب زابط وجأش ثابت ، فهم أعجب الناس بشجاع جرى ، وأكرمهم للاجى غريب . وستكون الملكة أريتا — سليلة الشرفاء الانجاد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة المردة الجبابرة من ذرارى نبتيون^(١) — أول من

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكره مورخ من نسب الملكة عمارة الامال

مُلك كبير وآلاء وافرة أسبغتها الآلهة على
الكنينوس الملك !

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه
الفكر ، يردد طرفه في هذا المنظر العجيب ، ثم أفاق
نظراً إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء المدينة
وشيوخها يصبون الخمر باسم هرقل رسول السماء
تقدمة وقراباناً ، وصلاة لخاتم أرباب الأبواب قبل
أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم تثبت عندهم ، بل
تقدم في خطى حثيثة رغم إعياؤه ، وكانت ميترفا
تجسبه في ظلال كثيفة من أعين الملأ ، حتى وصل
إلى حيث يجلس الملك والملكة ، فكشّف عنه
غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة ليث شكاته بين
دهش الملكين الكرعيين وشدة تحيرها :

« أربنا يا ابنة ركنور صفى الآلهة ! أنوسل
إليك وإلى الملك العظيم ، وأضيافكم النبلاء ، من
الله عليهم ، وضاعف لهم آلاؤه ، وأنعم على ذريتهم
وألف بين قلوبهم وقلوب رعائهم ، أنوسل إليك
ياسليلة المجد ضارعاً أن تمنطقني عليّ ، وأن تنكرني
مثنواي ، وأن تعينيني على الرحلة من فوري إلى
بلادى التي أحرق إليها شوقاً ، والتي فصلتني عنها
أهوال وأهوال ! »

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل
المسكين جاثماً عند حافة البوق المتأجج ، حتى
تفجرت شأبيب الرحمة والحنان في قلب إخنينوس ،
ابن الملك البكر ، فراحت الكاهنة الطيبة تتدفق
من فمها الجليل العذب في فصاحة ونبينان ، وحكمة
تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لمجدك أيها الملك أن تدع هذا القريب

في كل ليلة ... يا للقصر كأنه جنة الخلد ؟ ... إن
خمسيت من غيد شيريا الرعايب يخدمون الملك
ثمة ... يطحن القمح وينخلن الدقيق ، ويندفن
الصوف ويعملن على النول ... مناسات كأفنان
الدوح يداعهن النسيم الحلو . . حاذقات في التزل
والنسيج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان
المصافة . . قد تقفن صناعتهم عن ميترفا فافتتن
وأبدعن إبداعاً . ثم تكون البوابة الكبرى ، حيث
فردوس القصر اليباع ، وجنته دانية القطوف ،
ذات الأسوار النبعة المحيطة بهذه الأربعة أفدنة . .
للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ، وللآلهة
أشجار الزمان المثقلة بأثمارها منيرة عن شفاء
الأفراح . . وحرمة الخجل قد خضبت حدود التفاح
والكمثرى ، وسالت قطرات من الشهد في ثمرات
التين ، وتأنجت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون . .
فاكهة شمية جسيبة لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء
وصيفاً ، يأنمة أبداً ، تداعبها أنفاس (زفير رب
الصبا فتشيع فيها النضج والفاء ، كلما قطفت يدهن
جناها ثمرة تحت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل
آخر الدهر قطوفها وما تنقص

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذات
الأعناق والطب والمناقيد من نور ، بعضها يهجر
فقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على سقوف فيكون
زيباً جنيماً . ثم توشى أطراف الحديقة أحواض
من الزهر المشذب المنسق ، وتنفجر في وسطها
عينان نفاختان ، يترقق الماء من إحداها كاللجين
في مسابيل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر
فيرتوي الأهلون منه

وشاركت في ولأعنا ، وهي تبقى على عبتنا ،
فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب في الأرض ، وليس
ما بيننا وبينها بأكل مما بينها وبين السيكاوس
أو المردة الجبابرة ، وفي ذلك نغارنا وهو آفة مجدنا»
ونفض أوديسوس الحكيم فقال : « غفراً
غفراً أيها الملك ! ما أنا في الآلهة ؟ ! أين لي
خلقها السوي ، وكيفها السماوي ؟ بل أنا شق
من أبناء هذه النبراء ، أتقلت كاهله حولة هائلة من
الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شق
شقائه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه . . . بلأيا
صبتها على رأسه الآلهة فصبر وأتاب . . . أوه ! أبداً
لا أنتهي إذا سردت لكم طرقات يسير أمنا ! ولكن
لاداعي الآن .. أرجوكم .. أنوسل إليكم .. دعوني
أتباع بهذه الكلمات في هذه اللحظة الحائلة من الراحة
التي لم أنعم بمثلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع
في أذني الجوعان ، ولشد ما يعضد الطوى ! إنه يلج
عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسبه آلامه وأشجانه .
إن له لشهيه عالية الصخب تطلب المون في جوار
وجنون ، حتى ليضيع في نجيحها هتاف جميع الآلام
إلى أن تكتم . عفواً أيها السادة ! إني أفأنا أسرع
إليكم أن تيسروا لي عوداً أحمد ، وأوبة سالمة ، بعد
طول المناء ، والشقاء الذي ليس بمدى شقاء ؛ إنه
لا أحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة
أزودها من أهلي ووطني . »

وتأثر القوم من أجله فأنثوا عليه ، واتفقت
آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده وبقي ذويه
ثم نهضوا فصبوا خر الصلاة باسم الآلهة ، وشرابوا
نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا
أوديسوس ، فقد ظل جالساً ساهاً وأجماً ، كما ظل

جانباً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن
تشررك أضيافك ينتظرون أمرك . . . وما تكلم
منهم أحداً ! ! ألا تغذي بيد القريب وأقدمه مقعد
الندي ، ومر الندمان يسقه من كأس جوف كبير
الآلهة (١) ، وحبيب القرباء وذوي الحاجات ،
والنادل يهيء له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة »

وما كاذ الأمير يفرغ من قائلته ، حتى أنهض
الملك أوديسوس وأجلسه على كرسي نغم جانب
ولده الحبيب الحكيم لاوداماس . . . ثم أقبلت
إحدى وصفات القصر فصبت الماء على يده من
أبريق ففضي ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى
الأكل وأطيب اللذائذ والأشربات ، فأكل
أديسبوس وارثي ؛ وأمر الملك كبير السقاة
بوتنوس ، فزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث
صبوها مقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ،
وحبيب القرباء ، وحامي ذوي الحاجات ، ثم شربوا
بعد ذلك حتى رووا

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ
الفياشيون كلمة عفواً الخاطر ، فاسمعوا وعوا . . .
لقد طعمتم جميعاً وستتفرقون إلى مضاجعكم ،
ثم تجتمع عند مطلع الفجر نحن ، ومن لم يحضر من
نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا اللاجئ
القريب . بعد أن نضحي للآلهة . . . إنه يطلب
أن يعود في حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً
غافلاً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات
الأقدار قد قضت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من
أرباب الساء الخالدين . . . لقد وصلت بيننا وبين
الآلهة وشائج القربى ، وطالغ غشيت بحالسننا
(١) في الأصل (رب الصواعق)

والآكال ؟ ثم أرسلت بين يدي ربحاً رُخاء
ما انفكت تجرى بي في عباب من بعده عباب طيلة
سبعة عشر يوماً ... وفي الثامن عشر لاحت قم
جبالكم الشم غفقى قلبي فرحاً ... يبد أنه كان
أملاً مُخْلِياً لم يطل أمده ... فقد أنى نبتون الجبار
إلا أن يقف بسبيلي ، وإلا أن يرسل ربحاً مما كسة
تثير الوج وتهيج اللج ، وتمزق ما التأم منى ومن
فلكى الصفير - الذى كان كل أملى .. ولم يعد بد
من أن أ كافح الماء ، وأزدرع اليم بالسباحة ، حتى
تضافرت الريح والوج ، قذفانى إلى ساحلكم
ذى النوى .. ولم أحتمل صدمة الصخور ، فضجنى
السليل الرابى إلى الأحماق كرة ثانية ... وشرعت
أ كافح مرة أخرى ، حتى نترتى موجة مزبدة فى
نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى
عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ خفق الأحشاء
منهوك القوى ... وأقبل الليل فهاككت على
نفسى إلى دغيلة مهدتها بمسليج وشى من القش
وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً ونحوه متعبة
وظهيرة كلها نصس وإعباء ... ثم أيقظنى صيحات
قرية مُرونة ، فاذا ابنتكم الأميرة الحبيبة الحسان
فى ررب من أنرابها بتلاعين كرشات الأولب على
رمال الشاطئ ... وجثوت تحت قدمها ، ومازالت
بها أعناق شباهها الغض يدعوات ممسولات ، وأثير
نخوة صباها الفينان حتى أمرت لى بطعام شهى
وخمر معتقة ، وأشارت إلى منقطع فتوجهت إليه
ففسلت ما على جسمى من خبث ، ثم منحتنى هذا
الصدار وذاك الدثار ...

تلك قصتى أسردها عن قلب محزون .. ما فيها
أثارة من مين ؟
قال الملك : « لشد ما أخطأت بنبى إذ لم تصحبك

الملك إلى جانبه سامعين واجمين ، والتدل فيما بين
ذلك يجمعون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا
أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت
نظرها هذا الثوب الفضفاض الذى كان يلتصق به :
« والآن جاءت نوبتى فى التحدث إليك أبهذا
الغريب الكريم ، من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟
وأنى لك هذا الصدار وذاك الدثار ؟ ألست قد قلت
إنك غريب نازح أفلتتلك الناي فى لجج البحر ؟ »
وقال أوديسيوس بجيب أريتا :

« أبها الملكة : قد لا أفرغ من الحديث إذا
حاولت أن أسرد قصتى بمخافيرها ! بل ليس أشق
على من ذلك ، فقد كررتنى الآلهة بكل أنواع الهوموم
وصنوف الآلام ، بيد أننى لم بمأساتى المحزنة فى كلأت
فأقول : « فى أوجيجيا - إحدى الجزر القاصية
التي لم تطأها قبلى قدم بشر ولم يخطر بها لآله
- تقيم عروس الماء اللتان - كليسو -
البارعة الرائمة الصنعا ، ابنة أطلس الجبار التي
قدر على أن أكون أول لاجئ إلى جزيرتها
بمسد أن سلط جوف صواعقه على سفينتى
فشطرها وأغرق كل رجالى ، وظللت أنا متشبهاً
بالسارية ليالى وأياماً ، حتى دفتنى المقادير فى
الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتنى
كاييسو الجميلة الرابة ، وأتقدتني من موة أكيدة
وأطعمتني وأكرمت مثنوى - ثم عرضت أن
تهبني الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أننى
تأبيت ... ثم ألفت عندها سبع سنوات لم رقباً
طوالها دمي الذى نضجت به أنوابى وما خللت
على من دثار ... وفى الثامنة أرسل إليها جوف كبير
الآلهة من بأسرها بإطلاق سراحى ، فأبحرت على
رمث زودة بالأطياب والأذخار ، والأشريات

في غير عناء أو اعياء ، وستعرف سبب فتخاري
بمقائلي وبجارق الذين يذرعون البحار ويضرعون
أكبادها حين يبحرون بك »
وشاع البشر في أسارى أوديسيوس ذي
التجارب فقال : « أيها الأب الخالد ! الله حمادك
الفر ! أبحر يا مولاي يسر ذكرك في البلاد ، وألق
أهلي وأنتش نسمة من وطني »

وهكذا تشفق الحديث بينهما ...
ثم أمرت الملكة بمض وسيفات القصر
فأعدن فراشا وثيرا في الرواق ذي الأعمدة ،
وهيأه بوسائد من دمعس ، وبثن فوقه الأرائك
والحشايا ، وعلّقن الستائر والأسجاف ، ووضعن
البرانس ^(١) واللحف ... وكانت كل منهن تحمل
شعلة كبيرة تنوهج في جوانب القصر .. حتى إذا
فرغن من كل شيء ، دعون أوديسيوس في أدب
وظرف أن ينهض لينام ... وغفا بطل هيلاس ...
وأسلم عينيه لأحلام سعيدة
ونفض الملك والملكة لينهما بطيب المنام
(يتبع)
دربى غشبية

(١) البرنس بمناء اللروف عربى فصيح

إلى هنا في جملة حشمتها مادمت قد رجوتها في
ذلك أول الامر »

وقال أوديسيوس بحبيبه : « إنها لم تخطيء أيها
الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كنتي في
مثل ذلك فأبيت لأني خفت أن يسوءك ذلك منها
ومنى ، ولأني أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون
قوالون »

فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدري
لا يحمل مثل ذلك القلب الترق ... إن الرصانة
والأناة أفضل ميزات الخلق الكريم ... تالله يا بنى
إني لأؤترك كولدى ، وبودى لو قبلت فصهرت
إلى وتزوجت ابنتي ، وعشت معنا كواحد منا ..
وإني — إن رضيت — أقطعك الأقطاع الشاسعة
وما نحك المنزل الربح . هذا وليس في فياشيا
كلها من يجسر أن يفسرك على شيء تأباه نفسك .
معاذ الله يا بنى ... إن هذا إلا عرض ... مجرد
عرض منى لما أنستك فيك من نغو ورجاحة عقل
ونبل ... فان لم يرتك أن تفعل ، فاني ممدّد لك
أسباب عودتك غدا ، وستنام ملء عينيك بينما
يكون الفلك ينهب المم ويطلوى الباب ، منسريا
فوق الموج بقوة الأذرع الغتية التي تعمل في
الجزايف حتى تصل الى وطنك سالما غائما بل حتى
تصل الى أهد منه ، ولو الى ما وراء أيوبيا أبعد
الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس ^(١)
ذا الشعر الذهبي لزيارة تتيوس ^(٢) جبار الأرض ..
إنهم يبحرون به الى هذه الجزيرة ويسودون في يوم

(١) ابن زيوس من زوجته أوروبا وفاهى العدالة
في السار الآخرة « هيدز » « جريت »
(٢) أحد مرده طارطاروس ويفظى جسمه مساحة
نسمة أفدنة (جبرر)

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشا

كمصفور جريح شفاء
الحب . إني داخلته إلى
غرفتي

(تقول لنا بنتها)

أرماندا ! هاتي حجابي .

باريس - (بوحنة)

لقد خيل إلى أني أرى

أبا الهول تكتنفسه النجوم

وقصائد الإنسانية كانت

تؤيسنا في بعض الأحيان

ولكنها تصبح أحسن رونقا حين تمر على لسانك

الشادي ! وشكراً لك لأنك كنت في هذه اللحظات

القصيرة تفرنين شعراً إلى أحلامنا !

إيزابيلا - (تبعد عنه مرسلة إليه قبلة)

لكي يصبح زبد الشعر بذوق سليم ينفخ تقبيل

الفم الذي أخرجه

(تمضي إيزابيلا ... وأرجاني يدنو من باريس)

أرجاني - لا تذهب ياسيدي ، فالمدينة جماء

تريد أن تهنتك !

باريس - زهوك يبالغ في ذلك ؛ فليكن

ما تريد ... سأستقبلهم !

أرجاني - (يزوم)

اسمع كل هذه الأصوات !

باريس - (من غير أن يري ما قاله أرجاني ، وقد

ملك عليه حلم وكآبة)

هل تكون قطعتي مجموعة صمقي المكتوب ؟

وهل أراي أودعت على الصفحة السرية فؤادي كله ؟

أرجاني - هل محصهم ؟

(يقدم المعبون كالوج ، وفي المقدمة الأمير وصديق

الوالف)

الأمير - شيء رائع !

سَيِّدُ ابْنِ الْهَوْلِ

مشرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتبة الفرنسية ماري رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

الفصل الرابع

بعد اقضاء عام على السرح الروماني حيث يباد
تتميل « أبي الهول » بعد انتهاء التمثيل . في الزاوية
(أبو الهول من الورق) . عن اليمين باريس بالقرب
من إيزابيلا وهي برى أبي الهول . أرجاني يحدث
سانتيا ، والعمال منترون في كل مكان

المشهد الأول

باريس ، إيزابيلا ، سانتيا ، أرجاني ، العمال ،
المعبون والمحبات

أصوات العمال - ابتعدوا الستار

من الباب الحديدي

إيزابيلا - (لباريس يفيء من الكآبة للفتيلة)

آه لو كنت تعرف ، بالرغم مما تدوقت من الألم ،

أية سعادة تغمرني في إذاعة اسمك في هذه القاعة !

عندما سميت « اسمك » إختنق صوتي ، وأصبحت

شاحبة الوجه ، باهتة اللون . قلت : « قطعة باريس

إيجلانو ! » ولك - يا حبيبي - قد صفقوا وهتفوا

باريس - شكراً !

إيزابيلا - لقد أعدت إليك تاجك ، والقاعة

التي تمزقت هنا قد حلقت منتصرة وسط هتافهم

الصديق — وباعث على العجب !
(يعاقبه ثم يانفث إلى امرأة خلفه بصوت منخفض)
ردىء جداً
غيره — علك الأفتدة
» — بهز القلوب
» — بتركها حائرة
» — ييمث فيها القوة
» — يزيد في حركتها
سانتيا — إنك لم تبأغ في حياتك مثل هذه
الرفة البعيدة
غيره — في اليوم الذى تريد ستكرن عبقريا
صديق المؤلف — كانوا في الفصل الأول
جامدين ؟ وقد كنت أول هانف لك . نعم ! لقد
صحت : أحسنت بصوت رنان من مقصورتى
باريس — إلى مدين لك من غير شك
بظفري
إسراء — إن مروحتى تحطمت ، لم يبق منها
إلا جناح واحد !
غيرها — قد تمزق قفازى لكثرة التصفيق !
» — من حسنك أنك منعتها عنا زمناً
طويلاً حتى تعرضها علينا آية كاملة
فتى — أنك لا كبر شاعر عليها ، ييرون !
أقول : ييرون أو داني ...
باريس — لا تبأغ ! لا يعرف « ييرون »
إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد المتألق على
جبين الأحياء إلا ضباباً مخلود الناس . إنك بعد
موتى تستطيع أن تحكم على
إرجانتى — (مرفقاً « باريس » برجل كهل متألق
يدعو مصيده إلى الخرز :
الدوق دى ليجانو
الدوق — أذكر — أيها الأستاذ — في

بارما إحدى الأمامى الراقصة ؟
باريس — (يحاول أن يذكر عبثاً)
ربما ...

الدوق — إنك نوحى إلى وسيلة الكتابة
باريس — ولكن ...

الدوق — كيف تنظمون الشعر ؟

باريس — نمد على الأصابع

الدوق — نمد حتى الثانية عشرة ثم نبداً

باريس — أنظم الشعر بينما ترقص الدوقة !

لقد قبل لى — والعمدة على الاشاعات — إن

الدوقة تحسن الرقص . إنها ترقص . وتستطيع

أن ترقص بينما تقرض أنت الشعر !

الدوق — لقد طرقتنى هذه الفكرة يوماً أثناء

طوافى على البحيرة . أود أن أنظم مقطوعة ...

باريس — ومقطوعة ثمانية ! وأين الدوقة

الآن ؟

الدوق — إنها رحلت ... ولعلها في هذه

اللحظة تزور هيركولانوم

(يعنى الدوق)

المعجبة — (تلتق بنفسها على باريس)

سيدى ! إنك مستكتب كلة على مجموعتى هذه

تجد فيها كلة من اللالك الكبير ، وكلين من

الراقص الروسى . وكان يجب حتماً أن أحفظى بها ،

ولدى فكرة سطرها عضو في الجمع العلمى

باريس — كنت إخال أنهم لا يفكرون في

شىء ، ناوليتى مجموعتك !

المعجبة — إليك فلمى !

باريس — بلى ! سأكتب ، ولكن من

أنت يا ذات المينين اللامعتين ؟ إلى أود أن أعرف

كيف يدعونك ؟ وما اسمك الصغير ؟

المعجبة — أنا المعجبة الحسنة أجلس في الواقع

اليوم - نترك لا شمرآ
التيور - ما هذا؟ الجلال، الجلال؟ وما تريد
هو البساطة

غيره - شمر ليس له روح الشمر
التيور - موسيق ليس لها تأثير في أنفسنا
أهذا شمر يصفق له؟ إن هذا شيء عجيب
عن «ساندور» مثلاً، فهو شاعر، قد يمكن أنه
لا يفهم ولكن موسيقاه مؤلفة من ألحان متطابقة
الأمير - (كجامل)

ومن هو ساندور؟
التيور - هذا هو في الحقيقة إنسان ومن
يتلو شعره يا عزيزي لا يذكر بيتاً منه . وهنا
يظهر سره ! ذاك شيء غريب، إن بيتاً واحداً
يبقى شهيراً
الأمير - ولكن هنالك مجموعة شهيرة، وأنا
أحب الثاني

الحسود - نعم أعلم ذلك، ولكننا إذا فكرنا
قليلاً نراها ليست على شيء . قلم ... وسكون ...
وساعة عمل، أعطيك فيها مئة بيت على طرازها .
القانون سهل والأسلوب جميل . والبيت من الشعر
لا يحسب بيتاً إلا إذا خطر بمخاضين

الأمير - ألا ترى؟ إن في ضعفك عن محبة
البيت المنجح !

بلى ! برغم «ساندور» وبرغم جميع الذين
يروون أن القصيدة ليست خفيفة قلب، ولكنهم مسألة
يمكن حذقها كحذق الطهي، إنه يشدو نفساً تحترق !
إنني أحب الأبيات المنجحة على أن تعبير !

الحسود - ولكن لا شيء أسهل من ذلك
ولا أقل نصيباً

الأمير - وإذا كان الأمر سهلاً بهذا المقدار
فانت به !

الأولى مسترسلة لأحلامي، أنظم وشاحي من القطع
التي أسمها، إلى جملة وذكية الفؤاد أيتها ! لماذا
تريد أن أقول لك «أما» ستساء عند ما يجتذب
الفجر قلادة الليلية . وكأنه يريد أن ينظر وردى
اللون ... !

أنا المعجبة الحسنة !
(تدب)
أرجاني - (يقدم لباريس رجلاً يفتي أمهه)
أرجوك الانصات له !
باريس - من هو؟

أرجاني - مدير مسرح إنجليزي شهير ود
أن يمثل «أبا الهول» في مواطن شكسبير
المدير - متى تشاء أن أنكلم معك؟
(تتلاى تنمة المحاورة إذ يصمدون، والفرجون
والآخرون يتناقشون بصراحة
المعجبة - لم ينظم في حياة أوسع ولا أتم
من هذا؟

اسراء - (مقيلة على فريق)
إنني أوتر قطعت التي كان يمثلها «فوستين»
ذميل - إن ظهور «أبي الهول» سخيف !
كاتب - هذه ليست بقطعة، إذ ليس لها
إلا مؤلف واحد !

الأمير - (بسترة)
ما تصنع أنت؟
الكاتب - معين !
أصوات - وهل يتكلم هكذا أبو الهول في
في الساء الأخضر؟

أصوات أخرى - فيها كثير من الآيات
الجميلة، كثير من الآيات الرائعة !
أرجاني - (لباريس)

يجب أن تكون سعيداً !
شامت حسود - إن المرح الفئائي أصبح -

(بمعنى باريس وخلفه ارجانتي ، والجنيح يهتفونه لليرة الألفية)

باريس - (شاعراً برياء البيض)

كثيرة هي الألك التي تمتد للمصاحفة

ارجانتي - الفوز !

باريس - على أن كثيرا من هذه الألك

تفتح جراحا

المدعوون - أيها السيد !

باريس - (ضاعطا على يد ارجانتي)

عفوا يا ارجانتي ! افهم نفسي . إن الأيام التي تفتقر

فيها الى كل هذه الألك المدودة ، والى كل هذه

الضجة الهائفة ، لا ترى منها أحدا عند الثائبات

في هذا الساء ماعسى أن يصنع لنا هؤلاء

الحاققون ؟ إننا في أيام الشقاء نحتاج الى أصدقاء

(يتحدث مع سانتيا القابعة)

أذاهية ؟

سانتيا - (مع صديقتين لها)

عد معنا !

باريس - إنني أنتظر ايزابيلا

سانتيا - إلى القد ...

باريس - (متناولوا باقة زهر كان قد أخذها من

إحدى الصبيات)

تناولوا هذه الأزهار ، ورمى بأزهارها صورة

أخيك . يجب أن تفعل لأن الصور هي قبورنا

الحقيقية

سانتيا - شكراً

باريس - إن الأموات الذين لا ينسام أحد

هم الأحياء المجهولون الذين يجهقون فوقنا

(باريس وحده مع ارجانتي على المسرح الفارغ)

ارجانتي ، ارجانتي ! لماذا أنا لست هناك ؟

وكيف استطعت أن أعود إلى أوروبا بعد ما وطئت

قدمي الصحراء

ارجانتي - عفواً !

باريس - لماذا أنا لست هناك ؟ هناك في

تلك البقعة أمام التيل ؟ وعلى جوانب الصحراء

حيث تمايل ظلال النخيل الأزرق منذ آلاف

الأعوام ، وحيث ربحي الساء ظله على حفاني الرمل

المتورد ، فيبدو الراعي شاعراً وإن لم يفه بشعر

هناك ! يا ارجانتي يجب أن نحيا والحب يشمرنا

ارجانتي - (وقد تفض عنه الألفية)

لقد كانت القاعة طامخة بالناس

باريس - ولكنها الآن فارغة ، إن كاننا

واحداً إذا أغضض جفنيه ترك الوجود فارغاً !

(ينظر إلى الظلمة ، والقاعة الفارغة)

بلى ! القاعة فارغة ، لأنني لم أستطع أن

أصافح يدي يد مارسيلوس ، لأنه هلك هناك !

ارجانتي - ولم تفكر فيه من دون انتهاء ؟

باريس - لقد وعدته بأن أعمل !

قال لي : « إذا هلكك قبلك ؟ وإذا قُدر

- على عكس الدستور - للأكثر فتوة بأن

يقودك إلى هذا السرب للظلم فاعمل ... » إنك

تراني يا أخي - اعمل ، وقلي يوجب على ذلك السرب

الأعظم الذي أذاقك حنفاً ...

ولكن هل لاحظت شيئاً غريباً ؟

ارجانتي - لا !

باريس - في هذه الظلمة التي تستقر فيها

نظرك ، وفي هذه القاعة القاعة التي لا أبصر فيها

شيئاً ، يجئ إلى أن نظرة قديعة تبعني ! ألا أي

ملازم لي يدخل في نفسي ويثأر مني ! إلى - منذ

عام - أراه يقتق أثرى ، وبطاً موضع قدمي !

ألم يبق أبوالمول هناك ؟ فلماذا هذه الصورة

تطوف حولي بدون انتهاء ، تؤلني وتزيد صديري

حرجاً ؟ كاني معنر مفرقت بخوذته النحاسية

ونفيت عنه القرون التي تذود عنه ، وسفمت
بناصية ملك الصحراء ...

(تبدو إيزابيلا ، وقد خلعت رداء أبي المول ، تخال
في ثوب دقيق يترهج بدنها تحته ... تدنو منه بيطة ... وهي
ليست إلا عاشقة عصرية تقترب من عاشقها)

المشهد الثاني

إيزابيلا ، باريس ، ارجانتي

إيزابيلا — ياله من ظفر ! ياله من مساء !
إنك لم تقدم إلى مقصوري لتراني ! ولا تزال تخطر
هنا !

باريس — إيزابيلا

إيزابيلا — أصغ إلى ... أحس قلبي يدق هذا
المساء دقا عنيقا ، يخيل إلي أن وجودي كله يهتز
ها إن أبياتك استجالت طيوراً ضخمة مشتملة
تخفق على صدرى المارى ، لقد ردوت على
رقة جناني !

باريس — (راناً إليها)

أيها الحبيبة : يا حبيبة لحي ودى ! يا خالقة
عبقريتي ! هو كذلك

إيزابيلا — هل تحس أية غبطة منيرة ، بهذه
المودة التي تجل عن الوصف للألهة ؟ في كان ذلك ؟
وأنا السبب المؤثر . أنا أسى مملك للوصول إلى
فوزك الباهر ! إن شقيقة شاعر ، وأمة نظمه
وطرقه ، تود في وقت واحد أن تكون خليلته التي
يصطفها ، ومبدعة عبقريته التي توحى إليه ؛ وإنها
لتكون الأقوى نفوذاً بتقاطف الانتصار بعد
الانتصار كالأزهار
(تنضه إليها)

تعال ! فلندخل مثنواً ! فالجدآب إليك في
جهاد يوم واحد . هذه الساعة ساعة الحب ،
وسرنا الفسيح العميق ينادينا ... تعال تم يجانبي
حتى الفجر

باريس — إيزابيلا ...

إيزابيلا — أحبك حين تنفخ ، منهوكاً ،
متأثلاً ، على ذراعي كما ينفخ الطفل الوديع عروفي
بعض الخطرات أنيقظ ، فأرى وجهك الساكن
يطفو عليه الرقاد . إنك لا تدري أى ظفر يعرفون
حين أراك هكذا ؛ لا شيء عندك ! والجاهير التي
تميدك أفردتك وحدك . تستطيع أن تنام هادئ
الاعراض ، حراً مجهولاً ، متأثراً من الضف ، بوجه
فتى خفي كوجود أولئك الحبين حين يغمضون العيون

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — (بشفت)

إن عينيك المطبقين هما كالنجم الذي أشرق
على شفة شهيد ! إنني لأخشاك حين تكون عيناك
نمضتين ! فظفرك الخطرة التي قد تكون غاضبة
وجيلة في الوقت ذاته تتوارى تحت جلباب الليل
التي تكآف من ظلمة الألوان ، وانطباع الأحنان .
أرأني أكثر الناس تعلقاً واختلاطاً بك ! أتلقن
منك الأسرار المجهولة حيناً تطوق ذراعى العاربتان
رأسك ! هي لا تعلم شيئاً لم تبصر معها وتأمل
فيه وهو نائم مطبق جفنيه ، ومن لم تمد لتفتح
— خلال رقاده المتهوك — عينيه بقباهما

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — غداً ، عندما الفجر الجديد البازغ
على سرير الحب يفتح عيوننا ! تلو بذهول الصحف
التي تتحدث عن أكاليل الفار التي حظيت بها هذه
الليلة ! كم تبدولنا انتقادات هؤلاء ضيفة واهية
قبل أن نراها ، وأنت وحدك المنتصر !

باريس — إيزابيلا ...

إيزابيلا — باريس ! إن معر قد دخلت في
النسيان ! مدينتك التي صفقت لك وهفت هتاف
الاعجاب هي قرينتي ! مجدك وسعداتك يتركان لي

إيزابيلا — استقبله ، فهذه ساعة للرحمة قد دنت ! حيث الشاعر للحارب الحنون ، إذا اقتطف أ كاليل النار أخذ يستنشقها . إنني عائدة .
(تنطلق إيزابيلا وأرجانتي)

المشهد الثالث

باريس ، الصحافي ، والعمال
الصحافي — أريد أن أسألك يا سيدي عن شعورك وعما أثر فيك مشهد هذا المساء ؟
باريس — (يوفاحة)

كنت أظن يا سيدي أنك جئت قبل الوقت ، ولكنك الآن جئت بعده ...

الصحافي — هذه بعد الأولى ، ولكنه كان مساء غريباً رائماً ، والجاهل يريد أن تعرف عند يقظتها ما أوحى إليك هذا الفوز
باريس — حقاً !

الصحافي — (يحاول أن يكتب بقلم صغير)
ستقول لي أليس كذلك ؟ ماذا أحسست إذ انتصرت ؟ وحين ألغيت المسرح بتأوج لنفاتها ؟ أين كنت أيها المعلم متوارداً عنا ؟
باريس — لم أكن في مكان ؟ كنت أودخن مع العمال

الصحافي — أي شعور عراك ؟
باريس — كنت كثيرًا
الصحافي — أكنت كثيرًا حين هزنتنا نتمتكا ؟ ثم تكتب ؟

باريس — أكتب لأنني وجدت أنها لم تبلغ ما أردت ؟ أكتب لأنني أرى كل شيء على الأرض حياً ومجداً وانتصاراً ، وأنها ليست بشيء منها
الصحافي — لا يمكنني أن أرى ذلك !
باريس — كل ما تخيله يسحر حالاً ، والمأساة

حق ذلك : لقد انهزم الآلهة الحجرى من الأفق
باريس — لم تكلمين بهذه اللغة ؟ لم تذكرينه في ؟

إيزابيلا — (تقيض عليه)
لأنني أعبدك ، ولأن الليل جميل بهي ! لأن خصائل شعرك تعجبني سرخاة على عنقك . ولأن قلباً يدي فيملاً الفراغ ؛ ولأنني أصبحت ولا أخشى منافساً !

ضمني إلى قلبك ، ضمني شديداً !
انظر ! ها هو السرح لا يزال يخفق لفوزك الفنى . أنا لا أحب فيك مجرد عبقريتك الموزة على ، ولكني أحبك أنت يا باريس ! أحب عينيك الفكرتين الهائيتين في اللانهاية ، يسكن فيهما الدمع تحت قبلي . ومن كل حياتك التي لا تخمد ، وعبقريتك الساطعة أحب فك

باريس — إيزابيلا !
إيزابيلا — أنا عالة أنك ستذهب يوماً عني !
فأرجل يقضي الحياة عاملاً على الفرار من بين أذرعتنا !
(يتماثلان)

تأمل !... فلا تزال عينك تفر من قلبي !
آه ! إن أطول قبلة في العالم تنتهى سريعاً !
هنالك إنسان
(يدنو إنسان مع أرجانتي)
أرجانتي — (ميماً باريس)

هذا صحافي يطلب زيارتك للمرة الثانية بعد أن صرفناه مرتين

باريس — من أين ؟
أرجانتي — من صحيفة « اللسان »
باريس — لا آكل أستقبله ، ولا أريد أن أرى أحداً !

المشهد الرابع

— باريس واقفا أمام أبي الهول —

باريس — ما أنت إلا من ورق شاحب اللون
بمودة جداً عن مصر ، وبمودة عن المشهد الذي
يخلق الاضطراب . ولكن عند ما أقف وحدي
بجانبك في المساء ، يجيل إلى أنني واقف أمام أبي الهول
الحقيقى أبي الهول المصرى الذى يسترسل
لأفكاره تحت إكاليه المرص بالنجوم دون أن يبالي
بأرزاننا !

هأنذا قد قهرتك أيها الوحش الصامت !

إننى أحيأ ... أنظر إلى ...

إن الذين ماتوا هم كل الذين وقفوا على أسرارك
العظيمة ولكنك كنتى ! وها أنا أحيأ على
الأرض ، وإنى أكاد أرى هتفه مارسيلوس
لا فظاً أنفاسه ، ماداً ذراعيه نحوى ، تتألق على
وجهه الأشعر شعاعات الموت بمنزلة بأشعة القمر
أميت مارسيلوس ؟ لا ! ولكنه فتنى عليه
إنك لتحيأ بأخى البت فى أخيك الحى ! صوتى
يرجع الى صوتك الخالد ، وأسمع فى قلبى القوى
قلبك الحزين يخفق

(يصيح فرية للاضطرابات)

ولكن لم هذا الفراغ ؟ وهذا التأثير ؟ هأنا
وحدي معه وهو وحده مى . نحن وحدنا كما كنا
من قبل . إننى أسمع هنهم الريح بين أشجار النخيل
فى السهول التى لا يجترعها سبيل

إلى ! هذا هو ذات الأريج ، إن الانسان
— يوم بدأ يتألم — وحينما نزل يحمل معه صحراؤه
ريح مصر البارد تهب عنيفة ...

لا لا ! أنا لا أستطيع أن أبقي بدون (إزايلا)
لا أستطيع .. إزايلا ... إنها لا تسمع تدافى ...

ليست كبيرة إلا فى أعماق قلوبنا

الصحافى — لماذا لم تطل على الناس عين
قطموا الأكف تصفيقاً ؟

باريس — وما معنى عندهم ؟

الصحافى — تحييمهم ! ترى شعباً يهوج إعجاباً
بك . ولماذا لم تحيى حين تصاعد هديرهم
باريس — لأنهم كانوا أكثر !

الصحافى — ولكن جيمهم يحيونك

باريس — أتخال ذلك ؟

الصحافى — أننى أؤمن ...

باريس — أما الأسود فأنهم يصطفون لها حين
تفترس صربها . وإذا كان الربى هو الذى سيسيطر
على ملوك الصحراء فالشعب يصيح خجلاً ! أريد
منا أن نزعج أنفسنا للذين يأتون لينظروا إذا كنا
أسكنا ؟

الصحافى — ولكن ألا تستثنى أحداً ؟

باريس — أجل ! بعض نفوس صافية يقودها
حب الجبال وحده إلى النور . ولكن هذه النفوس
تفضل — بغير أمل — أن تهتف للشاعر دون
أن تراه

الصحافى — أهذا كل شيء ؟

باريس — هذا كل شيء !

الصحافى — أهذا كل ما يوحى إليك مثل
هذا المساء ؟ أما عندك شيء آخر لنقوله ؟

باريس — لا شيء !

الصحافى — مالى إذن إلا أن أنصرف !

باريس — نعم ! هذا هو كل شيء .

(يذهب هذا الصحافى مضطرباً والعالم يهيمون بتجليم
أبي الهول)

لا ! لا تمسوه ! دعونى وحدي معه : وحدي ..

السماء قد احتفرت جناحي الماطلين . أنا لم
أصعد الى الأعلى ، أنا لا أدري شيئاً . لست إلا
كائنات أرضياً مثلك . وإزاء « أبى الهول » نفسه
« أبو الهول » جديدي يبدؤ . فالأرض تقول
« الفناء » والسماء تعطي القضاء

باريس - لا لا ! إنك سلبتي مرابتي بى .
إننى لن أموت هناك ! سأحيا ؛ لست واحداً من
أولئك الذين يجب محابهم
أبو الهول - إلى تبيت وجهك حين تكلمت
ولجت مستقبلك وفتوتك وموابعك ...
(باريس صامحا من الألم)

ولكن مارسيلوس لى سبب انتزعته !
أبو الهول - (بعد صمت جيق)

عفواً ! لكوفى حطمت قلباً فى زهو الحياة .
إن « مارسيلوس » السلوب « بيت من » شعر
فرجيل « لم يدقمه الى الموت إلا سبب قدسى . إلى
بقتلى إياه قد آثرته على غيره . وقد أكون أحسنت
فى إجابة رغبة كليكا بإعطائه الموت وإبقائك فى عالم الحياة
أذكر أيضاً يا باريس ! لقاءنا تحت الأفق !
فلمترج مع كل حب عنيف فيك أثر غيابة الغريب
عنيك . إننا لن نتلاقى . بخيل إلى أن كواكب مصر
وسماء تدعوني إليها . ولكن ، على الأقل ، تبصر
عينك هنا نظري الزمردى ، ولحدى الحجرى
الوداع ...

(تتوارى الصحراء وأبو الهول ، وتظهر ليزابيل ،
وتقع على باريس ... وباريس يستيقظ كمن أعجمه حلم)
باريس - ليزابيل ! أعطيني عينيك ، فك أيضاً !
تمالى ... لنمش فى موكب الحياة ...

ليزابيل - الحب وحده هو قاهر الموت ...
(يذمبان متعاقبين)

— الستار —

(تمت الرواية)

كم بيتنا من الأبعاد ؟ ... ولسكن ما أدنى
هذا الظلام الذى لا يرد !

كفى ... دعنى أحميا هكذا يا إلهة الألم !
صوت أبى الهول - تمالوا ...
باريس - الصوت ذاته دائماً ...
أبو الهول - تمالوا ...

باريس - النداء ذاته ، ومع هذا أراى وحيدا
هنا ... لا أريد أن أسمع تداءك أيها الرسول اللعين
أبو الهول - لم أقل الحقيقة إلا له
باريس - كذب وافتراء . كلامك ليس
حقاً ، ولا يمكن أن يكون حقاً

أبو الهول - باريس ! إن مارسيلوس وحده
هو الذى أدرك السر

باريس - النجدة ... أغيتونى !
تلاتي الشهيد والشهيد والمشرح لا شئ إلا
الصحراء وأبو الهول)

المشهد الخامس

أبو الهول - باريس . ليزابيل
أبو الهول - قضى مارسيلوس زهرة مضطربة
وبما أن الحقيقة كانت تقتل فأنا قد أبديتها !
باريس - أبو الهول

أبو الهول - إنك لن تغلب على رسالتى التى
هى الموت . ما أنت إلا جاهل لأنك لا تزال حياً !
وربما كنت حين حملت أسرارى الى مارسيلوس
قبل صرعه ، ربما كنت تخدوعا

مرى ! وما هو هذا السر الأكبر ؟ أنا وجدت
ولست باله . إننى خست كل الزهو الانسانى ،
حتى إذا تأملت فيه لم أجد إلا التراب !

باريس - ماذا تقول !
أبو الهول - إلا للتراب ... هنالك الأفق ،
الأمل المجنون ، وقد يكون الأمل على حق . لا أرى
إلا التراب والموت



الرسالة

مجلة أسبوعية تأسست في القاهرة

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : نعيم باخداص عمه روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء اليهود المصرية

الرسالة : تصور مظاهر البقية لأمة المصرية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية

الرسالة : نحي في النفس أنابيب البسوفة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

التجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنهما مصر ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

طُبعت بالمطبعة الرحمانية بمطبع الخرافيش رقم ٢٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ تخمين العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للفن والفكر

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد العاشر ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ١٥ يونيو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

٥٨٦	إكسوس ومكريا	... أسطورة إفريقية ..	بقلم أحمد حسن الزيات
٥٩٣	الشمال	... أفصوصة فرنسية ...	بقلم الأستاذ ابن عبيد الملك
٥٩٧	يوميات نائب في الأرياف	... صور مصرية ...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٦٠٣	الزوجة	... لوانجنطون أرفنج ...	بقلم الأدب حسين محمد كامل
٦٠٨	المرض	... أفصوصة مصرية ...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٦١٦	وتفضلوا بقبول احتراي	... لسانتيكوف ...	بقلم الأستاذ عبد القاطب النشار
٦٢٠	جزاء الاجتهاد	... لرتشارد جارنت ...	بقلم الأستاذ عبد الحميد جدى
٦٢٦	النزاع القابلية	... لئوماس هاردى ...	بقلم نظمي خليل
٦٣٣	اعترافات في الصبر	... لآلفريد دى موسيه ...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٦٤١	الأوديسة	... لهوميروس ...	بقلم الأستاذ دهرى خشبة

ألهما عن مصدر هذه
الحرب

ودلفي كاتلمين (١)
مدينة مقدسة تفيض
جوانها بالمعائب ،
والناس يعمرون عليها
وهم عنها معرضون ،
وأنا كأولئك الناس

أسطورة عربية تمثل الفضيلة والشعر

أكسوس ومكرينا

للساعر الفرنسي هيجينس
نقل الأستاذ محمد حسن الزيات

في هذا اليوم لا أريد أن أنتقل بك من البرناس
إلى الهيدروم ، ولا من الهيدروم إلى منصة
أبولون ، فانك ، فانك ولا شك حججت إلى هذه
الأماكن منذ طويل في (سباحة أنا كرئيس) ،
وأنا - ولا أخفى عنك - مشوق كذلك إلى رؤية
أشبال هرقليس

كان الثعور الذي استولى على الاغريق لدى
رؤيتهم أولئك الأبطال يترجم عنه هذا الهمز
الاجاعي الصاحب : « يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى
القوام وما أصلب المصل ! » وكان في الجمع شيخ
سبط المظالم ، تحسبه وفي يده عصاه المذهبة وعلى
جبينه عصائه البيضاء ، ملكا من ملوك الاغريق
المشرين ، مال على كاهن من كهنة أبولون ، وهو يجتاز
الميد حاملا مبخرة من مبخار المطور ، وقال له في -
صوت خافض :

— لقد عرفت هرقليس وزوجه ديجانير
حق المعرفة ، فما عرفت لهما غير ثلاثة بنين ؟
فمن إذن هذه البذراء المنتقة التي تجلس مع

في ذات يوم لا أذكر من تاريخه إلا أنه كان
لما من من موت هرقليس ، كانت مدينة (دلفي)
تموج بالناس وتمج بالوضوء وترخر بالقوة . كان
ذلك اليوم آخر أيام الألعاب الفيتونية ؛ ومن أعجب
الأشياء أن الصراع والسباق كانا يجريان على غير
مشهد من أحد ، والرياضيين والسواقين كانوا
يتصرفون على غير علم من إنسان ، حتى قيل إن
الشاعر سيمندس كان يشد رائع الشعر في الفرس
المجلى ولا يستمع إليه يومئذ إلا بطله ! ذلك لأن
كلمة واحدة طار بها السباع فطارت بالقوم من
ميدان اللعب إلى معبد أبولون :

« هام أولاد أبناء هرقليس ! هام أولاد
أبناء هرقليس ! »

ومن في الناس لا يضحى بعمقه في الملعب
ليرى أبناء هرقليس سيد أبطال الاغريق ؟ وكانت
أدينا منذ شهر قد استيقظت ذات صباح فوجدت
هؤلاء الأبناء خلوعين مضطهدين مشردين
يتهاقون في الساحة العامة على مذبح الرمز
فطارت بها الحفيظة لشكواهم ، ونزت فيها القلوب
والسيوف لبوهم ، ثم بعث بهم في هذا اليوم
على رأس السفارة المقدسة إلى دلفي يستنبثون

(١) يوجه الكاتب الحديث إلى صاحبة التي دعاها
أخته ، وكتب إليها طائفة من الأقاصيص عنوانها (أقاصيص
إلى أختي) Contes à ma soeur وهذه إحداها

قسمها طبيعة الأرض ومطامع الناس إلى عشرين دولة صغيرة ، يضارب أهلها الصيد من شدة الزحام بالرافق والنناكب . وكان العرب المتتارح في الأمم القديمة أن يقتل الناس رجلاً لرجل ، وجسماً لجسم ، فجملوا قوة البدن جماع القوى وملاك الفضيلة ؛ وكانوا يتوسمون غايل الكفاية والفضل في قبضة اليد وقوة الكتف ، كانتوسهما نحن اليوم في أمرار الجهة ولحات العين ؛ وحسبك أن هرقليس رمز القوة ومثلها كان إلهاً ١ .

تأخر ظهور الكاهنة الوسيطة التي يتكلم بلسانها الآلهة (La Pythie) ولكن أحداً لم يسمع هنين السام ، ولم يلمح عبوس الانتظار ، لأن الجمهور كان يجد فيها يرى غذاء لفضوله ورأيا لشوقه : كان يرى جلوس بكر هرقليس وأكبر الأخوة ، وهو محارب عملاق عارى الذراعين مجدول العضلات مطعم الوجه ، فيجده وعلى منكبيه جلد الأسد ، وفي يده المراوة المقداء ، أشبه بأبيه من الليلة باليلة . ثم يرى أنتينور وهو سونغ^(١) هيلوس وأدق منه ملامح وأرشق منه قامة . كان يشج بقداسته الجديدة ، ويتنسم لشباب الأغريق ، ومنغزراه منفوخان يتنسمان عبر الاعجاب في نشوة ولذة . وعلى الجلة كان الآلهة أنتينور شديد الخلاء والصفاء ؛ أما أخوها (إيجسط) فكان لا يشبههما في شيء غير القوة والشهامة . كان وجوده في هذا العصر وفي هذا العصر خطأ صارخاً في تقويم الزمن . وأعجب شيء فيه أنه كان أشقر الشعر سامم الوجه منقبض المزاج ، واتقباض المزاج عاطفة عصرية .

(١) يقال : هو سونغ أخيه وسينه إذا ولد بعده وليس بينهما ولد ، وهو بالفرنسية (Pitné)

أبناء هرقليس على مقعد واحد ؟

— كلامك يا أي الحق لا مرة فيه ، فليس لهرقليس من ديجانيز غير ثلاثة بنين ، ولكن له من زوجته الأخيرة (بول)

— فقاطعه الشيخ قائلاً : صحيح ! ثم ضرب على جبينه بأصبعه علامة التذكر وقال : لقد روى لي (فيلوكتيت) هذا الحديث عشرين مرة ؛ ولكن قرنين من الزمان يدوران على الرأس لا بد أن يضعضاً فيه المذاكرة ! ثم أذكر الآن أن هذا الزواج أعقب بنتاً . . . فارتفع من وراء الشيخ صوت ندى عذب بهذه الجملة :

— بنتاً وابناً يا أي

فالتفت الشيخ فرأى يافعاً شاحب اللون هش العظام في زى أهل الأرجوليد يردد في احتشام وخجيل :

— بنتاً وابناً وهما إكسوس ومكريا

فقسم الشيخ ضاحكاً من الكلام ، وقال للساكن : أنظر ! في (ييلوس) يهتف الناس بملى ، وفي (أرجوس) يرسلون إلى تلاميذهم ليعلموني . . .

ثم قال للعلام : من الذي أنباك هذا يا بني ؟ وماذا تسمى ؟ ولكن الفتى لم يتحمل ملاطفة نسطور (وهو الشيخ) فأفلت منه وغاب في زحمة الناس دون أن يجيب

وكان ذلك المئات لا يزال يدوي في الفضاء لا يمتريه فتور ولا يناله تغير :

« يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام وما أصاب العضل ! » ولعلك تجيبين لهذا الاطراء ، وتحملينه على عمل الاستهزاء ، ولكنك تذكرين أننا في بلاد

وعندئذ اضطربت التنبية المذبذبة في النصبة اضطراب
الديبج ، غشمت الأصوات وأصنى القوم
بدأت السكاهة أسرها بالشهب ، ثم اتبعت
بمقاطع من الأئين والضراعة ، ثم انتهت إلى كلمات
ذاهلة لا تسفر عن معنى ، ثم تكلم الآله بلسانها
فقال :

« إن (منيرفا) ستقاتل ... وعلى خوذتها
الآلهية ستصيح البومة : « إني عطشى » ويذهب
جهدها باطلاً

تدعو منيرفا لإلهة النصر
والإلهة النصر أختها فلا تأخذها ...
إني أسمعا وهي قادمة تثرأجنحتها في الهواء ...
ولكن البومة تصيح : إني عطشى ، وأريد
أن أرتوي بالدماء ...
إن أرجوس تنتظر ملوكها لتؤلمهم :
إضطربى وميدى بأرجوس إ البومة في
طيرانها السفاح تحوم في الجو باحثة عن جبهة
تقية تضجها .

إنها تحوم وتحوم ثم تقع على ... ولدمن أولاد
هرقليس »

وفي هذه الساعة الرهيبه المصيبة على أبناء
هرقليس ، لم يكن في اللبدين ملك نفسة وضبط
حسه غير أبناء هرقليس !
على أن السكاهة لم تكذب تمسك عن الكلام
حتى صاح بها هيلوس :

— عيشى الضحية بالاسم

ولكنها كانت تتساقط من الضعف على درج
النصبة ولم يبق منها إلا رمق . فقال كبير الكهنة :

مسيحية . ثم كان يرجع من الماركة الدامية السماواء
إلى الدار عذب الروح حي الطبع ، كأنه أخذ
أولئك المحاربين الشر من أهل الشمال : يصرون
الردة والأفوال ، ثم يطأطئون الهام ويحرمون
الكلام أمام عصا ساحرة صغيرة . كان وهو يتحسر
على عرش (أرجوس) كأنما يأسى على شيء أعز
عليه من عرش ! قال أين إذن كانت تصعد زفراته
وتتبخر دموعه ؟ إلى بيت صديق ، أم إلى قبر أم ؟
علم ذلك عند الله ؛ فان سره لم يسافر عن ضميره
إلى أحد ، حتى أخته الفتاة مكربا ، وهي أمانة
سر الأسرة لم يقض اليها بذات صدره . وكانت
مكربا جالسة إلى جانبه تصلى ...

عفواً يا أخناء^(١) ! لقد شملت بالأبطال عن
العدراء ، ولكنكم هي اللومة ! انظري ! إنها مستترة
في ظل إخوتها ، كأنها تحرس على أن تنفلمها العيون .
إنها لم تكشف عن وجهها النقاب بعد ، فقسبها
لا تزال مجهولة ، ولكنك أسلفت لها الحب ولا شك ،
لأنك سمعت منذ قليل أنها وديعة تقية

وأخيراً أعلنوا ظهور السكاهة الوسيطة ، وكان
الوهن لا يزال بادياً عليها من أثر ما أصابها من
اختلاج الأعصاب في وسطاتها الأخيرة بين الآلهة
والناس . فهي تجر نفسها جراً من الأعباء والجهد
حتى بلغت النصبة متكئة على كاهنين من كهنة
أبولون . حينئذ افتتح في جوف المحراب باب على
مصاريعه فافتحمت هبة عريضة من الهواء المازق ،
فغشمت دخان القرايين وهزت الجمع الحاشد فضج
الناس قائلين : « الآلهة ! هذا هو الآلهة ! »

(١) يراد الكاتب أخته هو

والشفقة عاطفة تجمل القبح ، فكيف يكون
أثرها في الحسن ؟

عادت أسرة هرقليس كلها إلى أثينا في مركبة
واحدة ، وقد عقد الأبطال الثلاثة قلوبهم على أن
يقترعوا بينهم غداً في معبد منيرا ليعلموا أيهم يجب
عليه أن يموت . وكان إكسوس المسكين قد جاء في
اختيال ومرح يضع اسمه مع أسماء إخوته في الصندوق ،
ولكنهم منموه ودفعوه معتقدين أن من الآلهة
للآلهة أن يهبوا للقدر — وهو في أغلب أمره
ساخر عابث — الفرصة ليقدم إليهم هذا القربان
الضئيل الأحمق . أما أختهم مكريا فلم يشاءوا أن
يمرضوها معهم على رغبة الموت لسبب آخر غير
سبب إكسوس : لقد كانت خطيبة (ليكوس) وهو
زعيم من زعماء أثينا ذوى رأى السموع والأمر
النافذ ، (وأثينا هي التي غضبت لهم تلك التضحية
وشهرت دونهم السيف) فهم يحرمون أشيب
سياسي أو أدبي على ألا يقطع الاستعداد للتضحية
الاستعداد للزفاف . لذلك وجدت مكريا عجزها يده
عودتها تضوع بمير الأطفاف والتحف التي قدنها
(ليكوس) ، ولكن نفسها وهي تتسلف الحدا
على أخ من إخوتها لم يهزها كرم الهدايا ولم يدرها
جمال التحف . على أنها رأت إكليل الزفاف مصوفا
من الزئبق الجليل البصر ، فعملته ووضته على
جبينها من غير إرادة ولا وعي . وفي هذه اللحظة
سمعت من خلفها زفيراً يتصعد في ضعف ، فالتفت
فأذا هي ترى إكسوس ! إكسوس أخاها الذي
جمت له في قلبها الأم والأخت في وقت معاً ؛
إكسوس الذي عنت به وأشبث عليه لأنه

إن الآلهة كان جبار القلب غليظ الكبد ، فإذا
استأنفت التجربة قتلها ولا شك . فليقدم أحد
أبناء هرقليس نفسه

فارتفع من بين الجمع ذلك الصوت الرخيم الذي
تكلم منذ هنية من وراء نستور وقال : أنا أقدم
نفسى ! فقال له الكاهن في لهجة قاسية : « من
أنت ؟ وماذا تسمى ؟ » فأجاب الغلام : « أنا ابن
هرقليس واسمى إكسوس »

فانفجر الناس بأصوات الدهش لهذا الجواب
الغامض ؛ ثم قال قائل منهم يتهم : « إذا صدق
قوله فقد صدق اسمه » وستملمين يا أختاه أن
إكسوس كلمة يونانية معناها العليق ، فكان أبوه
عند ما ولد وسماه بهذا الاسم احتقاراً لشكله
واستصغاراً لبشانه . والحق أن هذا المخلوق المش
يشبه في انتسابه إلى هذا العرق القوي ذلك النبات
الطغلي الرخو الذي تمس به الريح وهو قائم على
جذوع السنديان

دلف (تينور) إلى الغلام وقال له بلهجة الحائق
المترعد : لقد منعناك أن تتبعنا إلى داني . . . »
ولكن ابنة هرقليس التي ظلت إلى تلك الساعة
ساكنة ساكنة محتجة ، ألفت نفسها بين
الأخوين فقطعت من بينهما الشر ؛ ثم أخذت
الصغير من يده وخرجت به من اللبى وهي في
صحن من نداء هيلوس يدعوها إليه ، وفي ذهول
عن هتاف الانجذاب التي انبثت عن عينيها وعن
شمالها ، لأن نقابها انحسر من ذات نفسه لسرعة
المشي وشدة الحركة ، فبدت مكريا للعيون بارعة
الجمال رائحة الحسن لطيفة الروح ، وقد زاد في
جمالها تلك الشفقة التي تجلت في صوتها وفي عيناها ،

فسمعت قارعاً يقرع الباب فذهبت أفتحه وفي حسابي أني أجِد الصيادين والصيد ، ولكنني وجدت عابرسيل يطلب الدفء والمأوى برهة من الزمن فأدخلته ؛ ثم جلست إلى جانب سريرك ، واشتغل هو بتجفيف ثيابه على نار الموقد . وما كان أشد دهشى حين رأيت نوراً لطيفاً يتلألأ على شعره الأشقر ١ عزوت ذلك النور بدءاً إلى انعكاس النار التي في الموقد ، ولكن الموقد خبا وغرّة المسافر ما زال مشرقة ١ حينئذ أدركت أنه أبولون ، أبولون الذي طرد من الألب فهم متنكر في العالم على وجهه ، ثم بقيت على رغم تشكرك بقايا النور من هالته

نحرت جاثية أمامه ، وقلت : ماذا تبغني مني أيها الآله العظيم ؟ فقال : « لا شيء غير المأوى . على أن الطر قد كف والجو قد صفا ، فأما ذاهب وسأقبلك قبلة الدواع » فتقدمت واجفة القلب ، مضطربة الحواس إلى عمي ، وقده من يده إلى مرقدك ، وقلت له : « الأولي أن تلاطف هذا الصبي السكين فانه لم يظفر بعد بلأظفة لآله . إلس وجنته القابلة تقتنصر ، وانفخ في شفته الباردة فتفنى » فتبسم أبولون لرجائي ، ودنا منك فنفث في فمك من روحه ، ولكن نفثته كانت قوية مضطربة ، فسرت إلى قلبك فأفغمته . وأشعلته ١ من أجل ذلك كان قلبك يحترق ولا يفتر عن الوجيب ١ ومن أجل ذلك كان جسمك يذوي وروحك لا تستجيب ... وهأنذا وفنك على جلية الأمر فهل تصفع عني ؟

فما كان جواب إكسوس إلا أن قبل أخته ، فقالت له : « إن برهان عفوك عني أن تتقaldi

عليل الجسم مبذوء الهيشة ، إكسوس الذي لا يخطو في البيت خطوة إلا بإبتسامه من مكربا تبدد بؤسه وتجدد أنسه ، فإذا غابت عن المدار غالب عنه الأندس واستوت عليه الوحشة

كان ينظر إلى الزهور الرضوية والدمع يحول في عينه ، والهم يمتلج في صدره ، والألم الممض يرتسم على أسرار وجهه ، فاستطير قواد أخته من الخوف عليه ، لأنها تعودت أن تراه يشكو ويتألم منذ اثني عشر عاماً ، فلم تجده يوماً على مثل هذه الحال من السكد الملقن واللوعة الأليمة ، فأقبلت عليه تتهذر إليه وتسرى عنه وتقول :

— أه ! أعف عني واغفر لي يا طفلي السكين !
— أنا أعفو عنك وأغفر لك يا مكربا ؟ غلام إذن ؟ والسعادة التي غمرت بها قلبي وعمرت بها وجودي ؟
— لا تشكر لي عنايتي بك ؛ ذلك دين أفضيه ذلك تكفير أؤديه

فانبعثت من عين الفتى المشدود نظرات ضارعة تسأل أخته حل هذا اللغز . فقالت له : سمسك إلى ! منذ أربع سنين (كان عمرك يومئذ ثمانى سنوات وعمرى أربع عشرة) جرت في أسرتنا حوادث عجيبية وأمور خارقة لم يصل علمها بأبي ولا بأخوتي . لعلك تذكر ذلك الكوخ الذي بنوه على شاطئ البحر ليختفوا فيه من أعين المضطهدين الكثيرين الأقوياء . كنت فيه ذات مساء وكان أبى وإخوتي في الصيد ، وكنت أنت منهوك القوى من كثرة ماجريت في النوبة طول النهار ، فاستسلمت على هدهدة الطر والريح لنوم ثقيل ؟ وكان الليل قد أقبل منذ حين وأبى وإخوتي لم يقبلوا بعد ،

صالحاً لشيء .. تعلم إقامة التماثيل وشيادة الهياكل
فلما نصير يوماً آلهة » غاوات أن ألى مبتنى
اخوتي ، ولكن الأزميل والنحت كانا تقيلين على
يدي ؛ ثم كانت هناك رؤى غريبة تطوف بين وبين
جنادل (باروس) وكانت أصبى الناحلة الذاهلة تخط
في التراب اسماً لا تخط غيره : اسم أختي الحبيبة مكريا
افتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٣ —

حينئذ قال لي اخوتي : « إن في مضيقنا شيخاً
من شيوخ السكلدان يقرأ في صفحة السماء أسرار
الغيب وأنباء المستقبل ، فاستمع إليه ، وثقف عليه ،
ثم قل لنا أتري في مطاوي السحب كنوزاً أو نصراً »
فسمعت من الشيخ ؛ ثم قضيت ليالي طويلاً أردد
النجوم والنيوم فلا أرى كنوزاً ولا نصراً . إنما
كنت أرى عيون السماء تنظر إلى نظر الحب ،
كأنها عيون مكريا ...

افتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٤ —

حينئذ قال لي إخوتي : « خذ قوساً ونشاباً
واخرج إلى الصيد في الغاب » فنجست الغاب
بقوسى ونشابى ، ثم لم ألبث أن نسيت إخوتي
وذهلت عن سیدی . وبينما كنت أسمع غناء الرياح
وتفرق البلابل أقبلت ظبيبة فأكلت طعامي من
جيبی ، ثم جاء طائر صغير أعياه طول الطيران
فنام في كنانتي ، فحملته إلى مكريا

افتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

وتسمع مني ؟ قل يا قليل الحكمة بأى معجزة
نجوت من الموت جوعاً وظمأً في طريقك الطويل
من أينما إلى داني ؟

فقال إكسوس : أوه ! كنت من الصباح إلى
المساء أسترجع النشاط بالفناء ، وأسفتح الأبواب
بالنشيد ، فكلمنا داني الدخان على وليمة في أحد
البيوت طرقت الباب وأنشدت الأغنية فيفتح لي
أهله ويتركوني خير منزل

فتبسمت مكريا وقالت : أغنية بحبيبة ! هل
لك أن تعلمنيها يا إكسوس حتى أغنيها أنا أيضاً
في ذهابي إلى داني أو إلى الأولمب ؟
فتمنع إكسوس وتدل على عادة الفنان في كل
عصر ، ثم نزل على مشيئة أخته بعد رجاء قليل

أغنية إكسوس

افتحوا : أنا إكسوس المسكين ، أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت
منذ اثني عشر عاماً سقط قزم من جلد الأسد
الذي يتنكب به هرقليس ، فكنت أنا ذاك القزم ؛
كان أبي لا يحبني لأنني كنت صغير الجثة رقيق
البدن ، وحينما كنت أصطدم بركبتيه وأنا طفل
كنت أسمع فوق رأسي زمجرة كزحمة العاصفة ؛
وكان إخوتي يضربوني كلما دعوتهم إخوتي ؛ ومع
ذلك أريد أن أعيش لأنني أختاً بحبي وتحنو على ،
هي الجميلة الكريمة مكريا !

افتحوا : أنا إكسوس المسكين : أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٢ —

قال لي إخوتي ذات يوم : « اجتهد أن تكون

- ٥ -

ورءوسهم مرفوعة من العزة ، ثم جرت المراسم
للمألوقة وهي لا تختلف عما رأينا في دلفي ، وأقبل
كاهن من كهنة (مينرثا) فأجال الأسماء في
الصندوق ، ثم تقدم طفل مصوب العينين إلى
الأناء القدس يستخرج منه حكم الموت ، فلم تكده
يده تلمس حافظه حتى دوى على عتبة المبد صوت
امرأة يقول : « قف ! هاكم الضحية . . »

وكان ذلك الصوت صوت مكربا وهي تتقدم إلى
المذبح كاسفة اللون ، كاملة الأهبة ، تنوس على
جبينها الأزهر الجليل عصابة الذبيحة . فدلف إليها
أيمسح وقال : أهنا أنت يا أختاه ! لقد وعدتني أن
تتخلى لتقوى على سربر إكسوس . فقالت وهي
تقلب الدمع وتحبس الزفرة : إن إكسوس مات !
وليس الآن ما يمتنى أن أفديكم بنفسى . ثم قابعت
سيرها البطيء إلى الهيكل بين تصفيق الجمع وإذعان
الآخوة ، ثم جثت مكربا أمام المذبح ، وعوقت
بالإشارة مدية الذابح المجلان حتى نلقى على اخوتها
ابتسانها الأخير ؛ ثم أغمضت عينها ، وأزاحت
الغطاء عن ثديها ، وكانت بعد دقيقتين جسداً
يضطرب على مذبح الهيكل !

ثم أضرموا النار ، وجعلوا منها لأكسوس
ومكربا محرقة واحدة ! وعندئذ رأى الناس شيئاً
يصعد من الذهب إلى السماء ، رقائف الأجنحة تاصع
الريش رائع الرواء !

وهكذا كانت الفضيلة (مكربا) في العصور
الحوالي تكفل الشعر (أكسوس) وتلقمه . والفضيلة
والشعر أجل ما في الحياة وأنبيل ما في الانسان
(الزبات)

حينئذ قال لي اخوتي : « إنك لاتصلح لشيء »
ثم ضربوني ، ولكنني لم أبك ، لأن فسكرى كان
مشغولاً بأختي ! وغداً سيأخذون مني مكربا ! وغداً
ستسأل وهي جالسة في حفلة الزفاف : ما هذا الدخان
الذي يسلم هناك وراء النار ؟ فيجيبها الدعوون
« لاشيء »

« إنها محرقة إكسوس المسكين ، عليقة
السندبانة التي عصفت بها الريح فجعلتها كالرميم »
فصاحت الفتاة وقد ملكها الحنان وأدركها
الجزع : كلا إنك ستعيش ! وسأجعلك في قلبي ،
حتى إذا ثارت العواصف الموج لا يمسك منها
أذى . إن (ليكوس) سيد محبوب ، وعذاري أثينا
كثيرات يفتحن له دورهن وصدورهن . أما أنت
أيتها الفريد الشريد الموجه ، فإليك وحدك كل
أبى وأحلامي وحبي !

« خذ يا أختي ، خذ يا شاعري ! هذا ثمن
أغبتك » ثم نزلت من فوق جبينها الأبلج إكليل
الزفاف وألقته مبتللاً بالدمع تحت قدمي إكسوس !
فأراد إكسوس أن يجيب ، ولكن التأثير المفاجيء
صنق الصني المسكين فلم يستطع إلا أن يقول بصوت
خافت . أوه ! ثم وضع يده على قلبه وخر مشتماً
عليه ! ثم بات طول الليل يتضور من شدة الحى ،
وأخته بجانبه لا يغمض لها جفن ، ولا يرقأ
لعيثها دمع

وكان الند موعداً أبناء هرقلس إلى المبد
ليقتربوا هناك على الضحية ، فتقدموا إلى الهيكل
كما يتقدمون إلى الممركة : قلوبهم فارغة من الهم ،



كان الزوجان يسيران على هذه الحال لا يتبادلان الكلام ولا النظر، حتى قالت الزوجة:
— لنفث هنا قليلا . فوقفا ، وتقدم الخادم
إلى الرسام بكرسى صغير من القماش قعده عليه .
وكان كل من الرسامين الساكنين الساكنين
يلقى عليهما نظرة حنان وحزن ، فقد اضطربت
الأسنة بأن حادثتهما من حوادث الاخلاص والتضحية
وقع بينهما ، إذ تزوج الشاب منها على الرغم من
عاهتها المزمعة نائرا من حبها إياه كما يقال . فقال
رجل لآخر وكانا جالسين على مقعدين يجلسان
نظرهما في الفضاء :

— كلا ، ليس هذا صحيحا . أنا أعرف
جان سومير جد المرفقة
— إذن لماذا تزوجها ؟ فقد كانت حين الزواج
على هذه العاهة ! ليس كذلك ؟
— نعم هو كذلك ؛ ولكنه تزوجها .
تزوجها كما يتزوج الناس حقاً وسفاهة
— وبمد ؟

— وبمد ؟ ليس هناك بمد ولا قبل يا صديق .
الانسان أحق لأنه أحق . وأنت تعلم من خصائص
الرسامين الزواج المضحك ، فهم يتزوجون على
التقريب كل الأمثلة (modèles) ؟ وقد يتزوجون من

كانت مدينة (أربتا) ذات الصخر الأنهب
والحمى الأبيض والبحر الأزرق تستريح تحت
الشمس الصاحبة ، في يوم من أيام يوليو الصاحبة .
وكان منظرها العام أشبه بالهلال قد انتهى طرفا
استدارته يباين أحدهما صغير وهو الأيمن ، والثاني
كبير وهو الأيسر ، ثم تقدما في الماء الساكن
نفوخ كلاهما فيه ، وارتفعت فمته حتى بلغت
مستوى الصخور . وكان قد جلس على شاطئها
الديد جماعة من المصطافين ينظرون إلى المستحمين ،
واحتشد على مشرف الكازينو جماعة أخرى قائمة
أو قاعدة تعرض تحت أضواء الشمس المشرقة جنة
ضهرة من الزينة تسطع في خلالها المظلات الحجر
والزرق مطرزة بأزهار الحرير الملون . وانزل في
آخر المشرف على طريق الزهرة فريق آخر من
المصطافين يبدون السكون وينشدون الراحة ، فوقموا
خطام الرئيدة على أنغام الموج بعيداً عن زجة
الأجسام وضجة الأصوات . وكان بين هؤلاء شاب
معروف نابه هو الرسام جان سومير . كان يمشى
ساعداً واجبا بجانب عربية صغيرة من عربات المقعدين
يدفعها الخادم في هون ورفق ، وقد جلست في هذه
العربة زوجته وهي فتاة في ريق العمر تسرح النظر
الحزين في جبال السماء وزينة الأرض وبهجة الناس

معا ، لأن في طبيعتهم أن يكن صادقات كاذبات على أشد ما يكون الصدق والكذب ، أو لا يكن على شيء منهما أصلا

أنظر الى الوسائل التي يتوصل بها أكرم النساء ليبلغن منا ما يردن ، نجدها وسائل مقددة وساذجة ؛ فهي مقددة بحيث لم تقع في حدسنا من قبل ، وساذجة بحيث ترانا بعد أن نصبح من ضحاياها لا نسمعنا إلا أن تعجب منها وتقول : « كيف ! لقد خدعتني بحق وغواية » . ثم إنهن ينجحن دائما يا عزيزي ، وعلى الأخص إذا تلقى الأمر بزواجهن . وهاك قصة السيد جان سومير :

كانت الفتاة مثالا كما علمت ؛ فكانت تجلس في مسرحه على الأوضاع التي يريدها ؛ وهي بارعة الشكل ظريفة الطبع رشيدة القوام ، فشقها كما يمشق الانسان كل فتاة على مثالها في الجلال والفتنة ؛ ثم تخيل أن حبها قد أخذ بمجامع قلبه . وهناك ظاهرة غريبة : اذا مارغب الإنسان امرأة ظن مخلصا أنه لا يستطيع أن يعش بدونها بقية عمره ، ولكنه متى ملكها زهدا ، وإن تستطيع الشهوة البهيمية أن تمسكه بجانها طول الحياة ، فلا بد من شيء آخر هو توافق النفس والطبع والزواج . ومن واجب الرجل أن ينظر حين تفتنه المرأة : أهذه الفتنة صادرة عن إغراء الجسم ، أم عن جاذبية الروح . وقصارى الكلام أنه أحبها أو ظن ذلك ، فغامدها على الاخلاص وواعدها على الوفاء ، ثم عاش هو وحى على هذا الأمل . وفي الحق كانت الفتاة ظريفة ، وزاد في ظرفها تلك النباوة اللطيفة التي تتصف بها الباريسيات الصغيرات ؛ فهي تثرثر وتهذر وتنطق بالحماقات التي تجعلها الطريقة الغربية التي تلقاها بها

الخدنيات المجائر ، ومن السيدات الموهبات لأى سبب من الأسباب ؟ لماذا ؟ لا يعلم أحد لماذا ؟ يخل إلى على العكس بأن طول معاشرتهم لهذا النوع من النساء الفواجر اللاتي يسمين الناس (أمثلة) جعلهم يمافون جنس الأنثى ، فأنهم بعد أن يجلسوهن ليرسموا صورهم على مثالهن يتزوجوهن . اقرأ الكتيب الصادق القاسم الجليل الذي ألفه الفونس دوديه بعنوان (نساء الفنانين)

أما الزوجان اللذان تراها ، فان الحادث الذي وقع بينهما وقع على صورة خاصة وحال فظيمة لقد مثلت هذه الفتاة مهزلة ، أو بالحري مثلت مأساة ألמה . لقد قامت بكل ما تمك لترجح كل شيء أو تخسر كل شيء . هل كانت غلصة ؟ هل كانت تحب جان ؟ لا يدري ذلك إلا الله . ومن ذا الذي يستطيع أن يحدد تحديدا قاطعا ما في عمل المرأة من زور وحق ؟ إنهن غلصات دائما في ما يبدو عليهن من آثار انفعالاتهن ومظاهر عواطفهن . فهن ساخطات مجرمات غلصات كرميات ثبات على حسب ما يجرى في شعورهن من البواعث والآثار . وهن لا يفترن عن الكذب من غير أن يردن ولا يملن ولا يفهمن . وفيهن مع ذلك وعلى رغم ذلك صراحة مطلقة في الأحاسيس والمواطف اللاتي يظهرنها بأحكام وحلول عنيفة غير متوقفة ولا مفهومة ، تضلل منطقنا في الرأي والحكم ، وعادتنا في التمديل والتوفيق . فاللغاجة والنف في عزيمتهن يجعلانهن النساء لا تحل ، فنحن لا نبرح نسأل هذا السؤال : « هل من صادقات ؟ » « هل من كاذبات ؟ »

ولكنهن يا صديق صادقات كاذبات في وقت

استولى بجماله على فلم أفكر في غيره
فأمسكت عن الكلام، ولكن شهوة الحديث
ملكتهما بعد لحظة فسألت جان :

— أذهب أنت غداً إلى باريس ؟
فأجابها :

— لا أعلم
فماودها الغضب، وقالت :

لعلك ترى مما يهيج نفسك أن تنزه وأنت
صامت . إن الانسان إنسان لأنه يتكلم ! فلم يجب
على قولها بشيء . وفطنت هي بفضل غرزة السكر
فيها إلى أنها ستحتقه ، فأخذت تنفي ذلك اللحن
الثير الذي آذى الآذان والأذهان منذ عامين ،
ومطلعه : كنت أنظر في القضاء ... فقال لها مقهوما :

— اسكتي من فضلك ؟ فقالت له مبتعدة :
— ولماذا تريد أن أسكت ؟ فأجابها :

إنك تفسدين علينا النظر
هنا حدث للشهد السكره السفيه بستانه اللقاجي
وحسابه المبتسر ، فاحتقنت الوجوه وأهمزت
الأعين ، ثم عدا الى البيت . وكان جان قد تركها
تمضي في ثورتها لا يدفع ولا يهاجم ، لأنه كان
مخدر الأعصاب بنشوة هذه الليلة العلوية التي هبطت
بها إلى الأرض هذه الماسفة الهوجاء

ومضت بعد ذلك ثلاثة أشهر ، كان الفتى
يضطرب اضطراب القنيص في هذه العلاقة القوية
الخفية التي تربطانها العادة في مثل هذه الحالة .
كانت الفتاة لا تنفك ترهقه إرهابا للضغطه ،
وتعذبه عذاب الشهيد ، فصار يومها وليلهما
شجاراً متصللاً لا يخلو من سباب وضرب
وأخيراً صمم على أن تنتهي هذه الحال على أي

أشبه بالبراعات الذهنية ؛ وكان لها في كل لحظة
حركات تنبئ بها عين الرسام : فهي حين ترفع
ذراعها ، وحين تبسط يدها ، وحين تنحني ، وحين
تركب العربية ، تركب حركات محكمة مقدره مناسبة .
وفي غضون ثلاثة أشهر لم يلاحظ جان أنها في حقيقة
أمرها تشابه سائر (الأمثلة) ، فاستأجر بيتاً صغيراً
في (أندريسي) ليقضيا فيه الصيف . وكنت هناك
ذات ليلة حين أخذت المموم الأولى تنبت في قلب
صديق ؛ وكانت تلك الليلة قراء ، فأردنا أن نجول
جولة على ضفة النهر ، وكان القمر يرسل على المساء
الترتد والبرق من الضوء ، وبكسر أسمعته الصفراء على
دورات الماء وتيار اللج وعباب النهر البطيء الهارب
كنا نسير على طول الشاطئ نشاوي من
ذلك الطرب البهيم الذي تبعثه فينا هذه الليالي
الحالة ؛ وكانت نفوسنا مهيأة لأعمال فوق أعمال
البشر ، وقلوبنا مفتحة لحب كواثي شمرة مجهولة ؛
وكنا نشعر بالجذبات والرغبات والأمانى تختلج في
نفوسنا ، فلزمنا الصمت مفتونين بصفاء السماء
وطراءة الليلة الجميلة ، وعذوبة البحر التي خيل
إلينا أنها نفذت إلى الجسم وغمرت الدهن وعطرته
وغمسته في السعادة .

وعلى حين بغتة صاحت جوزفين (وهو اسم
الفتاة) قائلة :

— هل رأيت السمكة الكبيرة التي وثبتت هناك ؟
فأجاب جان من دون أن ينظر أو يعلم :

— نعم يا عزيزتي
فقالت مضطربة :

— كلا إنك لم ترها ، لأن ظهرك كان إليها
فابتسم وقال : نعم هذا صحيح ، فان الجوقد

إذا تزوجت قتلت نفسى . أسمع ؟
فهز كتفيه وقال : حسن ! اقتلى نفسك ! فنبست
بكلمة أو كلمتين وقد أخذ يكظمها المم القتال :
أقول ؟ .. أقول ؟ .. أقول ؟ .. أعد ! فقال مييذا :

اقتلى نفسك إذا كان هذا يسرك ! فقالت وشجوها
يزداد وحالها تسوء : لست فى حاجة إلى التحدى ،
سألقى بنفسى من النافذة . فضحك جان بملء فيه
ومضى إلى النافذة ففتحها ، ثم حيا وأمضى ، كن
يريد أن يقدم عليه غيره فى المشى ، وقال : هذا هو
الطريق ! تفضل ! فثبت فيه نظرها الحائر الطائر
لحظة ، ثم جمعت نفسها كن يريد أن يقفز سياجا فى
حقل ، وسرت أمامه وأما إلى النافذة ثم اختفت !

لا أنسى ما حبيت ذلك الأثر الذى أحدثته فى
نفسى هذه النافذة المفتوحة ، وقد هوى منها ذلك
الجسم ! لقد رأيتها فى تلك اللحظة واسعة كالسما
فارعة كالفضاء ، فرجعت القهقرى ، ولم أجرو على
النظر كأفنى خشيت أن أسقط . وتسلل جان فلم
يستطع الحراك ولا النظر ؟ وتسابق الناس قاتوا
بالفتاة مكسورة الساقين ، فلم تنش على قدميها بمد
اليوم . وتقدم حبيبيها مبلبل الصدر من وخز
الضمير ، منفعل النفس من اخلاص الفتاة ؛
فأواها إليه وتزوج منها

ذلك يا عزيزى حديث هذين الزوجين .
وأقبل النساء ، فرغبت الفتاة فى العودة خشية
البرد ، فأخذ الخادم يدفع عربة الكسبيجة نحو
القرية ؛ ومشى الراس بجانب امرأته وقد مضت
عليهما ساعة من الزمان لا اللسان يخاطب اللسان ،
ولا النظر يبادل النظر . (بحى دى مرمامه)

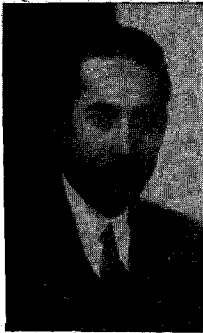
وجه وبأى ثمن . فباع رسومه واقترض من أصدقائه
بعض المال حتى حصل فى يده عشرون ألف فرنك
فوضعهما ذات صباح على الدفأة ومعهما كتاب الوداع
وترك لها المنزل ولجأ إلى بيتى

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر قرع الباب ،
فذهبت أفتحها فإذا هى فى وجهي لانكاد تملك نفسها
من الحزن والقلق ، فارتبكت أنا ، ودخلت هى ، ورآها
هو من بعيد فوقف حتى أقبلت عليه ودمت بين
قدميه الغلاف وفيه الأوراق المالية . وقالت فى هيئة
ثبيلة ولهجة موجزة : هاك نفودك . لا حاجة لى
بها . وكانت حينئذ متممة اللون مضطربة البسال
حرية بأن تأتى كل حاقة ؛ وكان هو كذلك كاسف
الوجه يحق الصدر حريا أن يرتكب بكل شدة ،
فسألها : ماذا تريدن ؟ فقالت : لا أريد أن تعاملنى
معاملة البنى ، لقد توسلت إلى حتى سكنت إليك ،
فأنا لا أطالب إلا أن تبقى عندك

فغضب الأرض برجله وقال منفعلا :

لا ، هذا كثير . إذا كنت تظنين أنك ...
لجذبه أنا من يده وقلت له : دعنى يا جان أفعل .
ثم تقدمت إليها وأخذت أكسر من غضبها بكل
ما عليه الخاطر فى مثل هذه الحال ، وهى تستمع
إلى جامدة شاخصة صامتة مصرة . فلما فرغت
جسمي والحال لا يزال على أشده ، لجأت إلى آخر
الحيل فقلت : إنه لا يزال على حبك يا صغيرتى ،
ولكن أسرته تريد أن تزوجه ، وأنت تملين ... !
فأخذتها رجفة قوية وقالت :

— آه .. آه ! لقد فهمت الآن ! ثم التفتت إليه
وقالت : تبني أن تزوج ؟ فأجابها فى شدة وحزم :
— نعم . غطت إليه خطوة وقالت :



يَوْمِيَّاتِي أَنَا فِي الْإِرَافِ

للاستاذ توفيق الحكيم

٢٠ أكتوبر ...

قمت في الصباح بمجرد خزانة المحكمة . فالنبيات هي التي من شأنها مراقبة الخزانة ، وعليها أن تقوم بهذا الجرد مرتين على الأقل في كل شهر بطريق المفاجأة . ويظهر أن كلمة « المفاجأة » وضمت في اللوائح والتعليمات من قبيل التشويق كما توضع في الاعلانات ، فهي في العمل لا وجود لها . وقد جرت المادة أن ينسى وكيل النيابة لسكرتيرة مشاغله هذا الجرد فلا يذكره إلا الصراف المقصود مفاجأة . فهو الذي يطلب في إلحاح حضور البك الوكيل للجرد حتى يسدد الخانة طبقاً للقانون . وفي أكثر الأحيان لا يشعر وكيل النيابة إلا وقد فوجئ هو بالدفتر الخاض بالخزانة يمرض عليه مع المحضر محمراً باسمه « نحن فلان وكيل النيابة قمنا اليوم بمجرد الخزانة ، فوجدنا بها كذا أوداكا مالية وكذا فضة وكذا أشياء ثمينة وكذا أمانات » فيوقع وهو لم يتحرك من كرسيه وهو يقول : « خذوا إمضاء وخلوا عني بلا وجع دماغ » . غير أني أنا شخصياً أنتقل بالفعل وأشاهد الخزانة وإن كنت أوقع آخر الأمر على كل حال دون أن أطيق

صبراً على عد النقود التي توضع أمامي . وانتهيت من هذه الأمور ، وعرجت على خزن النيابة في طريق أفنته « بالرة » وهو عبارة عن حجرة تشبه دكان « ألف صنف » فيها من أصناف البنادق والعدارات الريفية والسكاكين والشراشر والمناجل والبؤوس والبائط والنيابات والهرارات و « اللبد » و « البلغ » و « الجلايب » للطبخة بالدم والطين و « الصداري » للثقبوة بالرش والبارود ؛ كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التي ضبط على ذمتها . وعندى أن نظرة واحدة تاتي على خزن نيابة أى بلد تدل في الحال على لون هذا البلد وعقليته ودرجة حضارته . ولا شك عندى في أن خزن نيابة « شيكاغو » مثلاً لا يمكن أن يكون ميمى مطلقاً هراوة أو شرشرة . وصعدت بعد ذلك إلى مكنتي ، فوجدت حضرة القاضي : « اللقيم » في الانتظار وقد أحضر له الفراس القهوة . فما كاد براني حتى صاح : - خلاص ، القوضى دبت في البلد :

الوزارة ، وأنتك خطر على سياستها المحاصرة إلى آخر
هذا الأسلوب المعروف

— شئ جميل . البوليس يحرق التقارير السرية
ضد القضاء ؟ !

— حصل

— والمعمل إيه ؟

— اترك لي المسألة . أنا أنحري من المركز
بلطف وأجري اللازم . . .

— لهذا الحد تعبت السياسة عندنا بالمذلة
والنظام والأخلاق ، أعوذ بالله ! شئ مخيف . . . !
وجمل يهز رأسه أسفاً وحنقاً . ثم التفت إلى
جفأة وقال :

— دا صحيح . تصور أن فضيلة القاضي
الشرعي « الضلالى » عامل اليوم أنه صديق للأمور
الجميل مع أنه كان يكرهه كراهة التحريم من بسد
حادثة الأجزاخانة !

فأبدت محبي . إلى حقيقة كنت قد سمعت من
للمأمور فيما سمعت من أخبار القاضي الشرعي هذه
الحادثة : إن أهالى البلد وأعيانها لاحظوا افتقار
البلد إلى أجزاخانة « أصولية » تفهم عن البنادر
الكبيرة فاكثبتوا فيما بينهم بمبالغ أسسوها
أجزاخانة نظيفة كاملة الأدوات ، وعينوا لها
« أجزجى » قانونى هو رجل سورى اسمه « جبور »
ثم تباحثوا فيمن يصلح مشرفاً على مالية هذه
الأجزاخانة وعلى إدارتها ، ووقع الاختيار فى آخر
الأمر على فضيلة القاضي الشرعي . ومن غير فضيلته
بلحيته الوقورة وسبعته الطويلة يؤتمن فى هذه
البلدة على أموال المسلمين وغير المسلمين من المساهمين ؟
ووافق الأمور على تنصيب القاضي الشرعي مشرفاً

فأردت أن أفتح فى أسأله الافصاح ؟ فلم يمهأ
ومضى يقول :

— راحت هبة الأحكام !

— إيه المسألة ؟

— المسألة يا سيدى أنى أسدرت حكماً مدنياً
ضد عمدة من الموالين للحكومة وراح المحضر ينفذ
عليه ، تعرف حصل إيه ؟
— لا

— انضرب بمعرفة الممدة « علقمة » لكن
« نضيفة » وأحبس أربعة وعشرين ساعة فى حجرة
التليفون

— والمركز عمل لها قضية ؟

— أبداً . ما هى هنا الخطوة . لا قضية
ولا مذكرة ، شحكوا على المحضر وقالوا له يسحب
شكواه وصرفوها

— ما داموا صرفوها انتهينا

— انتهينا ازاي ؟ أنا لا يمكنى أسكت عن
مسألة زى دى . دا اسمه إجرام ! البوليس يحرم . . .
— يظهر أن حضرتك اشتقت لحر وجه قبلى
— ينقلوا قاضى وجه قبلى لأنه أراد منع المركز
من العبث . . . ؟

— عملوها كثير . وسبق نقلوا قاضى أقضى
الصعيد لأنه أخرج فى قضية معارضة عن متظاهرين
ضد الحكومة ، مع أن هذا القاضي كان من
المحايدين المبعدين عن الأحزاب وعن السياسة .
ولا يخفى أن بينك وبين الأمور سوء تفاهم عائل .
وساعتها تلقى الأمور حرر التقارير السرية عنك
واتهمك بأنك من خصوم الحكومة ، وأنتك من
أرباب الفن والدسائس ، وأنتك تضطهد أنصار

جبور أشت بكسر ساق القاضي إذا حضر إلى الأجزاء بعد ذلك . واستغاث بالأمور ، وعرض عليه ما وصلت إليه حالة الأجزاء . فلما همر موشكة على الافلاس ، فقد اختفت مستحضراتها ونضبت مواردها ، ولم يبق أمل في بقائها ، فان الأجزاء هو الآخر إقتداء بفضيلة المشرف الوقور لم يقصر في الاجهاز من جهته على الباقي من « الدرج » والبضاعة والأدوات ، وتنظيم المأمور وصاح في الأعيان السامعين :

— الحق علينا الى صدقنا اللحية والسبعة ! ومنذ ذلك اليوم والمأمور دائم التشهير بالقاضي الشرعي قائلاً عنه : « الرجل الضلالي » . والقاضي الشرعي من جهته دائم التيل من المأمور قائلاً عنه : « الرجل الزنديق لاعب البسر »

ولكن السياسة قد جعلت رجال الادارة اليوم أصحاب سلطة غنية . وقد خشي فضيلته على نفسه ، ورأى بمكته أن الأمان في مصاحبة المأمور . فهل يحجم عن التقرب إليه والتزلف له ؟

مر بخاطر كل ذلك وأما جالس وأمامي القاضي

الأهلي ، ولم أملك فقلت كالمخاطب لنفسي :

— لا بأس من الصلح ، لكن في الظروف

الحاضرة ... فيه شيء اسمه كرامة ...

فرجع القاضي يده في حركة ذات معنى وقال :

— كرامة مين « يا مونشير » !

ونهض يريد الانصراف وهو عليل على ويقول

بصوت منخفض :

— كلام في شرك . في يوم حضر الى يتي

فلاح ومعه خروف وقال « الهدية » . فقلت له :

« هدية ليه يا رجل » ؟ فقال : « الهدية الى تم

وتكرم فضيلته وتسلم مهام عمله بأن جعل مجلسه عصر كل يوم أمام باب الأجزاء حيث ينتحج ويبدأ باسم الله والصلاة على نبيه وآله وصحبه . ثم يصيح :

— يا خواجه جبور . القهوة والشيشة !

ثم يجتمع عليه من أصدقائه وأقاربه الآتين من السكفور عدد كثير كل يوم ، فيأمر لهم بالقهوة أو الشاي . وكل هذه الطلبات طبعاً على حساب الأجزاء ، وهو لا ينسى مطلقاً أن يلقى نظرة على مستحضرات المحل قبل انصرافه وهو يقول لجبور :

— عندك صابون مسك من المال ! زجاجة

« الريحة » « السكونيا » دي لا بأس بها ! ..

ولا يكاد يدخل فضيلته منزله حتى تكون هذه

البضاعة التي أعجبت قد سبقته إلى البيت . ويجلس

أحياناً أطفاله إلى جواره يباب الأجزاء أو يتركهم

ياميون حوله . فلما جاءوا أو بكوا صاح القاضي في

الأجزاء القانوني :

— يا خواجه جبور ! هات للأولاد كم قرص

نفع من عندك !

ويحتاج فضيلة المشرف إلى بعض المال في بعض

الأحيان فيقول للأجزاء :

— هات من « الدرج » أربع « برايز »

وعربانة دجاج فيشترى منها فضيلته « زوجين »

« عتاق » ويصيح في الأجزاء داخل الأجزاء :

— ادفع لها من « الدرج » يا خواجه جبور

وضاق ذرع الأجزاء جبور آخر الأمر .

فصاح في القاضي ذات يوم :

الدرج ! الدرج ! شوها المعايها الدرج !

ونشب الشجار بين المشرف والأجزاء . وأقهر

— طول بالك ، انت يظهر عليك إنك مش عارفى . والله لا بد من اى ...

فناطحه العمدة مستطعاً :

— أنا رجل غلبان ...

فضى المأمور فى وعيده :

— انتظر ! إن ما كنت أدخلك البرلمان ، ما إبقاش أنا مأمور المركز !

— ليه أنا عملت إيه بس تدخلنى البرلمان ! قالها الرجل فى توسل وارتجاع . فضحكت وعجبت . والتفت إلى المأمور قائلاً :

— كشوف الانتخابات فى جيبه ومش عارف البرلمان ده يبقى إيه . أمم عمد نشغل مهمم !!! ثم عاد المأمور والتفت إلى الرجل قائلاً :

— تفضل من غير مطرود !

نفرج العمدة ذليلاً كأنه خادم أوجرم ، وقلت فى نفسى هذه الذلة التى يذوقها فى حضرة رجال الادارة لن تذهب سدى ، فهو سيذيقها بيمينها لأهال القرية التى يحكمها ، فان كأس الاذلال تنتقل من يد الرئيس إلى المرقوس فى هذا البلد حتى تصل فى نهاية الأمر إلى جوف الشعب السكين بجرعها دفعة واحدة

وجلس إلى المأمور يعرف سبب « تشريفى » المركز بالزيارة ، فأخبرته أنه « الشوق » ، فأبسم المأمور ابتسامة غير المؤمن بهذا السبب الأفلاطونى ، ولم أصر كثيرًا على كفى ، وقلت فى هيئة الجد :

— بلنك يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين ضربوه وحبسوه أثناء تأدية وظيفته ؟

— فأجاب من فوره :

— ما عنديش خبر

عليها الاتفاق علشان رد الولية اصرانى » . ففهمت وقلت له فى الحال : « انت يا رجل غلطت فى البيت انت قصدك القاضى الشرعى » !!

فلما أبدته كبرى وأطرقت برأسى . وسكت القاضى محدنى قليلاً . ثم تحرك نحو باب الحجرة وحياى بيده تحية مختصرة وذهب . وجلست وحدى قليلاً أفكر فى كل ذلك . ورأيت أن أقوم الى المركز فى شبه زيارة خاصة لأستطلع من المأمور عما أخبرنى به القاضى . فانطلقت بمفردى وخلفى حاجبى حتى بلغت حجرة المأمور ، فوجدته فى هذه المرة أيضاً مع أحد عمد يحادثه فى شبه عنف ولم تكن سباً هذا العمدة ثم من يسر ولا عن وقار ، ويخيل إلى أنه من أجلاف العمدة . « قالعمدة كالجرادة » يتخذ شكل الأرض التى بولد فيها . فالأرض الخضراء تخرج الجراد الأخضر ، والأرض القحلاء تخرج الجراد الأغبر . وهذا العمدة الأغبر لاشك من بلاد قاصية فقيرة على حدود المركز قريبة من الصحارى . وسلمت على المأمور وقلت له باسم :

— دايمًا مع العمدة !

فقال فى نبرة تمب :

— نعمل إيه ياسيدى !

ثم أجلسنى وطلب لى القهوة . إذ على الرغم من اعتكافى عنه وعن ناديه ، فهو يحترمنى ولا يحمل لى ما يحمله لغيرى من الضغن . فانى حريص دائماً مع رجال الادارة على تنفيذ أوامرى فى مظهر بسيط لا يشمرم بفضاضة الأمر . واستأذنى المأمور فى إتمام حديثه مع العمدة لينتهى من شأنه ويتفرغ لى فأذنت له . فالتفت الى الرجل وقال له فى صياح وتهديد :

— إن كان علي دى اطمئن
ثم سمكت قليلاً ، وقال فى قوة وخيلاء :
— نصدق بالله ؟ أنا مأمور مراكز بالشرف .
أنا مش من المأمير اللي انت عارفهم ، أنا لاعمرى
أندخل فى انتخابات ، ولا عمرى أضغط على حرية
الأهالى فى الانتخابات ، ولا عمرى قلت اتخبوا
هذا وأسقطوا هذا .. أبدا ، أبدا ، أبدا . أنا مبدئى
ترك الناس أحراراً تنتخب كما تشاء ...
فقاطعت المأمور وأما لا أملاك نفسى من
الاججاب :

— شىء عظيم باحضرة المأمور ، بس الكلام ده
مش خطر على منسبك ؟ أنت على كده .. أنت
رجل عظيم ...
ففضى المأمور يقول :

— دى دائماً طريقتى فى الانتخابات : الحرية
المطلقة ، أترك الناس تنتخب على كيفها ، لغاية
ما تتم عملية الانتخاب ، وبمدين أقوم بكل بساطة
شايل صندوق الأصوات وأرميه فى التربة ،
وأروح واضع مطرحة الصندوق الى احنا موضوعينه
على دهنا

— شىء جميل !
قلتها فى شىء من الاستغراب ممزوج بخيبة
الأمل . ولم أشأ أن أعقب على ما سمعت . ومددت
يدى مسلكاً . وخرجت وخرج خلقى المأمور يشيعنى
إلى الباب الخارجى ، وإذا بى أرى وأنا أجتاز فناء
المركز شزيمة من الخفراء تتأهب للشحن فى
« اللوريات » ، ومن بينهم الشيخ عصفور بأسماله
وعوده الأخضر ؟ فالتفت إلى المأمور أسأله فى ذلك ،
فقال وهو يشير بيده إلى الرجال :

— حصل تبليغ للمركز ؟
— لو كان حصل كنا ضبطنا لها واقعة وعملنا
قضية

— بالتاكيد
وأطرفت قليلاً ، وفكر المأمور لحظة ثم قال :
— حد بلغ سعادتك بشىء ؟
— لو كان حد بلغنى كنت فى الحال بانترت

التحقق

— مؤكد ؟
— المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة
فانطلق المأمور يقول :

— هى وحياتك إشاعة ، خارجة من بطن
الحكمة لتشويه سمعة المركز ، وأنت لا يخفاك أن
حضرة القاضى « طالع فيها » وغرضه يشنع علينا
بأى طريقة ...

وأراد المأمور أن يسترسل ، فبادرت باغلاق
هذا الباب حتى لا أزج بنفسى فى هذا الشجار
القائم بينهما . حسبى أنى أفهمت للمأمور من
طرف خفى أنى لست بناقل عن الموضوع ، وأنى
لا أحجم عن اتخاذ الاجراء اللازم فيه ، ونهضت
فى الحال ، ونهض معى ، وقلت مازحاً :

— والانتخابات باحضرة المأمور ... ؟
— عال
— ماشية بالأمول ؟
فنظر إلى مليا ، وقال لى فى مزاح كزاحى :

— حانضحك على بعض ؟ فيه فى الدنيا
انتخابات بالأمول !!
فضحكت وقلت :

— قصدى بالأمول : مظاهر الأمول

ومررت في سيري بجوار الشيخ عصفور
فابتدرته :

— البنت ريم راحت فين ؟

فنظر إلى الرجل شزراً ولم يمن بالرد على .
فأعدت عليه الكرة في شيء من الرفق والاستعطاف
— ريم ياسيدنا الشيخ ، خللي نفسك وأنا
في مسألة البنت ريم !

فهز الرجل رأسه ، ولوح بعوده ، وقال مترنماً :

لئش راح ينسوبك

من الشكيان وبفيدك

لبسه ما حكمتش

على طبرك وهو في إيدك

فابتسمت وقالت للشيخ عصفور وأنا أشير
بأصبي إلى المأمور :

— قل لحضرة المأمور ، هو اللي استلم الطير !
(يتبع)
نرفيز الحكيم

— أنفاز قايمة لحفظ النظام ساعة إعطاء
الأصوات ...

— والشيخ عصفور ماله ومال الانتخابات ؟

— مواديله تؤثر على عقول الفلاحين !

— يعني منتدب للدعاية !

فابتسم المأمور ابتسامة المضادق على ملاحظتي ،
وابتسمت أنا أيضاً وأنا أضيف قائلاً :

— حتى الشيخ عصفور شفتوه في السياسة !

فنظر إلى المأمور نظرة ذات معنى ، وقال
في تهدي :

— نمعل إيه بس !

وفي هذه البارة وهذا التهدي كل الكفاية في
جملي أرش لحال لهذا المأمور وأقدر دقة موقفه
ومسؤوليته أمام الرؤساء الذين يطلبون إليه نتائج
مميئة بالذات بكل الوسائل التي يراها مؤدية إلى
النرض ، فإن أحجم أو تردد فصل بالرحمة ولاشفقة

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

الثنى بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس

مكافأة

لمه برل على القاتل

تمطي مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥
جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها
في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير
الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً
على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يوليو مع
بيان الأدلة بوضوح وإيجاز



الثقل ، وترأب بعطفها وحدها
صدره المصدوع

كنت ذات يوم أهني
صديقاً تجمعت حوله أسرة
موفورة الصحة جمة النشاط
جمعت بين أفرادها أقوى

« لأفس من درر البحار ما يجده الرجل
من راحة بال ، وما ينعم به من خفي الهبة
في كنف حب المرأة ، فاقربت للتلزل إلا
وملأت صدري روايح النسيم ، فها أروح
ما يتردد في ظلال الزواج من أنفاس لها غير
ما أحلاه ! وما أطيب البنفسج في حياضه
يبالغ مداه » (مدلون)

أواصر المحبة ، فقال لي متحمساً : « ما أستطيع أن
أعني لك نصيباً في الحياة خيراً من أن تكون لك زوج
وبنون يقاسونك في يسرك السراء ، ويكوتون في
عسرك عزاءك وعونك على القراء »

وهذا حق ، فقد رأيت الزوج الذي يتردى
في مهاوى البؤس أقرب نهوضاً من سقطته وأقدر
على استعادة مكانته من الأعزب الوحيد . ويرجع
بعض الفضل في ذلك إلى أن لدى الزوج ذاتاً
أقوى على العمل هو حرصه على القيام بمطالب
أعزائه ضعيفي الحيلة الذين يعتمدون عليه في سد
حاجاتهم وحفظ حياتهم ، إلا أن الفضل الأكبر في
ذلك يرجع إلى أن ما يلقى الزوج في داره من عطف
ومودة يخفف من همه ويزيل من حزنه ، ويجدد
نشاطه وبذلك ملكاته ؛ هذا إلى أنه لا يفقد الثقة
بنفسه ولا بهون لديه قدره حين يرى أنه برغم ما يخطط
به من سواد وبرغم ما يصادف خارج داره من هوان
ما يرح يترفع في بيته عرش مملكة صنيعة من
المحبة والوداد . بيد أن الأعزب يكون في رؤسه

ظالماً أتبع لي أن أشاهد
بطولة المرأة وثباتها في تلقى
ضربات القدر معجباً باحتياها
الضراء بمد السراء ، حتى
ليخيل للمرء أن الحزن التي تغل
عزيمة الرجل وتصدع أركان

نفسه تستنهض المرأة وتستثير قواها ، وتبتهت فيها
من البسالة والسموم ما يبلغ الذروة في بعض الأحيان .
وليس أوقع في النفس من رؤية امرأة رقيقة ناعمة
كانت أيام اليسر والنعم عنوان الضعف وقلة الحول ،
وإذا بها تسمو بإدراكها فجأة فتصير سند الرجل
ومفرج كربته أيام بؤسه وخلال محنته ، وليس
أروع من رؤيتها تصمد لمواظف البؤس الجائحة
رابطة الجأش ثابتة الجنان

تلثف السكرمة بأوراقها النضيرة حول السندانية
مستمتعة بها على بلوغ شعاع الشمس فظل معتمدة
عليها وتلك موكلة بها ، حتى إذا ما نزلت بالسندانية
صاعقة فزقتها حنت السكرمة عليها بمساليحها الرقيقة
المطوف تغم بها أغصانها الممزقة وأنسجتها المشققة ،
كذلك حال المرأة تمول على الرجل وتكمل أمرها
اليه ، فلا تمدو أن تكون زينة بيته وحلية أنسه ، فإذا
ما اقتضت عليه البأساء بضرية من ضرباتها الهوج
شاه لطف الله في قضائه أن يجعل منها موثله وعزاه
فترعى نفسه المضطربة بمخاضها ، وتحتمل برفق رأسه

« مضاريات » واسعة النطاق . فلم يرض على زواجه كثير حتى فاجأته المأسي تترى فمضت بما له . وفي لحظة وجد نفسه قد انحدر الى هوة الفاقة ، فظل وقتاً ما يحني في نفسه حقيقة ما آل إليه أمره وقد شجب وجهه ، وتحطم قلبه ، وأصبحت حياته كرباً دأباً لا يريم . ومما زاد في كربيه وجعله عسير الاحتمال على نفسه اضطرابه أن يتكاف الابتسام والهاشاشة أمام زوجته ، إذ أنه لم يكن يقوى على ازواجها بالانفناء إليها بحيلة أمره ، وحقيقة خطبه . بيد أنها على رغم ذلك رأت بين الحب التي لا تغفل أنه لم يكن على ما تحب . فلاحظت نظراته الحائرة وزفراته العميقة ولم تتدعها محاولاته الفاشلة في الظهور بمظهر السرور ، وحاولت جهده ما ملكت من روح صراح أن ترفه عنه ، فأحاطته بكل ما وسعها من رفيق العناية ، ورقيق الملاطفة ، عباها فتفاح في رد السرور الى نفسه وإعادة النبطة الى قلبه ، فأخفت مسماها ولم تفاح إلا في دفع السهم مدى جديداً في صميم فؤاده . فكلمها رآها أحق بأن يزيدا حباً ، زادت نفسه كرباً ، وأمضه التفكير فيما سيجد له إليها من الشقاء والحلمان عما قريب . ودار بخله أنه لن يفي إلا القليل حتى ينفارق النناء شفتها ويبارح الوميض عينها ، ويرز قلبها الحسافي بين جنبها ، مثل قلبه ، تحت عبء هموم الحياة وأرزائها وأخيراً جاء في ذات يوم وروى لي حقيقة حاله وكل ما انتهى إليه أمره بلهجة من أعمق اللججيات بأساً ، وأشدّها بؤساً . فلما وقفت منه على جملة حاله سألته : « أو تعرف زوجك ذلك كله ؟ » فصاح بي وقد خفقت المبرات : « بالله ألا ترجى فنتشفي على ، ولا تذكر شيئاً عن زوجي ، فإن التفكير فيها هو الذي يكاد يفقدني صوابي . »

فقلت له : « ولم الكتابان ؟ ولا مناص من

عمرضة لأن يهمل شأنه ويتلف نفسه ، إذ يحيل اليه أنه وحيد متروك ، سيحل بقلبه من البوار مثل ما يحل بالدار المهجورة حين يموزها الزبل المأمول تميد إلى فسكرى تلك الخواطر ذكرى قصة من قصص الحياة الزوجية شهدتها بنفسى ، فقد تزوج صديق ليس من فتاة جميلة مهذبة شبت وسط الحياة الجديدة وشفقت بانعاطها الطريقة وأزايها المستحدثة . لم تكن ذات ثراء ، إلا أن زوجها كان في بسطة من العيش ؛ وكان يروقه أن يتيسر لها التمتع بمجاراة كل طريف والتحل بكل ما يضيق على المرأة غلالة السحر والفتنة من جبل الزى ، ونفيس الخلى . وكان يقول : « إن حياتها ستكون قصة من قصص عبقر » كان خيالاً يحيل إلى الجد والرسانة في حين كانت هي مريحة طروباً ، فكان لا متراجفهما ائتلاف شجي النغم عذب الألحان . ولطالما شهدت عن كثب ذلك الهيام الصامت الذي كانت تفيض به نظراته إليها ، وما يجلسان بين الرقاق . وكنت أرى نظراته تلك تيمث في نفسها الهجة والسرور كما كنت أراها تتجه بصرها إليه وسط التهلل والاعجاب ، وكأنما لا تبحث عن مبتغاها من الاستحسان والقبول إلا عنده . ولقد كانت حين تنسكي على ذراعها يلوح جمال قوامها الانثوي رائماً في تباينه مع طول قامته وبأدى رجولته ؛ وكان يبدو الاستسلام ويتدفق الحب في نظراتها إليه مما كان ييمث فيه الزهو بها والجذب عليها ، وكأنه ما شفى بهذا الجمل الوديع إلا لضعفه وقلة حوله . وهكذا مضى في طريق هذا الزواج المبكر والاختيار الموفق إلى حياة زوجية تحفها الورود والراحين مالسكين فيها من أزمنة النعيم ومقومات السعادة ، واختالات الهناء ما لم يتح لغيرهما من الأزواج وشاء القدر أن يناصر صديق بما له في

« كيف تكلم الأمر عنها في حين أن الواجب أن تسلم به لتستطيع أن تمد العدة لهذا التغير الذي طرأ على معيشتك ، إذ من الواجب عليك أن تغير نظام حياتك ؟ فعات وجهه سحابة من النعم لم تخف على فاسترسلت أقول : « كلا لا يجعل لذلك سبيلا إلى قلبك ، ولا تر فيه مدعاة لا يلام نفسك ، فاني واثق أنك لا تجعل سعادتك في يوم من الأيام رهينة المظهر الخارجي . ولا زال لك أصدقاء حميمون لا ينقصك في نظرهم أن يقل رونق دارك ، ثم إنني واثق أنك لست بحاجة إلى قصر منيف حتى تستمد مع ماري »

فصاح مضطربا مقارنا : « اني لاستطيع أن أسعد معها في كوخ وأن أتحذر معها إلى الفاقة وأهوى إلى الحضيض ، أستطيع ، أستطيع بآركها الله ، بآركها الله » صاح بذلك وقد غمره سيل من الأسى والشجن فقلت له وقد تقدمت إليه وأسكت يده بمحرارة : « صدقني يا أخي وثق أنها سوف تكون كما كانت وخيرا مما كانت . وسوف يكون من دواجي فخارها ودليلا على انتصارها وسييا في استشارة كاهن قواها واستجاشة مدخر عواطفها أن تبرهن فرحة طروبا على أنها إذ أحببتك أحببتك لذاتك ، كان في قلب كل امرأة قيسا من نار علوية يظل كامنا ما أشرق نور أيام السراء فما ينتشر ضياؤه الاساعة يحيم ظلام الخطوب . وما يدري الرجل حقيقة زوجه وأنها راحة صدره والمالك الكريم الذي يحوم حوله حتى يسلك بها غمار الحياة وتصهرها المحن »

لقد كان في صدق تمبيرى وبلاغة لهجتي ودقة تصويري ما أقر فكره الثائر وهذا خاطره الروع ؛ وكنت أعرف من أحوال اقناعه ، فتأملت الضرب على الوتر الذي أشجاء وانتهيت باقناعه بالذهاب إلى بيته والافضاء إلى زوجه بما أحزنه وناء به قلبه

أن تعرف جليلة الأمر عاجلا أو آجلا فلن تمكك كتابته عنها طويلا ، وعندما تظهر لها الحقيقة يوما ما سوف يكون الخبر أشد وقعا على نفسها ، وأكثر إبلا لها مما لو كاشفتها به ، فان لهجة الحبيب تخفف وقع الخبر الشديد ؛ هذا إلى أنك تحرم نفسك هذا السكبان راحة عطفها فضلا عن أنك تبصر فك هذا تخاطر بالرباط الذي يؤلف بين القلوب ، ألا وهو تبادل الفكر حرًا ، وبث الشهور صريحا . ولا بد من أن تكتشف عاجلا أن أسرا يقلق بالك وبكربك ، وليس على الأسرار في النفس مما يرضى الحبيب ، فتشعر عندئذ أنك تبخسها حقها وتنتقص قدرها ، ويسوءها أن ترى أحزانك أنت يا من تحب قد أخفيت عنها « أوه ! ولكن ألا تتصور يا صديقي أثر تلك

الضربة التي سأطرح بها كل آمالها وأمانها ؟ ألا ترى أني سأهوى بقلبها إلى الثرى حين أخبرها أن زوجها قد أصبح فقيرا ، وأن عليها أن تطرح عنها مطارف الحياة وزينتها ، وتترك مباحج المجتمعات وفنتها . وتزرى ممي في عالم الفقر المدقع والظلام المطبق ! كيف أخبرها أنني قد هبطت بها من ذلك الجو الذي تخان فيه ، والذي كان في وسعها لولا ما حل بي أن تظل محلقة فيه في اشراق دائم نورا لكل عين ، وبهجة لكل قلب ، كيف تحتمل الفاقة والمترية ، وقد شبت في أعطاف اليسر ؟ كيف تحتمل الازواء والاهمال وقد كانت مبهود للفتيات ؟ أواه إن ذلك سيحطم قلبها .. إن ذلك سيحطم قلبها رأيته بليغا في جزعه فتركتني يتدق في حديثه فالحديث يسرى عن نفس المحزون ، ويفرج كربة الكروب . فلما هدأت ثورته ، ورأيت أنه قد هدأني هدوءه واستسلم للكتابة عدت إلى حديثي في رفق ولين وأخذت أحثه على البادزق بالافضاء إلى زوجه بذات نفسه وحقيقة أمره فأومأ بالقبول ؛ بيد أنه كان جد محزون

والذي تصلي ناره كل حين توجسا من كشف المستور .
وليس متاعب الفقر شيئا الى جانب متاعب الادعاء
الكاذب وتكاليف السكرياء والتطلع للجب الخاوي .
إن محاولة المحافظة على المظهر الفارغ هي التي يجب
أرتضع لها حداً ؛ فكن شجاعاً في قبول مظهر الفقر
فانك بذلك تجرد الفاقة من سلاحها البتار وعذابها
الآليم » فوجدت من ليسلي تمام الاستعداد لقبول
هذه الفكرة إذ لم يكن فيه ميل للادعاء الكاذب
أوحب للمظهر الفارغ ، أما زوجه فخبنا ما أظهرت
من ميل للسير وفق مقتضيات ما آل إليه حاله

جاءني ذات مساء بمسد ذلك بأيام ، وبعد أن
نحلي عن منزله واتخذ لنفسه كوخاً صغيراً في
القرية على مسافة أميال من المدينة ، وكان قد شغل
طيلة يومه في إعداد أثاثه ، وما كانت تلك الدار الجديدة
تتطلب من الأدوات إلا القليل البسيط ، وكان قد
باع الأثاث الفاخر أثاث منزله السابق إلا أنه أبقى
قيثار وزوجه وقال : أنه احتفظ به لأنه قريب الصلة بها
متصل بأقصورة هواهما ، وأنه يذكره ببضعة لحظات
من أحلى لحظات هيامهما ، حين كان يبيل الى القيثارة
ويستمع الى صوتها الشجي الحنون . فسا وسمعي
إلا الابتسام لما ينطوي عليه هذا الزوج اللئيم من
فروسية ووفاء . لقد كان ذاهباً الى الكوخ حيث ترك
زوجه تقوم بأعداده ، ولما كنت مشوقاً الى تتبع
قصة هذه الأسرة وكان للساء جيلاً فقداً اقتربت أن
أحببه . ولقد كان متمباً لما بذل في يومه من جهد
فسار وقد انتابته نوبة من التفكير الحزين . وأخيراً
صعد من بين شفتيه زفرة عميقة وقال : « مسكينة
ماري ! » فقلت له : « وما دهاها ؟ هل أصابها شيء ؟ »
فقال لي : « وقد آتني إلى بنظر قولم » : « كثير عليها
أن تنحدر إلى هذا المكان الوضيع ، وأن تحبس
في هذا الكوخ الشنيع ، وأن تضطر إلى معاناة

ولابد لي من أن أعترف باني على رغم كل ما قلت
كنت قلقاً غير مطمئن الى النتيجة ، إذ من يستطيع
أن يعتمد على جلد من عاشت كل حياتها بين اللو
والسرور ؟ ليس من المحتمل أن تمرد تلك النفس
الطروب عند ما ترى ذلك المنحدر المظلم الذي شقه
البؤس فجأة أمامها ؟ أو ليس من المحتمل أن تظل
روحها المرحمة متعلقة بالأفاق المشرقة الخلابية التي
ظلت حتى الساعة تسمد بها ؟ وما أمر الضيق بعد
السمه لمن أجوا مستحدث الأزياء وطريف الملاهي ،
فان الفاقة لتجلب لهم من الآلام البرحة ما لا يحسه
غيرهم من الناس . وبجمل القول اني لم أستطع أن
أثني صديقي في الغد إلا وأنا مشفق مضطرب وكان
قد أفضى إليها بدخيلة نفسه وحقيقة خطبه
« وكيف تلقت الخبر ؟ »

« كاللاك ، حتى لكأما كانت فيه راحة فكرها ،
فطوقت عني بذراعها وسألتني : أهذا كل ما أحزنك
طيلة هذه الفترة الأخيرة ؟ » ثم أضاف الى ذلك قوله
« إلا ان الفتاة المسكينة لا تستطيع أن تتبين ما لا بد
لنا من ملاقاته من تبدل حال بحال . انها لا تعرف
الفقر الا تصورا مما قرأت عنه في شعر الشعراء ،
لا يوجد إلا محاطاً بالحلب مقرونا بالهوى ، انها لم تسمع
بعد بانما فقدنا شيئاً ما إذ لم تمان بمسد الحرمان مما
ألفت من الناعم والمطارف ، ولكن التجربة الحقيقية
ستكون عندها تصادم بالوقائع وتآني وضيق المشاغل
وتافه الحاجات ورقة الحال وسوء المال »

فقلت له : « أما وقد انتهيت من مكاشفتها
وتلك هي الهممة الشاقة فانك ستجد عما قريب سرّاً
خفياً يبدل أمامك الحياة فتراها تسير بك من حال
الى حال أنها وأسعد . نعم إن الكشف عن الخبر
المستوم قد يؤلم إلا أنه ألم ساعة يزول ، وأما
حرقك على البكتان فهو الكرب الذي لا ينتهي

مشقة العمل في هذا المسكن التمس

« هل تأملت من هذا الانقلاب ؟ »

« تأملت اكلاً ، لم تبارحها عذوبة روحها وصفاء نفسها حتى ليبدو عليها أنها أكثر مرحاً وسروراً مما كانت عليه في أي وقت آخر . ولقد كانت كلها حباً ، وكلها عذوبة ورقة ؛ فكانت راحة قلبي وبهجة نفسي » فقلت متمججاً : « يا لها من فتاة تستحق الإعجاب ! أو تدعى أنك فقير يا صديقي وأنت لم تكن أكثر غنى منك اليوم ، إذ لم تنكشف لك قبل اليوم جوانب تلك المنظمة التي لاحد لها والتي أنعم الله عليك بها في شخص هذه المرأة »

« أوه ! ولكني لأستطيع أن أستريح يا صديقي حتى يمر بسلام أثر اللقاء الأول لهذا الكوخ ؛ فهذه أول مرة تصطدم فيها بالواقع وتجرب فيها الحقيقة المرة ، واليوم فقط تلج مسكناً وضيقاً تسكده فيه طيلة يومها في إعداد فقير لوازمه ؛ واليوم فقط تذوق متاعب الأعمال المنزلية ؛ واليوم فقط ترى نفسها وقد حرمت الطارف ، وفقدت المنع ، وفارقتها النعيم ، وذهدت عنها الراحة ، ولماها مجلس الساعة متعبية كثيفة تفكر في أمر ذلك الفقر المقبل الذي تستصلي مآره وتلقى أذاه » ، ولقد كان فيها قائله شيئاً من الصدق وكثيراً من الاحتمال لم أستطع أن أناري فيه ، فسرنا صامتين

اثنين من الطريق العام إلى متعطف ضيق ألقت عليه أشجار الغاب ظلاً كثيفاً أوضح عزلة ذلك المكان ، وقد ظهر المنزل قبالتنا تبدو بساطته خليقة بأعجاب أشد الشعراء شغفاً بالريف وإشراقاً للبساطة ، وإلى جانب تلك البساطة تجلي جمال المنظر الريفى ، إذ امتدت على جانب من الكوخ كرمة برية غمرت بكثيف من ناضر الأوراق كما ألقت عليه الأشجار الشجواء فينان الأغصان ورشيق

الأفنان ، وقد ظهر حول الباب وفي مدخله المخوضر عديد من أوراق الزهر نسقت تنسجماً فيه سلامة الذوق ، وانفرج الباب الخارجي الصغير عن بحر شق بين الأعشاب يؤدي إلى الباب الداخلي فما كدنا نبلمه حتى سمعنا نغماً موسيقياً ؛ فأمسك ليسلي بيدي فوقنا نستمع إذ كان الصوت صوت ماري تنقي في بساطة رائحة مقطوعة من المقطوعات التي يحبها شمرت بيد ليسلي تضطرب في ذراعي ووجدته يتقدم ليستطيع أن يستمع بوضوح ؛ فكان لوقع أقدامه صوت على المرمر المصوف ؛ فأطل من النافذة وجه مشرق جميل مالبث أن اخفي وسمنا خطوات رفيقة ، وأقبلت ماري للقبانا مرتدية ثوباً رقيقاً جميلاً أبيض اللون ، وقد وضعت في طيات شعرها الجليل بضعة زهرات برية ، وقد علت التضارة والرواء وجهها وتوردت وجنتاها وأشرق بالانقسام عيها ، فما رأينا قط أكثر منها امتعاشاً مما بدت عليه في تلك اللحظة ، فهتفت : « عزيزى جورج ، كم أنا مسرورة بقدموك ! فاقدر طال انتظارى إليك ، ولقد كررت إلى المنعطف أبحث عنك . لقد أعددت المائدة تحت دوحة جميلة خاف الكوخ ، وجمعت لك بعضاً من أطيب ثمار الفرولا التي تحبها ، ولدينا إلى جانب ذلك قشدة ممتازة . إن كل ما هنا عذب وهادئ » ثم وضعت يدها في يده ونظرت إليه منسرحة وقالت : « أوه ! ستكون سعيدين كل السعادة »

فقلب ليسلي على أمره ، وضمها إلى صدره وطوقها بذراعه وقبلها ثم قبلها ولم يستطع الكلام ، وغلبته الدموع فلأت عينيه . ولطالبا أكد لي أنه رغم ما أصابه بعد ذلك من ندمي ورغم ما انتهى إليه من خير وسعادة ، فإنه لم يشعر قط بأعذب ولا أسعد من تلك اللحظة التي غمره فيها من النبطة والسعادة ما لا سبيل إلى وصفه ولا حد لجماله . حين محمد طلس

المريض

للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني



لينها ؟ وكيف جف وتصاب جسمها الذي كان
بالأمس رخصاً ؟ وجاوز الأمر التثاؤب الى التبيس
فأحس أنه ثقیل على نفسها ، فكف عن الدرس ،
وراح يسأل نفسه : « كيف حدث هذا ؟ لقد
كانت أول يوم خفيفة مرحة ، وكان فيها لين
ومرونة ، وكان الجال يضحك بوجهها ، ويضيئه
نوره ، فهل ترائي أذويتها وأخذت هذا الضياء ؟ »
وضاق صدره ، وهو جالس ، ولم يحتمل كل
هذا الجال الذي يخالبه ، فصفق وطلب كأساً من
الويسكي ولم تكن الخمر مما يحب ، ولكنه خالف
عادته ، لعل الخمر ترفع هذا الذي جثم على صدره ،
وشرب الكأس بلا مزجج ، صرفاً ، بغير تقطيب
وطلب أخرى ألحفاً بالأولى ، وثالثة شبعشعها
بالصودا ، فقد أحسن أنه صار أخف وأقوى ، وأن
الحجر الذي كان على قلبه قد انحط ، فقد صعد
الشراب الى رأسه ، فرفع عينه وأجلها في الغيتات
السائرات وراح ينقدهن أيضاً ، فهذه صدرها أعلى
مما بنيت لمن كان لها مثل عودها ، وتلك محصومة
لا تدي لها ولا خصر ولا ردف . وهذه الثالثة
بدية التكون ، ولكن ينقصها أن تكون خطوط
جسمها ألين ، والرابطة . . أوه ما شاء الله . .
لقد تحسن النسل جداً في هذا العصر . أين من
هؤلاء أمهاتنا اللواتي كن يخرجن ملفوفات في

جلس سالم في (الأمر يكن) مطرقاً ينظر الى
كعب حذائه الذي صفه له الرجل منذ دقائق ،
وكان يحركه كأنما يريد أن يحفر حفرة في الأرض
الصلبة . وكان كرسيه قريباً من رصيف الشارع ،
وكان غاصاً بالفاديت والرائحات من كل فائنة ممشوقة
الفرام ، ولكن عينه لم تكن إلا بين بل الى الأرض
وكان في الحقيقة يديرها في نفسه ، ويتساءل :
« لما ذا خلت حياتي الى الآن من المرأة ؟ »
ولا يهتدي الى جواب لسؤاله ، فقد كان في السابعة
والعشرين من عمره ، وكان ماله كثيراً ، ولا عمل
له إلا اتفاق هذا المال - إن صح أن هذا عمل -
وكان يحس أنه ليس حياً بالمعنى الصحيح ، وينكر
من نفسه اقتباضه عن الخلق ، وحياءه وخجله من
المرأة . وتذكر ، وهو جالس راجع نفسه وبتهما
بالضعف وعدم الصلاح للحياة ، أنه حاول مرة أن
يتعلم الرقص وكانت معاملته رشيقة خفيفة فاستقبلته
أول يوم بالابتسام والترحيب ، وعلمته خطوات ،
وكان يحسها لينة مؤنسية ، ولكنه لم يعمل باله الى
ذلك ، وإن لم يفته الشعور به ، بل أقبل على الدرس
جداً كأنما الدنيا ليس فيها غير قديميه ، فما أضحى
وقتها ! فلما كان الدرس الثاني ، دار معها دورات
لاحظ أنها انقلبت جامدة ، وأنها صارت كأنها
ناعمة ، فقد كانت تتأهب بالفعل ! فمجب أين ذهب

وَأدهش سألًا أَنْ الفتاة نظرت إليه كما نظر إليها ،
وَأنها لم يسوِّها تحديقُه في وجهها ، بل ابتسمت
هي أيضًا ، وتَأملته كأنما تفحصه أو تجمعه بينها
ثم انصرفت عنه ومضت في سبيلها ولم تلتفت بمد
ذلك وِراءها أبدًا . وكان عهدها بالفتيات أَنهن
لا ينظرن إليه ، ولا يقعن له وزنًا . وقد تلتق عينه
بمعين إحداهن اتفاقًا ، لا عن عمد منه ، فسا كان
يجرؤُ على ذلك ، فتحول وجهها كأنما رأت ما تكره
فساكن يعجب ويسأل نفسه : « ماذا يأتري يمتصني
إلَهن ؟ أأنا دمى ؟ فأتى أرى أشد الناس دمامة
تمشقه فتيات سديجات الوجوه مدهشات ! أم
أنا ثقيل الظل ؟ ولكنى لا أقول ولا أفعل شيئًا .
فإذا برين من ثقل ظلى إن كان ثقيلًا ؟ (ويمر عليه
أن يقر على نفسه بثقل اللذم فيقول) أظن أنه ينقصنى
شيء . . . ولكنى ما هو ؟ (ولا يستدى إلى النقص
فيقص يائسًا)

ولم يخطر بباله هذا المساء أن به نقصًا ، أو أن
ظله ثقيل ، أو أنه دمى ، فقد صرفه عن ذلك
ما شرب على خلاف عادته . وكانت ابتسامه الفتاة
حسبه مطيرًا لساكن هذه الخواطر الثقيلة من رأسه ،
فزدد الجاكنة ونفض وِراءها يريد أن يدركه .
وكانت أسرع منه ، ولكنه غوص ذلك بقوة
الارادة ، وصحة العزم ، وإذا بها تقف أمام مدخل
عمارة ضخمة عالية ، على الجدار إلى جانب بابها
الواسع لوحات كثيرة فقال وهو يهيج : « سيدة »
فنظرت إليه مليًا ، وحدثت نفسها أنه السكران
الذى كان يقف في الشارع ، وخطر لها أن تنق
إسقاطه فقالت : « سيدة » وكانت السكرة قد
راحت ... ظارت في الهواء .. ولم يبق في رأسه
إلا الرغبة في معرفة هذه الفتاة الجميلة بأى عنن ،

الملاعات ، وكأَنهن منها في غمرات أو زكايب ؟
وقرت عينه بهذه المناظر وزايله الشعور بالسكد
والحرمان ، وأَنس من نفسه قوة وجراءة لا عهد له
بهما ، وكانت هذه نشوة ، ولكنه لم يكن يعرف ذلك
أو يظن إليه ، وكان الشراب قد أدار رأسه ، فنهض
بتمشى ووضع طربوشه على رأسه بغير احتفال ،
وكان الزر الى الأمام ، وكان ربما أطرق وهو سائر
على عادته ، ولكنه في هذا المساء استطاع أن يرفع
رأسه ، وكان حين يفعل ذلك فجأة يلح الزر
فيضحك ويضربه بأصبعه فيدور ثم يستقر بعض
خطوه فوق الطربوش والباقي يتدلى على مستداره
فيضحك كرة أخرى ويهز رأسه مسرورًا ، ثم يروح
يقنى ، لا بشمر أو نحوه ، بل ببعض ما يدور في
نفسه من الخواطر ؟ وكان تلحينه مبتكرًا لا تشوبه
شائبة من التقليد ، وكان في الواقع أشبه عن يقنى
نفسه في الحماة ليتلى ، ولم يكن يحس أن في
الدنيا ناسًا يروحون ويحببون ويستفرون حاله
وينظرون إليه ويتسمون أو يقطبون . وكان هو
بصبح - وفي ظنه أنه يهمس - كل بنت تحب
أن تحب . - يا سلام . . . تمام . . . لن تأكلنى
أمرأة . . . أبدًا !

وأجال عينه وهو يتبسم راضيا عن نفسه وعن
الدنيا التى حَلَّت فجأة في عينه ، فوقت على فتاة
أيقن حين رآها أنها أجمل من خلق الله . ولا شك
أنه كان مبالغًا ، ولكن الحقيقة أنها كانت جميلة .
وكانت وسطًا لا بالطويلة ولا بالقصيرة ، وغضة
هيفاء لاهزيلة ممروقة ، ولا بدنية يلح عليها اللحم ،
وسبراء ولكن شعرها ناعم وحف ، وذهي مرسل
لا يبدو أن شيئًا يحسك من مشابك أو نحوه ،
وكانت خطرتها قصًا بلا تكلف ، ومشيتها انسيابًا ،

التي احتسأها قوت ضعفه . وثبتت جناحه فزعته من أن يكون هذا آخر المهد بها ، فالحق بها كالجنون ، وإذا بها تدخل عيادة الدكتور جميل . . . ولم يكن قد عني بأن يعرف أى طبيب هو ، ولكن ما قيمة هذا ؟ . . . وجلس في غرفة أشار إليها الخادم ؛ وكانت غاصة بالخلق فتشهد لأن هذا خلق أن يتيح له أن يطيل المكث حتى يرى الفتاة مرة أخرى أو تمنح فرصة لـ . . . من يدري ؟ . ثم نهض وراح يتمشى في الردهة ، فقد كان يحس أن السكون شاق ، وخرج الخادم في تلك اللحظة من غرفة السيدات ، فأومأ إليه وناولته عشرة قروش وشرع يلقى عليه سؤالاً بعد سؤال ، لا عن الدكتور فما كان يعبأ به شيئاً ، بل عن المارة وملك من هي وأجرة الشقة فيها ، كأنها كان ينوي أن يشتريها ، ثم وثب فجأة وبلا مناسبة إلى السؤال عن الفتاة التي جاء وراءها ، ولم يتمدح على الخادم أن يعرفها لأن سالماً وصفها وصفاً دقيقاً وإن كان لم يخل من المبالغة ، ثم لأنها كانت آخر من دخل قبله ، فما راعه إلا قول الخادم : « آه الرئيسة خديجة ؟ » فدهش سالم وسأله : « عمن تتكلم ؟ » قال الخادم : « عن الرئيسة خديجة ؟ » فسأله سالم : « ماها ؟ » فقال الخادم : « ألم تكن تسأل عنها ؟ » فقال باستغراب : « هل سألتك عنها ؟ » قال : « آه ! هذه هي خارجة » وكان هذا صحيحاً ، فهم بأن يتبعها ، ولكنه أحجم فقد صار حسبه أن الخادم يعرف من هي ، ثم سأله : « هل قلت الرئيسة ؟ الرئيسة أين ؟ » قال : « في مستشفى الدكتور » فسأله : « هل للدكتور مستشفى خصوصي ؟ » قال الخادم : « طبعا أحسن مستشفى » فسأله : « ماذا يعالجون فيه ؟ » قال : « كل الأمراض » وهم بأن

فتظاهروا بأن يتأمل اللوحات الكثيرة وقال : « أظن أن عيادة الدكتور جميل هنا ؟ » وأشار إلى اللوحة التي تحمل هذا الاسم . فابتسمت وصرها أنه يتكلف البحث عن اسم طبيب ليخلق موضوعاً للكلام ، وخيل إليها أنه ليس بسكران كما توهمته ؛ واعترفت أنه وسيم مليح القصات فقالت : « ربما .. من يدري ؟ » فقال : « إذا لم يكن .. أى هؤلاء أحسن ؟ هل لك أن تشيرى على ؟ » ولم يكن يريد أن يقول ذلك ولكنه قاله بلا تفكير ، فلم يسمها إلا أن تضحك ثم قالت : « هل أنت واثق أنك تريد أن تدخل عيادة طبيب ؟ » فقال : « بالطبع . إلى مريض جداً .. لا أدري كيف عشت إلى الآن .. كيف أمكن أن أعيش » وأحس وهو يقول ذلك أنه ليس خير ما يقال لفتاة جميلة يرجو أن يستميلها إليه . وماذا تصنع فتاة بمسشفى متحرك ؟ ولكن السيف سبق العذل . وسمها تقول — كأنها كانت تقرأ خطاؤه — « مسكين ! ألا يحسن أن تذهب إلى مستشفى ؟ » فقال بسرعة ، فما كان يعنيه إلا الكلام والسلام : « والله فكرة ... هل تعرفين مستشفى ؟ » ولم ينتظر جوابها بل اندفع يقول : « اسمي . من أنت ؟ . من عسى تكونين بنض النظر عن كونك أجل فتاة على ظهر الكرة الأرضية ؟ » غمقلت في وجهه ، وقد أدهشها جرأته ، ولكن لهجة الجد والاخلاص لم تفقها ، ومنعتها أن تغضب ، وأقنعها أنه يقول ما يعتقد فابتسمت واكتفت بأن تقول : « اسمي لى ... » ودخلت المارة وتركته واقفاً ، فتردد وطوده الحياء القديم الذي أفسد عليه حياته ، فقد كان ذهائبا ، هكذا فجأة ، صدمة كادت تضيق تشجيع الابتسامة التي أجرت وراءها ، ولكن بقية من الكؤوس

فقال الدكتور : « بالطبع المستشفى أحسن وأضمن ، ولكن المسألة متعلقة بك »
فكاد سالم يرقص من الفرح وقال : « حـلـ أستطيع أن أدخل الليلة ؟ »
فسأله الدكتور بدعشة : « الليلة ؟ ولم هذه المجلة ؟ »

فقال سالم : « خير البر عاجله ... شيء لابد منه لماذا تؤخره ؟ إلى أكره التلكؤ والبلادة والتردد ... نعم الليلة »

قال الدكتور وهو يتأمل : « حسن ، سأرى إنك أغرب مريض رأيته ... لا يبدو عليك أقل إدراك لخطورة حالتك »
قال : « بالعكس ... أنا واثق أنها خطيرة جداً وأنها ستكون أخطر إذا بقيت خارج المستشفى دقيقة واحدة »
قال الدكتور : « كما تحب »
وتناول التليفون

كانت مصحة الدكتور جميل بك في حي هادي محيط به البساتين ، وكان النظام فيها دقيقاً والعناية شديدة بالمريض ، وكان فيها درجتان اثنتان ليس إلا ، فليس للفقير فيها محل ، ولا يحتاج أن يقول إن سالماً آثر أن ينزل في الدرجة الأولى ، لا حباً في الوجهة أو القصفخة ، وإن كان ماله كثيراً ، بل لأنه أراد أن يكون أقرب إلى الريسة خديجة وأدنى وسيلة إليها . وكان رأى الدكتور جميل فيه قد سبقه إلى المصحة ، فلم كل من فيها أن مريضاً مدناً قد يصبح هامة يوم من الأيام في شهر من الشهور القليلة قادم ليقيم في المصحة ويراقب ويعالج ما أمكن العلاج ،

يسردها ، ولكن سالماً قطع عليه السلام بأن دس في يده عشرة قروش أخرى وقال - أوصاح - « هذا أحسن طبيب وأنا أسعد الناس » فقال الخادم : « الله يشفيك يا بك ! »

وجاء دور سالم فدخل على الدكتور جميل ، وكان طويلاً مديد القامة ، وشاباً ولكنه يؤثر أن يترك عثنته ليزيد وقع علمه وفعل طبه بوقار الشيخوخة المستمار

وسأله الدكتور : « مالك ؟ »
فابتسم سالم وفرك كفيه ، وراح يصف الأمراض التي يسمع بها ولا يعرفها ، ويزعم أنه مصاب بها جميعاً وفي وقت مكا . وكان الدكتور يصني إلى وصف حالته وآلامه فيقطب ، ثم يزداد تقطيباً ، حتى صار جبينه كالخضير ، ولما فرغ سالم من الوصف نهض الدكتور وزام وهو يتمشى وقال « ارقد هنا »

وخصه بمنأى وجمل وهو ينقر على بطنه ويتحسس أمعائه ويضبط هنا وهناك وبزوم وهز رأسه أسفاً ، وسالم يرى ذلك فيخفق قلبه طرباً ، ثم قال الدكتور : « اليس ثيابك ... واسمع ... »
فأقبل عليه سالم بوجهه وقال : « نعم نعم ؟ »
فقال الدكتور : « إلى آسف ... مرضك صعب ويحتاج إلى عناية شديدة ووقت طويل ... والنتيجة (وهن كتفيه) لا أدري ... قد تشفى أو لا تشفى ... »

فسر سالم جداً وقال باللهفة : « ألا ترى يادكتور أنه يحسن أن أدخل المستشفى لينتظم العلاج ويؤمن الخلط ؟ »

فقال لها : « إسمي ... متى تكون الريسة خديجة هنا ؟ »

قالت : « غدا صباحا ... لماذا ؟ . هل تعرفها ؟ »
قال : « لن أعرف أحدا إذا لم أعرفها ... »
أخبرها أني أريد أن أكلها قبل أن تغير ثيابها ...
مفهوم ؟ »

خدعت الريسة نفسها أن مريضا مثله مشفيا على التلف جدير بأن يجاب الى رجاها كهذا لا ضير منه ، وفي هذه اللحظة جاء من يدعو الى التليفون فذهب وتناول الساعة وقال :

« إسمع يا دكتور من فضلك ... إني لا أحب أن أرى حولى ناسا وجوههم بيضاء ... السمرة هي اللون الذي أحبه ولا أطيق سواه ، فإذا لم يكن عندك ممرضة أو ... أو ... أو ... ريسة سمراء فاني أخرج الآن ... لا يمكن أن أبقى ... لا فائدة من أي علاج ... »

فقال الدكتور : « أوه لا تخف ... اطعني ... سيجد لك ممرضة سمراء ... انهن كثيرات »

فصاح في التليفون : « لا لا لا لا . ليست كل سمراء صالحة ... سمراء واحدة هي التي يمكن أن أطمئن إليها وأرضى أن أضع نفسي بين يديها »
فسأله الدكتور : « من هي ؟ »

قال : « لا أدري ... لقد رأيتها في منأى ... وأحلامي كلها صادقة ... لا يكذب واحد منها ... ومتى رأيتها عرفتها ... فإذا لم تكن هي التي بدت لي في حلمي ، فلن أبقى دقيقة واحدة هنا ... وهذا شرط لا سبيل إلى النزول عنه »

قال الدكتور ملاطفاً : « سنرى غداً ... انتق من شئت من عندنا من السمراوات »

فلما رأوه يدب على الأرض وهو داخل كأنما هو ذاهب الى مرقص ، وبصر وهو يمشي ، ويدبر العصا بين أصابعه ، دهشوا وهبتوا وخيل إليهم أن في الأمر خطأ وأن من الازعم أنه هو المريض وجاء بدلاً منه . وفر كوا عيونهم التي لم يصدقوها وأحاطوا به - رجالاً ونساء - وراحوا يصعدون غيوتهم الى وجهه ويصورونها الى قدميه ، ثم ينظرون بعضهم الى بعض مستغربا وأفواههم مفتوحة من فرط الدهشة ... أهدأ هو المريض الذي يخشى على حياته من الفساد الذي في معدته وأمعائه ؟ ... الفساد الذي لا يكاد يكون له علاج ؟ ... أهدأ هو الذي يدبر عينه فيهم كأنما يفتقد شيئاً لا يراه ولا يدري أين يلتصقه ؟ ... لو كانت المظاهر تصدق لكان هذا خليفاً أن يكون ملاكاً ! فالحق أن الدكتور جيل بك آية من آيات الله ! ... كيف عرف ياترى داءه الدفين الذي لا يشي به مظهره الخداع ؟ ؟
وسألهم سالم ، وهم حافون به في غرفته : « قولوا لي ... هل أنتم كل من هنا ؟ »
قالوا : « نعم »

قال : « إذن هناك خطأ ... أين الريسة ؟ »
وكاد يقول : « خديجة » ولكنه أثار أن يكبح نفسه فتقدمت إحدى الفتيات فنظر إليها معبساً وقال : « أنت ؟ هل أنت الريسة ؟ » ثم خطر له خاطر فأضاف : « الريسة الوحيدة ؟ »
قالت : « لا ... هذه ليلي ... »
قال : « آه ... بالطبع ... أين التليفون ... اطلبوا لي الدكتور حالا »

فطنوا أنه يعانى ألماً باطنياً يتشدد ويتجلى ليكتمه تفرج ثلاثة أو أربعة منهم ، يمدون ، وبقيت الريسة

« اشرب هذا » فالتفت إليها وقال : « اسمي . هل هذا اللبن ضروري ؟ » قالت . « بالطبع . إنه غذائك الذي أشار به الدكتور » فقال : « لا بأس ! من يدك أتقبل أى شيء » ورد إليها الكوب فارغاً فهمت بالخروج فقال : « إلى أين ؟ » قالت : « سيجيء الدكتور بعد قليل فاستعد للقاءه » فسألها : « وما الداعي لحضوره ؟ » أليست قد دخلت المصحة وانتهى الأمر ؟ » فضحكت وقالت : « سيميد خضك »

وجاء الدكتور كما قالت — بعد قليل — وأعاد الفحص وأتمبه به ، وآله أيضاً ، ثم اعتدل بعد طول الانحناء عليه وقال : « خديجة . لا شيء إلا اللبن » فنزع سالم وقال : « ولكي قلت إني أمقته ؟ » فقال الدكتور وهو لا ينظر إليه : « لا شيء إلا اللبن » وخرج

فدنت منه وكان قد أغضض عينيه ، يائساً ، وراح يسأل نفسه : « كيف يمكن أن يمش على اللبن وحده ؟ .. إن هذا سينتهي به إلى ما يتوهم الدكتور أنه مصاب به ولا شك » وأحس خديجة تلصص يده ففتحت عينيه مسروراً فألقاها بحسن تبشيره وسمعهما تقول : « ثمان ؟ » قال : « ميت » قالت : « مسكين .. هل تحس ألمًا ؟ » قال : « كلا . إنما أحس أن دمائي تنفى في عروقي .. خلى يدك على يدي » قالت : « هذا من أعراض المرض .. تترى المرء نوبات من النشوة ... »

فقال : « اسمي ... أليس عندكم شيء من الويسكي »

فصاحت به : « إيه ؟ »

قال : « ويسكي ... جون هيج ... بالصودا » قالت : « إنك أعزب مريض رأيته في

قال : « وتكون لي خاصة .. لا تمنى بأحد سواي .. وأؤذى أنا نفقاتها .. مفهوم ؟ » فقال الدكتور : « لا بأس . لا بأس . مسألة بسيطة . ولكن يجب ألا تغلق نفسك أو تزعمها بأمر كهذا ... سنقبل كل ما ينعمن لتكفل لك الراحة ؛ والآن اذهب ونم » فنام مطعماً ..

وفي الصباح جاءت التي أدخلته المصحة ، ووقفت أمامه تبسم له ، وعليها ثوب أبيض قصير السكين ، أخذت نفسه بنعمة الله عليه ، وقالت له وهي تدبر عينه في الغرفة : « إن ثيابك لا تزال في الحقيبة » ومضت إليها لتخرجها وترصمها في الخزانة فقال : « أوه .. لا تمنى نفسك فاني أستطيع أن أرتبها » فقالت : « ولكن هذا واجبي . إني أفعل ذلك لكل مريض أكون عنده أو أحضر دخوله » فصاح بها : « إذن يجب أن تكفي عن هذا . مريض واحد هو الذي يجب أن تقصرى عنايتك عليه . هذا كان اتفاقاً مع الدكتور الذي قال إنه ليس في مصر كلها إلا فتاة واحدة ياتمنها على » فسرت الفتاة وقالت : « هل قال هذا حقيقة ؟ إذن سأتولى أمرك بالبحار ؟ » فقال : « بالبحار وبالليل ؟ فنظرت إليه وانحنحت على الحقيبة لتخرج منها الثياب وترصمها في الخزانة ، وقالت وهي تفعل ذلك : « إن ذوقك جميل ... هذه الثنانات (البيجامات) بدعية » فسره هذا وحدث نفسه أن البداية طيبة وقالت : « والآن سأخرج وأجيء باللبن » فوجم وطال وجهه ، لسببين : أحدهما أنها خرجت فركد الجو حوله ، والثاني أنها ستجيبه باللبن وليس أبغض إليه منه ؛ على أن غيابها لم يطل ، فقد رجعت بعد قليل وفي يدها كوب وقالت :

« ما معنى هذا ؟ . هل كنت تصنع شيئاً مخالفاً للأوامر ؟ » فقال بابتسامة — فقد ارتاح لما أكل وأحس بالامتلاء — « وماذا أستطيع أن أصنع هنا غير ما ينبغي ؟ » فقالت : « إنه يبدو عليك أنك خالفت الأوامر » قال : « أبداً . كل ما حدث أن حسن هذا جاءني بخبر سار جداً ... فأنا لهذا منشراح الصدر ... اسمع يا حسن ... هات لي كل يوم خبراً ساراً ... إن خير علاج هو الأخبار السارة ... أليس كذلك ؟ »

فأحست خديجة أنها غلبت فسكتت وأقبلت على السرير ترتبه وقالت وهي تفعل ذلك : إن الدكتور أت . ولم تكند تفرغ حتى دخل وأوسمه جسداً وضغطاً وتنقيراً حتى كاد ييجن ، وقال وهو يفعل ذلك : إنه يظن أن في المدة شيئاً غريباً ، فأدرك سالم أنها الفطيرة وكاد يضحك لولا ما هو فيه من الهم . ثم قال الدكتور : « لقد رأيت إبدال اللابن بمصير البرتقال ليس إلا ... ولست أرى داعياً لاجراء عملية .. وسأرى ما يكون . . »

وظل ثلاثة أيام يشرب عصير البرتقال ولا يصل إلى شيء سواه ، لأن الخادم يحجز عن تهريب أي شيء ، فضمف وقلت حركته وبدأ عليه الحزال ، وساء خلقه أيضاً ، مع غير خديجة بالطبع ، كما لا يحتاج أن تقول . وكانت أخبار شراسته مع الممرضات وغيرهن تبلغ الدكتور جميل ، فيزداد اقتناعاً بأن هذه الحالة العصبية التي تنزى بالاعتداء باللفظ أو اليد ما يؤيد صحة التشخيص ويستوجب زيادة العناية والتدقيق . وكان المرء الوحيد الذي يساعد سالم على الاحتمال والصبر ، هو وجود خديجة إلى جانبه أكثر الوقت وقد استطاع بالعنف مع سواها ، وباللألى يبذله للمصحة ولأن فيها

حياتي ! . ألا تعلم أن هذا يقتلك ؟ »
قال : « ألم يقل لك الدكتور إن ميت لا محالة ؟ فإذا بهم ؟ سيان أن أموت بالويسكي أو باللابن ... بالويسكي أحسن ... وألذ أيضاً »
قالت : « تخيل إلى أنك مريض ! »
قال : « سلى الدكتور ... صدقيه إذا كنت لاتصدقيني »
قالت : « لقد أمرني أن أدلك لك معدتك »
قال : « بالطبع ... هذه هي ... إنه دكتور حكيم ... »

ولو أن غذاءه ظل مقصوراً على اللبن لمسات كما قال لنفسه ، وهو يشرب الكوب الأول منه ، ولكن خادمه كان يجيئه — سرّاً — بما يشتهي فيأكله خلسة . فاتفق يوماً أن يدخل عليه الخادم بفطير وكان قد غاب يومين فتصور سالم ، فلما رآه مقبلاً صاح به : « أين كنت كل هذا الدهر ؟ . إني أموت جوعاً هنا » قال : « يا سيدي لا تؤاخذني ... لقد جئت يومين ولكنهم كانوا يغشونني وبأخزون ما ممي ... غير أني استعظمت اليوم أن أغافلهم وقد خبأت هذه الفطيرة ... » فتناولها سالم بسرعة ومال عليها بفمه فلاء بقضمة كبيرة منها ، وأراد أن يقول له اغلق الباب ، ولكن فيه كان محشواً فحجزوا كفتي بالاشارة إليه ، وعرف الخادم المراد فوقف وراء الباب وأسند ظهره إليه لأنه لم يجد مفتاحاً . وأقبل سالم على الفطيرة يأنمهما بأسرع مما كان يتوهم أن في قدرته أن يصنع ، ولم يكد يفرغ حتى سمع نقرأ خفيفاً جعل يقوى . فقد كان يشير للخادم ألا يفتح ديتاً يحس فيه ويبقى على آثار الفطير . ثم دخلت خديجة وقالت :

سالم لم يكن سلوك مريض مدنف مشف على الملاك
وسرها في قرارة نفسها أنه تمارض من فرط حبه
لها وأنه إنما أراد أن يكون قريباً منها ، واشتهت
أن تسمع هذا منه هو ، لا من عمه فقط

ولم يخيب سالم أمهلاً فقال : « صحيح وسأفصح
عليك القصة ... شاب خجول لا يستطيع أن
يكلم فتاة ، فإذا حاول أن يكلمها وقف لسانه في
حلقه ، وماله كثير ولكن ما خير المال وحده ؟
فاتفق يوماً أنه شرب كأسات من الويسكي صرفاً ،
ورأى بعد ذلك أجل فتاة في الدنيا ، ونظرت إليه
الفتاة فابتسمت ، وكانت هي الوحيدة التي رأت
وجهه وابتسمت ، فجربى وراءها ، ولم يكن مريضاً
ولكنه اضطر أن يخترع لنفسه مرضاً يسوغ به
افتحاحه عيادة طبيب ، فاخترع واخترع حتى طار
عقل الطبيب للسكين ، وقد أحب هذه الفتاة حب
عبادة ، وفي مدينتها صبر على الابن الصرف واحتمل
عصير البرتقال ... لها من تضحية !! وهو يحيا
وحده ، بلا أنيس أو إلف ... وبيته موحش ، فهل
تظنين أن الفتاة يمكن أن ترضى بهذا المجنون زوجها
لها ؟ »

وكان الم ينظر إليها معجباً ، وابتسم لها
مشجعاً ، فقالت وقد وقع من نفسها أن سالماً عرض
نفسه للملاك من أجلها « ولكني لست سوى
مرضة ... لست كفتوة لك »

فقال وهو يضع ذراعاً على خصرها : « ستظنين
مرضة ... فقد أسأبتني طفولتي أ ... أ ... »
فضحككت ونهضت عن السرير وقالت : كفى
اختراعاً ... »

وخرج الثلاثة ، بعد قليل ، معاً ...

براهيم هبة القادر المازني

أن يحسبها لنفسه ، وأعان على ذلك أن الدكتور
جميل يطلب عليه ويرثي له ، ولكن الخادم قلق
وأشفق على سيده ، وكان قد رياه وحله صغيراً وظل
معه بعد وفاة أبويه ، فلم يسمه إلا أنثى يفضي
بوساوسه وهو أجسه إلى عمه - عم سالم -
وإن كان سيده قد أمره ألا يخبر أحداً أنه دخل
مصحة . فجاء الم وزار ابن أخيه ، وألح عليه أن
يفضي إليه بالحقيقة وأن يطمئن قلبه ، فقال له سالم
إنه يخبر ، ولا خوف عليه ، وأن كل ما في الأمر
أنه « مريض جداً » !! فضحك الم ، وكان ظريفاً
كيساً ؛ وقال لابن أخيه ، إذن قم والبس ثيابك
واتفق أن خديجة كانت في ذلك الوقت تهم
بالدخول ، فلما رأت هذا الازاثر وقتت ونظرت منه
إلى مريضها ، وحقق فيها الم والتفت إلى ابن
أخيه وسأله :

« أمي هذه ؟ »

فهم سالم رأسه أن نعم

فقال الم : « إنك معذور ... »

وكانت خديجة تسمع هذا الحوار وتتعجب ،
ولا تفهم شيئاً ، فأشار إليها سالم أن تدنو وأن
تجلس على السرير ، فترددت ، فالح ، فأطاعت ،
فقال لها :

« هذا عمي . إنه كارتين ، لا يخيف ... وهو
يدعوني إلى الخروج من هنا ، والعود إلى البيت ،
وأنا أصر على البقاء ، لأن حياتي هنا أملاً وأمتع ..
إلا إذا قبلت أن تذهبي معي إلى البيت »
فقالت : « ما ذا تقول ؟ لست قاهرة »

فقال الم : « يا ستي هذا مريض ضريف ..
تمارض من أجلك »
فنظرت إليهما كالذهولة ، وتذكرت أن سلوك



وتفضلوا بقبول هجري

للقصص المرسى سالكيرف

بشلمر الأستاذ عبد اللطيف النشار

دهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل كان مارأيتاه حلماً ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوتن هل هو في حلم أو يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفه المحيط أيضاً ، فبكيا لأول مرة بعد أن أتى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فراه لا يبردى غير قريح النوم ، وقد علفت في جيده صفحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة ؛ ولكن من لنا بها الآن ؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال : « ما الذي نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريراً فكيف نثبت به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذي يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب ترفقاً وأنت تذهب غرباً ، ثم نمود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدهنا إلى رأى تشاورنا فيه » وهنا اختلفا في ترف الشروق والترب وتدكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تترف الشرق فأجعل الشمال أمامك ، فالذي على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما في دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هذا عبثاً

كانافي وقت ما يشغلان منصبتين من مناصب الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « شحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما ينقلهما إليها بساط ساليان وكانا قد قضيا عمرهما في ديوان حكومي نشأ فيه وتربيا وشابا ؛ وكانما قد ولداه أيضاً . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شيء لا يتصل بأعمالهما . وكل الذي يدرانه ينحصر في الصيغ الديوانية المألوفة التي تنتهي بهذه الجملة : « وتفضلوا بقبول احترامي »

لكن هذا الديوان أتى وأقالتهما الحكومة فهاجرا ، بعد إذ أطلق سراحهما ، إلى شارع بوديشسكايا في بطرسبورج . وكان لكل منهما فيه منزله وطاهيه ومماشه

ولما استيقظا من النوم في الجزيرة التي « شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع في البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذتا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجري على عادته قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذي رأيته ليلة أمس يا صاحب السعادة ؛ لقد رأيت في الحلم أتى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضاً ، وقال في

سمك وسماني وأرانب وفاكهة وأن ليس في مقدورهما الحصول على شيء منها
قال أحدهما للوظفين: لا أعرف كيف نعيش هنا؟
إننا حتى لو استعملنا الحصول على طائر فكيف نذبحه
وننظفه ونطبخه؟ كيف يحدث كل ذلك؟
فأجابه الآخر: «إنني في الحق لا أفهم كيف
يحدث كل ذلك»

ثم عادا إلى الصمت وحاولا أن يتاما، ولكن
قبل أن تنتمض عيونهما مر سرب من السماني
فتخيلاه وهو مقلي على الأطبق. وقال أحد
الوظفين: «لقد هجمت من شدة الجوع أن آكل
حذائي» فأجابه الآخر: «إنني سأمنص جوربي»
ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شر كأن نفسه
تحده بأن يأكل صاحبه؛ ثم صرخ كل منهما صرخة
جنونية كأنها عواء الذئب. وقال الموظف الذي
اشتغل مرة بالتدريس: «أظننا لن ننتظر حتى
يحاول أحدهما أن يأكل الآخر» فأجابه: «وكيف
نفعل؟ إننا بلا ريب سنلاق الموت؛ فما رأيك
يا صاحب السعادة؟»

قال: «يجب أن تقطع الوقت بالحادة، وإلا
فان واحدا منا سيبأكل الآخر لا محالة» فأجابه
الموظف الآخر: «ولكن ماذا نقول إذا ابتدأنا؟»
قال الموظف الذي كان مدرسا: «قل لي لماذا
تشرق الشمس أولا؟ ثم تغرب؟ ولماذا لا يكون
العكس؟» فأجابه الآخر: «هذا سؤال مضحك
يا صاحب السعادة. إن الشمس تشرق لكي نستيقظ
ويذهب كل منا إلى الديوان، ثم تغرب لكي ننام»
قال: «ولكن لماذا لا نفترض العكس فنذهب
عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم، وعندما
تغرب الشمس... فقاطعه الآخر قائلا: «إن

(٥)

وقال أحدهما: «أرى يا صاحب السعادة أن
يذهب أحدهما إلى اليسار والآخر إلى اليمين»
وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله
في دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتما ما، فهو
لذلك أذكى قليلا من صاحبه
وكان كما اقترح. أما الموظف الذي ذهب إلى
اليمين فوجد أشجاراً تحمل كل أنواع الفاكهة؛
وكان بوله يستطيع تناول تفاحة، ولكن البحر
كان شديد الملو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا
تسلق الشجر. وقد حاول أن يتسلق إحداها،
ولكن ذهبت محاولته سدى. وكل الذي نجح
فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئا بالسمك، فتمنى
لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع
بود شسكايا. ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى
لما به. ومضى في الغابة فرأى كل أنواع الطيور
والأرانب والنزلان فقال:

«يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على
الحصول عليه!»

واشتدت عليه وطأة الجوع. وعاد إلى المكان
الذي اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده في انتظاره
قال: «ماذا وجدت يا صاحب السعادة؟»
فأجابه صاحبه: «لم أجد غير عدد قديم من جريدة
الوقائع الرسمية». فأخذ يحده عما وجده هو.
وجلس الموظفان، ثم حاول كل منهما أن ينسام
ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقا
شددا. وكان من أسباب الأرق أيضا تفكيرهما
في المأش المرتب لكل منهما، وفيمن يتقاضاه
عنهما الآن فيمتنع به دونهما. وكان من أسباب
الأرق فضلا عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من

السعادة ؟ وأى صنف من الخدم نبحث هنا ؟
فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن
يمد لنا الطعام وأن يصيد السمك والسماك ويطبخهما »

قال : « هذا حسن ولكن كيف نبحث ؟ »
فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان .
لنأخذ نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد
أن يكون هنا خادم على الأقل »

الحائز الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل
منهما لبحث عن خادم . وطالت مدة بحثهما ،
ولكنهما لم تذهب سدى ، فقد وجدا في النهاية
رجلاً أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز
وهو قائم تحت شجرة ؛ فلكزه صاحب السعادة
وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكد
نموت من الجوع . قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول
ما هم به أن يفر ، ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم
المسكين للقدر المقدر عليه ، وصعد بالأمر وتساوى
شجرة تفاح فجعل للسيد الجديد خير ما فيها .
وقطف تفاحة توشك على الفساد ، فجعلها لنفسه .
ثم نزل عن الشجرة ، فجعل مقداراً من البطاطس
وأوقد النار بضرية حجرين في وسط هشم وطبخ
البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد أرنباً فأضافه إلى
الطعام . وصاد كذلك زوجاً من السمك ؛ فأدرك
الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا
الخادم . ونسوا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل .
وقال كل منهما للآخر : « ما أسعد حياة الموظف ! »

وقال لها الخادم : « هل أنا مسروران ؟ »
فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »

قال : « فهل تسمحان لي الآن بأن أستريح ؟ »
فقالا : « نعم على شرط أن تأتي لنا بمجلد أولاً » فذهب
وجمع أليافاً طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها حبالاً

هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس
يجعل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها
يجعل الإنسان على طلب المشاء »

وقد أنشدت كلمة المشاء للمحادثة لأنها هاجت
جنون الموظفين الحائزين ، فقال أحدهما : « إن أحد
الأطباء قال لي إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في
جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لأفهم ماذا تعنيه »
قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة
من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بفض حتى
تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا
يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان في النهاية إلى طعام جديد
ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال :
« إذن فالعبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »
وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث
لا يؤدي إلى الفرض الذي يقصدان إليه ، بل هو
يزيد من شؤيتهما فقررا أن يتوكا الحديث ؛ فلما طال
بهما الصمت تذكر أحدهما الواقع الرسمية فتناولها
ليقرأ فيها لمصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى
— وهي خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ،
فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخذ
يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد
انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام
ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة
لا تتعلق بدائها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره
أيضاً . فأطرق كلا الرجلين وتماثبا تآؤباً مؤلماً

ثم برقت عينيا صاحب السعادة إذ خطر بباله
خاطر سعيد . ووقف فجأة ليعلم استكشافه وصاح :
« ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فإذا
تقول إذا أتينا بخادم ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف تأتي بخادم يا صاحب

المزول المجاور للديوان الذي كانا به ولم يكن من السطوع طبعاً أن يطلب هذان المواطنان الى الخادم شيئاً فيتردد ضناً منه بلذتهما وسروهما ، ففكر في الوسيلة المؤدية الى عودتهما ، وصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة ببعضها الى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده تسيير السفينة

وأبدت الرحلة : فكانا يلعبانه ويلعبانه بأقبح الألقاب كلما ظنا أن حياة اثنين من الموظفين ستعرض للخطر في سفينة هذا الخادم وكان يقول : « لا تخافوا يا صاحبي السعادة فاني وسائر الخدم معتادون تسيير هذا النوع من السفن كلما أردنا الفرار من خدمة السادة

وكان البليدان لا يمانان شيئاً في السفينة ، فمض الخادم مع انفراده بالاجديف يهوى لها الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر وما كان أسدهما عندما انتقلت البقية من بحر البلطيق الى نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة كثيرنا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا بقية المسافة مشياً على الأقدام . وفي النهاية وضلا الى العاصمة ، فاستمر الخادم بمجدف حتى وصل الى شارع بوديشسكايا

كانت سمادتهما سعادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ . يشربان القهوة . وفي اليوم التالي لبسا الثوب الرسمي وذهبا لقبض للتجمد من العاش . ولست أستطيع الاخبار عن مقدار هذا العاش ولكنهما لم ينسيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكي وخمسة قروش صحيحة

تتمتع يا خادم ! عبد اللطيف النشام

طويلاً متيناً فسلمه اليهما واستأذن في السماح له بالراحة فقيدها لحبل وأذناه بأن يتم في ظل الشجرة المجاورة وزاد حذق الخادم في تهية الطعام فزاد الموظفان بدانة وحمية . وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الافطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل نمتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : « إنها بلا شك قصة واقعية ، والدليل على ذلك كثرة ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تباين الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل نمتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ » فقال صاحب السعادة : « نعم بغير شك . ودليها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية . فأخذ يقرأ للمرة العاشرة من أوله الى النهاية

لكن السام دب الى نفسيهما ، فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهييهما في بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لا أعرف كيف شارع بوديشسكايا الآن يا صاحب السعادة » فقال : لا تذكرني به فقد كاد يقتلني الحنين الى الوطن »

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيدة لا عيب فيها ، ولكن الحبل يتوق الى ندى أمه ، ونحن ننوق الى رؤية بلدنا وإلى ارتداء ثيابنا الرسمية في يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الانسان وتنسيه متاعبه واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكي يعودا الى شارع بوديشسكايا ، وقد كان من حسن الحظ أن هذا الخادم الذي يعرف كل شيء قد عرف هذا الشارع أيضاً ، وكان أيضاً خادماً في



جزء الإيجاز

للكاتب الانجليزى رتشارد جارت
بقلم الاستاذ عبد الحميد حمدى

ولكن أباهما كان أكثر تنبهاً الى حديثهما .
قال لهما يوماً :

— أخشى يا ولدى أن تكونا — فى دراستكما
وتقدراتكما المختلفة — قد نظرنا الى قوانين بلادكما
وإلا لأدركنا أن الانسان لا يصيب الثروة التى
يصبو إليها بالوسائل التى صورعوها لنفسيكما
فسأل الفتيتان أباهما :

— ما معنى ذلك يا أبائنا ؟

فأجاب الشيخ :

— لقد قال آباؤنا بحق إن الاحترام الواجب
علينا لعطاء الرجال الذين نمبذم فى هياكلنا بما نحن
مدينون لهم به من وسائل الحياة ، هذا الاحترام
لا يمكن إلا أن يتأذى اذا حاول نسلهم أن يكسفوا
شمس عظمهم وصيتهم بمختراتهم الجديدة ، أو اذا
هم تجرأوا على أن يصلحوا ما يحسبونه غير صالح من
أعمالهم . وعلى ذلك قد حرم على الناس بأمر من
الامبراطور سون أن يحترعوا شيئاً ، كما حرم عليهم
بأمر من الامبراطور ووشى أن يحسنوا شيئاً من
الاختراعات التى وجدت حتى الآن . ولقد فصل
سلفى ، فى المركز المتواضع الذى أشغله ، من عمله ،
لقوله أنه يرى من الأسلم أن تكون العملة مستبدرة

فى الصين ، وفى حكم أسرة تانج^(١) ، فى مستهل
القرن السابع المسيحى ، عاش حاكم صينى عالم
ولكنه فقير . وكان للرجل ثلاثة أبناء : فورسى
وتورسن ووانج — لى ، وكان الأولان شابين نشيطى
العقل ، يجهدان نفسيهما دائماً فى البحث عن شىء
جديد مفيد . وكان ووانج — لى ماهراً ولكن فى
الألعاب التى تتطلب الذكاء ، وقد تفوق فى هذه
الألعاب إلى مدى بعيد

وكان فورسى وتورسن دائماً يتحدث أحدهما
الى الآخر فى الاختراعات المعجبة التى سيخترعانهما
حتى بلغا سن الرشد ، وفى الثروة والصيت البعيد
اللذين سينتجان بهما إذ ذاك . ولم يكد حديثهما
يصل الى أذن ووانج — لى الذى لا يرفع عينيه إلا
نادراً عن رقعة الشطرنج التى يحل عليها مسأله

(*) ولد ريتشارد جارت سنة ١٨٣٥ وتوفى سنة
١٩٠٦ وشغل وظيفة أمين الكتب المخطوطة بالمتحف
البريطانى من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٩ واشتغل فى
ساعات فراغه بوضع كتابه « غسق الآلهة » التى نقلت عنه
هذه القصة

(١) أسست أسرة تانج العظيمة سنة ٦١٨ ومؤسسها
هو لى بوون الذى اتخذ لنفسه اسم كاو — تاو ، وفى عهد
هذه الأسرة انتشر نفوذ الصين وصهدت فترة نجاح استمرت
أكثر من ثلاثة عا

فكان الجواب على سؤاله :

— إن الملك العظيم قد مات ، وقد فصل رأسه
عن جسمه فصلاً تاماً ، ولم يبق في فارس ملك
لا عظيم ولا صغير
فسأل الفتى :

— وأين أستطيع أن أجِد ملكاً عظيماً آخر ؟
فأجابوه :

— في مدينة الاسكندرية حيث أمير المؤمنين
يجد في نشر دينه
ف قصد فورس الى الاسكندرية حاملاً قواليه
وحروفه

ولم يكده يجتاز أبواب المدينة حتى رأى سحابة
هائلة من الدخان تكاد تحجب المدينة كلها عن
الأنظار . وقيل أن يتمكن من السؤال عن سبب
هذا الدخان أقبل عليه الحرس فقادوه الى حضرة
الخليفة عمر ^(١)

(١) لعل الكاتب قد اخطأ عليه الأمر من تشابه اسم
عمر باسم عمرو ، فالخليفة عمر بن الخطاب لم يحضر إلى مصر
والذي فتحها هو القائد عمرو بن العاص ، وقد نسب المؤلف
بعد ذلك إلى عمر الأمر بحرق مكتبة الإسكندرية معتمداً
في ذلك على رواية مكتوبة قدمها المؤرخون الملقون ومن
بينهم بعض المستشرقين
على أنه مما يؤسف له أن بعض كتب التاريخ التي تدرس
الآن في المدارس الثانوية تسجل على عمرو بن العاص هذه
الرواية الساذجة دون إشارة إلى كذبها ، وهذه الكتب
قد اشترك في تأليفها بعض كبار الأساتذة المصريين ؟ فإذا
جاز لنا أن نتلص المذنب مؤلف هذه القصة التي قد يكون
الخيال والتمني القصصي للوصول إلى الغزى التي يقصد إليه
ها للذنان جملة على الأخص بهذه الرواية المسكونة ، كما جملة
على اختراع العبارات التي تسبها بعد ذلك إلى عمر ، فأى عذر
تلمسه للأساتذ المصريين التي ثبت مثل هذه الرواية المكتوبة
ضارباً منقحاً عن الروايات العفيدة التي أثبتتها المحققون من
المؤرخين وفتدوا بها هذه التورية التي دسّت على تاريخ عمر
ابن الخطاب وقائده عمرو بن العاص ؟

بدل أن تكون مربية ، كما هي الآن ، وأنا شخصياً
قد تعرضت لفقد حياتي لحاويلي الجمع بيت مبرد
صغير وزوج من ملاقط الشمر ، فقال الفتيان :
— إذا كان هذا هو الشأن فليس وطننا بالبلد
الذي يصلح لأن نعيش فيه

وعانق الولدان أباهما وتركوا البيت غير مودعين
أخاهما وأنج لي إذ كان منهمكا في حل مسألة من
مسائل الشطرنج . وقبل أن يفارق أحدهما الآخر
اتفقا على أن يعودا الى الاجتماع في هذه النقطة
نفسها بعد ثلاثين سنة مزودين بالثروة التي لم يكونا
ليشكا في أنهما سيحصلانها باستغلال مواهبهما
الاختراعية في البلاد الأجنبية . وتماهدا فوق ذلك
أنه إذا خان الحظ أحدهما فلم يحصل على جزاء مجهوده
فان الآخر يشاطره ثروته

وقصد فورسين الى مهرة الصناع الذين يقطعون
أحرف الكتابة من الخشب الصلب ، لاستعمالها
في طباعة الكتب ، حتى إذا وقف على أسرار
صنائعهم قصد الى صانع السبايك النحاسية فدرس
عنده طريق صناعة أمهات الحروف من النحاس ؛
فلما انتهى من ذلك أيضاً قصد الى عالم ممن أكتروا
السياحة في أرجاء الدنيا المختلفة فتلقى عليه اللغات
اليونانية والفارسية والعربية . ثم صب عدداً من
الحروف اليونانية في قوالب من النحاس ، ووضعها
في كيس مزوداً بنفسه في الوقت نفسه بعدد من
الحروف الخشبية التي قطعها بنفسه ، وسافر باحثاً
عن الثروة . وبعد أن عانى الكثير من المتاعب
وتعرض للكثير من الأخطار . وصل الى بلاد
فارس ، وسأل أهلها عن الملك العظيم

فقال فورسى :

تقطعها الجسور وتحوم حولها الطيور البديعة الألوان

فقال الرجل يحدث نفسه :

— ليس من شك فى أن تورسن قد أصاب غنيمته ولن يأتى أن يشاطرنها على مقتضى اتفاقنا وما كاد ينتهى من هذه الكلمات التى خاطب بها نفسه حتى سمع من ورائه صوت انسان ؛ فلما التفت رأى رجلاً أسوأ منه حالاً يسأله الاحسان ، ولم يك هذا الرجل غير تورسن فتعانق الاخوان وقد أنهمرت دموعهما ، وبعد أن سمع تورسن حكاية ما أصاب فورسى أخذ يروى قصته قال :

— لقد قصدت الى هؤلاء الذين يعرفون سر المسحوق الذى اصطلح على تسميته تراب النار ، الذى لم يتمكن سون من منعنا من اختراعه ، وان كان ووشى قد اهتم بمنع استعماله الا فى الالامب النارية . . . وبعد أن وقفت على سر هذا المسحوق وضعت كية مميته منه فى أنابيب بحوفة صنعتها من الحديد والنحاس ، ووضعت فوقها كوراً من الرصاص تتفق أحجامها مع تجاوبف الأنابيب ، ثم وجدت أنى بإبصال اللب الى تراب النار من أحد طرفى الأنبوبة أستطيع أن أدفع الكرة الرصاص من الطرف الآخر بقوة تمكنها من اختراق ثلاثة من دروع المحاربين فى وقت واحد ؛ فلأت برميلاً من هذا المسحوق وتجاوب هو والأنابيب على سجاجيد حملتها على ظهور الثيران ، ثم رحلت قاصداً مدينة القسطنطينية ، ولست أروى لك الآن حكاية التعائب التى اعترضتني فى هذه الرحلة ، ويكنى أن تعلم أنى وصلت آخر الأمر نصف ميت

— ليعلم الخليفة أن مواطنى الصينيين قد جمعوا بين التقضين ؛ فهم فى وقت واحد أعقل أهل الأرض وأغبام . فقد اخترعوا فن نشر العلم والمعرفة ، وهو الفن الذى لم يوفق قط الى معرفته عقلاء الهند واليونان ، ولكنهم لم يتعلموا بل وانهم ليأبون أن يتعلموا كيف يخطون الخطوة الواحدة الصغيرة الضرورية بمد ذلك لجمع هذا الاختراع صالحاً من الوجهة العامة لجميع أبناء العالم ثم قدم الفتى للخليفة ما يحمل من قوالب وحروف كاشفها عن السر كله فى فن الطباعة

فقال عمر :

— بلوح لى أنك لا تعلم أننا بالأمس قد أمرنا بحرق جميع الكتب وإخفاؤها من فوق الأرض ، لأن ما نحويه لم يكن يخرج عن أحد أمرين : فهو إما يخالف لما جاء فى القرآن فيكون فى هذه الحال كفراً ، وإما أن يكون متفقاً مع ما جاء فيه فيكون فى هذه الحال زائفاً على الحاجة وليس ثمة ما يدعو لبقاءه . . . ويلاح لى فوق ذلك أنك غير عالم بأن الدخان الذى ينجم على المدينة إنما مصدره مكتبة الكفار التى أحرقت بأمرنا .

وعاد الرجل الى الصين فى بطاء متحملاً مختلف صنوف الآلام مستجدياً قوته على طول الطريق . ووصل الى المكان الذى اتفق هو وأخوه على الاجتماع فيه ، فى اليوم الأخير من السنة الثلاثين من مفادته اياها . فلم يجد أثراً لبيت أبيه المتواضع ، ولكنه وجد مكانه قصراً شاهقاً ، تحيط به الحدائق والمرائش وتكتنفه أشجار الصفصاف وقنوات الماء

وجه ذلك الرجل الصيني لم يكن سوى وجه أخينا وانج لي

« ولو أنني كنت في ظرفٍ غير الذي كنت فيه لأجهدت نفسي في الوقوف على معنى ذلك الذي شهدت ، ولكن لهفي كانت شديدة وكذلك كانت حاجتي وجوعي . فبحثت عن صناعات الأسلحة البرزين ، واستطعت بمشقة كبيرة أن أجمعهم كلهم في مجلس واحد . وقدمت اليهم الأنابيب وتراب النار وانفدت رصاصتي بسهولة من أحسن درع استطاعوا أن يقدموه »

فصاح صانع دروع الصدر : « من ذا الذي يحتاج الآن إلى دروع الصدر ؟ »

وقال صانع خوذ الرأس : « أو الخوذ ؟ »
وقال كبير صناعات التروس : « أنا لم أكن لأخذ خمسين بيزة ثمناً لهذا الجن ، فما فائدة الآن ؟ »
وقال صانع السيوف : « وستقل قيمة سيوفى »
وقال صانع السهام في لهجة حزينة : « وسهامى ستصبح عديمة القيمة »

وصاح أحدهم : « إن هذا لا عمل دنيء »
وصاح آخر : « بل إنه لسحر ساحر »

وصاح ثالث في صوت قاصف : « إنى أنا التاجر الشريف الملم بمهنتى أقول ان ما ترونه ليس إلا دوماً — ولكن يبرهن على صدق رأيي أنني بمجديدة متأججة في برميلى ، فطار الجميع جملة مع سقف المنزل في الهواء ، وهلكوا جميعاً ، ولم ينج سوى وقد فقدت شعري وجلدى . وشبت في الحال حريقاً كالت ثلاث مدينة القسطنطينية

« ووجدتني بعد أيام راقداً على فراش السجن »

من التنب والمشايق مجرداً من كل شيء إلا بضاعتى ، واستطعت بتقديم مامى من السجاجيد رشوة لأحد الضباط أن أحصل على الاذن بالدخول على الأمبراطور^(١) والتحدث ، اليه وقد وجدته منهما في لعب الشطرنج يكدح رأسه في حل إحدى مسائله « وقد أخبرته أنني كشفت سراً يمكنه من أن يصبح سيد العالم ويساعده بتبوع أخص على طرد المسلمين الذين يهددون إمبراطوريته بالخراب

فقال لي : « يجب أن تلاحظ أنه ليس من المحتمل أن أستطيع الاسماء اليك قبل أن أنتهى من حل هذه المسألة ، ومع ذلك فلكيلاً يقول انسان إن الأمبراطور يهمل واجباته منهما في تسليحة سخيفة ، فأنى سأجبل اختراعى على صناعات الأسلحة البرزين في عاصمتى ، ثم أعطاني كتاباً إلى الصناع وعاد إلى اللعب ، وعند ما تركت القصر حاملاً رسالة الأمبراطور صادفت في الطريق موكباً عظيماً . فالفرسان والمشاة الراكضون ، والمازفون على الموسيقى ، والمنادون ، وحاملو الأعلام — كل هؤلاء يحيطون برجل صيني يجاس في سميت تحت مظلة ذهبية فوق قيل مسرج بسرجه نفيس ، وكانت جديبلته مضفرة بالورود الصفراء ، وكان الموسيقيون يعزفون ويدقون الطبول ، وحمل الأعلام يلوحون بأعلامهم في الجو ، بينما المنادون يصيحون : هكذا يحتفل بالرجل الذى ينتبط الأمبراطور بتكرمه — وإن لم أكن مخطئاً خطأ كبيراً فإن

(١) الأمبراطور كونستانس الثانى الذى حكم من سنة ٦٤١ إلى سنة ٦٦٧ وقد حارب ضد العرب المسلمين الذين استولوا من أملاكه على الشام وقبرس وروموس وأفريقيا

لغير التسلية المجردة من كل غاية ، ولم أفكر قط في استخدامها لجمع الثروة إلى أن سمعت يوماً عن طريق المصادفة أن الشعوب الغربية تجهل هذه اللعبة جهلاً تاماً ، وحتى إلى هذه اللحظة لم أفكر في كسب المال عن طريق الشطرنج ، ولكنني شعرت بشغفة شديدة على هؤلاء البرابرة المتأخرين حتى لقد أحسست أنني لن أذوق شيئاً من الراحة قبل أن أنير عقولهم ، وتحقيقاً لهذه الرغبة الملحة قصدت إلى مدينة القسطنطينية فاستقبلت هناك كرسول من السماء ، وقد بلغ من تأثيري في القوم أنه لم يمض غير قليل حتى أصبح الإمبراطور ورجال دولته لا يفكرون في شيء غير لعب الشطرنج ليل نهار ، وحتى شملت الفوضى شئون الإمبراطورية واستطاع المسلون أن يهاجموها في قوة وعنف . وتقديراً لخدماتي للإمبراطور رأيت أنك بكافئتي بمظاهر التكريم التي رأيت أنك يا أخي تمودجها منها عند باب القصر

« وهكذا بعد أن وقع الحريق الذي تسببت أنت فيه وإن لم يكن عن عمد ، تحدث الناس بأن الإمبراطور كان يعمل على تخريب عاصمته بالتآمر مع ساحر أجنبي ، بقصدونك بذلك . وبعد فترة قصيرة تآمر كبار الضباط ودخلوا غداً الإمبراطور بفكرة خلمه عن العرش ، ولكنه أعلن أنه لن يتنازل بحال من الأحوال قبل أن ينتهي من دست الشطرنج الذي كانت يلعبه معي في تلك اللحظة ، فوقف الضباط ينظرون إلينا ، ولم يلبثوا أن اهتموا بالأماني ، وبدأ النزاع بينهم على أينا سيفوز ؛ وبيناهم في خصامهم أقبل الضباط المخلصون وقبضوا

وقد شفيت من بعض جروحي ، مصغياً في حزن إلى مشادة بين اثنين من حراسي حول ما يجب أن أعامل به : هل أحرق أو أدفن حياً ؟ وبينما المشادة قائمة وصل إلى السجن أمر من الإمبراطور بإطلاق سراحي ، فقرأه الحرس متمتعين شاعرين بشيء من الضمة ، وكان نص عبارته : أقدفوه خارج المدينة . وقد عجيبوا من لين ذلك الحكم ومع ذلك أقدفوه بحماسة شديدة حتى وجدني قد طرت في الهواء وسقطت وسط البوسفور ، حيث التفتلتي مركب سيد وأترلت على الشاطئ الأسوي ؟ ومن هناك قفلت راجعاً إلى بلادى استجدى القوت على طول الطريق

والذي أراه الآن هو أن نستعطف وب هذا البيت العظيم ونستثير شفقتة ، فقد رأيت بنا عندما يعلم أننا كنا نعيش فيما مضى في البيت الصغير الذي أدخل الطريق لإنشاء قصره العاصم»

واجتازت الرجلات باب الحديقة ومشيا على استحياء متجهين إلى القصر ، متأهبين للوقوع على قدمي سيده ، ولكنهما لم يفعلا ، لأنهما قبل أن يحاولا الركوع عرفا في ذلك السيد أخاهما وأنجلى ولم يستطع وأنجلى أن يبرف أخويه لأول وهلة ولكنه لما عرفهما آخر الأمر أسرع فقدم إليهما كل ما يحتاجان إليه ، حتى إذا سد حاجتهما من الطعام والشراب وارتديا فاخر الملابس قصا على أخيهما قصتهما ، وسألاه أن يقص عليهما قصته فقال :

« أخوى ... إني بأنهما كي في لعبة الشطرنج النبيلة التي اخترعت لحسن الحظ قبل عصر الإمبراطور سوين بزمان طويل ، لم أكن أقصد

« وأخيراً غادرت القسطنطينية عائداً إلى بلادى
 ضرودا بالثروة الطائلة في ركب مريح أقطع الطريق
 مراحل على ظهور الابل البريمة . فلما وصلت إلى
 هنا ابتمت بيت أبي الصغير وأنشأت في مكانه هذا
 القصر العظيم حيث أعيش مفكراً في حل مسائل
 الشطرنج وفي أقوال العقلاء مقتنماً بأن الشيء
 الصغير الذى تعرفه الدنيا وتبذل إلى الأخذ به خير
 من الشيء العظيم الذى لم يعرفه الناس بعد ، فهم
 لا يستطيعون تقدير قيمته . قالوا ليس إلا طفلاً
 كبيراً يفضل أسباب التسلية على وسائل الثقافة والتعلم
 فسأله أخواه في دهشة وفي صوت واحد :
 — اوتسمى الشطرنج مسلاة وملهاة ؟
 عبد الحميد مرمى

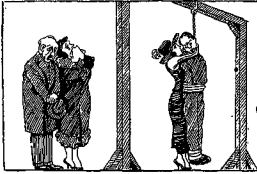
عليهم . وقد ضاعف هذا الحادث مكانتى احتراماً
 لدى الامبراطور ، ثم لم تلبث هذه المسكاة أن
 تضاعفت مرة أخرى بعد ذلك الحادث بقليل عند
 ما لعبت مع أمير البحر السلم الذى كان محاصراً
 المرفأ فربحت منه أربعين سفينة محملة غللاً بدلت
 من قحط الدنية رخاء ويسراً

« وسألنى الامبراطور أن أعتنى عليه ما شئت
 فقلت ان كرمه لم يبق لى ما أطلبه غير حياة مواطن
 مسكين علمت أنه مسجون بتهمة محاولة حرق المدينة .
 فأمرنى الامبراطور أن أكتب أمر العفو عنه
 بيدي . وفق يا تورسن اننى لو عرفت أن ذلك
 السجين هو أنت لأظهرت من الاهتمام بشخصك
 ما يرضيك

شركة بيع المصنوعات المصرية
 تعمل على احياء الصناعة المصرية وترويجها
 معرض دائم لكافة منتجات البلاد
 تعرض

المنسوجات الصيفية

من جميع الأنواع : قطن . حرير . كتان
 بضاعة جديدة لهذا الموسم ، صنع شركات بنك مصر
 التى أجمع الكل على متانتها وتفوقها
 شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجياتكم



الذراع الذابذة

للشاعرة الإنجليزية توماس هاردي
بترجمة نظمي خليل

— إمض بني وخبرني إذا كانت سمراء
أو بيضاء ، طويلة مثلي أو قصيرة ، وإذا كانت
تظهر ربة بيت أو فتاة ناعمة الأظافر لم تمتد بمد
حياة المنزل

فانطلق الابن إلى السوق ، ولم يكذب يبعد عن
منزله حتى رأى والده يسير وبجانبه فتاة تصغره
بسنوات . كان وجهها صافياً صبوحة كأنه نور
منبعث بين تخاليل الورد . فسدد الولد إليها بصره
بالرغم مما كان ينوء به ظهره ؛ وكانت الشمس قد
غمرت وجه تلك الفتاة فبرزت ملاعقه قوية جذابة
فاغتازلت الزوجة الشابة « جرود » من ذلك
الصبي الذي يحدها بنظراته القوية الطويلة فقالت
لزوجها :

— أنظر إلى ذلك الصبي الفقير كيف يحدهني
بالنظر !

— أجل ، قد يكون أحد سكان تلك القرية
— أظنه يمرقنا
— أجل ، يجب أن تتوقى مثل هذه النظرات
في مثل هذا الموقف الجديد

والآن — هيا ، لم يبق على منزلنا إلا ميل واحد
علنا نبته قبل أن يهجم الليل
أما الولد فلم يكذب يصل إلى المنزل حتى ابتدته
أُمه قائلة :

غص الطريق بطوائف القرويات وهن راجعات
إلى منازلهن الريفية الصغيرة يتجاذبن شق
الأحاديث مما يتصل بحياتهن الزوجية ، حتى إذا
مادون من نهاية الطريق همست إحداهن بصوت
خافض كأنه خارج من جوف بقرتها :

— « ألا خبراني ، أيقترن السيد « لوج »
بزوجه الجديدة غداً ؟

— لقد بلغني هذا
— ألم تريها ؟ إنهم يقولون إنها فتاة ضئيلة
الجسم مودة الخدين — قالت هذا ثم التفتت إلى
بقرتها وهي تقرب بذيلها فيكاد يصافح وجهها
— فأجابها إحدى صاحباتها : « إنها تصغره
بسنوات . أتعرفين كم يبلغ من العمر الآن ؟
— حوالى الثلاثين

ثم تفرقن إلى منازلهن ، وفي الصباح التالي
فادت « رودا » زوج السيد « لوج » القديمة
ابنها وقالت له : « لقد بلغني أن والدك سيترج
من زوجته الشابة اليوم — إنني أريدك الآن أن
تذهب إلى السوق حيث يمكنك أن تراها . فقال
لها الابن : أعازم أبي على الزواج إذن ؟

فأجابته أمه : نعم . . . يمكنك أن تراها وأن
تحدثني عن بعض قصبات وجهها
— أجل يا أبي

ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة إلى صاحبها . وفي ذات يوم جاءت « جرتود » وقد امتنع لونها واستولى عليها الهزال والسأم ، فسألها « رودا » عن علتها ، فأجابتها : « إنى أشكو مرضاً حيرنى وأعيانى وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التى أمسكت بها فى حملها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسألها : كيف حدث هذا ؟ فأجابها « جرتود » وهى تهز رأسها : « لأدري ؛ ولكن حدث أن كنت نائمة فראيت فى حلمى أنى انتقلت إلى مكان غريب ونجاة شمرت بألم ينتاب ذراعى فاستيقظت وأخبرت زوجى بالأمر فهو ن على وقال إنه سيزول عما قليل »

— منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين فى الساعة الثانية

لقد كانت هى الليلة والساعة التى رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشمرت أنها آثمة مجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ؛ ثم قالت فى نفسها بعد أن ودعت صاحبها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتسلط على غيرى وأسبب لهم اضطراباً على غير إرادتى ؟ ثم مضت تفكر فى شقى الحلول

تتابعت الأيام وذراع « جرتود » تزداد ذبولاً وجفافاً وشكوك الائم تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابها « جرتود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد فى المرض حتى لأقوى الآن على احتاله »

— مصدر بك أن تذهبي الى طبيب.

ولكن وجهها كان قد عبث به التجاعيد فبدت كأنها مجوز ، ثم شمرت أنها قد جثمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحل يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فبغت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهى تصيح : « يا إله السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هى بعينها ، لقد نلت ذراع غريمها وهى تدفعها عن نفسها . لست الذراع بلحمتها وعظمها — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تذق النوم فى تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه الموتى ، وكانت جسمها يهتز كأنه القصة المروضة ، فلم تقو على حلب اللبن إذ كان ينصب بعيداً عن الحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشمر أنها بمسكة بذراع غريمها . فلما رأى ابنها منها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماء الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لا شك »

— هل سمعت وقع جسم ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم سمعت الأم وأخذت تتناول طعامها فى تراخ وكسل ، ولم يبرح الابن المنزل ذلك اليوم بل بقى فيه يماون أمه فى عملها . وفى الساعة الحادية عشرة جاءت امرأة لم تكن تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذى ظهر لها فى حملها الليلة الماضية ، ولكنها لم ترقى وجهها تلك التجاعيد والخشونة التى رأتها فى حملها ؛ فقد كان صوتها حلواً رقيقاً ، وإشاراتها لطيفة بالغة ، وابتناساتها اللينة ودعية ، حتى لم تمد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرتود » الزوجية الشابة تزور صاحبها حاملة إلى الصبي جذءاً جيداً وبضى اللعاب

على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبني أن تسبب لها أذى جسمياً، ثم أخذت تفكر فيما نظنه تلك الزوجة لو علمت بأسر ذلك الحلم، ثم رأت أنها إذا كتبت عنها ذلك الأمر كان هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر في هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لترى زميلتها وقد شمعت بحاجة قوية إلى هذا اللقاء، فلم تكذب تدنو من المنزل حتى خرجت إليها «جرتود» وحيثما تحبب العبايح فقالت «رودا»: «أود أن تكون ذراعاك...

— لقد قيل لي إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض، وقد أعرف الدواء أيضاً، وهي أن أذهب إلى ساحر يقيم في الأقاليم المجاورة لنا، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً، ولا أذكر الآن اسمه، ولكنني سمعت أنك تعرفين عنه الكثير. إلى أحاول أن أذكر اسمه. فقالت صاحبتها وقد امتنع لونها: «أليس اسم الساحر «ترندل»

— آه نعم هو بعينه. أهو حي؟

— أظن هذا

— ولكن لماذا يدعوونه ساحراً؟

— لأن له السلطان على من حوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين

يعتقدون في مثل هذه الخرافات. لقد ظننت أنهم

يمنون عالمك طيباً. سوف لا أفكر في مثل هذا

الرجل ثانية

فشمعت «رودا» بشيء من السكينة والطأنينة

فقد كانت تخشى أن يفضح ذلك الرجل أمرها عند

صاحبها فتتظر إليها كأنها شيطانة في صورة إنسان،

كانت السبب في تشويه جمالها والقضاء على سعادتها

لم يحض على هذا يومان حتى جاءت «جرتود»

— لقد محبتي زوجي إلى أحد الأطباء ولكن الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضي بل نصحني أن أشبع ذراعي في ماء ساخن، فعملت كما أمرني ولكن هذا لم يبدني شيئاً

— أأسمعين أن أراه؟ فكشفت عن ذراعيها

وأشارت إلى موضع الألم وكان هذا فوق المعصم. فلما

رأت «رودا»: «ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها.

لم يكن هناك أثر لجرح بل كان هناك آثار الأصابع

الأربعة، الأول بجاء المعصم والرابع بجاء المرفق

— يلوح لي أن هذا من قبضة يد، فإني أرى

آثار أصابع هنا، فأجابتها «جرتود» في ابتسامة

ضيقة ضعيفة: «إن زوجي يقول إن أحد الشياطين

هو الذي فعل هذا» فانتفضت «رودا» انتفاضة

عنيفة وقالت: «إن هذا وهم، ولو كنت مكانك

لما سددت» فأجابها «جرتود» في شيء من

التردد: «إني لا أهتم كثيراً بهذا لولم يكن لي ما ينفر

زوجي مني أو يضعف من حبه لي. إن الرجال يقيمون

وزناً كبيراً للظهور الخارجي»

— أجل ولكن زوجك لا يجب سواك

— نعم كان هذا في أول الأمر إذ كان غوراً

بي؟ أما الآن...

— يمكنك أن تستريح عن نظره

— آه! ولكنه يعرف مكان التشويه — قالت

هذا وهي تحاول حبس الدموع التي ملأت عينها

— أدعوك بالشفاء من هذه العلة قريباً

ثم انصرفت «جرتود» وخلت «رودا»

إلى نفسها وقد اتالت الأفكار على خاطرها حتى

أصبح عقلها هدفاً لتلك الوسواس التي جرها عليها

ذلك الحلم البنيض، وقوى عندها ذلك الشعور بالآثم

حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظنت أنها جلبته

لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تدبير عدو . فازوت « رودا » في نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرترود » فقد صاحت : « أى عدو ! » ففز الرجل رأسه وقال : « انك تعرفينه جيداً ، ولو أردت لأريتك اياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرترود » أن يخرجها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء في مكانها ، ثم قاد جرترود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عملياته السحرية فأحضر كوباً وملاء ماء وجاء ببيضة وكسرها على حافة الكوب فنزل الزلال في الكوب وبقى الملح ، ثم حمل الكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تتبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه في الكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتناعاً ، ثم عادتا الى القرية وقد شمعت رودا أن صاحبتهما قد تغيرت

فعمد ما سألتها عما رأت أجبته في شيء من التحفظ والحرص : « لاشئ . يستحق الذكر » ثم علا وجهها شحوب غريب حتى أصبح شبيهاً بذلك الوجه الذى رآته رودا في نومها . وبعد صمت طويل قالت جرترود :

أ كنت أنت أول من فكر في هذا الساحر ؟ عجباً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست أكسفة على عجبتنا الى هنا . إن كل شيء مقدر مكتوب
ثم سارتا في الطريق دون أن تتحدثا كثيراً وقبل أن تفترا قالت جرترود « ان الناس يتهايمسون بأن علة مرضى سببها نظراتك الى . فامتنع وجه المرأة وغابت في تفكير عميق
ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

الى منزل صاحبتهما وقالت لها إن ذراعى تزداد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية في ذلك الرجل الذى حدثنى عنه وإن كنت لا أعتقد في أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة في زيارته الآن . أيبعد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأضئ اليه — ألا تصحبينى لتدلينى على الطريق ؟

فتمتعت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذ الخوف بماودها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلمها فتفقد صداقة صاحبتهما ، ولكنها لم يجد طريقاً للاعتذار وانفتحت أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراها أحد

استيقظت « رودا » في اليوم التالى وأخذت تفكر في شتى الحلول التى تخالصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت الى السكان المدين حيث قابلت صديقتها ، وقد أخفت ذراعها في ثمرتها ثم مضتا في سيرهما لا يتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفرآ ، وقد امتلأ الجو بالسحب غجبت الشمس ، وأخذت الرياح تمول وتصفى وهي تهب فوق التلال ثم تهوى الى بطن الرادى

أما « جرترود » فقد كانت كلما فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبتهما في إجابات مقتضبة محاولة إقناله ؛ وكانت تسمع كلنا تقدمت في الطريق أن شيئاً ثقيلاً يجم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الذراع المربضة أو أن تدنو منها . وأخيراً جاءتا الى الرجل « رودا » وقصت عليه « جرترود » قصة ذراعها ، فقال

قد تركا القرية

عاشت جرتود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، ففاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضب الجمال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتمسها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها ولداً كما كان أحوجها إلى ابن يحيا في اسمه ويرث أرضه

لم تقعد الزوجة لحظة عن السعي في علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطبية في غير جدوى ولم يجد عليها الرق والتعاويذ شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن يقبله ، فجاء إلى زوجته يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن — فأدركت الزوجة العرض الذي يرى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدها إلى الآخر عنها كانت في الخامسة والعشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلهما محببة ثقيلة لم تنق فيها الحب إلا

شهرين . وكثيراً ما كانت تخجل إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فتهجم عليها ذكريات مرضها فتثور وتئن ثم تتأوه قائلة : « أه لو عادت إلى أيام حي الأول » ثم أرادت أن ترمي بآخر سهامها للشفاء من هذا الداء الميأ ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكد الرجل براها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التي عملتها فمز الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع — ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعك المشوهة

عنق أحد المشقوقين . فارتفعت المرأة لتلك الصورة التي رسمتها في ذهنها هذه الكلمات — ثم مضى الساحر في كلامه : على أن يكون هذا عقب إنزاله من المشقة مباشرة

فسأله الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ » فأجابها الرجل : إن هذا يزيد في دورة الدم . عليك أن تذهبي إلى أحد السجون وترقي إحدى فخماها . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتي جئن إلى يشكون بعض هذه الأعراض . ثم ودعته المرأة وانصرفت وقد أتت أن يأخذ منها أجراً عادت المرأة إلى منزلها وهي تشك في كلام الساحر ولكنها بعد أن بقيت من الشفاء اندفعت بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد تذكرت كلامه لها : « إن ما يأتي بالرق يذهب بالرق أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهي لا تفكر إلا في المشقوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا بعض هذه الكلمات : « اللهم اشق لي أحد الأصدقاء أو أحد الأرياء ! » فلم ترد أن تستعين زوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال الشعوذة

ثم جاءها يوماً يخبرها بزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، ففرحت الزوجة لهذا التناوب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكد يقب عنها حتى امتلأت جواداً مطهما أخذ يطوى بها الأرض حتى وصلت أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه شخصيتها التي ارتبطت سعادتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظنها الجلاد إحدى قريبات التي المسكين أو سيدة . فقال : إنه صبي لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم يجد غيره

فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلال ورفع الغطاء عن الجنة وطوق بها عنق المسكين ، فشمردت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يتدفق إلى تلك القبراع الريفضة ، ولكنها لم تنكد تلثفت وراءها حتى رأت « رودا » وقد احمرت عيناتها من البكاء وأرخت شموورها على كتفها ، وقد وقف بجانبها زوجها « لوج » ساهماً حزيناً ولكن عينيه لا تدمعان ، فقال لها في صوت غاضب أجش :

« ماذا نملين هنا ؟ » ، ثم صاحت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أتحولين بيننا وبين ابنتنا .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشعة التي رأيتهما في حلمي القديم ، ثم جذبتها من ذراعها العارية ودفعتها إلى الحائط ، فوقمت تحت قدمي زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

أقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظلماً في إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده في الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يخبر زوجه جرتود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمر من أموره الخاصة

حملت الزوجة ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما يحتمل أما الزوج فلم يكبد بفرغ من دفن زوجه حتى ترك قريته إلى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى بمعظم ثروته إلى أحد الملاجئ تاركاً جزءاً يسيراً منها إلى زوجه رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اخفت من ذلك الاقليم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين مظن يخفى أعرق الأفكار ، وقبل مكلوم يجعل ألم الذكريات نظمي مليل

نهمه . فاجابته المرأة : لست أسأل عن هذا بل أريد أن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلال : في الساعة الثانية عشرة كالعادة . أي بمجرد وصول البريد من لندن فقد يكون هناك غفر . فارتاعت المرأة وصاحت : عفو ؟ إلى لأود هذا ، فسألها الرجل : « ماذا تريدين ؟ »

فقال : أريد أن أسأله لأنه أحد الطالسم التي كانت السبب في تشويه ذراعي وهدم سعادتي . وقد أشار علي بهذا أحد المسخرة . فقال الجلال : أوه . نعم ، نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثيراً من النساء يأتين إلى مثل هذا الغرض . ثم تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقالت له : ولكني لا أريد أن يعلم أحد بهذا — أمتين حبيبك ؟

— لا . بل زوجي
— حسن . سأهد لك الطريق
— ولكن أين هو الآن ؟
— إنه لا يزال حياً في داخل هذا السجن . ثم

رسم الطريق الذي تسلكه ، فانصرفت شاكرة . وفي الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي كانت المرأة جالسة في إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الأعدام في المظلم الشاب

ثم قرى الحكم وسبق التهم إلى المشقة وفي تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها الريفضة ، ثم انحنيت على الصندوق الذي كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تنكد تراه حتى غارت فواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وهمس في أذنها قائلاً : « هيا »

لشموه حتى يبدأ رد الفعل في أعضائه فينقلب إلى
الروح الجنوني كاركاً من الخو ما يقفده رشده
فيستولى عليه روح الهدم والتخطيم . ولكم دأبته
يختنم نوبه هذه بقذفه كرسياً إلى نافذة منقاة يحلم
زجاجها بقرمة تصم الأذان

وكنت أراى مندفعاً بالزغم منى إلى تشرىح
أخلاق هذا الرجل ، فكان يلوح لى كأنه فرد من
بجتماع غريب لا أعرف له مقراً على هذه الأرض .
فما كنت أعلم أ كان هذا الانسان مسيراً فى عمله
ببأس مريض أم بدلال ولد صغير

وكان ديجنه يبدو وبخاصة فى أيام الأعياد كأنه
مأخوذ بشورة عصبية فىأتى بأعمال صباينة يحفظ
فيها بكل برودة خلقه فكان من يراه لا يملك من
الاستغراق فى الضحك . وقد أقتنى يوماً بأن
أخرج للتزده معه وحدنا عند النسق فارتدنا
أثواباً غريبة الشكل وقمنا وجهينا وحمل كل
منا آلة موسيقية وذهبنا على هذه الصورة كأنهم فى
الأحياء الصاخبة عنقطين برصاة أرباب الفنون ؛
وصادفنا فى مجوالنا عربية كان سائقها قد دب فيه
النماس فتنام على مقعده فسارعنا إلى حلى أربطة
الفرسين ثم تقدمنا إليه وصحبنا به فأفاق ، وركبنا
العربة طالعين منه إيصالنا ، وما لوح للسكين بسوطه
فى الهواء حتى ذهب الفرسان خبيكاً وبقي هو فى
عربته مشدوها ، وتوجهنا بعد ذلك إلى الشاترا ليزبه
فرأى ديجنه عربية تتقدم نحونا فاعترضها وأمر
السائق بالوقوف وتهدده بالقتل إن لم يترجل عن
مقعده ؛ وإذ نزل الرجل عند إرادته مذعوراً أمره
بالانبطاح على الأرض معرضاً نفسه لأوخر العواقب ؛
ثم فتح باب العربة كأنه قاطع طريق فأرانا شاباً
وسيدة استولى عليهما الرب الشديد ؛ وأمرنى ديجنه
بمجاراته فيما سيفعل ، فأخذ يقفز من الباب ليومد



عن فاني في العصور

لألفريد رويس

بقلم الأستاذ فليكس فانس

(تابع)

وما كانت هذه الحياة المضطربة تخلو من
أوقات لها لثها وصفائها ، فقد كان معاشر
ديجنه من الطبقة الراقية وأكثرهم من أرباب
الفنون ، فكانت أغنى ليالى عديدة يسود سميراً الخلبع
فيها ما يمد جسد البمد عن الفحشاء ؛ وكان أحد
الصحاب عاشقاً مغنية مشهورة تشجينا بصوتها
الساحر الحزين . ولكم جلسنا إلى المائدة فنسبنا
ما عليها من طعام مستغرقين فيما يثير لإنشاء هذه
المغنية فى فنوسنا من حين ١ ولكم درنا بأفداح
الشراب ونحن نصنى إلى أحداً باقى علينا بصوت
عميق رائع بعض مقطوعات من لامارتين ؛ فكاننا
نؤخذ بممانها حتى كأن تفكيرنا حصر فى دائرة
منها ؛ فكانت تمر الساعات دون أن نشعر بها ، حتى
إذا جلسنا بعدها إلى المائدة سادنا سكوت رهيب
وعلقت بأهدابنا الدموع

وكان يتجلى هذا التأثير فى مثل هذه الأوقات
على ديجنه بأكثر من تجليه فى الآخرين وهو
المعروف بيننا بصلابة خلقه وبرودة طبعه ، فكانت
المواظف تتدفق من كئانه ولغثائه كأنه شاعر ساعة
زول الالهام عليه . وما كانت تنتهى نوبة استسلامه

شهوة الصبا من إهابها النض وعلى خوان عملها رواية كل صفحاتها صباة وغرام ، وهي لم تلقن علماً ولا تعرف عن الآداب والأخلاق شيئاً فتغشى حياتها بخيط الأتواب أمام نافذتها حيث تمتد طريق منع رجال الشرطة المرور عليها ليحجبها عند المساء رهط من بنات الهوى الحاملات الأجازات يخطفن عليها ذهاباً وإياباً ، مانفعل هذه الفتاة بعد أن تكون قطعت أصابعها واستنفدت نور عينها منذ الصباح حتى المساء عاملة في رداء أو في قبعة إذا هي انكأَت عند النسق إلى نافذتها فرأت ما عمات فيه يداها الشريفتان لكسب قوت من حولها يرتديه قوام فاجرة ورأس عاهرة ؟ . . .

ولكم من عربة تقف أمام بابها كل يوم فتدخل منها فتاة لها رقعها كالعربة التي تستقلها ، وتدخل على هذه العاملة المسكينة لتجدها بلفات الاحتقار وتقف أمام مرآتها لتجرب مرآة الرداء الذي انكبست عليه في سواد الليالي لأبحازه . وتخرج الماهرة من كيسها ستة ذنانير يتوهج ذهبها ، وهي العاملة لا تكسب إلا ديناراً طوال أسبوعها ، فلا تملك نفسها من التفرس فيها والتأمل فيما تلبس من حلى ثم تلبسها بأنظارها حتى تركب عربتها وتتوارى

ويجيء يوم ينقطع فيه العمل عنها ويسود الظلام على البيت الذي تظله النافذة ، وقد انطرح في إحدى زوايا الأم المربضة ، فتفتح العاملة البابسة بابها وتعد يدها قابضة على مجهول يمر على الطريق . . . هذه هي حكاية الفتاة التي تعرفت إليها . وكانت تحسن العزف قليلاً على البيانو وتعرف شيئاً من فن الرسم ومن التاريخ والصرف ، فكانت كل مآرفها على هذا النحو شيئاً يسيراً من كل شيء . . . ولكم كنت أنتم النظر في هذه المخلوقة

فيفقر من الباب الآخر وأما أتبعه حتى خيل إلى من في العربية والظلام ساند أن الماهجين عصابة من اللصوص يقول لك بعض الناس إن الحياة تولى من يتلها اختياراً ؛ ولعلمهم يعجبون في سرائرهم إذ يصدقهم سامموم . وهل العالم إلا عاصفة إعصار لا يشبه أحدها الآخر ؟ فكل ما في الحياة يذهب يبدأ كسرب أطيّار ينتشر في الفضاء الفسيح ، فما يجد مدينة تشابه أحيائها ؛ فمن عرف أحدها بقي جاهلاً لسايرها ؛ غير أن هذه الأعاصير التي تدور منذ وجود العالم لم تزل تخترقها سبعة أشباح لا تتغير على عمر الأجيال : وأولها يسمى الأمل ، والثاني الضمير ، والثالث الرأي ، والرابع الشهوة ، والخامس الحزن ، والسادس الكبرياء ، أما الأخير فيسمى الإنسان

وما كنت وأصحابي إلا كسرب أطيّار ، فبقينا نسوية إلى أن جاء الربيع نلعب حيناً ، ونركض حيناً ولعل القارئ يتساءل أين النساء في هذه الحوادث وأين هي الفحشاء ؟

وماذا عساني أقول من هذه المخلوقات الحاملات اسم النساء والوالاتي راودن حياتي كأشباح أحلام ؟ أيمكن للإنسان أن يحتفظ بالذكريات من وقائع لم يكن فيها شيء من الأمان والآمال ؟

وأن أجد هذه الوقائع الآفلة لأتبر منها تذكراً ؟ وهل من شبح أشد صمتاً منك أيتها المرأة المارة كالظل ؟ وهل من انطباع أسرع إلى الزوال منك في صفحة الذكريات ؟

وإذا كان لا بد من إيراد شيء عن النساء فلا أدركن منهن اثنتين :

واليك الأولى

أسألك أولاً عما يمكن أن تقول إليه عاملة بالخطاطة لها من العمر ثمانية عشر ربيعاً تندفق

انتهاز الفرصة للأخذ بأحداث لا طائل تحتها . أما (الفالس) فرقصة تتيح لك أن تتمتع بالرائة التي تضمها نصف ساعة بين ذراعيك وتسير بهما بين تصادم الراقصين وهي خفة الجوارح فتكاد لا تعلم إذا كنت تنقص إرادتها أو تمنح ضمها . وكما بين الراقصات من يستسلمن إلى قيادتك بخفرك تتدفق الشهوة منه فلا تعلم ما يدور في خلدك أشهره هو أم حذر ، وتقف سرباباً في نفسك فلا تدري حين تشد بالراقصة إلى فليك أنت ترعلة أم تنقص كالقنبلة الضعيفة بين يديك

لارب في أن ألمانيا التي اخترعت هذا النوع من الرقص بلاد ما خفيت حقيقة الحب من أهلها وكنت أخاصر راقصة رائدة الجلال تنتمي إلى السرح الإبطال جاءت إلى باريس لتمضية أعياد المرفع ، وكانت ترى الراقصات في هيكل إلى الهجر ترندى قفطاناً من جلد البور ، وما كنت رأيت في حياتي امرأة تشبه هذه المرأة في دلالتها ، فقد كانت بمشوقة القند ناحلة القوام تنطلق في خطواتها بسرعة ، ولكنك تحلمها تنسحب سحياً وهي تنقص في دلها . ولقد يحسب الناظر إليها أنها تنعجب مراقصها في حين أنه لا يحسب بها إلا تجميل مياي بين ساعده

وكانت هذه الغانية حزينة صدرها بطاقة كبيرة من الورد تورثي نشوة أين منها نشوة الراح ؛ وكانت تنطوي على ساعدي لأقل حركة كأشياء من الأماليد عاشقات الشجر ، فسكنت إخطا بما فيها من ليونة وعذوبة خلابة وشاحاً من ناعم الحرير يلفي كأذيال النعام . وكان عقدتها المتدل من عنقها يهتز في كل دورة من دوران الرقص ضارباً على نطاقيها المعدني فأسمع له صوتاً خافتاً كخفيف النصوص . وكانت في حركاتها من الجلال ما يوقفني منها أمام كوكب

والأمي زين على قلبي إذ أرى فيها بداية عمل الطبيعة ونهاية ما يأتيه المجتمع من التشويه ؛ ولكم شخصت بشخوصي أمامها إلى ليل مدلم تلوح فيه شرارات شتيلة من نور عليل ولكم حاولت أن أشمل بعض الجمرات الخامدة تحت هذا الرماد ، وقد كانت حلة شعرها بلونه ، فكنا ندعوها (ساندريون)

وما كانت تروني تسمح لي بأن أعين لها مملعين فتولي دمجته الانفاق على تعليمها ، ولكنها عجزت عن بلوغ أي نجاح ، فما كانت المعلم يتواري عن نظرها حتى تكثف بينها وتبقى الساعات الطويلة محدقة بما وراء نافذتها . وكانت تمر الأيام على هذه الوتيرة تهدهدها يوماً بأنني سأقطع عنها المال إذا هي لم تحبها ، فبدأت بالعمل دون إبداء أية مقاومة ، ولكن بلغني بمسد ذلك أنها كانت تخرج خلصة من البيت ولا يعلم إلا الله إلى أين كانت تذهب ، فرجوتها قبل أن أسرحها أن تبرز لي كيساً ، وقد اجتمعت بهذا الكيس مدة طويلة كذخيرة حزينة وأبقيته معلقاً على جدار غرفتي كأنه رسم لسكل طلل عابر في هذه الحياة

أما الثانية فهذه قصتها :

وكانت الساعة العاشرة مساء ، وكنا قضينا نهراً في الرياضة المتعبة فتوجهنا إلى منزل دمجته وكان هو قد سبقنا إليه لأعداد ما يلزم ليلية راقصة . ولما دخلنا البهر رأيناها مزدهجاً بالمدهون وبينهم عدد وفير من المثلثات ، وقد بين لي الصحاب السبب في دعوتهم إلى الحفلات فقالوا إن الرجال يتراحون عليهم وما وصلت إلى القاعة حتى اندفعت مع تيار الراقصين ، وكنت شديد الميل إلى رقصة (الفالس) إذ ليس بين أنواع الرقص ما يائنها خفة ورشاقة وليس غيرها إلا حركات لا معنى لها يقصد منها

وراقصها وإذا هو لم ينفذ إليه ذلك الشيء المجهول
أو تلك الكهارب المسكرة التي تنتشر في المرقص
حين تتعالى النغمات ويكشف قلب الجموم أنوار
المصابيح وما تنتشر هذه الكهارب إلا من
أجسام الحسان فيتكهرن بها أولاً ، ثم تهب منهن
كالعيق المتصاعد من مبخرة تنأى مع الريح

واستولى على خيل صريع . وما كنت أجهل
أن الحب يورث هذا التمل ، وما كانت هذه أول
مرة عرفته ، ولكنني ما كنت أعلم من قبل أن
يوسع امرأة أن تدفع بالقلب إلى مثل هذا الخفوق
وأن تثير في الخيلة مثل هذه الأشباح بجملها
وبأزهارها وبثوب غخط بكلك الحيوان المفترس ،
وبحركات دوران اقتبسها من أحد المهرجين ،
وبالتفاف معصم بض على كتف ، وذلك دون أن
تنبس بكلمة أو تبدي فكرة واحدة كأنها تترفع
عن الاعتراف بمرتها وسلطانها

وما كان ما أشعر به من الحب بل من الظلم
الحرق ، فاني لأول مرة في حياتي كنت أشعر
باهتزاز أوتار مشدودة منى على غير قلبي ، فان تجلجلى
هذا الحيوان الرائع ليعنى كان قد استنطق وترأ غير
أوتار القلب في أحشائي ، وما كنت أحس بنفسى
ما بدفنى إلى أن أقول لهذه الثانية إننى أحببتها
أو أعجبت بها أو حتى لأعلن لها تقديري لجملها ، فإني
كنت أشم أن على شفتي ألا تعطش للاتصاق
بشفثها لأقول لها : منطلقين هذين المعصمين
الترابين وأتى على كفتي رأسك المسائل وارثي
بهذه البسمة العذبة شفتي

لقد عشق جسدى جسدها فكنت من جمالها
في سكرة كسكرة الراح ...

وصري ديجمه فسألني عما أفعل حيث كنت
فأجبت : من هي هذه المرأة ؟ فقال : وأية امرأة

رائع يتسم لي فأخاطها جنبية تنشر جناحها لتعود
أدراجها . وكان الموسيقى الشجيرة الهامعة كانت
تصدح من بين شفتيها وهي مائلة برأسها إلى الوراء
تكللها الضفائر السوداء ، وقد أدهق عنقها من
نقلاها القلوى

وما انتهى دور الرقص حتى ارتفعت على مقعد
في زاوية القاعة ، وكان قلبي ينبض بسرعة قطعت
أنفاسي ، ففتفت قائلاً : يا لله مما رأيت !
يا للسخ الرائع ! ويا لك من أفضى كالمها حسن وجمال
تعرف كيف تلتف وكيف تتعامل بجملها اللين
الأرقط ... لقد علمتكم حبة الجنان القوية كيف
تلتف على شجرة الحياة وبين أسنانك ثمرة اللوت .
يا لك ساحرة تحكي في قلوب الناس وتعلمين
ما يفعل بهم هذا الدلال الذي يتجاهل قوته أهلاً
تدلين أنك تهلكين وتفرقين وأن كل من لمسك
سيجل به العذاب ، وأن ابتسامك وعميق أزهارك
والاقتراب إلى ملاذك يؤدي إلى الموت ... ذلك
هو سر الحلاوة في افتقار فترك وتفتق أزهارك ،
فأنت تعرفين هدفك عند ما ترسلين معصمك
متراحياً على السكواهل

لقد أعلن الأستاذ هالي حقيقة مروعة حين
قال : (إن المرأة عصب البشرية والرجل عضلها)
وقد قال هو مبولت العالم الجدى نفسه : إن أعصاب
البشر يحوطها إشعاع خفي . وأتباع سبلاتزاني
يصدقون أيضاً أنهم اكتشفوا الحاسة السادسة . إن
في هذه الطبيعة التي تقذف بنا إلى الوجود ثم تدفنا
إلى الموت وهي هازمة بنامن القنات الخفية ما يكفها ،
فلا نضيف إلى ما نتسكع به من ظلمات ظلمات أخرى
ولكن أي رجل يعتقد أنه تمتع بالحياة إذا
هو أنكسر سلطان المرأة عليه ، إذا هو لم يشعر
بإرتعاش ساعديه بعد أن يكون خاصر امرأة جميلة

يسحب رجله المرجاء ليطبق على (فينوس) ويشبهها
تقبيلًا ، ولحيته تنطبق بدخان مصنعه وهو يمدج
بنظراته الزائفة جسم إلهة الجلال البيض مستغرقا
في التحديق بها وهي كل ما يملك فيحاول أن يتسم
ويتظاهر بالارتماش مسرة وجبورا ، ولكنه في
الوقت نفسه يتذكر أباه كبير الآلهة (جوبيتر)
الجالس على عرشه في السماء

وحقد ديجنه في وجهي ولكنه لم يجب بل
قبض على يدي وجري قائلا :

إنني جد متعب وأشعر بحزن ، فأنت هذا
الصخب يقتلني . هيا بنا إلى اللائدة نستعيد قوتنا
وجلسنا إلى مائدة جمعت كل ما لذ وطاب ،
ولكنني كنت أشاهدها ولا أتمعن بها إذ كانت
شفتي ترتجفان في انقباضهما ، وسألتني ماركو عما
في فبقيت شاخصا كالصنم أمرح أبصارى من
رأسها إلى قدمها صامتًا ذاهلًا

وما تخالكت ماركو نفسها من الضحك فضحك
ديجنه معها من بعيد وهو رقبنا . وكانت أمامها
كأس كبيرة من البور تنعكس عليها الأنوار
فتتكرس على أضلاعها لتشع بالسبعة الألوان . ومدت
يدها البترائية ثلاث الكأس بحمرة قبرصية فيها
حلالة الشرق ونكهته وقدمتها إلى قائلة :

— هذه لك يا بني

أخذت الكأس ثم أعدتها إليها قائلا :
بل لك ولي

ورطبنت شفيتها من الحباب وأعادتها إلى
فكرتها دفعة واحدة وأنا أرسل إليها نظرات
حزينة فأنتها ممانها

فسألتني : أردتة هي ؟

— لا

— أمتعبت أنت ؟

تدني ؟ فقبضت على ساعده وسرت به في القاعة ؛
ولحظت الايطالية أننا نتجه نحوها فابتسمت وإذا
تراجعت قليلا قال ديجنه — آه لقد رقصت مع
ماركو ...

— ومن هي ماركو ؟

— هي تلك الدلالة الضاحكة هنالك ... فهل

أنت معجب بها ؟

— لا ، لقد رقصت معها وأحب أن أعرف

اسمها . وهذا كل إعجابي بها

وما قلت هذا إلا لأنني شعرت بشيء من
الحجل ، فتولى ديجنه عني وذهبت أنا نحو الايطالية ،
فاستوقفتني قائلا : رويدك ، يا أوكثاف ! ليست ماركو
كسائر البنات ، فهي في عهدة سفير ميلانو وتكاد
تكون زوجة له ، وقد جاءت إلى هذه المنهرة مع
أحد أصحاب السفير ، غير أنني سأكلها في شأنك
فلا أدعك تموت إلا إذا لم يكن بد من موتك .
سأحاول إبقاء ماركو عندنا للعشاء

قال هذا وتوجه إليها فسادني اضطراب بمجز
يباني عن تحديده ، وما بدأ بمحادثتها حتى تمشيا
سوبة وظلما عن عياني بين ذرافات الدعوى

وكنت أناجي نفسي قائلا : أيمكن أن يصيب
حدسي ؟ أتكون هذه المرأة هي من سأحب ؟
ولكن ما لقلبي ولهذا فأن حواسي وحدها تعمل
عملها بمنزل عنه

وكنت أحاول بمثل هذا التفكير أن أهدئ
روحي . وما طال انتظاري حتى شعرت بيد ديجنه
تأني على كتفي وهو يقول : سنذهب إلى اللائدة ،
وعليك أن تشبك ساعداك بمساعد ماركو فهي تعرف
أنك معجب بها وقد تم الاتفاق ...

فقلت : إسمع ، يا ديجنه ، إن ما أشعر به بفوت
إدراكى ، فكانتني في رؤى أشهد (فولكان) فيها

نتكلم ولم تشرب بل أسندت رأسها بيدها وتامت
في أحلامها . وما كان يلوح على وجهها ما يدل على
تأثر أو استغراب ؛ فقلت لها :

— أما تريد أن تفعل ما يفعلون ؟ لقد سقيني
خمرة الشرق فهل لك بتذوقها ؟

قلت هذا وملاّت كأسها دهقا فرففتها ببطء
إلى فمها وارشفتها حتى التذلة ، وبعد أن أعادت
الكأس إلى المائدة عادت إلى استغرابها

وكنت كلما أدمت النظر إلى هذه الغادة أزداد
استغرابي لها ، فعلى لا تسرشي ولا بضايها شيء ؛ بل
تفعل ما يطلب منها ولا تقوم بأية حركة من تلقاء نفسها
فذكرتني بتمثال الراحة الأبدية ؛ فقلت في نفسي
لو نفخت روح في هذا التمثال لما كان يبدو لنا إلا
كماركو ثانية

وكنت أقول لها : أنت طيبة القلب أم أنت
شريرة ... أحزينة أنت أم مرحة ... أروفتك أم
تحي ... أتبهون المال والملاذات ... وأى نوع منها
تفضلين ... أسباق الخيل أم الجرام الرقص ...
أى شيء يعجبك ... وبماذا تحلين ؟

فأكنت أظفر منها بالإجابات واحدا على جميع
هذا ، وهو ابتسامة لا حزن فيها ولا سرور ، كأنها
تمنى الاستسلام وعدم المبالاة

وقربت إلى مبسمها شفتي فألقت عليهما قبلة
متراحية تشبهها ، ثم رفعت منديبها إلى فمها فصرخت
بها : ويل لمن سيجبك يا ماركو ...

فألقت إلى بنظرة من مقلتها السوداء ثم رفعتها
إلى الملا وأشارت بأصبعها بحركة إيطالية لا تقلد
ولفظت بتعمل الكلمة الكبرى الخاصة بنساء
بلادها : لقد يكون ...

وقدمت أشكال الحلوى والفاكهة ونهض
فريق من المدعون إلى القاعة يدخنون ويلعبون

— لا .

— أنشكو صداعا ؟

— لا

— ما بك إذا إلا هموم غرام

وظهرت على وجهها علام الجذ ، وكنت أعلم
أنها وليدة نابولي لذلك نبضت إيطاليا في قلبها عندما
تفوهت باسم الغرام

وفي هذه الأثناء كانت الدماء تنصاعد إلى
الرؤوس والأفئحة تصادم بين الأنامل وبدأت
الحدود تصطبغ بلون الخمر فكأنها كانت تبرقع
أشد الوجوه اصفرارا كيلا تملوها من الخجل حمرة .
وكانت الضجة تتعالى وتنخفض كأنها نبرات
أمواج ، والأحداق ترسل لمانها إلى كل صوب ثم
تذهب ثانية ... فكان في القاعة نسمات خفية
كانت تخفق فيها كل هذه الأرواح المائعة في نشوتها ،
وكل روح تتلمس طريقها إلى سواها

وهبت إحدى النساء من مكانها بين الحشد
كما تتعالى على صفحة البحر الساكن أول موجة
تنسم الماصفة تتلوى منذرة باقترابها . وقفت
وأشارت بيدها لينصت الحضور إليها وكرعت
كأسها ثم حولت أناملها إلى شعرها نثر غداثها
الذهبية على كتفها وعلى صدرها التهديد بأنفاسه ،
فأصممتا سوى نبرتين مختلفتين وامتعت لونها فجأة
فتراحت على مقعدها

وقامت قيامة الحاضرين ، فسادهم المرح والرج
حتى نهاية السمر ، فإ كان لأحد أن يتميز شيئا
وقد اختلط الضحك بالفناء والصراخ

وسألني ديمتري عما أقول في هذا فأجبتني بأني
لا أجد ما أقوله ، فإلى إلا أن أسد أذني وأسرح
أبصارى ...

وبقيت ماركو ساكنة وسط هذه المعمة فلم

على شعور غريب يبدد ماثير هذه الحسن من شهواتي
ولملي كنت مأخوذاً بأسهواء من الاشماع
التي فتحكم في ماني هذه الغانية من سكون وجود .

وانطرحت متملا بها على القدم المستطيل قبلة
سريها وتغلغل سقيع الموت في روعي

إن نيمضان الدم في المروق ليشبه حركة ساعة
غريبة لا تسممك خفقاتها إلا في الليل ؛ في طيات
الظلام تتوارى مشاغل الانسان حوله فيمود منكشاً
على نفسه ليسمع حركة الحياة فيه

وامتنعت جفوني عن الغمض بالرغم مما تحمات
من متاعب نهاري وأسراره ، وكانت عينا ماركو
تحدقان في فسكان كل منا شخصاً في الآخر وقد
خيم علينا السكون

وقالت : ماذا يشفق هناك ؟ أفأ تريد أن تجيء
إلى جانبي ؟

فقلت : بلى ... إنك رائحة الجلال يماركو ...
وسمعت صوتاً كأنه نبرة أنين ، وكان ذلك
صوت انقطاع وتر من قيثارة ماركو . وأدبرت
وجهي نحو مصدر هذه الأنة ، فرأيت أوائل أشمة
الفجر تلوح بنورها الباهت سنائر النوافذ

نهضت فأزحت إحدى الستائر فانتشر الضياء
في جوانب الغرفة ووقفت لحظة أنظر إلى السماء
فاذا هي مجلوة صافية الأديم
وكررت ماركو دعوتها إلى ، فأثرت إليها
بأن تنتظر

وكانت هذه النادة اختارت لسكنائها هذا
الحى البعيد عن مركز المدينة احتراساً ؛ وكان
لها منزل آخر تستقبل فيه أصدقاء عشيقها .
ولعل الغرفة التي كنا فيها ليست سوى موضع
خلوة ، فقد كانت تشرف على حديقة اللوكسنبورج
التي رأيته منبسطة أمامي

وما بقي على المائدة إلا العدد القليل . وكانت بعض
النساء تيسلمن للرقص والبعض الآخر للنماس ،
وعادت جوقة الموسيقى إلى العزف وتضاءلت أنوار
الشموع فاستبدلت بها سواها ، فتذكرت وليلة
(بترن) التي ما كانت تنطفئ المصابيح فيها حول
من طرحهم السكر على مقاعدن حتى يتسلل الخدم
إلى المائدة ليسرقوا ما عليها من الأواني الفضية

ودام الانشاد يتعالى من أفواء الثلاثة الغنئين
الانكليز ذوى الوجوه الشاحبة

ودعوت ماركو إلى الانصراف فنهضت
واستندت إلى ذراعي فشيمننا دمجنا قائلاً :

— إلى الغد

وخرجت بها من القاعة وكنت كلما اقتربت
إلى منزلها يزداد خفوق قوادي ويستولى الصمت
على لحيرتي في هذه الغانية التي تترفع عن الشهوة كما
تترفع عن السكر ، وما كنت أدرك السر في ارتجاف

يدي وهي تلف هذه المخلوقة الساكنة الجامدة
وبلغنا غرفة ماركو فاذا هي على مثالها قائمة
تنتشر الشهوة في جوها ، وكانت منارة مصباح من
الزخام الناصع البياض يرسل في جوانبها أشمة
منكسرة ، وكانت القاعدة كأنها أسرة وثيرة مشدودة
بالحرير على زغب الطيور ، وما دخلت إلى هذا
المسكن حتى هبت في وجهي رائحة عطور تركية
أصلية مستوردة من القسطنطينية ، وهي أقوى
المطور تهيجاً للأعصاب وأشدّها خطراً

وقرعت ماركو جرساً فجاءتها وصيقتها الفتية
وسارت وإياها إلى الخدر وما لبثت حتى انطرحت
فيه على سريها وقد أسندت وجهها بيدها متراخية
على عاتقها

ووقفت أمامها أنتم النظر فيها وكنت كلما
وغلت في الحجابي وكلما ازداد انجلاء محاسنها لي يستولي

بثقل هائل يخفض رأسى المتعب
وتقدمت بضمة خطوات إلى مكتب كان
مفتوحاً قرب نافذة أخرى جلست مسنداً ساعدى
إليه ، والتفت بلا قصد أحقد رسالة تركت
مفتوحة عليه ، وهى لا تتضمن إلا كلمات قليلة ،
فقرأتها سراراً دون أن أفهم معناها حتى أجمت
تدريجاً ، فذعرت منها فجأة ، وأخذت الورقة
بيدى أقرأها ، فإذا هى مشحونة بأغلاط الاملاء .
وقد ورد فيها :

(لقد ماتت أمس عند الساعة الحادية عشرة
ليلاً . شمرت بإقباض فدمعتى وقالت لى : لوزون
أنا ذاهبة للقاء رفيق . افنحج الحزاة وخذى منها
النظام المعلق عمار فانه كذلك القطاء ...)
جنوت باكية أمامها فمدمت إلى يدها صارخة :
لا تبكى ... لا تبكى ... ثم أرسلت زفرة ...)
وكان باقى الصفحة مزمناً

يصعب على بيان ما فعلت فى هذه الأسطر
الفاجعة . قلبت الرسالة بيدي فإذا على ظهرها عنوان
ماركو وتاريخ اليوم المنصرم فصرخت : - لقد
ماتت ... ومن هى التى ماتت ؟
وتقدمت نحو السرير منادياً : من هى التى
ماتت ...

وفتحت ماركو عينها فرائى مستنداً إلى
سريرها والرسالة فى يدي فقالت :
- هى أوى ... أنا تريد أن تأق إلى جنبى ...
ومدت ذراعها نحوى . فقلت لها : - اسكنى ...
نأى ودعبنى هنا . فاقبلت على جنبها لتستغرق فى
نومها ثانية

وشخصت إليها حتى تأكدت أنها لن تسمع
حركتى وتراجعت رويداً وانسجبت من المكان
(يتبع) فليكس فارس

وكنت أشعر فى قرارة نفسى بقوة أظالمها
فلا أستطيع التحكم فيها فكأننى منها كالفأض
على قطعة من التلين ريد إغراقها فى الماء فتتململ
بين أصابعه وتأنى طبيعتها إلا الانفلات إلى سطحه ،
ولكننى عند ما مدت بأنظارى إلى مسارج
الحديقة انتفض قلبى بين جنبى فهب التذكار فى
ييده كل فكرة تراودنى . لكى هربت من المدرسة
وأنا صغير لأجلى إلى ظلال هذه الأشجار حيث
كنت أنطرح ويبدى كتاب من جامحات الأشعار ،
وتلك كانت جميع ضلالات صباى وأسفاه ...
وتنهبت ذكرياتى البعيدة تشارفنى من الأشجار
الباسقة العارية من أوراقها وتتطلع إلى من خلال
الأعشاب الدالة تحت ظلالها . إلى هنا أتيت مرة
للتزهر مع أختى ومعلمى وكنت فى الماشرة من
عمرى ، فكنا نرى يقطع الخبز إلى ذرافات الطيور
الجائمة . وهنا جلست مرة منزوياً أنفج على رهط
من الفتيات يرقصن فيرقص قلبى لنفاسهن : نفات
نشيد الأطفال ؛ وهنا أيضاً صرحت ألف مرة على
الطريق ذاتها فى رجوعى من المدرسة ، وأنا أقذف
الحصى برجلي ، وأغارذبهى بيتاً من قصائد فرجيل
شخصت ملياً أمام هذه الشاهد فتهنت :
- هذه أنت يا طفولتى ، وهى أنت هنا يا ألى

وأدبرت طرفى إلى الغرفة فإذا ماركو قائم وقد
انطفأ المصباح ؛ وكان ضوء النهار قد تبدل منظر الغرفة
تبدلاً ، فظهر لون الورق اللصق على الجدران ،
وكنت حسبته فى الليل مستمراً زرقه الآفاق ،
بلون الأوراق الخضراء وقد أظلمت الذبول ، ورأيت
ماركو ، التمثال الرائع ، منطرحة على سريرها
ووجهها منقطع كوجه الأموات
وملكتنى رعدة لم أفر على احتلاكها فكنت
أنظر تارة إلى السرير وطوراً إلى الحديقة فأشعر



مومبيوس

حفل أولمبي

وصبت أورورا بمثل حجرة المنجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهبا إلى الشاطئ. حيث تاق السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أماس ، جلسا يتحدثان ؛ بينما كانت مينرفا تدق البشائر في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادي الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً ... « كأحد أئمة الأولوب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » وأزدهم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يقفون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش ، وكيف لا ؟ وهذي مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه المظلمتين ، وجسمه السامق ، رؤاء علويين من الآلهة والجبال ، كان ينمكس وقاراً ورهبة في قلوب الفياشين

(أ)

من
أساطير
الأولين



الأولوب

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

خمس الفصول السابقة

« لم يمد أوديسيوس البطل اليوناني الكبير من طروادة بعد أن وضعت الحرب أوزارها بل ظل يضرب في البحار عدة سنوات مما أطع أسراء النواص في زوجته الجلية ، غاصروا بيتها وأتلفوا ثروتها وترصبوا لولدها تلك ليقتلوه ! وهو عائد من أسيرة ويليوس بعد أن لقي ملكيها ، وحدته أحدهما عن مصير أبيه ... أما أوديسيوس فقد غرقت سفنه ، ونجا هو من الموت ، وسبح إلى جزيرة إحدى عرائس الماء (كليسو) التي هوجه وشققها حبه فأبقته لديها زمناً طويلاً حتى أمرها زيوس كبير الآلهة بإطلاق سراحه ومنحه سفينة يعود فوطها إلى بلده ؛ وقد أبحر على رمت صغير ظل البحر يلب به حتى إذا بلغ أرض شيوا غرق الرمت وسبح أوديسيوس إلى الشاطئ ، وفي الصباح لقي ابنة ملك الفياشين في جماعة من أترابها يتلوهن فوق الشاطئ ، فسألها أن تمنحه دثاراً يستر به عورته ؛ ووقت له الغداء ، فأكرمت شواء ودلته على بيت أبيها الملك الذي هشل له وئش ، وعرض عليه أن يزوجه ابنته إذ لم يكن ثمة حائل دون ذلك ؛ وأرجأ النظر في عودته إلى بلاده إلى الصباح ... »

تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيها أقبلوا له
من طعام وشراب . . . ثم أقبل مفادى الملك يقود
للنشيد الألهي الأعلى ، رخم الصوت ، صف ربات
الفنون ، الثلاث عدنان له بقسطين من خير ومن شر
سواء ، فوجهته التطريب المعجز ، وسلبته النور
من عينيه العزيزتين . . . وأقيم له عرش مُمرود
في وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى
عظيم ، فاستوى عليه ، وأعلّمه بونتونوس بمكان
قيثاره المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من
طعام ومنزلة^(١)

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت
عرائس الفنون في فم النشيد المطرب ، فأرسل غناء
سحر أبواب الناس ، ورق بها إلى أنير الآلهة
في قبة السماء . . . لقد تنفى هذه الأغنية التي تنظم
النزاع الذي شجر بين (أخيل) بن إليوس ، وبين
أوديسيوس بن ليرتيس أثناء الوليمة الالهية ، والذي
جاءت به نبوءة أولولو (دلفوس) حينما استوحاه
أجائمتون عن يوم سقوط طروادة في أيدي اليونانيين
وسكت المني ، ودفن أوديسيوس وجهه السام
في ذيل ثوبه الأرجواني الفضفاض خشية أن يلحظه
أحد . . . وطلق يبكي . . . ويستنخرط في البكاء
ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر
صلاة للآلهة . . . ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب
غناؤه ، وكان يرسل عبراته في كسائه غير ملحوظ
من أحد إلا من ألكينوس ، الذي غر عليه ما رأى
وما سمع من عبرات شيفه ، ومن تهديده ، فقال :
« حسبنا يا سادة ما طعمنا وما سمعنا . . . هلموا جميعاً
نشهد الضيف الكريم بعض الهلجاء لنشد كرو في
السالمين أن الفياشيين خير من يجرى ومن يثب ،

(١) خمر للذيد الطعم

ولما انتظم عقد القوم نهض أليكنوس الملك ،
فقال : يا سادة الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلة
مرتبجة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الضيف
الكريم الذي لا أذكر اسمه في بيتي بعد أن شرّق
في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن عدوا له
يد المعونة فيعود أدراجاه إلى بلاده في كنفكم
سالمًا ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ،
والاحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم
هما كانت سحيفة آمين . . . فالبدار إذن . . .
هلموا إلى سفائنكم فتخبروا أحسنها حالًا ، وأصلحها
لجادة هذا البحر ؛ ولتمدوا لها نخبة ذوى بأس
من أصلب فتيانكم عودًا وأشدهم مراسا . . .
إثنين وخمسين عددًا من أبنع زهرات شباب
هذه الأمة . . . ثم تناولوا إلى فاني فولم لكم نخبة
لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبدا . . .
وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الآلهي ،
صاحب الألحان الخالدة ، والصوت السهاوي الساحر ،
فليشغف آذاننا بحلو أنغامه التي لا يقدر عليها
إلا هو . . . »

وانصرف الملك إلى إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق
رسول إلى منزل النشيد دمودوكوس الآلهي . . .
واختبرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين ،
وأعدت السفينة في مكانها الأمين من الميم ،
فنصبت القلاع ونشر الشراع وصفت المجاديف . . .
ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير
الحاشدة تكظ الأسياء ، وتردح في الدهاليز ، وتعلأ
الصالة الكبرى . . . وجى بالذبايح . . . فهذان ثوران
كبيران ذوا خوار . . . وهذي اثنتا عشرة شاة
سمينة ، وتلك أربعة خنازير كيناز^(١) ما كادت

(١) كيناز جمع مفردة مثله كثيرة اللحم والشحم

وأمر الناس في اللكم والمصارعة :
 ونهض الملك ، ونهض في إثره كل أضيافه ،
 وتقدم النادى قفاد دمودوكوس ، وقصد الجميع
 إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت
 كواكب الشجمان والشباب البانغ من ذوى القوة
 والفتوة والبأس الشديد ، أتوا من كل حذب لهذا
 الحفل الشهود ... وفي وسط الحلبة وقف الأبطال
 آكرون وأوكيال والأتريوس ونوت وپرمنيوس ؛
 ثم وقف خلفهم الأبطال أمخيل وأنايسين وإرتمبيوس
 وپوت وپرور وأمفيال وتون ... ثم نهض حليف
 مارس الهوب يوريالوس ، ثم غر شباب الفياشين
 نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء
 الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ،
 ثم كليتون الأصغر ، وشارك نفر من أولاد في
 سباق الجرى ، فآخذوا أهميتهم ، ثم انطلقوا يثيرون
 التراب في أثر كليتون - ابن الملك - الذى شام^(١)
 جميعا ، وتركهم يمتعتون وراءه كما تتمتع التيران
 في إثر البغال ... وتلقاهم النظارة بالهتاف العالي
 والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برز
 فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما برز أمفيال في
 الرثب الطويل ، والأترپوس في قذف القرص ...
 أما في الملاكمة فقد تفوق لوداماس النبيل ابن ملك
 شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ، ثم نهض
 لوداماس فقال :

مفتول الساعدين ، وإن له لمنقا أى عنق ... كل
 ذلك برغم بذوات الضنى وأمارات الماء ، وما حطم
 البحر من جسمه الخشب ، وهل أهلك لجسوم
 الرجال من أجيال الباب ١٩ ؟
 وكأنا راقى هذه السكيات البطل يوريالوس
 وطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ،
 فنهض لوداماس ثانية وقال : « هل أمها الضيف
 فأرنا هل تجيد من هذه الألباب شيئا ؟ إنه
 ما استحق أن يمش من لم يعمل بيديه ويسع
 بساقه ... هل ؟ حاول إذن ! فيم احترازك هكذا ؟
 إنا لن نؤخرك قط ، فالسيفنة معدة والملاحون
 على أهبة »

وقال أوديسيوس يحييه : « أنتخذنى هزوا
 حين تدعونى للعب بالوداماس ؟ أى لهو وأى
 لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لأمل له إلا
 أن يعود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع للملك
 وللناس ! »
 وهب يوريالوس بصده^(٢) ويقول : « كلا
 أمها الصديق ... إني عزرك ، فسيك لا تنني عن
 رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال
 الأعمال أو حافظة الخازن ... أو ... إن لم
 يحب حدسى ... من أدلاء السفن في الثنور ؟
 ومن بدري ؟ فقد تكون عيارا أو قرصانا ١١ »
 وعيس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق

جبينه ظلمات من المم ، وتهدج صوته فقال : « إنك
 لم تحسن كيف تشكك أمها السيد ، وإنك لم تبال
 أن تطلق في لسانك بهجر القول كأنتى ورجل
 لا اعتبارى ... على أن الآلهة - جأت وعلت -

« والآن أمها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم
 إذا كان يحذق شيئا يفخر به من هذه الألباب ١٩
 إنه ما يزال غرض الشباب ، بإدى الفتوة ، مكتمز
 العضلات ، عظيم مسنة الساقين والفخذين ،

(١) يجهر بالقول

(٢) سبهم (هاتش القاموس)

مجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : « ألا أهدأ
الغريب ! الأعمى نفسه لا يتذكر برهانهك اللامع
القوى ! إنه مدى لا يستطيعه أحد غيرك ، غشه
على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع أن
يباريك في أى من هذه الألعاب فادعهم إليك
وما عليك من بأس »

وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين
سمع هذا الهاتف من صميم الفياشين يطربه ويثني
عليه وينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد
انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاخذفوا هذه القذفة ،
أخذف أهد منها وبقرص أكبر وزناً ! هلموا !
ليأت أقوى ملائكم قائل له : وليقف أشدري
مصارعكم فأنا أخوه ! وليجبر من أسر غداً نبيكم
فلن يلحق غباري ! لقد هجمت ناثرى هلموا ! إلى
أحدكم جميعاً إلا لوداماس فإنه مضيق وصاحب
قراى ، وليس بي أن أنزل من أكرم مثواى في
دار غربي ؛ وليس بي من الترق ما يحمانى على شيء
من ذلك ... أما غيره فأنا له ، وسيملم منازلهما
يكن مبلغ قواى ... إنه ليس من ألعاب الناس
ما يعجزنى ... فأنا رب القوس ، وطالما صرعت
الألوف من الأعداء تحت أسوار طروادة ، وأبداً
مارى أحدهما كما رميت إلا فيلكتكتيس يوم حاز
قصب سبيها ذوى ... على أنه من أنا ؟ ؟

إننى لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ هرقل أو
يوريتوس الذى نفس عليه أبولو مهارته في الرماية
فقتله ... هذا ... وإذا ذكر الرمح السهمى ،
فأنى أبلغ به الذى لا تبلغه مهاكم ! على أننى
لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم - فإقد
قاسيت من الأرزاء ما قضم ظهري ، وصارعت

لم يتفق أن منحت أحداً من المالين كل آلامها في
وقتٍ مما ... بسطة الجسم ورجاحة العقل وقوة
البیان ... فقد بلوح لك هذا الرجل مُهدماً عظمياً
في حين قد وبه جوف يباناً متيناً ولساناً مبيناً
حتى ليخلب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في
نفوسهم إلى مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذلك
الرجل كأنما تتدقق في عضلانه قوى السماء ، وهو
لا يحسن أن يقول كلمة ... مثلك ... مثلك تماماً ...
فلقد أوتيت بسطة في الجسم ، حتى لتوشك في
ذلك أن تكون مثلاً تقس عليه الآلهة ، إذا أرادت
أن تخلق مارداً جباراً . ولكنك - وأسفاه ! -
لم تؤت بياناً ولا حكمة ! فلقد أثرت ناثرى بكلماتك
الغلاظ ... المعاف ! إلى - أيها السيد - كما
ذكرت - لا أحسن من هذه الألعاب قليلاً
ولا كثيراً ... ولكنى كنت فتاهاً وفارس حلبتها
أيام كنت شاباً يافماً غص الأهاب ريان الشباب ...
أما أنا الآن ! فوا أسفاه ! ! إن حداث الزمان
لم يُبق منى ... ولا على ! لقد ذبل شبابى في تقع
الحروب وسوح الوغى ... وفي هذا البحر اللجج
يشاه موج من خلفه موج ... كالجبال ... بيد
أننى ... على الرغم مما ينقص ظهري من ويلات ،
سأثبت في سجل شجاعتكم قوتى ! فان لا هرفت
به من قول السوء لأنياباً تمضى وتنشى ...
أو أدل على قوتى وجبروتى ... »

وكان إلى جانبه قرص القذف الذى يستعمله
أبطال الفياشين في مبارياتهم فاقض عليه واحتمله
بيده القوية المقتولة ثم دفعه دفعة هائلة كلن لها هزيم
وقصف ، واستهولها بحجارة الفياشين الشجمان
تخفصوا رؤوسهم حتى استقرت بجيدا خلفهم ...
وهنا بدت مبرزفا بين اللأفي بصورة أحدهم ، وهبت

أوديسيوس وشدة تمجبه ، والمطرب فيما بين ذلك
يوقع لهم النغم الحلو ، والموسيقى العالمة ... وفرغوا
من رقصهم ، فشرع النشد يتغنى أسطورة مارس
ومعشوقته الآتمة سثيريا^(١) إذ أغواها رب الحروب
المستهتر بممسول الكلام ومطول الغرام فاستلانت
له ... وكان أبولو — إله الشمس — يرقبهما
من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالفضيحة
للمشومة إلى الزوج الناعس ... فلُكان ... الذي
استطير وثار ثأره ، فراح يصنع أنشودة كبيرة
كالشرك من حلق الحديد المفرغ الذي لا يقوى
عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودمها
حول سريره ثم ألم بالنمرج النجس حيث أوى
مارس إلى فينوس — الزوجة الآتمة — وكان
مارس يغالِب في عينيه أخريات غفوة الضحي ،
فلمح فلُكان يطوى الرحب إلى أرض لنوس —
أحب المدائن إلى قلب الآله الحداد ... وطرب
مارس أيما طرب ... وأيقظ معشوقته قائلاً :
« هلم فينوس ... لمنهض أيتها الحبيبة ... لقد
ذهب زوجك إلى لنوس أرض البرارة ... هلم
إلى البيت ... إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ...
إلى نعيم الهوى ١١ » وهبت فينوس ... وانطلق
الأتينان إلى سرير فلُكان ، وفي قلب مارس غلة ،
وملء جوانحه غواية وثم ... وفي دمه شيق إلى
هذه الفاكهة يكاد يقتله ... ولكن ... وأسفاه !
إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى
انطرحت فوقهما الأنشودة المائلة ... وأمسكت
بهما إمساكاً شديداً ... لم يجدا منه حولا ، ولم
يجدا منه مخلصاً ... وكان أبولو يرقبهما كذلك ،
وقد حدث فلُكان بما رأى .. فماد الآله الحداد

(١) فينوس

موج هذا الخضم حتى حطمتي وأوهاني ، ولقيت
من الطوق ما برأى ١١

وصمت الفيأشيون ولم يبنسوا . ثم تكلم الملك
قَالَ : « عمرك الله أهدأ النازح الكريم لقد
جلجت في آذاننا ككائنات ، فدلّت على شجاعة
وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذي جرح عزتك
وأهان كبرياءك أمام الجميع ، ثم سكت عن محديك ..
ولكن تعال فانظر إلى ما نريك من ضروب الخفة
وفنون الرقص وفنون الفناء والسبق في العدو ،
ومهارتنا حين نسوس الفلك فوق أعراف الوج
ورغاء التبج ، كما نتحدث بهذا كله إلى أقرانك
وبين ظهرائك قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله
أيها الغريب المكرم إنه لا نغرننا في ميدان اللسك
والمصارعة ، بل غاية التنازع عندما نوب مُوسبي ،
وطعام ملون ، وقيثار مُرنية ، ورقصة خاطفة ،
وحام دافئ وفراش وثير والآن ... هلموا
أيها الفيأشيون فاهلوا أمام ضيفكم والعبوا ، وأروه
من رقصكم وشفنوا أذنيه بفنائكم ، فليسوف يتحدث
بكل ذلك في الأفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم
أنكم أمهر من ركب البحار ١١ ... هلموا ... ليحضر
أحدكم دمودوكوس الآلهي ... يمزق على قيثاره
ويتلاعب بقلوبنا بفنائه ... ابجثوا عنه في بعض
ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن المطرب
الآلهي ، وانطلق آخر يمد قيثاره ، ثم نهض تسعة
فياصل عهدون أرض اللب وبهيتون الحلقة ،
وزحزحون الجماهير ... وأقبل للنادى والمطرب
يسمى بين يديه ، وجلس في وسط الحلقة حيث
أحدث به الودان البوانغ البوانغ عيسون وركسون
بسيقان مخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش

الفادحة للأله الأعرج ... » ثم خاطب أبولو
— رب الشمام الوضاء — هرمنس فقال : « يا ابن
چوف ، يا رسول السماء ، ألك في هذه الغفوة الحلو
في حضن فينوس ، على أن تقع معها في هذا الشرك ؟ »
وأجاب هرمنس عابسا : « يا رب الزمان ! بنفسى
بنفسى ! منذ الذى بأبى حضن فينوس في شرك
هو ثلاثة أضفاف هذا الشرك ، على أن يرمقه سكان
الأرض والسماء ! ؟ » وتضاحك سكان السماء ،
ولكن يتنبون الذى ساءته هذه الحال خاطب فلكان
فقال : « لم فلكان فكك هذه السلاسل والأغلال ،
وإنى زعيم لك كقبيل أنه مؤد إليك كل ما تفرض
عليه من غرم ! » ... ورفض فلكان أن يطلق
فريسته ... « لأنه من يضمن ألا يطلق مارس
وهو لا يلوى على شيء ، غير عاى بكل ما عساه
أن يمد ؟ » . وقال رب البحار : « ليطعن قلبك
يا فلكان ، فوعزنى وجلالى لئن لم يف مارس
لأنجز أنا ، ولأؤذي عنه غرامته ! ! » . فأجاب
رب الحديد الصناع : « إذن ، قلن تحب رجلاؤك ،
ولن رد ظليك : » وتقدم فكك الأغلال عن
الماشقين الفاسقين ، وانطلق مارس إلى مأواه
بأرض تراقية ، وانطلقت فينوس إلى مرمتها الجليل
بأرض بافيا — حيث تلقاها ررب من أثرها
بالبشر والترحاب ، ففسلها ، وضمخنها بالطيوب
القدسية ، وأسبلن عليها شفوف الصبي وأردية الشباب

وفورغ دمودوكوس من إنشاده بين تائر
أوديسيوس وتلف البحارة الفياشين ، ثم أوما
الملك إلى أبنائه فوثبوا وسط الساحة ، وأخذوا
يرقصون في خفة ، ويتقاذفون كرة ظالية من صنع
بوليب ، فكان أحدهم رسلاها عالية حتى تدون من

على عجل ، ولم يكن قد بلغ شطآن لنومى بمد ...
وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع
فوقف في البهو الكبير ثم أرسل صبيحة مدوية
يستصرخ بها الآلهة : « يا چوف العظيم ! يا آلهة
الخلود جميعا ! أنظروا ! إشتدوا كيف تفضح
فينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! ولله ؟
لأنه وسيم قسم قوى ولأننى عظم منهوك موهون !
ذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلونى وجاؤا إلى
الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الشهوانيون الفساق
فوق فراشى ! لقد تلاجست مشاعرهم فهم لا يبالون
أن يا كفى النيط أو يقتلنى الحقن ... ولكن لا ..
حسبهم هذا الشرك الذى لن يفلمهم حتى يرى
چوف فيهم رأيه .. چوف الكبير التعالى .. والد
فينوس الذى أطلب إليه أن رد إلى قناطير الهدايا
الزوجية التى قدمتها باسم ابنته الماهرة كشروط
لاطلاق سراحها ! »

ولم يكد يفرغ من صرخته حتى اجتمع في
بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة ...
وكان أول من أقبل يتنبون رب البحار ، ثم تلاه
هرمنس رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبولو ...
ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب
واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود
هذه القضيحة ! ثم أطل الآلهة بفقهون
وبضحكون ... ويتلهون بهذا النظر المعجب ،
ويقول بعضهم لبعض : « يا اللثم ساق إلى
أوخم المواقب ! وباللأعراج الأكسج ، يشأى ! »
السباق الجلى ! لقد استطاع فلكان أن يسك
بتلايب مارس ، الذى هو من هو ... مارس !
أسرع عدائى السماء إن عليه أن يؤدى الغرامة
(١) يساقه فيسقه

به ، كلاً أفورغ منه انحر مقدمة للآلهة . وسألمها
أن تمد للرجل حماماً ينمسه ، وأن تدع الأتواب
والأكسية كيما يبدثر بها
وأمرت الملكة خدنها فأعددت الحمام ،
وأحضرت هي توباً فضفاضا فوضعت فيه بدر
الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى
أوديسيوس فقالت له : «والآن أيها السيد هلم ففانق
هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت
في السفينة . » ولي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق
ثم ربطه بحبل طويل عقده تمقيدا . ثم دعت ربة
البيت إلى حمامه ؛ ولله كم أليقت عيناه حين رأى
الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ
فارق كليسو ... ثم اغتسل وتدثر ، وتضمخ بأحسن
الطيبوب ، وبرز كاحد آلهة الأولوب ... وبينما هو
يطوى الأبهاء إذا صوت جيل ذوغنة يهتف به ...
وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة
خلف عمود عظيم وهي تقول : « س . س . . .
أيها الغريب النازح اذكرفني دائما ، أنا ، أولي شئ
لقبك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : «نوزيكا !!
أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ لك الله !!
ألا وحق جوف رب الصواقر لو صحت الأحلام
ووصلت سالما إلى بلادى ظلت آخر الدهر أعبدك
عبادة أيها الجليلة المذراء كما أعبد الآلهة أربأى !! »
وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرمي بجواره ،
 واجتمع الفياشيون سررة أخرى ، ودارت الأقداح ،
 وأجلس الطرب الأعمى الآسهي ، فغرشيرا ، قريبا
من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من
شواء حمله أحد النذل ، فأقبل عليه الطرب حتى
اغتنى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال :
« كم أنت جدير بالثناء بدمودوكوس ، بل أنت
أولى به من أكثر الناس ليت شعري ! هل

السحب ، فينب الآخر فيأنتقطها وهو معلق في
الهواء ، ثم يتقاذفونها أحدهم بعد الآخر ، بين
تهليل الفتيان وتصفيقهم الشديد . وسر أوديسيوس
مما أبداه أبناء الملك في الرقص ، وأثنى عليهم لأبهم ،
ورجاء في الذي رجاء فيه من نهضة عودته ، فتوجه
الملك إلى زعماء شبيه وقال : « يا زعماء الفياشين
وأشياخ الأمة ! احري بنا أن نكرم مثنوى هذا
الضيف الذي بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير
أرومته الشئ الكثير ... هلموا إذن ... إنكم إننا
عشر زعماء ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل
منكم بكرة من الذهب وصداراً مَسْوَفاً فتكون
من الجميع هدية سنية له ... أما يوريلوس فقلبه
هدية كذلك ، وعليه أن يمتدح مما فاه به . » ووافق
الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسالهم يحضرون
البدر والصدور ؛ ثم نهض يوريلوس يمتدح ويقدم
لأوديسيوس سيفاً جرازاً له مقبض من فضة ،
وقراب مطعم بالماج ؛ ؟ ودعا له أن تسكلاه الآلهة
بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بمد
كل الذي احتمل من عناء ونصب . وتقبل
أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن
والسلم والرفاهية . ثم علق الجراز فوق كاهله الضخم
ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ،
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل
القصر ، ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ويحملونها إلى داخل
القصر ، حيث أمهم أربأى الملكة ... ونهض الملك
فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر
توباً وأكسية ، وأن تمد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ،
ملوك البحر ، التي خلموها على الضيف ؛ وقدم هو
هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ،
الحلي بأبهج الطرب وأبهى التصاوير ... « ليدكر

مرة إلى زوجها القتييل ، وصرتين إلى أبنائها
 التاسعين !! كذا كان أوديسيوس وكذلك كان
 يخفى دموعه في طرف رداءه فلا يراها أحد إلا
 الكينوس الملك الجالس قريبا منه ... وقال الملك
 متحدثا إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ
 الفياشيون ، أولى ثم أولى أن يفرغ اللشد من إنشاده ،
 فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه بما يسمع
 من هذا القصص الحزين ! لقد أحبيناه كأخ ووهبنا
 له محبتنا وودنا وصافي أخوتنا لا ليحزن أوباسي ...
 والآن ! هل يسمح ضيفنا فيذكر لنا اسمه الذي يعرفه
 به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، فهل ولد
 أحد ولم يحمل اسمنا ؟ من أنت أيها العزيز ، وما
 بلادك ؟ وإلى أين تحملك سفينتي ويحرب بك رجال ؟
 لقد منحنا نيتيون - رب البحار - الأمن في ذلك
 البوم وذلل لنا غواشيه ، ولكنه ليس أشق عليه من
 أن يحمل سفنتنا أغرابا مثلك لانعرفهم فتبحر بهم
 إلى بلادهم !! إنه يفضب علينا ، وقد يفرق سفنتنا
 تشقيا وانتقاما حينئذ تمود أدراسها إلى بلادنا ، فتهوى
 إلى الأحماق ثم يسرحها إلى جبل فاق فوق العباب ،
 قيتل شيريا ! تسلم أيها السيد ! أصدقنا ! من
 أنت ؟ ومن أي البلاد قدمت ؟ وأين ضربت
 بطون الركائب ؟ وأي الأمصار شاهدت ؟ وماذا
 يفجر هذا الأسمى في أحماقك كما سمعت عن جنود
 الآخرين وكما ترددت في أذنيك أقنيات طروادة ؟ إن
 الآلهة تحيك من حاضر المرء طليسان المعلوم لئلا
 تقتل أبوك ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟
 أم قضى حموك في ساحاتها ؟ أم أودى أسدقاء لك
 أحباء في حلبتها ، كنت تصدم كيمض أهلك ،
 أو أعز من أهلك ؟ تكلم ! »

دربني غشبة

(يتبع)

تفتت موسيقاك على عرائس الفنون ، أم أنت قد
 حذقتها على أبوالو نفسه ! لقد أنشدت ما كان من
 جيش الآخرين كأنك كنت شاهد عيان ، أو كأن
 شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمر ! تحدث
 عن الحصان الهولة التي صنعه إيبوس بإرشاد مينرفا ،
 والتي حمله أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع
 طروادة ، ثم اختبأ هو وهم فيه ، فكانوا أول خراب
 إليوم !! تنن ! إلى سوف أحمل اسمك فأنتشره في
 الأفاق أيها الطرب المعجز الذي لا يباريه إلا عازف
 موسيقى السماء ، أبوالو ! تقدس اسمه »

وتنزل أبوالو على لسان اللشد فراح يقص الوقائع
 الطروادية مذكرا حرق اليونانيون معسكرهم وبعد
 إقلاعهم من شطآن إليوم وذلك الانقسام في الرأي
 بين الطرواديين عن الحصان الهولة أيقصمون ظهره
 أم يدقون عنقه أم يحفظونه نذكارا لهذه الحرب
 ونصبيا للآلهة ... على كل حال لقد تناولوا الحصان
 داخل أسوارهم ليكون القاضي عليهم بمن فيه من هذه
 النخبة أولى القوة من أبطال الآخرين ... وهكذا
 قدر عليهم في الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...
 تنفى الشاعر المتفنن بكل هذا ، وأثنى أعما ثناء على
 أوديسيوس الذي كان يكر كانه مارس ، ومثالا يوس
 الذي كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد
 الذين فازوا بالنصر في ظل بالالا - مينرفا - ربة
 الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء الطرب
 وإنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ،
 والآهات العميقة تشق صدره شقا ... كأنها آهات
 تلك الأم الرؤوم التي وقعت فوق جثمان زوجها
 الباسل تبكيه وتنميه ، وقد سقط في الحومة يدفع
 عن مدبنته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبنائها
 خضض يثاى كأفراخ القطا ... ثم يقبل الأعداء
 فيحصدون أنفاس هذه الأم بفضرة لازية ، فتنظر



الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والفنون

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بافكار عميقة روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر الحضارة المصرية للأمم العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الاداب العربية

الرسالة : تضيء في الفنون أساليب النهضة العربية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً، والخارجي مايساوي جنينها مصر، والبلاد العربية بخمسة ٢٠٪

طبع بالطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

العدد الحادى عشر ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ - ١ يوليه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من إحصاء القصص



فهرس العدد

صفحة			
٦٥٠	عنداء حلب	...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٦٥٧	في الروح	...	بقلم أحمد فتحي مرسى
٦٦٣	يوميات نائب في الأرياف	...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٦٦٤	عاقلة	...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٦٧٤	في غمرة الموت	...	بقلم الأستاذ عبد الحليم حدى
٦٨٢	الرسالة الأخيرة	...	بقلم محمد عبد الفتاح محمد
٦٨٧	الطفل السيد	...	بقلم شكرى محمد عياد
٦٩٢	العقد الذهبي	...	بقلم محمد الزاوى
٦٩٧	اعترافات فتى المصر	...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٧٠٤	الأوديسة	...	بقلم الأستاذ درويش خشبة

قوتيهما إلى سهول
سورية ووجهتهما حلب

وكان يوم من أيام
الربيع والنسيم البليل
هبَّ على جنائن
حلب الطوق المدينة

عَزَاءُ حَلَبَ

لِلْأَسْتَاذِ فَيْدِ كَسْ فَنَارِسْ

تحسبها عقوداً على نحر حسناء .
هناك ، في تلك المدينة التي
تنصب الخيرات إليها من
جوانبها الأربع : مصر
وطرابلس وبنسداد
وأرضروم ، كان شعب
كبير من بقايا مملكة الدنيا ،
مملكة الرومان الخالدين
بقوتهم وضعفهم وضلالهم
ورغبتهم

منذ ٢٧ سنة كنت أنصح تاريخ العرب ،
فخطر لي أن أنسى منه أفايس أضعها الواقع
بأمانة للزورخ وأنسج برديتها بحبال الشاعر ،
وما كان في ذلك العهد من بهم للأقصوة
فيا أذكر لا ترجمة ولا تأليف . كتبت هذه
الأقصوة ونصرتها في جريدتي التي كانت
تصدر باسم (لسان الاتحاد) سنة ١٩١٠ في
بيروت ، وأردت متابعة التأليف فلجأت على
عواصف السياسة تردده من الماضي إلى الحاضر .
ومرت السنين فإذا أنا أرى هذه الأقصوة
بين مئات الصفحات التي أمتها السياسات الحوالة
كحجر كريم يلمع على أكوام من الرماد .
فليكس فارس

ولسا فتح بيت المقدس
أبوابه لمعمر بن الخطاب ، وقف
هذا الخليفة العظيم على أطلال
مملكة الرومان وآثار الملك
الخالد الذي وضع أساسه
رجل ليس من هذا العالم ،
وقف الخليفة حزينا على تلك
الأرض المقدسة التي دنسها
الرخاء وتحولت فيها أنوف
الليادي إلى طقوس وأوهام ،

وكانت حلب ، بدائنها المدينة منفردة على
سهولها الخضبة الخضراء كالقريا بنجومها البديدة
على صفحة الأطلس الأعلى . وفي وسطها المدينة
الكبرى حاملة قلعتها كالنتاج على مفرد بهاها
وسلطاتها ...

نحن الآن أمام هذه المدينة الزاهرة في أواخر
حكم اليونان على مدخل عصر جديد وحياة جديدة ،
في الأسواق حركة التجارة وحياة الأمم ، وفي الدور
والجنائن مجال اللهو والفحشاء : قبور الشعوب ...

وكانت غادة من بنات اليونان السوريين جالسة
إلى نافذة تطل على المروج في أطراف المدينة وقد

فلم يملك النفس أن يمدح البطريك سفرونيوس بنظرة
ما أكثر من يستحقها من كاهن وشيخ في هذه الأيام
وكان الحجر الذي ألقى يعقوب رأسه عليه
ليحلم حلمه المشهور مغلي بالأقدار ، فأمر الخليفة
أتباعه بتطهير ذلك المكان حيث بنى الجامع الفخم ،
ثم دعا إليه أبا عبيدة وزيد بن أبي سفيان وخولها
السيادة على سورية وفلسطين ، فكانت بلاد قيصرية
فيلس . نصيب يزيد ، وسورية على رجليها نصيب
أبي عبيدة . فتحت فلسطين أبوابها ليزيد ، وكانت
قربة رام الله أول من أبرم عهدا مع الفاتح ، ولكنه
وقف عند أبواب قيصرية لناعمتها ، وتحول عنها
زاجعا إلى أبي عبيدة فانضم الجيشان العربيان ودفعا

— دامس !

ووقف البطل العربي مرتجفاً كأنه مائل أمام اللات والعزى ، يبعد في جمال الفتاة أصنام أجداده ، وضع يمينه على قلبه ، وشماله لم تزل قابضة على مقبض سيفه ، وقال متشككاً باليونانية ولهجة الضاد يادية في كل مقطع من مقاطع كلامه :

— إذا كان هذا القلب لا يكفيك من الدنيا ، فغير لي أن أعود إلى الصحراء وأموت . لماذا لا تنبئين من جاء ليقدم إليك حياته ويحملك إلى بلاد الحب

وكان دامس قد جثا أمام هيلانة وهي تنظر إليه ملياً ثم تلتفت إلى ما حولها ، والدمع يجول في عينها ؛ وبعد سكوت عميق وضمت الفتاة يدها على كتف البطل العربي وقالت :

— أحبك يا دامس ، ولكنني أحب بلادى . إن التي تولد في رياض خلج لا تقدر أن تعيش في لواقع الصحراء . ولولا أنني آملت احتلال جيوشكم هذه البلاد لكنت أبارحها ملك لأموت بين ذراعيك حيث تشاء ، وليكن لا تنس يا دامس أن أبطال عمر واقفون على مقربة منا ، وأنتى أنتظر مع أهلى وأبناء هذه البلاد الجميلة نهاية استبداد خلفاء هرقل لينهض هذا الشعب البائس من شقاءه بعد أن طال استبداده لكبرياء أسباطه . لقد استجالت الشرائع السامية التي سادت أجدادنا إلى قنائة عند قاعدة عروش الظالمين الذين لا يعرفون غير شريعة القساوة والاعتصاب . ألا تذكره يا دامس ، ذلك الشاب الزاهد المتشبع بالسواد الذى رأيته يتمشى أمام هذه الحديقة في أول يوم رأيته فيه ؟

— إننى أذكر ذلك

أرخت شعرها على كتفها وأسندت وجهها الأبيض الناصع إلى يدها وألملمها تتحرك باهتزاز عصبي ، وعينها شاخصتان قارة إلى السماء وتارة إلى أسوار القلعة الراسية فوق المرتفع كبرج حصين يهدد الآفاق وهوأ جماً انبسط تحت من مهول ... ومالت الشمس إلى الغرب ، ورنث أجراس المابد من جوانب المدينة فانتهت الفتاة ورسمت على وجهها وصدرها رسم الصليب ، وهي معلقة أبصارها على الطريق التوارية في السهول البعيدة ولاح بين الجنائن شبح تقدم مسرعا حتى كان أمام النافذة فوقف هناك راسماً حلقة في الهواء ثم اختفى وراء أشجار القسطنق النضرة

وأرسلت الشمس قبلتها الأخيرة على أحجار القلعة وتوارت وراء الجبال المخيطة صرت الساعة الأولى من الليل وساد الظلام وكانت الحديقة المحاذية لبنت غادة حاب قد أفتقرت وأغلق بابها الحديدي

وكان الأشجار قد شعرت بانطفاء عيون الرقباء فالت مع النسيات تمناني أعصابها فتنازع أوراقها بحفيف كأنه ارتجاء الشعور على التحور ...

وظهرت فتاة تحت جناح الليل ملقعة بدثار من أجل ما نسجت أنوال خلج اليونانية ، وقفت الفتاة أمام المدخل الحديدي وشخصت إلى أعلى رتاجه ، وما عتمت أن انقض من أعلى السور إلى الحديقة رجل ملتف بعباءة وعلى رأسه كوفية سوداء وعلى جنبه يمانى محذوب ؛ انحدركا يتحدرا الطير من الهواء متقصاً على غصن ، أو كغراش الريح تسكره الزهرة بعبيرها فتجذبه إليها ...

— هيلانة !

وكان الحواس قد بلغ أشده في دامس وهو
يشكل فارتفعت كوفيته عن جبينه واسترخى عقاله
فلاح جبينه الأسمر مكللاً بقطرات العرق، وكانت
عيناه ترميان شرراً، وذعرت الفتاة من هذا المشهد
فأصبحت مخلوبة أمام حبيبها تندفع إلى الاقرار
فيصدها ما تراه من حساسة، كان دامس يطلب الحب
في الحق وهي تحاذر أن يفضي ذلك الحق على حبه
شمرت هيلانة بحرب تستمر في قلبها بين
ماضيها وحاضرها، فأحسّت رأسها يتعب كما تتعب
الزهرة أمام عاصفة هواء، فقالت في نفسها: «إنه
وهو في شك يكاد يحس، فأ يكون حاله لو عرف
الحقيقة يا ترى؟» إن الحاضر له ومستقبله بين يديه؛
أما الماضي فهو لي، لي وحدي أحفظ بأسراره
وليس لغير الله أن يسبر أغواره
على أن صوتاً خفياً كأنه الأنين كان يرتفع من
ضمير الفتاة هاتفاً:

«إن من خدع في الحب فقد كفر بقلبه وقضى
على عواطفه، إن المحبة المستقرة على الخفايا والأسرار
ليست محبة كأن الله إذا جعل الوجود لا يكون إنساً»
- ولكن مدينة ذلك الزمان لم تكن تؤهل أبناءها
لسماع مثل هذا الصوت الخفي، لذلك انتفضت
هيلانة كأنها تستفيق من حلم عميق وقالت:

- لقد رجوتك مراراً يا دامس ألا تعود
إلى مثل هذا الكلام. حلفت لك وأكرر أمامك
القسم بأنني ما أحببت سواك فأكنت
- أمام قسمك أكذب نفسي وعياني
يا هيلانة، وأنا أقسم لك بأنني لن أحول عن نيلك
مادام في دم وحياء، ولو كلني قنقح حباب هلاك،
فسأ أنا راجع عن أماني ولو اضطررت إلى تساق
جدران القلعة وخدي

وارتشم دامس كأن في هذه الذكرى نارا
لاسعة، فابتسمت الفتاة بمرارة وقالت:

- أجل هي شرارة الغيرة، يا ابن الصحراء!
هذه لمعاتها في أحداقك. لا تنكر. أظن أنني
أحببته؟ أف لهذا المرض الهائل الذي لا تعرفه
بنات اليونان في رجالهن!

رفع دامس بصره إلى السماء وقد خرج من
فه أنين عميق كأنه زئير ليث جريح وقال:

- إن لم يكن فينا نحن العرب من داء غير
هذا الداء لكفنا دلالة على ما فينا من أنفة ونهم.
هي معزة النفس تنال. هو الدم يحترق بمحارة
الصيانة والشرف. هو المجد الأثيل ذلك الداء. أو
تسميته داء يا ابنة المجد التداخي التي لا ترى حولها
غير رجال استجبرت قلوبهم وجمد دهم في عروقهم
الترابية! إن الغيرة ليست واحدة في قلوب
الرجال يا هيلانة، فمنهم من يغار لأنه تعود الانتماس
في الشهوات فهو لا يرى إلا الشر حيناً أدار بصره؛
ومنهم من يغار عن صيانة في النفس ورفعة في
القلب، وما أنا ممن يفترون بما يشعرون. أريدك
سامية كما يصوزك خيال العربي في دماغ الملتهب.
أريدك واقفة من حبي إلى درجة إظهار نفسك
أمامي كما هي؛ ولملك لا تدرकिन ما أرجوه منك.
لقد لحت منك نظرة أقيمتها على ذلك الزاهد ولم تزل
تلك النظرة مستقرة كالسهم في قلبي، وأراك تعمدين
إلى التوبة كلما أردت سبر سرك. ونحن معشر
العرب لم تعود الكذب. قولي لي إنك كنت
أحببت ذلك الزاهد فلا أحق ولا أثور، ولكن
الشك في صدقك وإخلاصك يقضي على. لقد أبت
نفسنا أن نتلق بالكاذبين ونحن نعلمها تحت
البهود إلى الفتح المبين ...

— النفث المنهوسون حول يوا كينا لأنهم اعتقدوا فيه الاستيسال في الدفاع عن البلاد ، وقد تبعوه الى ممركة أمس وأنت أدري بما سيكون
— أليس في المدينة بقية من حزب القتلى يحيل الى التسليم ؟

— بلى ، كلهم يريدون الأمان ، ولكن وقاحة يوا كينا تنقل عليهم ولم تزل أشباح إخوانهم تتراى في الليل على الدماء التي خضبت الساحة ولم يسمح الظالم بمحو آثارها

وكان دامس ينكت الأرض برأس سيفه مستغرقاً في التفكير ، ثم رفع رأسه وقال :

— إلى اللقي إذا يا هيلانة ! جدد إعانك واثبتى على العهد . إن شبك سيجر من عبوديته ، ونحن يسود العدل ربوئك سأقيم لك من أخلاعي بيتاً تسكنينه على أرض أجدادك ، ولكن اعلمى أنني لم أزل أذكر تلك اللقطة المأثرة .. وبلاء . . . إن الأيام هاتكة الأستار ، فإذا رأيت المستقبل أشد غيرة منك على شرفي فأني أحول هذا السيف الى صميم القلب أموت . . . لك هذه الدقائق القليلة ، يا هيلانة اهتكي أمامي أستأثر كبريائك فلا تخادى نفسك . أجيبى بحق السك الذي أعبد وتعبدن ، هل أحببت أحداً قبلى ؟

— لا

وتماثق الحبيبان

وكانت قطرات الأمل تسقط كالندى على قلب دامس ، ودموع هيلانة تنحدر مترجمة إلى فلبها كأنسكاب التسلين على حجارة جهنم السوداء

وساد الظلام على مدينة حلب وأرجائها وكانت مضارب الحملة العربية منتشرة حول أبواب المدينة

— اسمع يا دامس ، لقد قطعت على الكلام بلواسع غيرتك الجنوبية ، فلم تصبر ربنا أقص عليك ما تعلم . ذكرتك بالزاهد لا لأثير حنقك ، بل لأقول لك إنه مات مقتولاً بسيف أخيه في ساحة حلب نفسها .

— إذا هو أخ يوا كينا حاكم البلاد ، وآخر حامل لتاج هرقل .. علمنا أن هذا الملك قتل زاهداً وليكننا ما علمنا أن القاتل أخوه

— إن يوحنا الزاهد هو أخ يوا كينا الظالم السفاح ، فان يوحنا الذي أسأت به الظن ، قد دعا الشعب للاستسلام للعرب ، لأنه عرف عدلم وتيقن نبالة قصدهم ، وكان قد ذهب إلى ممسكر أبي عبيدة يتبعه عدد من أهل المدينة فأترم مع الفاتحين عهداً ، ورجع بمن معه عند الدروب على أمل تسليم المدينة عند بزوغ الفجر ، ولكن يوا كينا كان في انتظارهم في الساحة العمومية مع جنده ، ولما التقى بأخيه ألقى القبض عليه وأمر بنحر من اتبعوه واحداً فواحداً حتى خضبت الساحة بدمائهم ، فثارت حجة يوحنا فصرخ بأعلى صوته أمام الجماهير المحتشدة :

— ليأت العرب بمدلم لتخليص الشعب من ظلمك . . .

حينئذ نزع سيف يوا كينا مخترقاً صدر أخيه ، فسقط المسكين قتيلاً وهو يعمل على تحرير قومه من السفاح وتهديج صوت الفتاة بفصاة الدموع ، فشمس دامس بهبوب نسائم الذكرى من وراء القبور فارتمش وكادت غيرة أن ترجع به إلى خطابه البتور ولكنه ثبت في موقف التفكير بأحوال الحملة الفاتحة فأمر يده على جيبيته وقال :

— وبعد ذلك ؟

لأطير وأنقض من حالي على يوا كينا الناص الآل
في بحار ملذاته !

وسقطت من جفون دامس دمعان نزلنا يبط
على شاربيه فسحخما بأردانه وشخص إلى السماء ،
وتقدم الشيخ الطويل إليه حتى لامسه ووضع يده
على كتفه وقال :

— اسمع أيها العربي . أنا يوناني أحفظ في
ذا كرتي كثير آ من أمجاد مملكة هرقل في سوريا .
أنا مسيحي أؤمن بالمسيح وإنجيله الطاهر ، فانا
اليوناني المسيحي سأسلم أمتع نقطة في ملكنا إلى
يد العربي المسلم ، ويشهد الله أن ما أقوم به إنما
هو واجب عليه الضمير على ، فلست بالخائن ولو
وصفني الناس بالروقي . إن حلب بأسرها تسلم
زمامها لخليفة نبيكم ولكن يوا كينا العاصي يتحصن
في هذه القلعة ويطلق الحصار مدعياً أنه يصد
هجمات الاسلام حفظاً لدين أجداده وهو الذي
يدعي المحافظة على الدين قد صبغ الساحة بدماء
رجالنا وكان ابني الوحيد بيت أولئك الوطنيين
التمردين على الفساد والظلم

بكيت وحيدى بكل دموى ، وأقسمت ألا
أجيب داعي الذون ، وأن أعمد عليه إلى أن يقبض لي
الله أن أرى انهيار هذا الملك وأطمح عرش يوا كينا
الناشم ، إنني لن أترك الحياة إلا وأنا أحرق قطعة
من عرش يوا كينا على قبر ابني الشهيد
واختنق صوت الشيخ فترة ليرتفع بكل
نبرات الافتناع فقال :

— لست بحاجة لإطالة الكلام لأبرر نفسي
أنت تعرف أن النصارى كلهم أنفوا الدل وتركوا
الحياة مستعبدين لرجل لا إله له غير كبريائه وشمواته

تشب النيران فيها والجنود واقفون ينتظرون
المشاء

على أن من يتميز هؤلاء العربان عن قرب يجد
بينهم عدداً وفيراً من سكان المدينة ويرى من حين
إلى آخر نسوة يونانيات حاملات للجنود أطباق
الحلوى

وكان هواء الليل يحمل إلى بعيد صوت نشيد
عربي نغم بدوى كأنه هتاف الحجاز على أطلال
بزاطة اللندانية ، ثم لا يلبث أن يجاوبه نشيد
متقطع باللغة اليونانية كأنه أنين الأجيال المزمعة
الرحيل عن ملعب الدنيا

على مقربة من أحد المضارب الواسعة كان
البطل دامس جالساً القرفصاء وقد تشنجت أصابعه
على مقبض سيفه وهو غارق بالتفكير ، مضت ساعة
وهذا الرجل جامد لا يتحرك ولكن خشيش
الأعشاب اليابسة أمام مضربه نهبه لقدوم رجل
طويل القامة ملتف برداء يوناني وقف أمامه وقال له :
— أراك قانطاً يا دامس وليس مثل هذا اليوم
يحفظ الأبطال القنوط

بق دامس جامداً ولكن ارتجافاً عصبياً كان
يجمد جبينه العالي ، فرفع رأسه وقال :

— سوف نمود من حيث أتينا ، وهذا المقاب
الكاثر متحصن وراء هذه الجدران . والله لو أن هذا
الحصن المنيع حراب مسمومة لاخرتته بصدرى ،
ولكنه حجر أصم جامد فلا هو يقتلني ولا أنا
أقوى على تحطيمه

وانتفض دامس محدقاً بالقلعة وهي مخترقة
السحاب كأنها تهزأ بالزمان
— أواه ! لو يستبدل الله ساعدى بجناحين

الصوت الخالد المهيب في أعماق ضميره الى الجهاد من أجل الحق، ولكن البطل العربي في نشوة إيمانه كان قد لاس بحسه الباطن الواقع الكائنية التي تتجلى مبادئها وراء الزمان والمكان، فسمع هاتفا عميقاً بعيداً عن حواسه بناديه :

إن في القلعة قبر حبك، ولكن وراءها المحطم بقبضة يدك الخطوة الأولى للمهد الجديد، بداية حكم العرب المجيد...

وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل، وأخذت الأنوار تنطق متتابة داخل أسوار القلعة، وبلغ السكر حده في أدمنة الجنود والحراس فتقلت أجناسهم وناموا وهم مضغون بقية الألحان اليونانية التي كانوا يتشدقون بها...

وكان يواكينا لم يزل ساهراً يكرج الراح في إحدى البنايات الفخمة القائمة إلى جنوب القلعة وبين يديه غادة رومية استندت إلى عود تنطق أوتار لغة القلوب وكانت تشدد قائلة :

« وإذا جن الليل وأرسلت الدماء من نجومها لمعات الأسرار، عندما يستغرق كل شيء في السكون ينتبه الكون بأسره في عين تلمع، وقلب ينبض، حينئذ إذا كنت جندياً فاجعل من درءك كاسك، وإن كنت كاهناً فأكرع الحجرة من كأس الهيكل، الحب هو الآس المبود، فإن زهدت في الحب كفرت بربك »

وكان يواكينا يصوب أنظاره حيناً فحيناً إلى الجهة الشمالية من البرج فتخفق أهداب جفنيه على نظرات منكسرة في أحداقه

وكانت تقف أبصاره على غرفة موصدة هنالك في طرف القلعة حيث كان يقيم أخوه الزاهد يوحنا.

إن من يبلطخ يده حتى يدم ابن أبيه وأمه ليس إلا كافر بالله وبروح الله، وأنا أعتقد كما يمتد جميع العقلاء في بلادنا أن دين النبي الربى ليس إلا شملة من روح الحق يرسلها الله إلى الأرض لتجديد قوى الخير والقضاء على الفساد والضلال، فالنصرانية الحقمة المتألمة من الطغاة الكافرين بها تمد يدها من قلوبنا لتصافح الاسلام، وما هو إلا صنوها الذي حطم الأنعام ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد

إن يواكينا يتلاعب بنسا باسم الدين ليدعم عرشه المساوي بجهاجم أبنائنا، وهو الكافر بربه فكيف يمتد بالمسيح؟ إنما الدين هو العدل، وما أورث الله الأرض إلا رجال الحق، وأنتم أولئك الرجال - إنني أومن بالفتح المبين لاستقاط سلطنة المارقين، ولكني لا أعيز السبيل إليه في قضاء الله، وهذه القلعة واقعة بين السامعي والمعتقل حلقة جبارة تملأ الفضاء، وأية قوة تستصل إليها لتكسرهما؟

- إذ ذهب إلى أبي عبيدة وتهدد له بفتح القلعة وعد إلى أنتم عملنا هذا المساء، ولكن جنودكم على أهبة الهجوم

- إنني أتمنك إيان تريد، اقد في إلى أشداق الموت. إن الجهاد حق على المؤمنين

ونهض دامس وقد ملأت عقيدته جوانب نفسه، فخدج القلعة الثلاثية بالأنوار بلفات النسر المتحيز للانطلاق، وما تقدم بضغ خطوات حتى استوقفه خفقان قلبه الماشق وقد هتف صوت هيلالة فيه : تقدم إلى اللقاء، إلى كوثر الحب التندف من شفتي، فانتفض المجاهد الطلق في وجدانه يخفق هذا الصوت الخليل خشية تطرقه إلى نبرات

كالأسد الثائر فكتم أنفاسه وألقاه صريحا ، وكان الشيخ اليوناني قد تقدم كالبرق الخاطف نحو الباب الكبير ففتحه من الداخل ، ولم تمض فترة من الزمان حتى كان أبطال العرب مستوليين على الحصن تخفق على مرئفاته أعلامهم الخضراء ...

وتكحل الشفق بأواثل ذرات النور في إحدى خنادق القلعة كانت جثة باردة ممتدة وقد تقلصت أصابع كفها على ذخيرة مفتوحة تدلت منها خصلة شعر تخفضت بالدم ...
الذخيرة ذخيرة يوحنا الزاهد القتييل يشهد رسم هيلانة وشعرها فيها بما أودى بحياة دامس البطل العربي الذي دون التاريخ فتحه أبواب الحصن المنيع

وفي القاعة الكبرى ، داخل الحصن ، كان رجل يكلى العرق جبينه ظارحا سيقه عند قدميه يدور به أبطال العرب وهو رافع يده هاتفا :
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..
هو يواكينا ذلك الشهيد ، هو مرهق شبيه وعبد شهواته وناحر أخيه بيده هو الجاني على دين الله في للذهبيين الموصلين الى الله
وبين القمار كان شيخ هرم يحرق قطعة من الخشب الموشى بالذهب فوق حفرة لم تحب ردومها بعد

وعلى قصر من قصور حلب الشاهقة ، كانت فتاة ترفع أبصارها إلى السماء وتضع يدها على قلبها معلقة أبصارها على الطريق منتظرة عودة من خلد الحب وأرداه الخلداء ...

فيكس فارس

هناك في تلك الغرفة المدخل السري الوحيد للقلعة ولكن ذلك المدخل موصد الآن على بقايا أبواب الراهب القتييل وقد علقت بها سلسلة ذهبية مربوطة على ذخيرة انفتحت عن صورة فتاة وخصلة كبيرة من الشعر

لشعر فترات هودكا للخير غفلات في ضمير الانسان

وكان صوت المغنية الرومية يرن في أذن السفاح فيذهب قسم منه إلى ضلاله ويتساقط قسمه الثاني على روحه كالندى على الأزهار اليابسة . كانت كلمات الأغنية البديشة تستقر في شهوته وتدور مع دمه الفاسد ، ولكن اللحن أو النغمت أو الابقاع ، تلك الأصوات السرية التي لم يقو الانسان على إفسادها كانت ترفرف فوق كلمات الأغاني كأنها حمامة بيضاء تأتة فوق جيفة منتنة ، فتذكر يواكينا أن في السكون شيئا لا يقدر الانسان أن يتناوله بيد الأرجاس

ولكن هذا المحارب اليوناني العاني الذي تمضى إلى معقله المنيع على أنهار من الدماء لم تستوقفه طويلا همسات بحواء ، فتقدم مترنحا في سكرة إلى الفتاة الرومية يتحدثها ويداعب شعرها الذهبي الطويل موليا ظهره لباب غرفة أخيه الموصدة ..

وفي تلك الدقيقة ، ابتدأت أخشاب ذلك الباب بالسقوط تحت ضربات خفية وظهر شبح اليوناني الطويل دليل دامس فتقدم باحتراس متطلما إلى كل جهة ، وكان هنالك حارس ممدد على الأرض فانتبه من نومه مذعورا قابضاً على حسيقه ووقف لينادي ، ولكن دامسا اقتض عليه من الغرفة

فلملوك

للقصصني الروسي كسيم جوركي
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

على ضفاف «الدينير»
وكان أولنا جندياً سابقاً
في الجيش، رجلاً أحر
الشعر، بأني الطول،
ضامر العود، طلق
اللسان، يروي الكثير
عن حياة السجون،
وعيشة الأسار
أما الثاني فكان شاباً
ريق الشباب، لدن
الماطف، ضاوي الجسم،
وقد أخبرنا عند لقينا

أنه طالب في جامعة موسكو، فلم نمن لذلك كثيراً،
فقد كان كل ما يعيننا أنه جائع طارو البطن مثلنا
وكنت أمانهم يوجهي الخضر الصامت،
وحياي الذي لازمني منذ بواكر أيامي، ولن أنطلق
مك في الحديث عن نفسي فليس هذا مقام ذلك،
ولكنني أقصر القول على أنني كنت كثير الوقوف
من نفسي ولم أزل كذلك...

وكنت أمانى الجندي في المقدمة، أما الطالب
فكان يتخطر وراءنا في ولاء ومهل، وقد علق بمطقيه
شيء بال كان يشبه المطف في حين من الأحيان،
وعلبت رأسه بقايا قيمة زرقاء قديمة، وبداء قدميه
جذاء عتيق يخليل إلى أنه التفت من جنبات الطريق،
أما الجندي فكان يكتسى قميصاً وردى اللون، وقبعة
حرية الطراز، أما قداما فكانتا عاريتين شيتين...

وهكذا كنت أنا أيضاً

وطفنا قلب الطرف في أرجاء تلك المروج
الناضرة الجنبات، فما عادت نواظرنا منها باطل
ألم إلا السماء الرائقة الساجية، التي كانت أشبه
شيء بطق أزرق هائل قلب على الأرض، وكان

... ومضينا في طريقنا بحث الخطى، بعد
أن خلفنا وراءنا «ميركوب» فهما كالذهب،
ناظرا على العالم أجمع... فبذا اثنتي عشرة ساعة أوزيد،
ونحن ندير الاحتظ في نواحي المرج، وتتقصى النظر
على جنبات الطريق، علنا تقع على شيء نقيم به
أودنا... ولكن أعيينا حشرت عن ذلك نهاية
ذلك الفضاء للتصل... وأخيراً قرأنا العزم على
أن نصل السير... ولكن إلى أين؟... ثمّة إلى
الأمام قليلاً... فسرنا في صمت وضيق، وقد
تراخت أعصابنا من الجوع، وارتبكت مفاصلنا
من النصب، وقصرت خطانا من الأين
وكنا ثلاثة عرف كل منا الآخر في سامر ليلي

* تحفل الأوساط الأدبية في موسكو في هذه الأيام
بذكرى مرور عام على وفاة شيخ أدبها الحديث، وكانت
البايع كسيم جوركي... وقد توفي جوركي في مثل هذه
الأيام من العام الماضي... بعد أن قضى حياة بائسة طويلة ذات
فيها الكثير من شروب الموز والمفافة والتفرد، وقد طبعته
هذه الحياة على نوع من الأدب ملازم من غيره. وهو افتناه
في وصف البؤس وذكر البائسين، وقد تغيرنا له هذه القصة
لأنها تمثل — على ما نرى — جانباً من عيشته، وطرفاً
من حياته

— لا شيء هنالك ... لم يبق إلا أن تقفى الليل في ذلك الصقع النائي ... فهيا نجتمع بهض الحطب لنضرم النار أيها الرفاق فانطلقنا نلتقط من المرج ما اعترض سبلنا من أضغاث الأعشاب الجافة، وكنا كلما تنشئ الجسم لالتقاط عود جاف يساقط على نفسه، وبأنى أن يستقيم ويستوى ثمانية كأن به رغبة ملححة إلى التمدد والتطرح، لما أسوأه من الاعياء والنصب والجوع. وهتف الجندي أخيراً :

— لو قبض لنا الله من هذا المرج ثمة جذر من جذور النبات، فان من الجذور ما يؤكل ؟ ولكن الحزون كانت تبدو حولنا متبسطة مبهمة خالية من الأشجار ... وكان الليل غاشياً على السكون، وقد رجفت في ثنياء النجوم الفرازة، وضاءة الطلعة، وهاجة الجبين ... وعلى حين غرة أقبل الطالب علينا هامساً :

— أيها الرفاق ... إن عن شالكم رجلاً راقداً في المرج، فقال الجندي :

— رجل ؟ .. ولم يرد هنا ؟ لابد أنه مريض بالطعام ... فما يدلج إنسان في تلك الشعاب النائية دون طعام أو شراب ... هيا نذهب إليه أيها الرفاق وتقدمنا الطالب بعينيه البراقة الخضراء، فسيح الخطو، حثيث السير، وكان الرجل جامداً في مرقدته لا يتخلج أطرافه، ولا تقطر عيناه فتطرق إلينا الشك ... وقال الجندي :

— ربما لم يكن هذا رجلاً ...

ولكن سرعان ما تبדת الرقيب فقد طرق سمنا صوت مزّن الجرس، متنق الثبرات شق غواشي الظلام يقول :

— مكانكم .. وإلا ألحبت رءوسكم !

الطريق ضيقاً حسباً تلوح على حفافيه أكوام مشتتة من القمح المشيم، بينما انتشرت في نواحي المرج بضمة أهواجافة أغفلها منجل الحاصد فلاحت كتلك الشمرات البيضاء التناثرة في عذارى رقيقنا الجندي ومضينا في سيرنا، ووجهتنا ذلك الأفق البعيد، وقد ضرب عليه السحاب لثاماً رائقاً غراراً، فرفع الطالب إليه لظه وأوماً نحوه بينانه قائلاً في تحية وزهو :

— تلك ولا شك جبال « الكريعان » التي

درسناها

فنظر إليه الجندي عجباً وقال :

— جبال ... أى جبال يا رفيق ؟ ... تلك سحابة صافية شفة كاللبن المروق، ووددت من من نفسي لو كانت حقاً من اللبن المروق فتروى منها عطشنا، ونبل بها سداناً ... ومضت برهة قبل أن ينبس أحدنا ببنت شفة. وأخيراً قال الطالب في لهجة العاتب :

— لقد قلت لكم إنكم تضربون إلى الأصقاع الغير الآهلة بالسكان ... فقاطعه الجندي قائلاً :

— لقد قلت أنا ...؟ حقاً هذا دورك لتقول لنا، فأنت بيننا الضارب بهمهم أوفر في العلم، ولكن خبرني يارفيق أين هي إذن الجهات الآهلة بالسكان ؟ فلم يجر الطالب جواباً، وسرناً يرتق فوقنا الصمت، وكانت الشمس قد جمعت خيسوطها الذهبية عن السكون ولم يبق منها على الأفق إلا الشفق الأحمر الزهى، وقد تتجلى فيه الأمل الباسم، ولفته غلالة وودية شفة من السحب، فبست المروج موجشة صامدة، وقد هفا عليها السكون، ورائت فوقها الهدأة، وأخيراً قال الجندي وهو يتنسمت ويتلفت :

رفيقى وأخذت أحطم ذلك الخبز الجاف بأسناني
التي كانت على أهبة لضغ الصخر، وأحسست وأنا
ألوك في شدتي تلك اللقيات، أنها مرغان
ما انقلبت دماء دافقة في الجسم فأنستني ما مضى
من الجوع وما مر من الفاقة... ولكن عند
ما ألقيت في فمي بما بقي من فئات الطعام أحسست
جوعاً مضاعفاً من جديد... وهمس إلينا
الجندى أخيراً:

— إنني على يقين من أن ذلك الرجل معه لحم
أيضاً... وأضاف الطالب:

— وللتثبت من ذلك أقول إن الخبز يفوح
رائحة اللحم....

وكنا جالوساً بمضنا
إلى مبض وقد جمع حولنا
الليل مسوحه السود،
وبسط علينا الصمت
جناحه الشامل حتى عدنا
نسمع ضربات قلوبنا،
ونائمة أنفاسنا....
... وكنا جالسين!

انتظروا قريباً السيد عمر مكرم مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد

ومضينا تتداول وتتقاول في ذلك، إلى أن
أثرت أخيراً على رفيقي أن نسطو على الرجل
فنأكل ما بقي من طعامه دون أن نمسه بشر؛
وصادف هذا الرأي هوى من نفس الجندى فصاح:

— هيا بنا أيها الرفاق

فقمنا متخاذلين وبمنا شطار الرجل ونحن
نتأمل في خطانا، فما جزأنا خطوتين أو ثلاث
خطوات... حتى أصمّ آذاننا دوى طاق شديد
شق سكوت المروج الشامل... فصاح الجندى
بالرجل:

— أخطأت المرى أيها الرفيق!...

فانتهمنا فإذا الرجل قد انتهم من رقدته وفي يده
«مسدس» صغير، ألجم به أفواهنا وعقل أقدامنا
وأخيراً هتف به الجندى:

— لا تزعج أيها الرفيق... فلن نمسك بسوء
إننا نكاد نصرع جوعاً... فأعطينا شيئاً من الخبز
ولكن الرجل تلبث في مكانه جامداً لا يخرج،
شاخصاً لا يطرف... فاسترسل الجندى:

— ألا تسمع أيها الرفيق... فأجاب الرجل
وهو راجف واجف

— حسن... فصاح به الجندى

— لا تطرق فؤادك الريبة أيها الرفيق...

فإننا لا نبنى بك شراً

وتبدت على شفى
الجندى ابتسامة ظافرة،
لم يشبهها الرجل القريب
لطول الشقة وبهمة
الليل... وأخيراً قال
القريب:

— انتظروا... ثم

لوح بيده في الهواء نقطة

عند أقدامنا شيء أسود هوى عليه الطالب بيده،
فإذا به يشع لقيات جافة مُمبرة، سوداء مُشمعة،
فلم نلق بالالهذه الصفات الأخيرة المتنابهة، بل
جلسنا حول الجندى، وكان قد ارتفق الأرض
وطفق يقسم بيننا الخبز

— هذا نصيبك أيها الرفيق... وتلك
حصتك أيها الطالب... وهذا ما تبقى لي...
كلا، ماهذه بقسمة عدل، أعطى قطعة من نصيبك
أيها الطالب

فانصاع الطالب صاغراً وأعطاه ما طلب،
وجلسنا نأكل في صمت... وقد انفردت عن

- وأسرعنا إلى الرجل فألقى الطالب بنفسه على
كيس طعامه ... وأنجح الجندي نحو الرجل
المسكين وكان قد تطرّح على ظهره وهو واجف
راعش ، فركله الجندي بقدمه قائلاً :
- كان الأول أن تطلق النار على نفسك
أيها النقي — وهنت الطالب مازحاً :
- لقد عثرت على اللحم أيها الرفاق فعمالوا
نأكل ...
- وجلسنا نأكل من جديد ، وكان الليل حولنا
ملئاً بظلامه ، سواد على سواد ... وعلى حين
غرة سمعنا الرجل المسكين يغمغم من صوت خافت
كأنه الآنين :
- عفواً ... أيها الرفاق ... كيف لي أن
أعلم ... لقد أطلقت النار لأن الرعب ملا أجوانحي .
إني في طريق إلى مقاطعة « سمولنسك » وقد
تولتني الحمى عند مغرب الشمس ، فوهي منها
جسمي ، وهنت أعصابي ، وأخذت على مذاهب
السير ... إنني أمارس التجارة ... ولدي زوجة
وطفلتان لم تبارني منذ أربعة أعوام خلون ... لكم
الطعام فكلوا كل شيء ... أيها الرفاق ... »
فأجاب الطالب :
- « وهل نحن في انتظار إذنك ؟ » ثم هس
إليها الطالب :
- لا شك أن ذلك الرجل معه نقود أيضاً
فأجاب الجندي :
- إنك دائماً صائب التخمين أيها الرفيق
ثم نهض الجندي قائلاً :
- هيا نضرم النار لننام أيها الرفاق ...
فالتفت عينا الطالب ثم قال :
- وماذا عن الرجل ؟
— فليذهب إلى الشيطان ... أما كني أن أكلنا
طعامه
- وتفرقنا من المرح نجتمع ما ألقيناه من الأعشاب
عندما يفتنا الرجل ثم أشعلنا النار في كومة
الحشيم ، فاضطربت وتوهجت وأنفت ما حولنا
من الظلمة ، فسرى الدفء في الجسوم ، ودب
السكرى إلى الجفون . وطرق سمعنا صوت النجار
الخافت يقول :
- أيسمح الرفاق أن أدنو من النار قليلاً ؟..
إن عظامي يكاد يفتتها البرد ...
- وأخذنا عليه العطف فسمعنا له بالدنو ، فآتى
يدب على رجله وقدميه .. وقد أغرق عينيه فيض
من الألم ، وغمر وجهه صبغ من الصفرة ... وبدأ
في لمع النار زائغ البصر ، متكففاً اللون ، ثم جلس
على كعب مئبرس أطرافه الرضوضة ، وبسط
أصابه المثناة .. وبعد برهة ساله الجندي :
- ولم لم تتركب البحر مادمت على هذه الحال
من الاعياء والوهن ؟
فأجاب في خفوت :
- لقد نصحوالي أن آخذ طريق البر لأنه
آمن على صحتي . ولكني لا أستطيع الوصول ...
وسيطوبني الموت في تلك اللروج النائية ولن أرى
طفلي الحبيبتين .. يا إلهي ..
- وأخذ الرجل يصيح فنهز الجندي قائلاً :
- « كني ... صدعت رؤوسنا أيها النقي »
وهجت أنا به :
- « لا تفكر علينا صفو النوم أيها الرجل »
ثم أضاف الجندي :

— أسامع أنت ؟ .. أظن أنك ستنال عطفنا
بعد أن أطلقت علينا النار ؟.

وصمت الرجل وصمتنا .. واستاقى الجندي
على ظهره .. وتطرح النجار على كومة من العشب
ورقدت أما عن يمينه ، واضطجع الطالب إلى يساره
وهو يتنادب ويتناوم وبعد برهة هتف الجندي وهو
يتأمل في السماء :

— ما أروع الليل الساكن .. وما أبهج السماء
الصافية .. تأمل أيها الصديق .. إنه ليخيل إلى أن
الله خلق السماء وناراً لتلك الأرض الناعسة النافية .
ما أجل تلك الحياة الطلقة الحرة أيها الرقيق .. إنه
قد يكتنفها الجوع . وقد يكدرها البرد ولكننا فيها
أحرار طلقاء ... فنسرب في ذلك الفضاء الرحيب
لا إمرأة لأحد علينا ولا هي ، بل نحن سادة أنفسنا .
لقد كاد يقتلنا الجوع فيها أياماً ... وهانحن أولاد
قد اكنا وروينا .. ورددنا ناطلنا بلحظها النجوم
الفوان كأيها تقول لنا : « خففوا عليكم جأشكم
أيها الرفاق .. واخسروا في فضاء الله الواسع وتعلموا
وتدبروا ولا تحفلوا بأحد . »

وصمت الجندي قليلاً ثم قال :

— كيف أنت أيها الرقيق النجار .. لا تكن
غاضباً علينا لأننا أكلنا طعامك ... ماذا كنت
تريدنا أن نفعل ومعك طعام وليس معنا شيء ...
ثم إنك ستمرغداً على سوق « بيركوب » فتبتاع
منه ما شئت من الطعام .. منذ كم أخذتلك الحى ؟
ومضى موهن من الليل كانت تحمل الرياح
خلاله إلى هس الجندي وجواب النجار ، ثم غشى
الصمت على السكون ، وسكن هزيم الرياح في الأفق
وعقد السكري أهداب الجفون ...

— تنبه ... انقبط أيها الرقيق ... دعنا
نذهب سريعاً

فانتهضت مرثعاً من النوم فرأيت الجندي
واقفاً بجانبى يستحقني إلى السير وقد تكفأ لونه
وتوجف قلبه ، وكانت شمس الصباح الضاحية قد
لألت نواصي الأعشاب في المرج ...

وتلفت يمينا فاذا النجار ماقى على ظهره ممزق
الثياب وكان أزرق الوجه فاغمر الفم جاحظ العينين
وقد أغرقهما الرعب ، وتصلبت فيهما الحاجر ...
وهتف الجندي أخيراً :

— أما كفئك تأملاً ... هيا امض بنا ...
فقلت في تردد :

— أهو ... أهو قتيل ؟ ... هل الطالب ...
فقاطعتي قائلاً :

— « ومن غيره ... ربما أنت أو أنا »

واسترسل قائلاً :

— أهدأ أثر العلم في نفسه ... أغاية العلم أن
يترك رقيقة على هذه الحال ... أما والله لو علمت
طوبى نفسه قبل ذلك لسفكت دمه ... هيا بنا أيها
الرقيق ، يجب أن نذهب عن هذا المكان قبل أن
تلمحنا عين إنسان .. أقام أنت .. إنهم سيكشفون
أمره اليوم ويترسمون خطانا ... » ثم وضع يده في
جيبه قائلاً :

— ولكن هذا مسدسه ممي ... فصاحت به :

— ألقه في الطريق ...

— كلا لن ألقيه . إنه شيء ذو قيمة

ومضينا نبحث السير فذكرت في الطريق طفاقي
النجار المسكين فقلت :

— هذا كثير على زوجة الرجل وطفليته

فأجاب :

القلب الحب والمطف ، وأحمل له في طوايا النفس
التجلة والاحترام ، وقد سرناسويا الى اقليم «كارا»
ثم افترقنا الى حيث لا لقاء . فسالته :

— أولم تطفك الذكرى بعد ذلك الى ذلك
التجار المسكين ؟
فضحك ثم قال :

— ما الذى تريدني أن أذكره فيه ، أو أستشعره
لأجله ... اننى ان الالم على ما حدث له ، ولن
تلام أنت ولن بلام أحد غيرنا ... فلن يجدى
اللوم ... لأننا كلنا أشباه وحوش ضارية .
اسكندرية أحمد فخمى مرسى

واجب !

ما الذى يمنعك من أن توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل و ... الخ إذا
وجدت أمانك مورد مصرى يستورد لك الصنف
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بشكاليها
فقط

حرب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق
ذو الريشة الذهب المضمونة غيار ١٤ مثله في
السوق يباع بثمانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران غرة ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطلب فى الحال

مطلوب وكلاء فى الشرق والأقاليم للقلم
ولأصناف أخرى مما نستورد من الخارج ما

— دع هذا الآن ... واسرع في سيرك ...
عج بنا الى اليمن فأغاب الظن أن البحر فى تلك
الجهة

وحدثنا عن الطريق فتكت زمبلى فى عرض
الرج ، وصعدت على وهدة عالية كانت على كئيب
مقا ، وأشرفت بناظرى على ماضى من الطريق ،
فسمعت رفيق يقول :

— علام تنظر أيها الرفيق .. أدخل فى روعك
أن الحياة ستدب فى جسمه ثانيا .. وصمت الرجل
قليلا ثم عاد يقول :

— ما أمهر والله ذلك الطالب الذى غافلنا
وخادعنا ... ان الناس أيها الرفيق يغفلون فى الشر
كلما أوفلوا فى العلم ... يوما بعد يوم ، وعاما
إثر ... عام

وصمت الرجل ففاد الصمت ببسط جناحيه
على الكون ، وبدت الشمس تتلألأ فى صدر السماء ،
وزرب الأفق دائرة الزرقاء على الروج فتأبنا
السير دراكا ...

وأخيرا قال رفيق الجندى وهو يخرج من
جيبه لفافة من التبغ الرخيص :

— إننى جائع أيها الرفيق

— وما عسانا نأكل هنا ؟

— تلك مشكلة أخرى ...

وختم الراوى قصته — وكان رجلا أشيب
الرأس يرقد الى جوارى فى المستشفى — بهذا القول :

— ومنذ ذلك الحين توقفت وشائج المودة
بينى وبين ذلك الجندى لما هو عليه من خلوص
النية ، ومماحة الخلق ، فكنت أكن له فى شفاف



يَوْمَئِذٍ نَأْتِيهِمُ الْإِبْرَافُ

لِلْأُسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

القاتل!

رأى الأستاذ توفيق الحكيم أن يفسح الأجل
أسبوعين آخرين للمتسابقين في معرفة القاتل
لعمامة الدولة علوان في القضية التي ينشرها في يوميات
نائب في الأرياف ، ففضل ألا ينشر شيئا منها في
هذا العدد لأن ما سينشره سيمنع عن القاتل . وإنا

لنرجو ممن يدخل في هذه المسابقة ألا يغفل ذكر
الأسباب التي بنى عليها حكمه . وآخر موعد لتقديم
الردود هو اليوم العاشر من شهر يولييه .

معروضات باریس

زوروا

شركة بيع المصنوعات المصرية

لتشاهدوا ما أعدته لكم

شركة مصر للغزل والنسيج

2

شركة مصر لنسج الحرير

خصيصاً لمعرض باريس

من الأقمشة الفاخرة ذات الألوان الجميلة والذوق السليم



موعد مع « سميرة » تلك الفتاة التي عرفها من صديق له، وتشبث بها، كأنها كنز، لأنها كنز بل لأنها تمنيه على تفسير هذه الحياة المطردة التي لا تختلف ولا تتنوع ؟ ولو ترك لزوجته السكافاية أما كان يسهه أن يلقى سميرة ، وأن يقضي معها ساعات ينشئ فيها أن حياته حيلة ، وأن تديرها واحدة ، وأن روحه زهقت ؟. آه لماذا لا تستطيع الزوجة أن تكون أبداً جديدة ؟. لماذا تدع زوجها يمل حياته معها ، وإن كان يحبها ويمرر لها قدرها ويشكر إخلاصها ووفاءها ؟ المصيبة أن الزوجة لا يخطر لها أن الرجل يمل هذه الوتيرة الواحدة ... لا يخطر لها أنها هي لا تستطيع أن تأكل كل يوم « ملوخية » لماذا لا تكلف نفسها عناء التفكير في ما هو خالق أن يجعل الحياة معها كل يوم جديدة ؟ لماذا تترض أنه لن يمل أو يضجر أو يسأم هذا الميش الذي لا يتغير ؟..

ولم يكن عيب « عاقل » قلة الانصاف ، فلم يسهه إلا أن يقول لنفسه ، وهو مسند ذقنه إلى راحتيه ، إن زوجته أيضاً مثله ، أي خليقة أن تمل وأن تضجر ولكنها لا تضجر ولا تمل ، ولا تلتبس مثله التسلية والترفيه عن النفس بما يتفق أن تفوز به خارج

صنع « عاقل » من راحتيه كأساً لذقنه وحدهج النافذة بنظره ، وواح يفكر .. هذه تالفة مرة في أسبوع واحد يدس ربالاً لزوجته تحت الوسادة ، ويخرج من البيت متسللاً كالص على أطراف أصابعه لئلا تستيقظ فتسرد له الحاجات المختلفة التي تقتضي زيادة في النفقة فما يكنى ربال للطلال المدينة التي يعرفها ولا يحبها . وماذا عساها تصنع فيما ركبها من الدين ؟.. البسان له عشرة قروش . والخباز له أكثر من ثمانية عشر قرشاً ... وغيرها أيضاً ... وكانت المادة أن يؤدي عن ما يأخذ ، فارتاب هؤلاء الناس لما رأوا أنه يأخذ ولا يؤدي الثمن ، ولو كان عودهم غير ذلك لاعتادوه ، فإن غيره يأخذ ويمطى أول الشهر ... ولم يكن يمجزه أن يترك لامرأته ما يكنى ، ولكن .. ولكن ماذا ؟ ماله لا يصارح نفسه ؟ أليست الحقيقة أنه مل هذه الحياة الجافة التي لم يمد يدها فيها متممة أو لذة فهو بضن على بيته وأولاده بما معه لمل وعسى ؟ ؟ عسى أن يتفق أن يلقى ما يسره ويجدد نفسه فلا يقول كما قال السميع : « فتراني طول عمري تالبا من غير عفة ؟ » عسى ؟ أبسكذب حتى على نفسه ؟ وبأي إلا أن بغالط ، وإن كان لا أحد معه ؟ سبحان الله ! أليس على

البيت .. بل هي لا تخرج أبداً . إلا إذا كانت معه ولزيارة قريب مريض ، أو لبيع من هذا القبيل ، ليس لها سواء .. هو محور عالمها كله . لا تكاد تعرف لنفسها حقاً يقابل واجباتها ... حسبها أنها تأكل وتشرب وتلبس وأن تكون حقيبتها فيها جنبها أو ثلاثة .. ما يكفيها والسلام . فالحل لمطلب تعرفه وراء ذلك . لا سيما ولا خلافة ... لم تطلب منه قط أن يحملها معه في سيارته وأن يحول بها جولة في الهواء الطلق ... كلاً ... أبداً ... مسكينة ... وإنما لاحق بالسيارة منه فقد أبت له أن يركب تلك السيارة القديمة وألحت عليه أن يشتري أخرى جديدة تليق به فاعتذر بأنه ليس معه مال ، فخرجت له عن كل ما أدرخت .. ثلاثين جنباً وضعتها في يده ليتيسر له أن يشتري سيارة جديدة بالتقسيط ... ولشد ما يفرحها أن تراه مقبلاً في السيارة الجديدة وتركب أحياناً معه فتقول له وهي تضحك : « إنها سيارتي . أليست كذلك ؟ » فيقول : « بالطبع » فتقول : « إذن من حق أن أستمع الكلاكسون فيقول : « كما تشائين » فيسرها أنها تضغط الزر من حين إلى حين فيصيح « الكلاكسون » بالناس أن تنحوا عن الطريق . وتضحك مسرورة ثم تخجل فتكف .

ولكن من الانصاف لنفسه أن يقول إن قناعتها به راجعة إلى أن أفقها محدود ، وضيق الأفق نقص ولكنه أثر فضيلة لا شك فيها ؛ أما هو فرجيب أفقر النفس ، فإذا كان لا يقنع بالحياة الضيقة المملة الفتنة ، فالسبب هو هذه السمة في روحه وفي آفاقه ، وبالتالي في مطالبه وحاجات نفسه .. ومع ذلك ما دأى هذه الفلسفة كلها ؟ ..

الرائع أنه لا يحسن بإمكان القناعة بهذه الحياة الجافة التي لا تنوع فيها ولا اختلاف في وجوهها ، والمساءلة هي لماذا لم يستطع أن يحكم تدبير المطالب المالى بحيث يتيسر له أن يؤدي مطالب البيت على الوجه السكا في الربح ، وأن يستيق بعد ذلك بما يحتاج إليه في سد المطالب الأخرى ؟ .. هذه هي المسألة الجديرة بالتفكير والعناية ، وما عدا ذلك كلام لن يغير من الواقع شيئاً ولن يسوغ قبيحاً أو يقيح حسناً بل هناك مسألة أخرى أحوج إلى البت السريع وتلك أنه على موعد مع « سميرة » ولكن صديقاً له دعاه إلى الغداء مع « رقيقة » وهي فتاة مسلمة تتسمى هذا الاسم الاسرائيلي ؟ ورققة فتاة جديد ، فاما حلاوتها ولجسها أنسه وفتنته المستفادة على الأقل من الجدة ، وصحيح أنها صديقة صديقه لا صديقه هو ، فليس له مطعم في أكثر من الحديث والنظر ، ولكن من يدري ؟ .. ولا بأس من إخلاف موعد سميرة ، فانه يستطيع أن يتنذر إليها بعد ذلك وهي تعرف أين تجده على كل حال ..

وهن رأسه متمججاً وقال لنفسه : « كيف يا ترى يعرف فكرى (يعني صديقه) هؤلاء الفتيات البارعات ؟ » ذلك أنه هو نفسه يجده عسراً وعناء شديدين في الاتصال بمن يحايِلنه من البنات ذوات الدل والحسن ؛ وما أكثر ما تنصدى له الفتيات بجمالهن وزينتهن في الشرفات وفي الطرق ، فيضجل أن يفعل ما يفعل الشبان الأبتاع ، ويندر أن يزيد على الابتسام ثم ينصرف أسفاً متوجعاً ، وأقد وقف مرة في شارع ينتظر أن يفتح له شرطي المرور الطريق ، وإذا بفتاة تضع كفها البضة على يد الباب وتنظر إليه متبسمة باشة وتقول بصوت خالٍ :

أن يعرف فتاة شريفة يستطيع أن يأمن بمجلسها وحديثها ، وأن يقضى معها ساعة كل يوم ينسى فيها حياته المملة ويجدد فيها نفسه ؛ واطمأنت الفتاة إليه ، ووثقت به ، فصارا صديقين ، وكانت قصة حياتها محزنة ، فكانت تقول له بشجوها وهو ينظر إليها وقلبه يفيض بالمطاف عنها ، ثم يرفه عنها ويمسح لها على قلبها - حقيقة وبجازا - ولا يتركها إلا بعد أن يعيد إلى وجهها البشعر والاشراق ، وإلى نفسها الرضى والسكون ، فوجدت عنده المسكينة ما لم تجد عند أبيها ، وأصدقائها ، قصار عندها فوق الصديق وأقرب ما يكون إلى الحبيب ؟ وأدرك هو ذلك ، ففزع وخشى أن يتورط معها في علاقة يكون من ورائها حرج له ولها أيضاً ، واتفق يوماً أن فتح أبوابه الباب ، وقال له بلهفة :

« ادخل يا سيدي بسرعة ... ابلى ...

ابلى ... »

فسأله : « ما لها ؟ »

فقال : « مضطربة ... جداً ... ولا أحد

يستطيع أن يعيد إليها نفسها سواك ... عجل

يا سيدي ! »

فمرى طربوشه وممطفه - فقد كان الوقت

شتاء - وحث خطاه إليها فالتفتها راقدة على

سريرها وصدرها يملو ويهبط كوج البحر ، فتناول

كفها في صمت ومسحها ورثت لها على خدها

ولذا بدوموعها تتسائل ، وتجري على خديها الى

عنقها ، فقال لها برقة وعطف : « ابكى ... ابكى إذا

شدت ... فانه أشنى ... لا تنجلى »

فتنهدت ورفعت كفها الى عنقها ، وكفكت

« افتح ! » ، لحق في وجهها مهبوتا من جراتها ،

مرتاباً في أمرها ، ثم لم يسمه إلا أن يقول لها :

« بالطبع ... تفضلي » ، فرقت حاجبها مقدار

ملايمترين - كما كانت هي الحقيقة بأن

تمسج - وقالت : « صحيح ؟ » بلهجة حائرة ،

فلم يدرك أي تستوثق أم تستنكر ؟ ولكنه ترك

ذلك وقال : « بالطبع ... ولم لا ؟ ... » فضحكت

- نعم ضحكت ... فقهت في الطريق -

وقالت : « مرسي ... » ولكنها لم تركب بل وقفت

تنلفت كأنما تشاور نفسها ، أو كأنما تنفض السكان

لتطمئن وتستوثق من أنه لا يراها أحد ممن تعرف

ثم ردت إليه وجهها وقالت : « في وقت آخر ...

مرسي » كأنما كان يعرفها ويعرف أين يلقيها حين

يصبو إليها ، غفقت قلبه خفقات قوية لها في رأسه

دوى ، وأحس أن ركبتيه تخلصتا ، وصارت يده

ترعش كما يرعش القرو ، وسمع نفسه يقول :

« أرجوك .. أرجوك .. لا تخيبي أملي » ، ولكنها

رمت إليه ابتسامة ومضت خفيفة رشيقة إلى

الرصيف ... وفتح الطريق في هذه اللحظة ، فلم

يسمه إلا أن ينطلق ؛ غير أنه وقف بالسيارة على

محاذاة الرصيف ودار في مقدمه ، وأرسل طرفه إلى

حيث رآها تذهب ، فلم يمر لها على أثر ؛ وكان

الذي استخفه أنها على التحقيق ليست من بنات

الشارع - يدل على ذلك أنها غضة السن صغيرتها ،

ولا يكاد يفعل أن تكون الحرفة قد أدركتها ...

مستحيل ! ... ولكن جرأتها ؟ ... أو ووه ! ...

هذا شيء يطير العقل ...

وكانت له معلة نموية روسية سكن إليها

زمناً ؛ ولم يكن يريد أن تعلم شيئاً وإنما كان يني

وأخشاه ... لست لي ولا أملك فيحسن أن ينتهي الأمر الآن »

فحدقت في وجهه كالمهوبة فقال : « نعم ... هذا خطأ ... خلط فطيع ... وأما السئول فقد كان ينبغي أن أقدر هذا كله وأن أستشف النهاية من البداية ... ولكني أعترف أنني استعذبت صدقتنا وسكنت نفسي إليها واطمأنت ، فخلل الرضا عزى وأضعف رأيي ، حتى رأيت منك ما رأيت الليلة فمادت إلى القوة فهل أنت فاعمة ؟ »

فصاحت به : « ولكن هذه قسوة ... ظلم ... »

قال : « القسوة والظلم أن أدعك تلجعين في حالة ليس لها من عاقبة إلا الحسرة والندم والألم » قالت : « ولكن لا أبني منك شيئاً ولا طمع لي في شيء ... إني أعرف أنك متزوج ... دعني أحبك . ما ذا عليك لو فعلت ؟ »

قال : « هذا كلام تقولينه الآن ... صديقي فاني أدري منك بالحياة ، وأعرف بالنفس الإنسانية وأطول خبراً ، وأعمق في الأمور نظراً ... تسألين ما ذا علي لو تركتك ؟ الجواب يا فتاتي المسكينة أن على تبة أمام ضميري ... أنا أيضاً أحبك ... »

فصاحت مقاطعة : « انتبهينا .. تعال تعال .. فقال : « مهلاً .. لا تعجلي .. نعم أحبك .. حي لك حب الصديق بل أكبر وأقوى ... هو كعب الأب أو الشقيق إذا شئت ... ولكنه مع ذلك من نوع آخر ... هل تسمحين لي أن أحدثك بصراحة ؟ حسن ... اسمحي إذن ... نعم أحبك حباً لا هو عشق ولا هو صداقة ولا هو حنو أب أو أخ ... لا أدري ماذا هو ، ولكني أدري أنه

من دمعها ، وتركها هو تفعل ذلك وأقبل على ذراعها يديلها ، وعلى صدرها أيضاً ، وعلى ساقها ورجلها وهي ساكنة مطمئنة ، وكان وجهه إلى قدمها ، وهو يديلكما ، ثم رمى إليها نظرة خاطفة فألفاها فرة العين بتبسم كأنما ترى حلماً جيلاً ، فرد وجهه إلى القدمين وقال لنفسه : « آه ... كان ماخفت أن يكون ... ما العمل الآن ؟ » وحيره السؤال وجوابه ، فترك الأمر للمقادير وللهام اللحظة ، والتفت إليها وسألها بعينه : « أحسن ؟ » فأجابت بإبتسامة ، ونحيت خصلة من شعرها الذهبي عن جبينها الوضاء ، فحنا عليها ، وأراح كفيه التليظتين على جانبي عيها الدقيق للمارف وقال لنفسه : « هذه فرصتي لنأكيده ما بيننا من التفاوت في السن واستعصاء الحب الطويل العمر ، المأمول الأخير بيننا » وكيف يتركها تحبه وهو خالق أن يملأها بعد شهور ؟ ومال عليها ولثم جبينها فضحكته نضحكة عصبية وقالت : « كأنك أبي يقبلني » وكان هذا ما يريد أن يقرره في نفسها ... أنه كأنها ... فادعى أنه لم يسمع ما قالت واعتدل وأخرج سيجارة وم بأن يشعلها ، وإذا بها تنتفض قاعة وتخطف السيجارة ، وترى بها وتطوقه بين ذراعها وتهوى على وجهه بالتيل الحرار ، وهو مستسلم لهذه الثورة العنصرية وإن كان قد لف ذراعها على خصرها وكأنما أضجرها فتوره ، فدفعته بكفها ولحنت وأنشأت تبكي وتنشج ، كأنما كان قلبها يتفطر ، ثم قالت له وقد سكت قليلاً : « معذرة ... إنني أسفة ... قل إنك غفرت لي » فأشار إليها بيده إشارة من يريد أن يقول إنه لا شيء هناك يستوجب الاعتذار ثم قال لها بجهد : « اسمي يا ابنتي ... لقد كنت أقدر هذا

الترف: « أشكرك مرة أخرى ... والآن هل انتهى
الدرس الذى تلقينه على ؟ »

فقال : « لانتهمكى ... انى أتكلم جاداً ...
لماذا لا تفهمين ؟ »

فقال وهزئت كتفها : « أحسب أن إدراكى
قاصر ... هذه الفلسفة عويصة »

فنهض وقال : « إذن لم يبق لى كلام ... فهل
تسمحين لى أن أخرج ... أعنى أن أودعك ؟ »

قالت ببرود : « أوه ... أمسافر أنت ؟ »
قال : « أظن ... الغالب ... يحسن أن أسافر »

قالت : « أرجو أن أراك بخير »
وشعر وهو خارج أنه أذلها ، فقد باحت له

بمحبا فصددها ورددها بقسوة وغلظة . ولكن اتسوة
تكون فى أحيان كثيرة خيراً من اللين الويل ...

قسوة ! ولين ؟ كلام فارغ ! فلسفة سخيفة !
لماذا لم ينعم بهذا الحب الذى وفق إليه ؟ ... هذه

فتاة جميلة مهيبة تحسن الحديث وتستطيع أن
تخوض معه فى كل موضوع ، وقد ألقاها القدر بين

يديه ، وصارحته بأنها تحبه ، وأنها لا تبغى منه
شيئاً ، وأنها تدرك مقتضيات موقفه ، ولا يخفى

عليها أنه متزوج ، وأنه رب أسرة ، وأن لا سبيل
بينهما إلى أكثر من الصداقة الوثيقة ، وأنها

موطنة نفسها على ذلك كله ... وهو يحبها أيضاً ...
ليس حباً فى الحقيقة ولكنه يأنس بها ، وتطيب

نفسه بالوجود معها ، وينشرح صدره ويذهل عما
يسخطه وبشجره فى الحياة ، فلماذا قطع الحب وأبى

إلا أن يكون سخيفاً أحمق ؟ ... وأين يجد خيراً
منها ، وأصق نفساً ، وأكرم خيالاً ، وأحسن ودّاً

وأظرف وأحل ؟ ... أوه ... لماذا يطلب غيرها ؟

يسرنى أن أريح يدي على صدرك ، وأن ألس
بأطراف أصابعي تدليك ، وأن أطوقك بذراعى ...

وأشتعنى أن أضمك أيضاً إلى صدرى ... أضمك
كما يضم الورك الحماة ... وأن ألس شمرك ... أن

أعبت به وأرسل خصلة التنوجة على خديك
الأسيلين ... وأن أرفع ساقك فأضعها على ساقى

ونحن نقرأ ... وأحس أحياناً بلسمة نار ... كأن
لساناً من اللب الحامى يرتفع فجأة فيلسع قلبي ثم

يزول هذا عني بأمرع مما كان ... فأنى إلى سكوتى
وبرودى المألوفين ... وما أكثر ما جلست الى

جانبك والكتاب أماناً ، وذراعى حول ظهرك ؛
وأصابعى على تدليك الناهد ... وما أكثر ما نظرت

فى عينيك كأنما أريد أن أغوص على سر نفسك ...
وأحسب أنك لم يفتك ذلك ... وللى أسأت به من

حيث لا أريد ... ولا أدرى ... ولكن ما أكثر
ما كبحت نفسى ورددتها عما تشتعنى ... لإشفاقاً

عليك ... أسألى نفسك أين يمكن أن ينتهى هذا
إذا بدأ ؟ ... النهاية خفيفة ... لك أولاً ... ثم لى

لا أريد أن أعانى الحب ... لا صبر لى عليه ... ولا
لذة لى فى جنونه ... كلا ... لا أريد أن أحب ...

لهذا خفت العاطفة وهى وليدة ... قلت لنفسى :
هى أفى ، ودستها بقدى هاتين ... وما زلت

أحبك يا إيللى فما يسمنى غير ذلك ، ولكنه عطف
وحنو ومودة ... ذلك أنى كالأعصار ... خيف ...

وأنا أخان عليك من نفسى لأنى أعرف نفسى ...
فولى إنك تفهمين وتدركين وتميزين »

فلم تقل شيئاً من هذا ولكنها ضحكت وقالت :
« أشكرك »

ثم قالت وهى تنهض عن السرير وتتمشى فى

وهو اليوم على موعد معها، ومع فكري وصاحبة
« رقة » .. وقد اعترتم أن يخاف موعد سميرة وأن
يجدد نفسه بقاء رقة وإن كانت لغيره . ودخل
عليه فكري وقال بلا تحية : « هه ، قم » فأحس
عاقل أن رأسه يدور ، ويدور وقال : « إلى أين ؟
ألا يمكن أن تمفني ؟ »

قال فكري : « كيف يمكن ؟ إن رقة تالح
على أن أجي بك »

فقال لنفسه : « تلح عليه ؟ لماذا تلح ؟ كلام
فارغ ... وهبه غير فارغ فإذا بعيني من رقة
أو غيرها ؟ .. لماذا أعذب نفسي وأشقيا ؟ ..
ليس هي رقة ... بل هي أن أجد فتاة أحبا
وحسبي منها ألا أكون ثقيلًا عليها وفيضًا
إليها ... يا لهكم الأقدار ... كانت لنا فتاة تحبنا
وتقنع منا بأن ندعها تحبنا ... ولم تكن نكرها ..
ولكننا اغترنا وتبطرنا فرفضنا النعمة التي ساقها
إلينا حسن الحظ والآن نندم ونشتهي أن نحجب
ونقنع بالأنا نكون ثقلاء ... يا لسخرية الأقدار ! »

وقال لفكري : « أرجو أن تمفني .
لا أستطيع ... رأسى لا أدرى ماله ... ولكني
لست في حالة تصلح لثل هذه الجلسة »

فقال فكري ملحا : « قم يا شيخ ... رقه عن
نفسك ... هذا تأثير العمل التواصل ... يجب أن
ترجع نفسك قليلا ... إن هذا انتحار ... قم . قم ... »
فأبى عاقل إلا العناد ، وأصر على الاستمعاء ،
فلم يجد فكري حيلة فأنصرف آسفا

ولم يكذب بذهب حتى ندم عاقل ونازعه نفسه
أن يلحق به ، ولولا الحياء لفعل . وخرج من مكتبه
وهو يقول لنفسه : « مالي أنا ؟ إنهما جيبان فرا

لماذا لا يقنع ببيته ؟ ... يقنع ؟ ... نعم ينبغي أن
يقنع بحياته المأدبة المنتظمة ، ماذا جرى لقله ؟ يجب
أن يروض نفسه على الرضى والسكون والقناعة
بالوجود ، كما راض نفسه على قطيعة إيللى ...
أبقوى على هذا ولا يقوى على ذاك وهو أولى ؟

ولم تركه إيللى إلا بعد أن يمست - كتبت
إليه بضع رسائل تستعطفه وتالج عليه أن يرجع
فكان يرد إليها الرسائل من غير أن يفيضها ، فقد
كان يعرف خطها فلم يسرها إلا أن تقصر

ومضت شهور ، استطاع فيها أن يحمل نفسه
على مكروها ، وأن يلزم بيته ، ويتخلى لعمله ،
ويصرف عينه عن النظر والتطلع ، وقابه عن الاشتاء ،
حتى لقي سميرة ... فقد ذكر أنه رأى امرأة طفلا يفحص
الأرض بقدمه فتغلقت حصاة صغيرة فنحاهها
الغلام بأصبع رجله ، وإذا بلقاء ينسج ويروح يفور
منها ويسيل على وجه الأرض .. كذلك هو ..
كان شيء في نفسه محبوبا ... كانت عواطفه
الزاحرة لا يحجبها إلا شيء رقيق .. فلم يكذب يلتقي
بفتاة تضع أصبعها على قلبه ، كما كان ذلك الغلام يصنع
بقدمه ، حتى أنهدم السد الذي يحجز العواطف ،
كما تغلقت الحصاة فانبتت الماء من تحتها . ولم تكن
سميرة ترضيه ولكنها كانت تملأ .. وكان فيه وفاء
فأبى له أن يرى بها على حين تقبل هي عليه .. غير
أنه مع ذلك مل .. مل .. مل .. يريد خيرا من
سميرة .. أذكرى وأربع .. وأرشق وأظرف ..
أحلى ابتساما .. وأرسخ نديا .. وأعدل قواما ..
لقد سمحت سميرة .. غلظت يساقها واكثر لجمها ..
أوه لماذا تركت نفسها تزداد لجمًا وتنقص جمالا
ورشاقة ؟

ولا قيمة لها ... أهذا صحيح ؟ ... أوه ... هذا
وجع رأس ... أكف والسلام ... وبعد ذلك
أبحث عن البواعث ... أستطيع أن أفتح نفسي
بشرف البواعث ... ولكن لماذا أغالط نفسي في
الحقائق ؟ ... أمغفل أنا ؟ ... من الذي قال إن أغالط
نفسى ؟ ... إذن كن صريحاً يا شيخ ... هب الآن
أن فتاة جميلة من اللواتى يصبو إليهن قلبك قابلتك
الآن ؟ ... مجرد فرض بالطبع ... لا أمل في ذلك
ولامطمع ... ومن أين نجى منى النفس هذه ؟ ...
ليتها نجى ! ...

وإنه لماش يتحدث نفسه بهذا وما إليه ، وإذا به
يلتقى بصديق يصبح به بصوت عال كأنما ظنه
أصم : « أهلاً ! » وعطفا كأنما يصيح بقوم يميدين ،
فقال له عاقل : « ماذا عندكم اليوم من المأكول ؟ »
وكانت صداقته به وثيقة ، وبين الأمرتين مودة ،
فقال صاحبه « زكى » :

« أوه .. وما الذى أدرانى ؟ تعال مى وكل
الوجود »

قال عاقل : « حسن . امضى إلى المائدة فانى
أتضور جوعاً »

فسأله زكى : « وأين السيارة ؟ مع الست ؟ »
قال : « لا الست ولا السيد ... تركتها
لأعشى »

وبلغا البيت وأقبلت عليه أخت زكى
— كريمة — تحية وترحب به ، فقال زكى :
« ألا تهنتها ؟ »

قال عاقل : « خير إن شاء الله ؟ . مبروك على
كل حال »

فاضطرم وجه كريمة ، وكانت سبيحة الوجه

على بينهما ؟ حسنا فعلت بالاعتذار » وقال لسائقه
— فقد كان له سائق يفضيه أكثر الأحيان من
العمل — : « اذهب أنت بالسيارة .. سأعشى »
فسأله السائق : « ألا أقول لم شيتافى البيت ؟ »
قال : « لا أعرف متى أعود ... وخذ ...
أعط الست هذا »

وناوله خمسة جنيهات ، وأحس بالراحة لما فعل
ذلك كأنما كفر به عن سيئة الصباح والريال الذى
دس به يده تحت الخدة ولم يترك سواء لزوجته ؟
ومشى يتحدث نفسه أنه كان سخيلاً مجرمًا ... معه
كثير ... غير الخمسة الجنيهات التى دفع بها إلى
السائق أيضاً ... ومع ذلك يستبقها ويترك ريالاً ...
ولماذا ؟ ... لأنه قد يتفق له أن يتلقى ... أوه
بالسخر ... ونقص العقل ... وسوء الرأى ...
ماذا ترى يكون رأى زوجته فيه لو عرفت هذا ؟ ..
زوجته التى تتق به ولا يمكن أن يحتاج فى نفسها
شك أو تخطر على بالها ريبة ؟ .. ولو كانت زوجته
من هؤلاء المصريات اللواتى لا يفتأن يخرجن إلى
حيث لا يدرى أحد ؟ ... أعوذ بالله ! ... لا بل
الحمد لله ، والشكر له ، على هذه النعمة الجزيلة ...
نعمة الاطمئنان على عرشه وشرفه ... وهل جزاؤها
أن يخونها وهى آمنة مطمئنة ، وواقعة عفته
وطهره ؟ ... لا . يجب أن يكف عن هذا كله ...
إن أعصابه متعبة مرهقة ، وهو يزيد إرهاقاً بهذا
السلوك المريب ، فليكيف ليربح أعصابه ، إذا
لم يكف وفاء لزوجته واحتراما لها ... بل يكف
وفاء لها ، وإلا كان الكف غير خليف بأن يربح
ضميره ... يكف والسلام ... هتأخروا اللهم ...
البواعث لا تهتم هنا ... ولكن أى لا تهتم ؟

« ما قولك يا زكى ! إنى أريد أن أحب »
فقال زكى وقد تولته الدهشة : « تريد ... أن
تحب ... ؟ »

قال : « غريب ... ليس كذلك ؟ ولكنها
الحقيقة ... نعم أريد أن أحب ... أخشى على نفسى
هذا الجفاف فى حياتى ، أحس أنى سأذوى إذا لم
يسقى الحب ماء الحياة ... »

فقال زكى : « ولكن هل الحب بالإرادة ؟ »
وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »

فقال يجيبهما : « نعم بالإرادة ... أشغل قلبك
بأمرأة معينة ، يُشغِل ... وأنت يا مولاتى أقول
لك إنى أحب زوجتى ... وسأظل أحبها ... ما فى
هذا شك ... بحكم المادة على الأقل ... ولكنه
حب هادئ فآثر ... قولى إذا شئت إنه حب

رزين .. وماذا ينفع الحب الرزىن ؟ ... ان الانسان
يحتاج أحيانا الى وقدة الآتون ليصهر نفسه فى النار ،
فيصفو معدنه من الأخلاط التى تشكس كالصبا
على السلك فتقطع تيار الحياة .. التيار الروحى الذى

هو سر الحياة ... وهذا ما لا تستطيع زوجتى
الآن ... ولا أنا أستطيعه لها ... كلانا أصبح غير
صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوومة التى
تحرك أعماق النفس وتطغى على السطح بعض

مارسب فيها ، وما لعله أصح من الطاق الآن ...
النفس تحتاج الى الزوابع أحيانا لابرار الكامن
وإثارة الدفين ... من يدري ماذا فى أعماق
نفسى ؟ ... وماذا يمكن أن يدفع بهذا الضمير الا
ثورة شديدة ؟ ... وكم دفنت حبا بارادى ، فلماذا
لا أحب بارادى ؟ ... »

فقال كريمة - وأحس عاقل من نبرات

نصيرته ، ونجلاء حوراء ، وهيفاء مشوقة ، وقال
زكى : « أنظر الى يدها وخن »

فنظر عاقل فرأى الخاتم قابسهم وقال : « هل
أهينى بلسانى أو بغمى ؟ »

فقال زكى : « وما الفرق ؟ »

قال : « الفرق هو هذا . تعالى هنا يا سقى ..
أين يبنى أن أقبلك .. أقول لك .. فى كل مكان
إلا شفتيك .. أضع هذين خطيبك .. فان هذا
حقه ولا يجوز أن أمتدى عليه »

ودار بنفسه إحساس غريب وهو يلس خدها
الناعم الطرى ، بشفتيه ، فنظر فى عينها وهو مقطب
وإن كانت عينه تضحك وقال : « هوأولى بالهتة ..
ليتنى أكون على يقين من أنه يستحقك ... من
هو على كل حال ؟ »

فقال زكى : « ابن عمى ، سيد »

فقال عاقل : « سيد ... ! »

وأمسك لما يليق أن يقال منه أمام خطيبته ،
ويبسط لسانه فيه على مسمع منها ، مهما بلغ من
سمة صدرها

وقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »

فقال عاقل : « طبيعى ألا أرض عن أى رجل
يخطفها منا »

فقال كريمة : « ولكنه لن يخطفنى »

فقال عاقل : « بالطبع سيخطفك ... أنت
نرجستنا الآن جميعاً ولكن غداً ؟ تكونين نرجسته
هو وحده ... ثم إنه سيذهب بك الى الأقصر ،
فلا نمود نراك إلا كل حين وحين »

وقاموا الى طماهم ، فقال عاقل وهو يفرك
الحب الطرى ، أو لبابه على الأصح ، وبفتله :

صوتها اللطيف - : « يظهر أنك تمذبت كثيرا... صوتك وحده يدل على ذلك »

فقال عاقل بإبتسام : « أوه ... إن أشد ما يمدني .. أقصى ما أكابد ، هو هذا الفراغ .. نفسي أصبحت مجرأ مجرداء فهل ألام إذا رحلت ألنفس الرى والخصب ؟ »

فقالت كريمة : « ولكن زوجتك ... لا تستحق هذا منك »

فقال : « يا فتاتي تملئي هذا الدرس .. لا تنتظري أن تظل نار الحب مستمرة .. لا يمكن .. ما من شيء في الدنيا يدوم ويخلد على الأيام ، فلماذا يخلد الحب وحده .. هل تحبين خطيئك هذا ؟ »

فاستجبت أن تقول شيئا ، ولكنه خيل إليه أنه يستطيع أن يقرأ في وجهها أن كل فرحتها هي بالزواج في ذاته ، وأنه ليس ثم فيها عدا ذلك شيء خاص .

وكأنما أرادت أن تحول الحديث عن مجراء ، فقالت وهي تضحك : « قل لي من تنوى أن تحب ؟ » قال : « من تظنيتها جديرة بحبي ؟ اختاري لي » قالت : « هل تريد أن تزوج ؟ »

قال : « يا للمرأة ؟ لا تفهم إلا هذا الاحتكار الممل ... كلا ... أريد أن أحب ... فاختاري لي كما يختار الصحاح لصاحبه الجياد التي بظنها رابحة في السباق »

قالت وهي تضحك : « مرسي ... جملتنا جيادا ... »

قال : « لا تهربي ... إنك تملين أني لا أعنى هذا ... فاختاري ... أربني ذوقك »

فانتقد وجهها وقالت : « وهل أنا أعرف ! » ونهض ليرقد دقائق ، فقد كان والدها في طنطا يزوران السيد البدوي ، في البيت متسع له ، وخطر له وهو يمضي الى غرفة من غرف النوم ، وهي تمشي أمامه ، أن في وسعه أن يحبها ... فان لها لفتتها ، وإن كانت دون اللينور - ابلي كما اعتاد أن يسميها - أنه لما ذا ترك ابلي ويحلى عنها ؟ حقا ! لا خير في الندم الآن ... ونام وهو يفكر في كريمة وفي إمكان ... ولكن كيف يمكن ! كيف يمكن ؟ وأيقظته ، كما رجا منها أن تفعل حوالى الساعة الخامسة مساء ، فهد يده اليها فأنهضته ثم أراح كفه على كفنها وهو يقف وأحس أن يده انحدرت عفوا إلى صدرها ، ولمست ثديها الناهد ... فشمير بالدماء تنفل في عروقه ، ودار رأسه فجذبها اليه ، وضمها وقبلها ... قبل فها هذه المرة وقالت وقد تخلصت من عناقه : « احذر أن تنفط مرة أخرى ... لست لك ... »

فسألها : « ولماذا لا تكونين لي » وخطر له أنها تقول له ما قاله هو لابلي ؟ يا للسخرية ! قالت : « أنت تعرف ... »

قال : « أتكرهين أن أحبك ؟ » قالت : « هل يحبني ؟ »

قال : « من بدري ! ربما كنت أحبك ... لعل كنت أحبك طول الزمن الذي أنوم فيه أني لأحب ... لعل هذا كان السبب فيما أحس أني أعانيه من الشقاء ... شقاء الذوى والجفاف ... سأرى الليلة ... غدا أقول لك هل أحبك أولا أحبك » قالت : « لماذا تهكم علي ؟ »

على السر . اهتديت إلى أصل الماء . الراحة ؟
كيف السبيل إليها وأنا كالبغل الشدود إلى الساقية
وكلا وى أو وقف صاح به صاحبه : « عا... عا... »
أو ألهب ظهره بالسوط ... ليس لى سيد ... ولا
أسمع أحداً يصيح بلىستحشى ... ولكن السوط
فى يد الزمن ... ووقمه على روى ، لا على الجلد ،
ولو كان على الجلد لمان . نعم يجب أن أرتاح ...
أقول لك ... سأذهب الى لبنان وأخذ زوجتى
وأبنائى مئى ... ليتك تخبئى معنا ... إذن لم
هنائى ... هل تستطيعين ؟

فهزت رأسها فقال : إذا كان كل ما نملك ...
فهذا لاقية له . ولم يصرح

فقال : « كلا ... يجب أن أكون بميدة عنك
ما رأيت منك اليوم يوجب الحذر من قربك ...
أنت كالنار ... ولست أريد أن أحترق »
قال : « صدقت ... وأنا يجب أن أجد نارى
ولماذا ؟ ولكن لماذا أحنق نفسى ؟ »

قالت : « يجب ... إلى كبتك ، ولكنى
أعرف أن هذا هو الواجب وألح عليك أن تلتزمه
فأحس أن خنجرا نفذ الى قلبه ... كبتته ...
وارتفعت يده إلى شفره كما ظن أنه فى وسعه أن
يرى الشعر الأبيض فى الظلام بيده ! كبتته ؟؟
لولا هذه الشمرات البيضاء ؟؟ أوه ... ما الفائدة ؟
ما الفائدة ؟

وظلت كلتا « ما الفائدة » تدوران فى نفسه ،
وبردهما بلا صوت ، وهو راقد فى ليلته تلك ، على
سريره إلى الفجر حتى غلبه النوم

ابراهيم عبد القادر المازنى

قال : « والله لى اصادق ... لست أعرف
نفسى ... تعالى ... »

قالت : « احذر ... ألم أقل لى لست لك ؟
ثم ان زكى قادم »

قال : « أهذا كل ما تخافين ! »

قالت : « كلا ... لست لك ... فلا تخرجنى »

قال : « قبله واحدة »

فهزت رأسها وقالت : « لى آسفة ... مثالة
لك ... أشعر أنك غير سعيد ... ولكن ماذا أصنع
اعذرنى »

قال : « أشكرك على هذه . صدقت . لست لى
معدرة »

قالت : « الآن خذ القبلة . أصبحت
تستحقها . »

فقبلها . لا قبلة خفيفة بل بنهم وشرة ، فقالت
وهى تنأى عنه وتجنس شفتيها : « أعوذ بالله ...
ورمت شفتائى ، ما هذا ؟ »

قال : « اعذرى ... صرت كالجل الذى يدخر
للأيام المقبلة .. أيام القحط والمحل والجوع .. »

ومضى بهما فى ذلك المساء إلى السينا ، وكانت
جالسة بينه وبين أخيها ، فكان يهمس فى أذنها من
حين إلى حين ، كما كان يفترض عليها بما هو دائر
فى نفسه من الخواطر : « صدقت . لست لى »
فكانت تبتسم ولا تقول شيئا . وماذا عسى أن
تقول ؟ . ثم همس : « هل أنت ساخطة على ؟ »

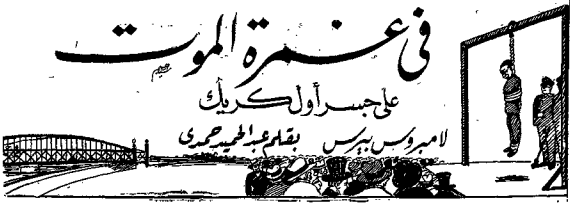
قالت : « كلا . بل أنا متوجمة لك . ومتنيجة
أيضا : أظن أنك محتاج إلى راحة »

قال : « صدقت . إنك حكيمة جدا . وقمت

في عنصرة الموت

على جسر أول كريك

لامبروس بيرس بقلم عبد الحميد حمدي



— ١ —

على الأقدام ، ولم تكن المين لتقع وراء أحد هذين الحارسين على شبح إنسان ، فقد كان الخط الحديدي يتجه مستقيماً إلى النابة مسافة مائة ياردة ثم يلتوى ويختفي عن الأنظار ، وما من شك في أن كان هناك وراء ذلك تخفر أمامي ، وفي الضفة الأخرى من النهر فناء مفتوح ، يحيط به سور من جذوع الشجر العمودية ، التي تستعمل المسافات الضيقة بين أحدها والآخر فتحات لاطلاق البنادق من خلالها ، وفي البناء كوة واحدة تبدو منها ماسورة مدفع من النحاس يتحكم في الجسر ، وفي وسط الطريق بين الحصن والجسر . وقف النظارة الذين سمح لهم بمشاهدة تنفيذ حكم الاعدام — ولم يكن هؤلاء النظارة غير صف واحد من جنود المشاة ، وقفوا موقف الاستعراض ، ارتكزت بندقياتهم على الأرض ، ومالت مواشيرها قليلاً إلى الورا مستندة إلى أكتافهم اليمنى بينما أيديهم مشبكة حول سوق هذه البنادق ، ووقف إلى يمين الصف ضابط برتبة ملازم ارتكز من سيفه على الأرض ، وقد استندت يده اليسرى إلى اليد اليمنى . وفيما عدا الأربعة الرجال ، القائمين فوق الجسر بمهمة التنفيذ ، لم يكن أحد ليتحرك ، بل وقف الجميع ينظرون إلى الجسر تائبين كالصخور الجامدة ، أما الحارسان اللذان يواجهان ضفتي النهر ؟ فقد

على جسر للطريق الحديدية في ألاباما الشمالية ، وقف رجل ملوى الساعدين إلى ما وراء ظهره ، مشدود الوثاق عند المصممين ، وقد أحبط عنقه بجمل مهوى معقود إلى صليب من الخشب المتين فوق رأسه ، وقد تدلت نهاية الجبل إلى مستوى ركبتيه . وكانت عيناه شاخصتين إلى الماء السريع الجريان تحت عشرين قدماً من موقفه

وفوق السكتل الخشبية المرتكزة عليها القضبان الحديدية ، وضمت ألواح من الخشب غير مثبتة أعدت ليقف عليها الرجل وجلاذوه ، وهم جنديان من جنود المراسلة في جيش الاتحاد يقودهما ضابط صف يذلب أنه يعمل في الحياة المدنية نائب عمدة ، وعلى مسافة قريبة فوق هذه البسطة الموقفة نفسها وقف ضابط مسلح ، في ملابس الجندي التي تدل على أنه قائد مائة ، وعلى كل من مدخلي الجسر وقف جندي يحمل بندقيته في وضع عمودي أمام مقدمة السكتف اليسرى ، وقد ارتكزت قاعدتها على الزند الممدود أقباً على الصدر — وهو وضع رسمي غير طبيعي رغم الجسم على التصلب في وقفة متعبة ولم يكن يبدو من هيئة هذين الحارسين أن من مهمتهما معرفة ما يجري وسط الجسر ، فقد كان كل عملهما أن يسدا المر الخشبي المدلبور للماشين

الحديدية، وكان موقف المحكوم عليه قريباً من رباط رابع ولكنه غير متصل به . وكان قائد المائة الذى حل محله ثقل ضابط الصف هو الحافظ لتوازن اللوح الخشبي والحائل دون سقوطه ، ففى أشار القائد لضابط الصف إشارة التنفيذ ، وتنحى هذا عن موقفه مال اللوح بالمحكوم عليه فيسقط الرجل بين رباطين من أرطبة الجسر . وهكذا كانت الاستعدادات التى اتخذت لاعداد الرجل بسيطة فعالة ، ولم يكن وجهه قد غطى ولا عيانه عصبنا . ونظر الرجل لحظة إلى موقفه المزعزع ، ثم شخص بصره قائماً إلى الماء المضطرب فى عنف جنون تحت قدميه ، فاسترعت انتباهه قطعة من الخشب ترقص فوق الماء ، فتبعها نظره وهى تسير مع التيار . فما كان أبداً حركتها فى تقديره ! وباله من نهر بليد مكسال !

أغرض الرجل عينيه وحصر تفكيره الأخير فى امرأته وأطفاله ، ولكن الماء الذى ألقت عليه شمس الصباح وشاحها الذهبى ، وأثر الضباب المتبدد فوق الماء على مسافة غير قريبة من موقفه ، والحصى والجنود ، وقطعة الخشب المائعة فوق الماء ، كل هذه المراتب التى وقع عليها نظر الرجل التماس قد شنت تفكيره ، فلما استطاع حصره كما أراد — على أن عاملاً جديداً للاضطراب قد أضيف الآن إلى هذه العوامل ، فقد شوش تفكيره فى أغراضه صوت لم يستطع تجاهله ولا فهمه ، صوت معدنى ، حاد . واضح ، أشبه بصوت ضربات مطرقة الحداد على السندان ، فرة الصوتين واحدة ، ولقد حار فى ترمف مصدر ذلك الصوت ، ولم يستطع أن يتبين إن كان هذا الصوت قريباً منه أو بعيداً عنه — فقد خيل إليه أنه قريب . وبعيد فى وقت

كانا أشبه بتمثالين يرتبان مدخل الجسر ووقف الضابط قائد المائة مشبك الساعدين على صدره يرقب فى صمت عمل مساعديه ، والحق أن الموت لذو مقام عظيم ، إذا أقبل ، معلناً عن قدومه ، استقبل بمظاهر الاحترام الرسمية حتى لدى هؤلاء الذين ألفوه ، والسكوت والجود من مظاهر الاحترام فى القانون العسكرى وكان الرجل الذى اتخذت هذه الاستعدادات لاعداده ، لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ، فيما يبدو من مظهره ، تدل ملابسه وهى ملابس المزارعين ، على أنه من الرجال المدنيين ، جميل تقاسيم الوجه مستقيم الأنف ، ثابت الفم ، واسع الجبين ، قد مرح شعر رأسه الأسود الطويل إلى الوراء متديلاً خلف أذنيه ، إلى ياقة سترته الحسنة القطع ، ذا شاربين ولحية مديية ، واسع العينين أسودهما ، فى نظره رقة يصعب أن يراها الإنسان فى عيني الرجل الذى وضع عنقه فى خية الجلال ، وكان وانحاً أن ذلك الرجل لم يكن من القتلة السفاكين ، على أن قانون العسكرية المطلق كفى لاعداد أى صنف من أصناف الناس دون استثناء للسادة من ذوى الخلق الكرم

وإذ تمت معدات التنفيذ وثب الجنديان المحيطان بالمحكوم عليه عن موقفهما وسحب كل منهما لوح الخشب الذى كان واقفاً عليه ، والتفت ضابط الصف إلى قائد المائة ، فحياء ووقف وراءه مباشرة . وفى هذه اللحظة ترك الضابط مكانه ووقف على مسافة خطوة من مصطبة الاعداد . وكان من أثر هذه الحركات المتتالية أن ترك المحكوم عليه وضابط الصف واقفين على طرفي لوح واحد من الخشب ، مركز على ثلاثة من أرطبة الجسر

تحمساً لقضية الجنوب . ولقد حالت ظروف ، لا ضرورة لشرحها هنا ، هي ظروف طبيعة متكبرة مستبدة ، دون اشتراك مع الجيش الباسل الذى حارب المواقف الخطيرة التى انتهت بسقوط كورنث وقد تأثرت نفسه لهذا التراجع العيب ، وتطلع إلى الفرصة التى يستخدم فيها نشاطه فيحقق أعظم ما يطمح إليه الجندى من الصيت الحسن والتميز ، ولقد كان يشعر فى نفسه أن هذه الفرصة ستأتى كما تأتى لكل إنسان فى زمن الحرب ، وفى الوقت نفسه فمل كل ما فى مقدوره أن يفعل . فلم يكن

ليألف من أداء أى عمل بالغة ما بلغت قفاهته لمساعدة الجنوب ، ولم يكن ليتردد أمام أى خطر يمكن أن تنطوى عليه أية مغامرة إذا كانت مما يتفق وخلق الرجل المدنى الذى هو جندى فى قرارة نفسه ، والتى أغرنه عقيدته السليمة وقلة مؤهلاته بأن يأخذ ولو بجزء واحد — على الأقل — من التلميح الصارخ الشر القاتل بأن كل شئ مباح فى الحب وفى الحرب

وفى ليلة ، بينما كان فاركوهار وزوجه جالسين فوق مقعد ريفى على مقربة من مدخل دارهما ، دنا من الباب جندى من الفرسان فى ملابس رمادية ، وطلب ماء ليشرّب . فكان من أشد بواعث الدورود إلى نفس السيدة فاركوهار أن تقدم له الماء بيديها البيضاء . وإذا دخلت إلى الدار لتحضّر الماء اقترب زوجها من الفارس الأعبر وسأله فى لهفة عن أخبار ميدان القتال

فأجاب الجندى : الأعداء مشتغلون بإصلاح الطرق الحديدية والاستعداد لتقدم جديد . وقد وصلوا إلى جسر أول كريك ، وأصلحوه ، وبنوا حصناً على الضفة الثانية . وأذاع القائد منشوراً

واحد . وكان تتابع الدقات منتظماً ، ولكنه كان بطيئاً كدقات نافوس الموت . وكان ينتظر — وهو لا يدري لماذا — هذه الدقات بصبر فارغ وتنبه شديد . وكانت الفترات بين الدقات بعضها وبعض قد بدأت بالتدريج ، وأصبح تباطؤها مما يسبب الجنون ، فقد اصطعب هذا التباطؤ الشديد بازدياد الضربات قوة وحدة ، فكانت تؤذى أذنيه كما لو كانت وخزات سكين ، ولقد خشى الرجل أن يصبح متوجماً . ولم تكن هذه الدقات غير دقائق ساعته !

وعاد الرجل ففتح عينيه فرأى الماء تحته مرة ثانية . وقال فى نفسه : « لو استطعت أن أخلص يدي من قبضهما لكان من اليسور أن أطرح الخبة عن عنقي وأن أثب إلى الماء . وعندئذ أستطيع أن أتى طلقات الرصاص بأن أغطس تحت الماء ، وإذا سبغت بقوة وصلت إلى الشاطئ » واندفعت إلى الغاية ثم وصلت سالماً إلى دارى . وأحمد الله ألا يزال يبقى بعيداً عن خطوطهم ، وما زالت امرأتى وصنادى الأعزاء وراء أبعد نقطة وصل إليها المدو النازى فى تقدمه »

وبينما كانت هذه الأفكار ، التى تصورها هنا ككلمات تندفع إلى رأس المحكوم عليه بدل أن تخرج منه ، أشار قائد السائت إلى ضابط الصف ، فوثب الضابط متحمياً عن موقفه

— ٢ —

كان يبتون فاركوهار مترامعاً ميسر الحال من أسرة قديمة لها فى نفوس الناس مكانة سامية من الاحترام . وإذا كان الرجل مالك رقيق ، وكان كثير من ملاك الرقيق سياسياً ، فقد كان بالطبيعة من طلاب الانفصال الأصليين ومن أشد الناس

- ٣ -

عندما سقط بيتون فاركوهار تحت الكبري من الفرجة بين الرابطين ، فقد سواه ، وأصبح كالأرجل الذي فارق الحياة ، ولم يوقظه من هذم الحال — بعد أجيال ، على ما خيل إليه — إلا ألم ضئيل شديد حول عنقه ، تبعه شعور بالاختناق ، وأحس بآلام حادة شديدة تمرى من عنقه هابطة في كل عصب من أعصاب جسمه وأطرافه ، وخيل إليه أن هذه الآلام تومض في خطوط ممتدة متميكة دقيقاً متفرعة في كل ناحية من نواحي هيكله ، وهي تدق دقاً متوالياً في سرعة لا يدركها العقل ، وكأنها أنهر من النار الخائفة تصعد بمجراته إلى درجة تفوق حد التصور ، أما رأسه فلم يشعر فيه بشيء غير الاحتقان التام ، ولم تكن جميع هذه الاحساسات مصحوبة بشيء من التفكير ، فلقد طمس جانب التفكير من طبيعته طمساً كاملاً ، ولم يبق له غير قوة الشعور ، وكان الشعور مؤلماً مسيئاً للذباب ، كان يشعر بالحركة ، وأحس بأنه مغمور في سحابة ملتهبة هو قلبها اللتقد ، وأخذ يتأرجح وسط دوائر غير مستقرة ، وهو مجرد من القوة السادية التي يستطيع بها أن يملك قياد نفسه ، فهو يتأرجح دون تفكير وبغير إرادته ، أشبه ما يكون برقص الساعة ، ثم إذا بالضوء المحيط به يندفع إلى أعلى اندفاعاً مفاجئاً مرعباً مصحوباً بصوت تحبط الماء تحبطاً خفيفاً مزيج الدوى في أذنيه ، ثم إذا كل ما يحيط به بارد مظلم ، وعادت إليه قوة التفكير ، فأدرك أن الحبل الذي يحمله في الهواء قد قطع ، وأنه قد هوى إلى قاع النهر ، وليس في ذلك ما يسبب له اختناقاً جديداً ، فلقد كانت الحياة حول عنقه

علق في كل مكان ، أعلن فيه أن كل مدنى بضبط ، وهو يحاول البث بالطرق الحديدية أو جسورها أو أنفاقها أو القطارات ، يشق في الحال . ولقد رأيت هذا اللشور بنفسى — وكفى المسافة من هنا إلى جسر أول كريك ؟

— حوالى ثلاثين ميلاً

— ألا توجد قوة على هذه الناحية من النهر ؟ — لا يوجد غير غفر للبوليس الحربى على مسافة نصف ميل من الجسر إلى جانب الطريق الحديدى ، وحارس واحد عند مدخل الجسر فقال فاركوهار مبتسماً :

— وإذا فرضنا أن رجلاً — وليكن مدنياً وطالب شتى — استطاع أن يرق ، غير ملاحظ ، من غفر البوليس الحربى وأن يتغلب على الحارس ، فإذا يكون في مقدوره أن يفعل بعد ذلك ؟ ففكر الجندى قليلاً ثم أجاب :

— لقد كنت هناك منذ شهر ، ولاحظت أن فيضان الشتاء الماضى قد حمل كيات كبيرة من الأخشاب فكسدها بجانب الدعامة الخشبية عند نهاية الجسر ، وهذه الأخشاب الآن جافة ويمكن أن تلهب كالطب

وهنا وصلت السيدة تحمل الماء ، فشرّب الجندى وشكر لها صنيعها في احترام شديد وأخفى زوجها ثم انطلق بجواده . وبعد ساعة ، بعد أن هبط الظلام ، عاد مرة أخرى فر بالزرعة متجهاً إلى الشمال في نفس الطريق التي جاء منها في المرة الأولى

لقد كان الرجل كشافاً في جيش الاتحاد

به بعيداً في كثير من العنف ، وقد أشبه تلويح تلوى
ثيمان الماء ، غيل للرجل أنه قد صاح مخاطباً يديه :
« أعيدها مكانه ! أعيدها مكانه ! » فقد أعقب نزع
الخية عن عنقه ألم مبرح قاس لم يكن قد أحسه بعد ،
كان عنقه يتوجع بتوجع توجعاً مبروحاً ، وكانما النار تلتهب
في رأسه ؟ وقلبه ، الذي كان يدق دقاً ضعيفاً ،
وثب الآن وثبة كادت تخرجه من فيه ، وفي الجلة
دب الألم والوجع الذي لا يطاق في كل قطعة
من جسمه ، ولكن يديه العاصبتين لم تحملا
بأسره ، فقد أخذتا تضربان الماء في عنف ضربات
سريعة إلى أسفل ، مرغتين الجسم بذلك على الصمود
وشعر برأسه يبرز من الماء ، ثم غشيت عيناه
بضوء الشمس المشرقة ، وتمدد صدره في حركة
تشنجية ، وابتسلت رثاه في ألم قتال كية كبيرة
من الهواء لم يلبث أن زفره متوجعاً !

أصبح الرجل الآن مالكا جميع مشاعره
الطبيعية . وفي الحق قد سارت جميع حواسه حادة
متيقظة لدرجة غير عادية . فالاضطراب المروع الذي
أصاب جهازه المصنوع قد ضخم هذه للمشاعر
وأرهمها : حتى أصبحت تدرك أشياء لم تكن من
قبل تدركها

فهو يحس وقع قطرات الماء على وجهه ويسمع
أصواتها المنفرقة كلما أصابته . ونظر إلى آتاهة على
ضفة النهر ، فرأى الأشجار شجرة شجرة ، ورأى
أوراقها واهتزاز كل ورقة وحدها - ورأى
الحشرات تمشي فوق هذه الأوراق ، رأى الجراد ،
والقراش البديع الألوان ، والعنكبوت الرمادي
يصل غزله من غصن إلى غصن ، ورأى الألوان
التاوجة في قطرات الندى وهي تتساقط على الملايين

تخفه فعلا وتحول دون وصول الماء إلى رثته ،
أبعوت في قاع النهر بخنوقاً يحيل ؟ لقد بدت له هذه
الفكرة فكاهة تبث على الضحك ! ففتح عينيه
في ذلك الظلام الدامس ، ورأى فوقه وميضاً من
النور ، ولكنه لم يستطع أن يتعرف المدى بينه
وبين هذا الضوء ، ولا مبلغ الصعوبات التي تترض
الطريق إليه ! وكان لا يزال يهبط ، فأخذ الضوء
بتضاد شيئاً فشيئاً حتى أصبح مجرد بصيص ، ثم عاد
الضوء ينمو ويزداد وضوحاً ، إذن هو يرتفع مرة
أخرى إلى سطح الماء - أدرك ذلك كارهاً ، لأنه
كان في مستقره هذا يشعر بشيء من الراحة
والاطمئنان ، وقال في نفسه : « ليس من الكروه
أن يشقى الإنسان ثم يفرق ، ولكنني لا أريد أن
أضرب بالرصاص ! لا لن أضرب بالرصاص ،
فهذا أمر غير محبوب »

لم يكن المشنوق الفريق مدركاً أنه يبذل أي
جهد في سبيل الخلاص ، ولكن أنما حداً في
مقصديه نيه إلى أنه كان يحاول تحرير يديه من
قيدها ، فالتفت إلى هذا الجهد كما يلتفت البليد إلى
حركة المشعوذ غير مكترث للنتيجة ، وبأله من مجهود
عظيم ! - يألها من قوة هائلة فوق طاقة البشر !
آه . لقد كان ذلك جهداً بديعاً ! مرعى ! لقد
أفأت الحبل مصميه ، وانطلقت ساعدها حرتين
تطفوان فوق الماء ، وقد رأى يديه على جانبيه في
في شيء من النמוש ، كأنما يراها من وراء
السحب ، وكان الضوء يزداد انتشاراً للحظة بعد
أخرى ، ولم يلبث أن أهتم بحركتهما عندما اندفعت
الأولى ، ثم تبعتها الأخرى وأتبعتهما على الحبل
اللقوف حول عنقه ، لقد اختطفنا ذلك الحبل وقدفنا

الرماء القناشي الصيت كلهم من ذوى العيون الرمادية ومع ذلك فقد أخطأ هذا الرجل الرماية وأصاب ديوامة مبارضة فاركوهار فأكلتيه ، فاذا هو يواجه ثانية النابة على ضفة النهر المتعاقلة للحصن . فسمع من وراءه صوتاً قوياً منفجماً يمتدح يمتدح الهواء ، ثم أصاب الماء في عنف وضجة غطت على ما عداء من الأصوات ، حتى صوت قطرات الماء المدوية في أذنيه ، والرجل وإن لم يكن جندياً فإنه قد ألف للمسكرات ، فهو يستطيع أن يفهم دلالة هذه الأغنية القوية البطيئة المضخمة . لقد كان الضابط على الشاطئ يشترك في أعمال الصباح فهو في جمود وقسوة ، وفي تلحين هادئ يحاول أن يبعث الطائفة في نفوس الرجال ، فكان ينطق بهذه الكلمات في وضوح وقسوة وفي فترات متباعدة : « تنهوا .. تنهوا .. احملوا السلاح .. استمدوا .. صوبوا .. أطلقوا .. »

فقطس فاركوهار في الماء ، غطس إلى أبعد ما يستطيع أن يغطس .. فكان دوى الماء في أذنيه كدوى شلال نياجرا . وعلى الرغم من ذلك سمع صوت الطلقات النارية ، فلما صمد ثانية إلى سطح الماء رأى قطعاً من المدن اللامع تهبط حوله في ببطء وقد انبطحت في شكل عجيب ، وقد لمس بعضها وجهه ويديه ، ثم استمرت في هبوطها إلى القاع ، وسكنت إحداها بين ياقته وعنقه ، وكانت حارة كالجرة فانتزعتها وألقى بها بعيداً

فلما طفا فوق سطح الماء متلهفاً إلى استنشاق الهواء ، أدرك أنه قضى فترة طويلة غاطساً ، فقد سار مع التيار شوطاً بعيداً ، فأصبح أقرب إلى السلامة ، وكان الجنود قد انتهوا من إعادة حشو

من أوراق الحشيش . وسمع طنين البموض التي يرقص فوق زويمة النهر ، كما سمع ضربات أجنحة فرس البحر وهي تصيب سيقان عنكبوت الماء ، مشبهة القاذيف التي تلمع الماء على جانبي الزورق لتدفعه إلى الأمام . وقد تألفت من جميع هذه الأصوات نغمات موسيقية شديدة الوضوح ، وصرفت تحت نظره سمكة فسمع صوت تصادم جسمها مع الماء وهي تنشق على الجانبين

وطفا الرجل على سطح الماء ناظراً إلى النهر أسفل منه ، وفي لحظة أحس بالدنيا التي يقع عليها بصره وهي تدور حوله في ببطء شديد ، وهو نفسه قد أصبح مركز الدائرة ، ورأى الجسر ، والحصن وقائد المائة ، وضابط الصف ، وجندى المراسلة ، تلك المجموعة من الرجال التي أنفذت فيه حكم الاعداء . لقد كانوا كلهم في نظره أشباحاً سوداء تترس للمدى بينه وبين السماء الزرقاء فصاحوا وحرروا أطرافهم مشيرين إليه ، ولوح القائد بدمجه ولكنه لم يطلق النار . وكان الآخرون غير مسلحين وكانت حركاتهم سحرية فظيمة ، وكانت أجسادهم كبيرة هائلة

وسمع فجأة صوت طلق ناري ، وعلى مسافة بضع بوصات من رأسه صدم جسم جامد الماء صدمة شديدة ألارت رشاشه على وجهه ، وسمع صوت طلق آخر ، ورأى أحد الحارسين يحمل بندقيته على كتفه وقد انبثت من فوهتها دخان أزرق خفيف ورأى الرجل الطافي فوق الماء عيني الرجل الوائف على الجسر محدقان في عينيه من خلال منظار البندقية ولا حظ أن هاتين العينين زناديتان ، فذكر أنه قرأ يوماً أن العيون الرمادية هي أحد العيون نظراً ، وأن

نفسه كاللوماء ، فالساء ، والشايطان ، والغابة ،
والجسر البعيد ، والحصن ، والرجال ؛ كل هؤلاء
اختلط بعضهم ببعض ، وقامت بينه وبينهم سحابة
كثيفة . ولم يكن يرى الأشياء إلا بألوانها فقط .
فهناك خطوط من الألوان المختلفة مستديرة وأفقية
هى كل ما يبدو لناظريه . لقد انغمز فى إعصار ماء
لفه وأدار كل شيء فى نظره ، فكاد يفقد الصواب
وبعد لحظات وجد نفسه وقد طرحه التيار على
الرمل فوق قاعدة الضفة اليسرى للنهر — الضفة
الجنوبية فى منحنى يخفيه عن أنظار أعدائه . وكان
وقوف حركته المفاجئ وجرح يده عند اصطدامها
بالرمال ، هما الماملان اللذان أفاقاه وردا إليه الصواب
فبكى سرورا ، ودس يده وأصابه فى الرمل يقبض
منه وهبيل على نفسه شاكرًا له بصوت عال فضله
عليه ، فكانت تلك الرمال فى نظره ذهبًا وأمسكًا
وياقوتًا وزمردًا ، وفى الجملة لم يكن يذكر شيئًا نفيسًا
الاشبه به ذلك الرمل العزيز
وكانت الأشجار فوق الشاطئ* أشبه بنباتات
عالية فى بستان بديع ، وقد لاحظ أنها منسقة
تنسيقًا جميلًا بأسر المشاعر ، واستنشقت لها عبيرًا
منعشًا . ورأى من الفتحات بين سوقها ضوءًا
وردًا خلابًا ، وكان الهواء يوقع على أغصانها نemat
أشبه بما روت الأساطير من أنغام قيثارة عولس
ملك الريح ، ولم يشعر الرجل بالرغبة فى إنعام هربه
فقد أخذ يجال هذا الموضع الساحر وود أن يستقر
فيه الى أن يقبضوا عليه من جديد
ولكن أفاقه من هذا الحلم الجليل صهير الرصاص
بين الأغصان فوق رأسه . فقد أطلق المدفعى الفاشل
عليه قنبلة الدواع . فهم واقفا واندفع صاعدًا الى
الشاطئ* المائل وغاب بين أشجار الغابة الكثيفة

بنادقهم ، ورأى بريق الكبسات فى ضوء الشمس
وقد أخرجت من فوهات البنادق وارتفعت فى
الجو ثم وضعت فى فتحاتها ؛ وأطلق الحارسان
النار مرة أخرى دون انتظار أمر ضابطهما ،
ولكن بلا طائل

رأى الرجل المطارد كل ذلك من وراء كتفه ،
وكان فى هذه اللحظة يسبح فى عنف مع التيار ،
ولم يكن رأسه أقل نشاطًا من ساعديه ورجليه .
فقد كان يفكر فى سرعة البرق ، وقال لنفسه مقبلاً
على ما رأى :

« لن يكرر الضابط هذه الغلطة مرة أخرى ،
فمن السهل أن يبتلى الإنسان الطلقات الكثيرة إذا
أطلقت ممًا ، كما يبتلى الطلقة الواحدة ، ولعله قد
أصدر أمره للجنود أن يطلقوا أحرارًا غير مقيدين
بأمره ، فليكن الله فى عونى فما أستطيع الإفلات
منهم جميعًا »

وعلى بعد ياردتين من مكانه سمع صوتًا مربعًا
ردد الحصن صده ، ثم أعقبه انفجار هائل أثار ماء
النهر من قاعه ، وارتفعت فى الجو صفحة من الماء
ثم سقطت فوقه فأحتمته وخمنته ؛ لقد إشتك
الدفع فى المطاردة ، وإذ خلص رأسه من الماء
الذى غمره ، سمع صوت القنبلة الثانية تصفر فى
الهواء ، وبعد لحظة اصطدمت بأشجار الغابة بعيدًا
عنه ، وانفجرت بينها ، فقال فى نفسه :

« إنهم لن يفعلوا ذلك مرة أخرى ، وسيطلقون
فى المرة القنبلة قنبلة متفجرة ، فلأرغب المدفع
بنظري ، وسيدلى الدخان ، فالصوت يأتى متأخرًا
لأنه يتلكأ وراء القذيفة ، وهذا الدفع من
النوع الجيد »

ونجاة رأى الرجل نفسه يهوى دائرًا حول

جحظلتنا فلم يعد في مقدوره أن يعضهما ، وجف لسانه من العطش فحاول أن يخفف من حرارته بإبرازه من بين أسنانه فيلق به الهواء البارد . وما أسرع ما غطت الخضر الطريخ غير السلوكه ببساط لين سميك ! فلم يعد يشعر بصلاية الأرض تحت قدميه !

لقد نام الرجل - على الرغم من تعب - وهو سار على قدميه ، ما في ذلك من شك . وإنه ليرى الآن منظرًا جديدًا - ولعله قد يحا من نوبة أصابته من هول ما لقي . إنه لواقف أمام باب بيته ، وكل شيء تقع عليه عيناه باق كما تركه ، وكل ما يرى وضاء جميل تحت شمس الصباح المشرقة ، فلا جدل في أنه قد سرى الليل كله . ولقد دهم الباب فافتح ومشى في الممر الأبيض الواسع ، قابصر اهتزاز ملابس نسوية على بضخ خطوات منه ، وهذه هي امرأته - في نصارتها وثباتها وجلالها - تهبط درج الشرفة لتستقبله . ولقد وقفت عند قاعدة السلم تنتظر اقباله عليها ، وقد غمرت وجهها ابتسامة تنبئ عن فرحة يعجز القلم عن وصفها ، وهي في موقفها هذا مثل للظلمة والسوء غير مقارن . آه ما أجلها ! لقد رتب إلى الامام مفتوح الساعدين ، وهو على وشك احتضانها إذا هو يشعر على مؤخر عنقه بضربة صاعقة ؛ وإذا ضوء أبيض يمشى الأبصار يكتنفه من كل ناحية مصحوبا بصورة كهوت الدفع المصع - ثم إذا كل شيء مظلم ساكن !

لقد مات بيتون فاركوهار ، وهذه جثته مكسورة العنق ، تتأرجح في الهواء ، في تودة ، من ناحية إلى ناحية ، تحت دعام جسر أول كريك هيد الحمير محمى

(٥)

ومشى اليوم كله مبتدئا بحركة الشمس . وخيل إليه أن الغابة تمتد الى غير نهاية ، ولم يقع نظره في أية ناحية من نواحيها على طريق مسلوكة ، حتى ولا درب من دروب قطاع الأخشاب ، ولم يكن يعلم أنه يسكن في منطقة موحشة كهذه . ولقد كان لهذا الكشف في نفسه أثر عجيب !

ولم يأت الساء حتى كان التعب قد أخذ منه ، وكانت قدماه قد أنهكهما السير ، وقد أوشك أن يهلك من الجوع . ولكن التفكير في امرأته وأطفاله كان حافظا له على مواصلة التقدم ، ووجد آخر الأمر طريقا ، هي فيما يعلم الطريق التي توجه الاتجاه الصحيح . وكانت طريقا واسعة مستقيمة أشبه بطرقات المدن ولكنها لم تكن مع ذلك مطروقة ، فلا الزارع تكتنفها ولا على مقربة منها يلوح أى أثر للساكن . وحتى لم يسمع بها نباح كلب ينبئ عن وجود إنسان ، وكانت الأشجار الباسقة السوداء تؤلف جدارين مستقيمين على جانبيها ، يلتقيان على مدى النظر في نقطة في نهاية الأفق ، ونظر الرجل إلى السماء من خلال هذه الفرجة التي تشق الغابة ، فرأى مجموعة كبيرة من النجوم الذهبية المضيئة ، ولكن منظرها لم يكن مألوفا له ، وكان يجمعهما عجبيا ، ولم يكن يشك في أن هذه النجوم قد رتببت في نظام معين يحمل في طياته سرا سي الدلالة ، وكانت النانة من الجانبين تدوى بأصوات غريبة ، سمع بينها أكثر من مرة كلاما بلغة لا يعرفها

وأحس فاركوهار الألم يشتد في عنقه فرفع يده يتحسس موضع الألم ، فوجد العنق قد غار غورا مغرما ، وكان على بيته من أنه محوط بدائرة سوداء من أثر الحبل الذي منطهه ، وشعر كأن عينيه قد



إمهاله وتوانيه . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح يقدم فيه وينال منه أمام زملائه في الجيش وإخوانه وقد قال له فيما قال . . . « فورلاند . . . سوف لا تسلم من ارتكاب الحماقات والأخطاء ما دمت حياً . . إن حياتك المليئة بالأغلاط . مفعمة بالأخطاء منذ أن أدركت معنى الحياة . وإني أقول لك على رؤوس الملأ : إن دخولك في رحمة الله أو إلقاءك في قرارة الجحيم لن يكون ألبتة سوى نتيجة حتمية لاحدى هذه الغلطات . . . أيتها الرجل ! إنك تعيش على الأخطاء وستموت من جرائها » وأطلق فورلاند الدنان لأفكاره تهاق في أجواء السنتين الماضيتين ، وهو يكتب عنوان الكولونيل على المظروف

ونحنى المظروف جانبا ، ثم أمسك بأحدى يديه الرسالة التي كتبها منذ لحظة . بينما كانت يده الأخرى تهبث في حركات عضوية مضطربة بجسد من متوسط الحجم

وراحت بمناء تهربان على كلمات الرسالة « الكولونيل أ . ه . با كستر

سيدى الكولونيل

أرجو المذرة بإسدي إذا وجدتم أن هذا الكتاب لا يمت إلى أعمال الجيش بصلة . وسوف أكون - حيناً يصلكم هذا - إما في جنة الخلد

أخذ الناس على أنفسهم أن يتجنبوا سبيل الأخطاء ، ووضوا نصب أعينهم أن يجيدوا عن طريق الأغلاط ، ومع ذلك فكثير منهم من يهوى في هاويتها ، ويتردى في حماها ؟ بل أصبحت وكأنها من مستلزمات الحياة ، أو من ضرورات البشر ، فقد ترى البعض يتدارك الخطأ قبل الوقوع في نتائجه ، والآخر يقع فيه ويتخبط في أشراكه وجرأه

بيد أن الأخطاء كثيراً ما يحجو بعضها بعضاً . وهنا ترى أن القدر يشاء للبعض أن يجنى من وراء ذلك وبرح . . . ويشاء للبعض الآخر أن يخسر من جرائه بل ويهلك

أخذت يد « جرافيل فورلاند » ترتجف ارتجافاً تحت المصباح الكهربائي الموضوع على المكتب ، وهو يرتج كاسه من شراب البراندى . وما كاد يفرغ من ذلك حتى تقلصت يده على الكأس وتهم : لقد انتهى كل شيء ، وعما قريب سأمسى في حالة أخرى ، آمن بها كل عدوان الدنيا وغدرات الناس ، وهجران الزمن

ثم غيبت يده في درج المكتب وأخرج مظروفاً وضعه نصب عينيه لقد طالما عاب عليه رئيسه الكولونيل با كستر

وقد تقول : إنه كان في وسعك أن تقتصر
البلغ غير أني سوف لأكون مملك إن اكتشف
الحادث ، بل إن روعي هي الأخرى ستأني أسف
تحضرك ، لأنني لأرضي أن ترعبك . ولا أود أن
تهيجك

وإنني على يقين أن رحيلي إلى العالم الآخر هو
خير سبيل تطرق ، وأفضل طريق تسلك ؛ ودعني
أقول لك : وداعا يا سيدي السكولونيل !

المخلص

جرانيل فورلاند
ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك في الظروف وختمه ...
ثم ألصق عليه أحد طوابع البريد . وكان هو يفعل
ذلك حلياً ساهماً ، مفكراً واجماً ، تتناوب وجهه
الحمرة والصفرة . يرى يديه ترتجف وأصابه ترتعش ..
ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب في الضمير لمرسته ،
أو وخز في النفس لقلته . بل كانت ذلك لأنه
لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع العار
بمبدأ منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من المنكر ،
ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة للعبدة .
للخلاص من الفضيحة ، والاعتساف من المارالذين
سيجرها عليه اكتشاف الحادث . هي رصاصة
تفتق رأسه

وأبصر يده ترتجف وهو يشعل إحدى لفافات
التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وادعاء الرزانة
والهدوء إنهما إلا قناعا شفافا يخفي وراءه ما يصطخب
في نفسه ويمعج من عوامل الرعب والفرع الهائلة ..
وقال بلهجة الواثق يحدث نفسه :

— سينتهي كل ذلك سريرا .. ما هي إلا ضغطة

أو في عذاب السمير . هناك حيث ينال المرء جزاءه
من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وآثرتها
لأنني مجرت عجزاً بيناً عن إعادة ما امتدت إليه يداي
الآثمات من أموال الفرقة التي وكلت بحفظها .
ووسيداً إلى أمر حراستها والعناية بها . ولا يجب
إذا وصلت كثنائي هذا قبل اكتشاف الحادث ،
فذلك ما حملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع في نفسي حتى الآن ، لظني
أنني لا بد وأجد طريق الخلاص الذي ينشئي عن
ذلك المأزق الضيق الخائض . وكان مما يفرغ نفسي
بالأمل ويفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف
الحادث ليس منا بغير ، بل دوله أيام عديدة ،
وليال كثيرة تمكنني من إخفاء الأمر وتسديد
العجز وإكمال النقص

غير أن الأيام قد مرت ، والليالي قد تصرمت ،
وأصبح اليوم الروح الهيب قاب قوسين أو أدنى
فلا يمر الليل حتى يفيض نوره ، ولا تمضي ساعات
إلا وبزغ فجره وتترجل شمسه . كل ذلك وأنا كما
كنت ... عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال
النقص الذي أحدثته يداي الملوئتان .. فليس أمامي
في هذه الحال غير السجن والمار .. سوى الخراب
والدمار .. وليس ذلك مما أسيفه أو أروضه

أما عن المبلغ المختلس فقد بلغت قيمته حتى الآن
ستمائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخذلك يا سيدي
أنه في وسعي إعادته إلى مكانه من الخزانة دون أن
يدري أحد ؟ قد يكون ذلك ممكناً من وجهة نظرك
ولكن للمعجزات لا تحدث في عصرنا هذا يا سيدي
السكولونيل ، إنما الأخطاء نجس هي التي يشيع
حدوثها ، أو إحداها إن شئت

« سيدى : لقد أمرنى عمك جيمس . ب .
مويث أن أرسل إليك هذا الكتاب وبه ألف من
الجنهيات ، وهى نتيجة الارتفاع الفاجئ لأسهم
شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها
عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ماهرة بأصضاء مسجل شهير
وأحس فورلاند رغبة ماحقة فى أن يرفع عقيرته
بالصباح فرحاً وابتهاجاً ، ها هى ذى ألف من
الجنهيات فى يده . . . ماسكه وحده ، لا ينازعه فيها
منازع . ولا يشاركه فيها شريك ، سعيده ما اختلته
فى صبيحة اليوم التالى قبل اكتشاف الأمر دون
أن يعلم أحد . . . أبة معجزة أبة خارقة . . . أى حظ
سعيد ؟ لقد هنأ بالمعجزات وهامى ذى قد حدثت ،
وسخر من الخوارق وهامى ذى قد حلت

بيد أنه عبس قليلاً وهو ينظر الى المال ،
لساذن لم يرسله عمه صكاً على المصرف ؟ ولكنه عاد
وتذكر أن عمه عثت ماملة البنوك ، بل هو لا يثق
بها ولا يأمن لها ، إن عادته دوماً أن يدفع بالنقد
وتذكر قول عمه له ذات يوم : « اصنع الى
يا فورلاند ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر
عليها أى ربح الآن . فانها ستغدو فى مدى زمن
— طال أمر قصر — من أعظم الشركات الدولية
فى العالم » إذن فهذه هى أولى الأرباح . . . إذن
سترى عليه المبالغ بعد الآن . . .

وفورلاند يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه
فلسا واحداً ، إذا درى بموقفه الدقيق الحزج ، إنه
— أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة
يتلوث بهذا المار ، ويشمرغ فى هذا الرجس . وتقطب
جبينه وهو يفكر . . . حسناً . . . سيعيد المال
للسروق فتبقى له بمعدن أربمئة جنيه أو تقل ، وإن

واحدة لهذا الزناد وينتهى الأمر كله ! بل ويشق على
أى أحد أن يلحق بى أو ينالنى
وأخفى المسدس فى أحد أدراج المكتب ، ثم
تناول الرسالة ، وغادر البيت ليودعها صندوق
البريد ، أى حظ تعس ذلك الذى يلازمه ؟ من له
يمن يعد له يد المون فيرد المال للسواب قبل أن
يجردوا الخزانة ؟ أى دهر جائر ظلم ، هذا الذى
بأبى مساعدته وتخليصه من وهدة المار التى تردى
فيها ، وهابية الذن الذى تمرغ فيه ؟
وتغم فورلاند يتحدث نفسه :

— ها هوذا آخر يوم من أيام حياتى ، لينقضى
تحت سمى وبصرى

وألقى الرسالة فى صندوق البريد ، ثم كر راجعاً
الى مثواه

وهناك أخرج المسدس وأدناه من رأسه المغموم ،
وزم شفتيه ، وأغض عينيه ، وراحت أصبعه
تضبط على الزناد شيئاً فشيئاً . وكاد كل شىء ينتهى ،
لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سملة
مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فألقى سيده منتحباً ناحية من
المكتب جالساً فى تراخ ومخول ، أما المسدس فقد
كان مخفياً وراء علية السجائر

— لقد جاءت الآن فقط يا سيدى

فاه الخادم بهذه الجملة فى صوت خافت ولهجة
احترام وهو يمد يده الى سيده رسالة مسجلة . . .
فتناولها فورلاند بيد مرتجفة ثم أوماً إليه بالانصراف
وفض المظروف فى عجلة واضطراب فسقطت منه
الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه
والتنظير الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بميتين
جاحتين

وهو يدلى إليهم بأنه أرسل بمحض الخطأ والتسرع خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم المظروف فأجاب أحد المال في رقة مشوبة بحزم أن إعادة أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه أن مصلحة البريد تمد نفسها مشغولة عن الرسائل حتى تصل إلى المرسلة إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد تارة . وبلين ويتذلل تارة . وكان كل ذلك عبثاً . فلجح إليهم بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع المبلغ حتى أخشى يفرى المرء على مخالفة ضميمه والاخلال بواجبه . فنظر إليه العامل نظرة شذراء مليئة بالهكم والاذراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق في عمله فخرج فورلاند يلمس الهواء البارد . الرطب عساه يلطف من هاته النار التي تضطرب بين أضلعه اضطراباً وله يحمد ذلك السمير الذي يحتمد في أحشائه احتدماً

وترأقت على صفحات ذهنة كلمات الكولونيل التي طالما صوبها إليه معرضاً به قادحاً فيه « إنك أيها الرجل تعيش على الأخطاء وسوف تموت من جرأتها »

وفي مأواه غرق في مقعده وراح يشجد ذهنه ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة الجديدة أو عساه يجد طريقاً للخلاص مما وقع فيه من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالم السحماء الطاخية على الكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلاً واقترب الفجر وكاد يبرخ . وفورلاند لما يجد بعد جلا لذلك الاشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين جاحظة وجفون مفرقة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين غائرين

يكون هناك ما يشينه ويعيبه أمام عمه أو يحط من قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ، وزأر كأسد جريح ، حيناً تذكر الخطاب الذي أرسله إلى الكولونيل بعنوان بيته في « إيست كوست » ... لاسمرية أنه سيتسلمه في الصباح الباكر

وهب واقفاً في دعر .. ما الذي يحق للشيطان جملة بتسرع ورسر الكتاب ؟ أما كان أولى به أن يترث إلى الصباح ؟ إنه لا يسمه الآن أن يتلافى الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولا يمكنه أن يعيد المال ، ويزعم أنها مزرعة من مزرعه ، أو مهزلة أراد بها التسلية واستطلاع ما قد يحدث . فقد يرتاب الكولونيل في الأمر . ويجرد الخزانة بعين أخرى .. منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب الذي أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقى فورلاند المسدس في درج المكتب . ووضع المال في حرز حرز . ثم تناول قبعته وغادر متواهاً إلى صندوق البريد

يا للعظ التمس . ويا للأمل الخائب ! لقد أفرغت الرسائل التي في الصندوق منذ عشر دقائق خسب

وترأت له أشباح السجن والفضيحة والمار . فجن جنونه . إن مصيره الآن في يد رجل ، ولو أنه طيب القلب إلا أنه لا يبلن ولا يرحم في مثل تلك الأمور . ثم إن عمه جيمس لا يتردد في ازدراءه ولقلته والتبره منه إذا بلغه خبر جرعته الشنماء وإثمه الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد يبحم في نهاية الطريق فهو لول إليه . وألفام هناك في عجلة من أمرهم وهم يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء وثبات الجنان

وغرق في مقعده ثم تتم :

— السجن ١١١١ . . .

واعتمد في جلسته بقية ثم أردف :

— سيأتي البوليس بين لحظة وأخرى . . .

أجل ، سيأتي فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب الذي حدا به الى الانسلاخ من هذا العالم والتخلص من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والمار والدمار وضحك مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب وأفرغ في جوفه كأسين مترعيتين من الشراب

ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة ... غلطة واحدة ألا ليتني تربت قليلاً قبل أن أبعث بهذه الرسالة اللعينة

ثم رفع السلاح الى رأسه المندى بالمرق البارد في عزم وإصرار

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفرس ويدم النظر في رسالة سلمها إليه موزع البريد ، وكانت تحمل — فضلاً عن عنوان الكولونيل باكستر — ثلاثة أحرف توى إلى أن اسم الراسل مكتوباً على الوجه الآخر من المظروف

وزجر موزع البريد يقول :

— إنه لا يحمل اسم البلد المرسل إليه ، وقد أعدناه لنقص العنوان . كثير من الناس يقع في مثل هذه الغلطة ... يا إلهي ! ما هذا !؟

« وهذا » هذه كانت طلبة نارية دوت في سكoon المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

محمد عبد الفتاح محمد

بالمساحة والتأجيم بينها

ستصل الرسالة الى الكولونيل بعد ساعات فيقرأها ويدرك كل شيء

ليس هناك سبيل لمنع ذلك ، على الرغم من أن الخطاب لا يزال في مكتب البريد ، يا لله ! كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح ذلك مستحيلاً ، لأن الكولونيل يتسلم رسائله يدأ بيد من موزع البريد . وزأر فورلاند يقول :

— لماذا لم أتربث قليلاً ؟

واختفى فورلاند للروح الطروب ، واحتل مكانه فورلاند آخر وحشي النظرات . كساه اليأس ثوب الجنون ، وأورنه الهم والقلق حالة التوحش ها هو ذا الخطاب يتراءى له كوحش هائل يريد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه بجراح جبار يبني اختطافه ، ومع ذلك كان في وسعه أن يتفادى ذلك لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملاً كأسه من الكونياك ودفعا الى فمه بيد ترعد في شدة وعنف ، حتى لقد تصاققت قطرات من الشراب على أرض الغرفة

وانتبه أخيراً من ذهو له فرأى أن الصبح قد تنفس وزغ النهار وأضاء . فأخذ بضحك بينما كانت أسابيه تمثب بالأوراق المالية عبتها بشيء نافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتاً أن يأخذ منه المال ويودعه الخزنة دون أن يظن الى الأمر أحد يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر ... كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليتني تربث

الى الصباح ، أو الى أن أتاه المال من محم ونظر الى الساعة فآلفاها تشير الى التاسعة

سيستلم الكولونيل باكستر الرسالة حالاً . . . إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس



- ١ -

كان يقول لسيدته ونظرائه تنطق بالروعة والاحجاب :
« لسوف يكون ابنك قاضياً يوماً من الأيام . »

وكانت الأيام لا تترى إلا وفي أحشائها أعاجيب
جدد ؛ ف عندما بدأ الطفل يتعلم كيف ينقل خطاه
بمضها في إثر بعض ، رأى رتشاران في ذلك عصرآ
جديداً من تاريخ البشر . حتى إذ ما جال لسانه في
شده بلفظ : « بابا » لأبيه ، ولقب « ما - ما »
لأمه ، وكنية : « شارنا » لمريه ، استخف المزج
رتشاران ، فراح ياتي بالخبر إلى كل من بصرت
به عيناه

وأنى على ذلك حين من الدهر فأصبح على
رتشاران أن يظهر عقبريته بأساليب أخرى ؛ فقد
كان عليه أن يلعب دور حصان مثلاً ، يشب على
أقدامه ويمسك اللجام بين أسنانه . ثم يصارع حمله
الخفيف ، ويحتمل ليرتخي على ظهره مهزوماً مغلوباً .
فان هو قشل فثم صخب وصحيج

وفي ذلك المهد حول أنوكول إلى مقاطعة على
ضفاف البادما . فاتباع لابنه - وهو في الطريق إلى
كلكتا - عربية صغيرة ، كما اشترى له سداً من
ساتان أصفر ، وقيمة ذات شرائط مذهبة ، وأساور
وخلاخيل من ذهب . فكان من دأب رتشاران
- كما خرج في زهرة مع صاحبه - أن يخلعها
عليه جميعاً في زهو وكبرياء

كان رتشاران يبلغ من العمر اثني عشر عاماً
عندما لحق بخدمة سيده ؛ وإذا كان ينتهي وإياه إلى
جنس واحد فقد صار إليه أمر العناية بابنه الصغير
ودار الزمن دورته فانفتل الطفل من بين ذراعي
رتشاران ليذهب إلى المدرسة ، ثم إلى الجامعة ، ثم
لينبوأ منصباً في القضاء

ولقد انفرد رتشاران بخدمته طيلة ذلك المهد
حتى إذا ما تزوج شمر الرجل الأمين بأنه قد أصبح
مولى لسيدين بعد أن كان تابعاً لسيد واحد ، فقد
طار من بين يديه ما كان له من سلطان ، ثم استقر
على بساط السيد الجديد

غير أن رتشاران لم يلبث أن صرفه عن كل
ذلك قادم ثان ، فقد أنجب أنوكول طفلاً ، وملك
رتشاران قياد الطفل بلطف عنايته ، وحسن رعايته
فكان يلاعبه ويداعبه ، ويلاعبه ويناغيه ، ويلصق
خده بخده ، ثم ييمده عنه وقد أضادت صفحته
ابتناسمة لطيفة

وسرعان ما استطاع الطفل أن يحب وأن يجوز
باب المنزل ؛ وعند ما كان رتشاران يذهب لياتي به ،
كان يجلبجلب بصحبات غائبة ، فيأخذ المعجب من
رتشاران مأخذه ، ويدشش لما يديه الطفل عند
مطارده من تدبير بارع ، وحكم سائب . حتى لقد

فأشار بيده إلى الاتجاه المضاد وهو يقول حافظاً مستثيراً : « انظر ! انظر ! أيها الطفل ! انظر هذا الطائر .. » ثم دفع بالربة بعيداً عن الشجرة وهو يدمدم بأصوات لا معنى لها

ولكن ليس من اليسير أن يخدع طفلٌ قسم له أن يتربع على أريكة الحكم ، ويتبوأ منصة القضاء ؛ ثم إنه لم ير شيئاً خليفاً بأن يلقى إليه باله ، أو يوجه أنظاره ؛ وإلهامه بوجود طائر خيالي أمر لم يمد في الامكان

وتشبت السيد الصغير برأيه ، فرضخ له وتشاران ، وقال أخيراً : « حسناً أيها الطفل ، اجلس أنت في عربتك قورالين ، وسوف أذهب فكأتيك بما شئت من زهر جميل .. ولكن حذار أن تقرب الماء .. »

وما كاد وتشاران يذهب حتى هرع الطفل صوب الماء الذي حرم عليه ، كان النهر يمدو ويتدافع صاخباً مزبداً ، فكان الموجات العصفية أطفال آبهة من وتشاران ، مدوية بضجكات ألف طفل سوي .. فتجوب فؤاد الصغير بالأعجبها ، فأنسل من عربته يمدو شطر المجرى ؛ وبينما هو في ذلك إذ بصر بعضاً صغيرة ، فأنحنى بها على النهر وكأنه يصطاد ، ولكن أرواح البحر كانت تدعوه إليها ، وتناديه أن تعال نلعب ونمزح في مرصتنا الواسع

وكان وتشاران قد قطف ملء قبضته زهراً ، وعاد وهو يحمل في طرف ثوبه ، والسرور يملأ عطفه ويشيع في أسارير وجهه ؛ ولكنه عندما باغ مكان العربة لم يجد أحداً ، فجال بطرفه فيما حوله ، فلم يجد أحداً ، فجمع إلى العربة بصره ، فلم يجد أحداً ، فتجمد الدم في عروقه ، ودارت الدنيا من حوله ، وكأنه يسبح في ضباب كثيف ، وانبثت

ثم أقبل فصل الأمطار فأنشأت السماء تمطر الأرض بشبابيب حزن هطال . فكان النهر الجائع أفعوان هائل يزدد كل ما يصادفه من المنازل والقرى والحقول ، وينمر بفرص مياهه الحشائش الطويلة الشرفة على الساحل الرمل . وبين الفينة والفينة كان يدوى في الفضاء صوت ارتطام المياه بالشاطئ ، وكنت تستطيع أن تسمع هدير التيار من بعد قصي ، فإذا اقتربت من النهر هالتك تلك المقادير العظيمة من الزبد يدفعها التيار دفعا عنيفا

وغيض ماء السماء بعد ظهر يوم من الأيام فلاح الطقس رائفاً دفيئاً وإن جلت الغيوم السماء . ولم يرض السيد الصغير أن يقيم في مقر داره في مثل ذلك اليوم الجليل ، فاستقل عربته الصغيرة ، وراح وتشاران بجرحه في توان وتخاذل ، حتى إذا ما شارف مزارع الأرض الممتدة على شاطئ النهر لم يجد أحداً ، فلا في الحقول أصحابها ولا في النهر قواربه . وإنما انشقت السحب وراء العباب عن شمس دامية مودعة ، كأنها سفينة يحترق في خضم زخار

ووسط ذلك السكون العميق أشار الطفل بأصبعه إلى الأمام على حين غرة ، ثم صاح : « شارنا ! » فبلى مقربة منهما وسط ردغة مستوحلة كانت تقوم شجرة باسقة من أشجار « الكادامبا » وكان السيد الطفل يرمقها بنظرات ملؤها الطمع والتشهي ، ففهم وتشاران مراده ، إذ كان قد اتخذ له من أزهارها شبه عربة صغيرة منذ عهد قريب . وما كان أشد سرور الطفل وهو يجرها هنا وهناك ؛ لقد شغلته اليوم بطوله حتى عن أن يلجم صاحبها ، فارتفع من حصان إلى سائس ؛ وما كان وتشاران يتوأن إلى أن يخوض في الطين حتى ركبته ليحصل لسيدته على الزهر ،

من أجناء صدره الكسير صرخة بتراء :

« مولاي... مولاي... مولاي الصغير... »

ولكن أحدا لم يناده : شارنا ، ولا نضح من خلفه طفل عاث ، ولا جاوبته صيحة مرع من قلب صغير ، ما طرق أذنيه إلا هدير البحر يملو صاحباً مزيجراً كما كان ، كأنه لا يعلم مما حدث شيئاً ، أو كأنه ليس خليفاً أن يلقى السمع إلى ذلك الحادث الانساني العارض ، إلى موت طفل ..

ومضى الليل لا يزيد قلب السيدة إلا خوفاً واضطراباً ، فبعثت بالرجال يجوبون الحى باحثين ، فانطلقوا والمشاغل في أيديهم حتى شارفوا ضفاف الپادما ، حيث ألفوا رتشاران يبحث المزارع كأنه صرصر عاتية ، ويصيح صيحة اليأس : مولاي .. مولاي .. مولاي الصغير ! ..

وعند ما عادوا به إلى المنزل خر تحت قدمي سيده صمقا ؛ فراحوا يهزونه ويسائلونه عن مكان الطفل ، فلا يظفرون منه بشيء .

وأيقن الجميع أن الپادما قد ابتلع الطفل ، وإن خامرهم شك ضعيف فيما حدث ، فقد شاهد الناس ظهر ذلك اليوم عصبة من النور تضرب في أطراف القرية ؛ وهيات اللثم مرارة الشكل ووقدة الحزن أن تشاران ربما كان السارق بعينه ، فالتبذت به مكاناً بعيداً ، وراحت تبتهل إليه في ضراعة وتوسل : « رتشاران ! أردد إلى طفلي .. أوأه ! أردد إلى طفلي .. خذ ما شئت من مال وعتاد ، واردد إلى طفلي ! .. »

فكان رتشاران لا يجيب إلا بالضرب على جبينه ، حتى أمرته سيده أن يعادر المنزل غير مأجور وأراد أنوكول أن يحاج زوجته ليخلصها من من شكوكها ؛ سألها : « ولماذا بالله يقترب مثل هذا الجرم ؟ » فاجابته إلا بقولها : « من بدري !

لقد كان الطفل زين بجلى من ذهب ... »

— ٢ —

وارتد رتشاران إلى قريته محزوناً كاسف البال — فلم يك قد نسل حتى ذلك الوقت ، ولم يبق له أمل في نسل .. إلا أن زوجه أنجبت طفلاً قبل أن ينسلخ على قدومه عام ، ثم قضت بحبها ، وخلفته فريسة حنق عظيم ، ينظله مرأى طفله ، وتتمان القنون أنه ما جاء إلا لينصب السيد الصغير مكانه ، ثم أليس من البنى أن يقر بطفله عينا ، وسادته يتقبلون على القنات وحداً على أيهم وألماً ؟ ولولا عمة أرملة وقفت نفسها على العناية بالطفل لما عاش إلا قليلاً ولكن تحولاً طراً على عقل رتشاران ثم سكن فيه شيئاً فشيئاً . لقد راعه أن بدأ الطفل يجوب بدوره هنا وهناك ، ويمجوز باب المنزل وقد ارتسمت على وجهه علام الخبث والبست ؛ وكان هو الآخر بارع الحيلة زكى الفؤاد إن شاء هروبا ، بل لقد كان بنبرات صوته ، ورنين شجكه ، وعويل بكائه ، ولطيف إيمائه ، يشبه السيد الصغير حذوك القنزة بالقنزة ؛ حتى لقد كان يحيل لرتشاران وهو يصيح أن سيده الصغير يناديه من وادى الوث السحيق ، ويصرخ باً كيأ لفقد « شارنا »

وسرعان ما بدأ الطفل يلوك الكلام ، فمرق كيف ينادى « با — با » و « ما — ما » في لُغاء طفل رضيع ، وانبجج السر أمام عيني رتشاران إذ راح السيد الصغير يناديه « شارنا » بمدآن بشت في بيته قارة أخرى

ولم يمسد بخامر رتشاران أدنى شك في حجة هذا الزعم ، فقد رأى الطفل نور الحياة بمد وفاة السيد بقليل ، وأبوه على بأس من أن يجيء الخاض زوجة العاقر ، ثم إن القادم الجديد كان يمرق كيف ينادى « با — با » و « ما — ما » ، وكانت

خدمه كتابيع .. وزاد الطين بلة أن رتشاران
أضمر أبوته لغايلنا ، ولم يكافش بذلك أحداً
ولقد كانت أساليب رتشاران الريفية موضع
سخرة الطلاب من قاطنى الفندق ، بل لقد كان
فايلنا يشار كهم عيهم ما غاب أبوه . وعلى الرغم من
ذلك فقد كانوا كلهم يحبون الرجل الطيب المعجوز ،
وكان ابنه يحبه أيضاً ، ولكن في ترفع وكبرياء

وتقدم رتشاران العمر وأوقرته السنون ، فراح
مخدمه بعدد أخطائه ، ويحصى عليه سقطاته ،
ويدرك مجزه عن القيام بعمل لم يكن له أهلاً ..
فلقد كان يطوى نفسه على جوع ونحمة ، ليوفر
لابنه أسباب السرور والنعيم . حتى لقد هزل
جسمه ، وشحب لونه ، وأده عمله ، وضغفت
ذاكرته ، وتبدل ذهنه . ولكن سيده لم يميزه ،
إذ كان يريد العمل تاماً كاملاً . ثم إن ما أتى به
رتشاران من ثمن عقار كان قد فسد ، وبقي القتي
متدماً يطلب الملايس ، ويريد النقود

— ٣ —

وأخيراً صم رتشاران على أمر . فأعطى فايلنا
قدراً من المال ، وقال له : « إني ذاهب إلى البلد
في عمل ، وسوف أعود وشيكاً » . وسرعان ما قصد
إلى « باراست » حيث كان أنوكول قاضياً ، وكانت
زوجه ما برحت موجهة القلب مكروبة الفؤاد ،
وقد ران على قلبها الحزن أن لم تلد من بعد
فقيدها ولداً

و ذات يوم كان أنوكول يقيل من عناء عمل
شاق ، بينما كانت زوجته تدفع الثمن القادح إلى
دجال جوال ، لقاء عقار يشفى من العقم ؛ فسمع
في رجة المار داع بدعو بالنتيجة فبرز أنوكول يرى
من القادم ، فما أن عرف فيه رتشاران حتى صفا
إليه فؤاده . وطلق يسائله عن حاله ، ثم وعد بأن

تلوح عليه غايل قاض فاضل وحكم عادل
واتالت على رتشاران ذكرى ما ألصقته به
سبيده من ثم ، فطلق ينادى نفسه في ذهول :
« واهاً قلب الأم ما كان كذبوا ، إنما أوحى إليها
أنى كنت سارق طفلها .. » وما كاد التفكير
يؤدى به إلى هذه النتيجة حتى غشيه الندم على
ما كان من إهماله ، فأجبه بروحه وجسمه إلى الطفل
الصغير ، وعضه خالص حبه ولولاه ، وطلق يتولاه
كأنه ابن سرى . فاتباع له عربة صغيرة ، وصداراً
من ساتان أصفر ، وقبعة منمنمة بالذهب ؛ ثم صهر
حلي إسرائيل ، وصاغه أساور وخلائيل . وأتى على
الطفل أن يلعب مع أطفال جيرة ، فانهرد برفته
ليلاً ونهاراً . حتى إذا ما كبر ونما وعد في الفلماني
كان الصبي الدلال الأنيق ، يسخر منه أهل القرية
وينادونه « بيا صاحب السعادة » ؛ بينما كان أبائهم
يمجبون لشف رتشاران بالطفل شفقاً بلغ حد
الوله والجنون

ثم شارف الطفل سن المدرس فباع رتشاران
ما كان له من عقار قليل ، ثم احتمل إلى كلكتا
حيث اشتغل بالخدمة بعد لأى وعناء ، ثم يمث
بابنه إلى المدرسة لا بالو جهداً في سبيل تثقيفه
وإسعاده ، وإن قنع هو بحفنة من الأرز يقيم بها
صلبه ، هامساً يذنه وبين نفسه : « آه يامولاي
الصغير يا سيدى العزيز ، لقد أحبيتنى فمدت إلى
في بيتى ؛ تالله لن ينالك منى سهو ولا تقصير »

ومضت على ذلك أعوام اثنا عشر ، فإذا النقى
قد أجاد القراءة والكتابة ، واستوى على عوده
وضاحاً قوياً ؛ معنيا بظاهر وسامته ، متمراً بشعره
بفرقه ويساويه ، ميلاً إلى التأنق والتباهى ، مبسوط
السكت لا يقيم لئال وزناً . . . حتى لقد أنف أن
يقر بأبوة رتشاران له ، لأنه وإن أحبه كأب ، فقد

منى واشتمل الرأس شيئا ، ولم يبق في الإلزام
يحبو رويداً »

وقالت السيدة : « ذره يبق في ذلك سرور
لطفلى . لقد غفرت له ما تقدم من ذنبه . . . »
ولكن ضمير القاضى أبى على رتشاران أن يبقيه ،
فقال : « كلا . . . فإلى المغفرة من سبيل . . . »
وانبطح رتشاران على الأرض يضم قدى
أنوكول صامحا : « ذرى باقيا يامولاي فأنتيت
شيئا فريا ؟ إنما إرادة الله »

وما زاد ذلك أنوكول إلا ثورة خاطر ، فقد
ثقل عليه أن يتهم القدر رتشاران ، فقال : « كلا .
فما عدت أستطيع أن أعفو أو أطمئن إليك خربة
أخرى ، بعد إذ خنت وخفرت ذمى »

وهب رتشاران فاستوى وانقا ثم قال : « إني
ما اقترفت إنما ولا جنيت ذنبا . . . »

فسأله أنوكول : « وإذن فن فعل ؟ »

وأجاب رتشاران : « إنه القدر »

ولكن هذا لم يكن عذرا كافيا في عين رجل
متشغف ، فظل أنوكول عنيدا صلب الفؤاد

ولما فهم قائلنا أنه ليس ابن رتشاران بل سليل
قاض ترى ، غضب وتار أول الأمر ، فلما منه أنه
خدع في أصله ومنهبة ؟ ثم نهته من غربه أن رأى
رتشاران حزينا . فقال لأبيه : « ساعه يا ابتاه !
ودعه يعيش ممنا أو فاجر عليه كل شهر نفقة »

ولم يجر رتشاران بعد ذلك جوابا بل طفق
يديم إلى وجه ابنه نظرة وداع ؟ ثم صعد المشيئة
سادته ، فخرج وقد اعتركت في باطنه أشباح شتى
واكتهل الشهر فصدق أنوكول وعده ، وبث
بقدر من المال إلى رتشاران في قريته ، فرد إليه
لأنه لم يكن بين أهل القرية من يدعى رتشاران

شكرى محمد عباد

يميله إلى خدمته مرة أخرى . فابتسم رتشاران
ابتسامة شاحبة ثم قال : « أريد أن أقدم فروض
الطاعة لولائى . . . فذهب به إلى داخل المنزل ،
ولكن سيده لم تستقبله بمثل حفاوة سيده فطوى
رتشاران عن ذلك كشحا ، وضم يديه وهو
يقول : « تالله ما استلب البادما طفلك ، بل نحى
جرمى . . . » فصاح أنوكول : « الله أكبر !
ماذا ؟ وأين هو ؟ . . . » فأجاب رتشاران : « إنه
مى ، وسوف آتيك به بعد غد »

وكان اليوم الأحد إذ القضاء مطلل ، فأنشأ
الزوجان يرقبان الطريق متربصين ، ينتظران على
الجر قدوم رتشاران ؟ حتى هلت طلعتة في الساعة
العاشرة ، ممسكا بيمينه قائلنا

وأخذت الزوجة السلام في حجرها دون أن
تنبس بكلمة ، ثم استخفها المرح فهي ضاحكة باكبة
تدله وتلاعبه ، وتقبله في شمره وجبينه ، ويحدق
في عيائه بأعين جائعة ولهى . كان الفتى قسما وسيا ،
في كساء فطريف ، وثياب غرائق . فطفح فؤاد
أنوكول بالبشر والحب ، ولكنه راح يسأل سؤال
كل قاض : « أما لديك من يينة أو برهان ؟ »
فأجاب رتشاران : « وكيف أستطيع على ما قلت
سوق دليل ؟ إنما هو الله يسمع ويرى ، ويعلم أنى
سارق طفلك ، أما وحدى لا سوى ! »

ولما رأى أنوكول تملق زوجته بالطفل وضع
له عبث السؤال ، فرأى الحكمة في أن يصدق
ويؤمن ، فن أبن لرجل مجوز مثل رتشاران بهذا
الفتى ؟ ولم يكذبه خادمه الأمين ويختله على غير
طائل ؟ ولكنه قال في حزم وصرامة : « رتشاران !
لم يعد لك في هذا البيت مقام »

وأجاب رتشاران في صوت مرتجف ، وهو
يضم يديه : « وأنى أذهب يامولاي ؟ لقد وهن العظم



النقد الذهبى

للكاتب الفرنسى فرانسوا كوبيه
ترجمة محمد العزاوى

ولكن نفسه نازعته للتطلع فألقى السمع ، فباع صاخيّه رنين الذهب ووسوسة النقود ، بضيان بين ضحكة نصر مقتضبة ، وحشرجة بأس مغير ، وزفرة مغلوب خفته الحظ فهو حسير كظلم ، وصعداء غالب راض حظه بمد أن احتبس غلت بواديه شأيب وأعدة ووذت ساحته مزنة هائلة

وذهل عن ذاك بأسره : لقد أقوى حبيبه بمد أن كان عامراً بمال يهر المين ويخطف البصر . وخوى وقاضه فاقه لشد الرق وإقامة الأودى . آماله ولت سراها فهي غزلان وحلى ، تخاف فتناهى فى دل حبيب الى النفس ، شديد عليها مرير .

كان الناظر إليه يخاله ناعماً وما هو بنائم . ولكنه كان فى سكرة بسبب أمره ، وغشية لا يعللها إلا خلو الوقاض . لقد قلب أمره بين يده فوجد المجتمع ينبت — وهو الحسيب ذو الحاء والنشب — فهو طريد ، والعالم يحمله — وهو النسيب ذو الأصل والنشب — فهو شريد ، والأمل يجره — وهو الطموح ذو المجد — فهو يائس ، والصديق يتكره — وهو الكريم ذو الفضل — فهو وحيد . . . لقد قلب أمره بين يديه فوجد صديقه فى مقعد احتضنه وعطف عليه فى محنته وضرائه — كما احتضنه اللداهنون من قبل فى نعمته وسرائه —

حينما بصر « لوسيان دى هيم » بأخر تقدم من ذى المائة فرنك تجرفه عصا القريم مخاذل وانفض عن نضد الزرد . وما كان له أن يجلس الى غريمه بمد أن فقد — منذ قليل — ماله الذى سهر على جمه ليتأهب به لحرب ضروس . وما كان له أن يفعل وقد دارت به الأرض دواراً فقد به عن الوقوف ، فتخاذل ، قارتى ، فاحتضنه مقعد مزيج . ثم انطوى على نفسه وسوب للجمع بصراً غشته سحب الأحزان فهو زائع العين مهموم ، لقد رأى جما اجتمع لائم فى هوة أذى ، وموطن فساد ، حيث أفنى شبابها نصر قليلا وذوى . . لقد رأى وجوهاً مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، يزيد أنيساطها حظ مؤات وريح كثير . وتلك أخرى تسكاد تميز من الغيظ فهي مصفارة ، منقبضة الأبيار ، علا على الجبين منها ماء منهمر ، تسابل على الحدود فاستوى على البوارض والأذقان ، فاختلط بدمع الخلق وتبرى من ميون حطت خوفاً وطمعاً . . لقد رأى معاً صديقه يهرى السكينة فى ثوبا وضيق فوق كهف جديش قلبه يجره فيها قلب بصر لا بنور ضئيل لينتقل الى لظلمة خال حجب النور الفاشية وسحب الى المظلمة التهميد . فوجد نفسه يهرى بها جمع قليلاً ، فأنهضه فى نفسه وظاف فى أحضان مقدمه الصديق

وأملأهم وقاضاً وجيباً ، وأجشمهم عيناً ونفساً ؛
وهو رغم ذلك شحيح بخيل : لا أثر للنعمة
يبدو عليه ، فهو يلبس سترته من قماش « الضامة »
لا يكاد ينفقها ويغفل عنها ، وهو بها قدير الدين
جدلان

تقدم درونسكى وتحم ، وشاعت كلاله المهمة
في أرجاء الحية شهباء : هلا أقرضنى خمساً من
الفرنكات ياسيدى ؟ أنظر ! ... إلى لم أبرح الندى
لخسة أيام خلون ؟ وما كان لي حتى أربع أو أجدلى
مع عددى — السابع عشر — أمراً ، فهو لها نيك
الحسة لا يزيد ولا ينقص . لك أن تضحك منى كما
يتراءى لك ويحلو ، بل لك أكثر من ذلك : لك أن
تقطع يدى إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة
والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقاتها الاثنتى عشرة
وما كان للوسيان إلا أن يهز كفتيه ، وقد
فعل . إذ أنى له بما يقيم الأود به ما يرجو
المجوز ؟ . . . وأزاح الرجل من طريقة يسير
واحدة دون أن ينطق بكلمة ؛ ودنا من الباب بقدم
واحدة يقيمها التجلد ، ويشبها التحامل ، وأدلف إلى
البهو الكبير حيث ارتدى سترته وأحكم قبضته
فوق رأسه المهوم ، وهبط الدرج بدمع واكفر ،
وقلب حزين . .

لقد مكث لوسيان بالندى أربع ساعات طوال ؛
كان التلج أثناءها يساقط على باريس فيتوج هام
البيوت ، وهبب الشوارع بسطاً من شفوف جميل . .
وبدا لوسيان يسير الموهبى ، والسكون متمدد فوق
رأسه متواصل ، والنجوم يبتثق منها نور خافق
متضائل ، واللباس أبيض شف يمتد أمامه دون
حائل ؛ فقرح وابتهج لتلك الطبيعة ترين لأنه تاب

فهو عطوف أمين . . . في موت منج من يؤس
ومسكنة لا يرضى بهما نبله ومجده ، وذلل ومسكنة
بأبنا كرم نفسه وشرف محتده ... في بندقة أبيه
— القائد دى هم — تحمل إليه ذاك الموت الحبيب
كاحلت الملائكى « زآ تشا » الفاصلة موتاً أحر على
يد والده المجيد . . .

ألحب التفكير رأسه ، وسمر الهم قلبه ، وكوى
الحزن فؤاده ، ثم تداركه الكرى رحمة منه ، فأغنى
طرفه فهو نائم سعيد . ولما أن أفاق من غفوته
بعد نصف ساعة أو يزيد قليلاً وجد فيه لزجاً من
لماب سال أثناء نومه . فأزاله وتغلى . وكان بحاجة
لهواء منمش جديد ينتشل جسمه من وهدة الكسل
وذهنه من بلادة وخود . فقام في تراخ وكسل . .
وألقى الساعة لدى الباب تشير — في هدوء —
إلى الثانية عشرة إلا ربماً . وسار ماداً يده يريد
الباب . وحينذاك أدرك أن ليلته ليلة الميلاد ، فوجم
وجوماً . ذلك لأنه تذكر الماضى بزمه وجلاله ،
وشمر به يشرف عليه خلال بياض الأيام وسواد
الليالى ، يؤنب ويمانب ، ثم يهوى هادراً متوعداً .
تذكر حين الطفولة وما أصاب من عن كثير .
وتعمقت له ليالى الميلاد شامته ساخرة . وادكر
كيف كان يضع حذاءه الجديد على أفضية الموقد
بدار أبيه ليلاً ليلسه في الصباح الجليل ... تذكر
كيف سحب ذبل النعمى ، وخطر في شفوف
الحرير ، وأين هو من تلك النعمى وذاك الحرير . .
إنه لصدى تلك الأيام الخوالى وإنه لطريد عن تليد
وتقدم لوسيان يردد الباب حين اعترض سبيله
شيخ عجوز ؛ لقد كان « درونسكى » أحد أقطاب
ذاك اللهو الأثيم ، وأشد جبارته بأساً وشرّاً ،

ولكنه ردها حزينا محسورا. فقد اذكر أن لا مال معه. ولكن غريزة دفته فأتى ما أتى من الأمر دون وعي وتدبير. وتقدم من الفتاة يريد حياها وإزالتها بيته حيث الدفء والفرش الوثير. ولكن ما كاد يفعل حتى بهر بصره شيء لامع يقبع في حذاءها المخلوع

ودنا بوجه — تشيع فيه الرغبة والرجاء — ليستبين ذلك الشيء، وما كان إلا نقدا ذهبيا من ذى العشرين فرنكا

لقد وهبه الفتاة كريمة. وما من شك أن الحسن سيدة مرث فتمنحتها القدر العظيم انقربه عينها إذا ما صحت من غفوتها، وتطيب به نفسا إذا أصححت فتكف عن السؤال، ويزيد إيمانها بالخير يهيئ ليله الميلاد عشرون فرنكا إياه من قدر أو ليس هو الزعيم بسعادة بضعة أيام؟! أو ليس هو بشير الراحة لتلك الطفلة اللابسة!! أو ليس الذي بذاته لمار الحظ، والنعم بهمينه للساعب المكدود؟! وإنه لمار الحظ، وإنه لساعب مكدود!

لقد كاد يوقظ الفتاة لولا أن ذكر قول ورونسكي المعجوز:

— ... لم أبرح الندى لحسة خلون... بل لك أن تقطع يدى إذا لم يرق السابع عشر سلم الريادة والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقاتها الاثني عشرة...

يا لله! إن هناك فرصة لأمل!

وقفز ذلك الشاب — سليل الأصل الكريم والبيت النبيل، ذو القلب الحربي والمجد الأثيل — فقد اعتزم في نفسه أمرا... إنه لم يبلغ الثالثة والعشرين ديمعا فهو شجاع جريء.. وهو إذا اعتزم

وأصلح من إملاق وفاقة، وفروح وابتهج لأنه شعر بمسب ثقيل — كان جامعا في جيبه — رحل فأراحه! وفروح أخيرا أو ابتهج لتلك الراحة تفتح ذراعي مرحبين لتلقفه ثم تنفيه في غيابة الموت، وبرد الراحة... راحة هي به أولى وأحق، وأولى بجلها بندفة أبيه الجيد... جعل لوسيان يهيم لغير قصد يرومه أو مكان ينزع إليه. فأنشأ يضرب في شهاب باريس الواسعة. غير أنه لم يسر طويلا حتى استوقفه أسرار أليم نهيه من غشية وأفاقه من غفلة

لقد بصر بفتاة أضناها كحد اليوم ونصب السؤال، مكدودة حيرى فطاف بها الكرى، ووران على قلبها الأمان وحلته السكينة، فتطلق من همه الأليم وعذابه الواسع. واستكانت إلى الطريق اللالاب واستراحت إليه، فافتشت طواره، وأنخذت من الجليد دثارا... كانت جميلة ساحرة رغم ما ترتديه من أظفار وأسمال؛ نظيفة ناعمة رغم نومها في الطريق، بريئة طاهرة فهي بمد طفلة لسا تبلغ السابعة

كانت تتوسد ذراعها الأبيض وقد انحسرت عنه أسمالها فهو عارجيل وكان وجهها الشرق الوضى بطالمك فيهرك منه جمال هاجع ووديع. أما رأسها فقد مال نحو الأرض في سكينة ودعة. وكان جبينها المرضض تنكسو طرة غدافية اللون تدلت من مفرقها واستراحت على أرنبة أنفها الوسيم. وكانت ذراعها الأخرى منبسطة على الجليد كأنما عليقت السؤال وأغرمت به، فهي تنزع إليه أبدا وترجوه دائما، وكان قداسها مغمورين في الجليد، وأخذ حذاؤها الصغير في إهمال عجيب

وأراد لوسيان أن يهبها شيئا قد يده لحييه،

أول الليل بعد اثنتي عشرة مرة . ثم فكر أن يسترد أملاك أبيه التي أضاعها في بضعة أعوام ، فكان يعلو القدر حتى بلغ — مرة — الثلاثة من القنود الذهبية ذات المشزين فرنكا . لقد أزعجت جيوبه بالمال ولما ينقطع فيض النضار فهو يضمه في جيوب صداره وسراويله ، ويضمه في منديله وصندوق سيجاره ، وهو يضمه أخيرا فيما يصاح لحمل النضار ! كان يلعب دائما فيرجح أبدا . فهو يعمثر ويبدؤ غير عاين ولا مكترث ، وهو يتمسف ويجوز فيمبظ للغلوبين ويرهقهم ، وهو يرى كل ما تمتطيع أن تحتفنه يده المجدودتان على الخواص في ثقة واطمئنان ! .

لقد كان مجدودا سعيدا دون شك ، ومن أدرى منه بمجد وسعد ؟ ! نعم ! ولكن خيال تلك الفتاة البائسة كان يعلق باله ، ويحز قلبه ، ويكر سعدة ، فهو ما يفتأ يذكرها ، وهي ما تنفك تتشبح أمامه — إنها تنام هناك فهي لم تزل وسنى فارقة في سباتها الجميل ، ساحرة ناعمة كما تركتها منذ حين ، وإني لأقسم أن إن يحين الواحدة إلا وتكون الفتاة بصعجتي في طريقى الى منزلى . فلأزنها من نفسى منزلة طيبة . ولأزنها لها عن سرى لنتام عليه ولأتمهندها كاتبة ، وأزهاها كأخت ، سوف أمهرها مهرأ كبيرا . سوف أحبها ، ثم سوف أحبها !

ولكن اقتربت الساعة واصطرع الأمل ، فالخط يأتيه نبث منهم ، وهو لم يشيع بعد أو رتوى فما ضر لو صبر واصطبرت معه الفتاة ، إن ربها من ساعة ليس بكثير . ومضى ربيع ثم ثمان وثالث ، وهو لا يزال يعمثر ماله فيأتى له بريح وفير ، ولا يزال يتمسف ويجوز فيمبظ وهرقى ، ولا يزال ينثر المال

أمرأ لا يقعد به جبن ولا يموزه مضاء . إلا أنه حين يفكر في الأمر اضطرب جسمه واحمر وجهه ، فقد خاطط الصبوة الحياء فهو في حيرة من أمره . غير أنه لم يكن علك لنفسه من الأمر شيئا .

لقد ترصد الناس فلم يبرص بشئ يثير الريبة فيوجب الحذر . إن الطريق خال إلا منه وتلك الفتاة فما عليه من بأس أن « يستعير » المال ديناً عليه . وامتدت يده الواجفة « تسلب » الفتاة نقدها المميز وحين اطمان على النقد عدا نحو الندی مجولاً ، ورق الدرج في سرعة البرق وبأس الماصفة ، ثم دفع الباب بقبضة قوية آملة حين بدأت الساعة تدق أولى دقاتها الاثنتي عشرة . فرى نقده على النضد صائحا — على السابع عشر !

وقاز السابع عشر . فدفع لوسيان فرنكاته الأربعة والثلاثين « للأحر » وقاز الأحر ! وترك ماله المتضاعف على اللون نفسه ففاز مرة أخرى !

وأقدم على الرهان بالقدر كله مرة وأخرى وثلاثة إذ ما عاد يخشى احتباسا لحظه ، أو عثارا لجده . لقد كان يكندس النضار أمامه ، والورق في سترته . ثم بدأ يشرك « الزوليت » مع الزرد فكان لها من ماله نصيب راجح دائما في تضخم أبدا . وكذلك كان الحظ موافيا مع « الدسته » و « المدد » ومع « العمود »

لقد كان حظا ذهبيا لم يسمع به إنسان ! وقال الناس بسحر ينبت من عيني الفتى فيأمر السكرة العاجية الصغيرة حين الدوران في الآلة !

واستطاع لوسيان أن يسترد ماله الذى افقده

مقدمه الذي احتضنه أول الليل ، وحل بساحته كابوس ثقيل .

وبدأ فجر أحد الأيام يفصح في الشرق خجولا حيبا : ضرب خمار السحاب الشف من دونه ، وقام متعركا في طباط الليل المدير ... وبدأ النور يسترق خطاه مترفقا ، فبدأت الحجرات تضيء من وراء النوافذ

في ذلك اليوم اغتمل « لوسيان دى هم » وتناول فطوره وقصد « جماعة أنصار الحرب » ، وأدرج اسمه متطوعا في الفوج الافريق الأول لقد أصبح الآن لوسيان « ملازما » بالجزائر صالحا لا يقامر ولا يشرب ، يكسب ما يقوته ويقبم أوده . وفي يوم كان زميل له يسير خلفه في طريق « كاسبية » المنحدر ففراخ يحمن إلى فتاة أسبانية حسناء ، نعم ! لقد كانت حسناء فائنة ! وكانت تنام في الطريق !

ودهش الزميل من كرم لوسيان ...

لقد كان يبسد الفتاة نقد من ذى المشرين
فرنكا ... سبر محمد العزوى
كلية الآداب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاسرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشا

في ثقة واطمئنان ! وأعلنت الساعة الثانية إلا ربعا .
إلا أربع عشر ... إلا ثلاث عشر . وقام صاحب
الندى عن « بنكه » الخاسر يقول :

— لقد أفلس « البنك » يا سادة ! كفى لعبا
الليلة !

فساء ليل المنذرين ! إذ هم بين خاسر وموتور
وحسير . وتدافع الجميع عليه بالنكاب ، ودوا لو
يهشونه ويستردون ملهم المليب ، ولكن لوسيان
دفعهم بيديه مفسحا لقدمه مجالا بين أقدامهم الزاحفة
وصرق من بينهم كمهم مفوق يريد الباب فالدرج
وعدا مسرعا شطو الفتاة الوسى . لقد رآها على
نور مصباح الطريق

— حمدا لله فهي ما فتئت هنا ! وأسرع نحوها
ثم أمسك يديها
— كم هي مثالية تلك الساحرة ! واحتضنها
بين ذراعيه فالت رأس الطهارة للوراء دون أن
تصحو فقال :

— ما أجل نومكم أيها الأطفال الأعززة !
وشددها الى صدره كي يشيع الدفء فيها .
وأراد أن يوقظها بقبله بطبعها على عينا الناعسة ،
ذات الأهداب الوطفاء . ولكن .. ما لها مسبلتان
أبدا ؟ لقد كانت عيناها نصف مغلقتين فشفنا عن
عيون سافية . ولكن ... لا حراك لهما !

إنها ميتة وإنها لضحيته ! . بينا هو يكسب
الآلاف من الفرنكات ويستر الآلاف من الفرنكات
كانت « ممولته » تموت من برد وزمهرير
لأنه لم يحتمل الصدمة فأراد الصباح ، ولكن
صوته احتبس في حلقه فأذاه ، فأيقظه ذلك من سنة
أخذته رجمة ، ونوم طاف به رافعة . لقد نام في

فضربت يداً بيد بحركة اغتصابية فسألني ديجنه :
ما هذا ؟



اعترافني في العصر

لأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكس فنارس

الفصل الخامس

ولم تستوقفني ابتسامته فقالت : إن هذه المجادلة
الناقرة بدموعها لم يزل صدرها ناهداً بالأمل ، ويدها
الناحلة التي تستند إليها رأساً لم تزل تعيق بالمطر
الذي سكبته على قدي السبيح ، وهذه الصحراء
وما حولها أهلة بأشباح أفكار تنتجها بالصلاة إلى الله
فقل لي أهدأ هو رضى السامة والضرع ؟

فقال بصوت لا أثر للشعور فيه : ليس هنا
إلا امرأة تطالع كتاباً
فقلت : ولكن هذه المرأة سعيدة والكتاب
الذي نطالع جليل

وأدرك ديجنه ما أرمى إليه ، وأنا مستسلم
للأمرى ، فسألني عما ألم بي ، ولكنني ترددت في
الجواب فكان يداً بعلت على قلبي

وبعد صمت قصير قال ديجنه : إذا كان هنالك
ما يؤلمك فلا تكتمه عني وأنت تعلم أنني لك خير
صديق

فقلت : أعلم أن لي صديقاً ولكن ألاي
لا صديق لها

وأخ على فقلت : إذا أغربت لك عما يخالجي
فيا يفيدك ذلك وأنت عاجز عن تفريج كربى وأنا
أعجز منك . أفتريد سبر أعماق سرى ، أم أنت
تطلب كلمة أنتحل لك فيها الأعداء ؟

وكنيت وديجنه جالسين ذات مساء قرب الموقع
والنافذة مفتوحة ، إذ كنا في أوائل مارس ، وقد
انقطع مطر النهار ، فهبت علينا من الحديقة طلائع
عبقات الربيع

وقلت لديجنه : ماذا تريد أن تفعل في الربيع
فأني أشعر بحاجة إلى السفر ؟

قال : سأفعل ما فلتته السنة الماضية ، فأذهب
إلى الصحاية عند ما يحين الزمان

فقلت : أفتريد أن تسير في كل سنة على وتيرة
واحدة

فقال : وماذا تريد أن أفعل ؟
فهمضت فجأة وصحنت به : أجل ، قلت حقاً
يا ديجنه ... فأنا قد تعبت من كل هذا ، أفأملك
أنت هذه الحياة ؟

فأجاب : كلا
وكنيت واقفاً أمام رسم للمجدلية في الصحراء

الخبور . حذار أن يمروا بك دون أن يمتروا عليك
فيتوارون عنك وأنت تزحف بأعضائك الملعمة
تحت جناح الليل

لا بد أن تخسر بالمقاومة في ليلة من لياليك
فللحظ ساعاته السوداء ، فإذا ما عدت إلى منزلك
لتجلس أمام موقدك ، حاذر أن تضرب جبينك
بيدك وأن تدع الأذى يبلل أجنافك ، وأن تدير
لحاظك مقتنشا عن صديق . إحذر بخاسة ألا يجمع
بك خيالك إلى كوخ ينام فيه زوجان على فراش
الطأنينة وقد اشتبكك أنامل أحدهما بأنامل الآخر
حتى في الرقاد . لأنك لن ترى أمامك على فراشك
الفخم الوثير من تسر إليه بنجواك سوى الخلوقة
الشاحبة التي تتمسك دنائرك ، وإذا ما لجأت إليها
لتشرح صدرك فلن يحقق عليها أمرك وسبب حزنك
إنها لتشعر بفداحة خسارتك فتذهب دموعك مثيرة
في قلبها الشجون ، لأنها ستشعر من دموعك هذه
بخطر يهدد نوبها بالألا يتجدد والحوائم التي تلمع في
أناملها بأن تسقط منها

حذار ، يا هذا ، أن تفوه أمامها باسم من ربح
مالك هذا الساء فلقد تلتقيه هي غداً فترسل إليه
لحظات الأعواء من خلال ما يحوطك من خراب
وأطلال

ذلك هو الضعف البشري ، أيها الرجل ، فهل
لك من قوة تحتمل مثل هذا الضعف ؟
إذا كنت رجلاً فاحذر السكامة ، إنها لداء
غياء ، والميت خير من حي سئم الحياة

إحذر الحب إذا كان لك قلب لأن الحب عار
الفاسقين ، وخير لهم أن يصابوا بأى داء من أن
يصبحوا مهزلة في أعين أمثالهم القدرين لكل خيلة

فقال : كُنْ حرّ الضمير
قلت : اسمع إذا ... لقد بذلت نصحك لي فيما
مضى ، فاصغ إلى الآن كما أصغيت حينئذ إليك
قف أمام أى رجل كان وقل له إن في الحياة
أناسا يعضون أيامهم في احتساء الحمر وركوب الخيل
والضحك واللعب واغتنام فرص اللذات بأنواعها ،
فلأننى يحول دون مضيقهم على السبيل الذى اختاروه
لأن شريعتهم تقوم على استحسانهم ، ولهم من
يشاؤون من النساء لأنهم أغنياء ، ولهم لهم ، فكل
أيامهم أعياد

فإذا لم يكن هذا الرجل الذى تخاطبه من أهل
الورع والتقى فانه ليقول لك إن هذه الحياة نهاية
ما يتصوره الانسان من سعادة على الأرض

خذ هذا الرجل واقتف به إلى هذه الحياة التي
وصفت ، أجلسه إلى مائدة قرب امرأة وضع كأساً
في يده وانفجه كل صباح يئذرة من الذهب وقل
له : هذه هي حياتك : بينما تكون ناعماً إلى جنب
عشيقتك تكون خيولك تمحف على مرابطها ، وبينما
تكون غمطياً جوادك يقرع التزهات بموافره ،
يكون شرابك ينفي غمرك في دنايه . وبينما تحب
ليلة شارباً غملاً ، يكون أرباب المصارف يعملون
على إغناء ثروتك . فاعليك إلا إبداء رغبتك لتقلب
أمانيك حقائق . أنت أسعد الناس ولكن حذار
أن تفرط في الشرب في ليلة من لياليك ، فتجد
جسدك بعيداً عن تذوق لذاتك لأن كل مصيبة
تجد عزاءها ما عدا هذه المصيبة الدهماء . لقد يكو
جوادك في الثأب وأنت تلهو بالطراد مع رفاقك
فتتدهور إلى مستنقع ، وإذا تستثيت لا يصل صوتك
إلى آذان هؤلاء الصحاب وقد أسهم السكر وجبة

عنك بما في أحشائهم من حياة فتتركك ، حتى الأشجار
الباسقة وأماليد الغاب

لقد خرفت شريعة أمك فأنتكرك كل رضيع
من إخوتك في الحياة

احذر غضب الله ، أيها المنفرد ، لأنك تنتصب
أمام وجهه الكريم متحجراً كالصم على قاعدة
إرادتك المتمردة فما تفقد السماء عليك رشاشها إلا
لنفت من أعضائك وتذب هيكلك ، وما يب الهواء
عليك لينفجحك بقبلة الحياة وهي قبلة التوحيد بين
جميع الاحياء ، بل يعصف عليك عصفاً ليهزك
ويقوضك تقويضاً . إن كل امرأة تضمها إليك
ستجتذب شرارة من قوتك دون أن تبادلك شرارة
من قوتها . فما أنت إلا حقيقة تتراى منها لك على
أشباح وحيث تسقط نقطة من عرق جبينك تنبت
شجرة من مظلات القبور

مت ، فما أنت إلا عدو لكل من يحب وإسكل
ما يحب ... إقبض على ذاتك في عزلتك وانقرادك
ولا تتوقع أن تبلغ نهاية عمرك ، اذهب ولا تبق
منك على الأرض نسلاً تستبق فيه للحياة دماً من
دمك الفسود

تبدد كالرخان ولا تحرم بظلك حبة القمع
الناثبة من نور الشمس . »

وما انتهيت من هذا الخطاب حتى استلقيت
على القعد وقطرات الدموع تنساقط من عيني ، وأنا
أعول قائلاً : أليس هذا ما قلته لي أنت يا ديجنه ؟
أفأنا كنت تعرف هذا من قبل ؟ وإذا كنت عرفت
فماذا لم تتكلم

وكان ديجنه مشبكاً بأمله ، وقد علتة صغرة

ثمناً . وليس المرأة التي تبسع نفسها أن تحفر أحداً
إلا الرجل الذي يحبها ...

إذا ما شممت بالحب يحتاج قلبك فاحذر أن
يتم وجهك عليه ... فما يتخلى عن درعه إلا الجندي
الجبليات . وعلى الفاسق ألا يظهر تعلقه بشيء
لأن ظفره قائم على أن لا يمس شيئاً إلا بيد من
رخام دهنت بالزيت كيلا يعلق عليها أثر مما
تقبض عليه

إذا كنت نرفاً وأردت أن تحيا ، فتدرب على
القتل لأن في الخمر ما يقودك الى المشاغبة ، وإذا
كان لك ضمير فاحترس من الساعة التي تلقى فيها
رأسك على الوساد ، لأن الفاسق إذا ندم بعد فوات
الأوان يشبه مراكبا اخترقته مياه البحر فليس له
عن موقفه متقدم ولا متأخر ، فلا يسير الى المياب
ولا يعود الى البر وعشنا تدفعه الرياح إذا جذبته
البحج ، إنه ليدور على نفسه ويفور .

إذا كان لك جسد فاحذر الأوجاع ، وإذا كان
لك روح فاحذر القنوط ، بل احذر الناس بأسرهم ،
أيها الشقي ، فانك ما دمت سائراً في طريقك التي
تخبرت لتشهد سهلاً فسيحاً تدور عليه حلقات
الراقصين متماسكات متتابعات كدوائر الأزهار ،
ولكن ما تشهد ليس إلا مراباً خادعاً في قاحل
الصحراء

إن الناظرين الى مواطن أقدامهم يعلمون أنهم
ينسحبون على مرأط ممتد فوق نهر عميق ولسكن
تهوى الى السائرون فضعهم الى سكونه فانطبقت
عليهم صفحته الهادئة دون أن تتجهم

حذار أن تزل بك القدم فان الطبيعة لتراجع

الموت وانهمر الدمع من عينيه

وساد بيننا السكوت . وقرعت الساعة فذكرتني فجأة اننى فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ سنة تكشفت لى خليلاتى مخادعة خائنة

فصحت بدبيحته : أسمع دقائق هذه الساعة ؟ أنسمعها ... ؟ اننى لا أعلم لماذا تذكرنى ؟ ولكننى أشعر انها ساعة رهيبه سيكون لها شأنها فى حياتى وكنت أتفوه بهذه الكلمات وأنا مسلوب الارادة مضمض الحواس ، وفتح الباب فجأة فى تلك اللحظة نفسها ، ودخل القاعة أحد الخدم ، فأخذ ييدى وانتحى إلى زاوية وأسر إلى قوله : أتيت لأخبرك ياسيدى بأن أباك على فراش الموت فقد أصيب بالشلل ، ولا أمل للأطباء فى حياته

الجزء الثالث

الفصل الأول

وكان والدى يقطن صاحبة قرية من باريس . وعند ما وصلت إلى المسكن رأيت طبيباً واقفاً أمام الباب فقال لى : لقد وصلت متأخراً ، وكان أبوك يتمنى لو يراك للمرة الأخيرة

دخلت فإذا والدى مسجى وقد فارقت الحياة فقلت للطبيب : أرجو أن تبعد كل من فى الغرفة دعنى وحدى فقد كان والدى ما يقوله لى ، ولسوف يقول كلمته الآن

وخرج الخدم فتقدمت إلى السرير ورفعت الغطاء عن وجه الميت ، ولكننى ما ألقيت نظرى

عليه حتى تراجعت لتقبيله فأغمى على

ولما أفتت على فراشى فى غرفة أخرى سمعت من حولى يقولون : لا تدعوه يذهب وإن أصر . انتظرت حتى رقد جميع من فى البيت وأخذت مصباحاً وتوجهت إلى غرفة الميت فوجدت فيها كاهناً فتياً جالساً قرب السرير ، فقلت له : لا حق لك بأن تنازع ولداً ليلة أخيرة بقضيتها قرب أبيه . لأعلم ماذا قيل لك بشأنى غير أننى أرجو أن تدخل إلى الغرفة المجاورة وأناأتخذ على عاتق كل تبعة قد تقع عليك

ذهب الكاهن فقدمت مكانه ومددت بدى أ كشف للمرة الثانية عن هذه اللامع التى قضى على بالاً أراها بعد

وخطبت الميت قائلاً : ماذا كنت تريد أن تقول لى يا أبى ؟ لقد أدركت لحاظك مفتشاً عنى قبل انطفاء عينيك ، فما كانت فكرتك الأخيرة يأتى ؟

وكان والدى يكتب مذكرات بدون فيها وقائع أيامه ، وكان كتاب هذه المذكرات مفتوحاً على الخوان فقدمت إليه وجثوت فإذا على الصفحة الأخيرة هذه الكلمات :

(الوداع يا ولدى ... أحبك ... وأموت)

جهدت دموى واختنقت زفراتى ، فكأن بداً شدت على عنقى وختمت على فمى . فوقفت شاخصاً بالميت المسجى أمامى . وما كان فى حياته يجمل ما كانت عليه حياتى ، فقد كان يشكونى إلى نفسى ويوجه إلى التفرغ ، وما اجتمعت به مرة إلا وحديثى عن مستقبلى ، وتناول بالوم ما تى شبابى . ولكنى أتقذرتى نصائحى من تهلكة ، فقد كان لارشاده

لأنني كنت فقدت التفكير فاستغرقت في سكونية مطبقة . فإن ما صدمت به كان من العنف والاستمرار على قوة نالت مني حتى غدت كالسواب تنقر أعصابه فلا يجيب

وكان خادى لاريف شديد التعلق بوالدي ولعله كان خير الناس بمدى في تقديرى ، وكان من سنه ومن قده وبليس ما يهبه إياه من أنوابه ، وقد وخط الشيب شمعه بعد أن قضى عشرين سنة في خدمته ، فاقبّس شيئاً من حركاته

وكنّت بعد المشاء أغمى في الغرفة فأسمع وقع أقدام خادى يتمشى أيضاً في الدار وما كان يدخل إلى الغرفة بالرغم من تركى الباب مفتوحاً ، ولكننا كنا نلتقي من حين إلى حين فيرى أحداً الآخر من خلال دموعه ، وهكذا كانت تمر ليالينا ، فأكنت أطلب من الخادم إشعال الصباح إلا بعد أن يكون مضى وقت طويل على غروب الشمس وكانت البيت لم يزل على ترتيبه القديم ، فإزحزح الخادم ولا أنا ورقة من موضعها ، فكان مقعد والدي لم يزل قرب الوقد ، وبقي الخوان والسكتب والرايش في مواضعها ، وكنّت أحترم القبار التي علا هذه الأشياء ، وعند ما كنت أرتدى مبادل أبى وأسترخى على مقعده كان يخجل إلى أن في الجدران عيوناً ترمقني بالحنان والشفقة ، وأبني أسمع همساً يقول : أين مضى الوالد . . . فما يترجع على كرسية الالقيم . . .

ووردت إلى بعض الرسائل من باريس ، فأجبت الجميع أنني أنوي تمضية الصيف في الضاحية وحدى جرياً على عادة أبى ، وبدأت أدرك أن في

قوته المستعمدة من فضيلته لأنه كان مثال الدعة ومكارم الأخلاق . وقد كان يتمنى لو يرانى قبل موته ليردني عن السبيل الضال الذي توغلت فيه ، ولكن النية عاجلته فلم تدع له إلا كلمة واحدة يقولها ، فقال : إنه يحبني ...

الفصل الثاني

وكان قبر والدي يحوطه سور من خشب ، لأنه أراد أن يدفن في مقبرة القرية ، فكنت أذهب كل يوم لأقضى ساعات على مقعد صغير كان موضوعاً داخل السور ثم أعود إلى السكن الذي كان يقطنه ولا رفيق لي إلا خادم واحد

مهما فعلت أحزان الشهوات في النفوس فاهي إلا آلام حياة ، وهل تقاس آلام الحياة بأحزان الموت ؟ إن أول ما تبادر إلى ذهني حين وقفت إلى جنب سرير والدي الميت هو أنني ولد جاهل لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً ، وعند ما ربط الأسى على قلبي شمرت به كألم في جسدي حتى كنت أتألى كمن أفاق من غفلة فشمع بجعله وأحس بالآلامه

ومضت الشهور الأولى على في الضاحية وأنا ذاهل لا أذكر الماضي ولا أبالي بالمستقبل . فأكنت أشعر أن من عاش فيها مضى كان إياي ، وما كان ما يستولى على في ذلك الحيف ليشبه آلام اليأس الكائر التي كانت تقبض على من قبل ، بل كان نوعاً من الجود والتعب فكانتني كمرت السامة فوجدت لها صرارة تتفنج لها أحشائي

وكنّت أجلس طيلة نهاري إلى كتاب أنصفحه ولا أقرأ ، بل أنظر إليه لأعيش في أجواء تشبه البدم

الرجل يخشى أن أبيع البيت وأذهب به إلى باريس ولعله كان مطالعاً على حقيقة حياتي الماضية إذ كانت تبدو عليه دلائل القلق في أول الأمر، ولكنه عند ما رآني أعد المنزل لأقيم فيه شمعت بنفوذ نظراته إلى أعماق قلبي، وكان ذلك يوم استحضرت من باريس صورة كبيرة لأبي علقتهما على جدار غرفة الطعام، ولما دخل لاريف ورأى هذه الصورة أخذه الدهول وبدأ ينقل نظراته من رسم والدي إلى وجهي وفي هذه النظرات من تساوى الحزن والفرح ما يصعب التعبير عنه، فكأنه كان يقول لي:

يا للسماعة، لسوف نستغرق بسكون في حزننا

ومددت له يدي فأوسعها تقبيلاً، وكان هذا الخادم يمتطي بأحزان سيده كأنها سيدة أحزانه، وكنت كلما ذهبت في الصباح إلى القبر أرى أنه سبقني إليه وسق أزهاره لينسحب عند وصولي ويخلى لي المكان

وكان يتبعني عند ما أمتطي جوادي وأذهب متزهاً في الغاب، فأراه قد أطل - على في الوادي ماشياً يسير ورأى وهو يمسح عرق جبينه لاهثاً، فاشتريت له فرساً من أحد الفلاحين، وهكذا أصبحنا كلانا نذهب متجولين في الغاب

وكان في القرية من معارف أبي من كانوا يزورونه أحياناً، ولكنني اضطررت إلى قتل بابي دون كل زائر وإن صعب ذلك عليّ، فما كان لي جلد على مقابلة أحد.

وفكرت يوماً أن أطلع على أوراق والدي، فقدمت لي لاريف بيد خاشعة مرتجفة. فكف رباطها وبهرها أمامي، وما تلوت الصفحات الأولى منها

كل ثمر بعض الخير، وأن الآلام العظمى مهما قيل فيها راحة عظمى، فإذا ما تكشف القدور لنا من علم غيب الله فانه ليصدعنا لينبها من غفلات الحياة، وإذا ما تنكفت هي أسكت صوتهما كل صوت، وإذا كانت الآلام الموقوتة تجدف شاكية ظلم السماء، فان الآلام المستمرة الكبرى لا تجدف ولا تشكو بل تخضع وتنتبه لتسمع وتعي

وكنت كل صباح أقف الساعات الطوال متأملاً في مشاهد الطبيعة، وكانت نوافذ غرفتي تطل على واد عميق ترتفع من وسطه جرس المبدع على قبابه، فبكان كل ما يعتد نظري عليه ينم عن البساطة والفقر، وما كانت مشاهد الربيع بأزهاره المتفتحة وأوراقه الفضة لتثير في نفسي ما يتخيله الشعراء من التفتيح، إذ يرون في انجلاء الحياة ابتسامة ساخرة باللوت، ولا أرى من يقول بهذا القول إلا مدالطاً أو شاعراً بقلب لم يتكامل الشعور فيه

إن من يخرج عند بزوغ الفجر من قاعة المغامرة وقد فرغت يده يمكنه أن يشعر أن بينه وبين الطبيعة عداء ونضالا، فهو أمام أنوار الشفق كصباح ليلة فاجرة... ولكن ما يمكن أن تسر به الأوراق المظلمة من غصون الربيع للولد المنتحب على أبيه؟ وما دموع عينيه إلا أخوات الأنداء، وهل أوراق الصفصاف نفسها إلا قطرات دموع؟

لقد نظرت طويلاً إلى السماء والغاب والمروج، فأدركت أن تمزية الناس للناس إنما هي تملة من بنات الخيال؟ وما كان لاريف ليخطر له أن يمزى نفسه أو يوجه لي عبارات التمزية، فقد كان هذا

حتى شعرت بانتماش كأن نبات علية هبت على
من جوانب بحيرة صافية ساكنة ؛ وكنت كلما
قلبت صفحة ونفضت عنها غبار الزمان ، عبت
منها كالقطر حياة أتي تتوالى يوما بعد يوم ، فأعد
فيها خفقان فؤاده وأستعرض وقائمه كقول مساع
كلها جسد ، وقد نبئت في كل جوانبها أزاهر
المطف والنبل ، وعازجت ذكريات حياته بتدكار
موته ، فكنت أتبع هذه الحياة تتحدر كالجدول
الصافي نحو بحر الموت

وهتفت في صمتي : أيها الرجل الصالح الذي لم
يعرف الخوف ولم يتدنس بلؤم لسمك كنت طاهراً
في جهادك ، وخلصاً في ولائك ، ووفياً في حبك
لزوجك أُمي ، لسمك كنت معجباً بالطبيعة ، ومتعبداً
لربك ، فخصرت في هذه العواطف كل حياتك ، ولم
تدع لسواها منفذاً إلى قلبك ، فإكاث التلوج على
أعلى الجبال بأنق من ناصع شيبك في شيخوختك
الصالحة ، ألق هذا الشيب على رأسى يا أبى فان فيه
من الشبيبة ما ليس على شعرى الذهبي . هبني أن
أعيش كما عشت أنت وأن أموت كما مت ، فأننى
أريد أن أغرس في التراب الذى يواربك غصناً
ناضراً لحياتى الجديدة فأسقيه من دموى والله راعى
كل يتيم ، بنمو هذا الغرس المقدس ليظلل أوجاع
ولد وتذكر شيخ ...

وبعد أن اطلمت على الأوراق جميعها ، قررت
أن أدون أنا تلك ذكارات أباى فأعدت لها كتاباً على
مثال كتاب والدى ، وبدأت بالسير على آثاره وطبع
حياتى على غرار حياته . فكانت الساعة كلما دقت
تذكرنى بحركة من حركات أبى وسكنة من سكناته

وكان والدى شديد الميل إلى العمل في الحديقة
فيوزع أوقاته بعد حرشها توزيعاً متساوياً بين المطالعة
والتنزه فيعطى لعقله ولجسده ما يحق لكل منهما .
واقترنت بأبى أيضاً في أعمال البر متمماً ما بدأ به
فكنت أذهب مفتشاً عن من أتمكن من مدي
المساعدة لهم ، ومهدم وفيه في الوادى حتى اشتهرت
بينهم . وهكذا لأول مرة في حياتى شعرت بالسعادة
فليس كالرحمة ما يطهر الأحرار ويقدمها . فقد بارك
الله دموى فتعلمت الفضيلة من الآلام ...
(ينبع) فيليكس فارس

مكافأة

لمه برل على القاتل

تم على مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ه
جنهات لن بدل على القاتل في القضية المشار إليها
في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير
الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً
على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع
بيان الأدلة بوضوح وإيجاز



هوميروس



الأولاد زينة

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

في أرض المردة (السيكلوبس) -

فصل السابعة

وشرع أوديسيوس يجيب عما تساءل عنه الملك فقال : « أيها الملك تعالي جده ، لشد ما يطرب ما تنقي هذا المنشد غناء الآلهة ! ولقل ما تدل الدنيا بأمرها هذا المجلس الشاذ ذا الأنصاف والآكال والأشرب ! على أنني مجيبك على ما بدهك من دموعي وهومي ، وما لقيت وما سوف أتق بما قسم لي من أشجان وأحزان ! إذن فأعرف اسم ضيفك الشرير الذي لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك الالذ بكرمك ، المستدري بحماك ، المتشبث بك ليصل في ظلك إلى بلاده مهما تقاضت ومهمانات ... أنا أيها الملك ... أوديسيوس ... أجل ... هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ، المعروف في السموات بالدهاء والمكر ، ... ابن ليريس رب إيثاكا ، وملك نريتوس ذي الشعاف السامقة ، والجزر الآلهة حول ساموس ودنيوم وزاسنتوس ، أم الجزائر التي تصافح تباشير الصباح بكل روضة فيحاء وخميلة لغاء ، وجنت ذوات

انتهت حرب طروادة ولكن أوديسيوس العظيم لم يعد فين عاد من أبطال اليونانيين إلى بلاده ، وكانت زوجته بلوبية في الجبال ، قطع فيها كل أسراء النواص وحاصروا بيتها ليرغوها على التزوج من أحدهم . وكان لأوديسيوس ولد اسمه تليكحرضته ميزقاربة الحكمة على الإبحار ليسأل عن أبيه ملكي بيلوس وأسيرته . وغبط الشاق لما علموا بإبحاره فربصوا له ليقبضوه . أما أبوه فإنه لما أبحر من طروادة نسي أن يضي للآلهة ففرقت أساطيله ونجا هو إلى جزيرة تسكنها عروس الماء كليوس التي هفتته أول ما رآته وأبنته عندها سبع سنين ، حتى أمرها كبير الآلهة زيوس أن تطلق سراحه فأبحر على رمت صغير ، ولكن نبيون عدوه الأكبر لعه وهو يقرب من أرض ملك البحر فأخبره مية أخرى ، وبعد فصال شديد سبى إلى الشاطئ حيث لى نوزيكا ابنة الملك فأرشدته إلى بيت أبيها الذي أكرم ثوابه ووعد أن يرده سالما إلى بلاده . وأقام الملك حفلا رياضيا اشترك فيه أبطال المدينة وغمر أحدهم أوديسيوس بلكيات بنى عليه فيها أنه لا يعرف من الرياضة شيئا ولا يشارك في تلك الألعاب ، فغضب أوديسيوس ونهض فغذف بالقرص الكبير قذفة بلغت من المدى أضاف ما قذف أقوى أبطالهم ، ثم تحدى الجميع لمصارعته وملا حته فغاصوا ... وسأله الملك من هو ولم كان يبك حين يمع للشهد بذكر حروب طروادة وبطلها العظيم أوديسيوس ... وهو هنا يجيب عن أسئلة الملك بهذا الفصل الفريد الذي يرتفع فيه هوميرو إلى الذروة »

الجند ... فوا أسفاه ! ... لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا في المعركة الخاسرة ! وأجسنا الليل ، فجلسنا نذناكر أسلحة القتل ؛ وما كدنا نفعل حتى سخر علينا جوف رب السحاب الثقال - ربحا مصر صراغية أفلت البر والبحر ، وعصفت بمرأ كبتنا فأطاحت فلاعها ومزقت شرعها ، ففزعنا إلى الجاذيف وأعملنا السواعد ، مستقلين مستميتين ، حتى نجونا ببدل لى إلى البر ، حيث تلبنا ليلتين طويلتين في أين وإعياء ، وشكاة وشقاء ، نصلح القلاع وترقى الشراع .. وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر ونام هانجه ، فبادرنا إلى الفك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرساها . وما كدنا نلج شطآن ماليا ، حتى هبت زوبمة عنيفة تلاعبت بنا ، وجعلتنا إلى جزيرة سييرا ... وطفقنا بمدما نذرع العباب تسعة أيام أخرى ، حتى بلغنا بلاد (لوتوفاجي) ، هذا الشعب القريب الذي يقتات بالفاكهة غصب ، من دون ما تنبت الأرض وما يدب عليها ... ورسوا ثمة ، وأهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ، ثم تخيرت اثنين من أوثق رجالى ، وجعلت عليهما ثاينا رئيسا ووجههم إلى سكان هذه الأرض ليمتروا أحوالهم ، فاختلطوا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجي بالشر والترحاب ؛ ثم عمرضوا عليهم من ثمر اللوتس المعجب ، الذى ينسى آكله ما أسلف من حياته ، وتنبست ما بينه وبين وطنه من وشيجة فما يفكر فيه ، وإذا فكر فيه فما يؤثر أن يرد إليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل ويأكل ويأكل من هذا اللوتس المعجب ، وأن يعيش أبد الدهر بين أولئك اللوتوفاجي السحراء ! ... وتطلعت عودة رجالى ،

(أ)

شجر ونحو ، صبغا لأبنائها الأوفياء ... هناك ... حيث احتجزتني عروس الماء كلبسو في كهفها ، وراودتني لأكون بهاها ... وهناك ... حيث أغرتني سيرس هي الأخرى ، سيرس صاحبة جزيرة إيايا ... التى حاولت أن تتخذ منى خيليا فأبيت ، ولم أقبل أن أضحي وطنى وأهلى ، ولو أصبحت زوجا لاحدى الزبات الخالدات ... ولكن لا ، لم قبل كل شيء أقص عليك من أبناء رحلتى منذ بارحت اليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقامت بنا الفلك إلى بلد السيكون (إزماروس^(١)) ، (فبدالى أن أزيد في ثروة رجالى وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار^(٢)) وسرعان ما تم لنا ذلك ، قتلنا المسكر وملكننا القرية ، ووزعت السبي والأسلاب على جنودى ، ثم أشرت عليهم بالرحيل فمضوا أصرى ، وعثوا في المدينة مفسدين ، وعاقروا من الحجر وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ، وأناح لأعدائهم لم الشمت ، ففجأونا بجيش عرمرم منهم ومن جيرانهم ، وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يُفنتنا أنا قاتلناهم حتى مطلع فجر اليوم التالى ، بل ظل فرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قدفو بنا في البحر ، فوقفتنا في سفائننا تناوشهم برماحننا ... وصمدنا لهم حتى توارت الشمس بالحجاب ... فانحسبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعيد إذ انتزع السيكون غار النصر . وعدت إلى

(١) على الشاطئ الشمالى لبحر ليجه

(٢) ما بين الفوسين من شرح الأستاذ جبريل رليس من متن الأوديسة

بسياف البحر ... ثم تمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرقت أوردورا تنضّر بالورد منبرق الأفق ، فهضنا بنحوب الجزيرة ، وتغنياً ظلال الحور ، وزى عرائس الماء ترمى المسامر ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال كل من رجال سفائننا الاثنتي عشرة تسع أعشور ، بعد أن تمخّرت عشراً لنفسى ؛ ولبنّا بومنا هذا نغزى بكل شواء حنيد ، ونكسر كل كأس روية ، في غير تحمة ولا شجى ^(١) . . . وللاّله تلك الخمر السلاف السيكونية التي افترعتها من زقاق أزماروس ؛ ثم نظرنا ناحية الغرب ، فإراعنا لإدجان كثيف يصعد في الأرض القريبة ، ورواء وضواء كالرعد تنتشر في جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكلوس المردة ينتشرون في الأجزاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام ... أعداد لا حصر لها ... علمها إذا عُدّ الحصى يتخلف !

وتمنا لبنتنا مروعين ، حتى إذا بزغت أوردورا نهضنا واحتشدنا في صميد واحد ، ثم قمت في رجالي خطيباً ، فقلت : « أيها الأخوان ! لنلق غالبيتكم في هذه الجزيرة ، فاني ذاهب في نفر منكم زود هذه الأرض ، ونعرف من أبناء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، وزى هل قوم ظم وضيم ونضالهم أم ربيون يهشون للسكومات ، ويحبثون للآلهة ؟ » « وأقلمت في نخبة من رجالي فوصلنا طرفاً من الجزيرة نائنا في البحر ، فوقه فلاح مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبتنا نرود ، حتى انتهينا

(١) الشجى هو النفس بالعرباب

بيد أنهم لم يرجعوا ، فاضطررت أن أذهب بنفسى إلى حيث هم ، فغمتهم قسراً إلى الشاطئ بين الموبل والصجيج ، وقذت كلاً منهم في قرة مغلولاً مكبلاً مشدود الوثاق ، ثم أسرت الملاحين فأبحروا على مجل قبل أن يأكل بعضهم من اللوتس الملعون فيفضل ضلالهم ويتسوا أوطانهم ، وبظافوا في هذه الأرض جانيين

« وما عمتنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبارة السيكلوس - الطغاة العتاة ، الذين لا يخضعون لشرعية ، ولا يأمرون بقانون ؛ الذين تؤق أرضهم أكلها رغداً من غير كد ولا عناء ... حبباً وأباً ، وحدائق غلباً وقصصاً وعنباً ، تُسقى مما يفيض عليها جوف من مائه المين ... يمشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يآوون إلى كهوف موحشة ، وغيران سحيقة ، في قلال الجبال وأحيادها ... يُدعى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يابى للباقيين ، وتلقاه أرضهم توجد جزيرة معشبة أرضية شجراً ، فيها من الماعز البائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهماء ^(٢) مُضلة ، لم تطأها فيها غير قدم إنسان ، ولم يُرش إلى حيوانها سهم صائد ، لأن السيكلوس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى للنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضراء السندسية ... ومة ، في جسون هادي جميل ، ألقينا مراسينا ، وزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بمداد ارتطمنا

(١) مضلة لا يهتدي فيها

علوى للشاربين ؟ ثم كان معنا رُكُزاً^(١) به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذاك كانت تمريرنا رعدة ، وكان يشيع في قلوبنا فزع ، أن يفجأنا هنا الحنسى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرد عنه أذاً قانون ... ، ثم توقلنا كذلك ، فأشرقتنا على مفارقة سحابة هى مقام السيكلوب ومنامته من غير ريب ؟ بيد أننا لم نجد عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطعانه يرعاه في اللوج القريبة .. ورددنا الطرف في المنارة فرأينا مصافى كثيرة معلقة بنز الحصى^(٢) منها همتا وهمتا ، فمرقنا أن السيكلوب يصنع الجين من ألبان مواشيه ، شها وقد امتلأ المكان بيواط كثيرة مقعمة بالحصى والخبث . وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشاة والحملان والاعز ، وقد قسمت فرقاً حسب سنها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب عباً هنالك من جبن وزبد ، وأن نستاق الحملان والجذعان إلى سفائننا . غير أنى — وا أسفاه ! — تأيبت ، لأننى آثرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفجنى من كدوره . ويسبغ على من آلاه ؟ ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبنه وزبد ، وأشعلنا ناراً نستدفئ ، ثم إذا هو يطوى الروج الخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرعب أتمثال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهترت الأرض ودوى المكان ، وانحبس وصيد الكهف ، فانقذف الرعب في أفئدتنا ، فهورلنا مذعورين صمقين ، واختبأنا كالخفافيش في زوايا

إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما النار الجليل على باب الضخم ... ودخلنا ... وأأردنه شنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تنسع لقطمان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والساعر ، ثم هذا الفناء العظيم المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مُتَسَرِّسٌ بمجنوع الحور والسنديان ؟ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المنارة مارد جبار من أراذل السيكلوس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة بصف وظلم وملؤه بقباً وعدواناً ... ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مربرد عيوس أبداً ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصخر نحت منها ناطور فوق ناصية الجبل

وتوقلنا^(٣) ... وكان مى زق من خمر معتقة مما أعطاينه مارون بن إيفانت ، قس فوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجة وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... ياله من كاهن سمح طيب القلب ؟ لقد نفجنى بأكرم الله^(٤) وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حبيت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك اللدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الاثنى عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يقديها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف خبائها أحد غيره وزوجه وأميته ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه اللدماة تمزج بمشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذاك سكر ولذة وروح

(١) الرُكُز (الحراج) بضم الراء ما يحمل فيه الزاد

(٢) الماء يسقط من الجين

(٣) تقول : صعد فوق جبل

(٤) المطايا

ونجهم السيكلوب الجنى وقال مفضياً مستهزئاً:
 « حَسْبُكَ أَيُّهَا الْأَخُ الْغُلُّ مَا خَوَّفَتْ مِنْ
 جَوْثٍ ، فَتَحْنُ السِّكْلَوَيْسَ لَا بِنَالِ جَوْثٍ ، حَامِلِ
 لِجَيْسٍ ^(١) ، وَلَا سَكَانَ السَّمَاءِ قَاطِبَةً ... أَنَا أَهْوَى
 مِنْهُمْ بِكَثِيرٍ ، وَأَنَا نَفْسِي ، لَنْ آتِيهِ لَا يَمَّا نَذِيرٍ مِنْ
 جَوْثٍ كَبِيرٍ الْأَوَّلِ ... وَلَكِنْ حَدَّثَنِي قَبْلَ كُلِّ
 شَيْءٍ مَتَى أَلْقَتْ سَفِينَتُكُمْ مَرَامِسَهَا فِي أَرْضِنَا ؟ وَأَيُّ
 هِيَ ؟ أَقْرَبِيَّةٌ أَمْ قَاصِيَّةٌ مِنْ هُنَا ؟ قُلِ الْحَقَّ وَلَا تَخَفْ
 عَنِّي شَيْئاً ... وَأَجِثْهُ فِي حِيطَةٍ وَرَفَنِي ، وَقَدْ
 عَرَفْتُ مَا رَى إِلَيْهِ : « لَقَدْ نَسَفَ نَبِيتُونَ رَبَّ
 الْبَحَارِ مَرَكِبَنَا فِي الْيَمِّ نَسْفًا ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا الزَّوَابِعُ
 فَجَرَتْ بِالْوَاكِحِ بَمِيدًا ... بَمِيدًا مِنْ هَهُنَا ...
 وَنَجَوْتُ مَعَ هَذَا النَّفَرِ مِنْ رَفَاقٍ فَقَطَّ إِلَى شَاطِئِكُمْ »
 وَلَمْ يَبْسُ السِّكْلَوَيْسُ الْجِبَارَ بِكَلِمَةٍ ... بَلْ أَقْبَلَ
 نَحْوَهَا ، وَاقْتَضَى عَلَى رَجُلَيْهَا كَالصَّاعِقَةِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ
 بَاثْنَيْنِ مِنْهُمْ ، وَأَرْسَلَهُمَا فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِمَا
 أَرْضَ السَّكْهَفِ ذَاتِ النَّوْىِ ، فَهَشَمَ رَأْسَاهُمَا ،
 وَانْتَثَرَ الْمَخُّ فَوْقَ الْحِجَارَةِ هُنَا ... وَهُنَا ... وَأَلْقَاهُمَا
 بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْجَرِّ الْمُنْتَاجِجِ حَتَّى نَضَجَا ... وَاسْتَوَى
 كَالسَّعْبِ الرُّبَالِ ، وَطَفِقَ يَهْشِمُهُمَا ... وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ
 طَوِيلٍ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا ، غَيْرَ مَبْقٍ عَلَى قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ
 أَمَا لَمْ يَحْنِ فَيَا لَأَلَمَةِ السَّمَاءِ ... لَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَنْظَرُ
 الْفَاجِعَ يَمُصُّ بِفَنُوسِنَا ، وَلَمْ يَمْلِكْ إِلَّا أَنْ تَرْثَعَ
 الْإِكْفُ فَنَبْهَلَ إِلَى جَوْثٍ أَنْ يَنْجِنَا . وَأَنْ يَرْجِنَا
 وَلَمْ يَكُنْ لَنَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَمَلٍ فِي نَجَاتِهِ !
 وَبَعْدَ أَنْ أَشْبَعَ الْجِبَارُ نَهْمَتَهُ مِنْ هَذَا اللَّحْمِ
 الْأَدْيِ الْفَرِيضِ ، وَبَعْدَ أَنْ شَرَبَ مِنَ الْيَمْنِ شَرِبَ
 الْحَمِيمَ ، انْطَرَحَ بَيْنَ قِطْعَانِهِ ، وَجَمَلَ يَرْسِلُ فِي

الغارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ،
 واحتجز ذكرائها في الفناء الخارجى ، ثُمَّ أَخَذَ فِي
 حَلْبِ الْأَثَاثِ فِي الرَّجْبَةِ الدَّاخِلِيَّةِ ... وَنَهَضَ بَعْدَ
 ذَلِكَ قَسْدَ مَدْخَلِ السَّكْهَفِ بِمَجَرٍّ وَاحِدٍ كَبِيرٍ
 لَوْ وَضَعَ عَلَى عَرَبَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ لَمْ يَسْتَطِعْ عَشْرُونَ
 ثَوْرًا مَضَحَ أَنْ تَرْحُزْهُ مِنْ مَكَانِهِ ... وَجَلَسَ بِحَلْبِ
 النَّعَاجِ وَالْمَاعِزِ ، وَكَلَّا فَرَّغَ مِنْ وَاحِدَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَى
 جَدِّهَا ^(٢) تَرْضِعُ مَا تَبَقِيَ فِي ضَرْعِهَا ... وَكَانَ
 يَقْسِمُ لِبَنَةِ قَسْمَيْنِ ، فَيَحْفَظُ بِأَحَدِهِمَا لِشَرَابِهِ ،
 وَبِمُخَضٍّ الْآخَرِ لِرَبْدِهِ وَجَبْتِهِ ثُمَّ فَرَعَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ
 وَأَضْرَمَ نَارًا عَظِيمَةً مَا كَادَتْ تَلْهَبُ حَتَّى رَأَتْهَا
 مَمْلَقَيْنِ فَوْقَ نَوَى السَّكْهَفِ . فَصَاحَ بَنَاتُ : « مَنْ هُنَا ؟
 وَى ! مَنْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْغَرَابِ ، وَمِنْ أَى الْبِلَادِ تَرْحُمُ
 وَفِيمَ خَضَمْتُمْ هَذَا الْمَبَابِ إِلَى هُنَا ؟ أَقَاتِيُونَ ؟ أَمْ يَحَارُ ؟
 أَمْ قُرْصَانُ تَمِيشُونَ فِي بِلَادِ النَّاسِ ؟ » وَزَلْزَلْنَا زَلْزَالًا
 عَظِيمًا ، وَكَانَ سَوْتُهُ الْأَجَشُّ الْخَشَنُ يَلْقَى الرَّعْبَ فِي
 قُلُوبِنَا فَتَمْتَلِجُ اعْتِلَاجًا ... ثُمَّ لَمَّ إِلَى جَمْعَتِ مَا تَبَقِيَ مِنْ
 وَعْيِي ، وَمَا أَتَى عَلَيْهِ الرُّوعُ وَالْهَلَعُ مِنْ إِدْرَاكِى ،
 فَقُلْتُ أَجَبِيهِ : « نَحْنُ إِخْرَاقِيُونَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ وَقَدْ
 ذَرَعْنَا الْبَحْرَ اللَّجْجِي شَرْقًا وَمَغْرِبًا ، وَتَقَاذَفْتُنَا فَوْقَهُ
 كُلَّ رِيحٍ ، مِنْذَرِاحِنَا إِلَى الْيَوْمِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا ،
 لِأَنَّنَا مِنْ عَسَاكِرِ أَجَا مَمْنُونِ الْمَلِكِ ، ابْنِ أَتْرِيوسِ
 الْكَرِيمِ ، قَاهِرِ طُرُودَاةٍ ، وَمُبِيدِ الطُّرُودِيِّينَ ...
 وَهَآ نَحْنُ أَوْلَاءُ ، قَدْ لَدْنَا بِكَ بَعْدَ طَوْلِ النَّصَبِ ،
 فَفَضَّرْ عَلَيْنَا أَنْ تَقَى عَلَيْنَا بِمَا أَفَاءَ جَوْثُ عَلَيْكَ ،
 وَأَنْ تَرُدَّنَا غَافِلِينَ ... فَيَا مَوْلَانَا أَكْرَمَ مَثْوَانَا ،
 فَتَحْنِ الْأَغْرَابَ فِي كَنْفِ جَوْثٍ أَبَدًا ، وَأَيُّهَا نَوَلُ
 قَاهُ مَنَا »

والكهف شيخيراً مرضحاً... ولقد حدثتني نفسى أن أقض عليه فأخوض في لَبْتِهِ بجزاري ، ولكن فكرة سوداء طافت برأى ، حيناً نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذى لا يطبق أحد أن يزحزحه ، وتذكرت اللوة الجاهلية المفزعة التى سمعتها إن فملت... فقتلت قنوطاً شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي ، وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير الفجر ورأينا أوروبورا الوردية ترسل أول أشعتها من الكوى الصغيرة ، فهب السكوب إلى قطعانه ، وأخذ في حلب إناثها ، وكلها فرغ من واحدة أرسل إليها صفارها وترضع وتغيب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالي وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آنية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى برحى بهم ، وبقينا نحن ندعو ثبورا... وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنقمم بها من هذا المارد الوحش ، وتوسلت بميزرفا أن أستطيع... وانفجرت أسارى رجاء ، وأشرق وجهي بنور الأمل... ذلك أننى أبصرت يجذع زيتون مشذب أعده الجتنى ليكون عصا يمش بها على قطعانه ، فقلت في نفسى : « ولم لا يكون في هذا الجذع خلاصنا ؟ » ، ثم إنى أمرت رجالي ببيئى أحد طريقيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً... فأقبلوا عليه ينحتون ويبرون ، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده... ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير اللقى في الكهف ،

(١) أوتيس Ootie معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجو مومر ترجمتها ، لأنها قد تعنى (ذو الأذنين الكبيرين) ولكنها تؤثر ترجمتها

قائلهم : « ماذا دهالك يا بوليفيم حتى تروعننا هكذا في ظلام الليل ، وحتى تقض مضاجعنا بصراخك الفظيع ؟ هل خفت أن يستاق أحد قطعناك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال بوليفيم وهو يتصدع : « أه يا أسدقائي ! إلى أموت ! ولقد قتلني أوتيس ^(١) » قال قائلهم : « إن كان أوتيس - الذي هو لا أحد - قد ألقى بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلدا يا صاح ، وادع أبانا نبتيون ليساعدك ، بأنك من أحماق اليم » وتركوه وانصرفوا الشائهم ، وصحكت أنا في سريتي لأنني استعظت أن أسمى عليهم بهذا الاسم اللئيق المفترى . وما برح بوليفيم يبكي ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذي يسد الباب ، وجلس عنده ، ماذا ذراعيه ليمنع أحدا منا أن يفلت أو أن يذهب ببعض أنعامه . . . إنه يحسبنا بلهاء مثله . . . وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط نلو الخطط لنجارتنا . . . حتى تأتحت لي فكرة حسنة ، أيقنت أنها تفلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شيء مستطعاً أن يطلق سراحنا منه لقد فكرت وفكرت ، فبد لي أن لدى السيكلوب كباشاً كافاً تستطيع أن تحملنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها . ولقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقامت من فوري فجدلت من أغصان الصفصاف التي كان السيكلوب الشنيع بنام فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبالاً واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جملة بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذي يحمل رجلاً

(٢) ليذكر القارئ أن معنى أوتيس (لا أحد)

وبه أسعى في بلادى ! ولكنك وعدت أن تثبيني على ما قدمت لك من خمر ، فإذا عساك ما نهي ؟ » فاستهزأ السيكلوب وقال : « اطمئن يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من آكل من إخوانك . . . هذا هو جزاؤك ! » وتناوب وتناوب ، ثم انطرح وسط قطعانه ينفذ في نوم عميق . . . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتتقذف من بلعومه شوائب من خمر ، ممتزجة بقضبات من لحم بشري . . . وقفزنا إلى جزء الزيثون فوضنا طرفه المحد المبري في الجمر التاجج حتى تأجج مثله ، وبكبات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخواني حتى لا نخذلهم قوام ، ثم استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من مئة اليأس ، ووضنا الطرف المشتعل في عين السيكلوب المغفلة ، وحررنا الجذع وطفقت أنا ألقبه فيها من مكان عل ، كما يفعل السحّان الصناع بمقايير في خشب السنديان . . . وأنجس الدم من عين السيكلوب المميء ، وجحظ إنسانها كأنه عين حنة من دم وعاز . . . وقصاراي : لقد كنا كالحديد الماهر الذي يطوى سلاحاً عجمي في ماء بارد ! ! ولقد صرخ السيكلوب ^(١) صرخة ردد أصداؤها الكهف . . . ثم رددتها الغيران والجبال الجاورة و زعمرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا و دراج الجنى الجبار ينحط في ظلام العمى بعد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ، وهروا كالجلجل نحو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول ويهتف ويصيح ، ويدعو جميع إخوانه السيكلوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج عميق . . . وقال

(١) يحسن أن نلفت نظر القارئ إلى طبيعة السيكلوب وأنه لا يملك إلا عيناً واحدة

بينهما ... أما أنا فتملقت بصوف الكباش الأخير ،
وبقيت ساكنة صامتة ، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر
القدس الرهيب ، ميمون والكفة وقلوب واحفة ...
حتى بزغت أوردورا فهزولت الذكران كمداتها
الهرعى ، وبقيت الأثاث لكي تحلب ، وتهادت
الكلابش بالانتقال للملقة تحتها وهي تكاد تنوء بها ،
وكان السيكلوب ما يزال يعمل ويشكو بثه إلى
غير سميع ، وكان يلمس بيديه ظهور الكباش وهو
لا يدري ما تحتها ، حتى إذا برز كبشى ، زلزلت
زلزالا ، وسمته يقول له وهو يتحسس : « يا كبشى
الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت داعما سباقا
إلى المرمى على رأس القطيع تقضم السكلا الحلو ...
سباقا إلى الغدير ذى الخريز تنهل من مائه السلسيل ؟
بل كنت سباقا كذلك إلى ماواك هنا ... فى كل
مساء ؟ ويحى ويحك يا كبشى الحبيب ! لقد
أسيت لى ، وخزفت من أجل ، وشمرت بما دعى
صاحبك من التمس الرجيم أوتيسس ، وأتباعه
الأنواء المفلوكين ... أوتيس الذى سحر فى بحمره ...
ويل له ؟ إنه لم يفسلت من الموت اليوم ! آه
لو كان قلبك مثل قلبي ، وآه لو كان لى بصرك الحديد
فيدلنى أين اختبأ أوتيس التمس ! إذن كنت
أحطم رأسه فوق هذا الصخر ، أوتيس الوغد ...
الذى اسمه لا أحد ! فهو لا يساوى شيئا ؟ »
ثم أفلته المغفل فانطلق الكبش فى إثر رفاقه ،
حتى إذا كنا ببيدين من الكهف ومن صاحبه
قفزت من مكثى ، وعدوت فأطلقت سراح رفاقى ،
وسقنا نخبة من أحسن النماج إلى حيث سفينتنا
المتخفية فى الجون الهادئ ... فى ظلال الحور
والسنديان ... وأبحرنا من فورنا فوصلنا إلى إخواننا
فى الجزيرة الأخرى الذين هناؤنا بقبدر ما ذرفوا

الدموع على نحاي بوليفيم ! ! واعتزمتنا الأنجار
فاستمد كل فى سفينة ، وأقلعنا لا نلوى على شيء ...
حتى إذا كنا على مسافة مبلغ الصوت من الشاطئ ...
نهضت وجملت أهتف بالسيكلوب بوليفيم هكذا :
« بوليفيم ! لقد يؤت بما صنعت بذاك ، وكان جزاؤك
وفاقا ، أيها النذل الخسيس ! لقد حسبت أنك
تنتال رجال قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له
على الانتقام منك ، فرحت تتفنى كالوحش بالبحر
ضيوفك الذين لجأوا إليك وتقيأوا طلك ... فاهنا
الآن أيها الهولة بما حل بك ! » . وما كدت أصمت
حتى ثار نائره وعلت مراجله ، وانثزع صرخا
كبيراً من شفاف الجبل ، وقذف به فى قوة وعنفوان
ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد
يهشم سكان السفينة ، وقد انفرج البحر ، وانشطرت
أمواجه ، وارتدت السفينة نحو الشاطئ حتى إكادت
تدوس فى رماله وتطحطم على أواذيه ، لولأن أمسكت
بالسارية الكبرى وجملت أدفع وأدفع حتى عادت
السفينة إلى مكانها فى البحر ... وابتعدنا قليلا ...
وجاهد رجالى عجاذيفهم حتى كنا على مسافة هى
ضعف المسافة الأولى ... وهنا ، حاولت أن أصيخ
بالسيكلوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حاولوا يئنى
وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « وبك
أوديسوس ! لم تهيج الجنى بكناكنا ، وقد كاد
الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعا ويحطم سفينتنا
على الشاطئ ؟ » أما محمد الآلهة التى أنقذتنا من
ساعده الجبارتين ، وهو لو سمع زكراً من أحدنا
لهشمتنا جميعا قبل أن ننادر ظاره ؟ » على أننى
ما أصيخت لهم ، بل هتفت بالسارد الجبار أقول :
« أيها السيكلوب الطاغى ! إذا سألك أحد من عمالك
قتل له أعمامى أوديسوس ابن ليرتيس الأيثاكي ! »

يرنق فوقنا ، وسقط وزءنا بقربة من السكان ،
فانشطر البحر إلى فرقين كل فرق كالطود العظيم ،
ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ مرة
أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ
الأخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث
أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويمجزعون ...
ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نماج
السيكلوب بيننا . وكان من نصيبى ذلك الكيش
المفدى الذى نجاني ، فذبحته على رمال الشاطئ
قرباً لـ لـجـوئـ الـتـمـالـى ... وأسفاه ! إن أكبر ظلى
أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت
فيما بعد ... وأكلنا هنئنا ، وشربنا الخمر المعتقة ،
وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فنمنا
حتى نفرت أورورا حين الشرق بالورد ،
ونفضنا ... ونشرنا الشراع وأصلحنا القلاع ،
وأبحرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ،
لأنذين بالفرار
(يتبع)
دربى فشيء

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بمنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس

وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ويلي منك !
لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يورفيد
النبي الذى شب بيننا وظالما تحدث إلينا معشر
السيكلوبس عما خبا القضاء في حصف الغيب لنا ؛
لقد قال لى إثنى سأقعد بصرى بواسطة رجل من
البشر يدعى أوديسيوس ، فطلعت أنتظره ، وكنت
أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم بـدى القوة ...
فاذا هو أنت أبها القزم - اللاشيء ! - الذى
قهرتني أولاً بالخر ثم أذهبت بصرى وأطفأت النور
من عيني ! أوه ... ولكن ... عد إلى يا أوديسيوس
وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك ... وأصل
من أجلك لأبى ... نيتيون ... الفخور بى ، أن
يمد لك البحر ، ويعطامن من تحتك الموج حتى
تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف
بى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن
تشفينى وترد على بصرى ! » قلت له : « بنفسى
لو استطعت قذفت بك من حالى إلى قرار جهنم
فلأقدر أحد على رد بصرك إليك - حتى ولا أبوك
هذا ! » . وغيظ السيكلوب وحنق ، ورفع كفيه
إلى السماء يصل لأبيه هكذا : « أباه نيتيون المحيط
بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشعر اللازوردى ،
إذا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بنيتوني
فاحرم هذا القزم الدعوى أوديسيوس بن ليرتيس
الأثيناكى من العود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا
قضاء فى الأزل فأقم العقاب فى طويقه ، وشرده
طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه وأغرق فى الأعماق
أحبابه ، وأحوجه إلى ذل السؤال وطلب المونة
من الناس ليزدوه بمركب يعود عليه ؛ وإذا عاد فليلق
الهم والنهم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولـى نيتيون ،
ورفع السيكلوب حجراً أشخ من الأول ، وجعل
يهوم به بكنا يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ، فذهب



Glenn

الدين
مؤيد

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلم والفن

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد المصرية

الرسالة : تصور مظاهر العصرية لدى المصريين

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الاداب المصرية

الرسالة : تعني في النفس أساليب النهضة المصرية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً والخارجي مايساوي جنبهما مصرًا، والبلاد العربية بخمسة ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
رئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

يمل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الاولاد
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضراء - القاهرة
تليفون ٥٣٤٥٥ ، ٤٣٣٩٠

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثاني عشر ٧٠ جادى الأولى سنة ١٣٥٦ - ١٥ يولييه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة			
٧١٤	حفصة عرس	بلم الأستاذ عبد الطيب النشار
٧٢١	خيانة في رسائل	بلم الأديب نجيب محفوظ
٧٢٨	يوميات نائب في الأرياف	بلم الأستاذ توفيق الحكيم
٧٣٤	الذباية	بلم الأستاذ عبد الحيد هدى
٧٣٩	ناهض	بلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٧٤٨	مانيو فالسكونى	بلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٧٥٣	بعد عشرين عاماً	بلم الأديب نظمي خليل
٧٦١	اعترافات في العصر	بلم الأستاذ فليكس فارس
٧٦٨	الأوذيسة	بلم الأستاذ دريخ خشبة
...	بلاسكوا بيانيز
...	نصه مصريه
...	صور مصريه
...	لكاتبه كاترين منسفيد
...	أقصوه مصريه
...	لبرسيير ميرييه
...	لنوماس هاردى
...	لألفريد دى موسيه
...	لوميروس



حفلة العرس

للكاتب الإسباني بلانكو أيبانيز
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

- ١ -

مدينة « بنى مصلان »
مدينة أسبانية فاعمة يحيط بها
مثل البحر من أشجار
الزيتون والكروم

جدران بيضاء ، ونوافذ
مظلمة ، وفي الوسط قبة
كنيسة خضراء وحصن عال
كاد يبله الزمن

مدينة بنى مصلان قرية
ككل قرى أسبانيا متأخرة
مظلمة غير قابلة للتطور ، تحكمها
التقاليد العتيقة ، ويسودها
سوء الظن والأهواء الجامحة
والسداوات والأحقاد .
وأهلها بسطاء لا يبالون بالمالم
ولا بما يجري فيه ، مسرفون في
محباتهم وفي عداوتهم وأطعمهم

قرية بنى مصلان وطن « ماريتا » ، و « توتي »
و « سيجارات » و « الم سانتو » ووطن يضع ميثاق
على هذه الشاكلة

- ٢ -

« تيوسانتو » أو الم سانتو قد أعلن عزمه

على الزواج للمرة الثانية

ولكى تفهم تأثير هذا
الخطب في قريته يحسن أن تعلم
أن الم سانتو أكبر دافع
للضرائب في الاقليم كله ، وأن
له الزعامة في قريته ، وأن التي
يريد الزواج منها بنت راع
فقير . وهل تسأل عن المهر
الذي سيقدمه إليها ؟ نظرات
ساحرة من عيني سوداوين
طوبقي الأهداب وشعر لامع
رجراج

ولم تكن دهشة القرية
أقل من غيظها ، ولا اختلاف
الرأي فيها بين واحد وواحد ،
فالكل يردد جملة بعينها وهي
كيف يزوج رجل في هذا
العمر من فتاة كهذه ؟ رجل

ولد أيبانيز في مدينة بلنسية سنة ١٨٦٧
ودرس الحقوق كمعظم الشبان المعلمين في
أسبانيا ، ولكنه اشتغل بالسياسة في جده
الشباب ، ودعا إلى الجمهورية ثاراً ضد نظام
الحكم الملكي في بلاده ، وتعرضت حياته
للخطر عدة مرات بسبب الثورات الناشئة
عن أسباب من بينها دعوته . وبدأ عهده
الأدبي بإصدار مجلدين من الأقايس التي
يصف فيها حياة أهل بلده ، وفي سنة ١٨٩٧
أصدر روايته « الكوخ » وهي تمد
خير مؤلفاته ، وأصدر بعدها « فاكهة
النبيذ » و « الكندرية » و « الرمل
والدم » . وقد حل في هذه الكتب على
عادات بلاده . وفي سنة ١٩١٢ رحل إلى
أمريكا الجنوبية ، ولكنه عاد قبل أن يتم
برنامج رحلته ، وذلك في سنة ١٩١٤
بسبب نشوب الحرب العالمية وبسبب حاجته
إلى المال . وعرض على الحكومة الفرنسية
خدماته كنائب للنداء فقبلتها بأجر عظيم
فوضع روايته « الفرسان الأربعة » وقد
اشتهرت في دول الحلفاء شهرة عظيمة ، ثم
وضع كتاباً عن الملك ألفونس جعل عنوانه
« ألفونس غير المقنع » فطرد من أسبانيا
وأحدث الكتاب هجة عظيمة في أوروبا .
ومات أيبانيز منذ سنوات

يملك نصف الزمام ، وفي منزله مائة قرية من النبيذ
القديم ، وفي حديقته خمسة بغال ، ثم يترك هذا
كله لابنة فقيرة مثل ماريتا ، تلك التي كانت في
طفولتها تحصل على خبزها ، كما تحصل الفأرة على
قوتها . مسكينة زوجته الأولى ! لقد تركت

وكان أهل القرية يملكون فضلاً عن ذلك أن
لمارييتا عشيقاً يدعى توني ويطلقون عليه لقب
« الملاهيل » لرأته ملبسه ، وهو مثل حبيبته فقير
معدم ، وقد كاد يتم زواجها منه لولا أنها أرجأت
ذلك إلى أن يجد عملاً يكتسب منه وإلى أن يتخلص
من أسدقائه وكلهم من عشراء السوء

وكان من آخر هؤلاء الأصدقاء رجل يدعى
ديوميني يقيم في قرية مجاورة ويأتي لزيارته مرّة على
الأقل في كل أسبوع

وعلى حين فجأة أصبح أهل الزوجة التوفاة
يكرمون « توني » ويمزونه لأنهم على ما يظهر قد
وجدوا فيه الرجل الذي يصلح للأخذ بآرهم ؛
وكثر في القرية المنيطة من يكرم توني ويدعوه إلى
مجالسه وطعامه وشرايه

وكانوا يقولون له ليستثيروه : « توني ! أما علمت
أن مارييتا ستزوج ؟ » فينظر إليهم وذهنه شارد ،
وينقل لغافة التبغ من أحد جانبيه إلى الجانب
الأخر ، ثم يحدق في قارورة النبيذ ، وأخيراً يهز
كفتيه ويقول :

« هم يقولون ذلك . لقد كان الأولي بهذا الشيخ
الحرف ألا يتكلم عن الزواج إلا بعد تمامه »

وكان في هذا الجواب ما يقنع كل إنسان بأن
أسرها سيحدث ؛ وكيف لا يحدث أمر وتوني يتوعد
هذا الوعيد وخسمة ليس بالرجل الضعيف ؟ إن
التم سائقو قد انتخب محمداً عدة مرات . وقد رفع
يده بالمص على رجال أكبر وأقوى منه لأنهم
وقفوا في سبيله

لذلك كان أهل القرية يترقبون ما سيحدث
باهتمام شديد

قصرها وضيعتها لهذا الزوج القليل الوفاء ، وترك
للزوجة الثانية فراش منزلها الذي كانت مزهوة
به في الحياة ... هل تعود تلك المسكينة من القبر
لترى ذلك الفراش في حوزة من كانت الناس
يتصدقون عليها بالطعام ؟

ابن ست وخمسين يتزوج من أجل الحب ؛
انظروا إليه كيف يرقص ، وأنصتوا إليه كيف
يتكلم ، وراقبوا النظرة البلهاء التي تبدو على
وجهه . إنه كالشاب الصغير عندما يعالج الحب
للمرة الأولى

وانفق أهل القرية على أن الم سائقو فقد عقله ؛
وكان يحدث في الكنيسة في يوم الأحد من كل
أسبوع ما يشبه المظاهرة ، فإن أهل الزوجة
الأولى يحضرون الصلاة ، وعند انتهائها يلتقون
بصهرهم القديم وتثور ثارتهم ، ويصفونه بأنه
لص ... نعم إن قريبهم أوصت له قبل الوفاة بكل
ما تملك ، ولكنها كانت تمتد أنه لن يخون
ذكرها ، وها هو يدفع بهذه التوبة إلى فتاة صغيرة
— ومن نعط منطح — إن العالم ليعمد خالياً من
العدالة ، إذا سمح لابن السادسة والخمسين بأن
يفعل هذا

وكان أهل القرية يجتمعون حول أهل الزوجة
الأولى ، ويخونهم على مقاضاة الرجل وفسخ
عقد الرصية

وفي غير أيام الأحد كان مثل هذا الحديث
يدور في القاه وفي الميادين العامة والشوارع ؛
وكان يشترك فيه حتى الفتيات من بنات الأسر
الكبيرة اللواتي كن ينفضن أيديهن من حديث
عني يتعلق بالزواج لولا تحدث كل أهل القرية به

- ٣ -

هذه الكيفية كان القسيس مقبلاً ومعه بقية المدعوين من أصدقاء الأمرتين ودفعت هدايا العرس عن اللئسند ووضعت بدلها أطباق الفاكهة والفاطسار والأشربة الحلو

وتنحنج وكيل المقود ومسح ثيابه بمنديله ووضع حفنة من الرمل فوق الكتابة ليحفظها . وأخذ يتلو ما كان عليه ، فلما وصل إلى اسم الزوج التفت إليه وأحى رأسه فقمقه المدعوون . ولما وصل إلى اسم العروس التفت إليها وأعاد هذه الحركة فأعاد المدعوون الضحك . ولكن لما وصل وكيل المقود إلى ذكر شروط الزواج فمدد المزارع والمنازل الوهوية والجباد والبنال علت أوجه الضاحكين منذ لحظة علام الحسد . وكان البتسم الوحيد هو الزوج فقد أتيت له فرصة يظهر فيها غناه ويظهر حسن معاملته لزوجته . أما والدها العروس فلم يستطعا منع دموع الفرح ، وكانا يتخيلان أن على كل إنسان أن يقول لها أننا الأبوان الوحيدان الجديران بالتهنئة فقد ائتمننا على ابتسكا من هو جدير بأن يؤتمن

وبعد توقيع العقد أذيت المربطات وأخذ دون جوليان يتنذر في حديثه بالطريف من القصص والفكاهات ويمرض في سخرية غير مكشوفة بالقسيس

وفي الساعة الحادية عشرة كان كل شيء قد تم . وذهب القسيس والعمدة سوياً . وتقدم المم ساتو إلى وكيل المقود وسكرتيره بدعوما إلى قضاء بقية الليل بمنزله

وكان الطريق بين المنزل الحقيق الذي عقد فيه العقد وبين منزل المم ساتو طريقاً مظلاً ضيقاً .

اشتهر المم ساتو بأنه من الذين إذا قاموا بأى عمل أدوه على وجهه الأكل . وقد ظهر صدق هذه الشهرة في اليوم المحدد لتوقيع عقد الزواج فقد وهب زوجته ثلاثمائة مثقال من الذهب نقداً غير ثياب العرس وخواتم الخطبة والأمشاط وفراش المنزل وهو من مخلفات زوجته الأولى ، وغير تكاليف الوليمة التي دعا إليها المم ساتو ، وغير الهدايا التي أرسلت إلى منزل أبيها على ظهور ثلاثة بنال . ولا تسل عن التناذيل وزجاجات العطر والأواني الفضية مذهبة وغير مذهبة

وحضر الوليمة كل المشتغلين بالسياسة في الاقليم وعلى رأسهم نائب البرلمان

وأهدبت الهدايا إلى العروس من كبار المدعوين ، فعد ما شئت من المقود وأمشاط الشعر والمصوغات المختلفة التي كانت تتلقاها وهي شديدة الخجل . أما أمها فكانت تبكي بكاء الفرح . وأما أبوها فقد لزم الصمت لأنه لم يجد الكلمات التي تنى بشكر صهره على إحسانه التكرار

وكان موعد العقد في بيت والد العروس . وقد عهد بتحريره إلى « دون جوليان » وكيل المقود في القرية ، فجاء مع سكرتيره في عربة نفعة وأعدت له في منزل الراعي منصدة مذهبة عليها أربعة حوامل للشمع من الذهب الخالص . ودخل متكبراً حزواً ، ومن أحق من كلام المقود بالكبرياء وبالأهواء ؟ أليسوا هم اللطمين على أسرار القانون ؟ وأخذ يتلى على سكرتيره صيغة العقد وهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويرفع النظائر ثم يضمه .

وفي الوقت الذي كانت صيغة العقد المدني على

لا ينتهي من ذبح الدجاج والطيور . والنم باشكوال
الخدم يبدى مثل مهارة الطبيب في تشريح هذه
الذبايح . وناهيك بشمور هؤلاء الضيوف حين يرون
هذه الضحايا وحين يبرفون أنها طعام لهم وهم
الذين يقضون العام كله لا يطعمون شيئاً سوى الخبز
القفار أو مادوماً بالجبن أو اللبن

إن مثل هذه الوليمة بمد حادثاً لا يتكرر وقوعه
في تاريخ القرية ، فقد يكون بين فلاحها من يرى
الطعام وهو بطبخ ولكن ليس فيها من يرى في
وقت واحد عشرات القندور تحوى مختلف الطعوم
لتقدم للضيوف بغير حساب . وليس فيهم من يرى
عشرات القرب مملوءة بالنبيذ وليس على الراغب
في الشرب إلا أن يشير فيؤتى له بالجر المتفة التي
تقهر نشوتها أكثرهم اعتياداً على السكر وإدماناً .

وأما الحلوى فمد ما شئت من صنوفها المشتهة
لقد كان كل شيء فاخراً غنياً وكان ديومنى
نفسه متنبطاً بالشراب فهو مدعو في الحفل يشراب
يكفى فكيف لا يابى

وكانت الأجراس لا تزال تدق ، وأن جوعد
المركب فصار ، وكان النساء في الثياب البيضاء ،
والرجال في الماطف السوداء ، وبين السائرين ديومنى
ورأسه الى الوراء وأنفه متجه نحو السماء . وعلى
رأس العريس قبة جديدة من القטיפه ، وسترة
ضيقة عند خصره النحيل ، وبجانبه مارييتا وما أجمل
تلك العروس وما أشرق ! إن أية عروس من أرقى
البيوت لا تستطيع أن تظهر في حفلة عرسها بظهر
أجل وأروع مما ظهرت فيه بنت ذلك الراعى الفقير
كان على لبثها عقد من اللؤلؤ كعقود الأميرات ،
وعلى كتفها بلبسان من أغلى الحرير وفي أذنيها

وكانت الكلاب تنبح كلما دنا من بعضها فريق
من العائدين . ولكن بقية القرية كانت في
سبات عميق

وكان دون جوليان ومن معه يعيشون في تودة
ورفق حذر المثور بحجر يوقعهم في الطريق . وكان
الأول يشعر بقلق شديد من مسيره في هذه الليلة
الحالكة الظلام . وتوهم أنه رأى ما يريب في ركن
من الطريق كأن به أحداً مختفياً يتربص بالسائرين
سوءاً

قال بصوت خافت : « انظروا ! انظروا ! »
وقبل أن يجاب على كذته انطلقت رصاصة من ذلك
الركن ففزع واستند إلى باب منزل مغلق . وكان
الرصاص لا يزال ينطلق ويصيب الحائط فشمرو
جوليان بأن المرق يتصبب من رأسه

أما المم ساتو فكان واقفاً في وسط الطريق
وهو يصيح : « أقسم بالله أنى أعرف من الذى فعل
ذلك . إننى عرفتك أيها الكلب القدر »

ثم هز عصاه الغليظة منادياً باسم توى وبأسماء
أصهاره القدماء أقارب الزوجة المتوفاة

— ع —

كانت أجراس القرية تدق منذ آذنت الشمس
بالشروق وكان الخبر بأن المم ساتو قد تزوج
— قد وصل إلى أقصى الاقليم . وكان انفلاحون
مقبليين على ظهور الخيل والحير يقوموا بواجب
التهنئة

كان منزل المم ساتو طول الأسبوع الماضى
في حركة مستمرة لا تعرف الهدوء ، وهو الآن مبث
نحية شديدة ، فالضيوف مقبلون من كل حذب ، والخدم
غادون راثمون بالأطعمة والأشربة ، وجزار القرية

لم يمد يده الى الطعام اكتفاء بالنبيذ الذى يشرب منه أمام سائر المدعوين ، فكانت أعينهم لا تتحول عن الدجاج . ولأول مرة تناولوا الطعام كما يتناوله السادة ، فأمام كل منهم طبقه الخاص وزجاجته ، وعلى صدره فوطته أيضاً

وكانت مارييتا جالسة بجانب زوجها وهى تأكل مفقودة الشهية ، ووجهها شاحب وقد بدت عليه علامت الألم واضطراب الأعصاب ، وهى تنظر نحو الباب كأنها تتوقع أن يدخل توفى بين لحظة ولحظة ، وقد كان هذا الوعد جديراً بأن يقدم على أى أمر

وكانت تتذكر فى ألم شديد وداعها لإياه فى المرة الأخيرة ، وتذكر قوله لها إن أنانيتها ستقلب عليها فى يوم ما فتحجره وتزوج من أجل المال

لكنها الآن على رغم خوفها منه كانت مسرورة من توقعها أنه سيقار وأنه سيعمل ماثو به فى الغيرة ، وكان موضع سرورها من هذا التوقع أنه يدل على حبه لإياها . وكان يسرها أن تكون محبوبه منه ؛ وإن فقدته فقدان الأبد

وقل ما بقي فى الأطباق من طعام ، وضعت الشميات ، وبدأ التندر بالفسكاكات والأحاديث ، وتناول بعض من اشتد بهم السكر التروسين بالفسكاكة والمزاج ؛ فتضاعفت من أجل ذلك الضحكات ، وفى النهاية وقفت مارييتا وتناولت طبقاً ودارت به على المدعوين تطلب منهم (النقوس) ومرعان ما امتلأ طبقها بالنقود الذهبية التى كانت تنهال على الطبق ، خصوصاً من أقارب المريس الذين يطعمون أن يتذكروهم عندما يكتب الوصية

قرطان كانت الزوجة الأولى تقصر تحملها بهما على الحفلات النادرة

وأبجج الموكب فى اتجاه الكنيسة وكان كل أهل القرية ينتظرون عند بابها ، وكان بينهم بعض أقارب الزوجة الأولى ، وقد استخفهم الفضول فنقصوا المهد الذى كانوا قد قطعوه على أنفسهم بأن يقاطعوا هذه الحفلة

ولكن لما صر الم سائتو أمامهم صاحوا منادين إياه بكلمة الاص ، فلم يجهم بأكثر من ابتسامة دلت على نهاية الرضى والافتئاع

ودخل ديومبى الكنيسة والناس ينظرون اليه ويتفامرون ، وبعضهم يتهمس باسم صديقه توفى

ولاحظت العروس توفى جالساً فى الحانة التى أمام الكنيسة فأحنت رأسها واصفر لونها ولاحظه أيضاً الم سائتو فابتسم ابتسامة للتصبر فأجاب توفى على هذه الابتسامة بحركة دالة على الاحتقار ، وآلم العروس أيماً ألم أن توجه إليها هذه الحركة فى يوم عرسها

وعاد الموكب من الكنيسة فدخل مئات من المدعوين إلى القاعة التى صفت بها مقاعد تحمل أطباق الشكولاته والحلوى ، ولكن الضيوف لم يتناولوا منها إلا القليل خشية من الشبع ، ولم يبق على موعد المشاء غير ساعة واحدة

وظهر ديومبى وفى يده قيثارة يعزف عليها ويصيح بالفناء ، وأقبل القسيس جلس أمام المنضدة وهو يقول : « إن الشيطان نفسه لا يولم وليمة أبداع من هذه »

وجلس ديومبى أيضاً إلى المائدة ، ولكنه

بالسعادة . وعلى أثر ذلك عاد المدعوون من المدينة في الأزقة المظلمة وكان وكيل العقود تأملاً منذ ساعة في ركن من الثرفة فأيقظه سكرتيره ولم يبق في المنزل غير أقارب المروسيين

وأخيراً صاحت أم المروس بابنتها : « وداعاً » ولقد يخال من يسمع صوتها إذ ذاك أنها تودع راحلاً إلى القبر . وأما أبو المروس فكان لا يزال في مرحه وسروره وقال لزوجته : « إنك لم تكوني على مثل هذا الحزن عند ما خرجنا من المنزل ، فلماذا هذه الكآبة ؟ » ثم فرق بينها وبين ابنتها وقادها نحو الباب

وذهب كل الخدم إلى حجراتهم وجلس الم ساتو ومارييتا في الغرفة المختلة النظام التي كانت فيها الوليمة والتي لا تزال بها الشموع الموقدة . وظلا صامتين مدة طويلة ، ثم أخذ الم ساتو يياحي بانتصاره ثم يثني على ثياب المروس

أما المروس فكانت تصفي وكأنها تمثال ، ولكنها لا تفكر فيما تسمع بل في توفى رفيق ضيائها ودقت الساعة فقال الم ساتو : « الساعة الحادية عشرة » ثم نهض وقال : « وهذا وقت النوم » ومشيا نحو غرفة النوم ولكن الم ساتو ما كاد يصل إلى بابها حتى وقف فجأة لأنه سمع أصواتاً غريبة عن بعد تشبه الدق بمئات من المصى على الصفيح

واقترب الصوت ، وسمع وقع أقدام وعلت ضحكات وسمع غناء ويوميني في وسط هذه الأصوات وصاح الم ساتو بصوته المنكر : « عرفتكم يا خنازير » ثم أخذ يضرب الهواء بقبضة يده وليس في المكان من يرى هذا التهديد غير زوجته

ولم يدفع القسيس غير قرش واحد ، معتزلاً بأن الكنيسة لم تمت تملك شيئاً في هذه الأيام التي سادت فيها الحرية

ولما انتهت المروس من طوافها على الضيوف ، ألقت بالمال الذي جمته في جيبها ، وقد أطربها رذيلته

وأصبحت الوليمة الآن وليمة كما ينبغي أن تكون الولايم ، فالجميع يتكلمون في وقت واحد ، ثم نهض أحد المدعوين ورمى زجاجته على الأرض فتحطمت ، وكان ذلك دعوة منه للجميع باحتذاء حذوه ، فألقيت كل الزجاجات والأطباق على الأرض

وأراد أشدهم سكرًا أن يبالغ في المزاح ، دلالة على شدة السرور ، فأخذوا يقذفون الرئيس بقطع من الخبز المسكور ، وسرت المدى بين الجميع فصاح الم ساتو : « كفوا عن هذا اكفوا ! » ، ولكنهم كانوا من القسوة في مثل حالة المجانين ، فاستمروا واستمر يحذرهم حتى استحال صباحه إلى زحجرة ، وحتى مرع النساء اللواتي كن انسجن بعد جمع النقود ليرين ما الخبر

وأخيراً عاد الهدوء ، عدا أن الصبيان الذين كانوا في الطريق تمكنوا من الدخول عن طريق النوافذ وأخذوا يجمعون ما تساقط على الأرض من الطعام الذي في بقايا الأواني المحطمة . وأخذوا يقرصون أرجل السيدات ، فصحن ، وتذمر الم ساتو فأمر بطرد الصبيان وأبدي لأول مرة تذمره من هذه البلية

— ٥ —

في نحو الساعة الماثرة عاد المدعوون الذين جاؤا من قرى أخرى وهم يفتنون ويدعون للزوجين

بندقيته ويطلق منها رصاصة في الهواء . فامتلاّت
الفرقة بالدخان وبرائحة البارود ، ووقمت مارييتا
على الأرض وهي في حالة إغماء وخرج المتظاهرون
كما جاءوا

وبعد قليل سمع طارق على الباب ومناد يصيح :

« افتحوا باسم القانون ! »

وتناقل الم سانتو في مشيته وفتح الباب ،
فرأى الجندي ورأى أمام الباب جثة مخضبة بالدم ،
هي جثة توتى ، وكان المتظاهرون قد أبلغوا البوليس
أن الم سانتو هو الذى قتله ، وذلك بعد أن رأوه
قد انتحر . فقاد رجل البوليس الم سانتو الى
الحاكمة وهو يصيح : « يا لها من ليلة عرس ! »
عبد اللطيف النشار

ولكن بعد لحظة ظهر في المكان نحو عشرين
شخصاً على رأسهم توتى وأقارب الزوجة السالفة
ومن بينهم ديوميني الذى كان طول يوميه يتمتع
بضيافة الم سانتو وبطرب المدعويين بالزحف على
قيثاره . وشهر للمم سانتو بالواجب الذى توحى به
المرّة والكرامة . أليس هو أهم رجل في المدينة ؟
أليس هو الذى اعتاد أن يأمر فيطاع ؟ فكيف
إذن يكون منزله ميداناً لهذه السخرية ؟ أمن أجل
أنه تزوج من فتاة صغيرة ؟

وأخذ الجميع ينشدون لحناً عززنا كأهم في
جنازة وصوب توتى إلى رأس الم سانتو عصاه
وضربه بها ، فتقهقر الرجل في ذلة ، واستطاع
والدم يسيل من جراحه أن يدخل الحجرة فيتناول

شركة بيع المصنوعات المصرية
تعمل على احياء الصناعة المصرية وترويجها
معرض دائم لمنتجات البلاد

تعرض المنسوجات الصيفية
من جميع الأنواع : قطن - حرير - كتان
بضائع جديدة لهذا الموسم

صنع شركات بنك مصر

التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها
شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجاتكم

خيانت في رسائل

بقلم الأديب نجيب محفوظ

وما أبأسنى ...
« كيف ... ؟ »
« لن أسعد بقراءة
كلمة لك طوال مدة غيابي ،
لأنك لا تستطيع أن
تكتب إلي » ، أما أنت
فتستطيع أن تطلع على

مهمات روى كلما مكنتني الفرص من اختلاس
الكتابة اليك ... فأبنا أسعد حظاً ... ؟ »
« من تواتره فرص التعبير فيخفف عن
مراحل عاطفته »
وهنا ظلت وجهه سخابة كدر ، وسألها
بعد تردد :

« هل لك أبناء عم ؟ ... »
فابتسمت ابتسامة دلت على أنها سرت للقلق
الذي يمت هذا السؤال وأجابته :
« نعم لي ... ولكنهم لم يجاوزوا عهد
الطفولة ، ولو كان الأمر كما تتوهم ما أوجب أدنى
خوف أيها الرعيد النيور ... والآن هات فك
أودعك ... وهيا نقول معاً هذه الكلمة المزعجة
التي تنزع لها القلوب :
« أستودعك الله ... »

من التد يصيب له في قنا حبيبان عزيزان :
حبيبة القلب عائدة ، وصديق الصبا وزميل عهد
الدراسة الأستاذ أحمد مرزوق المدرس بمدرسة
قنا ، ولكنه بينا يتصل بصديقه بالكتابة فهو
محروم بحكم الظروف من تمام هذا الاتصال الروحي
بحبيبتة ، لأن حبهما ما يزال سرا خفياً لا يدُر
بأضرة الأهل ...
واقضت أربعة أيام على سفر عائدة ، ثم وصله

« هذه أول أزمة تصيب حينا ! نعم ظالماً آلمني
الفراق الحين ، وأجهدني الشوق إلى اللقاء ، وعذبي
الدلال ! أما الوداع ، أما الرحيل إلى قنا ، فهذا أمر
جديد ، يدفع إلي نفسي شعوراً بالحزن لا عهد لها
به ، فهلا عدلت عن هذا السفر ... ؟ »

« لو كان الأمر إلى ما رغبت نفسي أدنى رغبة
في السفر ، فما أحفل بقضاء الشتاء في أعالي الصعيد
بعض احتفالي بالقرب منك كبقا أوأصل هذا اللقاء
الصعيد ؛ ولكن ما حيلتي وهذا ما يريد أبا ويفعله
منذ أحيل إلى العاش . ولقد اعتاد أن يمضي شهراً
أو شهرين من الشتاء في قنا عند عمي الدكتور .. »
« يستطيع عقلي أن يتصور المعجزات ،
ولكن لا أستطيع أن أتصور ما عسى أن تكون
عليه حياتي هذين الشهرين ، فهذا الحب غذا حياة
لشعوري ، وهذا اللقاء أسمى ألفة لنفسي ، أجد فيها
راحة بعد تعب ، وغزاء عن شوق دائم ، فما عسى
أن أصنع ... بل ما يكون زادي وسلوتي ... ؟ »
فوضعت يداً خمرية ناعمة على كتفيه ، وداعبت
بأطراف أنامها خده ، ومهست في أذنه :

« هذا شعوري وهذا حزني ، ولولا كراهيتي
للمغزاء لنصحت لك بالتزمزى والتلغى ، فليس أمامنا
سوى الصبر الجميل حتى يظوى دهر الفراق
ويتصل حبلى اللقاء ... ومع هذا فما أسعدك

منها كتاب جاء فيه :

« حبيبى حسنى !

أعجب لهذه الوحشة كيف تجثم على صدرى وأنت مى ... نعم أنت مى لم تفارقنى لحظة سواء فى ضجيج النهار أو فى سكون الليل ؛ مى وأنا أرسل الطرف من نافذة القطار أشاهد الحقول الممتدة وأشجار النخيل البعثة ؛ مى وأنا بين أهل مى أنلقى الأحاديث وأرد عليها ، وأضحك هذا وأسمع لذلك ؛ مى فى كل مكان وكل حين ، فلا عجب لنفسى بعد ذلك أن هزها الحنين إليك أو استشمرت وحشة وضيقا فى البعد عنك ، أو ألهمها الشوق عذاباً ومجوى

وأرجو ألا تهمنى بالتكاسل عن الكتابة إليك فبيت مى عامر بالأطفال وم لا يتركونى لحظة أخلو لى نفسى ؛ وقد انبعثت كلمات هذا الكتاب من شعورى وامتلأ بها عقلى وتمثلت فى حواسى وحفظتها عن ظهري قلب قبل أن تؤاتينى الفرص فأسطرها لك خلسة على ضوء القمر المتسلل من نافذة حجرتى والبيون قد أغضضا عنى المنام ... فاعذرنى إن تأخرت عنك رسائلى وأرجع إن شئت إلى قلبك فاعتقادي أنه على عليك عن لسانى ما أحب أن أقوله لك دائماً

أما عن قنا فجوها دافى جميل ، وخلا ذلك فنحن فى منفى ، ولولا ما يربحه أبى فيها من محبة وعافية ما تركته يسكن البها لحظة من الزمان »

فأخذ من الكتاب كل ما استطاع أن يمنحه من الغناء والسورة والسماعة

وكان صديقه مرزوق لا ينقطع عن مراسلته وإن خلت كتابته من الطرافة والحيدة ، فعلى التحيات المحفوظة وبث الأشواق والتلف على

إدبار العام الدراسى وإقبال المطلة الصيفية ، إلا أنه أضاف الى هذه المحفوظات فى آخر كتابه ما منه :

« طالما قلت لك إنى أعيش فى قنا كما عاش أبونا آدم قبل أن يخلف الله منه أمنا حواء ، لا يقع بصرى على وجه امرأة قط ، وإن كنت أرى أحياناً بعض الأصدقاء يشيرون إلى كثرة من الثياب السوداء الملفوفة تسير كممود من الدخان الكثيف وأسمهم يقولون : انظر الى هذه المرأة ... ولكن وقع بالأمس ما يمد حدثاً تاريخياً فى حياة قنا ، إذ حضر الدكتور سامى حسنى مفتش الصحة الى البستان العموى وفى مسجته غادة جميلة سافرة الوجه ، فهز البلد وزلزل كيائها : إنه رجل جسور لا يعبأ بأراء المترمين ، ويجده دائماً على استعداد للرد على تطفل المتطفلين بما يجمله مثلاً وعبرة ، ولم يلبث أن شاع الخبر وملاً الأسماع فهرع الشبان الموظفون من مدرسين ومهندسين وكتبسة الى البستان وهم يسوون أربطة الرقبة ويحكمون أوضاع الطربوش على رؤوسهم ، فلورأت البستان حين ذاك لحسبته حديقة غناء فى مصر الجديدة أو قصر النيل إنها شاة جميلة تحمل فى طياتها عطر القاهرة البقى ، فلهمناً قفر قنا بهذا القطر المذهب ... »

تخفق قلبه لدى مطالعة الكتاب ولم يداخله أدنى شك فى معرفة صاحبة الشخصية الجميلة التى أنارت لوعة الشباب فى قنا

ياله من كلام يحمل فرحاً وألماً والألم فيه أكثر ! أيجوز أن تسمد قنا ومن فيها بحبيبتها ويبقى هو فى القاهرة تسيل نفسه حشرات عليها .. وهم أن يكتب لصديقه كتاباً يملنه فيه بأن الفتاة التى هز مقدسها قنا هى حبيبته اليوم ، ثم خطيبته وزوجه غدا ، ولكنه جفل من هذا

ولتلمن بمد حين في أي غباً من غبائي القدر كانت تنتظره هذه المفاجآت ...»

ما هذا الذي يقول مرزوق من أن عينيها تجذبان إليه عينيها ؟ إن لعيني مرزوق أن تجذب كيف تشاءان . أما عينا صاحبتها فبالله تجذبان وتستجيبان ؟ ... هلا يكون ذلك مجرد نظر برى فسرته صديقه على ما بهوى غروره ويجب ؟ ... إنه لا يشك أبداً في إخلاص عائدة ، ولكن يبنى ألا ينسى أن لصاحبه عيني جيلتين يحس الناظر إليهما سخونة في أعصابه ولذعة في قلبه ، وهو — إلى ذلك — مدرس محترم من حملة الدبلومات المالية ، ومن ذوى المستقبل السعيد . أما هو فلم يزد على أن يكون موظفاً صغيراً ، كل مؤهلاته شهادة البكالوريا ، ومستقبله مظلم محدود ، أفلا يكون لجميع هذه الفوارق أثر في الحب ؟ ..

إنه يشعر بحزن عميق يحيم على نفسه فيجعلها من السكابة كنفس هرم متشائم ، ويحس بسم الغيرة ينطلق من قلبه وبلوث دمه ... أوامه ... إن أحلامه وآماله ترجع على كف رجيم ... وفي ذلك الوقت أمه كسحاب من عائدة ،

فانكسب عليه بلهفة ، وثلا مرة بمد أخرى ، ولم يكن يخرج في معناه عن رسالتها الأولى ، فتزعزعت شكوكه ، وعادته الثقة ، وذاق بعض الطمأنينة والشفاء ، وحمل غرور صديقه إثم ما جنى عليه كتابه من الشك والمذاب ، ولكنه تسلم رسالة من صديقه بعد ذلك بأسبوع ، جاء فيها :

« كن على يقين من أن العاطفة النامية لم تعد قاصرة على جانب واحد ، فمينا الفتاة — واسمها عائدة — تفتحن الحاضرين من الشبان وتستقران على أنا . إني أطالع في وجهها عند حضوري سبياً

الاعلان وجود رغبة خفية أن يكتمه إياه وأن يطلب منه أن يوافيه بأخبارها التي تستحق الرواية والحديث لقد تردد لحظة وطرح على نفسه هذا السؤال : ألا بمد هذا تجسسا منه على حبيبته ؟ وهل يجوز هذا في شرع المحبين ؟ .. أو ليس الأفضل أن يربأ بنفسه عن أن يضع صاحبه موضع الاتهام والظنة ؟ ..

ولكن عاطفة التندم هذه لم تستطع أن تتهر عواطف قلبه الجياشة السوداء فطردها من نفسه وكتب الى صديقه بما أملت عليه شكوكه من بادي الأمر

وبعد حين وصله كتاب ثان من صديقه جاء فيه عن عائدة ما يلي :

« تغير كل شيء في قنا وكل شيء في حياتي . لم تعد قنا قبرا موحشا فاعرا فاه مكشرا عن أنيابه ؛ ولم تعد حياتي ساما قتيلا متصلا . كيف لا يكون هذا وأنا مطمئن إلى أني سأحظى أصيل كل يوم برؤية ذلك الوجه السافر المبتسم الذي يحيي موات النفوس ، ويبعث مصفر الأمل ... ما أجملها ، وما أعذبها ...

علت الآن أنها ابنة أخي مفتش الصحة ، أو هذا ما علمته قنا عامة وعلمه شبابها خاصة . إن جميع الميون تلهمها الهام الجوع ، فلمل هذه الضجة تثير الغيرة في نفوس الآباء الموظفين ، فتشجعهم على الاستهتار بتقاليد الصعيد وأهليه ، وإبراز بناتهم للميان ، ومهما يكن من الأمر فنحن الراجحون

لا تخش على أخيك من قهر ، فهو بطل صنديد وشخصية لا يشق لها غبار ، وإن عيني لتنفذان من بين الميون جميعا وتجذبان عينيها إلى ، فصبرا

بالحقيقة السافرة ويضع آماله بين يدي شهامته وما يمهّد فيه من الاخلاص والورود ، ولكن كبريائه تأبى عليه أن يكون في حبه من السترحين السائلين ، وهو يندفع برغبة جنونية نحو جحيم العذاب كأنما غدا يستطيب النار الموقدة ؛ وأبى إلا أن يعرض حبه لأقصى امتحان . فلما إلى نعيم الطمأنينة ، وإما إلى أهوال العذاب ، وعليه فقد عمّالك وكتب إلى صديقه :

« إذا كانت ثمرة الحب نائحة قاقطها بلا تردد ، فان حكمة الدنيا لتذوب حسرة على ثمرة حب نائحة يزهّد فيها الانسان ، أقدم ولا تبال بالنتائج البعيدة ، وتتمتع بالحب في منى قنا ولا تحمان نفسك هموم التفكير في الغد ، ولا تفعل عن ترويدي بكل جديد فاني أصبحت من تتبع حيك على حب شديد »

وانتظر رد صاحبه بصبر نافذ وجزع لجوج ، حتى وافاه منه كتاب جاء فيه عن عائدة ما يلي :

« بورك من حكيم سديد الرأى ! لقد اتبعت نصحك أيها الأخ ، وضربت لها موعداً همساً ، ووافيت إليه في صباح اليوم الثاني وأنا حائر بين الشك واليقين ، بين اليأس والأمل ؛ ولكن لشد ما كان فرحى عندما رأيته قادمة ! والحقيقة أنها كانت مترددة مذعورة على رغم خلو المسكان الذي يوحى بالطمأنينة في خفية عن أعين الرقباء . وبلغ بها الذعر أنها صرّت في غير ملتفة إلى يدي الممتدة كأنها جاءت لفسير موعدى ، فقيمته وحبيبتها وطمأنيتها حتى قالت لي مضطربة :

« لا أدري كيف جئت .. كيف أطلعتك .. لاخني مضطربة .. » فهدأت خاطرهما وسكنت اضطرابهما ولافتهما بما أوتيت من بيان ومران ومحاسن حتى أفرخ روعهما واطمأننت

الشوق والتطلع تحاول أن تخفيها بهدم أكثر من مقتل ، وأقرأ في عينها استجابات خفيفة لرسائل المهامته اللتهبة ، وأستشرف أحياناً على فها ابتسامات خفيفة ، ولماها تخاطب عهما أو أحد أبنائه الصغار بصوت مسموع وهى تعنّفى . لا تدهش لأقوالى هذه فاني أطاردها في إصرار ، وأتبعها في غناء ، وأخطبها بصوت مكتوم تنبئ عنه شفتاى للتحركتان ، وأبعث إليها بإشارات الشكوى والرجاء ، وقد اقتربت منى مرة وهى تلاعب طفلاً من أبناء عهما وسمعتها تقول له أولى إن شئت : « دائماً في أعقابى ، فإذا تصنع لو رجعت الى مصر ؟ ... » . فقلت لها بهمس مسموع : « لملك لا تمودين ... » ، إنها كلمة ذات مغزى خاص إذا قلنا شاب أعزب موظف مثلى . وقد كان لها الأثر الجليل . والآن أفتنى فانك خبير طبيب عالم بأحوالى ، هل أقدم أم حسبي ما ذقت من لذة بريشة وأولى ظهري ودا أن ينتهى بالتنام ؟ إن ثمرة الحب نائحة دائية تنتظر من يهطفها فما رأيك ؟ ... »

بالظلام ... يا للألم الساخر ... عبقاً يحاول دفع هذه الآيات بالشك والتكذيب ، فائدة بلا ريب هى التى لا تستطيع مقابلة الشوق بالتستر وعدم الاكتراث للفتل ، وهى التى تحدث الغير وتعنى المجدود من الرجال ، وهى التى تحجب عيناها الاجابات الخفية ... وهى تسكرها سيرة الزواج فيا للظلام وبيا للخيبة الفاتلة ... والأدهى أنه يريد منه أن يكون مستشاراً في مسألة قلبه ... ولعله يزجو أن يشير بما يقطع خيط المتكبرات الذى يمسك بكفة أحلامه وسعادته .. فيفيا للسخرية ! من المستطاع أن يحاول اتقاذ سعادته فيمان صديقه

وكتب إليه في رسالة أخرى :

« معذرة أيها الصديق عن تأخير غير مقصود ،
والحق ماذا أقول لك ؟؟ فالحياة الجميلة هي ..
لقاء فأحاديث ، فدايات فتقبل وعناق ، فوداع
ولقاء . إنها غدت مجنونة بي ، وكلا مررت ساعة
اشتد بها الجزع وتكاد تنطق جوارحها : أن اذهب
إلى والدي وخطبه في حينا لأكون لك طول المعر
لإنها أمنية طبيعية ولكن ما كل ما يتمنى المرء
يدركه .. »

ثم كتب إليه بعد حين :

« قومت الألفة نلعم الحياء وسيرت التلميح
تصريحاً وأمست عائدة ناع على أن أكلّم أبها
لنتخذ علاقتنا الصعبة الشرعية المقدسة ، وكانت
حياتي تكون السعادة نفسها لولا هذه المنقصات
والحق أني أجد بين يديها سعادة صافية جميلة
شديد المطف عليها ، وبشت في الضمير ألام مبرحاً .
وإنه ليسوني ما آيت لها من نية التدر والهجر
لأنني في الحقيقة لم أر فيها أكثر من لمهة مجتنية
أسكن إليها في هذا المنفى القصي . وما أشبه غرائي
هذا بفرام الرحالة الجواب تنعده وعوده تنعده
ما يجوبه من البلدان . وما يثير النفس يا صديقي آني
— أول أمس على أثر عودتي من لقائها — جلست
إلى مكتبي شارداً أقاب بمض الكتب فراعني
إلا ديوان شوقي تنشق صفحاته عن صورة حفظها
فيه وكدت أنساها ، هي صورة خطيبي بوجهها
الصبيح الجليل وقد سطر على ظهرها بخط جميل
« تذكّار الوفاء » فكانه سوط عذاب ألهمني نارا ،
ألا فليغفر الله ما تقدم من ذنبي وما تأخر أبها
الجميلة ! والحق لقد اضطرب فؤادي وألقيت على
الصورة نظرة دغر سريعة ثم أخفيت عن عيني أو
أخفيت عيني عنها لأنه وقع في نفسي أنها تعلم بحبيبتني

لقد تحدت ناطويك ، بل طويك جداً ، ولو أردت
أن أسطر لك ما دار بيننا ما انتهيت وما ستمتي
الأسطر ؛ فحسبك أن تعلم أنها فتاة جميلة رشيدة حلوة
المشعر ، مهذبة الطبع ، وإن كانت تغلب عليها حدة
الاحساس وتوقد الماطفة والذهاب مع الخيال .
وقد حاست بمهارة حول موضوع الزواج فخاريتها
بخفة ولباقة لا تهويان بها إلى قرار اليأس ولا تملوان
بها إلى عقد الميثاق ، وعند الافتراق تناولت منها
قبلة شبيهة خلت للحلاوة جدتها أنها أول قبلة
تناهال شفتاي ... »

انتهى الأمر ، وتبددت الأحلام ، وغابت
الآمال وقضت على قلبه الذي انتهى طويك بأفراح
الحب أن يتجرع آلام اليأس والخيبة
واقطعت عنه رسائلها ولكنه كان على علم
متصل بأحوالها من رسائل صديقه التي جاءت تترى
وقد كتب إليه في إحداها :

« أنا — باختصار — سعيد جداً ، غياني
مليئة بالهجة والمسرة ، وعائدة خير عزاء عن
الوحدة والوحشة في هذا المنفى السحيق ، وإني كلما
أذكر أني سأحرم هذه اللذة بعد شهر يشيب شعري
من الهول ، وأضمد إلى صدري بشغف ، وأنهم
منها قبيلات ملتهبة كأي اخترن منها ما أعود إليه
عند الفراق . أما هي فتعتقد أنها لن تعود إلى القاهرة
أو أنها تعود لكي ترجع إلى إلى الأبد ، فمن يندريها
أن لي خطيبة تنتظرني في القاهرة من سنوات
طويلة ... »

وهذه المناسبة أقول لك إن عائدة من اللانقي
وهيمن الله دلالاً وقتنة ، ولكنها على قدر غير هين
من الاستهتار والزرق ؛ أما خطيبي فتشابة حبيبة
هادئة الطبع وعلى خلق عظيم ، وإني أدخرها للزواج
وأنا سعيد »

من هذه الفتاة النافذة الثمارة التي لم يميزها الله إلا بمظاهر الجلال المتبدل لا يلبث أن يتبخر أثره في الهواء . وسهما يكن من الأمر فإن ينقضي أسبوع حتى تسكون الأنسة عائدة في طريقها إلى حيث ألفت »

قرأ جميع هذه الرسائل - رسائل صديقه وقاله - بأمان شديد

وكانت تتسلط على نفسه في ذلك الوقت عاطفتان : عاطفة حزن عميق وشعور حاد بالخيبة والغيرة وانهباء الأمل جعلته لا يذوق لذة في اليقظة ولا راحة في السهاد ، وعاطفة تشف وانتقام أن تنتهي بها الحياة إلى مثل ما انتهت به الحال من خيبة أمل وانهباء صرخ سعادة ...

ولم يفرط في واحدة من هذه الرسائل التي سجلت تاريخ أكبر هزة عنيفة امتحن بها شبابه لجمعهما في رزمة وحفظها في حق عاكي جميل ووضعها في مكان أمين وانتظر ...

جاءته رسالة مقتضبة من عائدة نفسها تعلقه بقدمها وترجوان يذهب للقائها في موعدها المهود عند المصير ...

وفكر في أمره طويلاً ، تفكير من تسيطر عليه عاطفة مسمومة ونفس جريحة حتى انتهى من أمره إلى تدبير ، فذهب إلى الموعد في الساعة الممهودة ، ولم ينتظر هذه المرة لأنه وجدها في انتظاره ، واستقبلته بيدين مفتوحتين وابتسامة مشرقة ، فضمها بين ذراعيه وأتم شفتيها وهو يبتسم ابتسامة كلفته غالباً من الجهد وضبط النفس وجلسا إلى نفسيهما كما كانا يفعلان في الأيام الخوالي السعيدة ، وصمما تقول بفرح قائل : « وأخيراً »

وأنها تصوب نحو نظرة لا تمشأ أمامها الخيانة » وكتب إليه في رسالة أخرى يقول :

« لست فتي عصياً كما كنت أعتقد ، ولو أني كنت كذلك لما هالني القدر ولا كبرت على نفسي الحياة ولسهل على اصططاع الوداد للفتيات اصططاع تحيات الصباح والمساء ، ولهذا نجدني معذبا موزع القلب فلا أنا بالراضى على نفسي لأنني نكثت ميثاق خطيبي ولا أنا بالسعيد بما أتى من حب عائدة التي رماني تفتانها في هاوية من الندم

ولا يخفى عليك أن الملل عرف طريقه إلى نفسي وأنا بت منه في سقام ، وقد كانت ذلك مقدوراً ولكن ما الذي يجعل به ؟ .. لعله ذكري خطيبي ، أولم له أني أقيت على عائدة إقبال منهوم جائع فامتصت حلاوتها في رشفة ، أو ربما كان ذلك لأن جمالها طلاء لا يخفى من ورائه شخصية ذات بهاء وجلال » ثم كتب :

« أمسى اللقاء غير ذي ثمرة ، لأنني من ناحية بت أعاني من السأم وارهاق الضمير ، ومن ناحية أخرى فالفتاة تصر على مخاطبتي في شأن الزواج ولا تسكاد تصبر عن هذا الموضوع فرمت بي في الحرج والحيرة ، وينتهي موعد اللقاء ونحن لم نفرغ من الجدل القيم والتضييق السقيم والاعتذار والهروب المفضوحين »

وأخيراً كتب إليه يقول :

« لأول مرة أخلف اليماد ، وإني لأعذر نفسي وأغبطها ، وأرجو أن تفهم الفتاة أن هذا مني إعلان بالقطعية ، ولم يكن من هذا بد بعد أن بلغنا في علاقتنا موضعاً ينبغي أن يتقرر فيه المصير ، فاما إلى عين وإما إلى شمال ، وما كان ينبغي لي أن أخشاك من جديد ، وما أحجبت ذلك قط فإن خطيبي تنتظر أوبقي بفارغ الصبر وهي أكرم على نفسي

فاعتقادي أنه لدينا ما يلزم لنا حديثه أكثر من هذا ... »

« طبعاً .. طبعاً .. ولكن وأسفاه قد قدر على أن أحرم هذه اللذة الليلة .. لأن أوى مريضة وينبغي أن أكون إلى جانبها سريعاً فلنؤجل هذا الحديث للمتم إلى المرة القادمة فنظرت إليه قلقة وسألت :

« مالك ؟ لست كهمدى بك ! تقول إن أمك مريضة ؟ لا بأس عليها .. أمضطر أنت إلى الذهاب إليها حالاً ؟ »

إنه يحس رغبة شديدة تدفعه إلى الانفجار لينفص عن صدره بعض غليانه المكتوم وحقد المدفون ، ويود لو يخبه هذا الزياء بما يمزق قناعه ويهتك ستره ويفضح شناعته ، ولو فعل ما جنى على الرحمة والمدالة ، فمن حقه أن يصب جام غضبه ويثأر لآلام قلبه ويعيق الخيانة والسكر السيئ

ولكنه كان قد انتهى من أمره إلى مرفأ لا يريم عنه ، وكان بطيمه هادئاً رزينا كتوماً يذ فيه العقل الهوى وتنقلب لديه الحكمة على الثورة ، فثاب دواحي الغضب في نفسه حتى أسكنها وقال بهدوء غريب :

« إلى تمب مهموم مكدود الذهن ، ولولا شدة توق لرؤيتك ، ما هان علي أن أقادر أوى ، وهى طريحة الفراش ... فلنفزع من هذا اللقاء ولو على مضض ... والآن اسمح لي أن أقدم إليك هدية جميلة : هذا الحق العاجى ... ورجائي ألا تسميه إلا حين خلوتك إلى نفسك فى غرفتك لتحظى بالمفاجأة السعيدة فى غيبة عن أعين الرقباء ... وإلى اللقاء القريب أيتها الحبيبة ... »

تحيات محفوظ
لبناسية آداب — القاهرة

فردد قولها : « وأخيراً » ثم نظر إليها بعينين مبهجتين تخفيان دهشة وقال لنفسه : يا عجبا ! ما أقدر كن أيتها النساء على إخفاء مشاعر كن وتكلف ما ليس يكن ! وانطلقت هى تقول :

« أستطيع أن أخبرك كم ثانية غبتها عن طوال هذه الدمة الثقيلة لأرجعها الله »

« الذى يبدو لي أن استغراقك فى حساب الزمن شذاك عن الكتابة إلى »

« أنسخر منى ... آه لو تعلم كم كانت تكلفنى الرسالة أكتبها إليك . كنت أتسلل إلى مكان قصى بالبيت كي ألقى نفسى عن أعين أبناء عمى ... فيجدون فى أثرى ويبددون عزائى ويفزعون أخيلتى النسيجة وهواطى الحارة ، فإذا انتهيت منها احترت كيف أسلمها إلى صندوق البريد »

« ألم يكن الخروج حيناً عليك ... »

« أحياناً مع عمى »

« لم لم تخرجى فى الصباح وعمك فى عمله والجو خال ؟ »

« لو فعلت لكان أمراً مثيراً ... والشبان هناك جاثمون أراذل عديمو الشرف ... »

« يا سلام ! ... »

« نعم يا عزيزى ... »

فهرز كنفه وقال وهو بنعم فيها النظر :

« أرى عذرم بينا ... فمن يطالع هذا الوجه الجليل ولا يقهر على الحب قلبه ؟ ولكن ماذا صنعوا معك حتى استحقوا عندك هذا الحكم القامسى ؟ » فصمتت لحظة ثم قالت :

« إنها صفات مؤلفة لا يبنى عنها الشبان ... ولكنها ليست بذى بال ... فلندع هذا الآن .. »

وترفق صورة من هذه الأسئلة والأجوبة مع تقرير
وحيز بالقطرمز الحاموي « لعينات » التي والبراز
لإرسالها للتحليل . هذا مع عدم نسيان تص أطافر
المهم ، وقص جيوبه وإرسالها كذلك داخل أحراز
مختومة للتحليل السكايوي . إذ كثير ما تكون
آثار الزرنيخ عالقة بالأطافر والجيوب . وناديت
كاتب التحقيق وأمرته بتهيئة اللازم للقيام وطلبت
إليه الاستشارة المذكورة ألقى عليها نظرة وأذكر ما فيها .
فأحضرها وأحضر معها التعليمات فقرأت ما يلي :

« فقرة ١٤١ — عند إرسال الأحراز إلى القلم
الطبي الشرعي ... على النيابة أن ترسل في آن واحد
للائب العمومي ... الاستشارة الآتية بعد استيفاء
جميع الخانات بالضبط :

- (١) تاريخ التبليغ عن الحادثة
- (٢) اسم المصاب وعمره وجنسيته
- (٣) هل كان المصاب في صحة جيدة قبل
الاصابة ؟

(٤) الأعراض التي لوحظت : كالقيء ، الاسهال
الألم ، العطش ، ألم الرأس ، الدوار ، فقد قوة
الأطراف ، التقلصات ، النعاس ، العرق ، التيسيس
حالة الحذقتين ، النبض ، التنفس !

(٥) هل كان المصاب يشكو من مذاق خاص
في فمه من الطعام ؟

(٦) هل حصل للمصاب تحدير أو تنميل
لبسانه أو أطرافه ؟

(٧) هل حصل للمصاب غيبوبة ؟

(٨) هل حصل له تشنجات أو التواءات
بالفضلات ؟

(٩) هل ظهرت الأعراض فجأة ؟

(١٠) هل سبق أن حصل للمصاب حالة تشبه
هذه ؟



مَصْحَافُ الْيَايَمِ

يَوْمِيَّاتِي فِي الْأَرْيَافِ

لِلْأَسْتِثْنَاءِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢١ أكتوبر ...

ماكدت هذا الصباح أُرشف فنجان القهوة
على مكثتي حتى وردت إشارة تليفونية بوقوع حادثة
تسمم في دائرة المركز : امرأة تناولت من مطلقها
فطيرة فظهرت عليها الأعراض ، وهي تهمة بسمها
للنخلص من النفقة الشرعية . كلام معقول . ومسألة
تستدعي التحقيق من غير شك . ولكني من جهة
أخرى أعرف قضايا التسمم . وما فيها من « قرف »
خصوصاً على الصبح . وأعلم أنني سأنتقل فأجد امرأة
عائمة في بركة من القيء والبراز . وكلا وجهت إليها
سؤالاً تلقيت جواباً لا من السكيات بل من ال...
أعوذ بالله ! ولم أعالما وأخرجت مندبلي وبصقت
فيه . وجملت أفكر في إحالة هذه القضية على
المساعد . وطلبت به بالفعل فحضر فسلمته الإشارة ، فر
عليها بنظرة سريعة وصاح :

— تسمم ! وأنا عمري حققت قضايا تسمم أو
حتى حضرت بتحقيق التسمم !

كلامه هو الآخر معقول . خصوصاً التسمم .
حتى أنا القديم التمرن ، لا أستطيع تحقيق هذه
القضايا إلا وسمي « الاستشارة » للنصوص عنها في
تعليمات اللائب العمومي . هذه الاستشارة فيها أسئلة
معينة بالذات لابد من سؤالها وتلقى الجواب عنها .

وقلت المساعد أن يذهب هو لحضور التشريح وإفادتي بنتيجته بمجرد الفراغ منه . فضى هو إلى المستشفى . ومضيت أنا إلى منزل المرأة التي أكلت الفطيرة ؛ وكان الأمر فملاً كما توقعت : وجدت المرأة في سخن الدار وحوها جاراتها لم يتركن فيها يخيل إلى آنية ولا « حلة » ولا « كروانة » في الحارة إلا أنين بها ووضعها تحت فم المصاصة المطروحة أرضاً تتلوى ونحشر ج . ونظرت نظرة إلى كاتب التحقيق فهم منها أن يفتتح المحضر ، وتقدمت بين الأواني المملوءة حتى دنوت من الجني عليها وسألته :

— اسمك وعمرك وجنسيتك ؟

فلم تجب . ولم بيد على وجهها الباهت المتقاص العضلات أنها فهمت عني . فأعدت عليها السكرية في شبه صياح ، فلم يخرج من فمها غير أنين طويل ممزوج بشروع في قء جديد . وقد أسرع بعض النسوة إليها يستندن رأسها المائل بأكفهن ، وهن يتهاشن :

— أيوه يسديها في غلبها !

فأجبت مؤمناً على منطقتهم وكأني أخاطب نفسي :

— والله كان بودي أن أتركها في غلبها ، لكن أعمل إيه ؟؟ قلم النائب العمومي في انتظار الاستمارة والعطرميز !

وتشجعت امرأة استنة بين النسوة وقالت لي :

— « مش ادمدى » حضرتك طالب تعرف

اسمها ؟ اسمها نبوية

— نبوية إيه ؟

— لا ما نعرفش غير نبوية . أهي في الحارة

كنا نقول لها تعالى يا نبوية روي يا نبوية

ولكن هذا لا يكفي . ولا بد من كتابة اسمها كاملاً . فتوسلت إلى النسوة أن يساعدنني على حملها على النطق بدقة واحدة . فتكأرن عليها ورففن

(١١) الفترة بين تعاطي المادة المشتبه فيها وأول ظهور الأعراض ؟

ملاحظة — يجب ذكر تواريخ واضحة وساعات معينة عما تقدم أى أنه لا يقال مثلاً بعد اليوم الثاني بثلاث ساعات أو في يوم (الاثنين) بل يقال مثلاً ابتدأت الأعراض في الساعة ٤ بعد ظهر يوم ١٦ شهر كذا سنة كذا وأول ما لوحظ منها هو كذا وذلك في الساعة ٣ مساءً أو صباحاً بالضبط ...

شيء جميل جداً !! كل هذه الأسئلة ينبغي أن تطرح على مصاب لا يعرف رأسه من رجليه . والأنجب من ذلك أن نطالبه بأن يخبرنا بأن الأعراض ابتدأت في الساعة كذا بالضبط . إذ لا ينبغي أن يقال مثلاً في يوم (الاثنين) . بل على هذا المصاب للسكين الفارق في متحصلات جوفه الشاعر بالدوار وققد قوة الأطراف والتقلصات والنماس الخ الخ . باعتراف الاستارة ... على هذا الرجل أو هذه المرأة الفلاحة الساذجة التي لا تحمل في جيبها ساعة ورعاً لم ترف حياتها الساعة أن تقول لنا إن الأعراض لوحظت أول ما لوحظت في الساعة ٣ والدقيقة بالضبط !!

النهاية . فبنا نصب هذه الأسئلة على رأس المرأة السمومة . واسطعيت معي المساعد يشاهد حتى تزول حجبته في المستقبل . غير أننا ما كدنا نتحرك حتى وردت إشارة تليفونية أخرى قدسها إلى الحاجب قلت :

— نهار باين من أوله !

وقرأت فإذا هي إخطار من المستشفى الأميري بوفاة قمر الدولة علوان . فصحت : « مات الرجل قبل أن نعرف منه سر الموضوع » . وطلبت قلماً وأشرت في الحال على ذيل الإشارة العبارة المألوفة في مثل هذه الحالة : « نأسر بتشرح اللجنة » .

النسوة إذا خالجن طمع في أن أتلق من هذه الطريحة جواباً بالساعة والدقيقة عن الأعراض والفترة بين تماطى المادة وظهور أول ... إلى آخر هذا الكلام المطبوع على استبارة صنمت فوق مكاتب العاصمة في صفاء وهدوء بال بعيداً عن مناظر التلذذ والاسمعال : وأومات إلى الكاتب أن « أقفل المحضر » وأفهمته أن المصابة لم تكن استجوابها واكتفينا بأخذ « عينات » التلذذ والبراز وقص أطراف وجيوب المنهم . ثم عدنا إلى دار النبوة حيث ارتبعت على مقعدى تمباً أغضضت عيني قليلاً ؛ ثم فتحتها على صوت الباب بفتح وقد دخل منه مساعدى أصفر الوجه . فأققت من خولى في الحال وابتدرته :

— مالك ؟

— التشرع

— آه حضرت العملية ، والنتيجة ؟ ؟

— النتيجة أنى أنا ...

وجلس على كرسى قريب ؛ خدعت بنظري ملياً في وجهه . ففهمت كل شيء . إن هذا الشاب قد حدث له ما حدث لي يوم حضرت لأول مرة تشرح جثة آدمية . هذا الشاب الرقيق الذى خرج بالأمس من بين الكتب ؛ تلك الكتب التى أرتنا وأفهمتنا أن الانسان شئ عظيم ، إنه هو محور الكون ، وأنه المصطفى المحفوظ دون بقية المخلوقات بنبأته الخالقي الأعظم ، وأنه الكائن النوراني الروحاني الذى سوف يبعث ؛ هذا الانسان لم يتح لكثير من الناس أن يطلعوا على تركيبه من الداخل ؛ فإذا ما اطلع أحدنا على ذلك سرت في نفسه صدمة يختلف تفسيرها باختلاف مزاج الشخص وطبيعته وثقافته ؛ وإنى لن أنسى أبداً يوم وقفت للمرة الأولى على رأس جثة رجل أصيب في دماغه بعبارة ناري أطلق عن قرب فبكر

رأسها الذى لا يريد إلا أن يقع على صدرها ومحسن في أذهنها يرجونها الكلام وإجابة البك النبوية . وبعد ساعة بالتام حركت المصابة شفتيها فاستبشرت النسوة وشجعنها رايات على كنفها :

— أبوه ... أبوه ردى علينا يا حبيبتى !

فأسرعت أصيحج قرب أذهنها وقد تعصب

الغرق منى :

— اسمك ؟ اسمك إيه بقى ؟ ...

فأنت وزامت وقالت في صوت خافت متهدج :

— اسمى ... نبوة

فكدت أشق ثيابي :

— مفهوم ! نبوة ! كويس خالص ! لكن

نبوة إيه ؟ اسم « أبوك » إيه ؟ أنا فى عرض

« أبوك » ! نبوة إيه ؟ ولكنى أخطب وأنوسل

إلى شبه جثة . فقد انحدر رأسها وسقط على صدرها

تمن جديد . ولزمت الصمت إلا من ذلك الأنين

الخافت . وبلغ مني اليأس والضييق ، فصضت

في النسوة صيحة داوية فأسرعن وأنهنضنها مرة

أخرى ومسحن صديها بالماء البارد وناجيها

بالكلام المذب إلى أن ظفروا آخر الأمر بإسمها

كاملاً . ولكن بقى في الاستبارة عشرة أسئلة !

وإذا كان ذكر الاسم على بساطته قد اقتضى هذا

المجهود ، فكيف بالباقي ؟ خصوصاً السؤال الأخير :

بيان الفترة بين تماطى المادة المشتبه فيها وأول ظهور

الأعراض ؟ مع وجوب ذكر تواريخ واضحة

وساعات معينة كما تقول للمحظة ! ! أى أن هذه

المرأة التى لم تخرج اسمها من بين فكها إلا بعد أن

كادت تخرج أرواحنا ستقول لنا عن الساعة

والدقيقة بالضبط التى لاحظت فيها ظهور الأعراض

أول ما لاحظت ؟ شئ جميل ، أنا مجنون أسأل هذه

الأسئلة ؟ أليس في عيني نظر ؟ ماذا تظن بعقلي هؤلاء

— جرح نأرى طوله أربعة سيمتر . . .
وحاول أن يمر بأصبعه على الرصاصة فلم يستطيع
فتناول منشاراً من المدن من حقيبته وجعل ينشر
الجمجمة من الجهة ليفتح الرأس فلم ينجح في نشرها
لصلابتها فأخذ مطرقة صغيرة من بين أدواته وطلق
يدق بها فوق المنشار كأنما يدق على علية « سدين »
وسمعت إحدى العجائر ذلك ورأت من فجوة السطح
ذلك الدق و « المبد » في رأس رجل المائلة وعميد
الدار فوضعت كفها على خدها وقالت متنهدة :
— اسم الله عليه !

هذه الكلمة حزني . ووجدت لوقتها غربة .
إن تلك المعجوز ما زالت تعتقد أن رجلين هو
رجلين بشخصيته وأدبيته ، أما أنا فقد لحظة
قد بدأت أشك في ذلك

وتم زرع الغطاء أو « القراغة » ، وظهر من تحته
الغلاف الرقيق الذي فوق النخ مباشرة ، فرقة الطبيب
عشر طه ، وجعل يفحص ما حول الجرح وهو على :
— تزيف دموى شديد بأنسجة المخ . . .

وجعل يبحث بأصبعه عن الرصاصة فلم يجد
شيئاً . واستمر في البحث حول تلك المنطقة القروية
من الجرح فلم يمرر للرصاصة على أثر . أين ذهبت
إذن ؟ وليس هنالك من فتحة أخرى يظن أن
المقذوف خرج منها . ولما يبأس الطبيب . وقال
لي باسم : إن المقذوف الناري يتخذ أحياناً خطوط
سير عجيبة في جسم المصاب وأحياناً تدخل الرصاصة
من البطن فلا يمرر عليها إلا في الفخذ : قد يكون
هكذا معقولاً . ولكن رصاصة تدخل من الرأس
تستخرج من القدم هذا شغل « حواء » ولا أدق
أن الرصاصة لها كل هذه المقبرة . واستاء الطبيب
أخيراً وصاح :

— وعلى إيه ؟ آدى مخ الراحل بحاله . . .

الجمجمة وهناك الجدار الأيمن للأذن حتى برز جزء
من جوفه المخ ، وحضر الطبيب للتشريح فقامت
معه أشاهد ما يفعل ، وتكادنا النبط الذي وقمت
فيه الحادثة ، وانتقلنا إلى دار المجنى عليه ، وهي دار
قروية متواضعة ، وهي « بالقتيل يحمله أهله وقد نفوه
في لحاف جديد « بيوشه » ، ومن حوله النسوة
بموبلن وسباحن وطينن يطنخن به وجوههن
وكان منى مأمور نشيط أر رجلاه بإخلاء المكان
إلا من رجال الحفظ والطبيب وحلاق الصحة
ومعاونيه ، وأنوا « بطشتين » كبيرين وضموها
تحت « دكة » عريضة من الخشب في صحن الدار ،
ووضع الحلاق ومعاونوه الجنة فوق « الدكة » وخلعوا
ملابس القتيل ، وكانت جديدة احتفالاً بفيدي
الفطر ، إذ وقمت الجريعة في اليوم الأخير من شهر
رمضان ، كأنما أراد القاتل أن يسرع خشية أن يحمل
الميد وغريمه على قيد الحياة ، وحرصاً منه على أن
تسكون هدبة الميد تلك الرصاصة في رأس القتيل ،
ورغبة منه في أن تتغير نعمة أصوات الميد وأنشيد
التصاعدة من جوف هذه الدار ، وأعمل الطبيب
الشرط حالاً في رأس القتيل وهو على على الكاتب :
— ونزعنا القروية (يقصد قروية الرأس طبياً)
وعندئذ علا صياح النسوة ، وكن قد تسألن
وتسألن سطح الدار والأسطح الجاورة « المرشة »
بخطب القطن والذرة ، وسمعت بين أصواتهن
الخططة صوتاً رفيعاً حاراً مؤثراً أروع قاني بصيح :
— يا شجرة و « مضللاً » يا بوا
وتلا صوت آخر في مثل وقته ولهيه وقد
امتزج بنشيج وبكاء مر :

— بالي كنت خارج دجورك في بطنك يابسة
وتم زرع القروية ، ووضع الطبيب أصبعه في فتحة
الجرح يسبر غوره ويمرر حدوده ، وأمل الكاتب :

مليا . فأتضح لنا أن الرصاصة قد تكون سقطت من نفس الجرح لاتساعه وقلعها وسقطت بسقوطه على الأرض . وفرغنا من العمل وانصرفنا وأنا أعجب لما حدث في نفسى من انقلاب . أما الرقيق الحس أرى الجزر والتقطع بل أربيه ولا أرتعد ! ثم أى خيبة أمل ! لقد كنت أحسب الانسان أعظم من ذلك ! كلا ، لا ينبغي أن نرى أنفسنا من الداخل .

إن صورة ما رأيت لا يمكن أن تزول من مخيلى . ولا ريب أن تلك المناظر قد أحدثت في نفس مساعدى أحداثا . وأردت أن أسأله في ذلك . ولكن الباب فتح وظهر حاجبى ومعه إشارة تليفونية فقلت :

— اللهم خيرا !

وتناولات الإشارة . وما كدت أتى عليها نظرة حتى سحبت :

— البنت ريم ؟ ! . .

فأسرع مساعدى متلهفًا .

— مالها ؟

— وجدوا جثتها في الرياح قبل البلد ؟

— وماتت ؟

قلت لك وجدوا جثتها ، خذ اقرأ الإشارة ! فأخذ المساعد الورقة وجعل يقرأ بعينيه حتى وصل إلى آخر عبارة وهى : « ويحتمل أن يكون سبب الوفاة اسفكسيا القرق » وقفت عيناه عليها لحظة من التأثر ، وكنت أنا أشد منه حزنا على انطفاء حياة هذا الشئ الجليل بهذه السرعة وأطرقت قليلا أفكر في سوء حفظنا ، لا من حيث العمل ، ولا لأن ريم مفتاح من مفاتيح القضية ؛ بل لأنها كانت صورة بديعة هزت نفوسنا جميعا عالقنا ومجنوننا ، وغلوقا حلوا متخذا أوقات حلوة ولحظات مشرقة ، ونسبا عذبا على

وأخرج بكنتا يديه كل ما في الجمجمة من مخ حتى أخلاها فأصبحت مثل « السلطانية » النظيفة وقسم هذا المخ أقساما أربعة أعطى كلا من معاونيه قسما وكلفهم أن يبحثوا عن المذوف بحثا جيدا فعملوا « بانوصون » بأصابعهم في هذه المادة التى يمزى اليها كل نبوغ الانسانية ، حتى صيروها شبه سائلة كالمهلبية ؟

هذا هو مخ الانسان !

قلت ذلك همسا لنفسى : وقد بدأ الروع الذى أخذنى أول الأمر يزول عني شيئا فشيئا . وتصلبت أعصابى ومهد إحساسى وتيقظ في نفسى حب الاستطلاع ؛ ورغبة أن يفتح أمامى كل هذا الجسم السجى لأنظر فيه . وما دمت قد رأيت المخ هكذا فلنر القلب ولنر السكبد ولنر الأحشاء . لم يمد هذا الرجل في نظرى رجلا ، إنما هو ساعة خيط كبيرة ممددة أريد أن أفتحها لأشاهد آلائها وتروسها ومجلاها وأجرامها

ولم يجد الرجل شيئا كذلك بعد البحث الطويل . إنه لسوء حظ كما قال الطبيب ؛ ولكننا مطالبون بالنتيجة على أية حال . ها هو ذا القتل ولا بد أن تكون الرصاصة فيه . وشمر الطبيب عن مساعد الجد والضيق وأعمل الشرط في ذلك الجسد ، وأنا من خلفه أشاهد وأقول :

— اقطع ! اشترط ! ...

وأخذتني حتى غريبة وفقدت كل شعور إنسانى فجئت أقول للطبيب : أرنى رثتيه ، أرنى أمعاءه ، أرنى الطحال الخ الخ . ولم يتردد الطبيب ، وشرط الصدر حتى أسفل البطن وأخرج القلب ثم الأمعاء وأملئ :

— وجدنا القلب سليما ، والأمعاء بها طعام مهضوم ، ولم نثر مع كل ذلك على شئ . ففكرنا

حتى سمعنا صياحا في الطريق ، فقمنا إلى النافذة ،
فاذا بنا نرى الشيخ عصفون يجري في الطريق ،
عاري الرأس بدون عوده الأخضر ، والصبيبة
والثلاثان ، وجمع من الأهالي خلفه وهو يصيح
كالهجينون :

ورمش عينها يا ناس
بفرش على الميت
واحدة بياض شفثنى
والثانية بلطيه
والثالثة من بدعها
غرقها في اليه ...

وثار يردد ذلك بصوت نارة كالعويل ونارة
كالثير ، ونارة في حركات كركات خطباء المساجد
وهو يمشي أحيانا ويرقص أحيانا ويجري في كل
جهة حتى اختفى عن أنظارنا ، فلبثنا عند النافذة
سامتين مأخوذتين ، ثم انتبهنا بعد لحظة وعدنا حيث
كننا من الحجرة ونحن نقول لمن يحاطب نفسه :
— مسكين !

وعدت الى الاشارة ، وأسكت بالقلم من
جديد ، ولكن الشك والتناقض خالجانى ..
— سمعته لما قال : « غرقها في اليه » من
اللى غرقها ؟ !

فقال المساعد :

— دى « هلسة » مجانين ! حانفتح تحقيق
بناء على « خطرقة » رجل غبول في الشارع ؟ !
أظن الأحسن ندفن البنت وننتهى !
فجاء قوله ترددى ، وضغطت على القلم ضغط
الزم والافتناع وخططت أمر الدفن وأنا أقول :
— صدقت ، أنا حتى نقضى انصدمت عن

القضية وأصحابها !
(يتبع)
توفيق الحكيم

صحراء حياتنا العاطفية المجدبة في هذا الريف القفر
واستيقظت من تفكيرى ، ورفعت رأسى
ومددت يدى إلى مساعدى أسترد الاشارة وأخط
عليها العبارة المألوفة : « نأمر بتشريح الجثة » ،
وبجأة تنهت إلى قطاعة هذه العبارة ، نعم لأول
مرة أجدها فظيمة ، طالما شرعنا جنينا ، فليكن ،
وإلى لعل استمداد للتشريح نصف أهالى هذه
البلدة ، أما هذه الفتاة ... أما هذا الجلال لغرام أن
نغزفه نأمر ما بداخله ، ولج مساعدى نص الاشارة
بنظره الحاد فصاح :

— أظن نأوى تقول لى احضر التشريح

— ومين غير حضرتك ؟ !

— مستحيل ، أنا أولا كفاية على تشريح
الصبح ! حرام ! أقمد طول النهار أشاهد فتح
جثث ! أنا مساعد نياة مش مساعد حانوى ! نأينا
البنت دى بنوع خصوصى ...
فتأملت قوله ، وعذرتة . وأطرقت لحظة
ثم قلت :

لك حق ، ديم بنوع خصوصى ! من له
قلب يحضر .. أنا لو دفعوا لى عشرين جنينا ... !
هات الاشارة نشطب على التشريح ونأمر بالدفن
ونخلص ... !

والواقع أن فى أيدينا أن نفعل ذلك بدون أن
نتمرض للنقد والمسئولية ، فالطبيب الذى كشف
عن الجثة عقب استخراجها من النهر قرر أن
الوفاة من اسفكسيا الفرق ، أى أنه لم يجد آثارا
مشتبه فيها تدل على أن الوفاة جنائية ، فاجرام
التشريح في هذه الحالة دقة لا مبرر لها ، أه لرجال
الفقة والقانون أصحاب الفرض ! إنهم يستطيعون
أن يتصرفوا على كل وجه تصرفا منطقيا مقبولا .
وماكدت أمسك بالقلم لأشطب الأمر السابق

الذئب جالساً

للكاتبة الإنجليزية كاثرين منسفيلد
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

جلس الشيخ ووديفيلد على كرسيه المريح يدخن السيجار الذي قدمه إليه صديقه ، وينظر نظارة ، يكاد يبدو فيها أثر الشرة ، إلى ذلك الصديق الذي يدور فوق كرسيه مكتبته معتدل القامة أحر الوجه ، فهو وإن يكن أكبر من ضيفه سنًا بخمس سنوات

إلا أنه لا يزال قوياً ولا يزال قابضاً على اللدقة ، وإن الانسان لينتمش بالنظر إليه . ثم قال الشيخ بصوته الصفيري في شيء من اللباقة والاحباب :

« نعم ، يشهد الحق أن هذا المكان هاني »
صرخ : « »

فقال المدير ، وهو يفتح صفحات جريدة فينشال تيمس بمقطع الورق :

« نعم ، إنه صريح بالقدر الكافي »
والواقع أن الرجل كان تغوراً بفرفة مكتبته ، وكان يحب أن يعجب بها الناس وبخاصة صديقه المعجوز الشيخ ووديفيلد . ولقد كان من أشد بواعث شغور الرضى العميق الثابت في نفس المدير أن يجلس معتدلاً وسط هذه الزرفة متمركزاً تمرساً تاماً لنظر صديقه الشيخ الضعيف الطلع في ذلك الكرسي الكبير الذي يكاد يخفيه عن العيون وقال المدير موضحاً كوضوح الأسابيع الماضية التي لا يذكر عددها :

« لقد أعددت هذه الزرفة أخيراً اعداها جديداً ، فهذه سجادة جديدة » . وأشار إلى السجادة الحمراء الزاهية ذات الرسوم والدوائر البيضاء الكبيرة ثم قال :

قال مستر ووديفيلد في صوت يشبه الصغير :
« إنك هنا مستكل جميع أسباب الراحة والرفاهة . . . »

وكان مستر ووديفيلد جالساً على كرسي كبير من النوع المريح من الجلد الأخضر ، إلى جوار مكتب صديقه المدير ، وأطلن مستر ووديفيلد وهو يوجه هذه الكلمات إلى صديقه ، من كرسيه كما يطل الطفل من عربته ، وبهذه الجلسة ختم حديثه معه ، وقد آن موعد انصرافه ، ولكنه لم يكن راغباً في الانصراف ، فهو منذ أن استقال من عمله ، أو بعبارة أخرى منذ أن أضرب عن العمل ، اعتادت زوجته وبناته أن يجتسنه في البيت طوال أيام الأسبوع ما عدا يوم الثلاثاء ، ففي يوم الثلاثاء يسبح له بأرئداء ملابسسه واصلاح هندامه والغروج إلى طرقات المدينة ، حيث يقضي النهار كله أتي شاء ، ولكن لم يكن في مقدور زوجته وبناته أن يتخلين ما يعمله في أثناء غيبته عن البيت ، على أيهن كني يفترض أنه يزور بعض أصدقائه فيضابقهم بأحاديثه .. وقد يكون هذا الافتراض مطابقاً للواقع والحق أننا لننتشبت بعمراننا الأخيرة كما تنتشبت الشجرة بأوراقها الأخيرة أيضاً ، وهكذا

« هذا هو الدواء ، ولقد قال لي الرجل الذي أخذته منه ، في لهجة التوكيد ، إنه جاء به من مخازن قصر وندسور »

فلما يقع نظر الشيخ ووديفيلد على الزجاجة حتى فترقاه ؛ ولم يكن ليدهش أشد مما دهش لو أن صاحبه أخرج بدل الزجاجة أرنباً وقال في لهجته الصغيرة :

« أليس ذلك هو الوسكى ؟ »

فأدار صاحبه الزجاجة وأراه رمزاً مصغراً فقد كانت بالفعل زجاجة وسكى

وقال ووديفيلد وهو يمدق النظر في صاحبه : « أتعرف أنهم في البيت لا يسهون لي بتدقيق الوسكى ؟ »

وبدا عليه كأنه يكاد يصبح من شدة الفرح . وقال صاحبه رافقاً صوته :

« آه ... هذا هو الموضوع الذي نعرف فيه أكثر قليلاً من السيدات »

ومال نحو قدحين كانا على السائدة مع زجاجة الماء فصب في كل منهما كمية وافية من الوسكى وقال : « اشرب هذا فسيفيدك جداً ، ولا تخزجه بشيء من الماء ، فمن الخسارة إفساد مثل هذه اللادة المقدسة . آه ! »

ثم جرع كأسه وتناول منديله فمسح شاربيه مسرعاً ، ونظر من طرف عينيه إلى ووديفيلد الذي كان يداعب قدحه بشفتيه

وشرب ووديفيلد القدر دفعة واحدة ، وبقى لحظة صامتاً ، ثم قال في صوت خافت :

« إنه شديد الرائحة »

ولكن الخمر دفأته وأعادت قوته لتذكر إلى رأسه البارد المجوز - فتذكر وقال وهو يرفع نفسه ليقف على قدميه :

« وأناث جديد » وأشار برأسه إلى المكتبة الكبيرة والسائدة ذات الأرجل الملتوية ذات اللون العسلي ، ثم قال :

« ومدافى كهرمانية »

ولوح بيده مبهجاً نحو الخس الأنابيب الشفافة المضئنة باللون الأحمر اللطيف داخل جهاز من النحاس ذي رفرف كالمظلة فوق هذه الأنابيب

ولكن الرجل لم يوجه نظره ووديفيلد إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة فوق المكتب والتي تمثل فتى عابس الوجه ، وفاقاً في لباسه العسكري ، وسط واحدة من تلك الحدائق الخيالية التي يدها الصبورون في دورهم ، وراءه سحب متكاثفة هي كذلك من صنع الخيال . ولم تكن هذه الصورة جديدة في مكانها هذا ، فهي معلقة فيه منذ أكثر من ست سنوات

وقال ووديفيلد المجوز :

« كان عندي ما أردت أن أقوله لك »

وهنا ظلت عينيه غشاة الذكرى ثم قال : « والأنا لا أكاد أذكر ما كنت أريد أن أقول فما هو يا ترى ؟ لقد كان في رأسي عند ما غادرت بيتي صباح اليوم »

وبدأت يدها ترتجفان وبدت بقع حمراء على خديته فرأها صاحبه وأشفق عليه وقال في نفسه : إن هذا الصديق المسكين قد بذل أقصى جهده في الحديث ، ثم غمز له بعينه وقال مازحاً :

« سأخبرك أنا بهذا الأمر . فان عندي هنا قطرة من شيء ينفعك قبل أن تخرج إلى سقيع الطريق مرة أخرى . وهو مادة لطيفة لن تضرب طفلاً صغيراً » وأخذ مفتاحاً من حلقة مفاتيحه وفتح دولاباً تحت مكتبه وأخرج منه زجاجة مضالمة داكنة اللون وقال :

على قبور أعزائنا فقد وجب أن ندفع كل ما يطلب منا دفنه ، هذا هو تكريمهم »
 وأتجه الشيخ صوب الباب
 وقال المدر في صوت مرتفع وإن لم تسكن في رأسه أية فكرة عما هو هذا الحق :

« نعم هذا حق ! نعم هذا حق ! »
 وخرج الرجل من وراء مكتبه وتبع صاحبه في خطواته البطيئة حتى أوصله إلى الباب . وخرج ووديفيلد فغاب عن الأنظار

ووقف صاحب المحل لحظة طويلة ينظر إلى غير شيء . بينما « ساعى » المكتب الأشيب الشعر رقبته من مكانه في احتراس شديد ، يخرج رأسه بحذر ثم يميده كالسكين الذى يتوقع أن يأخذه صاحبه معه في مرحلة طويلة . ولم يلبث سيده أن قال له :
 « لا أريد أن أقابل أحداً لمدة نصف ساعة .. هل فهمت ؟ لا أريد أن أقابل أحداً مطلقاً »

« لكن ما تريد يا سيدى »
 وأقبل الباب ، واجتازت الخطوات الثابتة الثقيلة السجادة الزاهية مرة أخرى ، وارتدى الجسم السمين في الكرسي القوي ، ومال الرجل إلى الأمام خجلاً وجهه بين كفيه . لقد أراد ولقد اعترم بل لقد أعد عدته للبكاء ...

لقد كانت الصدمة قاسية فظيعة عندما فاجأه الشيخ ووديفيلد غلاظته على قبر ابنه . فلقد كان الأمر غامضاً كالوأن الأرض قد فتحت ورأى ابنه في قبره وبنات ووديفيلد ينظرون إليه . لأن المسألة كلها كانت غريبة فانه وإن كان قد مضى ست سنوات على موت ابنه ، إلا أنه لم يتصوره إلا راقداً في لباسه العسكري لم يصبه تغير ولا تشوه ، وإن

هى إلا نومة الأبد المهادنة

وقال المدر منتحباً : « ابني ! »

« هاك ما أردت أن أقول ، فقد ظننت أنك تود أن تعرف أن البنات قد ذهبن إلى البلجيك في الأسبوع الماضى ليلقن نظرة على قبر رجبى المسكين ولقد تصادف أنى رأيت كذلك قبر ابنك ويدونى أن القبرين متجاوران »

ووقف الشيخ ووديفيلد عن الكلام ولكن صاحبه لم يجبه ، غير أن رمشة جفنيه أنبأت بأنه قد سمع وقال الشيخ في صوته الرفيع :

« وقد أبهجت البنات بما رأين من العناية بالسكان ، ولو كانت هذه القبور فى المجلترا لما كانت بأحسن حالاً مما هي عليه هناك . وما أحسبك قد ذهبت إلى ذلك المكان ؟ »

فأجاب الرجل : « لا . لا . »
 وهو لأسباب عديدة مختلفة لم يسافر إلى البلجيك فقال ووديفيلد في صوت مرتجف :
 « إن مساحة المكان تبلغ عدة أميال وكلها نظيفة منسقة كالحديقة ، والأزهار تنمو على جميع القبور . وهناك طريق واسعة جميلة »

وقد ظهر من نبرات صوت الشيخ مبلغ حبه للطريق الجميلة الواسعة ، وسكت الشيخ ووديفيلد مرة أخرى ثم أبهج أبهاجا غريباً وقال في صفيحه المتناد :
 « أندري ، كم تقاضى الفندق البنات ثمناً لعالية الربى ؟ لقد تقاضى من عشرة فرنكات ! وإني لأسمى ذلك سرقة . ولقد كانت العلية صغيرة كما تقول جبرترود ، لا يزيد حجمها على حجم نصف الزبال الانجليزى ، ولم تسكن قد أخذت منها أكثر من معلقة صغيرة عندما تقاضوها المشرة الفرنكات . لذلك أخذت جبرترود العلية وجاءت بها معها لتلقى عليهم درساً . وهذا حق أيضاً ، فان هؤلاء القوم يتاجرون على حساب عواطفنا . فهم يظنون أننا مادمننا مضطرون لأن نذهب إلى هناك لنلقى نظرة

المكس من ذلك ، غلاماً سمحاً مشرقاً ، طيبى الخلق ، يخاطب كل إنسان برأيه الصريح فيه ، في عينيه نظرة الطفولة البريئة ، وقد تعود أن يجيب على ما يطلب منه بكلمات الطاعة المؤدبة . ولكن كل ذلك قد انتهى وتلاشى كأنه لم يكن من قبل ؟ فقد جاء اليوم الذى حمل فيه الخادم « مامى » إلى سيده الرسالة البرقية التى هدمت المحل كله على رأسه ، وقد استهلت تلك الرسالة بهذه الكلمات : « يؤلنا أشد الألم أن نبلغك ... » وترك الرجل مكتبته ، مكسور القلب ، محطم الحياة . كان ذلك منذ ست سنوات مضت . . . نعم منذ ست سنوات . . . فما أسرع أن مر الزمن ! وكان ما حدث قد حدث فى الأمس القريب . . . وأذاح الرجل كفيه عن وجهه وقد علتة الحيرة فقد خيل إليه أن فى نفسه شيئاً غير سليم ، وقد أعوزته الشعور الذى أراد أن يشعر به . فاعتزم أن يقف وينظر الى صورة ابنه الفتوةغرافية . ولكنها لم تكن إحدى الصور التى يحبها ، فنظرة النالام فيها لم تكن طبيعية بل لقد كانت نظرة جامدة ، بل كانت نظرة عابسة متجهمة ، وحي نظرة لم يرها أحد قط من قبل على وجه الصبي . فى هذه اللحظة رأى الرجل أن ذبابة قد سقطت فى الدواة الكبيرة وأنها تحاول أن تصف ولكنها جهاد المستبشس لتخليص نفسها من الشرك الذى وقعت فيه وكأنها كانت أرجلها المتخبطة تنادى : المون ! المون ! ولكن جوارب الدواة كانت مبللة زلقة فسقطت الذبابة مرة أخرى فى الحبر وشرعت تسبح فوق سطحه . فتناول المدير قلعه والتقط الذبابة فوضها فوق ورق النشاف . فبقيت نصف ثانية جامدة لا تتحرك فوق البقعة السوداء التى ارتسمت حولها . ثم تحركت رجلاهما الأماميتان وارتكزت على الأرض ، فجرت جسمها اللبال جراً

ولكن عينيه لم تتردفا الدمع بعد ، وقد كان فى الماضى ، فى الأشهر الأولى وحتى فى السنوات الأولى بعد موت الفتى ، يكنى أن يذكر ابنه ليستولى عليه من الحزن ما لا يمكن أن يخفف من قسوته إلا نوبة جارة من البكاء المر ، وكان يقول إذ ذاك ، لشكل إنسان : إن الوقت لا يستطيع أن يبدل من حاله تلك ، وإن غيره من الرجال قد يشقون من أحزانهم ، وقد ينسون الحسارة التى أصابهم ويعتزون عنها . أما هو فإن يكون ذلك شأنه أبداً ، وإن يبدل الزمن من حاله بأهنا منها ، وهل كان من الميسور أن تبدل حاله ؟ لقد كان ابنه ولداً وحيداً ، ومنذ ولادته شرع أبوه يؤسس له هذا العمل الذى يقوم عليه ، ولم يكن لعمله هذا من معنى إن لم يكن مقصوداً منه أن يبقى للصبي الصغير يقوم عليه بعد أبيه ؟ بل إن حياة الرجل نفسها لم يبدلها من معنى آخر غير ذلك ، فهو إنما يحيا من أجل ولده الصغير ، وأى شيء على وجه الأرض كان يحمل على أن يستعيد نفسه ، ويذكر ذاته ، ويواصل العمل طوال هذه السنوات ، لولا الأمل للمائل أمامه دائماً فى أن يرى ابنه يدرج فى نمليه ، ويرتدى لباسه ، ويواصل العمل من حيث يتركه هو ؟ وكان هذا الأمل على وشك أن يتحقق ؟ فلقد قضى الفتى سنة قبل الحرب ، فى مكتب أبيه ، يتدرب على الأعمال الأولية . فكان الأب وابنه يذهبان معاً كل صباح إلى المكتب ، وبعد انتهاء العمل يمودان كذلك معاً فى قطار واحد ، وما أكثر ما تلقى الأب من التهنئات بصفته والداً لهذا الولد الناجح ، ولا عجب فى ذلك ؛ فلقد كان الغلام مبدعاً حقاً فى إتقان عمله ، ولم تمنأ به فى أية ناحية من نواحيه شائبة الغرور الذى ينافى خلق من كان فى مثل مركزه ؛ بل لقد كان على

فترة انتظار موجمة ولكن صه . . . فها هما الساقان
الأماميتان تمودان إلى الحركة ، وشعر الرجل بارتياح
مفاجئ ، فأنحى على الذبابة وقال يخاطبها في رقة
ولطف : « أيتها الخلوقة الصغيرة المجتهدة . . . »
وحاول فملاً أن يساعد بها أنفاسه في تخفيف نفسها
ولكن على الرغم من ذلك كانت حركتها في هذه
المرّة ضميقة بطيئة ، وقرر المدير وهو يتمس قلبه
في الخبر مرة أخرى أن تكون هذه آخر مرة
ولقد كانت بالفعل آخر مرة ، فقد سقطت
نقطة الخبر الأخيرة على ورق النشاف ، فرقدت
الذبابة القذرة تحمها جامدة لا تتحرك ، وقد انصبت
أرجلها الخلفية بحسبها ، أما الساقان الأماميتان
فقد اختفتا عن النظر

فقال الرجل : « هلم ... استيقظي ! »

وحاول أن يثير قلبه حركة الذبابة ، ولكن
عبثاً — فلم تتحرك ولم يبد من اليسور أن تتحرك
لقد ماتت الذبابة

فرفع الرجل الجثة على طرف مقطع الورق ،
وألقى بها في سلة المهملات . ولكن في هذه اللحظة
أحس بشعور ساحق من التعاسة يستولى عليه عنيفاً
حتى لقد تملكه خوف حقيق ، فهم من مكانه
وضغط زر الجرس طالباً خادمه « ماسي »
فلما جاء الخادم قال له في لهجة حادة :

« جئني بورق نشاف جديد ولخصه جيداً »

وبينما الخادم يسير عائداً في خطواته الثقيلة أخذ
المدير يسائل نفسه في حيرة : في أي شيء كان يفكر
من قبل ؟ ماذا كان الموضوع الذي شغل رأسه ؟
لقد كان يفكر ... وتناول منديل من جيبه فمسحه
بين عنقه وواقته . . . فلقد نسي نسياناً تاماً في أي
شيء كان يفكر . . .

عبد الحميد محمدى

حتى رفتمته قليلاً ، وعندئذ بدأت المهمة الكبرى
مهمة إزالة الخبر عن جناحيها ، فكانت رجلها
ترتفعان وتهبطان يمكنك أن الجناحين احتكاك حجر
اللسن بالنجل ، ثم وقفت هذه العملية لحظة ، وبدأت
الذبابة واقفة على طرفي رجلها الأماميتين ، وقد
اجتهدت في نشر أحد جناحيها ثم نشرت الجناح
الأخر ، وقد نجحت في محاولتها ، وجلست أشبه
ماتكون بالقططة محاولة تنظيف وجهها . ولتصور
الإنسان منظر الرجلين الأماميتين تحتان إحداها
بالأخرى في خفة وابتهاج . فقد انتهى الخطر
الفتيع ، وقد نجت الذبابة من الموت واستمدت
مرة أخرى لمواجعة الحياة .

ولكن في هذه اللحظة بدت لصاحب المحل
فكرة طارئة ، فمس قلبه مرة أخرى في الخبر
ووضع قبضته المنظيفة على ورق النشاف ، ولم تكذب
الذبابة تحرك جناحيها محاولة الطيران حتى غمرتها
نقطة خبر كبيرة ثقيلة . فإذا عساها أن تفعل في
هذا الخطر الجديد ؟ نعم ماذا عساها أن تفعل ؟
لقد بدا على الخلوقة التيمسة أنها قد ذهلت وأصابها
الحيرة واستولى عليها الخوف من الحركة جزعاً مما
قد يدمها بعد ذلك . ولكنها لم تلبث أن جرت نفسها
إلى الأمام وكأنها كانت تفعل ذلك في شيء من البطء
وقال الرجل في نفسه إن هذه الذبابة شيطان
صغير جرى ، وشعر بعجاب حقيقي بشجاعتهما .
فهذه هي الطريق التي يجب أن تعالج بها المشكلات
هكذا هو الروح القوي السليم . لا تقل أبداً
« أموت » فما هي إلا مسألة . . . ولم يكن لدى
المدير من الوقت ما يتسع لأكثر من إعادة غمس
قلبه في الخبر وسكبه مرة أخرى على الذبابة التي
كانت قد نظفت جسمها مرة ثانية وقال في نفسه :
« وماذا أنت فاعلة في هذه المرة ؟ » وتبع ذلك

ناهِيك

مُؤَسَّذ ابرهيم عبدالقادر المازني

به... شيء بطيبر
المقل... على كل حال
الذنب المهنه لا لي...
والآن وقد اطمانت
قلبي فهل هذه الشقة
مستكم ؟
فسرها أنه يكامها
كلام رجل لغتاء، لا كلام

معلم لتلميذة ، وصار كل ما يقول يفرها بالضحك
وقالت وهي تغالب الضحك الذي لاداعي له :
« نعم .. لنا فيها سنوات .. وحضرتك ؟ »
فقال واعتدل في وقفته وزوى ما بين عينيه :
« حضرتي الساكن الجديد في هذه الشقة المجاورة
لحسن الحظ - لشقتكم .. شادت القادير أن تكون
جيراننا ، فإذا كان هذا لا يفركم بالحرب أفلا ترين
أنه يحسن أن نسط « حضرتك وحضرتي » من
حديثنا ، وأن نتكلم كما ينبغي أن يتكلم الجيران
بلا تكلف ولا مجاملات »

فقالت وهي فرحة مسرورة : « بالطبع ..
ولكن يا أستاذ كيف يمكن ؟ »
فقال : « آه رجينا .. كلما رتقنا الفتق من
ناحية أنهار من ناحية أخرى .. أستاذ ..
وحضرتك ... يظهر أني اتخذت مسكني في
مدرسة داخلية .. »
فضحكت وارتج عديها الناهدان وقالت :
« ولكن كيف أقول حين أجاطبك ... لست
أحب التكلف ، غير أني مع ذلك لا أرى كيف
أقول ... »

قال : « قولي ما تريدن بغير أستاذ وحضرتك .
على كل حال .. ألا ترين من واجبك أن تعرفيني

« أوه ... » - وضعت يدها على صدرها
الناضج ، بينما كانت يدها الأخرى على الباب !
« هل خوفك ؟ ... إلى أسف ... المرة
الآنية أضع على وجهي ستارا ... هكذا ... »
وغطى وجهه بكفيه ، وجعل ينظر إليها من بين
أصابعه وهي تضحك
ووسمها أن تتكلم فقالت : « أليست حضرتك
الأستاذ السميع ؟ »

فقال وهو يتكاف الجد : « كنت قبل اليوم
نغفوا بأن أدعى الأستاذ وأن يكون اسمي السميع ..
هو اسم لا بأس به .. ويجب أن أعترف بأن أبي
أحسن الاختيار وأولاني فوق ما أستحق حين
سماني السميع ... ولكني سأظل بعد اليوم أذكر
فزعك حين رأيتني ... أم ترى هو وجهي الذي
خفت منه ؟ »

فابتسمت « ناهد » وقالت : « لا يا أستاذ ..
معدرة .. كل ما في الأمر أنك كنت أستاذي
في المدرسة ال ... »

ففرح الأستاذ كفيه وقال : « آه هذا أحسن ..
الآن فهمت لماذا أفزعتك رؤيتي .. بمقول ..
المعلوم شيء مخيف .. دأبهم أن يأمرؤا ويهؤوا ..
يأمرؤن بالشئ كانوا يهؤن عنه أو يهؤن عما أمرؤا

بهذه الفتاة الجميلة التي كانت تلميذتي ؟ »

فقالت بإيجاز وقد اتفقد وجهها حتى صار كالجرة « ناهد »

ففرح ذقنه بيده وقال كأنما يحدث نفسه وعينه إلى الأرض : « ناهد .. ناهد .. اسم حلو .. ليت كان اسمي « نحك منها » ، ولكنه لا يحرك في هذا الغزال الذي جعله الله لي بديلا من الكرة أي اختلاج .. آسف جدا .. لا حق لي أبدا .. ولكنني أعدك ألا أنساه بعد اليوم .. وكيف يمكن أن ينسى اسمك الحلو من يراك ؟ »

فأخرجها هذا الشتاء الزدوج عليها وعلى اسمها ، وحدث له في سرها أن قصر الملح الصريح على اسمها

ولم يصدق الأستاذ السعير حين قال لها : إنه لا يذكرها ولا يذكر اسمها فقد كان مملها ثلاث سنوات كاملة ولم تنب عنه إلا عاماً واحداً . وكانت أحب تلميذاته إليه وأجراهن عليه ، وكان يسره منها أنها لم تكن تهجم عن مناقشته إذا بدا لها رأى فيما يقول ، وكان هو يؤثر أن يشجع تلميذاته على السؤال والبحث والنوص وعدم الاكتفاء بما يسمعن منه كأنما كان أستاذاً في جامعة لا في مدرسة ثانوية ، وأعداهن بالجرأة والرفق معه الحرية في البحث فكن يحفن به في حيناً يمجدهن — في فناء المدرسة أو على السلم أو في الفصل — ويمطرنه أسئلة في كل موضوع ولو كان له لاصلة له بالتاريخ الذي يدرسه هن . وكان هذا لا يسوءه أو يقل عليه ، فقد أتم تعليمه في إنجلترا فلما عاد ثقلت عليه وطأة الفصل بين الجنسين ، فلما نقل إلى هذه المدرسة كان يأبى يتحدث الفتيات ويرى في ذلك

بعض الموض مما يفوته خارج المدرسة . وكان هن يفرح به لفرط ما يمانين من العزلة في هذه المدرسة « الداخلية » والاستيعاش والحرمان ، فما كن يرين من الرجال سوى بعض الخدم واثنتين أو ثلاثة من الشيوخ المتحجرين ، وهذا الشاب الظريف الساخر الذي يصدمهن ويروعهن بأرائه الجديدة في الحياة وفي كل شيء ، والذي لا يفرض مع ذلك عليهن رأياً ، بل يدعوهم إلى التفكير الحر المستقل في كل أمر وكل حالة من حالات النفس والاجتماع ، ويهشهن ويمزح معهن ويضحكنهن من أنفسهن ، ويسخر من كل مناشأن عليه من الماديات والتقاليد ، ويشمرهن بأمن إخوة له لا تلميذات ينهرن ويرجرن ويماتبن كالأيتام الأساندة الآخرون يفعلون ، بل كما يفعل المعلمات أيضاً ، بل النظارة الانجليزية التي تكاد تمدهن من طبقة دون طبقة الانسان . وكانت « ناهد » فتاة كاسمها ناهداً ، ورثت عن أمها رقة الحس ودقة الشعور وعن أبيها — وكان لواء في الجيش — الصراحة والجرأة وحسن التقدير للواجب والادراك لمزية النظام . وكانت لها زميلة في المدرسة تحبها حباً يقرب من العبادة وكانت هذه الزميلة — سعاد — ضامرة ضاربة ولكنها غنية صرفهة تجمي معها من البيت كلاً عادت منه بألوان شتى من « الهربات » — حتى السجائر كانت تدسها في خزانها ، فإذا أمنت عين الرقيب أشعلت واحدة واضطجعت على الوسادة وراحت تدخن والبنات ينظرن إليها مبتسمات حاسداً ، ولكنهن كن يحبينها فكن لا يقن شيئاً ، ويحرصن على ستر هذه المخالفة عليها . وكانت كريمة سخية بكل ما معها إلا السجائر فكانت لا تجود

على بنت بأكثر من « نفس » ولكنها كانت تلح على ناهد أن تدخن وتعرض عليها السجائر كما فتن ناهد رأسها وتشيع عنها بوجهها نافرة - من التدخين ومن الخافعة - وكانت سعاد ربحاً جمع بها حبها لناهد فتطوقها بذراعيها وتضمها وتقبلها وتدعوها أن تفعل مثل ذلك فيضيق صدر ناهد بهذا الحب ، وتنفلت من عناقها متأففة متبرمة وتصيح بها : بس . فكفك سعاد وروح تستطفها وتسترضها وتحاول أن تتألفها من نفرتها وترقد إلى جانبها على سريرها كالقطعة أو الكلب وترجو منها أن تدعها ترقد على سريرها لتنعم بقرعها فتنهزها ناهد - وإن لم تكن بها قسوة - ولا تزال بها حتى تقصصها عن سريرها فتقوم للسكينة آسفة محزونة مطأطأة الرأس ، فيرق لها قلب ناهد وتردها إليها وتقبلها وتقول لها : « الآن اذهبي إلى سريرك راضية » فيشرق وجه سعاد ويلتمع فيه نور البشر وتجرى إلى سريرها فقرة العين

وكانت ناهد تحس حين تاتي الأستاذ السميع وتتاح لها فرصة الحديث معه أن هذا خير عوض عما تمنى من حب سعاد لها - هذا على الأقل رجل ولم تكن تدرك شيئاً من الماني الجنسية بوضوح ولكنها لم تكن تحتاج إلى أكثر من فطنة التريزة ولم تكن خبيرتها بالحياة والناس قد زادت بعد تركها المدرسة اكتفاء بما حصلت من التعليم الثانوي فقد بقيت حياتها في البيت - كما كانت في المدرسة - أشبه بحياة الراهبات في الدير سوى أن وطأة الرهبة في البيت أخف ، فلما التقت بعملها السابق فرحت بذلك وصرها على الخصوص أنه تنامي وهو يكلمها أنها كانت تلميذته ، وكانت هي قد نسيت ذلك أيضاً ثم عادت تذكره حين رأته

يتجاهل هذا وينفي عنه ويكلمها كما يمكن أن يكلم أية فتاة ، خفق قلبها ورضيت عن نفسها وعنه واتصلت الأسباب بين الأستين ، وتبوءت الزيارات وكثر لقاء الأستاذ السميع بناهد . وكان كثيراً ما يقفان في شرفتهما المتجاورتين يتحدثان واستطاع بلباقة أن يزيل السكفة . وقد بقيت تدعوه الأستاذ ولكن اللفظ فقد ما كان له من الدلالة القديمة . وكان هو يتمدد أن يجمل من نفسه عادة لها وأن يشعرها أنه رجل وأنها هي فتاة ، وكان إذا لقى بها يحس أنها تنهم بأن تمد يدها إليه لتحيته كما هي المادة فيتمدد أن يهمل ذلك ليذيقها الحرمان وإن كان طفيفاً وفي أسوأ قيمة له . وأحياناً يرحل كفه الكبيرة على كتفها ويحدق في عينها كأنها يفوض على سرها ، فتطرف وتنفي حياءً ويضطرم محياها النضير الصبيح فيربت لها على ظهرها ويلبس ذقنها بأطراف أصابعه ، ورفع وجهها حتى تلتقي العيون مرة أخرى ، فتنبسم وتنازعه نفسه في أمشال هذه اللحظات أن يلثم فمها ، فيرد نفسه بمجهود وعقبي عنها إلى النافذة وهو مطرق فتنهه ببينها ولا يسبها إلا أن تفكر في هيئته وحالته ودلالة ما ترى منه - وقال لها مرة - وكان في شفتها - بعد أن شرب القهوة : « اسمي » وسبقها إلى النافذة : « ما قولك ؟ بعد غد عيد الجلولس . » قالت : « آه » قال : « هذه فرصة يمكن أن تفتنمها للخروج مرة إلى الرياض » قالت : « لست فاهمة » قال : « لقد كنت منذ بضعة أيام في القطار الخيرية .. » فسألتها : « وحدك ؟ »

بينها أمام السراى .. »

فقال : « هل تريد أن يضحك منى الخلق ؟
تركبين منى إلى عابدين ؟ لا لا لا .. »

قالت : « لن أدخل السراى .. تضمينى أمام
البيت وتذهب أنت إلى التشريفات .. لم لا ؟ »

فقال : « لا ياسقى .. اذهبي أنت وحدك ..
أو انتظري حتى أعود ثم اذهبي بالسيارة »

قالت : « يا بابا أنت مدعش .. أنتظر حتى
تنتهى التشريفات ثم أذهب ؟ وماذا أرى إذن ؟ »

طيب اذهب أنت وحدك .. أقول لك .. خذنى
معك إلى التبة الخضراء .. »

فرضى وحملها معه فى السيارة إلى التبة الخضراء
ولو ألحت لجلها إلى ميدان عابدين ؟ بل لدخل بها
القصر ؟ فقد كان حبه لها — وهى وحيدة —
عظيما ودلالها عليه كبيرا ، وقلم استطاع أن يرضى
عن نفسه إذا هو رفض لها رغبة أو أبى عليها شيئا
ولم يفسدها هذا التذليل الشديد ؟ بل زادها حبا
له وإكبارا

ولقيت السمير عند قاعدة التمثال ، وكانت
معه حقيبة فجعلها ومضى إلى جانبها صوب المحطة ،
وجلسا فى القطار وكرا إلى ذكريات المدرسة
فمضى ذكر إحدى البنات البارزات ، وكانت
باهرة الجمال . فقالت ناهد : « إنها عظيمة ...
يقال إنها تشرب الخمر ... » ، وخجلت من نفسها
لأنها قالت هذا واغتابت زميلتها ، ولكن
الاغتياب للذيد

فقال الأستاذ السمير : « تشرب خمرآ ...
وما خبرك القليل من الخمر يا فتاة التبة الزرعة ... ؟ »

ليت منى شيئا منها أشربه على الطعام .
فقالت بسداحة : « ولكنها تلف أنسجة

تخطر له أن يدهما تظن ما شادت لأن هذا
أخلق بأن يزيدنا تملقا به وقال : « والحق إنها
جنة .. فتعالى نذهب إليها يوم عيد الجوس وتتدى
هناك .. أسبق أنا إلى المحطة وانتظر عند تمثال
نهضة مصر وتلحقين بى هناك .. ساعد أنا كل
ما نحتاج إليه »

فقالت : « ولكن كيف أستطيع ؟ ماذا
أقول لهم ؟ »

قال : « إذن سأنتظر هناك .. الساعة
التاسعة تماما .. »

فاظهرت التردد وبدت عليها الحيرة فأراد أن
يستثير احترامها لنفسها فقال : « لا داعى من الخوف
على نفسك من وجودك منى فى هذه الحديقة العامة ..
فأغضها أنه يتوهم أنها تخاف وتارت نفسها على
هذا الظن ، وقمت ما كان ينتظر فقالت : « طيب »
وانصرف مسرورا راضيا عن نفسه ، وارتدت هى
عن الباب بعد أن شيعته إليه ساخطة عليه تقول
لنفسها (يظن أنى أخاف منه .. بقفف ..) وخطر
لها على الرغم من سخطها وغضبها أن عينه براقة وأن
الشعر الكثيف الذى على ظهر كفيه جميل

وقالت لأبيها صباح اليوم الموعد : « أنت
ذهبت إلى التشريفات .. خذنى معك »

فقطب وقال بلهجة المستغرب : « آخذك منى ؟
إلى التشريفات ؟ .. »

فأضحكها هذا جدا ، وقالت وهى تكاد تقع
عليه : « أنت ظريف يا بابا .. موت .. »

فقال : « ولكن ماذا نتمين ؟ .. آخذك
منى ؟ .. »

قالت : « إلى بيت زميلة لى من أيام المدرسة
أفترج من عندها لى .. على .. على التشريفات .. »

وسمعا تقول وهي تنبسم : « لا أذكرك أني رأيت مثلها من قبل ... رأيت زجاجة الويسكي فان أبي كاف به ... أكثر الضباط يشربون الويسكي ... ولكن التنبؤ ... لا ... لم أره من قبل ... شكل الزجاجة جميل ... »

فسألها : « هل تريد أن أقول إنك لم تذوقيه من قبل ؟ »

قالت : « أبدا ... شربت مرة قطرة ... قطرة ليس إلا ... من البيرة ... وكم كرهت طعمها ... أما التنبؤ ... لا أبدا »

فسألها وهو ينظر إليها - يحدق في عينيها - ويتنسم : « وما قولك في أن تذوق هذا وتكره طعمه بعد ذلك ؟ »

قالت : « سأخذ قليلا إذا سمحت ... بالطبع هذا عيب ... ولكن وجودي معك هنا أيضا ... كسرت التنبؤ ... »

فسره حسن التعبير وأبتسم لها ولم يقل شيئا وكانت صادقة ، فاذاقت من الخمر إلا قطرة كما

قالت من البيرة ، وإلا قليلا من الكونياك تحتاج اليه الفتات أحيانا ليهون ما يماين من أوقات معاونة وأكلت من السندويش ثم بدأت تذوق

التنبؤ ومطت شفتيها وقد وجدت طعمه كطعم الخمر ، وخاب أمالها فيه كما خاب في البيرة من قبل وعجبت للرجال ماذا يجدون في هذا الشراب وأمثلة من اللذة

وقال لها : « هل لك في كأس أخرى ؟ »

فهزت رأسها وقالت : « لا مرسى ... يظهر أن العادة هي التي تجعل مذاقه سائما »

فلم يلح عليها بل قال : « لا بأس .. هذا يترك بقية الزجاجة كلها في وحدي ... مرسى »

الدماغ ... هذا ثابت عليك ... كل كتاب في الفسيولوجيا يقول ذلك »

فقال : « أهنئك بما قرأت من كتب الفسيولوجيا ... طبعاً قرأتها كلها ... بالمرية والانجليزية والتركية واليابانية أيضا »

فقال : « أوه ، إنك تعرف ماذا أعني ، فلا تهكم »

فقال : « بالطبع ... ولكن هل تعرفين أنت ماذا تعنين ؟ ... الحقيقة أن قليلا من الخمر قد يفيد فتاة مثلك ... يخرجك من هذا الجد الصارم في أمور لا قيمة لها ولا وزن ... يجعلك أقرب إلى النوع الانساني ... ألا نشتهين أن تحبي ؟ ... مرة واحدة ؟ ... لحظة واحدة ولو قصيرة ؟ ... حياة حافلة ؟ ... »

فשמعت أن إلحاحه هذا عليها بهذا الكلام يزعمها ... وأحسنت كما كانت خليقة أن تحس لو أنه وضع أصبعه على ضلع من ضلوع صدرها وغرزه ... وفلقت ...

وبلغا الرياض الفسيحة عند القناطر ، فاختر مكانا ظليلا تحت شجرة لفاء وقعدا على دكة هناك متقابلين وأخرج ما في الحقيقة استعدادا للأكل وقال لها : « رتبي هذا ... هذا محكم ... ويجب أن تصني شيئا لتستحق الطعام ... اكسبي رزقك مرة بمرق الجبن ... »

ووضع زجاجة على الدكة ، فنظرت إليها وتناولتها وقرأت ما عليها وقالت : « هذا تنبؤ ... »

قال : « نعم تنبؤ ... ومن خير الأنبياء ... نبؤ الرين ... يجب أن يوضع في التلج ... سأدعو خادم البوفيه ليجيئنا بوعاء وتلج »

وذهب ثم عاد فالتفتها لا تزال تتأمل الزجاجة

وصارت على صدره ، وخيل إليها أنها تستطيع أن تبقى كذلك الى الأبد . وكبر بها الى الذكة وأخرج السجائر وقدم إليها واحدة فحاولت أن تذخن للمرة التاسعة أو العاشرة في حياتها . للمرة التاسعة أو العاشرة أخفقت ولم ترض عن الطعم الذي وجدته ولكنها مع ذلك كانت مسرورة — التبيذ الماسخ وهذه الذكة الخشبية الناشقة والأرض الخضراء المتوجة والأشجار الباسقة المهرمة والشمس التي تملأ الدنيا بشراً ودفعاً وأخيراً هذا الرجل

ولم تفزع بل أحسّت بالرضى والافتباط حين دفع ذراعه ، فأحاط بها خصرها وأمال خدها الصابع على كتفه ، وسرها أن تلس بخدها ثوبه الخشن الدافئ ، ولكنها استأثرت لما رفع عيهاها إليه ليقبلها ، وحدثت نفسها أن الرجال جميعاً هكذا ، وإن كانت هذه أولى تجاربها ، ورأى هو اقتباسها . فقال لها وهو يضحك : « هل تعرفين حكاية الرجل الذي سأل الطبيب هل يمكن أن يعيش — كأييه — مائة سنة ؟ فسأله الطبيب : هل هو يذخن ، أو يشرب الخمر ، أو يحب النساء أو يحب الليل بالسم ، أو يهوى شيئاً من الأشياء التي يكلف الناس بها . فقال الرجل : إنه لا يفعل شيئاً من ذلك ، وأنه لا هوى له في شيء ، فحجب الطبيب وسأله : إذن لماذا تبغى أن تعيش مائة سنة . ماذا تصنع بها ؟ »

وأدهشها أنه طوقها فجأة وأهوى على فمها بالقبل في غير رفق حتى لأحسّت أنها توشك أن تختنق ، واستقرت من نفسها أن امتناضها حين همّ بتقبيلها أول مرة زال ، وأنها لا تسخط على الرجال ؟ بل أذهلها أنها شمّرت أن شفتيها دبت فيهما الحياة وقالت بضمف : « أرجو ... »

خمدت له أنه لم يلبح وشمّرت بالاطمئنان ، فقد كان الخوف يساورها على الرغم من تشجعها وسرعان ما أحسّت أن مديتها حبت بفعل التبيذ ، فدت يدها وأترغت لنفسها كأساً أخرى ولحها الأستاذ فتعمد الاغضاء وشمّرت بالدفء والخفة والسرور وحلت المناظر في عينيها وأحسّت أنها تريد أن تجرى هنا وهناك — وهل هي إلا طفلة ؟ — وأدرك السميز ذلك فغظربها وقال : « لم لا ؟ قوى أجري ... سابقيني ... أو أقول لك ... هذه كرة جئت بها منى ... تعالى تلعب بها ... »

وكانت قد نهضت فانحنت عليه وهو يخرج الكرة من الحقيبة وقالت مستغربة : « كرة ؟ .. كيف خطر لك أن تجيء بها ؟ »

فقال : « من أكلها ... ياصغيري ... » وأخرج شيئاً آخر ملفوفاً في ورق وقال وهو يلوح لها به : « وحت أيضاً بشيكولاتة ... لفتانتا الصغيرة فإن الصغيرات يحببن الحلوى » فقالت : « أسخر منى ؟ » قال : « أولست صغيرة ؟ »

قالت : « صغيرة بالطبع ... ولكن ليس الى هذا الحد ... لست طفلة »

فقال : « حسن ... نرد الشوكولاتة الى مكانها ونذخرها لهنّ صغيرة ... »

فصاحت به : « لا لا لا » ونحكت وخطفت الشوكولاتة

ولمبا بالكرة قليلاً وسرها أن رجلاً طويلاً عربيّاً مثله يلاعبها وكادت تقع مرة وهي تحاول أن تاقف الكرة ، فأدركها — أحاطها بذراعه فتعلقت به اتقاء للسقوط على الحشائش البليسة

إلا ما تحس ... طيبة ... »
 فأغضبها هذه الجملة منه عليها بلا مسوخ تعرفه ،
 وأسخطها أنه يستفزها ، واستصغرت منه ما يحاول
 من تحفيزها ، ونفرت من لهجة الشموخ والتعالى
 فقالت له ببرأة أدهشها هي قبل أن تدهشه : « ألا
 يمكن أن يخطر لك أن في نفسي حرارة كافية
 ولكنك أنت لست ذلك البطل المغرور الساحر
 الفائن الذي تتوهم ؟ . يمكنني أن أقول لك إنى وأنا
 صغيرة أحببت ابن البقال الذي كان تحت بيتنا ...
 كان صبيًا مثلي ولكنه كان فيه رجولة ... لم يكن
 طينًا يرسل يده كالأفعى ليلبس اللئى ... لم يكن
 يحاول إغراء البنات الساذجات بقلب ددوس
 التاريخ قصصًا غرامية وتصوير الدنيا كلها كأنها
 ليس فيها إلا رجال يتزنون ونساء تتركهن الشهوة
 الجامحة كالورقة المبلولة . لقد عمت لحظة عن
 حقيقتك ولكني الآن أراك .. كما أنت .. فآرة ؟
 مالك أنت ؟ . من فضلك اسمح لى أن أعود .. »
 ونهضت ووقفت معتدلة القامة كأنها أأنوها
 الجندى وخيل إلى الأستاذ السمين لحظة وهو ينظر
 إليها مبهوتين أنه لن يستغرب إذا طر لها شارب ..
 وعجب لأنوتها أين ذهبت ، ولذلك اللين الساحر
 فى عودها ماذا صنع الله به .. منذ دقائق كانت إلى
 جانبه ، وكان يحسها كالزبد الطرية والألن .. تقف
 كالرمح ... بنت أيها ... عجيب ...
 وقال وهو يعد إليها يده : « إنى آسف ...
 وممتدر ... وأصدقك فأقول إنى كنت أنوقع ولا
 أستغرب أن أسمع منك شئًا أو زجرًا أو نحو ذلك
 ولكن هذا الكلام ... أعترف أنه آخر ما كان
 يمكن أن يخطر لى أن أسمعه حتى من رجل فكيف
 بفتاة غريبة مثلك »

فصاح بها : « ألا تريدن أن تكونى امرأة
 حقيقية ، لا مجرد فونوغراف يمد ما حفظ فى
 المدرسة ... ؟ ألا تشتهين أن تحس وتشعرى
 بجسمك يحترق وتضطرم فيه النار ... تندلع من
 أنخص القدم إلى الرأس ... ؟ هه ؟ »
 فقالت : « لا أدرى ... أظن ... ولكن ... »
 فصاح بها مرة أخرى : « تظنين ماذا ؟ ...
 خائفة ... ؟ هه ؟ »

وجذبها إليه مرة أخرى وقبلها بمنف ، فزاح
 بصرها ، وخفق قلبها ، وسرت فى بدنها رعدة
 خفيفة - من السرور لا من الفزع أو الجزع -
 وخيل إليها أنها كرمال الشاطئ الجافة التى ارتفع
 المد إليها بلاء فرواها ، ولكنه أسرف فى التقبيل
 وعنف فى الضم ، فأحست بالبرد والفراغ فى بدنها
 ووسمها أن تصبح به كما كان يصيح : « بس ...
 قلت لك بس ... » ، ولم تكن قد قالت له « بس »
 ولكن هكذا زعمت ... تغلاها ، ولكنه ظل
 ينظر إليها نظرة الصبي الذى يعمر صدره اليقين
 بأنه ذاهب إلى اللبب ليرى اللذة الراقصة وقال :
 « إنك فآرة ... ليس فيك حرارة »

فساءها ذلك وقالت : « فآرة ... ؟ لقد سرنا
 نتكلم بصراحة ... لا لست فآرة .. وأقول لك
 إنى استطيعت القيلة الأولى ، ولكنك أردت بمد
 ذلك أن ... باختصار ... زدتها ... فهل يرضيك
 هذا الاعتراف ... ؟ فآرة ... ؟ »

فقال وهو يتأملها : « نعم فآرة ... ليس
 الذى فى عروقك دم حار ، وإنما هو حبر أحر ...
 سلا ، لا حرارة على الإطلاق فى هؤلاء الفتيات
 اللطيمات ... لقد أصبحت أؤمن بالمرأة الأمية ...
 إنها على الأقل لا تتكاف ولا تتفلسف ، ولا تعرف

وحدها بل منها ومن التجربة ... وأى تجربة لهذه التي لمي أول من قبلها كما قبلها .. ولكن من يدري ... كيف أكون واثقاً بعد الذي سمعته منها ؟ المرأة لغز محير .. أهو ذكاء فطري ! وافتراقاً في اللحظة بلا مصالحة ، وعاد كل منهما إلى البيت من طريق ، وحلت النبوة ووقعت الجفوة ، وفتر الحال بين الأمرتين ، وانقطعت الزيارات ، وامتنع التلاقى ، وصارت هي لا تخرج إلى الشرفة حتى تستوثق أن شرقتها خالية ، وصار هو يرد أو يحول وجهه إلى ناحية أخرى إذا برزت في الشرفة أو أطلت من نافذة : وكان كلاهما مع ذلك مشغولاً بصاحبه .. هو يندم على ما كان ويحدث نفسه أنه فقد كنزاً ، وإن كان كنزاً رهيباً .. كنزاً فيه أو هو في بركان ... وهي تجلم وعينها مفتوحة بالقبلة الحلوة ، والضمة القوية ، والشمر الكفيف على ظاهر اليد ، وتتسائل عما وراء ذلك من أسرار الثمة الخفية ...

وجاء يوم أحسبت فيه أن أمها تتبعها بعينها ويحملكها أبداً عليها ، وخيل إليها أن أباه يرميها أحياناً بنظرة فاحصة ، وزاد قلقها أنهما لم يقلوا لها شيئاً ولم يستغربا هذا الفتور الحاصل بين أسرتهما وأسرة السميع بعد الاختلاط الوثيق ، وأنهما لم يسألاها مرة عن شيء . وثقل هذا السمع على نفسها وحيرها الأمر ، ولم تدر ماذا تصنع ، ومازعها نفسها أن تصارح أباه بالأمر كله ، فقد كانت على خلاف المألوف المهود تسكن إلى أبيها وتبته ما في نفسها واثقة من عطفه وفهمه ، ولا تفعل ذلك مع أمها ، ولكنها ترددت وطال التردد ، وخطر لها مرة أخرى أن تكلم الأستاذ السميع نفسه في الموضوع . ولكن ماذا تقول له ؟ . أتستجده ..

فكانت ببساطة : « إني فتاة غريبة ... هذا صحيح ... لا تجربة لي ... لم أعرف الرجال ... ولكني لست ... لست حمارة ... وثق أن كل الفتيات مثلي ... تنقصهن التجربة ولكنهن لا ينقصهن الإدراك الصحيح ... يستحيين أن يقلن ما يعرفن ... هذا كل ما هنالك ... ولكني أما تمودت ألا أستحي ... لماذا أخجل ... ؟ » وهزت كتفها ومشت أمامه

وعاد في صمت وكانت هي تحدث نفسها وهي جالسة في القطار تحنقر ما بدا من صغاره لها ، غير أن سوراً معينة أثبت ألا أن تخايهاها — منظر كفه الكبيرة التي يكسو ظهرها الشعر .. ورأسها المسائل على كفه الخشنة .. وشفتها على شفتها .. وحلاوة القبلات الأولى المباشرة ... حلاوة لا عهد بها ولا كان في ظنها أن مثلها استفاد من الشفاء .. وودت لو تعرف من أين تجيء هذه الحلاوة ... ولماذا تسري الوعدة في البدن .. أترى الشفة باب شيء ؟ باب إلى ماذا ؟ هذا المجهول ماذا هو يا ترى ؟ وكان هو يحدث نفسه أنها نسخة طبق الأصل من أبيها ، وأنها جذيرة أن تلبس بذلة صفراء ... كاكى ... وتبدو في شكة عسكرية ... والكلام الذي قالته من علمها إياه .. لم يكن يعرف أن فتاة غريبة مثلاً — هي غريبة على التحقيق — يمكن أن يكون هذا إدراكها وتلك لمجبتها ... لو كانت في الستين من عمرها لكان كلاهما غير مستغرب .. أما منها .. عجيب .. أترأها تقرأ كتباً .. ولكني أي كتب .. انتقرأ كل ما في الدنيا من كتب فأنا الميرة بغير ذلك ... الميرة بماذا ... لا أدري كيف أقول ، ولكني أظن أن الكتب وحدها لا تكفي .. الإدراك الصحيح يجيء لامن الكتب

فقال : إذن لا أمل لي... فاستغربت واطمأن قلبي ..

سأعيني يا ناهد إذا كنت قد قلت عليك ... لم
أسي بك الظن ... ولكنك صغيرة والرجال
شياطين ... وقلت له هل يتصور أن من الممكن أن
يتزوج فتاة متعملة في هذا العصر على رغم أنها ...
أو هل يريد مني أن أكون جلاذا ... نهاية هذا
ما كان ... فما قولك ؟ »

فأطردت ثم رفعت رأسها وقالت : «لأدري ..
وهزت رأسها : « يخيل إلى أحيانا أني أحبه ...
وأحيانا أخرى أني أحقره ... لا لست أحقره
ولكني لا أطيع سخريته وتعاليه ... بارد ... »
فابتسم ابتسامة المعارف الفاهم المدرك وقال :
« هذا التردد معناه أنك راضية ... لا تقاطعي ...
انتظري ... أنت مشغولة به ... وهل الحب إلا هذا
الشنلانت ؟ ... أنا أعرف ... أبوك يعرف ...
يا ناهد صديقي ...

فتركت الموضوع وأعزهاها الفضول بسؤاله :
« هل أحببت في حياتك يا بابا ؟ »

فقال : « طبعاً أحببت » ثم أسرع فقال : « أملك »
فربت له على خده الخشن وإن كان حليفاً
وقالت بلهجة من يدلي طفلاً ، وأحسنت وهي تفعل
ذلك أنها تستطيع أن تكون أما لهذا الرجل
الكبير الضخم الأبيض الشعر ، وشمرت بفيض
من الحنو : « وهل أحببت غيره .. غير أمي ؟ »
فارتبك وارتفعت يده إلى شاربويه وقال : « إيه ؟
ما هذا الكلام ؟ قوى .. قوى .. قوى ... أ ..
أ .. أنا جائع »

فانفجرت ضاحكة وقالت : « هذا أمرح اعتراف
سمعته أو سمعت به »

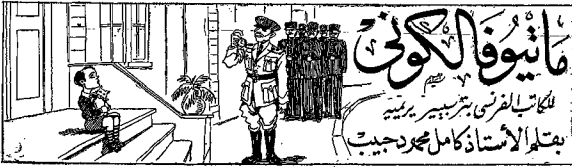
وخرجت تنساب لتمد له الطعام

أبراهيم عبد القادر المازني

أنطلب منه النجدة ؟ ..

وضاق صدرها بما أجن ، وقلها بما وجد ،
وكان صدرها يمن للأستاذ السميع خليطاً هجيباً من
المهوى والنفور والشوق والامتناع ؛ وخيل إليها
أيضاً أن قلبها يمن له الاحتقار ، ولكنها لم تستطع
أن تقنع نفسها بهذا . وافتنق يوماً - أوليلة على
الأصح - أن دخلت على أبيها ، وكان وحده ،
فقلت : « هل أضايقك إذا بقيت ؟ » فأفصح لها
إلى جانبها ولم يقل شيئاً ، وقدمت وطال الصمت ،
وتوهمت أن أباهما ينظر إليها خلسة ، وكبر في ظنها
أن على لسانه كلاماً يرد نفسه عنه بجهد ، فلم تمد
تطبيق وصاحت به فجأة ووضعت يدها على صدره
المریض : « أبي ... » وانطلقت بحمده وتروى
له ما كان ، وهو مطرق يسمع ولا يقطع ولا يقول
شيئاً حتى انتهت ، فرفع إليها وجهه الشاحب
وابتسم ، فانفجرت باكياً ، فربت لها على ظهرها
وقال بإيجاز : « لم يحب ظني بك » فجفت دموعها
بسرعة وحذقت في وجهه وسألته :

« هل ... هل ... كنت تعرف شيئاً » فقال :
« كلا ... لم أكن أعرف شيئاً ... كنت أشعر
أن هناك شيئاً ... وأتوقع أن تقصيه علي ... وخطر
لي أنت أذهب إلى الأستاذ السميع وأسأله ...
لا لا لا لا ... لا تنزعجني ... لم أفعل شيئاً من
هذا ... اردت إلى عفتي ... لم تكن في حاجة إلى
الكلام معه ولا إلى سؤاله لأنه هو جاني أمس
وسألني هل أرضى أن أزوجه منك ... واعترف
أن هذا السؤال زاد قلقي ... خفت أن يكون قد
حدث أمر خطير ... فقد كان يكلمني وكأنه يشيع
ميناً ... اعتقدت أن هذا الطلب تكفير عن إساءة
خفت أن يكون هذا هكذا ... لم أقل له شيئاً ...
بل قلت له : إن هذا سؤال جوابه عند ناهد ...



ما ينقله من أعباء الحياة ومتاعها لهم ... ثم جاءه
البشير ... لقد ابتمت له الأيام عن طفل هو أمل
الأميرة الحلو ، وواحد لها ، ووارث اسمها ومالها ..
هو فورتناو ؛ ودرج الطفل قرة عين أبيه وأمه مما
يسهران عليه ، وبحبوانه يعطف منهما ورعاية ، ثم
راحا ينشئانه ليكون صينو أبيه فشب وفي عينيه
دلائل الشجاعة والفراحة ، وفي جسمه سمات القوة
والفتوة ...

وفي خطوة يوم من أيام الخريف - والطفل
في الماشرة - انطلق الأب وزوجته يستطلعان
خبر غنمهما ، وأراد الابن أن يصحبهما فأبى الأب
إلا أن يظل عند الدار يحرسها
وتصمرت ساعات والطفل وحده ينطرح حيناً
في دعة أمام الباب ، تحت أشعة الشمس الهادئة ؛
وحيناً يستمتع بالنظر إلى أشجار النابتة الباسقة ،
وإلى الجبال الشاهقة على مرمى البصر ؛ ويتلذذ حيناً
بالأخيلة الجميلة تضطرب في رأسه حين يجذل إليه
أنه سيور المدينة يوم الأحد فيرى عمه القائد ،
ويجول في أرجائها فيشهد أشياء حرم منها حيناً
من الدهر ؛ وسيطرت عليه الفكرة قابضه ، غير
أن صوتاً سلبه من لذة الخيال وأنزعه عن مكانه
فهب يرى ... وأحس كأن قلبه يتخلع من الدرع
والخوف ، لأن ما سمع هو صوت طلقات نار بقسرية

ماتيو فالكوني رجل عند الحنين ، متكئ
المضل ، مقتول الذراعين ، عريض ما بين المنكبين ،
خفيف الحركة كالسنور ؛ له عينان كبيرتان تنبثق
منهما أشعة قوية نفّاذة ، وشفتان رقيقتان ، وشعر
أسود جمد - ذهب يجمعه في أرجاء وطنه - جزيرة
قورسيقا - بما له من قدرة عجيبة على إصابة الهدف
فهو أقرى رعى أصاب ، سواء بالليل أم بالنهار ؛ وهو
لطيف المشر ، رضى الخلق ؛ فاذا جرح أو أمتهن
فهو عدو لدود فيه التو والجبروت ، ينزل عن
إنسانيته حتى يبلغ من خصمه ماراً ...

رجل ماتيو فالكوني عن مسقط رأسه الذي
نشأ فيه وترعرع إلى ثمر بورتوفيكيو في جنوب
الجزيرة ليميش هناك عيشة الهدوء والطمأنينة في
منزل ريفي وضيق تحيط به غابة متشابكة الأشجار ،
مانعة الأغصان ، في منأى عن صخب الحياة ولجها
وقضى دهره آمن محرم يتهمد بنفسه قطعة من الأرض
وبعض قطمان الغنم ، فينال من كل ذلك ما لا يرفقه
إلى صف أعيان الريف وأغنيائه ؛ ثم هو سخى سمح
طلّق البدين والوجه ، سربع إلى الخير ، بطيء
عن الشر

تزوج ماتيو من جيوزيبيا صغيراً فرزق منها
ثلاث بنات تزوجن جميعاً ؛ واستطاع هو أن يجد
المعونة في أزواج بناته ، غير أن قلبه ما يزال حزينا
بأسف على أن لم يحبّه الله بذكر يحمل عنه بعض

وهو يدس القطعة في جيبه ، وبهبل التبن على الجرم الجريح ؛ ثم انطلق ينفذ آثار الدم في دقة ومهارة ؛ ثم استلقى أمام الباب كأن شيئاً لم يكن ..

وجاء الشرطة - بعد حين - وعلى رأسهم ضابط ... إنه هو تيودورو جامبا ابن عم فورتاتو ، وهو فتى بفور قوة ونشاط ، يتخصص الجرمين والجناة لا تأخذهم بهم رافة ولا شفقة ، ويتقن آثارهم في غير هواة ولا لين ...

وابتسم الضابط وهو يسير إلى ابن عمه فورتاتو يسأله خبر الجرم الفار : « أوما رأيت رجلاً يمر بك الساعة ؟ » قال الصبي : « آه نعم ، رجلاً يمر بي الساعة ! » قال الضابط : « نعم رجل ذو لحية طويلة ينزف الدم من نغذه » قال فورتاتو وهو يبعث بان عمه : « نعم ، تذكرت ، إنه النفس ، لقد كان يحتل صهوة جواده الجميل يبرو ... » وتأرد غضب الضابط أن رأى العبي يهزأ به ، فقال : « لقد رأيته ، فأين هو ؟ قل أيها الخبيث وإلا ... » وراح الصبي يستخرج من الضابط : « أفتراي أستطيع أن أراه وأنا نائم في هدوء ؟ » فقال الضابط المنبسط في شدة : « قل أيها اللعين ، إنه سر بك الساعة ! » ، وأجاب الصبي وهو يبتسم في نهك : « أنا فورتاتو ، وهذه دار أبي ماتيو فالكوني ، أفتريد أن تستجيم ؟ » ونفذ صبر الضابط ، فاندفع في حلق بأمر الشرطة : « إلى الدار أيها الرفاق ، فلا بد أن يكون هذا الشيطان قد خبأ الجرم ! » . وانطلق الشرطة يصعدون بما أصرروا ، وأمسك الضابط بأذن الصبي عنقه وهو يتململ ويصيح : « إن أبي ماتيو فالكوني لا يرضيه أن يدخل جماعة من الأغراب داره وهو

ومتوالية تقترب منه رويداً رويداً . وأجال بصره فياً حواليه فابدا له غير شبح بدلف إليه من النابة يتكفأ في طريقه ، ويتحامل في مشيته ، من أثر الأين والتعب ، والدم يتقاطر أرسالا من نغذه

لاجرم ، فهذا جرم أنسل ، والليل ساج ، إلى المدينة ؛ فانحط عليه الجند ، فألسس وانقاد بعد لأى ثم وجد مهرباً فأفلت بريد الحرية ويحطم قيود السجن وهي تنتظره على خطوات ، وهم على أثره لا يصيدهم الجهد ، ولا ينال منهم النصب ، عطرونة بوابل من بنادقهم ، وهو يدفعهم عن نفسه بالرصاص والحرب في وقت ممأ

لقد كان ضخم الجفنة ، حيواني المظهر ، زرى الهيئة ، رث الملابس ، كثر اللحية مرسلها ، أشمت أغبر يبعث في النفس الفزع والرعب ، غير أن الاعياء تركه عظماء ضيقاً

ثم انتهى إلى الصبي ، ووقف بازائه يطلب إليه أن يجده منفذاً « إني جيانيتو سانبيرو ؟ إن الشرطة على أترى ، وأنا لا أستطيع الحرب ، أفلا أجد في دارك ملجأ ؟ » وأشاح الطفل عنه - يادى ذى بدء - وأبى عليه بعض ما طلب ؛ فراح الرجل يهدد ويتوعد ، غير أن الطفل كان يرى ما يقاسى من ألم وما أصابه من كلال فقفر بيمداً وهو يقول : « لا بندقك تستطيع أن تصل إلى لأنك تفتقر إلى الذخيرة ، ولا حربتك تنال مني مارباً لأنني في حصن منها حصين ! » وأحس الرجل بمقابلة أمره فاندفع يستعطف الصبي في ذلة ، ويترضاه في لين ، ويروح له بقطعة فضية من النقود يداعبها بأصابعه ؛ فاستيقظت الشفقة والرحمة في قلب الصبي ، ورأى في قطعة النقود أجر ما يقدم من خير فتعلق بها بصره ... ثم انفرجت شفتاه عن ابتسامة رقيقة

ثم يتدافعون بمحوك يسألونك : « كم الساعة ؟ »
وأنت تبسم . . . وبدا الضابط أن يبني الطفل
قد انبعث منهما شمع من أمل ، وشمع من
طمع ، وهو يمدح الساعة بنظرانه ، ويقول :
« لا ، لا أريد ، إنه حين تكبر سن سيعطيني
عمر القائد ساعة أجل من هذه » قال الضابط :
« حقاً ، غير أن لايته ساعة كهذه ، وهو أصغر
منك سنًا » ، وخيل إلى الصبي أن الضابط
يسخر منه ليستدرجه فقال : « أتمزأ بي ؟ »
قال الضابط وهو يقدم الساعة إليه ، وقد عاد إليه
الأمل مرة أخرى : « هاهي ذه فخذها ، ثم أخبرني
أين هو المجرم جيانيتو ؟ » ، وتقدم الصبي في هدوء
نحو الساعة ويبدأ ويبدأ وهو يراها وحاجة راقية ؟
تحت أشعة الشمس ، تحطف البصر ، ثم أمسك
بها يقلبها بين يديه ، وقد استبشر وانبسط
أساريره ، ونفسه محدثة : « ألي بقطة النقود إلى
صاحبها ، وخذ هذه فني أغلى وأمن ! » ،
واصططعت في نفس الصبي عوامل الوفاء والجشع ؛
أفيخون عهده وينقض موافقه ؟ ولكن الساعة ..
الساعة ! أفيفقدها بعد إذ احتوتها يده ؟

وغلبه الحرص والطمع وحسب المال جميعاً ،
وهو قبالة ابن عمه الضابط ، ومن خلفه كومة
التبن ؛ فرفع يده في هدوء يشير إلى الوراء . . . إلى
كومة التبن . . .

وتدافع الشرطة ييمثرون كومة التبن هنا
وهناك ، فانفجرت عن جرح لا يستطيع أن يحمل
نفسه ، وفي لحظة البصر نزع الشرطة عن جيانيتو
بنذوقته وحرثته ، وشذّوا وثاقه ؛ غير أنه استطاع
أن يدير بصره نحو الصبي ، ومن حجاجيه شرر

غائب ! ، وراح الضابط يهدد الصبي : « أولي
لك فأولي ! أفلا تعلم أنني قادر على أن أحملك إلى
كورت أو إلى باستيا فألقي بك في غيابة السجين
ترسف في أغلال من حديد ، ثم أضع رقبتيك بين
حدي القصلة جزاء ما فعلت ؟ » ، وأغرق الصبي
في الضحك لما سمع . . .

وارتد الشرطة بعد أن وجدوا الخيبة والفشل
وجاء واحد منهم إلى الضابط يقول : « لم نجد أحداً
فلنتمس طريقاً غير هذا ! »

وبدت الدهشة على وجه الضابط جامبا حين
خيل إليه أنه مني بالاخفاق ، واضطرب حين
لم يجد الطريق إلى فريسته . إن الدار أمامه ،
وهو يستطيع أن يرى كل ما فيها في نظرة خاطفة ؛
فها هي غير حجرة واحدة عارية عن الأثاث ، لقد
سيطر عليه الارتباك ، والصبي إلى جانبه يداعب
قطنه ويديم لسانه فيه من حيرة

باطنية المجهود ، وباخية الأمل ! لقد هوا
يريدون الرجوع بعد ما بذلوا من جهد ، وما لاقوا
من عناء ، غير أن عيني الضابط لمتا حين بدت له
بارقة من أمل . لقد تهدد الصبي فما أجدى التهديد ،
وتوعده فما أغنى الوعيد ؛ فليطرق باباً غير هذا
عله . . . فالتفت إلى الصبي : « فورتناو ، لقد
ظننت بك سوفا ، ولكنني وجدتك شجاعاً ذكياً ،
ليتك تصحني ! » قال فورتناو وهو ما يزال يبعث
بان صمه : « جامبا ، أسرع إلى عمك وإلا اختفى
جيانيتو فلا نتمتع عليه أبداً ؟ » وأخرج الضابط
ساعته الفضية وهو يقول : « أفلا تريد أن يكون
لك مثل هذه الساعة ، فتمشي الخيلاء بين رفاقك
في شوارع المدينة ، وقد علفت في صدرك كأنها
وسام ، والناس من حولك ينظرون ويمجبون ،

بالخيبة ! » ، ثم التفت فوجد جيانيتو ماقى على سرير من قش ، شدَّ إليه في غير رفق ولا لين ، وثبت بصره على الرجل فا استطاع أن يحوله وفي رأسه الأسمى والأسف ، وفي وجهه البيوس والحزن ، وفي عينيه اللوعة والحسرة ؛ فرأى الرجل يدبر بصره نحو الدار فيصق ويقول : « هنا ، هنا دار الخائنين السفلة ! »

أى امرئ تحمده نفسه أن يهين هذا الرجل القورسقى وهو بضن بكرامته أن تتلم ، ويصون شرفه أن يمتن ؟ ويل له ... ويل لمن تنفجر شفاهه عن كلمة يستشمر منها ماتيو بالاهانة والسخرة إن طلقة واحدة من بندقيته ، أو رمية واحدة من حربه هي المقاب الوحيد لمن يفعل ! ثم هو لا يطعن خاطره أو يهدأ باله إلا أن ينسل الالهانة بدم التبيج الجريء ! ولكن ... ولكن ما ذا يفعل وابنه هو الذى تلم عرضه ولوث شرفه ؟ لقد أحس بوخزات الألم تحز في قلبه ، ورأى الفضيحة والعار فيما فعل ابته ، فوضع يده على جبينه المنسمر والمعموم تتنازعه ...

وأراد الابن أن يترضى الرجل المسكين حين رأى ما ارتسم على وجه أبيه فولى وجهه شطرا الدار ومشى يتأقل ثم عاد وبين يديه وعاء ملي لبناً وقدمه في ذلة وخضوع الى جيانيتو ، غير أن الرجل صرخ في وجهه : « تنج ، تنج ، تنج أيها الـ ... » ثم التفت الى شرطى الى جانبه يطلب اليه ماء ... لقد شرب من يد الشرطى وهو كان — منذقرة — يصب عليه وابلا من رصاص ؛ أما ابن ماتيو ... ماتيو فالكونى ...

وانطلق الضابط والشرطة يحملون المجرم الى

بنيطاز ، ثم بصق وهو يقول : « أيها الـ ... » وألقى الصبي بقطعة نقوده ، وجيانيتو في شغل عنها يقول للضابط : « عزيزى جامبا : إننى لا أستطيع السير ، فسترغمون على حملى ! » ، وشنخ الضابط بأنفه في كبرياء ، وصمّر خده في صاف ثم قال : « إن نشوة الانتصار ، ولذة الفوز يمتنان في قوة أستطيع بها أن أحملك وحدى على كتفى حتى نبلغ للدينة »

وتفرق الشرطة ، فبعض يأمر جراح جيانيتو وبعض يهيم له سريراً من قش ، والضابط بأزاهم ينظر ... وعلى خطوات الصبي فورتناو بداهب ساعته فرحاً متملكاً ... وبينما كل في عمله لا ينى ولا يتباطأ هبط ماتيو فالكونى وزوجته ...

ووقف ماتيو فالكونى حائراً لا يدري مما حواله شيئاً ، ولكن جامبا اندفع يقص القصة وينثى على فورتناو ، ويشكر ما أسداه إليه من خير ، واستطرد في حديثه : « إن هذا المجرم الأثيم قد دفننا عنه في قوة وشدة ، ثم اندس في التبن ، فا استطاع واحد أن يستشمر وجوده ، ولولا فورتناو ... » ، وصاح الأب والأم مما : « فورتناو ! » ، قال الضابط في هدوء : « نعم ، لولا فورتناو ما استطعنا أن نثر عليه ، ولذهب في الهباء ما طائدا من شدة وما بذلنا من جهد . سأخبر عمه القائد ليرسل إليه جائزة سنوية ، وسأسجل اسمك واسمه في التقرير الذى أرفعه إلى النائب العموى » ، واستشمر الأب شدة الصدمة فصعد قلبه حين بدا له أن ابنه باع شرفه بالتمن البخش ، فصاح من الأعماق صيحة خافتة كأنها صدى خفقات قلبه المكسوم : « بالخيبة ،

دوى له المكان وترزت منه قوة الصبي « افرأ
 صلوئك ! » فاستل الصبي مرغماً . ثم رفع رأسه
 بمدحين ، وفي عينيه العبرات ، فقال الرجل : « هل
 أعمتها ؟ » فهفا الصبي نحو أبيه « آه ، أبى ! أبى
 لا تقتلنى ! الرحمة يا أبى والصفتح ! لن أعود لثلاثا .
 سأطلب الى عمى القائد أن يامل سجينه بالحسنى .
 أبى لا تقتلنى ! لاني ابنك ! لقد أخطأت فأرجو
 الغفران والشفقة ! » ثم اندفع في حديثه باين ما قسا
 من قلب أبيه ، ولكن الأب كان قد صوب إليه
 بندقيته وهو يقول : « فليصاعك الله »

وأراد الصبي أن ينكب على قدمي أبيه يقبلهما ،
 غير أن اللنية لم تمهله .. لقد دوت الرصاصه فاستقرت
 في قلب الطفل نغراً يتلوى ويتخبط في دمه التفتعج
 وهو يئن : « آه ، آه ، آه يا أبى ! »

وقفل مانيو راجعاً دون أن ياقى نظرة واحدة
 على جثة الصبي الهامدة

وسمعت الأم — وهي راكبة تصلى عند تمثال
 المذراء — دوى الطلاق الناري فانشقت كبدها أسى
 ولوعة ، وتمزق فؤادها جزعاً على ابنها وأهلها ، حين
 بدا لها أنها فقدته إلى الأبد ؛ ثم انطلقت في جنون
 الشكلى ثمزكها الصبيبة عركاً . وعلى خطوات من
 الدار رأت الأب يمود مطرقاً ذاهلاً ، تتوزعه
 الهموم وتتناهبه الأحزان بمد أن نفذ القضاء ،
 فاندفعت إليه وهي تصيح : « ابني ! ماذا ، ماذا
 فعلت ؟ » فأجاب الرجل في صوت خافت ضعيف
 فيه أنات المقتود : « المدل ، المدل يا عزيزتى
 جيوزيا ! » قالت : « وأين هو ؟ » قال : « هناك
 هناك في المنحدر ، سأدفنه . لقد مات سأستغفر
 له ربى ! »

فلس محمود مهب

المدينة ، ومانيو وجيوزيا في مكانهما مطرقين وقد
 اربد وجههما . والصبي بينهما يردد بصره في وجه
 أمه حيناً وفي وجه أبيه حيناً آخر وقد ذهل عن
 نفسه . ثم نظر الأب الى ابنه في قسوة وقال في
 صوت أجش كأنه نصف الرعد : « حسن ما فعلت ! »
 وصرخ الصبي فزعاً : « أبى ، أبى ! » ثم انطلق يمشو
 عند قدمي أبيه والعبرات تتناثر من عجزه تسأله
 العطف والرحمة ؛ فصاح الأب : « تنح ، تنح أيتها
 النذل ! » فجمد في مكانه

ورأت الأم طرف السلسلة يتدلى من جيب
 صدريه الصبي فقالت : « أئى لك هذه ؟ » قال :
 « أعطانيها ابن عمى جابيا » فزعرها الأب في شدة
 وألقى بها في عنف على سخرة فتحطمت قطعاً قطعاً .
 وهو يقول : « هذا هو أول خائن في أسرتنا ! »
 وانهمرت عبرات الطفل مرة أخرى ، ومانيو
 يحججه بنظرات قاسية ملتهبة ، ثم صار في صمت
 نحو الغابة وبندقيته على كتفه ، ثم نادى
 الصبي قبعه وهو يبكي ؛ وانطلقت جيوزيا على
 أثرها وقلها يضطرب ، والأرض تكاد تميد بها من
 فرط الشجن ؛ وأمسكت بذراع زوجها تستمطفه
 « مانيو ، مانيو ، إنه ابنك » فقال الرجل في غيظ
 « ارجى ، ارجى ؛ إنه ابني وأنا أبوه ! » فراحت
 المرأة تضم ابنها اليها في قوة كأنها تريد أن تنتزعه
 من بين يدي أبيه ، وهي تذرف الدمع السخين .
 وعادت الى الدار يمشو عند رسم المذراء ، وتصلى
 في خشوع وضراعة

وفي قلب الغابة ، عند سخرة كبيرة ، وقف
 الرجل ثم نادى ابنه : « تمال ، تمال هنا يا ولد ،
 اركع وافرأ صلوئك ! » غير أن الصبي اندفع نحو
 أبيه : « أبى ، أبى لا تقتلنى ! » فزأر الرجل زئيراً



بعد عشرين عاماً

للتخصصي الإنجليزي توماس هاردي

بمترجمه نظم محمد خليل

— بخير

— لقد فاني أن أهنئك على نجاحك في انتخاب
المجالس البلدية الأخير حتى أن زوجي كانت عازمة
على تهنئة مسز بارنت

— يسرنا أن نراك أما وزوجي في أى وقت
تشاءان

— ولكن خبرني يا سيد بارنت لم تفكر في
بناء بيت جديد وبيتك الذي أنت فيه الآن فسيح
جميل، فضمت بارنت قليلاً ثم قال: حسن، إنماريد
أن نعيش خارج البلدة، ثم إن بيتي الآن قد قدم
ثم أخذت العربة تنهب بهما الأرض حتى
وصلا أخيراً إلى البلدة فوجدوا الشوارع لا تزال
تفيض بالناس والمصاييح تأتي بأنوارها على واجهات
الحوانيت، فلما أتيا المنزل أسرع الزوجة
والأطفال إلى الباب يستقبلون رب البيت بمد
غياب النهار كله

فلما رأى بارنت هذا صاح مبتهجاً: « إنك
لا شك سعيد يا « دون » بهذه الزوجة وهؤلاء
الأطفال، كم أود أن يكون لي بيت كهذا » .
فأجابه دون مبتسماً: « حسن . نعم إنما نعيش
هنا عيشة هادئة مطمئنة » . فقال بارنت وهو
يحاول إخفاء الشعور بالمرارة والألم: « إن بيتي

كان السائر بمحاذاة التل الشرقى لا يكاد يسمع
دفيقه الذى يسير والتل الغربى، فقد كانت الأصوات
تغيب وتمتحنى في مداخن البلدة التي تفصلهما .
أما في الليل فقد كان سكان تلك البلدة يسمعون
أولئك الفلاحين الذين يملأون الجو غناء وصغيراً .
وقد اتخذ الناس هذين التلين طريقاً للوصول
إلى البلدة . ففي ذات مساء قبل أن يبدؤا الشفق
ركب رجل نعليه وأخذ يتدحرج من ذلك التل
الشرقى إلى البلدة وقد حمل في يده حقيبة صغيرة
ومظلة، ولكنه لم يكدهم في طريقه حتى سمع
صوتاً يقول: « مرحى « دون » ! أهو أنت ؟ »
ثم وقف الشاب الأنيق المترب بعربته وقال: « هيا
اصعد حتى تصل إلى دارك »

فالتفت الرجل إلى مصدر الصوت فحيا صاحبه
مبتسماً وقال: « أبشرك يا سيد بارنت »، ثم
ركب معه

كان بارنت أكثر غنى وأتم عيشاً من صاحبه
« دون » المحامى الناشئ، إذ كان أبوه من كبار
تجار الصوف فاستطاع أن يجمع ثروة طائلة أصاب
الابن بعضها بجانب ثقافة عالية وخلق سمح كريم .
ثم أخذ الصديقان يتحادثان فقال « دون »:

— كيف حال مسز بارنت ؟

الحوانيت ، فذكرته هذه المناظر بما كان عليه والده من مجد وشهرة . ثم مضى في طريقه حتى وصل الى منزل صاحبتها « لوسى » . فلما رآه اندفع الدم الى وجهها وألقت عليه نظرة كلها دهشة واستخفاف ؛ فلما رأى بارت منها هذا قال : « إني أعرف أنه ليس لي عمل هنا ، ولكنني شعرت برغبة قوية الى رؤيتك والاطمئنان عليك . هل لك أن تمنحني يدك تترى كم من مرة أمسكتها »

— إني أفضل أن أنسى الماضي لأن أذكره فاني لا أجد فيه ما يستحق الذكر أو يسمح لك بالجيء الى هنا
— ولكن ليس فيه ما يؤلم . اني لا أنساك كثير أيا « لوسى »

— إني لم أتشرف حقاً بزيارتك من مدة ، ولكنني لم أكن أنتظرها الآن . أرجو أن تكون مسر بارت بخير

— نعم . نعم . أو على الأقل أظن هذا
— كيف هذا وهي زوجك ؟

وفي هذه اللحظة أيقظت كلمات ذلك الزائر الفضولي « كناريا » كان ينام في قفصة ، فهب الطائر مذعوراً وأخذ يضرب القفص بمخناحيه ، فذهبت إليه لوسى ودنت منه وتمتمت ببعض الكلمات . فسكن الطائر إليها وعاد إلى هدوئه الأول . والحقيقة أنها عملت هذا لتريح نفسها من عناء الحديث مع ذلك الضيف

ثم استطرد الرجل قائلاً :

« إني لم آت لأتحدث عن مسر بارت بل أتيت لأتحدث عنك أنت وحدك ولأقف على حالك منذ ذلك المصاب القاتم » . قال هذا وهو يلتفت

إلى أقيم فيه صالح لي كما تقول ، فقد بناه جدي منذ عهد بعيد ونشأ فيه والدي وقد ولدت فيه أنا وقضيت فيه سني شباني ولكني أشعر الآن بالحاجة إلى منزل جديد »

— لماذا ؟

— سعيًا وراء الهدوء ، إني أطلب السعادة فلا أجدها .

ثم هم « دون » بالدخول فتمتر في المظلة والحفظة فزلت قدمه وهوى على ركبتيه ، فأسرعت اليه زوجته ، وقد تجاهات وجود بارت وأعانتته على الوقوف ثم قبلته قائلة : أرجو ألا يكون قد أصابك شيء يا عزيزي .. أما الأطفال فقد أحاطوا بالدم وهم يصيحون : « بابا ، بابا » . فقال بارت وهو يدير عينيه بين الزوجة والزوج : لا بأس ، ثم حياهما وانصرف ، وقلبه يثقل إلى تلك المرأة

عاد بارت إلى منزله فلم يجد زوجته إذ علم من الخادم أنها ذهبت إلى « الخياطة » . فصاح الرجل متمججاً : « أي خياطة في مثل هذا الوقت ؟ »

— لقد تناولت غداءها وخرجت وهي تنتظر لك عن صحبتها هذا المساء

— ولكنكم كانت تعلم بمجيئي الليلة

— نعم ياسيدي

— اذهبي إليها وأخبريها بأمرى

ثم جلس بارت إلى المائدة يتناول عشاءه في تراخ وكسل ، وسرطان ما تذكر صديقه « دون »

وحياة السميدة ثم أخذ يقارن بين الحياتين ، ثم نهض أخيراً وقد امتلأت نفسه حقناً ودلف إلى الخارج ، وكانت الشوارع لا تزال تفيض بالأنوار تحييه كلما أبصر أرمم أسرته على إحدى واجهات

إلى صورة أبيها التي كانت معلقة على الحائط
 — لا بأس بأشكرك —
 — ماذا كنت تعملين عندما جئت إلى هنا؟
 أنظر زين الأزهار؟ — وعلى ضوء الشمعة؟
 — كنت أعمل الحواشي فقط . أعمل هذا
 ليلاً توفيراً للوقت . فاني مزمنة بإنجاز ثلاثين غطاء
 في نهاية هذا الشهر
 فنظر إليها بارت وقال بصوت المشفق عليها :
 « حرام أن تجهدي عينيك هذا الاجهاد —
 لا . إني أفضل المعنى على أن أرى هذا بعيني »
 فصاحت لوسي في وجهه : « وهل هذا هو
 الوقت والمكان اللذين تذكر فيهما هذه الأشياء —
 لقد اعتدت أن تحترمني وتحترم نفسك .. أرجو
 ألا تنطق بمثل هذا الكلام وألا تأتي إلى ثانية .
 فاني لا أظن أن زيارتي ذات بال عندك »
 — ذات بال ؟ لقد أثبت لأرى صديقاً قديماً
 عزيزاً — لا لأن أذكر هذه الأشياء . ولقد أثبت
 لزيارة المرأة التي أحب ؟ فلا تنصني ، فاني لا أستطيع
 أن أمتنع هذا . إن كثيراً من الأشياء قد دفع بي
 إلى هنا — فقد حدث في هذا المساء أن قابلت
 صديقاً ، فلما رأيت ما ينهم فيه ذلك الصديق من
 حياة منزلية هابطة ، مع أن إرادته لا يصل إلى
 عشر إرادتي استولى على شعور غريب دفعني إلى
 هنا . آه إنه مصيري الذي ساقني إلى هذا . إني
 لا أعرف كيف أثبت مني . فقد كنت المرأة التي
 كان يجب أن تكون إزوجتي ، ولكنني تركتك
 تفتلين . يال من أحمق !
 فأجابته لوسي ، وقد أغرورقت عيناها
 بالدموع : « لا تنر هذا الموضوع من جديد .

إني غطت أن أشارك هذا الحديث . يجب ألا
 تأتي إلى هنا . إني أخشى الغضبية
 — حقاً . ليس لي حق في هذا ، سوف
 لأعود ثانية
 — إنه لمن حق الطبيعة البشرية أن يظن
 الإنسان أن الطريق الذي لم يسلكه هو الأصوب .
 فنتدم الآن قبل أن تعرف إذا كنت أرضى
 بك زوجاً
 وفي هذه اللحظة التقت عيناها بعينيها فلم تقو
 على النظر إليه وجاهها صوتها ، ثم صمتا برهة ،
 وأخيراً استأنفت لوسي كلامها فقالت : « إني
 دونك جاهلاً ومالاً . لذلك لم يكن أمر زواجنا
 ميسوراً ، والآن أرجو أن تتركني »
 — أجل ولكنني لن أقابل فتاة أعز منك .
 ثم مضى
 وفي اليوم الثاني جاء « دون » لزيارة صديقه
 بارت فلم يكده يدخل البيت حتى رأى مسز بارت
 خارجة من المنزل ، فالتفت إلى صديقه وقال :
 « أود أن يصلح أمركما قريباً »
 — إذن لقد سمعت بنياً الانفصال الأخير ؟
 خاول « دون » أن يخفي سروره في قلبه بأن
 قال وهو يتظاهر بالأسف : « لا . لم أسمع عن شيء
 مهم . لكن لدى بعض أخبار غامضة عن ذلك »
 — قد تظن أن الأمر ناه ، ولكنني أرى
 فيه غير ذلك ، والآن كيف حال زوجك وأطفالك ؟
 — بخير أشكرك ، فقد خرجوا اليوم كلهم
 للزفة . إنك عصبي الزاج يا سيد بارت ، وإني
 لأذكر أيام التلذذة ، وكيف كنت تنور إذا غامس
 أحد شعورك بكلمة

- أجل إنك مصيب يا صاحبي ، وهذا راجع إلى أني أطلب دائماً الهدوء في المنزل فلا أجده ، فلو أني ظفرت به لكان عليّ كل شيء آخر
- لقد فكرت أكثر من مرة في إصلاح ما بينك وبين زوجك ، ولكنني لا أدرى إذا كانت هذه الفكرة تروقك ، على كل حال سأعرضها عليك ولك أن تأخذ بها أو تتركها ، والحق أن زوجي هي صاحبة الفكرة ، فقد رأيت أن نذهب إلى مسز بارنت وتنفام معها . إني واثق من أنهما ستصلان إلى نتيجة مرضية . فان زوجي لها قدرة عجيبة على كسب بنات جنسها
- وبني جنسها أيضاً ، إنها امرأة ذكية الفؤاد عظيمة التأثير ، وإنك لحسن الحظ بها
- قد يكون هذا ، إن زوجي مستعدة للقيام بهذه الوساطة إذا وثقت أنها جديرة بمركز مسز بارنت الاجتماعي
- إني أشكرك كثيراً ، ولكنني أخشى ألا نصلا إلى نتيجة ، ثم حياء وانصرف
- وفي ذات يوم كانت السيدتان راكبتين قارباً صغيراً يقطع بهما عرض النهر جيئةً وذهوباً . بينما كانت السيد بارنت في طريقه إلى منزل « لوسي »
- كانت « لوسي » في حديقة المنزل تقطف بعض الأزهار عندما دنا منها بارنت ، فلم تكدر تراه حتى قالت له في ابتسامة عذبة رفيقة وهي تمد يدها إلى إحدى الزنابق الجراء : « لقد ذكرتكَ كثيراً يا سيد بارنت منذ أن تركتكَ زوجك ، وها أنت هنا ... »
- نعم « لوسي »
- إلى أين أنت ذاهب الآن ؟
- إلى الميناء
- طبعاً . لقد بدأت طلائع الصيف وأخذ الناس يهرعون إلى الشواطئ
- لوسي . أراك اليوم ضامرة العود ، شاحبة الوجه — خبريني هل يمكنني أن أساعدك . إن الجو اليوم صفو والهواء رخاء عليل
- ثم مضى ، ولكنه لم يكذب بذهب بعيداً حتى هبت عاصفة شديدة غيرت وجه الطبيعة ، فبدت مخيفة غاضبة ، وعندما وصل إلى الميناء تقدم إليه أحد البحارة وهو يقول : « خطب عظيم يا سيدي »
- ما هذا يا رجل ؟
- لقد ركبت اليوم سيدتان هما مسز بارنت ومسز دون أحد القوارب طلباً للترفيه ، ولكنهما لم يتمدا عن الشاطئ كثيراً حتى هبت عاصفة شديدة أطاحت بالقارب بعيداً فانكفأ على من فيه
- أين ؟
- أسرع إلى تلك الصخرة واطلب من ذلك الصبي الواقف هناك أن يذكلك على مكان الحادثة
- وهل أتقنت السيدتان ؟
- لقد أتقنوا واحدة
- من ؟
- مسز بارنت ، أما مسز دون فيخشى أن تكون قد غابت في جوف النهر ، فأسرع بارنت إلى مكان الحادث فرأى جملاً من الناس قد تجمهروا هناك ، فنفذ وسط ذلك الجمع ، وهناك رأى امرأة ملقاة على الرمال يملو بدنهما ثوب بنفسجي وفي يديها قفاز أصفر فصرف أنهما وزوجه عاد الرجل بزوجه إلى المنزل ودعا إليها بمض

فأخذ ينظر إلى زوجه المسجاة في صمت وذهول ؛
لقد كانت تكبره بسنوات ، ولكنها لم تحط بعد
سن الشباب ، فأخذ يتفرس فيها ، فرأى قسبات
وجها أكثر فتنة وسحرًا ، ورأى فيها الدقيق
وشفتيها الرقيقتين قد التصقتا ، وجبينها
المشرق الوضاء يوج فوقه شبر أسود جميل ،
فصاح متمجبا : « إن هذا الجلال لن يموت ! »
ثم عاد ثانية إلى النافذة فرأى الدخان لا يزال
يتصاعد من المدخنة في بيت صديقه ، ورأى
« السكناري » لا يزال في القفص ، فهجمت عليه
الذكريات القديمة ، وأخذ يفكر في زوجه
ولوسي ونفسه

قضت الزوجة أسبوعا طريحا الفراش ، ثم
فاضت روحها بين يدي زوجها ، فأسرع الزوج
إلى إعداد الجثة ومواراتها التراب ، ولكنه لم يكد
بهم بالخروج حتى دخل عليه خادمه بخطاب من
صديقه « دون » يقول فيه :

عزيزي بارت :

رأيت من الأفضل أن أعلمك بأنني سأزوج
من « لوسي » على رغم أنني لم أعلن هذا بين أصدقائي
نظرا للحداد ، وعلى ذلك ستكون هناك حفلة
خاصة ، ولكنني أود أن تشهدا وأن تصحبنا إلى
الكنيسة في الساعة العاشرة .

أخذ بارت يتلو هذا الخطاب مرة ومرة ،
ثم وقف قليلا يفكر في الأمر

لم يكن هذا الرجل بالواهن العزم ، الضعيف
الارادة ؛ بل كان ذا قدرة عظيمة على احتمال
الخطوب والصبر على الكاره ، فلم يكن له عزم أمام
هذين الخطيبين اللذين ألباه في تلك اللحظة

الأطباء ، والغريب في أمر هذا الرجل أنه شعر أن
حبه لزوجته هو الصلة الوحيدة التي تربطه بالحياة ،
ثم أسرع إلى صديقه دون في مكتبه ، وما كاد
يفضي إليه بذلك النبأ الفاجع حتى هب الرجل
مدعورا وبقي واقفا لا يدري ماذا يعمل ، وبخاءة
أجهش بالبكاء فجذبه بارت من يده وذهبا معا
إلى الميناء ، حيث بقيا زمنا ينتظران إخراج الجثة ،
ولكن النهر كان لا يزال هائجا فلم يثر النواصون
عليها ، فماد بارت إلى منزله تاركا دون مع بقية
الأصدقاء يرقبون الترقية ، فلم يكد يخطو عتبة
الدار حتى وجد الطبيب خارجا ، فقال له : « خير »
فأجابه الطبيب : « قد عملنا جهدنا ، ولكننا
لم نصل إلى نتيجة ، إنني أشاطرك هذا المصاب »

فلم يقدر الرجل شعور ذلك الطبيب كثيرا ،
إذ ظنه يتهم به ، ولا سيما وأنه كان واقفا على
النزاع الأخير ، ثم أردف الطبيب قائلا : « أرجو
يا سيد بارت أن تنتهي من ذلك الأمر قريبا »

فأجابه بارت قائلا : « دعك من هذا الآن ،
وامض إلى الميناء فقد يكون الليد دون في حاجة
إليك » ، ثم دخل المنزل فرأى الخدم خارجين من
غرفة زوجه ، وقد بدا عليهم الحزن واليأس ،
فأسرع إلى الغرفة ووقف صامتا برهة وهو ينظر
إلى السرير ، ثم مضى إلى غرفته الخاصة وظل
يقطعها في خطي مثبدة ثقيلة ، وقد شعر أن كل
شيء قد مات في هذا البيت ، فلم يمد يسمع همسا
أو نفسا . فذهب إلى النافذة وأخذ يسرح نظره
في البلدة الصاخبة ، فرأى الدخان يتصاعد من
إحدى المداخل البعيدة ، فأدرك أن لوسي تمها
لعمل الشئ كماذهبا . ثم عاد إلى غرفة النوم

الصخر الجلود أو المعدن الصلب ، ولكن هذه للذة
وإن بدت طويلة في عمر الانسان لا تذكر بجانب
عمر الانسانية ، ولا تترك فيها شيئاً
وأخيراً بعد عشرين عاماً عاد بارت إلى موطنه
الأول الذي لا يحول عنه ولا يتحول . فرأى وجوهاً
غريبة ومعالم جديدة ، ومضى يسأل عن شريكه
القديم السيد « وأتكنز » . فصادف ابنه فسأله عن
والده فقال له الابن : « لقد مات أبى من مدة »
— آه يؤسفنى أن أسمع هذا — لقد تركت

هذه البلدة من زمن بعيد

— ولكن هل الشركة قائمة الآن ؟

— أجل إنها لا تزال قائمة ، ولكن أسقط
منها اسم بارت . ذلك الاسم الخيال الذى لا أعتقد
أن صاحبه قد عاش بيننا وسامى في هذه الشركة

— ألا يزال « أندروجون » يعمل مهندساً

للشركة ؟

— آوه ! لقد مات ياسيدى

— وكيف حال قسيس كنيسة القديسة ماري

مستر « مدروز » ؟

— لقد توفاه الله منذ سنوات عديدة

فصمت بارت برهة وقال : « كيف حال مستر

« دون » المحامى ألا يزال يعمل في المحاماة »

— لا ياسيدى ، لقد مات منذ سبع سنوات

فصمت بارت ثانية ، وشعر بقشعريرة تمرى

في بدنه ثم قال : « وهل مسز دون لا تزال على

قيد الحياة ؟ » قال هذا وهو يكاد يقضم شفتيه

بأسنانه

— نعم إنها لا تزال حية وتقيم في المنزل القديم

— مع أطفالها طبعاً

ولم يكن أحد قد سمع بموت زوجته ، ولم يرد
أن يخبر صديقه « دون » في ساعة زواجه ، فقام
باعداد كل شيء بنفسه ، ولما انتهى من ذلك
أسرع إلى الكنيسة فرأى « دون » و « لوسى »
ساجدين أمام الهيكل وحولهما بعض الناس ، فتقدم
إلى « دون » وهنأه ، ثم التفت إلى « لوسى »
وهو يتوقع أن يرى في عينها بريق الاثم والندم ،
ولكنه وجدها مأخوذة بالوقف الجديد ، فهناها
وانصرف ، فقال له « دون » :

— انتظر حتى تصحبنا إلى المنزل

فأجابه بارت : « لا . لا . لست مستعداً لهذا .

سأقف في الخارج مع الواقفين حتى تركبا العربة

إلى المنزل — ثم أراقب ذلك الشهور الذى يمتلئ

عندئذ . فضحك الزوجان ثم ابتم بارت وخرج

فلما انتهت الحفلة وركب الزوجان وانصرف

الدعويون مضى بارت في خطى متعثرة وفكر شارد

إلى مدافن البلدة وهناك انحنى على قبر زوجته يرفه

عن نفسه بالكاء ثم عاد إلى منزله وقد غزم على

أمر عظيم

فلما استقر به المكان أرسل جملة رسائل إلى

شركائه ثم دعا أحد المحامين وهو صديق قديم لوالده

وطالب إليه أن يبيع له جميع أملاكه وأن يرسل إليه ثمنها

وفي اليوم التالى كان بارت في طريقه إلى حيث

تقوده قدمه

لكنه قبل أن يبادر البلدة أرسل إلى صديقه

« دون » بنبئه بموت زوجته في الساعة التى وافاه

فيها خطابه الذى يملئه فيه بزواجه من « لوسى »

إن عشرين عاماً لا تمضى دون أن تترك أترأفى

زوجي قد مات منذ أمد بعيد وأنى أعيش وحيدة الآن اللهم إلا بعض زيارات من بنات زوجي مستر « دون »

— وقد أصبحت أنا شيخاً وحيداً —
— أين قضيت هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا اختفيت عنا فجأة ؟

— حسن يا لوسى ، لقد ألفت مدة في أمريكا وزمناً في استراليا . وسنوات في الهند ، وفترة في جنوب إفريقيا ، وهكذا فلم أملك في مكان واحد كما ترين
أما لماذا اختفيت فجأة فأنت تعرفين السبب . ألم تفكرى مرة ؟

— لا — لم أفكر — ولا أى واحد آخر قد فكر في هذا

— حسن . ففكرى الآن . ثم انظرى إلى وأخبرينى إن كنت لا تعرفين
فنظرت إليه لوسى في ابتسامة رقيقة وقالت :
« أظن أنه ليس من أحلى »

فهذا الرجل رأسه وابتهنم ابتسامة حزينة فقالت :
— ألا تى تزوجت « دون » ؟
— نعم ، وفى اليوم الذى أصبحت فيه حراً لأن أطلب يدك . إذ ماتت زوجى قبل ذهابك مع « دون » الى الكنيسة بعشر ساعات ، ولقد ذهبت إليك عقب فراخى من الدفن

فألقت عليه لوسى نظرة كلها حب وعطف وقالت : « لم أفكر فى هذا ، ولكنى أعرف أنك أظهرت لى بعض الشعور الطيب مرة ؛ ثم إنى لم أتزوج إلا وأنا أعتقد أن زوجك لا تزال حية . أظنك فى حاجة الى الشاى . لقد اعتدت أن أشرب الشاى

— لا — ليس لها أطفال — إلا بنات زوجها « دون » من زوجه الأولى ، وقد تزوجن كلهن فعلى تيمش الآن وحيدة —
وحيدة ؟

— نعم يا سيدى وحيدة
ف شكره الرجل وانصرف ، ومضى إلى الفندق فتناول غداءه ثم ارتدى ملابسه وحلق ذقنه وخرج إلى بيت لوسى كما كان يفعل قبل ذلك بعشرين عاماً فلما وصل إلى الدار وجد نوراً ضئيلاً ينبعث من إحدى الغرف ، والسكون يحيم على المنزل فدنا من الباب وقرعه فأسمع الخادم وفتحته وقال :
« ما اسمك يا سيدى ؟ »

— صديق قديم
ففى الخادم وأخبر سيده بذلك . فقالت له :
« ماذا يشه ؟ »
فأجابها الخادم . « إنه رجل قد وخط الشيب فوديه »

فهمت المرأة التى كانت يوماً ما الفتاة « لوسى » وقد ذبلت الوردتان اللتان كانتا على خديها وعرف الشيب طريقه إلى شعرها . ولكن عينها لم تفقد سحرها وقوتها ولم تستطع المشروبات عاماً أن تذهب بكل ذلك الجمال وذلك السحر
— ألا تعرفينى يا لوسى ؟

— لقد عرفتك منذ رأيتك — إنى لا أعرف
لماذا كنت أفكر دائماً فى عودتك — لقد قالوا إنك مت ، ولكن لم أصدق قولهم
— آه لقد مضى زمن طويل على لقائنا الأخير —
نعم . ماذا رأيت فى طوافك بجانب ما رأيت فى هذا المكان المنعزل . إنك تعرف أن

بدلاً من المشاء منذ وفاة زوجي فهل تسمح وتتناوله
 مى ؟ »
 فأظهر الرجل رغبته في الشاى وسرعان ما أعد
 لها . فجلسا يشربان ويتحدثان ثم أخذ بارت يرح
 بصره في الغرفة وأخيراً قال :
 --- أرى تغيراً في نظام الغرفة . ففي مكان
 « البيان » الآن كان يقوم بعض أوراق الحائط وبها
 بعض البطاقات والرسائل ، وفي ذلك الركن قرأت
 ذلك الخطاب الذى أرسله إلى دون منذ عشرين
 عاماً يعلمنى فيه بزواجه منك . فتركت المنزل ولم
 أعد إليه إلا الآن
 --- آه لقد فهمت كل شيء
 ثم أوقد المدفأة واستأنفا الحديث ، وأخيراً
 قال بارت : « لوسى ! إن بعض الشيء أفضل من
 لا شيء ، فان كان الوقت قد فات فان ما بقى فيه
 خير من عدمه . هل تزوجين منى الآن ؟ »
 فتراجعت المرأة مندهشة . ولكنها لم تكن
 تجهل الموقف تماماً ثم قالت :
 --- ماذا ؟ إنى لا أتزوجك ولو وهبتي هذه
 الدنيا كلها
 --- حتى بعد هذا ؟
 --- لو أنى كنت أفكر في الزواج لفضلتك
 على سواك ولكنى لا أفكر فيه الآن ولا بعد الآن
 --- ولكن ألا تعيرين من رأيك هذا ؟
 --- إنك لا تدري ماذا تقول . إنى لا أستطيع
 أن أقول إنه كلام مضحك لأنى أراك تتكلم جداً
 ولا أستطيع أن أصغى الجذ بالزواج
 --- أجل إنى جاد . فقد فكرت في هذا منذ
 شهرين وأنا في مدينة « الرأس » لكنى أجد منك

إغفاء وصداً . إنى أتكلم جداً
 --- وإنى أعارض في أية فكرة في الزواج
 --- حسن فأنت تعرف ، مادام الأمر كذلك .
 ثم نهض يتأهب للخروج ، فأعاته على لبس معطفه
 وودعته حتى الباب
 فقال لها : أسعدت مساء . أرجو ألا أكون
 قد أسأت إليك
 --- لا ، لا ، بل إنى أرجو منك هذا
 فابتسم قليلاً وقال : « سأقلب أوجه الرأى
 وأرى فيما بعد . أسعدت مساء »
 ثم راقبته حتى اختفى في الطريق فعادت الى
 غرفتها وأوصدت الباب دونها ثم استلقت على
 فراشها وأخذت تستعيد صور ما حدث منذ لحظة .
 وكيف تلقى صاحبها ذلك الرفض في ثبات وهدوء
 كأنه كان يعتقد أنه لا يستحق إلا هذا . لقد كان
 رجلاً في هذا الموقف . بل كان أكثر من رجل .
 ثم نهضت الى المرأة وأخذت تتطلع فيها فرأت أنها
 لا تزال تحتفظ بكثير من جمالها القديم . ثم بدا لها
 رأى جديد
 أخذت ترقب عودته يوماً بعد يوم ولكن
 كبرياءه أبى عليه أن يعود إليها . وقد أخبرها أنه يقيم
 بالفندق . فلما طال الانتظار ذهبت اليه تسأل عنه
 فقيل لها إنه غادر المدينة في الصباح ولم يحتفظ بفرقة
 --- ألم يترك عنوانه ؟
 --- لا
 فعادت الى منزلها ساعمة مهمومة موطنة المزم
 على الانتظار
 فانتظرته الأيام والسنين ولكن لم يجد
 نظمى خليل

ورجعت إلى البيت ، فدعوت لاريف ووصفت له السكن المحاط بالحديقة الصغيرة عند مدخل القرية واستفسرت منه عن سكانه ، فقال : إن من يقطعه سيدتان إحداهما عجوز مشهورة بالتقوى والأخى تدعى مدام بيارسون وهى السيدة التى وأيتها . ولما استملت عنها وعمما إذا كانت زارت والدى من قبل قال : إنها تعيش بمنزلة وإنه قليلا مارآها عند والدى ولم استرده إيصاحا ، بل عدت إلى ممشى اليزفون وجلست على مقدمه ، فاقترب الجدى منى بلاطفى فشعرت بحزن عميق يستولى على ، ونهضت أرسل بصرى على الطريق التى كانت مدام بيارسون قد أتت إليها ، ثم اندفعت لمخاطها وأناهاهل حتى توغلت فى الجبل

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء ، عندما خطر لى أن أعود أدراجى ولكننى رأيت خريزة قريبة منى فتوجهت إليها لأتناول فيها قدح لبن وقطعة خبز ، وكنت من جهة أخرى شمعت بنقط كبيرة تتساقط من الغمام مندرة بعاصفة شديدة ، فقصدت بيت المزرعة وطرقت بابه ، فأجابنى أجد بالرغم من وجود نور فيه ، فتقدمت إلى النوافذة ، وتطلعت فإذا فى الباحة نار مشبوبة والزراع الذى كنت أعرفه جالس قرب فراشه . وضربت على زجاج النافذة لأنابه فإذا بالباب يفتح فجأة ومام بيارسون تطل منه سائلة : من الطارق ؟ وما كنت لأتوقع أن أرى هذه السيدة فاختفى عليها اندهاشى

دخلت الغرفة ملتصقا بالانتجاع من المطر وإذا كنت أنساأل من سبب وجود هذه السيدة فى هذا المكان فى مثل هذه الساعة المتأخرة ، سمعت أننا ، فأدبرت وجعنى نحو مصدره فإذا امرأة الزارع



مِنْ أَعْمَاقِ الْفُؤُوسِ

لِلْضَرِيرِ دِي مَوْسِيَه
بِقَلَمِ الْأَمْتِ تَاذْ فِلْيَكْسْ قَتَارْسْ

الجُرْعُ الثَّالِثُ الفصل الثالث

وكنت أتمشى ذات مساء عند مدخل القرية تحت ظلال اليزفون فرأيت سيدة فتية تخرج من أحد المساكن المنفردة وكانت مقنعة ومرتبدة أنوابا على غاية من البساطة ، غير أن قامتها الهيفاء ، وخطراتها الرشيقية استوقفتنى فاتبعتها بنظري . وعندما وصلت إلى المرج كان هنالك جدى أبيض يرتى منفردا فلما رآها قفز للإلتاقها ، فأمرأت يدها على رأسه ، وتلفتت عينا وشمالا كأنهما تفتش عن أوراق خضراء تقتطفها له ، وكان قربى شجرة من التوت البرى فقطعت منها غصنا ، وتقدمت به نحو الجدى فتقدم هو أيضا نحوى ولكن بخطوات متعجلة ، حتى إذا دنا من الغصن وقف وجلا ينظر إلى صاحبته كأنه يتوقع صدور أمرها ، فأشارت إليه لتشجعه على الالقدام ، غير أنه لبث خائفا حتى جادت ووضعته أمامها على الغصن فاختطفه الجدى من يدي . والتفتت المرأة المجهولة إلى مسلة وسارت فى طريقها

منظرحة على سريرها ، وقد رسم الموت طابعه على وجهها

وقعدت مدام بيارسون تجاه زوج العلية وقد انهدم في جزعه وحزنه ، وأشارت إلى بدمم الاثنيان بأقل حركة لأن المريضة كانت نائمة ، فأخذت مقعداً وجلست منتظراً مرور العاصفة

وكانت مدام بيارسون تهض من آن لآخر لتقرب فراش المريضة ثم تعود لتقول للزوارع بعض كلمات بصوت خافت . وكان أحد أطفال البيت قد اقترب مني فأجلسته على ركبتي ، فقال لي : إن هذه السيدة تجيء كل مساء لميادة أمه وأنها تعفى الليل عندهم بعض الأحيان لأنها كانت تمشي بالمريضة لعدم وجود راهبات في هذه الأثناء ، وأضاف الولد إلى هذه المعلومات قوله بصوت جد منخفض : — ليس من ممرضة سواها ولا طبيب عندنا إلا الطبيب الجاهل ... أما هي فتدعي بريجيت الوردية ، أفلا تعرفها ؟

قلت : لا ولكن لماذا يلقبونها بالوردية ؟

فقال : لا أدري ولعلها احتفظت بهذا اللقب منذ كانت بائنة ورود

وكانت مدام بيارسون تزعج قناعها ، ولما نزل الولد عن ركبتي نظرت إليها ، فإذا هي واقفة أمام سرير المريضة تقدم لها كأساً لتشربها وقد انتهت هذه المريضة من نومها ، وكانت الممرضة شاحبة الوجه مغممة اللون ذات شعر أشقر يضرب إلى الرمادي ؟ وما أدري ما أقول عن جمالها غير أنني حين رأيتهما تحق بيكيها السوداوين ببيني المريضة ، والمريضة تملق أبصارها بها ، رأيت بين لحظات هذا الاحسان وهذا الامتنان نوعاً من الجمال يقصر

عن وصفه كل بيان

واشتد انهمار المطر وغرقت الحقول المغفرة بالظلام تمزقه من حين إلى حين بروق خاطفة تتبعها قمعة الرعد ، فكان زفير العاصفة وأزيز الرياح وثورة العناصر خارج الكوخ يزيد ربهمة ما في داخله من صمت خاشع ، فيبدو المشهد أمامي أشد روعة في قدسيته

وكنت أجيل الطرف فيما حولي على الجدران الحفيرة ، وزجاج النوافذ تفرقه الأمطار ، والضباب الكثيف تقذفه العاصفة كالمدخان ، فأرى بأس الزارع في جزعه الجامد ، وزعر الأطفال ، وهذه المدفنة تحاصرهما كل هذه العناصر الثائرة الصاخبة ، وأرى قربها على هذا المسرح الفجيع هذه المرأة المنتصبة بشحوبها ولطفها نذهب وبجيء كأنها تجس الأرض جساً وهي مستغرقة بما بهم به ، فلا تبالي بالعاصفة ولا بأحد ممن ينظرون إليها حتى كأنها لا تبالي بغيراتها وإقداها . فكنت أشعر أن بهذا العمل المبرور من الصفاء في رسالته ما هو أبهى من صفاء السماء ، وقد انقشعت عنا الغيوم فأنظر إلى هذه المرأة كأنها مخلوق أسمى من البشر لأنها وقد أحاطت بها كل هذه الفجعات لم يبدأها الشك لحظة في وجود ربه ورحمته

من هي يا ترى هذه المرأة ؟ ومن أين أنت ؟ وهل هي منذ زمن بعيد إذ يذكر الناس أنها كانت بائنة ورود ؟ لماذا لم أسمع بها من قبل ؟ لقد جاءت وحدها إلى هذا الكوخ في مثل هذه الساعة فهي إذا لا تسارع إلا إلى حيث تدعوها المصائب والأخطار ، فتتجول تحت النواصف بين الغابات في الجبال مقنعة تحمل الحياة لن محتاجون إلى الحياة .

زوجها قائلة : جزاك الله خيراً يا زوجي المسكين .
ونهضت من مكانها وقد ثار نأري لحسافة
هؤلاء الناس الذين يمررون عن امتنانهم للملك
بتوجيه التناء الى بخل الكاهن . وكنت على وشك
تقريهم على عقهم ومعاملتهم بما يستحقون ،
ولكنني رأيت مدام بيارسون ترفع بذراعها أحد
الأطفال لتقدمه الى أمه قائلة له : قبل أمك فقد
زال عنها الخطر

وجئت إذ سمعت هذه الكلمات وتفرست في
وجه هذه المرأة فראيت عليه أوضح اعتباط تم عنه
روح بحسنة كريمة ، وكانت آثار التنب قد زالت
عن ملامحها فطفح وجهها بالبشر ورفعت شكرها
لله هي أيضاً . إن كل ما كانت تطمح إليه هذه
المرضة هو أن تتكلم بالدنفة ، أما وهي تتكلم
فلتقل ما تشاء ...

وبعد رهة طلبت مدام بيارسون من الأولاد
أن ينهضوا خادم المزرعة من رقادته ليوصلها إلى بيتها
فتقدمت أطلب إليها أن أسير معها حارساً ما دمت
ذاهباً في الطريق نفسها ، وأعلنت لها أنني أعد
قبولها شرفاً لي ، فسألتني : أفأنت أوكنت ؟
فأجبته : أنا هو ، وسألتها ما إذا كانت تذكر
والدي ، واستغربت ابتسامها عندما أوردت هذا
السؤال . ولكنها أخذت بساعدي وخرجنا بسرور
إلى الطريق

الفصل الرابع

وكنا تقطع الطريق صامتين ، وسكنت العاصفة
فارتفعت الأشجار تنفض عن أغصانها قطرات
الأمطار ، وكان لم يزل على الأفق البعيد ومضات

وبينا نحمل كأس الدواء للأعلاء لا ننسى أن
تلاطف جديها الأبيض في طريقها
إن هذه المرأة تسير بخطواتها المترفة الهادئة
لكافة الموت ماشية بالخطوات نفسها إلى موتها
هذا ما كانت تفعله هذه المرأة في هذا الوادي
بينما سكنت أنا أرتاد قاعات اليسر وأمشي على
سبيل الضلال . ولملها ولدت في هذا الوادي
وستدفن في مقبرته بالقرب من لحد أبي المحبوب .
فتذهب من الدنيا دون أن يعرفها الناس وهي التي
يسألك الأطفال وهم يذكرونها : — أفساً تعرف
بريحية الوردية ؟

ليصعب على بيان ما كنت أشعر به ، وقد
وقفت في زاوية لا أبدى حراكاً ولا أنففس إلا
مرتحفاً ، ولأح لي أنني إذا تقدمت لمساعدة هذه
المرأة فأوفر عليها خطوة من خطواتها ، أرتكب
خرقاً وألصق يدي بالدنفة آنية مقدسة

ودامت العاصفة ساعتين حتى سكنت ، فأفاقت
العالية وجلست على فراشها وهي تقول إنها تشعر
بالراحة ، فقد أفرج عنها بعد أن تناولت الدواء ،
فتراكد الأطفال إلى أمهم ينظرون إليها ، وقد
تمازج في عيونهم الفرح والاضطراب وأمسكوا
برداء مدام بيارسون

وقال الرجل وهو لا يتحرج من مكانه :
كنت أتوقع هذا لأننا عهدنا الى الكاهن بأن
يصل ، وقد كافنا ذلك كثيراً من المال

وعندما سمعت هذه الكلمات الدالة على الخشونة
والحق ، التفت الى مدام بيارسون فראيت من تعب
جفونها ومن التواء قامتها وامتقاع لونها أن التعب
والشهر ذهباً بكل قواها . وسمعت الدليلة تجاوب

يتسنى لها أن تجتمع به هي ، لأن عمته كانت تلمب
وليها بالورق في السهرات ، وأخيراً دعته إلى زيارتها
وعند ما وصلنا إلى منتصف الطريق أحست
بالأعياء فجلست على مقعد كانت وقته الأغصان
النضة بلل الأمطار ، فوقفت أمامها أنظر إلى أشمة
القمر الباهتة تنير جبينها ، وبعد دقائق نهضت
وإذ رأته ذاهك قالت : فيماذا تفكر ؟ أأنا أن لنا
أن نستأنف السير ؟

- كنت أفكر في الغاية التي خلقك الله لها
فأدركت أنه أوجدك رحمة للعالمين
- إنها لكلمة لا أحملها منك إلا على عمل
الاطراء

- ولماذا ؟
- لأنه يلوح لي أنك لم ترل في ريمان العمر
- أفليس في العالم من بلغوا من العمر أكثر
ما نذل سبائهم عليه ؟
- لقد يكون ذلك كما أنه يمكن للإنسان أن
يأتي بأقوال أنضج منه
- أأنا تمتقدين بالاختبار ؟
- إن ما أعرفه عنه هو أن أكثر الناس
يطلقون اسمه على أحزانهم أو على أعمالهم الجنونية
فأهو مبلغ المعرفة التي يتوصل إليها من كانت
في سنك ؟

- ربّ رجل في العشرين رأى من الدهر
ما لم تره امرأة في الثلاثين ، فإن ما يتمتع به الرجال
من الحرية يصل بهم إلى صميم الحياة بأسرع مما
تصل النساء . فالرجال يتهاوتون على ما يجتذبهم دون
حائل فيختبرون كل الأمور . فإذا ما لاح لهم أمل
مشوا إليه ، حتى إذا بلغوه ارتدوا عنه تاركين الأمل

لبقاي البروق وهبت من الأعشاب الرطبة عبقات
نشرها الهواء وقد دبّت الحرارة فيه . وانتشمت
السحب عن وجه المساء ففمر القمر بأوارده
فهم الجبال

وذهب فكري يتلمس من الصدف أسرارها
وقد عجبت لما تجمع في ساعات بيني وبين امرأة
ما كنت لأظن أنها موجودة عند ما أشرقت
الشمس ، وهأنذا أضحك في طريقها المقفر في المراء
نحت جناح الليل

لقد قبّلت هذه المرأة أن ترافقني لوثوقها من
شرف محددي فهي الآن تستند إلى ذراعي وتسير
مى مستسلمة مطمئنة

وكنت أرى في هذه الثقة كثيراً من الحرارة
أو كثيراً من السذاجة ، وشعرت أن رفاقتي تجمع
بين هذه وتلك لأنها بهذه القوة المزدوجة دفعت
بقلبي إلى عاطفة الطهر والافتخار

وبدأ حديثنا يدور على المربضة التي تركنا في
الكوخ ، ثم تحول إلى مشاهد الطريق وما خطر
لأحدنا أن يوجه إلى الآخر ما يوجه المتعارفان
حديثاً . وتكلمت مدام بيارسون عن أبي بالهجة
نفسها التي ذكرته بها للمرة الأولى أي بالهجة فيها
شيء من السرور الرصين ، فبدأت أفهم كلما توغلت
في الحديث معها سبب نكلمها بهذه اللجة لا عن
الموت فحسب بل أيضاً عن الحياة وما فيها من
حوادث وآلام ، فأدركت أن ليس في الأرض
من ألم تراه مبعثاً للشكوى من الله ، لذلك كان
ابتناسها عبادة وتسلياً لارادته

وحديثها عن حياة المزلة التي اخترتها فقالت
إن عمته كانت تجتمع بالوالدي أكثر مما كان

من ثياب يدل على التجديد في الزى والحياة أما هي فكانت تتمتع بكل ذلك وكأنها متسلخة عما حولها . وقد استرعى انتباهي ما في ذوقها من التناسق الذي يندّ عن كل مستغرب ، فلا تأنس إلا للجنة والحسن ؛ وكان حديثها يدل على علم مستكمل ، فما كانت تتناول موضوعا دون الأجابة فيه ، فكنت أحس بأن وراء هذه السذاجة غورا مليئا بالكنوز وأن ذكاء ظليما واظرا يرف فوق قلبها الهادي في عزائها ، فكان هذا الذكاء طيز من أطياف السواحل يتعالى إلى السحاب صررفا فوق طحلب الصخور حيث ابقي عشه .

ودار حديثنا حول الأدب والموسيقى وكدنا تتناول السياسة ، وكانت قد ذهبت في الشتاء إلى باريس وما كانت تتصل بالمتجمع إلا في فترات متقطعة ، غير أن القليل الذي كانت تشاهده كان يكفيها لفتح مجال وسيع أمام تفكيرها . وكان خير ما يجمعها سرور هادي لا يصل إلى المرح الذي يثب وثبا ، فكانها خلقت زهرة عيرها السرور .

ويعجز بياني عن وصف ما كانت تفعل بعينهاها السوداء وانهما لتلتمان على صفحة وجهها الشاحب . ومما كان يزيد في بهائها سكنات وحركات تأتي بها عفوا فتدل على أنها عركت الدهر وبات الحياة وما أدرى أية قوة كانت تعلن أن السرور السكلك لجين هذه المرأة لم يأتها من هذا العالم ، بل أنزل عليها من السماء وأنها ستعود بهذا السرور كاملا إلى الله بالرغم عن الناس . فكانت هذه المرأة تتجلى لي في بعض اللحظات كحالة قبس تنسم هبوب الريح لتقي النور المشع في يدها

مضيقا على الطريق ، وقد خدعتهم السعادة بما منتهى من مواعيد وكنت أسير في كلامي على هذا النمط حتى بلغنا أكمة ينحدر الطريق منها إلى الوادي ، وكان الانحدار استهوى رفيقي فبدأت تقفز برشاقة فجارتها وصرنا ركضا وسعدانا مشتبكان والعشب المبتل تحت أرجلنا يزيد في انزلاقنا ، وهكذا انحدرونا كطيرين أساهما الدوار حتى بلغنا قاعدة الأكمة وقالت : لقد كنت متمبة فزال تعبي الآن ، فهلا عالج اختيارك بما أعالج به تعبي . . . لقد صرنا بسرعة فستناول الطعام بشهية

الفصل الخامس

وذهبت لزيارتها في اليوم التالي فوجدتها جالسة إلى الببانو ، ورأيت العمة الشيخة قرب النافذة منهمكة في الحياكة ، وكانت الغرفة الصغيرة ماثلة بالأزهار وشمع الشمس ينعمر المرائش المحيطة بها حيث نصب قفص كبير تتطير فيه العصافير

وكنت أتوقع أن أرى زاهدة عابدة أو على الأقل امرأة قروية لا علم لها بشيء مما يجري وراء منطقة صاحبها ولا تعبد عن عادات محيطها . وقد كنت أنظر إلى من يعيشون بمنزلاتهم كأنهم يحتفون عن الناس هنا وهناك في المدن بشيء من الحذر كأنني أرى فيهم بؤرا آسنة فسد فيها الهواء ؛ فإن في كل ما يتلفع بالنسيان على الأرض شيئا من الموت . غير أنني رأيت على مكتب مدام بيارسون جرائد ومجلات حديثة كانت ترصد لها ما يبتقي لديها من الوقت ، وقد كان كل ما حولها من الرياش وما تلبسه

في القرية وهو من خريجي سان سوليبس ومن أنساب الكاهن خادم الرعية

وكان هذا الرجل سميناً صاحب اللون وما كنت حياتي إلا مستقبحة. هذا النوع من الصحة العليلية ؛ وكان هذا الرجل فضلاً عن هذا التناقض في شخصه يتكلم بلهجة تدل على الادعاء ، فكان يورد ألقاظه متوثبة متمهلة ، وكان في مشيته شيء من التصنع المتناقل زاد في نفوري منه ؛ أما نظراته فلا يسعى أن أقول عنها إنها نظرات لأنها ما كانت لتعني شيئاً ذلك كان حكى على هذا الرجل من ملامحه ، وما كذبت الأيام فراستي فيه ، وأأسفاه ...

جلس هذا الرجل على مقعد وبدأ بالتحدث عن بارس ، وكان يدعوها بابل المصغر ، فقال إنه جاء منها وهو يعرف جميع من فيها ، وأنه كان يتردد على مدام ب وهي ملاك كريم ، فيقوم بالوعظ والارشاد في قاعاتها الكبرى حيث كان الناس يأتون زرافات ليصفوا إلى أقواله وهم ساجدون . (وما كان الذي يقوله هذا الرجل كذباً ولا لأدب)

وذهب في حديثه فقال إن من عرفه إلى هذا البيت الكريم إنما كان أحد زملائه ؛ غير أن هذا الزميل كان قد أغوى فتاة ، فطرده من المدرسة لهذا الجرم الشنيع

ثم انقلب هذا الحدث يكبل الشتاء لدمام بيارسون لما تصف به من حب الخير وما تأتيه من أعمال البر بالاعتناء بالمرضى والسهر عليهم بنفسها قائلاً : إنها لأعمال جلييلة لن أغفل عن ذكرها في سان سوليبس فسكأنه كان يقول إنه لن يغفل ذكر هذه الأعمال عند أقدام عرش الله

وما أمضيت ساعة في الغرفة الصغيرة حتى اندفعت أحدث صاحبها عن كل سرايى ذا كرا حياتي الماضية وما تركت لي من أحباب وما تحملت منها من الأحران ؛ وكنت أتعشى في الغرفة ، فتارة أنحنى على الأزهار أنشق عبيرها وتارة أرفع رأسي إلى السماء محدداً بالشمس ، ثم تقدمت إلى مدام بيارسون أخيراً ورجوتها أن تسمعني لإنشادها ، فما ترددت وبدأت تنشد ، فذهبت إلى النافذة لأطلع إلى الطيور بينما أنصت إلى الانشاد . وخطرت على بالي كلمة لموتبان وهي : (لا أحب الحزن ولا أحترمه بالرغم من إجماع الناس على تمجيدته ، فما الخرب إلا كلمة حقاء جعلها الناس حلية للحكمة والفضيلة)

وسمعت صوتي يتعالى بالرغم مني قائلاً : يا للسعادة ويا للراحة والمسرة والسوان !

فرفت اللمة رأسها ونظرت إلى نظرة استغراب وتوقفت مدام بيارسون فجأة عن الانشاد ، فعلا احمرار الخجل جبيني إذ شعرت بما أنيت من جنون ، فارتيمت على المقعد صامتاً

ثم نزلت وإياها إلى الحديقة ، فرأيت هناك الجدى الأبيض رائداً على المشب ؛ ولما رأنا هب نحوها ومشى لبيمتنا ، وما قطعنا أول ممشي في الحديقة حتى لاح لنا قرب المدخل شاب طويل القامة صاحب الوجه ملفن برداء أسود ، فاجتاز الحاجز دون أن يقرع الجرس وتقدم إلى مدام بيارسون مسكاً ، ولحظت أن غمامة سوداء مرّت على ملامح هذا الرجل عند ما رأيته ، وقد تشامت أنا المرأة ؛ وكان القادم كأنها يدعى مراكسون ، كنت شاهدة

فقلت لها : لقد تذرعت باسم والدى لدخول
هذه الملكة فاصحى لى باسمه أيضا أن أعود لأروم
بالسعادة وأناكد أنها لم تدفع لى إلى زاوية النسيان
مدت يدها إلى فليستها دون أن أجبر على
رفعها إلى شفتى ، وأمسى المساء فعدت إلى مسكنى ؛
وعند ما أوسدت بابى واستلقيت على فراشى لاح
البيت الأبيض الصغير أمام عيني ، فكنت أراى
أخترق القرية متجهما إلى الحاجز لأقرع بابه .
وهتفت قائلاً : تبارك الله ، يا قلى ، فانك لم تزل
فتيا ويمكنك أن تحيا ويمكنك أن تحب ببد
فليكس فارس (ينبع)

واجب !

ما الذى يملك من أنت توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل و . . . الخ إذا
وجدت أمالك مورد مصرى يستورد لك الصنف
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بشكاليها
فقط

مريب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله فى
السوق يباع ببائين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطلب فى الحال

مطلوب وكلاء فى الشرق والأقاليم للقلم
ولأصناف أخرى مما نستورده من الخارج

و كنت نمت من سماع هذا الخطاب فاستقيت
على العشب وبدأت أداعب الجدى الأبيض ، فأزل
مراكانسون بنظره المنطقي " على " قائلاً : لقد كان
فارينو التهمير يجب أن ينطرح على العشب
ويداعب الحيوانات

فقلت : هذا نوع من الهوس الطاهر يا حضرة
القس ؛ ولو أن هوس الناس كله من هذا النوع
لكانت الأمور تجري مجراها ولا تحتاج للتدخل
أحد فيها

وما أعجبه جوابى فقطب جبينه وغير الحديث
قائلاً إنه موفد من قبل كاهن القرية ليحدث مدام
بيارسون عن رجل فقير لا يملك ما يقتات به ، وبعد
أن دل على مسكن الرجل قال إنه يؤمل أن تهتم
السيدة الفاضلة بأمره

و كنت أتوقع أن تتكلم هى ليزيل صوتها أثر
صوت الكاهن الأبح من أذنى ، فبدأت جوابا
بل المحنت مسلة ، فنهض الكاهن وذهب
فى سبيله

وما توارى حتى عاودنا الجبور ، فدعنى للذهاب
معهما إلى حجرة النبات فى طرف الحديقة ، وكانت
هذه السيدة تمتنى بأزهارها عنايتها بالأطيار
والفلاحين ، لأنها كانت تود أن ترى كل شئ
حولها مستمتعاً بالصحة فلا يحرم أحد أو شئ قطرة
الماء وشعاع الشمس ، فإ كانت تشعر بالسعادة
إلا إذا بلت ما يريده الملاك الكامن فيها

وكانت حجرة أزهارها على غاية من الجمال ،
وبعد أن مررنا بها قالت : هذه هى مملكتى الصغيرة
وقد رأيت كل ما فيها لأن هنا آخر حدودها

أوديسيوس يروي قصته

- أ - لمبولوس وجعبة الرياح الأربع
ب - في جزيرة الجبابرة
ج - غرام سيسرس



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصله الفصل السابع

« وبلغنا جزيرة الأيوليين حيث يحكم الملك لمبولوس بن هبوتاس ، حبيب الآلهة . وهي جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسي الهائل ، وأواذيتها التي يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناء الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم في قصره المنيف ، في قبة وأرف من حب الملكة ، في بُلهنية ودغد ، وعيش واسع مُخفّرج ، ونمى طائلة ، ولذا نذ شق ... يقضون وقتهم في لهو برى ومرح ، وبأوون إذا أجنهم الليل إلى سرد موضوعة ، وزراني مبثوثة ... وأرائك من حوبر ولقد لقينا الملك بالبشر والاياناس ، وأقمنا في كنفه شهراً كاملاً ، فأمهم طامعين ؛ ثم سألتني فقصصت عليه قصة (اليوم) وكيف سقطت في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الأخيين بعد ذلك ، وما تم من رحلتنا في ذاك العباب ، عاشين ، ضاربين على غير هدى ... ثم إني ضرعت إليه أن يمدني في خفارتة إلى بلادي ، فأجاب سُوتي ، وأمدني بكل ما يسر رحلتى ، ثم تفضل فتشى منى إلى البحر ، حيث قدم إلى جمعة مصنوعة من جلد عجل كبير جسد ، خُيل إلى أنه ذبح في سن التاسعة ، وهي جمعة من صنع جوف سيد الأولب ، حبس فيها عظيم الآلهة رياح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضي متين ، حتى لا يفلت منها نفس واحد إلا باذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب النسيم الحلو - فلا شرعنا ،

« شرع أوديسيوس يروي قصته للملك الكينوس ، فذكر كيف أفلت سفاته بعد إذ وضعت حرب طروادة أوزارها ، وكيف أرسلت في مياه إزماروس ، وذكر ما كان من غزوة لهذه المدينة ونهبها ، وكيف كر أهلها عليهم فأوقموا بهم ... وما كان من إبحاره ، ورسوه عند جزيرة القوتوفاني ، أكلة اللوتس ، وما كان من مشاركة بعض رجاله أهل الجزيرة في أكل هذا اللوتس العجيب وتسيانهم بذلك أوطانهم ، وتقضيهم الإقامة بين القوتوفاني ، حتى اضطر أن ينهب إليهم نفسه ، ويرغمهم على العودة إلى الأسطول مكبلين في الأسفاد ... ثم روى ما حدث له بعد هذا في أرض المردة وكيف حبسهم السيكلوب في كهفه ، وكيف كان يتندى ويضعى باثنين اثنين من رجاله ، وما دبوا له من قلع عينه بمجذع الزجوة الحصى في النار ، وما كان من هربهم معلقين بيظون الكباش مغليين من أذى السيكلوب ، وما كان من إغاطة أوديسيوس له وهو واقف يشقى منه في سيفيته في عرض البحر ... وهو هنا يتم قصته ... »

وهب رخاء بين أيدينا ... وأسفاه ! لقد كانت
هباته اللطيفة الرخية عينا ، وضاعت في غفلة
رجلي ، سدى ! ... فلقد جرت بنا الفلك آمنة
مطمئنة طوال تسعة أيام بلياليها ، ثم بدت لنا
شيطان إثنا كأنفقت قلوبنا فرحا ، واستطعت أنا
نفسى أن ألح مواطئ الأعراء يوقدون النار في
شعاف الجبال ... بيد أنى كنت مهوكا موهونا
من كثرة العمل ووعاء السفر ، وطول الدهر
والرافقة ، فداعبت عيني سينة من الكرى ،
لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،
ولم أكن آمن أحدا من رجالي على الاضطلاع بها
خشية الونى ، وخافة التأخير ... وبينما كنت
نائما ، لب الوسواس في صدور رجالي ، زاعمين
أنى أحمل أذخارا من الذهب والفضة أسبغها على
إبولوس الملك ... قال قائلهم : « يا للآلهة ! أبدأ
ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تهالكوا
عليه فرحين مخبئين مكبرين ! وهو اليوم يعود
من طروادة ومعه من طرقتها وسليها الجم
الكثير ... أما نحن فوا أسفاه علينا ! لقد
شاركناه تلك الرحلة المشؤمة ، وهانحن نرضى
من الغنيمة بالأياب ، ونمود منها أصفار الأيدى ،
لا أماننا ولا وراعا ! وها هو أيضا قد فاز دوننا
برغد ملك الزياح ، إبولوس العظيم ! هلموا يارفاق !
البدار إلى هذه الجمبة ننظر ما احتوت من أصفر
وأبيض ، وأعطيات وهبات ... ولهى ! » وأقبل
بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجمبة
خفوا رباطها ... واحسرتاه ! لقد انطلقت الرياح
الحبيسة ، وزججرت المواصف الهوج من كل
صوب ، وطفقت تكسحنا في شدة وعنف ...
بيدا ... من إثنا كا ! ولقد قفزت من غفوتى

خائفا مذعورا ... حتى كحبيلى لى أن طوقنا قد
غمرنا ! ... وظللت برهة في ذهول ودعش ،
وطفت الأحزان على قلبي ، ورائت الموهوم على
نفسى ، وقت اليأس في عضدى ... ولكننى لم
أجد من الصبر بدا ! فتحملت الكازنة في هدوء
وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت
في قرنى ... وراحت المواصف تدفع الأسطول
في غير هودة ، حتى بلغ شيطان الأبوليين مرة
أخرى ... وهناك بكى صهي ... ولات حين
بكاء ! وهبطنا الشاطئ ، وكان هنا أن ترتشف
من ماء إيوليا العذب رشقات ، ثم جلسنا نمد
أكله عجلى ونلهمها ، وتوجهت أنا وصديق
إلى قصر الملك ثانية ... وقد كان يجلس لولية
كبيرة هو والملكة الحسان المصون ، وأبناؤه الغر
اليابيين ... ولشد ما بعده أن يرانا بعد طول انئاض
فدجنا وقال : « يلك أودسيوس فيم عدت
أدراجك ؟ وأى سلطان مشنوم لوى عنانك بعد
إذ أرسلناك مزودا بخير زاد لتصل إلى بلادك ،
وتلقى آلك ؟ أو أى آكل آخرين ! » ، وكان
فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك !
لقد خافنى رجلى اللؤماء ، وخافنى معهم طائف من
الكبرى ! فإذا شاء الملك فليجبر ما انصدع منا ،
وهو ما يزال صاحب الحول والطول ! » ...
وهكذا شادت المقادير أن أف ضارعا إلى هذا الملك
مرة أخرى ... وقد تلبث أبناؤه صامتين
لا ينبسون ... واكفهر وجه الملك وقال :
« أيها الرجل انطلق ... اغرب عن جزيرتنا
هذه يا أنيس الناس ! انطلق فوالله إنى لأستغفر
الآلهة أن أكرمت مئوى رجل مثلك عدو
نفسه ، محموت من الأرباب ، مضروب عليه من

مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؟ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك أنتيباس ملك هذه البلدة . . . ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك أقيمتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها حصبة ، فلم يحسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيم من الفزع وكانت هذه هي الملكة ، التي صاحت عند ما لحث رجالى ، زوجها ، فأقبل بهز وتزلزل الأرض من تحته ، وما كاد يلمح هؤلاء الغرباء حتى أمسك بواحد منهم وخبط به الأرض فخطمه . . . كأنما أقبل ليخوض مغممة . . . وانطلق الآخرون لا يلبون على شيء ، حتى بلغوا سفائننا . . . ثم زجر الملك بصوت قاصف كالرعد بدعوا إليه رعاياه ، فأقبلوا إليه من كل حذب ، مرده جبارين كالأغوال ، لا عددهم ، ولا تقع العين على أيتع منهم . . . ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسيت سفننا ، فجاءوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كمصف ما كول و جعلت مرأكبنا حطاما كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء الجبابرة يتسلون قتلانا بحراهم ليعودوا بها إلى بيوتهم فرائس سائنة يملأون بها بطونهم . . . وهكذا استمرت هذه الذبح الدامية . . . وكنت واقفاً في مركبي ، وجرازي إلى جانبي ، فأمرعت إلى حبال الرساة قطعناها به ، وبادر رجالى إلى مجازعتهم فأعملوا فيها أيديهم . . . وبذلك نجونا من هذا الروع برغم الحجارة المائلة التي كانت تنطاب فوق رؤوسنا وتهاوى عن شمالكنا وعن أيماننا ، فتشيع في فرائصنا خطر الموت . . . وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاتنا ؛ ومع ذلك ، فقد كانت تمتلج قلوبنا همًا وأسى على إخواننا . . . ثم رسونا آخر الأمر عند جزيرة إلبا ،

السماة ! » . وهكذا طردني الملك شر طردة ، فضيت على وجهى ، ولقيت أحمابى ، وأبحرنا نذرع اليم الصلغضب بمجازفتنا ، ونسكب في هذه الأعماق المضطربة قونا ، لا أمل لنا في الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء في الخلاص من هذه البؤوس ؛ ووصلنا مدينة ليستريجونيا بعد نصب ستة أيام لباليها . . . تلك المدينة الوحشة التي بناها منالاموس العظيم . . . والتي (تنزوا الحشرات صروجها نهاراً ، فيخرج الرعاة بقطعان الغنم ذات الفراء السكتة التي تحمى الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها فائلها ، فإذا جن الليل عادوا بأغنائهم إلى حظائرهما ، وذهبوا بالنعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بمأمن من غوائل الذباب الذى يكون قد غلبه النعاس)^(١) . . . وصلنا إلى هذه المدينة فألفيناها محصنة بصور عظيم من الحجر الصلب ، يتحدر قليلا قليلا إلى البناء ، بمضيق صغير لا تلو فيه موجة ، لا يتحرك فيه الماء . . . وقد أدخل رجالى سفائنهم في هذا البوغاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفينتى عند فم ما بلى البحر ، فألقيت مراسى ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت ربوة عالية ، وأخذت أجيل ناظرى في الجزيرة . . . ولم أفت لأنس أو حيوان على أثر ، وبدت الأرض جرداء بلقما ؛ بيد أن دخانا كثيفا كان يصاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبعث باتين من رجالى جعلت عليهم قائداً رئيساً ، ليمهلوا لنا من أنباء الجزيرة ، وليجسسوا أخبار أهلها . . . وقد قص هؤلاء آثار العرבות التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ ولحقوا عند

(١) كلام مورس هنا غامض شديد التموض ولذلك استلطنا في إيجازنا على شرح مترجه . . .

نقط في سبات هادئ . . . وذرت أورورا ايشة
النجر الوردية فهفت برجلي ، فهوا ، ثم جلسنا
ساعة نتشاور ، وأنا أقول لهم : « أيها الرفاق !
يا إخوان الشدائد ! ها نحن قد لصقنا بهذه الأرض
ولسنا ندرى أين نذهب ؟ هل نشرق ؟ أم نغرب
أم نظل هنا أبد الدهر ؟ ! ولكن هلموا فنظر
لأنفسنا مخاصماً بما نحن فيه . . . فاني حينما استمت
ذروة هذا الجبل أجلت الطرف في أرجاء هذه الأرض
فعرفت أنها جزيرة تتراى الى مدى البصر ؟ ثم
إني آنست دخاناً يعلو في الجو من وسطها ، يندفق
من سروات طوال فيها ، فرؤوا لأنفسكم أنابكم
الله ! » — وكانما سقط في أيديهم ، وكانما حانت
بهم ذكريات آنتيباتاس وقومه اللستريجون ؟ وما
لغوا من هول البسكالب أكلمة اللحم البشري ،
فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث
لا يجدي البكاء . . . ثم إنى قسمهم فريقين ، جعلت
على أحدهما يوربلاخوس ، وقرن الآلهة ، وجعلت
نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقترع : من
بذهب لارتباد الجزيرة ، فوضعنا الرقاع في خوذتي ،
ثم كانت الفرقة على يوربلاخوس ، ففضى ، وبحت
إمرته اثنتان وعشرون من رفاقنا ، كانوا جميعاً
بذرفون الدمع خوفاً وفزعاً بما وجهوا اليه ، وكنا
نحن نبادلهم دماً بدمع وبكاءً وبكاء . . . ووجدوا
قصر سيرس في بطيحة ^(١) منخفضة ، فاذاروا ؟ !
قصر منيف ممرّد تحقد به تماثيل حية من
سباع وذوئان سحرتها سيرس بمقاثيرها ذات
القوى الخارقة الخفية . . . ولم تؤذم تلك الوحوش ،
بل كانت تنب على أرجائها الخلفية في دل وتلطف ،
ثم تبصص بأذانها كأنها كلاب السادة المظلماء

حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات
الشعر الكهرماني ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها
الشمس ، وأنها برس ابنة أوشيانوس ^(٢) . وكانما
مشيت عناية السماء بين أبدنا فرسونا في جون هادئ
ساكن في غير جبلية ولا نجيب ، ثم هبطنا الى
الساحل فتلبننا فيه يومين كاملين نستجم ونستروح
مما بنا من أين وجهه ، وكنا فرائس لما في أضالنا من
شجو وم وشجن . ثم إني تسلمت برعى وسيفي
وحنثت خطاي في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه
الشاهقة ، ووقفت ثمة أنظر والمحسس ، فلمحت في
البعد دخاناً يساعد بين الدوح والهرم من قصر
سيرس . وبدأ أن ألتوجه إليه من فوري عسى
أن أجد عنده خيراً . ولقد ترددت بمد ذلك كثيراً
وكدت أعود أدراجي الى السفينة لأرسل نقرأ من
رجالي يكشفون لي الطريق الى القصر ؟ وما كدت
أخطو خطوات حتى ساق إلى أحد الآلهة بظلي
غير برشرد من الراج المشب الحلو يستقي مما ألح به من
ظلي فأرسلت إليه رعى فقصم ظهره ، وسقط يتخبط
في دمه ؟ وقطعت شيئاً من عساليح الصفصاف
وجدلت منها حبالا ، وأوثقت النزال من أياطله
واحتملته على ظهري ، ومضيت قُدماً الى رفاقي
متوكلين في كل خطوة على رعى إذ لم تمد شيخوختي
تستقيم لمثل هذا الحل الكبير ! وهنت برجلي في
مرح وظرف : « هلموا يا رفاق فلان تغفى قبل أن
نحين آجالنا ! ! هلموا الى ظبي فتيق وخر عتيق ،
واطرحوا ما بكم من هم وضيق . . . » وأقبلوا فرحين
وشروا عن سواعدهم وهم يستهولون من جذل هذا
القنص الفريض ، وظلنا يومنا هذا نطعم ونشرب
حتى إذا أضحى الليل سدوله انكفأنا على الشاطئ
(١) لم يعرض سراج هومر لهذه الفترة ولنا آنتيباتاس
كما

فطلق بصمقنا بأبناء ما رأى : « أوديسيوس ياذا
الجد ! لقد ذهبتا نتحسس كما أمرتنا ، ونزود هذا
الوادي الأشب ، فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة
عالية ، وسط بطيخة منخفضة ، ذا قبة سامقة
جلست تحتها امرأة أو ربة — لأدرى — وهي
لافتًا تعمل على منسج بخفة وصنعة ، وترسل ألحانًا
حنونًا حلوة ؛ وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت
قلقيهم بالبشر وفتحت لهم بابها على مصراعيه فدخلوا
جميعًا — حاشاي — فقد أو جست خيفة ، ووفر
في قلبى أن ثمة شركاوشك أن تتردى فيه ؛ وقد
راقبت رفاقى إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم
هالنى ألا أراهم فجاء ١١ » وما كاد ينتهى حتى قفزت
إلى سيفى فتسلحت به وأخذت قوسى وسهامى ،
وأمرته أن ينطلق بين يدى إلى حيث ذهبوا من قبل
ولكنه ركم أمانى وتعلق بساقى وجعل يرجو
ويلحف فى الرجاء ألا تذهب .. « فانك لن تفشل
فى إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل فى أن تنجو
بنفسك . فانطلق بمن بقى منا ، ويا حبذا لو استطلعنا
الفرار ! » ولكنى أجبته أن له أن يبقى هو يأكل
ويشرب فى السفينة ، ويكون بنجوة مما قزع منه
أما أنا ، فلم أر ضرورة لبقاى

وانطلقت لأولى على شئى ، ولكنى قبل أن
أبلغ البليخة التى بها القصر ، لقينى هرمس الحبيب
إله العصا السحرية . وكانت تخاليل العبا وداوات
الشباب تندفق فى بردته ، وجمرة الورد تلتهم فى
خديه ، لقينى فصاخنى متلطفًا وقال : « أيتها التمس أن
تضطرب وحذك فى هذه الأرض وقد حبست سيرس
من أرسلت من رجالك فى حفلاتها بعد إذ هجرتهم
إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجيم ؟ أم جئت
لتحتجزك معهم إلى الأبد ؟ ولكن اصغ إلى ؛ إلى

حينما تملقهم فى وليمة من أجل لقيات ... وصمقوا
أول الأمر ؛ ثم انطلقوا حتى كانوا تلقاء باب الربة
صاحبة المكان ... وتسمعوا ، فاذا سيرس تنثنى
بصوتها المعجب المطرب وهى تعمل على نولها ،
منشغولة بنسج سبرى عبرى عجيب ، ليس بقدر
على مثله إلا الآلهة . وكان فى رجال الفريق أمير
عظيم هو عندى أربطهم جأشًا فقال : « أئسمون
أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنينات
القصر ؟ إنه لا شك غناء ربة الدار التى تعمل على
نولها ، ولست أدرى أربة خالدة هى ، أم من بنات
حواء .. وعلى كل حالوا نهتف بها . » وتنادوا ،
وأقبلت سيرس فهشت لهم ويشت ، وأذنت لهم
أن يدخلوا .. فدخلوا ، وأسفاه ، إلا يوريلوخوس
فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أجبولة . ولقد
قادتهم إلى بهو كبير صفت فيه عروش نغمة من
ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى أقبل الساقى
بخمر وعسل ثم جىء بجبن وطعام آخر ، غلوط
بمقابر سحرية تذهب وهى آكلها ، وتنسهم
ماسلف من أمورهم ، بل تسلمهم ذكريات أوطانهم
ثم ضربت كلا بمصاها السحرية بعد إذ أكلوا
ورودًا ، واستاقتمهم إلى حفلاتها حيث مسخوا
فكانوا خنازير ، وإن أبى السحر على ألباسهم .
أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها
مباشرة ، فكانت تطعمهم جواز البلوط والشاهبلوط
والكرز ^(١) الكلابى . وما إلى هذا وذلك من
أكل الخنازير الخسيسة السائبة

وأقبل يوريلوخوس ينفض من الذعر ،
وينقد لسانه فجاك بيبس ، ثم هدأ روحه قليلا
(١) الكرز : وجمه السكران بالضم الأقط ، والمراد
هنا فاكهة الكرز

عليه ، وذهبت هي فزجت لي كأساً من الخمر بشيء
من عقارها ، وقدمته لي فاحتسبته ، بيد أنني لم أغير
ولم أتحول عن صوتي ، ففرضتني بمصاها السحرية
وهي تقول : « هلم إلى الحظيرة حيث تقرر مع رفاقك »
ولم تنكد تصمت حتى وثبت من مقعدى وامتشقت
سيفي ، وهجمت عليها ، وفي عيني ججيان من نار
الغضب ؛ فروع ربة السحر ، وزلات زلزالاً
عظيماً ، وجرت نحوي ، وركمت عند قدمي ،
وتملتق بساقي ، وأخذت تفرع إلى وتقول في
بيان رائع وكلمات باكية : « عمرلك الله من أنت
ومن أين قدمت وما ديارك ؟ تكلم ! أنت يا من
لم تحرك جرمي المائلة التي لم يذوقها أحد وظل
في صورته لحظة واحدة ! ولكنك تحمل قلباً
لا تجوز عليه نفثات السحر ... ولكن هلم ...
تعال ... إلى ! إلى ! أعرفك أحسن المعرفة ... إنما
أنت أوديسيوس الصانع ذو الله كر ، ولقد وصات
إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمس ذو العصا
الذهبية أن ينجري عجبتك ! ولكن اغمد سيفك ،
وهلم ندم بالعنان فوق فراشي الوثير كزوجين ،
وليفرخ روعك وليهدأ بالاك .. اطمئن يا أوديسيوس
هلم ! » وصمت لحظة ثم انطلقت أجبها
« سيرس ! كيف تتصورين أن يفرخ روعي وبهدأ
بالي وقد حبست في رحابك رفاقي وشركاء رحلي
يعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؟ ثم تخشين
إفلاقي فتخادعينني وتبهرجين على بطلاسم الحب ،
داعية إياي إلى فراشك لتشوب صفاء فضيائي برجس
وذبلتك ... لا ... لا ... إلى إن أقاسمك هذا الفراش
حتى تقاسميني أغلظ الأقسام ألا تلحق بي أدنى ،
وَألا تحاوي الاسرار بي » وراحت تحلف وتؤكد
الحلف ، وتقسيم وتتناظف في القسم ، ثم انظر انطرحت

ساحبط ما فعلت ، وساحبك وأحفظك . خُذ
هذا المقار^(١) ولا يهلك بعد أن تدخل قصر سيرس
فانه ينقذك من كل خطر ... وهلم أملك ما عندها
من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب
بما عندها من رجس ، وستضع لك منه في طعام
تقدمه لك فكل و اَرَوْ ولا تبالي ، فهذه البقلة
الجمبية التي أعطيتك ستحبط كل ما تحيك لك فلا
تقدر على مستخرك كمن مستخت من رفاقك ...
فاذا عالجتك بمصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك
غير هياب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك
فانها حينذاك تنقاد لك ، وتطوّدك إلى فراشها ،
وتحتال عليك بسنمة الحب وتلفافات الهوى ،
فاياك أن تنصاع لها حتى تمطيك موتها أن تبطل
ما أزلت برفاقك من سحر وأنت تترفق بك فلا
تمسك بأذى ، واحذر يا صاح أن ندس فضل خيرك
بما ركب في طبعها من شر . » وانحنى رسول
الآلهة فالتقط عشبة من الأرض ثم وضعا في يدي
وأخذ يكشّش أسرارها ويقفّي على قواها الخارقة .
وذكر لي أن اسمها (مولي) ، وبه يدعوها في السماء
وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رُقي
السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد
أما زهرتها فكانت بيضاء ناصعة البياض كاللبن .
وودعني هرمس ، ثم رفّ ورفّ ، وعرج في السماء
وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسي حتى
كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل
كما ذكر لي صاحبني على نولها ... وصحت صيحة
عالية ، فأقبلت تهادي نحوي وفتحت مصاريع
أبوابها ، ودعنتي ، فدلّفت وراءها ، حتى كنتا عند
عرش عظيم بمرد فضي ، ذي درج ، فاستويت

فعادوا إلى صورهم البشرية ، وبدوا في أنفس شباب وأصباة ، ثم أقبلوا نحوي يمشون بدي ، ودموع الفرح تبلل مآكنهم ، وطفقوا يصيحون ويصيحون وتردد أصداهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها بما رأت ، وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصانع ، هلم إلى مركبك فاشدها فوق البر لتكون بآمن من غوائل البحر ، ثم خيء كنوزك وأذخارك في غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك » وطربت لهذه الفكرة فهولت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاقي الآخرين يندبوننا وبذرفون دموعهم علينا . وما إن رأوني حتى أهرعوا نحوي يرقصون ويطربون ويحيون كهذه البهيم التي تعود في المساء إلى حظائر هافتنتلقاها صفارها بالنقاء والرغاء والضوضاء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاقي . وبدلت دموع أحزانهم بعبوات السرور ، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم الثاني المحبوب إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا . . . قال قائلاً لهم : « تالله لكنا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد طفرت قلوبنا حين عدت إلينا فعدت أرواحنا إلى أبادنا . حدثنا أيها المميز كيف هلك إخواننا في هذا التيه » . وقلت لهم : « هلموا أولاً بجزر مركبنا على هذا السيف الهادي المظلم ولنخفي أذخارنا وسلاحتنا في غيران هذه الجبال ، ولننطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في أمانسة وعز وطعام وشراب ، ونعمم مقامهم » . وصعدوا بما أمرتهم إلا بوريوخوس ، فقد سهر مكانه ، وكأنه لم يحفل بما أخبرته به ، ثم حرك شفتيه فقال : « ويح لنا نحن الأشقياء البائسين ! فيم ذهبنا نحن الآخرين إلى قصر سيرس ، وقد تمسختنا جميعاً إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظال إلى الأبد نحرس عرينها مرعجين ؟ لقد ذهب كثيرون منا ضحية هوس

في سررها الفخم الديباجي . وأقبلت أربع من عرائس البحر ، خطرن من اليم وأقبلن من الميرون والحرج الجساور لينهضن بخدمتنا ؛ أما الأولى فقد أصلحت من سيرنا وطرحت عليه مطارف الخبز ؛ وأما الثانية فقد صفت الموائد ورتبت السكرامى ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خرطية ملأت بها الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لي حماماً ساخناً وضمتني بأحسن الروائح والطيوب ، حتى انتمش جسمي الخاثر ، وتأرجحت روعي الفاترة ... ثم ألبستني ثوبين غاليين من أنذر الديباج ، ومشت بين يدي إلى عرش عظيم مزدهن بأحسن التصاوير ، ومطمم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضمأ قدمي على درج من لباد ناعم وأقبلت بعد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على يدي من إبريق من ذهب ، في طست من فضة ، وجاءت عابدة جافلة بأشهى الأكل فوضعتها قدامي ، لكنني ما معدت إلى شيء من ذلك بدي ، لما كان يساورني من الهم ، وما يشغل بالي من الانتقام ؛ فلما لحظت ذلك سيرس أقبلت تحمس ، وأخذت تلاقظني وتقول : « مالك تجلس ساكناً هكذا يا أوديسيوس كالذي غشى عليه ما تكاد تمتد يدك إلى شيء ، كأن ألف وستواس يحاصررك ؟ أما تزال تخشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها ؟ ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثقي وحلفت لك بأغلظ الأيمان ! » وأجبتها قائلاً : « كيف تمتد يدي إلى طعام أو شراب ورفاقي ما يزالون في إسار سحررك ؟ أبدأ لن أذوق شيئاً حتى تردبهم إلى صورهم ، ثم ألتقي بهم » ونهضت فجعل عصاها السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاقي ، وكانوا ما يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق قسحهم به ،

في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرغه .
نعم ؛ ثم استدار الزمان ، وهتف بنا قانون الأزل ،
فدعاني رجال إلى جلسة خارج القصر فقالوا لي :
« تذكر يا مولانا وطننا الأول ، فانتنا نحن إليه ،
ونتمنى لو ساقطنا المقابر إلى شطآنه » ، وكأنا
نبهوا منى غافلاً ، فقلبتنا يومنا هذا على مائدة ربة
السحر في بلهنية وعيش مخفرج وخمر ، وأقبل
الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس
فداعبها ولاطفها ، ثم قلت لها في رجاء وظرف :
« سيرس ياربـة ! حينذا لو وفيت بعهـدك فأرسلتنا
فوق هذا البحر رحمة بنا ، لنقضى حاجات الوطن ،
ولنتقطع شكواي سخاى التي مزقت نياط قلبي » .
وقالت سيرس : « أوديسوس العزيز ، المعروف
بإصالة الرأي ورجاحة الفكر ، إني لن أتركك على
البقاء هنا ، لا أنت ، ولا أحداً من رفاقك ،
ولكنك قبل أن تفكر في شد رحالك إلى بلادك
ينبغي أن تذهب في رحلة بشاقة بعيدة المدى ...
إلى هيدز ^(١) ... دار بلوتو ^(٢) ورسقونية ...
حيث تلقى النبي الصديق الصالح تيرزياس ، الذي
احتفظ وحده في عالم الموتى بكل أسرارده وقواه الغيبية
الخارقة ، والذي يتولى في رحاب ملكه الغناء
يتنبأ لها وتستوحيه وتستشيريه فيعرف ^(٣) لك عما
يهمك ويقفك على ما ينطوى لك من صحف
الغيب » وما كادت تنتهي حتى أحلوك لت الدنيا
في عيني وتدفقت الهوموم في نفسي ، وأجهشت
وأجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل .
وما كدت أضحو من هذه النبوة حتى قلت لها :
« أئني لي ياربـة أن أذهب إلى هيدز ؟ ومنذا الذي

أوديسوس وقلة بصره ، يوم حبسنا للمسبكوب
من أجل اطلاع رئيسنا الطياش ^(١) » وأوشكت
أضرب رأسه بجرازي ، فيخر إلى الأرض برغم
ما يربطني به من آصرة الوطن ووشيجة الغربة ،
لولا أن هب رجالى الآخرون يصرخون ويقولون :
« أوديسوس الكريم ! لنتركه هنا ليحرس
فلسكنا ، أما نحن فراحلون منك إلى قصر سيرس ،
ولو كان ميلته الفرع الأكبر ! » وتدفقوا من
السفينة على الشاطئ ، وانخرط يوريلوخوس بينهم
منصاعاً لنظراني المتأججة ... أما ما كان من
سيرس حينذاك ، فلها أدخلت رفاقى إلى حمامها
ثم مضمختهم بأحسن الطيب ، ومخلت عليهم أنغر
الملابس ، ولما وصلنا وجدناهم بطعمون ، فسا إن
رأونا حتى هبوا يماثون صحابهم ويبيكون ، ثم
جلسوا يستمعون إلى قصة ما حل بأخوانهم ، وهم
يصددون زفريات الحزن ، ترددوا قباب القصر .
ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول :
« ابن ليرتيس العزيز هون عليك ، وليرفه رجالك
عن أنفسهم ، ولا يستسلموا هكذا لنوبة الحزن ،
ولترقا دموعهم جميعاً ... إني لا أجهل ما تبجشوا
من أهوال في ذاك البحر المضطرب ، وما أقوا من
فواحش في كل أرض ، بما كتب لهم في لوح
القضاء ... ولكن ، نسلوا جميعاً ... أنشوا
نفوسكم الخالدة بكموس الراح ، ولتستشعروا بأسكم
الذي كنتم تستشعرون يوم غادرتم شطآننا إيثاكا
المرزنة ... إنكم إن لم تنتسوا آلامكم فلها نقت في
عضدكم وتوهي من قوتكم وتكونون أبداً حلفاء لكم
وإلبا عليكم ، ولا تمودون تشعرون منها بلذة المشي
وهجة الحياة ! » ، ووقمت كلها في قلوبنا فأقبلنا
على الطعام والدماء ، ثم إننا أقمنا عندها عاماً بأكمله

(١) الدار الآخرة

(٢) إله الموتى وزوجه

(٣) يتكهن - من العرافة بالكسر

يحدثون إليها ، ولم يسبقني إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت بحبيبي : يا سليل ليرتيس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك الى هيدز من دليل . بل هلم الى سفينتك فأصلح قلاعها ونشر شراعها وستهب الصبأ سحسجاً فتشد هديكم رويدا ، فاذا جرت هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ^(١) الذي تنمو فوقه أشجار الحور والصفصاف الباسقة ، ثمة باسم پرسفونييه ، فادفعوا إليه بسفينتكم ثم تهاوؤا الى مثنوى باتو السحيق الذي يبتدى عند الصخرة الهائلة التي تنكسر فوق أواذها أمواه أشيرون وستيكس وكوكيتوس فازكروا سفينتكم ثمة ، واحقروا عندها حفرة ذراعاً في ذراع ، ثم صبوا في جهتها الأولى قربانا من لبن وعسل ، وفي الثانية خراصة من أحسن ما تمصرون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فاذا كانت الرابعة فانثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الموتي جميعا ، ثم انذروا لهم أن نذبحوا - يوم تمودون الى إيثا كالساليين - مجلأ جسدنا من أحسن قطاعتكم : وانذروا كذلك لثيريزياس كبشا سموريا ليس في أغنامكم أسمن منه ولا أقوى جلادا فاذا فرغتم من صلاتكم ونذروكم وأدعيتكم لجميع الموتي من كل الأمم ، فاذبحوا في الحال كبشا ونمجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيخوا بوجوهكم تلقاء الشاطئ فاذا صنعتهم كل هذا فسرعان ما ترون أرواح الموتي تقبل نحوكم من كل فج ، فسارعوا الى ذبايحكم فاسلخواها وألقوا بلحوسها في النار مصليين ملبين داعين كما تبدأ نفسا باتو وزوجته پرسفونييه ، ولا نسمخوا لأرواح الموتي أن تقرب أضيائكم ، وذودهم عنها بأسيافكم حتى تلمحوا تيريزياس قادما

(يتبع)

دريي خشيدي

(١) الذي يتر الماء مصدر استعمل صفة oozy

FIN

DU

DOCUMENT

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأخص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تعبر ومظاهر العبقرية للأمة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تنمي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي ما يساوي جنبا مصريا ، وللبلاط العربية بخم ٣٠ ٪

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسي رقم ٩ بالقاهرة

المروية

مجلة أسبوعية للنقد والتأريخ

تصدر موقفاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937

Volume 1